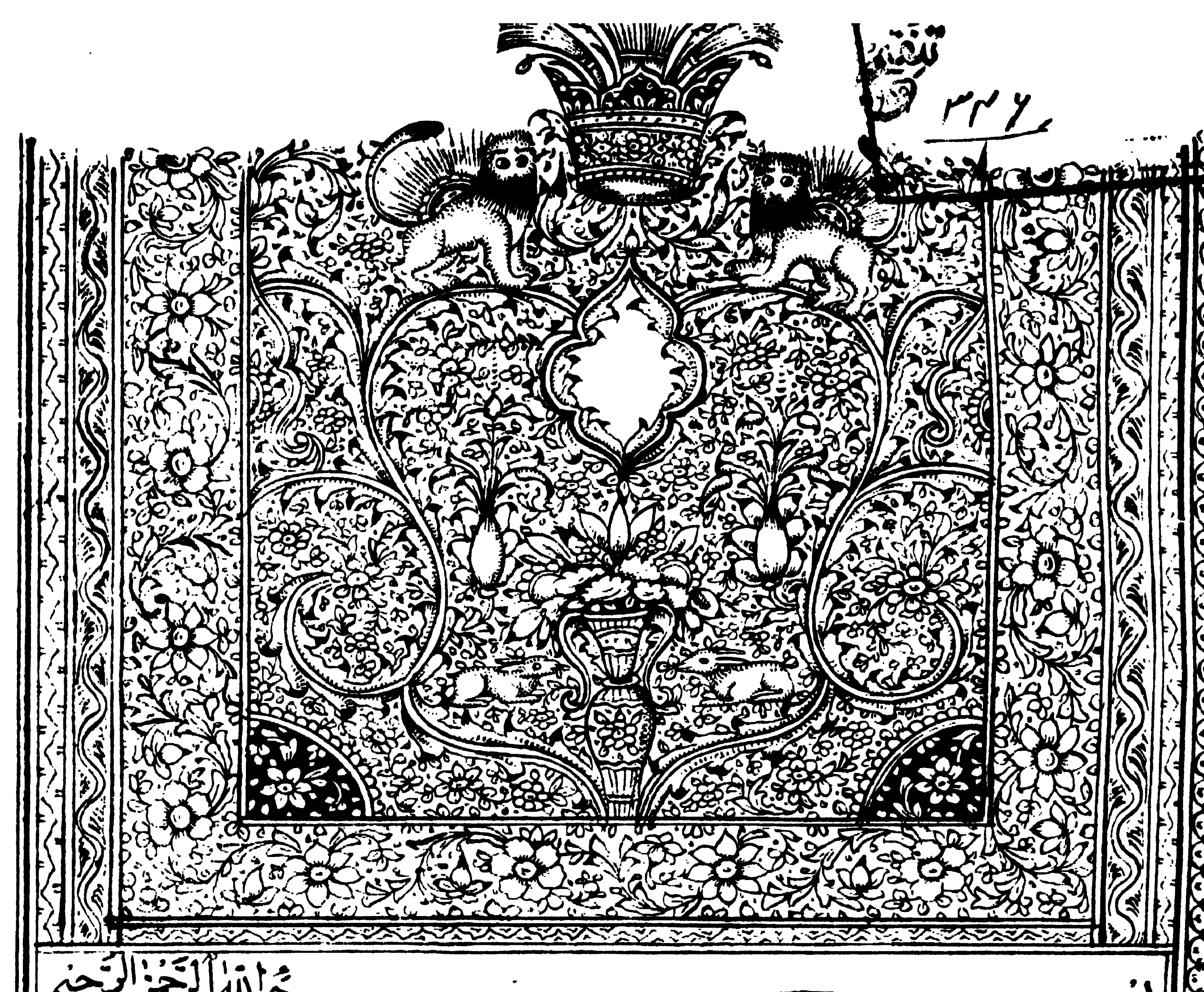


بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وانتم حرم ان الله
يحكم ما يريد يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد ولا امين البيت الحرام يبتغون
فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنان قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت
عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل
السبع الا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم
فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فمن
اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات وما علمتم
من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه و
اتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين اوتوا الكتاب حل
لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
اذا اتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي اخدان ومن يكفر بالايمان فقد
حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم
وايديكم الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان
كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لمستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد
ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم
به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا ايها الذين امنوا
كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو اقرب
للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر عظيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم

١٢٥ ، ٢٩٧

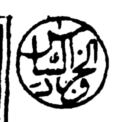
إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

القراءة ولا يجرمنكم بالنون الخفيفة رويس عن يعقوب والباقون مثقلة شنآن في الموضعين بسكون النون ابن عامر وإسمعيل وأبو بكر وحماد ويزيد من
طريق ابن وردان والباقون بالفتح أن صدوكم بكسر الهمزة ابن كثير وأبو عمرو والباقون بالفتح ولا تعاونوا بتشديد التاء البزي وابن فليح الميتة ومن اضطر كما مر
في البقرة واخشوني بالياء في الوقف سهل ويعقوب وأرجلكم بالنصب ابن عامر ونافع وعلي والمفضل وحفص ويعقوب والأعشى في اختياره والباقون بالجر
الوقوف بالعقود ط لاستئناف الفعل حرم ط ما يريد ورضوانا ط لا ابتداء بأن تعتدوا لئلا يتوهم العطف وحذف التاء من تعاونوا والتقوى ص لعطف المتفقتين
والعدوان كذلك واتقوا الله ط شديد العقاب بالأزلام فسق ط واخشون ط دينا ط لأن الشرط من تمام الجزاء لا لما يليه لإثم لا لأن ما بعده جزاء رحيم أحل لهم ط فصلا
بين السؤال والجواب الطيبات لا للعطف أي وصيد ما علمتم ما علمكم الله للفاء التعقيب مع عطف المختلفتين عليه واتقوا الله الحساب الطيبات ط لأن طعام
مبتدأ لكم ص لعطف المتفقتين لهم ز لأن قوله والمحصنات عطف على وطعام الذين لا على ما يليه فذلك عمله لعطف المختلفتين مع أن ما بعده من تمام جزاء الكفر
معنى الخاسرين ط الكعبين ط لابتداء حكم فاطهروا ط كذلك وأيديكم منه ط تشكرون واثقكم به لأن إذ ظرف المواثقة وأطعنا للعطف المتفقتين مع وقوع العارض واتقوا
الله الصدور بالقسط لعطف المتفقتين مع زيادة نون التأكيد المؤذن بالاستئناف فإن لا تعدلوا للاستئناف اعدلوا وقف لطيفة لأن الضمير مبتدأ مع
شدة اتصال المعنى للتقوى واتقوا الله بما تعملون الصالحات لأن ما بعده مفعول الوعد أي لهم عظيم الجحيم أيديهم عنكم لاعتراض الظرف بين المتفقتين
واتقوا الله المؤمنون التفسير وفى بالعهد وأوفى بمعنى والعقد وصل الشيء بالشيء على سبيل الاستيثاق والإحكام والعهد إلزام مع إحكام والمقصود من الأمر بالوفاء
بالعقود إتمام التكاليف فعلا وتركا والتحقيق أن الإيمان معرفة الله بذاته وصفاته وأحكامه وأفعاله فكأنه قيل يا أيها الذين التزمتم بإيمانكم أنواع العقود
أوفوا بها ومعنى تسمية التكاليف عقودا أنها مربوطة بالعباد كما يربط الشيء بالشيء بالحبل الموثوق قال الشافعي إذا نذر صوم يوم العيد أو نذر ذبح الولد
لغا لقوله لا نذر في معصية الله وقال أبو حنيفة يجب عليه الصوم والذبح لقوله أوفوا بالعقود غاية أنه لغا هذا النذر في خصوص كون الصوم واقعا
في يوم العيد وفي خصوص كون الذبح في الولد قال أيضا خيار المجلس عندنا ثابت لقوله أوفوا بالعقود وخصص الشافعي عموم الأمر بقوله المتبايعان كل واحد
منهما بالخيار ما لم يتفرقا وقال أبو حنيفة الجمع بين الطلقات حرام لأن النكاح من العقود بدليل ولا تعزموا عقدة النكاح وقال أوفوا بالعقود ترك العمل
في الطلقة الواحدة بالإجماع فيبقى ما عداها على الأصل والشافعي خصص هذا العموم بالقياس وهو أنه لو حرم الجمع لما نفذ وقد نفذ فلا يحرم ثم إنه سبحانه لما مهد
القاعدة الكلية ذكر ما يندرج تحتها فقال أحلت لكم بهيمة الأنعام والبهيمة كل حي لا عقل له من قولهم استبهم الأمر إذا أشكل وهذا باب مبهم أي مسدود
ثم خص هذا الاسم بكل ذات أربع في البر والبحر والأنعام هي المال الراعية من الإبل والبقر والغنم قال الواحدي ولا يدخل في اسم الأنعام الحافر لأنه مأخوذ من نعومة
الوطء وإضافة البهيمة إلى الأنعام للبيان مثل خاتم فضة بتقدير من وفائدة زيادة لفظ البهيمة مع صحة ما لو قيل أحلت لكم الأنعام كما قال في سورة الحج هي فائدة
الإجمال ثم التبيين وإنما وحد البهيمة لأنها اسم جمع يشمل أفرادها وجمع الأنعام لأن النعم مفرد يقع في الأكثر على الإبل وحدها وقيل المراد بالبهيمة شيء و
بالأنعام شيء آخر وعلى هذا فوجهان أحدهما أن البهيمة الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنه أراد ما يماثل الأنعام ويدانيها من جنس الأنعام في الاجترار
وعدم الأنياب فأضيفت إلى الأنعام لملابسة الشبه الثاني أنها الأجنة عن ابن عباس أن بقرة ذبحت فوجد في بطنها جنين فأخذ ابن عباس بذنبه وقال
هذه بهيمة الأنعام وعن ابن عمر أنها أجنة الأنعام وذكاته ذكاة أمه قالت التناسخية ذبح الحيوانات إيلام والإيلام قبيح وخصوصا إيلام من بلغ في العجز والحيرة
إلى حيث لا يقدر أن يدفع عن نفسها ولم يكن له لسان يحتج على من يقصد إيلامه والقبيح لا يرضى به الإله الرحيم الحكيم فلا يكون الذبح مباحا حلالا فلعلهم ألقوا هذه
الشبهة في البكرية من المسلمين أنه تعالى يدفع ألم الذبح عن الحيوانات وقالت المعتزلة إن الإيلام إنما يقبح إذا لم يكن مسبوقا بجناية ولا ملحوقا بعوض وههنا
يعوض الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات بأعواض شريفة فلا يكون ظلما وقبيحا كالفصد والحجامة لطلب الصحة وقالت الأشاعرة الإذن في ذبح الحيوانات تصرف
من الله تعالى في ملكه فلا اعتراض عليه لذا قال إن الله يحكم ما يريد قال بعضهم أحلت لكم بهيمة الأنعام مجمل لاحتمال أن يكون المراد إحلال الانتفاع بجلدها
أو عظمها أو صوفها أو بالكل والجواب أن الإحلال لا يضاف إلى الذات فتعين إضمار الانتفاع بالبهيمة فيشمل أقسام الانتفاع على أن قوله والأنعام خلقها
لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون يدل على الانتفاع بها من كل الوجوه إلا أنه ألحق بالآية نوعين من الاستثناء الأول قوله إلا ما يتلى عليكم أي إلا محرم
ما يتلى عليكم أو إلا ما يتلى عليكم آية تحريمه وأجمع المفسرون على أن الآية قوله بعد ذلك حرمت عليكم الميتة والدم والثاني قوله غير محلي الصيد وأنتم حرم
داخلون في الحرم أو في الإحرام قال الجوهري رجل حرام أي محرم والجمع حرم مثل قذال وقذل وقيل مفرد يستوي فيه الواحد والجمع كما يقال قوم جنب وانتصاب
غير محلي على الحال من الضمير في لكم أي أحلت لكم هذه الأشياء لا محلين الصيد في حالة الإحرام وفي الحرم ثم كأن لقائل أن يقول ما السبب في إباحة الأنعام في جميع
الأحوال وإباحة الصيد في بعض الأحوال فقيل إن الله يحكم ما يريد فليس لأحد اعتراض على حكمه ولا سؤال لم وكيف ثم أكد النهي عن مخالفة تكاليفه بقوله
يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله الأكثرون على أنها جمع شعيرة فعيلة بمعنى مفعلة وقال ابن فارس واحدها شعارة ثم إن المفسرين اختلفوا على قولين
أحدهما أنها عامة في جميع تكاليفه ومنه قول الحسن شعائر الله دين الله والثاني أنها شيء خاص من التكاليف ثم قيل المراد لا تحلوا ما حرم الله عليكم
في حال إحرامكم من الصيد وقيل الأفعال التي هي علامات الحج يعرف بها من الإحرام والطواف والسعي والحلق والنحر قال الفراء كانت عامة العرب لا يرون الصفا



والمراد من شعائر الحج فهو اعم من ترك السعي بينهما وقال ابو عبيدة الشعائر الهدايا والاشعار ان يطعن في سنامها ويقلد ليعلم انها هدي قال ابن عباس ان الحطم واسمه
شريح بن ضبيعة الكندي اتى النبي ﷺ من اليمامة الى المدينة فخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي ﷺ فقال له الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان
لا اله الا الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم وآتي بهم وقد كان النبي ﷺ قال لاصحابه يدخل عليكم
رجل يتكلم بلسان شيطان ثم خرج من عنده فلما خرج قال رسول الله ﷺ لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقبي غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدينة فاستاقه
فطلبوه فعجزوا عنه فلما خرج رسول الله ﷺ عام القضاء سمع تلبية حجاج اليمامة فقال لاصحابه هذا الحطم واصحابه وكان قد قلد ما نهب من سرح المدينة
واهداه الى الكعبة فلما توجهوا في طلبه نزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله يريد ما اشعر لله وان كانوا على غير دين الاسلام وقال
زيد بن اسلم كان رسول الله ﷺ واصحابه بالحديبية حين صدهم المشركون وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم ناس من المشركين يريدون العمرة فقال اصحاب رسول
الله ﷺ نصد هؤلاء عن البيت كما صدنا اصحابهم فانزل الله لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام اي
قوما قاصدين اياه والمعنى لا تعتدوا على هؤلاء العمار لان صدوكم اصحابهم فالشهر الحرام شهر الحج اعني ذي الحجة او المراد رجب وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم وعبر عنها بلفظ الواحد اكتفاء باسم الجنس اي لا تحلوا القتال في هذه الاشهر والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك جمع
هدية والقلائد جمع قلادة وهي ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء شجر الحرم والمراد لا تحلوا ذوات القلائد من الهدي افرد للاختصاص بالفضل مثل
وجبريل وميكائيل ويحتمل ان ينهى عن التعرض للقلائد ليلزم النهي عن ذوات القلائد بالطريق الاولى كقوله ولا يبدين زينتهن فانه نهى عن ابداء الزينة
مبالغة في النهي عن ابداء مواضعها وللمفسرين خلاف في الآية فذهب كثير منهم كابن عباس ومجاهد والحسن والشعبي وقتادة انها منسوخة وذلك ان المسلمين
والمشركين كانوا يحجون جميعا فنهى المسلمون ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله وهؤلاء فسروا ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون في انفسهم انهم على شيء من الدين وان الحج يقربهم
الى الله فوصفهم الله بظنهم وقال الآخرون انها محكمة وانه تعالى امر ان لا نخيف من يقصد بيته من المسلمين بدليل قوله يبتغون فضلا من الله اي ثوابا ورضوانا
وان يرضى عنهم وهذا انما يليق بالمسلم لا بالكافر وقال ابو مسلم المراد بالآية الكفار الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ فلما زال العهد بسورة براءة زال
ذلك الحظر واذا حللتم فاصطادوا ظاهر الامر للوجوب الا انه يفيد ههنا الاباحة لانه لما كان المانع من حل الاصطياد هو الاحرام لقوله غير محلي
الصيد وانتم حرم فاذا زال الاحرام رجع الى اصل الاباحة ولا يجرمنكم معطوف على لا تحلوا وجرم بمعنى كسب حيث المعنى ومن حيث تعديه الى مفعول
واحد تارة والى مفعولين اخرى تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه وهذا هو المذكور في الآية الشنآن بالتحريك والتسكين مصدر شنئته
اشنؤه وكلاهما شاذ فالتحريك شاذ في المعنى لان فعلان من بناء الحركة والاضطراب كالضربان والخفقان والتسكين شاذ في اللفظ لانه لم يجئ شيء من
المصادر عليه قال الجوهري معنى الآية لا يكسبنكم بغض قوم الاعتداء او لا يحملنكم بغضهم على الاعتداء وقوله ان صدوكم من قرأ بكسر الهمزة فهو شرط
وجوابه ما يدل عليه لا يجرمنكم ومن قرأ بفتح ان فمعناه التعليل اي لان صدوكم ومثل هذه القراءة اولى لان المراد منع اهل مكة رسول الله ﷺ والمؤمنين يوم الحديبية
عن العمرة والسورة نزلت بعد الحديبية وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء او على كل ما تعلق ببر او تقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
على الانتقام والتشفي او على كل ما يورث الاثم والتجاوز عن الحد والحاصل ان الباطل والاثم لا يصلح لان يتمسك به ويعان عليه انما اللائق الانقياد به والتعاون
عليه هو الحق والبر وما فيه تقوى الله سبحانه ثم بالغ في هذا المعنى بقوله واتقوا الله اي في استحلال محارمه ان الله شديد العقاب ثم شرع في تفصيل
الاستثناء الموعود تلاوته في قوله الا ما يتلى عليكم فقال حرمت عليكم الميتة الآية والمجموع المستثنى احد عشر نوعا الاول الميتة كانوا يقولون انكم
تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل الله قال العقلاء الحكمة في تحريم الميتة ان الدم جوهر لطيف فاذا مات الحيوان حتف انفه احتبس الدم في عروقه وتعفن
فيحصل من اكله مضار كثيرة الثاني الدم كانوا ياكلون الفصيد وهو دم كان يجعل في معا من فصد عرق ثم يشوى فيطعم الضيف في الازمة ومنه المثل لم
يحرم من فصد له البعير وربما يقال من فزد له الثالث لحم الخنزير قالوا الغذاء يصير جزءا من جوهر المغتذي فلا بد ان يحصل للمغتذي اخلاق وصفات من جنس
ما كان حاصلا في الغذاء والخنزير مطبوع على الحرص والشره فحرم اكله لئلا يتكيف الانسان بكيفيته واما الغنم فانها في غاية السلامة وكانها ذات عارية
عن جميع الاخلاق فلا يتغير من اكلها احوال الانسان والرابع ما اهل لغير الله به والاهلال رفع الصوت وكانوا يقولون عند الذبح باسم اللات
والعزى وقد مر في سورة البقرة سائر ما يتعلق بهذه الانواع الاربعة فليرجع اليها الخامس المنخنقة كانوا في الجاهلية يخنقون الشاة فاذا ماتت اكلوها
وقد يختنق بحبل الصائد وقد يدخل راسها بين عودين في شجرة فيختنق فتموت وبالجملة فباي وجه اختنقت فهي حرام السادس الموقوذة وهي المقتولة بالخشب
وقذها يقذها اذا ضربها حتى ماتت ومنها ما رمي بالبندق السابع المتردية التي تقع في الردى وهو الهلاك وتردى اذا وقع في بئر او سقط من موضع
مرتفع ويدخل فيه ما اذا اصابه سهم وهو في الجبل فسقط على الارض فانه يحرم اكله لانه لا يعلم انه زهق روحه بالتردي او بالسهم الثامن النطيحة التي نطحتها
اخرى فماتت بسببه لا يخفى ان هذه الاقسام الاربعة داخلة في الميتة بحول الخاص في العام فافردت بالذكر لمزيد البيان والهاء في المنخنقة والموقوذة
والمتردية والنطيحة لانها صفات الشاة بناء على الاغلب مما ياكله الناس والا فالحكم عام وانما انث النطيحة مع ان فعيلا بمعنى مفعول لا يدخله الهاء كقولهم
كف خضيب ولحية دهين وعين كحيل لان الموصوف غير مذكور تقول مررت بامرأة قتيل فلان فاذا حذفت الموصوف قلت بقتيلة فلان لئلا يقع الاشتباه

التاسع ما اكل السبع وهو اسم يقع على ما له ناب ويعدو على الانسان ويفترس الحيوان كالاسد وما دونه قال قتادة كان اهل الجاهلية اذا جرح السبع شيئاً
فقتله واكل بعضه اكلوا ما بقي فحرمه الله وفي الاية حذف التقدير وما اكل منه السبع لان ما اكله السبع فقد فنى ولا حكم له وانما الحكم للباقي قوله الا ما ذكيتم
الذكاة في اللغة تمام الشيء ومنه الذكاء في الفهم وفي السن التمام فيها والمذاكي الخيل التي قد اتى عليها بعد قروحها سنة او سنتان وتذكية النار رفعها وتقوية
اشتعالها والتذكية كمال الذبح اما المستثنى منه فعن علي وابن عباس والحسن وقتادة انه جميع ما تقدم من قوله والمنخنقة الى قوله وما اكل السبع المعنى انك
ان ادركت ذكاته بان وجدت له عينا تطرف او ذنبا يتحرك او رجلا تركض فاذبح فهو حلال لان ذلك دليل الحياة المستقرة وقيل انه مختص بقوله وما اكل السبع
وقيل انه استثناء منقطع من المحرمات كانه قيل لكن ما ذكيتم من غير هذا فهو حلال ومن التحريم اي حرم عليكم ما مضى الا ما ذكيتم فانه لكم حلال العاشر ما ذبح
على النصب هو مفرد وجمعه انصاب كطنب واطناب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله قال الجوهري وضعف بانه يكون كالتكرار لقوله وما اهل لغير الله
به وقال ابن جريج النصب ليست باصنام فان الاصنام احجار مصورة منقوشة وهذه النصب حجارة كانوا ينصبونها حول الكعبة وكانوا يذبحون عندها
للاصنام وكانوا يلطخونها بتلك الدماء ويشرحون اللحوم عليها فالمراد ما ذبح على اعتقاد تعظيم النصب ويحتمل ان يكون الذبح للاصنام واقعا عليها
وقيل النصب جمع اما لنصاب كحمر وحمار او لنصب كسقف وسقف الحادي عشرها ابدعه اهل الجاهلية وان لم يكن من جملة المطاعم اي حرم عليكم ان تستقسموا
بالازلام وانما ذكر مع الذبح على النصب لانهم كانوا يفعلون كلا منهما عند البيت كان احدهم اذا اراد سفرا او تجارة او نكاحا او امرا اخر من معاظم الامور او غزوا
ضرب بالقداح وكانوا قد كتبوا على بعضها امرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي وتركوا بعضها غفلا اي خاليا عن الكتابة فان خرج الامر اقدم على الفعل وان
خرج النهي امسك وان خرج الغفل اعاد العمل فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة الخير والشر بواسطة ضرب القداح. لكثير من اهل اللغة الاستقسام
ههنا هو الميسر المنهي عنه والازلام قداح الميسر التركيب يدل على التسوية والاعتدال يقال ما احسن ما قلم سهمه اي سواه ورجل مزلم اذا كان مخفف
الهيئة وامرأة مزلمة اذا لم تكن طويلة ذلكم فسق اشارة الى جميع ما تقدم من المحرمات اي تناولها فسق ويحتمل ان يرجع الى الاستقسام بالازلام فقط وكونه
فسقا بمعنى الميسر ظاهر واما بمعنى طلب الخير والشر فوجهه انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم ويعتقدون ان ما خرج من الامر والنهي هو ارشاد الاصنام
واعانتها فلذلك كان فسقا وكفرا وقال الواحدي انما حرم لانه طلب معرفة الغيب وانه تعالى مختص بمعرفته وضعف بان طلب الظن بالامارات المتعارفة
غير منهي كالتعبير والفال كما يدعيه اصحاب الكرامات والفراسات ثم انه سبحانه حرض على التمسك بما شرع فقال اليوم يئس قيل ليس المراد يوما بعينه
وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت بالامس شابا وانت اليوم شيخ وقيل المراد يوم معين وذلك انها نزلت
يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر والنبي واقف على ناقته العضباء عن ابن عباس انه قرأ الاية ومعه يهودي فقال اليهودي
لو نزلت علينا في يوم لاتخذناه عيدا فقال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين اتفق يوم جمعة ويوم عرفة اي يئسوا من ان يحللوا هذه الخبائث بعد ان جعلها الله محرمة او يئسوا من ان يغلبوكم على دينكم لانه تعالى وعد
باظهاره وهذا الدين على سائر الاديان فلا تخشوهم واخشون اخلصوا الى الخشية قيل في الاية دليل على ان التقية جائزة عند الخوف لانه علل اظهاره هذه
الشرائع بزوال الخوف من الكفار اليوم اكملت لكم دينكم سئل ههنا انه يلزم منه ان الدين كان ناقصا قبل ذلك وكيف يجوز ان يكون النبي مواظبا
على الدين الناقص اكثر عمره واجيب بانه كقول الملك اذا استولى على عدوه اليوم كمل ملكنا وزيف بان السؤال بعد باق لان ملك ذلك الملك لا بد ان
يكون قبل قهر العدو ناقصا وقيل المراد اني اكملت لكم ما تحتاجون اليه تكاليفكم من تعليم الحلال والحرام وقوانين القياس واصول الاجتهاد وضعف
بانه يلزم ان لا يكمل لهم قبل ذلك اليوم ما كانوا محتاجين اليه من الشرائع وتاخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز والمختار في الجواب ان الدين كان ابدا كاملا
بمعنى ان الشرائع النازلة من عند الله في كل وقت كافية في ذلك الوقت الا انه كان عالما في اول وقت المبعث ان ما هو كامل في هذا اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد العدم واما في اخر زمان البعثة فانزل شريعة كاملة وحكم ببقائها الى يوم القيامة
على حالها من غير نسخ وزيادة ونقص الى يوم القيامة قال نفاة القياس كمال الدين ان يكون حكم كل واقعة منصوصا عليه فلا فائدة في القياس واجيب
بان كماله هو جعل النصوص بحيث يمكن استنباط احكام نظائرها فقالوا تمكين كل احد ان يحكم بما غلب على ظنه لا يكون كمالا للدين وانما يكون
القاء للناس في ورطة الظنون والاوهام واجيب بانه اذا كان تكليف كل مجتهد ان يعمل بمقتضى ظنه كان كل مجتهد قاطعا بانه عامل بحكم الله تعالى انه
لما نزلت الاية على النبي فرح الصحابة واظهروا السرور الا اكابرهم كابي بكر الصديق وغيره فانهم حزنوا وقالوا ليس بعد الكمال الا الزوال وكان
كما ظنوا فانه لم يعمر بعدها الا احدا وثمانين يوما او اثنين وثمانين يوما ولم يحصل في الشريعة بعدها زيادة ولا نسخ ولا نقص قال العلماء كان ذلك
جاريا مجرى اخبار النبي عن قرب وفاته وذلك اخبار بالغيب فيكون معجزا احتجت الاشاعرة بالاية على ان الدين سواء قيل انه العمل او المعرفة او مجموع الاعتقاد
والاقرار والعمل لا يحصل الا بخلق الله وايجاده فانه لن يكون اكمال الدين منه الا واصله منه والمعتزلة حملوا ذلك على اكمال بيان الدين واظهار الشرائع
ثم قال واتممت عليكم نعمتي اي بذلك الاكمال لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام او نعمتي بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين ورضيت اي اخترت لكم الاسلام دينا
نصب على الحال او مفعول ثان ان ضمن رضيت معنى صيرت واعلم ان قوله ذلكم فسق الى ههنا اعتراض اكد به معنى التحريم في هذه الخبائث من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ثم بين الرخصة بقوله فمن اضطر في مخمصة اي مجاعة واصل الخمص ضمور البطن غير متجانف
منحرفا مائلا لاثم اي غير متعمد له وهو ان ياكل فوق الشبع او عاصيا بسفره وقد مر القول في هذه الرخصة مستوفى في سورة البقرة يسألونك
ماذا احل لهم كانهم حين تلي عليهم ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سألوا عما احل لهم والسؤال في معنى القول ولهذا وقع بعده ماذا احل لنا على حكاية



قولهم نظرا الى ضمير الغائب في يسئلونك ومثل هذا يجوز ومنه الوجه الذي يقول منهم زيد ليفعلن ولا تفعلن اما سبب النزول فعن ابي رافع ان جبرئيل جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبرئيل انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة فنظروا فاذا في بعض بيوتهم جرو قال ابو رافع فأمرني
ان لا ادع بالمدينة كلبا الا قتلته حتى بلغت العوالي فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فأمرني بقتله فرجعت الى الكلب
فقتلته فجاء ناس فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا يحل لنا من هذه الامة التي تقتلها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان نزلت هذه الآية فأمر بقتل الكلب الكلب والعقور
وما يضر ويؤذي واذن في اقتناء الكلاب التي ينتفع بها وقال سعيد بن جبير نزلت في عدي بن حاتم وزيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول
الله انا قوم نصيد بالكلاب والبزاة وانها تأخذ البقر والحمر والظباء والضب فمنه ما ندرك ذكوته ومنه ما يقتل فلا ندركه وقد حرم الله الميتة فما ذا يحل لنا
منها قل احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو ما لم يأت تحريمه في كتاب وسنة او قياس مجتهد او احل لكم كل ما يستلذ ويشتهى عند اهل المروة
والاخلاق الجميلة واعلم ان الاصل في الاعيان الحل لانها خلقت لمنافع العباد هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا واستثني من ذلك اصول الاول تنصيص
الكتاب على تحريمه كالميتة والدم وغيرهما الثاني تنصيص الكتاب السنة كما روي عن جمع من الصحابة انه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الاهلية
والبغال كالحمير ولا يحرم الخيل عند الشافعي لما روي عن جابر انه قال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل الثالث ما هو في معنى المنصوص كا
لنبيذ فانه مسكر كالخمر ومشارك لها في التحريم الرابع كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور وقد مر معنى السبع عن قريب فلا يحل بموجب هذا الاصل الكلب والاسد
والذئب والنمر والفهد والدب والببر والقرد والفيل لانها تعدو بانيابها ولا يحل من الطيور البازي والشاهين والصقر والعقاب وجميع جوارح الطير الخامس
ما امر بقتله من الحيوانات فهو حرام لان الامر بقتله اسقاط لحرمته ومنع من اقتنائه ولو كان مأكولا لجاز اقتناؤه للتسمين واعداده للاكل وقت الحاجة
ومنه الفواسق الخمس روي انه صلى الله عليه وسلم قال خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والفأرة والغراب الابقع والكلب العقور والحدأة السادس ما ورد النهي عن قتله
فهو حرام لانه لو كان مأكولا لجاز ذبحه للأكل كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الخطاطيف وكذا الصرد والنملة والنحلة والهدهد والخفاش السابع الاستطابة
والاستخباث لقوله تعالى قل احل لكم الطيبات قال العلماء ويبعد الرجوع الى طبقات الناس وتنزيل كل قوم على ما يستطيبون ويستخبثون لان ذلك يوجب
اختلاف الاحكام في الحل والحرمة وذلك يخالف موضوع الشرع فالعرب اولى ضرب بالاعتبار لان الدين عربي وهم المخاطبون اولا وليس لهم ترفه وتنعم
يورث تضييق المطاعم على الناس ولكن المعتبر استطابة سكان القرى والبلاد دون اجلاف البوادي الذين لا تمييز لهم ويعتبر اصحاب اليسار
والرفاهية دون اصحاب الضرورات والمحتاجات ويعتبر حال الخصب والرفاهية دون حال الجدب والشدة والحشرات باسرها مستخبثة كالذباب والخنفساء والجعل
وحمار قبان الا الضب فانه صلى الله عليه وسلم قال لا آكله ولا احرمه ومن الاصول انه لا يجوز اكل الاعيان النجسة في حال الاختيار وكذا اكل الطاهر اذا تنجس بملاقاة النجاسة
كالدهن والسمن الذائب والدبس والخل ومن الاصول الكسب بمخامرة النجاسة ولكن كسب الحجام حلال عند الشافعي ومن الاصول ما يضر كالزجاج والسم
والنبات المسكر او المجنن قوله سبحانه وما علمتم من الجوارح معناه احل لكم صيد ما علمتم على حذف المضاف لدلالة فكلوا مما امسكن عليكم ويجوز ان يكون ما
شرطية والجزاء فكلوا وعلى هذا يجوز الوقف على الطيبات والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والبازي والصقر والعقاب ونحوها وتعلم ما يجرح
بانيابها اي يكسبه وجوز بعضهم ان يكون من الجراحة وقال فما اخذ من الصيد فلم يسل منه دم لم يحل وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم وفائدة هذه الحال
مع الاستغناء عنها بعلمتم ان معلم الجوارح ينبغي ان يكون ماهرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب نقل عن ابن عمر والضحاك والسدي ان ما صاده غير الكلاب
فلم يدرك ذكوته لم يحل اكله لان قوله مكلبين يدل على كون هذا الحكم مخصوصا بالكلب والجمهور على ان الجوارح يدخل فيه ما يمكن الاصطياد به من السباع والطير
المكلب مؤدب الجوارح ورائضها لان يصطاد لصاحبها وانما اشتق من الكلب لكثرة هذا المعنى في جنسه ولان سائر السبع يسمى كلبا كقوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد ومن الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال فلان كلب بكذا اذا كان حريصا عليه وهب ان المذكور في الآية اباحة الصيد بالكلب
لكن تخصيصه بالذكر لا ينفي حل غيره لجواز الاصطياد بالرمي وبالشبكة ونحوها مع سكوت الآية عنها تعلمونهن حال ثانية او استيناف مما علمكم الله من علم
التكليب لانه الهام من الله او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره واعلم انه يعتبر في صيرورة المكلب معلما امور منها انه اذا زجره
صاحبه في ابتداء الامر كذا اذا انطلق واشتد عدوه وحدته يشترط ان ينزجر بزجره ايضا على الاشبه وبظهر الثاني منها ان يسترسل بارسال صاحبه
اي اذا اغري بالصيد هاج ومنها ان يمسك الصيد لقوله فكلوا مما امسكن عليكم وفي هذا اعتبار وصفين احدهما ان يحفظ ولا يخليه والثاني ان لا
يأكل منه لقوله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم فان اكل فلا تأكل فانما امسكه على نفسه جوارح الطير يشترط فيها ان يهيج عند الاغراء وان يترك الاكل لكن لا مطمع في
انزجارها بعد الطيران ويشترط عند الشافعي تكرر هذه الامور بحيث يغلب على الظن تأدب الجارحة بها واقله ثلث مرات ولم يقدر الاكثرون عدد المرات كانهم
راوا العرف مضطربا وطباع الجوارح مختلفة فيرجع الى اهل الخبرة بطباعها وعن سلمان الفارسي وسعد بن ابي وقاص وابن عمر وابي هريرة انه يحل وان اكل عندهم
الامساك هو ان يحفظ ولا يتركه ومعنى الآية كلوا مما يبقى لكم الجوارح وان كان بعد اكلها منه ومن في مما امسكن قيل زائدة نحو كلوا من ثمره وقيل مفيدة
وذلك ان بعض الصيد لا يؤكل كالعظم والدم والريش قال سعيد بن جبير وابو حنيفة والمزني يؤكل ما بقي من جوارح الطير ولا يؤكل ما بقي من الكلب والفرق
ان تأديب الكلب بالضرب على الاكل ممكن وتأديب الطير غير ممكن ولا خلاف انه اذا كان الجارحة معلمة ثم تصيد صيدا وجرحته وقتلته وادركه الصائد ميتا
فهو حلال وجرح الجارحة كالذبح وان قتلته بالغم من غير جرح ففي حله خلاف وقوله سبحانه واذكروا اسم الله عليه فالضمير اما ان يعود الى ما امسكن اي سموا

عليه إذا أدركتم ذكوته أو إلى ما علمتم أي سموا عليه عند إرساله أو إلى الأكل وهذا فلا كلام وعلى الأول فالتسمية محمولة على الندب عند الشافعي وعلى الوجوب
عند أبي حنيفة وسيجيء تمام المسئلة في سورة الأنعام إن شاء الله تعالى اليوم أحل لكم الطيبات فائدة الإعادة أن يعلم بقاء هذا الحكم عند كمال الدين و
استقراره وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم الأكثرون على أن المراد بالطعام الذبائح لأن ما قبل الآية في بيان الصيد والذبائح ولأن ما سوى الصيد
والذبائح محللة قبل أن كانت لأهل الكتاب وبعد أن صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها بأهل الكتاب فائدة وعن بعض أئمة الزيدية أن المراد هو الخبز والفاكهة وما لا يحتاج
فيه إلى الذكوة وقيل إنه جميع المطعومات وطعامكم حل لهم أي يحل لكم أن تطعموهم من طعامكم لأنه لا يمتنع أن يحرم الله تعالى إطعامهم من ذبائحنا وأيضا فالفائدة في
ذكره أن يعلم أن إباحة الذبائح حاصلة في الجانبين ليست كإباحة المناكحة فإنها غير حاصلة في الجانبين والمحصنات الحرائر والعفائف من المؤمنات وعلى الثاني تدخل
فيه نكاح الإماء وقد يرجح الأول بأن قوله فإذا آتيتموهن أجورهن في مهر الإماء لا يدفع إليهن بل إلى ساداتهن وبأن نكاح المحصنات ههنا مطلق وفي نكاح الأمة مشروط
بعدم طول الحرة وبخشية العنت وبأن تخصيص العفائف بالحل يدل ظاهرا على تحريم نكاح الزانية وقد ثبت أنه غير محرم ولو حملنا المحصنات على الحرائر لزم تحريم نكاح
الأمة ونحن نقول به على بعض التقديرات وبأن وصف التحصين في حق الحرة أكثر ثبوتا منه في حق الأمة لأن الأمة لا تخلو من التبرز للرجال والمحصنات من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم احتج بها كثير من الفقهاء في أنه لا يحل نكاح الكتابية إلا إذا آمنت بالتورية والإنجيل قبل نزول الفرقان لأن قوله من قبلكم يدل على من آمن
بهما قبل نزوله وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات أصلا متمسكا بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى
وأول الآية بأن المراد اللاتي آمنت منهن فمن المحتمل أن يخطر ببالك هذا أن الكتابية إذا آمنت هل يحل للمسلم التزوج بها أم لا وعن عطاء أن الرخصة كانت مختصة بذلك
الوقت لأنه كان في المسلمات قلة وإن الاحتراز عن مخالطة الكفار واجب لا تتخذوا بطانة من دونكم أي خلطة أشد من الزوجية وقد يحلف ولده فيميل إلى دين
الأم وقال سعيد بن المسيب والحسن الكتابيات تشمل الذميات والحربيات فيجوز التزوج بكلهن وأكثر الفقهاء على أن ذلك مخصوص بالذمية فقط وهو مذهب ابن عباس
فإنه قال من أعطى الجزية حل ومن لم يعط لم يحل لقوله تعالى حتى يعطوا الجزية واتفقوا على أن المجوس قد سن بهم سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم و
نكاح نسائهم إذا آتيتموهن أجورهن فيه أن من تزوج امرأة وعزم على أن لا يعطيها صداقا كان كالزاني والزناء ضربان سفاح وهو على سبيل الإعلان واتخاذ خدن
وهو على سبيل الإسرار فحرمهما الله تعالى في الآية وأحل التمتع بهن على سبيل الإحصان وهو التزوج بالشروط والأركان ثم حث على التزام التكاليف المذكورة
بقوله ومن يكفر بالإيمان أي بشرائع الله وتكاليفه التي هي من نتائج الإيمان بالله ورسوله وقال ابن عباس ومجاهد معناه ومن يكفر برب الإيمان أي بالله وقال
قتادة ومن يكفر بالقرآن الذي أنزل فيه هذه التكاليف التي لا بد منها في الإيمان فقد خاب وخسر وقيل إن أهل الكتاب إن حصلت لهم فضيلة المناكحة وإباحة
الذبائح في الدنيا إلا أن ذلك لا يفيدهم في الآخرة لأن كل من كفر بالله فقد حبط عمله في الدنيا ولم يصل إلى شيء من السعادات في الآخرة البتة واعلم أن القائلين
بالإحباط فسروا قوله فقد حبط عمله بأن عقاب كفره يزيل ما كان حاصلا له من ثواب أعماله ومنكروا الإحباط قالوا إن عمله الذي أتى به بعد ذلك الإيمان
قد بان أنه لم يكن معتدا به وكان ضائعا في نفسه ثم إنه سبحانه لما افتتح السورة بطلب الوفاء بالعقود وكان قال عهد الربوبية منك وعهد العبودية منا وأنت
أولى بتقديم الوفاء بعهد الربوبية فأجاب الله تعالى نعم أنا أوفي بعهد الربوبية والكرم ومعلوم أن منافع الدنيا محصورة في نوعين لذات المطعم ولذات المنكح فبين
الحلال والحرام من المطاعم والمناكح وقدم المطعوم على المنكوح لأنه أهم وعند تمام هذا البيان كأنه قال قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل أنت يا عبد بوظائف العبودية و
سيما بالصلوة التي هي أعظم الطاعات وبمقدماتها ولنبين تفسير الآية على مسائل الأولى ليس المراد بقوله إذا قمتم نفس القيام وإلا لزم تأخير الوضوء عن الصلوة
وهو بالإجماع باطل وأيضا لو غسل الأعضاء قبل الصلوة قاعدا أو مضطجعا لم يخرج عن العهدة بالإجماع فالمراد إذا شمرتم للقيام إلى الصلوة وأردتم ذلك
ووجه هذا المجاز أن الإرادة الجازمة سبب لحصول الفعل وإطلاق اسم المسبب على السبب مجاز مستفيض الثانية ذهب قوم إلى أن الأمر بالوضوء تبع للأمر بالصلوة وليس
تكليفا مستقلا لأنه شرط القيام إلى الصلوة والأصح أنه عبادة برأسها لأن قوله فاغسلوا أمر ظاهره الوجوب غاية ذلك أنه مقيد بوقت التهيؤ للصلوة وأيضا
أنه طهارة وقد قال تعالى في آخر الآية ولكن يريد ليطهركم وقال يبعث الذين على النظافة يجيئون غرا محجلين من آثار الوضوء يوم القيمة والأخبار الواردة في كون
الوضوء سببا لغفران الذنوب كثيرة الثالثة قال داود يجب الوضوء لكل صلوة فإنه ليس المراد قياما واحدا في صلوة واحدة وإلا لزم الإجمال إذ لا دليل
على تعيين تلك المرة والإجمال خلاف الأصل فيجب حمل الآية على العموم وأيضا ذكر الحكم عقيب الوصف المناسب مشعر بالعلية فيتكرر بتكرره فيجب الوضوء
عند كل قيام إلى الصلوة وأيضا إنه نظافة فلا يكون منها بد عند الاشتغال بخدمة المعبود وقال سائر الفقهاء إن كلمة إذا لا تفيد العموم ولهذا لو قال
لامرأته إذا دخلت الدار فأنت طالق لم تطلق مرة أخرى بالدخول ثانيا وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة إلا يوم الفتح فإنه صلى الصلوات كلها
بوضوء واحد قال عمر فقلت له في ذلك فقال عمدا فعلت ذلك يا عمر أجاب داود بأن خبر الواحد لا ينسخ القرآن وأيضا في الخبر معنيان أحدهما وجوب التجديد
لكل صلوة لا أقل من استحباب تلك الثاني أنه ترك ذلك يوم الفتح والأول يوجب المتابعة والثاني مرجوح لأن الفتح يقتضي زيادة الطاعة لا انتقاصها
وأيضا التجديد أحوط وأيضا دلالة ظاهر القرآن قولية ودلالة الخبر فعلية والقولية أقوى ولناصر المذهب المشهور أن يقول إنه نص على المتغوط والمجامع وأوجب إن لم يجد
الماء لقوله أو جاء أحد منكم من الغائط الآية وذلك يدل على أن وجوب الوضوء قد يكون بسبب آخر سوى القيام إلى الصلوة فلم يكن هو مؤثرا وحده وإذا لم يكن
مؤثرا مستقلا جاز تخلف الأثر عنه التجديد مستحب لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده كانوا يتوضأون لكل صلوة وقال من توضأ على طهر كتب الله له عشر
حسنات وقيل كان الوضوء لكل صلوة واجبا أول ما فرض ثم نسخ الرابعة الأصح أن في الآية دلالة على أن الوضوء شرط لصحة الصلوة لأنه علق فعل الصلوة



بالطهور ثم تبين انه متى عدم الماء لم يصح الصلوة الا بالتيمم فلو لم يكن شرطا لم يكن كذلك ثانيها انه امر بالصلوة مع الوضوء فالآتي بها بدون الوضوء تارك للمأمور به فيستحق
العقاب وهذا معنى البقاء في عهدة التكليف الخامسة قال ابو حنيفة النية ليست شرطا في الوضوء لانها غير مذكورة في الآية والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن
بخبر الواحد وبالقياس غير جائز وعند الشافعي هي شرط فيه لان الوضوء مأمور به لقوله فاغسلوا وامسحوا وكل مأمور به يجب ان يكون منويا لقوله تعالى وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين والاخلاص النية الخالصة فاصل النية يجب ان يكون معتبرة وغاية ما في الباب انها مخصوصة في بعض الصور فيبقى حجة في غير محل التخصيص
السادسة قال مالك وابو حنيفة الترتيب غير مشروط في الوضوء لان الواو لا يفيد الترتيب فلو قلنا بوجوبه كان الزيادة على النص وهو نسخ غير جائز وقال الشافعي
انه واجب لان فاء التعقيب في قوله فاغسلوا يوجب تقديم غسل الوجه ثم سائر الاعضاء على الترتيب قاله في حديث الصفا ابدأوا بما بدأ الله به وايضا الترتيب المعتبر
في الحس هو الابتداء من الرأس الى القدم او بالعكس والترتيب العقلي افراد العضو المغسول عن الممسوح ثم انه تعالى ادرج الممسوح في المغسول فدل هذا على ان الترتيب المذكور
في الآية واجب لان اهمال الترتيب في الترتيب مستقبح فوجب تنزيه كلام الله تعالى عنه وايضا ايجاب الوضوء غير معقول المعنى لان الحدث يخرج من موضع والغسل يجب في
موضع آخر ولان اعضاء المحدث طاهرة لقوله المؤمن لا ينجس حيا وميتا وتطهير الطاهر محال ولانا نشرع اقامة التيمم مقام الوضوء وليس في التيمم نظافة واقامة المسح
على الخفين مقام الغسل ولانه لا يفيد في نفس العضو نظافة والماء الكدر العفن يفيد الطهارة وماء الورد لا يفيدها فانه لا اعتماد على فهم المعنى فلعل الترتيب
حكمة خفية لا نعرفها او هو محض التعبد وقد اوجبنا رعاية الترتيب في الصلوة مع ان اركان الصلوة غير مذكورة في القرآن مرتبة فرعاية الترتيب في الوضوء مع ان القرآن
ناطق به اولى السابعة قال الشافعي وابو حنيفة الموالاة في افعال الوضوء غير واجبة لان ايجاب هذه الافعال قدر مشترك بين ايجابها على سبيل الموالاة وايجابها
على سبيل التراخي وهذا القدر معلوم من الآية ومفيد للطهارة والزائد لا دليل عليه ايضا روي انه عم رأى رجلا توضأ وترك لمعة من عقبه فامره بغسلها ولم يأمره بالاستيناف
ولم يبحث عن المدة الفاصلة وعند غيره هما شرط كيلا يتخلل بين اجزاء العبادة ما ليس منها وحد التفريق المخل بالموالاة ان يمضي من الزمان ما يجف فيه المغسول مع
اعتدال الهواء ومزاج الشخص الثامنة قال ابو حنيفة الخارج من غير السبيلين ينقض الوضوء لان ظاهر الآية يقتضي الاتيان بالوضوء لكل صلوة لكنه ترك العمل
به عند ما لم يخرج الخارج النجس وخالفه الشافعي معولا على ما روي انه عم احتجم وصلى ولم يزد على غسل اثر محاجمه التاسعة قال مالك لا وضوء في الخارج من السبيلين
اذا كان غير معتاد وسلم في دم الاستحاضة لنا التمسك بعموم الآية العاشرة قال ابو حنيفة القهقهة في الصلوة المشتملة على الركوع والسجود ينقض الوضوء
وقال الباقون لا ينتقض لابي حنيفة ان تمسك بعموم الآية الحادية عشرة قال ابو حنيفة لمس المرأة وكذا لمس الفرج لا ينقض الوضوء وقال الشافعي ينقض تمسكا
بالعموم الثانية عشرة لو كان على وجهه وبدنه نجاسة فغسلها ونوى الطهارة من الحدث بذلك الغسل هل يصح وضوءه قال في التفسير الكبير ما رأيت هذه المسئلة في كتب
الاصحاب قال والذي اقوله انه يكفي لانه امر بالغسل في قوله فاغسلوا وقد اتى به واقول الظاهر انه لا يكفي لانه لا يرتفع بغسلة واحدة نجاستان حكمية وعينية هذا
بخلاف ما لو نوى التبرد او التنظف فان النجاسة هناك حكمية فقط الثالثة عشرة لو وقف تحت ميزاب حتى سال عليه الماء ونوى رفع الحدث هل يصح وضوءه
يمكن ان يقال لا لانه لم يأت بعمله وان يقال نعم لانه اتى بما افضى الى المقصود وهو الاغتسال الرابعة عشرة اذا غسل اعضاء الوضوء ثم كشط جلده فالاظهر وجوب غسله
لتحصيل الامتثال فان ذلك الموضع غير مغسول الخامسة عشرة لو رطب الاعضاء من غير سيلان الماء عليها لم يكف لانه مأمور بالغسل وهذا ليس بغسل وفي
الجنابة يكفي لانه هناك مأمور بالتطهير لكن يريد ليطهركم والتطهير يحصل بالترطيب السادسة عشرة لو اذاب الثلج على العضو فان ذاب وسال جاز والا فلا خلافا
لمالك والاوزاعي لنا فاغسلوا وهذا ليس بغسل السابعة عشرة التثليث سنة لان ماهية الغسل تحصل بالمرة الثامنة عشرة السواك سنة لا واجب لان
الآية ساكتة عنه وكذا القول في التسمية خلافا لاحمد واسحق وكذا في تقديم غسل اليدين على الوضوء خلافا لبعضهم التاسعة عشرة قال الشافعي لا يجب
المضمضة والاستنشاق في الوضوء والغسل وقال احمد واسحق يجب فيهما ابو حنيفة يجب في الغسل لا في الوضوء حجة الشافعي انه اوجب غسل الوجه والوجه هو الذي
يكون مواجها وحده من مبتدأ تسطيح الجبهة الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا وداخل الفم والانف غير مواجه العشرون ابن عباس يجب ايصال
الماء الى داخل العينين لان العين جزء من الوجه وقال الباقون لا يجب لقوله في آخر الآية ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وادخال الماء في العين حرج الحادي و
العشرون غسل البياض الذي بين العذار والاذن واجب عند الشافعي وابي حنيفة ومحمد خلافا لابي يوسف لنا انه واجب قبل نبات الشعر بالاجماع فكذا بعده
ولانه من الوجه والوجه يجب غسله كله الثاني والعشرون ابو حنيفة لا يجب ايصال الماء الى ما تحت اللحية الخفيفة الشافعي يجب لقوله فاغسلوا ترك العمل
عند كثافة اللحية دفعا للحرج فبقي عند خفتها على الاصل الثالث والعشرون الاصح عند الشافعي وجوب امرار الماء على ظاهر اللحية النازلة طولا والخارجة
الى الاذنين عرضا لانه مواجه مالك وابو حنيفة والمزني لا يجب لانه لا جلد تحتها حتى يغسل ظاهرها بتبعيتها الرابع والعشرون لو نبتت للمرأة لحية وجب
ايصال الماء الى جلدة الوجه وان كانت لحيتها كثيفة لانا تركنا العمل بظاهر الآية في اللحية الكثيفة للرجل دفعا للحرج ولحية المرأة نادرة وخصوصا الكثيفة
فيبقى حكمها على الاصل الخامس والعشرون يجب ايصال الماء الى ما تحت الشعر الكثيف في خمسة مواضع العنفقة والحاجب والشارب والعذار والهدب لان قوله
فاغسلوا يدل على وجوب غسل كل جلدة ترك العمل في اللحية الكثيفة دفعا للحرج وهذه الشعور خفيفة غالبا فيبقى على الاصل السادس والعشرون الشعبي
ما اقبل من الاذن فهو من الوجه فيغسله وما ادبر فمن الرأس فيمسح ورد بان الاذن غير مواجه اصلا السابع والعشرون الجمهور على ان المرفقين يجب غسلهما
مع اليدين وخالف مالك وزفر وكذا الخلاف في قوله وارجلكم الى الكعبين والمحققون ان الى يفيد معنى الغاية مطلقا والمراد بالغاية جميع المسافة وحقيقة النهاية
ثم ان حد الشيء قد يكون منفصلا عن المحدود حسا كانفصال الظلمة عن النور في قوله تعالى اتموا الصيام الى الليل فيكون المحدود خارجا عن الحد وقد لا يكون كذلك

نحو حقه



نحو حفظت القرآن من اوله الى آخره وبعتك هذا الثوب من هذا الطرف الى ذلك الطرف فيدخل الحد في المحدود ولا شك ان المرفق وهو موصل الذراع
في العضد متى بذلك لانه ملتقى صاحبيهما بهما غير متميز في الحس عن محدودها فلا يكون ايجاب الغسل الى جزء اولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب غسلهما
جميعاً وان سلم ان المرفق لا يجب غسلها لكنها اسم لما جاوز طرف العظم ولا نزاع في ان ما وراء طرفها العظم لا يجب غسله وهذا الجواب اختيار الزجاج وعلى هذا
فمقطوع اليد من المرفق يجب عليه مساس الماء بطرف العظم وان كان القطع مما فوق المرفقين لم يجب عليه شيء لان محل هذا التكليف لم يبق اصلاً الثامن
والعشرون تقديم اليمنى على اليسرى مندوب ليس بواجب خلافاً لاحمد لنا انه ذكر الايدي والارجل في الاية من غير تقديم لاحد اليدين والرجلين التاسع
والعشرون ذهب بعضهم الى ان مبتدأ الغسل يجب ان يكون الكف بحيث يسيل الماء من الكف الى المرفق لان المرفق جعلت في الاية نهاية الغسل وجمهور
الفقهاء على ان عكس هذا الترتيب لا يخل بصحة الوضوء لان المراد في الاية بيان جملة الغسل لا بيان ترتيب اجزاء الغسل الثلاثون لو نبت من المرفق ساعد
وكفان وجب غسل الكل لعموم قوله وايديكم الى المرافق كما لو نبت على الكف اصبع زائدة الحادي والثلاثون المراد من تحديد الغسل بالمرفق بيان الواجب
فقط لما ورد في الاخبار ان تطويل الغرة سنة مؤكدة الثاني والثلاثون مالك يجب مسح كل الرأس ابو حنيفة يتقدر بالربع لانه مسح على ناصيته
وانها ربع الرأس الشافعي الواجب اقل ما ينطلق عليه اسم المسح لانه اذا قيل مسحت المنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بالكلية اما لو قال مسحت
يدي بالمنديل يكفي في صدقه مسح اليد بجزء من اجزاء المنديل فهكذا في الاية والاحتياج في تعيين المقدار الى دليل منفصل ويصير الاية مجملة وهو خلاف
الاصل الثالث والثلاثون لا يجوز الاكتفاء بالمسح على العمامة لان ذلك ليس مسحاً للرأس وقال الاوزاعي والثوري واحمد يجوز لما روي انه مسح
على العمامة واجيب بانه لعله مسح الفرض على الرأس والبقية على العمامة الرابع والثلاثون اختلف الناس في مسح الرجلين وفي غسلهما فنقل القفال
في تفسيره عن ابن عباس وانس بن مالك وعكرمة والشعبي وابي جعفر محمد بن علي الباقر ان الواجب فيهما المسح وهو مذهب الامامية وجمهور الفقهاء
والمفسرين على ان فرضهما الغسل وقال داود يجب الجمع بينهما وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف
مخير بين المسح والغسل حجة من اوجب المسح قراءة الجر وارجلكم عطفاً على برؤسكم ولا يمكن ان يقال انه كسر على الجوار كما في قوله جحر ضب خرب لان ذلك
لم يجيء في كلام الفصحاء وفي السعة وايضاً انه جاء حيث لا لبس ولا عطف بخلاف الاية واما القراءة بالنصب فيكون للعطف على محل برؤسكم حجة الجمهور اخبار
وردت بالغسل وان فرض الرجلين محدود الى الكعبين والتحديد انما جاء في الغسل لا في المسح والقوم اجابوا بان اخبار الآحاد لا تعارض القرآن
ولا تنسخه وبالمنع في محل النزاع ثم زعم الجمهور ان قراءة النصب ظاهرة في العطف على مفعول فاغسلوا وان كان ابعد من امسحوا وقراءة الجر تنبيه على وجوب
الاقتصاد في صب الماء لان الارجل تغسل بالصب فكانت مظنة للاسراف الخامس والثلاثون جمهور الفقهاء على ان الكعبين هما العظمان الناتئان
من جانبي الساق وقالت الامامية وكل من قال بالمسح ان الكعب عظم مستدير موضوع تحت عظم الساق حيث يكون مفصل الساق والقدم كما في ارجل
جميع الحيوانات والمفصل يسمى كعباً ومنه كعوب الرمح لمفاصله حجة الجمهور انه لو كان الكعب ما ذكره الامامية لكان الحاصل في كل رجل كعباً واحداً
وكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعاب كما انه لما كان الحاصل في كل يد مرفقاً واحداً لا جرم قال الى المرافق وايضاً العظم المستدير الموضوع في المفصل
شيء خفي لا يعرفه الا اهل العلم بتشريح الابدان والعظمان الناتئان في طرفي الساق محسوسان لكل احد ومناط التكليف ليس الا امراً ظاهراً او نوع
نادر وانه صح قال الصقوا الكعاب بالكعاب السادس والثلاثون الجمهور على جواز مسح الخفين خلافاً للشيعة والخوارج حجة الجمهور الاحاديث وحجة
الشيعة الاية فان جواز المسح على الخفين حاجة عامة فلو كانت ثابتة لبلغت مبلغ التواتر السابع والثلاثون رجل مقطوع اليدين والرجلين سقط
عنه هذان الفرضان وبقي عليه غسل الوجه ومسح الرأس فان لم يكن معه من يوضئه او ييممه سقط عنه ذلك ايضاً لان قوله فاغسلوا وامسحوا مشروط
بالقدرة عليه فاذا فاتت القدرة سقط التكليف الثامن والثلاثون قوله سبحانه وان كنتم جنباً فاطهروا الاصل تطهروا ادغم التاء في الطاء فاجتلبت همزة
الوصل للجنابة سببان نزول المني لقوله الماء من الماء والثاني التقاء الختانين خلافاً لزيد بن ثابت ومعاذ وابي سعيد الخدري لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى الختانان
وجب الغسل ختان الرجل هو الموضع الذي يقطع منه جلدة القلفة واما ختان المرأة فان شفريها يحيطان بثلاثة اشياء ثقبة في اسفل الفرج وهي مدخل الذكر
ومخرج الحيض والولد وثقبة اخرى فوق هذه مثل احليل الذكر وهي مخرج البول لا غير والثالث جلدة رقيقة قائمة مثل عرف الديك فوق ثقبة البول وقطع
هذه الجلدة هو ختانها فاذا لا يجوز للجنب مس المصحف خلافاً لداود لنا قوله فاطهروا وليدل على ان الطهارة غير حاصلة والا لكان امراً بتطهير الطاهر وحيث
لا يجوز له مس المصحف لقوله لا يمسه الا المطهرون التاسع والثلاثون فاذا غابت الحشفة حاذى ختانه ختانها ولا طلاق قوله فاطهروا علم انه امر بتحصيل الطهارة
في كل البدن والا لخصت تلك الاعضاء بالذكر كما في الطهارة الصغرى وعلم انه لا يجب تقديم الوضوء على الغسل خلافاً لابي ثور وداود وعلم ان الترتيب غير
واجب خلافاً لاسحق وانه واجب البداءة بالبعض وعلم ان الدلك غير واجب خلافاً لمالك الاربعون الشافعي المضمضة والاستنشاق غير واجبين
في الوضوء لقوله اما انا فاحثي على رأسي ثلاث حثيات فاذا انا قد طهرت ابو حنيفة هما واجبان لقوله فاطهروا والتطهير لا يحصل الا بتطهير جميع الاعضاء
ترك العمل به في الاعضاء الباطنة للتعذر وداخل الفم والانف يمكن تطهيرهما فيبقى داخلاً في النص ولان قوله بلوا الشعر يدخل فيه الانف لان في داخله
شعراً وانقوا البشرة يدخل فيه جلدة داخل الفم الحادي والاربعون لا يجب نقض الشعر ان لم يمنع من وصول الماء الى منابته لان المقصود التطهير وان منع
وجب خلافاً للنخعي الثاني والاربعون كان المرض المانع من استعمال الماء حاصلاً في بعض جسده دون بعض قال الشافعي يغسل ما لا ضرر عليه



ثم يتيمم للاحتياط وقال ابو حنيفة ان كان اكثر البدن صحيحا غسل الصحيح دون التيمم وان كان اكثره جريحا يكفيه التيمم لان المريض اذا كان حاله الا في بعض اعضائه
فهو مريض الثالث والاربعون لو الصق على موضع التيمم لصوقا منع وصول الماء الى البشرة ولا يخاف من نزع ذلك اللصوق التلف قال الشافعي يلزم نزع
اللصوق حتى يصل التراب اليه اخذا بالاحوط وقال الاكثرون لا يجب فعلى الجريح الرابع والاربعون قال الشافعي الاستنجاء واجب اما بالماء او بالاحجار لقوله ؏
فليستنج بثلثة احجار وقال ابو حنيفة واجب عند المجيء من الغائط اما الوضوء او التيمم ولم يوجب غسل موضع الحدث فدل على انه غير واجب الخامس والاربعون
لمس المرأة ينقض الوضوء عند الشافعي ولا ينقضه عند ابي حنيفة وقد مرت المسئلة في سورة النساء السادس والاربعون لا يكره الوضوء بالماء المشمس لقوله
فلم تجدوا ماء وههنا قد وجدنا وخالف مجاهد السابع والاربعون ابو حنيفة واحمد لا يكره المشمس لقوله فلم تجدوا ماء وهذا قد وجد وقال الشافعي
يكره للحديث الثامن والاربعون لا يكره الوضوء بفضل ماء المشرك وبالماء في انية المشرك لانه واجد للماء فلا يتيمم وقد توضأ النبي ؏ من مزادة مشركة
وتوضأ عمر من ماء في جرة نصرانية وقال احمد واسحق لا يجوز التاسع والاربعون يجوز الوضوء بماء البحر لانه واجد للماء وخالف عبد الله بن عمرو بن العاص الخمسون
جوز ابو حنيفة الوضوء بنبيذ التمر في السفر للحديث ولم يجوزه الشافعي وقال يتيمم لانه غير واجد للماء الحادي والخمسون ذهب الاوزاعي والاصم الى انه يجوز الوضوء
والغسل بجميع المائعات الطاهرة والاكثرون لا يجوز وحجتهم فاغسلوا امر بمطلق الغسل والمراد امرار المائع على العضو غسل قلنا حسبنا ان يغسل
التمسح قلنا لما انه عند عدم الماء اوجب التيمم الثاني والخمسون قال الشافعي الماء المتغير بالزعفران تغيرا فاحشا لا يجوز الوضوء به لان واجده يصدق عليه انه غير واجد
للماء وخالف ابو حنيفة لان اصل الماء موجود بصفة زائدة كما لو تغير بطول المكث وبتساقط الاوراق بالاتفاق الثالث والخمسون مالك وداود الماء المستعمل
في الوضوء يبقى طاهرا طهورا لان واجده واجد للماء وهو قول قديم للشافعي والقول الجديد انه طاهر غير طهور وافقه محمد بن الحسن قال ابو حنيفة في اكثر الروايات انه
نجس لان النجاسة الحكمية كالحقيقية الرابع والخمسون مالك اذا وقع في الماء نجاسة ولم تغير يبقى طاهرا طهورا قليلا كان او كثيرا وهو قول اكثر الصحابة والتابعين وقال
الشافعي ان كان اقل من القلتين ينجس وقال ابو حنيفة ان كان اقل من عشرة في عشرة ينجس حجة مالك انه واجد للماء فترك العمل بهذا العموم في الماء القليل المتغير
فيبقى حجة في الباقي ويؤيده قوله ؏ خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه او ريحه او لونه حجة الشافعي مفهوم قوله ؏ اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا الخامس
والخمسون يجوز الوضوء بفضل ماء الجنب كما واجد واجد للماء وقال احمد واسحق لا يجوز الوضوء بفضل ماء المرأة اذا خلت به وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب السادس والخمسون
اسآر السباع طاهرة مطهرة وكذا سؤر الحمار لانه واجد للماء وقال ابو حنيفة نجسة السابع والخمسون قال الشافعي وابو حنيفة والاكثرون لا بد في التيمم من النية
لانه قال فتيمموا والتيمم عبارة عن القصد وهو النية وقال زفر لا يجب الثامن والخمسون الشافعي لا يجوز التيمم الا بعد دخول الصلوة لانه طهارة ضرورة ولا ضرورة
قبل الوقت وابو حنيفة يجوز قياسا على الوضوء والظاهر قوله اذا قمتم والقيام الى الصلوة يكون بعد دخول وقتها التاسع والخمسون لا يجوز التيمم الا بتراب يخلص لقوله تعا
صعيدا طيبا الستون لا خلاف في جواز التيمم بدلا عن الوضوء اما التيمم بدلا لغسل الجنابة فعن علي وابن عباس جوازه وهو قول اكثر الفقهاء وعن عمر وابن مسعود
انه لا يجوز لنا قوله ثم او لمستم اما مختص بالجماع او يدخل الجماع فيه الحادي والستون للشافعي لا يجوز ان يجمع بتيمم واحد بين صلوتي فرض لان ظاهر قوله اذا قمتم
يقتضي اعادة الوضوء لكل الصلوة ترك العمل به في الوضوء لفعل رسول الله ؏ فيبقى في التيمم على ظاهره ابو حنيفة يجوز اداء الفرايض به كالوضوء واحمد يجمع بين الفوائت
ولا يجمع بين صلوتي وقتين الثاني والستون للشافعي اذا لم يجد الماء في اول الوقت وتوقع في اخره جاز له التيمم لان قوله اذا قمتم يدل على ان عند دخول الوقت ان لم يجد
الماء جاز له التيمم وقال ابو حنيفة يؤخر الصلوة الى اخره الثالث والستون اذا وجد الماء بعد التيمم وقبل الشروع في الصلوة بطل تيممه لانه وجد الماء فلا يجوز
له الشروع في الصلوة بالتيمم وخالف ابو سلمة موسى الاشعري والشعبي الرابع والستون لو فرغ من الصلوة ثم وجد الماء لا يلزمه اعادة الصلوة لانه خرج
عن عهدة التكليف خلافا لطاوس الخامس والستون لو وجد الماء في اثناء الصلوة لا يلزمه الخروج منها وبه قال مالك واحمد لانه انعقدت صلوته صحيحة
بحكم التيمم فما لم يبطل صلوته لا يصير قادرا على استعمال الماء وما لم يصر قادرا على استعمال الماء لم يبطل صلوته فيلزم الدور وقال ابو حنيفة والثوري والمزني
يلزمه الخروج لانه واجد للماء السادس والستون لو نسي الماء في رحله وتيمم وصلى ثم علم وجود الماء لزمه الاعادة على اصح قولي الشافعي وهو قول احمد وابي
يوسف والثاني لا يلزمه وهو قول مالك وابي حنيفة ومحمد لان النسيان في حكم العجز وكذا اذا ضل رحله في الرحال بالطريق الاولى لان تيمم الواقف
من رحله ولو ينفق الماء في رحله واستقصى في الطلب فلم يجده وتيمم وصلى ثم وجده فالاكثرون على انه يلزمه الاعادة لان العذر ضعيف قيل لا لان حكمه حكم
العاجز السابع والستون لو صلى بالتيمم ثم وجد ماء في بئر بجنبه يمكنه استعمال ذلك الماء فان كان قد علمه او لا ثم نسيه فهو كالو نسي الماء في رحله وان لم يكن
عالما فان كان عليها علامة ظاهرة فالاعادة والا فلا لانه كالعاجز الثامن والستون اذا لم يكن معه ماء ولا يمكنه ان يشتري الا بالغبن الفاحش جاز
التيمم لقوله ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولو وهب منه الماء لزمه القبول لان المنة فيه سهل ولو وهب منه ثمنه لم يلزمه القبول لثقل المنة ووجود الحرج ومثل
هذا يجب قبول عادة ان دخل الاهبته فهذه جملة المسائل الفقهية المستنبطة من الاية سوى ما مر في سورة النساء واعلم ان قوله سبحانه وتعالى ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج اصل معتبر في علم الفقه لانه يدل على ان الاصل في المضار الحرمة وفي المنافع الاباحة وقد يتمسك به نفاة القياس قالوا لان كل
حادثة فحكمها منصوص ان كان مذكورا في الكتاب والسنة فذاك والا فان كان من باب المضار فالاصل فيها الحرمة وان كان من باب المنافع فالاصل فيها الاباحة
والقياس المعارض لهذين الاصلين يكون قياسا واقعا في مقابلة النص فيكون مردودا اما قوله ولكن يريد ليطهركم فله تفسيران احدهما وهو اليه ذهب اكثر
اصحاب ابي حنيفة ان عند خروج الحدث تنجس الاعضاء نجاسة حكمية فالمقصود من هذا التطهير ازالة تلك النجاسة الحكمية وضعف بان اعضاء المؤمن لا تنجس لقوله ؏

ايضاً المني كونه نجساً ولقوله المؤمن لا ينجس لا حياً ولا ميتاً وبانه لو كان وطياً فاصابه ثوب لم ينجس ولو حمله انسان وصلى لم تفسد صلوته بالاتفاق وبانه
لو كان يوجب نجاسة الاعضاء ثم كان تطهير الاعضاء الاربعة يوجب طهارة كل عضو لوجب ان لا يختلف ذلك باختلاف الشرايع وبان خروج النجاسة من موضع
كيف يوجب تنجيس موضع آخر وبان التيمم زيادة في التكدير فكيف يوجب النظافة والتطهير وبان المسح على الخفين كيف يقوم مقام غسل الرجلين وبان الذي
يراد ازالته ليس من الاجسام والا لكان محسوساً ولا من الاعراض لامتناع انتقال الاعراض فحال التفسير الثاني ان المراد طهارة القلب عن صفة التمرد عن طاعة
الله ثم لا ابانة المسائل والابواب لهذه الاعضاء المخصوصة لسر فيه فانه لا يعقلها المكلف فالانقياد لمثل هذا التكليف يفيد محض ازالة آثار التمرد ويؤكده
الاخبار في ان المؤمن اذا غسل وجهه خرجت خطاياه من وجهه وكذا القول في يديه ورأسه ورجليه وليتم نعمته عليكم باباحة الطيبات الدنيوية من المطاعم و
المناكح ولهذه النعمة الدينية وهي كيفية فرض الوضوء او ليتم برخصه كالتيمم ونحوه انعامه عليكم بعزائمه ثم ذكر ما يوجب عليهم قبول تكاليفه فذلك من وجهين
الاول تذكر نعمة يعني الشامل في هذا النوع الذي لا يقدر عليه غيره لان هذا النوع وهو اعطاء نعمة الحيوة والصحة والعقل والهداية والصون عن الآفات
والايصال الى الخيرات في الدنيا والآخرة حيث انه يمتاز عن نعمة غيره وانه لا يقدر عليه غيره يجب مقابلته بالشكر وهو الاذعان لاوامره والانقياد لنواهيه فائدة
قيل ذكر واشعر بسبق النسيان وكيف يغفل عنها مع تواترها وتواليها في كل لحظة ولمحة فالجواب انها صارت لتواليها كالامر المعتاد فصار من غاية
الظهور كالامر المنسي والمراد التوبيخ على عدم القيام بمواجبها فكانها كالشيء المنسي الثاني ذكر الميثاق ومعنى واثقكم به عاقدكم به عقداً وثيقاً يعني ميثاق
رسوله حين بايعهم تحت الشجرة وغيرها على السمع والطاعة في المحبوب والمكروه وعن ابن عباس هو الميثاق الذي اخذه على بني اسرائيل حين قالوا آمنا بالتوراة
وبما فيه من البشارة بنبي آخر الزمان ومن غيرها وقال مجاهد والكلبي ومقاتل انه اشارة الى قوله للذرية ألست بربكم قالوا بلى وقال السدي هو ما ركب
في العقول من حسن هذه الشريعة وهو اختيار اكثر المتكلمين واعلم ان التكاليف وان كثرت الا انها منحصرة في نوعين التعظيم لامر الله واليه الاشارة
بقوله كونوا قوامين لله والشفقة على خلق الله وحث عليها بقوله شهداء بالقسط قال عطاء يقول لا تحاب في شهادتك اهل ودك وقرابتك ولا
تمنع شهادتك اعداءك واضدادك وقال الزجاج تبينون دين الله لان الشاهد يبين ما يشهد عليه ثم امر جميع الخلق بان لا يعاملوا احداً الا على سبيل العدل
والانصاف وترك الظلم والاعتساف فقال ولا يجرمنكم اي لا يحملنكم بغض قوم على ان لا تعدلوا اي فيهم فحذف للعلم ثم استأنف فصرح لهم الامر بالعدل
تاكيداً فقال اعدلوا ثم استأنف فذكرهم وجه الامر بالعدل فقال هو اي العدل الذي دل عليه اعدلوا اقرب للتقوى اي الى الاتقاء من عذاب الله ومن معاصيه
وقيل المراد سلوك سبيل العدل مع الكفار الذين صدوا المسلمين عن البيت بان لا يقتلوهم اذا اظهروا الاسلام وان لا يرتكبوا ما لا يحل من مثلة او قتل
اولاد او نساء او نقض عهد ونحو ذلك وفي هذا تنبيه على ان العدل مع اعداء الله اذا كان بهذه المكانة فكيف يكون مع اوليائه واحبائه ثم
ختم الكلام بوعد المؤمنين ووعيد الكافرين وقوله لهم مغفرة بيان للوعد قدم لهم وعداً ثم كانه قيل اي شيء ذلك فقيل لهم مغفرة او يكون على ارادة القول
اي وعدهم وقال لهم مغفرة او يكون وعد متضمناً معنى قال ويجعل وعدا واقعاً على هذا القول اذا وعدهم هذا القول من هو قادر على كل المقدورات عالم بجميع
المعلومات غني عن كل الحاجات فقد امتنع الخلف في وعده لان سبب الخلف اما جهل او عجز او بخل او حاجة وهو منزه عن الكل وهذا الوعد يصل اليه قبل الموت
فيفيد السرور عند سكرات الموت فيسهل عليه الشدائد وفي ظلمة القبر فيفيده نوراً وفي عرصة القيمة ويبشره بجنة والجحيم اسم من اسماء النار وهي كل نار عظيمة
في مهواة كقوله قالوا ابنوا له بنياناً فالقوه في الجحيم واصحاب الجحيم ملازموها بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده مدها الى المبطوش به عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل منزلاً وتفرق الناس
في العضاة يستظلون تحتها فعلق النبي صلى الله عليه وسلم سلاحه على شجرة فجاء اعرابي الى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فسله ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلثا
والنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله فاغمد الاعرابي السيف فدعا النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فاخبرهم خبر الاعرابي وهو جالس الى جنبه لم يعاقبه وقال مجاهد والكلبي وعكرمة قتل رجل
من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من بني سليم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فجاء قومهما يطلبون الدية فاتى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم حتى دخلوا
على كعب بن الاشرف وبني النضير يستعينهم في عقلهما فقالوا نعم يا ابا القسم قد آن لك ان تأتينا وتسئلنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسئلنا
فجلس هو واصحابه فخلا بعضهم ببعض وقالوا انكم لن تجدوا محمداً اقرب منه الآن فمن يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش
انا فجاء الى رحى عظيمة ليطرحها عليه فامسك الله يده فجاء جبرئيل واخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قصة عسفان حين هم العدو
ان يوقعوا بهم فنزلت صلوة الخوف وقيل انها لم تنزل في قصة خاصة ولكن المراد ان الكفار ابداً كانوا يريدون ايقاع البلاء والنهب والقتل بالمسلمين فاعز الله
المسلمين وفل شوكة الكفار وقوى دين الاسلام واظهره على الاديان التاويل سماع اسم الله وهو من صفات الهيبة يوجب الفناء والغيبة وسماع الرحمن
الرحيم وهما من صفات اللطف يورث البقاء لقربه اوفوا ايها العشاق بالعقود التي جرت بيننا يوم الميثاق في يوم الست فمن صبر عليها يومئذ فقد فاز بمقصوده
عند بذل وجوده احلت لكم ذبح بهيمة النفس التي كالانعام في طلب المرام الا النفس المطمئنة التي تليت عليها ارجعي الى ربك فتنفرد من الدنيا بما فيها فهي
كالصيد في الحرم وانتم حرم بالتوجه الى كعبة الوصال واحرام الشوق الى حضرة الجمال والجلال ان الله يحكم ما يريد لمن يريد منها مرية النفس اذا كانت متصفة
بصفة البهيمية ويترك ذبحها اذا كانت مطمئنة بذكر الحق ومتسمة بسمات الملك ثم اخبر عن تعظيم الشعائر من صدق العشاق فقال يا ايها الذين آمنوا بتوجه
القلوب فتقصد وازالة الحجب وخرجوا عن اوطان الاوطار وسافروا عن ديار الاغيار لا تحلوا معالم الدين والشريعة ومراسم آداب الطريقة والحقيقة
وعظموا الزمان والمكان والاخوان والقاصدين كعبة الوصول الى الرحمن الذين اهدوا للقربان نفوسهم وقلدوها بقلائد الشريعة الطيبة لما تموا عن مكر

الا علی الحنیفیة واذا احللتم ای خرجتم من مناسک الوصول فاصطادوا ارباب الطلب بشبکة الدعوة الی الله ولا یجرمنکم حسد الحسنا الذین یریدون ان یصدوکم
عن الحق علی ان تعتدوا علی الطالبین فتکونوا قطاع الطریق علیهم فی طلب الحق حرمت علیکم یا اهل الحق المیتة وهی الدنیا باسرها والدم ولحم الخنزیر ای حلالها
وحرامها قلیلها وکثیرها الان من الدم ما هو حلال والخنزیر کله حرام والدم بالنسبة الی اللحم قلیل وما اهل به ای کل ما غیر هی لغیر الله والمنخنقة والموقوذة یعنی
الذین یخنقون انفسهم بالمجاهدات ویفقدونها بالریاضات ریاء وسمعة والمتردیة والنطیحة الذین یردون انفسهم الی اسفل سافلین الطبیعة بالتناطح
مع الاقران والتفاخر بالعلوم والتهذیب بالاخوان وما اکل السبع الظلمة المتهارشون فی جیفة الدنیا تهارش الکلاب الا ما ذکیتم بالکسب الحلال وصالح
بقدر ضرورة الحال وما ذبح علی النصب ما یذبح علیه النفوس من المطالب الفانیة وان تستقسموا بالازلام ای ان تکونوا مترددین فی طلب المرام فانما
انهیتم عن هذه المناسک وتخلصتم من هذه الذمائم فقد عاد لیلکم نهارا وظلمتکم انوارا الیوم یئس الذین کفروا من النفس وصفاتها والدنیا وشهواتها
من دینکم فلا تخشوهم واخشون فان کیدی متین الیوم ای فالان اکملت لکم دینکم ولکن ظهر الامر فی حجة الوداع یوم عرفة واتممت علیکم نعمتی وهی سبب
تحصیل الکمال ببعثة النبی ص فمن اضطر من ابتلی بالتصاف بشیء من الدنیا والاخرة غیر مایل الیه للاعراض عن الحق ولکن من فترة للطالبین او وقفة للسالکین یسئلونک
ماذا احل لارباب السلوک اذ الدنیا حرام علی اهل الاخرة والاخرة حرام علی اهل الله الطیبات کل ماکول ومشروب وملبوس یکون سببا للقیام باداء الحقوق
فکلوا مما امسکن علیکم ای ولو ما اصطادت النفوس المطلقة المعلمة بعلوم الشریعة المؤدبة بآداب الطریقة المنورة بانوار الحقیقة واذکروا عندنا
کلما ورد علیکم من الاموال التکوینیة والاخرویة اسم الله الذی لا یتصرف فوامه لا بالله ما بالله فی الله الیوم یعنی الذی منه ظهر کمالیة الدین الاولیة وهو یوم عرفة
وهذه فائدة التکرار احل لکم الطیبات ما احل لکم الطیبات التی یتعلق بسعادة الدارین بل احل لکم التخلق بالاخلاق الطیبات وهی اخلاق الله المتنزهات عن
الکیفیات والکیفیات وطعام الذین اوتوا الکتاب هم الانبیاء حل لکم ای غذائهم بلبان الولایة کما غذوا بلبان النبوة وطعامکم حل لهم ای منبع لبن النبوة
والولایة واحد وان کانت الثدی اثنین قد علم کل اناس مشربهم والنبی ص ذاق من کل مشرب ابیت عند ربی یطعمنی ویسقینی والمحصنات من المؤمنات
وهی ابکار حقائق القرآن والمحصنات من الذین اوتوا الکتاب ابکار حقائق الکتب المنزلة علی الامم السالفة ای التی ادرجت فی القرآن فلا تعلم نفس ما
اخفی لهم من قرة اعین اذا اتیتموهن اجورهن وهی بذل الوجود محصنین فی هذا البذل لیکون علی وجه الحق غیر مسافحین علی وجه الطبع ولا متخذی اخدان
غیر ملتفتین الی شیء من الاکوان ومن یکفر بالایمان فقد حبط عمله الذی عمل من دون المکاشفات یا ایها الذین آمنوا ایمانا حقیقیا عند خطاب
هذه المقامات
الست بربکم اذا قمتم من نوم الغفلة الی الصلوة وهی معراجکم للرجوع الی مکانه من عند ربکم فاغسلوا وجوهکم التی توجهتم بها الی الدنیا والطبیعة بماء الانطلاقة
الاعتبار بماء التوبة والاستغفار وایدیکم الی المرافق ای اغسلوا ایدیکم عن التمسک بالدنیا حتی تصلوا الی المرافق والرفیق الموافق وامسحوا برؤسکم
ببذل نفوسکم وارجلکم الی الکعبین من طین طبیعتکم والقیام بانانیتکم ولا یجرمنکم حسد الحسا وعداوة الاندال علی ان لا تعدلوا مع انفسکم
اذ هم قوم من الشیطان والنفس والهوی ان یبسطوا الیکم وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا (٧)
ایدیهم فکف ایدیهم عنکم والله خیر موفق ومعین
وبدرستی که گرفت خدا پیمان بنی اسرائیل را وبرانگیختیم از ایشان دوازده نقیب را

وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَوٰةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا
وگفت خدا که بدرستی که من با شمایم هرگاه که برپا دارید نماز را وبدهید زکوة را وبگروید به پیغمبران من وتعظیم کنید ایشان را وقرض دهید خدا را وامی

حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
خوب هر آینه بپوشانم از شما گناهان شما را وهر آینه درآورم شما را در بوستانها که روان است از زیر آنها جویها پس هرکه کافر شود بعد از این

مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
از شما پس بدرستی که گمراه شد از راه راست پس بجهت شکستن ایشان پیمان ایشان را دور کردیم ایشان را وگردانیدیم دلهای ایشان را سخت که تغییر دهند

الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
کلمات را از جایگاه خود وفراموش کردند بهره از آنچه را که یاد آورده شدند وهمیشه خبردار شوی بر خیانت ایشان مگر کمی از ایشان

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا
پس درگذر از ایشان وببخش بدرستی که خدا دوست میدارد خوبانرا واز آنجمله که گفتند که بدرستی که ما ترسائیم گرفتیم پیمان ایشان را پس فراموش کردند بهره

مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ
از آنچه پند داده شدند بآن پس افکندیم در میان ایشان دشمنی وعداوت را تا روز قیامت وزود است که خبر دهد ایشانرا خدا بآنچه که بودند که میکردند

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا
ای صاحبان کتاب بدرستی که آمد شما را پیغمبر ما که هویدا کند از برای شما بسیاری از آنچه را که بودید که پنهان میداشتید از کتاب ودرگذرد

عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ
از بسیاری بدرستی که آمد شما را از جانب خدا روشنی وکتابی هویدا کننده راه نماید بآن خدا آنرا که پیروی کند خشنودی او را راههای سلامت

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

و بیرون آورد ایشان از تاریکیها بسوی روشنی بفرمان او و راه نماید ایشان بسوی راه راست بدرستی که کافر شدند آنانکه گفتند بدرستیکه خدا او

الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

مسیح پسر مریم است بگو کیست که نگهدارد از خدا چیزی را اگر بخواهد که نابود گرداند مسیح پسر مریم را و مادر او را و هر که در زمین است همه

وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَقَالَتِ

و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و آنچه در میان آنهاست بیافریند آنچه خواهد و خدا بر همه چیزی تواناست و گفت

الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ

یهود و ترسایان که ما فرزندان خدا و دوستان اوییم بگو پس چرا عذاب کند شما را بگناهانتان بلکه شما آدمیانید از آنها که آفرید

يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

میامرزد مر آنرا که خواهد و عذاب کند آنرا که خواهد و مر خدا راست پادشاهی آسمانها و زمین و هر چه در میان آنهاست و بسوی اوست بازگشت

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا

ای اهل کتاب بدرستی که آمد شما را فرستاده ما که ظاهر سازد برای شما احکام را در وقت سستی بودن پیغمبران که نگویید فردا که نیامد ما را

مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ع القراءة مبشّرة

مژده دهنده و ترساننده پس بتحقیق که آمد شما را مژده ده و ترساننده و خدا بر همه چیز تواناست حمزة وعلي

والمفضل الباقون فاسئل الوقوف بني اسرائيل للعدول عن الاخبار الى الحكاية مع اتحاد القصة نقيبا للعدول عن الحكاية الى الاخبار معكم لان ما بعده ابتداء قسم محذوف جوابه لاكفرن الانهار ج لتبديل فاستئنافه لاحتمال الاستئناف والحال اي لعناهم محرفين مواضعه لان ما تلوه حال اي قد نسوا ذكروا به للعدول عن الماضي الى المستقبل مع الواو واصبح المحسنين ط كونه كعطف المتقين يوم القيمة يصنعون عن كثير مبين لان قوله يهدي وصف الكتاب الى آخر الآية مستقيم المسيح بن مريم الاول جميعا وما بينهما ما يشاء قدير واحباؤه بذنوبكم لئلا يلزم الاستفهام الى الاخبار ممن خلق من يشاء وما بينهما للفصل بين ذكر الحال والمآل المصير والا نذير لعطف مع وقوع العارض ونذير قدير التفسير انه سبحانه لما خاطب المؤمنين بذكر نعمته وميثاقه ذكر ميثاق بني اسرائيل ونقضهم اياه ثم لعنهم بسبب ذلك تحذيرا لهذه الامة من مثل ما فعلوا وفعل بهم وبوجه آخر لما ذكر عذر اليهود وانهم ارادوا ايقاع الشر بالنبي لولا دفع الله تعالى اردفه بذكر سائر فضائحهم ليعلم ان ذلك لم يزل دابهم والتنقيب التعريف فعيل بمعنى فاعل لانه ينقب عن احوال القوم ويكون شاهدهم وضمينهم قال ابو مسلم بمعنى مفعول يعني اختارهم على علم بهم واصل النقب الطريق في الجبل ونقب البيطار سرة الدابة ليخرج منها ماء اصفر والمناقب الفضائل لانها لا تظهر الا بالتنقيب عنها ويقال كلب نقيب هو ان ينقب حنجرته لئلا يرفع صوته نباحه وانما يفعل ذلك البخلاء من العرب لئلا يطرقهم ضيف قال مجاهد والكلبي والسدي ان الله امر ان يختار من كل سبط من اسباط بني اسرائيل رجلا يكون نقيبا لهم وحاكما فيهم ثم انهم بعثوا الى المدينة الجبارين ليتعرفوا عن احوالهم فراوا اجراما عظيمة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا رجلين منهم ومعنى اني معكم اي ناصركم ومعينكم والتقدير وقال الله لهم فحذف لارتباط الكلام به والخطاب للنقباء او لكل بني اسرائيل والحاصل اني معكم بالعلم والقدرة فاسمع كلامكم وارى افعالكم واعلم ضمائركم واقدر على ايصال الجزاء اليكم فهذه مقدمة معتبرة جدا في الترغيب والترهيب ثم ذكر بعدها جملة شرطية مقدمها مركب من خمسة امور والجزاء هو قوله لاكفرن وهو اشارة الى ازالة العقاب وقوله ولادخلنكم وهو اشارة الى ايصال الثواب واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي لاكفرن جواب له ولكنه ساد مسد جواب الشرط ايضا والتعزير في اللغة الرد ومنه التعزير التاديب لانه يردع عن القبيح ولهذا قال الاكثرون معنى عزرتموهم نصرتموهم لان نصرة الانسان رد اعدائه عنه ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله وتعزروه وتوقروه تكرارا وههنا اسئلة لم اخر الايمان بالرسل عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع ان الايمان مقدم على الاعمال واجيب بعد تسليم ان الواو للترتيب بان اليهود كانوا معترفين بان النجاة مربوطة باقامة الصلوة وايتاء الزكوة الا انهم كانوا مصرين على تكذيب بعض الرسل فذكروا انه لا بد بعد الصلوة والزكوة من الايمان بجميع الرسل والا لم يكن لتلك الاعمال اثر وليس يحتمل ان يكون التقديم والتاخير للايمان عن العمل تنبيها على ان الايمان انما يقع معتدا به اذا اقترن به العمل كقوله واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى او هو من القلب الذي يتبع عليه من الالتباس ولعل اليهود كانوا مقصرين في الصلوة والزكوة فكان ذكرهما اهم سؤال آخر ما الفائدة في قوله واقرضتم بعد قوله وآتيتم الزكوة واجيب بان الاقراض ذكر الصدقات المندوبة قال الفراء ولو قال واقرضتم الله اقراضا حسنا لكان صوابا لكن الاسم قد يقام مقام المصدر مثل فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا ثم قال فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فان من كفر قبل ذلك ايضا فقد اخطا الطريق المستقيم لكن الكفر بالله وبهم وبالجواب اجل واكبر لان الضلال بعد الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم اشنع فلهذا اخص بالذكر فبما نقضهم ميثاقهم بتكذيب الرسل وقتلهم او كتمانهم صفة محمد او باخلال الجملة الشرطية المذكورة لعناهم قال عطاء اخرجناهم من رحمتنا وقال الحسن مسخناهم حتى صاروا قردة وخنازير وقال ابن

عباس ضربنا الجزية عليهم وجعلنا قلوبهم قاسية من قرأ قسية فهي بمعنى القاسية ايضاً الا انها ابلغ كعليم وعالم ونحو قولهم درهم قسي اي ردي مغشوش لما فيه
من اليبس والصلابة بخلاف الدرهم الخالص فان فيه لينا وانقيادا قالت المعتزلة معنى الجعل ههنا انا اخبرنا عنها بانها صارت قاسية كما يقال جعلت فلانا
فاسقا او عدلا يحرفون الكلم بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير كلامه ونسوا حظا تركوا نصيبا وافرا وقسطا وافيا مما
ذكروا به من التوراة يريد ان تركهم التوراة واعراضهم عن العمل بها اغفال حظ عظيم او نسيت بشؤم تحريفهم التوراة فقلت علوم منها عن حفظهم
كما روي عن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وقال ابن عباس تركوا نصيبا مما امروا به في كتابهم وهو الايمان بمحمد ثم بين ان نكث اليهود والغدر لم يزل
عادة لهم خلفا عن سلف فقال ولا تزال تطلع على خائنة اي خيانة كالعافية والحادثة او صفة لمحذوف مؤنث اي على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة
خائنة او التاء للمبالغة مثل رجل راوية للشعر الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه او هم الذين بقوا على الكفر من غير غدر ونقض
لعهودهم فاعف عنهم واصفح بعث على حسن العشرة معهم وقيل منسوخ باية الجهاد يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل المراد فاعف
عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم وقيل بناء على ان القليل هم الباقون على العهد منهم ان المراد لا تؤاخذهم بالصغائر ما داموا باقين على العهد هذا
قول ابي مسلم ان الله يحب المحسنين قال ابن عباس معناه اذا عفوت فانت محسن واذا كنت محسنا فقد احبك الله وعلى قول ابي مسلم فالمراد بهؤلاء المحسنين
هم القليلون الذين ما نقضوا عهد الله وفي هذا التفسير بعد والله اعلم ثم قال ومن الذين قالوا انا نصارى ولم يقل ومن النصارى لانهم انما سموا انفسهم
بهذا الاسم ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى ع نحن انصار الله وكانوا بالحقيقة انصار الشيطان حيث اختلفوا وخالفوا القول الحق اخذنا ميثاقهم
ان كان الضمير عائدا الى الذين قالوا فالمعنى ظاهر وان عاد الى اليهود فالمعنى اخذنا منهم مثل ميثاق اليهود في افعال الخير والايمان بالرسل فاغرينا الصقنا
والزمنا ومنه الغراء الذي يلصق به وغري بالشيء لزمه ولصق به بينهم بين فرق النصارى او بينهم وبين اليهود ثم دعا اليهود والنصارى الى الايمان بمحمد ص
فقال يا اهل الكتاب لانه اخرج مخرج الجنس مما كنتم تخفون من الكتاب كصفة رسول الله ص وكصفة الرجم وهذا معجز لانه لم يقرأ كتابا وقد اخبرهم باسرار
كتابهم ويعفوا عن كثير مما تخفونه فلا يبينه مما لا تمس اليه حاجة في هذا الدين وعن الحسن ويعفوا عن كثير منكم لا يؤاخذه بجرمه قد جاءكم من الله نور محمد او الاسلام
وكتاب مبين هو القرآن لانه ابان ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه ظاهر الاعجاز ويحتمل ان يكون النور والكتاب هو القرآن والمغايرة اللفظية كافية بين
المعطوفين ولا شك ان القرآن نور معنوي يتقوى به البصيرة على ادراك الحقائق والمعقول لانه يهدي به الله اي بالكتاب من اتبع رضوانه من كان مطلوبه
اتباع الدين الذي يرتضيه الله لا الذي يقتضيه هواه سبل السلام طرق السلامة او طرق دار السلام او سبيل الله ان الله هو المسيح بن مريم بناء على جواز
الحلول فمن يملك من الله شيئا من الذي يقدر على دفع شيء من افعال الله ومنع شيء من مراده وقوله ان اراد شرط جوابه محذوف يدل عليه ما تقدم والمعنى ان اراد
ان يهلك المسيح المدعو الها وغيره فمن الذي يقدر على ان يدفعه عن مراده ومقدوره والمراد بعطف من في الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم وشكلهم في
الصورة والخلقة والجسمية والتركيب وسائر الاعراض فلما سلمتم كونه تعالى خالقا لغيرهما صح ان يكون خالقا لهما ومتصرفا فيهما وانما قال وما بينهما بعد ذكر
السموات والارض ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين او النوعين وفي قوله يخلق ما يشاء وجهان احدهما يخلق تارة من ذكر وانثى وتارة من انثى فقط كما في حق
عيسى وتارة من غير ذكر وانثى كادم ع وثانيهما ان عيسى اذا قدر صورة الطير من الطين فان الله تعالى يخلق فيها اللحمية والحيوة معجزة لعيسى وكذا احياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص نحن ابناء الله واحباؤه قيل عليه ان اليهود لا يقولون ذلك فكيف يجوز نقل ذلك عنهم واما النصارى فلا يقولون ذلك في حق انفسهم واجيب بان
المضاف محذوف اي نحن ابناء رسل الله او يريد ان عناية الله بنا كعناية الاب بالابن او اليهود زعموا ان عزير ابن الله والنصارى ان المسيح ابن
الله وقد يقول اقارب الملوك وحشمهم نحن الملوك ويعنون كونهم مختصين بذلك الشخص كانه هو الملك وعن ابن عباس ان النبي ص دعا جماعة من اليهود الى الاسلام
وخوفهم بعقاب الله فقالوا كيف تخوفنا بعقاب الله ونحن ابناء الله واحباؤه ومما يتلوا النصارى في الانجيل الذي لهم ان المسيح قال لهم اني ذاهب الى ابي
وابيكم ثم انه سبحانه ابطل عليهم دعواهم بقوله قل فلم يعذبكم بذنوبكم فان قيل ان موضع الالزام هو عذاب الدنيا ويمكن المعارضة بوقعة احد وبقتل
احباء الله كالحسن والحسين او عذاب الاخرة والقوم ينكرون ذلك ولو كان مجرد اخبار بانهم كذبوا في ادعائهم احباء الله كانوا يعيرون الاستدلال ضائعا و
اجيب بان محل الالزام عذاب عاجل والمعارضة بيوم احد ساقطة لانهم وان ادعوا انهم الاحباء لكنهم لم يدعوا انهم الابناء او عذاب اجل واليهود والنصارى
يعترفون بذلك وانهم تمسهم النار اياما معدودة ويمكن ان يقال المراد مسخهم قردة وخنازير بل هذا الجواب اولى ليكون الاحتجاج عليهم بشيء قد دخل في الوجود
فلا يمكنهم الانكار بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ليس لاحد عليه حق يوجب ان يغفر له ولا قدرة تمنعه من ان يعذبه وثاني الاية تاكيد لهذا
المعنى يبين لكم في محل النصب على الحال وفيه وجهان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحسن حذفه لان كل احد يعلم ان الرسول انما ارسل لبيان الشرائع او هو
ما كنتم تخفون وحسن حذفه لتقدم ذكره وان لا يقدر المبين والمعنى يبذل لكم البيان وحذف المفعول اعم فائدة وقوله على فترة متعلق بجاءكم او حال قال ابن عباس
اي على حين فتور من ارسال الرسل في انقطاع الوحي وسميت المدة بين الرسولين من رسل الله فترة لفتور الدواعي في العمل بتلك الشرائع كان بين عيسى ع
ومحمد ص خمسمائة وستون او ستمائة سنة وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبي وبين عيسى ومحمد ص اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل
وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي اما العنسي بالنون فهو المتنبي الكاذب المقصود ان الرسول بعث اليهم حين انطمست اثار الوحي وتطرق التحريف
والتغيير الى الشرائع المتقدمة وكان ذلك عذرا ظاهرا في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف

ووحد الكتاب

نعبدك

فبدلك فمن الله تعالى عليهم بان لهم في هذه الفترة ونمط قوله ان تقولوا اي كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم اي لا تعتذروا فقد جاءكم وفي الحال
ان الفترة يوجب الاحتياج الى بعثة الرسل والله قادر على ذلك لانه قادر على كل شيء فكان يجب في حكمته ورحمته ارسال الرسل في الفترات الزاما للحجة واتماما للنعمة
التاويل جعل في امة موسى اثنا عشر نقيبا وجعل في هذه الامة من النجباء البدلاء اربعين رجلا كما قال يكون في هذه الامة اربعون على خلق ابرهيم وسبعة على
خلق موسى وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد وقال بعضهم من المشايخ البدلاء اربعون والامناء سبعة والخلفاء ثلثة والواحد هو القطب والقطب
عارف بهم جميعا ويشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو امام الاولياء وهكذا حال الثلثة مع السبعة والسبعة مع الاربعين فاذا نقص من الاربعين
واحد بدل مكانه واحد من غيرهم واذا نقص من السبعة واحد جعل مكانه واحد من الاربعين واذا نقص من الثلثة واحد جعل مكانه واحد من السبعة واذا مضى
القطب الذي به قوام اعداد الخلق جعل بدله واحد من الثلثة هكذا الى ان ياذن الله تعالى في قيام الساعة ثم اقيموا الصلوة بان يجعلها معراجا الى الحق في درجات
القيام والركوع والسجود والتشهد فبالقيام يتخلص عن حجب وصفات الانسانية واعظمها الكبر وهو من خاصية النار وبالركوع يتخلص عن حجب صفات الحيوانية
واعظمها الشهوة وهو من خاصية الهواء وبالسجود يتخلص عن حجب طبيعة النبات واعظمها الحرص على الجذب للنشو والنماء وهو من خاصية الماء وبالتشهد يتخلص
عن حجب طبع الجماد واعظمها الجمود وهو من خاصية التراب فاذا تخلصت من هذه الحجب فقد اقمت الصلوة مناجيا ربك مشاهدا له كما قال اعبد الله كانك تراه
واتيتم الزكوة بان تصرف ما زاد من قوت ما ينك بتعلق الغالب في سبيل الله وامنتم برسلي استسلمتم بالكلية لتصرفات النبوة والرسالة واقرضتم الله بالوجود
كله قرضا حسنا وهو ان ياخذ منكم وجودا مجازيا فانيا ويعطيكم وجودا حقيقيا باقيا كما يقول لاكفرن لاسترن بالوجود الحقيقي عنكم سيئاتكم الوجود
المجازي ولادخلنكم جنات الوصلة تجري من تحتها انهار العناية ولا تزال تطلع على خائنة منهم لان العصيان جبلي العصيان فاغرينا بينهم العداوة حيث
نسوا حظ الميثاق وابطلوا الاستعداد الفطري وصاروا كالسباع يتهارشون ويتحاربون يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء يجعل ابواب مظهر لطفه
وفضله واخرين مظهر قهره وعدله وهو اعلم بعباده **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ**
وچون گفت موسی مر قوم خود را که ای قوم یاد آورید نعمت خدا را بر شما چون قرار داد در شما پیغمبران و گردانید شما را
مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ
پادشاهان و داد بشما آنچه را که نداد هیچیک از عالمیان را ای قوم در آیید در زمین پاکیزه که نوشت خدا از برای شما
وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا
و باز نگردید بر پشت خود پس باز ردید زیان کاران گفتند ای موسی بدرستی دران گروهی اند ستمکاران و بدرستی ما داخل نشویم آنرا
حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا
تا که بیرون روند ازان پس اگر بیرون روند ازان پس آنگاه ما در آییم گفتند دو مرد از آنانی که میترسیدند و انعام فرمود خدا برانها که در آیید
عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا يَا مُوسَىٰ
برایشان از در پس چون داخل شدید در بدرستی که شما غالبانید و بر خدای پس توکل کنید اگر هستید گروندگان گفتند ای موسی
إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي
ما هرگز داخل نشویم آنرا در هنگامی که ایشان در آنند پس برو تو و پروردگارت پس قتال کنید که ما درینجا نشستگانیم گفت پروردگارا من
لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ
مالک نیستم بجز نفس و برادر مرا پس جدائی انداز در میان ما و میان گروه فاسقان گفت که پس آن زمین حرام است بر ایشان در چهل
سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ القراءة جبارين بالامالة قتيبة ونصير وابو عمرو في رواية
سال که سرگردان باشند در زمین پس تاسف مخور بر گروه فاسقان كان فلا تاس بغير همزة حيث وقع ابو عمرو ويزيد
والاعشى وورش وحمزة في الوقف الوقوف ملوكا ج جبارين قد قيل لشبهه الابتداء بان ولكن كسر الفاء بجعله بعد القول معطوفا على الاول حتى يخرجوا منها ج
لابتداء الشرط مع فاء التعقيب في اخلوت الباب ج لذلك غالبون ج مؤمنين قاعدون ج الفاسقين سنة ج لانها تصلح ظرفا للتيه بعده وللتحريم قبله الفاسقين التفسير
وجه النظم انه سبحانه كانه قال اخذنا الله ميثاق بني اسرائيل وذكرهم موسى نعم الله وامرهم بمجاهدة الجبارين فخالفوا في الكل من الله عليهم بامور ثلثة
اولها قوله اذ جعل فيكم انبياء وذلك انه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وثانيها قوله وجعلكم ملوكا قال السدي اي جعلكم احرارا تملكون
انفسكم بعد ما استعبدكم القبط وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة وفيها مياه جارية وكانت لهم اموال كثيرة وخدم يقومون بامرهم ومن كان كذلك
كان ملكا وقال الزجاج الملك من لا يدخل عليه احد الا باذنه وقيل الملك هو الصحة والاسلام والامن والفوز وقهر النفس وقيل من كان مستقلا بامر
نفسه ومعيشته ولم يكن محتاجا في مصالحه الى احد فهو ملك وقيل كان في اسلافهم واخلافهم ملوك وعظماء وقد يقال لمن حصل فيهم ملوك انهم ملوك
مجازا وقيل كل نبي ملك لانه يملك امر امته ينفذ فيهم حكمه وثالثها وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى وغير ذلك من الخوارق والعظائم وقيل اراد عالمي زمانهم روي ان ابرهيم لما صعد جبل لبنان قال الله تعالى له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس

ومبارك لمن دخله وقيل لما خرج قوم موسى من مصر وعدهم الله اسكان ارض الشام فكان بنو اسرائيل يسمون ارض الشام ارض المواعيد ثم بعث موسى عم
اثنى عشر نقيبا من الامناء ليتجسسوا لهم من احوال تلك الاراضي فلما دخلوا تلك البلاد ورأوا اجساما عظيمة هائلة قال المفسرون لما بعث موسى النقباء
لاجل التجسس رآهم واحد من اولئك الجبارين فاخذهم وجعلهم في كمه مع فاكهة كان قد حملها من بستانه واتى بهم الملك فنثرهم بين يديه وقال متعجبا للملك
هؤلاء يريدون قتالنا فقال الملك ارجعوا الى صاحبكم واخبروه بما شاهدتم ثم انصرف النقباء الى موسى واخبروه بالواقعة فامرهم ان يكتموا ما شاهدوا
فلم يقبلوا قوله الا رجلان هما كالب بن يوقنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افراهيم بن يوسف فانهما قالا هي بلاد طيبة كثيرة النعم واجسامهم عظيمة
الا ان قلوبهم ضعيفة واما العشرة الباقية فانهم اوقعوا الجبن في قلوب الناس من تخويفهم والامتناع عن غزوهم والارض المقدسة هي المطهرة من الآفات
وقيل من الشرك ونقض بانها لم يكن وقت الجبارين كذلك واجيب بانها كانت كذلك فيما قبل لانها كانت مسكن الانبياء ثم انها ما هي عن عكرمة والسدي وابن زيد
هي اريحا وقال الكلبي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل الطور وما حوله وقيل بيت المقدس وقيل الشام ومعنى كتب الله لكم وهبها لكم او خط في
اللوح المحفوظ انها لكم او امركم بدخولها قال ابن عباس كانت هبة ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم وقيل المراد خاص اي مكتوب لبعضهم وحرام
على بعضهم وقيل ان الوعد كان مشروطا بالطاعة فلما لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وقيل حرم عليهم اربعين سنة فلما مضى الاربعون حصل ما كتب وفي
قوله كتب الله لكم تقوية القلوب وان الله سينصرهم مع ضعفهم على الجبارين مع قوتهم ولا ترتدوا على ادباركم لا ترجعوا من الدين الصحيح الى الشك في نبوة
موسى واخباره هذه النصرة او لا ترجعوا عن الارض التي امرتم بدخولها الى التي خرجتم عنها فقد روي ان القوم كانوا قد عزموا على الرجوع الى مصر فتنقلبوا خاسرين
في الآخرة بفوت الثواب ولحوق العقاب او ترجعوا الى الذل او تموتوا في التيه غير واصلين الى شيء من مطالب الدنيا ومنافع الآخرة والجبار فعال من جبره على الامر
بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وهو اختيار الفراء والزجاج قال الفراء لم اسمع فعالا من افعل الا في حرفين جبار من اجبر ودراك من ادرك
ويقال للنخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل الايدي اليها والقوم كانوا في غاية القوة ونهاية العظم فجبن قوم موسى عنهم حتى قالوا على سبيل المبالغة
في الاستبعاد انا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون كقوله ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط قال رجلان هما يوشع
وكالب من الذين يخافون الله ومحل انعم الله عليهما اي بالهداية والتثبت بقوله والاعتماد على نصره رفع صفة لرجلان ويحتمل ان يكون جملة معترضة قال القفال
يجوز ان يكون الضمير في يخافون لبني اسرائيل والعائد الى الموصول محذوف وتقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون فعلى هذا الرجلان من الجبارين
ادخلوا عليهم الباب مبالغة في الوعد بالنصر والظفر كانه قال متى دخلتم باب بلدهم لم يبق منهم نافخ نار ولا ساكن دار فاذا دخلتموه فانكم غالبون علموا ذلك
او يقينا من عادة الله في نصرة رسله عامة ومن صنعه لموسى في قهر اعدائه خاصة وعلى الله فتوكلوا الفاء للايذان بتلازم ما قبلها وما بعدها ومعنى
لما وعدكم الله النصر فلا ينبغي ان تصيروا خائفين من عظم اجسامهم بل توكلوا على الله ان كنتم مؤمنين مقرين بوجود الاله القادر مؤمنين بصحة نبوة
موسى قالوا يا موسى انا لن ندخلها نفوا دخولهم في المستقبل على وجه التاكيد بقولهم ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك قال بعض العلماء لعلهم كانوا مجسمة يجوزون
الذهاب والمجيء على الله تعالى او انهم لم يقصدوا حقيقة الذهاب كقولك كلمته فذهب يجيبني يريد القصد والارادة وقيل المراد بالرب اخوه هرون وسموه ربا
لانه اكبر من موسى وقيل التقدير اذهب انت وربك معين لك فقاتلا وقيل لا يجاوبه قوله فقاتلا ولا يبقى لقوله انت فائدة واضحة ولا يخفى ان هذا القول منهم كفر
او فسق فلهذا قال موسى على سبيل الشكوى والبث قال رب اني لا املك الا نفسي واخي قال الزجاج في اعرابه وجهان الرفع على موضع اني المعنى انا لا املك الا نفسي واخي
وكذلك والنصب على الضمير في املك اي لا املك الا نفسي واخي الا نفسه او على نفسي اي لا املك الا نفسي ولا املك الا اخي لان اخاه اذا كان مطيعا له فهو مالك
طاعته وكانه لم يثق بالرجلين كل الوثوق فلهذا لم يذكرهما او لعله قال ذلك تقليلا لمن يوافقه او اراد من يواخيه في الدين فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين والمراد فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لكل منا بما يستحق وهو معنى الدعاء
عليهم بدليل فاء التسبيب في قوله فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم اربعين سنة ثم يفتحها الله لهم من غير محاربة والمراد انهم يتيهون اربعين سنة
ومعنى يتيهون يسيرون متحيرين فقال ان موسى لما دعا عليهم اخبره الله انهم يتيهون فقالوا له دعوت علينا فندم على ما عمل فاوحى الله اليه فلا تأس
اي لا تحزن ولا تندم على القوم الفاسقين فانهم احقاء بالعذاب لفسقهم وجوز بعضهم ان يكون ذلك خطابا لمحمد اي لا تحزن على قوم لم يزل
مخالفة الرسل شعارهم واعلم ان المفسرين اختلفوا في ان موسى وهرون هل بقيا في التيه ام لا فقال قوم انهما ما كانا في التيه لانه دعا ان يفرق بينه
وبينهم وكل نبي مجاب ولان التيه عذاب والانبياء لا يعذبون ولان سبب ذلك العذاب تمردهم وهما لم يتمردا وقال آخرون انهما كانا مع القوم الا ان الله
سهل عليهم ذلك العذاب كما كان النار وكانت على ابراهيم بردا وسلاما ثم من هؤلاء من قال ان هرون عم مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل
يوشع اريحا بعد موته بثلثة اشهر وكان ابن اخت موسى ووصيه بعد موته ومات النقباء في التيه بغتة بعقوبات غليظة الا كالب ويوشع ومنهم
من قال بل بقي موسى بعد ذلك وخرج من التيه وحارب الجبارين وقهرهم واخذ الارض المقدسة والله تعالى اعلم واختلفوا ايضا في التيه في المقام الذي
تاهوا فيها فقال الربيع مقدار ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ في ثلثين فرسخا وقيل ستة في اثني عشر وقيل كانوا ستمائة الف فارس ثم الاكثرون على
ان قوله فانها محرمة عليهم مع انهم كانوا يسيرون كل يوم على الاستئذان جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذاهم بحيث ارتحلوا عنه وكان مع ذلك نعم الله
عليهم من تظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك متظاهرة كالوالد المشفق يضرب ولده ويؤدبه ليتأدب ويتثقف لكن لا يقطع عنه معروفه

واحسانه ويشكل هذا القول بانه كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في ذلك القدر الصغير من المفازة سنين متطاولة بحيث لا يهتدي احدهم الى طريق الخروج ولو ساروا حتى كانت النجوم والجواب ان هذا من خوارق العادات التي يجب التصديق بها كسائر المعجزات التي تستبعد وقوعها وقال بعضهم ان هذا التحير تعبدي ثم تم امرهم بالمكث في تلك المفازة اربعين سنة عقاب لهم على سوء صنيعهم وعلى هذا فلا اشكال التأويل اشارة موسى الروح الى القوى البدنية ادخلوا ارض القلب المقدسة التي كتبها الله ثم لذات المستعدة في الفطرة فيها بواسطة اعباء المجاهدات ولزوم المخالفات والرياضات فقال لهم النفسان اللوامة والمطمئنة انكم غالبون اذا دخلتم باب الجد الطلب بسبيل الراحة بالتعب فلم يعتقدوا بقولهما فحرم الله ثم ذلك عليهم اربعين سنة هي مدة استيفاء حظوظ النفس الامارة وانكسار سورة قواها في الاغلب كقوله حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة وفي الاية نكتة هي ان الرحم لما ظن انه عمل نفسه ونفس اخيه بتلاه الله في الحال بالدعاء على امته لان المرء انما يملك نفسه واهلها عند الغضب فشتان بينه وبين من قال حين شج واسر وكسرت رباعيته اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون اللهم صل وسلم عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين وآل كل بفضلك ورحمتك يا ارحم الراحمين قوله الله عز وجل

وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا

وبخوان بر ایشان حکایت دو پسر آدم را براستی چون نزدیک کردند قربانی را پس قبول شد از یکی و قبول نشد از دیگری گفت که هر آینه میکشم ترا گفت که

يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ

قبول میکند خدا از پرهیزکاران اگر بگشائی بسوی من دست خود را که بکشی مرا نیستم من دست را بسوی تو که بکشم ترا بدرستی که میترسم خدا را

رَبَّ الْعَالَمِينَ ۝ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۝ فَطَوَّعَتْ

که پروردگار جهانیان است من میخواهم که بازگردی بگناه من وگناه خود پس باشی از یاران آتش واین است پاداش ستمکاران پس قبول کرد

لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي

مر او را نفس او کشتن برادرش را پس کشت او را پس صبح کرد از زیانکاران پس فرستاد خدا غرابی را که میکند در زمین تا بنماید او را که چگونه پنهان کند

سَوْأَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ۝

نعش برادرش گفت که ای وای برمن که نتوانستم که بوده باشم مانند این غراب پس پنهان کنم نعش برادرم را پس صبح کرد از پشیمانان

مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ

از اینجهت نوشتیم بر گروه بنی اسرائیل که بدرستیکه هرکه کشت نفسی را بدون نفسی یا فسادی در روی زمین پس چنان است که کشته

النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ

مردمان را همه وهرکه زنده گرداند او را چنان است که زنده کرده باشد مردمان را همه وبدرستی که آمد ایشان را پیغمبران ما با گواهان

ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ۝ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ

پس بدرستی که بسیاری از ایشان پس از این در زمین هر آینه زیاده روانند جز این نیست که پاداش آنانکه جنگ کنند با خدا ورسول او وشتابند

فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ

در زمین بجهت فساد که کشته شوند یا بدار کشیده شوند یا بریده شود دستهای ایشان و پاهای ایشان از پس یا رانده شوند از زمین

ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ۖ

اینست برای ایشان زیانی است در دنیا ومر ایشان راست در آخرت عذابی بزرگ مگر آنانیکه بازگشتند پیش از آنکه دست یابید بر ایشان

فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا

پس بدانید که خدا آمرزنده مهربان است ای زمره آنانکه گرویده اید بپرهیزید خدا را وبخواهید بسوی او وسیله را وکوشش کنید

فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا

در راه او شاید شما رستگار شوید بدرستی آنانکه کافر شدند اگر که باشد مر ایشان را آنچه در زمین است همه ومانند او با آن که فدیه دهند

بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ

بآن از عذاب روز قیامت پذیرفته نشود از ایشان ومر ایشان راست عذابی دردناک میخواهند که بیرون آیند از آتش ونیستند ایشان

بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ۝ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا

بیرون آینده گان از آتش ومر ایشان راست عذابی پاینده ومرد دزد وزن دزد پس ببرید دستهای ایشان را پاداش بانچه کردند عقوبت

مِنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ أَلَمْ

از خدا وخدا غالب ودرست است پس هرکه توبه کرد پس از ظلم کردنش ونیکو کرد پس بدرستی که خدا میپذیرد توبه او را بدرستی که خدا آمرزنده مهربان است آیا

تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

نمیدانی که خدا مر او راست پادشاهی آسمانها و زمین عذاب میکند هرکه را خواهد ومیآمرزد هرکه را خواهد وخدا بر همه چیزی تواناست

ربع

ع

القراءة لاقتلنك بالنون الخفيفة روى المعدل عن زيد يدي اليك بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع من اجل بكسر النون يزيد بعفرا ورش بفتح النون موصولة
رسلنا بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف بالحق على ان اذكر محذوفا ولو وصل لاوهم انه معمول قال وهو محال من الآخر لاقتلنك ط المتقين ◯
لاقتلك ج لاحتمال اضمار اللام او الفاء العالمين ◯ النار ج لاختلاف الجملتين الظالمين ج لاجل الفاء الخاسرين ◯ سوأة اخيه ط لطول ما اعترض من المعطوف والمعطوف
عليه النادمين ◯ من اجل ذلك ج كذلك لان قوله من اجل يصلح ان يتعلق باصبح وبكتبنا جميعا في الموضعين بالبينات ز لان ثم لترتيب الاخبار المسرفون من الارض ط
عظيم عليهم ج لتناهي الاستثناء مع الجواب اي لا تعذبوا التائبين فان الله غفور رحيم ◯ تفلحون ◯ منهم ج لتناهي الشرط مع اتحاد المقصود من الكلام اليم ◯ لاتحاد المقصود مع
اختلاف الجملتين مقيم ◯ من الله ط حكيم ◯ يتوب عليه ط رحيم ◯ لمن يشاء ط قدير ◯ التفسير في النظم وجوه منها انه راجع الى قوله اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكانه تعالى
ذكر لاجل تسلية نبيه قصصا كثيرة كقصة النقباء وما انجر اليه الكلام من اصرار اهل الكتاب تعنتهم بعد ظهور الدلائل القاطعة ثم ختمها بقصة ابني آدم
وان احدهما قتل الآخر حسدا وبغيا ليعلم ان الفاضل كان محسودا ابدا اولا وآخرا ومنها انه عائد الى قوله يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان هذه القصة
وكيفية ايجاب القصاص بسببها كانت من اسرار التوراة ومنها انه من تمام قوله نحن ابناء الله واحباؤه اي لا ينفعهم كونهم من اولاد الانبياء مع كفرهم كما لم ينفع
قابيل والمراد اتل على الناس او على اهل الكتاب خبر ابني آدم من صلبه هابيل وقابيل تلاوة متلبسة بالحق والصحة من عند الله تعالى او متلبسة بالصدق موافقة لما
في التوراة والانجيل او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد والتحذير من سوء عاقبة الحاسد او اتل عليهم وانت محق صادق لا مبطل هازل كالاقاصيص التي لا غناء
فيها اذ قربا قال في الكشاف نصب بالنبأ اي قصتهم في ذلك الوقت وبدل من النبأ اي نبأ ذلك الوقت على حذف المضاف والقربان اذ قرب كل واحد منهما قربانا الا
انه جمعهما في الفعل اتكالا على قرينة الحكاية او لان القربان في الاصل مصدر ثم سمي به ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة او صدقة يروى ان آدم كان يولد له كل
سنة بطن غلام وجارية فكان يزوج البنت من بطن الغلام من بطن آخر فولد قابيل وتوأمته اقليما وبعدهما هابيل وتوأمته لبوذا وكانت توأمة قابيل احسن
واجمل فاراد آدم ان يزوجها من هابيل فأبى قابيل وقال انا احق بها وليس هذا من الله وانما هو رأيك فقال آدم لهما قربا قربانا فمن ايكما قبل قربانه زوجتها منه
فتقبل الله قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل سخطا وقتل اخاه حسدا هذا ما عليه اكثر المفسرين واصحاب الاخبار وقال الحسن والضحاك انهما ما كانا ابني آدم
لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل لقوله عز من قائل من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل ومن البين ان صدور الذنب من احد ابني آدم لا يصلح ان يكون
سببا لايجاب القصاص على بني اسرائيل وزيفت بان الآية تدل على ان القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من عمل الغراب ولو كان من بني اسرائيل لم يخف
عليه قال مجاهد اكل النار علامة الرد وجمهور المفسرين على ان ذلك علامة القبول حيث ما كان في ذلك الوقت فقير يدفع اليه ما يتقرب به الى الله فكانت النار
تنزل من السماء فتأكله وانما صار احد القربانين مقبولا والآخر مردودا لان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال ولهذا قال تعالى حكاية عن المحق في جواب المبطل
انما يتقبل الله من المتقين وذلك لانه لما كان الحسد هو الذي حمله على توعده بالقتل فكأنه قال له ما لك لا تعاتب نفسك لا تحملها على طاعة الله تعالى التي هي
السبب في القبول قيل في هذه القصة ان احدهما جعل قربانه احسن ما كان معه كان صاحب غنم والآخر جعله ارذل ما كان معه كان صاحب زرع وقيل انه اضمر حين
قربه انه لا يزوج اخته من هابيل سواء قبل او لم يقبل وقيل لم يكن قابيل من اهل التقوى وفي الكلام حذف فكان هابيل قال في جواب الملوح عليه لم تقتلني قال لان قربانك
صار مقبولا فقال هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين ثم حكى الله سبحانه عن المظلوم انه قال لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك فذكر
الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل مقرونا بالباء المزيدة لتأكيد النفي دلالة على انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع البتة قال مجاهد كان
اقوى من القاتل وابطش منه لكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت وهذا وجه قوله اني اخاف الله رب العالمين
وقيل المعنى لا ابسط يدي اليك لغرض قتلك وانما ابسط لغرض الدفع قال اهل العلم الدافع عن نفسه يجب عليه ان يدفع بالايسر فالايسر وليس له ان يقصد القتل ثم
ان لم يندفع الا بالقتل جاز له ذلك ثم قال اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فيسئل انه كيف يعقل ان يرجع القاتل مع اثم المقتول ولا تزر وازرة وزر اخرى قال
ابن عباس وابن مسعود والحسن وقتادة اي تحمل اثم قتلي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقال الزجاج ترجع الى الله باثم قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك قال
في الكشاف انه يحتمل مثل الاثم المقدر كأنه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي سؤال آخر كيف جاز ان يريد معصية اخيه وكونه من اهل النار والجواب
ان هذا الكلام انما دار بينهما عند ما غلب على ظن المقتول انه يريد قتله وكان ذلك قبل اقدام القاتل على القتل فكانه لما وعظه ونصحه قال له ان كنت
لا تنزجر عن هذه الكبيرة بسبب هذه النصيحة فلا بد ان تترصد لقتلي في وقت غفلة وحينئذ لا يمكنني ان ادفعك عن قتلي الا اذا قتلتك ابتداء بمجرد الظن والحسبان وهذا
مني كبيرة ومعصية واذا دار الامر بين ان اكون فاعل هذه المعصية انا وبين ان تكون انت فانا احب ان تحصل هذه الكبيرة لك لا لي ومن البين ان ارادة صدور
الذنب عن الغير في هذه الحالة لا يكون حراما بل هو عين الطاعة او المراد اريد ان تبوء بعقوبة قتلي ولا شك انه يجوز للمظلوم ان يريد من الله تعالى عقاب الظالم
وروي ان الظالم اذا لم يجد يوم القيامة ما يرضي خصمه اخذ من سيئات المظلوم وحمل على الظالم فعلى هذا يجوز ان يقال اني اريد ان تبوء باثمي الذي يحمل عليك
يوم القيامة اذا لم تجد ما يرضيني وباثمك في قتلك اياي وهذا يصلح جوابا عن السؤال الاول ايضا فطوعت له نفسه قتل اخيه وسعته وخضعته وسهلت من
طاع له المرتع واطاع اذا اتسع وله لاجل زيادة الربط كقول القائل حفظت لزيد ماله ومنهم من قال شجعته فقتله والتحقيق ان الانسان اذا علم ان القتل
العمد العدوان من اعظم الذنوب فهذا الاعتقاد يكون صارفا له عن فعله فلا يطاوعه النفس الامارة حتى اذا كثرت وساوسها انقادت لها وخضعت واضافته



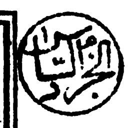
التطويع والتيسير الى النفس لا ينافي كونها لكل مضافة الى قضاء الله فتبصر يحكى ان قابيل لم يدر كيف يقتل هابيل فظهر له ابليس واخذ طيرا وضرب راسه بحجر فتعلم ذلك منه ثم انه وجد هابيل يوما نائما فضرب راسه بصخرة فمات وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها وذلك انه اول من سن القتل فاصبح من الخاسرين تبرأ منه ابواه واخوه لانه اسخط والديه وبقي مذموما الى يوم القيامة ثم يلقى في النار قالوا ان قابيل لما قتل اخاه هرب من ارض اليمن الى عدن فاتاه ابليس وقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب بيت نار ففعل وهو اول من عبد النار وروي ان هابيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل البصرة وفي موضع المسجد الاعظم وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة لم يضحك وانه رثاه بشعر وهو تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذي لون وطعم وقل بشاشة الوجه المليح قال في الكشاف انه كذب بحت وقد صح ان الانبياء معصومون عن الشعر وصدقه في التفسير الكبير قال ان ذلك الشعر في غاية الركاكة بحيث لا يليق بالاحاد نقلا عن الافراد وخصوصا من علم حجته على الملائكة واقول اما ان جميع الانبياء معصومون عن الشعر فلعل دعوى العموم لا يمكن فيه وكانه من خصائص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا النفي الله عليه بقوله وما علمناه الشعر وما ينبغي له واما انه من الركاكة بالحيثية المذكورة فمكابرة مع ان مقام البث والشكوى لا يحتمل الشعر المصنوع والله اعلم بحقيقة الحال قال المفسرون انه لما قتله تركه لا يدري ما يصنع به ثم خاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تغير فبعث الله غرابا روي الاكثرون انه بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه في الحفرة فتعلم من الغراب قال الاصم لما قتله وتركه بعث الله غرابا يحثي على المقتول فلما راى القاتل ان الله تعالى كيف يكرمه بعد موته ندم وقال ابو مسلم عادة الغراب دفن الاشياء فجاء غراب فدفن شيئا فتعلم ذلك منه ليريه اي الله او الغراب اي ليعلمه وذلك انه كان سبب تعليمه كيف يواري محله نصب على الحال من ضمير يواري والجملة مفعول ثان ليريه كيفية مواراة سوأة اخيه اي عورته وما لا يجوز ان ينكشف من جسده وقيل جيفة اخيه والسوأة الخلة القبيحة يا ويلتى كلمة عذاب يقال ويل له وويله ومعناه الدعاء بالاهلاك وقد يقال في معرض الترحم وانما طلب اقبال الويل ههنا على سبيل التعجب والتنبيه اي احضر حتى يتعجب منك من فظاعتك واحضر فهذا اوان حضورك والالف بدل من ياء المتكلم اعجزت استفهام بطريق الانكار ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب اي في الفعلة المذكورة ولهذا قال فاواري بالنصب على جواب الاستفهام من النادمين لان الندم وضع للزوم ومنه النديم لملازمته المجلس وانما لم يكن ندمه توبة لانه لم يعلم الدفن من الغراب صار من النادمين على ان حمله على ظهره سنة او ندم على قتل اخيه لانه لم ينتفع بقتله بل سخط ابواه واخوته وندم لانه تركه بالعراء استخفافا وتهاونا وكانت ورثة الغراب في الشفقة على مقتوله خيرا من الغراب تيلا وقد قيل اذا كان الغراب دليل قوم من اجل ذلك القتل قيل هو من اجل شرا يأجله اجلا اذا جناه كتبنا على بني اسرائيل ان كان القاتل والمقتول من بني اسرائيل فالمناسبة بين الواقعة وبين وجوب القصاص عليهم ظاهرة وان كان ابني ادم من صلبه فالوجه ان يكون ذلك اشارة الى ما في القصة من انواع المفاسد كخسران الدارين وكالندم على الامور المذكورة اي من اجل ما ذكرنا في اثناء القصة من المفاسد الناشئة من القتل العمد العدوان شرعنا القصاص في حق القاتل ثم وجوب القصاص وان كان عاما في جميع الاديان والملل الا ان التشديد المذكور في الاية وهو ان قتل النفس الواحدة جار مجرى قتل جميع الناس غير ثابت الا على بني اسرائيل والغرض بيان قساوة قلوبهم فانهم مع علمهم بهذا الحكم اقدموا على قتل الانبياء والرسل فيكون فيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الواقعة التي عزموا فيها على قتله ثم القائلون بالقياس استدلوا بالاية على ان احكام الله تعالى قد يكون معللة بالعلل لانه صرح بان الكتبة معللة بتلك المعاني المشار اليها بقوله من اجل ذلك والمعتزلة ايضا قالوا انها دلت على ان الاحكام معللة بمصالح العباد ويلزم منه امتناع كونه تعالى خالقا للكفر والقبائح لان ذلك ينافي مصلحة العبد والاشاعرة شنعوا عليهم بلزوم الاستكمال والتحقيق ان استتباع الفعل الغاية المحمودة لا ينافي الكمال الذاتي وقد سبق مرارا بغير نفس او هو ان يقتل لا على وجه الاقتصاص او فساد قال الزجاج انه معطوف على نفس يعني او بغير فساد في الارض كالكفر بعد الايمان وكقطع الطريق وغير ذلك من المهلكات فكانما قتل الناس جميعا ومن ههنا نكتة وهي ان التشبيه لا يستدعي التسوية بين المشبه والمشبه به من كل الوجوه فلا يكون قتل النفس الواحدة قتل جميع الناس فان الجزء لا يعقل انه مساو للكل فالغرض استعظام امر القتل العمد العدوان واشتراك القتلين في استحقاق الاثم كما قال مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك والتحقيق فيه انه اذا اقدم على القتل العمد العدوان فقد رجح داعية الشهوة والغضب على داعية الطاعة واذا ثبت الترجيح بالنسبة الى واحد ثبت بالنسبة الى كل فاحال الاية بالاشارة الى الكل لان كل انسان يدلي من الكرامة والحرمة بما يدلي به الاخر وقيل ان جميع الناس اخصامه في دفع قاتل شخص واحد يجب ان يكون مثل جدهم في دفع لو علموا انه يقصد قتلهم باسرهم ومن احياها استنقذها من مهلكة كحرق وغرق او جوع مفرط ونحو ذلك والكلام في تشبيه احياء البعض باحياء الكل كما تقرر في القتل ثم ان كثيرا منهم اي من بني اسرائيل بعد ذلك وبعد مجيء الرسل لمسرفون في القتل لا يبالون بهتك حرمته ومعنى ثم تراخي الرتبة ثم انه تعالى بين ان الفساد في الارض الموجب للقتل ما هو فقال انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله استدل بالاية من جوز ارادة الحقيقة والمجاز معا من لفظ واحد لان محاربة الله عبارة عن المخالفة فقط ولا يمكن حملها على حقيقة المحاربة ويحتمل ان يقال تاويل هذه المحاربة على مخالفة الامر والتكليف والتقدير انما جزاء الذين يخالفون احكام الله واحكام رسوله او المراد انما جزاء الذين يحاربون اولياء الله واولياء رسوله كما جاء في الخبر من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ويسعون في الارض فسادا نصب على الحال اي مفسدين او على العلة اي للفساد او على المصدر الخاص نحو رجع القهقرى لان الفساد نوع من السعي عن قتادة عن انس ان الاية نزلت في العرنيين الذين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم وامر فقطع ايديهم وارجلهم ثم سمل اعينهم



وتركهم حتى ماتوا فكانت الآية ناسخة لتلك السنة وعند الشافعي لما لم يجز نسخ السنة بالقرآن كان الناسخ لتلك السنة سنة اخرى ونزل هذا القرآن مطابقا
للسنة الناسخة وقيل نزلت في قوم ابي بردة الاسلمي وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فمر بهم قوم من كنانة يريدون الاسلام وابو بردة غائب فقتلوهم واخذوا
اموالهم وقيل انها في بني اسرائيل الذين حكى الله عنهم انهم مسرفون في القتل وقيل في قطاع الطريق من المسلمين وهذا قول اكثر الفقهاء قالوا ولا يجوز حمل الآية
على المرتدين لان قتل المرتد لا يتوقف على المحاربة واظهار الفساد في الارض ولانه لا يجوز الاقتصار في المرتد على قطع اليد او النفي ولان حده لا يسقط بالتوبة
قبل القدرة عليه وبعدها ولان الصلب غير مشروع في حقه ولان اللفظ عام وشرطوا في هذا المحارب بعد كونه مسلما مكلفا ان يكون معه القوة في المغالبة
مع البعد عن الغوث فيخرج الكفار والمراهقون والمعتمد على الهرب كذا المتعرض للقافلة على الاستغاثة لمن يعينه واتفقوا على ان هذه الحالة اذا حصلت
في الصحراء كان قاطع الطريق فاما في نفس البلد فكذلك عند الشافعي لعموم النص وخالف ابو حنيفة ومحمد لانه يلحقه الغوث في الغالب فحكمه حكم السارق وللعلما
في لفظة او في الآية خلاف فعن ابن عباس في رواية علي بن ابي طلحة وقول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد انها للتخيير ان شاء الامام قتل وان شاء صلب وان شاء قطع الايدي والارجل
وان شاء نفى وعنه في رواية عطاء ان الاحكام مختلفة بحسب الجنايات فمن اقتصر على القتل قتل ومن قتل واخذ المال قد تضا السرقة قتل وصلب ومن اقتصر على
اخذ المال قطع يده ورجله من خلاف ومن اخاف السبيل ولم ياخذ المال نفي من الارض واليه ذهب الشافعي والاكثرون ومما يدل على ضعف القول الاول انه
ليس للامام الاقتصار على النفي بالاجماع ولان هذا المحارب اذا لم يقتل ولم ياخذ المال فقد هم بالمعصية ولم يفعل وهذا لا يوجب القتل كالعزم على سائر
المعاصي فتقدير الآية ان يقتلوا ان قتلوا او يصلبوا ان جمعوا بين القتل والاخذ او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اقتصروا على الاخذ والتشديد
في هذه الافعال للتكثير او ينفوا من الارض ان اخافوا السبيل والقياس الجلي ايضا يؤيد هذا التفسير لان القتل العمد العدوان يوجب القتل فغلظ
ذلك في قاطع الطريق بالتحتم وعدم جواز العفو واخذ المال يتعلق به قطع اليد فغلظ في حقه بقطع الطرفين من خلاف اي اليد اليمنى والرجل اليسرى
فان عاد فالباقيان قيل وانما قطع هكذا لئلا يفوت جنس المنفعة قلت هذا ايضا من باب التغليظ لان اليد اليمنى اعون في العمل والرجل اليسرى اعون في
الركوب وان جمعوا بين القتل والاخذ جمع بين القتل والصلب لان بقاءه مصلوبا في ممر الطريق يشهره ويزجر وان اقتصروا على مجرد الاخافة اقتصر
الشرع على عقوبة خفيفة هي النفي قال ابو حنيفة اذا قتل واخذ المال فالامام مخير بين ان يقتل فقط او يقطع ثم يقتل او يصلب وعند الشافعي لا بد من الصلب
لاجل النص وكيفية الصلب ان يقتل ويصلى عليه ثم يصلب مكفنا ثلثة ايام وقيل يترك حتى يتهرى ويسيل صديده اي صليبه هو الودك وعند ابي حنيفة
يصلب حيا ثم يزج في بطنه برمح حتى يموت ويترك بلا طعام وشراب حتى يموت جوعا ثم ان نزل غسل وكفن وصلي عليه ودفن وان ترك حتى يتهرى فلا غسل
ولا صلوة اما النفي فان الشافعي حمله على معنيين احدهما انهم اذا قتلوا واخذوا المال فالامام ان ظفر بهم اقام عليهم الحد وان لم يظفر بهم طلبهم ابدا فكونهم
خائفين من الامام هاربين من بلد الى بلد هو المراد من النفي والثاني الذين يحضرون الواقعة ويعينونهم بتكثير السواد واخافة المسلمين ولكنهم ما
قتلوا وما اخذوا المال فالامام ياخذهم ويعزرهم ويحبسهم فيكون المراد بنفيهم هو هذا الحبس وقال ابو حنيفة واحمد واسحق النفي هو الحبس لان
الطرد عن جميع الارض غير ممكن والى بلد اخرى استضرار بالغير والى دار الكفر تعريض للمسلم بالردة فلم يبق الا ان يكون المراد الحبس لان المحبوس لا ينتفع
بشيء من طيبات الدنيا فكانه خارج منها ولهذا قال صالح بن عبد القدوس حين حبسوه على تهمة الزندقة وطال لبثه خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها
فلسنا من الاموات فيها ولا الاحيا اذا جاءنا السجان يوما لحاجة عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا ذلك لهم خزي ذل وفضيحة في الدنيا ولهم في الآخرة
عذاب عظيم استدل المعتزلة بها على القطع بوعيد الفساق وعلى الاحباط وقالت الاشاعرة بل بشرط عدم العفو الا الذين تابوا قال الشافعي ان تاب
بعد القدرة عليه لم يسقط عنه ما يختص بقطع الطريق من العقوبات لانه متهم بدفع العذاب عنه وفي سائر الحدود بعد القدرة عليه قيل يكفي في التوبة
اظهار الاسلام بخلاف السيوف والاصح انه لا بد مع التوبة من اصلاح العمل لقوله تعالى في الزناة فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد
ظلمه واصلح ولعل الفائدة في هذا الشرط انه ان ظهر ما يخالف التوبة اقيم عليه الحد وانما يسقط بتوبة قاطع الطريق قبل القدرة عليه تحتم القتل فالولي يقتص
او يعفو بناء على ان عقوبة قاطع الطريق لا تتمحض حدا بل يتعلق بها القصاص وهو الاظهر اما المحصنات حدا فلا شيء عليه وان كان قد اخذ المال وقتل
سقط الصلب وتحتم القتل وفي القصاص وضمان المال ما ذكرنا وان كان قد اخذ المال سقط عنه قطع الرجل وفي قطع اليد وجهان الاظهر السقوط ايضا بناء
على انه جزء من الحد الواجب فاذا لم يقم الكل لم يقم شيء مما جوابه بالاتفاق والثاني انه ليس من خواص قطع الطريق لانه يجب بالسرقة ففي سقوطه الخلاف
في سائر الحدود ثم انه سبحانه لما بين كمال جسارة اليهود على المعاصي وغاية بعدهم عن الوسائل الى الله وآل الكلام الى ما قال عاد الى ارشاد المؤمنين ليكونوا
بالضد منهم فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وايضا فانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه اي نحن ابناء الانبياء وكان
افتخارهم باعمال ابائهم فقيل للمؤمنين ليكن مفاخرتكم باعمالكم لا باسلافكم فقوله اتقوا الله اشارة الى ترك المنهيات وقوله وابتغوا اليه الوسيلة
عبارة عن فعل المامورات وان كان ترك المناهي ايضا من جملة الوسائل لان هذا التفسير مناسب الفعل والترك ايضا يعتبران في الاخلاق الفاضلة
والذميمة وفي الافكار الصائبة والخاطئة واهل التحقيق يسمون الترك والفعل بالتخلية والتحلية او بالمحو والصحو او بالنفي والاثبات او بالفناء والبقاء والاول مقدم
على الثاني فما لم يفن عما سوى الله لم يرزق البقاء بالله والوسيلة فعيلة وهي كل ما يتوسل به الى المقصود ولهذا قد يسمى الشهرة توسلا والواسل الراغب
الى الله قال لبيد بلى كل ذي لب الى الله واسل والوسيلة والتوسل واحد يقال وسل الى ربه وسيلة وتوسل اليه بوسيلة اذا تقرب اليه بعمل قال الثعلبي

اظهار لا يكفي صح

ثم أمر بابتغاء الوسيلة اليه فلا بد من معلم يعلمنا معرفته واجيب بان الامر بالابتغاء موقوف على الايمان لقوله يا ايها الذين آمنوا فعلمنا ان المراد بها
فعل العبادات والطاعات ثم ان ترك ما لا ينبغي وفعل ما ينبغي لما كان شاقا على النفس ثقيلا على الطبع لان العقل يدعو الى خدمة الله والنفس تدعو الى
اللذات الحسية والجمع بينهما كالجمع بين الضدين امر بالمجاهدة لتكليف المذكور بقوله وجاهدوا في سبيله والمراد بهذا القول ان العبادات تكون
العبادة لاجله لا لغرض سواه وهذه مرتبة الشاكرين ثم قال لعلكم تفلحون والفلاح اسم جامع للخلاص من المكروه والفوز بالمحبوب فهذه دون الاولى
لانه غرض الرغبة في الجنة او الرهبة من النار وكلتا المرتبتين مرضية ثم اشار الى مرتبة الناقصين بقوله ان الذين كفروا وخبر ان مجموع الجملة الشرطية وهي قوله
لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به اي بالمذكور والواو بمعنى مع والعامل في المفعول معه هو المثل بما في ان من معنى الفعل اي لو ثبت من عذاب
يوم القيامة ما تقبل منهم والغرض التمثيل بان العذاب لازم لهم وقد مر مثله في سورة آل عمران وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء
الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك يريدون ان يخرجوا اي يتمنون الخروج من النار او يقصدون ذلك قيل اذا رفعهم
لهب النار الى فوق فهناك يتمنون الخروج وقيل يكادون يخرجون منها لقوتها ودفعها اياهم عمم المعتزلة هذا الوعيد في الكفار وفي الفساق وخصصه
الاشاعرة بالكفار لدلالة الاية المتقدمة ثم انه تعالى عاد الى تتميم حكم اخذ المال من غير استحقاق وهو المأخوذ على سبيل الخفية لا المحاربة فقال والسارق
والسارقة وهما مرفوعان على الابتداء والخبر محذوف فعند سيبويه والاخفش التقدير فيما فرض او فيما يتلى عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند
الفراء وهو اختيار الزجاج ان الالف واللام فيهما بمعنى الذي وخبرهما فاقطعوا ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط كانه قيل الذي سرق والتي سرقت فاقطعوا
ايديهما وقراءة عيسى بن عمر بالنصب فضلها سيبويه على القراءة المشهورة لان الانشاء لا يحسن ان يقع خبرا الا بتأويل واما اذا نصبت فانه يكون من باب
الاضمار على شريطة التفسير والفاء يكون مؤذنا بتلازم ما قبلها وما بعدها مثل وربك فكبر وضعف قول سيبويه بانه طعن في قراءة واظب عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وترجيح للقراءة الشاذة وفيه ما فيه على ان الاضمار الذي ذهب اليه هو خلاف الاصل والذي مال اليه الفراء ادل على العموم واوفق لقوله سبحانه جزاء بما
كسبا فانه تصريح بان المراد من الكلام الاول هو الشرط والجزاء اما البحث المعنوي في الاية فان كثيرا من الاصوليين زعموا انها مجملة لانه لم تبين نصاب
السرقة وذكر الايدي وبالاجماع لا يجب قطع اليدين ولان اليد تقع على الاصابع بدليل انه من حلف لا يلمس فلانا بيده فلمسه باصابعه فانه يحنث وتقع على الاصابع
من الكف وعلى الاصابع والى الساعدين الى المرفقين وعلى كل ذلك الى المنكبين والخطاب في فاقطعوا اما للامام او الزمان كما هو مذهب الاكثرين او
لمجموع الامة او لطائفة منهم فثبت بهذه الوجوه ان الاية مجملة وقال المحققون مقتضى الاية ولا سيما في تقدير الفراء عموم القطع بعموم السرقة الا انه
خصص بالنصاب ويقول ناس من اهل اللغة لا يقولون لمن اخذ حبة بر انه سارق والمراد بالايدي الايمان مثل فقد صغت قلوبكما وقد انعقد الاجماع على انه لا يجب
قطعهما معا ولا الابتداء باليسرى واليد اسم موضوع لهذا العضو الى المنكب لهذا قيد في قوله وايديكم الى المرافق وقد ذهب الخوارج الى وجوب قطع اليدين الى المنكبين
لظاهر الاية الا ان السنة خصصته بالكوع والحاصل ان الاية عامة لكنها خصصت بدلائل منفصلة فيبقى حجة في الباقي وهذا اولى من جعلها مجملة غير مفيدة اصلا
ثم ان جمهور الصحابة والفقهاء ذهبوا الى ان القطع لا يجب الا عند شرطين النصاب والحرز وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن وداود الاصفهاني والخوارج تمسكا
بعموم الاية ولان مقادير القلة والكثرة غير مضبوطة فالذي يستقله الملك يستكثره الفقير وقد قال الشافعي لو قال لفلان علي مال عظيم ثم فسره بالحبة
يقبل لاحتمال انه يريد انه عظيم في الحل او عظيم عند الشدة تعره ولما طعن الملحد في الشريعة بان اليد كيف ينبغي ان تقطع في قليل مع ان ديتها خمسمائة دينار
من الذهب اجيب عنه بان ذلك عقوبة من الشارع لما علم انه تمرد فاذا كان هذا الجواب مقبولا من الكل فليكن مقبولا منا في ايجاب القطع على القليل والكثير
وايضا اختلاف المجتهدين في قدر النصاب كما يجيء يدل على ان الاخبار المخصصة عندهم متعارضة فوجب الرجوع الى ظاهر القرآن ودعوى الاجماع على ان القطع
مخصوص بمقدار معين غير مسموعة لخلاف بعض الصحابة والتابعين كما قلنا واعلم ان الكلام في السرقة يتعلق باطراف المسروق ونفس السرقة والسارق
اما المسروق فمن شروطه عند الاكثرين ان يكون نصابا ثم قال الشافعي انه ربع دينار من الذهب الخالص وما سواه يقوم به وهو مذهب الامامية لما روي انه
قال لا قطع الا في ربع دينار وقال ابو حنيفة النصاب عشرة دراهم لما روي انه قال لا قطع الا في ثمن المجن والظاهر ان ثمن المجن لا يكون اقل من عشرة دراهم
وقال مالك ربع دينار او ثلاثة دراهم وعن احمد روايتان كالشافعي وكمالك وقال ابن ابي ليلى خمسة دراهم وعن الحسن درهم وفي مواعظه اخذ سوط
في درهم ومنها ان يكون المسروق في ملك غير السارق فلو سرق مال نفسه من يد غيره كيد المرتهن او المستأجر او طرأ ملكه في المسروق قبل اخراجه
من الحرز بان ورثه السارق او وهبه هو منه سقط القطع ومنها ان يكون محترما فلا قطع في الخمر والخنزير ومنها ان يكون الملك تاما قويا والمراد بالتمام ان لا يكون
للسارق فيه شركة او حق كمال بيت المال وبالقوة ان لا يكون ضعيفا كالمستولدة او الموقوف ومنها كون المال خارجا عن شبهة استحقاق السارق فلو سرق
رب الدين من مال المديون فان اخذه لا على قصد استيفاء الحق او على قصده والمديون غير جاحد ولا مماطل قطع وان اخذه على قصد استيفاء الحق
وهو جاحد او مماطل فلا يقطع سواء اخذ من جنس حقه او لا من جنسه اذا سرق احد الزوجين من مال الآخر وكان المال محرزا عنه فعند ابي حنيفة لا يجب القطع
وعند الشافعي ومالك واحمد يجب ومنها كون المال محرزا لقوله لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة جبل فاذا آواه المراح او الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن
المجن وحرز كل شيء على حسب حاله فالاصطبل حرز للدواب ان كانت نفيسة والتبن حرز للثياب والنقود والصفة في الدار وعرصتها حرز للاواني
وثياب البذلة دون الحلي والنقود فان العادة فيها الاحراز في الصناديق والمخازن وعن ابي حنيفة ان ما هو حرز لمال فهو حرز لكل مال واما السرقة فهي



اخرج المال عن ان يكون محرزا ولا بد من شرط الحفية فلا قطع على المختلس فى المذهب المعتمد على القوة ولا فى المودع اذا جحد خلافا لاحمد واما السارق فيشترط فيه التكليف فى التزام الاحكام الالهية فيقطع الذمى والمعاهد ولا يقطع المكره وانما تثبت السرقة بثلث حجج باليمين المردودة وبالاقرار وبشهادة رجلين ويتعلق بها حكمان الضمان والقطع قال ابو حنيفة القطع والغرم لا يجتمعان وحجة الشافعى قوله على اليد ما اخذت حتى تؤدى يوجب الضمان وقد اجتمع فى هذه السرقة امران حق الله لا يمنع حق العباد وهذا يجتمع الجزاء والقيمة فى الصيد المملوك ولو كان المسروق باقيا وجب رده بالاتفاق وحجة ابى حنيفة قوله جزاء بما كسبا والجزاء هو الكافى فهذا القطع كاف فى جناية السرقة ورد بلزوم رد المسروق عند كونه قائما اما كيفية القطع فقد روى انه اتى بسارق فقطع يمينه قال الشافعى فان سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى فان سرق ثالثا فيده اليسرى فان سرق رابعا فرجله اليمنى وبه قال مالك وروى ذلك عن ابى هريرة عن النبى ﷺ وعند ابى حنيفة واحمد لا يقطع فى الثالثة وما بعدها لما روى عن ابن مسعود انه قرأ فاقطعوا ايمانهما وضعفه الشافعى بان القراءة الشاذة لا تعارض ظاهر القرآن المقتضى لتكرار القطع بتكرار السرقة واتفقوا على انه يقطع اليد من الكوع والرجل من المفصل بين الساق والقدم والشيعة لما ملك فامر على بما تبكه لعموم فوتهم فقطعوا ولم يجوزه ابو حنيفة واحتج المتكلمون بالآية فى انه يجب على الامة نصب الامام لان هذا التكليف لا يتم الا به وما لا يتم الواجب الا به وكان مقدورا للمكلف فهو واجب فى نصها جزاء ونكالا على انه مفعول لهما او الحال فاقطعوا وان شئت فعلى المصدر من الفعل الذى دل عليه فاقطعوا اى جوزوهم ونكلوا بهم جزاء بما كسبا نكالا من الله فمن تاب من السراق من بعد ظلمه اى سرقته واصلح اى بتوبة بينة صالحة وعزيمة صحيحة خالية عن الاغراض الفاسدة فان الله يتوب عليه وعند بعض الائمة يسقط العقوبة ايضا وعند الجمهور لا يسقط وتأتى الاخبار فى تقدير تفسيره وانما قدم التعذيب على المغفرة طبقا لتقدم السرقة على التوبة التأويل ان آدم الروح بازدواجه مع حواء القالب ولد قابيل النفس بتوأمته قليما الهوى ثم هابيل القلب بتوأمته ليوذا العقل وكان الهوى فى غاية الحسن فى نظر النفس فانه يميل الى الدنيا ولذاتها وكان فى نظر العقل ايضا فى غاية الحسن فانه يميل الى طلب المولى وكان العقل فى نظر النفس فى غاية القبح لانها يرجع عن طلب الدنيا وكذا فى نظر القلب لا تقربا العقل يمنع عن طلب الحق والفناء فى الله ولهذا قيل العقل عقيلة الرجال تحرم الله ثم لا ازدواج بين التوأمين لان الهوى اذا كان قرين النفس انزلها اسفل سافلين الطبيعة واذا كان قرين القلب كان عشقا فيوصله الى الاعلى فراديس القرب اذا كان العقل قرين القلب صار عقالا له واذا كان قرين النفس حرضها على العبودية فرضى هابيل القلب وسخط قابيل النفس وكان صاحب زرع اى مدبر القوى النامية وهى القوة النباتية فقرب طعاما من رديه تدعه القوة الطبيعية وكان هابيل القلب راعى المواشى الاخلاق الانسانية والصفات الحيوانية فقرب لنفسه البهيمية وهى احل الصفات التى لا احتياج لها الى التعدى والبقاء ولسلامتها بالنسبة الى الصفات السبعية والشيطانية فوقعا قربانهما على جبل البشرية ثم دعا آدم الروح فنزلت نار المحبة من سماء الجبروت فحملت الصفة البهيمية لانها حطب لتلك النار ولم تاكل من قربان قابيل النفس شيئا لانها ليست من سنخها بل هى حطب نار الحيوانية فتبوء باثمى واثمك اى اثم وجودى واثم وجودك فان الوجود حجاب بينى وبين محبوبى فقتلها قابيل النفس هابيل القلب والنفس على عدو القلب فاصبح من الخاسرين اما فى الدنيا فبالحرمان عن الواردات والكشوف واما فى الآخرة فبالبعد عن جنات الوصول فبعث الله غرابا هو الحرص فى الدنيا ليشتغل بذلك عن ... وفى تعليم الغراب اشارة الى انه تعالى قادر على تعليم العباد باى طريق شاء فيزول تعجب الملائكة والرسل باختصاصهم بتعليم الخالق فى الارض لمسرفون اى فى ارض البشرية انما جزاء الذين يحاربون الله اولياء الله ان يقتلوا بسكين الخذلان او يصلبوا بحبل الهجران على جذع الحرمان او تقطع ايديهم عن اذيال الوصال وارجلهم من خلاف عن الاختلاف او ينفوا من ارض القربة والائتلاف يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله جعل الفلاح الحقيقى فى اربعة اشياء فى الايمان وهو اصابة رشاش النور فى بدو الخلقة وبه يتخلص العبد من ظلمة الكفر وفى التقوى وهو منشأ الاخلاق المرضية ومنبع الاعمال الشرعية وبه الخلاص من ظلمة المعاصى وفى ابتغاء الوسيلة وهو افناء الناسوتية لبقاء اللاهوتية وبه يتخلص من ظلمة اوصاف الوجود وفى الجهاد فى سبيله وهو محو الانانية فى اثبات الهوية وبه يتخلص من ظلمة اوصاف الوجود ويظفر بنور الشهود وما هم بخارجين منها لانهم خلقوا مظاهر القهر اشقياء فى الشقاوة كانوا مقطوعى الايدى عن قبول رشاش النور فكان تطاولهما بايديهما اليوم الى اسباب الشقاوة ومن نتائج قطع ايديهما من قبول تلك السعادة جزاء بما كسبا الان فى عالم الصورة نكالا من الله بقطعهما منه فى الازل

يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن
اى پيغمبر اندوهناك نكرداند ترا آنهائى كه پيشى ميگيرند در كفر از آنهائى كه گفتند ايمان آورديم بدهانهاشان و نگرويده
قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه
دلهاشان و از كسانى كه يهود شدند شنونده اند مر دروغ را شنوندگانند مر گروه ديگر را كه نيايند ترا تغيير دهند كلمها را از پس مواضعش
يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا
گويند كه اگر داده شديد اين را پس بگيريد او را و اگر داده نشديد پس حذر كنيد و هركه بخواهد خدا فتنه او را پس مالك نشوى از براى او از خدا چيزى را
اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم
آن گروه آنانند كه نخواسته است خدا كه پاك گرداند دلهاشان را مر ايشان راست در دنيا زيان و مر ايشان راست در آخرت عذاب بزرگ
سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم فلن يضروك شيئا
شنوندگان مر دروغ را خورندگان مر حرام را پس اگر آمدند ترا پس حكم كن در ميان ايشان يا رو گردان از ايشان پس ضرر نرسانند ترا چيزى

وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا
واگر حکم کردی پس حکم کن در میان ایشان بعدالت بدرستی که خدا دوست دارد عادلانرا ۝ وچگونه داور نمایند ترا وحال آنکه نزد ایشانست توریة که دروست

حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى
حکم خدا پس رو گردانند از پس این ۝ ونیستند آن گروه گروندگان ۝ بدرستی که ما فرستادیم توریة را که درو راستی

وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا
وروشنی حکم کنند بان پیغمبران آنان که اسلام آوردند مرانهارا که یهود شدند وخداشناسان ودانشمندان بانچه یاد گرفتند

مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا
از کتاب خدا وبودند بران گواهان پس مترسید مردم را وبترسید مرا ومخرید بایات من بهای کم را

وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۝ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ
وهر که حکم نکند بانچه فرستاد خدا پس آن گروه ایشانند کافران ۝ ونوشتیم بر ایشان دران که قصاص نفس بنفس وچشم

بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ
بچشم وبینی ببینی وگوش بگوش ودندان بدندان وزخمها را قصاص است پس هر که صدقه دهد انرا پس آن کفارتست

لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا
مرانرا وهر که حکم نکند بانچه فرستاد خدا پس آن گروه ایشانند ستمکاران ۝ واز عقب در آوردیم ایشانرا بعیسی پسر مریم تصدیق کننده

لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى
مرانرا که در پیش او بود از توریة ودادیم اورا انجیل که درو است راستی وروشنی وتصدیق کننده مرانرا که در پیش او بود از توریة وراستی

وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ۝ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ
وپند از برای پرهیزگاران ۝ وباید که حکم کنند اهل انجیل بانچه فرستاد خدا دران وهر که حکم نکند بانچه فرستاد

اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ القراءة السحت بضمتين ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد وعلي الباقون بسكون الحاء
خدا پس آن گروه ایشانند فاسقان ۝ واخشوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في
الوصل والعين وما بعده بالرفع علي وافق ابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويزيد في والجروح بالرفع والاذن وبابه بسكون العين نافع وليحكم بالنصب حمزة
الباقون بالجزم الوقوف قلوبهم ج اي ومن الذين هادوا قوم سماعون وان شئت عطفت ومن الذين هادوا على من الذين قالوا آمنا ووقف على هادوا
واستأنفت بقوله سماعون راجعا الى الفريقين والاول اجود لان التحريف يحكى عنهم وهو مختص باليهود ولان ما بعده صفة لهم لم يأتوك ط مواضعه ج
لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف فاحذروا ط شيئا ط قلوبهم ط عظيم للسحت ط لان الشرط غير مخصوص بما يليه اعرض عنهم ج شيئا ط بالقسط ط المقسطين ذلك ط
للاستفهام بالمؤمنين ونور ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف شهداء ج لاختلاف النظم مع فاء التعقيب قليلا ط الكافرون بالنفس لمن قرأ
والعين وما بعده بالرفع بالسن لمن قرأ والجروح بالرفع قصاص ط لابتداء الشرط كفارة له ط الظالمون من التوراة الاولى لطول الكلام ونور لان الحال
معطوف على محل الجملة قبله الواقعة حالا للمتقين ط لمن قرأ وليحكم بالنصب فيه ط الفاسقون التفسير خاطب محمدا بقوله يا ايها النبي في مواضع ولم يخاطبه بقوله يا ايها
الرسول الا ههنا وفي قوله يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ولا شك انه خطاب تشريف وتعظيم شرف به في هذه السورة التي هي آخر السور نزولا لا
حيث تكلفت ببيان الشرائع الواقعة اخرا وجملة النظم فهو اتم تجانسا لما بين بعض التكاليف والشرائع وكان قد علم مسارعة بعض الناس الى الكفر فالهمه صبرا
رسول الله صلعم على تحمل ذلك ووعده ان ينصره عليهم ويكفيه شرهم والمراد بمسارعتهم في الكفر تهافتهم فيه وحرصهم عليه حتى اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها
آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وباخبارهم قالوا بافواههم آمنا سماعون للكذب فيه يقبلون لما يفتعله احبارهم من الكذب على الله وتحريف كتابه والطعن
في نبوة محمد من قولك الملك يسمع كلام فلان اي يقبله سماعون لقوم آخرين لم يأتوك اي قابلون من الاحبار ومن الذين لم يصلوا الى مجلسك من شدة
البغضاء وافراط العداوة ويحتمل ان يراد نفس السماع واللام في للكذب لام التعليل اي يسمعون كلامك لكي يكذبوا عليك يحرفون الكلم مبتدأ وصفة سماعون
لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا وجواسيس من بعد مواضعه اي التي وضعها الله فيها من مكان الحلال والحظر والفرض والندب وغير ذلك او من جهة
النظم يهملونه بغير مواضع بعد ان كانت ذا مواضع ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم تؤتوه
واتاكم محمد بخلافه فاحذروا وهو الباطل عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلعم يهودي محمما مجلودا فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قالوا نعم فدعا
رجلا من علمائهم فقال له انشدك بالله الذي انزل التوراة على موسى هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا انك نشدتني لم اخبرك نجد حد الزاني
في كتابنا الرجم ولكنه كثر في اشرافنا فكنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الوضيع اقمنا عليه الحد فقلنا تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع
فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله صلعم اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فامر به فرجم فانزل الله الآية الى قوله ان اوتيتم هذا يقولون



ابتغوا محمدا فان افتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به وان افتاكم بالرجم فاحذروا واختلفوا في انه اخبروا ان شريفهما من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة
فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا
تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبرئيل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد
ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو
الذي فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال
نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان
لا اله الا الله واشهد انك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده قال العلماء
القائلون برجم الثيب الكتابي ومنهم الشافعي ان كان الامر برجم الثيب الذمي من دين الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المقصود وان كان مما ثبت في شريعة موسى عليه السلام
فالاصل بقاؤه الى طريان الناسخ ولم يوجد في شرعنا ما يدل على نسخه وبهذا الطريق احتج العلماء على ان قوله وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس
حكمه باق في شرعنا ومن يرد الله فتنته ظاهر الآية ان المراد بالفتنة انواع الكفر التي حكاها من اليهود وغيرهم والمعنى ومن يرد الله كفره وضلالته
فلن يقدر احد على دفع ذلك ثم اكد هذا بقوله اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وفيه دليل على انه تعالى لا يريد اسلام الكافر وانه لم يطهر قلبه من الشك
والشرك ولو فعل لآمن والمعتزلة فسروا الفتنة بالعذاب كقوله يوم هم على النار يفتنون او بالفضيحة او بالاضلال اي تسميته ضالا او المراد ومن
يرد الله اختباره فيما يبتليه من التكاليف ثم انه يتركها ولا يقوم باداءها فلن تملك له من الله ثوابا ولا نفعا ثم قالوا اولئك الذين لم يرد الله
ان يطهر قلوبهم بالالطاف لانه تعالى علم انه لا فائدة في تلك الالطاف لانها لا تنجع في قلوبهم او يطهر قلوبهم من الحرج والغم والوحشة الدالة على كفرهم
او هو استعارة عن سقوط وقعه عند الله وانه غير ملتفت اليه بسبب قبح افعاله وسوء اعماله ثم وصف اليهود بقوله سماعون للكذب اكالون للسحت
وهو الحرام وكل ما لا يحل كسبه سحته واسحته اي استأصله لانه مسحوت البركة ومال مسحوت اي مذهب قال الليث السحت حرام يحصل منه العار وذلك
انه يسحت فضيلة الانسان ويستأصلها ورجل مسحوت المعدة اذا كان اكولا لا يلفى الا جائعا ابدا كانه يستأصل كل ما يصل اليه من الطعام والسحت
الرشوة في الحكم ومهر البغي وعسيب الفحل وكسب الحجام وثمن الكلب وثمن الخمر وثمن الميتة وحلوان الكاهن والاستكساب في المعصية روى ذلك عن علي عليه السلام
وعمر وعثمان وابن عباس وابي هريرة ومجاهد وزاد بعضهم ونقص بعضهم وكل ذلك يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون فيه بركة ويكون فيه عار
بحيث يخفيه صاحبه لا محالة قال الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه من كان مبطلا في دعواه برشوة سمع كلامه ولا يلتفت الى خصمه فكان يسمع
الكذب ويأكل السحت وقيل كان فقراؤهم ياخذون من اغنيائهم مالا ليقيموا على ما هم عليه من اليهودية فكانوا سماعين للاكاذيب لاغنيائهم ويأكلون السحت
وقيل سماعون للاكاذيب التي كانوا ينسبونها الى التوراة اكالون للربوا لقوله واخذهم الربوا فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم خيره الله
بين الحكم والاعراض فقيل ان هذا التخيير مختص بالمعاهدين الذين لا ذمة لهم وقيل انه في امر خاص وهو رجم المحصن قاله ابن عباس والحسن ومجاهد والزهري
وقيل في قتيل من اليهود في بني قريظة والنضير وكان في بني النضير شرف كانت ديتهم كاملة وفي قريظة نصف فتحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الدية سواء وعن النخعي
والشعبي وقتادة وعطاء وابي بكر الاصم وابي مسلم ان الآية عامة في كل من جاء من الكفار وان الحكم ثابت في سائر الاحكام غير منسوخ وعن ابن
عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وهو مذهب الشافعي ان هذا التخيير منسوخ في حق غير المعاهد بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فيجب على حاكم
المسلمين ان يحكم بين اهل الذمة اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام عليهم صغارا لهم واهل الحجاز بعضهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون
الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية انهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الاسهل
والاخف كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق عليهم وعادوه فامنه الله بقوله وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكمت في الرجم وكيف يحكمونك تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تحكيمهم لوجوه منها عدولهم عن حكم كتابهم ومنها رجوعهم
الى حكم من كانوا يعتقدونه مبطلا ومنها اعراضهم عن حكمه بعد ان حكموه وهذه غاية الجهالة ونهاية العناد والواو في قوله وعندهم للحال من التحكيم وكلمة
ما في الاستفهام من التعجب وقوله فيها حكم الله اما ان ينتصب حالا من التوراة على ضعف وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها والتقدير
وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله فيكون عندهم متعلق الخبر واما ان لا يكون له محل ويكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كقولك
عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره والتأنيث للتوراة لما فيها من صورة تاء التأنيث ثم يتولون عطف على يحكمونك وثم لتراخي
الرتبة اي ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم وما اولئك بالمؤمنين اخبار انهم لا يؤمنون ابدا او المراد انهم غير مؤمنين
بكتابهم كما يدعون او المراد انهم غير كاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم ثم رغب اليهود في ان يكونوا كالمتقدمين من انبيائهم ومسلمي احبارهم
فقال انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور والعطف يقتضي التغاير فقيل الهدى بيان الاحكام والشرائع والنور بيان التوحيد والنبوة والمعاد وقال
الزجاج الهدى بيان الحكم الذي جاؤا يستفتون فيه والنور بيان ان امر النبي حق وقيل فيها هدى للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام
فهما عبارتان عن معبر واحد وقد يستدل بالآية على ان شرع من قبلنا يلزمنا لان الهدى والنور لا بد ان يكون احدهما متعلقا بالفروع والآخر بالاصول

والاكان

والا كان تكرارا وايضا انها نزلت في الرجم ومورد الآية لا بد ان يكون داخلا فيها سواء قلنا ان غيره داخل او خارج ويمكن ان يجاب بان التكرار بعينه غير محذور وبان في الكلام تقديما وتأخيرا والمراد فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون اما قوله الذين اسلموا فقد ورد عليه ان كل نبي مسلم فما الفائدة في هذا الوصف واجيب بانها صفة جارية على سبيل المدح والتوضيح والكشف وفيه تعريض باليهود انهم بعداء عن ملة الاسلام التي هي دين الانبياء قديما وحديثا لان غرض الانبياء الانقياد لتكاليف الله وغرضهم من ادعاء الحكم بالتوراة اخذ الرشى من العوام فالفريقان متباينان ولهذا اردفه بقوله للذين هادوا اي يحكمون لاجلهم قال في الكشاف قوله تعالى الذين اسلموا للذين هادوا مناد على ان اليهود بمعزل عن الاسلام قلت هذا بناء على ان صفة الحاكمين يلزم ان يكون مغايرة لصفة المحكومين ولقائل ان يقول بعد تسليم ذلك انه لم لا يكفي مغايرة العام للخاص قال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي المراد بالنبيين هو محمد صلى الله عليه وسلم كقوله ان ابراهيم كان امة لانه اجتمع فيه من الخصال ما كانت متفرقة في الانبياء وقيل اسلموا اي انقادوا لحكم التوراة من الانبياء من لم يكن شريعتهم شريعة موسى فاما الربانيون فقد مر تفسيره في آل عمران والاحبار عن ابن عباس هم الفقهاء الواحد حبر بالفتح من قولهم فلان حسن الحبر والسبر اذا كان جميلا حسن الهيئة او حبر بالكسر من ذلك ايضا لقولهم حسن الحبر بالكسر ايضا وفي الحديث يخرج رجل من النار قد ذهب حبره وسبره اي جماله وبهاؤه وتحبير الخط والشعر تحسينه او من هذا الحبر الذي يكتب به يكون للعالم صاحب كتب قاله الفراء والكسائي وابو عبيد ثم ان ذكر الربانيين بعد النبيين يدل على انهم اعلى حالا من الاحبار فيشبه ان يكون الربانيون كالمجتهدين والاحبار كآحاد العلماء وقوله بما استحفظوا اما ان يكون من صلة يحكم بها اي يحكم الربانيون والاحبار بسبب ما استحفظوا او يكون من صلة الاحبار اي العلماء بما استحفظوا اي بما سألهم انبياؤهم حفظه ومن كتاب الله للنبيين وقد اخذ الله تعالى على العلماء ان يحفظوا كتابه من وجهين احدهما ان يحفظوه في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم والثاني ان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه وكانوا اي هؤلاء النبيون والربانيون والاحبار عليه على ان كل ما جاء في التوراة حق من عند الله شهداء رقباء لئلا يبدل ويحتمل ان يعود ضمير استحفظوا الى النبيين وغيرهم جميعا والاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء ثم نهى اليهود المعاصرين عن التحريف لرهبة فقال فلا تخشوا الناس واخشون وعن التغيير لرغبة فقال ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ثم عمم الحكم فقال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون احتجت الخوارج بالآية على ان كل من عصى الله فهو كافر وللمفسرين في جوابهم وجوه الاول انها مختصة باليهود ورد بان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا ريب ان لفظ من في معرض الشرط للعموم فلا وجه لتقييده بمن لم يحكم من هؤلاء المذكورين الذين هم اليهود لانه زيادة في النص وقال عطاء هو كفر دون كفر وقال طاوس ليس بكفر ينقل عن الملة ولا كمن يكفر بالله واليوم الآخر فلعلهما ارادا كفران النعمة وضعف بان الكافر اذا اطلق ينصرف الى الكافر في الدين قال ابن الانباري المراد انه يضاهي الكافر لانه فعل فعلا مثل فعل الكافر وزيف بانه عدول عن الظاهر وقال عبد العزيز بن يحيى الكناني معناه من ابى بجميع حكم الله تعالى في كل ما انزل فيخرج الفاسق لانه في الاعتقاد والاقرار موافق وان كان في العمل مخالفا واعترض بان سبب النزول يخرج حينئذ لانه نزل في مخالفة اليهود في الرجم فقط ويمكن ان يقال التحريف داخل في الكل وقال عكرمة انما يتناول الآية من انكر بقلبه وجحد بلسانه اما العارف والمقر فاخل بالعمل فهو حاكم بما انزل الله تعالى ولكنه تارك فلا يتناوله الآية ثم انه سبحانه لما بين ان الحكم الزاني المحصن في التوراة هو الرجم واليهود غيروه اراد ان يبين ان في التوراة هو قتل النفس بالنفس وانهم بدلوه وفضلوا بني النضير على بني قريظة فقال وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين من قرأ المعطوفات كلها بالنصب فظاهر ومن قرأ ما سوى الاول بالرفع فللعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم في التوراة النفس بالنفس لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما بطريق الحكاية كقولك كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها واما على سبيل الاستيناف والمعنى على جميع القراءات فرضنا عليهم فيها ان النفس مقتولة اذا قتلت نفسا بغير حق والعين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح ذات قصاص اي مقاصة وهذا تعميم للحكم بعد ذكر بعض التفاصيل والمراد منه كل ما يمكن المساواة فيه من الاطراف كالذكر والانثيين والاليتين والقدمين ومن الجراحات المضبوطة كالموضحة مثلا وهي التي توضح العظم وتبدي وضحه وهو الضوء والبياض وكذا منافع الاعضاء والاطراف كالسمع والبصر والبطش فاما الذي لا يمكن القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جراحة في جلد ففي ذلك ارش او حكومة وتفاصيلها في كتب الفقه فمن تصدق به فهو كفارة له الضمير في به يعود الى القصاص وفي هو الى التصدق الدال عليه الفعل وفي له وجهان احدهما انه يعود الى العافي المتصدق لما روى عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تصدق من جسده بشيء كفر الله تعالى عنه بقدره من ذنوبه وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به والثاني انه يعود الى الجاني المعفو عنه اي لا يؤاخذه الله تعالى بعد ذلك العفو واما العافي فاجره على الله تعالى وقفينا على آثارهم اي على آثار النبيين بعيسى ابن مريم اي عقبناهم به فتعدى الى المفعول الثاني بالباء وقوله على آثارهم يسد مسد الاول لانه اذا قفى على اثره فقد قفى به اياه مصدقا لما بين يديه اي مقرا بان التوراة كتاب منزل من عند الله تعالى وانه كان حقا واجب العمل به قبل ورود ناسخه وهو الانجيل المصدق ايضا لكونه مبشرا بمبعث محمد كالتوراة فيه هدى ونور مبينا للاحكام الشرعية وتفاصيل التكاليف اما الهدى الاول فلاشتماله على اصول الديانات كالتوحيد والنبوة والمعاد واما الهدى الثاني فاشتماله على البشارة بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم لان ذلك سبب اهتداء الناس الى نبوته واشتمال الانجيل على المواعظ والنصائح والزواجر ظاهر وخص الجميع بالمتقين لانهم هم المنتفعون بذلك من قرأ وليحكم بالجزم فالمعنى وامرنا لهم في ذلك الوقت بالحكم بما تضمنه الانجيل اي قلنا لهم ليحكموا بما فيه اما هنا فامر النصارى بالحكم بما في كتابهم من الدلائل الدالة على نبوة محمد او بما لم يصر منسوخا بالقرآن ومن قرأ بالنصب فلانه علة لفعل محذوف يدل عليه ما تقدم اي لاجل حكمهم بما فيه آتيناهم كتابهم وعلى هذا يجوز ان يكون هدى وموعظة ايضا غرضين معطوفين على الحكم والله اعلم اما قوله الكافرون الظالمون الفاسقون فللمفسرين فيه خلاف فمنهم

العقال او كفولك من اطاع الله فهو المومن ومن اطاع الله فهو المتقى لان كل ذلك اوصاف مختلفة حاصلة للموصوف واحد فهذه كلها نزلت في الكفار رد قال الحروف الاول في المجاحد والثانى والثالث في المعتز الثالث فهذا الاصم الاول والثانى في اليهود والثالث في النصارى لنا وبل سماعون لكذب بالشيطان وسوسة والنفس في هواجسها سماعون لقوم آخرين لم يستنوا السنن السيئة لغيرهم يحرفون يغيرون قوانين الشريعة بمقتضيات الطبيعة وهذه حال ما ولى القرآن والاخبار على وفق اهوائهم سماعون للكذب اكالون للسحت لان الاخلاق اورثتهم الاعمال الذميمة لان الاخلاق نتائج الاعمال والاعمال نتائج الاستعداد الفطرى فان جاؤك فاحكم بينهم مداويا لدائهم ان رايت التداوى سببا لشفائهم او اعرض عنهم ان يئست عن الشفاء لشقائهم فان حكمت فاحكم بينهم بالقسط باداوهم على ما يستحقون من دائهم بما استحفظوا من كتاب الله العزيز بين بنى اسرائيل وبين هذه الامة انهم استحفظوا التورية فضيعوها وحرفوها وما استحفظنا انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وكتبنا عليهم فيها ان فى هلاك النفس هلاك نفس المهلك وفي احياء نفس الطالب بحبوة الذين حيوه نفس بحبها وفي العين عين فليعتبر انف فليعتبر اذن فليعتبر سن فليعتبر معالجة هذه الاعضاء بمزيلا الادراك فمن تصدق في ملا الاحياء فهو كفارة له فيها فرط من احيا نفسه معالجة فليعتبر طرفه عين ومن لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتحليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق والله اعلم

وَاَنْزَلْنَآ اِلَيْكَ الْكِتٰبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتٰبِ

و فرستادیم بسوی تو کتاب را براستی تصدیق کننده مر آنکه پیش از او بود از کتاب

وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا

و گواهی بر آن پس حکم کن در میان ایشان بانچه فرستاده خدا و پیروی مکن هواهای ایشانرا از آنچه آمد ترا از حق از برای هر یک قرار دادیم

مِنْكُمْ شِرْعَةً وَّمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَّاحِدَةً وَّلٰكِنْ لِّيَبْلُوَكُمْ فِيْ مَآ اٰتٰىكُمْ فَاسْتَبِقُوا

از شما طریقه و راهی و اگر خواهد خدا هر آینه بگرداند شما را گروهی یگانه ولکن تا بیازماید شما را در آنچه داد شما را پس پیشی گیرید

الْخَيْرٰتِ ۚ اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيْعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيْهِ تَخْتَلِفُوْنَ ۙ وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ

خیرها را بسوی خداست بازگشت شما همه پس خبر دهد شما را بآنچه که بودید که در آن اختلاف میکردید و آنکه داوری کن در میان ایشان بآنچه فرستاده خدا

وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَآءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَّفْتِنُوْكَ عَنْۢ بَعْضِ مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ اِلَيْكَ ۚ فَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ اَنَّمَا يُرِيْدُ اللّٰهُ

و پیروی مکن هواهای ایشانرا و بترس از ایشان که مفتون بکنند ترا از بعض آنچه فرستاده خدا بسوی تو پس اگر رو گردانند پس بدان که میخواهد خدا

اَنْ يُّصِيْبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوْبِهِمْ ۗ وَاِنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ لَفٰسِقُوْنَ ۝ اَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُوْنَ ۗ وَمَنْ

که مصیبت رساند ایشانرا ببعضی از گناهان ایشان و بدرستیکه بسیاری از مردمان هر آینه فاسقانند آیا پس حکم زمان جاهلیت را خواهش دارند و کیست

اَحْسَنُ مِنَ اللّٰهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُّوْقِنُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُوْدَ وَالنَّصٰرٰٓى اَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ

خوبتر از خدا داوری کردن برای گروهی که یقین دارند ای مردمانیکه گرویده اید مگیرید یهود و نصاری را دوستان برخی از ایشان

اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَاِنَّهٗ مِنْهُمْ ۗ اِنَّ اللّٰهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّٰلِمِيْنَ ۝ فَتَرَى الَّذِيْنَ فِيْ قُلُوْبِهِمْ

دوستان بعضی اند و هر که دوست گیرد ایشانرا از شما پس بدرستیکه او از ایشانست بدرستیکه خدا راه نمیماید گروه ستمکارانرا پس میبینی آنانرا که در دلهای ایشان

مَّرَضٌ يُّسَارِعُوْنَ فِيْهِمْ يَقُوْلُوْنَ نَخْشٰٓى اَنْ تُصِيْبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى اللّٰهُ اَنْ يَّأْتِيَ بِالْفَتْحِ اَوْ اَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهٖ فَيُصْبِحُوْا

ناخوشی است میشتابند در ایشان میگویند که میترسیم که برسد ما را گردش روزگار پس امید است که خدا بیاورد فتح یا فرمانی از نزد خود پس صبح کنند

عَلٰى مَآ اَسَرُّوْا فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ نٰدِمِيْنَ ۝ وَيَقُوْلُ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْٓا اَهٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ اَقْسَمُوْا بِاللّٰهِ جَهْدَ اَيْمَانِهِمْ ۙ

برآنچه پنهان داشتند در نفسهای خود پشیمانان و میگویند آنانکه گرویدند آیا اینانند آنانکه سوگند خوردند بخدا سخت ترین سوگندهای خود

اِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۗ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فَاَصْبَحُوْا خٰسِرِيْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَنْ يَّرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِيْنِهٖ

بدرستیکه ایشان هر آینه با شمایند باطل شد کردارهای ایشان پس صبح کردند زیانکاران ای مردمانیکه گرویده اید هر که برگشت از شما از دین خود

فَسَوْفَ يَأْتِى اللّٰهُ بِقَوْمٍ يُّحِبُّهُمْ وَيُحِبُّوْنَهٗٓ ۙ اَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ اَعِزَّةٍ عَلَى الْكٰفِرِيْنَ ۖ يُجَاهِدُوْنَ

پس زود باشد که بیاورد خدا گروهی را که دوست دارد ایشانرا و دوست دارند او را فروتنان بر مؤمنان و سرافرازان بر کافران کوشش کنند

فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَلَا يَخَافُوْنَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۗ ذٰلِكَ فَضْلُ اللّٰهِ يُؤْتِيْهِ مَنْ يَّشَآءُ ۗ وَاللّٰهُ وَاسِعٌ

در راه خدا و نترسند از ملامت ملامت کننده این بهره خداست که میدهد آنرا هر که میخواهد و خدا محیط

عَلِيْمٌ ۝ اِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّٰهُ وَرَسُوْلُهٗ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكٰوةَ

داناست جز این نیست که کارساز شما خداست و پیغمبرش و آنانکه گرویدند آنانکه بر پای میدارند نماز را و میدهند زکوة را

وَهُمْ رٰكِعُوْنَ ۝ وَمَنْ يَّتَوَلَّ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا فَاِنَّ حِزْبَ اللّٰهِ هُمُ الْغٰلِبُوْنَ ۝ يٰٓاَيُّهَا

و ایشان رکوع کنندگانند و هر که دوستی کند با خدا و رسول او و آنانکه گرویدند پس بدرستیکه لشکر خدا ایشانند غالبان ای مردمان

الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَكُمْ هُزُوًا وَّلَعِبًا مِّنَ الَّذِيْنَ اُوْتُوا الْكِتٰبَ مِنْ قَبْلِكُمْ

که گرویده اید مگیرید آنانرا که گرفتند دین شما را استهزا و بازیچه از آنانکه داده شده اند کتاب را پیش از شما

والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ﴿﴾ واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها

وكافرانرا دوستان و بپرهیزید خدارا اگر هستید گروندگان وچون صلا دردادید بسوی نماز فرا گرفتند ازرا

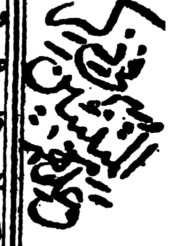
هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون ﴿﴾ القراءة تبغون بتاء الخطاب ابن عامر والجزء عن هبيرة الباقون بالياء

ریشخند و بازیچه این بسبب آنست که ایشان گروهیند که ادراک نکنند

ويقول بالواو وبالرفع عاصم وحمزة وعلي وخلف وقرا ابو عمرو وسهل ويعقوب بالنصب عباس مخير الباقون يقول بدون واو العطف من يرتد بالاظهار ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون بالادغام والكفار بالجر ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي الباقون بالنصب عطفا على محل الذين اتخذوا وقرا ابو عمرو وعلي غير ليث وابي حمدون وحمدويه وابن رستم الطبري عن نصير طرق ان مهران بالامالة الوقوف بالحق ط ومنهاجا ط الخيرات ط تختلفون لا لعطف ان احكم على ما قبله ومن وقف فلانه راس اية انزل الله اليك ط ذنوبهم ط لفاسقون ط يبغون ط يوقنون ط اولياء ط للزوم النهي عن الكل لا الاولياء مطلقا اولياء بعض ط منهم ط الظالمين ط نادمين ط لتمام المقول نادمين لمن قرا ويقول بالنصب عطفا على ان ياتي جهد ايمانهم لانه قوله انهم جواب القسم لمعكم ط خاسرين ط ويحبونه لان ما بعده صفة قوم الكافرين لتشبه الاية لائم ط من يشاء ط عليم ط راكعون ط الغالبون ط اولياء للعطف ولطول الكلام مؤمنين ط ولعبا ط لا يعقلون ط التفسير من الله تعالى على نبينا ما انزل القرآن اليه مصدقا لما بين يديه من الكتاب اي جنسه هو كل كتاب سوى القرآن نازل من السماء وفي المهيمن قولان قال الخليل وابو عبيدة هيمن على الشيء يهيمن اذا كان رقيبا على الشيء وشاهدا ومصدقا وقال الجوهري اصله امين بهمزتين قلبت الثانية ياء لكراهة اجتماع الهمزتين ثم الاولى هاء كما في هرقت وهياك والمعنى انه امين على الكتب التي قبله لانه لا ينسخ البتة ولا يحرف هو قوله وانا له لحافظون ومن هنا قرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هو من عليه بان حوفظ من التغيير والتبديل بالذي هيمن عليه الله عز وجل كما قلنا او الحفاظ في كل بلد والقراء المشهورة لهم بالاجازة فاحكم بينهم بين اليهود بالقرآن ولا تتبع اهواءهم منحرفا عما جاءك من الحق او ضمن لا تتبع معنى لا تنحرف فقيل لو لا جواز المعصية على الانبياء لم يجز هذا النهي والجواب ان ذلك مقدور له ولكن لا يفعله لمكان النهي او الخطاب له والمراد غيره لكل جعلنا منكم ايها الناس او الامم امة موسى وامة عيسى وامة محمد لتقدم ذكر الثلث شرعة ومنهاجا قال ابن السكيت الشرع مصدر شرعت الاهاب اذا شققته وسلخته وقيل انه من الشروع في الشيء الدخول فيه والشرعة للهيئة بمعنى الشريعة فعلة بمعنى مفعولة وهي الامور التي اوجب الله تعالى على المكلفين ان يشرعوا فيها والمنهاج الطريق الواضح وهما عبارتان عن معبر واحد هو الدين والتكرير للتاكيد ويحتمل ان يقال الشريعة عامة والمنهاج مكارم الشريعة فالاولى اقدم وهذه يتلوها فان في الطريقة وقال المبرد الشريعة ابتداء الطريق والطريقة المنهاج المستمر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة على شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا خلاف فيه وفيه دليل على ان الكل بمشية الله تعالى والمعتزلة حملوه على مشية الالجاء ولكن ليبلوكم اي جعلكم مختلفين ليعاملكم معاملة المختبر هل تعملون بالنواميس الالهية وتذعنون للعقائد الحقة ام تفرطون في العمل وتتبعون الشبه ولذلك قال فاستبقوا الخيرات تسابقوا نحوها ويعني بالخيرات ههنا ما هو الحق من الاعتقادات والحقوق من التكاليف ثم علل الاستباق بقوله الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين المحق والمبطل والعامل والمقصر والمراد ان الامر سيؤول الى ما يحصل معه اليقين من مجازاة المحسن باحسانه والمسيء باساءته وان احكم قيل معطوف على الكتاب اي انزلنا اليك ان احكم على ان ان المصدرية وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال وعلى قوله بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم واولى يحتمل ان يكون مفسرة وفعل الامر محذوف اي وامرناك ان احكم وتكرار الامر بالحكم اما للتاكيد واما لانهما حكمان لانهم احتكموا اليه في زنا المحصنين ثم احتكموا في قتل كان بينهم وزعم بعض الائمة ان هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وعن ابن عباس ان جماعة من اليهود منهم كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا وان بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله فنزلت وان احكم بينهم بما انزل الله واحذرهم ان يفتنوك محله نصب على انه مفعول له اي مخافة ان يفتنوك او على انه بدل اشتمال من مفعول احذروا والمراد بالفتنة ردهم الى اهوائهم فكل من صرف من الحق الى الباطل فقد فتن قال بعض اهل العلم في الاية دليل على ان الخطاء والنسيان جائزان على النبي لان التعمد في مثل هذا غير جائز فلم يبق الا الخطاء والنسيان فلو لم يكونا جائزين لم يكن للحذر فائدة فان تولوا عن الحكم المنزل اليك فلم يقبلوا حكمك فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم المراد بها الاصابة فالمراد بها قتلهم واجلاؤهم وانما ذكر بعض الذنوب لان مجازاتهم ببعض الذنوب كافية في اهلاكهم وتدميرهم او اراد بالبعض ذنب التولي عن حكم الله وصفه بانه لهم ذنوب وان هذا الذنب عظيم جدا كقول لبيد تراك امكنة اذا لم ارضها او يرتبط بعض النفوس حمامها اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام وكانه قال نفسا كبيرة لان التنكير في معنى جنس وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر وفيه ان التولي عن حكم الله تعالى شيء مؤكد ثم استفهم منكرا اليهم فقال افحكم الجاهلية يبغون وفيه تعيير اليهود بانهم اهل كتاب وعلم ومع ذلك يطلبون حكم الملة الجاهلية التي هي محض الجهل وصريح الهوى وقال مقاتل ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى فقال رسول الله القتلى بواء اي سواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرا هذه الاية واللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في هيت لك

بالاجانة د

اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لهم لانهم الذين يعرفون انه لا احد اعدل من الله حكما ولا احسن منه بيانا قال عطية العوفي جاء عبادة بن الصامت
فقال يا رسول الله ان لي موالي من اليهود كثيرا عددهم حاضرا نصرهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولاية اليهود واتولى الله ورسوله فقال عبد الله بن
ابي اني رجل اخاف الدوائر ولا ابرأ من ولاية اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا الحباب ما بخلت به من ولاية يهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه قال قد
قبلت فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء تعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية
علة الضم ثم اكد ذلك بقوله ومن يتولهم منكم فانه منهم من جملتهم وحكمه حكمهم ولذلك قال ابن عباس يريد انه كافر مثلهم وفيه من التغليظ والتشديد ما فيه
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة ووضعوا الولاء في غير موضعه عن ابي موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان
لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك قاتلك الله الا اتخذت حنيفا اما سمعت هذه الآية قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا
ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا فاصنعه الآن فترى الذين في قلوبهم مرض
يعني امثال عبد الله بن ابي يسارعون فيهم في موالاة اليهود والنصارى يهود بني قينقاع ونصارى نجران لانهم كانوا اهل ثروة وكانوا يعينونهم على مهماتهم
ويقرضونهم يقولون يعتذرون عن الموالاة بقولهم نخشى ان تصيبنا دائرة قال الواحدي هي الدولة ومثلها صروف الزمان ونوائبه قال الزجاج
ان لا يتم الامر لمحمد فيعود الامر كما كان قبل ذلك ثم سلى رسوله والمؤمنين بقوله فعسى الله ان يأتي بالفتح او امر من عنده فعسى من الله الكريم اطماع واجب الفتح
اما فتح مكة او مطلق دولة الاسلام وغلبته وقيل هو قوله او امر من عنده المراد به فعل لا يكون للناس فيه مدخل البتة كقذف الرعب في قلوب بني النضير وغيرهم
من الكفرة وقيل هو ان يؤمر النبي باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم من النفاق والشك ان امر الرسول يتم نادمين ويقول
الذين آمنوا قال الواحدي الواو ههنا كالساقطة فلهذا جاء في مصاحف اهل الحجاز والشام بغير واو وفي مصاحف اهل العراق بالواو وذلك ان في الجملة
المعطوفة ذكرا من المعطوف عليها فان قوله هؤلاء اشارة الى الذين يسارعون فلما حصل في كل من الجملتين ذكر من الاخرى حسن الوجهان وجه العطف مع النصب
ظاهر ووجهه مع الرفع انه كلام مبتدأ اي ويقول الذين آمنوا في ذلك الوقت ووجه الفصل هو ان يكون جواب سائل كأنه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وانما يقولون
هذا القول فيما بينهم تعجبا من حالهم وفرحا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص او يقولونه لليهود الذين كانوا يحلفون لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى
الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم وقوله جهد ايمانهم اي باغلظ الايمان منصوب على الحال اي مجتهدين جهد ايمانهم او على المصدر من غير لفظه حبطت اعمالهم من قول
الله تعالى او من جملة قول المؤمنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها رياء وفيه معنى التعجب كأنه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم حيث بقي عليهم التعب في الدنيا
والعذاب في العقبى من يرتد منكم عن دينه اي من يتول الكفار منكم فيرتد فليعلم ان الله تعالى يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على ابلغ الوجوه وقال الحسن



علم الله تعالى ان قوما يرجعون الى الاسلام بعد موت نبيهم فاخبرهم انه سبحانه سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه فتكون الآية اخبارا عن الغيب وقد وقع فيكون معجزا
ذكر في الكشاف ان اهل الردة كانوا احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى
على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله
ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبره في آخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول
الله الى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر بجنود المسلمين وقتل على يد وحشي قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي
واسلامي وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي
بكر فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
بني تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وحاربهم
ابو بكر وكفى الله امرهم على يديه وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم كان يطوف بالبيت يوم وذلك انه كان اسلم على يد عمر فرأى رجلا جار ازاره
فلطمه فتظلم الرجل الى عمر فقضى بالقصاص عليه فقال انا اشتريها بالف فابى الرجل فلم يزل يزيد في الفداء الى ان بلغ عشرة آلاف فابى الرجل الا القصاص
فاستنظره فانظره عمر فهرب الى الروم وتنصر وتفسير المحبة قد مر في سورة البقرة في قوله يحبونهم كحب الله واعاد قدم محبته على محبتهم لان محبتهم اياه نتيجة محبته
الازلية اياهم فتلك اصل وهذه فرع والراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن للشرط محذوف معناه فسوف يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اذلة
جمع ذليل لا ذلول الذي هو نقيض الصعوبة لان جمعه ذلل واذلة انما يجمع على ذليل ليس المراد انهم مهانون عند المؤمنين بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق
ولين الجانب فان من كان ذليلا عند انسان فانه لا يظهر الكبر والترفع البتة ولتضمين الذل معنى الحنو والعطف عدي بعلى دون اللام كأنه قيل عاطفين عليهم
او المراد انهم مع شرفهم واستعلاء حالهم واستيلائهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ليضموا الى منصبهم فضيلة التواضع اعزة على الكافرين
يظهرون لهم الغلظة والترفع عليهم من عزه يعزه اذا غلبه نحو هذه الآية قوله اشداء على الكفار رحماء بينهم اما الواو في قوله ولا يخافون فاما ان يكون
للحال اي يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين حيث يخافون لومة اوليائهم اليهود واما ان يكون للعطف كقولهم الملك القرم وابن الهمام
اي هم الجامعون بين المجاهدة لله وبين الصلابة في الدين اذا شرعوا في امر من امور الدين لا يزعهم اعتراض معترض وفي وحدة اللومة وتنكير اللائم مبالغة



كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوت الكمال من المحبة والذلة وغيرها فضل الله اي احسانه وتوفيقه قالت الاشاعرة انه صريح
في ان الاعمال مخلوقة لله تعالى والمعتزلة حملوه على فعل الالطاف وضعف بان اللطف عام في حق الكل فلا بد للتخصيص من فائدة والله واسع عليم تام القدرة كامل
العلم يعلم اهل الفضل (مستحق الفضل) واعلم ان للمفسرين خلافا في ان القوم المذكورين في الآية من هم قال الحسن وقتادة والضحاك وابن جريج هم ابو بكر واصحابه لانهم الذين
قاتلوا اهل الردة وقال السدي نزلت في الانصار وقال مجاهد هم اهل اليمن وقد ذكرنا لما نزلت اشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعري فقال هم قوم من هذا وقال
آخرون هم الفرس لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الدين معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء
فارس وقالت الشيعة نزلت في علي كرم الله وجهه لما ذكر انه صلى الله عليه وسلم دفع الراية الى علي يوم خيبر وكان قد قال لادفعن الراية الى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله
وكان فيما بعد هذه الآية نار الحرب مما يتفق واكثر المفسرين قال الامام فخر الدين الرازي هذه الآية من ادل الدلائل على فساد مذهب الامامية لان الذين اتفقوا
على امامة ابي بكر لو كانوا انكروا نصا جليا على امامة علي عليه السلام لكان كلهم مرتدين ثم لجاء الله بقوم يحاربهم ويردهم الى الحق ولما لم يكن الامر كذلك بل الامر بالضد فان
فرقة الشيعة مقهورون ابدا حصل الجزم بعدم النص ولنا ان نصر مذهب الشيعة ان يقول فابد ربك انه تعالى لا يجيء بقوم يحاربهم ولعل المراد بخروج المهدي
هو ذلك فان محاربته من ارتد بعد الاوائل هي محاربة الاوائل وهذا انما ذكرته بطريق المنع لا لاجل العصبية والميل فان اعتقادنا في الصحابة الكرام
انه قطيع والله اعلم ثم انه سبحانه لما نهى في الآي المتقدمة عن موالاة الكفار امر هنا بموالاة من يجب موالاته فقال انما وليكم ولم يقل اولياؤكم ليعلم
ان الولاية لله اصل وانها في غيره تبع لله فيقال الله ورسوله والذين آمنوا وفيه قولان الاول ان المراد عامة المومنين لان الآية نزلت على وفق ما مر من قصة عبادة بن
الصامت وكذا يقال ان عبد الله بن سلام قال يا رسول الله ان قومنا قد هجرونا واقسموا ان لا يجالسونا ولا نستطيع مجالسة اصحابك لبعد المنازل فنزلت
هذه الآية فقال رضينا بالله ورسوله وبالمؤمنين اولياء ثم قال الذين يقيمون الصلوة ومحله رفع على البدل او على هم الذين يقيمون او نصب بمعنى اخص او اعني
وفي الكل مدح والغرض تميز المؤمن المخلص عمن يدعي الايمان نفاقا ومعنى وهم راكعون قال ابو مسلم اي منقادون خاضعون لاوامر الله تعالى ونواهيه وقيل المراد
ومن شانهم اتمام الصلوة وخص الركوع بالذكر لشرفه وقيل ان الصحابة كانوا عند نزول الآية مختلفين في هذه الصفات منهم من قد اتم الصلوة
ومنهم من دفع المال الى الفقير ومنهم من كان بعد في الصلوة راكعا فنزلت الآية على وفق احوالهم القول الثاني ان المراد شخص معين ثم على هذا
الجمع لترغيب الناس في مثل فعله ثم ان ذلك الشخص من هو روى عكرمة انه ابو بكر وروى عطا عن ابن عباس انه علي عليه السلام وروي ان عبد الله بن سلام قال لما
نزلت هذه الآية يوما صلوة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه احد فرفع السائل يده الى السماء وقال اللهم اشهد اني سألت في مسجد الرسول فما اعطاني
احد شيئا وعلي عليه السلام كان راكعا فاومى اليه بخنصره اليمنى وكان فيها خاتم فاقبل السائل حتى اخذ الخاتم بمرأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم ان اخي موسى سألك
فقال رب اشرح لي صدري الى قوله واشركه في امري فانزلت قرآنا ناطقا سنشد عضدك باخيك ونجعل لكما سلطانا اللهم وانا محمد نبيك وصفيك
فاشرح لي صدري ويسر لي امري واجعل لي وزيرا من اهلي عليا اشدد به ظهري قال ابو ذر فوالله ما اتم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة حتى نزل جبريل فقال يا محمد
اقرأ انما وليكم الله الآية فاستدلت الشيعة بها على ان الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو علي بن ابي طالب لان الولي هو المتولي المتصرف في امور الامة وانه
عليه السلام مراد بالآية لنزولها فيه واجيب بالمنع فان الولي ههنا هو المتصرف بل المراد به الناصر والمحب لان الولاية المنهي عنها فيما قبل هذه الآية وفيما بعدها هو
بهذا المعنى فكذا الولاية المأمور بها وايضا ان عليا لم يكن نافذ التصرف حال نزول الآية والظاهر ان يكون الولاية حاصلة في الحال وايضا اطلاق
لفظ الجمع على الواحد لاجل التعظيم مجاز والاصل في الاطلاق الحقيقة فالمراد بالذين آمنوا عامة المؤمنين وان بعضهم يجب ان يكون ناصر البعض
كقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض وايضا الآية المتقدمة نزلت في ابي بكر كما مر من انه هو الذي حارب المرتدين فالمناسب ان يكون
هذه ايضا فيه ثم ان علي بن ابي طالب عليه السلام كان اعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الامامية فلو كانت الآية دالة على امامته لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه انه
تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة وجميع مناقبه وفضائله ولم يتمسك بهذه الآية على امامته لكنه ما كان نافذ التصرف في حيوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
يبق الا انه سيصير اماما ونحن نقول بموجبه لكن بعد الشيوخ الثلثة ومن اين علم انها تدل على امامته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير فصل وايضا انهم كانوا
قاطعين بان المتصرف فيهم هو الله ورسوله فلا حاجة بهم الى ذكر ذلك فالمراد بقوله انما وليكم الله ورسوله ان من كان الله ورسوله ناصرين له فاي حاجة
به الى طلب النصرة والمحبة عن غيره واذا كان الولي مستعملا بمعنى النصرة مرة امتنع ان يراد به معنى التصرف لانه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه
معا فكانه تعالى قسم المؤمنين قسمين وجعل احدهما المنصور والآخر الناصر وايضا ان الزكوة اسم للواجب لا للمندوب ومن المشهور ان عليا ما كان يجب عليه الزكوة ولو سلم
فاللائق بحال علي ان يكون في الصلوة مستغرق القلب بالله فلا يتفرغ لاستماع كلام السائل ولا الى دفع الخاتم اليه لانه عمل كثير اللهم الا ان يكون الخاتم سهل
المأخذ وكان قد وصل الى السائل فاخذه السائل والحق انه ان صحت الرواية فللآية دلالة قوية على عظم شأن علي عليه السلام والمنافسة في امثال ذلك تطويل
بلا طائل الا ان فتح المذاهب لما تكلموا فيها اوردنا حاصل كلامهم على سبيل الاختصار ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون اقام
المظهر مقام المضمر تشريفا والمراد فانهم هم الغالبون وحزب الرجل اصحابه المجتمعون لامر حزبهم وقال الحسن جند الله ابو روق اولياء الله ابو العالية
شيعة الله وقيل انصار الله الاخفش هم الذين يدينون بدينه ويطيعونه فينصرهم صاحب الكشاف يحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين اي ومن يتولهم
فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب ثم عمم النهي عن موالاة جميع الكفار فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عن ابن عباس كان رفاعة بن زيد وسويد

ان ذكره الله ... نزل في علي وهو في الركوع

قلت يا رسول الله انا رأيت عليا تصدق بخاتمه على محتاج وهو راكع فنحن نتولاه وروي عن ابي ذر انه قال صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وسويد بن الحرث قد اظهرا الاسلام ثمّ نافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت الآية لا تتّخذوا الذين اتّخذوا دينكم هزواً ولعباً ناهياً عن اتّخاذكم اياهم اولياء بل يجب نقضهم ذلك بالشّنآن والبغضاء وانّما عطف الكفّار على اهل الكتاب مع انّ اهل الكتاب مع انّ اهل الكتاب ايضاً كفّار والعطف يقتضي المغايرة لانّه اراد بالكفّار المشركين خاصّة لما انّ كفرهم اغلظ فكانوا احقّ باسم الكفر ومعنى تلعّبهم بالدّين واستهزائهم به اظهارهم ذلك باللّسان دون مواطاة الجنان واتّقوا الله في موالاة الكفّار ان كنتم مؤمنين حقّاً لانّ الايمان الحقيقيّ يأبى موالاة اعداء الدّين قال الكلبيّ كان منادي رسول الله (ص) اذا نادى الى الصّلوة فقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا صلّوا لا صلّوا ركعوا لا ركعوا على طريق الاستهزاء والضّحك فنزل واذا ناديتم الى الصّلوة اتّخذوها اي الصّلوة او المناداة ونداء بعض ما اتّخذوه من هذا الدّين هزواً ولعباً فلهذا اردفه الآية المتقدّمة الكلّيّة وقال السّدّي نزلت في رجل من النّصارى بالمدينة كان اذا سمع المؤذّن يقول اشهد انّ محمّداً رسول الله قال حرق الكاذب فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم واهله نيام فطارت منها شرارة في البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقال آخرون انّ الكفّار لمّا سمعوا الاذان حسدوا رسول الله والمسلمين على ذلك فدخلوا على رسول الله (ص) فقالوا يا محمّد لقد ابدعت شيئاً لم نسمع به فيما مضى من الامم الخالية فان كنت تدّعي النّبوّة فقد خالفت فيما احدثت من هذا الاذان الانبياء قبلك ولو كان في هذا الامر خير كان اولى النّاس به الانبياء والرّسل قبلك فمن اين لك صياح كصياح العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الآية وانزل ومن احسن قولاً ممّن دعا الى الله قال بعض العلماء فيه دليل على ثبوت الاذان بنصّ الكتاب لا بالمنام وحده واقول لو قيل انّ اصل الاذان بالمنام والتّقرير بنصّ الكتاب كان اصوب ذلك

بانّهم قوم لا يعقلون فانّ الصّلوة من المنافع لانّها التّوجّه الى الخالق والاشتغال بخدمة المعبود ولا يفهمون ما فيه اللّعب والهزء من السّفه والجهل قال بعض الحكماء اشرف الحركات الصّلوة وانفع السّكنات الصّيام انّما قيل وانزلنا اليك الكتاب بالحقّ بالحقيقة لانّه انزل على قلبه وانزل سائر الكتب في الالواح والصّحف فلهذا كان خلقه القرآن وكان مهيمناً على جميع الكتب مصدّقاً لما بين يديه لما قبله لتنزّل عليه سورة حقائق الكتب واسرارها جملة فما انزل في الالواح فان الالواح لا تشهد ولا تشاهد حقائق الكتب ومعانيها لكلّ جعلنا منكم معاشر الانبياء شرعة الشّرع فيها بالبيان ومنهاجاً تسلك فيه بالعيان ولكن ليبلوكم ايّتها الامم فيما آتاكم من البيان والتّبيان والحجج والبرهان والعزّة والسّلطان فابتلاكم بزينة الدّنيا واتباع الهوى ونيل المنى والوعد من الوحي والنّجاة في العقبى ليهتدي النّاشئون بالبيان ويقتدي العاملون بالبرهان ويحكم العارفون بالسّلطان بل يقصد الزّاهد ون برفض الدّنيا ويقدم العابدون بنهي الهوى ويسلك المشتاقون بنفي المنى ويجتذب العارفون بنزول الوحي ويسلب الواصل بالسّلو عن الدّنيا والعقبى فاستبقوا الخيرات من هذه المقامات الى الله مرجعكم جميعاً اخباراً بقدم الصّدق واضطرار الحلول لاجل فان تولّوا عن قبول الحقّ فاعلم فاعلم بمطالعة القضاء انّما يريد الله في حكم القدر ان يصيبهم مصيبة الاعراض ببعض ذنوبهم وهو الاعراض فانّ الحقّ سبحانه يلزم بشرط التّكليف ويقدّمهم ويؤخّرهم بعين التّصريف فالتّكليف فيما اوجب والتّصريف فيما اوجد والعزم بالايجاد بالايجاب لفاسقون لخارجون عن جذبات العناية الحكم الجاهليّة يبغون ايطلبون منك ان تحيد عن المحجّة المثلى بعدما طلعت شموس الدّنيا وسطعت براهين اليقين وانهتك استار الرّيب واستنار القلب بانوار الغيب لا يا رعون فيهم لانّ شيمة الشّيء يجتذب اليه ان يأتي بالفتح فتح عيون القلوب او امر من عنده وهو الجذبة الّتي توازي عمل الثّقلين ويقول الّذين آمنوا بانوار الغيوب في اسرار القلوب فاصبحوا خاسرين بابطال الاستعداد الفطريّ يقوم يحبّهم ويحبّونه ارباب السّلوك انّ ما عنهم يسقطوا ان يحبّهم ثمّ ابقاهم بعد عند غيبتهم فتحاقب يحبّونه قال محبّة الله للعبد افناء النّاسوتيّة في بقاء اللّاهوتيّة ومحبّة العبد لله ابقاء اللّاهوتيّة في فناء النّاسوتيّة والشّيخ نجم الدّين الرّازي المعروف بداية رضي عنه قد عكس لفظه فلعلّه فهم عنه ما فهمناه ثمّ قال انّه تعالى يحبّ العبد بصفة ذاته ازلاً وهي الارادة القديمة المخصوصة بالعناية والعبد يحبّ الله بذات تلك الصّفة ابداً اذلّة على المؤمنين لا ينفعل الّا انيّتهم اعزّة على الكافرين بيقاء اللّاهوتيّة واثبات الوحدة يجاهدون في سبيل الله في طلب الحقّ في البداية ببذل الوجود ولا يخافون لومة لائم عند غلبات الوجدة الوسط لدوام الشّهود ذلك يعني صلة الطّلب في البداية وغلبة الوجدة في الوسط والاختصاص بالمحبّة في النّهاية والله واسع كرمه قادر على ان يتفضّل كلّ احد لكنّه عليم بحال كلّ احد فلا يتفضّل الّا على من يشاء اهل تقيموا الصّلوة بديمومة المراقبين حضور قضاء الباطن بمراعاة التّزكية يؤتون الزّكوة من وجودهم وهو الفناء في الله وهم راكعون راجعون الى الله بالانحطاط من قيام البشريّة الى تمام العبوديّة هم الغالبون على اموالهم وانفسهم والدّنيا والشّيطان الّذين اتّخذوا دينكم يعني اهل الغفلة والسّلو المستهزئين باهل المحبّة والعرفين من الّذين اوتوا الكتاب اي العلوم الظّاهرة والكفّار يعني الفلاسفة ومقلّبيهم لا يقصرهم عن العلوم الدّينيّة والكشفيّة واذا ناديتم الى الصّلوة يعني قوم اهل القرب والنّجوى لا تتّعلقوا بالوهم والخيال لذّاته ويشهدوا ذلك الجمال

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ

بگو که ای اهل کتاب آیا زشت مینماید شما را از ما مگر آنکه گرویدیم بخدا

وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ

و آنچه فرود آمد بسوی ما و آنچه فرستاده شد از پیش و بدرستی که بیشتر از شما فاسقانید بگو که آیا خبر دهم شما را بدتر از این پاداش در نزد خدا هر که لعنت کرد او را

اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ

خدا و خشم کرد بر او و گردانید از ایشان را میمون و خوکان و پرستندگان بتان آن گروه بدترند منزلت ایشان و دورتر از راه راست

وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ۝ وَتَرَىٰ

وچون آیند بشما گفتند گرویدیم و بتحقیق در آمدند بکفر و ایشان بتحقیق بیرون آمدند با آن و خدا داناتر است بآنچه بودند که پنهان میداشتند و می بینی

كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ لَوْلَا

بسیاری را از ایشان که پیشی میکنند در گناه و دشمنی و خوردن ایشان حرام را هر آینه بدست آنچه بودند که میکردند اگر نه که

يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۝

باز دارند ایشان را خدای پرستان و دانشمندان از گفتار ایشان گناه را و خوردن ایشان حرام را هر آینه بد بود آنچه بودند که میکردند

وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ

وگفتند یهودان که دست خدا بسته است کرده شد دستهای ایشان و لعن کرده شدند بگفتار ایشان بلکه دستهای او گشاده است بخشش میکند هر نوع که

يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ

میخواهد و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگار تو سرکشی و کفر و افکندیم در میان ایشان دشمنی

وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ

و کینه را تا روز قیامت هر قدر که افروختند آتشی را از برای جنگ خاموش گردانید آنرا خدا و میکوشند در زمین در فساد و خدا

لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ

دوست ندارد مفسدان را و اگر که اهل کتاب گرویدندی و پرهیزگاری کردندی هر آینه میپوشیدیم از ایشان گناهان را و هر آینه داخل کردیم ایشان را

جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ

در بهشت نعیم و اگر که ایشان بر پای داشتندی توریت را و انجیل را و آنچه فرود آمد بسوی ایشان از پروردگار ایشان هر آینه خوردندی از بالای

وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ

واز زیر پایهای ایشان بعضی از ایشان گروهی میانه روان و بسیاری از ایشان بد است آنچه میکنند ای پیغمبر برسان

مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ

آنچه فرود آمد بتو از جانب پروردگار تو و اگر نکردی پس نرسانیده رسالت و پیغام او را و خدا نگاه دارد ترا از شر مردم بدرستی که خدا

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۝ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ

هدایت نمیکند گروه کافران را بگو ای اهل کتاب نیستید بر چیزی تا که بر پا دارید توریت

وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ

و انجیل را و آنچه فرود آمد بسوی شما از پروردگار شما و هر آینه بیفزاید بسیاری از ایشان را آنچه فرود آمد بسوی تو از پروردگار تو

طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ

سرکشی و کفر پس اندوه مخور بر گروه کافران بدرستی که آنانکه گرویدند و آنانکه یهود شدند و از دین بدین گشتند

وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝

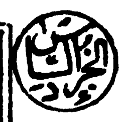
و ترسایان هر که گروید بخدا و روز واپسین و کرد کردار شایسته پس نیست ترس بر ایشان و نباشند اندوهناکان

القراءة هل تنقمون بادغام اللام حمزة وعلي وهشام وعبد الطاغوت بضم الباء ونصب الدال وجر الطاغوت حمزة الباقون بنصب الباء والطاغوت على ان عبد فعل ماض عطفا على صلة من كان قيل ومن عبد الطاغوت مبسوطتان مثل وزاده بصطة وقد مر في البقرة رسالته ابو عمرو وابن كثير وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون رسالاته الوقوف قيل العطف ان اكثركم على ان امنا فاسقون عند الله لتناهي الاستفهام والتقليد هو من لعنه الله ومن جعل محله جرا على البدل من شر لم يقف الطاغوت السبيل خرجوا به يكتمون السحت يعملون السحت يصنعون مغلولة وقيل لا وقف لتتصل قوله غلت هو جزاء قولهم يد الله مغلولة بما قالوا لئلا يوهم ان قوله بل يداه مبسوطتان مفعول قالوا فالوجه مبسوطتان لان قوله ينفق من مفصول الكلام فلا يلتبس انفق كيف يشاء وكفرا يوم القيمة اطفاها الله قال السجاوندي لا لان الواو للحال اي وهم يسعون وفيه نظر فسادا المفسدين النعيم ارجلهم مقتصدة يعملون من ربك رسالته من الناس الكافرين من ربكم وكفرا لاختلاف النظم مع فاء التعقيب الكافرين يحزنون التفسير انه حكى عنهم انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا ولعبا قال لنبيه قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا هل تعيبون يقال نقمت على الرجل انقم بالكسر اذا عتبت عليه ونقمت بالكسر لغة ونقمت الامر ايضا اذا كرهته وانكرته وسمي العقاب نقمة لانه يجب على ما ينكر من الفعل والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها وليس هذا مما يوجب نقما وعيبا لان الايمان بالله راس جميع الطاعات واما الايمان بمحمد وبجميع الانبياء فهو الحق الذي لا محيد عنه لان الطريق الى تصديق الانبياء هو المعجز وانه حاصل في الكل فلا وجه للايمان



والكفر ببعض ثم عطف عليه وان اكثركم فاسقون والمراد ما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم كانه قيل ما تنكرون منا الا مخالفتكم فامنا وما فسقنا
مثلكم وفيه من حسن الازدواج والطباق ما فيه كقولك للفاسق هل تنقم مني الا اني عفيف وانك فاجر ويجوز ان يعطف على المجرور اي ما تنقمون منا الا الايمان
بالله وبما انزل وبان اكثركم خارجون من الدين ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع اي ما تنكرون منا الا الايمان مع فسقكم لان احد الخصمين اذا كان متصفا
بالصفات الحميدة مع اتصاف الآخر بالصفات الذميمة كان ذلك اشد تاثيرا في وقوع البغض والحسد في قلب الخصم ويحتمل ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل
محذوف اي وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم ولاجل فسقكم ومن هنا قال الحسن في تفسيره بفسقكم نقمتم ذلك علينا ويجوز ان ينتصب بفعل محذوف
يدل عليه ما قبله اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع بالابتداء والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت محقق عندكم على ان حب الجاه والمال يدعوكم الى
عدم الانصاف وانما خص الاكثر بالفسق مع ان اليهود كلهم فساق لانهم يعرفونها باحبارهم ورؤسائهم الطالبين للرياسة والمال المتقربين الى الملوك والمراد
ان اكثرهم في دينهم فساق لا عدول فان الكافر والمبتدع قد يكون عدلا في دينه او ذكر اكثرهم لئلا يظن ان من امن منهم داخل في ذلك قال ابن عباس اتى نفر
من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابرهيم واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر
عيسى جحدوا نبوته قالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك يعني المنقوم
وهو الايمان ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومثوبة نصب على التمييز من بشر وهي المصادر التي جاءت على
مفعول كالميسور والمجلود ومثلها المشورة وقرئ مثوبة كما يقال مشورة والمثوبة مثل العقوبة واستعمل احد الضدين مكان الآخر مجاز وحسنه
ارادة التهكم مثل فبشرهم بعذاب اليم وقد اخرج الكلام هيهنا على حسب قولهم واعتقادهم والا فلا شركة بين المسلمين وبين اليهود في اصل العقوبة
حتى يقال ان عقوبة احد الفريقين شر ولكنهم حكموا بان دين الاسلام شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك ولكن لعن الله وغضبه ومسخ الصور شر من ذلك قال
المفسرون عنى بالقردة اصحاب السبت وبالخنازير كفار مائدة عيسى وروي ان كلا المسخين كان في اصحاب السبت لان شبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا
خنازير ولهذا كان المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اما قوله وعبد الطاغوت فقد ذكرنا
فيه انواعا من القراءة لا مزيد فائدة في تعدادها لشذوذها الا قراءة حمزة والوجه فيه ان العبد بمعنى العبد الا انه بناء مبالغة كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ
في الحذر والفطنة قال الشاعر: ابني لبينى ان امكم امة وان اباكم عبد ابني لبينى لستم بيد الا يدا ليست لها عضد وقيل هما لغتان مثل سبع وسبع
وقيل ان العبد جمع عباد والعباد جمع عبيد كثمار وثمر الا انهم استثقلوا الضمتين فابدلوا الاولى فتحة وقيل ارادوا اعبد الطاغوت مثل فلس وافلس
الا انه حذف الالف وضم الباء لئلا يشتبه بالفعل والطاغوت هيهنا قيل هو العجل وقيل هو الاحبار والظاهر انه كل ما عبد من دون الله وكل من اطاع احدا في
معصية فقد عبده احتجت الاشاعرة بالاية على ان الكفر بجعل الله تعالى وقالت المعتزلة معنى هذا الجعل انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او انه خذلهم حتى عبدوها اولئك الملعونون الممسوخون شر مكانا من المؤمنين قال ابن عباس ان مكانهم سقر
ولا مكان اشر منه وقال علماء البيان هو من باب الكناية لانه ذكر المكان واريد اهله الذي هو ملزوم المكان واضل عن سواء السبيل قصده ووسطه
كان ناس من اليهود يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبر الله نبيه بشانهم وانهم يخرجون من مجلسه كما دخلوا لم يؤثر فيهم شيء
من التذكير والموعظة وقوله بالكفر وبه حالان اي متلبسين بالكفر وكذا قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال
وليفيد التوقع ايضا وذلك ان امارات النفاق كانت لا تخفى على صفحات احوالهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله اسرارهم والعامل في هذه الحال قالوا
وفي الاولى دخلوا وخرجوا اي قالوا امنا وحالهم انهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وانما ذكر عند الخروج كلمة هم تاكيدا لاسناد الكفر اليهم ونفيا ان يكون
من النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك فعل اي لم يسمعوا منك يا محمد عند جلوسهم ما يوجب كفرا فتكون انت الذي القيتهم في الكفر بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار انفسهم
وهيهنا استدل المعتزلي على صحة مذهبه ان الكفر من العبد لا من الله ولكنه معارض بالعلم والداعي والله اعلم بما كانوا يكتمون فيه ان حسدهم وخبثهم لا يحيط
بها الا الله فما اعظم ذلك وابلغ الاثم الكذب كقوله بعد عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم وقيل الاثم
كلمة الشرك قولهم عزير ابن الله وفي الاية فوائد منها انه ذكر كثيرا لان كلهم كانوا لا يفعلون ذلك اذ بعضهم يستحيي فيترك ومنها ان المسارعة انما تليق بالخيرات وانهم كانوا
يستعملونها في المنكرات ومنها ان الاثم يتناول جميع المعاصي فذكر بعده العدوان واكل السحت ليدل على انهما اعظم انواع الاثم والكلام في معنى السحت وفي
تفسير لولا ينهاهم الربانيون والاحبار قد مر في السورة عن قريب قال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وانما قال هيهنا لبئس ما كانوا يصنعون
وفي الاول يعملون لان الصنع ارسخ من العمل فلا يسمى العامل صانعا ولا العمل صناعة الا اذا تمكن فيه وتدرب بنسبته فكان ذنب العلماء اذا تركوا النهي
عن المنكر اشد واعظم وابلغ وارسخ وتحقيقه ان المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته واحكامه فاذا حصل هذا العلم ولم تزل المعصية
دل على ان مرض القلب في غاية القوة والشدة كالمرض الذي شرب صاحبه الدواء فما زال عن ابن عباس هي اشد اية في القرآن وعن الضحاك ما في القرآن
اية اخوف عندي منها وقالت اليهود يد الله مغلولة قيل في هذه الاية اشكال لان اليهود مطبقون على انا لا نقول ذلك كيف وبطلانه معلوم
بالضرورة لان الله اسم لموجود قديم قادر على خلق العالم وايجاده وتكوينه وهذا الموجود يمتنع ان يكون يده مغلولة وقدرته قاصرة والجواب
ان الله تعالى صادق في كل ما اخبر عنه فلا بد من تصحيح هذا النقل عنهم فلعل القوم قالوا هذا على سبيل الالزام فانهم لما سمعوا قوله من ذا الذي يقرض الله

قرضا حسنا قالوا من يحتاج إلى القرض كان فقيرا عاجزا مغلول اليدين ولعلهم لما رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في غاية الفقر والضيق قالوا ان اله محمد كان كذلك او
ارادوا انه لا يمسهم النار الا اياما معدودة الا انهم عبروا عن كونه غير معذبهم الا هذا القدر من الزمان بهذه العبارة الفاسدة فاستوجبوا اللعن
لفساد العبارة وسوء الادب وقيل لعلهم كانوا على مذهب بعض الفلاسفة انه تعالى موجب لذاته وان حدوث الحوادث عنه لا يمكن الا على نسق واحد فعبروا عن عدم
اقتداره على غير ذلك النسق بغل اليد وقال المفسرون كانت اليهود اكثر الناس مالا وثروة فلما بعث الله محمدا وكذبوه ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك
قالوا يد الله مغلولة اي مقبوضة عن العطاء على جهة الصفة بالبخل والجاهل اذا وقع في البلاء والشدة فقد يقول مثل هذه الالفاظ وغل اليد و
بسطها مجاز مستفيض عن البخل والجود ومنه قوله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وذلك ان اليد آلة لاكثر الاعمال لا سيما
لاخذ المال واعطائه فاطلقوا اسم السبب على المسبب فقيل للجواد فياض الكف مبسوط اليد سبط البنان رطب الانامل وللبخيل ابن الاصابع مقبوض
الكف جعد الانامل لا فرق عندهم بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه حتى انه يستعمل في ملك لا يعطي ولا يمنع الا بالاشارة بل يقال للاقطع بسط
يده بالنوال وقد يستعمل حيث لا يصح اليد كقول لبيد قد اصبحت بيد الشمال زمامها ثم انه تعالى اجابهم بقوله غلت ايديهم وهو الدعاء عليهم بالبخل والنكد
ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم دعا به عليهم تعليما لعباده كما علمهم الاستثناء في قوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وكما علمهم
الدعاء على المنافقين في قوله فزادهم الله مرضا وعلى ابي لهب في قوله تبت يدا ابي لهب ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة او اخبارا قال
الحسن يغلون في الدنيا اسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم فيكون الطباق من حيث اللفظ وملاحظة اصل المجاز وانما لم يقل فغلت
ايديهم مع ان الجزاء يناسب الفاء والتعقيب ليكون قوله غلت ايديهم كالكلام المبتدأ به فيزداد قوة ومتانة لان الابتداء بالشيء يدل على شدة الاهتمام
به وقوة الاعتناء بتقريره ولعنوا بما قالوا قال الحسن عذبوا في الدنيا بالجزية وفي الآخرة بالنار ومما وقع في عصرنا من اعجاز القرآن ما حكي ان متغلبا
من اليهود مستمى بسعد الدولة وهو من اشقى الناس كان قد سمع بهذه الآية فاتفق ان وصل الى بغداد فنزل بالمدرسة المستنصرية ودعا بمصحف كان
مكتوبا باحسن خط واشهر من خطوط الكتاب لما صنف كان يعلم ان اهل هذا العصر يقدرون على كتابة مثله ثم قال اين هذه الآية يعني قوله غلت
ايديهم ولعنوا بما قالوا فاروها فمحاها فلم يمض اسبوع الا وقد سخط السلطان عليه فبعث في طلبه امر بغل يديه فغلوه وحملوه اليه فامر بقتله ثم انه تعالى
رد على اليهود بقوله بل يداه مبسوطتان واليد في اللغة تطلق على الجارحة المخصوصة وهو ظاهر وعلى النعمة لفلان عندي يد اشكرها له وعلى القوة
اولي الايدي والابصار فسرت بذوي القوى والعقول ومنه لا يدين له بهذا وعلى الملك هذا بيد فلان اي ملكه قال الذي بيده عقدة
النكاح وقد يراد به شدة العناية قال لما خلقت بيدي ويقال يدك لك وهي بالوفاء اذا ضمنته شيئا ولا شك ان اليد بمعنى الجارحة في حقه تعالى محال للدليل
الدال على انه ليس بجسم ولا ذي اجزاء خلافا للمجسمة واما سائر المعاني فلا يأباها وكان طريقة السلف الايمان بها وانها من عند الله ثم تفويض معرفتها
الى الله وقد جاء في بعض اقوال ابي الحسن الاشعري ان اليد صفة سوى القدرة من شأنها التكوين على سبيل الاصطفاء لقوله لما خلقت بيدي و
المراد تخصيص آدم بهذا التشريف ونص القرآن ناطق باثبات اليد تارة يد الله فوق ايديهم وباثبات اليدين اخرى كما في الآية وباثبات الايدي اخرى
مما عملت ايدينا انعاما ووجه التوحيد والجمع ظاهر واما وجه التثنية فذلك ان من اعطى بيديه فقد اعطى على اكمل الوجوه فكان ابلغ في رد كلام الكفرة
خذلهم الله او المراد نعمة الدين ونعمة الدنيا او نعمة الظاهر ونعمة الباطن او نعمة النفع ونعمة الدفع او نعمته على اهل اليمين ونعمته على اهل الشمال بل لطفه
في حق اولئك وقهره في شأن هؤلاء او المراد المبالغة في وصف النعمة كقولهم لبيك وسعديك معناه اقامة على طاعتك بعد اقامة واسعادا بعد اسعاد
ثم اكد الوصف بالقدرة والسخاء فقال ينفق كيف يشاء وفيه انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة وتفاوت الرزق على حسب المشيئة والارادة لا مانع له ولا مكره
او اوجب عليه شيئا او اعترض على فعل من افعاله فقد نازعه في ملكه وحجر تصرفه وقيده وغله ونسبه الى ما لا يليق به وليزيدن جواب قسم محذوف كثيرا منهم يعني علماء
اليهود ما انزل اليك من ربك من القرآن والحجج طغيانا وكفرا مجاوزة في الحد وغلوا في الانكار لان البدن غير النقي كلما غذوته زدته شرا والقينا بينهم
بين اليهود والنصارى وقال مجاهد والحسن وفيما بين اليهود العداوة والبغضاء لا يأتلف كلمهم ولا تتساعد قلوبهم فمن اليهود جبرية وقدرية وموحدة و
مشبهة ومن النصارى ملكانية ونسطورية ويعقوبية وكل ذلك الاختلاف يوجب السخط واللعن بخلاف هذه الامة فان اختلافهم رحمة ولتفرقهم
وتشعب آرائهم كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله فلا يهمون بامر من الامور الا ويرجعوا بخفي حنين وقيل كلما حاربوا رسول الله غلبوا وعن
قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم اذل الناس ويسعون في الارض فسادا يسعون كيد الاسلام وذويه والله لا يحب المفسدين فلا ينجح لهم سعي
قيل خالفوا احكام التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين الى
يوم القيامة ثم بالغ في تحسين سيرهم ذكر انهم مع ما عدد من مساويهم لو آمنوا بمحمد وما جاء به واتقوا المنكرات التي كانوا يأتونها ليكون توبتهم نصوحا
لكفرنا عنهم تلك السيئات سترناها عليهم ولادخلناهم مع المسلمين جنات النعيم من النعم خلاف البؤس اي نعيم صاحبها فيها او وسع جنة الله ثم وما اعظم عفوه
وغفرانه ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل عملوا بما فيهما من الوفاء بعهود الله ومن الاقرار بنبوة نبي آخر الزمان محمد او حافظوا على احكامهما
وحدودهما او اقاموهما نصب اعينهم لئلا ينسوا ما فيهما او ما انزل اليهم من ربهم يعني القرآن او سائر الكتب الالهية كصحف ابراهيم وزبور
داود وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال فان كلها مشحونة من البشارة بمبعث محمد وانهم مكلفون بالايمان بجميعها لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي



ينزل عليهم بركات السماء وبركات الارض ويكثر لهم الاشجار المثمرة والزروع المغلة او يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على وجه الارض ويحتمل ان يراد به المبالغة في شرح السعة والخصب لا ان هناك فوقا وتحتا اي لاكلوا اكلا كثيرا متصلا ويشبه ان يكون هذا اشارة الى ما جرى على بني قريظة وبني النضير من قطع نخيلهم وافساد زروعهم واجلائهم عن اوطانهم والحاصل انه سبحانه وعدهم سعادة الدارين بشرط الايمان بما جاء به محمد وقدم السعادة الاخروية بقسميها وهما دفع العذاب وايصال الثواب لشرفها ثم فصل حالهم فقال منهم امة مقتصدة طائفة متوسطة في الغلو والتقصير وذلك ان من عزم مقصودا فانه يكون قاصدا له على الطريق المستقيم من غير انحراف ولا اضطراب بخلاف من لا مقصد له فانه يذهب متحيرا يمينا وشمالا فجعل الاقتصاد عبارة عن العمل المؤدي الى الغرض ومن هم فيه قولان احدهما الكفار من اهل الكتاب الذين يكونون عدولا في دينهم ولا يوجد فيهم عناد شديد ولا غلظة كاملة والثاني هم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعين من النصارى وكثير منهم ساء ما يعملون فيه معنى التعجب كانه قيل ما اسوأ عملهم لكونهم جهلا فامتعصبين لا ينجع فيهم القول ولا يؤثر فيهم الدليل قيل هم كعب بن الاشرف واصحابه والروم ثم امر رسوله بان لا ينظر الى قلة المقتصدين وكثرة المعاندين ولا يخوف مكروههم فقال يا ايها الرسول بلغ عن ابي سعيد الخدري ان هذه الاية نزلت في فضل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يوم غدير خم فاخذ رسول الله بيده وقال من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر وقال هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة وهو قول ابن عباس والبراء بن عازب ومحمد بن علي وروي انه نام في بعض اسفاره تحت شجرة وعلق سيفه عليها فاتاه اعرابي وهو نائم فاخذ سيفه واخترطه وقال يا محمد من يمنعك مني فقال الله فرعدت يد الاعرابي وسقط السيف من يده وضرب براسه الشجرة حتى انتثر دماغه فنزل والله يعصمك من الناس وقيل لما نزلت اية التخيير يا ايها النبي قل لازواجك فلم يعرضها عليهن خوفا من اختيارهن الدنيا نزلت يا ايها الرسول بلغ وقيل نزلت في امر زيد وزينب بنت جحش وقيل لما نزل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله سكت رسول الله عن عيب الهتهم فنزلت اي بلغ معايب الهتهم ولا تخفها وقيل انه لما بين الشرائع والمناسك في حجة الوداع قال هل بلغت قالوا نعم فقال اللهم اشهد فنزلت وقيل نزلت في قصة الرجم والقصاص المذكورين وقال الحسن رضي الله عنه قال لما بعثني الله برسالته ضقت بها ذرعا وعرفت ان من الناس من يكذبني واليهود والنصارى يخوفونني فنزلت الاية فزال الخوف قالت عائشة سهر رسول الله ذات ليلة فقلت يا رسول الله ما شانك قال الا رجل صالح يحرسني الليلة قالت فبينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد وحذيفة جئنا نحرسك فنام رسول الله حتى سمعت غطيطه فنزلت هذه الاية فاخرج رسول الله راسه من قبة ادم فقال انصرفوا ايها الناس فقد عصمني الله وعن ابن عباس كان رسول الله يحرس وكان يرسل معه ابو طالب كل يوم رجالا من بني هاشم يحرسونه حتى نزلت هذه الاية فاراد عمه ان يرسل معه من يحرسه فقال يا عماه ان الله قد عصمني من الجن والانس ومعنى قوله ما انزل اليك اي شيء انزل اليك وان لم تفعل ما امرتك به فما بلغت رسالته من قرا على الوحدة فلان القران كله رسالة واحدة اولان الرسالة اسم المصدر فيقع على الواحد وعلى الجمع ومن جمع فلان كل اية حكم رسالة فان قيل معنى قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته لم تبلغ رسالته فما وجه صحته فالجواب ان هذا جار على طريق التهديد والمراد ان لم تبلغ منها ادنى شيء فانك كمن لم يبلغ شيئا لان اداء بعضها ليس باولى من اداء البعض الاخر كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها او المراد ان لم تفعل ذلك فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله فوضع السبب موضع المسبب ويعضده ما روي انه قال بعثني الله برسالة فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت فان قيل اين ضمان العصمة وقد جرى عليه يوم احد ما جرى فالجواب ان الاية نزلت بعد يوم احد والمراد انه يعصمه من القتل وعليه ان يحتمل كل ما دون النفس والناس الكفار لقوله ان الله لا يهدي القوم الكافرين اي لا يمكنهم مما يريدون ثم لما امره بتبليغ اي شيء كان ظاهره للسامع او ثقيل عليه امره ان يقول لاهل الكتاب لستم على شيء اي على دين يعتد به كما يقول هذا ليس بشيء ثم زيد تفسيرا نزوله في الاية مكررا للتاكيد ومعنى فلا تاس فلا تاسف ولا تحزن عليهم بسبب زيادة طغيانهم فان وبال ذلك عائد عليهم او لا تاسف بسبب نزول اللعن والعذاب عليهم فانهم من الكافرين المستحقين لذلك يقال اسي على مصيبته يأسى اي حزن ثم لما بين ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يؤمنوا بين ان هذا الحكم عام في الكل وانه لا يحصل لاحد فضيلة ولا سعادة الا اذا امن وعمل صالحا وذلك ان كمال القوة النظرية لا يحصل الا بمعرفة المبدا والمعاد اعني الايمان بالله واليوم الاخر وكمال القوة العملية انما يحصل بتعظيم المعبود والشفقة على المخلوق اعني العمل الصالح وغاية هذا الكمال الخلاص من الخوف عما يستقبل ومن الحزن على ما مضى من طيبات الدنيا لانهم وجدوا امورا اعظم واشرف وقد تقدم تفسير مثل هذه الاية في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث لفظي وهو ان قوله والصابئون عطف على ماذا فقال الكوفيون انه معطوف على محل الذين لا تاسم انما كان مبنيا جاز العطف على محله وان كان قبل ذكر الخبر فيجوز انك وزيد ذاهبان وانهم يجيزون زيدا وعمرو قائمان وذهب البصريون الى جواز ذلك مط لانه يؤدي الى اعمال العاملين ومعنى الابتداء معا في اسمين فيجتمع على المرفوع الواحد رافعان مختلفان وانه محال فاذن الصابئون مرفوع بالابتداء على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك فيكون هذه جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها وفائدة هذا التقديم التنبيه على ان التوبة مقبولة البتة وذلك ان الصابئين ابين هؤلاء المعدودين ضلالا لانهم صباة عن الاديان كلها اي خرجوا فكانه قال كل هؤلاء الفرق اذا اتوا بالايمان والعمل الصالح قبلت توبتهم حتى الصابئون ولو قيل والصابئين لم يكن من التقديم في شيء لانه ثابت في مركزه الاصلي وانما يطلب نكتة التقديم للمزال عن موضعه والراجع الى اسم ان محذوف وفيه التقليل من امن منهم كما في البقرة والله اعلم التاويل بشارة الفريقين من جعله الله مستعدا القبول فيفيض الفيض اللطيف عليه ومن استعد للغضب وجعل صفة

جميع ما انزل اليك

الفرديه والخنزيريه اعنى الجبلة والحرص والشهوة من بعض خصائصهم اولئك شرهم كانا من القردة والخنازير لا استعدادهم وفوق ذلك ابطلوا استعدادهم
الفطري مثل اولئك كالانعام بل هم اضل ولهذا دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به الى ان يتوبون مشايخ الطريقة والاحباء على البشرية غلت ايديهم من بسط
الخير مغلولة ومشامهم عن نسيم نفائح الصدق فى زكوم فلهذا قالوا يد الله مغلولة وكل اناء يترشح بما فيه لكن الله ادرك العناية الازلية وسلبت عنهم صفات
الظلوميه والجهوليه ثم قال بل يداه مبسوطتان لا يقبضها نقص سخاء الليل والنهار ينفق كيف يشاء بيدي اللطف والقهر على المؤمنين من اهل البر والاحسان وعلى
الكافرين من الغوايه والخذلان والقينا بينهم العداوة فلا يوجد الا وبينه وبين صاحبه بغض الى ان يتوارثوا بطنا بعد بطن ولو ان اهل العلوم الظاهرة
امنوا بالعلوم الباطنة واتقوا الانكار والاعتراض ولو انهم عملوا بمقتضيات الكتب المنزلة وبمقتضياتها لاكلوا من فوقهم من فتوحات الواردات الروحانية
ومن تحت ارجلهم الى اعلى مقاماتهم من العلماء الظاهرين امة مقتصدة ان لم تكن سابقا بالخيرات والمقتصد هو العالم المتقي والمراد بالسابق هو
الواصل الكامل العالم الرباني بلغ ما انزل اليك يندرج تحت الوحي والالهامات والمنامات والوقائع والواردات والمشاهدات والكشوف والانوار والاسرار
والاخلاق والمواهب والحقائق ومعاني النبوة والرسالة فالرسول ان لم يبلغ بعض هذه الحقائق الى العباد يكنهم الوصول الى الله فلا يحصل مقصود ارسال
به فلم يبلغ رسالته الا ان للتبليغ مراتب كما انزل اليه فتبليغ بالعبارة وتبليغ بالاشارة وتبليغ بالتاديب وتبليغ بالتعليم وتبليغ بالتزكية وتبليغ بالتحلية
وتبليغ بالهمة وتبليغ بجذبات الولاية وتبليغ بقوة النبوة والرسالة وتبليغ بالشفاعة وللخلق فيه مراتب بحسب قبول الدعوة وبحسب الاستعدادات المختلفة
انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها والله يعصمك باوصاف الالوهية عن اوصاف الناسوتية لتنفرد فى الخلق بقوة الالوهية فتوصلهم الى الله
ولا ينصرفون قبلك فيقطعوك عن الله يا ارباب العلوم الظاهرة لستم على شيء من حقيقة الدين حتى تقيموا ظاهركم وباطنكم بالاعمال والاحوال الواردة فى كتب
الالهية وذلك بمقدمتين واربع نتائج فالمقدمتان الجذبة الالهية وبينهما الاعراض عن الدنيا والتوجه الى المولى ثم تزكية النفس ونتيجتها تزكية النفس عن
الاخلاق الذميمة وتحلية القلب بالاخلاق لَقَدْ اَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَاَرْسَلْنَا اِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ
الفاضلة والله حسبي ونعم الوكيل بدرستی که فرا گرفتیم پیمان بنی اسرائیل را وفرستادیم بسوی ایشان پیغمبران هرچند که آورد ایشان پیغمبری

بِمَا لَا تَهْوَى اَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ۝ وَحَسِبُوا اَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ
بانچه نخواسته ایشان بود گروهیرا تکذیب کردند وگروهیرا میکشتند وپنداشتند که نباشد شرکی وکفر پس کور وکر شدند پس بپذیرفت خدا ازانها
ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ
پس کور وکر شدند بسیاری از ایشان وخدا بیناست بانچه میکنند هر آینه کافر شدند آنان که گفتند که خدا آن مسیح پسر مریم است وگفت مسیح
يَا بَنِي اِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ اِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللّٰهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّٰهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَاْوَاهُ النَّارُ
ای بنی اسرائیل بپرستید خدای را که پروردگار من وشماست بدرستی که هر که شرک آورد بخدا پس حرام گرداند خدا براو بهشت را ومنزل او آتش است
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ اَنْصَارٍ ۝ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ ثَالِثُ ثَلٰثَةٍ وَمَا مِنْ اِلٰهٍ اِلَّا اِلٰهٌ وَاحِدٌ وَاِنْ لَمْ
ونیست از برای ظالمان از یاوری هر آینه کافر شدند آنانی که گفتند که بدرستی که خدا سیمی از سه است ونیست خدائی بجز خدای یگانه واگر
يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ ۝ اَفَلَا يَتُوبُونَ اِلَى اللّٰهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّٰهُ غَفُورٌ
وا نمانند از انچه میگویند هر آینه در رسد آنانی را که کافر شدند ازانها عذابی دردناک ایا پس باز نگردند بسوی خدا وطلب امرزش کنند او را وخدا امرزنده
رَحِيمٌ ۝ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ اِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَاُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاْكُلَانِ الطَّعَامَ اُنْظُرْ كَيْفَ
مهربانست نیست مسیح پسر مریم مگر پیغمبری که بیشتر ازان پیغمبران بوده اند ومادرش راستگو بود بودند که میخوردند طعام را ببین که چگونه
نُبَيِّنُ لَهُمُ الْاٰيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ اَنّٰى يُؤْفَكُونَ ۝ قُلْ اَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
ظاهر کردانیم از برای انها آیات را پس ببین که چگونه برگردانیده میشوند بگو که ایا میپرستید از غیر خدا انچه را که وا را نیست از برای ضرری ونه نفعی را
وَاللّٰهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا اَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا
وخدا اوست شنونده دانا بگو که ای اهل کتاب درمشوید در دین خود بناحق وپیروی مکنید خواهشهای گروهیرا که بتحقیق
مِنْ قَبْلُ وَاَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ۝ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ عَلٰى لِسَانِ دَاوُدَ
ازپیش وگمراه کردند بسیاریرا وبازگردیدند از راه راست لعنت کرده شدند آنانکه کافر شدند از بنی اسرائیل بر زبان داود
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ۝ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَا
وعیسی پسر مریم این بجهت نافرمانی انهاست وبودند ایشان درگذشتگان از حد بودند که نهی کردندی از ناشایسته که کردند انرا هر آینه بدست انچه
نُوا يَفْعَلُونَ ۝ تَرٰى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ اَنْفُسُهُمْ اَنْ سَخِطَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ وَفِي
میکنند میبینی بسیاری از انها را که دوستی میکنند انهایرا که کافر شدند هر آینه بدست انچه پیش انداخته از برای ایشان نفسهای ایشان که خشم کرد خدا بر ایشان ودر
الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا اُنْزِلَ اِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ اَوْلِيَاءَ وَلٰكِنَّ كَثِيرًا
عذاب ایشان جاویدانند واگر بودند که گرویدندی بخدا وپیغمبر وانچه فرود آمد باو نگرفتندی ایشانرا دوستان ولکن بسیاری

لان القردة والخنازير

ع

مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ۝ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ

از ایشان فاسقانند هر آینه بیابی سخت‌ترین مردمان در دشمنی از مر مؤمنان یهود و زمرهٔ مشرکان را و هر آینه بیابی نزدیکترین مردمان در دوستی زمرهٔ مؤمنان

آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا

آنان که گفتند که ما ترسایانیم این بجهت آنست که بعضی از ایشان دانشمندانند و زاهدان و همچنین ایشان برتری نجویند و چون شنیدندی

ع

مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ

آنچه را که فرود آمدی بسوی پیغمبر دیدی چشم ایشان را که میریخت از گریه از آنچه شناختند از حق میگویند که پروردگارا گرویدیم پس بنویس ما را با

الشَّاهِدِينَ ۝ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

گواهان و چه شده ما را که نگرویم بخدا و آنچه آورده با ما از حق و امید داریم که داخل کند ما را پروردگار ما با گروه نیکوکاران

فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَالَّذِينَ

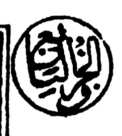
پس عوض داد ایشان را خدا بآنچه گفتند بهشتها که روانست از زیر آن جویها جاویدانند در آن و اینست پاداش نیکوکاران و آنها که

كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ۝ القراءة ان لا تكون بالرفع ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف غير

کافر شدند و تکذیب کردند آیات ما را آن گروه یاران دوزخند

سهل وحفص وابي بكر وحماد الباقون بالنصب الوقوف رسلا ط انفسهم لا لان عامل كلما قوله كذبوا يقتلون كثير منهم بما يعملون ابن مريم ط وربكم النار ط من انصار ثلثة ج لئلا يوهم ان ما بعده من قول الكفار واحد ط اليم ويستغفرونه ط والوصل ابه حسن بناء على ان الواو للحال اي هلا يستغفرون وهو غفور رحيم رسول ج لاحتمال ما بعده الصفة والاستئناف الرسل لان الواو للاستئناف لا للعطف صديقة ط لان ما بعده لا يصلح للصفة لان الضمير في كانا متبع مثنى الطعام يؤفكون ولا نفعا ط والوصل يحسن على ان الواو للحال اي يعبدون ما لا ينفع ولا يضر والحال ان الله يسمع دعاء المضطر ويعلم رجاء المعتر العليم السبيل ابن مريم ط يعتدون فعلوه ط يفعلون كفروا ط الذين فاسقون اشركوا ط لطول الكلام والفصل بين الوصفين المتضادين نصارى ط لا يستكبرون من الحق ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف الشاهدين من الحق لا لان الواو بعده للحال الصالحين خالدين فيها ط المحسنين الجحيم التفسير فتح الله هم بقوله اوفوا بالعقود واجرى الكلام الى ما جرى الا ان عاد الى ما ابتدء والمقصود بيان عتو بني اسرائيل وشدة تمردهم اي اخذنا ميثاقهم بخلق الدلائل وخلق العقل الهادي الى كيفية الاستدلال وارسلنا اليهم رسلا لتعريف الشرائع والاحكام قال في الكشاف كلما جاءهم رسول جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع الى الموصوف محذوف اي رسول منهم والاولى الاصوب جعلها جملة مستانفة جوابا للسائل يسئل كيف فعلوا برسلهم ولهذا كان الوقف على رسلا مطلقا اما جواب الشرط فاختار في الكشاف انه محذوف لان الرسول الواحد لا يكون فريقين لانه لا يحسن ان يقال ان اكرمت اخاك اكرمت فالتقدير كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه او عادوه وقوله فريقا كذبوا جواب قائل كيف فعلوا والاولى ان التركيب المذكور غير مستحسن فبعيد النزاع واما ان الرسول الواحد لا يكون فريقين فتغليط لان قوله كلما يدل على كثرة مجيء الرسل فلهذا صح جعلهم فريقين ومعنى بما لا تهوى انفسهم بما يضاد شهواتهم لو عيبهم عن التكاليف فائدة تقديم المفعول وايراد يقتلون مضارعا ذكرناها في سورة البقرة وزعم في التفسير الكبير انه ذكر التكذيب بلفظ الماضي لانه اشارة الى معاملتهم مع موسى في التيه وغيره عن قبول قوله وقد انقضى من ذلك الزمان ادوار كثيرة وذكر القتل بلفظ المستقبل لانه ومنزلة ما فعلوا بزكريا ويحيى وعيسى على زعمهم وان ذلك الزمان قريب فكان كالحاضر وحسبوا ان لا تكون فتنة قال علماء الادب الافعال على ثلثة اضرب فعل يدل على ثبات الشيء كالعلم والتيقن فيقع بعده ان المشددة الدالة على ثبات الشيء ابقى لتاكيد مقتضاه كقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين فان خففت ودخل على الفعل لم يجز الا ان يكون مع فعله قد او سوف والسين او حرف نفي ليكون كالعوض من احد النونين وقيل من حذف ضمير الشان مثل علم ان سيكون وفعل يدل على خلاف الثبات كالاستفهام ونحو اطمع اخاف وارجو فلا يجيء معه الا الخفيفة الناصبة للفعل كقوله والذي اطمع ان يغفر لي وفعل يحتمل المعنيين فيجوز فيه كلا الوجهين كقوله وحسبوا ان لا يكون قرئ بالنصب على ان المصدرية وكون الحسبان بمعنى الظن وبالرفع على ان المخففة اي انه لا يكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان ونزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم وما يشتمل عليه صلة ان من المسند والمسند اليه سد مسد المفعولين وكان تامة والمعنى وحسب بنو اسرائيل انه لا يقع فتنة وهي محصورة في عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وعذاب الدنيا اقسام منها القحط ومنها الوباء ومنها القتل ومنها العداوة والبغضاء فيما بينهم ومنها الادبار والنحوسة وكل ذلك قد وقع بهم وقد فسرنا الفتنة بكل ذلك وحسبانهم ان لا تقع فتنة يحتمل وجهين الاول انهم كانوا يعتقدون ان لا نسخ لشريعة موسى وان كل رسول جاء بعده يجب تكذيبه الثاني انهم عتقدوا كونهم مخطئين في التكذيب والقتل الا انهم كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وان نبوة اسلافهم تدفع العقاب عنهم ثم ان الاية تدل على ان عماهم عن الدين وصممهم عن الحق حصل مرتين فقال بعض المفسرين انهم عموا وصموا في زمان زكريا ويحيى وعيسى ثم تاب الله على بعضهم حيث وفقهم للايمان به ثم عموا وصموا كثير منهم في زمان محمد فانكروا نبوته الا بعضهم كعبد الله بن سلام واصحابه وقوله كثير منهم بدل عن الضمير كقولك رايت القوم اكثرهم وقيل انه على لغة من يقول اكلوني البراغيث وقيل خبر مبتدأ محذوف اي اولئك كثير منهم وقال بعضهم عموا وصموا حين عبدوا العجل ثم تابوا فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم بالتعنت وهو

الملك وبيد الله حجة وقال القفال انه يجوز ان يكون اشارة الى ما في سورة بني اسرائيل فاذا جاء وعد اولهما وعد الآخرة وقرئ عموا وصموا بالضم اي رماهم
الله وضربهم بالعمى والصمم كما يقال زكمه اذا ضربه بالزكام ثم انه سبحانه لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في حكاية كلام النصارى فحكى عن فريق منهم
انهم قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية القائلين ان مريم ولدت الها ولعل مرادهم انه تعالى حل في ذات عيسى او اتحد به ثم حكى عن المسيح ما
يكون لهم حجة قاطعة على فساد ما اعتقدوه وامثر ذلك انه لم يفرق بين نفسه وبينهم في المربوبية وفي ظهور دلائل الحدوث عليه ثم اكد ذلك المعنى بقوله انه من
يشرك بالله اي في العبادة او في تجويز الحلول والاتحاد او في اجراء وصفه في المخلوقين او بالعكس فقد حرم الله عليه الجنة التي هي دار الموحدين اي منعه
منها وما للظالمين من انصار من كلام الله تعالى او من حكاية قول عيسى لهم وقد مر تفسيره في اواخر سورة آل عمران وفيه تقريع لهم كانهم كانوا يعتقدون ان
لهم انصارا كثيرا فيما يقولون ويعتقدون في الله تعالى او في عيسى ذلك وان كانوا يريدون بذلك تعظيمه قال المفسرون ثالث ثلاثة معناه ثالث آلهة ثلاثة لاستلزام
الكفر والا فما من شيئين الا والله ثالثهما يحكى ان النصارى يقولون اب وابن وروح قدس والثلاثة اله واحد كما ان الشمس تتناول القرص والشعاع والحرارة
وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة قالوا ان الكلمة التي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء بالخمر وزعموا ان الاب اله واحد
والابن اله واحد والروح اله واحد والكل اله واحد واعلم ان هذا معلوم البطلان بالبديهة لان الثلاثة لا يكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة
فلا جرم رد الله مقالتهم بقوله وما من اله الا اله واحد فزاد من للاستغراق والمعنى ما اله في الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا
شريك ثم زجرهم بقوله وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا قال الزجاج يعني الذين اقاموا على هذا الدين لان كثيرا منهم تابوا عن النصرانية
ومن في قوله منهم للتبعيض ويجوز ان يكون للبيان والمراد ليمسنهم ولكن اقيم الظاهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر وتنبيها الى انهم من الكفر
بمكان ونحو لو فسر الكفار المعذبون عنوا بذلك خاصة ومعنى عذاب اليم نوع شديد الالم من العذاب افلا يتوبون قال الفراء انه امر بلفظ الاستفهام
وفيه تعجيب من اصرارهم على الكفر بعد الوعيد الشديد ثم احتج على ابطال معتقدهم بقوله ما المسيح ابن مريم الا رسول وهذا في غاية الحسن لانه منعهم
من الكفر اولا ثم حثهم على الاسلام ثانيا ثم شرع في حل شبههم ثالثا ومن هنا قيل ان المرتد يستتاب بالامهال ومناظرة ان عنت له شبهة بل يسلم اولا ثم يحل شبهته
ثانيا والمعنى ما هو الا رسول من جنس الرسل الماضين لا يتخطى الرسالة الى الالهية كما لم يتخطوا فان خلق من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى
وان ابرأ الاكمه والابرص واحيى الموتى فقد جعل موسى العصا حية تسعى الى غير ذلك من آيات ربه الكبرى وامه صديقة كبعض النساء المؤمنات بالانبياء
المصدقات في اقوالهن وافعالهن قال تعالى في وصفها وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين اي من الذين صدقوا ما عاهدوا الله
عليه وهم المجتهدون في اقامة مراسم العبودية ففيه تكذيب للنصارى المفرطين فيها اذ جعلوها الها وفيه تكذيب لليهود المفرطين في شأنها حيث نسبوها الى الزنا
والى الكذب في ان عيسى خلق من غير اب فيه ان من كان له ام فقد حدث بعد ان لم يكن فكان مخلوقا لا الها ثم اكد حدوثهما وعجزهما بقوله كانا يأكلان الطعام فان
المحتاج الى الاغتذاء يحتاج الى ما يتبعه من الهضم والنفض وكل هذه الافتقارات دليل ظاهر وبرهان باهر على حدوثهما واقولهما في حيز الامكان ثم عجب من
غاية غوايتهم فقال انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نبين لهم الآيات الادلة الظاهرة على بطلان قولهم والعامل في كيف قوله نبين ومفعول انظر مجموع
الجملة بل مضمونها اي تبصر هذه الحالة وتفكر فيها ومثله ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق افكه بالفتح يافكه بالكسر افكا بالفتح والسكون صرفه عن الشيء
ومنه الافك بالكسر للكذب لانه مصروف عن الحق وارض مأفوكة صرف عنها المطر ومعنى ثم التراخي والبون بين العجبين اي بينا لهم الآيات بيانا عجيبا ولكن
اعراضهم عنها اعجب ثم الصارف عن تأمل الحق هو الله او العبد فيه خلاف مشهور بين الاشاعرة والمعتزلة وانت قد عرفت التحقيق فيه مرارا ثم اقام حجة اخرى على فساد
قول النصارى فقال قل اتعبدون من دون الله ما لا يملك اي شيئا لا يستطيع والذي لا يقدر على مثل ما يقدر عليه الله من البليات والمصائب ومن الصحة
والخصب والسعة او بغير واسطة بل لم يملك شيئا من ذلك لنفسه فان اليهود كانوا يقصدونه بالسوء ولم يقدر على دفعهم ومن مذهب النصارى ان اليهود صلبوه ومزقوا
اضلاعه ولما عطش وطلب الماء صبوا الخل في منخريه وكان عيسى مصروف الهمة الى عبادة الله ولو كان الها كان معبودا فقط لا عابدا والله هو السميع العليم
باقوالهم ويعلم ضمائرهم ليجازيهم عليه فيه من الوعيد ما فيه ثم عاد الى مخاطبة الفريقين فقال يا اهل الكتاب لا تغلوا والغلو مجاوزة حد الاعتدال لانه
شامل لطرفي الافراط والتفريط وان كان قد يختص بطرف الافراط ثم يجعل مقابلا للتقصير ولعل المراد ههنا هو الاول فان اليهود فرطوا فيه حيث نسبوه الى الزنا وكذبوه
والنصارى افرطوا فيه حيث ادعوا فيه الالهية قال في الكشاف قوله غير الحق صفة للمصدر اي غلوا غير الحق وتقرير القول ان الغلو في الدين غلوان حق
وهو ان يبالغ في تقرير الحق وتوضيحه واستكشاف حقائقه وباطل وهو ان يتبع الشبهات على حسب الشهوات والثاني منهي عنه دون الاول واقول لما كان الغلو
مجاوزة الحد وكل شيء جاوز حده انقلب الى ضده فكيف يتصور غلو حق ولله در القائل كلا طرفي قصد الامور ذميم فالاصوب ان يقال انتصب غير الحق على انه
صفة قائمة مقام المصدر اي لا تغلوا غلوا كقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين اي فسادا وكقولهم تعالجا بيا وقم قائما ولو سلم ان المصدر محذوف كان غير الحق
صفة مؤكدة مثل نفخة واحدة وامس الدابر لا صفة مميزة قالهم ولا تتبعوا اهواء قوم هي المذاهب التي تدعو اليها الشهوة دون الحجة قال الشعبي ما ذكر الله
لفظ الهوى في القرآن الا ذمه ولا تتبع الهوى فيضلك وما ينطق عن الهوى افرأيت من اتخذ الهه هواه قال ابو عبيد لم نجد الهوى يوضع الا في الشر لا يقال
فلان يهوى الخير انما يقال يريد الخير ويحبه وقيل سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار ان رجلا قال لابن عباس الحمد لله الذي جعل هواي على هواك فقال ابن عباس كل
هوى ضلالة قد ضلوا من قبل يعني في النصرانية واليهودية قبل مبعث النبي واضلوا كثيرا ممن شايعهم على التثليث او التفريط في شأن مريم وابنها وضلوا



عن سواء السبيل عند مبعث النبي ﷺ فكذبوه والغرض بيان استمرارهم على الضلال قديما وحديثا وقيل الضلال الاول عن الدين والضلال الثاني عن الجنة
وقيل الضلال الثاني اعتقادهم في ذلك الاضلال انه ارشاد الى الحق لعن الله في الزبور على لسان داود وفي الانجيل على لسان عيسى بن مريم بغيرهم حيث ادعوا انهم
اولاد الانبياء وقد لعنوا على السنتهم وقال كثير من المفسرين ان اصحاب ايلة كما سيجيء في الاعراف لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم اية
فمسخوا قردة وان اصحاب المائدة لما اكلوا منها ولم يؤمنوا قال عيسى اللهم العنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم
امرأة ولا صبي وعن الاصم ان داود وعيسى بشرا بمحمد ﷺ ولعنا من يكذبه وذلك اللعن بسبب عصيانهم واعتدائهم ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله كانوا لا يتناهون
التناهي مجيء احدهما وعليه الجمهور انه تفاعل من النهي اي كانوا لا ينهى بعضهم بعضا عن ابن مسعود ان النبي ﷺ قال من رضي عمل قوم فهو منهم ومن كثر سواد قوم
فهو منهم وذلك ان في التناهي المامور به حسم الفساد فكان تركه اخلالا به معصية وظلما والثاني انه بمعنى الانتهاء اي لا يمتنعون ولا ينتهون والمراد لا يتناهون
عن معاودة منكر فعلوه لان النهي بعد الفعل لا يفيد والمراد لا يتناهون عن منكر ارادوا فعله واحضروا الاته او لا ينتهون ولا ينهون عن الاصرار على منكر
فعلوه ثم تعجب سوء فعلهم مؤكدا بالقسم المصدر فقال لبئس ما كانوا يفعلون ثم لما وصف اسلافهم بما وصف شرع في نعت الحاضرين وانهم كثيرا منهم يتولون
المشركين المراد كعب بن الاشرف واصحابه حين استجاشوا المشركين على رسول الله ﷺ وقد مر في سورة النساء عند قوله هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا لبئس ما قدمت
لهم انفسهم من العمل لمعادهم ومحل ان سخط رفع على انه مخصوص بالذم اي لبئس الزاد الى الاخرة سخط الله يعني موجب سخط الله وسببه ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وهو موسى وما
انزل الله في التوراة كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء لان تحريم ذلك متاكد في شرع غير موسى ولكن كثيرا منهم فاسقون في دينهم لان مرادهم تحصيل الرياسة
والجاه باي طريق قدروا عليه لا تقرير دين موسى ويحتمل انه اراد ولو كان هؤلاء اليهود المنافقون مؤمنين بالله وبمحمد والقرآن يقينا ما اتخذوا المشركين
اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم فلهذا يتولون المشركين وقال القفال ولو ان هؤلاء المشركين يؤمنون بالله وبمحمد ما اتخذهم اليهود
اولياء ثم وصف شدة شكيمة اليهود ولين عريكة النصارى فقال لتجدن يا محمد او كل من له اهلية الخطاب اشد الناس عداوة وقد تعلقت بها اللام في قوله
للذين امنوا كما تعلقت بالمودة فيما بعد ظاهر الاية يدل على ان اليهود في غاية العداوة للمسلمين كيف لا وقد نبه على قدمهم في العداوة بتقديمهم على الذين
اشركوا وفي النبي ﷺ ما خالط يهودي بمسلم الا هم بقتله لكنه روي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء والسدي ان المراد النجاشي وقومه الذين قدموا من الحبشة على
على رسول الله ﷺ وامنوا به لم يرد جميع النصارى مع ظهور عداوتهم للمسلمين وقال الامام مذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال الشر الى من يخالفهم في الدين باي طريق
كان بالقتل او غصب المال او بوجوه المكايد والحيل وليس النصارى مذهبهم ذلك بل الايذاء في دينهم حرام وهذا هو وجه التفاوت بالعداوة والمودة وقد
اكد ذلك بوصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب في الاية من الفائدة ان التمرد والمعصية عادتهم فتفرغ قلبك يا محمد ولا تبال بمكرهم ولا تحزن على كيدهم ثم ذكر
سبب ذلك التفاوت فقال ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا اتى العشق والقسيس اسم لرئيس النصارى في العلم والدين وكانه من القس وهو تتبع الشيء وطلبه قال
قطرب هو العالم بلغة الروم وهذا مما وقع فيه التوافق بين اللغتين قال عروة بن الزبير ضيعت النصارى الانجيل وادخلت فيه ما ليس منه وبقي واحد من علمائهم
على الحق والدين يسمى قسيسا من كان على هديه ودينه فهو قسيس والرهبان جمع راهب كركبان وفرسان في راكب وفارس وقيل انه واحد وجمعه رهابين كقربان و
قرابين كفرابن وخرابين ولكن النظم يأباه واصله من الرهبة بمعنى الخوف من الله تعالى وانما صارت الرهبانية ممدوحة في مقابلة قساوة اليهود وغلظتهم والا
فهي مذمومة في نفسها لقوله تعالى ورهبانية ابتدعوها ولقوله ﷺ لا رهبانية في الاسلام وههنا نكتة هي ان كفر النصارى من حيث انهم يتنازعون في الالهيات
والنبوات جميعا اغلظ في الحقيقة من كفر اليهود لانهم لا يتنازعون الا في النبوات لا بعضهم القائلين بان عزير ابن الله ثم ان النصارى لما لم يشتد
حرصهم على طلب الدنيا وعلى الحيوة واقبلوا على العلم والبراءة من الكبر خصهم الله تعالى بالمدح وذم اليهود حيث قال ولتجدنهم احرص الناس على حيوة
غلت ايديهم فتبين صحة قوله ﷺ حب الدنيا راس كل خطيئة قال ابن عباس كان رسول الله ﷺ خاف على اصحابه من المشركين فبعث جعفر بن ابي طالب وابن مسعود
في رهط من اصحابه الى النجاشي وقال انه ملك صالح لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فلما وردوا عليه اكرمهم وقال لهم
هل تعرفون شيئا مما انزل عليكم قالوا نعم فقرأوا وحوله القسيسون والرهبان فكلما قرأوا اية انحدرت دموعهم مما عرفوا من الحق وقال الاخرون فلما قدم جعفر بن
ابي طالب من الحبشة هو واصحابه قدم معهم سبعون رجلا بعثهم النجاشي وفدا الى الرسول ﷺ عليهم ثياب الصوف اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل
الشام وهم بحيرا الراهب وابرهة وغيرهما فقرأ عليهم رسول الله ﷺ سورة يس الى اخرها فبكوا وامنوا فنزلت والخطاب في ترى لكل راء وقد وضع الفيض
الذي هو مسبب الامتلاء موضع الامتلاء واصله تمتلي من الدمع حتى تفيض لان الفيض بعد الامتلاء ويحتمل ان يكون الدمع مصدرا ومعناه
وقصد المبالغة وصفهم بالبكاء كان الاعين تفيض بانفسها ومعنى مما عرفوا من الحق اي مما نزل على محمد وهو الحق من الاولى لابتداء الغاية على
ان فيض الدمع نشأ من معرفة الحق والثانية للبيان ويحتمل التبعيض يعني انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف لو عرفوا كله واحاطوا بالسنة
ربنا امنا المراد انشاء الايمان لا الاخبار وعنه يا كتبنا مع الشاهدين مع امة محمد ﷺ وقد مر مثله في ال عمران وما لنا انكار واستبعاد لانتفاء
الايمان مع حصول موجبه هو الطمع في انعام الله عليهم بادخالهم دار ثوابه مع الصالحين قالوا ذلك في انفسهم او فيما بينهم او في جواب قوم من جنسهم
رجعوا اليهم ولاموهم ومحل لا نؤمن نصب على الحال نحو ما لك قائما والعامل فيه معنى الفعل اي ما نصنع غير مؤمنين وهو العامل ايضا في ونطمع
لكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو حذفتها وقلت ما لنا ونطمع لا حسن ويحتمل ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن كانهم انكروا ان لا يوحدوا

الله وهم يطمعون في الثواب وان يكون عطفا على لا نؤمن اي ما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع او ما لنا لا نجمع بين الايمان وبين الطمع فاثابهم الله
بما قالوا ظاهره يدل على انهم انما استحقوا الثواب بمجرد القول لكن فيما سبق من وصفهم بمعرفة الحق ما يدل على خلوص عقيدتهم فلا جرم لما انضاف اليه القول
كمل الايمان ويحتمل ان يكون ماخوذا من قولك هذا قول فلان اي اعتقاده ومذهبه روى عطاء عن ابن عباس ان المراد بما سئلوا من قولهم فاكتبنا مع الشاهدين
قال اهل السنة فيه دليل على ان المعرفة مع الاقرار يوجب حصول الثواب وصاحب الكبيرة له المعرفة والاقرار والايمان يؤول حاله الى هذا الثواب والمعتزلة سلموا ان
الاقرار مع المعرفة يوجب الثواب لكن بشرط عدم الاحباط التاويل لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل مع ذرات ذريات آدم ثم وارسلنا اليهم رسلا بالانبياء
في عالم الشهادة ومن لوازمات الروحانية في عالم الغيب فريقا كذبوا يعني الالهامات والواردات وفريقا يقتلون في عالم الحس لقد كفر الذين قالوا النصارى
ارادوا ان يسلكوا طريق الحق بقدم العقل فتاهوا في اودية الشبهات وامة محمد سلكوا الطريق باقدام جذبات الالوهية علما وفي المتابعة الحبيبية فاسقط عنهم
براهين الوصال كلفة الاستدلال ولهذا كان الشبلي يغسل كتبه بالماء ويقول نعم الدليل انت لكن الاشتغال بالدليل بعد الوصول الى المدلول محال
فيحقق لهم ان عيسى بعد التزكية والتحلية صار قابلا للفيض الالهي فكان يخلق ما يخلق ويفعل ما يفعل باذن الله كما ان المرآة المحرقة تحرق بما قبل من فيض
الشمس انه من يشرك بالله ظاهرا فقد حرم الله عليه الجنة ومن يشرك به باطنا حرم عليه القربة على لسان داود وعيسى ابن مريم هذا سر الخلافة فان الانسان الكامل
المستحق للخلافة بقوله يقول الحق ورده رد الحق لا يتناهون عن منكر سمي المعصية منكرا لان الاثر يوجب النكرة كما سمي الطاعة معروفا لانها توجب المعرفة ذلك
بان منهم قسيسين ورهبانا يعني ان تعارف الارواح يوجب ائتلاف الاشباح فالنصارى ببركة علمائهم وعبادهم وصفاء قلوبهم وخضوعهم تبليغهم كفراهم
والمودة من اهل الايمان وعرفوا الحق الذي سمعوه في الازل يوم الميثاق فامنوا وذلك جزاء المحسنين الذين يعبدون الله وبيانه هذه بلوايح المعرفة وطوالع
المحبة في الاحسان ان

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ع

تعبد الله كانك تراه — ای زمره آنهانکه گرویده اید حرام مسازید پاکیزهای آنچه را که حلال کرد خدا از برای شما و از حد مگذرید بدرستی که خدا دوست ندارد از حد گذرندگان را

وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ۝ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

و بخورید از آنچه روزی کرد شما را خدا حلال و پاکیزه و بپرهیزید خدا را آنکه اید او را بآن ایمان آورده اید نمیگیرد شما را خدا بواسطه بیهوده در سوگندهای شما

وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ

و لکن میگیرد شما را بآنچه بسته باشید سوگندان پس کفاره آن طعام دادن ده نفر بینوا است از میانه آنچه میخورانید اهل خود را یا پوشش ایشان

أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ

یا آزاد کردن بنده است پس هر که نیافت پس روزه سه روز است این است کفاره سوگندهای شما چون سوگند یاد کردید و نگاه دارید سوگندهای خود را

كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ

اینچنین ظاهر کرداند خدا از برای شما آیات خود را شاید که شما سپاس کنید ای زمره آنهانکه گرویده اید جز این نیست که شراب و قمار و بتان و تیرهای قمار

رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ

پلید اند از کرده شیطان اند پس دور شوید از آن شاید که رستگار شوید جز این نیست که میخواهد شیطان که بیندازد در میان شما دشمنی را

وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ۝ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَ

و کینه را در خمر و قمار و بازدارد شما را از یاد آوری خدا و از نماز پس آیا شما بازدارندگانید و پیروی کنید خدا را و

أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ

پیروی کنید پیغمبر را و بپرهیزید پس اگر برگشتید پس بدانید که جز این نیست که بر پیغمبر ما است رسانیدن ظاهر نیست بر آنها که گرویدند و

عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا

کردند شایستها باکی در آنچه خوردند چون بپرهیزند و گرویدند و کردند شایستها پس پرهیزکردند و گرویدند پس پرهیز کردند

وَأَحْسَنُوا ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ ع

و خوبی کردند و خدا دوست دارد خوب کاران را ای زمره آنهانکه گرویده اید هر آینه بیازماید شما را خدا بچیزی از شکار که گرفته باشند آنرا دستهای شما

وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

و نیزهای شما تا بداند خدا که کیست آنکه میترسد او را در نهان پس هر که از حد گذشت پس از این پس مر او راست عذاب دردناک ای زمره آنهانکه گرویده اید

لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ

مکشید شکار را و شما احرام بسته اید و هر که کشت آنرا از شما از روی عمد پس جزای او مانند آنست که کشت از چارپایان حکم کنند بدان دو صاحب عدل

مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ۗ عَفَا اللَّهُ

از شما قربانی رسنده بکعبه یا کفاره که طعام دادن چند فقیر است یا عدل آن روزه داشتن تا بچشد وبال امر خود را درگذرد خدا



عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام احل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم و

از آنچه گذشته و هرکه باز گردد پس انتقام کشد خدا از او و خدا غالب صاحب انتقام است حلال شد از برای شما شکار دریا و طعام آن بهره از برای شما و

للسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة

کاروانان و حرام کردید بر شما شکار دشت ما دامیکه احرام بسته اید و بپرهیزید خدائی را که بسوی او گرد آیید قرار داد خدا کعبه را

البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات

که خانه احترام است سبب ایستادن مر مردمان را و ماه حرام را و قربان و گردن بندان را اینها برای آنست که بدانید که خدا میداند آنچه را که در آسمانهاست

وما في الارض وان الله بكل شيء عليم اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم

و آنچه در زمین است و آنکه خدا هر چیزی داناست بدانید که خدا سخت عقوبت است و آنکه خدا آمرزنده مهربانست

ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي الخبيث

نیست بر پیغمبر بجز رساندن و خدا میداند آنچه را که ظاهر میسازید و آنچه را که پنهان دارید بگو که یکسان نیست ناپاک

والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا اولي الالباب لعلكم تفلحون القراءة بما

و پاک و هر چند که بشگفت آرد ترا بسیاری ناپاک پس بپرهیزید خدا را ای صاحبان خرد شاید که شما رستگار شوید عقدتم بالتخفيف

حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص والمفضل وقرأ ابن ذكوان عاقدتم بالالف الباقون عقدتم بالتشديد جهن وصط مثل مبسوطتان فجزاء بالتنوين مثل بالرفع يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم عن المفضل كفارة طعام بالاضافة ابو جعفر ونافع وابن عامر الباقون كفارة بالتنوين طعام بالرفع فيما يغيره لغة ابن عامر الوقوف ولا تعتدوا المعتدين طيبا لعطف المتفقين مؤمنون الايمان لاختلاف النظم مع اتحاد الكلام وفاء التعقيب ثلثة ايام حلفتم للاضمار اي حلفتم وحنثتم ايمانكم تشكرون تفلحون وعن الصلوة لابتداء الاستفهام لاجل التخليه مع دخول الفاء فيه منتهون واحذروا المبين واحسنوا المحسنين بالغيب اليم وانتم حرم وبال امره سلف منه انتقام وللسيارة لطول الكلام وتضاد المعنيين وان اتفقت الجملتان لفظا حرما لاطلاق الامر بالابتلاء تحشرون والقلائد عليم رحيم البلاغ تكتمون كثرة الخبيث لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض تفلحون التفسير انه سبحانه بعد استقصاء المناظرة مع اهل الكتابين عاد الى بيان الاحكام فبدأ بحل المطاعم والمشارب واستيفاء اللذات كيلا يتوهم متوهم ان مدح القسيسين والرهبان يوجب ايثار طريقتهم في هذا الدين قال المفسرون جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فذكر الناس ووصف القيامة ولم يزدهم على التخويف فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمن بن مظعون منهم ابو بكر وعلي وابن مسعود وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فاتفقوا على ان يصوموا النهار ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ويلبسوا المسوح ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ويجبوا المذاكير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال اني لم اؤمر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم ومن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وصوموا رمضان فانما هلك من قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في الديار والصوامع فانزل الله هذه الاية فقالوا يا رسول الله فكيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه فنزلت لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فهذا وجه اتصال الايات فان قيل ما الحكمة في قوله لا تحرموا ومن المعلوم ان توسع الانسان في اللذات والطيبات يمنعه عن الاستغراق في تحصيل السعادات الباقيات ولهذا قالت الحكماء اذا اشبعت الاجسام ضاقت الارواح لجسادا واذا جاعت الاجسام صفت الاجساد ارواحا قلنا ان الرهبانية المفرطة مما توقع الافة في الاعضاء الرئيسية التي هي القلب والكبد والدماغ والانثيان فيختل الفكر ويقل التامل في الجواهر الروحانية ومبادئها على ان النفوس القوية لا يمنعها التصرف في الجسمانيات عن التامل في الروحانيات فالرهبانية دليل الضعف والقصور والكمال في التوفيق بينهما وكيف لا والرهبانية توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل وترك الترهب مع رعاية وظائف الطاعة يفضي الى سعادة الدارين قال القفال انه تعالى قال في اول السورة اوفوا بالعقود فبين انه كما لا يجوز تحليل المحرم لا يجوز تحريم المحلل وذلك انهم كانوا يحللون الميتة والدم ويحرمون البحائر والسوائب ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم ما احل الله ولا تظهروا بالقول تحريمها ولا تجتنبوها اجتنابا يشبه اجتناب المحرمات فهذه الوجوه محمولة على الاعتقاد والقول والعمل ويحتمل ان يراد لا تحرموا على غيركم بالفتوى ولا تلتزموا تحريمها بنذر او يمين كقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك او لا تخلطوا المملوك بالمغصوب الظاهر بالنجس خلطا لا يبقى التمييز فانه تحريم للكل والطيبات المستلذات التي تشتهيها النفوس وتميل اليها القلوب ثم نهى عن الاعتداء مطلقا ليدخل تحته النهي عن الاسراف كقوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا وكلوا امر اباحة وتحليل مما رزقكم الله في مقابل التبعيض ارشاد الى الاقتصاد والاقتصار في الاكل على البعض وصرف الباقي الى المحتاجين وفيه انه تشبه هو الذي بزق عبده وتكلفه رزقهم قال في التفسير الكبير قوله

حلالا طيبا ان كان متعلقا بالاكل كان حجة للمعتزلة على ان الرزق لا يكون الا حلالا لانه يدل على الاذن في اكل كل ما رزق الله تعالى وانما ياذن في اكل الحلال
فيلزم ان يكون كل رزق حلالا وان كان متعلقا بالماكول اي كلوا من الرزق الذي يكون حلالا كان حجة لاصحابنا لان التقييد يوذن بان الرزق قد لا
يكون حلالا اقول هذا فرق ضعيف ولهذا قال في الكشاف حلالا حال مما رزقكم الله مع انه من المعتزلة ثم اكد التوصية بقوله واتقوا الله وزاد تاكيدا
بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في اوامره ونواهيه ثم قال لا يؤاخذكم وقد ذكرنا وجه النظم ههنا وقد تقدم معنى يمين اللغو
في سورة البقرة اما قوله بما عقدتم الايمان فمن قرأ بالتخفيف فانه صالح للقليل والكثير فلا اشكال ومن قرأ بالتشديد فان ابا عبيدة اعترض عليه
بان التشديد للتكثير فهذه القراءة توجب سقوط الكفارة عن اليمين الواحدة واجاب الواحدي بان عقد بالتخفيف وعقد بالتشديد واحد في المعنى
ولو سلم فالتكثير يحصل بان يعقدها بقلبه ولسانه اما لو عقد اليمين باحدهما دون الاخر فلا كفارة ومن قرأ بالالف فيحتمل القراءة المحققة كقولك
عاقبت اللص وعافاه الله والمعنى على القراءات لكن يؤاخذكم بعقد الايمان وبتعقيدها او معاقدتها اذا حنثتم فحذف الظرف للعلم والمراد بنكث معقدها
فحذف المضاف فكفارته اي الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة اي تسترها احد هذه الامور وتسمى بالواجب المخير وحاصله انه لا يجب الاتيان بكل واحد
منها ولا يجوز الاخلال بجميعها ولكنه اذا اتى باي واحد شاء منها فانه يخرج عن العهدة ومن هنا قال اكثر الفقهاء الواجب واحد لا بعينه من الاطعام والكسوة
والتحرير فان عجز عنها جميعا فالواجب شيء اخر وهو الصوم اما مقدار الطعام فقد قال الشافعي يصيب كل مسكين مد اي ثلث امن وهو قول ابن عباس
وزيد بن ثابت وسعيد بن المسيب والحسن والقاسم لانه تعالى قال من اوسط ما تطعمون فان كان المراد ما كان متوسطا في العرف فثلث امن من الحنطة اذا جعل
دقيقا وخبزا فانه يصير قريبا من من وذلك كاف للواحد في يوم واحد وان كان المراد ما كان متوسطا في الشرع فليس له في الشرع مقدار الا ما جاء في قصة
الاعرابي المفطر ان النبي ﷺ امره باطعام ستين مسكينا من غير مقدار فقال الرجل ما اجد فاتي النبي ﷺ بعرق فيه خمسة عشر صاعا فقال النبي ﷺ اطعم هذا وذلك
يدل على تقدير طعام المسكين بربع الصاع وهو مد ولا يلزم كفارة الحلق لانها شرعت بلفظ الصدقة مطلقة عن التقدير باطعام الاهل فكان تكفيرها
معتبرا بصدقة الفطرة وقد ثبت بالنص تقديرها بالصاع لا بالمد وقال ابو حنيفة الواجب نصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها قال لان الاوسط
هو الاعدل وما ذكره الشافعي هو ادنى ما يكفي واما الاعدل فيكون بادام وهكذا روي عن ابن عباس مد بادامه والادام ثلث وقيمته مد اخر ويزيد في الاداء
اجاب الشافعي ان الادام غير واجب بالاجماع فلم يبق الا حمل اللفظ على التوسط في قدر الطعام ومقداره ما ذكرنا وجنس الطعام المخرج جنس الفطرة
ثم قال الشافعي الواجب تمليك الطعام قياسا على الكسوة وقال ابو حنيفة اذا غداهم وعشاهم عشرة مساكين جاز لان ذلك اطعام ولان اطعام الاهل
يكون بالتمكين لا بالتمليك وقد قال من اوسط ما تطعمون اهليكم ولقائل ان يقول ذكر اطعام الاهل لتعيين مقدار المطعم لا لاجل كيفية الاطعام
وقال ابو حنيفة لو اطعم مسكينا واحدا عشر مرات جاز وقال الشافعي لا يجزي الا اطعام عشرة لان مدار الباب على التعبد لانه لا يعقل معناه فيجب التوقف
على مورد النص قال في الكشاف او كسوتهم عطف على محل من اوسط ووجهه بان البدل هو المقصود فكانه قيل فكفارته من اوسط واقول الاظهر ان يكون من
اوسط مفعولا اخر للاطعام سواء كان من للابتداء او للتبعيض ويكون كسوتهم معطوفا على الاطعام والكسوة معناها اللباس وهو كل ما يكتسى به قال الشافعي
يجزي في الكفارة اقل ما يقع عليه اسم الكسوة وهو ثوب يغطي العورة ازار او رداء او قميص او سراويل او عمامة او مقنعة لكل مسكين ثوب واحد لما روي عن ابن عباس
كانت العباءة تجزي يومئذ وعن مجاهد ثوب جامع وقال الحسن ثوبان ابيضان والمراد بالرقبة الجملة كان الاسير في العرب يجمع يداه الى رقبته فاذا اطلق حل
ذلك الحبل فسمي الاطلاق من الحبل فك رقبة ثم اجري ذلك على العتق هكذا قيل في اصل هذا المجاز ومذهب اهل الظاهر ان جميع الرقاب يجزئه وقال الشافعي
لا يجزي الا كل سليمة من عيب يخل بالعمل صغيرة كانت او كبيرة ذكرا او انثى بعد ان كانت مؤمنة قياسا على كفارة القتل ولم يجوز اعتاق المكاتب ولا شراء
القريب وفي تقديم الاطعام على العتق مع ان العتق افضل تنبيه على التخيير وان الامر مبني على التخفيف ويمكن ان يقال الاطعام افضل لان الحر الفقير قد لا
يجد الطعام ولا يكون هناك من يعطيه فيقع في الضر اما العبد فيجب على مولاه اطعامه وكسوته فالعتق يحتمل التاخير والاطعام قد لا يحتمل ذلك فمن لم يجد
احد الامور الثلاثة فصيام اي فعليه صيام ثلاثة ايام قال الشافعي اذا وجد قوت نفسه وقوت عياله يومه وليلته ومن الفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمه
الكفارة بالاطعام وان لم يكن عنده ذلك القدر جاز له الصيام وذلك انه علق جواز الصيام على عدم وجدان الخصال الثلاث فعند وجدانها وجب ان
لا يجوز الصوم تركنا العمل به عند وجدان قوت نفسه وقوت عياله يوما وليلة لان ذلك ضروري وتقديم حق النفس على حق الغير واجب شرعا فبقي
الاية معمولا بها في غيره وعند ابي حنيفة يجوز الصيام اذا كان عنده من المال ما لا يجب فيه الزكوة ثم صيام الايام الثلاثة مشروط عند ابي حنيفة بالتتابع
تمسكا بقراءة ابي وابن مسعود فصيام ثلاثة ايام متتابعات فان قراءتهما لا تتخلف عن روايتهما وقال الشافعي في اصح قوليه التفريق جائز والقراءة الشاذة
لا تعتبر لانها لو كانت صحيحة لنقلت نقلا متواترا وقد روي عن النبي ﷺ ان رجلا قال له علي ايام من رمضان افيقضيها متفرقات فقال له ارايت لو كان عليك
دين فقضيت الدرهم فالدرهم اما كان يجزيك قال بلى فالله احق ان يعفو ويصفح واذا جاز هذا في قضاء صوم رمضان ففي غيره اولى وحاصله ان العبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب مسئلة من صام ستة ايام عن يمينين اجزأه ولا حاجة الى تعيين احد الثلاثين لان الواجب عن كل ثلاثة ايام وقد اتى بها فخرج
عن العهدة ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم فحذف ذكر الحنث للعلم بان الكفارة لا تجب بمجرد الحلف وللتنبيه على ان الكفارة لا يجوز تقديمها
على اليمين واما بعد اليمين وقبل الحنث فيجوز عند مالك والشافعي واحمد لقوله ﷺ اني لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا فاكفر عنها

احكام اليمين

ثم ائت بالذى هو خير ولان الكفارة حق مالى يتعلق بسببين فجاز تعجيله بعد وجود احد السببين كتعجيل الزكوة بعد وجود النصاب هذا اذا كان يكفر بغير
الصوم اما الصوم فلا يجوز تقديمه لان العبادات البدنية لا تقدم على وقتها اذ لم يمس اليه حاجة كالصلوة وصوم رمضان ولان الصوم انما يجوز التكفير
به عند العجز عن جميع الخصال المالية وانما يتحقق العجز بعد الوجوب ان كان الحنث بارتكاب محظور كان حلف ان لا يشرب الخمر اجزاء التكفير قبل الشرب
ايضا لوجود السببين والتكفير لا يتعلق به استباحته ولا تحريم بل المحلوف عليه حرام قبل اليمين وبعدها وقبل التكفير وبعده لا اثر لهما فيه جميع ما
ذكرنا ظاهر مذهب الشافعى اما عند ابى حنيفة واصحابه فلا يجوز التكفير قبل الحنث مطلقا واحفظوا ايمانكم فلا تبذلوها ولا تكثروا منها واحفظوها اذا حلفتم
عن الحنث وعلى هذا يكون الايمان مختصة بالتى الحنث فيها معصية كمن حلف ان لا يشرب الخمر بخلاف ما لو حلف ليشربن فانه لا يؤمر بالحفظ عن الحنث
وقيل احفظوها بان تكفروها او المراد لا تنسوها تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان الشافى يبين لكم اياته احكامه واعلام شريعته لعلكم تشكرون
نعمة البيان وتسهيل المخرج من الحرج ثم انه سبحانه استثنى من جملة الامور المستطابة الخمر والميسر وقد تقدم معناهما وما يتعلق بهما فى سورة البقرة وسلك
فى سلك التحريم الانصاب والازلام وقد ذكرناهما فى اول هذه السورة واعلم انه كانت تحدث قبل تحريم الخمر اشياء يكرهها رسول الله صلعم منها قصة على ابن ابى طالب
كرم الله وجهه مع عمه حمزة على ما روى فى الصحيحين انه قال كانت لى شارف من نصيبى من المغنم يوم بدر وكان رسول الله صلعم اعطانى شارفا من الخمس فلما
اردت ان ابنى بفاطمة بنت رسول الله صلعم واعدت رجلا صواغا من بنى قينقاع ان يرتحل معى فنأتى باذخر اردت ان ابيعه من الصواغين فاستعين به فى وليمة
عرسى فبينا انا اجمع لشارفى متاعا من الاقتاب والغرائر والحبال وشارفاى مناختان الى جنب حجرة رجل من الانصار اقبلت فاذا انا بشارفى قد جبت
اسنمتهما وبقرت خواصرهما واخذ من اكبادهما فلم املك عينى حين رايت ذلك المنظر قلت من فعل هذا قالوا فعله حمزة بن عبد المطلب وهو فى البيت فى شرب
من الانصار غنته قينة فقالت فى غنائها الا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالفناء ضع السكين فى اللبات منها فضرجهن حمزة بالدماء وأطعم من
شرائحها كبابا ملوحة على وهج الصلاء فانت ابا عمارة المرجى لكشف الضر عنا والبلاء فوثب الى السيف فاجب سنمتهما وبقر خواصرهما واخذ من اكبادهما
قال على رضى الله عنه فانطلقت حتى ادخل على النبى صلعم وعنده زيد بن حارثة فعرف رسول الله صلعم الذى لقيت فقال ما لك فقلت يا رسول الله صلعم ما رايت
كاليوم عدا حمزة على ناقتى فاجب سنمتهما وبقر خواصرهما وها هو ذا فى بيت معه شرب قال فدعا رسول الله صلعم بردائه ثم انطلق يمشى واتبعت اثره
انا وزيد بن حارثة حتى جاء البيت الذى فيه فاستاذن فاذن له فاذا هم شرب فطفق رسول الله صلعم يلوم حمزة فيما فعل فاذا حمزة ثمل محمرة عيناه فنظر الى رسول
الله صلعم ثم صعد النظر فنظر الى وجهه ثم قال هل انتم الا عبيد لابى فعرف رسول الله صلعم انه ثمل فنكص على عقبيه القهقرى فخرج وخرجنا فكانت هذه القصة من الاسباب
الموجبة لنزول تحريم الخمر قال العلماء هذه الاية تدل على تحريمها من وجوه منها تصدير الجملة بانما الدالة على الحصر معناه ليست الخمر الا رجسا من عمل الشيطان
ومنها انه قرنها بعبادة الاصنام ومنه قوله صلعم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلها رجسا كما قال فى موضع اخر فاجتنبوا الرجس من الاوثان واصل الرجس
العمل القبيح والقذر قال الفراء ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون اى العقاب والغضب كانه مثل الرجز والرجس بالفتح الصوت الشديد من الرعد
ومن هدير البعير فلهذا سمى العمل القوى الدرجة فى القبح رجسا ومنها انه جعلها من عمل الشيطان ومن المعلوم انه لا يصدر منه الا الشر البحت ومنها انه
امر بالاجتناب فى ظاهر الامر للوجوب ومنها انه جعل الاجتناب منه من الفلاح فيكون القرب منها خيبة والضمير فى فاجتنبوه عائد الى الرجس او العمل
او الى المضاف المحذوف اى تعاطى الخمر ونحو ذلك ومنها شرح انواع المفاسد المنتجة منها من التعادى والتباغض والصد عن ذكر الله وعن الصلوة
خصوصا وفيه ان غرض الشرب من الاجتماع تأكد الالفة والمودة ثم انها تورث نقيض المقصود لان العقل اذا زال استولت الشهوة والغضب ويؤدى الى التنازع
واللجاج وكذا القمار يفضى الى افناء المال والى ان يقامر على الحبيبة اهله وولده وكل ذلك يورث لذة الغلبة الخيالية وكلتاهما توجب الاشتغال عن اللذات
الحقيقية الحاصلة من الاستغراق فى طاعة المعبود وانما افرد ذكر الخمر والميسر ثانيا لان الخطاب مع المؤمنين فقرنهما اولا بذكر الانصاب والازلام تنبيها على
انهما جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك ثم افردهما لان الكلام مسوق لتحريمهما على المخاطبين حيث انهم كانوا لا يتعاطون سوى هذين ومنها سوق الكلام
بطريق الاستفهام فى قوله فهل انتم منتهون كانه قيل قد تلى عليكم ما هو كاف فى باب المنع فهل انتم مع هذه الصوارف منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم تزجروا
ولهذا قال الواقد انتهينا يا رب ففهموا التحريم المؤكد ومنها انه قال عقيب ذلك واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا والظاهر ان المراد الطاعة فيما تقدم
من الامر بالاجتناب والحذر عن المخالفة فى ذلك الباب ومنها تهديد من خالف هذا التكليف بقوله فان توليتم الاية والمراد ان اعرضتم فالحجة قد قامت
عليكم والرسول قد خرج عن عهدة البلاغ وقد اعذر من انذر وجزاء المخالف الى الله المقتدر عن انس قال كنت ساقى القوم يوم حرمت فى بيت ابى طلحة
وما شرابهم الا الفضيخ البسر والتمر فاذا مناد ينادى الا ان الخمر قد حرمت قال فجرت فى سكك المدينة فقال ابو طلحة اخرج فاهرقها فهرقتها فقالوا وقال
فلان وهى فى بطونهم فانزل الله تعالى ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الطعم خلاف الشرب فى الاغلب وقد يقع على المشروب كقوله
ومن لم يطعمه فانه منى فيجوز ان يكون المراد فيما شربوا من الخمر ويحتمل ان يكون معنى الطعم راجعا الى التلذذ بما يؤكل ويشرب جميعا فقد يقول العرب طعم اى
ذق ونظير هذه الاية قوله فى نسخ القبلة وما كان الله ليضيع ايمانكم والعامل فى اذا ما اتقوا معنى الكلام المتقدم اى لا يأثمون فى ذلك اذا اتقوا المحرمات
لانهم شربوها حين كانت محللة والمراد انهم كانوا على هذه الصفة وهو ثناء عليهم وحمد لاحوالهم فى الايمان والتقوى والاحسان وزعم بعض
الجهلة ان هذا الحكم متعلق بالمستقبل والا لم يكن وما كان جناح مثل وما كان الله ليضيع والمعنى لا جناح على من طعمها اذا لم يحصل معه العداوة

والبغضاء وسائر المفاسد المذكورة بل يحصل معه أنواع المصالح من الطاعة والتقوى والإحسان إلى الخلق والجواب أن صيغة طعموا وهي للمضي تأباه وإنما
ان سبب نزول الآية بكذا يرويه أبو بكر الأصم انه لما نزل تحريم الخمر قال أبو بكر يا رسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وأكلوا القمار
وكيف بالغائبين عنا في البلدان لا يشعرون بتحريم الخمر وهم يطعمونها فنزلت وعلى هذا فالحل قد ثبت فيما يستقبل الكون في حق الغائبين الذين لم يبلغهم هذا النص
ثم إنه سبحانه شرط في نفي الجناح حصول التقوى والإيمان مرتين وفي الثالثة التقوى والإحسان فقال الأكثرون الأول عمل الاتقاء والثاني دوام الثبات
عليه والثالث الاتقاء من ظلم العباد مع الإحسان إليهم وقيل الأول اتقاء جميع المعاصي قبل نزول الآية والثاني اتقاء الخمر والميسر وما في هذه الآية والثالث اتقاء ما يحدث
تحريمه بعد هذه الآية وهذا قول الأصم وقيل اتقوا الكفر ثم الكبائر ثم الصغائر وقال القفال الأول الاتقاء من القدح في صحة النسخ لثبوت تحريم الخمر بعد أن كانت
مباحة والثاني الإتيان بالعمل المطابق للآية والثالث المداومة على التقوى مع الإحسان إلى الخلق ثم إنه سبحانه سيبتلي بعض القوم من المحللات فقال ليبلونكم اللام
للتوكيد القسمي ليبلونكم أي ليعاملنكم معاملة المختبر بشيء التنوين للتحقير وفيه أنه ليس من الفتن العظام التي تدحض عندها الأقدام كالابتلاء ببذل الأرواح
والأموال فامتحن الله أمة محمد بصيد البر كما امتحن أصحاب أيلة بصيد البحر قال مقاتل بن حيان ابتلاهم بالصيد وهم محرمون عام الحديبية حتى إن الوحش
والطير يغشاهم في رحالهم فيقدرون على أخذها بالأيدي وصيدها بالرماح وما رأوا مثل ذلك قط فنهاهم الله عن ذلك ابتلاء قال الواحدي الذي تناله
أيديهم من الصيد الفراخ والبيض وصغار الوحش والذي تناله الرماح الكبار ومن في من الصيد للبيان أو للتبعيض وهو صيد البر وصيد الإحرام والمراد
بالعين لا الحدث بدليل عود الضمير في تناله إليه ليعلم الله ليظهر معلومه وهو من الخائف أو ليعاملكم معاملة من يطلب أن يعلم أو ليعلم أولياء الله
ومحل بالغيب النصب على الحال أي يخافه حال كونه غائبا عن رؤيته أو عن حضور الناس فمن اعتدى فصاد بعد ذلك الابتلاء فله عذاب أليم في الآخرة وقيل
في الدنيا عن ابن عباس هو أن يضرب بطنه وظهره ضربا وجيعا وينزع ثيابه لا تقتلوا الصيد قال الشافعي إنه البري المتوحش المأكول اللحم أما الأول فلقوله تعالى
بعد ذلك أحل لكم صيد البحر وأما المتوحش فليدخل فيه نحو الظبي وإن صار مستأنسا ويخرج الأهلي وإن صار متوحشا إبقاء لحكم الأصل وأما كونه مأكولا
فلقوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما فيعلم منه أنه ما يحل أكله في غير الإحرام وقال أبو حنيفة المحرم إذا قتل سبعا لا يؤكل لحمه ضمن وسلم أنه لا يجب
الضمان في قتل الذئب وفي قتل الفواسق الخمس فقال الشافعي لا معنى في قتلها إلا الإيذاء فيلزم جواز قتل جميع المؤذيات لاشتراكها وقد جاء خمس يقتلن في
الحل والحرم الغراب والحدأة والحية والعقرب والكلب العقور وفي رواية زيادة السبع العادي واحتج لأبي حنيفة بقول علي رضي الله عنه صيد الملوك
أرانب وثعالب وإذا ركبت فصيدي الأبطال نصف بأنا لتغلب عند إحلالنا وأنتم حرم أي محرمون بالحج والعمرة أيضا على الأصح وقيل قد دخلتم الحرم وقيل
هما مرادان بالآية وهو قول الشافعي فقوله لا تقتلوا يفيد المنع ابتداء والمنع تسببا فليس له أن يتعرض للصيد ما دام محرما أو في الحرم بالسلاح أو بالجوارح
من الكلاب والطيور سواء كان الصيد صيد الحل أو صيد الحرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من قرأ جزاء بالتنوين ومثل بالرفع فالمعنى فعليه
جزاء صفته كذا ومن قرأ بالإضافة فهو من باب إضافة المصدر إلى المفعول أي فعليه أن يجزي مثل ما قتل قال بعض العلماء المثل مقحم للتأكيد فالواجب عليه جزاء
المقتول لا جزاء مثله فهو كقولهم أنا أكرم مثلك أي أكرمك وقيل الإضافة بمعنى من أي جزاء من مثل ما قتل قال سعيد بن جبير المحرم إذا قتل الصيد خطأ لا
يلزمه شيء وهو قول داود لأن النهي ورد على المتعمد وهو أن يقتله ذاكرا لإحرامه وعالما أن ما يقتله مما يحرم عليه قتله فإن قتله وهو ناس لإحرامه أو رمى
صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد أو رمى غير صيد فعدل السهم فأصاب صيدا فهو مخطئ لا شيء عليه لفقدان القيد المذكور ومما يؤكد هذا الرأي قوله
ليذوق وبال أمره وقوله ومن عاد أي إلى ما تقدم ذكره وهو القتل العمد والانتقام أيضا يناسب العمد لا الخطأ وقال جمهور الفقهاء يلزمه الضمان سواء
قتل عمدا أو خطأ قياسا على سائر محظورات الإحرام كحلق الرأس وغيره وكما في ضمان مال المسلم فإنه لما ثبت إجراؤه لحق المالك لم يختلف ذلك بكونه
عمدا أو لا وإنما ورد تقييد الآية بالتعمد لأن العمد أصل والخطأ ملحق به للتغليظ ولما روي أنه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه
برمحه فقتله فقيل له إنك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت الآية على وفق القصة وعن الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ قالت في الضبع
كبش إذا قتله المحرم وقالت الصحابة في الظبي شاة أطلقوا الضمان من غير فرق بين العمد والخطأ ثم العلماء اختلفوا في المثل فقال الشافعي ومحمد بن الحسن
الصيد ضربان منه ما له مثل ومنه ما لا مثل له فيضمن بالقيمة وقال أبو حنيفة وأبو يوسف المثل الواجب هو القيمة قياسا على ما لا مثل له حجة الشافعي
قوله تعالى من النعم فإنه بيان للمثل وكذا قوله هديا بالغ الكعبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه حكم في الضبع بكبش وعن علي وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف
وابن عباس وابن عمر أنهم حكموا في أمكنة مختلفة وأزمان متعددة في جزاء الصيد بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وفي حمار الوحش ببقرة وفي الضبع
بكبش وفي الغزال بعنز وفي الظبي بشاة وفي الأرنب بحمل وفي رواية بعناق وفي الضب بسخلة وفي اليربوع بجفرة وفي الحمام بشاة ويعني به كل ما عب وهدر
كالقمري والدبسي والفاختة والعب شرب الماء مرة والهدير ترجيع صوته وتغريده وفيه دليل على أنهم نظروا إلى أقرب الأشياء شبها بالصيد
من النعم ولو نظروا إلى القيمة لاختلف باختلاف الأسعار والظبي الذكر من هذا الجنس والغزال الأنثى والجفرة من أولاد المعز إذا انفصلت عن أمها والعناق
الأنثى من أولاد المعز وأيضا المقصود من الضمان جبر الهالك فكلما كانت المماثلة أتم كان الجبر أكمل مسائل الأولى جماعة محرمون قتلوا صيدا قال الشافعي
وأحمد وإسحق لا يجب عليهم إلا جزاء واحد لأن مثل الواحد واحد وقال أبو حنيفة ومالك والثوري على كل منهم جزاء واحد كما لو قتل جماعة واحدا يقتص منهم
جميعا وكذا لو حلف كل منهم أن لا يقتل صيدا فقتلوا صيدا واحدا لزم كلا منهم كفارة وأجيب بأن قتل الجماعة بالواحد تعبدي وتعلق الكفارة لتعلق



الايمان الثانية للشافعي المحرم اذا دل غيره على صيد فقتله لم يضمن لانه لا يجب بالدلالة لان كفارة القتل ولا الدية وكما لو دل على مال المسلم وذلك لان الدلالة
ليست بقتل ولا اتلاف ابو حنيفة يضمن لما روي ان عمر وعبد الرحمن بن عوف وابن عباس اوجبوا الجزاء على الدال الثالثة الشافعي اذا جرح ظبيا فنقص
من قيمته العشر فعليه عشر قيمة الشاة ارشادا الى ما هو الاسهل لانه قد لا يجد شريكا في ذبح شاة ويتعذر عليه اخراج قسط من الحيوان وقال المزني عليه عشر شاة
وقال داود لا ضمان الا بالقتل لظاهر الآية حيث نيط الجزاء بالقتل فقط الرابعة اذا قتل المحرم صيدا وادى جزاءه ثم قتل صيدا آخر لزمه جزاء آخر خلافا
لداود وينقل عن ابن عباس وشريح تمسكا بان الحكم يتكرر بتكرر العلة بخلاف ما لو قال لنسائه من دخل منكن الدار فهي طالق فدخلت واحدة مرتين فانه
لا يقع الا طلاق واحد لان تكرر الحكم بتكرر الشرط غير لازم تمسك داود ومن عاد فينتقم الله منه فانه جعل جزاء العائد الانتقام لا الكفارة الخامسة
قال الشافعي اذا اصاب صيدا اعور او مكسور اليد او الرجل فداه بمثله والصحيح احب وكذا الكبير لاجل الصغير والذكر يفدى بالذكر والانثى بالانثى والاولى ان
لا يغير تحقيقا للمثلية فالانثى افضل لانها تلد والذكر افضل من حيث ان لحمه اطيب وصورته احسن قوله سبحانه يحكم به ذوا عدل منكم قال ابن عباس اي رجلان
صالحان فقيهان من اهل دينكم ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به ولهذا احتج من نصر قول ابي حنيفة فقال التقويم هو المحتاج الى النظر واما
الخلقة والصورة فمشاهدة لا يفتقر الى الاجتهاد ورد بان وجه المشابهة بين النعم والصيد ايضا يتوقف على الاجتهاد عن قبيصة بن جابر انه اصاب
ظبيا في الاحرام فمات فسأل عمر وكان الى جانبه عبد الرحمن بن عوف فقال له ما ترى قال عليه شاة قال وانا ارى ذلك فاذهب فاهد شاة قال قبيصة
فخرجت الى صاحبي فقلت ان امير المؤمنين لم يدر ما يقول حتى سأل غيره قال ففاجأني عمر وعلاني بالدرة وقال اتقتل في الحرم وتسفه الحكم قال الله تعالى يحكم
به ذوا عدل منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن قال الشافعي ما ورد فيه نص فهو متبع كما روي انه قضى في الضبع بكبش وكل ما حكم به عدلان من الصحابة
او التابعين او من اهل عصر آخر من النعم انه مثل الصيد المقتول يتبع حكمهم ولا حاجة الى تحكيم غيرهم لان اجتهادهم اولى ونظرهم اعلى وقال مالك يجب
التحكيم فيما حكمت به الصحابة وفيما لم يحكم وهل يجوز ان يكون قاتل الصيد حكما ان كان القتل عمدا عدوانا فلا لانه يورث الفسق والحكم موصوف بالعدالة
وان كان خطأ او كان مضطرا اليه فكذلك عند مالك كما في تقويم المتلفات وجوزه الشافعي لما روي ان بعض الصحابة اوطأ فرسه ضبيا فسأل عمر فقال احكم
فيه فقال انت خير مني واعلم يا امير المؤمنين فقال انما امرتك ان تحكم فيه ولم امرك ان تزكيني فقال الرجل ارى فيه جديا فقال عمر فذلك فيه وايضا فانه حق الله
يجوز ان يكون من عليه مبينا فيه كما ان رب المال يخرج الزكوة ولو حكم عدلان بان له مثلا وآخران بانه لا مثل له فالاخذ بقول الاولين ولو حكم عدلان
بمثل وآخران بمثل آخر فاصح الوجهين انه يتخير والاحوط ان يأخذ بالاغلظ قيل في الآية دلالة على ان العمل بالاجتهاد والقياس جائز واجيب بانه لا نزاع في
الصور الجزئية كالاجتهاد في القبلة وكالعمل بشهادة الشاهدين وبتقويم المقومين في قيم المتلفات وارش الجنايات وكعمل العامي بالفتوى وكالعمل بالظن
في مصالح الدنيا انما النزاع في اثبات شرع عام في حق جميع المكلفين باق على وجه الدهر والانصاف انه يجوز الاجتهاد في القبلة وفي تعيين مثل الصيد المقتول
امر كلي ايضا وانتصب هديا على انه حال عن جزاء عند من وصفه بمثل لانه نكرة قريبة من المعرفة او بدل عن محل مثل عند من اضاف او حال عن الضمير في به ووصف هديا
ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية تقديره بالغا الكعبة والعرب تسمي كل بيت مربع كعبة ولا سيما اذا كان مرتفعا ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح في الحرم
لان الذبح والنحر لا يقعان في نفس الكعبة لان غاية القربة الذي الصق منها فان دفع مثل الصيد المقتول الى الفقراء حيا لم يجز قال الشافعي يجب عليه ان يتصدق
به في الحرم ايضا لان نفس الذبح ايلام ولا قربة فيه وانما القربة في التصدق على فقراء الحرم وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء لانها لما وصلت الى الكعبة
فقد خرج عن العهدة قوله او كفارة عطف على قوله فجزاء وطعام مساكين بيان له ومن اضاف فللبيان ايضا اي كفارة من طعام مساكين مثل خاتم فضة
او عدل ذلك الطعام صياما منصوب على التمييز كقولك لي مثله رجلا وعدل الشيء ما عادله من غير جنسه والعدل بالكسر المثل يقول عندي عدل غلامك اذا كان
غلاما يعدل غلاما فاذا اردت قيمته من غير جنسه فتحت العين ثم مذهب الشافعي انه يصوم لكل مد يوما ومذهب ابي حنيفة انه يصوم لكل نصف صاع يوما وذلك
بحسب الاختلاف في طعام مسكين واحد كما مر في كفارة اليمين وبالجملة فحاصل مذهب ابي حنيفة انه يوجب قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدي
خير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل
مسكين يوما وحاصل مذهب الشافعي ان الصيد قسمان ما له مثل كالنعم وما ليس كذلك والاول جزاؤه على التخيير والتعديل فيتخير بين ان يذبح مثله فيتصدق
به على مساكين الحرم اما بان يفرق اللحم او يملك جملته اياهم مذبوحا وبين ان يقوم المثل دراهم ثم لا يجوز ان يتصدق بالدراهم ولكن ان شاء اشترى بها
طعاما ويتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما حيث كان والثاني وهو ما ليس بمثلي كالعصافير وغيرها وبالجملة كل
ما دون الحمام او فوقه ففيه قيمته ولا يتصدق بها بل يجعلها طعاما ثم ان شاء تصدق بها وان شاء صام عن كل مد يوما فان انكسر مد في القسمين صام
يوما لان الصوم لا يتبعض فللجزاء في القسم الاول ثلثة اركان الحيوان والطعام والصيام وفي القسم الثاني ركنان الطعام والصيام وهي اعني على التخيير
في ظاهر المذهب لا على الترتيب وافق مالك وابو حنيفة لان او للتخيير غالبا وخالف احمد وزفر فقالا انها في الآية للترتيب لان الواجب هنا شرع على سبيل
التغليظ بدليل قوله ليذوق وبال امره والتخيير ينافي التغليظ ثم القائلون بالتخيير اتفقوا على ان الخيار في تعيين هذه الثلثة الى قاتل الصيد كما هو ظاهر
الآية الا محمد بن الحسن فانه قال الخيار الى الحكمين قياسا على تعيين المثل ثم ان لم يكن الصيد مثليا فالمعتبر في القيمة محل الاتلاف قياسا على كل متلف متقوم
والمعتبر في الصرف الى الطعام سعر الطعام بمكة وان كان مثليا واراد تقويم مثله من النعم ليرجع الى الاطعام او الصيام فالمعتبر في قيمته بمكة يوم [illegible]

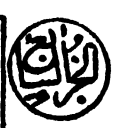
محل الذبح



محل الذبح لو كان بذبح ولا جزاء على المحرم باكل الصيد سواء ذبحه بنفسه واصطيد له او بدلالته لانه لا يلبس بنام بعد الذبح ولا يؤول الى النماء فلا يتعلق به الضمان
الجزاء كما لو اتلف بيضه مذرة هذا في الجديد من قولي الشافعي وفي قوله القديم وبه قال مالك واحمد يلزمه القيمة بعدما اكل واذا ذبح المحرم صيدا لم يحل له الاكل
منه ولا لغيره في الجديد وبه قال مالك واحمد وابو حنيفة لانه يكون ميتة كذبيحة المجوسي حتى لو كان مملوكا وجب مع الجزاء القيمة للمالك وهل يحل له بعد زوال
الاحرام اظهر الوجهين لا وكذا الكلام في صيد الحرم اذا ذبح اما قوله ليذوق فانه متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازى او يكفر ليذوق ويحتمل ان يقال
يتعلق بالمحذوف اي شرعنا ما شرعنا ليذوق سوء عاقبة فعله وهو هتك حرمة الحرم والاحرام والتركيب يدل على الثقل ومرعى وبيل اذا كان منه وخامة وطعام
وبيل تثقل على الطبع على المعدة والامور الثلثة اثنان منها نقص في المال فيثقل على الطبع والثالث وهو الصوم تثقيل على البدن ايضا وكل منها نوع عقوبة
عفى الله عما سلف في الجاهلية كانهم متعبدون بشرع من قبلهم او عما سلف قبل التحريم في الاسلام وعلى مذهب داود عفى الله عما سلف في المرة الاولى بسبب اداء
الجزاء ومن عاد فانه اعظم من ان يعفى بالجزاء فينتقم الله منه اي فهو ينتقم الله منه والاسم يجيء الى دخال فاء الجزاء لان التقدير بنفسه احل لكم صيد البحر اي
مصيداته ويعني بالبحر جميع هذه المياه والانهار وجملة ما يصاد منه ثلثة اجناس الحيتان وجميع انواعها حلال والضفادع وجميع انواعها حرام وفيما سوى
هذين خلاف فقال ابو حنيفة حرام وقال ابن ابي ليلى والاكثرون حلال لقوله وطعامه فالعطف يقتضي المغايرة وفيه وجوه يروى عن ابي بكر الصديق الصيد
ما صيد بالحبالة والطعام ما يوجد مما لفظه البحر او نضب عنه الماء من غير معالجة في اخذه وقال جمع من العلماء الاصطياد قد يكون للاكل وقد يكون لغيره
كاصطياد الصدف لاجل اللؤلؤ واصطياد بعض الحيوانات البحرية لاجل عظامها واسنانها فالمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل
الماكول منه وعن سعيد بن جبير ان الصيد هو الطري والطعام هو القديد منه وفي الفرق ضعف قال الشافعي السمكة الطافية في البحر محللة لانه طعام البحر وقد
قال تم احل لكم صيد البحر وطعامه وقال ما لفظه البحر هو الطعام وماؤه الحل ميتته متاعا لكم في الحضر تاكلونه وللسيارة في السفر تحملونه وانتصب متاعا على انه مفعول
له ولكنه مختص بالطعام وقال الزجاج انه مصدر مؤكد لان قوله احل لكم في معنى التمتيع وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما قال العلماء صيد البحر هو الذي
لا يعيش الا في الماء اما الذي لا يعيش الا في البر والذي يمكنه ان يعيش في البر تارة وفي البحر اخرى فذلك كله صيد البر فالسلحفاة والسرطان والضفدع وطير الماء
كل ذلك من صيد البر ويجب على قاتله الجزاء واتفق المسلمون على ان المحرم يحرم عليه الصيد الذي اصطاده اما الذي اصطاده الحلال فعن علي وابن عباس وابن عمر وسعيد بن
جبير وطاوس والثوري واسحق ان الحكم كذلك لاطلاق الاية ولما روي عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اهدي له حمار وحش وهو محرم فابى ان ياكله وقال مالك
والشافعي واحمد ان لحم الصيد مباح للمحرم بشرطين لا يصطاده المحرم ولا يصطاد له لما روى ابو داود في سننه عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صيد البر لكم
حلال ما لم تصيدوا او يصاد لكم وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد انهم اجازوا للمحرم ما اصطاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل عليه ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل
احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه لما روي عن ابي قتادة انه اصطاد حمار وحش وهو حلال في اصحاب محرمين له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اشرتم هل اعنتم

فقالوا لا

فقال هل بقي من لحمه شيء قالوا معنا رجله فاخذها النبي صلى الله عليه وسلم فاكلها وهذان القولان مفرعان على تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وقال في الكشاف اخذ ابو حنيفة
بالمفهوم فكانه قيل وحرم عليكم ايها المحرمون ما صدتم في البر فيخرج عنه مصيد غيرهم وهو عليه ان المفهوم ليس بحجة ثم حث على الطاعة والاجتناب عن المعاصي
بقوله واتقوا الله الذي اليه تحشرون وهو كلام جامع للوعد والوعيد ثم ذكر سبب حرمة الصيد في الحرم وفي الاحرام فقال جعل الله اي حكم وبين بالخطاب
والتعريف او صير بخلق الدواعي الى التعظيم في القلوب قياما للناس يعني العرب وجعل لها دار اهل بلده اذا قالوا الناس فعلوا كذا ارادوا اهل بلدهم فنطق القرآن
على مجرى عادتهم وبيان القيام ان قوام المعيشة اما بكثرة المنافع وقد جعل يجبى اليه ثمرات كل شيء واما بدفع المضار وقد صيره حرما آمنا واما بحصول
الجاه والرياسة وتوفر الدواعي والرغبات وذلك بدعاء ابراهيم فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ثم المنافع الدينية الحاصلة من مناسكها وشعائرها
اكثر من ان تحصى واظهر من ان تخفى وانتصب البيت الحرام على انه عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح لان الكعبة اوضح من ان توضح ويحتمل ان يراد بالناس عام
الناس لما بين لهم من امر حجهم وعمرتهم وتجاراتهم وانواع منافعهم الدينية والدنيوية وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوا عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا والشهر
الحرام والهدي والقلائد تقدم في اول السورة وانما كان الشهر الحرام سببا لقيام الناس وقوامهم لانه اذا دخل الشهر الحرام كان يزول خوفهم ويقدرون
على الاسفار وتحصيل الاقوات قدر ما يكفيهم طول السنة فلولا حرمته لهلكوا من الجوع وايضا هو سبب لاكتساب الثواب من قبل مناسك الحج واما الهدي
فانه نسك للمهدي وقوام لمعاش الفقراء وكذا القلائد فكان من قلد الهدي او قلد نفسه من لحاء شجر الحرم لم يتعرض له احد وكل ذلك لان الله تعالى اودع في قلوبهم
تعظيم الكعبة وما يتعلق بها ذلك الذي ذكر من جعل الكعبة قياما للناس او من حفظ حرمة الاحرام والحرم مشروع لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض
وذلك انه علم في الازل ان مقتضى طباع العرب الحرص على القتل والغارة وكان ذلك مما يفضي الى الفناء وانقطاع النسل فدبر هذا التدبير المحكم والعقل
المتقن كي يصير سببا للامان في بعض الامكنة وفي بعض الازمان فيستقيم مصالح الانسان ولا ريب ان مثل هذا التدبير والتعليم لا يصح الا ممن يعلم الكائنات
واسبابها وغاياتها بل يعلم المعلومات باسرها كلياتها وجزئياتها قديمها وحديثها عللها ومعلولها موجودها ومعدومها وذلك قوله وان الله بكل شيء
عليم فما احسن هذا الترتيب ثم خوفهم واطمعهم بقوله اعلموا ان الله شديد العقاب لمن انتهك محارمه وان الله غفور رحيم لمن حافظ عليها وذكر
الوصفين في جانب الرحمة دليل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي ثم قرر ان الرسول ما كان مكلفا الا بالتبليغ فاذا بلغ خرج من العهدة
وبقي الامر من جانبكم وانه تعالى يعلم جهركم وسركم ومنه من الوعيد ما فيه عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم عليكم عبادة الاوثان وشرب الخمر



والطعن فى الانساب لاولاد الحرام لعن شاربها وعاصرها ومعتصرها وساقيها وبايعها واكل ثمنها فقام اليه اعرابى فقال يا رسول الله انى كنت رجلا كانت هذه تجارتى واقتنيت من بيع الخمر مالا فهل ينفعنى ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال له النبى عليه السلام ان انفقته فى حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب فانزل الله عز وجل تصديقا بقول رسوله قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وهو عام فى حرام الاموال وحلالها وفاسد الاعمال وصالحها وسقيم المذاهب وصحيحها وردى النفوس وجيدها واخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية واطيب الطيبات الروحانية معرفة الله تعالى وطاعته والبون بين الصنفين فى العالم الروحانى ابعد مما بينهما فى العالم الجسمانى الا ان اثرهما فى عالم الارواح ابقى وادوم واجل واعظم فلا تستبدل الخبيث بالطيب ايها الانسان ولو اعجبك كثرة الخبيث لان كثرته فى الحقيقة قلة ولذته فى الآخرة ذلة ونقمة وزينته فى صرف العمر فى طلبه حيف فالتأويل لا تحرموا على انفسكم بالاستمتاع النفسانية طيبات ما احل الله لكم دون سائر المخلوقات من المواهب الربانية ولا تعتدوا ولا تجاوزوا عن حد العبودية وكلوا مما رزقكم الله اجتهدوا فى طلب ما خصكم به الله من تجلى جماله وجلاله لا طيبا بحل فيكم بربنا من بهمات النقائص باللغو فى ايمانكم ان تخلعوا بالاثر عن الشرع من ولا اثر النقو وكلالة القوى واستيلاء النفس وغلبة سلطان الهوى فى اثناء المجاهدات واعوان المشاهدات ولكن يؤاخذكم اذا عزمتم على الهجران وتعرضتم للخذلان فكفارته اطعام عشرة مساكين الحواس الظاهرة والباطنة من اوسط ما تطعمون اهليكم وهم القلب والسر والروح والخفى طعامهم الشوق والمحبة والصدق والاخلاص والتفويض والتسليم والرضا والانس والهيبة والشهود والكشوف واوسط الذكر والتذكر والفكر والتفكر والشوق والتوكل والتعبد والخوف والرجاء لتشتغل الحواس العشرة بهذه الامور ويكسوهم لباس التقوى ويحرر رقبة النفس من عبودية الحرص والهوى فمن لم يجد امساك اليوم الماضى عما جرى عليه فى اليوم الحاضر بالاعتبار وفى اليوم المستقبل عن العود اليه فمن لغو اليمين عند ارباب اليقين ان الطالب الصادق عند غلبات الشوق ووجدان الذوق بعثهم عليه بجلاله وجلاله ان يرزقهم شيئا من اقباله ووصاله وذلك شهوة الروح لغو وفى مذهب التسليم سهو ولكن من حرم لغير عذر فلا يؤاخذه بمقاله لعلمه بضعف حاله والكامل فى الثبات والاستقامة اريد وصاله ويريد هجرى فاترك ما اريد لما يريد ومن اللغو فى اليمين عندهم ما يجرى على لسانهم فى غلبات الوجد من يعتديا لعمد تاكيد العقد كقول بعضهم وحقك ما نظرت الى سواكا بعين مودة حتى اراكا فان هذا ينافى التوحيد واين فى الدار ديار كلا بل هو الله الواحد القهار ليس على الذين آمنوا بالتقليد وعملوا الصالحات الاعمال البدنية الشرعية جناح فيما طعموا من المباحات اذا ما اتقوا الشبهة والاسراف وآمنوا بالتحقيق بعد التقليد وعملوا الصالحات الاعمال القلبية الحقيقية من تخلية القلب عما سواه ومن تحليته بالاحوال المضادة لهواه كالصدق والاخلاص والتوكل والتسليم وما عداه ثم اتقوا شرك الانانية وآمنوا بالهوية ثم اتقوا هذا الشرك وهو الفناء فى الفناء واحسنوا وهو البقاء بربنا فانهم جعل الله البلاء لاهل الولاء كاللهب للذهب فقال يا ايها الذين آمنوا ايمان المحسنين الذين تجردوا عن ملاذ الدنيا وشهواتها الحلال واحرموا بحج الوصول وعمرة الوصال ليبلونكم الله فى اثناء السلوك بشئ من الصيد وهو المطالب النفسانية والمقاصد الدنيوية والدينية تناله ايديكم يعنى اللذات البدنية ورماحكم يعنى اللذات الخيالية فلم غلبات الوجد والصدق لا تقتلوا الصيد وانتم حرم يعنى محرمون لزيارة كعبة الوصال فعليه تجسم الاطماع من الحرام والحلال الا متعمدا اى عالما بما فى الالتفات الى غيره من الفناء ومثل ما قتل من النعم يعنى يجاهد نفسه بترك ما فيه ويجاهد بما تميل اليه النفس من اللذات ذوا عدل منكم القلب والروح يحكمان على مقدار الاسلام وعلى حسب قوة السالك بتقليل الطعام والشراب وبذل المال وبترك الجاه او بالعزلة وضبط الحواس هديا بالغ الكعبة خالصا عن الخلق لاجل الحق طعام مساكين هم العقل والقلب والسر والروح والخفى كما تواجدهم عن اغذيتهم الروحانية فيطعمهم المعاملات الروحانية من صدق التوجه والصبر على المكاره والفطام عن المألوفات من الشكر والرضا وغير ذلك او عدل ذلك صياما هو الامساك عن الاغيار والركون الى الواحد القهار ليذوق النفس الامارة وبال امره فان كل هذه الامور على خلاف طبيعتها واتفاقها لينتقم من اخباثه بنقاب الدلال ومن اعدائه بحجاب الملام والملال احل لكم صيد البحر المعارف والمكاشفات تنتفعون بالواردات وتطعمون منها السائرين الى الله من اهل الارادات صيدا لبر هاشح للسائرين من مطالب الدنيا ما دمتم حرما اى فى حال المحو والفناء والصحو جعل الله الكعبة الظاهرة قياما للعوام والخواص يستخرجون بها حاجاتهم الدنيوية والاخروية وكعبة القلب قواما للخواص وخواص الخواص يلوذون بها بدوام الذكر ونفى الخواطر ليعلموا ان لا موجود الا هو ولا وجود الا له البيت الحرام حرام ان يسكن فى كعبة القلب غيره والشهر الحرام هو ايام الطلب حرام على الطالب فيها مخالطة الخلق وملاحظة ما سوى الحق والهدى هو النفس البهيمية يساق الى كعبة القلب فلا ثما ركان الشريعة مبلغ ما عتبة القلب اداب الطريقة عن شهواتها فاذا وصل العبد الى كعبة القلب شاهد بانوار ان لله ما فى السموات وما فى الارض شديد العقاب بسد الحجاب بغيبة الحب غفور رحيم للصادقين فى الطلب يفتح الابواب الا البلاغ بالقال يتلوا عليهم اياته وبالحال ويزكيهم ما تبدون بتغيير السلوك وما تكتمون من تصلب الحق الخبيث ما يشغلك عن الله والطيب ما يوصلك الى الله بل الطيب هو الله والخبيث ما سوى الله وفى ذلك كثرة والله اعلم قوله الله عز وجل



يا ايها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسألوا عنها حين ينزل

اى گروه آنان که گرويده ايد مپرسيد از چيزهائى که اگر ظاهر شوند براى شما بد کنند شما را و اگر بپرسيد از آن هنگامى که فرو فرستاده

القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين

قرآن را اشکارا کنند شما را درگذشت خدا از آن و خدا آمرزنده بردبار است بپرسيدند آنرا گروهى پيش از شما پس صبح نمودند که بآن کافران

ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب

قرار نداده است خدا از بحيره و نه سائبه و نه وصيله و نه حامى و لکن آنانکه کافر شدند افترا ميکنند بر خدا دروغ را

وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

وبیشتر ایشان درک نکنند و چون گفته شد بایشان که رو آرید بسوی آنچه فرستاد خدا و بسوی پیغمبر گفتند که بس است ما را آنچه را که یافتیم

عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ

بر او پدران خود را آیا اگر بودند پدران ایشان بیخبران چیزی را و در راه نیافتگان ای زمره آنان که گرویده اید نگاه دارید خودتان را

لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

که ضرر نمیرساند شما را آنکه گمراه شد اگر شما در راه آمدید بسوی خدای بازگشت شماست همه پس خبر دهد شما را بآنچه که بودید که میکردید ای زمره آنان که گرویدند

شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ

گواهی ضرورت در میان شما چون در رسد یکی از شما را مرگ در هنگام وصیت دو نفر از صاحبان عدل از شما یا دیگران از غیر شما اگر شما

ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي

سیر کردید در زمین پس در رسید شما را داهیه مرگ بازدارید ایشانرا پس از نماز پس سوگند یاد کنند بخدا اگر شک کردید نگیریم

بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا

بآن بهاء و اگرچه باشد صاحب خویشی و پنهان نداریم گواهی خدا را بدرستیکه ما آنگاه از گناهکارانیم پس اگر دیده شود که ایشان سزاوار شدند

إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا

گناه را پس دو نفر دیگر بایستند در مقام ایشان از آنان که مستحق شدند بر ایشان دو تای اول پس سوگند خورند بخدا که هر آینه گواهی ما

أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا

راستتر است از گواهی ایشان و در نگذشته ایم اگر آنگاه ما هر آینه از ستمکاران بودیم این نزدیکتر است که بیایند بگواهی بر روی آن یا بترسند

أَن تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ

که رد کنند از پس از سوگند ایشان و بپرهیزید خدا را و گوش دارید و خدا هدایت نکند گروه فاسقانرا در روزیکه گرد آرد خدا

الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ

پیغمبران را پس گوید که چه جواب دادند شما را گویند که دانشی نیست ما را بدرستیکه تو دانای پنهانی چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم یاد کن

نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ

نعمت مرا بر تو و بر مادرت چون قوت دادم ترا بروح القدس که گفتگو میکردی با مردم در گهواره و در میانه و چون آموختم ترا کتاب

وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ

و حکمت و توریة و انجیل را و چون میساختی از گل مانند ترکیب مرغی بفرمان من پس میدمیدی در آن پس میگردید مرغی بفرمان من و شفا میدادی

الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ

کور مادرزاد و صاحب برص را بفرمان من و چون زنده میکردی مرده را بفرمان من و چون باز داشتم بنی اسرائیل را از تو چون آوردی ایشانرا گواهان پس گفتند

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا

آنانکه کافر شدند از ایشان که نیست این مگر جادوئی هویدا و چون رسانیدم بسوی حواریین که بگروید بمن و بفرستاده من گفتند گرویدیم

وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ

و گواه باش بانکه ما تسلیم کنندگانیم چون گفتند حواریون ای عیسی پسر مریم آیا میتواند پروردگار تو که فرو فرستد بر ما خوان طعامی از آسمان

قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ

گفت که بپرهیزید خدا را اگر هستید مؤمنان گفتند که میخواهیم که بخوریم از آن و محکم گردد دلهای ما و بدانیم که تو تصدیق کردی ما را و باشیم

عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا

بر آن از گواهان گفت عیسی پسر مریم که خداوندا پروردگارا فرو فرست بر ما خوانی از آسمان که بوده باشد برای ما عید

لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ

از برای اول ما و آخر ما و آیتی از تو و روزی کن ما را و توئی بهترین روزی دهندگان گفت خدا که من میفرستم آنرا بر شما پس هر که کافر شود بعد از آن

مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي

از شما پس من عذاب کنم عذابی که عذاب نکرده ام با احدی از جهانیان و چون گفت خدا ای عیسی پسر مریم آیا تو گفتی مردم را که فرا گیرید مرا



وَأُمِّيَ إِلٰهَيْنِ مِن دُونِ اللّٰهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ

و مادر مرا دو خدا از غیر خدای یگانه گفت منزهی تو چه شده بود مرا که گویم چیزی را که نیست مرا سزاوار اگر من گفته‌ام اینرا پس بدرستی که میدانی تو او را میدانی

مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا

آنچه را که در نفس من است و نمیدانم آنچه را که در نفس تست بدرستیکه توئی دانای پنهانیها نگفتم من بایشان بجز آنچه فرمودی مرا بآن که بپرستید

اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ

خدا را که پروردگار من و پروردگار شماست و بودم بر ایشان گواه زمانیکه من در ایشان بودم پس چون میرانیدی مرا بودی تو خود مراقب

عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

برایشان و تو بر هر چیزی گواهی اگر عذاب کنی ایشانرا پس ایشان بندگان تواند و اگر بیامرزی ایشانرا پس بدرستی که توئی خود غالب

الْحَكِيمُ قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

دادور گفت خدا که این روزیست که سود بخشد راستگویانرا راستی ایشان مر ایشانراست بهشتها که میرود از زیر آن جویها

خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ

جاویدانند در آن همیشه خوشنود است خدا از ایشان و راضی اند از خدا اینست بهره‌مندی بزرگ مر خدایراست پادشاهی آسمانها و زمین

وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

و آنچه در آنهاست و او است بر هر چیزی توانا

القراءة تنزل من الانزال ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب شهادة بالتنوين آلله بالمد وحمزة بدله ... الاضافة استحق على البناء للفاعل حفص والاعشى في اختياره الباقون على البناء للمفعول الاولين جمع الاول بفتح الاخر سهل ويعقوب وحمزة وخلف وعاصم غير حفص والاعشى في اختياره الباقون الاوليان تثنية الاولى الاخرى الغيوب بكسر العين حيث كان حمزة وحماد وابو بكر غير الشموني والبرجمي والخزاعي عن ابن فليح ساحر وكذلك هود والصف حمزة وعلي وخلف الباقون سحر هل تستطيع بتاء الخطاب ربك بالنصب علي والاعشى في اختياره الباقون بالياء وبالرفع ان ينزل بالتخفيف من الانزال ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد منزلها بالتشديد عاصم وابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص لي ان بالفتح ابن كثير وابو جعفر ونافع وابو عمرو الباقون بالسكون يوم ينفع بفتح الميم نافع الباقون بالرفع الوقوف تسوؤكم لابتداء شرط اخر مع واو العطف تبدلكم عنها حليم كافرين ولا حام للاستدراك الكذب لا يعقلون ابائنا ولا يهتدون انفسكم لاحتمال الاستيناف والحال اي احفظوا انفسكم غير مضرورين اذا اهتديتم تعملون مصيبة الموت قربى لان قوله ولا نكتم من جواب القسم شهادة الله الآثمين وما اعتدينا الظالمين والوصل اجوز لتعلق انا بقوله وما اعتدينا الظالمين ايمانهم لابتداء الامر واسمعوا الفاسقين اجبتم لنا الغيوب في الذلك لطلاقوهم ان ظرف لا تذكر او عامله محذوف في التقدير واذكروا اذ ايدتك وكهلا والانجيل والابرص باذني الموتى لان اذ يجوز تعلقه بما تعلق به اذ الاول ويمكن تعلق كل واحد بمحذوف اخر لتفصيل النعم سحر مبين ربع الجزء وبرسولي لاحتمال ان قالوا مستانف او عامل فاذا وحيت مسلمون من السماء الاولى مؤمنين الشاهدين اية منك لاتفاق الجملتين مع وقوع العارض الرازقين عليكم لابتداء الشرط مع فاء التعقيب العالمين من دون الله ما ليس لي قد قيل وهو تعسف لان المنكر لا يقسم به والقسم لا يجاب بالشرط بل الوقف على بحق علمته نفسك الغيوب وربكم على ان الواو للاستيناف والحال اي وملكت منهم لان عامل لما متاخر وفاء التعقيب خلفها عليهم لان الواو ولا يحتمل الحال الرقيب في كل شيء شهيد عبادك لابتداء الشرط مع الواو الحكيم صدقهم لاختلاف الجملتين بلا عطف ابدا عنه العظيم وما فيهن قدير التفسير عن انس انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكثروا المسئلة فقام على المنبر فقال سلوني فوالله لا تسئلوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا الا حدثتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمي وكان يطعن في نسبه فقال يا نبي الله من ابي فقال ابوك حذافة بن قيس فقال سراقة بن مالك ويروى عكاشة بن محصن يا رسول الله الحج علينا في كل عام فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مرتين او ثلثا فقال له ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وقام آخر فقال يا رسول الله اين ابي فقال في النار ولما اشتد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فانزل الله هذه الآية فهي عائدة الى قوله ما على الرسول الا البلاغ كانه قال ما اتاكم الرسول فخذوه ولا تخوضوا في غيره فلعله يصيبكم بما يشق عليكم وايضا كان المشركون يطالبون بعد ظهور المعجزات بمعجزات اخر كقوله حكاية عنهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى تمام الآية وكان لبعض المسلمين ايضا ميل الى ظهورها فاشتغلوا بذلك لان طلب الزيادة بعد ثبوت الرسالة من باب التحكم ولعلها الوظيفة ثم انكرت استحق العتاب العاجل ويحتمل ان يكون جملة لنظم قوله والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتركوا الامور على ظواهرها ولا تسئلوا عن اشياء مخفية ان تبد لكم تسؤكم وللنحويين في منع صرف اشياء وجوه فقال الخليل وسيبويه اصلها شيئاء على وزن حمراء وهو اسم جمع لشيء استثقلوا الهمزتين في آخره فنقلوا الهمزة التي هي لام الفعل الى اول الكلمة فصار وزنه لفعاء وقال الفراء اصلها افعلاء بناء على ان شيئا مخفف شيء كما يقال هين وقد يجمع فيعل على افعلاء كنبي وانبياء لكنهم استثقلوا اجتماع الياء والهمزتين فحذفوا اللام فبقي اشياء على افعاء وقال الكسائي وقبلها افعال ومنع الصرف لشبهها بحمراء ولا يلزم منه منع صرف ابناء واسماء لان ما ثبت على خلاف الدليل لا يلزم اطراده ولكنه يكون مقصورا على المسموع والحاصل ان السؤال عن الشيء

وبيانا انه تعالى لما بين احوالا مكنونة يكره ظهورها وربما ترتبت عليها تكاليف شاقة صعبة قال ذلك سأل ابن سلام بأمر ان يلحق بغير ابيه فيفتضح والسائل عن الحج كل عام ان يوجب وقد قال ﷺ ان اعظم المسلمين في المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من اجل مسألته وكان عبيد بن عمير يقول ان الله احل وحرم فما احل فاحلوه وما حرم فاجتنبوه وترك بين ذلك اشياء لم يحلها ولم يحرمها فذلك عفو من الله ثم قرأ هذه وقال ابو ثعلبة ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن اشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفى عن اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم لما رتب المساءة على السؤال ذكر ان الابداء سيكون لان الوحي غير منقطع فقال وان تسئلوا عنها حين ينزل القران اي في زمان الوحي لان الرسول بين اظهركم تبد لكم تلك الامور والتكاليف فالحاصل انهم ان سئلوا عنها ابدت لهم وان ابديت لهم ساءتهم فيلزم من المقدمتين انهم ان سئلوا عنها ساءتهم وقيل السؤال عن شيء لم يجر ذكره في الكتاب والسنة فنهى عنه بقوله لا تسئلوا والثاني السؤال عن شيء نزل به القران لكن السامع لم يفهمه كما ينبغي وهذا السؤال غير مذموم فاشار الى هذا القسم بقوله وان تسئلوا رفعا للحرج ويميز هذا القسم من الاول وانما حسن عود الضمير في عنها الى الاشيا وان كانا في الحقيقة نوعين مختلفين لان كلا منهما مسئول عنه في الجملة وقيل المعنى وان تسئلوا عن تلك السؤالات هل هي جائزة ام لا تبد لكم والمراد بطلب الرخصة في السؤال والاثم يسئل عفى الله عنها اي عما سلف من مسئلتكم واعناتكم للرسول فلا تعودوا الى مثلها او المراد بالعفو انه تعالى ما اظهر عند تلك المسائل ما يشق عليهم من التكاليف وقيل ان الجملة صفة اخرى للاشيا كما ان الجملة الشرطية والمعطوف عليها صفة لها والمعنى لا تسئلوا عن اشيا امسك الله عنها وكف عن ذكرها كما جاء في الحديث عفوت عن صدقة الخيل والرقيق اي خفف عنكم باسقاطها قد سألها بعينها المسئلة التي دل عليها لا تسئلوا قوم من قبلكم سأل الناقة قوم صالح فعقروها وسأل الرؤية قوم موسى فصارت وبالا عليهم وسأل المائدة قوم عيسى ع فكفروا بها ويحتمل ان يعود الضمير في سألها الى الاشياء فكان امة محمد سئلوا عن احوال الاشياء والمتقدمين سئلوا انفس الاشياء كالناقة والمائدة والرؤية فلما اختلفت الاسولة اختلفت العبارات الا ان كل واحد من القسمين يشتركان في وصف هو الخوض في الفضول والشروع فيما لا يعني فتوجه اللوم عليهما جميعا ولما منعهم عن ان يتكلفوا البحث عنها ذم سيرة قوم تكلفوا التزام امور لم يؤمروا بها ومعنى ما جعل ما حكم بذلك ولا شرع والبحيرة فعيلة من البحر الشق وبحر اذنه اذا شقها وهي بمعنى المفعول قال ابو عبيدة والزجاج كان اهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن وكان اخرها ذكرا شقوا اذن الناقة ومنعوا ركوبها وسيبوها لالهتهم ولا يحمل على ظهرها ولا تطرد عن ماء ولا تمنع عن مرعى ولا ينتفع بها واذا لقيها المعيي لم يركبها تحرجا واما السائبة فانها فاعلة من ساب اذا جرى على وجه الارض يقال ساب الماء وسابت الحية فالسائبة هي التي تركت حتى تسيب حيث شاءت قال ابو عبيدة كان الرجل اذا مرض او قدم من سفر او نذر نذرا او شكر نعمة سيب بعيرا فكان بمنزلة البحيرة في احكامها وقيل هي ام البحيرة كانت الناقة اذا ولدت عشرة ابطن كلهن اناث سيبت فلم تركب ولم يشرب لبنها الا ولدها او الضيف حتى تموت فاذا ماتت اكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت اذن بنتها الاخيرة وكانت بمنزلة امها في انها سائبة وقال ابن عباس السائبة هي التي تسيب للاصنام اي تعتق لها وكان الرجل يسيب من ماله ما يشاء فيجيء به الى السدنة وهم خدم الهتهم فيطعمون من لبنها ابناء السبيل وقيل هي العبد يعتق على ان لا يكون عليه ولاء ولا ميراث واما الوصيلة فاذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم فالوصيلة بمعنى الموصولة كانها وصلت بغيرها او بمعنى الواصلة لانها وصلت اخاها واما الحامي فيقال حماه يحميه اذا حفظه قال السدي هو الفحل اذا ضرب في الابل عشر سنين فيخلى وقيل ان الفحل اذا ركب ولد ولده قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى الى ان يموت فان قيل اذا جاز اعتاق العبيد والاماء فلم لا يجوز اعتاق البهائم من الذبح والايلام فالجواب ان الانسان خلق لعبادة الله فاذا ازيل الرق عنه كان ذلك معينا له على ما خلق لاجله اما البهائم من الحيوانات فانما خلقت لمنافع المكلفين فتركها يقتضي تفويت كمالها عليها وايضا الانسان اذا اعتق قدر على تحصيل المنافع وكذا دفع المضار بخلاف البهائم فانها عاجزة عن جذب الملايم ودفع المنافي في الاغلب فاعتاقها يفضي الى ضياعها فظهر الفرق ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب قال ابن عباس يريد عمرو بن لحي واصحابه كان قد ملك مكة وكان اول من غير دين اسمعيل فاتخذ الاصنام ونصب الاوثان وشرع البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال رسول الله ﷺ في حقه لقد رايته في النار يؤذي اهل النار بريح قصبه والقصب الامعاء هذا حال رؤسائهم واكثرهم لا يعقلون يعني العوام والاتباع ثم رد على اهل التقليد بقوله واذا قيل لهم الاية وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة نفي العقل عنهم هناك والعلم ههنا مع نفي الاهتداء في الموضعين وفيه دليل على ان الاقتداء لا يجوز الا بالعاقل العالم المهتدي لا يبتنى قوله على الحجة والدليل لا على التقليد والاهتداء لانه قيل اهل البرهان العلم ابلغ درجة من العقل ولهذا يوصف الله تعالى بالعلم ولا يوصف بالعقل وكان دعواهم ههنا ابلغ لقولهم حسبنا ما وجدنا فناسب ان ينفي عنهم العلم الذي هو ابلغ ثم ذكر ان هؤلاء الجهال مع ما تقدم من انواع المبالغة في الاعذار والانذار والترغيب والترهيب لم ينتفعوا بشيء منه بل اصروا على جهالتهم وضلالتهم فلا تبالوا بهم ايها المؤمنون فان جهلهم لا يضركم اذا كنتم منقادين لتكاليف الله مطيعين لاوامره ونواهيه يقول العرب عليك زيدا وعندك عمرا يعدونها الى المفعول كانه قيل خذ زيدا فقد علاك اي اشرف عليك وعندك عمرو فخذه وليس المراد في عليك انه حرف جر مع مجرور متعلق بمحذوف بل الجار والمجرور معا منقول الى معنى الفعل نقل الاعلام ولهذا سمي اسم فعل فان قيل ظاهر الاية يوهم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بواجب فالجواب المنع فان الاية لا تدل الا على ان المطيع لربه غير مواخذ بذنب العاصي ولهذا خطب ابو بكر فقال انكم تقرؤن هذه الاية وتضعونها في غير موضعها واني سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا راوا المنكر فلم يغيروه يوشك ان يعمهم الله بعقابه وعن عبد الله بن المبارك ان هذه اكد اية في وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لان معنى عليكم انفسكم احفظوها والزموا اصلاحها بان يعظ بعضكم بعضا ويرغبه في الخيرات وينفره عن

قسمان احدهما السؤال



العباد والسياسات لا يضركم ضلال من ضل اذا اهتديتم فامرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فانكم خرجتم عن عهدة تكليفكم كما قال لرسوله ﷺ فقاتل في سبيل الله
لا تكلف الا نفسك وقيل ان الآية مخصوصة بما اذا خاف الانسان عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على نفسه او على عرضه او على ماله وكان ابن شبرمة يقول من فر من اثنين
فقد فر ومن فر من ثلاثة فلم يفر وقيل انها مختصة بالكفار الذين علم انه لا ينفعهم الوعظ يؤكده ما روي في سبب النزول عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ لما قبل من مجوس هجر الجزية
قال منافقو العرب عجبا من محمد يزعم ان الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا ولا يقبل الجزية الا من اهل الكتاب فلا نراه الا قد قبل من مشركي اهل هجر
ما رد على مشركي العرب فانزل الله تعالى الآية اي لا يضركم ملامة اللائمين اذا كنتم على الهدى والحق وقيل كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العناد من
الكفرة فنزلت تسلية لهم كما قال لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وعن ابن مسعود ان الآية قرئت عنده فقال ان هذا في آخر الزمان ومثله ما روي عن ابي ثعلبة
الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله ﷺ عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا
ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون
مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباءك ولاموه فنزلت ثم انه سبحانه لما امر بحفظ النفس في قوله عليكم انفسكم امر بحفظ المال عن ابن عباس
ان تميما الداري واخاه عديا وكانا نصرانيين خرجا الى الشام ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا خرجوا للتجارة فلما قدموا الشام مرض بديل
فكتب كتابا فيه نسخة جميع ما معه واخفاه بين الامتعة ولم يخبرهما بذلك ثم اوصى اليهما وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فاخذا اناء
من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب ودفعا باقي المتاع الى اهله لما قدما فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى النبي ﷺ
فنزلت ومعنى شهادة بينكم شهادة ما بينكم اي من التنازع والتشاجر وانما اضيفت الشهادة الى التنازع لان الشهود انما يحتاج اليهم عند التنازع واذا حضر
ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي هذا دليل ان الوصية مما لا ينبغي ان يتهاون بها المسلم عند ظهور امارات الموت فكأن وقتهما واحد وهما متلازمان
ارتفع اثنان على انه قائم مقام الخبر اي شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل فعل محذوف في التقدير شهادة ما بينكم ان يشهد اثنان وفي قوله منكم
او من غيركم قولان فعن الحسن والزهري وعليه جمهور الفقهاء ان منكم اي من اقاربكم ومن غيركم اي من الاجانب والمعنى ان وقع الموت في السفر ولم يكن معكم من
اقاربكم فاستشهدوا على الوصية اجنبيين وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم بحال الميت واراف به وعن ابن عباس وابي موسى الاشعري وسعيد بن المسيب وسعيد بن
جبير وشريح ومجاهد وابن جريج وابن سيرين ان منكم اي من اهل ملتكم ومن غيركم اي من الكفار كان يهوديا او نصرانيا او مجوسيا او عابد وثن قال الشعبي
مرض رجل من المسلمين في الغربة فلم يجد احدا من المسلمين يشهده على وصيته فاشهد رجلين من اهل الكتاب فقدما الكوفة واتيا ابا موسى الاشعري وكانا قد
علما فاخبراه بالواقعة فقال ابو موسى هذا امر لم يقع بعد النبي ﷺ فحلفهما في مسجد رسول الله ﷺ بعد العصر بالله العظيم انهما ما كذبا وما بدلا واجاز شهادتهما
والذاهبون الى هذا القول احتجوا بان الخطاب في منكم لجميع المؤمنين فيلزم ان يكون غيرهم كافرين وبان هذين الشاهدين لو كانا مسلمين لم يكن الاستشهاد
بهما مشروطا بالسفر لجواز ذلك في الحضر ايضا بالاتفاق وبانه تعالى اوجب الحلف عليهما والشاهد المسلم لا يجب تحليفه البتة وبان الشاهدين في سبب النزول كانا
نصرانيين وبان ابا موسى قضى بذلك ولم ينكر عليه احد من الصحابة وبان الضرورات تبيح المحظورات كالتيمم والافطار واكل الميتة وللمسلم اذا قرب اجله ولم يجد
مسلما ولا تقبل شهادة الكفار يضيع اكثر مهماته فقد يكون عليه زكوات وكفارات وديون وعليه ودائع وله مصالح ولمثل هذه الضرورة جوزنا شهادة النساء
فيما يتعلق باحوال النساء كالحيض والحبل والولادة وللاولين ان يجيبوا بان حذف المضاف في غيركم وبان ذكر السفر ليس لاجل اشتراطه في قبول الشهادة
ولكن لاجل ان الغالب في السفر فقدان الاقارب ووجود الاجانب وبان التحليف مشروط بالريبة وقد روي عن علي كرم الله وجهه انه كان يحلف الشاهد
الشاهد والراوي اذا اتهمهما وبان سبب النزول لا يلزم ان ينطبق على الحكم مذ رآه الفقه وبان قضية ابي موسى خبر الواحد وبان الضرورة كانت في اول
الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في السفر غالبا ومما يصلح ان يكون مؤكدا لهذه الآية وان لم يجز ان يكون ناسخا لها عند من يرى ان المائدة من آخر القرآن نزولا
قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم وليس المراد من العدالة الاحتراز عن الكذب في النطق فقط بل في الدين والاعتقاد ولا كذب اعظم من الفرية على الله
وعلى رسله وانما تقبل شهادة اهل البدع والاهواء من هذه الامة احتياطا لكلمة الاسلام وموقع تحبسونهما مرفوع نعت او مستأنف كانه قيل كيف نعمل ان ارتبنا
فقيل تحبسونهما من بعد الصلاة قال ابن عباس من بعد صلاة دينهما وقال عامة المفسرين من بعد صلاة العصر لان هذا
الوقت كان معروفا عندهم بالتحليف بعده ولفعل رسول الله ﷺ حين حلف عديا وتميما فاستحلفهما عند المنبر بعد صلاة العصر ولان جميع اهل الاديان
يعظمون هذا الوقت ويذكرون الله تعالى فيه ويحترزون عن الحلف الكاذب واهل الكتاب يصلون لطلوع الشمس وغروبها وقال الحسن المراد بعد الظهر او
بعد العصر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وقيل بعد اي صلاة كانت لان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر قال الشافعي الايمان تغلظ
في الدماء والطلاق والعتاق والمال اذا بلغ مائتي درهم بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر بمكة بين الركن والمقام وبالمدينة عند المنبر وفي بيت
المقدس عند الصخرة وفي سائر البلاد في اشرف المساجد وقد تغلظ بالتكرير والتعديد كما في القسامة واللعان او بزيادة الاسماء والصفات
وقال ابو حنيفة يحلف من غير التغليظ بزمان ومكان ولا يخفى ان قول الشافعي اوفق للآية والمقسم عليه قوله لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى
ان ارتبتم اعتراض والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عوضا من الدنيا ولو كان من نقسم له قريبا منا وارادوا ان هذه
عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا كقوله شهداء لله ولو على انفسكم وخص القربى بالذكر لان الميل اليهم اتم والمداهنة بينهم اكمل ولا نكتم شهادة الله

الى امره بحفظها وتعظيمها واذا ثمّا لَمِنَ الْآثِمِينَ اى اذا كتمناها كنا من الآثمين ونقل عن الشعبي انه وقف على قوله ولا نكتم شهادة ثم ابتدأ
الله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ما ذكره سيبويه ان منهم من يقول الله لقد كان كذا والمعنى الله
فان عثر قال الليث عثر الرجل يعثر عثورا اذا هجم على امر لم يهجم عليه غيره ويذهب منه العثار لان العاثر انما يعثر بشيء كان لا يراه والمعنى فان حصل
الاطلاع على انهما استحقا اثما وهو كناية عن الخيانة والحنث في الحلف فآخران خبر مبتدأ محذوف او فاعل فعل محذوف وصفة مبتدأ محذوف اي
فالشاهدان او فليشهد او فشاهدان آخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم قال في الكشاف اي الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم
وهم اهل الميت وعشيرته وفي التفسير الكبير اي المال والاثم واضيف الى الميت بذلك لانه اخذ مالهم وكل من اخذ ماله غيره فقد جنى ولذلك الغير ان يكون
تعلقه بذلك المال مستعليا على تعلق مالكه به فصح ان يوصف المالك بانه قد استحق عليه ذلك المال الاوليان ارتفع الاوليان على انهما خبر مبتدأ محذوف
كانه قيل ومن الآخران فقيل هما الاوليان ويجوز ان يكون بدلا من الضمير في يقومان او من آخران ويجوز ان يرتفع باستحق اي من الذين استحق عليهم
انتداب الاوليين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال قال في الكشاف والمعنى الاوليان الاقربان الى الميت والاوليان الاحقان بالشهادة
لقرابتهما ومعرفتهما او الاحقان باليمين اما على تقدير الثانية وذلك عند الشافعي وكل من يرى رد اليمين على المدعي واما لانقلاب القضية عند من لا
يرى ذلك كابي حنيفة واصحابه فان من اقر لآخر بدين ثم ادعى انه قضاه حكم برد اليمين الى الذي ادعى الدين لانه صار مدعى عليه انه قد استوفاه وفي هذه
القضية ادعى الوصيان ان الميت باع منهما الاناء والورثة انكروا فكان اليمين حقا لهم ومن قرأ الاولين على الجمع فعلى انه نعت للذين استحق عليهم او
منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة او التقدم في الذكر في قوله يا ايها الذين آمنوا وكذلك اثنان ذوا عدل منكم
ذكرا قبل قوله او آخران من غيركم ومن قرأ استحق على البناء للفاعل عليهم الاوليان فقد قال في الكشاف فمعناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من
بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بها كذب الكاذبين وفي التفسير الكبير ان الوصيين اللذين ظهرت خيانتهما هما اولى
من غيرهما بسبب ان الميت عينهما للوصية ولما خانا في مال الوصية صح ان يقال ان الورثة قد استحق عليهم الاوليان روي انه لما نزلت الآية الاولى صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما عند المنبر بالله الذي لا اله الا هو انه لم يوجد منا خيانة في هذا المال فخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبيلهما وكتما الاناء مدة ثم باعوه فوجد بمكة وقيل لما طالت المدة اظهروه فبلغ ذلك ورثته فطلبوه منهما فقالا كنا قد اشتريناه فقالوا
الم نقل هل باع صاحبنا شيئا فقلتم لا فقالا لم يكن عندنا بينة فكرهنا ان نقر فكتمناه فرفعوا القصة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل فان عثر الآية فقام
عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة فحلفا بالله بعد العصر لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا في طلب هذا المال في نسبتهما الى الكذب والخيانة
فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الاناء اليهما والى اولياء الميت وكان تميم الداري يقول بعد اسلامه صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الاناء فانا اتوب الى الله تعالى وعن ابن عباس
انه بقيت تلك الواقعة مخفية الى ان اسلم تميم الداري فقال حلفت كاذبا وقد بعت الاناء انا وصاحبي بالف فقسمنا الثمن ثم دفع خمسمائة من نفسه ونزع من صاحبه
خمسمائة اخرى ودفع الالف الى اولياء الميت ذلك الحكم الذي شرعناه والطريق الذي نهجناه اقرب الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها اي كما هو في الواقع
او يخافوا ان ترد في مثل هذه القضية ايمان على الورثة بعد ايمانهم وهذا تفسير من يرى رد اليمين واما من لا يرى ذلك فالمعنى عنده ان تكرر ايمان شهود
آخرين لانقلاب المدعى عليه مدعيا وعلى التقديرين يظهر كذبهم والحاصل ان هذا الحكم يصير باعثا للشهود على اداء حق الشهادة للداعي او الصادق واتقوا
الله في الايمان واسمعوا مواعظه سماع قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن مناهج شرائعه واحكامه وفيه من الوعيد ما فيه قال
المفسرون هذه الآية في غاية الصعوبة اعرابا ونظما وحكما وذكر الواحدي في البسيط عن عمر بن الخطاب ان هذه الآية اعضل ما في هذه السورة من
الاحكام ولهذا ذهب اكثر الفقهاء الى ان حكم هذه الآية منسوخ ثم انه سبحانه ختم الاحكام بوصف احوال القيامة وذكر بعض ما سيجري هناك
من المخاطبة والعتاب جريا على عادته في هذا الكتاب من خلط التكاليف بالالهيات والنبوات واحوال المعاد فقال يوم يجمع الله الرسل فقال الزجاج
تقديره واتقوا الله يوم كذا لا على انه ظرف لانهم غير مأمورين بالتقوى في ذلك اليوم ولكن على انه بدل الاشتمال من اسم الله ويجوز ان يكون ظرفا
لقوله لا يهدي اي لا يهديهم ... الى الجنة يومئذ ومنصوبا باضمار اذكر وظرفا لما يجيء بعده وهو قالوا وعلى هذين الوجهين تكون الآية منقطعة عما قبلها
وماذا منصوب باجبتم و... انتصاب المصدر على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم وفائدة السؤال توبيخ قومهم كما كان سؤال
الموؤدة توبيخا للوائدين ثم ظاهر قوله لا علم لنا يدل على ان الانبياء لا يشهدون لاممهم فالجمع بين هذا وبين قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
مشكل فقال جمع من المفسرين ان للقيامة زلازل واهوالا بحيث تزول القلوب عن مواضعها عندها فالانبياء عند مشاهدتها ينسون اكثر الامور فهنالك يقولون لا علم لنا ثم اذا عادت
اليهم عقولهم يشهدون للامم ولا يرد عليه قوله لا يحزنهم الفزع الاكبر الا ان اولياء الله لا خوف عليهم لان مواقف القيامة مختلفة ولان
الخوف في العاقبة لا ينافي الحيرة والدهشة وقال آخرون المراد منه المبالغة في توبيخ الكفرة فان ذلك هو المقصود من السؤال كما يقول الواحد لغيره ما تقول
في فلان فيقول انت اعلم به مني فكانك قيل لا تحتاج فيه الى الشهادة لظهوره وفيه مع التوبيخ اظهار التشكي الى الله ممن كذبوهم وعادوهم وقال ابن
عباس نفوا العلم عن انفسهم عند علام الغيوب ليعلم ان علمهم هنالك كلا علم وقيل المراد نفي العلم بخاتمة احوالهم وما كان منهم بعدهم فانما
الامور بخواتيمها وفي التفسير الكبير ان الذي عرفوه منهم في الدنيا كان مبنيا على ظاهر احوالهم كما قال نحن نحكم بالظاهر وكان ظنا غالبا والظن

اى شاهدان لهم الاولين ح

طريق
ولكن



في الآخرة مبنية على خفايا الأمور وبواطنها فلهذا نفوا العلم فإن الظن لا عبرة به في القيامة مع أن السكوت وتفويض الأمر إلى الأعلم الأعدل أقرب إلى الأدب وقرئ علام الغيوب بالنصب على أن الكلام قد تم عند قوله إنك أي إنك الموصوف بالجلال والكبرياء ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء ثم عدد أنواع نعمه على عيسى واحدة فواحدة ليبين لهما أنه عبد ليس بإله ووبخ الملتزمين من الأمم وأولى الأمم بذلك النصارى الطاعنون في ذات الله سبحانه باتخاذ الصاحبة والولد وموضع إذ قال رفع بالابتداء على معنى ذاك إذ قال الله أو نصب بإضمار اذكر أو هو بدل من يوم يجمع وإنما ذكر القول بلفظ الماضي دلالة على قرب القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت كما يقال الجيش قد أتى إذا قرب إتيانهم أو ورد على الحكاية كقول الرجل لصاحبه كأنك بنا وقد دخلنا بلدة كذا فصنعنا كذا ويحتمل يا عيسى مضموم على أنه منادى مفرد معرفة أو مفتوح لأنه وصف بابن مضافا إلى علم وهو المختار للخفة وكثرة الاستعمال نعمتي عليك وحد والجمع وحدت لأنه مضاف يصلح للجنس وإنما قال وعلى والدتك لأن النعمة على الولد نعمة على أبويه ولأن مكارم الأخلاق دليل على الأعراق إذ أيدتك بدل من نعمتي أي قويتك بروح القدس أي بجبرئيل والقدس هو الله كأنه أضافه إلى نفسه تعظيما له أو بالروح الطاهرة المقدسة وقد تقدم في البقرة تكلم الناس حكاية حال ماضية في المهد وكهلا أي في هاتين الحالتين من غير تفاوت وإذ علمتك الكتاب الخط أو جنس الكتب والحكمة النظرية والعملية والتوراة والإنجيل خصهما بالإحاطة بالأسرار الإلهية بعد العلوم المذكورة ولهذا قال فتنفخ فيها الضمير للكاف لا للهيئة المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخ في شيء وكذا الضمير في فيكون والكاف مؤنث بحسب المعنى لدلالتها على الهيئة التي هي كهيئة الطير ومذكر في الظاهر فلهذا عاد الضمير إليه مذكرا تارة كما في آل عمران ومؤنثا أخرى كما في هذه السورة وكرر بإذني أي بتسهيلي ليعلم أن الكل بإذن الله تعالى وتمكينه وإظهاره الخوارق على يديه وإلا فهو عبد كسائر عبيده وإذ كففت يروى أنه لما أظهر هذه المعجزات العجيبة قصد اليهود قتله فخلصه الله تعالى ثم رفعه إلى السماء إن هذا إلا سحر مبين من قرأ بغير ألف أشار إلى ما جاء به أو أراد أنه ذو سحر فأطلق عليه الحدث مبالغة ومن قرأ بالألف أشار إلى الرجل واللام في البينات يحتمل أن يكون للجنس ويحتمل أن يراد بها المعجزات المذكورة وذكر قول الكفار في حقه إن هذا إلا سحر مبين يحتمل أن يكون من تمام القصة استطرادا ويمكن أن يراد بذلك تعداد النعم أيضا لأن كل ذي نعمة محسود وطعن الكفار فيه يدل على علو شأنه وسمو مكانه وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل ولا يضاهيه هذه النعم الجسام والمنن العظام كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد ويقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات وإذ أوحيت إلى الحواريين إن كانوا أنبياء فظاهر وإلا فالوحي بمعنى الإلهام كقوله وأوحى ربك إلى النحل وأوحينا إلى أم موسى وهذا أيضا من جملة النعم لأن كون الإنسان مقبول القول عند الناس محبوبا في قلوبهم من أعظم نعم الله تعالى وقدم الإيمان على الإسلام ليعلم أنهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظاهرهم هل يستطيع ربك من قرأ بالتاء وبالنصب فظاهر والمراد هل تستطيع سؤال ربك أي هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله ومن قرأ بالياء وبالرفع فمشكل لأنه تعالى حكى عنهم أنهم قالوا آمنا فكيف يتصور مع الإيمان شك في اقتدار الله تعالى وأجيب بوجوه منها أن حكاية الإيمان عنهم لا يوجب كمالهم وإخلاصهم في ذلك ولهذا قال لهم عيسى اتقوا الله إن كنتم مؤمنين ومنها أنهم طلبوا مزيد الإيقان والطمأنينة ولهذا قالوا وتطمئن قلوبنا ومنها أنهم أرادوا هل هو جائز في الحكمة أم لا وهذا على أصول المعتزلة من وجوب رعاية الأصلح أو أرادوا هل قضى بذلك وعلم وقوعه أم لا فإن خلاف معلومه غير مقدور وهذا عند الأشاعرة ومنها قول السدي إن السين زائدة وكذا التاء أي هل يطيع ربك ومنها لعل المراد بالرب جبرئيل لأنه كان يربيه ومنها أن المراد بالاستفهام التقرير كمن يأخذ بيد ضعيف ويقول هل يقدر السلطان على إشباع هذا يريد أن ذلك أمر جلي لا يجوز للعاقل أن يشك فيه قال الزجاج المائدة فاعلة من ماد يميد إذا تحرك فكأنها تميد بما عليها وذلك أنها لا تسمى مائدة إلا إذا كان عليها طعام فهي خوان وقال ابن الأنباري هي من ماده إذا أعطاه كأنها تعطي من تقدم إليه وقال أبو عبيدة هي بمعنى مفعولة مثل عيشة راضية أي مرضية كأن صاحبها أعطاها الحاضرين قال عيسى اتقوا الله في تعيين المعجز فإنه كالتحكم وأيضا اقتراح معجزة بعد ظهور معجزات كثيرة تعنت أو أمرهم بالتقوى ليتوسلوا بها إلى المطلوب ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فأجاب الحواريون بأنا لا نطلب هذه المعجزة بمجردها ولكنا نريد أن نأكل منها فإن الجوع قد غلب علينا ولا نجد طعاما آخر ونقل أنهم سألوها في مفازة خالية عن غيرها ولا طعام وإن نزل يقيننا وعرفنا وتطمئن قلوبنا فإن الذي شاهدنا من معجزاتك أرضية وهذه سماوية فيكون أعجب وأغرب أن نعلم صدقك في دعوى النبوة أو فيما وعدتنا وذلك أنه كان قال لهم صوموا ثلاثين يوما فإذا تم صومكم فكل ما سألتموه الله تعالى فإنه يعطيكم وإذا شاهدنا المعجزة كنا عليها من الشاهدين للذين لم يحضروها من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله تعالى بالوحدانية ولك بالنبوة تكون لنا عيدا صفة للمائدة أو استئناف وقرئ بالجزم جوابا للأمر كان نزولها يوم الأحد فلذلك اتخذه النصارى عيدا والعيد ما يعود إليك في وقت معلوم ومنه العيد لأنه يعود كل سنة بفرح جديد لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتي بعدنا أو يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم أو للمقدمين منا والأتباع وقرئ لأولانا وأخرانا بمعنى الأمة والجماعة فقول عيسى ربنا ابتداء بذكر الحق وأنزل علينا انتقال من الذات إلى الصفات وقوله تكون لنا عيدا إشارة إلى ابتهاج الروح بالنعمة لا من حيث إنها نعمة بل من حيث إنها صادرة عن المنعم وقوله وآية منك إشارة إلى كون المائدة دليلا لأصحاب النظر والاستدلال وقوله وارزقنا إشارة إلى حصة النفس والحواريون قدموا غرض النفس وأخروا الأغراض الدينية وأن عيسى بدأ بالأشرف حتى انتهى إلى الأخس ثم قال وأنت خير الرازقين وهو عروج مرة أخرى من الخلق إلى الخالق وعند هذا يظهر التفاوت بين النفوس الكاملة والناقصة والمشرقة والمظلمة اللهم اجعلنا من أهل الكمال والإشراق بعميم فضلك وجسيم طولك منزلها بالتخفيف والتشديد بمعنى وقيل بالتشديد للتكثير وبالتخفيف مرة واحدة عذابا لا أعذبه أحدا قال ابن عباس يريد مسخهم خنازير وقيل قردة وقيل جنسا من العذاب لا يكون موجزا إلى الآخرة عذابا

فإذا لم يكن عليها طعام



ضمير المصدر اي تعذيبا والضمير في لا اعذبه للمصدر ولو اريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء في الموضعين فيقال اعذبه بعذاب لا اعذب به احدا و
اراد بالعالمين عالمي زمانهم واختلفوا في ان عيسى عليه السلام سأل المائدة لنفسه او سألها للقوم وان كان اضافها الى نفسه في الظاهر وكلاهما محتمل انها نزلت ام لا
فقال مجاهد والحسن ان المائدة ما نزلت بل القوم لما سمعوا العذاب استغفروا وقالوا لا نريدها واكدوا هذا القول بانه وصف المائدة بكونها عيدا
لاولهم واخرهم فلو نزلت لبقي العيد الى يوم القيامة وقال جمهور المفسرين انها نزلت لانه سبحانه وعد انزالها بقوله اني منزلها عليكم ثم ان يوم نزولها كان
عيدا لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس الصوف ثم قال اللهم انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها
واخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قال لهم
ليقم احسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى عليه السلام فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول
ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح
الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الاخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله
فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت
المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وقيل ان عيسى عليه السلام كان شرط عليهم ان لا يسرفوا في الاكل ولا يدخروا فعصوا فمسخوا واذ قال الله معطوف على مثله
والصحيح ان هذا القول يقع يوم القيامة لقوله عقيبه هذا يوم ينفع وقيل هذا عند رفع عيسى عليه السلام نظرا الى ان اذ للماضي وقد مر توجيه ذلك أأنت قلت استفهام
الانكار والغرض منه توبيخ النصارى قال بعض المتكلمين ان احدا من النصارى لم يذهب الى القول بالهية عيسى عليه السلام وامه مع القول بنفي الهية الله تعالى واجيب بان
الاله هو الخالق وانهم يعتقدون ان خالق المعجزات والكرامات التي ظهرت على يد عيسى ومريم هو عيسى ومريم وليس لقدرة الله سبحانه في ذلك مدخل فبهذا التأويل
صح ما حكي عنهم واقول يشبه ان يكون المراد بقوله من دون الله اي بعد الله فيكون التوبيخ على التثليث والمراد انه لما دل البرهان على نفي تعدد الاله من قال
بالهية عيسى وامه لزمه القول بنفي المعبود الحق تعالى عن ذلك ولهذا قال عيسى سبحانك اي انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك ثم لم يجب بأني قلت وما قلت لان ذلك
يجري مجرى الطهارة والتبرئة بل اجاب بقوله ما يكون لي اي ما ينبغي لي ان اقول ما ليس لي بحق اي ان اقوله اظهارا لغاية الخضوع والاستكانة ثم فوض الامر
الى علمه المحيط بالكل فقال ان كنت قلته فقد علمته ثم علل ذلك بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي ولا اعلم معلومك وذكر النفس
ثانيا لاجل المشاكلة وانه من فصيح الكلام او تعلم ما اخفي ولا اعلم ما تخفي او تعلم ما عندي ولا اعلم ما عندك او تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول و
تفعل عبارات المفسرين ثم اكد ما ذكر بقوله انك انت علام الغيوب ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة فالمفسر اما فعل القول او فعل الامر ولا وجه
لكليهما اما فعل القول فيحكى بعده الكلام بلا ان فيقال ما قلت لهم الا اعبدوا الله اللهم الا ان يقال ان المضاف محذوف والتقدير ما امرتني بقوله فيكون تفسيرا
الصريح القول المقدر كالفعل المأول بالقول في عدم الظهور حتى يجوز توسيطان واما فعل الامر فمسندا الى ضمير الله فلو فسر باعبدوا الله لم يستقم لان الله لا يقول اعبدوا
الله ربي وربكم وان جعلتها مصدرية عند من يجوز دخولها على الطلبية فان كان بدلا من ما امرتني والمبدل في حكم المنحى كان المعنى ما قلت لهم الا عبادته ولا يستقيم
لان العبادة لا يقال وان جعلته بدلا من الهاء في به لم يصح ايضا لانه يؤول المعنى بعد طرح المبدل الى قولك الا ما امرتني بان اعبدوا الله فيبقى الموصول بلا عائد فاذن
الوجه ان يحمل فعل القول على معناه فيكون اصل المعنى ما امرتهم الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم الا انه وضع القول موضع الامر رعاية
للادب كيلا يجعل نفسه وربه امرين ودل على الاصل بذكر ان المفسرة قال في الكشاف ويجوز ان يكون ان مصدرية عطف بيان للهاء لا بدلا ويبقى العائد بحاله وكنت
عليهم شهيدا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من التلبس بما يوجب التكفير ما دمت فيهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كنت انت الحافظ عليهم
المراقب لاحوالهم وانت فصل وانت على كل شيء شهيد من الشهادة او من الشهود الحضور وان تغفر لهم فيه سؤال هو انه كيف جاز لعيسى هذا القول والله لا
يغفر الشرك والجواب ان قوله لعيسى أأنت قلت للناس يقتضي ان قوما من النصارى حكوا عنه هذا الكلام والحاكي لهذا الكفر عنه لا يكون كافرا بل يكون مذنبا
فقط ولو سلم انه مشرك فغفران الشرك جائز عندنا وعند جمهور البصريين من المعتزلة لان العقاب حق الله على المذنب وليس في اسقاطه على الله مضرة بل كلما كان
الجرم اعظم كان العفو احسن الا ان الدليل السمعي في شرعنا دل على انه لا يكون فلعل هذا الدليل السمعي لم يكن موجودا في شرع عيسى عليه السلام ولعل عيسى جوز ان يكون
بعضهم قد تاب عنه اما من زعم ان هذه المناظرة والمحاورة انما كانت عند رفعه الى السماء فلا اشكال اصلا لان المراد ان توفيتهم على هذا الكفر وعذبتهم فانهم عبادك
فلك ذلك وان اخرجتهم بتوفيقك من ظلمة الكفر الى نور الايمان وغفرت لهم ما سلف منهم فانك انت العزيز القادر على ما تريد الحكيم في كل ما تفعل لا اعتراض لاحد
عليك وفي مصحف عبد الله فانك انت الغفور الرحيم وضعفه العلماء لان ذلك يشعر بكونه شفيعا لهم لا على تفويض الامر بالكلية الى حكمه تعالى والمقام مقام هذا
لا ذاك وعن بعضهم ان ذكر الغفور الرحيم يشبه الحالة الموجبة للمغفرة والرحمة واما العزة والحكمة فلا يوجبان الا التعالي عن جميع جهات الاستحقاق فحصول المغفرة
بعد ثبوت هذا الاستغناء والعزة يكون ادل على كمال العفو والرحمة فان العفو عند المقدرة قال بعض العلماء في الاية نوع شفاعة من عيسى عليه السلام لقومه
فلان يثبت ذلك من جملة الشفاعات قال الله هذا يوم ينفع من قرأ بالرفع فظاهر وانه في تقدير الاضافة اي هذا يوم منفعة الصادقين ومن قرأ بالنصب فاما على انه
ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر اي هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى واقع في هذا اليوم كقولك القتال يوم السبت قال الفراء يوم اضيف الى ما ليس باسم

وصريح القول المقدر



ينوعلى الفتح كانى يوم هند وخطاء البصر تجوت وقالوا انما تبين الطرف اذا اضيف الى المبنى كالمضاف في قول النابغة على حين عاتبت المشيب على الصبى او مثل الا في قوله تعالى يوم لا تملك واجمعوا على ان هذا اليوم يوم القيمة والمراد ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في القيمة كما قال قتادة متكلمان تكلما يوم القيمة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه واما عيسى فكان صادقا في الدنيا وفي الآخرة فنفعه صدقه وفي هذا الكلام تصديق من الله تعالى لعيسى في قوله ما قلت لهم الا ما امرتني به رضي الله عنهم ورضوا عنه هما مثل وفاق لان رضى الله عن العبد رعايته وظايف العبودية وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون واذا صح الانسان نسبة العبودية علم ان العبد لا يكون له ارادة واختيار فيكون راضيا بما تعلقت ارادة ربه ذلك الفوز العظيم اشارة الى جميع المكونات او الى الجزاء الاشرف الاوفر وهو الرضوان وما فيهن لم يقل ومن فيهن ليكون دالا على العموم ولينبه على ان عقول ذوي العقول وعلوم ذوي الالباب العلوم بالنسبة الى علمه كلا علم وانما هم وغيرهم تحت قهره وتسخيره سواء واعلم انه سبحانه افتتح السورة بقوله اوفوا بالعقود وهو الشريعة والبداية وختم السورة بهذه الآية الدالة على فناء الكل تحت جلاله وكبريائه وهو الحقيقة والنهاية فما احسن هذا النسق وايضا في السورة بيان الشرائع والاحكام الكثيرة والمناظرة مع اليهود والنصارى فهذا الاختتام ذكر فيه انه سبحانه مالك لجميع الممكنات والكائنات موجد لجميع الارواح والاجساد ليصح التكليف على اي وجه اراد وليكون ردا على اليهود بحكم الملك في نسخ شريعة موسى ووضع شريعة محمد وليكون ردا على النصارى في ان عيسى ومريم داخلان في المخلوقات موجودان بايجاد الله ولا معنى للعبودية الا هذا وايضا لما اخبر عن فناء وجود هم المجازى لم يبق هناك مجيب فاجاب بنفسه لله ملك السموات والارض كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وفي هذه الخاتمة من الاسرار اضعاف ما عثرنا عليه والله تعالى اعلم باسرار كتابه التأويل اخبر عن كثرة السؤال انما يورث الملال وذلك ان علوم القال غير علوم الحال فالصنف الاول يجد فيه السؤال والثاني يلزم فيه ذلك اذ يحصل بالعيان لا بالبرهان كما كان حال الانبياء مع الله وكذلك نرى ابراهيم لقد رأى من آيات ربه الكبرى وقال ارنا الاشياء كما هي وقال الخضر لموسى فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء وقال موسى في الثالثة ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فان تعلم العلم اللدني بالحال في الصحبة والمتابعة والتسليم وفي السؤال الانقطاع عن الصحبة وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن اي ان كان لا بد لكم من السؤال عن حقايق فاسألوا عنها بعد نزول القرآن عن القرآن ليخبركم عن حقايقها على قدر عقولكم والله غفور لمن تاب من طلب علوم الحقايق بالقال حليم لمن يطلب بالحال وينقطع عنه في اثناء الطلب بسؤال قد سألها قوم من قبلكم كقدماء الفلاسفة اعرضوا عن متابعة الانبياء وابتلوا على مجرد العقل والقال فوقعوا في اودية الشبهات والضلال ما جعل الله من بحيرة قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بدايه هم الحيدرية والقلندرية يشقون اذانهم وذكرهم ويجعلون فيها حلق الحديد ويحلقون لحيتهم ولا سائبة هم الذين يضربون في الارض خليعي العذار بلا لجام الشريعة وقيد الطريقة ويدعون انهم اهل الحقيقة ولا وصيلة هم اهل الاباحة الذين يتصلون بالاجانب بطريق المواخاة والاتحاد ويرفضون صحبة الاخوان لاجل العصبية والعناد ولا حام وهو المغرور بالله يظن انه بلغ مقام الحقيقة فلا يضره مخالفات الشريعة واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله من الاحكام والى الرسول لما بعثه قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اي مشايخنا واهل صحبتنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا من الشريعة والطريقة ولا يهتدون الى الحقيقة عليكم انفسكم اي اشتغلوا او لا بتزكية نفوسكم ثم بارشاد الغير فان الغريق لا يمكنه تعلم السباحة اذا تشبث بمثله هلكا معا الى الله مرجعكم جميعا فللطالبين بجذبات العناية وللمقبلين بسلاسل القهر والنكاية اذا حضر احدكم الموت اي النفس بموت عن صفاتها الرديئة بالرياضة والمجاهدة فتوصي بصفاتها لورثتها وهم القلب والوصية اثنان ذوا عدل منكم هما العقل والسر من الروحانيات او آخران من غيركم هما الوهم والخيال من النفسانيات فالعقل والسر يشهدان بالحق وان كان على ذي قربى من الروحانيات والوهم والخيال شهادتهما الصدق والكذب ان انتم ضربتم في الارض اي سافرتم في السفليات فاصابتكم مصيبة الموت اي فيصيب النفس جذبة الحق فتموت تحبسونهما ان كنتم في بعد من الروحانيات من بعد الصلوة من بعد حضوركم مع الله وتوجيههم الى الحق ومراقبتهم فليشهدا على الشاهدين بالقسم والحق بالله ان يؤديا شهادة الحق ويقولان تركة النفس وهي صفاتها الى ورثتها وهم القلب صفاتها ولا يضرفانها في شيء من السفليات فان كل خلق اذا استعملته النفس في طلب الدنيا ولذاتها كان صفة مذمومة واذا استعمله القلب في طلب العلوم والكمالات صار ممدوحا فان عثر على انهما استحقا اثما بان مالا الى حظ من الحظوظ السفلية فآخران من صفات القلب هما التذكر والتفكر الصائبة ينظران في عواقب الامور ويشهدان على الآخرة خير من الدنيا والباقي خير من الفاني لشهادتنا احق من شهادتهما لان الوهم والخيال مالا الى الحظوظ بكتمان الحقوق والتذكر والتفكر مالا الى حفظ الحقوق بترك الحظوظ ان يأتوا بالشهادة على وجهها اي العقل والسر يأتيان في بدو الامر باستعمال صفات النفس في ثوابات الاخروية ويخافان عواقب الامور بان يشددوا على انفسهم بالاستهال فيضيع لوثان ما فات الاستعداد ثم بالتفكر والتذكر في الامر المحجوب غاية الخوف فيحتاجان الى كثرة الرياضة ماذا اجبتم قالوا وهم مستغرقون في بحر الشهود لا علم لنا اي ببواطن الامور وحقائقها واذا وحيت الى الحواريين في عالم الارواح يوم الميثاق قالوا بسبب ذلك التعارف في عالم الاشباح آمنا ان بعض الحواريين المقلدين في الايمان قالوا يا عيسى بن مريم هل يستطيع ذلك فما دعوا الامة مع نبيهم حيث لم يقولوا يا رسول الله ويا روح الله لامتهم حيث تشكوا في كمال قدرته ثم اظهروا دناءة همتهم حيث طلبوا بواسطة مثل عيسى مرة صلوا اهبلوا مائدة جسمانية لاقامة روحانية فقال عيسى اللهم ربنا انزل علينا مائدة الاسرار والحقايق من سماء العناية عليها المعمر الهداية تكون لنا اي لاهل الحق والصدق عيدا نفرح بها لاولنا لاول انفاسنا وآخرها فان اهل الحق يراقبون الانفاس لصحبة مع الله والهوى مع الله وانت خير الرازقين لان الكل يرزقون دونه ومنه ورزق عيرك مرزوق من غيرك فمن يكفر بعد منكم لا يقوم بحقها ويجعلها شبكة يصطاد بها الدنيا فاني اعذبه من المراتب الرفيعة الى المهالك السفلية الحيوانية وهو المسخ الحقيقي ويوم القيمة يحشر على صفاتهم التي ماتوا عليها كما قال يموتون الناس على ما عاشوا فيه ويحشرون على ما

عليها انه

ان يصطفيهم فان استعملوا القلب والسر... في الصفات الطبيعية القاسية واستعملوا النفس... ربما...

علیه انت ملک یلیتاس الخطاب مع الامة الامن سنة سبحانه ان لا یکلم الکفار ویکلم عیسیٰ بلا منهم او المراد بالقول امر لتکوین فالمعنی انت خلقت منهم ایجادک وامک الهین ام انا خلقت ذلک فیهم خذلانا لهم انک انت علام الغیوب لغیب ما غاب عن الخلق ویحتمل ان سیعلم الخلق وغیب الغیب ما غاب عنهم ولا یمکنهم ان یعلموه والله حسبنی ونعم الوکیل نعم المولیٰ ونعم النصیر

سورة الانعام مکیة وهی مائة وخمس وستون آیة وعشرون رکوعا

بسم الله الرحمن الرحیم
بنام خدای بخشاینده مهربان

الحمد لله الذی خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذین کفروا بربهم یعدلون ع
سپاس مر خدای راست که آفرید آسمانها و زمین را و آفرید تاریکیها و روشنی را پس آنانکه کافر شدند به پروردگار شان عدول میکنند

هو الذی خلقکم من طین ثم قضی اجلا واجل مسمی عنده ثم انتم تمترون وهو الله فی السموات
اوست آنکه آفرید شما را از گل پس حکم کرد وقتی را و وقت نامیده در نزد اوست پس شما شک میکنید و اوست خدا در آسمانها

وفی الارض یعلم سرکم وجهرکم ویعلم ما تکسبون وما تاتیهم من آیة من آیات ربهم
و در زمین میداند پنهان شما و آشکار شما را و میداند آنچه کسب میکنید و نیامد ایشان را هیچ آیتی از آیات پروردگار ایشان

الا کانوا عنها معرضین فقد کذبوا بالحق لما جاءهم فسوف یاتیهم انباء ما کانوا به یستهزءون
مگر که بودند از آن روگردانان پس براستی که تکذیب کردند حق را چون آمد ایشان را پس زود است که بیاید ایشان را خبرهای آنچه بودند بآن استهزا میکردند

الم یروا کم اهلکنا من قبلهم من قرن مکناهم فی الارض ما لم نمکن لکم وارسلنا السماء علیهم
آیا ندیدند که چه قدر هلاک کردیم پیش از ایشان از زمانها که جای دادیم ایشانرا در زمین آنچه جای ندادیم شما را و فرستادیم از آسمان بر ایشان

مدرارا وجعلنا الانهار تجری من تحتهم فاهلکناهم بذنوبهم وانشأنا من بعدهم
باران را و قرار دادیم نهرها را روان بود از زیر شان پس نابود کردیم ایشانرا بگناهان شان و ایجاد کردیم از پس ایشان

قرنا آخرین ولو نزلنا علیک کتابا فی قرطاس فلمسوه بایدیهم لقال الذین کفروا ان هذا
قرنهای دیگر را و اگر فرستادیم بر تو کتاب در کاغذی پس بسودندی آنرا بدستهای خود هر آینه گفتندی آنانکه کافر شدند نیست این

الا سحر مبین وقالوا لولا انزل علیه ملک ولو انزلنا ملکا لقضی الامر ثم لا ینظرون
مگر جادوئی هویدا و گفتند که چرا فرود آورده نشد بر او فرشته و اگر فرستادیم فرشته هر آینه تمام کرده شدی کار پس مهلت داده نشوند

ولو جعلناه ملکا لجعلناه رجلا وللبسنا علیهم ما یلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلک
و اگر گردانیدیم اورا فرشته هر آینه میگردانیدیم اورا مردی و هر آینه پوشیده میداشتیم بر ایشان آنچه پوشیده میدارند و براستی که استهزا کرده شد به پیغمبران از پیش تو

فحاق بالذین سخروا منهم ما کانوا به یستهزءون قل سیروا فی الارض ثم انظروا کیف کان عاقبة ع
پس احاطه کرد بآنانکه سخریه کردند از ایشان آنچه که بودند بآن استهزا میکردند بگو سیر کنید در زمین پس بنگرید که چگونه بوده است عاقبت

المکذبین
تکذیب کنندگان

القراءة انشأنا بغیر همز حیث کان ابو عمرو ویزید والاعشی وورش من طریق الاصفهانی وحمزة فی الوقف ولقد استهزئ ونابه بالهمز ابو عمرو وسهل ویعقوب وحمزة وعاصم وقرا یزید والشمونی وحمزة فی الوقف بغیر همز الباقون بغیر همز فحاق بالامالة حیث کان حمزة الوقوف والنور لان ثم لترتیب الاخبار یعدلون اجلا تمترون وفی الارض وقیل لا وقف بل یتصل بقوله وهو الله یعلم سرکم وجهرکم فی السموات وفی الارض دونه بعد بل المعنی وهو المستحق للعبودیة فی اهل السموات واهل الارض تکسبون معرضین لما جاءهم للابتداء بالتهدید یستهزءون مدرارا والعطف آخرین سحر مبین علیه ملک لا ینظرون یلبسون یستهزءون المکذبین التفسیر عن ابن عباس ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال نزلت الانعام جملة واحدة ونزل معها من الملائکة سبعون الف ملک عملا. وعن ابن عباس ان رسول الله صلعم قال انما دعا رسول الله صلعم الکتاب فکتبوها من لیلتهم سوی آیات معدودات وعن انس ان رسول الله صلعم قال لقد بعث الی جبرئیل مع خمسین ملکا او خمسین الف ملک یحفونها حتی اقروها فی صدرکما یقرلها فی الحوض ولقد اعزنی الله وایاکم بها عز الابد لنا بعدها ابدا فیها دحض حجج المشرکین وعدمن الله لا یخلفه ولاشتمال هذه السورة علی دلائل التوحید والنبوة والمعاد ولزوم لها جملة ذهب علماء الکلام الی ان علم الاصول مع جلالة قدره وجب نزوله علی الفور لا علی التراخی بخلاف الاحکام فانها تنزل بقدر المصالح وبحسب الحوادث والنوازل واعلم ان قوله الحمد لله مذکور فی اوائل سور خمس واختص کل منها بصفة لکن اعمها اصل فاتحة الکتاب الحمد لله رب العالمین فان العالم کل موجود سوی الله سبحانه فکان سائر السور تفاصیل لهذه الجملة اثنی الله سبحانه علی نفسه بقوله الحمد لله الذی خلق السموات والثناء علی النفس منهی فی الشاهد فهذه تدل علی انه لا یمکن قیاس الخالق علی الخلق فکما انه واحد فی ذاته فهو واحد فی صفاته وافعاله لا اعتراض لاحد علیه والحقیقی منه والمستحق للمدح بحسب الفضیلة والکمال هو لا یوجد فی الممکن کمال الاوله هو مشوب بالنقص والاختلال وثناء الاموات فی افق الامکان بخلاف واجب الوجود فانه لا غایة لکماله ولا نهایة لعظمته وجلاله فلا ینبغی

هو ولان يثنى لا عليه ولا ان يشكر وبهذا الاله ثم الاوصاف الجارية عليه سبحانه انما تذكر زيادة في المدح لا لاجل التوضيح والكشف
لما اسلفنا انه نعم عرفته ولما الذي ذكرناها وقد تقدم في الاسماء ان معنى الخلق يرجع الى التقدير والتقدير عائد الى العلم فالمراد انه اوجد السموات والارض على
حسب علمه الازلي ثم لعل بعض العلماء السماء كالدائرة والارض كالمركز وحصول الدائرة يوجب تعين المركز ولا ينعكس لامكان ان يحيط بالمركز الواحد دوائر
لا نهاية لها فلهذا ذكر السماء قبل الارض مع ان ظاهر التنزيل يدل على ان خلق الارض مقدم على خلق السماء وجمع السموات حقيقة وكذا افراد
الارض وقد يجمع الارض باعتبار الطبقات وسوف يجيء تقريره في قوله ومن الارض مثلهن والمقصود من هذا الوصف الزام المشركين وان تخصيص حجم
الفلك بمقدار معين وتخصيص كل من اجزائه بحيز معين وتخصيص الفلك بالحركة والارض بالسكون مع اشتراكهما في الطبيعة الجسمية وتخصيص كل حركة بحد
معين من السرعة والبطوء وبجهة معينة دلائل ظاهرة على وجود فاعل مختار واحد في ذاته وفي صفاته وفي افعاله وايضا ان لحركة كل فلك اولا لان حقيقة الحركة
انتقال من حالة الى حالة فيقتضي المسبوقية بالغير وحقيقة الاولوية تنافي المسبوقية بالغير وعدم الاولوية ينافي المسبوقية بالغير والجمع بينهما محال واذا ثبت ان لكل
حركة اولا فاختصاص ابتداء حدوثه بوقت معين يدل على الفاعل المختار وكذا اتصاف بعض الاجسام بالفلكية وبعضها بالعنصرية مع تساوي الكل
في تمام الماهية وايضا ان خارج العالم الجسماني خلاء لا نهاية له كما ثبت في الكلام فحصول هذا العالم في حيزه الذي حصل فيه دون سائر الاحياز امر ممكن يحتاج
الى مرجح قادر مختار حكيم يفعل ما يشاء كما يشاء هذا اذا نظرنا في ذوات هذه الاجرام اما ان اعتبرنا منافعها وكيفية تاثير الاثيريات وهي الاباء في
العنصريات وهي الامهات لتحصيل المواليد الثلاثة المعادن والنباتات والحيوانات ارتقينا من ذلك ايضا الى وجود صانع قدير وحكيم خبير تبارك وتعالى على
اجل مرتبة الممكنات اما قوله وجعل الظلمات والنور فمعناه احدث وانشأ ولهذا اقتصر على مفعول واحد ولو كان بمعنى صير اقتضى مفعولين والفرق
بين جعل وخلق لانه ادل التضمين اعني انشاء شيء من شيء كقوله وجعل منها زوجها فالنور والظلمة لما تعاقبا صار كان كل واحد منهما تولد من الاخر وقيل
لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار ولهذا جمع الظلمات اذ لكل جرم ظل والظل هو الظلمة ووحد النور لان النار واحدة هو منها والظلمة والنور
ههنا هما الامران المحسوسان بالبصر لان الاصل في الاطلاق الحقيقة والقرينة ذكر السموات والارض وعن ابن عباس الظلمة ظلمة الشرك والنفاق
والنور نور الاسلام واليقين فعلى الاول انما جمع الظلمات ووحد النور لان النور عبارة عن تلك الكيفية الكاملة القوية ثم انها تقبل التناقص
وتلك المراتب كثيرة اولانه قصد بالنور الجنس وعلى الثاني فذلك لان الحق واحد والباطل اكثر من ان يحصى وانما قدمت الظلمة على النور لان عدم
المحدثات سابق على وجودها والظلمة عدمية عند من يجعلها عدم النور او شبيهة بالعدم عند من يجعلها هيئة مضادة للنور وقد ورد في الاثر
ان الله تعالى خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على قوله الحمد لله والمعنى انه حقيق بالحمد
على ما خلق ثم الذين كفروا يعدلون عن طريق الانصاف فيكفرون بربهم او على خلق السموات معناه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم
هم يعدلون به اي يسوون به ما لا يقدر على شيء من ذلك فعلى المعنى الاول يعدلون من العدول وعلى الثاني هو من العدل ومعنى ثم ههنا وفي قوله ثم انتم
تمترون الرتبة واستبعاد مضمون الجملتين احدهما عن الاخرى ثم دليل اخر على اثبات الصانع وعلى صحة المعاد الجسماني فقال هو الذي خلقكم من طين اي من ادم
لانه مخلوق من الطين او خلقكم من النطفة المتولدة من الاغذية المنتهية الى العناصر ولا ريب ان خلق الاغذية المتنوعة من العناصر المتشابهة الاجزاء ثم تولد
النطفة المتشابهة الاجزاء من تلك الاغذية المختلفة ثم تخليق الاعضاء المختلفة في الصفة والصورة واللون والشكل كالقلب والدماغ والكبد والعظام
والغضاريف والرباطات والاوتار وغيرها من المادة المتشابهة لا يمكن الا بتقدير مقدر حكيم ومدبر رحيم ثم ان تلك القدرة والحكمة باقية بعد موت
الحيوان فيكون قادرا على اعادتها واعادة الحيوة فيها وذلك يدل على صحة القول بالمعاد اما قوله ثم قضى اجلا فاعلم ان لفظ القضاء قد يرد بمعنى
بمعنى الحكم والامر وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبمعنى الخبر والاعلام وقضينا الى بني اسرائيل وبمعنى صفة الفعل اذا تم فقضاهن سبع
سموات ومنه قولك قضى فلان حاجة فلان والانسب ههنا هو الاول والاجل في اللغة بمعنى الوقت المضروب لانقضاء الامد واصله من التأخير ومنه الآجل
نقيض العاجل ثم انه صريح الاية يدل على حصول اجلين لكل انسان فقال ابو مسلم الاول اجال الماضين لانهم لما ماتوا صارت اجالهم معلومة والثاني
اجال الباقين لانها غير معلومة بعد انما هي مسماة عند الله تعالى وقيل الاول اجل الموت والثاني اجل القيامة لانه لا اخر له ولا يعلم احد كيفية
الحال في هذا الاجل الا الله تعالى وقيل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني
ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت وقيل الاول مقدار ما انقضى من عمر كل احد والثاني مقدار ما بقي
من عمره وقال حكماء الاسلام الاول الاجل الطبيعي الذي يكون بالنسبة الى المزاج الاول لكل شخص لو بقي مصونا عن الافات الخارجية والثاني
الاجل الاخترامي الذي يحصل بسبب من الاسباب الخارجية كالغرق والحرق والقتل واللدغ وغيرها من الامور المنفصلة ومعنى مسمى اي مذكور
اسمه في اللوح المحفوظ او عنده اي في حكمه وعلمه كما يقول هذه المسئلة عند الشافعي كذا وعند ابي حنيفة كذا وارتفع اجل بالابتداء وجاز ذلك مع
تنكيره لكونه وصفه فقارب المعرفة وتمام المعنى وعنده اجل مسمى تعظيما لشان هذا الاجل فكانه قيل واي اجل مسمى عنده والمرية والامتراء الشك ومعنى ثم
استبعاد الامتراء عن مثل هذا الحجة الباهرة الموجبة للتيقن في امر المبدأ والمعاد ثم قرر انه سبحانه عالم بجميع المعلومات رادا على من زعم انه غير عالم بالجزئيات فلا
يمكنه تمييز المطيع من العاصي ولا تمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو فقال وهو الله في السموات وفي الارض وتعلق المجسمة بهذا الدعوى قوله ... من الشبهة انه سبحانه

مستقر في السماء فالواو ثم كذا ووقف بعض القراء على السموات في الآية ثم ابتدأ بقوله وفي الارض يعلم اي يعلم سركم الموجود في الارض ولو سلم ان لا وقف فالجار
حاصل على انه ليس موجودا في الارض ولا يلزم من ترك العمل باحد الظاهرين ترك العمل بالظاهر الآخر من غير دليل ونوقض بانه تعالى فيما في السموات فلو كان هو في
السماء لزم ان يكون مالكا لنفسه لا يخفى ضعف هذا النقض لانه مخصوص بالقرينة كقوله ان الله على كل شيء قدير وبانه اما ان يكون في سماء واحد وهو ترك الظاهر او
في جميع السموات وهو يقتضي كونه متجزئا وحصول المتحيز الواحد في مكانين وكلاهما محال والحق انه لا يلزم من استحالة المكان الا امتناع البعض لا التجسم والتجزية وهو حق فيه ومن
وبانه لو كان موجودا في السموات لكان محدودا متناهيا فيكون قابلا للزيادة والنقصان فيكون اختصاصه بمقدار معين لمخصص فيكون محدثا ويرد عليه انه لا يجب
ان يكون في السموات وفوقها الى ما لا يتناهى لاسيما عند من يقول ان وراء هذا العالم خلاء غير متناه وبانه لو كان في السموات فان لم يقدر على خلق عالم آخر فوقها
لزم تعجيزه وان قدر فلو فعل لحصل تحت ذلك العالم والقوم ينكرون كونه تحت العالم والاعتراض انه لا يلزم من القدرة الايجاد وقال غير المجسمة المراد وهو الله في
تدبير السموات والارض كما يقال فلان في امر كذا اي في تدبيره واصلاحه وعلى هذا يكون في السموات خبرا بعد خبر ويوقف على اسم الله ثم يبتدأ بما بعده ومعناه يعلم
الله فيهما لا اشتراك له في هذا الاسم والسر من صفات القلوب وهي الدواعي والصوارف والجهر من اعمال الجوارح وانما قدم السر لان الاول متقدم على الثاني طبعا فلا جرم قدم عليه وضعا والجملة
اعني قوله يعلم سركم وجهركم مقررة لما قبلها او خبر ثالث او كلام مبتدأ ويعلم ما تكسبون الكسب الاعمال السرية والجهرية لانه الفعل المفضي الى اجتلاب نفع او
اندفاع ضر ولهذا لا يوصف فعل الله تعالى بانه كسب وافراد الاخص بالذكر بعد الاعم للتقرير والتأكيد وكونه اهم حسن لا يلزم منه عطف الشيء على نفسه والمراد انه
عالم بما يستحقه الانسان على افعاله من ثواب وعقاب ثم لما فرغ من دلائل التوحيد والمعاد شرع في النبوات فرتب احوال الكفار مع الانبياء في ثلاث مراتب الاولى
كونهم معرضين عن التأمل في الدلائل وذلك قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم من الاولى للاستغراق والثانية للتبعيض والمراد وما يظهر لهم دليل
من الادلة التي يجب فيها النظر والاعتبار الا وهم على حالة الاعراض لقلة تدبرهم وفرط غفلتهم الثانية كونهم مكذبين وهذه شر مما قبلها لان الاعراض
قد يكون للغفلة لا للتكذيب واذا كذب فقد اعرض وزاد قال علماء المعاني ههنا حذف كانه قيل انهم كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما
هو اعظم آية وهو الحق قال ابن عباس هو انشقاق القمر بمكة انفلق فلقتين فذهبت فلقة وبقيت فلقة وقيل هو القرآن الذي تحداهم به فعجزوا عنه وقيل محمد
وقيل شرعه وقيل وعده ووعيده وتبشيره وانذاره والاولى الحمل على الكل المرتبة الثالثة كونهم مستهزئين لان التكذيب اذا انضم معه الاستهزاء
كان غاية في الغواية وذلك قوله فسوف يأتيهم انباء ما كانوا اي اخبار الشيء الذي كانوا به يستهزؤن وهو القرآن وغيره من المعجزات وليس
المراد نفس الانباء بل العذاب الذي انبأ الله تعالى به كقوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحكيم اذا توعد فربما قال ستعرف نبأ هذا اذا نزل بك وذلك
ان الغرض من الخبر حصول العلم بالمخبر عنه وذلك انما يتحقق بعد المعاينة والمعنى انهم سيعلمون باي شيء استهزؤا وانه لم يكن موضع استهزاء وذلك عند
نزول العقاب بهم في الدنيا كيوم بدر وغيره وفي الآخرة ثم لما زجرهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء واوعدهم على ذلك عاد الى الموعظة
والنصيحة بتذكير احوال الامم الماضية والقرون الخالية والقرن القوم المقترنون في زمان من الدهر المفترقون بعد ذلك بالموت وذلك الزمان قيل
ستون سنة وقيل سبعون وقيل ثمانون والاقرب انه غير مقدر بزمان لا يقع فيه زيادة ولا نقصان ولكنه اذا انقضى الاكثر من اهل كل عصر فقد انقضى
القرن وليس المراد ان يصدق الكفار محمدا في هذه الاخبار لانهم يصلون التكذيب فسيكذبون فيها ايضا وانما المراد ان ما يختص بالمقدمين منهم مشهور بين
الناس فيبعد انكاره الا انهم ما سمعوا تلك الحكايات ومجرد سماعها يكفي في الاعتبار ثم وصف تلك القرون بثلاثة اوصاف الاول تمكينهم في الارض مكن
له في الارض جعل له مكانا ومكنه فيها اثبته وهما متقاربان ولهذا جمع بينهما في الآية والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في
الاجسام والسعة في الاموال واسباب الدنيا الثاني ارسال السماء عليهم يعني الغيث او السحاب والخضراء لان المطر ينزل من ذلك الصوب والمدرار الكثير الدر ودر اللبن
اذا اقبل على الحالب منه شيء كثير ومدرارا نعت المطر ويقال ايضا سحاب مدرار اذا تتابع امطاره ومفعال من ابنية المبالغة يستوي فيه المذكر والمؤنث
الثالث وجعلنا الانهار تجري من تحتهم اي من تحت امكنتهم والمراد انهم اصحاب البساتين والقصور والمتنزهات فان قيل الهلاك غير مختص بهم وانما
يجري ذلك على الانبياء والمؤمنين ايضا قلنا لدفع هذا الاشكال ذكر فقال فاهلكناهم بذنوبهم فان الاهلاك بسبب المعاصي والآثام لا يكون الا
بالعذاب والايلام ثم نبه بقوله وانشأنا من بعدهم قرنا آخرين على كمال قدرته واستغنائه ونفاذ قدرته واستعلائه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد فالبلاد والعباد عباديد للتخريب والتعمير والبلاء والاعدام والايجاد ثم انه ان الذين يتمردون عن قبول دعوة الانبياء طوائف متعددة منهم من
بالغ في حب الدنيا وطلب لذاتها وشهواتها على وفق هواه ومناه لا على قانون الحجة والعقل فيتعسر لذلك عن التزام التكاليف وهو المذكور في الآية وفيه ان
لذات الدنيا ذاهبة وغوائل الكفر باقية وليس من العقل تحمل العقاب الدائم لاجل اللذات الفانية ومنهم من حملته العصبية والعناد على تكذيب معجزات الانبياء
وجعلها من قبيل السحر الذي لا اصل له وهم الذين عنوا بقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والمعنى انه لو نزل الكتاب جملة واحدة في صحيفة
فرأوه ولمسوه وشاهدوه عيانا لطعنوا فيه وقالوا انه سحر وههنا سؤال وهو ان نزول الكتاب من السماء جملة ان لم يكن من باب المعجزات لم يكن انكاره
منكرا وان كان من قبيل المعجزات فالملك يقدر على انزاله من السماء وقبل الايمان بصدق الرسل لم يكن عصمة الملائكة معلومة فيجوز ان يكون
نزول ذلك من قبل بعض الجن والشياطين او من بعض الملائكة الذين لم تثبت عصمتهم فلا يكون دليلا على الصدق واجيب بان المقصود من الآية
ليس بيان الاعجاز ولكن المراد انهم اذا لمسوه بايديهم يقوى الادراك البصري بالادراك اللمسي ويبلغ الغاية في القوة والظهور ثم انهم يبقون شاكين في ذلك

ذلك ويكون المعنى انه يعلم في السموات والارض سر الملائكة والانس والجن وجهرهم والمراد في المعنى منهما او المعنى بالاعتبار المخلوق فتأمل



موجودا ما لا وذلك يدل على انهم بلغوا في الجهالة الى حد السفسطة قال القاضي في الاية دليل على وجوب اللطف لانه تعالى بين انه انما لم ينزل هذا الكتاب
من حيث انه لو انزله لقالوا هذا القول فيفهم منه انهم لو قبلوه وامنوا به لانزله لا محالة وتبعه بان المفهوم ليس بحجة ولو سلم فوقوع اللطف لا يدل
على وجوبه ومن الكفرة من قابل النبوات بايراد الشبهات والاقتراحات قال الكلبي ان مشركي مكة قالوا يا محمد والله لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من
عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه من عند الله وانك رسوله وذلك قوله وقالوا لولا انزل عليه ملك فاجاب الله تعالى عن مقترحهم
بقوله ولو انزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ومعنى القضاء الاتمام والالزام كما مر وتقرير الجواب ان انزال الملك على البشر اية باهرة فبتقدير
ان لا يؤمنوا يجب اهلاكهم بعذاب الاستيصال او لعلهم اذا شاهدوا الملك زهقت ارواحهم لاهوال ما يشاهدون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما راى جبرئيل
على صورته الاصلية غشي عليه وان جميع الرسل عاينوا الملائكة في صورة البشر كاضياف ابرهيم ولوط وكالذين تسوروا المحراب وان جبرئيل تمثل
لمريم بشرا سويا وفائدة ثم ان عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة الشدة افظع من نفس الشدة ثم انهم كانوا يطعنون في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
من جهة النوع وهي انه بشر مثلهم ويقولون لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وتقرير الشبهة ان الرسل اذا كانوا من زمرة الملائكة كانت
علومهم اكثر وقدرتهم اشد ومهابتهم اعظم وامتيازهم عن الخلق اكمل والاشتباه في نبوتهم ورسالتهم اقل والحكيم اذا اراد تحصيل مهم اختار ما هو
اسرع افضاء الى المطلوب فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بقوله ولو جعلناه اي الرسول ملكا لجعلناه رجلا لان انزال الملك اية ظاهرة جارية مجرى الالجاء
وازالة الاختيار وذلك مناف لغرض التكليف ولان الجنس الى الجنس اميل ولان البشر لا يطيقون رؤية الملك ولان طاعات الملك كثيرة فيحقرون طاعات
البشر ويستعظمون اقدامهم على المعاصي فلا يصبرون معهم ولان انزال الملك يقوي الشبهة من وجه اخر وذلك ان اي معجزة ظهرت عليه قالوا هذا فعلك فعلته
باختيارك وقدرتك ولو حصل لنا مثل ما حصل لك من القدرة والقوة لفعلنا مثل ما فعلت ثم قال وللبسنا عليهم ما يلبسون لبست الامر على القوم
البسه لبسا اذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ومنه لبس الثوب لانه يفيد الستر والمعنى اذا جعلنا الملك في صورة البشر كان فعلنا نظير فعلهم في التلبيس
وانما كان ذلك لبسا لان الناس يظنونه ملكا مع انه ليس بملك ويظنونه بشرا مع انه ليس ببشر وانما كان فعلهم لبسا لانهم يخلطون على انفسهم ويقولون ان
البشر لا يصلح للرسالة فلا ينقطع السؤال ابدا ويبقى الامر في حيز الاشتباه وعلى هذا التفسير يكون قوله ما يلبسون مفعولا مطلقا ويجوز ان يراد ولخلطنا عليهم ما
يخلطون على انفسهم حينئذ فيكون مفعولا به يعني ان القوم اذا راوا الملك في صورة الانسان اشتبه الامر عليهم واذا كنا قد فعلنا ذلك كان اللبس منسوبا الينا
ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم عما يلقى من قومه بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق اي نزل وقال الفراء عاد عليهم والتركيب يدور على الاحاطة
ومنه الحوق بالضم ما استدار من الكمرة ما كانوا اي الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم واسند الحيق اليه حيث
اهلكوا لاجل الاستهزاء به ويحتمل ان يراد بلفظ ما العذاب الذي كان يخوفهم الرسول من نزوله وهم يستهزءون بذلك ثم امر رسوله بان يقول لهم لا تغتروا بما
وجدتم من زخارف الدنيا وسيروا في الارض لتشاهدوا اثار الامم السالفة الذين كذبوا رسلهم ونزل بهم ما نزل فان الاسفار تورث الاعتبار و
تفيد الاستبصار واعلم انه سبحانه قال ههنا ثم انظروا وفي موضع اخر فانظروا فالفاء بمجرد الاعتبار وثم للنظر على السير ثم لتباعد ما بين المباح والواجب فان
السير مباح والنظر واجب وايضا شتان بين السير الصوري بقدم الاشباح وبين السير المعنوي بقدم الارواح والله اعلم التاويل حمد نفسه القديم الازلي
على ان خلق سموات القلوب وارض النفوس وجعل الظلمات اي الصفات البهيمية والسبعية في النفوس والنور في القلوب وهو صفاتها الملكية والروحانية فخص
الجعل بالمعاني التي هي من عالم الامر والخلق بالاعيان لانها من عالم الصورة ولهذا المذكور صورة ادم قال اني خالق بشرا من طين وحيث اراد معناه قال اني
جاعل في الارض خليفة ثم بعد هذا الجعل والخلق مال نفوس الكفار بغلبة الظلمات الى طاغوت الهوى فجعلوه عديلا لربهم ثم قضى اجلا للروح
المفارق عن حضرته لايام فراقه واجل مسمى عنده وهو اجل الوصال بعد الفراق بجذبة ارجعي الى ربك ثم انتم تمترون يا اهل الوصال كما يمتري اهل الفراق
وهو الله في سموات القلوب وفي ارض النفوس يعلم سر الخلافة الذي اودع فيكم وجهركم الذي يظهر عنكم ويعلم ما تكسبون من استعمال الاستعداد للشر
والتصرف في المامورات والمنهيات في الخير والشر من اية من ايات ربهم في الافاق وفي انفسهم مكناهم في طلب الحق من قهر النفس واسباب الخيرات و
الطاعات وارسلنا مطر الواردات من سماء القلوب عليهم مدرارا متواليا وجعلنا انهار الحكمة تجري من تحت نظرهم فاهلكناهم مع هذه المقدمات اوردناهم
بذنوب طلب الدنيا مالها وجاهها وانشانا من بعدهم قرنا اخرين من طلاب الصادقين الثابتين المستقيمين ولو جعلناه رجلا ليفهموا خطابه ويكون
واقفا على الاحوال البشرية فيعالجهم بما يرى فيه صلاح حالهم كما قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم قل سيروا في ارض النفوس بقدم التقوى
ومخالفة الهوى الى ان تبلغوا سواحل بحار القلوب فتشاهدوا بانوار الشواهد عبر فيها عاقبة من هلكوا في بوادي القطيعة اذ ساروا بقدم الطبيعة

قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلّٰهِ كَتَبَ عَلٰى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَهُ
مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قُلْ أَغَيْرَ اللّٰهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ
أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَإِنْ
يَمْسَسْكَ اللّٰهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ قُلْ أَيُّ
شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللّٰهِ آلِهَةً أُخْرٰى قُلْ لَا

أتشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون
ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون
ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون القراءات إني أمرت بفتح ياء
المتكلم أبو جعفر ونافع إني أخاف بفتح الياء فهما وابن كثير وأبو عمرو الباقون بالسكون من يصرف مبنيا للفاعل سهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف و
عاصم سوى حفص والمفضل الباقون مبنيا للمفعول أئنكم بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وهشام يدخل بينهما مدة آينكم بالياء بعد الهمزة ابن
كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد آاينكم بالمد والياء أبو عمرو ويزيد وزيد وقالون بتكبير همز حيث كان يزيد وحمزة في الوقف نحشرهم
ثم نقول بياء الغيبة فيهما يعقوب الباقون بالنون ثم لم تكن بتاء التأنيث حمزة وعلي وحماد والمفضل وسهل ويعقوب الباقون بالياء فتنتهم بالرفع ابن كثير
وابن عامر وحفص والمفضل الباقون بالنصب والله ربنا بالنصب على النداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون بالجر على البدل والبيان الوقوف
الأرض ط قل لله ط الرحمة ط لأن قوله ليجمعنكم جواب قسم محذوف وقيل لا وقف وليجمعنكم جواب معنى القسم في كتب وفيه نظر لأن كتب عدة ناجزة وليجمعنكم وعد
منتظر لا ريب فيه ط بناء على أن الذين مبتدأ فيه معنى الشرط لا يؤمنون ه والنهار ط العليم ه ولا يطعم ط من المشركين ه عظيم ه رحمه ط المبين ه إلا هو ط قدير ه عباده ط الخبير ه
شهيدا ومن بلغ ط أخرى ط لانتهاء الاستخبار إلى الإخبار قل لا أشهد ج لاتساق الكلام بلا عطف تشركون م أبناءهم م لئلا يوهم أن ما بعده وصف لا يؤمنون ه
نصف السبع بآياته ط الظالمون ه نحشرهم مشركين ه تفترون ه التفسير إنه سبحانه لما برهن على إثبات الصانع وتحقيق النبوات وتقرير المعاد وانجر الكلام إلى الأمر
باعتبار أحوال الغائبين عاد إلى إثبات هذه المطالب بطريق الإلزام وأخذ الاعتراف وذلك أن آثار الحدوث وسمات الإمكان لائحة
على صفحات السموات والأرضين حتى بلغ في ظهوره إلى حيث لا يقدر منكر على إنكاره فكان في السؤال تبكيت وإلحام وفي الجواب تقرير وإلزام أي هو لله بلا
مراء وشقاق ولن يتم الملك والملك إلا إذا كان قادرا على الإعادة كما هو قادر على الابتداء ولن تحصل حكمة الإعادة إلا بثواب المطيعين وعقاب العاصين
ولن يحسن أيضا الثواب والعقاب إلا بعد نصب الدلائل وإرسال الرسل فلأجل ذلك قال كتب على نفسه الرحمة أي بنصب الأدلة وإزاحة العلة
إيجابا للفضل والكرم وقيل هذه الرحمة هي أنه يمهلهم مدة عمرهم ولا يعاجلهم بالاستئصال أو فرض على نفسه الرحمة لمن ترك التكذيب بالرسل وتاب
وصدقهم وقيل شرعهم أو تلك الرحمة هي أنه يجمعهم إلى يوم القيامة فإنه لولا هذا التهديد لحصل الهرج والمرج وارتفع الضبط وكثر الخبط كأنه قيل
لما علمتم أن كل ما في السموات والأرض لله تعالى وأنه المالك للكل فاعلموا أن الملك الحكيم لا يهمل أمر عبيده ولا يجوز في حكمته التسوية بين المطيع والعاصي
والغافل والساهي ومعنى ليجمعنكم إلى الحشر في يوم القيامة فإن الجمع يكون إلى المكان لا إلى الزمان وقيل ليجمعنكم في الدنيا خلقكم قرنا بعد قرن إلى يوم القيامة
قال الأخفش الذين خسروا بدل من ضمير المخاطبين في ليجمعنكم وقال الزجاج إنه مبتدأ خبره فهم لا يؤمنون وذلك لتضمنه معنى الشرط فكأنه قيل لم
المشركين مع وضوح الدلائل الباهرة لا يؤمنون فأجيب لأن الذين خسروا أنفسهم أي في علم الله وسابق قضائه فهم لا يؤمنون في طرف الأبد فكان امتناعهم
الآن عن الإيمان مسببا عن سبق القضاء عليهم بالخسران والخذلان وقال في الكشاف الذين خسروا نصب أو رفع على الذم بمعنى أريد الذين أو أنتم الذين
ثم لما بين أن له المكان والمكانيات ارتقى في البيان كما هو شأن الترتيب التعليمي إلى ما هو أخفى من ذلك عند الحس وهو الزمان والزمانيات فقال
وله ما سكن في الليل والنهار عن ابن عباس أن كفار مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد صلى الله عليه وآله إنا قد علمنا أنما يحملك على ما تدعونا إليه
الحاجة فنحن نجعل لك نصيبا من أموالنا حتى تكون من أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه فنزلت وله ما سكن الآية قيل اشتقاقه من السكون والتقدير
كل ما سكن وتحرك كقوله سرابيل تقيكم الحر أي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر للقرينة والأصوب أن اشتقاقه من السكنى كما يقال فلان
سكن ببلد كذا أي حل فيه والمراد كل ما حل في الوقت والزمان سواء كان متحركا أو ساكنا أو ثابتا وذلك أن الدخول تحت الزمان يستلزم التغير والحدوث
فلا بد له من محدث يتقدم عليه وعلى نفس الزمان وهو السميع العليم الذي يسمع نداء المحتاجين ويعلم حاجات المضطرين فيوصل كل مكروه الكمال
يليق به ويستعد له ثم لما كان لزاعم أن يزعم أن الذي يتعالى عن المكان وعن الزمان قد يكون ممكنا في نفسه كالمفارقات التي يثبتها الفلاسفة فلا
جرم قال قل أغير الله أتخذ منكرا لاتخاذ غير الله وليا ولذلك قدم المفعول لكونه أهم ولو كان حرف الاستفهام داخلا على الفعل توجه الإنكار إلى
نفس اتخاذ الولي وأنه غير مهم فاطر السموات عطف بيان من الله أو بدل وقرئ بالرفع على إضمار هو وبالنصب على المدح وعن ابن عباس ما عرفت معنى الفاطر
حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها وقال ابن الأنباري أصل الفطر الشق وقد يكون شق إصلاح كقوله فاطر السموات و
الأرض أي خالقهما ومنشئهما بالتركيب الذي سبيله أن يحصل فيه الشق والتأليف عند ضم بعض الأشياء إلى البعض وقد يكون شق إفساد ومنه قوله تعالى هل ترى من
فطور إذا السماء انفطرت وهو يطعم ولا يطعم أي هو الرزاق لغيره ولا يرزقه أحد والرزق والإطعام وإن كانا متغايرين وإلا لم يحسن العطف في قوله وما أريد
أن يطعمون إلا أنهما متقاربان فحسن جعل أحدهما كناية عن الآخر وقرئ وهو يطعم مبنيا للمفعول ولا يطعم مبنيا للفاعل على أن الضمير لغير الله وقرئ وهو يطعم
ولا كلا للفاعل والمعنى هو يطعم تارة ولا يطعم أخرى كقوله والله يقبض ويبسط أو الثاني بمعنى لا يستطعم وحاصل الآية أنه يجب شغل القلب كله بالله وقطع
العلائق بالكلية عما سواه لأنه الجواد المطلق الذي يهب لا لعوض ولا انتفاع ثم بين أن النبي أيضا داخل في تكليف المعرفة بل هو أسبق وأقدم في ذلك فقال قل إني
أمرت أن أكون أول من أسلم وقيل لي لا تكونن من المشركين وفيه أن الواعظ يجب أن يتعظ أولا بما يقوله فالمريض لا يتصور منه العلاج ثم ذكر أن النبي صلعم

لتضمنكم وقيل فيه حذف أي ليجمعنكم ٤

أنا فطرتها ٢



قادر بصدد المؤاخذة على تقدير المخالفة فقال تعالى قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ولا يلزم من هذا جواز المعصية عنه لأن الفرض قد يتعلق
بالمستحيل كقولك إن كانت الخمسة زوجا فهي منقسمة بمتساويين من قرأ من يصرف مبنيا للفاعل فالضمير فيه عائد إلى الله والمفعول وهو العذاب محذوف
لكونه معلوما أو مذكورا قبله قال في الكشاف ويجوز أن ينتصب يومئذ على أنه مفعول به ليصرف أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم هوله ومن قرأ على بناء
المفعول فهو مسند إلى ضمير العذاب ولم يسم الفاعل وهو الله تعالى للعلم به فقد رحمه أي الله الرحمة العظمى كقولك إن أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت
إليه يعني كمال الإحسان أو المراد فقد أدخله الجنة فإن من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب تفضلا أو استحقاقا فإن للأشاعرة في الآية دلالة على أن إيصال
الثواب على الطاعة غير واجب وإنما هو ابتداء فضل وإحسان وإلا لم يحسن ذكر الرحمة ههنا ألا ترى أن الذي يقبح منه أن يضرب زيدا فإذا لم يضربه لا يقال إنه
رحمه وذلك أن صرف العذاب وإيصال الثواب على سبيل التفضل أولى من الاستحقاق الفوز المبين لأنه المطلب الأعلى والمقصد الأسنى لكل مكلف ثم أكد
المعنى المذكور وهو أنه لا يجوز للعاقل أن يرغب في اتخاذ ولي غير الله بقوله وإن يمسسك الله بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من البليات فلا
كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير من غنى أو صحة فهو على كل شيء قدير عمم الحكم ليندرج تحته كل خير والحاصل أن اندفاع جميع المضار بقدرته
وكذا حصول جميع الخيرات لأن كل ما عداه فإنما هو تحت قهره وتسخيره وقد حصل بإيجاده وتكوينه فإن الممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته ورأس
المضار هو الكفر وسنام الخيرات هو الإيمان ولن يحصل نفرة الكفر وداعية الإيمان إلا بتوفيقه تعالى وكل ما يتصور أنه قد نفع أو ضر من الجمادات أو
الحيوانات فإن ذلك ينتهي إلى تخليق الله وجعله ذلك الشيء واسطة لذلك النفع والضر فلا ضار ولا نافع بالحقيقة إلا هو سبحانه ثم زاد في تقرير المعنى
بيانا فقال وهو القاهر فوق عباده وهو إشارة إلى كمال القدرة وهو الحكيم الخبير وإنه إشارة إلى كمال العلم فالحكمة أعم من العلم لأنها عمل وعلم وكونه
خبيرا أخص من العلم لأنه العلم ببواطن الأمور وخباياها فإذا اجتمعت هذه المعاني حصل العلم بكماله وغايته وقد استدل بظاهر الآية من أثبت الفوقية
لله تعالى وعورض بوجوه منها أنه لو كان فوق العالم بأن كان في الصغر بحيث لا يتميز منه جانب من جانب كالجوهر الفرد مثلا فذلك لا يقوله عاقل وإن كان
ذاهبا في الأقطار كلها كان متجزيا والجواب أنه لم لا يجوز أن يكون نورا قائما بذاته غير متناه لا متجزيا ولا متبعضا قاهرا لجميع الأنوار عاليا على جميع الأشياء
لا غاية لجوده ولا نهاية لوجوده وأما أنه كيف يتصور نور بلا نهاية مع أنه لا ينقسم ولا يتبعض فمجرد استبعاد فلا يصلح حجة وإدراك شيء من هذا النور
محتاج إلى نور ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ومنها أنه لو كان غير متناه من كل الجهات لزم اختلاطه بالقاذورات والجواب أن هذا كلام
مخيل فلا يستعمل في البرهان ومنها أنه لو لم يكن خارج العالم خلاء ولا ملاء لم يكن حصول ذات الله تعالى فيه وإن كان خلاء فحصوله في جزء من أجزاء ذلك الخلاء
دون سائر أجزائه محتاج إلى مخصص فيكون الواجب مفتقرا فيكون محدثا هذا خلف والجواب أنا ذكرنا أن نور الأنوار لا يتناهى وأنه وراء
ما لا يتناهى بما لا يتناهى فيسقط هذا الاعتراض ومنها أنه سبحانه موجود قبل الخلاء والحيز والجهة فلا يكون بعد حصول هذه الأشياء موجودا فيها وإلا
لزم التغير في ذاته والجواب بالفرق بين المعية وبين الافتقار ومنها أن العالم كرة فإما أن يكون الله تعالى فوق أقوام بأعيانهم وحينئذ يلزم أن يكون
تحت أقدام من يقابلهم وإما أن يكون فوق الكل فيكون فلكا محيطا بجميع الأفلاك وهذا لا يقوله مسلم والجواب لا نزاع بعد تسليم كون العالم
كرة أنا نختار القسم الأول ولا يلزم التحتية لأن التحت من جميع الجوانب هو ما يلي المركز والفوق ما يلي السماء أو القسم الثاني ولا يلزم من إحاطته بجميع
الأشياء كونه فلكا كسائر الأفلاك وأما التحقيق فقد مر ومنها أن لفظ الفوق في الآية مسبوق بالقهر ويراد به القدرة والمكنة وملحوق بلفظ عباده
وأنه يشعر بالمملوكية والمقدورية فالمناسب أن يراد بالفوق أيضا فوقية القدرة ولا يلزم التكرار لأن المراد أن القهر والقدرة عام في حق
الكل والجواب أن حمل الوسط على الطرفين أولى من العكس بل لا نزاع في مفهوم العباد وإنما النزاع في مفهومي القاهرية والفوقية وحمل أحدهما على
الآخر أولى من غيره ومنها أن الآية سيقت ردا على من اتخذ غير الله وليا وهذا إنما يحسن لو كان المراد بالفوقية القدرة لا الجهة والجواب أن الفوقية
بالوجه الذي قررنا في جواب الاعتراض الأول يفيد الاستعلاء المطلق وذلك يوجب أن يكون التعويل عليه في كل الأمور إذ لا وجود ولا ظهور لشيء من
الأشياء إلا بفيضه ونوره وقد يلوح للمتأمل في هذه الأجوبة بعد التنزيه عن التشبيه والتجسيم والحلول والاتحاد أسرار غامضة شريفة إن كان أهلها
وكل ميسر لما خلق له قال الكلبي إن رؤساء مكة قالوا يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا
أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم فنزلت قل أي شيء أكبر شهادة الآية قال العلماء إنها دلت على أن أكبر
الشهادات وأعظمها شهادة الله ثم بين أن شهادة الله حاصلة إلا أنها لم تدل على أن تلك الشهادة لإثبات أي المطالب فقيل إنها لإثبات نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم لما ذكرنا من سبب النزول والمعنى قل يا محمد أي شيء أكبر شهادة حتى يعترفوا بأن أكبر شهادة حتى يعترفوا بأن أكبر الأشياء شهادة هو الله تعالى
فإذا اعترفوا بذلك فقل إن الله يشهد لي بالنبوة بأن أظهر على وفق دعواي المعجز وهو القرآن الذي عجز عنه معاشر الفصحاء والبلغاء عن معارضته وقيل إن حصول
هذه الشهادة في وحدانية الله تعالى وذلك أن الوحدانية ليست مما يتوقف صحته على صحة السمع فلا يمتنع إثباتها بالسمع والمعنى قل الله شهيد بيني
وبينكم في إثبات الوحدانية والبراءة عن الأضداد والأنداد والأمثال والأشباه وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به وأبلغكم أن الدين هو التوحيد
والشرك مردود واستدل الجمهور بالآية على أنه يصح إطلاق الشيء على الله تعالى وخالفهم جهم محتجا بقوله تعالى الله خالق كل شيء إذ لا يمكن دعوى التخصيص فيه
فإن التخصيص إنما يجوز في صورة شاذة لا يلتفت إليها لقلة اعتبارها فيطلق لفظ الكل على الأكثر تنبيها على أن البقية جارية مجرى العدم فلو كان

الباري تعالى شيئا لكان اعظم الاشياء واشرفها فيكون اخراجه من هذا العموم محض الكذب وايضا احتج بان الشيء يطلق على المعدوم لقوله تعالى ولا تقولن
لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله والشيء الذي سيفعله غدا معدوم في الحال فالشيء لا يفيد صفة مدح فلا يطلق عليه والجواب عن الاول
ان اخراج الاكثر من العموم جائز عندنا ولو سلم فانه تعالى واحد من الاشياء والمخرج بهذا الاعتبار اقل عددا من الباقي وعن الثاني ان لفظ الشيء
اعم الالفاظ وقد صدق الخاص كالذات والحقيقة فصدق العام بالضرورة قال جمهور قل الله شهيد جملة مستقلة بنفسها لا تعلق لها بما قبلها فلا
يصح استدلالكم قلنا قل اي شيء سؤال ولا بد له من جواب هو اما مذكور او مقدر قل الله اكبر الاشياء شهادة ثم ابتدئ فقيل شهيد اي هو شهيد بيني
وبينكم او محذوف والمعنى قل هو الله والله شهيد بيني وبينكم وحسن الحذف لانه اذا سئل عن اكبر الاشياء شهادة وذكر بعد ذلك ان الله
شهيد علم جزما ان اكبر الاشياء شهادة هو الله اما قوله ومن بلغ فمعطوف على ضمير المخاطبين والعائد الى من محذوف اي لانذركم يا اهل مكة وانذر كل من بلغه
القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكانما راى محمدا صلى الله عليه وآله وقيل ومن بلغ اي
من احتلم وبلغ اوان التكليف وعلى هذا فلا حاجة الى اضمار العائد ثم استفهم مبكتا فقال ائنكم لتشهدون ان مع الله آلهة اخرى وصف الجمع بصفة الواحدة كما
يقال الرجال فعلت ثم دل على ايجاب التوحيد بثلث جمل اولاها قل لا اشهد اي بما تذكرونه من اثبات الشركاء وثانيتها قل انما هو اله واحد
وكلمة انما تفيد الحصر وثالثتها وانني بريء مما تشركون ومن هنا قالت العلماء المستحب لمن اسلم ابتداء ان ياتي بالشهادتين ويضم اليهما التبري عن كل دين سوى
دين الاسلام ولما زعم مشركوا مكة انهم سألوا اليهود والنصارى عن نعت محمد صلى الله عليه وآله فقالوا ليس عندنا ذكره كذبهم الله تعالى بقوله الذين
آتيناهم الكتاب يعرفونه اي يعرفون رسول الله بنعوته وحلاه الثابتة في الكتابين كما يعرفون ابناءهم بالنعوت والحلى لا يخفون عليهم ولا يشتبهون بغير ابنائهم
الذين خسروا انفسهم اما بدل او بيان من الذين الاولى ويكون المقصود وعيد المعاندين منهم والجاحدين واما مبتدأ والكلام جملة مستانفة شاملة لجميع الجاحدين
من اهل الكتاب ومن المشركين والمراد بخسران النفس الهلاك الدائم الذي يحصل لهم بسبب الكفر وقيل ما من احد الا وله منزل في الجنة الا ان من كفر
يحال منزله الى من اسلم فيكون قد خسر نفسه واهله بان ورث منزله غيره ثم بين سبب خسرانهم مستفهما على سبيل الانكار فقال ومن اظلم وذلك
انهم جمعوا بين امرين متنافيين اثبات الباطل وهو الافتراء على الله وجحد الحق وهو التكذيب بآيات الله فمن الاول ان المشركين كانوا يقولون للاصنام
انهم شركاء الله والله امرهم بذلك كانوا يقولون الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله واليهود والنصارى كانوا يزعمون ان التوراة والانجيل لا
يلحقهما النسخ وانهم ابناء الله واحباؤه وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة الى غير ذلك من مفترياتهم ومن الثاني قدحهم في القرآن وفي
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله انه لا يفلح الظالمون الذين وضعوا الشيء في غير موضعه الباطل مكان الحق والحق بازاء الباطل ثم كشف عن حالهم يوم
القيمة فقال ويوم نحشرهم وناصبه محذوف اي يوم كذا كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو ادخل في الوعيد ويحتمل ان يكون
مفعول واذكروا او معطوفا على محذوف اي لا يفلح الظالمون في الدنيا ويوم الحشر اين شركاؤكم آلهتكم التي جعلتموهم شركاء الذين كنتم تزعمون هم شركاء
فحذف المفعولان والمقصود من هذا الاستفهام التقريع والتبكيت ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حيث لم ينفعوهم فكانهم غيب عنهم ويجوز
ان يحال بينهم وبين آلهتهم وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيزداد حسرتهم ويحتمل ان يقال اين شفعاؤهم لكم وانتفاعكم
بهم والغرض من جميع الوجوه ان يتقرر في نفوسهم ان الذي يظنونه مما يوئس منه فيصير ذلك تنبيها لهم في الدنيا على فساد هذه الطريقة ثم لم تكن فتنتهم
من قرأ بالرفع على انه اسم كان فالخبر الا ان قالوا والتقدير شيئا الا ان قالوا ومن قرأ بالنصب مع تذكير يكن فبعكس ما قلنا والتقدير شيء الا ان قالوا
واما مع تانيث يكن فلوقوع الخبر مؤنثا كقولهم من كانت امك ومتاويل مقالتهم قال الواحدي الاختيار قراءة من قرأ بالنصب لان ان اذا وصلت بالفعل
لم يوصف فاشبهت بامتناع وصفها المضمر وكما ان المضمر والمظهر اذا اجتمعا كقولك كنت القائم كان جعل المضمر اسما اولى من جعله خبرا فكذلك ههنا
قال الزجاج تاويل هذه الآية حسن في اللغة لا يعرفه الا من وقف على معاني كلام العرب وذلك انه تعالى بين كون المشركين مفتونين بشركهم متهالكين
منهمكين في حبه فذكر ان عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا انه دين آبائنا لم تكن الا الجحود والتبري والحلف على عدم
التدين به ومثاله ان ترى انسانا يحب شخصا مذموم الطريقة فاذا وقع في محنة بسببه تبرأ منه فيقال له ما كانت محبتك اي عاقبة محبتك لفلان
الا ان تبرأت منه وتركته فعلى هذا فتنتهم هي شركهم في الدنيا كما فسرها ابن عباس ولكن لا بد من تقدير مضاف وهو العاقبة ويجوز ان يراد ثم لم يكن
جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب قال القاضيان الجبائي وابو بكر ان اهل القيمة لا يجوز اقدامهم على الكذب لانهم يعرفون الله تعالى
بالاضطرار فيكونون ملجئين الى ترك القبيح وكيف لا وانهم يعلمون ان ذلك لا يروج منهم ولا يستفيدون بذلك الا زيادة المقت والغضب من الله
تعالى عليهم ولا يجوزون ان يقال انهم لما عاينوا القيمة اختلت عقولهم واضطربت فلهذا قالوا الكذب او انهم نسوا كونهم مشركين في الدنيا لانه لا يليق
بحكمته تعالى ان يوبخهم ثم يحكي عنهم ما يجري مجرى الاعتذار عند اختلال عقولهم ولان تجويز نسيانهم امر دل عليه التخصص مدة عمرهم نوع من السفسطة
وايضا انهم لو كذبوا في موقف القيمة ثم حلفوا على ذلك الكذب لكانوا قد اقدموا على نوعين من القبيح فان عوقبوا على ذلك صارت الاخرة دار التكاليف
ان لم يعاقبوا كان اذنا من الله تعالى في ارتكاب الذنوب وكلاهما محال فاذن الوجه في الآية ان القوم كانوا يعتقدون في انفسهم وظنونهم انهم
موحدون فاجابوا بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اي في اعتقادنا وظنوننا وعلى هذا فيكونون صادقين فيما اخبروا عنه لانهم كانوا غير مشركين

عند انفسهم فيحبط عمل قوله ثم انظر كيف كذبوا على انفسهم بان المراد كذبهم في دار الدنيا كقولهم انهم على صواب وان ما هم عليه ليس بشرك وان الهتهم شفعاؤهم عند الله فلهذا قال وضل عنهم اي وانظر كيف غاب عنهم في الاخرة ما كانوا يفترون اي يفتعلون الهيته وشفاعته والحاصل ان الاية سيقت لبيان تضاد حاليهم في الدنيا وفي الاخرة بالكذب وبالصدق ولان الصدق في الاخرة انما يعتبر اذا كان مقرونا بالصدق في الدنيا هذا اجمال كلام القاضيين قال جمهور المفسرين ان قول القائل المراد بما كنا مشركين في اعتقادنا وكيف كذبوا على انفسهم في الدنيا مخالفة الظاهر وان الكفار قد يكذبون في القيمة لقوله ثم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون الى قوله الا انهم هم الكاذبون ولو سلم انهم لا يكذبون تعمدا الا ان الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه حيرة ودهشا الا نراهم يقولون ربنا اخرجنا منها وقد ايقنوا بالخلود وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضى عليهم فاختلال عقولهم ما يتكلمون بهذا الكلام لا يمنع كمال عقلهم في شان الاوقات التاويل ما في الكون سوى الله لا داع ولا مجيب فلهذا يسئل ويجيب قل لمن ما في السموات والارض قل لله وله ما سكن في الليل والنهار في ليل البشرية الى التمتعات الحيوانية وفي نهار الروحانية الى المواهب الربانية وهو السميع لانين من سكن اليه العليم بحنين من اشتاق اليه فلا غير الله اتخذ اليوم وليا وقد تخذني الله في الازل حبيبا فاطر سموات القلوب على محبته وفاطر ارض النفوس على عبوديته وهو يطعم ارواح العارفين طعام الشاهدات ويسقيهم كؤوس المكاشفات ولا يطعم لانه لا يحتاج الى قبول الفيض من غيره فالانوار عنده كالذرات اول من اسلم لانى خاتم من جنس الوجود بالكلية وحدي ولهذا يقول الانبياء نفسي نفسي واقول امتي امتي ان عصيت ربي برؤية الغير عذاب يوم عظيم هو وقت الاستنزال عن مقام التوحيد من يصرف عنه عذاب الشرك يوم قدر الشرك لا قوام والتوحيد لا قوام وان يمسسك الله بضر ان دائرة لا بداية لها متصلة بابديته وكل نقطة من الدائرة تصلح للبداية والنهاية فكل ما صدر منه فلن ينتهي الا به وهو القاهر فوق عباده قهر الكفار بموت القلوب فضلوا في ظلمات الطبيعة وقهر نفوس المؤمنين بانوار الشريعة فخرجوا من ظلمات الطبيعة وقهر قلوب المحبين بلدغات الاشواق الى يوم التلاقي وقهر ارواح الصديقين بسطوات الجلال في اوقات الوصال وهو الحكيم فيما يقهره فلا يخلو من حكمة الخبير لمن يستاهل كل صنف من قهره فنوره من الله اكبر شهادة لانه محيط بحقائق الاشياء ولا يخبر بشيء من الاشياء ومن بلغ القران ووقف على حقائقه ويقول يوحى الى المشركين انكم لتشهدون الذين آتيناهم الكتاب يعني العلماء بالقران يعرفون الله او النبي وفيه اشارة الى ان الابناء قد تحقق عندهم انهم مصار الاباء فكذلك اهل المعرفة قد تحقق عندهم ان الله مصدر جميع الاشياء الذين خسروا انفسهم بافساد الاستعداد الفطري ويوم نحشرهم جميعا يعني اهل المعرفة والنكرة اين شركاؤكم من الهوى والدنيا كذبوا على انفسهم لانهم كذبوا في الدنيا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون الا انفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه





قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن اكثرهم لا يعلمون القراآت ولا نكذب ونكون بالنصب فيهما حمزة ويعقوب وافق ابن عامر في ونكون والباقون بالرفع ولدار الآخرة بالاضافة ابن عامر تقديره ولدار الساعة الآخرة الباقون بتنوين الدار ورفع الآخرة على الوصفية تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب وحفص وكذلك في الاعراف يكذبونك بالتخفيف من الاكذاب اوجدكاذبا علي ونافع والاعشى في اختياره الباقون بالتشديد من كذبه اذا نسبه الى الكذب ان تنزل بالتخفيف ابن كثير الوقوف وقرا بعضهم الاولين وينأون عنه لابتداء النفي مع واو العطف وما يشعرون من المؤمنين من قبل لكاذبون لمبعوثين لضعف الجزء وربهم بالحق وربنا تكفرون بلقاء الله لان حتى للابتداء فيها الا ان الواو للحال على ظهورهم يزرون ولهو تتقون يعقلون يجحدون نصرنا لانقطاع النظم مع اتحاد المقصود لكلمات الله كذلك المرسلين بآية من الجاهلين يسمعون يرجعون من ربه لا يعلمون التفسير لما بين احوال الكفار في الآخرة اتبعه بعض اسباب ذلك فقال ومنهم من يستمع اليك قال ابن عباس حضر عند رسول الله صلى الله عليه واله ابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف واستمعوا الى حديث رسول الله ص فقالوا للنضر ما يقول محمد فقال ما ادري ما يقول الا اني ارى تحريك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول الا اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية وكان النضر كثير الحديث من القرون الاولى وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه فنزلت الآية والاكنة جمع كنان وهو ما وقى شيئا وستره من الاغطية والغفل ومنه اكننت وكننت وان يفقهوه مفعول لاجله اي كراهة فقههم والوقر الثقل في الآذان وتركيب يدل على الثقل ومنه الوقر بالكسر للحمل والوقار الحلم وفي الآية دلالة على ان الله تعالى هو الذي يصرف عن الايمان ويحول بين المرء وبين قلبه وقالت المعتزلة لا يمكن اجراؤها على ظاهرها والا كان فيها حجة للكفار ولانه يكون تكليفا للعاجز ولم يتوجه ذمهم في قولهم وقالوا قلوبنا غلف فلا بد من التاويل وذلك من وجوه الاول قال الجبائي ان القوم كانوا يستمعون لقراءة الرسول ليتوسلوا باستماع قراءته الى مكانه بالليل فيقصدوا قتله وايذاءه فكان الله تعالى يلقي على قلوبهم النوم والغفلة وعلى آذانهم الثقل وزيف بان المراد لو كان ذلك لقيل ان يسمعوه بدل ان يفقهوه وبان قوله وان يروا كل آية اي كل دليل وحجة لا يؤمنوا بها لا يناسبه الثاني ان المكلف الذي علم الله تعالى انه لا يؤمن وانه يموت على الكفر يسم قلبه بعلامة مخصوصة ليستدل الملائكة برؤيتها فلا يبعد تسمية تلك العلامة بالكنان مع انها في نفسها ليست بمانعة عن الايمان الثالث يقال انه جبل على كذا اذا كان مصرا عليه وذلك على جهة التمثيل الرابع لما منعهم الالطاف التي تصلح ان يفعل بالمهتدين وفوض امورهم الى انفسهم لم يبعد ان يضيف ذلك الى نفسه الخامس ان هذا حكاية قولهم في اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وعورضت هذه الادلة بالعلم والداعي وذلك ان الله تعالى علم من الكافر انه لا يؤمن وخلاف علمه محال وانه سبحانه هو الذي خلق فيهم داعية الكفر ومع وجود تلك الداعية يستحيل الايمان فهو المعنى بالكنان وتحقيق المسئلة تقدم في قوله سواء في البقرة في قوله ختم الله على قلوبهم والافراد في يستمع والجمع في قلوبهم اعتبار للفظ من تارة ولمعناه اخرى حتى اذا جاؤك هي حتى الابتدائية التي يقع بعدها الجمل كقوله حتى ماء دجلة اشكل والجملة ههنا مجموع الشرط والجزاء اعني قوله اذا جاؤك فيجادلونك في موضع الحال ويجوز ان يكون جارة فتحتى اي وقت مجيئهم ويجادلونك حال بحاله يقول تفسير له والمعنى انه بلغ تكذيبهم الآيات الى حالة المجادلة ثم فسر الجدل بانهم يقولون ان هذا الا اساطير الاولين واصل السطر هو ان يجعل شيئا ممتدا مؤلفا في صف ومنه سطر الكتاب وسطر من نخيل وجمعه اسطار وجمع الجمع اساطير وقال الزجاج واحد الاساطير اسطورة كاحاديث واحدوثة وقال ابو زيد لا واحد له كعباديد قال ابن عباس معناه احاديث الاولين التي كانوا يسطرونها اي يكتبونها ومن فسر الاساطير بالخرافات والترهات نظر الى ان الاغلب هو ان لا يكون فيها فائدة معتبرة كحديث رستم وغيره فذلك معنى وليس بتفسير ثم ان غرض القوم من هذا القول هو القدح في كون القرآن معجزا كان الكتب المشتملة على الاخبار والقصص ليست بمعجزة والجواب ان هذا مقرون بالتحدي وقد عجزوا عن آخرهم دون تلك فظهر الفرق ثم اكد طعنهم في القرآن بقوله وهم ينهون عنه قال محمد بن الحنفية وابن عباس في رواية والسدي والضحاك اي عن القرآن وتدبره والاستماع له وينأون عنه والنأي البعد نأيته ونأيت عنه ونأى الرجل اذا بعد لغة في نأى وحملوه على القلب لان المصدر لم يجئ الا على النأي وقيل الضمير للرسول والمراد النهي عن اتباعه والتصديق بنبوته جمعوا قبيحين النأي والنهي فضلوا واضلوا وعن عطاء ومقاتل عن ابن عباس انها في ابي طالب كان ينهى المشركين ان يؤذوا رسول الله صلى الله عليه واله ويتباعد عما جاء به روي ان قريشا اجتمعوا الى ابي طالب يريدون سوءا بالنبي صلى الله عليه واله فقال ابو طالب والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد بالتراب دفينا

فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ❊ وابشر وقر بذاك منك عيونا ❊ وعرضت دينا لا محالة انه ❊ من خير اديان البرية دينا ❊ ودعوتني وزعمت انك ناصحي ❊ ولقد صدقت وكنت ثم امينا ❊ لولا الملامة او حذار مسبة ❊ لوجدتني سمحا بذاك مبينا ❊

وضعفت هذه الرواية بان قوله وان يهلكون الا انفسهم يعني بما تقدم ذكره ولكن النهي عن اذيته حسن لا يوجب الهلاك ويمكن ان يجاب بان الذم توجه على الهيئة الاجتماعية الحاصلة من النهي عن اذيته والنأي كقوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم ولو سلم فلم لا يجوز ان يرجع الذم الى القسم الاخير فقط ثم بين انه كيف يعود الضرر اليهم فقال ولو ترى اذ وقفوا على النار وجواب لو محذوف اي لرايت سوء منقلبهم ونحو ذلك وجاز حذفه للعلم به ولما في الحذف من تفخيم الشان وذهاب الوهم كل مذهب كما لو قلت لغلامك والله لئن قمت اليك وسكت عن الجواب ذهب فكره الى انواع المكاره من الضرب والقتل وغيرهما بخلاف ما لو قلت لاضربنك لمثل هذا امر اولوه المبالغة قال وقفوا بلفظ الماضي اذ الدال على المضي كان هذا الامر وقع وتحقق فكان من حق ان يخبر عنه بلفظ الماضي وقفوا على ان يدخلوا النار وهم يعاينونها او وقفوا عليها وهي تحتهم او هو من قولهم وقفت على المسئلة الفلانية وقفوا اي عرفوا حقيقتها تعريفا لما المراد انهم في



ووقوفا للنار غائصين فيها فيكون على معنى في وجاز لان النار دركات بعضها فوق بعض فلا يخلوا من معنى الاستعلاء يا ليتنا نرد هو داخل في حكم التمني اما قوله ولا
نكذب ونكون فمن قرأ بالنصب منهما فباضمار ان على جواب التمني والمعنى ان رددنا الى دار التكليف لم نكذب ونكن من المؤمنين ومن قرأ بالرفع فيهما فوجهان
احدهما ان التمني يتم عند قوله نرد ثم ابتدأ ولا نكذب ونكون اي نحن لا نكذب ونكون كانهم ضمنوا ان لا يكذبوا ويكونوا من المؤمنين سواء حصل الرد
او لم يحصل وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود اي انا لا اعود تركتني او لم تتركني وثانيهما ان يكونا معطوفين على نرد او حالين على معنى يا ليتنا نرد غير مكذبين
وكائنين من المؤمنين فيدخل المجموع تحت حكم التمني واورد على هذا الوجه ان المتمني لا يكون كاذبا وقد قال تعالى وانهم لكاذبون واجيب بان هذا التمني قد
تضمن معنى الوعد فجاز ان يتعلق به التكذيب كقول القائل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك فهذا متمني في حكم الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى
صاحبه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا احسنت اليك واما قراءة ابن عامر فمعناه ان رددنا غير مكذبين نكن من المؤمنين ثم رد الله تعالى عليهم
بانهم ما تمنوا العود الى الدنيا وترك التكذيب وتحصيل الايمان لاجل كونهم راغبين في الايمان بل لاجل خوفهم من العذاب الذي شاهدوه وعاينوه
فقال بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وما الذي كانوا يخفونه في الدنيا قال اكثر المفسرين ان المشركين في بعض مواقف القيمة يجحدون الشرك فيقولون
والله ربنا ما كنا مشركين فينطق الله تعالى جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك معنى بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وقال المبرد بدا لهم وبال عقائدهم
واعمالهم وسوء عاقبتها وذلك ان كفرهم ما كان ظاهرا لهم وانما ظهر لهم يوم القيمة قال الزجاج بدا للاتباع ما اخفاه الرؤساء منهم من امر البعث والنشور
بدليل قوله بعد ذلك وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فهذا قول الحسن وقيل انها في المنافقين كانوا يسرون الكفر فيظهر نفاقهم
على رؤس الاشهاد يوم القيمة وقيل هو في اهل الكتاب يظهر لهم ما كانوا يكتمونه من صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله والاولى حمل الاية على الكل لانه يوم تبلى
السرائر فلا جرم تظهر الفضائح والقبائح وينكشف من الاسرار ويتهتك الاستار اللهم كفر عنا سيئاتنا في ذلك اليوم ثم قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه قيل
كيف يتصور هذا وانهم قد عرفوا الله تعالى بالضرورة وشاهدوا الاحوال والاهوال واجاب القاضي بان المراد ولو ردوا الى حالة التكليف وعلى هذا التقدير
لا يبقى المعرفة ضرورية فلا يمتنع صدور الكفر عنهم وضعف بان المقصود من ايراد هذا الكلام المبالغة في غيهم وتماديهم واصرارهم على الكفر وانه لو فرض عودهم
الى حالة التكليف لا الى التعجب كما هو الان فاذن لا تخل العقدة الا بان يقال المراد توكيد جريان القضاء السابق فيهم بحيث لو شاهدوا العذاب والعقاب ثم
سئلوا الرجعة فردوا الى الدنيا لعادوا الى الشرك ولم ينجع ذلك فيهم وانهم لكاذبون فيما وعدوا في ضمن التمني او في كل شيء ولهذا قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا
ان نافية والضمير عائد الى حقيقة الحيوة المعلومة في الاذهان ولهذا اضيف الى ضمير المتكلم جمع اي ما لنا حيوة الا هذه الحيوة التي هي اقرب الينا وما نحن بمبعوثين
بعدها وقيل ان تقدير الاية ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولانكروا البعث ولقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا ثم لما قرر انكارهم كشف عن حالهم يوم القيمة
فقال ولو ترى اذ وقفوا على ربهم تمسك بعض المشبهة بهذا على انه تعالى يحضر تارة ويغيب اخرى ورد بان استعلاء شيء على ذات الله تعالى محال بالاتفاق
فوجب تاويل الاية بانه مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي مولاه للعتاب او المضاف محذوف اي على جزاء ربهم او وعد او اخباره
بثواب المؤمنين وعقاب الكافرين او هو من قولك وقفته على كذا اي اطلعته عليه ثم كان لسائل ان يقول ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فاجيب قال اليس
هذا الذي عاينتموه من البعث والجزاء بالحق الذي جحدتموه قالوا بلى وربنا وفيه دليل على ان حالهم في الانكار سيؤل الى الاقرار ثم كانه سئل ماذا فعل بهم
بعد الاقرار فاجيب قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي بسبب كفركم وذلك ليعلم ان الاقرار في غير دار التكليف لا ينفع وذلك ان جوهر النفس اللطيفة
القدسية بعثت الى هذا العالم الجسماني الكثيف واعطى الالات الجسمانية لتحصيل المعارف اليقينية والاخلاق الفاضلة التي يعظم منافعها بعد الموت
فاذا استعملها الانسان بناء على اعتقاد عدم المعاد في تحصيل اللذات الفانية والسعادات المنقطعة الى ان ينقضي اجله فقد ضاع رأس ماله ولا
ربح وذلك قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله اي ببلوغ الاخرة وثوابها وعقابها عبر عن ذلك بلقاء الله لانه لا حكم لاحد هناك الا الله بخلاف
الدنيا فانه قد يظن ان للانسان تصرفا واختيارا وملكا وحمل اللقاء على الرؤية ايضا غير بعيد عند اهل السنة وحتى غاية لكذبوا لا
لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي لم يزل بهم التكذيب الى تحسرهم وقت مجيء الساعة بل وقت موتهم فان امارات السعادة والشقاوة يلوح على صفحات
احوال المكلفين وقتئذ وهذا معنى قوله صلى الله عليه وآله من مات فقد قامت قيامته وسمي يوم القيمة الساعة لسرعة الحساب فيه وكانه قيل
ما هو الا ساعة الحساب او لانها تفجأ الناس في ساعة لا يعلمها الا الله تعالى ولهذا قال بغتة اي فجاءة وانتصابها على الحال اي باغتة من بغته اذا فاجأه
او على المصدر العام اي بغتتهم الساعة بغتة او الخاص لان البغتة نوع من المجيء فالعامل اذا جاءتهم قالوا يا حسرتنا مثل يا ويلتي وقد مر في المائدة اي احضري فهذا
وقتك على ما فرطنا اصله يدل على الترك والهمزة في الافراط للازالة ذلك وقولهم فرط القوم اي سبقهم الى الماء معناه تركهم من ورائه حتى حصل له
التقدم اما الضمير في فيها فقال ابن عباس اي في الدنيا وان لم يجر لها ذكر في الاية بدلالة العقل لان موضع التقصير هو الدنيا وقال الحسن اي في وقت الساعة
على معنى قصرنا في شانها والايمان بها واعداد الزاد وتحصيل الاهبة لها وقال محمد بن جرير الطبري يعود الى الصفقة والمبايعة بدلالة ذكر الخسران او
قيل الى الملة ما فرطنا اي يا حسرتنا على الاعمال والطاعات التي تركناها وقصرنا فيها ثم بين تضاعف خسرانهم بانهم لم يحصلوا لانفسهم مواجب الثواب
ولكن حصلوا مواجب العقاب فقال وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم هي الاثام والخطايا واصل الوزر الثقل ومنه الوزير لانه يحمل ثقل صاحبه والوزر
الملجأ لانه يرفع عنه ما اضاف فكانه حمله اما كيفية حملهم الاوزار فقال في الكشاف انه مجاز عن حصولها لهم كقوله فبما كسبت ايديهم لان العادة حمل

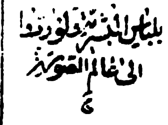
بمعنى دعني



اي نكرك

الاثقال على الظهور كما الف الكسب بالايدي وقال الزجاج الثقل يذكر في الحال والصغر نقل عن خطاب فلان انه كبر هذا والمعنى انهم يقاسون عذاب يومهم
مقاساة ثقل ذلك عليهم وقيل هو كقولك شخص نصب عيني لازمي وعن المفسرين ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله شئ هو احسن الاشياء
صورة واطيبها ريحا فيقول انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا فاركبني انت اليوم فذلك قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قالوا ركبانا
وان الكافر اذا خرج من قبره استقبله شئ هو اقبح الاشياء صورة واخبثها ريحا فيقول انا عملك الفاسد طالما ركبتني في الدنيا فانا اركبك فالمعنى
والتسمية الاساءة ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم ثم رغب في الحيوة الباقية وزهد في الحيوة العاجلة فقال وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو قال ابن عباس
يريد حيوة اهل الشرك والنفاق لان حيوة المؤمن يحصل فيها اعمال صالحة فلا يكون لعبا ولهوا وقال الآخرون هو عام في حيوة المؤمن والكافر وذلك لان مدة اللهو واللعب
وكل شئ يلهيك ويشغلك مما لا اصل له قليلة سريعة الانقضاء والزوال ومدة هذه الحيوة كذلك وايضا اللعب واللهو لا يلتذ بهما في اكثر الامر الا صبي من المكلفين
ولذات الدنيا كذلك ولهذا رفضها العلماء المحققون والحكماء المتألهون وللدار الآخرة قال ابن عباس هي الجنة وانها خير لمن اتقى الكفر والمعاصي قال الاصم التمسك بعمل
الآخرة خير وقال الآخرون نعيم الآخرة خير من نعيم الدنيا من حيث تماديه بانه مصون عن شوائب الآفات والمخافات منزه عن نقص الانقضاء والانصرام
للذين يتقون فان هذا الخير انما يحصل لمن اتقى الكفر والمعاصي اما الكافر والفاسق فالدنيا بالنسبة اليهما خير كما قال الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
افلا تعقلون قال الواحدي من قرأ بالتاء الخطاب فالمعنى قل لهم افلا تعقلون ايها المخاطبون ومن قرأ بالياء فمعناه افلا يعقل الذين يتقون ان الدار الآخرة خير من
هذه الدار وذلك ان خيرات الدنيا ليست الا قضاء الشهوات التي يشارك فيها سائر الحيوانات بل ربما كان امر الحيوانات فيها اكمل فالجمل اكثر اكلا والديك
والعصفور اكثر وقاعا والذئب والنمر والحيوانات اقوى غضبا وقهرا وكل من وقف عمره على هذه المطالب لم يكن له عند العقلاء وزن ولا عند الحكماء والعلماء
قدر وكل من صرف عمره في تحصيل الكمالات الذاتية والسعادات الباقية فكان له في القلوب مهابة وفي النفوس قبول وذلك دليل شاهد من الفطرة الاصلية
بخساسة اللذات الجسمانية وعلو مرتبة الكمالات الروحانية وهب ان النوعين تشاركا في الفضل الا ان النقيبة التي للمعلوم افضل من المظنون وان خيرات الآخرة معلومة
قطعا والوصول الى خيرات الدنيا في الغد غير معلوم ولا مظنون فكم من سلطان قاهر بكرة وصار تحت التراب عشية وكم من متمول متغلب صبح اميرا كبيرا ثم امسى
فقيرا حقيرا وهب انه وجد بعد هذا اليوم يوما آخر فلعله لا يمكنه الانتفاع بكل ما جمع من الاسباب لعلة او نقص فلا يخلص من شوائب المكاره والآفات كما روي انه صلى الله عليه وسلم
من طلب ما لم يخلق اتعب نفسه ولم يرزق فقيل وما هو يا رسول الله صلعم قال سرير يوم ينام عليه هيهات الدنيا فدنيا البئر ما اكل في للسالى الزوال والانصرام
وكفى بذلك نقصانا وكدرا كما قال كمال التمام عيبه في سرعة تبعتها عنه صاحبه انفا الآية تسلي رسوله وقال قد نعلم والمراد كثرة العلم والمبالغة كما في قوله
قد نرى تقلب وجهك والهاء في انه ضمير الشان وكسرت لعدل العلم لمكان لام الابتداء في ليحزنك وما ذلك الحزن قال الحسن قولهم ساحر شاعر كاهن
مجنون وقيل بصريحهم انهم لا يؤمنون به ولا يقبلون دينه وقيل نسبتهم اياه الى الكذب فانهم لا يكذبونك قال ابو علي وثعلب اكذبه وكذبه بمعنى
وقيل اكذبت الرجل القيته كاذبا وكذبته اذا قلت له كذبت قال الكسائي اكذبته اذا اخبرت انه جاء بالكذب ورواه وكذبته اذا اخبرت انه
انه كاذب وقال الزجاج معنى كذبته قلت له كذبت ومعنى اكذبته ان الذي اتى به كذب في نفسه من غير ادعاء ان ذلك القائل تكلف ذلك الكذب وأتى به على
سبيل الافتعال والقصد فمن قرأ بالتخفيف نظر الى ان القوم كانوا يعتقدون ان محمدا ما ذكر ذلك على سبيل الافتعال والترويج بل لخبل صحة
ذلك وانه تخيل الا ان تخيله باطل ثم ان ظاهر الآية يقتضي انهم لا يكذبون محمدا صلى الله عليه وآله ولكنهم يجحدون بآيات الله وفي الجمع بين الامرين وجوه الاول
ان القوم ما كانوا يكذبونه في السر ولكنهم كانوا يكذبونه في العلانية ويجحدون القرآن ونبوته ويؤكده رواية السدي ان الاخنس بن شريق وابا جهل
هشام التقيا فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس ههنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقال ابو ميسرة ان رسول الله صلعم
مر بابي جهل واصحابه فقالوا يا محمد انا والله ما نكذبك انك عندنا لصادق ولكن نكذب ما جئت به فنزلت وقال مقاتل نزلت في الحرث بن عامر
نوفل كان يكذب النبي صلعم في العلانية فاذا خلا مع اهل بيته قال ما محمد من اهل الكذب ولا احسبه الا صادقا فاذن هذه الآية نظير قوله تعالى في قصة
موسى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر الثاني في تأويل الآية انهم لا يقولون انك كذاب لانهم جربوك الدهر الطويل وما وجدوا
منك كذبا وسموك الصادق الامين فلا يقولون لعلك كاذب ولكن جحدوا صحة نبوتك ورسالتك اما لانهم اعتقدوا ان محمدا عرض له نوع
خبل ونقصان فلاجل ذلك تخيل انه رسول لا انه كذب في نفسه واما لانهم زعموا انه امين في كل الامور الا في هذا الواحد الثالث انه لما ظهرت
المعجزات على يده ثم ان القوم اصروا على التكذيب فقال لهم ان القوم ما كذبوك وانما كذبوني ونحوه قول السيد لعبده اذا اهانه بعض الناس انهم
لم يهينوك وانما اهانوني ومثله قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكانه قيل له لا تحزن لنفسك ولا يشغلك عن ذلك ما هو اهم
وهو استعظامك لجحودهم بآيات الله والاستهانة بكتابه الرابع ما في التفسير الكبير انهم لا يخصونك بهذا التكذيب بل ينكرون دلالة المعجز على الصدق مطلقا
ويكذبون جميع الانبياء والرسل ويؤيده قوله ولكن الظالمين من اقامة المظهر مقام المضمر ليحكم عليهم بالظلم في جحودهم لان من وضع التكذيب مقام
التصديق فقد ظلم ثم صبر رسوله على اذى القوم فقال ولقد كذبت رسل من قبلك واي رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم نصرنا
فانت اولى بهذا الصبر لانك مبعوث الى كافة الخلق فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا ولا مبدل لكلمات الله اي لمواعيده في قوله لاغلبن انا ورسلي

وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبأ المرسلين قال الاخفش من زائدة والاصح انها للتبعيض لقلة مجئ زيادة من في الاثبات ولان الواصل اليه بعض قصص الانبياء لقوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك فالتقدير ولقد جاءك بعض انبائهم وكان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزلت وان كان كبر عليك اعراضهم عن الايمان وصحة القران فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتأتيهم باية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والجواب محذوف وحسن الحذف للعلم به والنفق سرب في الارض له مخلص الى مكان ومنه اشتقاق المنافق والسلم واحد السلالم التي يرتقى عليها واصله من السلامة كانه يسلمك الى مصعدك المراد بيان حرصه على اسلام قومه انه لو استطاع ان يأتي باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها ولكل ما اقترحوا رجاء ايمانهم ويجوز ان يكون ابتغاء النفق والسلم هو الاية كانه قيل لو استطعت ذلك الفعل لعل ذلك ليكون لك اية يؤمنون عندها ثم قال ولو شاء الله لجمعهم على الهدى قال اهل السنة فيه دليل على انه تعالى لا يريد الايمان من الكافر وقالت المعتزلة المراد مشية الالجاء المنافية للتكليف والالجاء هو ان يعلمهم انهم لو حاولوا غير الايمان لمنعهم منه فيضطرون الى الايمان مثاله ان يحصل شخص بحضرة السلطان لفعل ومنه الحال فيصير هذا العلم مانعا له من الفعل وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا اما قوله فلا تكونن من الجاهلين اي من الذين يرومون خلاف ما مراد الله فهذا النهي لا يقتضي اقدامه على مثل هذه الحالة ولكنه يفيد التغليظ وتاكيد الامتناع عن الجزع والاضطراب والحزن والاسف على ايمان من لم يشاء الله ايمانه ثم بين السبب في كونهم بحيث لا يقبلون الايمان فقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة والمراد انه تعالى هو الذي يقدر على احياء قلوب هؤلاء قلوب الكفار بحيث الايمان وانت لا تقدر على ذلك والمعنى ان هؤلاء الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فح يسمعون واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم اما وجه تشبيه الكفرة بالموتى فلان حياة الروح بالعلم ومعرفة الصانع كما ان حياة الجسد بالروح ثم ذكر شبهة اخرى للطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهو انه ما جاء باية قاهرة ومعجزة باهرة فكانهم طعنوا في كون هذا القران معجزا على سبيل العناد وقياسا على سائر الكتب السماوية وطلبوا معجزات تقرب على حد الالجاء كنتق الجبل وفلق البحر فان معجزات نبينا من تسبيح الحصا انشقاق القمر وغير ذلك ليست باقل منها او اقترحوا مزيد الايات بطريق التعنت واللجاج او المراد قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم الله تعالى بقوله قل ان الله قادر على ان ينزل اية ولكن اكثرهم لا يعلمون ان فاعلية الله لا يجب محض المشية عند اهل السنة وعلى وفق المصلحة عند المعتزلة لا على موجب اقتراحات الناس مطالبهم او انه ظهرت المعجزة الدالة الكافية من القران وغيره لم يبق لهم عذر ولا علة فلو اجابهم الى مقترحهم فلعلهم يقترحون اقتراحا ثانيا وثالثا وهلم جرا وذلك يفضي الى ان لا يستقر الدليل ولا يتم الحجة وهذا خلاف المقصود ولا يعلمون انه لو اعطاهم سؤلهم ثم لم يؤمنوا لاستوجبوا الاستيصال او لا يعلمون انهم لما طلبوا ذلك على سبيل العناد لا لاجل الفائدة وقد علم الله ذلك لم يعطهم مطلوبهم ولو كان غرضهم طلب الحق وبيانه لاعطى مطلوبهم على اكمل الوجوه التأويل ومنهم من يستمع اليك انكارا واختبارا وجعلنا على قلوبهم من شوم انكارهم حجبا من غير الانكار وفي اذانهم وقرا من فساد الاستعداد الفطري وان يروا كل اية بعين الظاهر لا يؤمنوا بها من عمى القلوب اعوانور الايمان منها وهم ينهون الطلاب عن الحق وان يهلكون بتبعيد الخلق عن الحق الا انفسهم لان التباعد عن اهل الحق هو البعد عن الحق وهذا هو الهلاك الحقيقي ولو ترى اذ وقفوا على النار نار ولح الاشقيا بعد الخلاص عن حبس الطبيعة عن قوالم عذاب القطيعة فقالوا يا ليتنا نرد الى عالم الصورة والى الاستعداد الفطري بل بدا لهم ما كانوا يخفون كانه يظهر عليهم اثار الشقاوة التي كتبت لهم كانوا يتكلفون سترها في عالم الصورة ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه من اتباع الهوى ويفسدون استعدادهم مرة اخرى وانهم لكاذبون فيما يدعون لانهم خلقوا لاجل التكذيب لا لاجل التصديق ولهذا نسوا ما شاهدوا يوم الميثاق من الالطاف والاعطاء وقولهم بلى بنتيجة خطاب الست بربكم اذ وقفوا على ربهم عرفوا ربوبية ربهم ولو عرفوها في الدنيا لم ينكروا عدوا البعث في العقبى حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة هي الساعة التي يجذب العبد فيها عن اوصاف البشرية بجذبات الحق جاءت وهي قيامة اخرى لان فيها تبدل ارض البشرية غير الارض واشرقت الارض بنور ربها فينظر المحب الصادق بالنور الساطع الى ايام ضاعت عنه في طلب غير الحق فيتاسف عليها ويقول يا حسرتا الفائض ما احسن صيد الطيبات فانك التراب وما اردت غير الحرات وهم يحملون اثقال التعلقات الزائدة على ظهور وجودهم فانا لو جوعلى السالك تقبل مانع عن السلوك فكيف ما زيد عليه الا لعب لهو كلعب الصبيان ولهو اهل الغضبان وللدار الاخرة هي السير من البشرية الى الروحانية والاقبال على الله والاعراض عما سواه خير للذين يتقون عن غير الله افلا تعقلون ان الانسان خلق لهذا الشان لا لغيره كقوله واصطنعتك لنفسي قد نعلم انه ليحزنك من ضيق نطاق البشرية اثر في حبيب الله مقالة الجهلة ولا مبدل لكلمات الله لقدراته التي قدرها ودبرها من الازل الى الابد بكلمة كن ولو شاء الله لجمعهم على الهدى في عالم الارواح عند رش النور فلا تكونن من الجاهلين الذين لا يعلمون الحكمة في جعل التعرض مظاهر اللطف والتعرض مظاهر القهر والنهي في حقه صلى الله عليه وسلم هو نهي الامتناع عن الكينونة لم يخلق في الازل ممتنعا عن الجهل بواسطة كلمة لا تكن كما انه خلق مستعدا للكمال بكلمة كن قل ان الله قادر على ان ينزل اية في كل لحظة ولمحة ولكن اكثرهم لا يعلمون دلالة الكائنات على المكون والممكنات على الواجب والمصنوعات على الصانع وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفي كل شيء اية تدل على انه واحد وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات



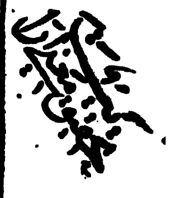


مَن يَشَإِ اللّٰهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلٰى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰىكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللّٰهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ ۝ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ۝ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلٰى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنٰهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتّٰى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّٰهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلٰى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلٰهٌ غَيْرُ اللّٰهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتٰىكُمْ عَذَابُ اللّٰهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظّٰلِمُونَ ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ اٰمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۝ قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللّٰهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحٰى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمٰى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ۝

القراآت: أرأيتكم وبابه بتليين الهمزة أبو جعفر ونافع وحمزة في الوقف رايتكم وبابه بحذف الهمزة علي، الباقون أرأيتكم بالتحقيق. فتحنا بالتشديد يزيد وابن عامر. به انظر بضم الهاء روى الأصفهاني عن ورش. الوقوف: أمثالكم ط يحشرون ط في الظلمات ط يضلله ط لابتداء الشرط الآخر مستقيم ه صادقين ه لأن جواب إن منتظر محذوف تقديره إن كنتم صادقين فأجيبوا مع اتحاد الكلام صادقين ه تشركون ه يتضرعون ه يعملون ه كل شيء ط مبلسون ه ظلموا ط العالمين ه يأتيكم به ط يصدفون ه الظالمون ه ومنذرين ج يحزنون ه يفسقون ه ملك ج للابتداء بالنفي مع اتحاد القائل والقول إليّ ط تتفكرون ه. التفسير: لما بين أنه تعالى لو كان في معلومه مصلحة لفعل ذلك أكده بما يؤذن بأن آثار فضله وإحسانه ولطفه وامتنانه واصلة إلى جميع الحيوانات فلو كانت مصلحة المكلفين في إظهار تلك المعجزة القاهرة الجملة لم يبخل بتلك البتة. وفيها أيضاً مزيد تقرير لأمر البعث وأنه حاصل لجميع الحيوانات فضلاً عن الإنسان فإن الحيوان إما أن يكون بحيث يدب أو يكون بحيث يطير. وإنما خص من الدواب ما في الأرض بالذكر دون ما في السماء وفي الماء لأن مشاهدة مصالح الأول أبين للزوم دعوى رعاية مصالح الأشرف. ويمكن أن يقال إن الماء أيضاً من جملة الأرض كما جعلهما جميعاً كرة واحدة. قال علماء المعاني إنما وصف الدابة بكونها في الأرض والطائر بأنه يطير بجناحيه ليعلم أنهما باقيان على عمومهما أي ينبئهما بخواص الجنسين ولولا ذلك لاحتمل أن يقيد بهما صفة ترفع أو تضيد فيخصصا أو لأوهم أن المراد بهما غير الجنس المتعارف بين لقوله بعده إلا أمم أمثالكم وقد يقول الرجل لعبده طر في حاجتي والمراد الإسراع قال الحماسي طاروا إليه زرافات ووحدانا وقيل ذكر يطير بجناحيه ليخرج عنه الملائكة والأجنحة فإن المراد ذكر من هو دون خالا وقيل إن الوصف للتأكيد كقولهم نعجة أنثى وكما يقال أبصرته بعيني ومشيت إليه برجلي. وإنما جمع الأمم مع أنه أفرد الدابة والطائر لأن النكرة المستغرقة في معنى الجمع. قال الفراء كل صنف من البهائم أمة وفي الحديث لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها. وما وجه المماثلة بين البشر والدابة والطائر؟ نقل الواحدي عن ابن عباس أنه قال يعرفونني ويوحدونني ويسبحونني كقوله وإن من شيء إلا يسبح بحمده كل قد علم صلاته وتسبيحه. وعن أبي الدرداء أبهمت عقول البهائم إلا عن معرفة الإله وطلب الرزق ومعرفة الذكر والأنثى. وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين. وقيل وجه المماثلة أنها جماعات وكونها مخلوقة بحيث يشبه بعضها بعضاً ويأنس بعضها ببعض ويتوالد بعضها من بعض. وضعف بأن هذا أمر معلوم مشاهد لا فائدة في الإخبار عنه. وقيل هو أنه دبرها وخلقها وتكفل برزقها وأحصى أحوالها وما يجري عليها من العمر والرزق والأجل والسعادة والشقاوة ودليله قوله عقيبه ما فرطنا في الكتاب من شيء. وقيل هو أنها تحشر يوم القيامة ويوصل إليها حقوقها وقد جاء في الحديث يقتص للجماء من القرناء. ولكن قوله بعد ذلك ثم إلى ربهم يحشرون يصير مكرراً. وعن سفيان بن عيينة ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم فمنهم من يقدم إقدام الأسد ومنهم من يعدو عدو الذئب ومنهم من ينبح نباح الكلب ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس ومنهم من يشبه الخنزير [illegible] الطيبة كرهوا الأقام رجع لعيبه وكذلك يجد من الآدميين من يسمع خمسين كلمة من الحكمة لا يحفظ واحدة وإن أخطأ مرة

كونها

واحدة حفظه ولم يجلس مجلسا الا زاد فيه واعلم يا اخي انك تعاشر البهائم والسباع فبالغ في الحذار والاحتراز وذهب اهل التناسخ الى ان الارواح
البشرية ان كانت سعيدة مطيعة لله تعالى موصوفة بالمعارف الحقة موسومة بالاخلاق الفاضلة فانها بعد موتها تنتقل الى ابدان الملوك و
ربما قالوا انها تتصل الى عالم الطهر عالم الملكية وان كانت شقية جاهلة فانها تنتقل الى ابدان الحيوانات وكلما كانت اكثر شقاء فانها تنتقل الى بدن حيوان
اخس واكثر تعبا وعناء قالوا وذلك لان لفظ المماثلة يقتضي حصول المساواة في جميع الصفات الذاتية ثم زعموا ان الله تعالى ارسل الى كل جنس منها رسولا من
جنسها لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير واستشهدوا بقصة النمل حيث قالت لهم ونحو ذلك في تعلمها مذاهب اهل التناسخ طول والله تعالى اعلم
بحقيقة الحال ما فرطنا في الكتاب من شيء من مزيدة للاستغراق بما تركنا وما اغفلنا شيئا ما فظ وفيه للتبعيض ايما اهملنا فيه بعض شيء يحتاج المكلف
الى معرفته والكتاب اللوح المحفوظ المشتمل على جميع الاحوال الكائنة التفصيل قبل القرآن لانه هو الذي يسبق الى الاذهان فيما بين اهل الاسلام وعلى هذا
تبيين فيها تفاصيل علم الطب والحساب والتفاصيل كثير من العلوم لا حاصل منها الا ما يليق ولا ما لم يخص علم الاصول والفروع واجيب بان لفظ التفريط لا يستعمل
الا فيما يجب ان يفعل والحاجة التي هنا هي الاصول القوانين لا الفروع التي لا تنضبط ولا تنتهي وما علم الا في القرآن اصله منه شرحه وفصله كقوله كلوا
ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين للطب قوله وهو اسرع الحاسبين للحساب وكقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين للاخلاق واما تفاصيل علم
الفروع فذكر العلماء ان السنة والاجماع والقياس كلها مستندة الى الكتاب كقوله تعالى ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وكقوله ويتبع غير
سبيل المؤمنين وكقوله فاعتبروا وقيل ان القرآن وان بينا جميع الاحكام لان الاصل براءة الذمة عن التكاليف كلها وشغل الذمة لا بد فيه من
دليل منفصل كل حكم لم يكن مذكورا في القرآن بالمطابقة او التضمن او الالتزام لم يكن ذلك تكليفا او يكون باقيا على اصل الاباحة والله تعالى اعلم
اما قوله ثم الى ربهم يحشرون فللعقلاء فيه قولان الاول للاشاعرة انه تعالى يحشر الدواب لا لان ايصال العوض اليها واجب بل بمجرد الارادة و
المشية ومقتضى الالهية الثاني قول المعتزلة ان يحشر الطيور والبهائم لا لايصال الاعواض اليها لان ايصال الالام اليها من غير سبق جناية لا يحسن
الا للعوض وفرع القاضي على ذلك فقال كل حيوان استحق العوض على الله تعالى بما لحقه من الالام وكان ذلك العوض لم يصل اليه في الدنيا فانه يجب على
الله تعالى حشره في الاخرة ليوفر عليه ذلك العوض والذي لا يكون كذلك فانه لا يجب حشره عقلا الا ان السمع قد ورد بحشر الكل فيقطع بذلك فرع آخر كل حيوان
اذن الله تعالى في ذبحه فالعوض له على الله تعالى وكذا الذي اذن في قتله في كونه مؤذيا او المه المرض وغيره للانسان تحمل الانتقال واما اذا ظلم
ظلمها الناس فالعوض على الظالم وكذا اذا ظلم بعضها بعضا ولو ذبح المأكول لغير مأكله فالعوض على الذابح ولهذا ورد النهي عن ذبح الحيوان
لغير مأكله والمراد من العوض منافع عظيمة بلغت في الجلالة الى حيث لو كانت هذه البهيمة عاقلة وعلمت انه لا سبيل الى تحصيل تلك
المنافع الا بواسطة تحمل ذلك الذبح لرضيت به اخر مذهب القاضي واكثر المعتزلة ان العوض منقطع وبعد ذلك يصيرها ترابا وح يقول الكافر يا
ليتني كنت ترابا ومنها ابو القاسم البلخي يجب دوام العوض لانه لا يمكن قطع ذلك العوض الا باماتة تلك البهيمة واماتتها توجب
الالم فذلك الالم يوجب عوضا اخر وهلم جرا الى ما لا نهاية له واجيب بالمنع من ان الاماتة لا يمكن تحصيلها الا بالايلام اخرى البهيمة اذا استحقت
عوضا على بهيمة اخرى فان كانت البهيمة الظالمة قد استحقت عوضا على الله تعالى فانما يوصل تلك العوض الى المظلوم والا فالله تعالى
يتكفل بذلك العوض فهذا القدر يكفي في احكام الاعواض بحسب المقام سبحانه اعلم قلت ذكر من خلائقه مفكر واثار وعدد به ما يدل
على عظمته ويشهد لربوبيته وينبه على حكمته الكاملة وعنايته الشاملة قال والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون كلام المنبه وبكم
لا ينطقون بالحق في الظلمات ظلمة الكفر وظلمة الشكوك وظلمة الحيرة والضلالة ثم بين ان الكفر والايمان والطاعة والعصيان كلها بمشيته وارادته
وتقديره وتدبيره فقال من يشاء الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم والجبائي اول الاية بان المراد انهم كذلك في الاخرة
كقوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما او انهم شبهوا بمن حاله كذا وهو محمول على الشتم والاهانة واما قوله
من يشاء الله يضلله اي عن طريق الجنة ولا يشاء الاضلال الا لمن يستحق عقوبته كما انه لا يشاء الهدى الا للمؤمنين او المراد بالاضلال
منع الالطاف لانهم ليسوا من اهلها وبالهداية منحها لانهم من اهلها ثم بين غاية جهالة الكفار وانهم مع جحودهم يفزعون الى الله في
البليات فقال قل ارايتكم هو منقول من رايت بمعنى ابصرت وعرفت كانه قيل ابصرته وشاهدته بالحالة العجيبة او عرفتها اخبرني عنها فلا
يستعمل الا في الاستخبار عن حالة عجيبة لشيء فهذا من باب ايقاع السبب على المسبب لان الاخبار انما يكون بعد المشاهدة او العرفان اما
اعرابه فالتاء ضمير الفاعل والكاف للخطاب فالتاء يكون بلفظ واحد في التثنية والجمع والتانيث ويختلف هذه المعاني على الكاف تقول ارايتك
ارايتكما ارايتكم ارايتكن والتاء في جميع ذلك مفتوحة والكاف حرف الخطاب ليست اسما والا لكانت اما مجرورة ولا جار واما مرفوعة وغير
وليس الكاف من ضمائر المرفوع ولا رافع ايضا لان التاء فاعل ولا يكون لفعل فاعلان واما منصوبة وهو باطل من وجوه احدها
ان هذا الفعل قد يتعدى الى مفعولين تقول ارايتك زيدا ما شأنه فلو جعلت الكاف مفعولا لكان ثالثا وثانيها لو كان





مفعولا لكان هو الثاني بمعنى المعنى وليس المعنى على ذلك فليس الغرض ارأيت نفسك بل ارأيت غيرك ولذلك قلت ارأيتك زيدا او زيد وغير الخطاب بل لا هو بدل منه ولو كان منصوبا على انه مفعول لظهرت علامة التثنية والجمع والتأنيث في التاء نحو ارأيتماكما وارأيتموكم وقد ذهب الفراء الى انه اسم مضمر منصوب في معنى المرفوع ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها الفا فاما مفعولا ارأيت فقيل هما محذوفان تقديره ارأيتكم عبادتكم الاصنام هل ينفعكم عند مجيء الساعة ودل عليه قوله اغير الله تدعون وقيل لا يحتاج ههنا الى المفعول لان الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول واما جواب الشرط فما دل عليه الاستفهام في قوله اغير الله تقديره ان اتتكم الساعة دعوتم الله وحاصل الآية قل يا محمد لهؤلاء الكفار ارأيتكم ان اتاكم العذاب في الدنيا او عند قيام الساعة اتخصون آلهتكم بالدعوة ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة فيكشف ما تدعون اليه ان شاء لان قوارع الساعة لا يكشف عن المشركين وعلى هذا يكون قوله ادعوني استجب لكم باقيا على الاطلاق لكن في الدنيا ولو علق المشيئة بكشف العذاب في الدنيا كان قوله ادعوني استجب لكم مقيدا بالمشيئة وتنسون ما تشركون قال ابن عباس تتركون الاصنام ولا تدعونهم لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع ويجوز ان يراد لا تذكرون الاصنام في ذلك الوقت لان اذهانكم مقهورة بذكر الله وحده والمقصود من الآية تبكيت الكفار كانه قيل اذا كنتم ترجعون عند نزول الشدائد الى الله تعالى لا الى الاصنام فلم تقدمون على عبادتها وفيه ان مبنى الدين على الحجة والدليل على محض التقليد ثم سلى النبي صلى الله عليه وآله بان اعلمه انه قد ارسل قبله الى اقوام بلغوا في القسوة الى ان اخذوا بالشدة في انفسهم واموالهم فلم يخضعوا واصروا على كفرهم خلاف الاقوام المذكورين الذين يفزعون الى الله في الشدائد ويحتمل ان يكون حكم الطائفتين واحدا لان التضرع والالتجاء الى الله لطلب ازالة البلية لا على سبيل الاخلاص غير معتبر وفي الآية محذوف تقديره ولقد ارسلنا الى امم من قبلك رسلا فخالفوهم فاخذناهم بالبأساء والضراء وحسن الحذف لكونه مفهوما والبأساء والضراء البؤس والضر والبأساء القحط والجوع والضراء الامراض والاوجاع والرزايا لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون واصله الانقياد وترك التمرد ضرع الرجل ضراعة فهو ضارع اي ذليل ضعيف احتج الجبائي بالآية على انه تعالى انما ارسل الرسل وسلط البأساء والضراء عليهم ارادة ان يتضرعوا ويؤمنوا فهو يريد الايمان والطاعة من الكل واجيب بان الترجي في حقه تعالى محال فالقوم يحملونه على الارادة ونحن نحمله على انه تعالى يعاملهم معاملة المترجي فالترجي على ان الفسق وتزيين الشيطان وكل ما يفوضونه لا بد ان ينتهي الى خلق الله وتكوينه اما قوله فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا فمعناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا التحضيضية ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا العناد والقسوة والاعجاب ثم بين انه لما لم ينجع فيهم المواعظ والزواجر نقلهم من البأساء والضراء الى الراحة والرخاء ففتحنا ابواب الخيرات عليهم وسهل موجبات المسرات لديهم كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاينه اخرى ومعنى كل شيء اي كل شيء كان مغلقا عنهم من الخير حتى اذا فرحوا بما اوتوا اي ظنوا ان ذلك باستحقاقهم ولم يزيدوا الا بطرا وترفا اخذناهم بغتة قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اذا رأيت الله تعالى يعطي العاصي فان ذلك استدراج من الله تعالى قال العلماء وانما اخذوا في حال الراحة والرخاء ليكون اشد لتحسرهم على ما فات من السلامة والعطاء فاذا هم مبلسون آيسون من كل خير وقال الفراء المبلس الذي انقطع رجاؤه ويقال للذي سكت عند انقطاع حجته قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحسرة الحزين و اذا ههنا للمفاجأة وهي ظرف مكان وهم مبتدأ ومبلسون خبره وهو العامل فيه اذا فقطع دابر القوم الدابر التابع للشيء من خلفه كالولد للوالد يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبورا ودبرا اذا كان آخرهم ابو عبيدة دابر القوم آخرهم الذي يدبرهم الاصمعي الدابر الاصل قطع الله دابره اي اصله والحمد لله رب العالمين تعليم للمؤمنين ان يحمدوه على ان لم يترك منهم احدا واستأصلهم لان ذلك جار مجرى النعمة على اولئك الرسل وعلى ام اولئك الظالمين كيلا يزيدوا الكفر اعتدادا فيزدادوا عذابا او عقابا او حمد على ما انعم عليهم قبل ذلك هو ان كلفهم وازال عنهم الاعذار والعلل ببعث الانبياء والرسل واخذهم بالبأساء والضراء ثم نقلهم الى الآلاء والنعماء الا انهم ازدادوا الا انهماكا في الغي والضلال فطهر وجه الارض من شركهم وفيه ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك كل ظالم فان ذلك من جملة آلاء الله سبحانه ثم عاد الى الدلائل على وجود الصانع الحكيم المختار وبيان وحدته جل جلاله فقال قل ارأيتم ان اخذ الله وتقرير ذلك ان اشرف اعضاء الانسان هو السمع والبصر والقلب كما عددنا منافعها في اوائل الكتاب لا يقدر على تحصيل قواها وصونها عن الآفات والمخافات ليس الا الله وحده ومعنى اخذ السمع والبصر تعطيل منافعهما ومعنى الختم على القلب ازالة العقل حتى يصير كالمجانين قال ابن عباس ان الطبع او الامانة حتى لا يعقل الهدى والصلاح يأتيكم به اي بذلك الذي اخذ من السمع والبصر والقلب فوضع الضمير موضع اسم الاشارة بناء على ان الضمير المذكور بحكم الاستعمال يلزم ان يكون لذي عقل ولو فرضنا والاحسن ان يقال انه ذكر اشياء متعددة فوجب ان يعود الضمير الى جميعها مؤنثا اذ لا ترجيح وحيث لم يكن الضمير مؤنثا علم ان المراد المذكور ومتى فتعين ان يشار اليه بذلك ثم انه اقام الضمير المذكور مقامه او يعود الى ما اخذ وختم عليه ووضح من غير تكلف المذكور بحكم التغليب انظر يا محمد او كل من له اهلية النظر كيف نصرف الآيات نوردها على الوجوه المختلفة المتكاثرة بحيث يكون كل واحد منها يقوي ما قبله في الايصال الى المطلوب ومعنى ثم التفاوت بين الحالين ثم هم يصدفون اي يعرضون ويقال امرأة صدوف التي تعرض وجهها عليك ثم تصدف اي تعرض والصدف ميل في الحافر الى الشق الوحشي وصدف الدرة غشاؤها والميل فيه وقال الكعبي لو خلق الله فيهم الاعراض والصدف لم ينكر ذلك عليهم وقالت الاشاعرة لولا منع الله تعالى الخير فيهم الدلائل القاطعة الاعداد ثم عمم الدليل بقوله قل ارأيتكم ان اتاكم والمعنى انه لا دافع لنوع من انواع العذاب الا الله سبحانه وتعالى

ان لا يكون معبود الا هو ثم العذاب المفروض اما ان يجيء من غير سبق امارة تدل على ذلك بالليل او مع سبق امارة وهو الجهرة واكثره بالنهار وعن
قال الحسن معناه ليلا او نهارا اما قوله هل يهلك الا القوم الظالمون اي لا يهلك مع قوله واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فمعناه
ان الهلاك بالحقيقة وهو هلاك التعذيب والسخط مختص بالظالمين لا اشراركان الاخيار وان عمهم العذاب الا انهم يستفيدون بذلك ثوابا [illegible]
فهو لهم بلاء في الظاهر لا بالحقيقة بخلاف الظلمة فانهم يخسرون الدنيا والاخرة ومثله قوله صلى الله عليه وآله ان امر المؤمن خير كله ان اصابته ضراء
فصبر كان خيرا له وان اصابته سراء فشكر كان خيرا له واعلم انه ذكر ههنا ارايتكم مرتين فرادخطابا واحدا لان عذاب الاستيصال ما عليه من مزيد فما
زيادة الخطاب لاجل التاكيد وفيما بينهما قال ارايتم حيث لم يكن كذلك وكان في يونس ثم ذكر ان الانبياء والرسل بعثوا للتبشير والانذار فقط ولا قدرة
لهم على اظهار الآيات وانزال المعجزات التي اقترحوها في قوله وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه وان ذلك مفوض الى مشيئة الله وحكمته فقال وما نرسل
المرسلين الا مبشرين ومنذرين مبشرين بالثواب على الطاعات ومنذرين بالعقاب على المعاصي فمن قبل قولهم واتى بالايمان الذي هو من افعال القلب
والعمل الصالح الذي هو من افعال البدن فلا خوف عليهم والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب ومعنى المس التقاء الشيئين من غير فصل قال في الكشاف جعل
العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد لم يكن بعيدا قال القاضي انه علل عذاب الكافرين بكونهم فاسقين فيكون كل فاسق كافرا واقول هذا
من باب ايهام العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس فان كل كافر فاسق ولا يلزم العكس ثم امر نبيه ان ينفي عن نفسه امورا ثلاثة فقال قل لا اقول لكم
عندي خزائن الله وهي جمع خزانة المكان الذي يخزن فيه الشيء لاحرازه بحيث لا يناله الايدي ولا اعلم الغيب قال في الكشاف محله النصب عطفا على محل
قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول اي لا اقول لكم ذاك ولا هذا قلت ويحتمل ان يكون عطفا على لا اقول اي قل لا اعلم الغيب فيكون فيه دلالة
على ان الغيب بالاستقلال لا يعلمه الا الله بخلاف كون خزائن الله عنده وكونه ملكا فان النبي يحتمل ان يكون له هذه المقامات ولكن لا يظهرها
واختلف المفسرون في فائدة نفي هذه الامور فقيل المراد اظهار التواضع والخضوع لله تعالى والاعتراف بعبوديته حتى لا يعتقد فيه مثل اعتقاد اليهود
والنصارى في المسيح ع وقيل المقصود ابداء العجز والضعف وانه لا يستقل بايجاد المعجزات التي كانوا يقترحونها كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى قوله هل كنت الا بشرا رسولا وقيل اي لا ادعي سوى النبوة والرسالة ولا ادعي الالهية ولا الملكية وانما زيد ههنا لكم بخلاف سورة هود
حيث قال ولا اقول اني ملك لانه تقدم ذكر لكم في قوله اني لكم نذير فاكتفى بذلك قال الجبائي في الآية دلالة على ان الملك افضل اذ المراد لا ادعي
فوق منزلتي قال القاضي ان كان الغرض التواضع فالاقرب ان ذلك يدل على ان الملك افضل وان كان المراد نفي قدرته عن افعال لا يقوى عليها الا
الملائكة لم يدل على افضلية الملائكة ان اتبع الا ما يوحى الي قيل هذا النص يدل على انه لم يحكم من تلقاء نفسه وبالاجتهاد في شيء من الاحكام
ولا يجوز لاحد من امته ان يعمل الا بالوحي النازل عليه لقوله تعالى فاتبعوه فلا يجوز العمل بالقياس واكد هذا الحكم بقوله هل يستوي الاعمى والبصير
وذلك ان العمل بغير الوحي يجري مجرى عمل الاعمى والعمل بمقتضى الوحي يقوم مقام عمل البصير ثم قال افلا تتفكرون تنبيها على انه يجب على العاقل ان يعرف
الفرق بين هذين واجيب بان اصل الاجتهاد والقياس اذا كان بالوحي لم يلزم الضلالة والاية مثل للضال والمهتدي او لمن ادعى المستقيم وهو
النبوة والمحال وهو الالهية والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين كالعميان او فتعلموا اني ما ادعيت سوى ما يليق بالبشر والله تعالى اعلم
واحكم. التاويل وما من دابة تدب في ارض البشرية ويتحرك من الحواس والجوارح والنفس وصفاتها الا امم امثالكم في السؤال عن اقوالهم
واحوالهم كقوله ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ما فرطنا ما تركنا في القرآن من شيء يحتاج اليه الانسان ظاهرا وباطنا ذاته
وصفاته في السير الى الله من الاوامر والنواهي والندب والآداب ثم الى ربهم يحشرون ههنا بالسير وجذبات العناية وهناك بالسلاسل
والاغلال يسحبون في النار في القطيعة على وجوههم لان من شانهم التكذيب كما قال والذين كذبوا بآياتنا التي اوصلتنا الينا صم اذان قلوبهم
عن استماع الحق بكم السنة احوالهم عن اجابة دعوة الحق في ظلمات صفات البشرية والاخلاق الذميمة بل اياه تدعون لان رجوعهم الى ربه مركوز في
روحانيته ولقد ارسلنا الى امم اي ارسلنا اليهم نعمة الصحة والكفاف والامن فشغلوا بها عنا فارسلنا اليهم بالبراهين القاطعة والحجج الساطعة
فدعوهم بها الينا فلم يهتدوا فاخذناهم بالبأساء والضراء التي هي موجبة للالتجاء فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا وعلموا ان الحقائق اللطائف منه
في قوالب صور قهرنا وتحققوا ان درر محبتنا مستودعة في اصداف شدائد باسنا فاستقبلوها بصدق الالتجاء وحسن التضرع في الدعاء فلما
نسوا بسبب القسوة ما ذكروا به من معارضة البأساء والضراء فانها تذكر ايام الرخاء وتعرف قدر الصحة والنعماء وتؤدي الى رؤية المنعم فتحنا عليهم ابواب كل
شيء من البلاء في صورة النعماء لارباب الظاهر من النعم الظاهرة من المال والجاه والقبول وامثالها ولارباب الباطن بالنعم الباطنة من فتوحات الغيب
واشباهها حتى اذا فرحوا بما اوتوا وظنوا انهم قد استغنوا عن صحبة الشيخ وتعليم تصرفه فشرعوا في الطلب على وفق هواهم اخذناهم بغتة بفقد الاحوال
بالقال فاذا هم مبلسون متحيرون في تيه الغرور والحمد لله على اظهار اللطف لاربابه والقهر لاصحابه ليعلم ان الكل بقدره كما قال قل ارايتم الآية الا القوم
الظالمون الذين ظلموا انفسهم بصرف استعداد عبوديته المولى في عبادة الهوى فاما من ابتلي بعذاب الله من الآفات والمخافات والامراض ونحوها ابتلاء
فثاب ورجع فهو غير هالك على الحقيقة قل لا اقول لكم لم يقل ليس عندي خزائن الله ليعلم ان خزائن الله وهي العلم بحقائق الاشياء وماهياتها عنده
باراءة سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم وباستجابة دعائه في قوله ارنا الاشياء كما هي ولكنه يكلم الناس على قدر عقولهم ولا اعلم الغيب اي لا اقول

لكم هذا مع انه كان يخبر مما مضى وعما سيكون باعلام الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم في قصة ليلة المعراج فطرت في حالة قطرة علمت ما كان وما
سيكون ولا اقول لكم اني ملك وان كنت قد عبرت عن مقام الملك حين قلت لجبرئيل تقدم فقال لو دنوت انملة لاحترقت ان
اتبع الا ما يوحى الي ان اخبرهم وقل معهم قل هل يستوي الاعمى كلام الاعمى والبصير فكيف اخبركم عما اعمى الله بصائركم عنه وانا به بصير قوله تعالى

وَانذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ اَن يُحْشَرُوا اِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ
و بترسان بآن انها را که میترسند که جمع آیند بسوی پروردگارشان نیست مرایشانرا از غیراو دوستی و نه وسیطه شاید که ایشان بپرهیزند و مران انانرا که
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن
میخوانند پروردگارشان را در بامدادان و شام میخواهند دیدار او را نباشد بر تو از حساب ایشان از چیزی و نیست از حساب تو بر ایشان از
شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا اَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا
چیزی پس برانی ایشانرا پس بگردی از ستمکاران و همچنین آزمودیم برخی از ایشانرا ببعضی تا گویند که آیا این گروه هند که منت نهاد خدا بر ایشان از میان ما
اَلَيْسَ اللَّهُ بِاَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۝ وَاِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ
آیا نیست خدا داناتر بسپاس کنندگان و چون آیند تو را انان که ایمان آورده اند بآیات ما پس بگو درود بر شما باد نوشت پروردگار شما بر خود
الرَّحْمَةَ اَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَاَصْلَحَ فَاَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ
رحمت را که هرکه بکند از شما بدی را بنادانی پس بازگردد از پس آن و نیکو کاری کند پس بدرستی که خدا آمرزنده مهربانست و همچنین بیان کنیم آیات را
وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ۝ قُلْ اِنِّي نُهِيتُ اَنْ اَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا اَتَّبِعُ اَهْوَاءَكُمْ
و تا ظاهر شود راه گناهکاران بگو که من نهی کرده شدم که پرستم انهارا که میخوانید از غیر خدا بگو که پیروی نکنم خواهشهای شمارا
قَدْ ضَلَلْتُ اِذًا وَمَا اَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ قُلْ اِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ اِنِ
هرآینه گمراه شوم انوقت و نباشم من از راه یافتگان بگوی که من بر گواهیم از پروردگارم و تکذیب کردید بآن نیست نزد من آنچه بشتاب خواهید نیست
الْحُكْمُ اِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۝ قُل لَّوْ اَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْاَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
فرمان مگر از برای خدا حکایت حق را و اوست بهترین جدا کنندگان بگو که اگر بودی در نزد من آنچه بشتاب خواهید هرآینه گذشته بود فرمان در میان من و میان شما
وَاللَّهُ اَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۝ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا اِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ
و خدای داناتر است بستمکاران و در نزد او است کلیدهای پنهانی که نداند انرا مگر او و میداند آنچه را که در بیابان و دریاست و نیفتد هیچ برگی
اِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْاَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ اِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ
مگر میداند انرا و نه دانه در تاریکیهای زمین و نه تری و نه خشکی مگر که در کتاب هویدا است و اوست آنکه در خواب کند شمارا در شب
وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى اَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ اِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝
و میداند آنچه را کسب کرده اید در روز پس برانگیزاند شمارا در روز تا تمام کرده شود مدتی که نام برده شده پس بسوی اوست بازگشت شما پس خبر دهد شمارا بآنچه بودید که میکردید

القراءة بالغدوة مضموم الغين ساكن الدال مفتوح الواو وكذا في الكهف ابن عامر الباقون بفتح الغين والدال وبالالف انه بالفتح وانه بالكسر
ابو جعفر ونافع وقرا ابن عامر وعاصم وسهل ويعقوب جميعا بالفتح الباقون بالكسر فيهما وليستبين بياء الغيبة يزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل الباقون بالتاء الفوقانية سبيل بالنصب ابو جعفر ونافع ويزيد الباقون بالرفع يقص ابن كثير وابو جعفر ونافع وعاصم الباقون
يقضي الحق الوقوف يتقون ج الظالمين ه من بيننا ط الشاكرين ه الرحمة لا لمن قرا انه بكسر الالف رحيم ه المجرمين ه من دون الله ط اهواءكم لا للتعقيب اذا
بما قبله قد ضللت اذا ابتعت المهتدين ه وكذبتم به ط تستعجلون به ط الا لله ط الفاصلين ه وبينكم ط بالظالمين ه الا هو ط والبحر ط مبين ه مسمى ج لان ثم لترتيب الاخبار
مع اتحاد المقصود تعملون ه التفسير لما وصف الرسل بكونهم مبشرين ومنذرين امر الرسول ههنا بالانذار وهو الاعلام بموضع المخافة فقال
وانذر به قال ابن عباس والزجاج اي بالقرآن وهو المذكور هنا في قوله ان اتبع الا ما يوحى الي وقال الضحاك اي بالله وقيل والاول اولى لان
الانذار التخويف انما يقع بالقول وفيه نظر لان الانذار لا نزاع فيه انه قول ولكن المنذر به قلما يكون قولا نحو قوله وانذرهم يوم الازفة فانذرتكم
نارا تلظى ولو زعم ان المراد وانذرهم النار والعذاب بواسطة القرآن قلنا نقدر مثله ههنا والمعنى انذرهم العذاب يقول بشيء عن
شدة سخط الله وعقوبته اما الذين يخافون ان يحشروا فقيل انهم الكافرون الذين سبق ذكرهم فلعل ناسا من المشركين من حالهم انهم
يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار فامر ان ينذر هؤلاء دون المتمردين منهم ثم
قال هذا القائل ولا يجوز حمله على المؤمنين لانهم يعلمون انهم يحشرون والعلم خلاف الخوف والظن وضعف بان الخوف شامل للناس
كافة لعدم الجزم بالثواب وقبول الطاعة وان كانوا مقرين بصحة الحشر والنشر فالظاهر ان الضمير يتناول الكل لان العاقل لا بد ان يخاف
الحشر سواء كان جازما به او شاكا فيه وايضا انه مامور بتبليغ الكل فلا وجه للتخصيص وقيل انهم قوم مسلمون مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحى اليه ليعلم

والبصير فلا يستوي مع الاعمى

ع ١٢

ع ١٣



يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين وقيل هم اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث ومعنى الى ربهم الى حكمه وقضائه فلا يلزم منه مكان ولا جهة اما قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع فقال الزجاج ان الجملة في موضع الحال من ضمير يحشروا اي يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم فان كان الضمير للكفار فظاهر وان كان للمؤمنين فشفاعة الملائكة والرسل اذا كانت باذن الله تعالى فانما يكون بالحقيقة من الله تعالى فصح انه ليس لهم من دونه ولي وشفيع ولا بد من هذه الحال لان الحشر مطلقا ليس مخوفا وانما المخوف هو الحشر على هذه الحالة لانهم اعتقدوا ان لا ناصر ولا شفيع الا الله واذا لم يكن الله ناصرا او شفيعا لزم ان لا يكون ناصر اصلا لعلهم يتقون قال ابن عباس لكي يخافوا في الدنيا وينتهوا عن الكفر والمعاصي قالت المعتزلة فيه دلالة على انه اراد من الكفار التقوى والطاعة واجيب بان الترجي راجع الى العباد ولما امر بانذار عموم المكلفين ليتقوا اردفه بذكر المتقين وامر بتقريبهم واكرامهم روي عن ابن مسعود ان الملأ من قريش مروا على رسول الله وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء اتريد ان تكون تبعا لهؤلاء اطردهم عنك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال صلى الله عليه وآله ما انا بطارد المؤمنين قالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر قال له لو فعلت حتى ننظر الى ماذا يصيرون ثم الحوا وقالوا للرسول صلى الله عليه وآله اكتب لنا بذلك كتابا فدعا بالصحيفة وبعلي ليكتب فنزلت ولا تطرد الاية فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات اثنى الله عليهم بانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس والحسن ومجاهد اي يصلون صلوة الصبح والعصر وقيل اي يذكرون ربهم طرفي النهار والمراد بالغدوة والعشي الدوام والغدوة لغة ما بين صلوة الغدوة وطلوع الشمس والعشي ما بين الزوال الى الغروب قال الجوهري غدوة بالتنوين نكرة وبدونه معرفة غير مصروفة كسحر ومحل يريدون وجهه نصب على الحال او على الاستيناف كانه قيل ما ارادوا بالمواظبة على الدعاء فاجيب بقوله يريدون وجهه ولا يثبت به لله تعالى عضو كما زعمت المجسمة ولكن المراد به التعظيم فقد يعبر به عن ذات الشيء او حقيقته كما تقدم او وجه الرأي وذلك وجه الدليل وايضا المحبة يستلزم طلب وجه المحبوب كما يعبر عن المحبة وطلب الرضا ثم علل النهي بقوله ما عليك من حسابهم من شيء قيل الضمير عائد الى المشركين اي لا يؤاخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك ذلك الى ان تطرد المؤمنين والاولى ان يعود الى الفقراء ليناسب قوله فتطردهم كما في قصة نوح ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم وقالوا يا محمد انهم قبلوا دينك ولازموك لاجل الماكول والملبوس فقال الله تعالى ان كان الامر على ما زعموا فما يلزمك الا اعتبار الظاهر ان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم لا يتعدى اليك كما ان حسابك لا يتعدى اليهم فالجملتان لهما مؤدى واحد وهو المفهوم من قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى كانه قيل لا تؤاخذ انت ولا هم بحساب صاحبه وقيل ما عليك من حساب رزقهم عليهم من شيء وانما الرزاق لك ولهم هو الله سبحانه فدعهم يكونوا عندك اما قوله فتطردهم فهو جواب النفي في ما عليك في انتصاب فتكون وجهان احدهما انه جواب النهي والثاني انه عطف على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما معلوم من طردهم ومسبب عنه فان طرد من يستوجب التقريب والترحيب وضع للشيء في غير موضعه ومن ههنا طعن بعض الناس في عصمة النبي صلى الله عليه وآله قالوا وكان يقول كلما دخل اولئك الفقراء عليه بعد هذه الواقعة مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم او لفظ هذا معناه والجواب انه ما طردهم لاجل الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما افرد لهم مجلسا تالفا لقلوب المشركين و تكثير السواد للاسلام مع علمه بانه لا يفوت الفقراء بهذه المصالحة امر مهم في الدنيا ولا في الدين فغايته ان ذلك انه يكون من باب ترك الاولى والافضل وكذلك اي مثل ذلك الفتن العظيم فتنا ابتلينا بعض الناس ببعض فاحد الفريقين هم الكفار يرى الاخر مقدما عليه في المناصب الدينية فيقول اهؤلاء المسترذلون من الله عليهم من بيننا كقولهم اءلقي الذكر عليه من بيننا والفريق الاخر يرى الاول مقدما عليه في الخيرات العاجلة والخصب والسعة والراحة والدعة فيقول اهذا هو الذي فضله الله علينا واما المحققون فهم الذين يعلمون ان كل ما فعله الله فهو صواب ولا اعتراض عليه بحكم المالكية وبحسب رعاية الاصلح وبالجملة فصفات الكمال غير محصورة ولا تجتمع في انسان واحد البتة بل هي موزعة على الخلائق وكلها محبوبة لذاتها فكل انسان يحسد صاحبه على ما اتاه الله تعالى من صفة الكمال ومن عرف سر القدر رضي بنصيب نفسه وسكت عن التعرض لغيره وعاش عيشا طيبا في الدنيا والاخرة قال هشام بن الحكم الافتتان الاختبار والامتحان وفيه دليل على انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا عند حدوثها والجواب انه يعامل المكلف معاملة المختبر وقد مر مرارا وقالت الاشاعرة في الاية دلالة على مسألة خلق الاعمال لان تلك الفتنة التي القاها الله تعالى ليست الا الاعتراض على الله والاعتراض عليه كفر فهو تعالى خالق الكفر وايضا من الله عليهم ليس الا بالايمان ومتابعة الرسول فلو كان الموجد للايمان هو العبد لكان العبد هو المان على نفسه اجاب المعتزلة بان معنى فتناهم ليقولوا خذلناهم حتى آل امرهم الى ان قالوا فيكون اللام لام العاقبة وزيف بانه عدول عن الظاهر مع انا ننقل الكلام الى الخذلان فلا بد من الانتهاء اليه تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين من يصرف كل ما انعم عليه فيما اعطاه لاجله فيظهر امتنانه على حسب معلوم الله تعالى وقال الكشاف اي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا قال عكرمة نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم

فلهذا الحصل الوجه

رزقهم من شيء ولا من حساب

وكان اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال الحمد لله الذي جعل في امتي من امرني ان ابدأهم بالسلام وقال ماهان الحنفي اتى قوم النبي صلى الله عليه وآله فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما واظهروا الندامة فلا اسف فما اخاله رد عليهم بشيء فلما ذهبوا وتولوا نزلت الاية قال في التفسير الكبير الاقرب ان تحمل الاية على عمومها فكل من آمن بآيات الله تعالى يدخل تحت هذا التشريف والاكرام ثم ابدى اشكالا وهو ان المفسرين اتفقوا على ان هذه السورة نزلت دفعة واحدة واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان يقال في كل واحدة من جميع آي هذه السورة انها نزلت بسبب الامر الفلاني قلت لا استبعاد في ان تنزل الشيء دفعة وينزل الصحابة كل آية منها على واقعة تناسبها كيف وهم اعرف بحقائق التنزيل واعلم بدقائق التأويل لانهم اهل مشاهدة الوحي وارباب مزاولة الامر والنهي واعلم ان ما سوى الله تعالى فهو آيات وجود الله وانها لا تكاد تنحصر فيجب على المكلف ان يكون مدة حياته كالسابح في تلك القفار ليكون دائما مترقيا في معارجها مترقبا ان ينفتح عليه انوار من مدارجها فيستعد لبشارة سلام عليكم ويتأهل لكرامة كتب ربكم على نفسه الرحمة فقوله سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما ان يكون امرا بان يبدأهم بالسلام اكراما لهم قال الزجاج سلام اما مصدر سلمت سلاما وتسليما مثل كلمت كلاما وتكليما ومعناه الدعاء بان يسلم من الآفات في نفسه ودينه واما ان يكون جمع سلامة وقيل السلام هو الله اي الله عليكم اي على حفظكم ولعل هذا الوجه انما يتأتى في المعرف لا في المنكر كتب ربكم من جملة المقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة ومعنى كتب على نفسه وجب على نفسه ووجب على ذاته ايجاب الكرم لا ايجابا يستحق بتركه الذم وقالت المعتزلة كونه عالما بقبح القبائح وباستغنائه عنها يمنعه عن الاقدام عليها ولو فعل كان ظالما وايضا الرحمة منافي القول بانه منع الكافر من الايمان ثم امره حال خلق المنع بالايمان ثم يعذبه على ترك ذلك الايمان والجواب انه فاعل لما يشاء ولا اعتراض عليه انه من عمل من قرأ بالفتح فعلى الابدال من الرحمة ومن قرأ بالكسر فعلى الاستئناف كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم سوءا بجهالة وهو في موضع الحال اي عمله وهو جاهل والمراد انه فاعل فعل الجهال لان من عمل ما يضره في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه لا من اهل الحكمة والتدبير او انه جاهل بعاقبته ومن حق الحكيم ان لا يقدم على ما لا يعرف مآل حاله ثم تاب من بعده بان ندم على ما فعله واصلح العمل في المستقبل فانه غفور يزيل العقاب عنه رحيم يوصل الثواب اليه من قرأ بالكسر فعلى ان الجملة جزاء للشرط ومن قرأ بالفتح فعلى ان الخبر او المبتدأ محذوف اي فغفرانه كائن او فامره انه غفور وقيل ان الآية نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الى ما طلبوا ولم يعلم انها مفسدة وكذلك اي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على التوحيد والتنزيه والقضاء والقدر نفصل الآيات ونميزها لك في تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين معطوف على محذوف كانه قيل ليظهر الحق وليستبين او معلق بمحذوف اي وليستبين سبيل المجرمين فصلنا ذلك التفصيل البين من رفع السبيل قرأ ليستبين بالياء او بالتاء لان السبيل يذكر ويؤنث ومن نصب السبيل قرأ لتستبين بتاء الخطاب مع الرسول يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته واستبانة سبيل المجرمين يستلزم استبانة طريق المحقين فلذلك اقتصر على احدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر ولم يذكر البرد وانما ذكر المجرمين دون المحقين لان طريق الحق واحد والمجرمون اصناف يشتبه امرهم فمنهم من هو مطبوع على قلبه ومنهم من يرجى فيهم قبول الاسلام ومنهم من دخل في الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده فينبغي ان يستوضح سبيلهم ليعامل كلا منهم بما يجب ومن جملة ذلك انه نهي عن عبادة معبوديهم وذلك قوله قل اني نهيت اي صرفت بالدلائل العقلية والسمعية ان اعبد الذين تدعون تعبدون من دون الله قل لا اتبع اهواءكم لا اتبع عبادة المصنوع والمخلوق محض التقليد وعين الهوى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين اثبت الضلال اذ ذاك ونفي المستمع انهما متلازمان للتقرير والتأكيد وفيه تعريض بهم انهم كذلك ثم نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني على بينة من ربي على حجة واضحة من معرفة ربي وانه لا معبود سواه وكذبتم انتم به حيث اشركتم به غيره او انا على بينة من هذا الامر وعلى يقين منه اذا كان ثابتا عندي بدليل عقلي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل القرآن او البيان ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقال الكلبي نزلت في النضر بن الحرث ورؤساء قريش كانوا يقولون يا محمد ائتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم ان الحكم الا لله مطلق يتناول الكل فقال الاشاعرة لا يقدر العبد على امر من الامور الا اذا قضى الله تعالى فيمتنع منه فعل الكفر الا بارادة الله واحتجت المعتزلة بقوله يقضي بالحق اي كل ما قضى به فهو الحق وهذا يقتضي ان لا يريد الكفر من الكافر ولا المعصية من العاصي لان ذلك ليس بحق ويمكن ان يقال ان جميع احكامه حق وصدق ولا اعتراض لاحد عليه بحكم المالكية وانتصاب الحق على انه صفة مصدر اي يقضي القضاء الحق او مفعول به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره ومثله من قرأ يقص الحق كقوله نحن نقص عليك احسن القصص اي نقول الحق او يتبعه من قص اثره وهو خير الفاصلين اي القاضين وانما كتب يقض في المصاحف بغير ياء لانها سقطت في اللفظ لالتقاء الساكنين وليوافق قراءة يقص قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون به من العذاب لقضي الامر اي لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي والله اعلم بالظالمين فيؤخر عقابهم الى وقته وانا لا اعلم ما يجب في الحكمة من وقت عقابهم ومقداره فان قلت اما ينافي هذا قوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا فان استعجال الهلاك ينافي الحرص على الايمان لان من حرص على ايمان احد حرص على طول حياته طمعا في ايمانه قلت لا بل يؤكده لاشتراك كل من الحكمين في الاستعجال اللازم للبشرية في قوله وكان الانسان عجولا ثم بين سبحانه اعلميته بقوله على سبيل الاستعارة وعنده مفاتح الغيب اي وانه المتوصل الى المغيبات وحده كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها ولم يمنعه من ذلك مانع والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح

البحار واللجج في هذا الخ

وتبينته



اوجمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن قال الحكيم في بيان ان العلم بالعلة التامة يوجب العلم بالمعلول وكل ما سوى الواجب فانه موجود بايجاده وتكوينه
بواسطة او بوسائط فعلمه بذاته يوجب العلم بالجميع اثاره على ترتيبها المعتبر كليات كانت او جزئيات وعلمه بذاته لم يحصل الا لذاته فصح ان يقال
وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيبِ لَا يَعلَمُهَا إِلَّا هُوَ وفيه انه لا ضد له ولا ند اذ لو كان في الوجود واجب اخر لكانت مفاتح الغيب حاصلة ايضا عنده فيبطل هذا
الحصر ولا يمكن ان يكون هذه المفاتح عند شيء من الممكنات لان المحاط لا يحيط بمحيطه فلا يحيط ما دون الواجب بالواجب فلا يكون المفتاح الاول
للعلم بجميع المعلومات الا عنده ثم ان قوله وعنده مفاتح الغيب قضية معقولة مجردة والانسان الذي يقوى على الاحاطة بمعنى هذه القضية
نادر جدا والقران انما نزل لينتفع به جميع الناس فذكر من الامور المحسوسة الداخلة تحت تلك القضية الكلية امثالا لما بين الحس العقل فقال
وَيَعلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحرِ لان ذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول وقدم ذكر البر لان الانسان قد شاهد احوال البر وكثرة ما
فيه من المدن والقرى والجبال والتلال والمعادن والنبات والحيوان واما البحر فاحاطة الحس باحواله اقل مع كثرة ما فيها من العجائب والغرائب
ايضا ثم افرد من هذه المحسوسات قسما فقال وَمَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعلَمُهَا اي لا يتغير حال ورقة الا والحق يعلمها ثم عدل عن التعجيب بكثرة
المدركات الى التعجيب من صغر المدرك وخفائه فقال وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ وفي تخصيص الحبة والورقة تنبيه المكلفين على امر الحساب
لانه اذا كان بحيث لا يهمل امر الاشياء التي ليس لها ثواب ولا عقاب فلان لا يهمل امر المكلفين اولى ثم عاد الى ذكر القضية الكلية المجردة
بعبارة اخرى فقال وَلَا رَطبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ قال في الكشاف ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل في حكمها
كانه قيل وما يسقط شيء من هذه الاشياء الا وهو يعلمه وقوله الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا في
كتاب مبين واحد الكتاب المبين علم الله او اللوح قال علماء التفسير يجوز ان يكون الله جل شانه اثبت كيفية المعلومات في كتاب من قبل ان
يخلق الخلق ليقف الملائكة على نفاذ علمه في المعلومات وانه لا يغيب عنه شيء فيكون في ذلك عبرة كاملة للملائكة الموكلين باللوح المحفوظ لانهم يقابلون
به ما يحدث في العالم فيجدونه موافقا له ولانه اذا كتب احوال جميع الموجودات في ذلك الكتاب على التفصيل التام امتنع تغيرها والا لزم الكذب
او الجهل فيصير كتبة جملة الاحوال في ذلك الكتاب سببا تاما في انه يمتنع تقدم ما تاخر وتاخر ما تقدم ثم لما بين كمال علمه اردفه ببيان كمال
قدرته بقوله وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم اي يتوفى انفسكم التي بها تقدرون على الادراك والتمييز وذلك ان الارواح الجسمانية تغور حالة النوم
من الظاهر الى الباطن فيتعطل الحواس عن بعض الاعمال واما عند الموت فتصير جملة البدن معطلة عن كل الاعمال فلهذا كان النوم اخا الموت
فصح لفظ الوفاة على النوم من هذا الوجه وَيَعلَمُ مَا جَرَحتُم اي ما كسبتم من العمل بالنهار ومنه الجوارح للاعضاء وللسباع ثُمَّ يَبعَثُكُم فِيهِ اي
يرد اليكم ارواحكم بالنهار لِيُقضَى أَجَلٌ مُسَمًّى اي اعماركم المكتوبة وقضاء الاجل فصل مدة العمر من غيرها ثم لما ذكر انه يميتهم اولا ثم يوقظهم ثانيا
كان ذلك جاريا مجرى الاحياء بعد الاماتة الجوهر استدل بذلك على صحة البعث في القيمة فقال ثُمَّ إِلَيهِ مَرجِعُكُم ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ في ليلكم
ونهاركم وجميع احوالكم واوقاتكم واعلم ان في الاية اشكالا لان قوله وَيَعلَمُ مَا جَرَحتُم بِالنَّهَارِ كان ينبغي ان يكون بعد قوله ثم يبعثكم فيه فان البعث
في النهار مقدم على الكسب فيه بل على تعلق العلم بالكسب ويمكن ان يجاب بان المراد ويعلم ما جرحتم في النهار الماضي بدليل قوله جرحتم دون تجرحون
ثم يبعثكم في النهار الاتي والغرض بيان احاطة علمه وقدرته بالزمانين المحيطين بالليل ولعل صاحب الكشاف عدل عن التفسير الى ان قال
هو الذي يتوفيكم بالليل والخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كالجيف والانسلاخ الانطلاح او الاستلقاء ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم
من الاثام فيه ثم يبعثكم من القبور فيه اي في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام في النهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني
فتقول في امر كذا لِيُقضَى أَجَلٌ مُسَمًّى وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزاءهم على اعمالهم ثُمَّ إِلَيهِ مَرجِعُكُم وهو المرجع الى موقف الحساب
والاصوب عندي ان يبقى الخطاب عاما وكذا الكسب في النهار لا ينبغي ان يقيد بالاثام اما الضمير في فيه فيكون جاريا مجرى اسم الاشارة الى الكسب
والبعث هو البعث من القبور الى اخر ما قال والله اعلم التاويل ولقد رباع بهذه العقابيل المعاني الذين يخافون اي يرجون ان يحشروا الى
ربهم بجذبات العناية ويتحققوا لهم ان ليس لهم في الوصول الى الله من دونه ولي من الاولياء ولا شفيع يعني من الانبياء لان الوصول لا يمكن
الا بجذبة بالحق ولا تطرد الذين يدعون اخبر عن الفقراء انهم جلسائي بالغداة والعشي كما قال انا جليس من ذكرني فلا تطردهم عن مجالسك
فانهم يطلبونني في متابعتك لا يريدون الدنيا ولا الاخرة ولكن يريدون وجهي كل له سؤل وبي ومن هب وصلكم سولي وديني بيني دينهم
قال المحققون الارادة اهتياج يحصل في القلب يسلب القرار من العبد حتى يصل الى الله فصاحب الارادة لا يهدا ليلا ولا نهارا ولا يجد من دون
الوصول الى الله سبحانه سكونا ولا قرارا ما عليك من حسابهم من شيء يعني الذي لنا معك في الحساب من المواصلة والتوحيد في الخلوة فانهم ليسوا في شيء فلا
يكون عليك ثقلا وما من حسابك عليهم من شيء اي الذي لنا معهم في الحساب من التفرد للوصول والوصال ليس لك الى ذلك حاجة ليثقل عليهم
فتطردهم فيكسر قلوبهم بالطرد فتكون من الظالمين بوضع الكسر مقام الجبر فانك بعثت لجبر قلوبهم كقوله واخفض جناحك للمؤمنين وكذلك فتنا بعضهم
ببعض ليشكر الفاضل وليصبر المفضول فيستويان في الفضل فلهذا قيل لسليمان ولايوب كلاهما نعم العبد مع قدرة سليمان على اسباب الطاعة
وعجز ايوب عنه ومن فتنة الفاضل في المفضول رؤية فضله على المفضول وتحقيره ومنع حقه عنه في فضله ومن فتنة المفضول في الفاضل حسده وعلى

فضله وسخطه عليه منع حقه من فضله عنه فان المعطى والمانع هو الله ومنها ان لا يرى الفاضل مستحقا للفضل فيقولوا اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا فقل سلام عليكم انه سبحانه من كمال فضله على الفقراء وحلمهم تحمل الاكابر ولملوك الدنيا فقال لنبيه صلى الله عليه واله كن مبتدئا
بالسلام في الاخرة فالهم الملائكة ان يسلموا عليهم في الجنة سلام عليكم طبتم بل سلم بذاته عليهم سلام قولا من رب رحيم وكل ذلك تحية سلام منهم من ظلمة
الخلقية واصابة رشاش النور في الازل فلهذا قال كتب ربكم على نفسه الرحمة اى الرحمة الخاصة كما خص الخضر في قوله واتيناه رحمة من عندنا والرحمة
العامة كما في الحديث لولاك لما خلقت الجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي من عمل منكم اى من المؤمنين سوءا بجهالة اى بجهالة الجهولية التى جبل الانسان عليها
لا بجهالة الضلالة التى هى نتيجة اخطاء النور فان هذه لا توبة لها ثم تاب من بعده اى رجع الى الله بقدم السير من بعد فساد الاستعداد الفطرى واصلح
الاستعداد بالاعمال الصالحة لقبول الفيض قل انى نهيت في الازل باصابة النور من رشاش ما عندى ما تستعجلون به من عذاب الهوى لقضى الامر يعنى
القتال والخصومات ولاستراحت من ذنبكم لان الشئ انما ينفعل من ضده لا شبهه وعنده مفاتح الغيب يعنى العلوم العقلية التى بسبب فتح باب صور عالم
الشهادة كالنقاش ينقش الصورة في ذهنه ثم يصورها في الخارج وانما وحد الغيب وجمع المفاتح لان عالم الغيب عالم التكوين وهو واحد في جميع
الاشياء وفي الملكوت كثرة ويعلم ما في البر وهو عالم الشهادة وفي البحر وهو عالم الغيب بهذا العلم ما تسقط من ورقة من شجرة الوجود الا يعلمها لانه مكونها
ومسقطها ولا حبة هى حبة الروح في ظلمات صفات ارض النفس او حبة المحبة في ظلمات ارض القلب ولا رطب ولا يابس الرطب المؤمن واليابس ما سيصير
موجودا او ما فقد او الرطب الروحانيات واليابس الجمادات او الرطب المؤمن واليابس الكافر او الرطب العالم واليابس الجاهل او الرطب العارف واليابس
الزاهد او الرطب اهل المحبة واليابس اهل السلوة او الرطب صاحب الشهود واليابس صاحب الوجود او الرطب الباقى بالله واليابس الباقى بنصيبه
وهو الذى يتوفيكم بالليل ليل القضاء ويعلم ما جرحتم بالنهار نهار القدر والليل ليل صفات البشرية والنهار نهار الشهود في عالم الوحدة

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتّٰى اِذَا جَاءَ اَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا
و اوست قهر کننده در بالای بندگان خود و میفرستد بر شما نگاهبانان تا چون که آمد یکی از شما را مرگ جان بستانند او را فرستادگان ما و ایشان تقصیر نکنند پس باز گردند
اِلَى اللّٰهِ مَوْلٰىهُمُ الْحَقِّ اَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ اَسْرَعُ الْحَاسِبِيْنَ قُلْ مَنْ يُنَجِّيْكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوْنَهٗ تَضَرُّعًا
بسوی خدا که مولای ایشانست بحق آگاه باش که مر او راست فرمان و اوست زود حساب کننده بگو کیست که برهاند شما را از تاریکیهای بیابان و دریا میخوانید او را بزاری
وَّخُفْيَةً لَئِنْ اَنْجٰىنَا مِنْ هٰذِهٖ لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الشّٰكِرِيْنَ قُلِ اللّٰهُ يُنَجِّيْكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ اَنْتُمْ تُشْرِكُوْنَ قُلْ
و پنهان هر آینه اگر رهاند ما را از این هر آینه میباشیم از سپاس گذاران بگو که خدا برهاند شما را از آن و از هر اندوهی پس شما شرک آورید بگو
هُوَ الْقَادِرُ عَلٰى اَنْ يَّبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ اَوْ مِنْ تَحْتِ اَرْجُلِكُمْ اَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَّيُذِيْقَ بَعْضَكُمْ بَاْسَ
اوست توانا بر اینکه وا دارد بر شما عذابی از بالای سرها یا از زیر پاهای شما یا بر آمیزد شما را گروهان و بچشاند پاره از شما را عذاب
بَعْضٍ اُنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ وَكَذَّبَ بِهٖ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَّسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيْلٍ لِكُلِّ
بعضی بنگر که چگونه مکرر گردانیم آیات را شاید که ایشان فهم کنند و تکذیب کردند او را قوم تو و اوست حق بگو که نیستم من بر شما وکیل مر هر
نَبَاٍ مُّسْتَقَرٌّ وَّسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ وَاِذَا رَاَيْتَ الَّذِيْنَ يَخُوْضُوْنَ فِيْ اٰيٰتِنَا فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتّٰى يَخُوْضُوْا
خبری را جایگاهی است و زود است که بدانید و چون دیدی آنهایی که فرو روند در آیات ما پس رو گردان از ایشان تا فرو روند
فِيْ حَدِيْثٍ غَيْرِهٖ وَاِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرٰى مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِيْنَ وَمَا عَلَى الَّذِيْنَ
در حکایتی غیر از آن و اگر از خاطر برد تو را شیطان پس منشین پس از یاد آوری با گروه ستمکاران و نیست بر آنها که
يَتَّقُوْنَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ وَّلٰكِنْ ذِكْرٰى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُوْنَ وَذَرِ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا دِيْنَهُمْ لَعِبًا وَّلَهْوًا وَّغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ
پرهیز کنند از محاسبه ایشان از چیزی و لیکن پند دادنست شاید که ایشان بپرهیزند و واگذار آنها را که فرا گرفتند دین خود را بازیچه و بیهوده و فریب داد ایشان را زندگانی
الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهٖ اَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَلِيٌّ وَّلَا شَفِيْعٌ وَاِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ
دنیا و پند ده بدین قرآن که گرفتار کرده نشود هیچ تنی بانچه کسب کرده نیست مر او را از غیر خدا دوستی و نه شفاعت کننده و اگر فدا کند هر فدا کردنی
لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ اُبْسِلُوْا بِمَا كَسَبُوْا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيْمٍ وَّعَذَابٌ اَلِيْمٌ بِمَا كَانُوْا يَكْفُرُوْنَ قُلْ
پذیرفته نشود از ان آن گروه آنانند که در گرو شدند بانچه کسب کردند مر ایشان راست شربتی از آب گرم و عذابی دردناک بانچه بودند کافر شدن بگو
اَنَدْعُوْا مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلٰٓى اَعْقَابِنَا بَعْدَ اِذْ هَدٰىنَا اللّٰهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيٰطِيْنُ
آیا بخوانیم از غیر خدا آنچه سود نرساند ما را و ضرر نکند ما را و برگردیم بر پاشنه های خود ما پس از آنکه راه نمود ما را خدا چون کسی که سرگشته کرد او را دیوان
فِي الْاَرْضِ حَيْرَانَ لَهٗٓ اَصْحٰبٌ يَّدْعُوْنَهٗٓ اِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ اِنَّ هُدَى اللّٰهِ هُوَ الْهُدٰى وَاُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعٰلَمِيْنَ
در زمین حیران و متحیر مر او را یارانی است که میخوانند او را بسوی راستی بیا بما بگو که بدرستی که راه خدا آن راه است و ما مامور شده ایم که منقاد شویم پروردگار عالمیان را
وَاَنْ اَقِيْمُوا الصَّلٰوةَ وَاتَّقُوْهُ وَهُوَ الَّذِيْٓ اِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ
و اینکه بر پای دارید نماز را و بپرهیزید او را و اوست آنکه بسوی او گرد آیند و اوست آنکه آفرید آسمانها و زمین را بحق و در روزی

يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ

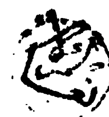
میگوید که بش پس میشود گفتار او حق است و مر او راست پادشاهی در روزی که دمیده شود در صور داناى نهان و آشکار او اوست داور

القراءة توفته واستهوته بالإمالة حمزة الباقون بتاء التأنيث قل من ينجيكم من الإنجاء سهل ويعقوب وعباس الباقون بالتشديد وخفية
بالكسر حيث كان أبو بكر وحماد الباقون بالضم أنجانا بالإمالة حمزة وعلي وخلف أنجانا بدون الإمالة عاصم الباقون أنجيتنا قل الله ينجيكم
بالتشديد يزيد وحمزة وخلف وعاصم وهشام الباقون بالتخفيف بعض انظر وأشباه ذلك بكسر التنوين أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعاصم
وابن شنبوذ عن أهل مكة وابن ذكوان ينسينك بالتشديد ابن عامر الوقوف حفظة لا يفرطون الحق الحاسبين وخفية لاحتمال الإضمار أو
يقولون لئن أنجيتنا وتعلق لئن بمعنى القول في تدعونه الشاكرين تشركون بأس بعض يفقهون وهو الحق بوكيل مستقر للابتداء بسوف
على التهديد مع شدة اتصال المعنى تعلمون غيره الظالمين يتقون ولا شفيع للشرط مع العطف منها كسبوا للانقطاع لفظا مع اتصال المعنى والاحتمال
أن يكون الذين خبر أولئك وقوله لهم شراب خبر الهدى ائتنا الهدى العالمين لأن التقدير وأمرنا بأن أقيموا واتقوه تحشرون بالحق فيكون في الصور
والشهادة الخبير التفسير من الدلائل الدالة على كمال قدرته وحكمته قوله وهو القاهر فوق عباده والمراد منه الفوقية بالقدرة والتسخير كما يقال
أمر فلان فوق أمر فلان أي أنه أعلى وأنفذ منه ولا ريب أن الممكنات بأسرها تحت تصرف الواجب ينقلها من حيز العدم إلى حالة الوجود وبالعكس ويتصرف فيها كيف يشاء
علويات كن أو سفليات ذواتا وصفات نفوسا وأبدانا أخلاطا وأركانا ومن جملة قهره إرسال الحفظة وهي جمع حافظ على عبيده يضبطون أعمالهم من
الطاعات والمعاصي والمباحات لأنهم مطلعون على أقوال بني آدم لقوله ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد وعلى أفعالهم لقوله يعلمون ما تفعلون
وأما صفات القلوب كالجهل والعلم فليس في الآيات ما يدل على اطلاعهم عليها وعن ابن عباس أن مع كل إنسان ملكين أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره
فإذا تكلم الإنسان بحسنة كتبها من على اليمين وإذا تكلم بسيئة قال من على اليمين لمن على اليسار انظر لعله يتوب منها فإن لم يتب كتب عليه قالت
العلماء فوائد هذه الكتبة أن المكلف إذا علم أن الملائكة الموكلين عليه يكتبون أعماله في صحائف تعرض على رؤس الأشهاد في موقف القيامة
كان ذلك زجرا عن القبائح ومنها أن يوزن تلك الصحائف يوم القيامة فإن وزن الأعمال غير ممكن ومنها التعبد فعلى المكلف أن يؤمن بكل
ما ورد به الشرع وإن لم يعرف وجه الحكمة في بعض ذلك وقال بعض الحكماء الحفظة النفوس والقوى الجسمانية التي تحفظ الأركان مع طبائعها
المتضادة على امتزاجها وقال بعض العلماء منهم النفوس البشرية والأرواح السفلية مختلفة بجواهرها متباينة بماهياتها فبعضها خيرة وبعضها
شريرة وكذا القول في الذكاء والبلادة والحرية والنذالة والشرف والخساسة ولكل طائفة من هذه الأرواح السفلية روح سماوي هو
لها كالأب المشفق والسيد الرحيم تعينها على مهماتها في يقظتها ومنامها على سبيل الرؤيا تارة وعلى سبيل الإلهامات أخرى فالأرواح الخيرة
لها مبادي من عالم الأفلاك وكذا الأرواح الشريرة وتلك المبادي في مصطلحهم تسمى بالطباع التام لأن تلك الأرواح في تلك الطبائع والأخلاق
تامة كاملة وهذه الأرواح السفلية المتولدة منها أضعف منها لأن المعلول في كل باب أضعف من علته ولأصحاب الطلسمات والعزائم في هذا الباب
كلام كثير وقيل إن النفوس المفارقة تميل إلى ما يناسبها ويشابهها في الطبيعة والماهية من النفوس المتعلقة بالأبدان فتحفظها وتعينها حتى إذا
جاء أحدكم الموت أي وقته أو أماراته توفته رسلنا أي بإذننا وتفويضنا فالمتوفي بالحقيقة هو الله تعالى كما قال الله يتوفى الأنفس حين موتها
وهؤلاء الرسل أتباع ملك الموت في قوله يتوفاكم ملك الموت وهم الحفظة بأعيانهم أم غيرهم فيه قولان أشهرهما الثاني فيكون ملائكة الروح
والرحمة وهم الروحانيون غير ملائكة الكرب الأخر وهم الكروبيون وعن مجاهد جعلت الأرض مثل الطست لملك الموت يتناول من حيث يشاء وما من
أهل بيت إلا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين وهم لا يفرطون لا يقصرون فيما أمرهم الله تعالى وفيه مدح لهم بالعصمة ثم ردوا إلى الله أي إلى
حكمه وجزائه مولاهم الحق صفتان والضمير في ردوا إما للملائكة يعني كما يموت بنو آدم يموت أولئك الملائكة وإلى البشر أنهم بعد موتهم
يردون إلى الله تعالى والمعنى أنهم كانوا في الدنيا تحت تصرفات الموالي الباطلة وهي النفس والشهوة والغضب فلما ماتوا تخلصوا إلى تصرف المولى الحق وفيه إشعار
بأن الإنسان شيء آخر وراء هذا الهيكل المحسوس فإن هذا الهيكل يبقى ميتا والإنسان مردود إلى الله تعالى وفي لفظ الرد إشارة إلى أن الروح كان موجودا قبل
البدن وقد تعلق به فإنما ثم رد إلى موضعه الأصلي وهو عالم الأرواح يجيء بيته ارجعي إلى ربك ألا له الحكم كقوله إن الحكم وهو أسرع الحاسبين
حسابا قيل إنه تعالى يحاسب الخلق بنفسه دفعة واحدة فلا يشغله كلام عن كلام وقيل يحاسب كل إنسان واحد من الملك بإذن الله تعالى لأنه لو حاسب الكفار بذاته
لتكلم معهم وهو محال لقوله ولا يكلمهم الله وقال الحكيم معنى سرعة المحاسبة ظهور الملكات في المبدأ على النفس في أن قطع التعلق قليلة كانت أو
كثيرة حسنة أو ذميمة وبعد تعارض البعض بالبعض يبقى ما هو الغالب بحسب ذلك يكون الثواب وضده وذلك أنه لا يحصل للإنسان لحظة ولا لمحة ولا
حركة ولا سكون إلا ويظهر منها في جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو ضدها قل أو كثر وهو المراد بكتبة الأعمال قال الجبائي ههنا لو كان كلامه
قديما لوجب أن يكون متكلما بالمحاسبة الآن وقبل خلقه وذلك محال لأن المحاسبة يقتضي حكاية عمل تقدم وعورض بالعلم فإنه كان قبل العالم
عالما بأنه سيوجد وبعد وجوده صار عالما بأنه وجد ولا يلزم منه تغير إلا في العلم ثم عدد لطفه وإحسانه بقوله قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر

مجازا عن مخاوفها واهوالها يقال لليوم الكريه يوم مظلم وذو كواكب كأنه اظلم عليه وجه الخلاص ويحتمل ان يكون الظلمات بالتحقيق
وظلمات البر ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمات البحر هما مع ظلمة الماء تدعونه في موضع الحال تضرعا وخفية مفعول لاجلهما او تمييز
او مصدر خاص والمراد ان الانسان عند حصول هذه الشدائد يأتي بامور احدها الدعاء الثاني التضرع والثالث الاخلاص
بالقلب وهو المعنى بقوله وخفية ورابعها التزام الشكر وهو قوله لئن انجيتنا من هذه الظلم والشدة لنكونن من الشاكرين فبين
الله سبحانه انه اذا شهدت الفطرة السليمة في هذه الحالة بانه لا ملجأ الا الى الله ولا معول الا عليه وجب ان يبقى هذا الاخلاص
عند كل الاحوال والاوقات ثم بين انه ينجيهم من تلك المخاوف ومن سائر موجبات الحزن والكرب ثم ان ذلك الانسان يقدم على
الشرك الجلي وهو عبادة الاوثان او الخفي وهو اتباع الهوى وبالجملة فعادة اكثر الخلق ذلك اذا شاهدوا الخوف اخلصوا واذا انتقلوا
الى الامن والفراغ اشركوا ثم ذكر نوعا آخر من دلائل التوحيد ممزوجا بنوع من التخويف فقال قل هو القادر واللام للعهد
او للجنس فيفيد انه من الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كالمطر او الحجارة
مثل ما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من قبل اكابركم
وسلاطينكم او من جهة سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا هي جمع شيعة اي يخلطكم فرقا
مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في
ملاحم القتال وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسألته
ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعني واخبرني جبرئيل ان فناء امتي بالسيف قالت الاشاعرة في قوله او يلبسكم شيعا دلالة على ان
الاهواء المختلفة والآراء الفاسدة والبدع كلها من الله تعالى وفي قوله ويذيق بعضكم بأس بعض اشارة الى ان المعاصي
وانواع الظلم مستندة الى الله تعالى وقالت المعتزلة الآية لا تدل الا على انه تعالى قادر على القبيح والنزاع في انه هل يفعل
ذلك ام لا واجيب بان الآية دلت على ان القدرة على هذه الامور مختصة به وهذه الامور واقعة فيكون هو فاعلها بالضرورة
انظر كيف نصرف الآيات تقرير الدلائل الواضحات وقد قال مثل ذلك فيما قبل فالتقدير انظر كيف نصرف
الآيات ثم هم يصدفون فلا نعرض عنهم بل نكررها لعلهم يفقهون وكذب به اي بالعذاب المذكور في الآية السابقة
قومك يعني قريشا ومن دان بدينهم وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم وقيل اي بالقرآن وهو الحق لانه كتاب منزل من عند
الله وقيل اي بتصريف الآيات لانهم كذبوا كون هذه الاشياء دلالات قل لست عليكم بوكيل اي بحافظ حتى اجازيكم
على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الدلائل انما انا منذر لكل نبأ لكل خبر يخبر به الله تعالى مستقر استقرار او موضع استقرار
والمراد بالنبأ المنبأ به لان النبأ قد حصل والمعنى ان لعذاب الله والاستيلاء المسلمين على الكفار بالقتل والاسر والقهر وقتا
ومكانا يحصل فيه من غير خلف ولا تأخير وسوف تعلمون فيه من التهديد ما فيه ثم بين انه لا ينبغي للمكذبين ان يضموا الى
كفرهم وتكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن في الرسول فانه يجب الاحتراز عن مجالستهم فقال واذا رأيت
الذين يخوضون في آياتنا والخوض في اللغة عبارة عن المفاوضة على وجه اللعب والعبث وقريب منه قول المفسرين
انه في الآية الشروع في آيات الله على سبيل الطعن والاستهزاء وكان قريش في انديتهم يفعلون ذلك فاعرض عنهم
بالقيام عنهم لقوله بعد ذلك فلا تقعد وقيل المطلوب اظهار الانكار وكل طريق افاد هذا الغرض وان كان
غير القيام عن مجلسهم فانه يجوز المصير اليه هذا عند عدم الخوف اما مع الخوف فهذا الغرض ساقط والتقية واجبة
نعم كل ما وجب على الرسول صلى الله عليه وسلم فعله وجب عليه سواء ظهر اثر الخوف او لم يظهر والا لم يبق الاعتماد على التكاليف
التي يبلغها واما ينسينك الشيطان ان يشغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم فلا تقعد
بعد الذكرى بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين اي معهم فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم
بالظلم قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال الفراء هي الذكر قال في الكشاف بناء على مذهبه يجوز ان يراد
وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد
الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم قال الجبائي اذا كان عدم العلم بالشيء يوجب سقوط
التكليف فعدم القدرة على الشيء اولى بان يوجب سقوط التكاليف وهذا يدل على ان تكليف ما لا يطاق
لا يقع ولا يدل على ان الاستطاعة حاصلة قبل الفعل لانها لو لم تحصل الا مع الفعل لم يكن الكافر

قادرا على الايمان فوجب ان لا يتوجه عليه الامر بالايمان قال ابن عباس قال المسلمون لئن كنا كلما
استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف
بالبيت فنزلت الرخصة ان يقعدوا معهم ويذكروهم ويفهموهم بقوله وما على الذين يتقون اى الشرك
والكبائر والفواحش من حسابهم من ذنوبهم التي يحاسبون عليها من شيء ولكن ذكرى اى ولكن يذكرونهم
تذكيرا او ولكن عليهم ان تذكروهم او ولكن الذي تأمرونهم به ذكرى ولا يجوز ان يكون عطفا على محل من
شيء كقول القائل ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك فان الذكرى ليس من
حساب المشركين ثم اكد الاعراض عنهم بقوله وذر الذين والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم والمبالاة بهم
لا ترك انذارهم وتخويفهم كقوله فاعرض عنهم وعظهم ووصفهم بوصفين الاول انهم اتخذوا دينهم لعبا
ولهوا وفيه وجوه اتخذوا الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزءوا واتخذوا
ما هو لعب ولهو يعني عبادة الاوثان وغيرها دينا لهم او المراد ما كانوا يحكمون به بمجرد التقليد والهوى كتحريم البحائر
والسوائب والمراد ان المشركين واهل الكتاب اتخذوا اعيادهم لعبا ولهوا لا كالمسلمين حيث اتخذوا عيدهم كما شرعه
الله تعالى قاله ابن عباس وهو اشارة الى من جعل دين الاسلام وسيلة الى المناصب في الرياسات والغلبة
والجدال لا لانه حق وصدق في نفسه ويؤكد هذا الوجه الوصف الثاني وهو قوله وغرتهم الحيوة الدنيا
كأنهم اعرضوا عن حقيقة الدين واقتصروا على تزيين الظواهر ليتوسلوا بها الى حطام الدنيا وذكر به اى بالقرآن
او بالدين القويم مخافة ان تبسل نفس قال الحسن ومجاهد ان تسلم الى الهلاك والعذاب وترتهن بسوء عملها واصله
المنع فالمستسلم للعذاب ممنوع وهو العذاب يمنع المسلم ومنه الباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وقال قتادة تحبس في جهنم وعن
ابن عباس تفتضح ليس لها اى للنفس من دون الله ولي ولا شفيع وان تعدل كل عدل ان تفد كل فداء لان الفداء
يعدل المفدى بمثله لا يؤخذ منها قال في الكشاف فاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند
اليه الاخذ واما في قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده قلت ان فسر الاخذ بالقبول كما في قوله
ويأخذ الصدقات ارتفع الفرق اولئك المحزون هم الذين ابسلوا بما كسبوا ثم بين مآلهم صاروا مرتهنين وعليهم موبخين
بقوله لهم شراب من حميم ثم رد على عبدة الاصنام بقوله قل اندعوا من دون الله النافع الضار ما لا ينفعنا ولا يضرنا
اى لا يقدر على النفع والضر ونرد داخل في الاستفهام اى نرجع الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام
فان الردة عود الى الحالة الاولى التي كان الانسان عليها من الجهل كقوله والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
كالذي استهوته محله النصب على الحال من الضمير في نرد اى انكص على العقبين مشبهين من استهوته وهو استفعال من هوى في
في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه اى سقوطه من الموضع العالي الى الوهدة العميقة كقوله ومن يشرك بالله فكأنما
خر من السماء وقيل اشتقاقه من اتباع الهوى وحيران حال اخرى لكن من الضمير في استهوته وكذا الجملة بعده ومعنى الحيرة التردد
في الامر بحيث لا يهتدي الى مخرج منه ومنه تحير الروضة بالماء اذا امتلأت فتردد فيها الماء اى لهذا المستهوي اصحاب
رفقة يدعونه الى الهدى اى ان يهدوه الطريق المستوي فيكون مصدرا او سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له
ائتنا والدعاء بمعنى القول وهذا بناء على ما تزعمه العرب وتعتقده من ان الجن والغيلان تستهوي الانسان وتستولي عليه فشبه
به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه الى الحق وقد اعتسف المهمه تابعا للجن عن رفقته اليهم وقيل
ان للملك الكافر اصحابا يدعونه الى ذلك الضلال ويسمونه بانه هو الهدى وروي ان الاية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق فانه
كان يدعو اباه الى عبادة الاوثان قل ان هدى الله هو الهدى وهو الاسلام هو الذي يحق ان يسمى هدى وما وراءه غي وضلال وامرنا لنسلم
لرب العالمين وان اقيموا قال الزجاج لا بد من تأويل يستقيم العطف فالتقدير امرنا لنسلم ولان نقيم او امرنا ان اسلموا وان اقيموا
وقيل والتقدير والعدول عن لفظ امرنا لان المكلف كالغائب ما لم يسلم فاذا اسلم صار كالحاضر وتقرير الاية ان متعلق الامر اما ان يكون من باب
الافعال او من باب التروك والاول اما ان يكون من افعال القلوب او من افعال الجوارح ورئيس افعال القلوب الايمان بالله و
الاسلام وهو قوله لنسلم ورئيس اعمال الجوارح الصلوة وهو قوله وان اقيموا ثم اشار الى جوامع التروك بقوله واتقوه
ثم قال وهو الذي اليه تحشرون ليعلم ان منافع هذه الاعمال انما تظهر في يوم الحشر ثم دل على وجود الحاشر

الحاشر



الحاشر بقوله وهو الذي خلق السموات والارض قائما او ملتبسا بالحق بالحكم اللطيفة والغايات الصحيحة والاغراض المطابقة وبملك اثر اودع في هذه الاجرام قوى خواص و اثار يتضمن مصالح الابدان ومناجح نوع الانسان و هكذا خلق يوم يقول كن فيكون قوله الحق فقوله فاعل يكون ويوم مفعول خلق والمعنى انه تعم خلق العالم من الافلاك والطبائع والعناصر والمواليد وخلق يوم القيمة لرد الارواح الى الاجساد بطريق كن فيكون وعلى هذا يجوز ان يكون قوله الحق مبتدا وخبرا مستانفا وقوله الحق مبتدا ويوم يقول ظرف دال على الخبر مثل يوم الجمعة القتال اي القتال واقع يوم الجمعة والمراد ان قضاءه في ذلك اليوم حق وصدق خال عن الجور والعبث يوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم والمقصود انه لا ملك في ذلك اليوم الا له من غير دافع ولا منازع والصور باتفاق اكثر اهل الاسلام قرن ينفخ فيه ملك من الملائكة كما جاء في مواضع من القرآن ونفخ في الصور فصعق ففزع فاذا نقر في الناقور وقال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل صوف صوفة وخطاه الائمة فقالوا كل جمع على لفظ الواحد بزيادة هاء فيه كالصوف اما اذا سبق الواحد الجمع فلابس كذلك كغرفة وغرف ولهذا يجمع صورة الانسان على صور بالفتح كقوله فاحسن صوركم ومن اسكن فقد اخطاء ومما يدل على ان الصور هو القرن لا جمع صورة الانسان انه تعالى لم يضف النفخ الى نفسه كما قال ونفخت فيه من روحي فنفخنا فيها من روحنا ثم انشاناه خلقا آخر ثم لما بين كمال قدرته بقوله وله الملك ذكر كمال علمه بقوله عالم الغيب والشهادة اي هو العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وهو الحكيم المصيب في اقواله وافعاله الخبير النافذ علمه في بواطن الحقائق من غير اشتباه والتباس فان امر البعث لا يتم الا بقدرة كاملة وعلم تام كيلا يشتبه المطيع والعاصي والصديق والزنديق التاويل وهو القاهر بوصف الجلال للاولياء تهابوصف الجبروت للاعداء ويرسل عليكم حفظة من صفات قهره حتى لو اراد نفسه الخروج عن قيد مجاهدتها قهرتها سطوات العتاب فردتها الى بذل الجهد وان اراد قلبه فرجة عن مطالبات العزة قهرته صدمات الهيبة فردته الى توديع البهجة ولو اراد روحه استرواحا من الحرقات قهرته بوادة التجلي فردته الى بذل المهجة حتى اذا جاء احدكم الموت يعني الفناء عن اوصاف الوجود توفته رسل صفات قهرنا وهم لا يقصرون في افنا الاوصاف ثم ردوا الى البقاء بالله قل الله ينجيكم من ظلمات بر الاجسام وبحر الارواح فان عالم الارواح بالنسبة الى عالم الالوهية ظلمانية تدعونه تضرعا بالجسم وخفية بالروح ومن كل كرب آفة وفتنة ثم انتم تشركون حين تجلى لكم نور من انوار صفاته فبعضكم يقول انا الحق وبعضكم يقول سبحاني ما اعظم شاني عذابا من فوقكم بسدل حجاب العزة والغيرة بينه وبينكم او تحت ارجلكم حجابا من اوصاف بشريتكم باستيلاء الهوى عليكم او يلبسكم شيعا بجعل الخلق فيكم فرقا فمن قائل هو ومن قائل هم الزنديقون ويذيق بعضكم باس بعض بالقتل والصلب وقطع الاطراف انظر كيف نصرف الآيات المعارف للسائرين الى الله لعلهم يفقهون لشرائط السير ولا يقفون في مقام دون الفناء عن كلية الوجود بالبقاء بشهود المعبود وكذب بهذا المقام قومك المنكرون وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لا سلك طريق هذا المقام بوكالتكم لانه ليس للانسان الا ما سعى كما قال لكل نباء مستقر اي لكل سالك وواقف مستقر من درجات القرب او دركات البعد واذا رايت الذين يخوضون في احوال الرجال ولا حظ لهم منها فاعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره تلك الطامات التي هي ريح في شبح وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لان همهم في لبس الخرقة والتزيي بزي الطالبين انما هو الدنيا وقبول الخلق ان تبسل نفس اي كراهة ان يبطل استعدادها بالكلية بما كانوا يكفرون بمقامات الرجال من الوصول والوصال قل اندعوا من دون الله انطلب غير الله الذي هو النافع الضار والنفع الحقيقي هو الفوز بالوصول اليه والضر الحقيقي هو الانقطاع عنه ونرد على اعقابنا الى مقام الاثنينية التي كنا فيها بعد ان هدينا الله الى الوحدة كالذي استهوته شياطين الجن والانس في ارض البشرية باتباع الهوى حيران من اغوائهم وامرنا لنسلم بترك الوجود كالكرة في ميدان القدرة مستسلما لصولجان القضاء وان اقيموا الصلوة بمحافظة الاسرار عن الاغيار واتقوه بعين غيره لحشر اليه لا الى الجنة او النار كما قال الامن طلبني وجدني وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي لاظهار صفاته فجعل المخلوقات مراة لجماله وجلاله واذا اراد ان يرى عبدا من عباده تلك الصفات يقول له كن آيتنا فيكون ولو يشاء لبصره آياتنا بحر سعيه لان قوله في حق الانسان كن رائيا هو الحق وله ملك الاراءة وملك الرؤية يوم ينفخ الاراءة في صور القلب هو الحكيم فيما اختص الانسان باراءة الآيات الخبير بمن يخصه من بين الناس بالاراءة

وَاِذْ قَالَ اِبْرٰهِيْمُ لِاَبِيْهِ اٰزَرَ اَتَتَّخِذُ اَصْنَامًا اٰلِهَةً اِنِّيْٓ اَرٰىكَ وَقَوْمَكَ فِيْ ضَلٰلٍ مُّبِيْنٍ وَكَذٰلِكَ نُرِيْٓ

و چون گفت ابراهیم مر پدر خود آزر را که آیا فرا گرفته بتهارا خدایان بدرستی که من میبینم ترا و قوم ترا در گمراهی هویدا و همچنین والنمودیم

اِبْرٰهِيْمَ مَلَكُوْتَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِيَكُوْنَ مِنَ الْمُوْقِنِيْنَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَاٰ كَوْكَبًا قَالَ هٰذَا رَبِّيْ فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَآ اُحِبُّ

ابراهیم را پادشاهی آسمانها و زمین و تا باشد از یقین دارندگان پس چون در آمد بر او شب دید ستاره را گفت که این است پروردگار من پس چون غروب کرد گفت دوست

الْاٰفِلِيْنَ فَلَمَّا رَاَ الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هٰذَا رَبِّيْ فَلَمَّآ اَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَّمْ يَهْدِنِيْ رَبِّيْ لَاَكُوْنَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّآلِّيْنَ فَلَمَّا رَاَ

نمی دارم غروب کنندگان را پس چون دید ماه را تابان گفت که این پروردگار من است پس چون غروب کرد گفت اگر راه ننماید مرا پروردگار من هر آینه میباشم از گروه گمراهان پس چون دید

الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هٰذَا رَبِّيْ هٰذَآ اَكْبَرُ فَلَمَّآ اَفَلَتْ قَالَ يٰقَوْمِ اِنِّيْ بَرِيْٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُوْنَ اِنِّيْ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ

آفتاب را تابان گفت که این پروردگار من است این بزرگتر است پس چون غروب کرد گفت ای قوم من بیزارم از آنچه شریک می آرید بدرستی که من روی آوردم یکلی

لِلَّذِيْ فَطَرَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ حَنِيْفًا وَّمَآ اَنَا مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ وَحَآجَّهٗ قَوْمُهٗ قَالَ اَتُحَآجُّوْٓنِّيْ فِي اللّٰهِ وَقَدْ

مر آنکه آفرید آسمانها و زمین را مایل از باطل و نیستم من از مشرکان و خصومت کردند او را قومش گفت که آیا خصومت میکنید با من در خدا و حال آنکه

هذانِ ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيءٍ علما افلا تتذكرون وكيف

هدايت كرد مرا و نمى ترسم آنچه را كه انباز قرار داده ايد مگر آنچه خواهد پروردگار من چيزى را فرا گرفته پروردگار من هر چيز را بدانش ايا پس پند نگيريد و چگونه

اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فاي الفريقين احق بالامن ان

بترسم آنچه را كه شريك او كرده ايد و نمى ترسيد كه شما شريك او كرديد بخدا آنچه را كه فرو نفرستاده بر شما بان حجتى پس كدام از اين دو طائفه سزاوارترند با ايمنى اگر

كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا

باشيد كه بدانيد آنانكه گرويدند و نياميختند ايمان خود را بستم آن گروه مر ايشانراست ايمنى و ايشانند راه يافتگان و اينست دليل

ع ١٠ آتيناها ابرهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ١٢ القراءات اريك

كه داديم ابراهيم را بر قومش بالا بريم پايهاى آنرا كه خواهيم بدرستى كه پروردگار تو داور داناست

بفتح اليا ابو عمرو وابن كثير وابو جعفر ونافع لابيه آزر بالضم على النداء يعقوب راى كوكبا بامالة الهمزة ابو عمرو بغير عباس التجارى عن ورش وكك

بالدوران وقرأ حمزة وعلي وخلف ويحيى وعباس هبيرة من طريق الخراز بكسر الواو والهمزة ووافق ابن ذكوان في راى فقط وحالهم فيما اتصلت بالكاف

والياء في سورة النجم وافق ابن مجاهد والنقاش بالامالة وكسر الراء في سورة اقرأ باسم راى القمر وراى الشمس ونحوهما بكسر الراء وفتح الهمزة حمزة وخلف

ونصير وعباس ويحيى والخراز وروى خلف عن يحيى بكسر الراء والهمزة اتحاجوني بتخفيف النون ابو جعفر ونافع وابن ذكوان الباقون بادغام نون الاعراب

في نون الوقاية وقد هدان بالامالة علي قرأ سهل ويعقوب ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الحالين ووافق ابو عمرو وزيد واسمعيل في الوصل

درجات من بالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الوقوف المغرب لا بتداء بان مع اتحاد مبين الموقنين راى كوكبا لان جواب لما قوله راى

مع اتحاد الكلام بلا عطف ربي لان جواب لما سطح مع فاء التعقيب فيها الافلين هذا ربي لذلك الضالين هذا اكبر لذلك يشركون المشركين لاحتمال

الواو الحال اي قد حاجه قومه هدان لانتهاء الاستفهام شيئا علما تتذكرون سلطانا الاستفهام بالامن لان جواب ان منتظر محذوف اي فالتقدير ان كنتم

تعلمون فاجيبوا مع اتحاد الكلام تعلمون لانتهاء الاستفهام وابتداء اخبار ولو وصل اتصل بما قبله مهتدون على قومه من نشاء عليم التفسير انه سبحانه

كثيرا ما يحتج على مشركي العرب باحوال ابرهيم صلوات الرحمن عليه لانه يعرف بالفضل والتقدم عند جميع الطوائف وذلك والملك انه سلم قلبه للرحمن

ولسانه للبرهان وبدنه للنيران وولده للقربان وماله للضيفان ثم ان ظاهر الاية تدل على ان اسم والد ابرهيم هو آزر ومنهم من قال اسمه تارخ

قال الزجاج لا خلاف بين النسابين ان اسمه تارخ فمن الملحدة من طعن في هذا النسب لهذا السبب والجواب ان اجماع النسابين لا عبرة به لان ذلك

ينتهي الى الواحد والاثنين مثل وهب وكعب وغيرهما سلمنا ان اسمه كان تارخ لكنه من المحتمل ان يكون احدهما لقبا والاخر اسما اصليا او يكون آزر

صفة مخصوصة في لغتهم كالمخطي والمخذول قيل ان آزر هو الشيخ الهرم بالخوارزمية وهذا عند من يجوز اشتمال القرآن على الفاظ قليلة من غير

لغة العرب وقيل ان آزر اسم صنم يجوز ان يسمى به الموصوم بعبادته فان من بالغ في محبة واحد فقد يجعل اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعو كل

اناس بامامهم وقال الشاعر ادعى باسماء نبزا في قبائلها كان اسماء اضحت بعض اسمائي او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل ان والد

ابرهيم كان تارخ وكان آزر عما له والعم قد يطلق عليه اسم الاب بدليل قوله نعبد الهك واله آبائك ابرهيم واسمعيل واسحق ومعلوم ان اسمعيل

كان عما ليعقوب ومما يدل على صحة ظاهر الاية ان اليهود والنصارى والمشركين كانوا حراصا على تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله واظهار نقصه فلو كان

النسب كذبا لامتنع في العادة سكوتهم عن تكذيبه وحيث لم يكذبوه علمنا ان النسب صحيح قالت المعتزلة ومن يجري مجراهم ان احدا من آباء الرسول

صلى الله عليه وآله ما كان كافرا وفسروا قوله وتقلبك في الساجدين بانتقاله من ساجد الى ساجد واكدوه بما روي انه صلى الله عليه وآله

قال لم ازل انتقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وان آزر كان عم ابرهيم وما كان والده لان ابرهيم شافهه بالغلظة والجفاء في قوله

اني اراك وقومك في ضلال مبين وقد قال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما ولانه ناداه بالاسم في قراءة من قرأ آزر بالضم والنداء بالاسم دليل

الاستخفاف ولهذا لم يقرأ بالضم في قوله وقال موسى لاخيه هرون اخلفني واجيب بان قوله وتقلبك في الساجدين يحتمل وجوها اخر سوف يجيء

ذكرها وبان قوله لم ازل انتقل محمول على انه لم يقع في نسبه ما كان سفاحا والتغليظ من ابرهيم انما كان لاجل اصرار ابيه على الكفر كما قال فلما تبين

له انه عدو لله تبرأ منه لا لاجل السفه والجفاء لقوله ان ابرهيم لحليم اواه منيب ثم ان ابرهيم احتج على فساد اعتقاد عبدة الاصنام بقوله

منكرا على آزر وقومه اتتخذ اصناما آلهة اي معبودين وذلك ان الاصنام لو كان لها قدرة على الخير والشر لكان الصنم الواحد كافيا

فلما لم يكن الواحد كافيا دل ذلك على عجزها وان كثرت احتج بعضهم بالاية على وجوب معرفة الله تعالى وعلى ان وجوب الاشتغال بشكره معلوم

بالعقل لا بالسمع لان ابرهيم حكم عليهم بالضلال من حيث النظر والاستدلال واجيب بانه لعله عرف ضلالهم بحكم شرع الانبياء المتقدمين

عليه وكذلك اي مثل ما اريناه من قبح عبادة الاصنام والاشتغال بغير الله نري ابرهيم ملكوت السموات والارض والنكتة فيه ان التخلي عن غير الله

يوجب رفع الحجاب بقدر ذلك يكون حصول التجلي والتحلي بالله وانما لم يقل اريناه بلفظ الماضي لا قرار الحكاية كانه قيل كيف بلغ ابرهيم هذا

المبلغ في قوة الدين والذب عنه فاجيب انا كنا نريه الملكوت وقت طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه او المقصود بيان انا

في مدارج الكمال وازدياده في ذلك على سبيل الدوام والاستمرار فان مخلوقاته تعالى وان كانت متناهية في الذات وفي الصفات الا ان
جهات دلالتها على ذاته وصفاته سبحانه غير متناهية كما قال امام الحرمين معلومات الله غير متناهية ومعلوماته في كل تلك المعلومات ايضا غير متناهية
فان الجوهر الفرد يمكن وقوعه في احياز لا نهاية لها على البدل ويمكن اتصافه بصفات لا نهاية لها على البدل فكل تلك الاحوال المقدرة معلومة
لله تعالى وكل تلك الاحوال دالة على حكمة الله تعالى وعظمته وقدرته واذا كان الجوهر الفرد كذلك فكيف كل الملكوت ولهذا قيل السفر الى الله تعالى له نهاية
فاما السفر في الله سبحانه فانه بلا نهاية والملكوت هو الملك والتاء للمبالغة كالرغبوت والرهبوت من الرغبة والرهبة قال بعضهم انه سبحانه اراه
الملكوت بالعين قالوا شق له السموات حتى راى العرش والكرسي والى منتهى الاجرام العلوية وشق له الارض الى ما تحت الثرى فراى ما فيها من البدايع والعجائب
عن ابن عباس انه لما اسري بابراهيم الى السماء واري ما فيها وما في الارض من العجائب راى عبدا على فاحشة فدعا عليه وعلى آخر فهلكا فقال الله تعالى
له كف عن عبادي فهم بين خلال ثلث اما ان اجعل منهم ذرية طيبة او يتوبون فاغفر لهم او النار من ورائهم وقال الاكثرون ان هذه الاراءة
كانت بعين البصيرة لان ملك السموات والارض لا يرى وانما يعرف بالعقل ولو اريد نفس السموات والارض صار لفظ الملكوت ضايعا وايضا قوله
فلما جن عليه الليل جار مجرى الشرح والتفسير لتلك الاراءة فثبت انه استدل بتغير الاجرام وامكانها وحدوثها على وجود الاله الواجب الحكيم
ثم قال بالآخرة وتلك حجتنا والرؤية بالعين لا تصير حجة على قومه وايضا الاراءة بالعين لا يفيد العلم الضروري بالاله القادر ومثل هذه المعرفة
لا يوجب المدح والثواب كما للكفار في الآخرة وايضا اليقين عبارة عن تحصيل علم بالتأمل اذا كان مسبوقا بالشك فالمراد نري ابراهيم ليستدل
بها وليكون من الموقنين او ليكون من الموقنين نريناه فعلنا ذلك وذلك ان الاراءة قد تصير سببا للجحود لا الايقان كما في حق فرعون ولقد اريناه
آياتنا كلها فكذب وابى وايضا الانسان لا يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال وبتقدير الامكان لا يكون لها دوام وبقاء
وبتقدير البقاء يكون شاغلة للرائي عن الله اما اذا نظر بعين البصيرة في المخلوقات وعرف حدوثها وامكانها وعرف ان كل ممكن محتاج الى
الصانع الحق الواجب فكانه بهاتين المقدمتين قد طالع صفحة الملكوت بعين عقله وسمع باذن قلبه شهادتها بالاحتياج والانقياد لله وهذه
الرؤية باقية غير زائلة ولا شاغلة عن الله بل هي شاغلة للقلب والروح بالله وهذه الرؤية وان كانت حاصلة لجميع الموحدين لقوله سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الا ان الاطلاع على تفاصيل آثار حكمة الله تعالى في كل واحد من مخلوقات هذا العالم بحسب اجناسها وانواعها واصنافها
واشخاصها وعوارضها ولواحقها كما هي لا تحصل الا للاكابر الانبياء ولهذا قال (ص) في دعائه ارنا الاشياء كما هي ثم ان الانسان في اول استدلاله لا ينفك
قلبه عن اختلاج شبهة فيه فاذا كثرت الدلائل وتوافقت وتطابقت كان لكل واحد منها نوع تأثير وقوة ويكون جاريا مجرى تكرار الدرس الواحد
ويزداد النفس بكل منها نورية واشراقا وانبساطا الى ان يحصل الجزم ويكمل الايقان ويطلع شمس العلم والعرفان الى حيث اتيح لها من الارتقاء والاتصال
وذلك قوله فلما جن عليه الليل قال في الكشاف انه معطوف على قوله واذ قال ابراهيم وقوله وكذلك نري جملة وقعت اعتراضا
بين المعطوف والمعطوف عليه يقال جن عليه الليل واجنه الليل والتركيب يدور على الستر منه الجنة والجن والمجنون والجنين وقيل جن عليه الليل اي
اظلم عليه ولاجل هذا التضمين عدي بعلى واما اجنه فمعناه ستره من غير تضمين معنى اظلم واعلم ان كثيرا من المفسرين ذكروا ان ملك ذلك الزمان
راى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابراهيم (ع) وما اظهرت حملها للناس فلما جاءها الطلق
ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبرئيل (ع) فوضع اصبعه في فيه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبرئيل (ع)
وكانت الام تأتيه احيانا وترضعه وبقي في الغار حتى كبر وعرف ان له ربا فسال الام فقال لها من ربي فقالت انا فقال ومن ربك فقالت ابوك فقال لابيه
من ربك فقال ملك البلد فعرف ابراهيم جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى ما يستدل به على وجود الرب سبحانه فرأى النجم الذي كان
اصغر النجوم في السماء فقال هذا ربي الى آخر القصة ثم منهم من قال كان هذا بعد البلوغ واوان التكليف ومنهم من قال كان هذا قبل البلوغ واكثر
المحققين على فساد هذا القول لوجوه منها ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر لا يجوز على الانبياء بالاتفاق ومنها ان ابراهيم كان قد عرف
ربه قبل هذه الواقعة لان الله تعالى اخبر عنه انه دعا اباه الى التوحيد بالرفق مرارا بقوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الآيات وفي هذا الموضع دعا
اباه الى التوحيد بالكلام الخشن والدعوة بالرفق مقدمة على الدعوة بالخشونة والغلظة ومنها ان هذه الواقعة كانت بعد ان اراه ملكوت السموات
والارض بدليل فاء التعقيب في قوله فلما جن ومنها انه تعالى وصفه بقوله اذ جاء ربه بقلب سليم ومدحه بقوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل
اي من اول زمان الفطرة ومنها قوله عقيب هذه القصة وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه ومنها انه قال بعد القصة يا
قوم اني بريء مما تشركون مع انه ما كان في الغار لا قوم ولا صنم ومنها قوله وحاجه قومه وفيه دليل على انه انما اشتغل بالنظر في الكواكب
بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فقال لا احب الآفلين ردا عليهم وتنبيها على فساد قولهم ويؤكده
قوله وكيف اخاف ما اشركتم لا يستدل الا على انهم كانوا قد خوفوه بالاصنام كما في قصة هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ومنها ان تلك
الليلة كانت مسبوقة بالنهار وكان ينبغي ان يستدل اولا بغروب الشمس على عدم الهيتها ثم يبطل الهية القمر وسائر الكواكب بالطريق الاولى
ولما لم يكن كذلك علمنا ان المقصود الزام القوم والحامهم والابتداء بافول الكوكب لانه اتفق كما منع القوم حال طلوع ذلك النجم امتدت



المناظرة لا ان طلعت الشمس ثم ههنا احتمالان الاول ان يقال ان هذا كلام ابرهيم بعد البلوغ ولكنه ذكره بلفظهم حتى يرجع اليه فيبطله ومثاله ان
يقول لمناظره من يزعم قدم الجسم الجسم القديم فان كان كذلك فلم نشاهده ونراه مركبا متغيرا فقوله الجسم قديم اعادة لكلام الخصم لالزام الحجة
عليه او المراد هذا ربي في زعمكم واعتقادكم كقول الموحد للمجسم الاله جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي
وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك كان ثم يقول بالاله الا لهنه في زعمهم او المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف
الاستفهام لدلالة الكلام او اضمر القول اي يقولون هذا ربي واضمار القول كثير واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا اي يقولان ربنا
والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم اي يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا او ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء او انه قد عرف من تقليدهم
لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة لم يقبلوا ولم يلتفتوا فمال الى الاستدراج وذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم مع ان ابرهيم
كان مطمئنا بالايمان فكان بمنزلة المكره على كلمة الكفر حيث لم يجد الى الدعوة المامور بها طريقا سوى ذلك واذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة تعود
الى شخص واحد كقوله تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان فلأن يجوز ذكرها لتخليص جم غفير من الكفر والعقاب الابدي كان اولى قالت
العلماء ان المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق الاجر ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة انهزم عسكر الاسلام فههنا
يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم وان من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق
وجب عليه قطع الصلوة لانقاذهما ومثل هذه الواقعة قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم وذلك انهم كانوا يستدلون بعلم النجوم على الحوادث
المستقبلة فوافقهم ابرهيم على هذا الطريق في الظاهر مع انه كان بريئا عنه في الباطن ليتوصل بذلك الى كسر الاصنام قال المتكلمون انه يصح
من الله تعالى اظهار خوارق العادات على من يدعي الالهية لان صورة هذا المدعي وشكله يدل على كذبه فلا يروج التلبيس ولكنه لا يجوز اظهارها
على يد من يدعي النبوة كاذبا لان التلبيس يروج حينئذ فكذا ههنا قوله هذا ربي لا يوجب الضلال لان دلائل بطلانه جلية وفي ذلك استدراج
لهم لقبول الدليل فكان جائزا الاحتمال الثاني انه ذكر ذلك قبل البلوغ فلعله خطر بباله لشدة ذكائه قبل بلوغه اثبات الصانع سبحانه فتفكر فرأى
النجم فقال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين ثم انه تعالى اكمل بلوغه في اثناء هذا الفكر فقال عند افول الشمس اني بريء مما تشركون واعلم ان القصة
التي ذكرناها من ان ابرهيم عم ولد في الغار وتركته امه وكان جبرئيل يربيه محتملة في الجملة لان الارهاص وهو تقديم المعجز على وقت الدعوى جائز
عندنا فلم يجوزه القاضي الا اذا حضر في ذلك الزمان رسول من الله تعالى فيكون تلك الخوارق معجزة لذلك الرسول قال في الكشاف فان قلت لم
احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج بالافول اظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب وانا اقول الاحتجاج
بالبزوغ في الاية لا يصح لانه تعالى بين انه نظر الى الكوكب وقت كونه طالعا لا حين بزوغه ليلزم مشاهدة التغير والانتقال وكذا الى القمر والى الشمس
ودليله انه لم يقل رأى القمر يبزغ بل بازغا ولو سلم فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص والاوساط والعوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان
فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يجوز ان يكون منقطع الحاجات فلا بد من الانتهاء الى الواجب بالذات واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق
الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب فكل كوكب يغرب فانه يزول نوره ويذهب
سلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك فانه لا يصلح للالهية اقصى ما في الباب ان يقال ان لها تأثيرات في احوال العالم السفلي ولكن تلك التأثيرات
للمركبين لها بذاتها لازم استناد الكل الى الواجب سبحانه وهو الاله الاعظم القادر على خلق السموات والنجوم النيرات فيجب ان يكون قادرا على خلق
البشر وعلى تدبير السفليات بالطريق الاولى فلا يلزم من وضع الواسطة رفع المبدأ بحال ويعلم من قوله لا احب الآفلين انه تعالى ليس بجسم والا كان غائبا
عنا فكان آفلا وانه لا يصح عليه المجيء والذهاب والنزول والصعود ولا الصفات المحدثة وفيه ان معارف الانبياء استدلالية لا ضرورية وانه لا سبيل
الى معرفته تعالى الا النظر والاستدلال ثم قوله فلما رأى القمر بازغا يقال بزغ القمر او الشمس اذا ابتدأ بالطلوع واصل البزغ الشق كانه يشق بنوره الظلمة شقا
الازهري وفي قوله لئن لم يهدني ربي اشارة الى ان الهداية ليست الا من الله تعالى والمعتزلة يحملونها على التمكين واذا حجة الاعذار ونصب الدلائل
وزيف بان كل ذلك كان حاصلا فالهداية التي كان يطلبها بعد ذلك لا بد ان يكون زائدا عليها فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي اراد هذا
الطالع او هذا المرئي او ذكره بتأويل الضياء او النور باعتبار الخبر وهو رب مع رعاية الادب وهو ترك التأنيث عند اللفظ الدال على الربوبية
كما لم يقولوا في صفة الله علامة وان كانت بناء مبالغة هذا اكبر اي اكبر الكواكب جرما وانورها وقد برهن في الهيئة على انها مائة وستة وستون
مثلا لكرة الارض كلها وانما لم يقتصر على ذكر الشمس اولا مع انه يلزم منه عدم ربوبية ما دونها من القمر والكواكب لانه اراد الاخذ من الادون الى
الاعلى لمزيد التقرير والتصوير يا قوم اني بريء مما تشركون قيل لا يلزم من نفي ربوبية النجوم نفي الشركاء مطلقا والجواب ان القوم لم ينازعوه
الا في الصور المذكورة فلما اثبت انها ليست اربابا ثبت بالاتفاق نفي الشركاء على الاطلاق ومعنى وجهت وجهي للذي وجهت عبادتي له جل جلاله
فان من كان مطيعا لغيره منقادا لامره فانه يوجه وجهه اليه فجعل توجيه الوجه اليه كناية عن الطاعة واصل الفطر الشق يقال تفطر الشجر بالورق
والورد اذا ظهرا بها والحنيف المائل عن كل معبود سوى الله تعالى قال ابو العالية الذي يستقبل البيت في صلوته ثم ان قومه حاجوه متمسكين
بالتقليد تارة كقولهم انا وجدنا اباءنا على امة وكقولهم للرسول اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ومخوفين اياهم بالاصنام



اخرى فاجابهم بقوله أتحاجّونّي في الله وقد هدان اي لما ثبت بالدليل الموجب للهداية صحة قولي فكيف التفت الى حجتكم الواهية ولا اخاف
ما تشركون به لان الخوف انما يحصل ممن يقدر على النفع والضر الا ان يشاء ربي شيئا الا وقت مشيئة ربي شيئا يخاف فحذف المضاف اي الا ان
اذنبت فيشاء انزال العقوبة بي او الا ان يريد ابتلائي بمحنة او الا ان يمكن بعض تلك الاصنام من ضرب مثل ان يرجمني بكوكب او كان قد اودع
فيها طلسم فيصيبني مكروه من جهته باذن الله تعالى وفائدة الاستثناء انه لو حدث به شيء من المكاره في الايام المستقبلة لم يحمله الحمقى والجهلة على
قدرة الاصنام وسع ربي كل شيء علما فلا يفعل الا الخير والصلاح افلا تتذكرون ان نفي الانداد عن رب الارباب لا يوجب حلول العقاب
ونزول العذاب وان الضعيف لا يساوي الفاسد والعاجز لا يساوي القادر ثم اكد ذلك بقوله وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله
ما لم ينزل به عليكم سلطانا اذ لا سلطان فينزل وقيل انه لا يمتنع عقلا ان يؤمر باتخاذ تلك التماثيل والصور قبلة للصلوة والدعاء ولكنه لم
يؤمر به والمعنى ما لكم تنكرون علي الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف ثم قال فاي الفريقين يعني فريقي
المشركين والموحدين ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم اجتنابا عن تزكية نفسه والغرض انه احق بالامن ان كنتم تعلمون ثم استأنف الجواب
عن السؤال بقوله الذين آمنوا الاية والمعنى ان الذين حصل لهم الامن المطلق هم المستجمعون لكمال القوة النظرية وهي سلامة الايمان ولكمال القوة
العملية وهو وضع الاشياء في مواضعها واليه الاشارة بقوله ولم يلبسوا اي لم يخلطوا ايمانهم بظلم قالت الاشاعرة شرط في الايمان الموجب للامن عدم
الظلم ولو كان ترك الظلم داخلا في الايمان لم تكن لهذا التقييد فائدة فثبت ان الفاسق مؤمن وقالت المعتزلة شرط في حصول الامن حصول
الامرين الايمان وعدم الظلم فوجب ان لا يحصل الامن للفاسق وذلك يوجب حصول الوعيد له ابدا واجيب بان الظلم هٰهنا الشرك
لقوله ان الشرك لظلم عظيم واجتماعه مع الاقرار بالصانع ممكن وصح اطلاق اللبس بمعنى الخلط ويكون المراد الذين آمنوا بالله ولم يثبتوا
له شريكا في المعبودية ويؤيده ان القصة وردت في نفي الاضداد والانداد وانه لا يلزم من عدم الامن المطلق حصول القطع بالعذاب
الابدي واعلم ان المحاجة في الله تارة يكون موجبة للذم والانكار كمحاجة قوم ابراهيم وتارة يكون موجبة للمدح وذلك اذا كان الغرض تقرير
الدين الحق والمذهب الصدق كمحاجة ابراهيم من قوله فلما جن عليه الليل الى هٰهنا واليها الاشارة بقوله وتلك حجتنا آتيناها ارشدناه
اليها ووفقناه لها نرفع درجات من نشاء من قرأ بالاضافة فظاهر لان رفع يتعدى الى واحد ومن قرأ بالتنوين فيكون كقوله ورفع بعضهم درجات
وقد تقدم في البقرة والخلاف في تلك الدرجات فقيل اعمال في الآخرة وقيل تلك الحجج درجات رفيعة لانها في ارتفاع الروح من حضيض
العالم الجسماني الى اعلى العالم الروحاني وقيل نرفع من نشاء في الدنيا بالنبوة والحكمة وفي الآخرة بالجنة والثواب او نرفع درجات من نشاء بالحكمة والعلم
ان ربك حكيم عليم فيرفع الدرجات بمقتضى الحكمة والعلم لا بموجب التشهي والجزاف التأويل اري ابراهيم ملكوت الاشياء اي بواطنها ليكون من
الموقنين عند كشفها كما كان موقنا عند كشف الضلال المودع في ادراك قومه فلما جن عليه ظلمة ليلة البشرية امطر سحاب العناية غيث الهداية
على ارض قلبه فانبتت بذر الخلة المودعة في ملكوت قلبه فرأى نور الرشد في صورة الكوكب طالعا من افق سماء روحانيته فقال هذا ربي اراد
به سر الكوكب لا الكوكب وان لم يشعر به نفسه كما قيل هوى فؤادي ولم يعلم به بدني فالجسم في غربة والروح في وطن فان كذبت النفس فيما قالت للكوكب
هذا ربي ما كذب الفؤاد ما رأى من الكوكب ملكوته فقال هذا ربي فلما احتجب كوكب نور الرشد بغلبات صفات الخليقة عند رجوعه الى اوصافه
ووافقه كوكب السماء بالغروب قال سره لا احب الآفلين فلما اتسع انفتاح روزنة القلب الى الملكوت بقدر القمر تجلى له نور الربوبية في مرآة القمر
قال هذا ربي فلما افل عند رجوعه الى اوصافه ازداد الشوق قال لئن لم يهدني ربي برفع حجب الاوصاف ويبقيني على وجود الخليقة لاكونن من القوم
الضالين عن الحق كما ان قومه ضلوا فلما اعرف حجب الاوصاف وخرجت شمس الهداية من غيم البشرية واشرقت ارض القلب بنور ربها قال هذا ربي
فلما افلت شمس الهداية تعززا وتعظما ليغرب ابراهيم عليه عن شرك الانانية لان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب تبرأ عن
الاضداد والانداد ونزه عنه الخلة عن الجهات وخلص تجلي صفة الجمال عن شبكة الوهم والخيال فقال يا قوم اني بريء مما تشركون وقد يقال
في الخلد ان ابراهيم صلوات الله الرحمن عليه جن عليه ظلمة الشبهة فنظر اولا في عالم الاجسام فوجدها افلة في افق التغير فلم يرها تصلح للالهية فارتقى
منها الى عالم النفوس المدبرة للاجسام فرآها افلة في افق الاستكمال فكان حكمها حكم ما دونها فصعد منها الى عالم العقول المجردة فصادفها افلة في
افق الامكان فلم يبق الا الواجب الحق ومن الناس من حمل الكوكب على الحس والقمر على الخيال والشمس على الوهم والعقل ومراده ان هذه القوى المدركة
الثلاثة قاصرة متناهية القوة ومدبر العالم خارج عنها فاستدل عليها وحاجه قومه لبسوا واستوردوا شبههم على شموس عرفانه وقد هداني اليه بالعيان بعد
تولي البرهان الا ان يشاء ربي شيئا من الخذلان فهذا محال لانه وسع ربي كل شيء علما فهو اعلم باهل العرفان وباصحاب الخذلان ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم الشرك الا التفات لغيره من الاكوان حتى قال لجبرئيل اما اليك فلا وتلك يعني اراءة الملكوت وشواهد الربوبية في مرآة الكواكب
وصدق التوجه الى الحق والتبري عما سواه والخلاص عن شرك الانانية والايمان الحقيقي بالعيان حتى ارتقى من الافعال الى الصفات ثم
الى الذات آتيناها ابراهيم بلا واسطة حتى جعلها حجة على قومه نرفع درجات من نشاء بجذبات الالوهية عن حضيض الانانية الله حسبي
ووهبنا له اسحٰق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمٰن وايوب ويوسف وموسى



وَهٰرُونَ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيٰى وَعِيسٰى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصّٰلِحِينَ وَإِسْمٰعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَ

وهرون و همچنین پاداش میدهیم نیکوکارانرا و زکریا و یحیی و عیسی و الیاس را و هریکی از نیکوکارانند و اسمعیل و یسع و یونس و

لُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعٰلَمِينَ وَمِنْ اٰبَآئِهِمْ وَذُرِّيّٰتِهِمْ وَإِخْوٰنِهِمْ وَاجْتَبَيْنٰهُمْ وَهَدَيْنٰهُمْ إِلٰى صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ

و لوط را و هریکی را زیادتی دادیم بر جهانیان و از پدران ایشان و فرزندان ایشان و برادران ایشان و برگزیدیم ایشانرا و هدایت کردیم بسوی راه راست

ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِي بِهٖ مَنْ يَّشَآءُ مِنْ عِبَادِهٖ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ أُولٰٓئِكَ الَّذِينَ اٰتَيْنٰهُمُ

این است راه خدا که هدایت کند بآن آنرا که خواهد از بندگان خویش و اگر شرک آورندی هر آینه باطل گردانیدی ازیشان آنچه را که بودند که میکردند آنگروه آنانند که دادیم ایشانرا

الْكِتٰبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَّكْفُرْ بِهَا هٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكٰفِرِينَ أُولٰٓئِكَ

کتاب و داوری و پیغمبری پس اگر کافر شوند بآن اینگروه پس هر آینه برکاریم بآن گروهیرا که نیستند بآن کافران آنگروه

الَّذِينَ هَدَى اللّٰهُ فَبِهُدٰىهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٰى لِلْعٰلَمِينَ القراءة

آنانند که هدایت کردشان خدا پس بهدایت ایشان اقتدا کن بگو که نمیخواهم از شما بازاء آن مزدی را نیست آن مگر آگاهی از برای جهانیان

والیسع بتشدید اللام حمزة وعلی وخلف الباقون بالتخفیف اقتده باشباع الهاء ابن عامر الحلوانی عن هشام مختلسة وبحذف الهاء فی الوصل سهل ویعقوب وحمزة وعلی وخلف الباقون بسکون هاء السکت علی الاصل الوقوف ویعقوب ط کلا هدینا لان ونوحا مفعول ما بعده ولو وصل التبس بانه مفعول ما قبله مع اتفاق الجملتین وهرون المحسنین لا للعطف والیاس من الصالحین لا للعطف ولوطا العالمین لا للعطف واخوانهم لبیان ان قوله واجتبیناهم یعود الی قوله کلا هدینا کقوله ومن هدینا واجتبینا ولاحتمال الواو الحال ای وقد اجتبینا وذکر هدیناهم بعد مستقیم من عباده یعملون والنبوة بکافرین اقتده اجرا للعالمین التفسیر لما ذکر حجة ابرهیم صلوات الرحمن علیه فی التوحید والذب عن الدین الحنیف عدد وجوه نعمه واحسانه علیه بعد نعمة ایتاء الحجة ورفع الدرجة فقال ووهبنا باللفظ الدال علی العظمة کما یقول عظماء الملوک لیدل بذلک علی عظم العطیة وذلک انه جعل اشرف الناس وهم الانبیاء والرسل من نسله وعقبه قیل وانما لم یذکر اسمعیل مع اسحق وان کان هو ابنا لصلبه لان المقصود بالذکر ههنا انبیاء بنی اسرائیل وهم باسرهم اولاد اسحق ویعقوب واما اسمعیل فانه ما خرج من صلبه احد من الانبیاء الا محمد صلی الله علیه وآله ولا یجوز ذکر محمد صلی الله علیه وآله فی هذا المقام لانه امر محمدا ان یحتج علی العرب بان ابرهیم لما ترک الشرک واصر علی التوحید شرفه الله بالنعم الجسام فی الدین والدنیا ومن جملة ذلک ان آتاه اولادا کانوا ملوکا وانبیاء فاذا کان المحتج بهذه الحجة هو محمد امتنع ان یذکر نفسه فی هذا المعرض فلهذا السبب لم یذکر اسمعیل مع اسحق اما قوله ونوحا هدینا من قبل فالمقصود منه بیان کرامة ابرهیم بحسب الاباء ایضا مثل نوح وادریس وشیث واما الضمیر فی قوله ومن ذریته فقد قیل انه یعود الی نوح لانه اقرب ولانه تعالی ذکر فی جملتهم لوطا وهو کان ابن اخی ابرهیم وما کان من ذریته بل کان من ذریة نوح ولان ولد الانسان لا یقال انه ذریته فعلی هذا اسمعیل ما کان من ذریة ابرهیم وکان من ذریة نوح ولان یونس علیه السلم لم یکن من ذریة ابرهیم علی قول بعضهم وقیل الضمیر عائد الی ابرهیم لانه المقصود بالذکر فی هذا المقام واعلم ان الله تعالی ذکر اربعة من الانبیاء وهم نوح وابرهیم واسحق ویعقوب ثم ذکر من ذریتهم اربعة عشر نبیا داود وسلیمان وایوب ویوسف وموسی وهرون وزکریا ویحیی وعیسی والیاس واسمعیل والیسع ویونس ولوطا فالمجموع ثمانیة عشر وانه لم یراع الترتیب بینهم فی الاسماء لا بحسب الفضل والشرف ولا بحسب الزمان والمدة فاستدل العلماء بذلک علی ان الواو لا تفید الترتیب قال فی التفسیر الکبیر ان وجه الترتیب انه تعالی خص کل طائفة من طوائف الانبیاء بنوع من الکرامة فمن المراتب المعتبرة عند الجمهور الملک والسلطنة وقد اعطی داود وسلیمان من ذلک نصیبا عظیما والثانیة البلاء والمحنة وقد خص ایوب بذلک والثالثة استجماع الحالتین وذلک فی حق یوسف فانه ابتلی اولا ثم اوتی الملک ثانیا الرابعة قوة المعجزة وکثرة البراهین والبینات وذلک حال موسی وهرون الخامسة الزهد الکامل کما فی حق زکریا ویحیی وعیسی والیاس ولهذا وصفهم بانهم من الصالحین السادسة الانبیاء الذین لیس لهم فی الخلق اتباع ولا اشیاع وهم اسمعیل والیسع ویونس ولوط واما المراد بقوله کلا هدینا ونوحا هدینا فقیل المراد الهدایة الی طریق الجنة بدلیل قوله وکذلک نجزی المحسنین فان جزاء المحسن علی احسانه لا یکون الا الثواب وقیل لا یبعد ان یکون المراد الهدایة الی الدین والمعرفة لانهم اجتهدوا فی طلب الحق فجازاهم الله بالوصال والوصول کما قال والذین جاهدوا فینا لنهدینهم سبلنا وقیل انها الارشاد الی النبوة والرسالة لان الهدایة المخصوصة بالانبیاء لیست الا ذلک وهذا انما یصح عند من جوز ان یکون الرسالة جزاء علی عمل واستدل بعضهم بقوله وکلا فضلنا علی العالمین علی ان الانبیاء افضل من الملائکة وذلک ان العالم اسم لکل موجود سوی الله تعالی فیدخل فیه الملائکة وکذا الاولیاء وقیل فضلناهم علی عالمی زمانهم فلا یتم الاستدلال قال القاضی ویمکن ان یکون المراد وکل من الانبیاء یفضلون علی کل من سواهم من العالمین ثم الکلام فی ان ای الانبیاء افضل من بعض کلام آخر لا تعلق له بالاول ثم قال ومن آبائهم وذریاتهم واخوانهم وانه معطوف علی کلا ای فضلنا بعض آبائهم فالآباء هم الاصول والذریات هم الفروع والاخوان فروع الاصول وفیه دلیل علی انه تعالی خص کل من تعلق بهؤلاء بنوع من الشرف والکرامة ثم ان قلنا المراد من الهدایة الهدایة الی ثواب الجنة فقوله من آبائهم وکلمة من للتبعیض یدل علی انه قد کان فی آباء هؤلاء الانبیاء

انّ کان



من كان غير مؤمن ولا واصل الى الجنة وان فسرنا الهداية بالنبوة لم يفد ذلك الا انه يفيد ان لا يكون المراد رسولا ولا نبيا واجتبيناهم اي
اصطفيناهم من جبيت الماء في الحوض جبوته اي جمعته ذلك هدى الله اشارة الى معرفة التوحيد والتنزيه بدليل قوله ولو اشركوا لحبط وفيه
دليل على ان الهداية من الله تعالى ولكن للعبد فيها اختيار وفيه تهديد عظيم كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك والغرض من ذلك زجر الامة اولئك
يعني الانبياء الثمانية عشر الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة لابد بحكم العطف من تغاير الامور الثلاثة ووجهه ان الحكام على الخلق ثلث طوائف
الحكام على بواطن الناس وهم العلماء والحكام على ظواهر الخلق وهم السلاطين والجامعون بين الامرين وهم الانبياء فالامور الثلاثة اشارة الى هذه الاصناف
الثلاثة ومعنى ايتاء الكتاب الفهم التام بما في هذا الجنس والعلم المحيط بحقائقه واسراره ولو قيل المراد بالايتاء الابتداء بالوحي والتنزيل كصحف ابرهيم
وتوراة موسى وانجيل عيسى لم يشمل كل المذكورين لانه تعالى ما انزل على كل واحد منهم كتابا على التعيين فان يكفر بها اي بالامور الثلاثة او بالنبوة
هؤلاء يعني اهل مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين اي ليسوا كافرين بها ومن توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها
كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه ومن القوم قيل كل مؤمن وقيل اهل المدينة وهم الانصار وقيل هم والمهاجرون وقال الحسن هم
الانبياء الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج لقوله عقيب ذلك اولئك الذين هدى الله وقال ابو رجاء يعني الملائكة وضعف بان اسم
القوم قلما يقع على غير بني ادم وفي الاية دلالة على انه تعالى سينصر نبيه ويظاهر دين الاسلام على كل الاديان وقد وقع ما وعد فكان اخبارا بالغيب
فصح اعجاز القران وفيها استدلال للاشاعرة على انه تعالى خلق قوما للايمان ولو كان خلق الكل للايمان والبيان والتمكين وفعل الالطاف مشترك
بين الكل لم يصح هذا التخصيص اجاب الكعبي بانه زاد المؤمنين من الالطاف ما لا يحصيه الا الله ويتعذر ان يستوي فاذا لم ينتفع به الكافر صح
الظاهر ان يقال انه لم يحصل له تلك الالطاف ورد بان الالطاف الداعية الى الايمان مشترك فيها بين الكافر والمؤمن وبان الوالد لما سوى
بين الولدين في العطية ثم ان احدهما ضيع نصيبه فاي عاقل يجوز ان يقول احد ان الاب ما انعم عليه وما اعطاه شيئا فبهداهم اقتده من
حذف الهاء في الوصل فعلى الاصل ومن اثبتها فلاجراء الوصل مجرى الوقف ولموافقة المصحف فان الهاء ثابتة في الخط في الحالين واما قراءة ابن
عامر فقال ابو بكر بن مجاهد انها غلط وقال ابو علي الفارسي ليس بغلط ووجهها ان يجعل الهاء كناية عن المصدر الدال عليه الفعل والتقدير فبهداهم
اقتد الاقتداء وتقديم المفعول للاختصاص اي لا تقتد الا بهم ولا خلاف في انه لم يجز الاقتداء بالانبياء المذكورين انما الكلام في تفسير الهدى
فمن الناس من قال المراد الذي اجمعوا عليه هو القول بالتوحيد والتنزيه عن كل ما لا يليق به في الذات والصفات والافعال وقال اخرون المراد
به الاقتداء بهم في شرائعهم الا ما خصه الدليل وعلى هذا فيلزم ما شرع من قبلنا وقيل اللفظ مطلق فيحمل على الكل الا ما خصه الدليل المنفصل
وقال القاضي هذا بعيد لان شرائعهم مختلفة متناقضة ولا يمكن الاتيان بالامور المتناقضة معا ولان الهدى عبارة عن الدليل دون نفس
العمل ودليل ثبات شرعهم كان مخصوصا بتلك الاوقات ولان منصبهم يلزم ان يكون اجل من منصبه انه باطل بالاجماع واجيب بان العام يجب تخصيصه
في الصورة المتناقضة فيبقى فيما عداها حجة وبان المستدل بالدليل فصار في ذلك الحكم فلا معنى للاقتداء بالدليل الا اذا كان فعل الاول سببا
لوجوب الفعل على الثاني وبانه يلزم ان يكون منصبه اجل من منصبهم لانه امر باستجماع خصال الكمال وصفات الشرف التي كانت متفرقة فيهم كالشكر في
داود وسليمان والصبر في ايوب والزهد في زكريا ويحيى وعيسى والصدق في اسمعيل والتضرع في يونس والمعجزات الباهرة في موسى وهرون ولهذا
قال لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي ولما امره بالاقتداء بالانبياء وكان من جملة هداهم ان لا يطلبوا الاجر على المال والجعل في ايصال الدين و
ابلاغ الشريعة قيل له قل لا اسئلكم ايها الامة عليه على البلاغ اجرا ان هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يريد كونه مشتملا على كل ما يحتاجون اليه
في المعاش والمعاد وفيه دليل على انه صلى الله عليه وآله كان مبعوثا الى الناس كافة لا الى قوم دون قوم التاويل ونمار فعنا بدرجات ابرهيم اتا
ووهبنا له اسحق ويعقوب ولعله انما لم يذكر اسمعيل لكان محمد صلى الله عليه وآله كيلا يقع ذكره تبعا لموهبة ابرهيم فان الكائنات تبع لوجود محمد صلى الله
عليه وآله واجتبيناهم في الازل لهذا الشأن وهديناهم الى الابد ولو اشركوا بان لاحظوا غيرنا فاثبتوا شيئا من دوننا ونسبوا شيئا من الحوادث
الى غير قدرتنا ولم يبدلوا انا نبيتهم في هوية الحبط عنهم لتلاشي عرفانهم وتلف ما سلف من احسانهم فبهديهم اقتده لانهم سلكوا حتى انتهى
سير كل منهم الى ما قدر له آدم في السماء الدنيا ويحيى وعيسى في الثانية ويوسف في الثالثة وادريس في الرابعة وهرون في الخامسة وموسى في
السادسة وابرهيم في السابعة وجميع الملائكة المقربين الى سدرة المنتهى وانت يا محمد الى مقام قاب قوسين او ادنى قل لا اسئلكم ايها الانبياء
على الاقتداء اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين ليعلموا ان الطريق الى الله لا يسلك الا بالاقتداء ولا اسئلكم ايها الامة على دعوتكم الى الحق اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين من الله وبداية
دعوه المنتهى وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا

ونشناختند خدا را سزای شناختنش چون گفتند که نفرستاد خدا بر آدمی چیزی را بگو که فرو فرستاد کتاب را که آورد او را موسی روشنی

وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم

و رهنمایی از برای مردم که قرار میداده اید او را کاغذها آشکارا میکنید آنرا و پنهان میدارید بسیاری را و آموخته شدید آنچه ندانستید شما و نه پدران شما بگو که خدا پس واگذار ایشانرا در فرو رفتن

يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها والذين يؤمنون

ذكر مخالفة الخطا

ع ٢



بِالْاٰخِرَةِ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ وَهُمْ عَلٰى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُوْنَ ۝ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اَوْ قَالَ اُوْحِيَ اِلَيَّ وَلَمْ يُوْحَ اِلَيْهِ

بآخرت میگروند بان و ایشان بر نمازهای شان نگاهبانانند و کیست ستمکارتر از آنکه دروغ گفت بر خدا او یا گفت که وحی شده بمن و وحی نشده باشد باو

شَيْءٌ وَّمَنْ قَالَ سَاُنْزِلُ مِثْلَ مَآ اَنْزَلَ اللّٰهُ ۭ وَلَوْ تَرٰٓى اِذِ الظّٰلِمُوْنَ فِيْ غَمَرٰتِ الْمَوْتِ وَالْمَلٰٓئِكَةُ بَاسِطُوْٓا اَيْدِيْهِمْ ۚ اَخْرِجُوْٓا

چیزی و هر که گفت زود فرو فرستم مانند آنچه فرو فرستاد خدا و اگر ببینی وقتی که ستمکاران در شدائد مرگ اند و فرشتگان پهن کننده اند دستهای خود را که بیرون آرید

اَنْفُسَكُمْ ۭ اَلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُوْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُوْلُوْنَ عَلَى اللّٰهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ اٰيٰتِهٖ تَسْتَكْبِرُوْنَ ۝ وَلَقَدْ

جان های خود را امروز جزا داده شوند عذاب خواری را بانچه بودید که میگفتید بر خدا ناحق و بودید از آیات او گردن کشی کردید و هر آینه

جِئْتُمُوْنَا فُرَادٰى كَمَا خَلَقْنٰكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ وَّتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنٰكُمْ وَرَاۗءَ ظُهُوْرِكُمْ ۚ وَمَا نَرٰى مَعَكُمْ شُفَعَاۗءَكُمُ

بیامدید ما را تنها چنانکه آفریدیم شما را اول مرتبه و واگذاشتید آنچه را عطا کرده بودیم در عقب پشتهای خود و نمی بینیم با شما شفیعان شما را

الَّذِيْنَ زَعَمْتُمْ اَنَّهُمْ فِيْكُمْ شُرَكٰۗؤُا ۭ لَقَدْ تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُوْنَ ۝ اِنَّ اللّٰهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوٰى ۭ

آنانرا که گمان داشتید که ایشان در باره شما انبازانند هر آینه منقطع شد پیوند میان شما و گم شد از شما آنچه گمان داشتید هر آینه خدا شگافنده دانه و استخوان خرما است

يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ۭ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ فَاَنّٰى تُؤْفَكُوْنَ ۝ فَالِقُ الْاِصْبَاحِ ۚ وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا

بیرون آرد زنده را از مرده و بیرون آرنده مرده است از زنده این است خدا پس کجا برگردانیده میشوید شگافنده صبح و گردانید شب را آسایش

وَّالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۭ ذٰلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْمِ ۝ وَهُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمُ النُّجُوْمَ لِتَهْتَدُوْا بِهَا فِيْ ظُلُمٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۭ قَدْ فَصَّلْنَا

و آفتاب و ماه را بحساب این است تقدیر خدای غالب دانا و اوست آنکه قرار داد برای شما اختران را تا راه یابید به آن در تاریکیهای خشکی و دریا هر آینه بیان کردیم

الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِيْٓ اَنْشَاَكُمْ مِّنْ نَّفْسٍ وَّاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَّمُسْتَوْدَعٌ ۭ قَدْ فَصَّلْنَا الْاٰيٰتِ لِقَوْمٍ

آیات را برای گروهی که دانا باشند و اوست آنکه آفرید شما را از یک شخص واحدی پس هست شما را جای قرار و جای ودیعت هر آینه بیان کردیم آیات را برای قومی

يَّفْقَهُوْنَ ۝ وَهُوَ الَّذِيْٓ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَاۗءِ مَاۗءً ۚ فَاَخْرَجْنَا بِهٖ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَاَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا

که فهم کنند و اوست آنکه فرو فرستاد از آسمان آب پس بر آوردیم بآن رستنی هر چیزی را پس برآوردیم از آن سبز را که

نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ۚ وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَّجَنّٰتٍ مِّنْ اَعْنَابٍ وَّالزَّيْتُوْنَ وَالرُّمَّانَ

برآوریم از آن دانهای سوار بهم را و از درخت خرما از شکوفه آن خوشهای نزدیک بهم و بوستانها از انگور و زیتون و انار را

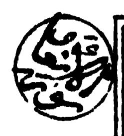
مُشْتَبِهًا وَّغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۭ اُنْظُرُوْٓا اِلٰى ثَمَرِهٖٓ اِذَآ اَثْمَرَ وَيَنْعِهٖ ۭ اِنَّ فِيْ ذٰلِكُمْ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ ۝ وَ

مانند یکدیگر و غیر مانند نگرید بسوی میوه آن چون ثمر آید وقت رسیدن آن در رسیدگی او هر آینه در این نشانهاست مر گروهی را که ایمان آرند و

جَعَلُوْا لِلّٰهِ شُرَكَاۗءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوْا لَهٗ بَنِيْنَ وَبَنٰتٍۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۭ سُبْحٰنَهٗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَصِفُوْنَ ۝

قرار دادند برای خدا انباز پریان را و آفریده است ایشان را و بافتند برای او پسران و دختران بدون دانشی منزه است او و برتر است از آنچه وصف کنند

القراءة يجعلونه يبدونها ويخفون بياء الغيبة ابو عمرو وابن كثير الباقون على الخطاب ولينذر بياء الغيبة ابو بكر وحماد الباقون بتاء الخطاب بينكم بفتح النون ابو جعفر ونافع وعلى وحفص والمفضل الباقون بالرفع وجعل الليل على لفظ الماضي ونصب الليل عاصم وحمزة وعلى وخلف الباقون وجاعل الليل على لفظ اسم الفاعل وبالاضافة وجنات بالرفع الاعشى والبرجمي الباقون بالنصب فمستقر بكسر القاف ابو عمرو وابن كثير وسهل ويعقوب الباقون بالفتح ثمره بضمتين حمزة وعلى وخلف وكذلك في اخر السورة ويس الباقون بفتحتين وخرقوا بالتشديد ابو جعفر ونافع الباقون بالتخفيف الوقوف من شيء كثيرا لمن قرا يجعلونه بياء الغيبة ومن قرا بالتاء فوقفه جائز لانتهاء الاستفهام مع اتفاق الخطاب على تقدير وقد علمتم اباؤكم قل الله لان قوله ثم ذرهم معطوف على قل يلعبون ومن حولها يحافظون انزل الله ايديهم لاتساق الكلام معنى مع تقدير حذف اى يقولون اخرجوا انفسكم لان المراد من اليوم يوم القيامة تستكبرون ظهوركم لاتحاد القول والوقف وجه لابتداء النفي وانقطاع النظم شركاء تزعمون والنوى من الحي تؤفكون فالق الاصباح لمن قرا وجعل لانقطاع النظم واتصال المعنى على تقدير فالق وجعل او وقد جعل وعامل الحال معنى الفعل في فالق حسبانا العليم والبحر يعلمون ومستودع يفقهون مع اتحاد المقصود متراكبا لمن قرا وجنات بالرفع فلعطف على قنوان لفظا فيلزمه وقفه على دانية والا فليعطف عليهم ان جنات من جملة النخل ومن خفض فوقفه على متراكبا جائز للعطف على قوله خضرا مع وقوع العارض وغير متشابه وينعه يؤمنون بغير علم يصفون التفسير اعلم ان مدار القرآن على اثبات التوحيد والنبوة والمعاد فبعدما ذكر دليل التوحيد وابطال الشرك شرع في تقرير امر النبوة فقال وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموا الله حق تعظيمه حيث انكروا النبوة والرسالة وقال ايضا في رواية ما امنوا بان الله على كل شيء قدير وقال ابو العالية ما وصفوه حق صفته وقال الاخفش ما عرفوه حق معرفته اي في اللطف باوليائه وفي القهر لاعدائه وقال الجوهري قدر الشيء مبلغه وقدر الشيء مبلغه وقدرت الشيء اقدره واقدره قدرا من التقدير ومن عرف مقداره ثم بين سبب عرفانه بقوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء وانما كان منكر البعث والرسالة غير عارف بالله تعالى لانه اما ان يدعي انه تعالى ما كلف احدا من الخلائق تكليفا اصلا وهو باطل لانه فتح باب المنكرات والقبائح باسرها واما ان



يعلم ان الله تعالى كلف الخلق بالاوامر والنواهي ولكن لا على السنة الرسل وهذا ايضا جهل فان قيل لم لا يجوز ان يكون العقل كافيا في ايجاب الواجبات وحظر المنكرات فالجواب ان الامر كذلك الا انه لا يمتنع تاكيد التعريف العقلي بل يجب تفصيل ذلك المجمل بالتعريفات المشروحة على السنة الرسل لان اكثر العقول قاصرة عن ادراك مدارك الاحكام الشرعية كما ان نور البصر قاصر عن ادراك المبصرات الا اذا اعين بنور من خارج كنور الشمس او السراج وايضا تفويض مصالح العباد الى مقتضى عقولهم يؤدي الى التنازع والتشاجر لتصادم الاهواء وتناقض الاراء فلا بد من ان يتفقوا على واحد يصدرون عن رايه وتعيين ذلك الواحد من الخلق ترجيح بلا مرجح واشراف على الضلال لاحتمال الخطأ في اجتهادهم فلعل الخير في نظرهم يكون شرا في نفس الامر فلزم ان يكون التعيين من الله سبحانه لكونه اعرف بالبواطن كقوله الله اعلم حيث يجعل رسالته وانما يعرف ذلك المعين بظهور المعجزة على وفق دعواه تصديقا له ومن انكر ذلك ولم يجوز خرق العادة فقد وصف الله تعالى بالعجز ونفى عنه القدرة وقد طعن بعض الملحدة في الاية بان هؤلاء القائلين ان كانوا كفار قريش او البراهمة فهم ينكرون رسالة كل الانبياء كما ينكرون رسالة محمد صلى الله عليه وآله فكيف يمكن ابطال قولهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى على ان قوله تجعلونه قراطيس تبدونها الخطاب انما يليق باليهود وان كانوا اهل الكتاب فهم لا يقولون ما انزل الله على بشر من شيء بل يقرون بنزول التوراة على موسى والانجيل على عيسى وايضا الاكثرون اتفقوا على ان السورة مكية وانها نزلت دفعة واحدة ومناظرات اليهود مع رسول الله صلى الله عليه وآله كانت مدنية فكيف يمكن حمل الاية على تلك المناظرة والجواب انهم ان كانوا كفار قريش فانهم كانوا مختلطين باليهود والنصارى وكانوا قد سمعوا من الفريقين على سبيل التواتر ظهور المعجزات على موسى كالعصا وفلق البحر واظلال الجبل وغيرها وكان جاريا مجرى ما يوجب عليهم الاعتراف بنبوة موسى وعلى هذا لا يبعد ايراد نبوة موسى الزاما لهم في قولهم ما انزل الله على بشر من شيء ولما كان كفار قريش مع اليهود والنصارى متشاركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وآله لم يبعد ان يكون الكلام الواحد خطابا لكفار قريش ولاهل الكتاب ايضا واما ان كانوا اهل الكتاب وهو المشهور عند الجمهور فاقوى ما روي عن ابن عباس ان مالك بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم وكان رجلا سمينا دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله انشدك بالذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني ثم ان اليهود لاجل هذا الكلام عزلوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف فلعل مالك بن الصيف لما تأذى من الكلام المذكور طعن في نبوة الرسول صلى الله عليه وآله وانما انزل عليه من شيء البتة فامر بان يقول في جوابه من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لما سلمت ان الله تعالى انزل الوحي والتنزيل على بشر وهو موسى فكيف يمكنك ان تقطع بانه ما انزل علي شيئا غايته ما في الباب ان تطالبني بالمعجزة والحاصل انهم قالوا ذلك مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول الله ص فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسى وادرج تحت الالزام توبيخهم بالتحريف وابداء بعض واخفاء بعض وقيل اللفظ وان كان مطلقا بحسب اللغة الا انه مقيد بحسب العرف بتلك الواقعة فكانه قال ما انزل الله على بشر من شيء في انه يبغض الحبر السمين وهذا كما اذا ارادت المرأة ان تخرج من الدار فغضب الزوج وقال ان خرجت من الدار فانت طالق فان كثيرا من الفقهاء قالوا التعليق مقيد بتلك المرة حتى لو خرجت مرة اخرى لم تطلق ويرد على هذا التوجيه ان قوله من انزل الكتاب الذي جاء به موسى لا يكون مبطلا لكلام الخصم واما قوله ان السورة مكية والمناظرات مدنية فالجواب عنه بان السورة مكية الا هذه الاية فانها نزلت بالمدينة في هذه الواقعة والله اعلم ومن الاحكام المستنبطة من الايات قوله وما قدروا الله حق قدره يفيد ان عقول الخلق قاصرة عن كنه معرفة الله تعالى وان كانوا مقرين بالنبوة والرسالة لاطلاق قوله في موضع اخر وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته ومنها ان النكرة في سياق النفي تعم والا لم تكن قوله من انزل مبطلا لقوله ما انزل الله على بشر من شيء ومنها ان النقض يقدح في صحة الكلام والا لم يكن في قوله من انزل حجة ويعلم منه ان قول من يقول ابداء الفارق بين الصورتين يمنع من كون النقض مبطلا ضعيف والا بطلت حجة الله تعالى في هذه الاية فان لليهودي ان يقول معجزات موسى كانت اظهر وابهر من معجزاتك فلا يلزم نبوتك ومنها ان الغزالي رحمه الله تكلف فقال حاصل الاية يرجع الى ان موسى انزل الله عليه شيئا وواحد من البشر ما انزل الله عليه شيئا فينتج من الشكل الثاني ان موسى ما كان من البشر وهذا خلف محال وليس هذه الاستحالة بحسب شكل القياس ولا بحسب صحة المقدمة الاولى فلم يبق الا انه لزم من فرض صحة المقدمة الثانية وهي قولهم ما انزل الله على بشر من شيء فوجب القول بكونها كاذبة فثبت ان دلالة هذه الاية على المطلوب انما تصح عند الاعتراف بصحة شكل الثاني وعند الاعتراف بصحة قياس الخلف ثم انه سبحانه وصف كتاب موسى بكونه نورا وهدى للناس والعطف يقتضي المغايرة فالمراد بالنور ظهوره في نفسه وبالهدى كونه سببا لظهور غيره كقوله في وصف القرآن ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا قال ابو علي الفارسي تجعلونه قراطيس اي ذا قراطيس اي تودعونه اياها فان قيل اذا كان جميع الكتب كذلك فلم ذكره في معرض الذم قلنا لانهم جعلوه قراطيس مفرقة مبعضة ليتوسلوا بذلك الى ابداء بعض واخفاء بعض كما فيه نعت محمد صلى الله عليه وآله وشيء من الاحكام التي لا توافق هواهم كالرجم وغيره وعلمتم ايها اليهود على لسان محمد ص ما لم تعلموا انتم ولا آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقيل كانوا يقرؤون الايات المشتملة على نعت محمد ص وما كانوا يفهمون معانيها الى ان بعث الله محمدا فظهر ان المراد منها هو البشارة بمقدمه وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم قل الله اي انزله فانهم لا يقدرون على ان ينكروا ذلك فان العقل



التسليم والطبع المستقيم يشهد بان الكتاب الموصوف المؤيد قول صاحبه بالمعجزات الباهرة لا يكون الا من الله سبحانه ونظيره قل اي شيء اكبر شهادة
قل الله والمقصود انه بلغت هذه الدلالة الى حيث يجب على كل عاقل ان يعترف بها فسواء اقر الخصم به او لم يقر فالغرض حاصل ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
يقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب يلعبون حال من ذرهم او من خوضهم ويحتمل ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة
له او لذرهم والمعنى انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فقد قضيت ما عليك كقوله ان عليك الا البلاغ فقيل انها
منسوخة باية السيف وفيه نظر لانه مذكور لاجل التهديد فلم يكن نزول اية القتال رافعا لشيء من مدلولات هذه الاية ثم لما ذكر حال التوراة اعقبه بذكر
القران فقال وهذا كتاب انزلناه وفائدة هذا الوصف انه كان من الممكن ان يظن ان محمدا مخصوص من الله بعلوم كثيرة يتمكن بسببها من تركيب القران على
هذا النسق من الفصاحة فنفى ذلك الوهم وبين ان الله هو الذي تولى انزاله بالوحي على لسان جبرئيل ع مبارك كثير خيره دائم نفعه باعث على الخيرات
زاجر عن المنكرات لما فيه من اصول العلوم النظرية والعملية وقد جرت سنة الله تعالى بان الباحث عنه والمتمسك به يفوز بعز الدنيا وسعادة في
الاخرة وقد جرب فوجد كذلك مصدق الذي بين يديه اي موافق لما قبله من الكتب الالهية اما في الاصول فلانه يمتنع وقوع التفاوت فيه
بحسب الازمنة والامكنة واما في الفروع فلانها مشتملة على التبشير بمقدم محمد صلى الله عليه وآله ويحصل منه ان التكاليف الموجودة فيها انما تبقى الى وقت ظهوره
ثم يصير منسوخة ولتنذر ومن قرا بياء الخطاب فظاهر ومن قرا على الغيبة فلانه اسند الانذار الى الكتاب مجازا لانه سبب الانذار انما انذركم بالوحي
وهو معطوف على ما دل عليه سائر الاوصاف كانه قيل انزلناه للبركة ولتصديق ما تقدمه من الكتب وللانذار قال ابن عباس سميت مكة ام القرى
لان الارضين دحيت من تحتها وقال ابو بكر الاصم لانها قبلة اهل الدنيا فصارت هي كالاصل وسائر البلاد تبعا وايضا الناس يجتمعون اليها للحج و
للتجارة كما يجتمع الاولاد الى الام وقيل لان الكعبة اول بيت وضع للناس وقيل ان مكة اول بلدة في الارض ولا بد من تقدير مضاف محذوف
اي اهل ام القرى ومن حولها قيل المراد اهل جزيرة العرب فاستدل اليهود بذلك على انه مبعوث الى العرب فقط واجيب بان تخصيص هذه المواضع
بالذكر لا يدل على نفي ما عداها لا سيما وقد ثبت بالتواتر انه كان يدعي انه رسول الى العالمين ويحتمل ان يراد ما حول مكة يتناول جميع البلاد والذين
يؤمنون بالاخرة يؤمنون به اي بهذا الكتاب لان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن وليس لاحد من الانبياء مبالغة
في تقرير قاعدة البعث والقيامة مثل محمد صلى الله عليه وآله وفيه ان كفار مكة يبعد منهم قبول هذا الدين لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والحشر
وهم على صلاتهم يحافظون يعني ان الايمان بالاخرة كما انه يحمل المكلف على الايمان بالنبي وبالكتاب كذلك يحمله على محافظة الصلوات وخص الصلوة
بالذكر لانها عماد الدين وسنام الطاعات كان المحافظة عليها ان يأتي باخواتها كلها ويجتنب المنكرات باسرها ثم ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوة
وانزل الكتاب عليه فرية وافتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المفسرون نزلت في الكذابين مسيلمة الحنفي والاسود العنسي عن النبي ع رايت
فيما يرى النائم كان في يدي سوارين من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة
مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء كان مسيلمة يقول محمد صلى الله عليه وآله رسول الله في بني قريش وانا
رسول الله في بني حنيفة واعلم ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فكل من نسب الى الله تعالى ما هو بريء منه اما في الذات واما في الصفات واما في
الافعال كان داخلا تحت هذا الوعيد ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال المفسرون هو النضر بن الحرث كان يدعي معارضة القران وهو قوله لو
نشاء لقلنا مثل هذا وروي ايضا ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان اذا املى عليه سميعا
عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزل ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاه الرسول صلى الله عليه وآله فلما وصل
الى قوله انشاناه خلقا اخر عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال النبي ع اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد
الله وقال ولئن كان محمد ع صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة فلما دخل رسول الله ع
مكة فر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه عنده حتى اطمان اهل مكة ثم اتى به رسول الله ص فاستامن له ثم فصل ما اجمل من الوعيد فقال ولو
ترى الاية وجوابه محذوف اي لرايت يا انسان امرا عظيما اذ الظالمون يعني الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فاللام للعهد ويحتمل ان يكون للجنس
فيندرج هؤلاء فيه في غمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم
قيل انه لا قدرة لهم على اخراج ارواحهم من اجسامهم فما الفائدة في هذا الخطاب واجيب بوجوه منها ان المراد ولو ترى الظالمين اذا صاروا الى غمرات
الموت في الاخرة اذا دخلوا جهنم وغمرات الموت عبارة عما يصيبهم هناك من انواع الشدائد والتعذيبات والملائكة باسطوا ايديهم بالعذاب يبكتونهم
يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذا العذاب الشديد ان قدرتم ومنها ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت عند نزول الموت بهم في الدنيا و
الملائكة باسطوا ايديهم لقبض ارواحهم يقولون لهم اخرجوا انفسكم من هذه الشدائد وخلصوها من هذه الافات والالام ومنها هاتوا ارواحكم و
اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف والتشديد في ازهاق الروح من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم الملازم الملح
يبسط يده الى من عليه الحق ويقول اخرج الي ما لي عليك الان ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك ومنها انه ليس بامر وانما هو وعيد وتقريع كقول القائل
امض الان لترى ما يحل بك [illegible] نفس المؤمن حال النزع يبسط في الخروج الى لقاء ربه ونفس الكافر يكره ذلك ويشق عليها الخروج وقطع التعلق لا



تضطر الى العذاب والى الاشارة في الحديث من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهؤلاء الكفار يكرههم الملائكة على نزع الروح وعلى
فراق المألوف وفي الآية دلالة على ان النفس الانسانية شيء غير هذا الهيكل المحسوس لان المخرج يجب ان يكون مغايرا للمخرج منه اليوم يريد به وقت الامانة
او الوقت الممتد الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيامة تجزون عذاب الهون كقولك رجل سوء بالاضافة لان العقاب شرطه ان يكون مضرة مقرونة
بالاهانة كما ان الثواب شرطه ان يكون منفعة مقرونة بالتعظيم والتركيب يدور على قلة المبالاة بالشيء ومنه الهون بالفتح السكينة والوقار وهان
عليه الشيء اي خف واهانه استخف به والاسم الهون بالضم والهوان والمهانة والحاصل انه جمع لهم بين الامرين الايلام والاهانة بما كنتم تقولون على الله
غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون يعني ان هذا العذاب الشديد انما حصل لمجموع الامرين الافتراء على الله والتكبر على آيات الله وهو عدم الايمان
لما قال الواحدي وكنتم عن آياته تستكبرون اي لا تصلون له لقوله صلى الله عليه وسلم من سجد لله سجدة واحدة بنية صادقة فقد برئ من الكبر ولقد جئتمونا يحتمل ان
يكون معطوفا على قول الملائكة اخرجوا انفسكم اليوم تجزون ثم الملائكة اما الملائكة الموكلون بقبض ارواحهم واما الملائكة الموكلون بعذابهم
ويحتمل ان يكون القائل هو الله تعالى ان جوزنا انه يتكلم مع الكفار فرادى جمع ينون ولا ينون واحده قيل فرد على غير قياس وقيل فردان كسكارى وسكران
قاله ابن قتيبة وقيل فريد كرديف وردافى وهم الحداة والاعوان لانه اذا اعيى احدهم خلفه الآخر كما خلقناكم اي على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد
او مجيئا مثل خلقنا لكم اول مرة والمراد التوبيخ والتقريع لانهم بذلوا جهدهم وصرفوا كدهم في الدنيا الى تحصيل امرين احدهما المال والجاه والثاني
انهم عبدوا الاصنام وجعلوها شركاء لله فيهم فقلبوا القضية وتركوا الحقيقة وذلك ان النفس الانسانية انما تعلقت بالجسد ليكون البدن آلة
لها في اكتساب المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة فاذا فارقت البدن ولم يحصل له هذان المطلبان عظم خسرانها وطال حرمانها فاستحق التوبيخ
بقوله ولقد جئتمونا فرادى اي منفردين عما يجب من الاعمال والعقائد ثم انها مع ذلك اكتسبت اشياء قد علقت الرجاء بها لانه افنى العمر في تحصيلها
وانها ليست مما يبقى معها فلا جرم استحق التقريع بقوله وتركتم ما خولناكم اي اعطيناكم وتفضلنا به عليكم وراء ظهوركم يعني انها كالشيء الذي
يبقى وراء ظهر الانسان فلا يمكنه الانتفاع به وربما بقي معوج الرأس بسبب التفاته اليها وما نرى معكم شفعاءكم اي ليسوا معكم حتى تروا او ليس معكم
بالشفاعة والنصرة كما زعمتم بدليل قوله لقد تقطع بينكم الآية من قرأ بالنصب على الظرف فمعناه وقع التقطع بينكم كقوله وتقطعت بهم الاسباب
بقي جمع بين الشيئين اي وقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره وقيل المراد لقد تقطع وصلكم بينكم كقولهم اذا كان غدا فأتني اي اذا
كان الرجاء او البلاء غدا فأتني فاضمر لدلالة الحال ومن قرأ بالرفع فلانه اسند الفعل الى الظرف اتساعا كما يقول قوتل خلفكم وامامكم او لان
المراد بالبين الوصل وانما حسن استعماله في معنى الوصلة مع ان اصله الافتراق والتباين لانه يستعمل في الشيئين اللذين بينهما مشاركة ومواصلة من بعض
الوجوه كقولهم بيني وبينه مشاركة وبيني وبينه رحم والمعنى لقد تقطع وصلكم قلت ويحتمل ان يكون البين بمعنى الافتراق ويفيد المبالغة كقولهم جد جده
فاذن العاقل من يكتسب الزاد ليوم المعاد حتى لا يوبخ بقوله ولقد جئتمونا فرادى ويصرف المال في وجوه التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله
حتى لا يخاطب بقوله وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل يكون من زمرة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله كيلا يطول حسرته يوم ينقطع
بين النفس والجسد وصله ثم انه سبحانه لما فرغ من تقرير التوحيد والنبوة والمعاد عاد الى ذكر الدلائل الدالة على وجود الصانع وكمال قدرته لتعلم
ان حاصل المباحث العقلية والنقلية انما هو معرفة ذات الله وصفاته وافعاله فقال ان الله فالق الحب والنوى اي بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين
اللذين في الحنطة والنواة والفلق هو الشق وعن ابن عباس والضحاك الفالق هو الخالق ووجهه ان العقل يتصور من العدم ظلمة متصلة لا انفراج فيها
ولا انشقاق فاخراج الشيء من العدم الى الوجود شق لذلك العدم فلق بحسب التخيل والتعقل واعلم انه اذا وقعت الحبة والنواة في الارض الرطبة ثم
مر بها قدر من المدة اظهر الله في اعلاها شقا ومن اسفلها شقا اما العالي فيخرج منه الشجرة الصاعدة الى الهواء واما السافل فانه يخرج منها الشجرة الهابطة
في الارض وهي المسماة بعروق الشجرة وههنا عجائب منها ان طبيعة الشجرة ان كانت تقتضي الهوي في الارض فكيف تولدت منها الشجرة الصاعدة الى الهواء
وبالعكس فاقتضاء الشجرتين على التباين ليس بمقتضى الطبع والخاصية بل بمقتضى ارادة الموجد المختار ومنها ان باطن الارض جسم صلب كثيف لا ينفذ فيه
المسلة ولا السكين ثم انا نشاهد اطراف تلك العروق مع غاية نعومتها تقوى على النفوذ والغوص في جرم الارض فحصول هذه القوة الشديدة للجرم
الضعيف ليس الا بتقدير العزيز العليم ومنها انه يتولد من النواة شجرة ويحصل من الشجرة اغصان واوراق وازهار واثمار وللثمر قشر اعلى وقشر اسفل
وفيه اللب وفي اللب الدهن الذي هو المقصود الاصلي فتولد هذه الاجسام المختلفة في طبايعها وصفاتها والوانها وطعومها واشكالها مع تشابه
تأثيرات النجوم والطبائع في المادة الواحدة يدل على وجود الفاعل المختار ومنها قد نجد الطبائع الاربع حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج قشره
حار يابس ولحمه بارد رطب وحماضه بارد يابس وبزره حار يابس كذلك العنب قشره وعجمه بارد يابس وماؤه ولحمه حار رطب ومنها انك تجد احوال الفواكه
مختلفة فبعضها يكون لبه في الداخل وقشره في الخارج كالجوز واللوز وبعضها يكون فاكهته المطلوبة في الخارج والخشبة في الداخل كالخوخ والمشمش
وبعضها يكون لنواها حب كالخوخ وقد لا يكون كالتمر وبعض الفواكه يكون مطلوبا كالتين فهذه الاحوال المختلفة والاشكال المختلفة تتضمن حكما
وفوائد لا يعلمها الا مبدعها ومنها انك اذا اخذت ورقة واحدة من اوراق الشجر وجدت في وسطها خطا واحدا مستقيما يشبه النخاع في بدن الانسان
ولا يزال يستدق حتى يخرج عن ادراك الحس ثم ينفصل عن ذلك الخط خطوط دقاق اصغر من الاول فكأنه سبحانه اودع فيه قوة جاذبة للغذاء كونه في

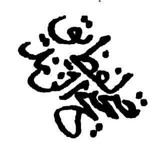
جرم تلك النواة على جانب الاجزاء اللطيفة الارضية فى تلك المجارى الضيقة فاذا وقفت على عناية الخالق فى ايجاد تلك النواة الواحدة علمت ان عنايته
فى ايجاد جملة تلك الشجرة اكثر وعلمت ان عنايته بتخليق الحيوان الذى خلق النبات لاجله يكون اكمل وكذا عنايته بحال الانسان الذى خلق لاجله النبات و
الحيوان ويصير ذلك مرقاة له الى وجود الصانع الخبير الحكيم القدير ثم بين كونه فالق الحب والنوى بقوله يخرج الحى من الميت لان فلق الحب والنوى بالنبات
والشجر القائمين من جنس اخراج الحى من الميت لان النامى فى حكم الحيوان ولهذا قال يحى الارض بعد موتها ثم عطف على قوله فالق الحب قوله ومخرج
الميت من الحى قال ابن عباس اخرج من النطفة بشرا حيا ثم يخرج من البشر الحى نطفة او يخرج من البيض دجاجة ومن الدجاجة بيضا او يخرج المؤمن من الكافر
كما فى حق ابرهيم والكافر من المؤمن كنوح وابنه او المطيع من العاصى والعاصى من المطيع او العالم من الجاهل والجاهل من العالم بل الكامل من الناقص
والناقص من الكامل وقد يجعل الضار نافعا وبالعكس يحكى ان انسانا سقى الافيون فى الشراب ليموت فلما سقاه وظن القوم انه سيموت فرفعوه و
جعلوه فى بيت مظلم فلدغته حية وصارت تلك اللدغة لقوة حرارة سم الحية سببا لدفع ضرر برودة الافيون ونقل عن عبد القاهر الجرجانى رد ان قوله
ومخرج الميت معطوف على قوله يخرج وانما حسن عطف الاسم على الفعل ههنا لان لفظ الفعل يدل على اعتناء الفاعل بذكر الفعل فى كل وقت
بخلاف لفظ الاسم ولهذا قال هل من خالق غير الله يرزقكم ليفيد انه يرزقهم حالا فحالا وساعة فساعة اذا ثبت هذا فنقول الحى اشرف من
الميت فذكره بلفظ الفعل فيدل على ان الاعتناء باخراج الحى من الميت اكثر من العكس ذلكم الله المدبر الخالق النافع الضار المحيى المميت فانى تؤفكون
فكيف تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره ام كيف تستبعدون البعث والنشور لان الاعادة اهون من الابداء ثم عدل عن الاحوال الارضية الى الاستدلال
بما فوقها وهى الاحوال الفلكية فقال فالق الاصباح وهو مصدر سمى به الصبح والمراد فالق ظلمة الاصباح وهو الغبش فى آخر الليل وكان الافق كان بحرا
مملوا من الظلمة ثم انه سبحانه شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا من النور فالمعنى فالق ظلمة الاصباح بنور الاصباح وحسن الحذف للعلم به او المراد
فالق الاصباح ببياض النهار واسفاره ومنه قولهم انشق عمود الفجر وانصدع الفجر او المراد مظهر الاصباح بواسطة فلق الظلمة فذكر السبب واراد المسبب
او الفالق بمعنى الخالق كما مر وقد سلف لنا تقرير الصبح فى البقرة فى تفسير قوله عز من قائل ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم
ان كون الصبح بسبب وقوع ضوء الشمس على ضلع مخروط ظل الارض فى جانبه الشرقى لا ينافى كون الله سبحانه فالق الاصباح بالحقيقة كما ان وجود
النهار بسبب طلوع جرم الشمس عن الافق لا ينافى ذلك والامام فخر الدين الرازى اراد ان يبين ان ذلك بقدرة الفاعل المختار فنفى كونه
بسبب ضوء الشمس بحجج اخترعها من عنده وكلها خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فلذلك اسقطناها عن درجة الاعتبار النوع الثانى
من الدلائل الفلكية الدالة على التوحيد قوله وجاعل الليل سكنا حجة من قرأ باسم فاعل ان المعطوف عليه اسم فاعل وحجة من قرأ بصيغة الفعل
ان قوله بعد ذلك والشمس والقمر منصوب ولا بد من عامل وما ذلك الا ان يقدر جاعل بمعنى جعل والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن اليه من
زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن كما سموها المؤنسة لانه يستأنس بها والليل يطمئن اليه المتعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويحتمل ان يراد وجعل
الليل مسكونا فيه فالليل والنهار من ضروريات مصالح هذا العالم فهما نعمتان من الله تعم وآيتان على وحدته وقدرته النوع الثالث قوله والشمس
والقمر حسبانا اى سببى حسبان لان حساب الاوقات يعلم بسيرهما ودورهما والحسبان بالضم مصدر حسب بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب بالكسر
وقيل جمع حساب مثل شهاب وشهبان قال فى الكشاف الشمس والقمر قرئا بالحركات الثلث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل او يعطفان على محل
الليل لان اسم الفاعل اريد ههنا الاستمرار كما تقول الله عالم قادر فلا تقصد زمانا دون زمان فتكون الاضافة غير حقيقية ويكون لليل محل
قلت وهذا مناقض لما ذكره فى مالك يوم الدين من انه يجوز ان يراد به زمان مستمر حتى يكون الاضافة حقيقية ويصح وقوعه صفة للمعرفة واما وجه الجر
فظاهر ووجه الرفع كونهما مبتدأين محذوف الخبر اى والشمس والقمر مجعولان او محسوبان حسبانا وذلك الجعل تقدير العزيز الذى قهرهما العليم
الذى دبرهما وذلك ان تقدير اجرام الافلاك بصفاتها المخصوصة وهيئاتها المحدودة واوضاعها المعينة لا يتم الا بقدرة شاملة لجميع الممكنات وعلم
نافذ فى الكليات والجزئيات النوع الرابع قوله وهو الذى جعل لكم النجوم عدد ههنا من منافع النجوم كونها سببا للاهتداء الى الطرق والمسالك
فى ظلمات البر والبحر حيث لا يرون شمسا ولا قمرا والتقدير فى ظلمات الليل بالبر والبحر فاضافها اليهما لملابستها لهما وقيل المراد ظلمات التعطيل وبحر
التشبيه فان اختصاص كل من هذه الكواكب بمحال وصفة اخرى مع تشاركها فى الجسمية دليل ظاهر على مختار قادر وايضا اتصافها بالاعضاء و
الابعاض والحدود والاحياز مع انها لا تصلح للالهية بالاتفاق دليل على تنزيه الله سبحانه عن هذه السمات ولهذا قال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون
فيستدلون بالمحسوس على المعقول وينتقلون من الشاهد الى الغائب ثم عدل عن الآيات الآفاقية الى آيات الانفس فقال وهو الذى انشأكم اى
خلقكم بطريق النشو والنماء من نفس واحدة هى آدم وحواء مخلوقة من ضلع من اضلاعه وكذا عيسى لانه من مريم وان كان بتوسط كلمة كن او بالنفخ و
هى من آدم فمستقر من قرأ بكسر القاف فالتقدير ومنكم مستقر ومنكم مستودع الاول اسم فاعل والثانى اسم مفعول ومن قرأ بفتح القاف فالتقدير
فلكم مستقر ولكم مستودع فيكون كلاهما اسمى مكان او مصدرا وذلك ان استقر لازم فلا يجىء منه المفعول به بلا واسطة فينبغى تفسير مستودع ايضا بما
يشاكله استحسانا عن ابن عباس ان المستودع الصلب والمستقر الرحم لقوله ونقر فى الارحام ما نشاء ولان النطفة فى الرحم اكثر فيكون لفظ القرار به اليق
انسب بخلاف المستودع فانه فى معرض الاسترداد ساعة فساعة وهذا شان النطفة فى الاصلاب فانه بصدد الانزال فى كل حين واوان وقيل المستقر صلب

كما قال لتسكنوا منه

الاب والمستودع الام لان النطفة قد حصلت في صلب الاب اولا واستقرت هناك ثم حصلت في الرحم على سبيل الوديعة ولان هذا الترتيب ناسب تقديم المستقر على المستودع وعن الحسن المستقر حاله بعد الموت لان سعادته وشقاوته تبقى وتستقر على حالة واحدة والمستودع حاله قبل الموت لان الكافر قد ينقلب مؤمنا والفاسق صالحا والوديعة على شرف الزوال والذهاب وقال الاصم المستقر الذي خلق من النفس الاولى ودخل في الوجود والمستودع الذي لم يخلق بعد وسيخلق وعنه ايضا المستقر من في قرار الدنيا والمستودع من في القبور الى يوم البعث وعن قتادة بالعكس وعن ابي مسلم الاصفهاني المستقر الذكر لان النطفة انما تستقر في صلبه والمستودع الانثى لانها تستودع النطفة وحاصل الكلام ان الانسان خلق من نفس واحدة ثم انه ينقلب في الاطوار ويتردد في الاحوال وليس هذا بمقتضى الطبع والخاصية والا لتساوى الكل في الاحوال والامزجة فذلك اذن بتدبير فاعل قدير مختار خبير ولهذا قال قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ ميزنا بعضها عن بعض لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ لان الفائدة تعود اليهم وكان الارشاد عاما ولان الآيات الانفس اقرب الى الاعتبار واهون لدى الاستبصار ختم الآية بالفقه وخصص خاتمة الاولى بالعلم ليعلم ان الغافل عن هذه لا فطنة له ولا ذكاء اصلا فضلا عن العلم ثم عدد ما كونه نعمة ابين فيه من كونه آية فقال وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً الآية قيل انه من جانب السماء وقيل من السحاب لان العرب يسمي كل ما فوقك سماء كسماء البيت وقال اكثر اهل الظاهر انه من السماء نفسها لانه تعالى فاعل مختار قادر على خلق الاجسام كيف شاء واراد ونحن قد حكينا في اول سورة البقرة مذهب الحكماء في هذا الباب والله تعالى اعلم قال ابن عباس يريد بالماء ههنا المطر ولا تنزل قطرة من السماء الا ومعها ملك والفلاسفة يحملون ذلك على الطبيعة الحالة فيها الموجبة للنزول الى مركزها فَأَخْرَجْنَا بِهِ اي بواسطة ذلك الماء وذلك بموجب الطبع والمتكلمون ينكرونه نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ قال الفراء اي نبات كل شيء له نبات فيختص بنبت كل صنف من اصناف النامي ويخرج ما عدا ذلك وفي الآية التفاتان الاول من الحكاية الى الغيبة ثم لم يقل من الذي انزلنا والثاني من الحكاية الى التفخيم وانه جبران نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب باب من ابواب البلاغة وصيغة الجمع لاجل التعظيم كما هو دين الملوك ثم لما بين ان السبب هو الماء واحد والمسببات صنوف كثيرة فصل ذلك بعض التفصيل حسب ما ذكر في قوله ان الله فالق الحب والنوى فقال فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ اي من النبات خضرا اي شيئا اخضر طريا وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نُخْرِجُ مِنْهُ اي من ذلك الخضر حَبًّا مُتَرَاكِبًا بعضه على بعض قال ابن عباس يريد القمح والشعير والسلت والذرة فاصل ذلك هو العود الاخضر ويكون السنبلة اكبر عليه من فوقه والحبات متراكبة وفوق السنبلة اجساد دقيقة حادة كالابر والمقصود من تخليقها ان تمنع الطيور من التقاط تلك الحبات المتراكبة ولما ذكر ما ينبت من الحب اتبعه ذكر ما ينبت من النوى فقال وَمِنَ النَّخْلِ وهو خبر وقوله من طلعها بدل منه كانه قيل وحاصلة من طلع النخل قِنْوَانٌ او الخبر محذوف لدلالة اخرجنا عليه والتقدير ومخرجة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو كصنوان وصنو والقنو العذق وهو من التمر بمنزلة العنقود من العنب والطلع اول ما يبدو من عذق النخلة قال ابن عباس يريد العراجين التي قد تدلت من الطلع دانية ممن يجتنيها وعنه ايضا انه اراد عذوق النخلة اللاصقة بالارض قال الزجاج ولم يقل ومنها قنوان بعيدة لان احد القسمين يغني عن الآخر كما قال سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ ويحتمل ان يقال ترك البعيدة لان النعمة في القريبة اكمل واتم وقيل اراد بكونها دانية انها سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول وان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ بالنصب عطفا على خضرا اي واخرجنا به جنات من اعناب ومن قرأ بالرفع فعلى انها مبتدأ محذوف الخبر اي وثم جنات من اعناب او وجنات من اعناب مخرجة ولا يجوز ان يكون عطفا على قنوان وان جوز في الكشاف اذ يصير المعنى حاصلة او مخرجة من النخلة من طلعها جنات حصلت من اعناب اما قوله وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ بالنصب فللعطف على منصوبات قبلها وللاختصاص لفضل هذين الصنفين قال الفراء اراد شجر الزيتون وشجر الرمان فحذف المضاف واعلم انه سبحانه قدم الزرع على الاشجار فواكه والغذاء مقدم على الفواكه ثم قدم النخل على سائر الفواكه لان التمر يقوم مقام الغذاء ولا سيما للعرب ومن فضائلها ان الحكماء بينوا ان بينه وبين الحيوانات مشابهات كثيرة ولهذا قال صلى الله عليه وآله اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من بقية طينة آدم ثم ذكر العنب عقيب النخل لانه اشرف انواع الفواكه وانه ينتفع به من اول ظهوره الى آخر حاله فاوله خيوط دقيقة حامضة الطعم لذيذة وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه ثم يظهر الحصرم وهو طعام شريف للاصحاء وللمرضى من اصحاب الصفراء ثم يتم العنب فيؤكل كما هو ويدخر ويتخذ منه الزبيب والدبس والخمر والخل ومنافع كل منها لا تحصى الا ان الخمر حرمها الشرع لاسكارها واخترع في العنب عجمه والاطباء يتخذون منه جوارشات نافعة للمعدة الضعيفة الرطبة ويتلو العنب في المنفعة الزيتون لانه يمكن تناوله كما هو وينفصل منه الزيت الذي يعظم غناؤه واما الرمان فحاله عجيبة جدا لانه قشر وشحم وعجم وماء والثلاثة الاول باردة يابسة ارضية كثيفة قابضة عفصة واما ماء الرمان فبالضد من هذه الصفات وانه الذ الاشربة والطفها واقربها الى الاعتدال واشدها مناسبة للطباع المعتدلة وفيه تقوية للمزاج الضعيف وهو غذاء من وجه ودواء من وجه وكانه سبحانه جمع فيه بين المتضادين فيكون دلالة القدرة والرحمة والحكمة فيه اكمل وانواع النبات اكثر من ان يفي بشرحها المجلدات فاكتفى بذكر هذه الانواع الخمسة تنبيها على البواقي واما قوله مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ففي تفسيره وجوه الاول ان هذه الفواكه قد يكون متشابهة في اللون والشكل مع انها تكون مختلفة في الطعم واللذة فان الاعناب والرمان قد يكون متشابهة في الصورة واللون والشكل ثم انها تكون مختلفة في الحلاوة والحموضة وبالعكس الثاني ان اكثر الفواكه يكون ما فيها من القشر والعجم متشابهة في الطعم والخاصية واما ما فيها من اللحم والرطوبة فانها تكون مختلفة ومنهم من يقول الاشجار متشابهة والثمار مختلفة ومنهم من قال بعض حبات العنقود متشابهة وذلك انك قد تاخذ العنقود من العنب فترى جميع حباته مدركة نضيجة حلوة طيبة الا حبات مخصوصة منها بقيت على اول حالها من الخضرة والحموضة



والعفوصة ومعنى اشتبه وتشابه واحد يقال اشتبه الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا وانما قال مشتبها ولم يقل مشتبهين اما اكتفاء بوصف
احدهما او على تقدير والزيتون مشتبها وغير متشابه والرمان ايضا كذلك كقوله رماني بامر كنت منه ووالدي بريئا ومن اجل الطوي رماني انظروا
الى ثمره من قرأ بفتحتين فلانه جمع ثمرة مثل بقر وبقرة وشجر وشجرة ومن قرأ بضمتين فعلى انه جمع ثمرة ايضا مثل خشبة وخشب قال تعالى كانهم خشب مسندة
او على ان ثمرة جمعت على ثمار ثم جمع ثمار على ثمر اذا اخرج ثمره وينعه يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا بالفتح والضم اذا ادركت ونضجت امر بالنظر في حال ثمر كل شجر
اول حدوثها وفي اخر حالها فانها قد تكون موصوفة بالخضرة والحموضة ثم تصير الى السواد والحلاوة وربما كانت اول الامر باردة بحسب الطبيعة ثم
يصير حارة الطبع وقد يخرج ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به ثم يؤل الى كمال اللذة والمنفعة فحصول هذه الانتقالات والتغيرات لابد له من سبب
مستقل في التاثير سوى الطبايع والفصول والافلاك والنجوم وما ذاك الا السبب الاول ومبدع الكل ولهذا ختم الاية بقوله ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون
قال القاضي المراد لمن يطلب الايمان بالله لانه اية لمن امن ولمن لم يؤمن ويحتمل ان يخص المؤمنين لانهم المنتفعون به دون غيرهم او المراد
ان هذه الدلالة على قوتها وظهورها دلالة لمن سبق قضاء الله تعالى في حقه بالايمان والا فلا ينتفع به البتة ويكون من زمرة من قال في حقهم وجعلوا
لله شركاء الجن قال الكلبي عن ابن عباس نزلت في الزنادقة قالوا ان الله تعالى وابليس اخوان والله خالق الناس والدواب والانعام وابليس
خالق الحيات والسباع والعقارب قال في التفسير الكبير هذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان
الكتاب الذي زعم زرادشت انه نزل عليه من عند الله يسمى بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق ثم جمع فقيل زنادقة ثم انهم
قالوا كل ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وجميع ما فيه من الشرور فهو من اهرمن وهو المسمى بابليس في شرعنا ثم اختلفوا فالاكثرون منهم على
انه محدث ولهم في كيفية حدوثه اقوال عجيبة كقولهم انه تعالى فكر في مملكته نفسه واستعظمها فحصل نوع من التعجب فتولد الشيطان من ذلك العجب
وكقولهم شك في قدرة نفسه فتولد من شكه الشيطان والاقلون منهم قالوا انه قديم ازلي والحاصل انهم يقولون عسكر الله تعالى هم الملائكة و
عسكر ابليس هم الشياطين والملائكة فيهم كثرة عظيمة وهم ارواح طاهرة مقدسة يلهمون الارواح البشرية الطاعات والشياطين فيهم ايضا كثرة عظيمة يلقون
الوساوس الى الارواح البشرية والله تعالى مع عسكره يحاربون ابليس مع عسكره فلهذا السبب حكى الله تعالى عنهم انهم اثبتوا لله شركاء من الجن بلفظ الجمع و
ان كان شريكه عندهم بالحقيقة واحدا وهو اهرمن وانتصاب الجن على انه بدل او بيان للشركاء او على انه مفعول اول وشركاء ثانيه ويكون لله ظرفا لغوا
وفائدة تقديم المفعول الثاني على هذا القول استعظام ان يتخذ لله شريك كائنا من كان ملكا او جنيا او انسيا ولذلك قدم اسم الله على الشركاء
وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين وقيل ان الاية نزلت في الكفار الذين جعلوا الملائكة بنات الله وحسن
اطلاق الجن على الملائكة لاستتارهم عن العيون ومعنى كونها شركاء انها مدبرة لاحوال هذا العالم ومعينة لله اعانة الولد للوالد وعن الحسن وطائفة من
المفسرين ان المراد ان الجن دعوا الكفار الى عبادة الاصنام والى القول بالشركة فاطاعوهم كما يطاع الله اما قوله وخلقهم فاشارة الى الدليل القاطع
على ابطال الشريك والضمير فيه اما ان يعود الى الجن او الى الجاعلين فان عاد الى الجن فان قلنا ان الاية نزلت في المجوس فتقريره ان الاكثرين منهم
معترفون بان ابليس محدث ولو لم يعترفوا بذلك فالبرهان العقلي قائم على ان ما سوى الحق الواحد ممكن لذاته وكل ممكن لذاته فهو محدث فنقول
ثم كل محدث مخلوق وله خالق وما ذاك الا الله سبحانه وحينئذ يلزمهم نقض قولهم لانه ثبت ان اله الخير قد فعل اعظم الشرور وهو خلق ابليس الذي هو
مادة كل شر وان قلنا انها في كفار العرب القائلين الملائكة بنات الله فظاهر لانهم يسلمون ان الملائكة مخلوقون وانهم تولدوا او ولدوا من الوالد وان
عاد الضمير الى الجاعلين فالمعنى وعلموا ان الله خالقهم دون الجن كقوله ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فلم يمنعهم علمهم ان يتخذوا
من لا يخلق شريكا للخالق والجملة في موضع الحال اي وقد خلقهم وقرئ وخلقهم بسكون اللام اي اختلاقهم للافك يعني جعلوا الله خلقهم حيث نسبوا
قبائحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها ثم حكى عن قوم اخرين نوعا اخر من الاشراك فقال وخرقوا له بنين وبنات وذلك قول اهل الكتابين في
المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة ومن هنا يعلم ضعف قول من قال وجعلوا لله شركاء الجن نزل في كفار قريش لانه يلزم التكرار من غير فائدة ظاهرة
يقال خرق الافك وخلقه واخترقه واختلقه بمعنى قال الحسن كلمة عربية كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز
ان يكون من خرق الثوب اذا شقه اي اشتقوا له بنين وبنات اما قوله بغير علم فكالتنبيه على ابطال قولهم فان من عرف الاله حق معرفته استحال
ان يثبت له ولدا لان ذلك الولد ان كان واجب الوجود لذاته كان مستقلا بنفسه قائما بذاته لا تعلق له في وجوده بالاخر تعلق الفرع
وان كان ممكن الوجود لذاته كان موجودا بايجاد الواجب كان عبدا له لا ولدا وايضا الولد انما يحتاج اليه ليقوم مقام الوالد بعد فنائه ومن تقدس
عن الفناء لم يحتج الى الولد وايضا الولد جزء من اجزاء الوالد ومن لم يكن مركبا استحال ان ينفصل منه جزء يتولد منه الولد ثم نزه نفسه عما لا يليق به
فقال سبحانه وهذا على لسان المسبحين وتعالى عما يصفون وهذا له في نفسه سواء سبحه مسبح ام لا والمراد بالتعالي العلو بالشرف والرفعة
بدليل قوله عما يصفون التاويل وما قدروا الله حق قدره حين انكروا انزال الكتب والبعثة على انهم لو اعترفوا بذلك ايضا لم يعرفوه حق
معرفته لان الحادث لا يحيط بالمحيط نعم يزداد معرفته بازدياد معرفة اوصافه تجعلونه قراطيس اي في القراطيس وما يجعلونه في قلوبكم بالتخلق بالخلق
وعلمتم بتعليم محمد صلى الله عليه وآله ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم كقوله ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ومن الحكمة ما هو سر لدني



يكون تعليمه بتربيتنا بعد سرايته فى باطنها اضمارا والذى علم النبى هو الله فى خلقه ما سوى الله ولهذا قال قل الله مبارك على العوام بان يدعوهم الى ربهم وعلى الخواص بان يهديهم الى ربهم وعلى خواص الخواص بان يوصلهم الى ربهم ويخلقهم باخلاقه وفى كتاب المحبوب شفاء لما فى القلوب مصدق الذى بين يديه لانه يصدق حقايق جميع ما فى الكتب ولتنذر ام القرى وهى الذرة المودعة فى القلب لانها هى المخاطبة فى الميثاق وقد دحيت جميع ارض القلب من تحتها ومن حولها من الجوارح والاعضاء والسمع والبصر والفؤاد والصفات والاخلاق بان تنوروا بانواره وينتفعوا باسراره ويتخلقوا والذين يؤمنون بالآخرة فيستعملون الادوات والآلات فى امور الدنيا والآخرة لا فى الدنيا الفانية وشهوات النفس وهواها يؤمنون بالقرآن وهم على صلواتهم بالترقى من صفاتهم الى التخلق باخلاق القرآن يداومون لان الصلوة معراج المؤمن ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا باظهار المواجيد والحالات ريآء ومرآء من غير ان يكون له منها نصيب او قال اوحى الى الاشارات ولم يلهم نفسه شيئا منها ومن قال تشدقا فى نفسه قياسا اتكلم بمثل كلام الله من الحقايق والاسرار فيظهر معرفة ظلمه وافترائه عند سكرات الموت وانقطاع تعلق الروح عن البدن واخراج النفس عن القالب كرها لتعلقها بالشهوات واللذات وطلب الرياسات ويكون شدة النزع والهوان بحسب التعلقات ولقد جئتمونا فرادى عن الدنيا وما يتعلق بها وفرادى عن تعلقات الكونين كما خلقناكم اول مرة فى اول خلقة الروح قبل تعلقه بالقالب وتركتم بالتجريد عن الدنيا والآخرة ما خولناكم من تعلق الكونين وراء ظهوركم وما نرى معكم الاعمال والاحوال التى ظننتم انها يوصلكم الى الله لقد تقطع بينكم وبينها عند انتهاء سيركم كما انتهى سير جبرئيل عند سدرة المنتهى ولا يصل الى الوحدة الا بجذبة ارجعى الى ربك ولو لم يدركه الجذبة المسندة الى الصاحبة لانقطع عن السير فى الله بالله وبقى فى السدرة وهو يقول وما منا الا له مقام معلوم ان الله فالق حبة الذرة التى اخذ منها الميثاق المودعة فى حبة القلب عن نبات المحبة وفالق النوى ذكر لا اله الا الله فى ارض القلب عن شجرة الايمان كلمة طيبة كشجرة طيبة تخرج نبات المحبة التى هى من صفات الحى القيوم من الذرة والمحبة الانسانية وتخرج الافعال الطبيعية التى هى من صفات الكفار الموتى من المؤمن الحى فى الدارين وايضا يخرج نخل الايمان الحى من نوى الحروف الميتة فى كلمة لا اله الا الله ويخرج ميت النفاق من الكلمة الحية وهى لا اله الا الله فالق الاصباح فالق ظلمة الجمادية بصباح العقل والحيوة والرشاد وفالق ظلمة الجهالة بصباح الفهم والادراك وفالق ظلمات العالم الجسمانى بتخليص النفس القدسية الى صحبة عالم الافلاك وفالق ظلمات الاشتغال بعالم المكان بصباح نور الاستغراق فى معرفة مكون المحدثات والمبدعات وبالجملة فالق انوار الروح عن ظلمة ليل البشرية وجاعل ليل البشرية سترا عن ضياء شمس الروح ليسكن فيه النفس الحيوانية والاوصاف البشرية والشمس والقمر حسبانا يعنى تجلى شمس الروحانية وطلوع قمر القلب بالحسبان لئلا يفسد امر القلب والقالب ايضا شمس الربوبية وطلوع قمر الروحانية لليل البشرية بالحسبان لئلا يفسد امر الدين والدنيا على العبد بالتفريط والافراط فان افراط طلوع شموس المعارف والشهود انا الحق وسبحانى وفى تفريطهما انا ربكم الاعلى وعبادة الهوى ذلك تقدير العزيز الذى لا يهتدى اليه الا به العليم بمن يستحق الاهتداء اليه وهو الذى جعل لكم النجوم انوار الغيوب فى سموات القلوب لتهتدوا بها فى ظلمات بر البشرية وبحر الروحانية الى عالم الربوبية وهو الذى انشأكم من نفس واحدة هو روح محمد صلى الله عليه وآله اول ما خلق الله روحى خلق اجسادكم من جسد آدم ابى البشر فمن الارواح ما تعلق بالاجساد واستقر وما هو بعد مستودع فى عالم الارواح وايضا من الارواح ما هو مستقر منه نور صفة الايمان وما هو مستودع فيه جذبات الحق ومنها ما هو مستقر فى انانيته مع علو تبعيته بالبقاء وما هو مستودع فى بقاء البقاء عن الفناء قد فصلنا الآيات الوصول الى الوصال لقوم يفقهون اشارات القلوب وهو الذى انزل من سماء العناية ماء الهداية فاخرجنا به نبات كل شىء من انواع المعارف فاخرجنا منه خضر الحكم من المعانى والاسرار يخرج به من الحقايق متراكبا بعضها بعضا مترتب بعضها على بعض ومن النخل يعنى اصحاب الولايات من طلعها من ثمرات ولايتهم ما هو متدل للطالبين منهم من يكون مريدا فينتفع بثمرات ولايته ومنهم من يختار العزلة والانقطاع عن المريدين وجنات ويريد ارباب الزهد والتقوى والفتوى الذين لم يبلغوا رتبة الولاية من اعناب الاجتهاد والزيتون الاصول والرمان الفروع مشتبها اى متفقا فى الاصول والفروع وغير متشابه اى مختلفا فيما بين العلماء انظروا الى ثمر الولايات كيف ينتفع به الخواص والعوام وينعه الكامل منها ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون باحوالهم وينتفعون باقوالهم واحوالهم و وجعلوا لله اشارة الى انه كما يخرج بماء اللطف من ارض القلوب لارباب انواع الكمالات كذلك يخرج بماء القهر من ارض النفوس لاصحابها انواع الضلالات

بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اَنّٰى يَكُوْنُ وَلَمْ تَكُنْ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيْمٌ ذٰلِكُمُ اللّٰهُ رَبُّكُمْ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَاعْبُدُوْهُ

او هست آفریننده آسمانها و زمین از کجا باشد مر او را فرزندی و نیست او را زنی و آفرید هر چیزی را و او به هر چیزی دانا است اینست خدا پروردگار شما نیست خدایی مگر او آفریننده هر چیزی پس بپرستید

وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَىْءٍ وَّكِيْلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الْخَبِيْرُ قَدْ جَآءَكُمْ بَصَآئِرُ مِنْ رَّبِّكُمْ

و او است بر هر چیزی نگاهدار در نیابد او را دیدها و او در یابد دیدها را و او است ناپیدای آگاه بدرستی آمد شما را بینایها از پروردگار شما

فَمَنْ اَبْصَرَ فَلِنَفْسِهٖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَا اَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيْظٍ وَكَذٰلِكَ نُصَرِّفُ الْاٰيٰتِ وَلِيَقُوْلُوْا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهٗ

پس هر که دید پس از برای خود است و هر که چشم پوشید پس بر خود است و نیستم من بر شما نگاهبان و چنین گردانیم آیات را و تا گویند که تو درس کردی و تا بیان کنیم آنرا

لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ اِتَّبِعْ مَآ اُوْحِىَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ لَا اِلٰهَ اِلَّا هُوَ وَاَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِيْنَ وَلَوْ شَآءَ اللّٰهُ مَآ اَشْرَكُوْا وَمَا جَعَلْنٰكَ

از برای گروهی که میدانند پیروی کن آنچه وحی کرده شده بسوی تو از پروردگار تو نیست خدایی مگر او و روی گردان از مشرکان و اگر خدا خواستی شرک نیاوردندی و نگردانیدیم ترا

عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۝ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ
برایشان نگاهبان و نیستی تو برایشان کارگذار ؛ و دشنام مدهید آنها را که میخوانند از غیر خدا را پس دشنام دهند خدا را از دشمنی و بی دانشی چنین
زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ
آراستیم از برای هر طائفه کردار ایشان را پس بسوی پروردگار ایشان است بازگشت ایشان پس خبر دهد ایشان را بآنچه بودند که میکردند ؛ و سوگند یاد کردند بخدا غایت سوگندی که اگر بیاید بایشان
آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ
نشانی هر آینه بگروند بآن بگو جز این نیست که نشانها در نزد خداست و چه آگاه کرد شما را که آن نشانها چون بیاید نگروند و بگردانیم دلهای ایشان را و چشمهای ایشان را چنانکه نگرویدند بآن اول بار و واگذاریم ایشان را در نافرمانی ایشان سرگردان

القراآت ولم يكن بياء الغيبة قتيبة درست بتاء التأنيث ابن عامر وسهل ويعقوب دارست بتاء الخطاب من المدارسة ابن كثير وابو عمرو والباقون بتاء الخطاب
درست من الدرس عدوا على فعول بالضم يعقوب الباقون عدوا على فعل انها اذا جاءت بالكسر ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وخلف وقتيبة ونصير
وابو بكر وحماد الباقون بالفتح لا تؤمنون بتاء الخطاب ابن عامر وحمزة الباقون على الغيبة الوقوف والارض ط صاحبة ط كل شيء ج لاحتمال الواو الحال و
الاستيناف عليم ه ربكم ج لاحتمال الجملة الاستيناف والحال والعامل معنى الاشارة الا هو ج لان قوله خالق بدل الضمير المستثنى او خبر ضمير محذوف فاعبدوه ج
لاحتمال الواو الحال والاستيناف وكيل ه لا تدركه الابصار ز لاختلاف الجملتين مع ان الثانية من تمام المقصود يدرك الابصار ج اللطيف الخبير ه من
ربكم ج لابتداء الشرط مع فاء التعقيب فلنفسه ج لذلك مع الواو فعليها ط بحفيظ ه يعلمون ه من ربك ج لاحتمال الجملة الحال والاستيناف على انها جملة معترضة
الا هو ط للعطف مع العارض المشركين ه ما اشركوا ط حفيظا ج للابتداء بالنفي مع اتحاد المعنى بوكيل ه بغير علم ط يعملون ه ليؤمنن بها ط وما يشعركم ط لمن قرأ انها بكسر
الالف لا يؤمنون ه يعمهون ه التفسير لما نبه اجمالا بقوله بغير علم على الدليل الدال على ابطال من خرق له بنين وبنات فصل ذلك بقوله بديع
السموات والارض الاية والمراد هو مبدع السموات ويجوز ان يكون بديع مبتدأ والجملة بعده خبره وتقرير الدليل انكم اما ان تريدوا بكون
عيسى ولدا لله انه احدثه على سبيل الابداع من غير تقدم نطفة ولا اب وح يلزمكم القول بانه والد السموات والارض لكونه مبدعا لهما و
هذا باطل بالاتفاق واما ان تريدوا به الولادة كما هو المألوف في الحيوانات وهذا ايضا محال لان تلك الولادة لا تصح الا ممن كانت له صاحبة
من جنسه وينفصل منه جزء يحتبس في رحمها وهذه الاحوال انما تثبت في الجسم الذي يصح عليه الاجتماع والافتراق والحركة والسكون والحد
والنهاية والشهوة واللذة وكل ذلك على الله محال واشار الى هذا بقوله انى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وايضا الولد بهذا الطريق
انما يتصور في حق من لا يقدر على خلق الاشياء دفعة واحدة اما الذي اذا اراد شيئا فانما يقول له كن فيكون فذلك في حقه مستحيل والى هذا
اشار بقوله خلق كل شيء وايضا هذا الولد لا يكون ازليا والا كان واجبا لذاته غنيا عن غيره فبقي ان يكون حادثا فيقول انه تعالى عالم بكل
المعلومات ازلا وابدا كما قال وهو بكل شيء عليم فان كان قد علم ان له في تحصيل ذلك الولد كمالا او نفعا او لذة لتعلقت ارادته بايجاده
في الازل دفعا لذلك الاحتياج والنقصان فيكون الولد ازليا على تقدير كونه حادثا هذا خلف فتبين ان اله العالم فرد واحد صمد منزه
عن الشريك والنظير والامثال والاضداد والاولاد فلهذا صرح بالنتيجة فقال ذلكم الله فاسم الاشارة مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم الموصوف
الجامع لتلك الصفات المقدسة هو الله الى آخره وانما قال ههنا لا اله الا هو خالق كل شيء وفي المؤمن بالعكس لانه وقع ههنا ذكر بعد الشركاء
والبنين والبنات فكان رفع الشرك اهم وهنالك وقع بعد ذكر خلق السموات والارض فكان تقديم الخالقية اهم ثم قال فاعبدوه وهو مسبب
عن مضمون الجملة المتقدمة يعني ان من استجمعت له هذه الكمالات كان حقيقا بالعبادة وهو مع تلك الصفات على كل شيء وكيل يحفظ ويدبر
ويراقب قال في التفسير الكبير انه سبحانه اقام الدليل على وجود الخالق ثم نبه على طريقة من اثبت له شريكا وهذا القدر لا يوجب التوحيد لكن للعلماء
في اثبات التوحيد طرق منها ان الدليل قد دل على وجود صانع والزائد على الواحد لم يدل دليل على ثبوته فليس عدد اولى من عدد آخر فيلزم الطرق الى
ما لا نهاية لها او القول بعدد معين بلا ترجيح وكلاهما محال فلم يبق الا الاكتفاء بواحد وهو المطلوب ومنها انا لو قدرنا الهين قادرين على كل المقدورات
عالمين بكل المعلومات فكل فعل يفعله احدهما صار كونه فاعلا لذلك الفعل مانعا للآخر من تحصيل مقدوره وذلك يوجب ان يكون كل واحد يعجز
الآخر وهو محال وان كان في احدهما عجز ونقص لم يصلح للالهية ومنها انا لو فرضنا الها ثانيا لكان اما ان يكون الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال
او لا وعلى الاول لا بد ان يحصل الامتياز بامر ما والا لم يحصل التعدد فذلك المميز ان كان من صفات الكمال كان مشتركا بينهما وان كان من صفات النقص فا
لموصوف به لا يصلح للالهية وكذا ان لم يكن الثاني مشاركا للاول في جميع صفات الكمال فثبت التوحيد بهذه الدلائل مع ان الدليل النقلي في التوحيد
كاف والله اعلم قالت الاشاعرة عموم قوله خالق كل شيء يدل على انه خالق افعال العباد وقالت المعتزلة انما ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولكنه لا
يتمدح بخلق الزنى والكفر واللواط عورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وايضا احتج كثير من المعتزلة بها على نفي الصفات وعلى ان القرآن مخلوق اما
الثاني فلان القرآن شيء فيدخل تحت العموم واما الاول فلان الصفات لو كانت موجودة له تعالى لزم ان يكون مخلوقة له واجيب بانكم تخصصون
هذا العام بحسب ذاته ضرورة انه يمتنع ان يكون خالقا لنفسه وبحسب افعال العباد فنحن ايضا نخصصه بحسب الصفات وبحسب القرآن واما الفرق بين قوله
وخالق كل شيء وقوله خلق كل شيء فذلك لان الاول يتعلق بالزمان الماضي والثاني يتناول الاوقات كلها على سبيل الاستمرار ثم بين انه تعالى



من القوى المدركة لا يحيط بجميع صفاته وان عقلا من العقول لا يقف على كنه صفة من صفاته فقال لا تدركه الابصار هذه الاية من مشهورات استدلالات
المعتزلة على نفي رؤيته تعالى قالوا الادراك بالبصر عبارة عن الرؤية بدليل ان قول القائل ادركته ببصري ورأيته معناه واحد ثم ان قوله لا تدركه
الابصار يقتضي انه لا يراه شيء من الابصار في شيء من الاحوال بدليل صحة الاستثناء وايضا انه ذكر في معرض المدح والثناء وكل ما كان عدمه مدحا ولم
يكن ذلك من باب الفعل كان ثبوته نقصا كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد فوجب كون الرؤية نقصا في حقه تعالى وانما قيد وانما
لا يكون من باب الفعل لانه تعالى يمدح بنفي الظلم عن نفسه في قوله وما ربك بظلام للعبيد مع انه تعالى قادر على الظلم عندهم واجيب بالمنع من ان ادراك
البصر عبارة عن الرؤية لانه في اصل اللغة موضوع للوصول واللحوق ومنه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي لملحقون وقوله تعالى حتى اذا ادركه الغرق
اي لحقه وادرك الغلام اي بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت واذا ثبت ذلك فنقول الرؤية جنس والادراك اي ادراك البصر نوع منه مع الاحاطة ولا
يلزم من نفي الخاص نفي العام فلا يلزم من نفي ادراك البصر نفي الرؤية سلمنا ان ادراك البصر عبارة عن الرؤية لكن قوله لا تدركه الابصار لا يفيد
الا نفي العموم وانتم تدعون عموم النفي فاين ذاك من هذا وانما قلنا انه لا يفيد الا نفي العموم لان صيغة الجمع كما يحمل على الاستغراق فقد يحمل على المعهود
السابق ايضا فقوله لا تدركه الابصار يفيد انها لا تدركه اذا تبدلت صفاتها وتغيرت احوالها في الاخرة او نقول قول القائل لا يدركه جميع الابصار يفيد
سلب العموم ولا يفيد عموم السلب فلم لا يجوز ان يفيد انه يدركه بعض الابصار ان محمدا ما امن به كل الناس فانه يفيد انه امن به بعض الناس
سلمنا ان الابصار لا تدركه لكن لم لا يجوز حصول ادراك الله تعالى بحاسة سادسة يخلقها الله تعالى يوم القيمة كما هو مذهب ضرار بن عمرو
الكوفي او نقول سلمنا ان الابصار لا تدركه فلم قلتم ان المبصرين لا يدركونه اما قولهم ان الاية مذكورة في معرض المدح فنقول لو لم يكن الله تعالى
جائز الرؤية لما حصل المدح بقوله لا تدركه الابصار انما يحصل التمدح لو كان بحيث يصح رؤيته ثم انه تعالى يحجب الابصار عن رؤيته لغاية جلاله
ونهاية جماله والتحقيق فيه ان النفي المحض والعدم الصرف لا يكون موجبا للمدح والعلم به ضروري بل اذا كان النفي دليلا على حصول صفة ثابتة
من صفات المدح قيل ان ذلك النفي يوجب التمدح كقوله لا تأخذه سنة ولا نوم فانه لا يفيد المدح نظرا الى هذا النفي فان الجماد ايضا لا
تأخذه ولا نوم الا ان هذا النفي في حق الباري تعالى يدل على كونه عالما بجميع المعلومات من غير تبدل ولا زوال فقوله لا تدركه الابصار يمتنع ان
يفيد المدح الا اذا دل على معنى موجود وذلك ما قلناه من كونه قادرا على حجب الابصار ومنعها عن الاحاطة به فثبت بما ذكرنا ان هذه الاية
عليكم لا لكم لانها افادت انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته ثم نقول اذا ثبت ذلك يجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيمة لان القائل قائلان
قائل بجواز الرؤية مع ان المؤمنين يرونه وقائل لا يرونه ولا يجوز رؤيته واذا بطل هذا القول بقي الاول حقا لان القول بجواز رؤيته مع
انه لا يراه احد قول لم يقل به احد وهذا استدلال لطيف ثم ان الفاضل استدل ههنا على نفي الرؤية بوجوه اخر خارجة عن التفسير لائقة
بالاصول فاولها ان الحاسة اذا كانت سليمة وكان المرئي حاضرا وكانت الشرائط المعتبرة حاصلة وهو ان لا يحصل القرب القريب والبعد البعيد
وارتفع الحجاب وكان المرئي مقابلا او في حكم المقابل فانه يجب حصول الرؤية والا لجاز ان يكون بحضرتنا بوقات وطبول ونحن لا نسمعها ولا
نراها وهذا يوجب السفسطة اذا ثبت هذا فنقول القرب القريب والبعد البعيد والحجاب والمقابلة في حقه تعالى ممتنع فلو صحت رؤيته كان المقتضي
لحصول تلك الرؤية سلامة الحاسة وكون المرئي بحيث يصح رؤيته وهذان المعنيان حاصلان في هذا الوقت فوجب ان يحصل رؤيته وحيث
لم يحصل علمنا ان رؤيته ممتنعة في نفسها واجيب بان ذاته تعالى مخالفة لسائر الذوات ولا يلزم من ثبوت حكم لشيء ثبوت مثله فيما يخالفه
وثانيها لو صحت رؤيته لاهل الجنة لرآه اهل النار ايضا لان القرب والبعد والحجاب ممتنع في حقه تعالى واجيب بانه لم لا يجوز ان يخلق الله تعالى الرؤية
في عيون اهل الجنة ولا يخلقها في عيون اهل النار وثالثها ان كل ما كان مرئيا كان مقابلا او في حكم المقابل والله تعالى منزه عن ذلك واجيب
بمنع الكلية وبالتزام اعادة لعين الدعوى لان النزاع واقع في ان الموجود الذي لا يكون مختصا بمكان وجهة هل يجوز رؤيته ام لا ورابعها ان اهل الجنة
يلزم ان يروه في كل حال حتى عند الجماع لان القرب والبعد عليه تعالى محال ولان رؤيته اعظم اللذات وفوات ذلك يوجب الغم والحزن وذلك
لا يليق بحال اهل الجنة واجيب بانه لعلهم يشتهون الرؤية في حال دون حال كسائر الملاذ والمنافع في تعديد الوجوه الدالة على جواز الرؤية منها
هذه الاية كما بينا ومنها هذه الاية كما بيناه ومنها ان موسى ع طلب الرؤية فدل ذلك على جوازها ومنها انه تعالى علق الرؤية على استقرار
الجبل والمعلق على الجائز جائز ومنها قوله للذين احسنوا الحسنى وزيادة وقد اتفق الجمهور على ان النبي صلى الله عليه وآله فسر الحسنى بالجنة والزيادة بالرؤية
ومنها قوله فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو ذلك من الايات الدالة على اللقاء ومنها قوله كانت لهم جنات الفردوس نزلا والاقتصار على النزل لا
يجوز فلا بد على جنات الفردوس لا يكون الا اللقاء ومنها قوله ولقد رآه نزلة اخرى وسوف يأتي في سورة النجم ان شاء الله تعالى ومنها قوله وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة ومنها قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فيكون المؤمنون غير محجوبين ومنها قوله فيها ما تشتهيه الانفس ولا
شك ان القلوب الصافية مجبولة على حب معرفة الله على اكمل الوجوه واكمل طرق المعرفة هو العيان ومنها قوله واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا فيمن
قرأ بفتح الميم وكسر اللام واما الاخبار فكثيرة منها الحديث المشهور سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته والمراد تشبيه الرؤية
بالرؤية في الجلاء والوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي ومنها ان الصحابة اختلفوا في ان النبي صلى الله عليه وآله هل رأى الله تعالى ليلة المعراج ولم يكفر بعضهم بعضا

في الدنيا وانما تدركه



التشبيه فدل ذلك على انهم كانوا يجمعون على امكان الرؤية واما قوله تعالى وهو يدرك الابصار ففيه دليل على انه سبحانه مبصر للمبصرات راء للمرئيات مطلع
على خفياتها عالم بحقائقها وذاتياتها ثم قال وهو اللطيف الخبير وليس المراد باللطافة ضد الكثافة وهو رقة القوام فان ذلك من صفات الاجسام
بل المراد لطف صنعه في تركيب ابدان الحيوانات من الاجزاء الدقيقة والاغشية الرقيقة والمنافذ الضيقة التي لا يعلمها الا مبدعها او المراد انه لطيف في
الانعام والرحمة لا يامرهم فوق طاقتهم وينعم عليهم فوق استحقاقهم او الغرض انه يثني عليهم بالطاعة ويقطع احسانه عنهم بالمعصية او المراد انه يلطف عن ان يدركه الابصار
الخبير بكل لطيف فلا يلطف شيء عن ادراكه ثم انه تعالى حكى عن رسوله في تقرير امر الدعوة والرسالة فقال قد جاءكم بصائر هي موجباتها او البصيرة للقلب بمنزلة البصر للعين
فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر قالت المعتزلة فيه تصريح بان العبد متمكن من الامرين الفعل والترك
وعورض بالعلم والداعي وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم ثم حكى شبهة المنكرين بقوله وكذلك
اي مثل ذلك التصريف البليغ نصرف الايات نأتي بها متواترة حالا بعد حال وليقولوا عطف على محذوف اي لتلزمهم الحجة وليقولوا درست نصرفها
ومعنى درست قرأت وتعلمت من الدرس ومن قرأ دارست اي قرأت على اليهود وقرأوا عليك وجرت بينك وبينهم مدارسة ومذاكرة واما قراءة
ابن عامر درست فهي من الدروس بمعنى ان هذه الايات تقدمت وعفت هذه الاخبار التي تتلوها علينا من جملة اساطير القرون الخالية قالت العلماء
التركيب يدل على التذليل والتليين لان من درس الكتاب فقد ذلله بكثرة القراءة ومنه قيل للثوب الخلق درس لانه قد لانه فكانه تعالى ذكر الوجه
الذي لاجله صرف الايات وهو امران احدهما وليقولوا درست والثاني قوله ولنبينه اما الثاني فلا اشكال فيه لانه بين ان الحكمة في هذا التصريف ان
يظهر منه البيان والعلم والضمير في لنبينه للايات لانها في معنى القرآن او يعود الى القرآن وان لم يجر له ذكر للعلم به او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل
نحو ضربته الضرب واما الاول فقد اورده على ان قولهم للرسول دارست كفر منهم بالقرآن والرسول وعلى هذا ينعقد مسئلة الجبر والقدر اما الاشاعرة
فاجروا الكلام على ظاهره وقالوا معناه انا ذكرنا هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا على كفر وتنبيه لبعض فيزدادوا
ايمانا على ايمان كقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما المعتزلة فقال الجبائي منهم والقاضي ان هذا الاثبات محمول على النفي والتقدير ونصرف
الايات لئلا يقولوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لئلا تضلوا والمراد لام العاقبة وزيف بان حمل الاثبات على النفي تحريف لكلام الله وفتح هذا الباب
يخرج الكتاب عن ان يكون حجة وايضا انه مناف للمقصود لان انزال الايات بحيث يفهمها هو الذي اوقع الشبهة للقوم في ان محمدا انما اتى بها لانه على
سبيل المدارسة والمذاكرة مع اقوام اخرين ولهذا كانوا يقولون لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فالجواب ان الذي ذكروه انما يصح لو كان التصريف
علة لان يمتنعوا من هذا القول لكنه موجب له فسقط كلامهم وايضا حمل اللام على لام العاقبة مجاز وحمل الكلام على الحقيقة اولى ثم انه لما حكى عن الكفار
انهم ينسبونه في شأن القرآن الى الافتراء والى انه تدارس اقواما واستفاد هذه العلوم منهم ثم نظمها قرآنا وادعى انه نزل عليه من الله اتبعه قوله
اتبع ما اوحي اليك من ربك لئلا يصير ذلك القول سببا لفتوره في تبليغ الدعوة والرسالة والمقصود تقوية قلبه وازالة الحزن الذي يعتريه
بسماع تلك الشبهة ونبه بالجملة المعترضة او الحال المؤكدة وهي قوله لا اله الا هو على انه سبحانه لما كان واحدا في الالهية فانه تجب طاعته ولا
يجوز الاعراض عن تكاليفه بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزائغين ثم ختم الاية بقوله واعرض عن المشركين وحمله بعضهم على انها منسوخة باية القتال
وضعف بان المراد ترك مقابلتهم فيما ياتونه من سفه وان يعدل صلوات الله عليه الى الطريق الذي يكون اقرب الى القبول وابعد عن
التنفير والتغليظ ولو شاء الله ما اشركوا مذهب الاشاعرة فيه ظاهر وحمله المعتزلة على مشيئة الالجاء والقسر واجيب بعد المعارضة بالعلم و
الداعي بان الايمان الاختياري عندهم انفع وافضل من الايمان القهري الا انه تعالى لما علم ان ذلك لا يقع ولا يحصل فقد كان يجب في حكمته ان
يخلق الله فيهم الايمان القهري كي يخلص من العقاب وان لم يجب له الثواب كما ان الاب المشفق اذا علم ان ابنه لا يحسن الغوص يقول له اترك الغوص في
البحر ولا تطلب اللآلي فانك لا تجدها واكتف بالرزق القليل مع السلامة فاما ان يامره بالغوص مع الجزم اليقين التام بانه لا يستفيد منه الا الهلاك
فان ذلك من الرحمة والشفقة بمعزل ثم ختم الكلام بما يكمل به بصيرة الرسول صلى الله عليه وآله وذلك انه بين له قدر ما جعل اليه فذكر انه ما جعله
اليه فذكر انه ما جعله حفيظا ولا وكيلا عليهم وانما فوض اليه الابلاغ والانذار ثم انهم لما نسبوا الرسول صلى الله عليه وآله الى انه جمع القرآن بطريق المدارسة وكان
كان لا يبعد ان يغضب له المسلمون فيسبوا الهتهم لسبب ذلك نهى الله تعالى عن ذلك فقال ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وذلك
ان المسلمين اذا شتموا الهتهم فربما غضبوا فذكروا الله بما لا ينبغي من القول وفيه تنبيه على ان خصمك اذا شافهك بجهل وسفاهة لم يجز لك
ان تقدم على مشافهته بما يجري مجرى كلامه فان ذلك يوجب فتح باب المشاتمة والمسافهة وانه لا يليق بالعقلاء قال ابن عباس لما نزل انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم قال المشركون لئن لم تنته عن سب الهتنا وعيبها لنهجون الهك فنزلت وقال السدي لما حضر ابا طالب الوفاة قالت
قالت قريش انطلقوا فلندخل على هذا الرجل فلنأمره ان ينهى عنا ابن اخيه فانا نستحيي ان نقتله بعد موته فتقول العرب كان يمنعه فلما مات قتلوه
فانطلق ابو سفيان وابو جهل والنضر بن الحارث وامية وابي ابنا خلف وعقبة بن ابي معيط وعمرو بن العاص والاسود بن البختري الى ابي طالب
فقالوا انت كبيرنا وسيدنا وان محمدا قد اذانا واذى الهتنا فنحب ان تدعوه فتنهاه عن ذكر الهتنا ولندعه والهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وآله
فقال له ابو طالب هؤلاء قومك وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ماذا تريدون قالوا نريد ان تدعنا والهتنا وندعك والهك فقال ابو طالب

افتعلوا لما تقدم اي وليقولوا

نبينا اي صرفنا



الهتنا او لنشتمنك مع

قد انصفك قومك وبنو عمك فقال رسول الله ص ارايتم ان اعطيتكم هذا هل انتم معطى كلمة ان تكلمتم بها ملكتم بها العرب ودانت لكم بها
العجم قال ابو جهل نعم وابيك لنعطينكها وعشر امثالها فما هي قال قولوا لا اله الا الله فابوا واشمازوا فقال ابو طالب قل غيرها يا ابن اخي فان قومك
قد فزعوا منها فقال يا عم ما انا بالذي اقول غيرها ولو اتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا او لنشتمنك ومن
يامرك فانزل الله تعالى هذه الاية قالت العلماء ان القوم كانوا مقرين بوجود الاله تعالى فكيف يتصور اقدامهم على شتم الله واجيب بانه ربما كان بعضهم قائلا
بالدهر ونفي الصانع فما كان يبالي هذا النوع من السفاهة او لعل مرادهم شتم الرسول صلى الله عليه وآله فاجرى الله تعالى شتمه مجرى شتم الله كما في قوله
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله او لعلهم من جهالتهم اعتقدوا ان الشيطان يحمله على ادعاء الرسالة ثم سموا ذلك الشيطان بانه اله
محمد صلى الله عليه وآله وههنا سؤال وهو ان شتم الاصنام من اصول الطاعات فكيف يحسن من الله تعالى ان ينهى عنه والجواب ان هذا الشتم وان كان طاعة
الا انه اذا وقع على وجه يستلزم منكرا وجب الاحتراز عنه لان هذا الشتم كان يستلزم اقدامهم على شتم الله سبحانه وشتم رسوله وفتح باب السفاهة و
تنفيرهم عن قبول الدين وادخال الغيظ والغضب في قلوبهم وفيه ان الامر بالمعروف قد يقبح اذا ادى الى ارتكاب منكر والنهي عن المنكر يقبح اذا ادى الى
زيادة منكر وغلبة الظن قائمة مقام العلم في هذا الباب وفيه تاديب لمن يدعو الى الدين كيلا يتشاغل بما لا يفيد في المطلوب فان وصف الاوثان
بانها جمادات لا تنفع ولا تضر يكفي في القدح في الهيتها فلا حاجة مع ذلك الى شتمها يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء اذا ظلم ظلما مجاوزا للقدر
قال الزجاج عدوا منصوب على المصدر لان المعنى فيعدوا عدوا وقرئ عدوا بفتح العين والتشديد او في حال كونهم اعداء ومعنى بغير علم على جهالة
بالله وبما يجب ان يذكر به كذلك اي مثل ذلك التزيين زينا لكل امة عملهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على انه تعالى هو الذي زين للكافر الكفر وللمؤمن
الايمان وللعاصي المعصية ونظيره الكعبي بقوله تعالى زين لهم الشيطان اعمالهم وبقوله والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت فاذن المراد انه تعالى زين لهم
ما ينبغي لهم ان يعملوا وهم لا يفقهون او المراد زينا لكل امة من امم الكفار عملهم اي خليناهم وشانهم وامهلناهم حتى حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان
حتى زين لهم او زينا في زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا فضعف بعد المعارضة بالعلم وحضور الداعي بان قوله تعالى كذلك زينا بعد قوله
فيسبوا الله مشعر بان اقدامهم على ذلك المنكر انما كان بتزيين الله تعالى وايضا الانسان لا يختار الكفر والجهل ابتداء مع العلم بكونه كفرا و
جهلا والعلم بذلك ضروري بل انما يختاره لانه اعتقد كونه ايمانا وعلما وحقا وصدقا ولولا سابقة الجهل الاول والا لما اختار الجهل الثاني ولا
يذهب الجهالات الى غير النهاية فلا بد ان ينتهي الى جهل اول يخلقه الله تعالى فيه وهو بسبب ذلك الجهل ظن الكفر ايمانا والجهل علما قال واقسموا بالله
جهد ايمانهم والغرض حكاية شبهة اخرى لهم وهي ان هذا القرآن كيف ما كان امره فليس من جنس المعجزات البتة ولو انك يا محمد جئتنا بمعجزة باهرة و
قاهرة لآمنا بك واكدوا هذا المعنى بالايمان والاقسام قال الواحدي انما سمي اليمين بالقسم لان اليمين موضوعة لتوكيد الخبر وكانت الحاجة الى ذكر
الحلف عند انقسام الناس وقت سماع الخبر الى مصدق ومكذب بمعنى الاقسام ازالة القسمة وجعل الناس كلهم مصدقين بواسطة الحلف واليمين عن محمد
ابن كعب قال كلمت رسول الله صلى الله عليه وآله قريش فقالوا يا محمد تخبرنا ان موسى كانت معه عصا فضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وان عيسى
كان يحيي الموتى وان صالحا كانت له ناقة فائتنا ببعض تلك الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله ص اي شيء تحبون ان آتيكم به قالوا تجعل لنا الصفا
ذهبا قال فان فعلت تصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعون فقام رسول الله ص يدعو فجاءه جبرئيل ع فقال ان شئت اصبح الصفا
ذهبا ولكن لم ارسل آية فلم يصدق بها الا انزلنا العذاب وان شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله ص اتركهم حتى يتوب تائبهم و
انزل الله الآيات الى قوله ولكن اكثرهم يجهلون قال الكلبي ومقاتل اذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه وقال الزجاج معناه بالغوا في الايمان والمراد
بقوله ان جاءتهم آية ما روينا من جعل الصفا ذهبا وقيل هي الاشياء المذكورة في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا الآيات وقيل كان النبي صلى
الله عليه وآله يخبرهم بان عذاب الاستيصال كان ينزل بالامم المتقدمين من المكذبين فالمشركون طلبوا امثالها قل انما الآيات عند الله اي هو مختص
بالقدرة على امثال هذه الآيات لان المعجزات لا يحصل الا بتخليق الله تعالى او المراد بالعندية هو العلم بان احداث هذه المعجزات هل يقتضي ايمانهم
ام لا كقوله وعنده مفاتح الغيب والمراد انها وان كانت معدومة في الحال الا انه تعالى متى شاء احداثها احدثها وليس لكم ان تتحكموا في طلبها كقوله
وان من شيء الا عندنا خزائنه وما يشعركم ما استفهام والجملة خبره ثم من قرأ انها بكسر الهمزة على الابتداء وهي القراءة الجيدة فالتقدير وما يشعركم ما
يكون منهم ثم ابتدأ فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون واما قراءة الفتح فقال سيبويه سألت الخليل عن ذلك فقال لا يحسن لانها تصير عذرا للكفار
لان معنى قول القائل ما يدريك انه لا يفعل هو انه يفعل فمعنى الآية انها اذا جاءت آمنوا وذلك يوجب مجيء هذه الآيات ويصير هذا الكلام عذرا لهم
في طلبها لكن القراءة لما كانت متواترة فالقوم ذكروا للعلماء فيه وجوها قال الخليل ان بمعنى لعل تقول العرب ائت السوق انك تشتري لنا شيئا اي لعلك
ويقوي هذا الوجه قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وثانيها ان يجعل لا صلة كما في قوله ما منعك الا تسجد وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون
وثالثها ان المؤمنين كانوا يطمعون في ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله وما يدريكم ايها المؤمنون انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون
ما سبق به علمي من انهم لا يؤمنون واما من قرأ لا تؤمنون بتاء الخطاب فالمراد وما يشعركم ايها الكفار قال القاضي والجبائي في الآية دلالة على انه تعالى ان يفعل كل
ما هو مقدور من الالطاف اذ لو كان في المعلوم لطف يؤمنون عنده ثم انه لا يفعل ذلك لم يكن لتعليل ترك الاجابة بانهم لا يؤمنون وجه وايضا لو كان الا...

الجزء الثامن

فلواثبت اللطف

بخلق الله تعالى ولم يكن لفعل الالطاف اثر في حمل المكلف على الطاعات لم يكن لاظهار تلك المعجزات اثر واجيب بان تاثير المعجزات عندهم مبني على وجوب اللطف
بل لزم الدور وبان الاية التي بعد هذا وهو قوله ونقلب افئدتهم وابصارهم تدل على ان الكفر والايمان بقضاء الله وقدره ومعنى تقليب الافئدة
والابصار هو انهم اذا جاءتهم الايات القاهرة التي اقترحوها وعرفوا كيفية دلالتها على صدق الرسول الا انهم اذا قلب قلوبهم وابصارهم عن ذلك الوجه
الصحيح بقوا على الكفر ولم ينتفعوا بتلك الايات والتقليب تحريك الشيء عن وجهه وكان صلى الله عليه واله يقول يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلبي
على دينك والمراد انه تعالى يقلب القلوب تارة من دواعي الخير الى داعي الشر وبالعكس وانما قدم ذكر تقليب الافئدة على تقليب الابصار لان موضع الدواعي
والصوارف هو القلب فاذا حصلت الداعية في القلب انصرف البصر عنه والحاصل ان السمع والبصر اثنان للقلب فلهذا السبب وقع الابتداء بتقليب
القلب قال الجبائي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم في جهنم على لهب النار وحرها لنعذبهم وزيف بان قوله ونذرهم انما يحصل في الدنيا وهذا
يستلزم سوء النظم وقال الكعبي المراد ونقلب افئدتهم وابصارهم بانا لا نفعل لهم ما نفعل بالمؤمنين من الفوائد والالطاف حيث اخرجوا انفسهم عن
هذا الحد بسبب كفرهم وضعف بانهم انما استحقوا الحرمان من تلك الالطاف والفوائد بسبب اقدامهم على الكفر وهو الذي اوقع نفسه في ذلك الحرمان فكيف
يحسن اضافته الى الله تعالى في قوله ونقلب وقال القاضي القلب باق على حالة واحدة الا انه تعالى ادخل التقليب والتبديل في الدلائل واعترض بان
تقليب القلب نقله من صفة الى صفة ومن حالة الى حالة اما قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة فقال الواحدي فيه حذف والتقدير ولا يؤمنون بهذه الايات
كما لم يؤمنوا بظهور الايات اول مرة يعني اول مرة اتتهم الايات مثل انشقاق القمر وغيره والكناية في به اما عائدة الى القران او الى محمد صلى الله عليه واله
او الى ما طلبوا من الايات وقيل الكافر يحب الجزاء لما لم يؤمنوا اول مرة فكذلك نقلب افئدتهم وابصارهم عقوبة لهم قال الجبائي ونذرهم اي لا نحول بينهم
وبين اختيارهم ولا نمنعهم بمعاجلة الهلاك وغيره لكنا نمهلهم فان اقاموا على طغيانهم فذلك من قبلهم وانه يوجب تاكيد الحجة عليهم وقالت الاشاعرة
انا نقلب افئدتهم من الحق الى الباطل ونتركهم في ذلك الطغيان والضلال والعمه التاويل قد جاءكم بصائر وهي دلالات السعادات الباقية فمن ابصرها
بنظر البصيرة فاشتغل بتحصيلها واقبل على الله بسلوك سبيلها فذلك تحصيل لنفسه فان الله غني عن العالمين ومن عمي فعليها العكس ولا تسبوا الذين يدعون
لا يخاطبوا اهل الضلال على موجب نوازع النفس والطبيعة فيحملهم ذلك على ترك الاجلال واظهار الضلال بل خاطبوهم بلسان الحجة والزام
الحجة ونفي الشبهة واقسموا بالله حسبوا ان البرهان يوجب الايمان ولم يعلموا انهم مقهورون تحت حكم السلطان وما يغني وضوح الادلة لمن لم يدركه
سوابق الرحمة ونقلب افئدتهم عن الاخرة الى الدنيا وابصارهم عن شواهد المولى الى مشاهد النفس والهوى كما انهم لم يؤمنوا يوم الميثاق انقلت الست بربكم قالوا
بلى



وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ
واگر چنانچه ما فرستادیم بسوی ایشان فرشتگان را و گفتگو کردندی با ایشان مردگان و گرد آوردیم بر ایشان هر چیزی را بارویی نبودند که بگروند مگر آنکه بخواهد خدا
اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ
خدا و لیکن بیشتر ایشان نادانانند و همچنین گردانیدیم از برای هر پیغمبری دشمنی را از دیوان انس و پری که وحی کنند بعضی از ایشان بسوی بعضی بیهوده گفتار را
غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَ
از جهة فریب اگر خواستی پروردگار تو نکردندی آن را پس واگذار ایشان را در آنچه دروغ گویند و تا میل کنند بآن دلهای آنان که نگروند بروز واپسین و تا پسندند آن را
لِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ ۝ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ
و تا اندوزند آنچه ایشان اندوزندگانند آیا غیر خدا را بجویم داوری و اوست آنکه فرو فرستاد بسوی شما کتاب را هویدا کرده و آنان که دادیم ایشان را
الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۝ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَا
کتاب میدانند که آن فرود آمده از پروردگار تو براستی پس مباش تو از شک آورندگان و تمام است سخن پروردگار تو از راستی و عدالت نیست
مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنْ
تغییر دهنده مر کلمات او را و اوست شنونده دانا و اگر پیروی کنی بیشتر آنها را که در زمین هستند بیرون برند تو را از راه خدا
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ
پیروی نمیکنند بجز گمان را و نباشند ایشان مگر دروغ میگویند بدرستی که پروردگار تو او داناتر است از آنکه بیرون رود از راه خود و او داناتر است
بِالْمُهْتَدِينَ ۝ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ
براه یافتگان پس بخورید از آنچه ذکر شد نام خدا بر او اگر باشید بآیات او گروندگان و چیست بر شما که نخورید از آنچه یاد شد نام خدا
عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ
بر او و حال آنکه ظاهر ساخت برای شما آنچه را که حرام گردانید بر شما مگر آنچه را که ناچار شدید بسوی آن و بدرستی که بسیاری براینه گمراه میشوند بهواهای خود بدون دانش بدرستی که پروردگار تو
هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ۝ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ۝ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا
او داناتر است به از حد گذرندگان و بگذارید گناه فاش و پنهان آن را بدرستی آنان که کسب کنند گناه را زود باشد که جزا داده شوند بآنچه بودند دروغ میگفتند و مخورید از آنچه

لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون

یاد کرده نشده است نام خدا بر او وبدرستیکه آن هرآینه نافرمانی است و بدرستیکه دیوان هرآینه وحی کنند بسوی دوستان خود تا خصومت کنند با شما و اگر پیروی کنید ایشان را هرآینه شما مشرکانید

القراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء ابوجعفر ونافع وابن عامر الباقون بضمتين منزل بالتشديد ابن عامر وحفص والمفضل كلمة ربك عاصم وحمزة و
على وخلف عاصم وسهل ويعقوب الباقون كلمات من يضل من الاضلال الاصبهانى عن نصير يضل على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول حمزة وخلف وعاصم
غير حفص والمفضل وقرا ابوجعفر ونافع وسهل ويعقوب وحفص جميعا بالفتح الباقون على البناء للمفعول فيهما ليضلون بضم الياء عاصم وحمزة وعلى وخلف
الباقون بالفتح الوقوف الجزء الثامن يجعلون ط غرورا ط مفترون ه مفصلا ط الممترين ه وعدلا ط لكلماته ج لابتداء الضمير المنفصل مع احتمال الواو للحال اي لا مبدل
لكلماته وهو السميع العليم ه عن سبيل الله ط يخرصون ه عن سبيله ج بالمهتدين ه مؤمنين ه اليه ط بغير علم ط بالمعتدين ه وباطنه ط يقترفون ه لفسق ط ليجادلوكم ج لمشركون ه
التفسير هذا شروع فى جواب ما اجمله فى قوله انها اذا جاءت لا يؤمنون وكان المستهزؤن بالقرآن خمسة الوليد بن المغيرة المخزومى والعاص بن وائل السهمى والاسود بن عبد
يغوث الزهرى والاسود بن المطلب والحارث بن حنظلة اتوا الرسول صلى الله عليه وآله فى رهط من اهل مكة فقالوا ارنا الملائكة تشهدون بانك رسول
الله او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم احق ما تقول ام باطل او ائتنا بالله والملائكة قبيلا اى كفيلا على ما تدعيه فنفى الله تعالى عنهم الايمان وان
اتوا بهذه المقترحات قال ابو زيد لقيت فلانا قبلا ومقابلة وقبلا وقبيلا كلها بمعنى واحد وهو المواجهة رواه الواحدى وقال ابو عبيدة والفراء والزجاج قبلا
بكسر القاف معناه معاينة روى عن ابى ذر قال قلت للنبى صلى الله عليه وآله اكان ادم نبيا قال نعم كان نبيا كلمه الله تعالى قبلا واما قبلا بضمتين فقيل
انه جمع قبيل ومعناه الجماعة يكون من الثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب ولهذا قال الاخفش فى تفسيره اى قبيلا او معناه الكفيل
والعريف من قبل به يتقبل قبالة والمعنى لو حشرنا عليهم كل شئ كفلوا بصحة ما يقول ما امنوا وموضع الاعجاز فيه ان الاشياء المحشورة منها ما ينطق
ومنها ما لا ينطق ومنها حى ومنها ميت فاذا حشرها الله تعالى على اختلاف طبائعها مجتمعة فى موقف واحد ثم انطقها واطبقوا على قبول هذه الكفالة
كان ذلك من اعظم المعجزات اما قوله تعالى ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ايمانهم فقد قالت الاشاعرة فلما لم يؤمنوا دل على انه تعالى ما شاء ايمانهم و
قالت المعتزلة لو لم يرد منهم الايمان لما وجب عليهم الايمان كما لو لم يأمرهم به ولوجب لو اراد الكفر من الكافر لكان الكافر فى كفره مطيعا لله لانه لا
معنى للطاعة الا فعل المراد ولو جاز من الله تعالى ان يريد الكفر لجاز ان يأمر به ولكان ان يأمر بذلك فالمراد من الاية انه شاء من الكل الايمان القسرى والمعنى
ما كانوا ليؤمنوا ايمانا اختياريا الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطرار فحينئذ يؤمنون ونقض بان الاختيار لا بد معه من حصول داعية يترجح بها احد طرفى
الممكن ولا يحصل تلك الداعية الا بتخليق الله تعالى فكانه لا اختيار قال الجبائى قوله الا ان يشاء الله يدل على حدوث المشيئة اذ لو كانت قديمة وهى
الشرط لزم من حصولها حصول المشروط واجيب بانها قديمة الا ان تعلقها باحداث المحدث فى الحال اضافة حادثة ثم ختم الاية بقوله ولكن اكثرهم
يجهلون قالت الاشاعرة اى لا يعلمون ان الكل بقضاء الله وبقدره وقالت المعتزلة انهم لا يدرون انهم يبقون كفارا عند ظهور الايات التى طلبوها
والمعجزات التى اقترحوها فيقسمون بالله جهد ايمانهم من حال قلوبهم ولكن المسلمين يجهلون ان هؤلاء لا يؤمنون الا ان يضطرهم فيطمعون فى ايمانهم
الاختيارى بمجئ الايات المقترحات ثم قال وكذلك قيل انه منسوق على قوله وكذلك زينا لكل امة عملهم وجعلنا وقيل ان المشار اليه محذوف اى وكما خلينا
بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر
وكثرة الثواب والاجر قالت الاشاعرة لا شك ان تلك العداوة معصية وكفر وان جعلها شرفا لانه يدل على ان خالق الخير والشر والطاعة والمعصية
والايمان والكفر هو الله قال الجبائى المراد بهذا الجعل انه حكم وبين فان الرجل اذا حكم بكفر انسان قيل انه كفره واذا اخبر عن عدالته قيل عدله وقال
الكعبى انه امر الانبياء بعداوتهم واعلمهم بكونهم اعداء لهم فاقتضى ذلك انهم صاروا اعداء للانبياء لان العداوة يكون من الجانبين اجاب ابو بكر الاصم
لما ارسل محمدا الى العالمين وخصه بتلك المعجزات صار ذلك التخصيص سببا للحسد والعداوة او البغضاء فهذا هو المراد بجعلهم اعداء له وزيف بان
الافعال مستندة الى الدواعى وهى من الله تعالى وبان العداوة والحسد متعلق بالطبع لا بالارادة والتكلف فلا يقدر عليها الا الله تعالى وانتصاب
الشياطين كما مر فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن قال الزجاج وابن الانبارى عدوا فى معنى الجمع وللقائل ان يقول لا حاجة الى هذا التكلف لصحة قولنا
وكذلك جعلنا لكل واحد من الانبياء عدوا واكثر من عدو واحد عن ابن عباس كل عات متمرد من الجن والانس فهو شيطان وقال مجاهد وقتادة والحسن ان من
شياطين من الانس شياطين الجن اذا اعياه المؤمن ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه بالمؤمن ليفتنه روى ان النبى صلى الله عليه وآله
قال لابى ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت هل للانس من شياطين قال نعم هم شر من شياطين الجن وقيل ان الجميع من ولد
ابليس الا ان الذى يوسوس للانس يسمى شيطان الانس والذى يوسوس للجن يسمى شيطان الجن وزيف بان المقصود من الاية الشكاية من سفاهة الكفار
الذين هم الاعداء وهم الشياطين وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس اشد على من شيطان الجن لانى اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى
وشيطان الانس يجيئنى فيجرنى الى المعاصى عيانا ومعنى الايحاء الايماء والقول السريع اى يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى
بعض وبعض الانس الى بعض وكانه لا يتصور وسوسة الانس الى الجن الا على تقدير القول بالتسخير وزخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء
على المعاصى والتمويه فيه ان الانسان ما لم يعتقد فى امر من الامور خيريته ونفعه لم يرغب فيه ثم ان كان هذا الاعتقاد مطابقا للواقع فهو الحق والصدق

الايمان الاختيارى وما شاء الايمان ٥

اى وكما زينا

واحدا اذ ليس من نبى نص لكل واحد من الانبياء ع



والالهام وكان صادرا من الملك والاكان مزخرفا اى يكون باطنه فاسدا وظاهره مزينا قال الواحدى غرورا نصب على المصدر لان ايحاء الزخرف
من القول في معنى الغرور ولو شاء ربك ما فعلوه استدلال الاشاعرة بظاهره والمعتزلة يحملونه على مشية الالجاء فذرهم وما يفترون منصوب على
انه مفعول معه او مفعول به اى واتركهم وما يفترونه قال ابن عباس يريد ما زين لهم ابليس وغرهم به وفيه تخويف من الكفر وترغيب في الايمان وتسلية لرسول الله
صلى الله عليه وآله وتنبيه له على ما اعد للكفرة من العقاب وله من الثواب بسبب صبره على سفاهتهم وتلطفه بهم الصغو في اللغة الميل يقال صغى السمع
انه صغى اذا مال بحاسته الى ناحية الصوت واصغى الاناء اذا اماله حتى انصب بعضه في البعض ويقال للقمر اذا مال الى الغروب صغى واصغى قال
الجوهري صغا يصغو ويصغى صغوا اى مال وكذلك صغى بالكسر يصغى بالفتح صغى وصغيا واللام في ولتصغى لابد له من متعلق فقالت الاشاعرة التقدير
وانما جعلنا مثل ذلك لتحصيص عداوة النبي لتميل اليه اولياء قوله المزخرف افئدة الكفار فيبعدوا بذلك لتسبب عن قبول دعوة النبي وليرضوه ويختاروا
على انفسهم وليقترفوا ليكتسبوا من الاثام ما هم مقترفون وقال الجبائي ان هذا الكلام خرج مخرج الامر ومعناه الزجر كقوله واستفزز من استطعت
منهم بصوتك وزيف بان حمل لام كى على لام الامر تحريف وقال الكعبي هي لام العاقبة تقديره ولتميل الى ما ذكر من عداوة الانبياء ووسوسة
الشياطين افئدة الكفار جعلنا لكل نبي عدوا وعن ابي مسلم انها معطوفة على موضع غرورا والتقدير يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا
بذلك ولتميل قلوب الكفار الى المذاهب الباطلة واورد عليه ان ميل القلوب الى الاراء الفاسدة هو عين الاغترار فيلزم عطف الشيء على نفسه
وههنا بحث وهو ان الاشاعرة قالوا البنية ليست شرطا للحيوة فالحي هو الجزء الذي قامت الحيوة به والعالم هو الجزء الذي قام العلم به وقالت المعتزلة
الحي والعالم هو الجملة لا ذلك الجزء حجة الاشاعرة انه جعل الموصوف بالميل والرغبة في الاية هو القلب لا جملة الحي وبمثله استدل من جعل المتعلق
الاول للنفس هو القلب لا مجموع البدن ثم انه سبحانه لما ذكر انه لا فائدة لهم في اظهار الايات التي اقترحوها بين بقوله افغير الله ابتغي حكما الاية
ان الدليل الدال على نبوته قد حصل وكمل والزائد على ذلك لا يجب الالتفات اليه وانما قلنا ان الدليل الدال على نبوته قد حصل لوجهين الاول
ان الله تعالى قد حكم بنبوته من حيث انه انزل عليه الكتاب المبين المشتمل على العلوم الكثيرة والفصاحة الكاملة وقد عجز الخلق عن معارضته واشار الى هذا
الوجه بقوله افغير الله ابتغي حكما يعني قل يا محمد انكم تحكمون في طلب سائر المعجزات فهل يجوز في العقل ان يطلب غير الله حكما فان كل احد يقول
ان ذلك غير جائز الوجه الثاني اشتمال التورية والانجيل على ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله حقا وعلى ان القرآن كتاب حق من عند الله
واشار اليه بقوله والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ثم قال فلا تكونن من الممترين والخطاب لكل احد اى اذا ظهرت
الدلائل فلا ينبغي ان يمترى فيه احد وقيل الخطاب للرسول في الظاهر والمراد به الامة وقيل الخطاب للرسول في الحقيقة والمراد التهييج والالهاب
كقوله ولا تكونن من المشركين او المراد فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم قال الواحدي
الحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة وقال بعض اهل التاويل الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم كل من يحكم والحكم هو الذي لا يحكم الا بالحق ثم لما بين ان القرآن
معجز قال وتمت كلمة ربك اى القرآن وقوله صدقا وعدلا مصدران منصوبان على الحال من الكلمة ومعنى تمامها انها وافية كافية في كونها معجزة
دالة على صدق محمد او كافية في بيان ما يحتاج المكلفون اليه الى القيامة علما وعملا او المراد بالتمام انها ازلية لا يحدث بعد ذلك شيء واعلم ان كل ما
حصل في القرآن نوعان الخبر والتكليف فالخبر كل ما اخبر الله تعالى عن وجوده او عن عدمه كالخبر عن وجود ذاته وخصوص صفاته اعني كونه تعالى قادرا سميعا
بصيرا ويدخل فيه الخبر عن صفات التقديس والتنزيه كقوله تعالى لم يلد ولم يولد ولا تأخذه سنة ولا نوم ويدخل فيه الخبر عن اقسام افعال الله
تعالى وكيفية تدبيره لملكوته في السموات والارض وفي عالم الارواح والاجسام ويدخل فيه الخبر عن احكام الله تعالى في الوعد والوعيد والثواب
والعقاب ويدخل فيه الخبر عن اقسام اسماء الله تعالى والخبر عن النبوات واقسام المعجزات والخبر عن احوال الحشر والقيامة وصفات اهل الجنة و
النار والخبر عن احوال المتقدمين والخبر عن المغيبات واما التكليف فيدخل فيه كل امر ونهي توجه منه سبحانه على عبيده سواء كان ملكا او بشرا او جنيا
وسواء كان ذلك في شرعنا او في شرايع الانبياء المتقدمين او في مراسم الملائكة المقربين الذين هم سكان السموات والجنة والنار والعرش وما
وراءهما لا يعلم احوالهم الا الله تعالى فاذن المراد وتمت كلمات ربك صدقا ان كان من باب الخبر وعدلا ان كان من باب التكاليف وهذا ضبط حسن
وقيل ان كل ما اخبر الله تعالى عنه من وعد ووعيد وثواب وعقاب فهو صدق لانه لا بد ان يكون واقعا وهو بعد وقوعه عدل لان افعاله منزهة
عن ان يكون بصفة الظلم ثم قال لا مبدل لكلماته والمعنى ان هؤلاء الكفار يلقون الشبهة في كون القرآن دالا على صدق محمد لا ان تلك الشبهات
لا تأثير لها في هذه الدلالة لا بتنه بجلاء الدلالة ووضوحها او المراد ان كلماته تبقى موصوفة بصفتها مصونة عن التحريف والتغيير كما قال انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون او الغرض انها مبرأة عن التناقض كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا او المعنى ان احكام الله تعالى
لا تتغير ولا تتبدل لانها ازلية والازلي لا يزول وهذا الوجه احد الاصول القوية في اثبات الجبر انه يلزم منه ان لا ينقلب السعيد شقيا وبالعكس
ثم لما اجاب عن شبه الكفار بين انه عند ظهور الحجة وتبين المحجة لا ينبغي للعاقل ان يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله والمضل لا بد ان يكون ضالا اولا يعني بهم الذين ينازعون النبي في الذين غير قاطعين بصحة مذاهبهم كالزنادقة وعبدة الكواكب
والاصنام وكالذين يحرمون البحائر والسوائب والوصائل ويحللون الميتة فيحكمون على الحق بانه باطل وعلى الباطل بانه حق فلا يتبعون الا الظن

دادم



وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ يقدرون انهم على شيء او يكذبون في ان الله احل كذا او حرم كذا واصل الخرص حزر ما على النخل من الرطب تمرا وليس لنفاة
القياس تمسك بالآية من قبل توجه الذم على متبع الظن لان المذموم من اتباع الظن هو الذي لا يستند الى امارة كظن الكفار المستند الى تقليد السلف
فقط اما اذا كان الاعتقاد الراجح مستندا الى امارة فلم قلتم انه كذلك ثم قال إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ والمراد
انك بعدما عرفت ان الحق ما هو والباطل ما هو فلا تكن في قيدهم بل فوض امرهم الى خالقهم لان الله تعالى عالم بان المهتدي من هو والضال من هو فيجازي
كل احد بما يليق بعمله او المراد ان هؤلاء الكفار وان اظهروا من انفسهم ادعاء الجزم واليقين فهم كاذبون والله تعالى عالم باحوال قلوبهم وبواطنهم ومطلع
على تحيرهم في اودية الجهالة وتيه الضلالة قال النحويون ان افعل التفضيل لا يعمل في مظهر ففي الكلام محذوف اي يعلم من يضل عن سبيله فان لم يقدر
محذوف قوي بالباء كما في القلم إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وهذا هو الاصل وانما خص هذه السورة بالحذف موافقة
لقوله اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ثم عدل الى لفظ المستقبل تنبيها على قطع الاضافة لان الاكثر باستعمال افعل ان يستعمل مع الماضي نحو اعلم من دب
ودرج واحسن من قام وقعد وافضل من حج واعتمر فلو لم يعدل الى لفظ المستقبل التبس بالاضافة تعالى الله عن ذلك وجوز بعضهم ان يكون من
للاستفهام كقوله لنعلم اي الحزبين احصى ثم قال فَكُلُوا والفاء مسبب عن نكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم
كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقال الله سبحانه للمسلمين ان كنتم محققين بالايمان فَكُلُوا
مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وهو المذكى بسم الله فان قيل ان القوم كانوا يبيحون ما ذبح على اسم الله تعالى ولا ينازعون فيه وانما النزاع في اكل الميتة فانهم كانوا
يبيحونها والمسلمون يحرمونها فما الحكمة في اثبات الحكم في المتفق عليه وترك الحكم في المختلف فيه فالجواب لعل القوم كانوا يحرمون اكل المذكاة و
يبيحون اكل الميتة فرد الله تعالى عليهم في الامرين بقوله فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ او نقول المراد اجعلوا اكلكم مقصورا على ما ذكر اسم الله عليه وعلى هذا
فيكون المراد تحريم الميتة فقط والله اعلم اما قوله وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ فاكثر المفسرين قالوا المراد به ما فصل في اول المائدة من قوله حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ
الى اخر الآية واعترض عليه بان سورة الانعام مكية والمائدة من اخر ما نزل بالمدينة والآية تقتضي ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل بل الاولى
ان يكون المراد بقوله تعالى بعد هذه الآية قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا الى اخرها فان هذا القدر من التأخر غير ضائر وقوله إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ
اي دعتكم الضرورة الى اكله بسبب شدة المجاعة وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ المبالغة في قراءة ضم الياء اكثر لان كل مضل فانه يكون ضالا وقد يكون الضال
غير مضل قيل انه عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لانه اول من غير دين اسمعيل واتخذ البحائر والسوائب واكل الميتة وقوله بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ
يريد ان عمرو بن لحي اقدم على هذه المذاهب من الجهالة الصرفة وقال الزجاج المراد منه الذين يحللون الميتة ويناظرون في احلالها ويحتجون
عليها بقولهم اذا ما انتم تذبحونه انتم فلان يحل ما يذبحه الله تعالى اولى وكذا كل ما يضلون فيه من عبادة الاوثان والطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وآله
وفي الآية دلالة على ان النزاع في الدين بمجرد التقليد حرام إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ فيجازيهم عليها وفيه من التهديد ما فيه ثم ذكر ما يجب
فقال وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ فقيل ظاهره الزنى في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر قال الضحاك كان اهل الجاهلية يرون الزنى حلالا
ما كان سرا والاصح ان النهي عام اذ لا دليل على تخصيصه ثم قيل المراد ما اعلنتم وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقال ابن الانباري يريد وذروا الاثم
من جميع جهاته كما تقول ما اخذت من هذا المال قليلا ولا كثيرا اي ما اخذته بوجه من الوجوه وقريب منه قول من قال المراد النهي عن الاثم مع بيان
انه لا يخرج عن كونه اثما بسبب اخفائه وكتمانه وقيل المراد النهي عن الاقدام على الاثم ثم قال وباطنه ليظهر بذلك ان الداعي له الى ترك ذلك
الاثم خوف الله لا خوف الناس وقيل ظاهر الاثم افعال الجوارح وباطنه افعال القلوب من الكبر والحسد والعجب وارادة الشر للمسلمين ويدخل
فيه الاعتقاد والعزم والنظر والظن والتمني والندم على افعال الخيرات ومنه يعلم ان ما يوجد في القلب يؤاخذ به وان لم يقترن به عمل إِنَّ الَّذِينَ
يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ اي يكتسبون من الآثام ومنه الاعتراف بمعنى الاكتساب كما يقال التوبة تمحو الحوبة وظاهر النص يدل
على انه يعاقب المذنب البتة الا ان المسلمين اجمعوا على انه اذا تاب لم يعاقب واهل السنة على انه اذا لم يتب احتمل العفو وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ
عَلَيْهِ نقل عن عطاء انه قال كل ما لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام تمسكا بعموم الآية واجمع سائر الفقهاء على تخصيص هذا العموم
بالذبح ثم اختلفوا فقال مالك كل ذبح لم يذكر اسم الله تعالى عليه من طعام او شراب فهو حرام ترك الذكر عمدا او نسيانا وهو قول ابن سيرين وطائفة من المتكلمين
ابو حنيفة ان ترك عمدا حرم وان ترك نسيانا حل الشافعي متروك التسمية عمدا وسهوا حلال اذا كان الذابح مسلما لقوله تعالى وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ والضمير عائد
الى الاكل الذي يدل عليه الفعل او الى الموصول على انه في نفسه فسق مثل رجل عدل او على تقدير حذف المضاف اي وان اكله لفسق وقد اجمع
المسلمون على انه لا يفسق باكل ذبيحة المسلم الذي ترك التسمية ولقوله تعالى وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وهذه المناظرة كانت
في مسئلة الميتة وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة من قتلها اذا ماتت قال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال و
ما قتل الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله الآية فالمراد من الشياطين ههنا ابليس وجنوده وسوسوا الى اوليائهم من المشركين ليخاصموا
محمدا واصحابه في اكل الميتة وقال عكرمة ان الشياطين يعني مردة المجوس ليوحون الى اوليائهم من مشركي قريش وذلك انه لما نزل تحريم الميتة سمعه المجوس
من اهل فارس فكتبوا الى قريش وكانت بينهم مكاتبة ان محمدا واصحابه يزعمون ان ما يذبحونه حلال وان ما يذبحه الله حرام فوقع في انفس ناس من المشركين



شئ نزلت الاية ثم قال وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ يعنى فى استحلال الميتة إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ قال الزجاج وفيه دليل على ان كل من احل شيئا مما حرم الله تعالى او حرم

شيئا مما احل الله فهو مشرك لانه اثبت حاكما سوى الله تعالى ثم قال الشافعى الفسق فى اية اخرى وهى قوله قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا الى قوله او فسقا

أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فصار ما اهل به لغير الله فعلمنا ان الفسق فى هذه الاية ايضا مفسر بذلك ثم عن هذا المقام وهو التمسك بالمخصصات فلم قلتم

انه لم يوجد ذكر الله ههنا لما روى انه صلى الله عليه وآله قال ذكر الله مع المسلم سواء قال او لم يقل فيحمل هذا الذكر على ذكر القلب ونقول هب ان

هذا الدليل يوجب الحرمة الا ان معنا ما يدل على الحل واذا تعارض الحل والحرمة فالحل راجح لان الاصل فى الاشياء الاباحة وللعمومات الدالة

على الحل كقوله خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا كُلُوا وَاشْرَبُوا ولانه مستطاب وقد قال أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ولان الطبع يميل اليه وقد نهى عن

اضاعة المال هذا تقرير مذهب الشافعى ومع ذلك فالاولى بالمسلم ان يحترز عنه لقوة ظاهر النص قال الكعبى فى الاية دلالة على ان الايمان

اسم لجميع الطاعات لانه تعالى سمى مخالفته شركا واجيب بانه لا يجوز ان يراد بالشرك ههنا اعتقاد ان لله شريكا فى الحكم التأويل وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى اى تأويلهم

الميتة وحشرنا اى اريناهم جميع الايات المودعة فى المكونات الا ان يشاء الله فان المشية تغير السجية والعناية الازلية كفاية الابدية ولكن

اكثرهم يجهلون ان الهدى ليس بالمنى وانه بمشية المولى ثم اخبر ان البلاء بالشياطين الى الله هى المطايا فقال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين

الانس هى النفس الامارة التى هى اعدى الاعداء وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ هديناهم بنور الكتاب الى حضرة الجلال فلا تكونن من الممترين فى الان

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ كلامه وقضاؤه فى الازل صدقا فيما قال وعدلا فيما حكم بالوجود والعدم والسعادة والشقاوة والرد والقبول والخير والشر

والحسن والقبح والايمان والكفر واحسن شئ خلقه هو الانسان لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ واكثر شئ هو الانسان عند فساد استعداده

ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ولاهل الكمال ترق فى كمال الحسن الى الابد ولاهل النقصان تسفل فى القبح الى الابد ايضا اظهارا للقدرة الكاملة

غير المتناهية وهو السميع لحاجة كل ذى حاجة العليم بما يستاهله كل موجود وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ وهم اهل الاهواء واقلهم اهل الحق وَإِنْ هُمْ

إِلَّا يَخْرُصُونَ فى دعوى طلب الحق فان سبيل الحق لا تسلك بالهوى انما يسلك بالصدق والهدى فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ من امارات

الايمان ان ياكلوا الطعام بحكم الشرع لا على وفق الطبع ويبدؤا بذكر الله كما قال صلى الله عليه وآله اذيبوا طعامكم بذكر الله فالاكل على الغفلة

والنسيان والاستعانة به على العصيان يورث الجنان والحرمان عن الجنان وقد فصل لكم ما اهل الله ما حرم عليكم وهو الدنيا وما فيها والاخرة

ونعيمها الا ما اضطررتم اليه من ضرورات البشر فى الدارين بامر المولى لا بالطبع والهوى إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ الذين جاوزوا المولى

وركنوا الى الدنيا والعقبى وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ يعنى الاعمال الطبيعية وباطنه يعنى الاخلاق الذميمة الردية سيجزون بما كانوا يقترفون لان

الاخلاق الظلمانية توجب صداء مرآة القلب وتزيدها رينا الى ان يصير حجابا بين العبد وبين الله تعالى ولا تاكلوا واطعاما الا بامر الله وعلى ذكر الله

وفى طلب الله ليندفع بنور الذكر ظلمة الطعام وشهوته وانه يعنى ظلام الطعام يؤدى الى الفسق الذى هو الخروج من النور الروحانى الى الظلمة

النفسانية وان الشياطين يحالا فى الوسوسة اذا كانت النفوس يجادلنه مع القلوب ليدعوها الى متابعة الهوى الله حسبى أَوَمَنْ

كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ

بود مرده پس زنده گردانیدیم او را و قرار دادیم از برای او روشنی که راه رود بان در میان مردمان چون کسی است که در تاریکیها است نیست بیرون آینده از آن همچنین آراسته

لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ

از برای کافران آنچه بودند که میکردند و همچنین قرار دادیم در هر دهی بزرگان گناهکاران تا مکر کنند در آن و مکر نمیکنند مگر بنفسهای خود

وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ

و درک نمیکنند و چون آمد ایشان را آیتی گفتند که نگرویم تا بیاید ما را مانند آنچه داده شده پیغمبران خدا خدا داناتر است که کجا قرار دهد رسالت خود را

سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ۝ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ

زود است که برسد آنها را که گناه کردند خواری در نزد خدا و عذابی سخت بآنچه بودند که مکر میکردند پس هر کرا خدا خواهد که هدایت کند او را بگشاید سینه او را

لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ

از برای اسلام و هر کرا خواهد خدا که گمراه کند او را بگرداند سینه او را تنگ گویا که بالا میشود در آسمان همچنین میگرداند خدای لعنت بر آنانکه

لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ۝ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ

نگروند و اینست راه پروردگار تو که راست است هر آینه بیان کردیم آیات را از برای گروهی که پند گیرند مر ایشانراست بهشت در نزد پروردگار ایشان و اوست

وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ

کارساز ایشان بآنچه بودند که میکردند و روزی که گرد آوریم ایشان را همه گروهی طائفه پریان هر آینه بیشتر شدید از آدمیان و گویند دوستان ایشان از آدمیان

رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ

پروردگارا بهره برد بعضی از ما ببعضی و رسیدیم بمدتیکه قرار دادی برای ما گفت که آتش جایگاه شماست جاویدان در آن مگر آنچه بخواهد خدا بدرستی که پروردگار تو

يوحون الى اوليائهم للشياطين

ع ٢

حَكِيمٌ عَلِيمٌ وَكَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْاِنْسِ اَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ

دادریست دانا و همچنین بگماریم بعضی از ستمکاران را بر بعضی بانچه بودند کسب میکردند ای طائفه پری و آدمی آیا نیامد شما را پیغمبران از جنس شما که حکایت کردند

عَلَيْكُمْ اٰيٰتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلٰى اَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوا كٰفِرِينَ

بر شما آیات من و میترسانیدند شما را از دیدن اینچنین روزی گفتند گواهی میدهیم بر نفسهای خود و فریب داد ایشان را زندگانی دنیا و گواهی دادند بر نفسهای که ایشان بودند کافران

القراءة ميتا بالتشديد ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب رسالته بالنصب للتوحيد ابن كثير وحفص والمفضل الباقون رسالاته على الجمع وبالكسر في موضع النصب ضيقا وبابه بالتخفيف ابن كثير حرجا بكسر الراء ابو جعفر ونافع وسهل وابو بكر وحماد الباقون بالفتح يصعد من الصعود ابن كثير يصاعد من التصاعد بادغام التاء في الصاد ابو بكر وحماد الباقون يصّعد بالادغام من التصعد يحشرهم بياء الغيبة حفص الآخرون بالنون الوقوف بخارج منها يعملون فيها وما يشعرون رسل الله ط رسالاته ط يكرون للاسلام لابتداء شرط اخر مع العطف في السماء ط لا يؤمنون مستقيما يذكرون يعملون جميعا للحذف اي يحشرهم ويقول لهم مع اتحاد المقصود من الانس ج لاوّل لتبدل القائل مع اتفاق الجملتين اجلت لنا ط قال النار يغلظ الصوت على التاء راشارة الى ان النار مبتداء بعد القول وليست فاعله شاء الله ط عليم يكسبون يومكم هذا ط كافرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر ان المشركين يجادلون المؤمنين ضرب مثلا للفريقين فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فجعله الله حيا واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه وان الكافر بمنزلة من هو في الظلمات منغمس فيها لا خلاص له منها فيكون متحيرا على الدوام وهل هما خاصان او عامان فيه قولان الاول قال ابن عباس يريد حمزة بن عبد المطلب وابا جهل وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وآله بفرث وحمزة لم يؤمن بعد فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فانزل الآية وعن مقاتل نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت وعن عكرمة انها نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وعن الضحاك هي في عمر بن الخطاب وابي جهل والقول الثاني انها عامة في كل مؤمن وكافر لحصول المعنى في الكل وانما جعل الكفر موتا لانه جهل والجهل يوجب الحيرة والوقفة فهو كالموت الذي يوجب السكون وايضا الميت لا يهتدي الى شيء وكذلك الجاهل والهدى علم وبصيرة وهما يوجبان الفوز بالمطالب كالحيوة والنور قال بعض العلماء قوله اَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا اشارة الى اول مراتب النفس الانسانية وهي الاستعداد المحض المسماة بالعقل الهيولاني عند الحكيم وقوله فَاَحْيَيْنٰهُ اشارة الى ثانية مراتبها المسماة بالعقل بالملكة وهي ان يحصل لها العلوم الكلية الاولية وقوله وجعلنا له نورا اشارة الى ثالثة المراتب وهي التي قد حصلت لها المعقولات المكتسبة ولكنها لا تكون حاضرة بالفعل بل يكون بحيث متى شاء صاحبها استرجاعها واستحضارها قدر عليه ولهذا يسمى عقلا بالفعل اي الفعل القريب وقوله يمشي به في الناس اشارة الى رابعة المراتب وهي النهاية المسماة بالعقل المستفاد وقد حصلت المعارف القدسية والجلايا الروحانية للنفس حاضرة بالفعل وصار جوهر الروح مشرقا بتلك المعارف مستضيئا بها ويمكن ان يقال الحيوة عبارة عن الاستعداد القائم بجوهر الروح والنور عبارة عن اتصال نور الوحي والتنزيل فانه لا بد في الابصار من امرين سلامة الحاسة والنور الخارجي من الشمس والسراج فكذلك البصيرة لا بد لها في الادراك من سلامة حاسة العقل ومن طلوع نور الوحي فلهذا قال جمع من المفسرين المراد بهذا النور القرآن ومنهم من قال نور الدين او نور الحكمة والاقوال متقاربة واما مثل الكافر فهو كمن في الظلمات ليس بخارج منها او فيها ان ظلمات الجهل والاخلاق الذميمة صارت كالصفة اللازمة له لا يكاد يزول عنه فيبقى متحيرا خايفا فزعا نعوذ بالله من هذه الحالة ومعنى المثل ههنا الصفة الغريبة اي كمن صفته هذه والمراد كمن هو في الظلمات ثم قال كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ والمزين هو الله بالتحقيق عند الاشاعرة والشيطان بالحقيقة او الله مجازا عند المعتزلة والاضافة الى الله بالحقيقة اولى من المجاز بدليل قوله وَكَذٰلِكَ جَعَلْنَا اي كما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا او كما زينا للكافرين اعمالهم كذلك جعلنا في كل قرية اكابر وهي جمع الاكبر فمجرميها مضاف اليه والظرف مفعول ثان قدم ليعود الضمير الى القرية وقيل التقدير جعلنا مجرميها اكابر قال الزجاج انما جعل المجرمين اكابر لاجل رياستهم اقدر على الغدر والمكر وترويج الاباطيل على الناس من غيرهم ولان كثرة المال وقوة الجاه يحمل الناس على المبالغة في حفظهما وذلك لا يتم الا باستعمال بعض الاخلاق الذميمة من المكر والغدر والكذب والغيبة والنميمة والشح والايمان الكاذبة وكفى بهذه الامور دليلا على خساسة المال والجاه واللام في ليمكروا على اصله عند الاشاعرة واستدلوا على ان الشر بارادة الله تعالى وحمله المعتزلة على لام العاقبة مجازا كما حملوا الجعل في قوله وكذلك جعلنا على التخلية والخذلان ثم قال في معرض التهديد وَمَا يَمْكُرُونَ اِلَّا بِاَنْفُسِهِمْ لان وباله يعود عليهم وما يشعرون وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وآله وتقديم وعد بالنصرة ثم انه سبحانه حكى قول ابي جهل واضرابه زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف الى آخره وقول الوليد بن المغيرة لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك سنا واكثر منك مالا فقال وَاِذَا جَاءَتْهُمْ اٰيَةٌ اي معجزة قاهرة او حجة قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰى نُؤْتٰى مِثْلَ مَا اُوتِيَ رُسُلُ اللّٰهِ قال الضحاك اراد كل واحد منهم ذلك كما في الآية الاخرى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ويشبه ان يكون هذا الكلام الخبيث هو المراد بالمكر المذكور في الآية المتقدمة وللمفسرين في تفسيرهم قولان احدهما وهو الاشهر انهم ارادوا ان يحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي وان يكونوا متبوعين لا تابعين و



وعطاء ومن الاخادمين وثانيهما عن ابن عباس والحسن ان المعنى واذا جاءتهم اية من القران يامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وآله قالوا لن نؤمن
حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى قوله حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله تعالى الى ابي جهل وفلان وفلان فالقوم ما طلبوا النبوة وانما طلبوا
ايات قاهرة ومعجزات ظاهرة مثل معجزات الانبياء المتقدمين يدل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله فقوله سبحانه في جوابهم على سبيل الاستيناف الله
اعلم حيث يجعل رسالته على القول الاول ظاهر واما على القول الثاني فوجهه ان القوم اذا اقترحوا تلك الايات فلو اظهر الله تعالى تلك المعجزات
على وفق التماسهم لكانوا قد قربوا من منصب الرسالة قال بعض العقلاء الارواح متساوية في تمام الماهية فحصول النبوة والرسالة لبعضها دون
بعض تشريف من الله تعالى واحسان وتفضل وقال اخرون بل النفوس مختلفة بجواهرها وماهياتها فبعضها خيرة طاهرة عن علائق الجسمانيات مشرقة
بالانوار الالهية مستعلية مؤثرة وبعضها خبيثة كدرة محبة للجسمانيات فالنفس ما لم تكن من القسم الاول لم تصلح لقبول الوحي والرسالة ومراتب
الرسل مختلفة فمنهم ذو معجزة واحدة وذو معجزتين او اكثر ومنهم من له تبع قليل ومنهم من امن به جم غفير ومنهم من كان الرفق غالبا عليه ومنهم من كان
مدار امره على التغليظ والتشديد وفي الاية تعريض بان حصول النبوة والرسالة لابد فيه من قلب سليم والمقترحون فيهم من المكر والحسد ما فيهم فكيف
يعقل حصول الرسالة لهم وانما يحصل لهم ما يناسب اخلاقهم واحوالهم ولهذا قال تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وهوان عند الله
في الاخرة او في الدنيا بحكم الله وايجابه من الاسر والقتل والمراد من عند الله محذوف او قوله عند الله مستانف اي معد لهم ذلك واعلم ان كمال
العقاب لابد فيه من امرين الضرر والاهانة ثم ان القوم لما تمردوا عن طاعة محمد صلى الله عليه وآله طلبا للعز والكرامة فالله تعالى بين انه يقابلهم بضد
مقصودهم فاول ما يوصل اليهم الذل والهوان وبعده عذاب شديد بجميع ذلك بسبب مكرهم وتكبرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام
يقال شرح فلان امره اذا اظهره واوضحه ومنه شرح المسئلة اذا بينها وقال الليث شرح الله صدره فانشرح اي وسعه لقبول ذلك الامر ولا شك ان
توسيع الصدر غير ممكن على سبيل الحقيقة ولكن ههنا معنى وهو انه اذا اعتقد الانسان في عمل من الاعمال ان نفعه زائد وخيره راجح مال الطبع اليه
وقوي طلبه ورغبته في حصوله وظهر في القلب استعداد شديد للتحصيل فسميت هذه الحالة سعة الصدر وان حصل في القلب علم او اعتقاد او ظن
بكون ذلك العمل مشتملا على ضرر زائد ومفسدة راجحة دعاه ذلك الى تركه وحصل في النفس نبوة عن قبوله فيقال لهذه الحال ضيق الصدر لان المكان
اذا كان ضيقا لم يتمكن الداخل من الدخول فيه واذا كان واسعا قدر على الدخول فيه واكثر استعمال شرح الصدر في جانب الحق والاسلام وقد ورد في
الكفر ايضا قال تعالى ولكن من شرح بالكفر صدرا قال المفسرون لما نزلت هذه الاية سئل رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل كيف يشرح الله صدره فقال صلى
الله عليه وآله يقذف الله تعالى فيه نورا حتى ينفسح وينشرح فقيل له وهل لذلك من امارة يعرف بها فقال صلى الله عليه وآله الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وهذا البيان مناسب لما ذكرنا فان الانابة الى دار الخلود لابد ان يترتب على اعتقاد ان عمل الاخرة والخير زائد
النفع والتجافي عن دار الغرور انما ينبعث عن اعتقاد كون عمل الدنيا زائد الضرر والضير والاستعداد للموت قبل نزوله نتيجة مجموع الامرين الزهد
في الدنيا والرغبة في الاخرة اما قوله حرجا فمن قرأ بكسر الراء فعلى النعت ومن قرأ بالفتح فعلى الوصف بالمصدر للمبالغة قال الزجاج الحرج في
اللغة اضيق الضيق وقيل الحرج بالفتح جمع حرجة وهو الموضع الكثير الاشجار الذي لا يناله الراعية حكى الواحدي باسناده عن ابن عباس انه قرأ
هذه الاية وقال هل ههنا احد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الاشجار المستمسك الذي لا طريق فيه فقال
كذلك قلب الكافر ومعنى يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد عن الاستطاعة فكان الكافر في
نفوره من الاسلام وثقله عليه بمنزلة من يتكلف الصعود الى السماء وقيل المراد ان قلبه يتباعد عن الاسلام وقبوله تباعد ما بين الارض والسماء كذلك
يجعل اي كما جعل ضيق الصدر في قلوبهم كذلك يجعل الرجس عليهم وقال الزجاج اي مثل ما قصصنا عليك يجعل الله الرجس عن ابن عباس هو الشيطان
سلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وعن عطاء الرجس هو العذاب وقال الزجاج هو اللعنة في الدنيا والعذاب في الاخرة قالت الاشاعرة
في الاية دلالة على ان الهداية والضلال من الله تعالى بيانه ان العبد قادر على الايمان وعلى الكفر وقدرته بالنسبة الى الامرين سواء ولا يترجح
الا لداعية ولا معنى للداعية الا علم او اعتقاد او ظن بكون ذلك الفعل مشتملا على مصلحة زائدة ومجموع القدرة مع الداعي يوجب الفعل ولا
بد ان ينتهي تلك الداعية الى تخليق الله وتكوينه دفعا للتسلسل فاذا خلق الله تعالى في قلبه اعتقادات ان الايمان راجح المنفعة وهو المراد بشرح
الصدر مال القلب اليه واذا خلق في قلبه اعتقادات ان الايمان مجلبة سبب للمفسدة الدينية والدنيوية نبا الطبع عنه وبقي على الكفر فحاصل الاية
ان من اراد الله منه الايمان قوى دواعيه اليه ومن اراد منه الكفر قوى صوارفه عن الايمان وقالت المعتزلة انه لا دلالة في الاية على قولكم لانه ليس
فيها اكثر من انه اذا اراد ان يهدي انسانا او يضله فعل به كيت وكيت وليس فيها انه اراد ذلك او لم يرد ونظيره قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا
بين انه كيف يفعل اللهو لو اراده ثم انه لم يرد ذلك بالاتفاق وايضا لم قلتم ان المراد من يرد ان يضله عن الايمان بل المراد من يرد الله ان يهديه
يوم القيمة الى طريق الجنة يشرح صدره للاسلام حتى يثبت عليه وتفسير الشرح هو انه يفعل به الطافا يدعوه الى البقاء على الايمان والثبات
عليه ومن يرد ان يضله عن طريق الجنة فعند ذلك يلقي في صدره الضيق والحرج لا في كل الاوقات بل في بعضها كيلا يمكن دفعه وخصوصا
عند ظهور نصرة المؤمنين وبدو الذل والصغار في الكافرين وايضا لا يجوز ان يكون المعنى فمن يرد الله ان يهديه الى الجنة يشرح صدره للاسلام

في تلك الوقت الذي يهدي فيه اهل الجنة لما راى من فوائد الايمان وثمراته من الدرجات العالية والمراتب الشريفة فيزداد غبطة فيه ومن يرد ان يضله
يوم القيمة عن طريق الجنة ففي ذلك الوقت يضيق صدره الحزن الشديد الذي ناله عند الحرمان من الجنة والدخول في النار وقال في الكشاف فمن
يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام ويسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله
يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان
واجيب عن قولهم ليس في الاية انه اراد ذلك ولم يرد بان قوله في اخر الاية كذلك يجعل الله الرجس تصريح بانه فعل بهم ذلك الاضلال لان الكاف للتشبيه
والتقدير كما جعلنا ذلك الضيق والحرج في صدره كذلك يجعل وفيه ايضا دلالة على ان المراد من قوله ومن يرد ان يضله عن الدين وتفسير الضيق والحرج
باستيلاء الغم والحزن على قلب الكافر بعيد لان اكثر من يعتريه الحزن في الدنيا هو المؤمن ولهذا قال صلى الله عليه وآله خص البلاء بالانبياء ثم الاولياء
ثم الامثل فالامثل ولو خص ذلك بالاخرة كان من ايضاح الواضحات من المعلوم لكل احد ان من يضله الله عن طريق الجنة فانه يضيق قلبه في ذلك الوقت
والجواب على قول صاحب الكشاف بما مر من ان فعل الايمان يتوقف على ان تحصل في القلب داعية جازمة الى الايمان وفاعل تلك الداعية هو الله تعالى
وكذا القول في جانب الكفر فان سمي الداعية من احد باللطف والخذلان فلا مشاحة في الاسامي قال القاضي في تفسيره روي عن محمد بن كعب القرظي انه
قال تذاكرنا امر القدر عند ابن عمر فقال لعنت القدرية على لسان سبعين نبيا فاذا كان يوم القيمة نادى مناد وقد جمع الناس بحيث يسمع الكل اين
خصماء الله فيقوم القدرية قال ولا يخفى انهم الذين ينسبون افعال العباد الى الله قضاء وقدرا وخلقا لانهم يقولون الذنب لله فاي ذنب لنا حتى تعاقبنا
انت الذي خلقته فينا واردته منا وقضيته علينا ولم تخلقنا الا له ولا ييسر لنا غيره فهؤلاء لابد ان يكونوا خصماء الله اما الذين قالوا ان الله تعالى
مكن وازاح العلة وانما اتى العبد من قبل نفسه فكلامه موافق لما يعامل بهم من انزال العقوبة فهؤلاء منقادون لله تعالى لا خصماء هذا كلام القاضي و
تعجب منه الاشاعرة فقالوا كيف يكون خصم الله من يقول ليس للعبد على الله حجة ولا استحقاق بوجه من الوجوه وان كل ما يفعله الرب في العبد فهو
حكمة وصواب وليس للعبد على ربه اعتراض ولا مناظرة وكل ما يصل منه الى عباده حتى الملائكة والانبياء فهو تفضل منه واحسان لكن الخصم من يدعي
عليه وجوب الثواب والعوض ويقول لو لم تعطني ذلك لخرجت عن الالهية وصرت معزولا عن الربوبية وكنت من السفهاء وان من واظب على الكفر
سبعين سنة ثم اتى في اخر رمق حيوته قال لا اله الا الله محمد رسول الله عن القلب ثم مات فان رب العالمين اعطاه النعم الفائقة سنين غير محصورة
ثم انه لو ترك ذلك لحظة واحدة قال العبد له انك معزول عن الالهية يحكى ان الشيخ ابا الحسن الاشعري لما فارق مجلس استاده ابي علي الجبائي وترك
مذهبه وكثر اعتراضه عن اقاويله عظمت الوحشة بينهما فاتفق ان ابا علي عقد مجلس التذكير وحضر عنده جم غفير فذهب الشيخ ابو الحسن الى ذلك المجلس
مختفيا عن الجبائي وقال لبعض من حضر هناك من العجائز اني اعلمك مسئلة فاذكريها لهذا الشيخ قولي له كان لي ثلثة من البنين واحد في غاية
الزهد والاخر في غاية الفسق والثالث كان صبيا لم يبلغ فماتوا على هذه الصفات فاخبرني ايها الشيخ عن احوالهم فقال الجبائي اما الزاهد ففي درجات
الجنة واما الكافر ففي دركات النار واما الصبي فمن اهل السلامة فقالت قولي له ان الصبي لو اراد ان يذهب الى تلك الدرجات العالية التي حصل
فيها اخوه الزاهد فهل يمكن منه قال الجبائي لا لان الله تعالى يقول له انما اخوك وصل الى تلك الدرجات لانه اتعب نفسه في العلم والعمل وانت فليس
معك ذلك فقال ابو الحسن قولي له لو ان الصبي يقول يا رب العالمين ليس الذنب لي لانك امتني قبل بلوغي ولو ابقيتني فربما زدت على الزاهد في
الزهد فقال الجبائي يقول الله تعالى له علمت انك لو عشت لطغيت وكفرت وكنت تستوجب النار فراعيت مصلحتك فقال له ابو الحسن قولي له لو ان
الاخ الكافر الفاسق رفع راسه من الدرك الاسفل من النار وقال يا رب العالمين ويا احكم الحاكمين ويا ارحم الراحمين لم راعيت حال الاخ الصغير
وما راعيت حالي ومصلحتي قال الراوي فانقطع الجبائي فنظر فراى ابا الحسن فعلم ان المسئلة منه لا من العجوز ثم ان ابا الحسن البصري جاء بعد ذلك واراد ان يجيب
عن الجبائي فقال لا نحن لا نرضى بهذا الجواب انما نقول الجواب مبني على مسئلة اختلف شيوخنا فيها وهي انه هل يجب على الله تعالى ان يكلف العبد ام لا
فقال البصريون انه غير واجب لكنه تفضل واحسان وقال البغداديون انه واجب فعلى الاول لله تعالى ان يقول لذلك الصبي اني طولت عمر الاخ الزاهد
وكلفته على سبيل التفضل ولم يلزم من كوني متفضلا على احد بشيء ان اتفضل على غيره بمثله وعلى قول البغداديين فلله ان يقول ان اطلت عمر
اخيك وتوجيه التكليف في حقه لم يستلزم مفسدة الغير فلا جرم فعلته اما لو اطلت عمرك وتوجيه التكليف عليك فكان يلزم منه عود مفسدة الى غيرك
فلهذا ما فعلته وظهر الفرق واورد على القسم الاول انه تعالى لما اوصل التفضل الى احدهما فالامتناع من ايصاله الى الثاني قبيح منه عقلا لانه
ليس فعلا شاقا عليه ولا ينقص بذلك شيء من ملكه والصبي محتاج الى الاحسان اليه ومثل هذا الامتناع قبيح في الشاهد كمن منع غيره من النظر
في مرآته المنصوبة على الجدار لعامة الناس فان كان حكم العقل في التحسين والتقبيح مقبولا فليكن ههنا ايضا مقبولا والا فلا يقبل في شيء من الصور
فبطل كلية مذهبكم واورد على الشق الثاني ان قولنا تكليفه يتضمن المفسدة والا لم ينفك تكليف عن المفسدة وانه باطل بالاتفاق فعلمنا انه
انه اذا كلف هذا الشخص فان انسانا اخر يختار من قبل نفسه فعلا قبيحا فان اقتضى هذا القدر ان يترك الله تعالى تكليفه وجب ان يقبح تكليف
كل من علم الله من حاله انه يكفر والا لزم محض التحكم هذا تمام مناظرة الفريقين ولعلك قد عرفت التحقيق هنا فيما سلف فتذكر ثم قال وهذا صراط
ربك في المشار اليه وجوه منها ان المذكور في الاية المتقدمة اما على مذهب الاشاعرة وهو ان الفعل يتوقف على الداعي وخصوص تلك الداعية

يلطف به

في الاسلام صح

هو انه جبلة

مفسدة للغير معناه ان ذات التكليف يتضمن



من الله تعالى فيكون الفعل من الله ويلزم استناد الكل الى قضائه وقدره واما على مذهب المعتزلة فالمراد هذا الذي قررناه طريقته التي اقتضتها الحكمة وعادته الجارية في عباده من التوفيق والخذلان ومعنى مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على الحال المؤكدة والعامل ما في اسم الاشارة من معنى الفعل او هو محذوف اي احقه وعن ابن عباس يريد هذا الذي انت عليه يا محمد دين ربك وقال ابن مسعود يعني القرآن قد فصلنا الآيات ذكرناها فصلا بحيث لا يختلط واحد منها بالآخر قال في التفسير الكبير قد بين الله تعالى صحة القول بالقضاء والقدر في آيات من هذه السورة متوالية متعاقبة بطرق كثيرة ووجوه مختلفة وختم الآية بقوله لقوم يذكرون لانه تقرر في عقل كل واحد ان احد طرفي الممكن لا يترجح على الآخر الا لمرجح فكأنه يقول للمعتزلي تذكر ما تقرر في عقلك ان الممكن لا يترجح احد طرفيه الا لمرجح حتى تزول الشبهة عن قلبك فان حصول الفعل عن القادر لو لم يتوقف على الداعي مع تساوي طرفيه وجب ان يحصل هذا الاستغناء في كل الممكنات والمحدثات وح يلزم نفي الصانع وابطال القول والفعل والفاعل والتأثير والمؤثر ثم لما بين عظم نعمته في الصراط المستقيم بين ما اعد وهيأ للمتذكرين فقال لهم دار السلام اي دار الله يعني الجنة والاضافة للتشريف والتعظيم كما قيل الكعبة بيت الله او دار السلامة من كل آفة وكرب والسلام والسلامة مثل الضلال والضلالة والرضاع والرضاعة كلاهما مصدر وقيل السلام جمع السلامة لان انواع السلامة حاصلة في الجنة ومعنى عند ربهم انها معدة عنده في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى وذلك نهاية في بيانه ووصولهم اليها وكونهم على ثقة من حصولها وهو وليهم اي قريب منهم بالرحمة والرضوان او مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم وذلك ان القوم قد عرفوا ان المدبر والمقدر ليس الا هو جل جلاله وان النافع والضار ليس الا هو سبحانه فانقطعوا عن كل ما سواه فما كان رجوعهم الا اليه وما كان توكلهم الا عليه ولم يكن انسهم الا به فلما صاروا بالكلية له لا جرم قال سبحانه وهو وليهم على انه متكفل لجميع مصالحهم دينا ودنيا ثم قال بما كانوا يعملون اي بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون لئلا يقطع العمل ولا يتكلوا وذلك ان بين النفس والبدن تعلقا شديدا وكما ان الهيئات النفسانية قد تؤثر في البدن كحمرة الخجل وصفرة الوجل فالهيئات البدنية قد تصعد من البدن الى النفس فاذا واظب الانسان على اعمال الخير ظهرت الآثار المناسبة لها في جوهر النفس فلا بد للسالك من العمل بعد كمال العلم والمعرفة ثم لما بين حال من يتمسك بالصراط المستقيم اردفها بذكر من تعلق بضده فقال ويوم يحشرهم والمراد واذكر يوم كذا او يوم يحشرهم قلنا او متعلقه محذوف والتقدير ويوم نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير اما ان يعود الى الشياطين الذين تقدم ذكرهم في قوله شياطين الانس والجن او يعود الى جميع المكلفين الذين علوا ان الله تعالى يبعثهم من الثقلين وغيرهم ويكون القائل على تقدير حذف القول هو الله تعالى كما انه الحاشر لجميعهم وهذا القول منه تعالى بعد الحشر لا يكون الا للتبكيت وانهم وان تمردوا في الدنيا انتهى حالهم في الآخرة الى الاستسلام والانقياد والاعتراف وقال الزجاج التقدير فيقال لهم يا معشر الجن لانه يبعد ان يتكلم الله تعالى بنفسه مع الكفار لقوله ولا يكلمهم الله قد استكثرتم من الانس لا بد فيه من اضمار لان الجن اي الشياطين لا يقدرون على الاستكثار من نفس الانس فالمراد قد استكثرتم من اضلال الانس واستتباعهم نحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واما قوله وقال اولياؤهم من الانس فالاقرب عند بعضهم ان فيه حذفا فكما قال الجن تبكيتا ناسب ان يقول للانس ايضا مثل ذلك توبيخا لانه حصل من الجن الدعاء ومن الانس القبول لما يكنه الله كلا الفريقين حكى جواب الانس وهو قوله ربنا استمتع بعضنا ببعض وفيه قولان الاول ان المراد استمتع الجن بالانس والانس بالجن وعلى هذا ففي الاستمتاع وجهان احدهما ان الرجل كان اذا سافر فامسى بارض قفر او خاف على نفسه قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت آمنا في نفسه فهذا استمتاع الانس بالجن واما استمتاع الجن بالانس فهو ان الانسي اذا عاذ بالجني كان ذلك تعظيما منهم للجن وذلك الجن يقول قد سدت الجن والانس لان الانسي قد اعترف له بانه يقدر ان يدفع عنه وهذا قول الحسن وعكرمة والكلبي وابن جريج ويعضده قوله سبحانه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وثاني الوجهين ان الانس كانوا ينقادون للجن ويطيعون حكمهم فصار الجن كالرؤساء والانس كالاتباع فانتفعوا بالانس انتفاع الرئيس بالخادم واما انتفاع الانس بالجن فهو ان الجن دلوهم على الشهوات واللذات الى ان بلغوا هذا المبلغ الذي انتهوا اليه وعاقبتهم وهذا اختيار الزجاج القول الثاني ان البعضين كليهما من الانس لان استمتاع الجن بالانس وبالعكس امر قليل نادر وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا اي ما ذلك الاستمتاع كان حاصلا الى وقت محدود ثم جاءت الحسرة والندامة من حيث لا ينفع وما ذلك الاجل قيل هو وقت الموت وعلى هذا فكل من مات من مقتول وغيره فانه يموت باجله لانهم اقروا بانهم بلغوا اجلهم وفيهم المقتول وغير المقتول وقيل هو وقت التخلية والتمكين وقيل وقت المحاسبة في القيمة قال الله تعالى في جوابهم النار مثويكم مقامكم ومقركم من ثوى بالمكان يثوي ثويا اذا اقام به قال ابو علي الفارسي المثوى اسم المصدر دون المكان لان قوله تعالى خالدين فيها حال واسم الموضع لا يعمل عمل الفعل فالمعنى النار اهل ان يقيموا فيها خالدين الا ما شاء الله قيل المراد منه اوقات المحاسبة ووقت كونهم في المحشر كانه قيل خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شاء الله من مقدار حشرهم من قبورهم ومقدار مدتهم في محاسبتهم وقال ابن عباس استثنى الله قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وآله وعلى هذا يلزم ان يكون ما بمعنى من وفيه خلل آخر وهو ان الاستثناء انما هو من يوم القيمة الذين يحشرون فيه وقيل المراد الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير وروي انهم يدخلون واديا فيه برد شديد فهم يطلبون الرد من ذلك البرد الشديد الى حر الجحيم وقال في الكشاف ويكون هذا من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع

هتكم لانه اطماع محض و ياس كلي وقال ابو مسلم هذا الاستثناء غير راجع الى الحلول وانما هو راجع الى الاجل المؤجل لهم كانهم قالوا وبلغنا اجلنا الذي سميته
لنا الا من اهلكته قبل الاجل المسمى يعني الاجال الاخترامية ان ربك حكيم فيما يفعله من ثواب وعقاب وسائر وجوه المجازاة عليم بما يستاهله كل طائفة وكانه
تعالى يقول انما حكمت لهولاء بعذاب الابد لعلمي انهم يستحقون ذلك ثم لما حكى عن الجن ان بعضهم يتولى بعضا بين ان ذلك انما حصل بتقديره وقضائه فقال وكذلك نولي
بعض الظالمين بعضا وذلك ان القدرة صالحة للعداوة والصداقة فترجيح احد الجانبين لا يكون الا بداعية خلقها الله تعالى قطعا للتسلسل وايضا لما بين انه
سبحانه ولي اهل الجنة بقوله وهو وليهم ذكر ان اولياء اهل النار من يشبههم في الظلم والخزي والنكال واشار اليه بقوله بما كانوا يكسبون اي بسبب كون ذلك البعض
مكتسبا للظلم وهذا مناسبة في غاية اللطف لان الجنسية علة الضم فالطيبات للطيبين والخبيثات للخبيثين وفي الاية دلالة على ان الرعية متى كانوا
ظلمة فان الله تعالى يسلط عليهم ظالما مثلهم فان ارادوا الخلاص منه فليتركوا الظلم وعن مالك بن دينار قال جاء في بعض الكتب المنزلة انا الله مالك الملوك
قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا انفسكم بسب الملوك لكن توبوا الي اعطفهم عليكم ثم بين ان
كفار الثقلين لا يكون لهم الى التخلص يوم القيمة سبيل وانهم لا يعذبون الا بالحجة فقال يا معشر الجن والانس قال اهل اللغة المعشر كل جماعة مختلطين
امرهم واحد الم ياتكم رسل منكم استفهام على سبيل التقرير فلا جرم استدل الضحاك بالاية بقوله وان من امة الا خلا فيها نذير على ان من الجن رسلا كالانس
ولان استيناس الجنس بالجنس اكمل ولهذا قال سبحانه ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا والاكثرون على انه ما كان من الجن رسول البتة انما كانت الرسل من بني
ادم وزعموا ان ذلك مجمع عليه ورد بانه كيف ينعقد الاجماع مع حصول الاختلاف واستدل بعضهم بقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم
وال عمران على العالمين والمراد بالاصطفاء ههنا النبوة بالاجماع واجيب عن قول الضحاك بان الاية تقتضي ان رسل الجن والانس بعضا يكون من بعض
هذا المجموع فكان هذا القدر كافيا في حمل اللفظ على ظاهره فلا يلزم اثبات رسول من الجن وايضا لا يبعد ان يقال ان الرسل كانوا من الانس ثم كان
من الجن نفر يسمعون من رسل الانس وينذرون قومهم بذلك قال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية وقد يسمى رسول الرسول رسولا كما انه تعالى
سمى رسل عيسى رسل نفسه فقال اذ ارسلنا اليهم اثنين ثم انه سبحانه بكت كفار الثقلين بهذه الاية لانه ازال العذر وازاح العلة بسبب انه
ارسل الرسل ليوصل الرسل اليهم فاذا وصلت البشارة والنذارة الى الكل بهذا الطريق فقد حصل المقصود وقال الواحدي اراد رسل من احدكم وهو
الانس كقوله يخرج منهما اللؤلؤ اي من احدهما وهو الملح الذي ليس بعذب وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه
واله بعث الى الجن والانس اما قوله يقصون عليكم اياتي فالمراد منه التنبيه على الادلة بالتلاوة وبالتاويل وينذرونكم لقاء يومكم هذا يخوفونكم عذاب
هذا اليوم فلم يجدوا بدا من الاعتراف فلذلك قالوا شهدنا على انفسنا والسبب انهم اقروا في هذه الاية وجحدوا في قوله والله ربنا ما كنا مشركين
هو انهم مختلفو الاحوال في يوم القيمة مضطربون فتارة يقرون واخرى يجحدون ومنهم من حمل هذه الشهادة على شهادة الجوارح عليهم ثم اخبر الله تعالى
عن حالهم في الدنيا بقوله وغرتهم الحيوة الدنيا وعن حالهم في الاخرة بقوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين والمقصود من شرح احوالهم في
القيمة زجر امثالهم في الدنيا عن الكفر والمعصية وقد يستدل بالاية على ان لا وجوب قبل ورود الشرع والا لم يكن لهذا التوبيخ والتبكيت فائدة
التاويل او من كان ميتا في حالة العدم فاحييناه بالحيوة الحقيقية اي بالحي الذي لا يموت وجعلنا له نورا الوجود الحقيقي الذي يمشي به في الناس
وبه يسمع وبه يبصر كمن هو محجوب في ظلمات الطبيعة وكذلك جعلنا في كل قرية اي كل قالب اكابر مجرميها من النفس والهوى والشيطان ليمكروا
فيها بمخالفات الشرع وموافقات الطبع ما اوتي رسل الله من القلب والسر والروح يشرح صدره اي ينظر الى قلبه بنظر العناية فينوره بنور جماله
وهو نور الايمان فيشرح الصدر بضوء النور الواقع في القلب هذا الضوء هو المسمى بنور الاسلام وهذا النور يقبل الزيادة والاشتداد الى ان يصير
الايمان ايقانا والايقان عيانا والعيان عيانا ضيقا لتراكم ظلمات صفات البشرية حرجا لتعلقاته بالدنيا وشهواتها كانما يصعد في السماء لانه
سفلي بالطبع لا يصعد الا بالتصعيد والقسر وهذا الذي بينا من الهداية والضلالة صراط ربك باللطف والقهر فبجذبات اللطف يهدي السعيد
وبسطوات القهر يضل الشقي لهم دار السلام اي السلامة عن القطيعة في مقام العندية بالوصول الى الوحدة بعد الخروج عن ظلمات الاثنينية ويوم
يحشرهم في موقف القالب البشري بالحكمة البالغة والقدرة الكاملة يا معشر الجن اي الصفات الشيطانية قد استكثرتم من الانس اي استملتم على
الصفات الانسانية وقال اولياؤهم من الانس يعني النفس الامارة ربنا استمتع بعضنا ببعض واستمتاع النفس الامارة بالشيطان هو ان يستعين
بصفات مكره على تحصيل شهواتها ولذاتها العاجلة وحظوظها واستمتاع الشيطان بالانس هو ان يستعين به على اضلال الخلق واغوائهم كما استعان
بحواء على اغواء ادم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني ان مدة الاستمتاع وما جرى بيننا انما كان بمقتضى قضائك وقدرك فاجابهم بان النار مثواكم
بقضاء الله الا ان يشاء الله فيتوب عليهم ان ربك حكيم في تقدير الاستمتاع عليم باهل الجنة وباهل النار وكذلك اي كما جعلنا من الجن والانس بعضهم اولياء بعض كذلك
نجعل بعض الظالمين اولياء بعض بما كانوا يكسبون من افساد الاستعداد الفطري الم ياتكم رسل منكم يعني الالهامات الربانية وشهدوا على انفسهم اقروا عند
الحرمان عن السعادة العظمى انهم بذروا وانهم كانوا اصلا مرآة قلوبهم وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى وما التوفيق الا من الله

ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون وربك

این از آنجهت است که نبوده است پروردگار تو هلاک کننده دهها بستم که اهل آن بی خبر باشند و مر هر یک را درجات از آنچه کردند و نباشد پروردگار تو بی خبر از آنکه میکنند و پروردگار تو

بتولى بعضا

على المطلوب به

الغني ذو الرحمة ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما انشأكم من ذرية قوم آخرين انما توعدون لآت

الدار صاحب مهربانی ست اگر بخواهد ببرد شما را و جانشین سازد پس از شما آنچه را که خواهد چنانچه آفرید شما را از فرزندان گروهی دیگران هر آینه چیست که آنچه وعده کرده شده اید آینده

وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه

و نیستید شما عاجز کنندگان بگو ای قوم من کار کنید بر خوی خویش بدرستی که من کارکنم پس زود دانسته باشید کیست که مر او راست عاقبت سرای بدرستی که

لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان

رستگار نشوند ستمکاران و قرار دادند برای خدا از آنچه پیدا آورد از کشت و حیوانات بهره پس گفتند که این مر خدا راست بگمان ایشان و این مر انبازان ما راست پس آنچه باشد

لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من

مر شرکاء ایشان را پس نمی رسد بسوی خدا و آنچه باشد از برای خدا پس آن میرسد بشرکاء ایشان بد است آنچه حکم میکنند و همچنین جلوه داد از برای بسیاری از

المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون

مشرکان کشتن فرزندان ایشان را انبازان ایشان تا که پست کردند ایشان را و تا بپوشانند بر ایشان دین ایشان را و اگر میخواست خدا نمیکردند آنرا پس واگذار ایشان را و آنچه دروغ

وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون

و گفتند که این حیوانات و کشت ممنوعند که نمیخورد آنها را بجز آنکسی که میخواهیم بگمان ایشان و حیواناتی اند که حرام است پشتهای آن و حیواناتی که یاد نمیکنند

اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة

نام خدا را بر آن از روی دروغ بر او زود است که پاداش دهد ایشان را بآنچه بودند که دروغ میگفتند و گفتند که آنچه در شکمهای این حیوانات است مخصوص است

لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر

از برای مردان ما و حرام است بر زنهای ما و اگر بچه باشد مرده پس ایشان در آن انبازانند زود است که پاداش دهد ایشان را صفت ایشان بدرستی که او درست کردار داناست بتحقیق زیان کار

الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين

آنان که کشتند فرزندان خود را از بیخردی و بی دانشی و حرام کردند آنچه را که روزی کرده بود ایشان را خدا از روی دروغ بر خدا هر آینه گمراه شدند و نباشند راه یافتگان

القراءات عما تعملون بتاء الخطاب ابن عامر مكاناتكم بالجمع حيث كان ابو بكر وحماد الباقون مكانتكم على التوحيد من يكون بالياء التحتانية حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء التانيث بزعمهم بضم الزاء علي وكذلك ما بعده الباقون بالفتح زين على البناء للمفعول قتل بالرفع اولادهم بالنصب شركائهم بالجر ابن عامر الآخرون زين على البناء للفاعل قتل بالنصب اولادهم بالجر شركاؤهم بالرفع وان تكن بتاء التانيث ابن عامر ويزيد وابو بكر وحماد ميتة بالرفع ابن كثير وابن عامر ويزيد وقرأ يزيد ميتة بالتشديد ابن كثير وابن عامر الباقون بالتخفيف الوقوف غافلون ط مما عملوا ط يعملون ذو الرحمة ط آخرين ط لآت لا لان الواو بعده للحال بمعجزين ط عامل ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب تعلمون لا لان ما بعده مفعول سواء كان من استفهاما مبتدأ او موصولة عاقبة الدار ط الظالمون لشركائنا ج للشرط مع الفاء الى الله للفصل بين المتضادين معنى مع الاتفاق ظاهرا شركائهم ط يحكمون دينهم ط يفترون افتراء عليه ط يفترون ازواجنا ج للشرط مع العطف شركاء ط وصفهم ط عليم على الله ط مهتدين التفسير ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك ويحتمل ان يكون مبتدأ خبره ان لم يكن وهو التعليل والمعنى الامر ما قصصنا عليك وذلك الذي ذكر لانتفاء كون ربك مهلك القرى وان هي الناصبة للافعال او مخففة من الثقيلة وعلى هذا يكون ضمير الشان والحديث كذا ويجوز ان يكون ان لم يكن بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع ومعنى قوله بظلم اي بسبب ظلم اقدموا عليه وهذا اليق باصول الاشاعرة او المراد ظلما لكم فيكون من فعل الله وهذا انسب باصول المعتزلة ومعناه انه تعالى لو اهلكهم قبل بعثة الرسل لم ينبهوا برسول ولا كتاب كان ظالما وعلى هذا التفسير يمكن للاشاعرة ان يقولوا انه لو فعل ذلك لم يكن من الظلم فاطلق الظلم على نفسه مجازا والا فهو تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولا اعتراض عليه لاحد في شيء من افعاله واما قوله واهلها غافلون فليس المراد ان هذه الغفلة ان يتغافل المرء عما يوعظ وانما معناه انه لا يبين لهم كيفية الحال وان لا يزيل عذرهم وعليهم قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه لا يحصل الوجوب قبل الشرع وان الفعل المحض لا يدل على الوجوب البتة لانها تدل على انه تعالى ما يعذب احدا على امر من الامور قبل بعثة الرسل لكن بعدها فالمعتزلة قالوا انها تدل من وجه آخر على تقرير الوجوب قبل الشرع لان قوله بظلم ان كان عائدا الى العبد دل على انه يمكن ان يصدر منه الظلم والقبيح قبل البعثة وان كان عائدا الى الله تعالى فقد تم الاعتراف بتحسين العقل وتقبيحه ثم لما شرح احوال اهل الثواب والعقاب ذكر كلاما كليا فقال ولكل درجات اي لكل عامل في عمله درجات وعلى حسب تلك الدرجات يكون الجزاء ان خيرا فخير وان شرا فشر بمعنى مما عملوا اي من جزاء اعمالهم وقيل ان اول الاية مختصة باهل الطاعات لان لفظ الدرجة يليق بهم ولاهل المعصية يكون الدركات واليه الاشارة بقوله وما ربك بغافل عما يعملون قالت الاشاعرة في الاية دليل على مسئلة الجبر والقدر فانه تعالى حكم لكل واحد بدرجة معينة في وقت معين وبحسب فعل معين واثبت تلك الدرجة في اللوح المحفوظ واشهد عليها الملائكة وخلاف علمه واثباته واشهاده محال ثم بين انه ليس يحتاج طاعة المطيعين ولا يدخل عليه نقص بمعصية العاصين فقال وربك الغني ذو الرحمة اما انه غني في ذاته وصفاته وفي افعاله وفي احكامه عن كل ما سواه ممكن لذاته



مفتقرة في الوجود وفي الامور التابعة للوجود اليه فلا غني الا هو واما انه ذو الرحمة فلان كل ما دخل في الوجود من الخيرات والراحات والكرامات
والسعادات من الروحانيات ومن الجسمانيات فهو من الحق وبايجاده وتخليقه والاستقراء دل على ان الخير غالب كالصحة والشبع والسمع والبصر وما ذلك
الا رحمة الكاملة والشفقة الشاملة والذي يتضرر من رحمة الوالدين وغيرهما فانما ذلك بايجاد داعية ذلك فيهم ومع ذلك فيتمكن الشخص من الانتفاع بها بعلم
الا منه فقال ومن هذا ان تنزهه تعالى عن الظلم والسفه والكذب والعبث ومن رحمته تكليف الخلائق ليعرضهم للمنافع الباقيات الدائمات ثم لما وصف
نفسه بانه ذو الرحمة كان لظان ان يظن ان للرحمة معدنا مخصوصا وموضعا معينا فبين تعالى بقوله ان يشا يذهبكم انه قادر على وضع الرحمة في هذا
الخلق وقادر على ان يخلق قوما آخرين ويضع رحمته فيهم وعلى هذا الوجه يكون الاستغناء عن العالمين اكمل واتم ومعنى الاذهاب الاهلاك وان لا يبلغهم
مبلغ التكليف ويستخلف من بعدكم اي من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق البدل من فائت وقوله ما يشاء اي خلق ثالث و
رابع ثم اختلفوا فقال بعضهم خلقا آخرين من امثال الجن والانس لكن اطوع وقال ابو مسلم يعني خلقا ثالثا مخالفا للثقلين ليكون اقوى في دلالة
القدرة ثم بين سبب قدرته على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم آخرين لان من قدر على تصوير النطفة المتشابهة الاجزاء بهذه الصور المخصوصة
قدر على تصويرها بصورة اخرى مخالفة لها وقال في الكشاف المعنى كما انشاكم من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح
ثم ذكر حال المعاد فقال ان ما توعدون لآت قال الحسن اي من مجيء الساعة لانهم كانوا ينكرون القيامة ويحتمل ان يعم انما توعدون لانه اشارة الى الطرفين
اي ما يتعلق بالوعد والثواب فهو آت لا محالة وقوله وما انتم بمعجزين اي خارجين عن قدرتنا وحكمنا اشارة الى قهره وعلى اعجاز الشيء اي فانه فالجزم
في جانب الوعد والتعريض في جانب الوعيد دليل على ان جانب الرحمة والاحسان اغلب ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله بتهديد منكري البعث فقال قل يا
قوم اعملوا على مكانتكم قال الواحدي قراءة الافراد اوجه لان المصدر لا يجمع في اغلب الاحوال وقال في الكشاف المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة
اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة فمعنى الاية اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم او اعملوا على
جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل على مكانتك يا فلان اي اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على
كفركم وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم والغرض تفويض الامر اليه على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم فسوف تعلمون اينا
تكون له عاقبة المحمودة والفاء لتعقيب الجزاء الايعادي اي قل اعملوا فستجزون وهكذا في سورة الزمر بخلاف سورة هود حيث لم يقل هناك قل فكانها
استيناف ومحل من نصب ان كان بمعنى الذي او رفع والجملة مفعول تعلمون ان كان بمعنى اي وعاقبة الدار العاقبة الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها
وهي مصدر كالعافية وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف وادب وثوق بان المنذر محق ولهذا قيل له فان الكافر تكون العاقبة
عليه لا له ثم حكى انواعا من جهالاتهم وركاكات اقوالهم تنبيها على ضعف عقولهم وقلة محصولهم وتنفيرا للعقلاء عن الالتفات الى اقوال امثالهم
فقال وجعلوا لله قال الزجاج وجعلوا لله نصيبا ولشركائهم نصيبا بدليل قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وجعل الاوثان شركاءهم لانهم
جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونها عليها ثم قال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم وفي تفسيره وجوه قال
ابن عباس كان المشركون يجعلون لله تعالى من حروثهم وانعامهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما كان للصنم انفقوه عليه وما كان لله اطعموا الضيفان والمساكين
ولا ياكلون منه البتة ثم ان سقط شيء مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شيء مما جعلوا للاوثان في نصيب الله
تعالى اخذوه وردوه الى نصيب الصنم وقالوا انه فقير وانما ذلك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وعن الحسن والسدي كان اذا هلك لاوثانهم شيء اخذوا
بدله مما لله ولا يفعلون مثل ذلك فيما لله تعالى وقال مجاهد انه اذا انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله عز وجل سدوه وان كان على ضد
ذلك تركوه قال قتادة اذا اصابتهم شدة استعانوا بالله واذا اصابتهم حسنة نسبوها الى شركائهم قال مقاتل ان زكا ونما نصيب الآلهة ولم يزك نصيب
الله تركوا نصيب الآلهة وقالوا لو شاء زكى نصيب نفسه واما ان كان نصيب الله ولم يزك نصيب الآلهة فانهم قالوا لا بد لآلهتنا من نفقة واخذوا نصيب
الله تعالى فاعطوه السدنة فمعنى فلا يصل الى الله انه لا يصل الى الوجوه التي كانوا يصرفونها اليها من قرى الضيفان والتصدق الى المساكين ومعنى
الوصول الى شركائهم انهم ينفقون عليها بذبح النسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك وقوله مما ذرا فيه ان الله تعالى كان اولى بان يجعل
له الزكي لانه هو الذي ذراه اي خلقه ثم انه سبحانه ذم فعلهم فقال ساء ما يحكمون وذكر العلماء فيه وجوها الاول انهم رجحوا جانب الاصنام
في الرعاية والحفظ على جانبه وهو سفه الثاني جعلوا بعض الحرث لله وبعضه لغيره مع انه تعالى هو الخالق للجميع الثالث ان ذلك حكم احدثوه من
قبل انفسهم ولم يشهد بصحته عقل ولا شرع واليه الاشارة بقوله بزعمهم الرابع لو حسن افراز نصيب الاصنام لحسن افراز نصيب لكل حجر الخامس لا
تاثير للاصنام في حصول الحرث والانعام ولا قدرة لها على الانتفاع بذلك النصيب فافراز النصيب لها عبث النوع الثاني من احكامهم
الفاسدة قوله وكذلك زين كان اهل الجاهلية يدفنون بناتهم احياء خوفا من الفقر ومن التزويج وكان الرجل يحلف بالله ان ولد له
كذا غلاما لينحرن احدهم كما فعل عبد المطلب على ابنه عبد الله والشركاء على الوجه الاول الشياطين الذين اطاعوهم في معصية الله تعالى
وعلى الثاني هم السدنة والخدام والاول قول مجاهد والثاني الكلبي تقدير الكلام ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربان
بين الله والآلهة او مثل ذلك التزيين البليغ الذي علم من الشياطين زين لهم شركاؤهم من الشياطين او من سدنة الاصنام قتل اولادهم بالوأد



او بالنحو ثم ان وجه القراءة الاكثر ظاهر وليس فيها الا تقديم المفعول وذلك لشدة الاعتناء به واما قراءة ابن عامر فخطأها الزمخشري من جهة
الفصل بين المضاف والمضاف اليه بغير الظرف فان ذلك انما جوز بالظرف كقوله لله در اليوم من لامها وضعف بغير الظرف كقوله فزججتها بمزجة زج
القلوص ابي مزاده وحملوه على ضرورة الشعر مع الاستكراه والحق عندي في هذا المقام ان القران حجة على غيره وليس غيره حجة عليه والقراءات السبع
كلها متواترة فكيف يمكن تخطئة بعضها فاذا ورد في القران المعجز مثل هذا التركيب لزم القول بصحته وفصاحته وان لا يلتفت الى انه هل ورد له نظير في
اشعار العرب وتراكيبهم ام لا وان ورد فكثير ام لا ومع ذلك فقد وجهه بعض الفضلاء بان المضاف اليه من الاول محذوف على نحو قوله بين ذراعي
وجبهة الاسد والمضاف مضمر مع الثاني كقراءة من قرأ والله يريد الاخرة بالجر على تقدير عرض الاخرة فتقدير الاية قتل شركائهم اولادهم قتل شركائهم
ومعنى ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء قال ابن عباس ليردوهم في النار واللام محمول على العاقبة ان كان التزيين من السدنة وعلى حقيقة التعليل ان
كان من الشيطان وليلبسوا عليهم دينهم ليخلطوا عليهم دينهم ليخلطوه عليهم ليشتبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل فهذا الذي اتاهم
بهذه الاوضاع الفاسدة اراد ان يزيلهم عن ذلك الدين الحق وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل ليوقعوهم في دين ملتبس ولو شاء الله
ما فعلوه كما فعل المشركون ما زين لهم او لما فعل الشياطين والسدنة والتزيين او الارداء او اللبس او جميع ما ذكر ان جعل الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة
والمعنى لم يحملوا هذه المشية على مشية الالجاء والقسر ثم قال فذرهم وما يفترون على ما نون قوله اعملوا ما شئتم وفيه مع التهديد التسجيل على المامور
بانه لا ياتي منه الا الشر والشرك قيل انما قال في هذه الاية ولو شاء الله ما فعلوه ليكون مناسبا لقوله وجعلوا لله وقال فيما قبل ولو شاء ربك ما فعلوه لانه
وقع عقيب ايات فيها ذكر الرب كقوله قد جاءكم بصائر من ربكم الايات النوع الثالث من احكامهم الباطلة انهم قسموا انعامهم اقساما فاولها انهم قالوا
هذه انعام وحرث حجر حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات واصل
الحجر المنع وسمي العقل حجرا لمنعه من القبائح وفلان في حجر القاضي اي في منعه كانوا اذا عينوا شيئا من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم
الاوثان والرجال دون النساء وثانيها انهم قالوا هذه انعام حرمت ظهورها وهي البحائر والسوائب والحوامي وقد سبق في المائدة وثالثها انعام لا يذكرون
اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل هي انعام لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها وانما فعلوا ذلك كله من غير حكم من الله وشرع
منه بل افتراء عليه وانتصابه على انه مفعول له او حال او مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى افتراء ثم قال سيجزيهم بما كانوا يفترون والمقصود منه الوعيد
والنوع الرابع من قضاياهم الفاسدة انهم قالوا ما في بطون هذه الانعام يعنون اجنة البحائر والسوائب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ان ولد حيا وان
يكن ميتة فهم فيه شركاء اي اشترك فيه الذكور والاناث من قرأ بنصب ميتة فتقديره وان لم يكن ما في بطونها ميتة ومن قرأ بالرفع فعلى ان كان تامة او لان
التقدير وان لم يكن لهم او هناك ميتة وانما جاز تذكير الفعل وتانيثه لان تانيث الميتة غير حقيقي ولان الميتة لكل ميت ذكرا او انثى فكانه قيل ميت
ولهذا جاز عود الضمير اليه مذكرا في قوله فهم فيه شركاء وتذكير الضمير في قوله فهم للتغليب سيجزيهم وصفهم اي على الله الكذب في التحليل والتحريم انه
حكيم عليم ليكون الجزاء واقعا على حد الحكمة وبحسب الاستحقاق فان قيل كيف انث خالصة وذكر محرم قلنا الاول حملا على المعنى لان ما في بطون الانعام
في معنى الاجنة والثاني حمل على اللفظ وفي الاول وجه اخر وهو ان يكون التاء للمبالغة مثل راوية الشعر وان يكون مصدرا كالعاقبة والعافية
اي ذو خالصة ثم انه سبحانه جمع قبائح احكامهم وافعالهم وحكم عليهم بالخسران والسفاهة وعدم العلم وبالضلال وعدم الاهتداء فقال قد خسر الذين
قتلوا اولادهم سفها بغير علم لان الولد نعمة عظيمة من الله تعالى فالسعي في ابطال مثل هذه النعمة لضرر مظنون هو الفقر ونحوه او
لفائدة موهومة هي التقرب الى الاصنام دليل خفة العقل وعدم العلم وانه موجب لخسران الدارين وكذا تحريم ما احل الله من الطيبات بالهوى والتقليد
بل لمحض الافتراء على الله وان ذلك من اعظم الذنوب اكبر الكبائر ولهذا سجل عليهم اخرا بالضلال ثم بعدم الاهتداء لتحصيل كلا الامرين لهم بالمطابقة
كما حصل بالتضمن والله اعلم التاويل مهلك القرى اي قرى اشخاص الانسان بظلم وهو صرف الاستعداد الفطري في استيفاء اللذات الفانية واهلها
غافلون لم يبلغوا مبلغ التكليف بعد وربك الغني عن كل مخلوق عامة وعن الانسان خاصة فما خلقهم ليربحوا عليه بل ليربح عليهم اعملوا على مكانتكم اي
على ما جبلتم عليه اني عامل على ما جبلت عليه قتل اولادهم شركائهم من الشياطين والنفس والهوى والدنيا سيجزيهم بما كانوا يفترون ذهبوا مذهب
الطبع لا مذهب الشرع والعمل بالطبع وان كان فيه نوع مجاهدة النفس لا يكون له نور انما يكون لامتثال الشرع قد خسر الذين قتلوا اولادهم لان
ذلك نتيجة انتزاع الرحمة عن قلوبهم وحرموا ما رزقهم الله صورة وهو ظاهر ومعنى وهو استعداد حصول مراتب اهل القرب وما كانوا
مهتدين لان خشية الفقر حملتهم على قتل الاولاد وقال اهل التحقيق من امارات اليقين حقا يقين كثرة العيال على بساط التوكل

وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا
و اوست آنکه آفرید بستانهای بسته و نه بسته و درخت خرما و کشت را که گوناگون است میوه‌اش و زیتون را و انار را که مانند اند بهم
وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً
و غیر مانند بخورید از میوه‌اش چون میوه آورد و بدهید حق او را در روز درویدنش و زیاده روی مکنید که خدا دوست ندارد زیاده روان را و از جمله حیوانات شتران بارکش
وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ
و شتران خورد بخورید از آنکه روزی کرد شما را خدا و پیروی مکنید گامهای شیطانی را که او شما را دشمن است ظاهر هشت قسم از میش دو

وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

واز بز دو بگو کہ آیا دو نرینہ حرام کردہ اند یا دو مادینہ یا آنچہ جمع آمد بر او رحمهای دو مادینہ خبر دہید مرا اگر ہستید راستگویان

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ

واز شتر دو واز گاو دو بگو کہ آیا دو نرینہ حرام کردہ اند یا دو مادینہ یا آنچہ فرا گرفتہ بر او رحمهای دو مادینہ یا بودید

شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ

گواہان چون فرمود شما را خدا باین پس کیست ستمکارتر از آنکہ افترا بست بر خدا دروغ تا از راہ ببرد مردم را بدون دانشی بدرستی کہ خدا ہدایت نکند گروہ ستمکاران را

قُلْ لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ ع

بگو کہ نمی یابم در آنچہ وحی کردہ شد بمن حرام بر خورندہ کہ بخورد آنرا مگر آنکہ باشد مردہ یا خون ریختہ یا گوشت خوک پس بدرستی کہ آن پلید است یا فسقی کہ آواز

لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا

بر نام غیر خدا باین پس ہر کہ لاچار شود نہ جویندہ و نہ از حد گذرندہ بدرستی کہ پروردگار تو آمرزندہ مہربانست و بر آنہا کہ یہود شدند حرام کردیم ہر صاحب ناخنی را و از گاو و گوسفند حرام کردیم

كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَا

بر ایشان پیہہای آنہا را مگر آنچہ را برداشتہ پشتہای آنہا یا چربی رودہا یا آنچہ ممزوج شدہ است باستخوان این را پاداش دادیم

هُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ سَيَقُولُ

ایشانرا بسبب ستم ایشان و بدرستی کہ ما راستگویانیم پس اگر تکذیب کردند ترا پس بگو کہ پروردگار شما صاحب رحمت فراخ است و برگردانیده نشود عذاب او از گروہ گناہکاران زود است کہ گویند

الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا

آنان کہ انباز آوردند اگر خواستی خدا شرک نیاوردیمی و نہ پدران ما و حرام نکردیمی از چیزی ہمچنین تکذیب کردند آنان کہ از پیش ایشان بودند تا چشیدند

بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ

عذاب ما را بگو کہ آیا در نزد شما ہست دانشی پس بیرون آرید آنرا برای ما پیروی نمی کنید مگر گمان را و نیستید شما مگر دروغ میگوئید بگو پس خدا راست دلیل رسندہ پس اگر خواستی

لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ

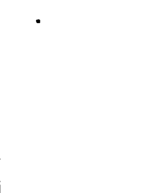
خدا ہر آئینہ راہ نمودی شما را ہمہ بگو کہ بیارید گواہان خود را آنانکہ گواہی دہند بدرستی کہ خدا حرام کردہ اینرا پس اگر گواہی دادند پس گواہی مدہ با ایشان

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ الفراءة

و پیروی مکن خواهشهای آنہا را کہ تکذیب کردند بآیات ما و آنان کہ نمی گروند بروز واپسین و ایشان بپروردگار شان برابری میکنند

حصادہ بفتح الحاء ابو عمرو وعاصم وابن عامر وسهل ويعقوب لباقون بالكسر كلاهما مصدر من الضاد بغير همزة ابو عمرو غير شجاع واوقية والاعشى الا عن ورش ويزيد وحمزة في الوقف ومن المعز ساكن العين عاصم وحمزة وعلي وخلف نافع وابو جعفر وابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي والقواس غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل عنه الباقون بفتحها الا ان تكون بتاء التانيث ابن كثير وابن عامر ويزيد وحمزة وعباس من طريق ابن روحي عنه ميتة بالتخفيف والرفع ابن عامر وزاد يزيد التشديد الباقون بالياء وبالنصب الحوايا بالامالة علي وحمزة وخلف فقل ربكم وبابه مظهر الحلواني عن قالون والبرجمي الوقوف متشابه ولا تسرفوا المسرفين لان قوله حمولة منصوب بانشا وفرشا الشيطان مبين لان ثمانية منصوب بانشا جنيا ازواج لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى المعز اثنين ارحام الانثيين لانتهاء الاستفهام صادقين لان اثنين منصوب انشا ايضا ومن البقر اثنين ارحام الانثيين لان ام في قوله ام كنتم بمعنى الف استفهام توبيخ بهذا للاستفهام مع الفاء ولانقطاع النظم مع اتحاد المعنى علم الظالمين لغير الله رحيم ظفر لانقطاع النظم مع اتحاد المعنى بعظم ببغيهم للابتداء بان واثبات وصف لصدق مط والوصل وجه لان المعنى وانا الصادقون فيما اخبرنا عن التحريم ببغيهم واسعة لاختلاف الجملتين المجرمين من شيء باسنا لنا تخرصون البالغة للشرط مع الفاء اجمعين حرم هذا لذلك معهم لتناهي جزاء الشرط مع العطف يعدلون التفسير انه سبحانه جعل مدار هذا الكتاب الكريم على تقرير التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر وانه بالغ في تقرير هذه الاصول وانتهى الكلام الى شرح احوال السعداء والاشقياء ثم انتقل منه الى تهجين طريقة منكري البعث والقيامة ثم اتبعه حكايات اقوالهم الركيكة تنبيها على ضعف عقولهم فلما تم هذه المقاصد عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلائل على اثبات ذاته ووجوب توحيده فقال وهو الذي انشأ الاية نشأ الشيء ينشأ نشأ اذا ظهر وارتفع وانشأه الله ينشئه انشاء اظهره وبدعه جنات معروشات وغير معروشات يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا يعطف عليه القضبان وقيل كلاهما الكرم فان بعضها لا يعرش وبعضها يبقى على وجه الارض منبسطا كالقرع والبطيخ وقيل المعروشات ما يحتاج الى ان يتخذ له عريش يحمل عليها فتمسكه وهو الكرم وما يجري مجراه وغير معروشات هو القائم من الشجر المستغني باستوائه وقوة ساقه من التعريش وقيل المعروشات ما في البساتين والعمارات مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات ما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش والنخل والزرع فسر ابن عباس الزرع بجميع الحبوب التي يقتات مختلفا اكله والاكل كل ما يؤكل والمراد ههنا ثمر النخل والزرع فاكتفى باعادة الذكر على احدهما كقوله واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها اي اليهما والمراد ان لكل شيء منهما

طعماً غير طعم الآخر ومختلفاً حال مقدرة اي انشأه مقدراً اختلاف اكله لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك متشابهاً وغير متشابه في القدر واللون
والطعم ثم قال كلوا من ثمره وقد قال في الآية المتقدمة التي هي نظير هذه الآية وذلك قوله وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء الآية
انظروا الى ثمره تنبيهاً على ان الامر بالاستدلال بها على الصانع الحكيم متقدم على الاذن في الانتفاع بها لان الحاصل من الاول سعادة روحانية
ابدية والحاصل من الانتفاع سعادة جسمانية زائلة وفائدة هذا الامر الاباحة الاكل قبل اخراج الحق كيلا يظن انه يحرم على المالك تناوله لمكان
شركة المساكين فيه وفي الآية اشارة الى ان خالق هذه النعم اما للاكل واما للتصدق والاول لكونه حق النفس مقدم على الثاني لانه حق الغير
وفيه ان الاصل في المنافع الاباحة والاطلاق لان قوله كلوا خطاب عام يتناول الكل ويمكن ان يستدل به على ان الاصل عدم وجوب الصوم وان
من ادعى ايجابه فهو المحتاج الى الدليل وان المجنون اذا افاق في اثناء النهار لا يلزمه قضاء ما مضى وان الشارع في صوم النفل لا يجب عليه الاتمام
قال علماء الاصول من المعلوم من لغة العرب ان صيغة الامر تفيد ترجيح جانب الفعل فحملها على الاباحة او الوجوب لا يصار اليه الا بدليل منفصل وفائدة
اذا اثمر وقد علم انه اذا اثمر كل منهي ان يعلم ان اول وقت الاباحة وقت طلوع الشجر الثمر ولا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع اما قوله وآتوا حقه
يوم حصاده فعن ابن عباس في رواية عطاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وطاوس والضحاك ان الآية مدنية والحق هو الزكاة المفروضة وعلى هذا
فكيف يؤدي الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل والجواب ان المراد فاعزموا على ايتاء الحق يوم الحصاد واهتموا به حتى لا تؤخروه عن اول وقت
يمكن فيه الايتاء وقال مجاهد الآية مكية وان هذا حق في المال سوى الزكاة وكان يقول اذا حصدت فحضرك المساكين فاطرح لهم منه واذا كدسته
واذا عرفت كيله فاعزل زكوته وزيف بقوله صلى الله عليه وآله ليس في المال حق سوى الزكاة وبان قوله وآتوا حقه انما يحسن لو كان ذلك الحق معلوما
قبل ورود هذه الآية والا لزم الاجمال وعن سعيد بن جبير ان هذا كان قبل وجوب الزكاة فلما فرض العشر ونصف العشر فيما سقي بالسواني نسخ
والقول الاول اصح ثم ان ابا حنيفة احتج بالآية على وجوب الزكاة في الثمار لانه قال وآتوا حقه بعد ذكر الانواع الخمسة وهو العنب والنخل والزرع والزيتون
والرمان واعترض عليه بان لفظ الحصاد مخصوص بالزرع واجيب بان الحصد في اللغة عبارة عن القطع وذلك يتناول الكل واحتج هو ايضا بها على ان العشر
واجب في القليل والكثير للاطلاق والجواب انه بيانه في الحديث ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ثم قال تعالى ولا تسرفوا ولاهل اللغة فيه تفسيران فعن
ابن الاعرابي السرف تجاوز ما حد لك فعلى هذا اذا اعطى الكل ولم يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف كما جاء في الخبر ابدأ بنفسك ثم بمن تعول
روي ان ثابت بن قيس بن شماس عمد الى خمسمائة نخلة فاخذها فقسمها في يوم واحد ولم يدخل الى منزله شيئا فنزلت الآية ولا تسرفوا اي لا تعطوا كله واذا منع الصدقة
فقد اسرف وبه فسر الآية سعيد بن المسيب فان مجاوزة الحد يكون الى طرف الافراط والى طرف التفريط وقال غيره سرف المال ما ذهب منه في غير
منفعة وعلى هذا فقد قال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الانعام والحرث وقال الزهري ولا تنفقوا في معصية الله تعالى وعن مجاهد لو كان ابو
قبيس ذهبا فانفقه رجل في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما في معصية الله كان مسرفا وهذا المعنى اراد حاتم الطائي حين قيل له لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير ثم ختم الآية بقوله انه لا يحب المسرفين والمقصود منه الزجر فان كل مكلف لا يحبه الله فانه من اهل النار لان محبة الله
تعالى عبارة عن ارادة ايصال الثواب اليه قوله حمولة وفرشا معطوف على جنات اي انشأ من الانعام هذين الجنسين فالحمولة ما يحمل الاثقال فعولة
بمعنى فاعلة والفرش ما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش مصدر بمعنى مفعول وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان



والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها كلوا مما رزقكم الله قالت المعتزلة اي مما احلها لكم ولا تتبعوا
خطوات الشيطان لا تسلكوا طريقه الذي يدعوكم اليه في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية انه لكم عدو مبين بين العداوة
وفي انتصاب ثمانية ازواج وجهان قال الفراء هو بدل من قوله حمولة وفرشا وجوز غيره ان يكون مفعول كلوا والعرب تسمي الواحد فردا اذا كان
وحده فاذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان قال عز من قائل خلق الزوجين الذكر والانثى وقال ثمانية ازواج ثم



فسرها بقوله من الضأن اثنين اي زوجين اثنين ومن المعز اثنين وفي الآية الثانية ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قال الجوهري الضأن خلاف
المعز جمع الماعز والجمع يعني اسم الجمع الضأن والمعز مثل راكب وركب وسافر وسفر والضأن ايضا مثل حارس وحرس وقال في الكشاف قرئ
بفتح العين والضأن ذوات الصوف من الغنم والمعز ذوات الشعر منها قل آلذكرين حرم ام الانثيين نصب بقوله حرم والاستفهام يعمل فيه ما بعده
ولا يعمل فيه ما قبله ويريد بالذكرين الذكر من الضأن وهو الكبش والذكر من المعز وهو التيس والانثيين الانثى من الضأن وهي النعجة والانثى
من المعز وهي العنز وذلك على طريق الجنسية والمشاكلة ومعنى الاستفهام انكار ان يحرم الله من جنسي الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها
واناثها ولا مما تشتمل عليه ارحام الانثيين اي مما يحمل اناث الجنسين وكذلك الذكر من جنسي الابل والبقر يعني الجمل والثور والانثيان منهما الناقة
والبقرة وما يحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة واناثها اخرى واولادها كيف كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة وكانوا
يقولون قد حرمها الله فقيل لهم انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا شريعة شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم واكد ذلك بقوله نبئوني
بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه واعلم انه سبحانه من على عباده بانشاء الازواج الثمانية
من الانعام لمنافعهم وباحتها لهم الا انه فصل بين بعض المعدود وبعضه بالاحتجاج على من حرمها وليس ذلك باجنبي وانما هي جملة معترضة حتى



بها تأكيد وتشديد للتحليل ثم الاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد أم قوله أم كنتم شهداء أم منقطعة أي بل أكنتم شهداء ومعناه الإنكار
يعني أعرفتم التوصية به مشاهدين لأنكم لا تؤمنون بالرسل وتقولون إن الله حرم هذا فلم يبق إلا المشاهدة منكم بهم بذلك وسجل عليهم وعلى
أمثالهم بالظلم بقوله فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب إليه تحريم ما لم يحرم قال المفسرون يريد عمرو بن لحي بن قمعة الذي غير شريعة إسماعيل ع
وبحر البحائر وسيب السوائب والأقرب أن اللفظ عام فيتناول كل مفتر إذا استحق هذا الوعيد على افتراء الكذب في تحريم مباح فكيف بمن افترى الكذب على الله
تعالى في مسائل التوحيد ومعرفة الذات والصفات والملائكة وفي النبوات وفي المعاد قال القاضي في الآية دلالة على أن الإضلال من الذين ذمهم
فلا يجوز أن ينسب إلى الله تعالى ولجوابه أنه ليس كل ما كان مذموما منا مذموما من الله تعالى فإن تمكين العبد من أسباب الفجور وتسليط الشهوة عليهم مذموم منا
دونه إن الله لا يهدي القوم الظالمين قال القاضي لا يهديهم إلى ثوابه ولا إلى زيادات الهدى التي يختص المهتدي بها وقالت الأشاعرة معناه أنه
لا ينقل المشركين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ثم لما بين فساد طريقة الجاهلية فيما يحل ويحرم من المطاعم أتبعه ببيان الصحيح في الباب فقال قل لا
أجد فيما أوحي إلي محرما أي طعاما محرما على طاعم يطعمه على آكل يأكله إلا أن يكون ذلك المأكول أو الموجود أو الطعام ميتة أو دما مسفوحا مصبوبا
سائلا قال ابن عباس يريد ما خرج من الأنعام وهي أحياء وما خرج من الأوداج عند الذبح فلا يدخل فيه الكبد والطحال لجمودهما وأما اللحم من الدم
فإنه غير سائل وسئل أبو مجلز عما يتلطخ باللحم من الدم وعن القدر التي يرى فيها حمرة الدم فقال لا بأس به إنما النهي عن الدم المسفوح وباقي الآية
ظاهر مما سلف في أمثالها وانتصاب فسقا على أنه معطوف على المنصوب قبله وأهل صفة له منصوب المحل سمي ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب
الفسق كما يقال فلان كرم وجود وجوز أن يكون فسقا مفعولا له من أهل وعلى هذا فقد عطف أهل على يكون والضمير في به يعود إلى ما يرجع إليه
المستكن في يكون قالت العلماء إن هذه السورة مكية وقد بين في الآية أنه لم يجد فيما أوحي إليه قرآنا أو غيره محرما سوى هذه الأربعة وقد أكد هذا
بما في النحل وفي البقرة مصدرة بكلمة إنما الدالة على الحصر فصارت المدنية مطابقة للمكية والذي جاء في المائدة حرمت عليكم الميتة والدم إلى قوله
وما أكل السبع إلا ما ذكيتم من أقسام الميتة ولكنه خص بالذكر لأنهم كانوا يحكمون على تلك الأشياء بالتحليل فثبت أن الشريعة من أولها إلى آخرها
كانت مستقرة على هذا الحكم وعلى هذا الحصر بقي الكلام في الخمر وفي سائر النجاسات والمستقذرات فنقول إنه سبحانه قد وصف الخمر بأنه رجس
وههنا علل تحريم لحم الخنزير بكونه رجسا فعلمنا أن النجاسة علة لتحريم الأكل وكل نجس فإنه يحرم أكله هذا بعد إجماع الأمة على تحريم الخبائث
وإن جوزنا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد كما روي أنه صلى الله عليه وآله نهى عن كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور فلا إشكال
وقيل المراد أن وقت نزول هذه الآية لم يكن محرم غير هذه الأربعة وزيف بأن تحريم شيء خامس نسخ والأصل عدمه ثم بين سبحانه أنه حرم على اليهود
أشياء أخر سوى هذه الأربعة فقال وعلى الذين هادوا حرمنا وذلك نوعان الأول أنه حرم عليهم كل ذي ظفر وفيه لغات ضم الفاء والعين وهو
الفصحى وكسرهما وهي قراءة ابن السماك والضم مع السكون والكسر مع السكون وهي قراءة الحسن واختلف في الظفر فعن ابن عباس في رواية عطاء أنه
الإبل فقط وعنه في رواية أخرى وهو قول مجاهد أنه الإبل والنعام وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا
استعارة وزيف بأن الحافر لا يكاد يسمى ظفرا وبأن البقر والغنم مباحان لهم كما يجيء مع أن لهما أظفارا فإذن يجب حمل الظفر على المخلب والبراثن
من الجوارح والسباع بل على كل ما له أصبع من دابة وطائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عمم التحريم فمفهوم التحريم خاص بهم ولهذا قدم
الجار في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا فيستدل بذلك على حل بعض هذه الحيوانات على المسلمين وهو ما سوى ذات المخلب والناب فيكون الخبر
مبينا للآية لا مخالفا كما ظن صاحب التفسير الكبير النوع الثاني قوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما قال في الكشاف هو كقولك من زيد أخذت
ماله تريد بالإضافة يعني إضافة الأخذ إلى زيد بواسطة من زيادة الربط والمعنى أنه حرم عليهم من كل ذي ظفر كله ومن البقر والغنم بعضهما و
ذلك شحومهما فقط وهذا أيضا ليس على الإطلاق لقوله إلا ما حملت ظهورهما قال ابن عباس إلا ما علق من الشحم فإنه لم يحرم وقال قتادة إلا ما علق
بالظهر والجنب من داخل بطونهما وقيل إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة وهي الشحمة التي على الظهر الملتزقة بالجلد فيما بين الكتفين إلى
الوركين وهي بالحقيقة لحم سمين لأنه يحرم عند الهزال ولهذا لو حلف لا يأكل الشحم فأكل من ذلك اللحم السمين لم يحنث على الأصح والاستثناء الثاني
قوله أو الحوايا قال الجوهري الحوايا الأمعاء واحدها حاوية وحوية وبعضهم يقول حاوياء وحاويا البطن وقال الواحدي هي المباعر والمصارين
أو ما اشتمل على الأمعاء يعني أن الشحوم الملتصقة بالمباعر والمصارين غير محرمة والاستثناء الثالث أو ما اختلط بعظم قال جمهور المفسرين يعني شحم
الألية وقال ابن جريج كل شحم في القوائم والجنب والرأس وفي العينين والأذنين فإنه مختلط بعظم فهو حلال لهم والحاصل أن الشحم الذي حرم الله
عليهم هو الثرب وشحم الكلية وقيل إن الحوايا غير معطوف على المستثنى وإنما هو معطوف على المستثنى منه والتقدير حرمنا عليهم شحومهما أو الحوايا
أو ما اختلط بعظم إلا ما حملت الظهور فإنه غير محرم ودخول كلمة أو كدخولها في قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا والمعنى كل هؤلاء أهل
أن يعصى واعص هذا فكذا ههنا المعنى حرمنا عليهم هذا وهذا ذلك الجزاء وهو تحريم الطيبات جزيناهم ببغيهم بسبب قتلهم الأنبياء و
أخذهم الربوا واستحلالهم أموال الناس بالباطل وغير ذلك من قبائح أفعالهم وإنا لصادقون في هذه الأخبار وفيما نوعد به العصاة
قال القاضي نفس التحريم لا يجوز أن يكون عقوبة على جرم صدر منهم لأن التكليف تعريض للثواب والتعريض للثواب إحسان وأجيب بأن المنع



من الانتفاع يمكن ان يكون لمزيد الثواب يمكن ان يكون بشوم اجرمهم المتقدم قوله كذبوك في ادعاء النبوة والرسالة او في تبليغ الاحكام وعلى المعتزلة فان
كذبوك في انجاز ايعاد العصاة وزعموا ان الله واسع الرحمة وانه يخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو رحمة واسعة فلذلك لا يعجل بالعقوبة ولا يرد باسه
اذا جاء وقت عذابهم عن القوم المجرمين يعني المكذبين وعلى الاصول هم رحمته واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع ذلك عن الذين ارتكبوا الكبائر فماتوا قبل
التوبة ثم حكى اعذار الكفار الواهية فقال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا وانما جاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير ان اكد
بالمنفصل لمكان الفصل بكلمة لا فان الفصل يكفي في العطف ولا زائدة لتاكيد النفي اخبر الله تعالى بما سوف يقولونه وقد قالوه وقال في سورة النحل وقال الذين اشركوا
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء طلما قال في سورة النحل بزيادة نحن ومن دونه مرتين لان الاشراك مستنكر مطلقا فلفظ الاشراك يدل على
اثبات شريك لا يجوز اثباته وعلى تحليل اشياء وتحريم اشياء من دون الله فلم يحتج الى لفظ من دونه واما العبادة فانها غير مستنكرة على الاطلاق وانما
المستنكر عبادة شيء مع الله سبحانه ولا يدل على تحريم شيء فلم يكن بد من تقييده بقوله من دونه ولما حذف من الاية لفظ من دونه مرتين حذف معه
نحن ليطرد الاية في حكم التخفيف اما تفسير الاية فزعمت المعتزلة انها يدل على قولهم في مسئلة ارادة الكائنات من سبعة اوجه الاول ان الذي حكى
الكفار في معرض الذم والتقبيح فعلك قولهم لو شاء الله منا ان لا نشرك هو صريح قول المجبرة فيكون هذا المذهب مذموما الثاني قوله كذلك
كذب الذين من قبلهم فلم يذكر المكذب به تنبيها على انهم جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على
غناه وبراءته من مشية القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشية الله وارادته فقد كذب كله وهو
تكذيب الله ورسله وكتبه ونبذ ادلة السمع والعقل وراء ظهره والحاصل ان هذا طريق متعين لكل الكفار المتقدمين منهم والمتاخرين في تكذيب
الانبياء وفي دفع دعوتهم عن انفسهم لانهم يقولون الكل بمشية الله تعالى الثالث قوله حتى ذاقوا باسنا وذلك يدل على انهم استوجبوا الوعيد من الله
تعالى في هذا المذهب الرابع قوله قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وانه استفهام على سبيل الانكار اي لا علم لهؤلاء القائلين ولا حجة الخامس ان
يتبعون الا الظن السادس ان انتم الا تخرصون السابع قل فلله الحجة البالغة لانه ازال الاعذار بالتمكين والاقدار فلم يبق لكم على الله حجة وانما
الحجة البالغة له عليكم وذلك انكم تقولون لو اتينا بعمل على خلاف مشية الله لزم ان يكون الاله عاجزا مغلوبا وهذا الكلام غير لازم لان الله قادر
على ان يحملكم على الايمان والطاعة على سبيل القهر والالجاء الا ان ذلك يبطل الحكمة المطلوبة من التكليف هذا هو المراد من قوله فلو شاء لهديكم
اجمعين وبوجه اخر ان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله فلله الحجة الكاملة عليكم فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تعلقوا دين من
يخالفكم ايضا بمشيته فتوالوا جميع اهل الاديان ولا تعادوهم اجابت الاشاعرة بانا قد بينا ما الدلائل القاطعة من اول القران الى ههنا صحة مذهبنا
فوجب تاويل هذه الاية دفعا للتناقض فنقول ان القوم كانوا يتمسكون بمشية الله تعالى في ابطال دعوة الانبياء وفي ان التكليف عبث فبين الله
تعالى ان ذلك من تكذيبهم واكاذيبهم وان التشبث بهذا العذر لا يفيدهم لانه له ان يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه شاء
الكفر من الكافر ومع ذلك بعث الانبياء وامر بالايمان وورود الامر على خلاف الارادة غير ممتنع ويؤيد ذلك ما روى عن ابن عباس اول ما خلق
الله القلم فقال اكتب القدر فجرى بما يكون الى قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه واله المكذبون بالقدر مجوس هذه الامة
ثم ان ظاهر الاية معناه وهو قوله فلو شاء لهديكم اجمعين وحمل المشية على مشية الالجاء والقسر تعسف والله اعلم ثم لما ابطل جميع حجج الكفار
بين انه ليس لهم على قولهم شهود فقال قل هلم معناه اذا كان لازما اقبل واذا كان متعديا احضر قال الخليل اصله ها لم ثم حذفت الفها لكثرة
الاستعمال وجعلا اسما واحدا يستوي فيه الواحد والجمع والتانيث في لغة اهل الحجاز واهل نجد يصرفونها هلما هلموا هلمي والاول افصح وقد
يوصل بالى كقوله تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا وقال الفراء اصلها هل ام ارادوا بهل حرف الاستفهام ومعنى ام اقصد وقيل ان اصل
استعماله ان قالوا هل لك في الطعام ام اي قصد ثم شاع في الكل امر الله تعالى نبيه باستدعاء اقامة الشهداء من الكافرين ليظهر ان لا شاهد لهم
على تحريم ما حرموه وانما قيل شهداءكم الذين يشهدون لانه ليس الغرض احضار اناس يشهدون بالتحريم وانما المراد احضار شهدائهم الموسومين بالشهادة لهم
المعروفين بنصرة مذهبهم ولهذا قال فان شهدوا اي فان وقعت شهادتهم فلا تشهد معهم اي لا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لان شهادتهم
محض الهوى والتعصب لاجل ذلك قال ايضا ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا فوضع الظاهر موضع المضمر تسجيلا عليهم بالتكذيب ولترتب عليه
باقي الاية فيعلم ان المتصف بهذه الصفات لا يكون شهادتهم عند العقلاء مقبولة التاويل وهو الذي انشا جنات في القلوب معروشات
من شجرة الاسلام والايمان والاحسان وغير معروشات هي الصفات الروحانية التي جبلت القلوب عليها كالسخاء والحياء والوفاء والمودة و
الفتوة والشفقة والعفة والعلم والحلم والعقل والشجاعة والقناعة ونخل الايمان وزرع الاعمال الصالحة وزيتون الاخلاق الحميدة ورمان
الاخلاص متشابها في العمل وغير متشابه في احوالها كلوا من ثمره انتفعوا من ثمار الايمان والاعمال والاخلاص بالشواهد والاحوال لا بالدعاوي و
القيل والقال واتوا حقه حق دعوة الخلق وتربيتهم بالحكمة والموعظة الحسنة يوم حصاده وان بلوغ السالك مبلغ الرجال البالغين عند
ادراك ثمرة الكمال للواصلين دون السالك الذي يتردد بعد بين المنازل والمراحل ولا تسرفوا بالشروع في الكلام في غير وقته والحرص على
الدعوة قبل اوانها ومن الانعام اي من الصفات الحيوانية التي هي مركوزة في الانسان ما هو مستعد لحمل الامانة وتكاليف الشرع ومنها ما هو مستعد

بالشواهد و الاحوال

الثل

للاكل والشرب لصلاح القالب وقيام البشرية كلوا مما رزقكم الله فرزق القلب هو التحقيق من حيث البرهان ورزق الروح هو المحبة بصدق التوجه عن الاكوان ورزق السر هو شهود العرفان بلحظ العيان فانتفعوا من هذه الارزاق بقدر ما ينبغي انه لكم عدو مبين يخرجكم بالتفريط والافراط الى حد المقصود ثم ان الصفات الحيوانية ثمان بعضها ذكور وبعضها اناث يتولد منها صفات اخر كلها محمودة اذا استعملت في محلها وبمقدار ما ينبغي من الضأن اثنين ومن المعز اثنين والضأن والمعز من جنس الفرشية كما ان الابل والبقر من جنس الحمولية والذكر من الضأن والمعز هما شهوة البطن والفرج والانثى منهما صفة حسن الخلق عند الاستمتاع بها وصفة التسليم عند تحمل الاذى والذكر من الابل والبقر صفتا الظلومية والجهولية وانثاهما الحمولية والاستسلام للامتحان فبهذه الصفات الثمانية صار الانسان حامل اعباء الامانة التي ابت المكونات عن حملها ويتبين ايضا حمله عرش القلب فافهم وقد احل الله تعالى استعمالها واستعمال المتولد منها على قانون الشريعة والطريقة ومن زعم انه يجب تركها وفصلها بالكلية فقد افترى لو شاء الله ما اشركنا الكلام في نفسه حق وصدق الا انهم لما ذكروه في معرض الاثر ادفعا للاذية والالزام كذبوا فيما قالوا والله سبحانه اعلم بالصواب

ع

قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

بگو که بیایید تا بخوانم آنچه را که حرام کرده پروردگار شما بر شما که شریک قرار ندهید چیزی را و به پدر و مادر خوبی و مکشید فرزندان خود را از بیچیزی ما روزی میدهیم شما را

وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

و ایشان را و نزدیک نشوید زناها را هرچه پیداست از آن و هرچه ناپیداست و مکشید نفس آنچنانی را که حرام کرده خدا مگر براستی این است که فرموده شما را بآن شاید که دریابید

وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا

و نزدیک مکنید مال یتیم را مگر بآن طوری که آن بهتر است تا برسد بقوت و تمام دهید پیمانه را و ترازو را براستی تکلیف نمیکنیم نفسی را مگر بقدر اندازه او و چون

قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا

گفتید پس راستگویید و هرچند باشد خداوند خویشی و بپیمان خدا وفا کنید این است که فرموده شما را بآن شاید که شما پند گیرید و آنکه این راه من است که راست است

فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا

پس متابعت کنید آن را و متابعت مکنید راهها را پس پراکنده سازد شما را از راه او این است که فرموده شما را بآن شاید که شما پرهیزید پس دادیم موسی را کتاب را

عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ

بر طریق کسی که آن بهتر است و بیان از برای هرچیزی و راستی و رحمتی شاید که ایشان بدیدار پروردگار شان بگروند و این کتابی است که فرو فرستادیم آن را با برکت

ع

فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ

پس متابعت کنید آن را و پرهیزید شاید که رحمت کرده شوید تا نگویید بدرستی که فرو فرستاده شد کتاب بر دو طائفه از پیش ما و اگرچه بودیم از خواندن ایشان بیخبران

أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ

یا بگویید که اگر ما فرود آمده بود بر ما کتاب هر آینه بودیم یابنده تر از ایشان پس بتحقیق که آمد شما را گواهی از پروردگار شما و راستی و رحمت پس کیست ستمکارتر از آنکه تکذیب کرد

بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ

بآیات خدا و برگشت از آن زود است که پاداش دهیم آنها را که باز گردیدند از آیات ما بدتر عذاب بآنچه بودند که باز گردیدند آیا چشم میدارند

إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا

مگر که آید ایشان را فرشتگان یا بیاید فرمان پروردگار تو یا بیاید پاره از آیات پروردگار تو روزی که بیاید بعضی از آیات پروردگار تو سود ندهد نفسی را ایمانش

لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا

که نبود که ایمان آورده بود از پیش یا فرا گرفته باشد در ایمانش خوبی را بگو که چشم دارید بدرستی که منتظرانیم بدرستی که آنان که پراکنده کردند دین خود را و گشتند طائفه ها

لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ

نیستی تو از ایشان در چیزی جز این نیست که کار ایشان بسوی خداست پس خبر دهد ایشان را بآنچه بودند که میکردند هر که آورد نیکوئی پس مر او راست ده مانند آن و هر که آورد گناهی

فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ

پس جزا داده نشود مگر مانند آن و ایشان ستم کرده نشوند بگو که من راه نمود مرا پروردگارم بسوی راه راست دینی راست ملت ابراهیم میل از باطل و نبود از شرکان

قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ

بگو بدرستی که نماز من و اعمال من و زندگانیم و مردنم مر خدای راست که پروردگار عالمیان است نیست شریکی مر او را و باین فرمان داده شدم و منم نخست تسلیم کننده گان بگو

أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ

آیا سوای خدا را بجویم پروردگار و اوست پروردگار هر چیز و نمیکند هیچ تنی بجز آنچه را که بر اوست و برندارد بردارنده بار دیگری را

ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ

پس بسوی پروردگار شماست بازگشت شما پس خبر دهد شما را بآنچه بودید که در آن اختلاف کردید و اوست آنکه گردانید شما را جانشینان در زمین و بالا برد



بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ القراءة

بعضے از شما را بالای بعضے در مرتبہ تا کہ بیازماید شما را در آنچہ دادہ است شما را ہر آئینہ پروردگار تو زود عقوبت است و ہر آئینہ او آمرزندہ مہربان است

تذكرون بتخفيف الذال حيث كان حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابى بكر وحماد تخذ فوا احدى التائين الباقون بالتشديد لاجل ادغام تاء التفعل فى الذال وان هذا بسكون النون ابن عامر ويعقوب وان هذا بكسر الهمزة وتشديد النون حمزة وعلى وخلف الباقون وان بالفتح والتشديد صراط بفتح الياء ابن عامر والاعشى والبرجمى فتفرق بتشديد التاء البزى وابن فليح ان يأتيهم بالياء التحتانية وكذلك فى النحل على وحمزة وخلف الباقون بالتاء الفوقانية فارقوا وكذلك فى الروم حمزة وعلى الباقون فرقوا بالتشديد عشر بالتنوين امثالها بالرفع يعقوب الباقون بالاضافة ربى الى بفتح يا المتكلم ابو عمرو وابو جعفر ونافع قيما بكسر القاف وفتح الياء ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بالعكس مع تشديد الياء محياى بالسكون مماتى بالفتح ابو جعفر ونافع الباقون بالعكس وانا اول بالمد نافع وابو جعفر الوقوف شيئا ج لحذف ان اى احسنوا بالوالدين احسانا لابتداء النهى مع احتمال العطف اى ان لا تقتلوا من املاق واياهم ج للعطف مع العارض وما بطن ج للفصل بين الحكمين المعظمين مع اتفاق الجملتين بالحق ط لانها بيان الاحكام الى توكيد لا ايضا للاحكام تعقلون اشده ج للفصل بين الحكمين بالقسط ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف وسعها ج لتناهى جواب اذا وتقدم مفعول اوفوا تذكرون لا لمن قرأ وان هذا بالكسر فاتبعوه ج للفصل بين النقيضين معنى مع الاتفاق نظما عن سبيله ط تتقون لا يؤمنون ترحمون لا لان التقدير فاتبعوه لئلا تقولوا من قبلنا لغافلين لا للعطف هدى ورحمة ج للفاء مع ان قد لتوكيد الابتداء ورحمة ج للاستفهام مع الفاء وصدف عنها ط يصدفون بعض آيات ربك ط خيرا ط منتظرون فى شىء ط يفعلون امثالها ج لابتداء شرط آخر مع العطف لا يظلمون مستقيم ج لاحتمال ان دينا نصب على البدل من محل الى صراط او على الاغراء اى الزموا حنيفا ج لابتداء النفى مع اتحاد المعنى المشركين العالمين لا شريك له ج المسلمين كل شىء ط لانتهاء الاستفهام الى الا عليها ج للتفصيل الامرين على التهويل مع اتفاق الجملتين اخرى ج لان ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد المقصود تختلفون آتيكم ط العقاب ج للتفصيل بين تحذير وتبشير والوصل للعطف اوضح رحيم التفسير لما بين فساد ما يقوله الكفار فى باب التحليل والتحريم اتبعه البيان الشافى فى الباب فقال قل تعالوا وهو لخاص الذى صار عاما لان اصله ان يقوله من كان فى مكان عال لمن هو اسفل منه وما فى قوله ما حرم اما منصوب بفعل التلاوة اى اتل الذى حرمه ربكم فالعائد محذوف وقوله عليكم يكون متعلقا باتل وبحرم واما منصوب بحرم على ان ما استفهامية فلا راجع والمعنى اتل اى شىء حرم لان التلاوة نوع من القول وتقديم المفعول للتخصيص فان قيل قوله ان لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا كالتفصيل لما اجمله فى قوله ما حرم فيلزم ان يكون ترك الشرك والاحسان الى الوالدين محرما فالجواب ان المراد من التحريم البيان المضبوط او الكلام تم عند قوله ما حرم ربكم ثم ابتداء فقال عليكم ان لا تشركوا او المفسرة اى ذلك التحريم هو قوله لا تشركوا وهذا فى النواهى واضح واما الاوامر فيعلم بالقرينة ان التحريم راجع الى اضدادها وهى الاساءة الى الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل فى القول ونكث عهد الله ولا يجوز ان يجعل ان ناصبة والا لزم عطف الطلب اعنى الامر على الخبر واعلم انه سبحانه بين فرق المشركين فى هذه السورة احسن بيان وذلك ان منهم من يجعل الاصنام شركاء لله تعالى فاشار اليهم بقوله واذ قال ابراهيم لابيه آزر أتتخذ اصناما آلهة ومنهم عبدة الكواكب الذين ابطل قولهم بقوله لا احب الافلين ومنهم القائلون بيزدان واهرمن ومنهم الذين يعتقدون الملائكة بنات الله والمسيح ابن الله وزيف معتقدهم بقوله وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم ثم عمم النهى بقوله لا تشركوا به شيئا ثم حث على احسان الوالدين وكفى بهذه الخصلة شرفا ان جعلها تاليا للتوحيد ثم اوجب رعاية حقوق الاولاد بعد رعاية حقوق الوالدين ومعنى من املاق اى من خوف الفقر كما صرح بذلك فى الاية الاخرى ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق كانوا يدفنون البنات احياء بعضهم للغيرة وبعضهم لخوف الاملاق وهو السبب الغالب فلذلك نبه على ذلك لوهم بقوله نحن نرزقكم واياهم فكما يجب على الوالد الاتكال فى رزق نفسه على الله فكذا القول فى حال الولد قال شمر املق الرجل اذا افتقر واملق الدهر ما عنده اذا افسده وانما قال ههنا نحن نرزقكم واياهم وقال فى سبحان بالعكس لان التقدير فى الاية من املاق بكم نحن نرزقكم واياهم وهناك نبه على الخشية التى تتعلق بالمستقبل فالتقدير خشية املاق يقع بهم نحن نرزقهم واياكم ثم نهى عن قربان الفواحش كلها ومعنى ما ظهر منها وما بطن كما مر فى قوله وذروا ظاهر الاثم وباطنه وفيه ان الانسان اذا احترز عن المعصية فى الظاهر ولم يحترز عنها فى الباطن دل على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله تعالى وامتثال امره ولكن لاجل الخوف من مذمة الناس ثم افرد من جملة الفواحش قتل النفس المحرمة تنبيها على عظمها ولما نيط بها من الاستثناء وهو قوله الا بالحق وذلك ان قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم يصدر عنها كما جاء فى الحديث لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس بغير حق ويندرج فى سلكه جزاء قاطع الطريق والحاصل ان الاصل فى قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت الا بامر منفصل ثم لما بين النواهى الخمسة اتبعه الكلام الذى يقرب الى القلوب لقبوله فقال ذلكم وصيكم لما فى لفظ التوصية من الرافة والاستعطاف ومعنى لعلكم تعقلون لكى تعقلوا فوائد هذه التكاليف ومنافعها فى الدين والدنيا ثم ذكر بعض انواع اخر من التكاليف وذلك قوله ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى اى بالخصلة او الطريقة التى هى احسن السعى فى تثميره وانمائه ورعاية وجوه الغبطة لاجله كما مر فى اول سورة النساء حتى يبلغ اشده اى احفظوا ماله الى هذه الغاية اى اوان الاحتلام ولكن بشرط ان يونس منه الرشد قال الفراء واحد الاشد شد فى القياس وشد ولم يسمع وقال ابو الهيثم الواحد شدة كانعم فى نعمة والشدة القوة

املق لازم و متعد

ومنه قولهم بلغ الغلام شدته وقيل انه واحد جاء على بناء الجمع كآنك ولا نظير لهما وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ بالعدل والتسوية وايفاء الكيل
اتمامه خلاف البخس وقوله والميزان اى الوزن بالميزان فان قيل ايفاء الكيل والوزن هو عين القسط فما فائدة التكرار قلنا امر الله المعطى بايفاء
ذى الحق حقه من غير نقصان وامر صاحب الحق باخذ حقه من غير طلب الزيادة ثم قال لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ليعلم ان الواجب هو القدر الممكن من العدالة
والتسوية لا التحقيق المؤدى الى الحرج والعسر فزعمت المعتزلة ههنا ان هذا القدر من التضييق حين لم يجوزه الله تعالى فكيف يكلف الكافر الايمان مع
انه لا قدرة له عليه او يخلق القدرة الموجبة للكفر والداعية المقتضية له ثم ينهاه عنه وعورض بالعلم والداعى كما تقدم مرارا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا
وَلَوْ كَانَ المقول له او عليه ذَا قُرْبَى حمله المفسرون على اداء الشهادة وعلى الامر والنهى والاولى ان يحمل على الاقوال كلها ويدخل فيه قول الرجل فى
الدعاء الى الدين وتقرير الدلائل عليه بان يذكر الدليل مخلصا عن الحشو ومبرأ عن النقص ومجردا عن العصبية والجدال على مقتضى الهوى والتشهى
كذا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وكذا الحكاية والرواية والرسالة وحكم الحاكم بحيث يسوى فيه بين القريب والبعيد ولا ينظر الا رضاء الله
وختم الاوامر بقوله وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا كما قال أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ويندرج فى هذه الخاتمة بالحقيقة جميع الانواع المذكورة وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي من قرأ
بالفتح والتخفيف فاعماله فى ضمير الشان والتقدير تعالوا اتل ما حرم واتل انه هذا صراطى وكذا فيمن قرأ بالتشديد وبالنفى الا ان ضمير الشان
لا يقدر وان شئت جعلتها خفضا متعلقا بما قبلها اى ذلكم وصيكم به وبان او بما بعده والتقدير ولان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ومن كسر فان
التلاوة فى معنى القول وعلى الاستئناف والمعنى اتبعوا صراطى انه مستقيم وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية
وسائر البدع والضلالات فَتَفَرَّقَ بِكُمْ الباء للتعدية اى فيفرقكم ذلك الاتباع عَنْ سَبِيلِهِ المستقيم وهو دين الاسلام وعن ابن مسعود عن النبى
صلى الله عليه واله انه خط خطا ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو
اليه ثم تلا هذه الاية وهذه الاية بالحقيقة اجمال لما فى الايتين المتقدمتين ولهذا ختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل وخير الزاد وختم الاولى بقوله
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لانها امور ظاهرة جلية يكفى فى تعلقها ادنى مسكة وعقل وختم الثانية بقوله لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ لان المذكورة فيها امور
خفية يحتاج الى التدبر والتذكر حتى يقف فيها على موضع الاعتدال او نقول الامور الخمسة المذكورة فى الاية الاولى كلها عظام جسام وكانت
الوصية بها من ابلغ الوصايا فختم الاية بما فى الانسان من اشرف السجايا وهو العقل الذى امتاز به الانسان عن سائر الحيوان واما المذكورة
فى الثانية فاشياء يقبح تعاطيها وارتكابها وكانت الوصية بها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله تَذَكَّرُونَ اى تتعظون بمواعظ الله تعالى
قوله ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ معطوف على وصيكم فيسئل كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل الوصية بدهر طويل واجيب بان التكاليف
التسعة المذكورة تكاليف لا يختلف بحسب اختلاف الشرائع كما روى عن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شئ من جميع الكتب وقيل
انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شئ فى التوراة
مختصة بها فهى تماما حدثت بعد تلك التكاليف التسعة فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بنى آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى
الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل ان فى الاية حذفا فالتقدير ثم قل يا محمد صلى الله عليه واله انا آتينا والمعنى اتل ما اوحى اليك ثم
اتل عليهم خبر ما آتينا موسى وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وقوله تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ
مفعول له اى لتتم نعمتنا على الذى احسن اى على من كان محسنا صالحا او المراد اتماما للنعمة والكرامة على العبد الذى احسن الطاعة فى التبليغ
وكل ما امر به او تماما على الذى احسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشئ اذا اجاد معرفته اى زيادة على علمه وقرئ احسنُ بالرفع على الذى
الذى هو احسن دين وارضاه وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ يدخل فى ذلك بيان نبوة رسولنا صلى الله عليه واله وصحة دينه وشرعه وَهُدًى
دلالة وَرَحْمَةً لكى تؤمنوا بلقاء ما وعدهم ربهم من ثواب وعقاب وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ لا شك انه القرآن مبارك كثير الخير والنفع او ثابت
لا يتطرق اليه النسخ كما فى الكتابين فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لكى ترحموا لان الغرض من التقوى رحمة الله تعالى او اتقوا لترحموا جزاء على التقوى او اتقوا مخالفته
على رجاء الرحمة قال الفراء قوله ان تقولوا مفعول واتقوا وقال الكسائى التقدير انا انزلناه لئلا تقولوا وقال البصريون انا انزلناه كراهة
ان تقولوا والخطاب لاهل مكة إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ اى التوراة والانجيل عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا اليهود والنصارى وان كنا هى المخففة من الثقيلة
واللام فى لَغَافِلِينَ هى الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا ومعنى الدراسة القراءة وانما قالوا لكنا اهدى منهم لحدة اذهانهم
وكثرة حفظهم لايام العرب ووقائعها وخطبها واشعارها وامثالها مع كونهم اميين قطع الله عذرهم بانزال القرآن عليهم ثم قال فَقَدْ جَاءَكُمْ
اى ان صدقتم ان عدم انزال الكتاب يصلح للعذر وانه لو انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فيما يعلم سمعا
وَهُدًى فيما يعلم سمعا وعقلا وَرَحْمَةٌ من الله فى صلاح المعاش والمعاد فَمَنْ أَظْلَمُ بعد هذه المعجزات والبينات مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ
عَنْهَا اى منع غيره منها لان الاول ضلال والثانى اضلال ثم ختم الاية باشد الوعيد وابلغ التهديد ثم ذكر انهم بعد نصب الادلة وازاحة
العذر لا يؤمنون البتة وشرح احوالا توجب المبادرة الى الايمان والتوبة فقال هل ينظرون اى ينتظرون ومعنى الاستفهام النفى و
تقدير الاية انهم لا يؤمنون بك الا عند مجئ احد هذه الامور مجئ الملائكة او مجئ الرب ويعنى به عذابه وبأسه كما سلف فى البقرة او مجئ

بالمعجزات القاهرة قال في الكشاف الملائكة ملائكة الموت او ملائكة العذاب ويجيء الرب يجيء كل آياته ثم او يأتي بعض آيات ربك واجمعوا على ان المراد بهذه الآيات
علامات القيمة عن البراء بن عازب قال كنا نتذاكر امر الساعة اذ اشرف النبي صلى الله عليه وآله فقال اتذكرون الساعة انها لا تقوم حتى ترون قبلها عشر
آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول
عيسى ونار تخرج من عدن والمراد انه اذا بدت اشراط الساعة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ايمانها ولا
نفسا ما كسبت في ايمانها خيرا ثم اوعدهم فقال انتظروا انا منتظرون ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله ان الذين فرقوا دينهم اي فرقوا ومعنى
القرائتين في الحنيفية واحد لان الذي فرقه دينه بمعنى انه آمن ببعض وكفر ببعض فقد فارقه اي تركه قال ابن عباس يريد ان المشركين بعضهم يعبد
الملائكة ويقولون انهم بنات الله وبعضهم يعبدون الاصنام ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله فصاروا شيعا اي فرقا واحزابا في الضلالة
والشبهة كل فرقة تشيع اماما لها وقال مجاهد ايضا انهم من هذه الامة وهم اهل البدع والشبهات وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلث وسبعين
كلها في الهاوية الا واحدة لست منهم في شيء اي انت بعيد من اقوالهم ومذاهبهم والعقاب اللازم على تلك الاباطيل مقصور عليهم لا يتعداهم اليك
وقال السدي معناه لم تؤمر بقتالهم فلما امر بقتالهم نسخ ويحتمل ان يقال ان النهي عن القتال في وقت لا ينافي الامر به في وقت آخر فلا نسخ انما امرهم الى الله بالاستيصال
والاهلاك ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون وفيه من الوعيد ما فيه وفي الآية حث على ان كلمة المسلمين يجب ان يكون واحدة لئلا يستاهلوا الخزي بل كما قال
من جاء بالحسنة هي لا اله الا الله والسيئة الشرك والاولى حملها على العموم فله عشر امثالها اقام صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات
امثالها بالرفع والتنوين قيل هذا اقل الموعود وقد وعد سبع مائة وبغير حساب قيل ليس المراد التحديد بل اراد الاضعاف كقول القائل لئن اسديت
الي معروفا لاكافينك بعشرة امثاله وفي الوعيد لئن كلمتني واحدة لاكلمنك عشرا روى ابو ذر ان النبي صلى الله عليه وآله قال عن الله تعالى الحسنة عشر او ازيد
والسيئة واحدة او اغفر فالويل لمن غلبت آحاده اعشاره وقال صلى الله عليه وآله يقول الله تعالى اذا هم عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة وان هم بسيئة فلا تكتبوها
فان عملها فسيئة وهم لا يظلمون اي لا ينقص من ثواب طاعاتهم ولا يزاد على عقاب سيئاتهم سؤال ما الحكمة في الاضعاف جوابه كان الامم اعمارهم طويلة وطاعاتهم
كثيرة فوضع الله لهذه الامة ليلة القدر خير من الف شهر واضعاف الاعمال من جاء بالحسنة فله عشر امثالها كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة
حبة انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب او بها وان الخصماء يتعلقون بهم يوم القيمة فيذهبون باعمالهم الى ان يبقى الاضعاف فيقول الله اضعافه
ليس من فعله هو من رحمتي فلا اقبض منهم ابدا آخر كيف يوجب الكفر عقاب الابد جوابه ان الكافر كان على عزم الكفر لو عاش ابدا فاستحق العقاب
الابد بناء على ذلك الاعتقاد بخلاف المسلم المذنب فانه يكون على عزم الاقلاع فلا جرم يكون عقوبته منقطعة وايضا الكفر جهله الكافر وهو ذات
القديم سبحانه وصفاته شيء لا نهاية له فيكون جهله لا يتناهى فكذا عقابه آخر اعتاق الرقبة الواحدة تارة جعل بدلا عن صيام ستين يوما وهو في
كفارة الظهار وتارة بدلا عن صيام ايام قلائل آخر الحدث في راس انسان موضحتين فوجب ارشان فان عاد ورفع الحاجز بينهما صار الواجب ارش موضحة
واحدة فههنا ازداد الجناية وقل العقاب آخر قد يجتمع بسبب اطراف تبان ولطائف تزال ديات متعددة اذا حصل الاندمال وقد ينتهي
الى نيف وعشرين الاذنان او ابطال حسهما العينان او البصر الاجفان المارن الشفتان اللسان او النطق الاسنان اللحيان اليدان الذكر
الانثيان او الجلدتان الحلمتان والشفران والاليتان الرجلان العقل السمع الشم الصوت الذوق الامناء او الاحبال ابطال لذة الجماع ابطال
لذة الطعام الافضاء البطش المشي وقد تضاف اليها موجبات الجوائف والمواضح وسائر الشجاج فان عاد الجاني قبل الاندمال وجز الرقبة او
نصفين رجع الى دية النفس وكل ذلك يدل على ان رعاية المماثلة غير معتبرة في الشرع والجواب عن الاسئلة الثلثة ان هذه الامور من تعبدات
الشرع المطهر وتحكماته فلا سبيل بعقولنا اليها ويمكن ان يجاب عن الثالث بان بدل الاطراف لما لم يستقر بالاندمال دخل في دية النفس لعسر ضبط
ذلك والجزاء الحقيقي موكول الى يوم الجزاء والله اعلم قال اهل السنة كل الثواب تفضل من الله تعالى فلا اشكال وقالت المعتزلة ان بين الثواب
والتفضل فرقا لان الثواب هو المنفعة المستحقة والتفضل هو المنفعة التي لا يكون مستحقة ثم اختلفوا فقال الجبائي العشرة تفضل والثواب
غيرها اذ لو كان الواحد ثوابا والتسعة تفضلا لزم ان يكون الثواب دون التفضل فلا يكون للتكليف فائدة وقال آخرون لا يبعد ان يكون
الواحد ثوابا الا انه يكون اعلى شانا من التسعة الباقية ثم لما علم رسوله صلى الله عليه وآله انواع الدلائل والرد على اصناف المشركين وبالغ في تقرير اثبات
القضاء والقدر ورد على اهل الجاهلية اباطيلهم امره بان يقول انني هداني ربي ليعلم ان الهداية لا تحصل الا بالله عز وجل قيما فيعل من قام كسيد
من ساد وميت من مات قيما فعلا انه مصدر بمعنى القيام كالصغر والكبر وصف به للمبالغة وملة ابرهيم عطف بيان وحنيفا من ابرهيم او من ملة والمعنى هداني
وعرفني ملة ابرهيم لكونه او كونها موصوفا بالحنيفية ثم قال في صفة ابرهيم وما كان من المشركين ردا على من زعم عليه شيئا من ذلك فالدين القويم
والطريق المستقيم عليه كيف يصنع به ويهدي به فقال قل ان صلاتي ونسكي اي عبادتي وتقربي اليه كما روى ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال النسك
سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالسبيكة المخلصة من الخبث وقيل المراد بالنسك
ههنا الذبائح جمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي اخذا من مناسك الحج ومحياي ومماتي اي حيوتي وموتي

بيمان



ميميا وقال في الكشاف المراد وما آتيه في حيوتي واموت عليه من الايمان والعمل الصالح وفيه انه لا يكفي في العبادات ان يؤتي بها كيف كانت بل لابد ان
يكون جميع حركات المرء وسكناته لله رب العالمين وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم على اسلام امته وقال في التفسير
الكبير انه تعالى امر رسوله ان يبين ان صلوته وسائر عباداته وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله تعالى وتقديره وقضائه وحكمه وذلك ان الحيوة والممات
بخلق الله فكذا الصلوة والنسك وبذلك من التوحيد المحض امرت ان يذكر ما يجري مجرى الدليل عليه فقال قل اغير الله ابغي ربا وتقريره ان طوائف
المشركين من عبدة الاصنام والكواكب من اليهود والنصارى والثنوية كلهم معترفون بان الله تعالى خالق الكل فكانه سبحانه قال قل يا محمد منكرا اغير
الله اطلب با مع ان هؤلاء الذين اتخذوا من دونه الهة مقرون بانه خالق تلك الاشياء ولا يدخل في العقل جعل المربوب والعبد شريكا للرب
والمولى وبوجه اخر الموجود اما واجب لذاته او ممكن لذاته وقد ثبت ان الواجب لذاته واحد وما سواه ممكن لذاته والممكن لذاته لا يوجد الا بايجاد
الواجب لذاته فهو اذن رب كل شيء وصريح العقل شاهد بان المربوب لا يكون شريكا للرب فلا يختص اذن بالربوبية غيره ثم لما بين الدليل
القاطع على التوحيد ذكر انه لا يرجع اليه عن كفرهم وشركهم ذم ولا عقاب فقال ولا تكسب كل نفس الا عليها ومعناه ان اثم الجاني عليه لا على
غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تؤخذ نفس آثمة باثم نفس اخرى وهذا كالرد لقولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم بين ان رجوع هؤلاء
المشركين الى موضع لا حاكم هناك الا الله تعالى فقال ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون ثم ختم السورة ببيان حال المبدأ والوسط
والمعاد على سبيل الاجمال فقال وهو الذي جعلكم خلائف الارض قيل الخطاب لبني آدم لانه جعلهم بحيث يخلف بعضهم بعضا وقيل لانه
محمد صلى الله عليه وآله لانه خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم وقيل لخواص الامة الذين هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها
بالحق كقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ورفع بعضكم فوق بعض درجات في الشرف والعقل والجاه والمال والرزق
لا للعجز والبخل ولكن لاجل شبه الابتلاء والامتحان ولظهور الموفر من المقصر وتمييز المطيع من العاصي حسب ما تقتضيه الحكمة والعدل المنوط التدبير
والتقدير ثم وصف نفسه بالقدرة الكاملة على ايصال العقاب وايفاء الثواب فقال ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم فادخل
اللام في قرينة الترغيب واسقطها عن قرينة الترهيب ترجيحا لجانب الرحمة والغفران فان اللطف والرحمة تفيض عنه بالذات والقهر والنقد
يصدر عنه بالعرض لان ذلك من ضروريات الملك ولهذا نقل سبقت رحمتي غضبي وانما وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو آت قريب
وانما لم يسقط اللام عن قرينة العقاب في سورة الاعراف في قصة اصحاب السبت لان ذلك تقدر وعقبت كرامته فناسب التاكيد باللام وانما اخر
قرينة الرحمة في الموضعين ليقع ختم الكلام على المغفرة والرحمة فيكون على كمال رافته وفور احسانه التأويل من ملاقي فيه ترك التوكل على الله وعلم التقدير
بالله واوفوا الكيل اوفوا بكيل العبودية وميزان الشرع حقوق الربوبية واستوفوا بكيل الاجتهاد وميزان الاقتصاد حظوظ العبودية من الالوهية وبعهد الله
اوفوا بان لا تعبدوا ولا تحبوا ولا تروا الا اياه وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ان الصراط المستقيم الحقيقي الى الله تعالى هو صراط محمد صلى الله تماما
على الذي احسن اي على من احسن من امته اسلامه وفيه ان الكتب المنزلة كلها وشرايع الانبياء كانت تتمة للدين الحنيف الذي هو الاسلام ولهذا
امرنا ان يقتدي بالانبياء ليجمع بين هداه وهداهم ويحتمل ان يراد بالذي احسن النبي صلى الله عليه وآله والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وهذا انزلناه مبارك وبركته
انزل على قلبه فكان خلقه القرآن فقد جاءكم بينة ما يبين لكم طريق السير الى الله وهدى ما يهديكم الى الله اتم واكمل مما جاء في الكتب ولا رطب
ولا يابس الا في كتاب مبين هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة عيانا ويسوقهم الى الله قهرا والجاء او ياتي ربك ذكر اتيانه اليهم في متابعة
قل انتظروا للستحيلات انا منتظرون للبقاء في المعادات الذين فارقوا الدين الحنيف الذي فيه كمالية الانسان وكانوا شيعا فرقا مختلفة من المتدينة
والزنادقة والمتزهدة رياء وسمعة وعلماء السوء وملحدة المتفلسفة لست منهم في شيء لانك على الحق وهم على الباطل وبينهما تضاد انما امرهم
الى الله في بدو الخلقة وقسم الاستعداد كما شاء ثم ينبئهم يوم الجزاء بما يستحقه كل منهم من جاء بالحسنة فله عشر امثالها قبل ذلك حتى يقدر
على الاتيان بتلك الحسنة وهي حسنة الايجاد من العدم وحسنة الاستعداد حيث خلقه في احسن تقويم وحسنة الرزق وحسنة بعثة الرسل
وحسنة انزال الكتب وحسنة تمييز الحسنات من السيئات وحسنة التوفيق للحسنة وحسنة الاخلاص في الاحسان وحسنة قبول الحسنات
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها لان السيئة بذر يزرع في ارض النفس والنفس خبيثة لانها امارة بالسوء والحسنة بذر يزرع في ارض
القلب والقلب طيب والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا والتحقيق انه كما للاعداد ثلث مراتب الاحاد والعشرات
والمات وبعد ذلك يكون الالوف الى حيث لا يتناهى فكذلك للانسان اربع مراتب النفس والقلب والروح والسر فالعمل الواحد في مرتبة النفس
اي اذا صدر عنها يكون واحدا وفي مرتبة القلب يكون بعشر امثالها وفي مرتبة الروح يكون بمائة وفي مرتبة السر يكون بالالف الى اضعاف
كثيرة بقدر صفاء السر وخلوص النية الى ما لا يتناهى وهذا سر ما جاء في القرآن والحديث من تفاوت جزاء الحسنات والله تعالى اعلم ورسوله قل
انني هداني ربي من اسفل سافلين القالب بجذبة العناية الازلية وسلكني الى سري على منهاج الصلوة معراج المؤمن ومحياي اي حيوة قلبي
وروحي ومماتي اي موت نفسي لطلب رب العالمين والوصول اليه وانا اول المستسلمين عند الايجاد لامر كن كما قال اول ما خلق الله نوري قل
اغير الله كيف اطلب غير الله وهو حبيبي والحبيب لا يطلب الا الحبيب وهو رب كل شيء فيكون ما له لي وان طلبت غيره دونه يكون ذلك الغير علي

امر نبيه لما امر نبيه بالتوحيد



لا الى كما قال ولا تكسب كل نفس الا عليها لان النفس امارة بالسوء والسوء عليها لا لها ولا تزر وازرة وزر اخرى فان كان القلب سليما من كدورات صفات النفس باقيا على ما جبل عليه من حب الله تعالى وطلبه لا يؤاخذ بمعاملة النفس ولا يثاب بعذابها وانما يكون النفس فقط ماخوذة بوزرها معاقبة بما هي اهله وان كان القلب منقلب الحال وازاغه الله تعالى باصبع القهر الى محاذات النفس فيصدأ مرآة القلب بصفات النفس واخلاقها فيتبع النفس وهواها فيزول عنه الصفاء والطهارة والسلامة والذكر والفكر والتوحيد والايمان والتوكل والصدق والاخلاص ورعاية وظائف العبودية فيكون ماخوذا بوزره لا بوزر غيره وهو الذي جعل كل واحد من بني آدم وقته وخليفة ربه في الارض وسر الخلافة ان صوره على صفات نفسه حيا قيوما سميعا بصيرا عالما قادرا مريدا متكلما ورفع بعضكم فوق بعض درجات في استعداد الخلافة ليبلوكم ليظهر من المخلوق بالخلافة منكم القائم بها وباوامره في العباد والبلاد ومن الذي يرجع القهقرى الى صفات البهائم ويبطل الاستعداد للخلافة بالختم والطبع والحبس بسجين الطبيعة غفور رحيم لمن وفقه لمرضاته ورفع درجاته الله حسبي

سورة الاعراف مكية الا خمس آيات وسئلهم عن القرية الى قوله وقطعناهم حروفها ١٤٠١٠ كلماتها ٣٣٢٥ آياتها مائتان وست

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا

کتابی است فرود آمده بسوی تو پس نباشد در سینه تو تنگی از ان تا بترسانی بان و پندیست از برای مومنان پیروی کنید آنچه را که فرستاده شد بسوی شما از پروردگار شما

تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها بأسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم

متابعت مکنید از غیر او دوستان را چه بسیار کم پند میگیرید و چه قدر از دهها را که هلاک کردیم آنرا پس آمد او را عذاب ما در شب یا که ایشان در قیلوله بودند پس نبود حرف ایشان

اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين فلنقصن عليهم

چونکه آمد ایشان را عذاب ما مگر که گفتند که ما بودیم ستمکاران پس هر آینه سوال کنیم آنها را که فرستادیم بسوی ایشان و هر آینه سوال کنیم پیغمبران را پس هر آینه حکایت کنیم بر ایشان

بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك

بدانش و نبودیم ما پنهان و ترازوی در ان روز حق است پس آنکه سنگین است ترازوی پس آن گروه ایشانند رستگاران و هر که سبک است ترازوی پس آن گروه



الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون

آنانند که زیان کردند تنهای خود را بانچه بودند با آیات ما که ستم میکردند و هر آینه جای دادیم شما را در زمین و قرار دادیم از برای شما دران گذران کم که سپاس گذارید

القراءة يتذكرون بياء الغيبة ثم التفعل ابن عامر والباقون كما مر في آخر الانعام الوقوف المص كوفي للمؤمنين ه اولياء ط تذكرون ه قائلون ه نصف الجزء والربع الثاني من القرآن ظالمين ه المرسلين ه للعطف غائبين ه الحق ج للابتداء بالشرط مع فاء التعقيب المفلحون ه يظلمون ه معايش ط تشكرون ه التفسير قد تقدم في اول الكتاب مباحث هذه المقطعة على سبيل العموم وعن ابن عباس معنى المص انا الله اعلم وافضل وقال السدي معناه انا المصور وقيل معناه الم نشرح لك صدرك بدليل فلا يكن في صدرك حرج منه كما زاد في الرعد راء لقوله بعده رفع السموات ثم ان جعلنا هذه الحروف بدل جملة فلا محل لها من الاعراب وان كانت اسما للسورة جاز ان يكون المص مبتدأ وكتاب بمعنى السورة خبره والجملة بعده صفة له وجاز ان يكون المص خبر مبتدأ محذوف وكذا كتاب اي هذه المص هو كتاب انزل عليك والدليل على انه منزل من الله تعالى هو انه ما تلمذ لاستاذ ولا تعلم من معلم ولا طالع كتابا ولم يخالط اهل الاخبار والاشعار وقد مضى على ذلك اربعون سنة ثم ظهر عليه هذا الكتاب اشتمل على علوم الاولين والآخرين فلن يبقى شبهة في انه مستفاد بطريق الوحي القائلون بخلق القرآن زعموا ان الانزال يقتضي الانتقال من حال الى حال وهذا من سمات المحدثات واجيب بان الموصوف بالانزال والتنزيل على سبيل المجاز هو الحروف والالفاظ ولا نزاع في كونها محدثة فان قيل الحروف اعراض غير باقية بدليل انه لا يمكن الاتيان بها الا على سبيل التوالي وعدم الاستقرار فكيف يعقل وصفها بالنزول اجيب بانه تعالى احدث هذه الرقوم في اللوح المحفوظ ثم ان الملك طالع تلك النقوش وحفظها ونزل فعلمها محمدا صلى الله عليه وآله ثم قال فلا يكن في صدرك حرج اي شك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرج كما ان المتيقن منفسح الصدر منشرح ومعنى منه اي من شأن الكتاب اي لا تشك في انه منزل من عند الله او من تبليغه اي لا يضيق صدرك من الاداء وتوجه النهي الى الحرج كقولهم لا ارينك ههنا والمراد نهيه عن الكون بحضرته فان ذلك سبب رؤيته ومثل قوله تعالى وليجدوا فيكم غلظة ظاهره امر للمشركين وانه في الحقيقة امر للمؤمنين بان يغلظوا على المشركين وفي متعلق قوله لتنذر اقوال قال الفراء انه متعلق بانزل وفي الكلام تقديم وتأخير اي انزل اليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج وفائدة التقديم والتأخير ان الاقدام على الانذار والتبليغ لا يتم ولا يكمل الا عند زوال الحرج عن الصدر وقال ابن الانباري انه متعلق بالنهي اللام بمعنى كي والتقدير فلا يكن في صدرك شك كي تقدر على انذار غيرك لانه اذا لم يجزم انذرهم وكلما ايقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور لتوكله على ربه وثقته بعصمته وقال صاحب النظم اللام بمعنى ان كقوله يريدون ان يطفئوا وفي موضع آخر ليطفئوا والتقدير لا يضيق صدرك ولا تضعف عن ان تنذر به وقيل ان تقدير الكلام هذا الكتاب انزله الله عليك واذا علمت انه تنزيل الله تعالى فاعلم ان عناية الله معك واذا علمت هذا فلا يكن في صدرك حرج لان من كان الله له حافظا وناصرا لم يخف احدا واذا زال الخوف والضيق عن القلب فاشتغل بالابلاغ

والانذار اشتغال الرجال الابطال ولا يبالي باحد من اهل الضلال والابطال ثم قال وذكرى للمؤمنين قال ابن عباس يريد مواعظ للمصدقين
وقال الزجاج هو اسم في موضع المصدر قال الليث الذكرى اسم للتذكرة وقال صاحب الكشاف محل ذكرى يحتمل النصب باضمار فعلها كانه قيل لتنذر
به وتذكر تذكيرا والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اي للانذار وللذكرى وانما لم ينقل على محل لتنذر
لان المفعول له يجب ان يكون فاعله وفاعل الفعل المعلل واحدا ولو صح ذلك لكان محله النصب لا الجر وخص الذكرى بالمؤمنين كقوله هدى للمتقين
والتحقيق فيه ان النفوس البشرية منها بليدة بعيدة عن عالم الغيب غريقة في بحر اللذات الجسمانية فيحتاج الى زاجر قوي ومنها مشرقة بالانوار
الالهية مستعدة للانجذاب الى عالم القدس الا انها غشيتها الغواش من عالم الجسم فعرض لها نوع ذهول وغفلة فالصنف الاول يحتاج الى
انذار وتخويف واما الصنف الثاني فاذا سمعت دعوة الانبياء واتصل بها انوار ارواح رسل الله تعالى تذكرت معدنها وابصرت مركزها واشتاقت
الى ما هنالك من الروح والراحة والريحان فلم يحتج الا الى تذكرة وتنبيه فثبت انه سبحانه انزل هذا الكتاب على رسوله ليكون انذارا في حق طائفة
وذكرى في شان طائفة ثم كما امر الرسول بالتبليغ والانذار مع قلب قوي وعزم صحيح امر المرسل اليهم وهم الامة بالمتابعة فقال اتبعوا ما انزل اليكم
من ربكم ومعنى كونه منزلا اليهم انهم مخاطبون به مكلفون بما فيه والا فهو بالحقيقة منزل على الرسول قالت العلماء المنزل متناول للقرآن والسنة
جميعا عن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة رسوله وفي الاية دلالة على ان تخصيص عموم القرآن بالقياس غير جائز لان متابعة المنزل
واجبة فلو عمل بالقياس لكونه مستفادا من القرآن وهو قوله فاعتبروا عمل بالقرآن ايضا قلنا بعد التسليم ان الترجيح معنا لان العمل بالمنزل ابتداء
ومن العمل بالمنزل بواسطة ثم اكد الامر المذكور بقوله ولا تتبعوا من دونه اولياء اي لا تتخذوا من دون الله اولياء من شياطين الجن والانس فيحملوكم
على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل اي لا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء احتج نفاة القياس
بان الاية دلت على انه لا يجوز متابعة غير ما انزل الله تعالى والعمل بالقياس متابعة غير ما انزل فلا يجوز لا يقال العمل بالقياس عمل بالمنزل لقوله
فاعتبروا لانا نقول لو كان الامر كذلك لكان تارك العمل بمقتضى القياس كافرا لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وقد اجمعت
الامة على عدم تكفيره اجاب مثبتوا القياس حجة ثبت باجماع الصحابة والاجماع دليل قاطع وظاهر العموم دليل مظنون فلا يعارض القاطع وزيف
بانكم اثبتم ان الاجماع حجة بعموم قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وبعموم قوله صلى الله عليه وآله لا تجتمع امتي
على الضلالة والفرع لا يكون اقوى من الاصل اجاب المثبتون بان الآيات والاحاديث والاجماع لما تعاضدت في اثبات القياس قوي الظن
وحصل الترجيح ومن الحشوية من انكر النظر في البراهين العقلية تمسكا بالاية واجيب بان العلم بكون القرآن حجة موقوف على صحة التمسك بالدلائل
العقلية فكيف تنكر ثم ختم المخاطبة بنوع معاتبة فقال قليلا ما تذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة ثم ذكر ما ترك الامم نعم
من الوعيد فقال وكم من قرية فوضع كم رفع بالابتداء ومن مزيدة للتاكيد والبيان اي كثير من القرى اهلكناها مثل زيد ضربته وتقدير
النصب ايضا عربي جيد وفي الاية حذف لا القرية الاهلاك فقط فات القرية تهلك بالهدم والخسف كما يهلك اهلها ولكن يقال التقدير
وكم من اهل قرية لقوله فجاءها باسنا والباس بالاهل انسب لقوله او هم قائلون ولان الزجر والتحذير لا يقع للمكلفين الا باهلاكهم ولا
معنى للبيات والقيلولة لا يصح الا فيهم وانما قال فجاءها ردا للكلام على اللفظ وكما يقال الرجال فعلت وفي هذا سوال وهو ان قوله فجاءها باسنا
يقتضي ان يكون مقدما على مجيء الباس ولكن الامر بالعكس والعلماء اجابوا بوجوه منها ان المراد حكمنا بهلاكها واردنا اهلاكها فجاءها كقوله اذا
قمتم الى الصلوة فاغسلوا ومنها ان معنى الاهلاك ومعنى مجيء الباس واحد فكانه قيل وكم من قرية اهلكناها فجاءهم اهلاكنا وهذا كلام صحيح
فان قيل كيف يصح والعطف يوجب المغايرة فالجواب ان الفاء قد يجيء للتفسير كقوله صلى الله عليه وآله لا يقبل الله صلوة احدكم حتى يضع ال
الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه فان غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعه فكذا ههنا مجيء الباس جار مجرى التفسير
للاهلاك لان الاهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط الباس والبلاء عليهم وقريب منه قول الفراء لا يبعد ان يكون الباس
والهلاك يقعان معا كما تقول اعطيتني فاحسنت وما كان الاحسان بعد الاعطاء ولا قبله وانما وقعا معا ومنها ان ذلك محمول على حذف المعطوف والتقدير
اهلكناها فحكم بمجيء الباس لان الاهلاك امارة الحكم بوصول مجيء الباس ومنها انه من باب القلب الذي يشجع عليه امن الالباس كقولهم عرضت الناقة
على الحوض وقوله بياتا قال الجوهري بيت العدو اي اوقع بهم ليلا والاسم البيات وفي الكشاف انه مصدر بات الرجل بياتا حسنا وعلى القولين
فانه وقع موقع الحال بمعنى بائتين او مبيتين ثم قال او هم قائلون والجملة حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءها باسنا مبيتين او بائتين وانما حسن
ترك الواو ههنا من الجملة الاسمية الواقعة حالا لان واو الحال قريب من واو العطف لا سيما استعيرت منها للوصل فالجمع بين حرفي العطف وبينه
جمع بين المثلين وذلك مستثقل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح ولو قلت جاءني زيد هو فارس كان ضعيفا وقال بعض النحويين الواو
محذوفة مقدرة ورده الزجاج لما قلنا اما معنى القيلولة فالمشهور انها نوم نصف النهار وقال الازهري هي الاستراحة نصف النهار وان لم يكن نوم لقوله
تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها وانما خص وقتا البيات والقيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون نزول
العذاب فيهما اشد وافظع وكانه قيل للكفار لا تغتروا بالفراغ والدعة والامن والسكون فان عذاب الله انما يجيء دفعة من غير سبق امارة لا قد

لزم التناقض فان قيل العمل بالقياس صح

بان كون القياس صح

افغلكين صح



الليل مسروداً بأو ليلاً ان الحوادث قد يطرقن أسحاراً فقوم لوط هلكوا وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة ثم قرر حالهم عند مجيء البأس فقال فما كان
دعويهم اي ما كانوا يدعونه من قبل دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده والاقرار بالاساءة والظلم على انفسهم وقال ابن عباس
فما كان تضرعهم واستغاثتهم الا قولهم هذا وذلك اقرار منهم على انفسهم بالشرك وقال اهل اللغة الدعوى اسم يقوم مقام الدعاء حكى سيبويه
اللهم اشركنا في صالح دعاء المسلمين ودعوى المسلمين اي فما كان دعاؤهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم فلا يزيدون على ذم انفسهم
وتحسرهم على ما فرط منهم وفرطوا فيه ومحل دعويهم وعلى عكسه محل ان قالوا ويجوز ان يكون نصباً او رفعاً كما سبق في اعراب قوله فلم تكن فتنتهم الا
ان قالوا ثم ذكر على ترك القبول والمتابعة وعيداً اجلالاً فقال وَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِيْنَ اُرْسِلَ اِلَيْهِمْ نسأل المرسل اليهم عما اجابوا به رسلهم كقوله ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم ثم قال فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ اي على الرسل
والمرسل اليهم اليهم ما كان منهم بعلم عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وَمَا كُنَّا غَائِبِيْنَ عنهم وعما وجد منهم فان قيل ما الفائدة
في سؤال المرسل اليهم بعد ما اخبر عنهم انهم اعترفوا بذنوبهم فالجواب انهم لما اقروا بانهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا بعد ذلك عن سبب الظلم
والتقصير تقريعاً وتوبيخاً فان قيل ما الفائدة في سؤال الرسل مع العلم بانه لم يصدر عنهم تقصير البتة قلنا ليلحق كل التقصير بالامة فيتضاعف
اكرام الله تعالى في حق الرسل لظهور براءتهم عن جميع موجبات التقصير وتتضاعف اسباب الخزي والاهانة في حق الكفار فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن
وبين قوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان فالجواب بعد تسليم اتحاد الزمان والمكان ان القوم لا يسئلون عن الاعمال لان الكتب مشتملة عليها
ولكنهم يسئلون عن الدواعي التي دعتهم اليها وعن الصوارف التي صرفتهم عنها او المراد نفي سؤال الاستفادة والاسترشاد واثبات سؤال التوبيخ والاهانة
فلا تناقض وفي الاية ابطال قول من زعم انه لا حساب على الانبياء ولا على الكفار وفيها انه سبحانه عالم بالكليات وبالجزئيات ولا يعزب عن علمه شيء
في الارض ولا في السموات فالالهية لا تكمل الا بذلك وفيها انه غير مختص بشيء من الاحياز والجهات والا كان غائباً عن غيره ثم بين ان من جملة
احوال يوم القيمة وزن الاعمال فقال وَالْوَزْنُ هو مبتداء خبره يَوْمَئِذٍ وقوله اَلْحَقُّ صفة المبتداء اي الوزن العدل يوم يسأل الله الامم ورسلهم
وقيل لا يجوز الاخبار عن شيء وقد بقيت منه بقية فيجب على هذا ان يكون الحق خبراً ويومئذ ظرفاً للوزن ومعنى الحق انه كائن لا محالة وفي كيفية
الميزان قولان الاول ما جاء في الخبر انه تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيمة يوزن به اعمال العباد خيرها وشرها وكيف يوزن فيه وجهان
احدهما ان المؤمن يتصور اعماله بصور حسنة واعمال الكافر بصور قبيحة فتوزن تلك الصور ذكره ابن عباس وثانيهما ان الوزن يعود الى الصحف التي
يكون فيها اعمال العباد يروى ان رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عما يوزن يوم القيمة فقال الصحف وعن عبد الله بن سلام ان ميزان رب
العالمين ينصب بين الجن والانس يستقبل به العرش احدى كفتي الميزان على الجنة والاخرى على جهنم ولو وضعت السموات والارض في احديهما لوسعتهن
وجبرئيل آخذ بعموده ناظر الى لسانه وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلعم يؤتى برجل يوم القيمة الى الميزان ويؤتى له بتسعة وتسعين
سجلاً مد البصر فيها خطاياه وذنوبه فتوضع في كفة الميزان ثم يخرج له قرطاس كالانملة فيه شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً صلى الله عليه وآله
عبده ورسوله فيوضع في الاخرى فترجح قال القاضي يجب ان يحمل هذا على انه اتى بالشهادتين بحقهما من العبادات والا كان اغراء على المعصية
ورد بانه خلاف الظاهر وبانه لا يبعد ان يكون ثواب كلمة الشهادة ازيد واوفر من ساير الاعمال لان معرفة الله تعالى اشرف العقايد والاعمال
روى الواحدي في البسيط انه اذا خفت حسنات المؤمن اخرج رسول الله صلى الله من حجرته بطاقة كالانملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته
فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله بابي انت وامي ما احسن وجهك وخلقك فيقول انا نبيك وهذه صلواتك التي كنت
تصليها على قد وفيت احوج ما تكون اليها القول الثاني قول مجاهد والضحاك والاعمش وكثير من المتاخرين ان المراد من الميزان العدل لان
العدل في الاخذ والاعطاء لا يظهر الا بالوزن والكيل فلا يبعد جعل الوزن مجازاً عن العدل ومما يؤكد ذلك ان اعمال العباد اعراض وانها قد فنيت
وعدمت ووزن المعدوم محال وكذا لو قدر بقاؤها واما قولهم الموزون صحائف الاعمال او صور مخلوقة على حسب مقادير الاعمال فنقول المكلف
يوم القيمة اما ان يكون مقراً بانه تعالى عادل حكيم وح يكفيه حكم الله تعالى بمقادير الثواب والعقاب في علمه بانه عدل وصواب واما ان لا يكون مقراً
فلا يعرف من رجحان الحسنات على السيئات وبالعكس حقيقة الرجحان اجاب الاولون بان جميع المكلفين يعرفون يوم القيمة انه تعالى منزه عن الظلم والجور
لكن الفائدة في وضع الميزان ظهور الرجحان لاهل الموقف وازدياد الفرح والسرور للمؤمن وبالضد للكافر واختلف العلماء ايضاً في كيفية الرجحان
فقال بعضهم يظهر هناك نور في رجحان الحسنات وظلمة في رجحان السيئات وقال آخرون بل يظهر الرجحان في الكفة واختلف ايضاً في الموازين
فقيل انها جمع موزون واراد الاعمال الموزونة والميزان المنصوب واحد ولئن سلم انها جمع الميزان فالعرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد فتقول
خرج فلان الى مكة على الافراس والبغال قاله الزجاج وقال الاكثرون كما لا يمتنع اثبات ميزان له لسان وكفتان فكذلك لا يمتنع اثبات موازين
بهذه الصفة فالموجب لترك الظاهر والمصير الى التاويل قال عز من قائل ونضع الموازين القسط ليوم القيمة وايضاً لا يبعد ان يكون لافعال
القلوب ميزان ولافعال الجوارح ميزان ولما يتعلق بالقول ميزان آخر ثم ان المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الايمان قالوا ان الله حصر
اهل الموقف في قسمين منهم من يزيد حسناته على سيئاته ومنهم من على العكس ولا ريب ان هذا القسم هل الكفر لانه حكم عليهم بانهم الذين خسروا



كل سجل منها

انفسهم

انفسهم بسبب الظلم بآيات الله اى التكذيب بها وهذا لا يليق الا بالكافر ولئن سلم ان العاصى معاقب لكنه يعاقب بآثامه ثم يعفى عنه ويتخلص الى رحمة الله تعالى فهو بالحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله ابد الآباد من غير زوال ولا انقطاع قيل في الآية دلالة على ان الذى يكون حسنا ثم وسيئا استعداد لثنين متناقضين فهو موجود والله اعلم ثم لما فرغ من التخويف بالعذاب الاجل وعقب الخلايق في قبول دعوة الانبياء بطريق اخرو هو تذكر النعم فان ذلك يوجب الطاعة فقال ولقد مكناكم في الارض اى قدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش هى جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك وبالجملة وجوه المنافع التى يحصل بتخليق الله تعالى ابتداء كالاثمار او بواسطة كالاكتساب والوجه في معايش تصريح الياء لانها اصلية لا زائدة كصحايف بالهمزة في صحيفة وعن ابن عامر او نافع في بعض الروايات الهمزة تشبيها بصحايف واستبعد النحويون البصريون ثم عاتب المكلفين بانهم لا يقومون بشكر نعمه كما ينبغى فقال قليلا ما تشكرون وفيه اشارة الى انهم قد يشكرون وقليل من عبادى الشكور والتأويل المعرّهو اله من لطفه افرد عباده للمحبة وللمعرفة وانعم عليهم بالصدق والصبر لقبول الفيض كالية المعرفة والمحبة بواسطة كتاب انزل على قلبك فانفسح له صدرك وانشرح فلم يبق فيه ضيق وحرج بخلاف ما انزل من الكتب في الالواح والصحف فقد عرض لبعضهم ضيق وطيش فالقى الالواح وكما شرف نبيه بالكتاب المنزل على قلبه حتى صار خلقه القرآن اشرف امته بان امرهم باتباع ما انزل اليهم ليتخلقوا باخلاق الله وكم من قرية قلب فسد نا استعدادها فجاءهم باسنا اى اذ لعنو قلوبهم باصبع القهار بيتا وهلها نائمون على فراش الحسبان قائلون في نهار الخذلان فما كان دعاءهم الا ان قالوا من قصر نظرهم لا من طريق الادب انا كنا ظالمين فنسبوا التصرف الى انفسهم ولم يعلموا ان الله تعالى مقلب افئدتهم وابصارهم فلنسألن الذين ارسل اليهم وهم عامة الخلايق هل قبلتم الدعوة وعملتم بما امرتم لا يكون السؤال سؤال تعنيف وتعذيب وهم الذين قبلوا الدعوة فيكون السؤال سؤال تشريف وتقريب ولنسألن المرسلين سؤال انعام والزام هل بلغتم وهل وجدتم امما قابلي الدعوة فلنقصن عليهم بعلم فليعلمن انا ارسلنا الرسل اليهم عبثا وانما ارسلناهم لامر عظيم وخطب جسيم وما كنا غائبين عن الرسل بالنصر والمعونة وعن المرسل اليهم بالتوفيق والعناية والوزن يومئذ لاهل الحق لا الباطل فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا وروى انه يؤتى يوم القيمة بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يوزن جناح بعوضة فمن ثقلت موازينه بالاعمال الصالحة والاخلاق الفاضلة والاحوال الكاملة فاولئك هم المفلحون ومن ثمرات نباتهم وانما جمع الموازين لان لبدن كل مكلف ميزانا يوزن به اعماله ولنفسه ميزانا يوزن به صفاتها ولقلبه ميزانا يوزن به اوصافه ولروحه ميزانا يوزن به نعوته ولسره ميزانا يوزن به احواله ولخفيه ميزانا يوزن به اخلاقه والخفى لطيفة روحانية قابلة لفيض الاخلاق الربانية ولهذا قال صلى الله عليه وآله ما وضع في الميزان شئ اثقل من حسن الخلق وذلك تخلق من نعوت المخلوقين وانما هو خلق رب العالمين والعباد مامورون بالتخلق باخلاقه فخسروا انفسهم افسدوا استعدادها ولقد مكناكم ههنا لكم خلافة الارض دون غيركم من الحيوانات والملك وجعلنا لكم خاصة معايش لكل صنف من الملك والحيوانات معيشة واحدة وذلك ان الانسان مجموع من الملكية والحيوانية والشيطانية والانسانية فعيشة الملك هى معيشة روحه ومعيشة الحيوان هى معيشة بدنه ومعيشة الشيطان معيشة نفسه الامارة بالسوء وقد حصل للانسان بهذا التركيب ما لا يمكن لكل واحد من الملك والحيوان والشيطان والقلب والسر والخفى فمعيشة قلبه هى الشهود ومعيشة سره هى الكشوف ومعيشة خفيه الوصال والوصول

ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك

و هر آینه آفریدیم شما را پس صورت بستیم شما را پس گفتیم مر فرشتگان را که سجده کنید مر آدم را پس سجده کردند بجز ابلیس که نبود از سجده کنندگان گفت که چه داشت ترا

الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر

که سجده نکردی چون بفرمودم ترا گفت که من بهترم از آن آفریدی مرا از آتش و آفریدی ورا از گل گفت که پس فرود شو از جنت پس نیست ترا که بزرگی جوئی

فيها فاخرج انك من الصاغرين قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين قال فبما اغويتني

در آن پس بیرون رو که تو از زیردستانی گفت که بازدار مرا تا روزی که مردگان زنده شوند گفت که تو از مهلت داده شدگانی گفت که پس بسبب گمراه کردن مرا

لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد

هر آینه باز دارم ایشان را از راه تو که راست است پس هر آینه بیایم ایشان را از پیش روی ایشان و از پشت ایشان و از طرف راست ایشان و از طرف چپ ایشان و نیابی

اكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم منكم اجمعين ويا آدم

بیشتر ایشان را سپاسگزاران گفت که بیرون رو از آن نکوهیده و رانده هر آینه آنکه پیروی کند ترا از ایشان هر آینه پر کنم دوزخ را از شما همه و ای آدم

اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فوسوس

ساکن شو تو و زنت در بهشت پس بخورید از هر جا که خواسته باشید و نزدیک مشوید این درخت را پس خواهید شد از ستمکاران پس وسوسه کرد

لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين

مر ایشان را شیطان تا ظاهر کند برای ایشان آنچه را که پنهان بود از ایشان از عورت ایشان و گفت که نهی نکرده است شما را پروردگار شما از این درخت مگر که خواهید شد دو فرشته

او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة

یا خواهید شد از جاویدان و سوگند خورد با ایشان که من مر شما را از نیکخواهانم پس رهنمونی کرد ایشان را بفریب پس چون چشیدند آن درخت



بَدَتْ لَهُمَا سَوْاٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفٰنِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَّرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادٰىهُمَا رَبُّهُمَآ اَلَمْ اَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ

ظاهر شد مر ایشان را عورتهای ایشان و نزدیک رفتند که بپوشانند بر خود شان از برگ درخت بهشت و ندا کرد ایشان را پروردگار ایشان که آیا نهی نکردم شما را از این درخت

وَاَقُلْ لَّكُمَآ اِنَّ الشَّيْطٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِيْنٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ اَنْفُسَنَا وَاِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ

و نگفتم مر شما را که بدرستی که شیطان مر شما را دشمنی است آشکارا گفتند که پروردگار ما ستم کردیم نفس خود را و اگر نیامرزی ما را و رحم نکنی ما را هر آینه میباشیم از

الْخٰسِرِيْنَ قَالَ اهْبِطُوْا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْاَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَّمَتَاعٌ اِلٰى حِيْنٍ قَالَ فِيْهَا تَحْيَوْنَ وَفِيْهَا تَمُوْتُوْنَ وَمِنْهَا تُخْرَجُوْنَ

زیانکاران گفت فرود آیید بعضی از شما مر بعضی را دشمن است و مر شما راست در زمین قرارگاهی و بهره تا هنگامی گفت که در آن زندگانی کنید و در آن بمیرید و از آن بیرون آورده شوید

القراءة لاملأن بتليين الهمزة الثانية حيث كان الاصبهاني عن ورش و حمزة في الوقف. تخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وسهل ويعقوب وابن ذكوان الباقون مبنيا للمفعول من الاخراج والله اعلم الوقوف الا ابليس لا لانه معه فلا يصح الابتداء بما صفته له الساجدين اذ امرتك منه لانقطاع النظم من اتحاد المقول طين الصاغرين يبعثون المنظرين المستقيم للعطف شمائلهم شاكرين مدحورا لان ما بعده ابتداء قسم محذوف اجمعين الظالمين الخالدين الناصحين بغرور لان جواب لما منتظر مع الفاء ورق الجنة لان الواو للاستيناف مبين انفسنا للادب اعلاما بانقطاع الحجة قبل ابتداء الحاجة الخاسرين عدو لعطف المختلفين الى حين تخرجون التفسير من جملة نعم الله تعالى علينا ان خلق ابانا آدم فجعله مسجود الملائكة فلذلك ذكر تلك القصة عقيب تذكر النعم ونظير هذه الآيات ما سبق في سورة البقرة كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم منع من المعصية بقوله كيف تكفرون ثم علل ذلك المنع بكثرة نعمه على المكلفين وهو انهم كانوا امواتا فاحياهم ثم خلق لهم ما في الارض جميعا من المنافع ثم ختم ذلك بقصة جعل آدم خليفة في الارض مسجودا للملائكة والغرض من الكل ان التمرد والجحود لا يليق بازاء هذه النعم الجسام وقصة آدم وما جرى له مع ابليس ذكرها الله في سبعة مواضع في البقرة وههنا وفي الحجر وفي سبحان وفي الكهف وفي طه وفي ص وسنبين بعض حكمة اختلاف العبارات بقدر الفهم ان شاء الله تعالى وههنا سؤال وهو ان قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا يقتضي ان امر الملائكة بالسجود لآدم وقع بعد خلقنا وتصويرنا والامر في الواقع بالعكس واجاب المفسرون بوجوه منها ان المضاف محذوف اي خلقنا اباكم آدم طينا غير مصور ثم صورنا اباكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا وانما حسن هذه الكناية لان آدم عليه السلم اصل البشر نظيره قوله لبني اسرائيل المعاصرين واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور اي ميثاق اسلافكم وقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقد قلتم هذا القتل وانما فعله احدهم ومنها ان المراد خلقناكم من آدم ثم صورناكم اي صورنا ذريته آدم في ظهره في صورة الذر ثم قلنا للملائكة وهذا قول مجاهد ومنها خلقناكم ثم صورناكم ثم نخبركم انا قلنا للملائكة ومنها ان الخلق في اللغة التقدير وتقدير الله تعالى عبارة عن علمه بالاشياء ومشيته بتخصيص كل شيء بمقداره المعين له فقوله خلقناكم اشارة الى حكم الله وتقديره لاحداث البشر في هذا العالم وقوله صورناكم اشارة الى انه تعالى اثبت في اللوح المحفوظ صورهم كما انه اثبت صور كل كائن كما جاء في الخبر اكتب ما هو كائن الى يوم القيمة ثم بعد هذين الامرين احدث الله تعالى آدم وامر الملائكة بالسجود له قال الامام فخر الدين رح وهذا التأويل عندي اقرب الوجوه وتاويل هذه السجدة وان ابليس هل هو من الملائكة ام لا قد تقدم في اوائل سورة البقرة فلا وجه لاعادته اما قوله سبحانه ما منعك ان لا تسجد فظاهره يقتضي انه تعالى طلب من ابليس ما منعه من ترك السجود وليس الامر كذلك فان المقصود طلب ما منعه من السجود كما قال في سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فلهذا الاشكال حصل للمفسرين فيه اقوال اولها وهو الاشهر ان لا صلة زائدة كما في لا اقسم وكما في قوله لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والاكثرين قال في الكشاف وفائدة زيادتها توكيد معنى الفعل الذي يدخل عليه وتحقيقه كانه قيل في لئلا يعلم ليتحقق علم اهل الكتاب فيما منعك ان لا تسجد ما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك قلت لعل المراد ان زيادة لا اشارة الى نفي المذكور ويلزم منه تحقق المذكور وثانيها ان اثبات الزيادة في كلام الله تعالى خارج عن الادب وان الاستفهام للانكار اي لم يمنعك من ترك السجود شيء كقول القائل لمن ضربه ظلما ما الذي منعك من ضربي ادينك ام عقلك ام حياؤك والمعنى انه لم يوجد احد هذه فما امتنعت من ضربي ثالثها قال القاضي ذكر الله تعالى المنع واراد الداعي فكانه قال ما دعاك الى ان لا تسجد لان مخالفة امر الله تعالى حالة يتعجب منها ويسئل عن الداعي اليها وقيل الممنوع من الشيء مضطر الى خلاف ما منع منه وقيل معناه ما الذي جعلك في منعة من عذابي وقيل معناه من قال لك لا تسجد واقول يمكن ان لا يعلق قوله ان لا تسجد بقوله ما منعك وانما يكون متعلقه محذوفا التقدير ما منعك من السجود ان لا تسجد اي لكي لا تسجد توجه عليك هذا السؤال والحاصل ان عدم سجودك ما سببه اذ امرتك امر ايجاب فائدة هذا السؤال من علام الغيوب توبيخه وافشاء معاندته وجحوده واستدل العلماء بالآية على ان مجرد الامر يقتضي الوجوب لانه رتب الذم عليه وان الامر يقتضي الفور لانه استوجب الذم بترك السجود في الحال ثم استانف اللعين قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم زعما منه ان مثله مستبعد ان يؤمر بما امر به وتلك الخيرية هي التي منعته عن السجود فقال انا خير منه ثم بين هذه المقدمة بقوله خلقتني من نار وخلقته من طين والنار افضل من الطين لان النار جوهر مشرق علوي لطيف خفيف حار يابس مجاور لجواهر السموات ملاصق لها والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد يابس بعيد عن الاجرام اللطيفة كلها وايضا النار قوي التأثير والفعل اشرف من الانفعال وايضا النار مناسبة للحرارة وهي مادة الحيوة والنضج واما الارضية فللبرد واليبس مناسب للموت والحيوة اشرف من الموت وايضا سن التمييز والشباب لما كان وقت كمال الحرارة كان افضل اوقات عمر الحيوان وبخلافه وقت الشيخوخة لغلبة البرد واليبس المناسب للارضية و

الخلق

والمخلوق من الافضل افضل لان شرف الاصل يوجب شرف الفرع واما ان الاشرف لا يجوز ان يؤمر بخدمة الادون فمما قد تقرر في العقول فهذه
شبهة ابليس المقدمات باسرها ممنوعة اما ان النار افضل من الارض فممنوع لان كل عنصر من العناصر الاربعة يختص بفوايد ليست لغيره وكل منها
ضروري في الوجود وفي التركيب فلكل فضيلة في مقامه وحاله فترجيح بعضها على البعض تطويل بلا طائل ومن تامل ما ذكرنا في تفسير قوله سبحانه
الذي جعل لكم الارض فراشا وقف على بعض منافعها وعلم ان طعن اللعين مردود جدا ولو لم يكن في النار الا الخفة المقتضية للطيش والاستكبار
والترفع وفي الارض الا الرزانة الموجبة للحلم والوقار والتواضع لكفى به رد الكلام واما ان المخلوق من الافضل افضل فهو محل البحث والنزاع لان الفضيلة
عطية من الله تعالى ابتداء ولا يلزم من فضيلة المادة فضيلة الصورة فقد يخرج الكافر من المؤمن ويحصل الدخان والتكليف يتناول الجن بعد انتهائه
الى حد كمال العقل فالاعتبار بما انتهى اليه لا بما خلق منه وقد قال تعالى لا ياتوني بانسابكم وائتوني باعمالكم ان اكرمكم عند الله اتقيكم وفي كلام الحكماء
العاقل من يفتخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية فثبت ان دعوى اللعين في قوله انا خير منه باطلة ولئن سلم فلم لا يجوز خدمة الفاضل المفضول تواضعا
واسقاطا لحق النفس لم لا يجوز الامر بذلك لغرض الطاعة والامتثال وتشريف المفضول والرفع من مقداره وقالت العلماء ههنا ان قوله تعالى للملائكة
اسجدوا لآدم خطاب عام يتناول جميع الملائكة ثم ابليس خرج نفسه من هذا العموم بالقياس فاستوجب الذم والتعنيف والدخول في جملة المتكبرين
على الله فدل ذلك على انه لا يجوز تخصيص عموم النص بالقياس ويؤيد ذلك ما روي عن ابن عباس انه كانت الطاعة اولى بابليس من القياس
فعصى وقاس واول من قاس ابليس فكفر بقياسه فمن قاس الدين بشيء من رايه قرنه الله تعالى مع ابليس ويمكن ان يجاب بانه انما استحق الذم لان قياسه
كان مبطلا للنص بالكلية لا مخصصا وتقريره انه لو قبح امر من كان مخلوقا من النار بالسجود لمن كان مخلوقا من التراب لكان امر المخلوق من النور المحض بالسجود لمن هو مخلوق من الارض
اولى ويحتمل ان يزيف هذا الجواب بان الشريف اذا رضي بتلك الخدمة فلا اعتراض عليه ولا يقبح امره بذلك ثم ان الملائكة رضوا بذلك فلا
باس واما ابليس فانه لم يرض باسقاط هذا الحق فقبح امره بالسجود ففي قياسه يوجب تخصيص النص لا رفعه بالكلية فعلمنا ان استحقاق الذم انما كان لتخصيص
النص بالقياس كما ادعينا قال اي الله تعالى كلام تعنيف وتعذيب لا اكرام وتشريف او قال على لسان بعض الملائكة فاهبط يعني اذ لم تمتثل امري
فاهبط منها قال ابن عباس يريد من الجنة وكانوا في جنة عدن وفيها خلق آدم وقال بعض المعتزلة امر بالهبوط من السماء التي هي مكان المطيعين
المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين فما يكون فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان يقال للرجل قم صاغرا اذا اهين وفي ضده قم راشدا قال الزجاج ان ابليس طلب التكبر فابتلاه الله بالذلة والصغار
قال النبي صلى الله عليه وآله من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله قال انظرني الى يوم يبعثون طلب الانظار من الله تعالى الى وقت البعث
وهو وقت النفخة الثانية حين يقوم الناس لرب العالمين ومقصوده انه لا يذوق الموت فلم يعطه الله تعالى ذلك بل قال مطلقا انك من المنظرين
قيل ان هذا المطلق مقيد بقوله في موضع آخر الى يوم الوقت المعلوم اي اليوم الذي يموت الاحياء كلهم فيه وهو وقت النفخة الاولى وقال
آخرون لم يوقت الله تعالى له اجلا والمراد الوقت المعلوم في علم الله تعالى والدليل على ذلك ان ابليس كان مكلفا والمكلف لا يجوز ان يعلم اجله لانه
يقدم على المعصية بقلب فارغ حتى اذا قرب اجله تاب فيقبل توبته وهذا كالاغراء على المعاصي فيكون قبيحا اجاب الاولون بان من علم الله تعالى من
حاله انه يموت على الطهارة والعصمة كالانبياء او على الكفر والمعاصي كابليس فان اعلامه بوقت اجله لا يكون اغراء على المعصية لانه لا ينفاوت حاله
بسبب ذلك التعريف والاعلام قال فبما اغويتني الاغواء ضد الارشاد واصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد يعرض في جوفه
من كثرة شرب اللبن ولا يمكن ان يتعلق الباء بقوله لاقعدن لان لام القسم تصد عن ذلك لا يقال والله بزيد لامرن لان حكم القسم وما يتلوه حكم همزة الاستفهام
وحرف النفي الذي هو ما وهي تعمل من حيث اللفظ فكانها عوامل ضعيفة فلم يتقدم عليها شيء من معمولها لضعفها وانما يتعلق بفعل القسم المحذوف
وما مصدرية تقديره فبما اغويتني اي فبسبب اغوائك اياي اقسم ويجوز ان يكون الباء للقسم اي فاقسم باغوائك لاقعدن ومعنى القسم بالاغواء
بالاغواء انه من جملة آثار القدرة اي بقدرتك علي ونفاذ سلطانك في لاقعدن وقال في الكشاف ان الامر بالسجود كان سبب اغوائه وهو تكليف
والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به وهذا يناسب اصول الاعتزال قال مشايخ العراق الحلف
بصفات الذات كالقدرة والعظمة والجلال والعزة يمين والحلف بصفات الفعل كالرحمة والغضب لا يكون يمينا ويعني بصفات الفعل ما يجوز ان يوصف
بضده فيقال رحم فلانا ولم يرحم فلانا وغضب ولم يغضب قال بعضهم ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا فقال لاقعدن ويرد على
هذا القول ان اثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل قيل ان ابليس اضاف الاغواء ههنا الى الله وفي قوله فبعزتك لاغوينهم
اضاف الاغواء الى نفسه الاول يدل على الجبر والثاني على القدر وهذا دليل على انه كان متحيرا في هذه المسئلة اجابت المعتزلة عن قوله فبما
اغويتني بان قول ابليس واعتقاده ليس بحجة او المراد انه تعالى لما امره بالسجود لآدم فعند ذلك ظهر منه كفر فلهذا المعنى اضاف الغي الى الله وقد نهى لا
تحملني على ضربك عندها والمراد بالاغواء الاهلاك واللعن قالت الاشاعرة يمكن المبالغة في ان المراد بالاغواء ههنا هو الاضلال لان حاصله كيف
ما كان يرجع على حكاية قول ابليس وهو ليس بحجة الا انا نقطع بان الغاوي لا بد له من مغو وليس ذلك نفسه لان العاقل لا يختار الغواية مع العلم بكونها
غواية والدور او التسلسل محال فلا بد ان ينتهي الى خالق الكل وهو المقصود اما قوله لاقعدن لهم صراطك فانتصابه على الظرف كقوله لدن

الأرض لكان فيه من كان مخلوقا من

المعنى لا من حيث

أي لا تفعل ما أمرت



يمر الكف يغسل متنه فيه كما غسل الطريق الثعلب قال الزجاج هو كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن والمراد لاعترضن لهم اى
لبنى ادم المذكورين في قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة والحاصل انه يواظب
على الافساد بالوسوسة مواظبة لا يفتر عنه ولهذا ذكر القعود لان من اراد المبالغة في تكميل امر من الامور قعد حتى يصير فارغ البال فيمكنه اتمام المقصود
واعلم ان العلماء اختلفوا في ان كفر ابليس كفر عناد او كفر جهل فمن قائل بالاول لقوله صراطك المستقيم وصراط الله المستقيم هو دينه الحق ومن
قائل بالثاني لقوله فبما اغويتني فدل ذلك على انه اعتقد ان الذي هو عليه محض الغواية وانما وصف الصراط بالمستقيم بناء على زعم الخصم واعتقاده
ورد بانه متى علم ان مذهبه ضلال وغواية فقد علم ان ضده هو الحق فكان انكاره انكار اللسان لا القلب هو المعنى بكفر العناد ويمكن ان يجاب
بانه اراد بالاغواء ايضا الاغواء بزعم الخصم قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه لا يجب على الله رعاية مصالح العبد في دينه ودنياه لانه امهل ابليس حين
استمهله مع علمه بالمفاسد والغوائل المترتبة على ذلك ومما يؤيد ذلك انه بعث الانبياء دعاة للخلق الى الحق وعلم من حال ابليس انه لا يدعو الا الى
الكفر والضلال ثم انه امات الانبياء وابقى ابليس ومن كان يريد مصالح العباد امتنع منه ان يفعل ذلك قال الجبائي في دفع هذا الاعتراض انه لا يختلف
الحال بسبب وجوده وعدمه ولا يضل بقوله احد بل انما يضل من لو فرضنا عدم ابليس لكان يضل ايضا بدليل قوله تعـ فانكم وما تعبدون ما انتم
عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم ولانه لو ضل به احد لكان بقاؤه مفسدة وقال ابو هاشم يجوز ان يضل به قوم ويكون خلقه جاريا
مجرى زيادة الشهوة فان هذه الزيادة من المشقة توجب الزيادة في الثواب ضعف قول الجبائي بانا نعلم بالضرورة ان الانسان اذا جلس عنده
جلساء السوء وحسنوا في عينه امرا من الامور مرة بعد اخرى فانه لا يكون حاله في الاقدام على ذلك الفعل كحاله اذا لم يوجد هذا التحسين فكذا
الشيطان المزين للقبائح في قلوب الكفار والفساق وزيف قول ابي هاشم بان خلق الزيادة في الشهوة حجة اخرى لنا في انه تعالى لا يراعي
المصلحة وتقريره الحجة ان خلق تلك الزيادة يوقع في الكفر وعقاب الابد ولو احترز عن تلك الشهوة فغايته ان يزداد ثوابه وحصول هذه الزيادة
شيء لا حاجة اليه والاهم دفع العقاب لا تحصيل زيادة الثواب فلو كان الاله العالم مراعيا لمصالح العباد لم يهمل الاهم لطلب الزيادة التي لا ضرورة
اليها اما ذكر الجهات الاربع ففيه وجوه احدها من بين ايديهم اى اشككهم في صحة البعث والقيمة ومن خلفهم القى اليهم ان الدنيا قديمة ازلية
وثانيها من بين ايديهم انفرهم عن الرغبة في سعادات الاخرة ومن خلفهم اقوي رغبتهم في لذات الدنيا وطيباتها فالاخرة بين ايديهم لانهم يردون
اليها ويصلون اليها والدنيا خلفهم لانهم يخلفونها وثالثها قول الحكم والسدي من بين ايديهم يعني الدنيا لانها بين يدي الانسان وانه يشاهدها
ومن خلفهم الاخرة لانها تاتي بعد ذلك واما قوله وعن ايمانهم وعن شمائلهم فقيل عن ايمانهم في الكفر والبدعة وعن شمائلهم في انواع
المعاصي وقيل عن ايمانهم في الصرف عن الحق وعن شمائلهم في الترغيب في الباطل وقيل عن ايمانهم افترهم عن الحسنات وعن شمائلهم اقوي دواعيهم
الى السيئات قال ابن الانباري وهذا قول حسن لان العرب تقول اجعلني في يمينك اى من المقدمين ولا تجعلني في شمالك اى من المؤخرين وعن
الاصمعي هو عندنا باليمين اى بمنزلة حسنة وبالشمال للعكس قال حكماء الاسلام ان في البدن قوى اربعا هي الموجبة لفوات السعادات الروحانية
احدها القوة الخيالية التي تجتمع فيها مثل المحسوسات وموضعها البطن المقدم من الدماغ واليها الاشارة بقوله من بين ايديهم وثانيها القوة
الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالاحكام المناسبة للمحسوسات ومحلها البطن المؤخر من الدماغ وهو قوله ومن خلفهم وثالثها الشهوة ومحلها الكبد
التي عن يمين البدن ورابعها الغضب ومنشاؤه القلب الذي هو في الشق الايسر فالشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الاربع لم
يقدر على القاء الوسوسة وقيل من بين ايديهم الشبهات المبنية على التشبيه اما في الذات او في الصفات كشبهة المجسمة واما في الافعال
كشبهة المعتزلة في التعديل والتجوير والتحسين والتقبيح لان الانسان يشاهد هذه الجسمانيات فهي بين يديه وبحضرته فيعتقد ان الغائب مثل
الشاهد ومن خلفهم شبهات اهل التعطيل لان هذه بازاء الاولى وعن ايمانهم الترغيب في ترك المامورات وعن شمائلهم الترغيب في فعل المنهيات
وعن شقيق ما من صباح الا ويأتيني الشيطان من الجهات الاربع اما من بين يدي فيقول لا تخف ان الله غفور رحيم فاقرأ واني لغفار لمن تاب
وامن وعمل صالحا واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرأ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما من يميني فيأتيني من قبل الثناء
فاقرأ والعاقبة للمتقين واما من شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فاقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون وعن رسول الله صلعم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه
قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين ابائك فعصاه فاسلم فقعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر
فقعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل وعلى هذا فالقعود في الطريق والرصد من الجهات مثل
لوسوسته اليهم وتسويله بكل ما يمكنه ويتيسر له كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك بقي ههنا بحث
وهو انه كيف قال من بين ايديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة قال في الكشاف وقد يختلف حروف الظروف
كما يختلف حروف التعدية على حسب السماع يقال جلس عن يمينه وعلى يمينه فمعنى على انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلى عليه ومعنى عن
انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره ونظيره في المفعول به رميت السهم عن القوس وعلى القوس ومن القوس
لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدئ الرمي منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن

بين يديه ومن خلفه لان الفصل يقع في بعض الجهتين كما يقول جئت من الليل يريد بعض الليل وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن
لانهما تفيد البعد والمباعدة على جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لابد ان يتباعد عن الملك ولا كذلك جانبا
القدام والخلف قالت الحكماء من بين ايديهم ومن خلفهم هما الوهم والخيال كما مر والناشئ منهما العقائد الباطلة والكفر وعن ايمانهم وعن شمائلهم
الشهوة والغضب والناشئ منهما الافعال الشهوية والغضبية وضرر الكفر لازم لان عقابه دائم وضرر المعاصي مفارق لان عذابها منقطع فلهذا
السبب خص هذين القسمين بكلمة عن تنبيها على انها في اللزوم والاتصال دون القسم الاول وانما اقتصر على الجهات الاربع ولم يذكر الفوق
والتحت لان القوى التي منها يتولد ما يوجب تفويت السعادات الروحانية هي هذه الموضوعة في الجوانب الاربعة من البدن واما في الظاهر فقد
روي ان الشيطان لما قال هذا الكلام رقت قلوب الملائكة على البشر فقالوا يا الهنا كيف يتخلص الانسان من الشيطان مع استيلائه عليهم من الجهات
فاوحى الله تعالى اليهم انه قد بقي للانسان جهة الفوق والتحت فاذا رفع يديه الى فوق بالدعاء على سبيل الخضوع او وضع جبهته على الارض
بطريق الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة قال القاضي هذا القول من ابليس كالدلالة على انه لا يمكنه ان يدخل في بدن ابن ادم ويخالطه لانه لو امكنه
ذلك لكان بان يذكره في باب المبالغة احق قلت هذا مناف لما في الحديث ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم اما قوله ولا تجد اكثرهم
شاكرين فسئل انه من باب الغيب فكيف عرف واجاب بعضهم بانه كان قد راه في اللوح المحفوظ فقاله على القطع واليقين وقال اخرون انه
قال على سبيل الظن لانه كان عازما على المبالغة في تزيين الشهوات وتحسين الطيبات فغلب على ظنه انهم يقبلون قوله ولقد صدقه الله
تعالى في ذلك الظن حيث قال ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقليل من عبادي الشكور وقيل ان للنفس تسع عشرة قوة الحواس الظاهرة
والباطنة والشهوة والغضب والقوى السبع النباتية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة وهي باسرها تدعو
النفس الى عالم الجسم واما التي تدعوها الى عالم الارواح فقوة واحدة وهي العقل ولا شك ان استيلاء تسع عشرة قوة اكثر من استيلاء واحدة لاسيما
وهي في اول الخلقة تكون قوية والعقل يكون ضعيفا وهو بعد قوتها يسير جعلها ضعيفة مرجوحة فلذلك قطع بقوله ولا تجد اكثرهم شاكرين
قال الله تعالى في جوابه اذا كان هذا عزمك اخرج منها مذؤما مدحورا الذام العيب والذام يهمز ولا يهمز والدحر الطرد والابعاد وفي المثل
لا تعدم الحسناء ذاما واللام في لمن تبعك موطئة للقسم ولاملان جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط وعن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى
لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لاملان جهنم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون اي انكم وانهم على هذا فقوله لاملان
في محل الابتداء ولمن تبعك خبره قال القاضي كما ان الكافر يتبعه وكذا الفاسق يتبعه فكذلك يجب القطع بدخول الفاسق النار والجواب بشرط
عدم العفو قوله ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة الاية فيها من المسائل ان يقول اسكن امر تعبد او امر اباحة من حيث انه لا مشقة فيه
فلا يتعلق به التكليف فان زوج ادم وهي حواء وان تلك الجنة كانت جنة الخلد او جنة من جنان السماء او جنة من جنان الارض وان قوله وكلا امر
اباحة لا امر تكليف وان قوله ولا تقربا نهي تحريم او تنزيه وان الشجرة المشار اليها شجرة واحدة بالشخص او بالنوع وانها اي شجرة كانت وان ذلك الذنب كان
صغيرا او كبيرا وان الظلم في قوله فتكونا من الظالمين باي معنى هو وان هذه الواقعة وقعت قبل نبوة ادم او بعدها ونحن قد قضينا الوطر
عن جميعها في سورة البقرة فلا حاجة الى الاعادة فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث النفس وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع
الذئب والمصدر الوسواس ايضا بكسر الواو والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال ويوصل الى المفعول باللام وبالى فمعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله
ووسوس اليه القاها اليه اي تكلم معه كلاما خفيا يكرره ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما قيل اللام لام العاقبة لان الشيطان لم يقصد بالوسوسة
ظهور عورتيهما وانما آل امرهما الى ذلك وقيل لام الغرض وبدو العورة كناية عن زوال الحرمة وسقوط الجاه الذي كان غرضه ولعله راى في اللوح
المحفوظ او سمع من الملائكة انه اذا اكل الشجرة بدت عورته وفي ذلك سقوط حشمته وقوله ووري اي ستر والسوءة فرج الرجل والمراة بين وسوسة
ابليس بانه قال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا الا كراهة ان تكونا ملكين الى قوله اني لكما لمن الناصحين سؤال كيف يطمع ابليس ادم في
ان يكون ملكا عند الاكل من الشجرة مع انه شاهد الملائكة ساجدين معترفين بفضله والجواب بعد تسليم ان هذه الواقعة كانت بعد النبوة وبعد
سجود الملائكة له ان هذا احد ما يدل على ان الملائكة الذين سجدوا لادم هم ملائكة الارض اما ملائكة السموات او ملائكة العرش والكرسي والملائكة
المقربون فما سجدوا البتة لادم والا كان هذا التطميع فاسدا وتعلق ايضا بانه اراد انه يصير مثل الملك في البقاء والدوام وضعف بلزوم التكرار
من قوله او تكونا من الخالدين قال الواحدي كان ابن عباس يقرا ملكين بكسر اللام كان اللعين اتاهما من جهة الملك كقوله هل ادلك على شجرة
الخلد وملك لا يبلى واعترض بانه لا نزاع في هذه القراءة الشاذة وانما النزاع في القراءة المشهورة ويمكن ان يجاب بان ادم لعله رغب في ان
يصير من الملائكة في القدرة والقوة والبطش والخلقة بان يجعل جوهرا نورانيا مقره العرش والكرسي نقل ان عمرو بن عبيد قال للحسن ان ادم وحواء
هل صدقاه في قوله فقال الحسن معاذ الله لو صدقاه لكانا من الكافرين اراد الحسن ان تصديق الخلود يوجب انكار البعث والقيمة وانه كفر
ويمكن ان يقال لو اراد بالخلود طول المكث لم يلزم التكفير ولو سلم ان الخلود مفسر بالدوام فلا نسلم ان اعتقاد الدوام من ادم يوجب الكفر لان
العلم بالموت ثم البعث يتوقف على السمع ولعل ذلك الدليل السمعي لم يصل الى ادم وقتئذ ثم ان المحققين اتفقوا على ان التصديق لم يوجد من ادم

لا تقطعا ولا تطأنا وانما اقدما على الاكل لغلبة الشهوة كما نجد من انفسنا عند الشهوة ان نقدم على الفعل اذا زين لنا الغير ما اشتهينا وان لم نعتقد
ان الامر كما قال ثم ان بعضهم زعم ان الترغيب كان في مجموع الامرين كونهما ملكين وكونهما خالدين والظاهر انه على طريقة التخيير بشهادة المقاسمة من الجانبين
فكيف تتصور المقاسمة بين ادم وابليس والجواب كانه قال لهما اقسم بالله اني لكما ناصح وقالا له انقسم بالله انك ناصح لنا واقسم لهما بالنصيحة واقسما له بقبولها
او اخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم فدليهما بغرور اي اوقعهما فيما اراد من تغريره واصله ان الرجل العطشان يدلي
رجليه في البئر ليأخذ الماء فلا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فائدة فيه فقيل اي جرأهما على اكل الشجرة من قولهم فلان يدل
على اقرانه في الحرب كالطائر يدل على صيده قال ابن عباس غرهما باليمين وكان ادم يظن ان لا يحلف احد بالله كاذبا وعن ابن عمر انه كان اذا رأى
من بعض عبيده طاعة وحسن صلوة اعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا
به فلما ذاقا الشجرة فيه دلالة على انهما قصدا الى معرفة طعمه ولولا انه ذكر في اية اخرى فاكلا منها لم يدل على الاكل لان الذوق قد يكون من
غير اكل بدت لهما سوأتهما ظهرت عوراتهما اي عورتاهما مثل صغت قلوبكما مكان تقلبا وطفقا يخصفان اخذا في الفعل وهو الخصف
ويستعمل طفق بمعنى كاد قال الزجاج اي يجعلان ورقة على ورقة ليسترا بها كما يخصف النعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور والورق ورق
التين وفيه دليل ان كشف العورة قبيح من لدن ادم الا ترى انهما كيف بادرا الى الستر لما تقرر في عقلهما من قبح كشف العورة الم انهكما
عتاب من الله وتوبيخ وباقي الايات مفسر في سورة البقرة عن ثابت البناني لما اهبط ادم وحضرته الوفاة احاطت به الملئكة فجعلت حواء
تدور حولهم فقال لها خلي ملئكة ربي فانما اصابني الذي اصابني فيك فلما توفي غسلته الملئكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر
من الثياب وحفروا له ولحدوا ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده وقد بقي علينا من التفسير اسرار المتشابهات
الواقعة في هذه القصة فلنفرغ لها قوله ما منعك وفي ص يا ابليس ما منعك وفي الحجر يا ابليس مالك حذف المنادى في هذه السورة لان مضى
ذكره هنا اقرب فلم يحتج الى اعادة اسم اللعين بالنداء قوله ما منعك ان لا تسجد وفي ص ما منعك ان تسجد جمع بين لفظ المنع ولفظ لا في السو
لانه لما حذف النداء زاد لفظة لا زيادة في النفي واعلاما بان المخاطب ابليس وان شئت قلت جمع في السورة بين ما في ص وما في الحجر فقال ما
منعك ان تسجد مالك ان لا تسجد فحذف ان تسجد وحذف مالك لدلالة الحال ودلالة السورتين عليه فبقي ما منعك ان لا تسجد قوله
انا خير منه الاية في ص مثله كلاهما في جواب ما منعك ظاهره الا انه زاد في الحجر لفظ ان يكون فقال لم اكن لاسجد ليكون مطابقا للسؤال حيث
قيل مالك الا تكون مع الساجدين قوله انظرني الى يوم يبعثون وفي ص وفي الحجر فانظرني لانه لما اقتصر في السؤال على الخطاب دون صريح
الاسم اقتصر ههنا ايضا على الخطاب دون المنادى بخلاف السورتين واما زيادة الفاء في السورتين دون هذه السورة فلان داعية
الفاء ما تضمنه النداء من ادعوا انادي نحو قوله ربنا فاغفر اي ادعوك فاعرض فلما حذف النداء في هذه السورة ترك الفاء وكذلك قوله
من المنظرين ليطابق الجواب السؤال قوله فبما اغويتني وفي الحجر رب بما اغويتني بزيادة النداء ليوافق ما قبله وزاد في هذه الفاء وكذا في ص
فبعزتك لاغوينهم لزيادة الربط ولم يمكن دخول الفاء في رب لامتناع النداء منه لان ذلك يقع مع السؤال والطلب قال اخرج منها مذؤما مدحورا وما ليس في
القران غيره وانما اختص الموضع بذلك لان اللعين بالغ في العزم على الاغواء فقال لاقعدن لهم الى اخره فبالغ الله جل وعلا في ذمه اذ الذأم
اشد الذم قوله فكلا بالفاء وفي البقرة وكلا لان اسكن ههنا من السكنى التي معناها اتخاذ المواضع مسكنا وهذا لا يستدعي زمانا ممتدا
يمكن الجمع بين الاتخاذ والاكل فيه بل يقع الاكل عقيبه وفي البقرة من السكون الذي يراد به الاقامة فلم يصلح الا بالواو فان المعنى جمعا بين الاقامة فيها
والاكل من ثمارها ولو كان بالفاء لوجب تأخير الاكل الى الفراغ من الاقامة وانما زاد في البقرة رغدا لما زاد في الخبر تعظيما بقوله وقلنا قال بعض
الافاضل في الجواب غيره وهذه المسائل ان اقتصر ما مضى اذا لم يقصد بها اداء الالفاظ باعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء اذا ادى المعنى
المقصود وهذا جواب حسن ان رضيت به كفيت مؤنة السهر الى السحر والله اعلم التاويل ولقد خلقناكم ثم صورناكم اي خلقنا الارواح
اجساما كما جاء في الحديث ان الله خلق الارواح قبل الاجساد بالفي الف عام ولتصوير الاجساد بدايتها وهي قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم
ذريتهم فان لفظ الذرية يقع على المصورين ووسطها يصوركم في الارحام كيف يشاء ونهايتها حالة الكهولة في الاغلب ثم قلنا للملئكة اسجدوا
لادم وانتم في صلبه وهذا من التمكين ايضا فسجدوا لاستعدادهم الفطري للسجود ولايتمادهم لامر الله الا ابليس لم يكن من المستعدين للسجود
لما فيه من الاستكبار الناري قال ما منعك خطاب الامتحان لجرم ابليس ليظهر به استحقاقه اللعن فانه لو كان ذا بصيرة لقال في الجواب منعني تقديرك
قضاؤك ولكنه كان اعور عين اليمنى بصيرا بالعين التي راى بها انانيته فقال انا خير منه اي منعني خيريتي منه ان اسجد لمن دوني واستدل على
خيريته بانه خلق من نار وهو علوي نوراني لطيف وادم خلق من طين سفلي ظلماني كثيف وهذا القياس معارض بان النار من خاصيتها الاحراق
والفناء والطين من خواص النشو والنماء والاستمساك الذي يقوم بصيرة الانسان مستمسكا للفيض الالهي ونفخ الروح ووصفه بالفساد واطفاء
بالحيوة فقال انظرني فاجيب له ما سئل ليكون وبالا عليه ويزيد في شقوته ولكن لم يجبه بان لا يذيقه الموت لقوله في موضع انظرني اليه
في موضع اخر الى يوم الوقت المعلوم قال فبما اغويتني لم يكن هو الناظر للاغواء الى الله منه من نظر التوحيد وانما كان للمعارضة والمعاندة لقوله لاغوينهم

لاقعدن

لاقعدن ثم لآتينهم من الجهات التى فيها حظوظ النفس من بين ايديهم من قبل الحسد على الاكابر من المشايخ والعلماء المعاصرين ومن خلفهم من
قبل سوء الظن فى الاكابر الاقدمين والسلف الصالحين وعن ايمانهم من قبل افساد ذات البين والقاء العداوة والبغضاء بين الاخوان وعن شمائلهم
من جهة ترك النصيحة مع اهاليهم واقاربهم وترك الامر بالمعروف مع عامة المسلمين او المراد من بين ايديهم من قبل الرياء والعجب ومن خلفهم من قبل
الصلف والفخر وعن ايمانهم من قبل الادعاء واظهار المواعيد والمواجيد وعن شمائلهم من قبل الافتراء على انفسهم ما ليس فيها من الكشوف والاحوال
او من بين ايديهم من قبل الاعتراض على الشيخ ومن خلفهم من قبل التفريق والاخراج عن صحبة الشيخ وعن ايمانهم من قبل ترك حشمة المشايخ وعن شمائلهم من
قبل مخالفة الشيخ والرد بعد القبول او من بين ايديهم اثور عليهم اهاليهم واولادهم ليمنعوهم عن طلب الحق ومن خلفهم اثور عليهم اباءهم وامهاتهم
وعن ايمانهم اثور عليهم احبائهم وعن شمائلهم اثور عليهم اعداءهم وحسادهم ولا تقربا هذه الشجرة يعنى شجرة المحبة فان المحبة مطية المحنة فتكونا من الظالمين
على انفسكما ان للمحبة نارا ونورا لمن يرد نارها يجد نورها ومن يرد نارها احترقت انانيته فيبقى بلا هو يته بربه فيها يجد نور المحبة ويتنور به كقوله
يحبهم ويحبونه فشجرة المحبة شجرة غرسها الرحمن بيده لاجل آدم كما خمر طينتها آدم بيده لاجل هذه الشجرة وان منعه منها كان تحريضا له على تناولها فان الانسان
حريص على ما منع ولم تكن الشجرة طعمة لغير آدم واولاده الا ان تكونا ملكين اى من اهل السلوك كالملكين فى زوايا الجنة او تكونا من الخالدين فى الجنة
كالحور والرضوان فسقاهما ابليس فى كاس القسم شراب كل الحبيب فاسمها فلما غرقا فى لجة المحنة بدت لهما سوأة نار المحبة قبل نورها وهى نار فرقة الا حبة
وفى البداية وطفقا الاشتغال بنار المحبة يجعلان كل نعيم الجنة على نارها فلما التهبت احترقت بلظاها ما ادخرا لواصلة ونعب غراب البين بالفرقة

فبينا نحن فى لهو وفى طرب بدا سحاب فراق صوب هطل وان كنت مشغوفا بطلعته مضى وافقر منه الرسم والطلل فالصبر مرتحل والوجد متصل
والوقع منهمل والقلب مشتعل

ونادى بهما ربهما نداء العزة والكبرياء الم انهكما عن تلكما الشجرة فانها تذل العزيز وتزيل النعيم وتذهب الطرب
وتورث التعب والنصب ان الشيطان لكما عدو مبين ولكن فى عداوته صلاح خفية تظهر ولو بعد حين والخجلنا من وقوفنا بباب دارهم لواحد قيل لى
مغضبا من انت يا رجل فانغسل بماء الخجل منهما دعونات البشرية ولوث الحب الا نانية فرجعا عما طمعا فيه ووقفا لربهما وعلما ان لا منجا ولا ملجا منه الا
اليه فقالا ربنا ظلمنا انفسنا بان اوقعناها فى شبكة المحبة لا تغنينا ولا المحنة تعينا بالزوال وان لم تغفر لنا بنوال الوصال وترحمنا على الجمال
لنكونن من الخاسرين الذين خسروا الدنيا والعقبى ولم يظفروا بالمولى فامرا بالصبر على الهجر وقيل اهبطوا بعضكم لبعض عدو والنفس
عدو والقلب والروح والقلب عدو لما سوى الله ولكم للنفس والقلب والروح فى ارض البدن مقام وتمتع فى الشريعة باستعمال الطريقة
للوصول الى الحقيقة الى حين تصير النفس مطمئنة مستحقة لخطاب ارجعى من الهبوط وارفعى بعد السقوط ان الامور اذا انسدت مسالكها

فالصبر يفتح منها كل ما ارتتجا لا تياسن وان طالت مطالبة اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته ومدمن القرع
للابواب ان يلجا

قال فيها اى فى الجنة تحيون بصدق الطلب وقرع باب العزيمة وفيها تموتون بطلب الحق على جادة الشريعة باقدام الطريقة ومنها تخرجون الى عالم الحقيقة

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ
اى فرزندان آدم تحقيقكه فرستاديم برشما پوشيدنى را كه پنهان كند عورت شمارا و جامهٔ نيكو و لباس پرهيزكارى اين بهترست اين از ايات خداست شايد كه ايشان
يَذَّكَّرُونَ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
پند گيرند اى فرزندان آدم فريب ندهد شمارا شيطان چنانچه بيرون كرد پدر و مادر شمارا از بهشت ميكند از انها لباس انهارا كه بنمايد بانها
سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
عورت انهارا بدرستى كه او ميبيند شمارا او و خويشان او از انجا كه نمى بينيد ايشانرا بدرستى كه ما گردانيديم ديوان را صاحب اختيار ان از براى انها كه نمى گروند
وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا
و چون كردند ناشايسته را گفتند كه يافتيم بران فاحشه پدران خودرا و خدا فرموده مارا بان بگو بدرستى كه خدا نفرمايد بناشايسته ايا ميگوييد بر خدا انچه را كه
لَا تَعْلَمُونَ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ
نميدانيد بگو كه فرمانداده پروردگار من براستى و راست داريد روهاى خودرا در نزد هر مسجدى و بخوانيد او را خاص كنندگان از براى او دين را چنانچه بحث افريده شمارا
فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ
گروهيرا راه نمود و گروهيرا ثابت گرديد برايشان گمراهى بدرستى ايشان فرا گرفتند ديوان را دوستان از غير خدا و ميپندارند
أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
كه ايشان هدايت كرده شدند اى بنى آدم فرا گيريد زينت خودرا در نزد هر مسجدى و بخوريد و بياشاميد و اسراف مكنيد بدرستيكه او دوست ندارد مسرفانرا
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
بگو كيست حرام كرده زينت خدارا انكه بيرون اورده از براى بندگانش و پاكيزهاى از روزى بگو كه ان از براى انانكه گرويدند در زندگانى دنيا
خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ
خالص روز قيامت همچنين ظاهر ميسازيم ايات را از براى گروهى كه ميدانند بگو جز اين نيست كه حرام كرده پروردگار من ناشايستهارا

مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا
ازانها و آنچه پنهانست و گناه و از حد گذشتن را بدون حقی و آنکه شرک آورید بخدا آنچه نرسیده است بان حجتی و آنکه گوئید
عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ
بر خدای آنچه را که نمیدانید و مر هر گروهی را مدتیست پس چون آمد مدتشان پس نیفکنند ساعتی و پیش نیفکنند

القراءة وريشا ابو زيد عن المفضل الباقون ريشا ولباس بالنصب ابو جعفر و نافع و ابن عامر و علي الباقون بالرفع خالصة بالرفع نافع الاخرون بالنصب
ربي الفواحش مرسلة الياء حمزة الوقوف وريشا ط لمن قرأ ولباس مرفوعا ومن قرأ بالنصب فقف على التقوى خير ط يذكرون سواتهما لا يؤمنون
امرنا بها ط بالفحشاء ما لا يعلمون الدين ط تعودون على جواز الوصل لرد النهاية الى البداية الضلالة مهتدون ولا تسرفوا لاحتمال الفاء فيهما ولا
يستقدمون التفسير لما ذكر ان الارض مستقر لبني ادم ذكر انه انزل كل ما يحتاجون اليه في الدين والدنيا فقال يا بني ادم قد انزلنا وايضا لما ذكر
ادم في انكشاف العورة انه كان يخصف عليها اتبعه بذكر اللباس الساتر للعورة اظهارا للمنة واشعارا بان التستر باب من ابواب التقوى ومعنى انزال
اللباس انه قضي ثمه وكتب وانه حاصل بالمطر المنزل من السماء ومثله وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا الحديد والريش لباس الزينة
استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اي انزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها
وزينة ولكم فيها جمال ومن قرأ رياشا فقد قيل انه جمع ريش كشعب وشعاب وقال الجوهري الريش والرياش بمعنى كاللبس واللباس وهو لباس الفاخر
ويقال الريش والرياش المال والخصب والمعاش وبالجملة كل شيء يعيش به الانسان ومنه قولهم ريش فلانا اصلح حاله وقال ابن السكيت الرياش مختص
بالثياب والاثاث والريش قد يطلق على سائر الاموال اما قوله ولباس التقوى فمن قرأ بالنصب فعلى المنصوب قبله عطف ومن رفع فعلى الابتداء
وخبره اما الجملة التي هي ذلك خير كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة كالضمائر في صلوح العود بسببها واما المفرد الذي هو خير وذلك بدل
او عطف بيان او صفة بتاويل ولباس التقوى المشار اليه خير والعدول الى الاشارة اما للتعظيم لباس التقوى واما ان يكون المراد بلباس
التقوى تفضيلا له على لباس الزينة ثم من المفسرين من حمل لباس التقوى على نفس الملبوس اي اللباس الذي انزله الله تعالى ليواري به السوأة هو لباس
التقوى لان قوما من اهل الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب ويطوفون بالبيت عراة فيكون كقول القائل قد عرفتك الصدق
في ابواب البر والصدق خير لك من غيره فتعبد بها او المراد به ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها في الحروب او يراد الملبوسات
المعدة لاجل اقامة الصلوة ومنهم من حمله على لباس التقوى مجازا فقال قتادة والسدي وابن جريج انه الايمان وقال ابن عباس هو العمل الصالح
وقيل هو السمت الحسن وقيل هو العفاف والتوحيد لان المؤمن لا تبدو عورته وان كان عاريا عن الثياب والفاجر لا تزال مكشوفة
وان كان كاسيا وقال معبد هو الحياء وقيل هو ما اظهر على الانسان من السكينة والاخبات والاعمال الصالحات وعلى هذا فمعنى الاية
ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب الى الله تعالى مما خلق من اللباس والرياش الذي يتجمل به فاضافة اللباس الى التقوى كما اضيف
الى الجوع والخوف في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده لعلهم يذكرون فيعرفوا



عظيم النعمة فيه ثم حذر اولاد ادم من قبول وسوسة الشيطان لان المقصود من قصص الانبياء عليهم السلام ان يكون عبرة لمن يسمعها فقال يا بني
ادم لا يفتننكم الشيطان الفتنة الامتحان تقول فتنت الذهب اذا ادخلته النار لتنظر ما جودته وقال الخليل الفتن الاحراق وورق فتين
اي فضة محرقة قال الله تعالى يوم هم على النار يفتنون من قدر على اخراج الاب من الجنة مع كمال قوته وقرب عهده من فيضان وجوده فهو على اولاده
على ان لا يدخل الجنة اقدر ومحل كما اخرج نصب على المصدر اي فتنة مثل اخراج ابويكم لان هذا الاخراج نوع من الفتنة في اولاده ومحل ينزع
عنهما لباسهما حال اي اخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا في ان نزع عنهما واللام في ليريهما سوآتهما لام العاقبة او لام الغرض كما تقدم في قوله
ليبدي لهما قال ابن عباس يرى ادم سوأة حواء وترى حواء سوأة ادم وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت منه
ولا رأى مني وحمله العلماء على الكراهة لا على التحريم واختلفوا في لباس نزع عنهما فقيل الثوب الحائل بينهما وبين النظر وعن سعيد بن جبير كان لباسهما
من جنس الاظفار وقيل اللباس الذي هو ثياب الجنة قال الكعبي في الاية دلالة على ان المعاصي والفتن كلها منسوبة الى الشيطان واجيب
بانه لا بد من الانتهاء الى خالق الكل وموجد القدر والدواعي ثم علل النهي واكد التحذير بقوله انه يريكم هو وقبيله اي جماعته الثلاثة
فصاعدا والقبيل بنو اب واحد وقال ابن قتيبة اي اصحابه وجنده وقال الليث هو وقبيله وجماعته من حيث لا ترونهم اي يكيدون
ويغتالون من حيث لا تشعرون قال بعض المتكلمين ومنهم المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن رقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في رؤية
الجن الانس كثافة اجسام الانس والوجه في رؤية الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى يقوي ابصار الجن ويزيد فيه ولو زاد الله في قوة ابصارنا لرايناهم كما
يرى بعضنا بعضا ولو انه تعالى كثف اجسامهم وبقيت ابصارنا على هذه الحالة لرايناهم وقال اهل السنة انهم يرون الانسان لانه تعالى خلق في
عيونهم ادراكا والانس لا يرونهم لانه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الانس قال بعض العلماء من حيث لا ترونهم يتناول اوقات الاستقبال
من غير تخصيص ففيه دليل على ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وان اظهارهم انفسهم ليس في استطاعتهم وان زعم من يدعي رؤيتهم زور

ونحوه ولو قدر الجن على تغيير صورهم انفسهم بأي صورة شاؤا لارتفع الوثوق عن الناس حتى الزوجة والولد ولو كانوا قادرين على تخبيط
الناس وازالة العقل منهم لكان اولى الناس بذلك العلماء والمشايخ لان العداوة بينهم وبين هؤلاء اشد وعن مجاهد قال
ابليس اعطينا اربع خصال نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى والضمير في انه للشأن وهو تأكيد ليصح العطف على المرفوع المتصل
ثم قال انا جعلنا الشياطين الاية واحتج اهل السنة على انه تعالى هو الذي سلط الشيطان عليهم حتى اضلهم واغواهم ويتأكد هذا النص بقوله
انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا واعتذر القاضي بان المراد من الجعل الحكم بان الشيطان ولي لمن لا يؤمن او المراد التخلية بينهم
بينهم كمن يربط الكلب في داره ولا يمنعه من التوثب على الداخل واجيب بان حمل الجعل على الحكم خلاف الظاهر وهب انه حكم بذلك فهل يمكن مخالفة
حكم الله وبان الارسال انما يصدق على التسليط لا على التخلية المجردة قوله واذا فعلوا فاحشة قال بعضهم نزلت في اتخاذهم البحائر والسوائب
وقيل في الطواف بالبيت عراة والاولى التعميم والفحشاء الخصلة المتزائدة في القبح اعني الكبيرة والمراد انهم كانوا يفعلون اشياء هي في انفسها
فواحش ويعتقدون انها طاعات فنهوا عن ذلك لينتهوا عنها ثم انه حكى عنهم حجتين الاولى التقليد ولم يذكر جوابها لظهور بطلانها عند
كل عاقل والثانية ان الله امرهم بذلك فاجاب عنها بقوله قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وللمعتزلة ايضا ان يحتجوا به على ان الشيء انما يقبح
لوجه عائد اليه وان كونه في نفسه من الفحشاء مغاير لتعلق الامر والنهي به ولهذا المعنى بقوله اتقولون على الله ما لا تعلمون والجواب
ان عدم الامر بالفحشاء لا ينافي ارادة الفحشاء ومشيئتها ونحن لا ندعي الا انه تعالى مريد لجميع الكائنات وان شيئا منها لا يخرج عن حكمه وارادته
وتقديره مع انه لا يأمر الا بالعدل والصواب كما قال قل امر ربي بالقسط قال عطاء والسدي اي بالعدل وبما ظهر في العقول كونه حسنا
وعن ابن عباس هو قول لا اله الا الله ويندرج فيه معرفة الله تعالى بذاته وافعاله واحكامه اما قوله واقيموا فليس من باب عطف الطلب
على الخبر وانما التقدير وقل اقيموا وجوهكم اي استقبلوا او اخلصوا عند كل مسجد في كل وقت سجود وكان المعنى وجهوا وجوهكم حيثما
كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال ابن عباس المراد انه اذا حضرت الصلاة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم لا اصلي الا في مسجد
قومي ثم لما امر بالتوجه الى القبلة امر بعده بالدعاء والاظهر ان المراد به اعمال الصلاة سميت دعاء لان اشرف اجزاء الصلاة هو الدعاء
والذكر ويمكن ان يبقى الدعاء بمعنى العبادة فيكون كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ثم برهن على المعاد ليتحقق الجزاء
فقال كما بدأكم تعودون قال الحسن ومجاهد كما بدأ خلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا كذلك تعودون احياء وعن ابن عباس المراد كما بدأ خلقكم
مؤمنا او كافرا تعودون فيبعث المؤمن مؤمنا والكافر كافرا فان من خلقه الله تعالى في اول الامر للشقاوة يعمل بعمل اهل الشقاوة وكانت عاقبته
ذلك ومن خلقه للسعادة فانه يعمل عمل اهل السعادة وكانت عاقبته السعادة ويؤيد هذا التفسير قوله عقيب ذلك فريقا هدى وفريقا
حق عليهم الضلالة وانتصاب فريقا الثاني بفعل مضمر يفسره ما بعده اي خذل واضل فريقا حق عليهم الضلالة كقولك زيدا مررت
به قال القاضي المعنى فريقا هدى الى الجنة والثواب وفريقا حق عليهم الضلالة اي العذاب والصرف عن طريق الثواب لان هذا هو الذي
يحق عليهم دون غيره اذ العبد لا يستحق ان يضل عن الدين اذ لو استحق ذلك لجاز ان يأمر انبياءه باضلالهم عن الدين كما امرهم باقامة الحدود
المستحقة واجيب بان قوله هدى وهو ماض وحمله على المستقبل خلاف الظاهر وبان الهدى الى الجنة والضلال عنها لا بد ان يكون محكوما في الازل وخلاف
حكمه محال ثم بين ما لاجله حقت على هذه الفرقة الضلالة اعني السبب القريب والا فانتهاء الكل الى مسبب الاسباب فقال انهم اتخذوا الشياطين
اولياء من دون الله فقبلوا دعوتهم دون دعوته ولم يتأملوا في التمييز بين الحق والباطل ثم عين ان جهلهم مركب لا بسيط فقال ويحسبون انهم
مهتدون وفيه ان مجرد الظن والحسبان لا يكفي في اصول الدين بل لا بد فيه من القطع واليقين ثم لما امر بالقسط وكان من جملته امر اللباس والمأكول
والمشروب وايضا امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا لصحتها فلا جرم قال يا بني آدم خذوا زينتكم عن ابن عباس قال كان اناس من الاعراب
يطوفون بالبيت عراة حتى كانت المرأة لتطوف بالبيت وهي عريانة فتعلق على سفلها سيورا مثل هذه السيور التي تكون على وجه الحمر من الذباب
وهي تقول اليوم يبدو بعضه او كله وما بدا منه فلا احله وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه
وراء المسجد وان طاف وهي عليه ضرب وانتزعت منه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب اذنبنا فيها وقيل كانوا يفعلون ذلك تفاؤلا ليعروا
من الذنوب كما يعروا من الثياب وقال الكلبي كان اهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما في ايام حجهم فقال المسلمون يا رسول
الله نحن احق بذلك فانزل الله الاية قال اكثر المفسرين المراد من الزينة لبس الثياب لقوله تعالى ولا يبدين زينتهن يعني الثياب وايضا الزينة
لا تحصل الا بالستر التام للعورات ولانه مناسب لما تقدم من ذكر اللباس والريش ولان ظاهر الامر الوجوب وكل ما سوى اللبس غير واجب فوجب
حمل الزينة على اللبس عملا بالنص بقدر الامكان والسنة ان يأخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وقيل الزينة المشط وقيل الطيب ثم ان العبرة بعموم اللفظ
لا بخصوص السبب فالاية تقتضي وجوب اللبس التام عند كل صلوة ترك العمل به في القدر الذي لا يجب ستره من الاعضاء اجماعا بقي الباقي داخلا تحت
اللفظ فان ستر العورة واجب في الصلوة والا فسدت صلوته قال اصحاب ابي حنيفة لبس الثوب المغسول بماء الورد على اقصى وجوه النظافة من اخذ الزينة فيكون مستحبا
في صحة الصلوة واجيب بان اللام في قوله واقيموا الصلوة ينصرف الى المعهود السابق وهو صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم قلتم انه صلى في الثوب المغسول بماء

القبلة وليستقبلوا

يفعلون بذلك جماعتهم

الورد اما قوله كلوا اي اللحم والدسم واشربوا فقد قيل انهما امر اباحة بالاتفاق فوجب ان يكون اخذ الزينة ايضا على الاباحة واجيب بانه لا يلزم
من ترك الظاهر في المعطوف تركه في المعطوف عليه مع ان الاكل والشرب قد يكونان واجبين انه في الجملة وهاهنا ان جميع المطعومات والمشروبات
وبيتنا ولان الاحوال والاوقات الا ما خصه الدليل المنفصل والعقل انه مؤكد لهذا المعنى لان الاصل في المنافع الحل والاباحة وفي قوله ولا
تسرفوا وجهان الاول انه ياكل ويشرب بحيث لا يتعدى الى الحرام ولا يكثر الانفاق المستقبح ولا يتناول مقدارا كثيرا يضره ولا يحتاج اليه الثاني
وهو قول ابي بكر الاصم ان المراد من الاسراف قولهم بتحريم البحيرة والسائبة فانهم اخرجوها عن ملكهم وتركوا الانتفاع بها وايضا انهم حرموا على انفسهم
في وقت الحج ما احلها الله لهم تعالى قال بعض العلماء ان حمل الاسراف على الاستكثار مما لا ينبغي اولى من حمله على المنع مما يجوز وينبغي عن ابن عباس
كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن
واقد صاحب المغازي ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف اية من كتابه
قال وما هي قال قوله كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلعم الطب في الفاظ
يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس
طبا قيل كانوا اذا احرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها فانكر ذلك عليهم بقوله قل من حرم زينة الله قال ابن عباس واكثر
المفسرين هي اللباس الساتر للعورة وقال اخرون انها تتناول جميع انواع الزينة من الملابس والمراكب والحلي وكذا كل ما يستطاب ويستلذ
من المآكل والمشارب والنساء والطيب عن عثمان بن مظعون انه اتى رسول الله صلعم وقال غلبني حديث النفس عزمت على ان اختصي فقال
مهلا يا عثمان فان خصاء امتي الصيام قال فان نفسي تحدثني بالترهب فقال ان ترهب امتي القعود في المساجد لانتظار الصلوات فقال
تحدثني نفسي بالسياحة فقال سياحة امتي الغزو والحج والعمرة فقال ان نفسي تحدثني ان اخرج مما املك فقال الاولى ان تكفي نفسك وعيالك وان ترحم
المسكين واليتيم وتعطيه ما فضل من ذلك فقال ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة فقال ان الهجرة في امتي هجرة ما حرم الله تعالى قال فان نفسي تحدثني
ان لا اغشاها فقال ان المسلم اذا غشي اهله او ما ملكت يمينه فان لم يصب وقعته تلك ولدا كان له وصيف في الجنة وان كان له ولد مات قبله
وبعده كان له قرة عين وفرح يوم القيمة وان مات قبل ان يبلغ الحنث كان له شفيعا ورحمة يوم القيمة قال فان نفسي تحدثني ان لا اكل اللحم فقال
مهلا فان جبرئيل اتاني بالطيب وقال لا تتركه يوم الجمعة ثم قال يا عثمان لا ترغب عن سنتي فانه من رغب عن سنتي ومات فليس مني ولو مات قبل
ان يتوب ضربت الملائكة وجهه عن حوضي واعلم ان كل واقعة تقع فاما ان لا يكون فيها نفع ولا ضرر او تساوى ضررها ونفعها فوجب الحكم
في القسمين ببقاء ما كان على ما كان وان كان النفع خالصا وكان تركه خالص النفع فيلحق بالقسم المتقدم وان كان النفع راجحا والضرر
مرجوحا تقابل المثل بالمثل وبقي القدر الزائد نفعا خالصا وان كان الضرر راجحا بقي القدر الزائد ضررا خالصا او كان تركه نفعا خالصا فبهذا
الطريق صارت هذه الاية دالة على الاحكام التي لا نهاية لها في الحل والحرمة الا ان نجد نصا خاصا في الواقعة فنقضي بتقديم الخاص على العام
قال نفاة القياس لو تعبدنا الله تعالى بالقياس لكان حكم ذلك القياس اما ان يكون موافقا لحكم هذا النص العام وحينئذ يكون ضايعا لان هذا
النص مستقل به وان كان مخالفا كان ذلك القياس تخصيصا لعموم هذا النص فيكون مردودا لان العمل بالنص اولى من العمل بالقياس فاذن
القران واف بجميع الاحكام الشرعية والله تعالى اعلم ثم بين ان الزينة والطيبات خلقت في الحيوة الدنيا لاجل المؤمنين بالاصالة والكفرة
بالتبعية كقوله ومن كفر فامتعه قليلا واما في الاخرة فانها خالصة لهم فقال قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا خالصة من قرأ بالرفع فلانه
خبر بعد خبر قال ابو علي وعلى الخبر وللذين امنوا متعلق بهو المقدر وهي خالصة للذين امنوا في الحيوة يوم القيمة وعلى هذا يكون في الحيوة الدنيا
ظرفا لخالصة فيفهم من ذلك انها في غير يوم القيمة غير خالصة لهم بل يكون مشوبة بزحمة الكفار وعلى الاول يكون في الحيوة ظرفا للمحذوف
اي هي للذين امنوا غير خالصة في الحيوة الدنيا وهي لهم خالصة يوم القيمة ومن قرأ بالنصب فعلى الحال والباقي التقدير كذلك نفصل الايات
لقوم يعلمون اي لقوم يمكنهم النظر والاستدلال حتى يتوصلوا به الى تحصيل العلوم النظرية ثم بين اصول الافعال المحرمة فحصرها في
ستة انواع لان الجناية اما على الفروج واشار اليها بقوله قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن واما ان يكون على العقول وهي شرب
الخمر واليها الاشارة بقوله والاثم وقيل الفواحش الكبائر والاثم الصغائر وقيل الفواحش كل ما تزايد قبحه وتبالغ والاثم عام لكل ذنب كانه
خصص ولا ثم عمم واما ان يكون الجناية على النفوس والاموال والاعراض واليهن الاشارة بقوله والبغي بغير الحق ومعنى بغير الحق ان لا يقدموا
على ايذاء الناس بالقتل والقهر الا ان يكون لهم فيه حق فيخرج عن ان يكون بغيا واما ان يكون الجناية على الاديان اما بالطعن في التوحيد
واليه اشار بقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا اي لا سلطانا حتى ينزل واما بالافتراء على الله والى ذلك قوله وان تقولوا على الله ما لا
تعلمون فان قيل الفاحشة وغيرها هي التي نهى الله تعالى عنها فيصير تقدير الاية انما حرم ربي المحرمات وهذا كلام خال عن الفائدة فالجواب
ان كون الفعل فاحشة عبارة عن اشتماله في ذاته على امور باعتبارها يجب النهي عنه فيزول الاشكال ثم سلى المكلفين الى الاجال المحدودة
والانفاس المعدودة فقال ولكل امة اجل عن ابن عباس والحسن ومقاتل معناه انه تعالى امهل كل امة كذبت رسولها الى وقت معين لا يعذبهم

قال تحدثني

وجب الا طلاق في الاية وان كان الضرر خالصا

الدنيا





قبل ذلك ولا يتأخر عنها والمقصود عيد اهل مكة وقيل معناه ان اجل العمر لا يتقدم ولا يتأخر سواء الهالك والمقتول وقيل معناه ان اجل الامم لا يتقدم
ولا يتأخر واورد على القول الاول انه ليس لكل امة من الامم وقت معين لا يعذبهم فى نزول عذاب الاستيصال وعلى الثانى انه كان ينبغى ان يقال
ولكل انسان او واحد اجل ويمكن ان يراد بالامة الجماعة فى كل زمان والمعلوم من حالها التفاوت فى الآجال فزال السؤال وليس المراد انه تعالى
لا يقدر على تبقيته ازيد من ذلك ولا انقص ولا يقدر على ان يميته الا فى ذلك الوقت لان هذا يقتضى خروجه سبحانه وتعالى عن كونه
قادرا مختارا او صيرورته كالموجب لذاته بل المراد انه تعالى اختار ان الامر يقع على هذا الوجه وانما ذكر الساعة لان هذا الجزء من الزمان اقل ما
يستعمل فى تقليل الاوقات عرفا والساعة فى اصطلاح اهل التنجيم جزء من اربعة وعشرين جزءا من يوم بليلته قيل ان عند حضور الاجل يمتنع عقلا
وقوع ذلك الاجل فى وقت المتقدم فما معنى قوله ولا يستقدمون واجيب بان مجيئ الاجل محمول على قرب حضور الاجل لقول العرب جاء الشتاء اذا قارب وقته
ومع مقاربة الاجل يصح التقدم على ذلك الوقت تارة والتأخر عنه اخرى كذا فى التأويلات قد انزلنا عليكم لباسا هو لباس الشريعة يوارى سوآت الافعال القبيحة
فى الظاهر وسوآت الصفات الذميمة والنفسانية والحيوانية بآداب الطريقة فى الباطن وريشا زينة وجمالا فى الظاهر والباطن ولباس التقوى وهو
هو لباس اهل الروح والسر الخفى فلباس القلب من التقوى هو الصدق فى طلب المولى يوارى به سوآت الطمع فى الدنيا وما فيها ولباس الروح من
التقوى هو محبة المولى فيوارى به سوآت التعلق بغير المولى ولباس السر من التقوى هو رؤية المولى تتوارى بها رؤية غير المولى ولباس الخفى من
التقى بقاؤه بهوية المولى فيوارى بها هوية غير المولى ذلك خير لان لباس البدن بالتقوى وهو الشريعة ولباس القلب بالتقوى هو الحقيقة ذلك
من آيات الله اى نزول الشريعة والحقيقة مما يدل على المولى لا يفتننكم الشيطان بالدنيا وما فيها ولذتها بغلبة الهوى فيخرجكم عن جنة الصدق فى طلب
الحق كما اخرج ابويكم من الجنة وجوار الحق ينزع عنهما لباسهما من الشرع وذلك نهيهما عن شجرة المحبة ليريهما سوآتهما من مخالفة الحق وما علما ان فى
هذه الصفة ومن جملة سوآتهما كل كمال ونقصا وكان مستورا فيهما فاراهما بعد تناول الشجرة انه يريكم هو وقبيله يعنى من الروحانيين الذين لا
صورة لهم فى الظاهر فانهم يرون بنظر الملكوت الروحانى من الانسان بعض الافعال التى تتولد عن الاوصاف البشرية كما راوا فى آدم وقالوا أتجعل
فيها من يفسد فيها من حيث لا ترونهم اى يرونكم من حيث البشرية التى منشأها الصفات الحيوانية فانكم محجوبون بهذه الصفات عن رؤيتهم
لا من حيث الروحانية التى هى منشأ علوم الاسماء والمعرفة فانهم لا يرونكم فى هذا المقام وانتم ترونهم بالنظر الروحانى بل بالنور انا جعلنا الشياطين اولياء
خلقنا مستعدين لتولية امور اهل الغفلة والطبيعة واذا فعلوا فاحشة هى طلب الدنيا وجهها قالوا انا وجدنا آباءنا على محبة الدنيا وشهواتها
والله امرنا بطلب الكسب الحلال قل ان الله لا يأمر بالفحشاء وانما يأمر بالكسب لانه لا بد للحاجة الضرورية لقوام القالب بالقوت واللباس ليقوم باداء حق
العبودية وذلك قوله قل امر ربى بالقسط كما بدأكم لطفا او قهرا تعودون اليه فاهل اللطف يعودون اليه بالاخلاص والطاعة واهل القهر الذين
حق عليهم الضلالة يعودون اليه جبرا واضطرارا فيسحبون فى النار على وجوههم خذوا زينتكم فزينة الظاهر التواضع والخضوع وزينة الباطن
الانكسار والخشوع وزينة نفوس العابدين آثار السجود وزينة قلوب العارفين انوار الوجود فالعابد على الباب بنعت العبودية والعارف على
البساط بحكم الحرية وكلوا واشربوا فى مقام العندية كما قال ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى ولا تسرفوا بالافراط فوق الحاجة الضرورية والتفريط فى حفظ
القوة بحيث يضيع حقوق العبودية من زينة الله فزين الابدان بالشرائع وآثارها وزين النفوس بالآداب وقلائدها وزين القلوب بالشواهد وانوارها
وزين الارواح بالمعارف واسرارها وزين الاسرار بالطوالع وآثارها من تصدى لطلب هذه المقامات وهى مباحة له من غير تأخير وقصور
وحظر ومنع والطيبات من الرزق ما لم يكن مشوبا بالحظوظ النفسانية فهذه الكرامات والمقامات خالصة لاهل السعادة فى الدنيا مشوبة بشوائب هذه الآفات
النفسانية وكدورات الصفات الحيوانية خالصة يوم القيامة من هذه الآفات والكدورات كما قال ونزعنا ما فى صدورهم من غل الفواحش ما يقطع
على العبد طريق السلوك الى الرب ففاحشة العوام ما ظهر منها ارتكاب المناهى وما بطن خطورها بالبال وفاحشة الخواص ما ظهر منها تتبع ما للانفس فيه
نصيب ولو بذرة وما بطن الصبر على المحبوب ولو بلحظة وفاحشة الاخص ما ظهر منها ترك ادب من الآداب او التعلق بسبب من الاسباب وما بطن الركون
الى شيء فى الدارين والالتفات الى غير الله من العالمين والاثم الاعراض عن الله ولو طرفة عين والبغى وهو طلب غير الله فانه وضع فى غير موضعه وان يستغيثوا
بغير الله ما لم يكن فيه رخصة وحجة من الشريعة وان تقولوا بفتوى النفس وهواها وبنظر العقل على الله ما لا تعلمون حقيقتها او تقولوا فى معرفة الله وبيانا احوال
السائرين السالكين بمعارفكم ولكل امة من السائرين الى الله والى الجنة مقام مضروب فى الازل وفيه محل للاولياء واستمالة لقلوبهم ووعيد للاعداء وسياسة لنفوسهم

يا بنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين
اى فرزندان آدم اگر آیند شما را رسولان از شما که بیان کنند بر شما آیات مرا پس آنکه پرهیزکرد ونیکوکاری نمود پس ترسی نیست بر ایشان ونه ایشان اندوهناک واما کسانی
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او
تکذیب کردند آیات ما را وسرکشی کردند از آن آنگروه یاران آتشند ایشان در آن جاویدان پس کیست ستمکارتر از آنکه دروغ گفت بر خدا دروغرا
كذب بآياته اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اين ما كنتم تدعون
یا تکذیب کرد آیات او را آنگروه میرسد ایشانرا بهره ایشان از کتاب تا چون آید ایشانرا فرستادهای ما که بمیرانند ایشانرا گفتند کجاست آنچه میخواندید

مطلب

مِنْ دُونِ اللّٰهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلٰى اَنْفُسِهِمْ اَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ قَالَ ادْخُلُوا فِي اُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ

الْجِنِّ وَالْاِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ اُمَّةٌ لَعَنَتْ اُخْتَهَا حَتّٰى اِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ اُخْرٰىهُمْ لِاُولٰىهُمْ رَبَّنَا هٰؤُلَاءِ

اَضَلُّونَا فَاٰتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ اُولٰىهُمْ لِاُخْرٰىهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا

مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ع اِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ اَبْوَابُ

السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتّٰى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ

غَوَاشٍ وَكَذٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ اٰمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا اُولٰئِكَ

اَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْاَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلّٰهِ

الَّذِي هَدَانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا اَنْ هَدَانَا اللّٰهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا اَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ اُورِثْتُمُوهَا

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ القراءات حتى اذا ادّاركوا كان يعقوب اذا وقف على اذا يبتدئ تداركوا بالتاء سهل مجتهرو كذلك تعالى اذا قلتم وقالوا الحمد لله واقف الكسائي في ثنا قلتم اخريهم لاوليهم بالامالة الشديدة ابراهيم بن حماد وحمزة وعلي وخلف وقرأ ابو عمرو في ابراهيم بن حماد اوليهم بالامالة اللطيفة اخريهم بالامالة الشديدة وافق ورش من طريق النجاري هبيرة والخزاز عن في اخريهم بالامالة الشديدة فاتهم بضم الطاء ردنا لهم وكذا كل كلمة سقطت الياء لعلة الاقول ومن يولهم لا يعلمون بياء الغيبة ابو بكر وحماد لا تفتح لهم بتاء التانيث والتخفيف ابو عمرو قرأ وحمزة وعلي وخلف بفتح بالتحتانية وبالتخفيف الباقون بتاء التانيث والتشديد غواشي بالياء في الوقف يعقوب وكذا كل كلمة سقطت الياء لاجل التنوين او لاجتماع الساكنين وهو من هبة سهل من طريق ابن دريد بهما كنا بغير واو والعطف ابن عامر الاخرون بالواو اورثتموها وبابه بادغام الثاء في التاء ابو عمرو وحمزة وعلي وهشام الوقوف اياتي ط لان الفاء بعده لجواب الشرط ولام يحزنون ه النار ج خالدون ه باياته ط من الكتاب ط يتوفونهم ط لان ما بعده جواب اذا من دون الله ط كافرين ه في النار ط اختها ط جميعا ط لا ط قلنا من النار ط لا يعلمون ه تكسبون ه الخياط ط المجرمين ه غواش ط الظالمين ه وسعها ز وجعل اولئك خبر الموصول اوجد ثنا على ان قوله لا نكلف نفسا الا وسعها معترضا الجنة ج خالدون ه الانهار ج للعطف مع العارض هدانا الله ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى بالحق ط لابتداء النداء بالتهاجي بعد انتهاء الحمد والثناء على انها عطاء تعملون ه التفسير لما بين احوال التكليف وان لكل احد اجلا معينا لا يتقدم ولا يتاخر بين انهم بعد الموت ان كانوا قد قبلوا الشرائع الحقة فلا خوف عليهم ولا حزن وان كانوا متمردين وقعوا في اشد العذاب فقال يا بني ادم اما ياتينكم واعرابه مثل ما مر في سورة البقرة فاما ياتينكم مني هدى والجواب محذوف اي فمن اتقى واصلح منكم وانما قال رسل منكم لان ذلك يكون اقطع لعذرهم واقرب الى الفهم والانس ومعنى اياتي احكامي وشرائعي الدالة على صحة المبداء والمعاد ثم قطع شان الجاحدين بقوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته والاول الحكم بوجود ما لم يجد كاقوال اصناف المشركين وطوايف المبتدعة والثاني انكار حكم وجد من نبي او كتاب ثم عن عاقبة امرهم فقال اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب قيل اي العذاب المعين من سواد الوجه وزرقة العين وقال الزجاج اي انواع البلاء المعدة لكل صنف منهم من السلاسل والاغلال وغيرها على مقدار ذنوبهم وقيل هم اليهود والنصارى يجب علينا اذا كانوا في ذمتنا ان ننصفهم ولا نتعدى عليهم وان نذب عنهم فذلك معنى النصيب وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير ان النصيب هو ما سبق لهم في حكم الله تعالى ومشيته من الشقاوة والسعادة والختم على الكفر والشرك او على الايمان والتوحيد وقال الربيع وابن زيد يعني ما كتب لهم من الارزاق والاعمال والاعمار كانه سبحانه بين انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم الا ان ذلك ليس بمانع من ان ينالهم ما قدر لهم من رزق وعمر تفضلا من الله تعالى لكي يصلحوا ويتوبوا ويؤكد هذا التفسير قوله عقيبه للنصيب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وذلك ان حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام والمراد ههنا جملة شرطية تدل على ان مجيء الرسل المتوفين كالغاية لحصول ذلك النصيب فيكون مقدما على حصول الوفاة وليس ذلك الا العمر والرزق ومحل يتوفونهم نصب على الحال من الرسل قال ابن عباس هم ملك الموت واعوانه وانهم يطالبون الكفار بهذه الاشياء عند الموت على سبيل الزجر والتوبيخ وقال الحسن والزجاج ان هذا يكون في الاخرة والرسل ملئكة العذاب يتوفونهم عدتهم عند حشرهم الى النار اي يستكملون عدتهم حتى لا ينفلت منهم احد في

الكشاف ما وقعت موصولة باين في خط المصحف قلت والى رأيت النقل على العكس كما ذكرته في المقدمة السابقة من مقدمات الكتاب ومعنى الاية اين
الآلهة التي تدعون الى تعبدونهم وتدعونهم في الشدائد قالوا على سبيل الاعتراف والعدول الى الانتصاف ضلوا عنا اي غابوا وذهبوا ولم ننتفع بهم وشهدوا
على انفسهم بالاعتراف او بشهادة الجوارح عند معاينة الموت انهم كانوا كافرين ثم شرح بقية احوال الكفار وذلك قوله قال اي الله عز وجل وقائله
هو من كلام خازن النار وهذا مبني على انه سبحانه لا يجوز ان يكلم الكفار وان كان كلام سخط ادخلوا في امم قبل اي ادخلوا في النار مع امم والاولى ان لا يلتزم
الاضمار والمجاز والمعنى ادخلوا كائنين في جملة امم تقدم زمانهم زمانكم في النار وفيه دليل على ان اصحاب النار لا يدخلون النار دفعة واحدة ولكن
فيهم سابق ومسبوق كلما دخلت امة لعنت اختها في الدين والعقيدة فالمشرك يلعن المشرك اليهودي اليهودي والنصراني النصراني وكذا المجوس وسائر
اديان الضلالة نظيرها فلان يلعن غيرها اولى حتى اذا اداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار وادرك بعضهم بعضا واستقر معه قالت اخراهم دخولا في
النار لاولاهم دخولا فيها او اتباعهم وسفلتهم لرؤسائهم وقادتهم والمعنيان متلازمان عندي لان المضل لا بد ان يكون مقدما على الضال في دخول
النار واللام بمعنى لاجل اولاهم وذلك لان خطابهم مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم الفاء للجزاء عذابا ضعفا اي مضاعفا وذلك عذاب الضلال
وعذاب الاضلال بالدعوة الى الباطل وتزيينه في اعينهم والسعي في اخفاء الدلائل قال ابو عبيدة الضعف مثل الشيء مرة واحدة وهو قول الشافعي
في رجل اوصى فقال اعطوا فلانا ضعف نصيب ولدي يعطى مثل نصيبه مرتين وقال الازهري العرب يريد بالضعف المثل الى ما زاد وليس بمقصور على
المثلين بدليل قوله عز من قائل فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا واقل ذلك عشرة لقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وانما الشافعي ما قال لان
ذلك متيقن وما فوقه مشكوك قال الله او خازن النار لكل من القادة والاتباع ضعف اما للقادة فلما قلنا واما للاتباع فلانهم عظموهم وقلدوهم
وتبعوا امرهم سئل ههنا ان تضعيف العذاب الذي يستحقه الشخص ظلم واجيب في التفسير الكبير بان عذاب الكفار مؤبد فكل الحاصل فانه يعقبه حصول
الآخر الى غير نهاية قلت وهذا لا يختص بصنف من الكفار دون صنف ولا بشخص دون شخص فلا يصلح للجواب والصواب ان يقال معنى تضعيف عذاب
التابع والمتبوع ان ذلك العذاب زائد على مقدار ما يستحقه تلك العقيدة لو حصلت لا من حيثية لان الاسم الظاهر يعود الضمير اليه على الغيبة ومن
قرأ على الخطاب فالمعنى لا تعلمون ايها المخاطبون ما لكل منكم من العذاب او لا تعلمون يا اهل الدنيا ما مقدار ذلك وقالت اولاهم لاخراهم اذا قد
حكم الله بان لكل منا ضعفا فما كان اي فما ثبت لكم علينا من فضل لانكم مؤاخذون بالاتباع كما نحن مؤاخذون بالاستتباع فذوقوا العذاب
بما كنتم تكسبون يحتمل ان يكون من قول القادة وان يكون من قول الله تعالى فيهم قال في التفسير الكبير قول القادة ليس لكم علينا فضل كذب لان
الرؤساء لهم عذاب الضلال وعذاب الاضلال والاتباع لهم عذاب الضلال فقط لكنه حكاية قول الكفار
يوم القيمة والكذب عليهم جائز عندنا كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين قلت ان سلمنا ان الكذب يجوز ان يصدر عنهم يوم القيمة الا ان هذا
الكلام لا يجوز ان يكون كاذبا لانهم بنوا كلامهم على حكم الله سبحانه بان لكل ضعفا ثم ذكر ما يدل على خلودهم في النار فقال ان الذين كذبوا
باياتنا وهي الدلائل الدالة على الذات والصفات والنبوات والمعاد واستكبروا عنها اي ترفعوا عن قبولها لا تفتح لهم ابواب السماء قال ابن
عباس اي لا تفتح لاعمالهم ولا لدعائهم ولا لشيء مما يريدون به طاعة الله تعالى من قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ومن
قوله ان كتاب الابرار لفي عليين وقال السدي وغيره لا تفتح لارواحهم ابواب السماء التي هي موضع بهجة الارواح واماكن سعادتها كما جاء
في الحديث ان روح المؤمن يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال مرحبا بالنفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب ويقال لها ذلك حتى ينتهي
الى السماء السابعة ويستفتح لروح الكافر فيقال لها ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء وقيل بناء على ان الجنة في السماء معناه ولا يؤذن
لهم في الصعود الى السماء ولا يطرق لهم اليها حتى يدخلوا الجنة وقيل اي لا ينزل عليهم البركة والخير من قوله تعالى ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط الولوج الدخول وسئل ابن مسعود عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة
الى ان طلب معنى آخر تكلف والسم بالحركات الثلاث وقد قرئ بها ثقب الابرة وكل ثقب في البدن لطيف ومنه السم القاتل لنفوذه بلطفه
في مسام البدن حتى يصل الى القلب والخياط ما يخاط به قال الفراء خياط ومخيط كازار ومئزر ولحاف وملحف وقناع ومقنع ولما كان جسم الجمل
اعظم الاجسام المشهودة عند العرب كما قال: لا عيب بالقوم من طول ومن عظم * جسم الجمال واحلام العصافير وكان سم الابرة مثلا في ضيق
المسلك حتى قيل اضيق من خرت الابرة قالوا للدليل الماهر خريت لاهتدائه في المضايق المشبهة باخرات الابر وقف الله تعالى دخولهم الجنة
على حصول هذا الشرط المحال ليلزم يأسهم من دخول الجنة قطعا فان الموقوف على المحال محال ومثله قول العرب لا افعل كذا حتى يشيب
الغراب ويبيض القار وقرئ الجمل بوزن القمل وكذا الجمل بوزن الحبل ومعناه الفلس وانما الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الابرة
والبعير لا يناسبه واهل التناسخ اولوا الاية بان الارواح كانت في الابدان البشرية لما عصت واذنبت فانها بعد موت الابدان تردد
من بدن الى بدن ولا يزال يبقى في التعذيب حتى ينتقل من بدن الجمل الى بدن الذرة فينفذ في سم الخياط وحينئذ يصير مطهرة عن تلك
الذنوب فتدخل الجنة وتصل الى السعادة وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي المجرمين قيل هم الكافرون المكذبون المستكبرون
المذكورون وقيل يدخل فيهم الفساق بشرط عدم التوبة عند المعتزلة وبشرط عدم العفو عند الاشاعرة ثم لما بين انهم لا يدخلون الجنة ذكر انهم



يدخلون النار فقال لهم من جهنم مهاد اى فراش ومن فوقهم غواش هى جمع غاشية وهى كل ما يغشاك اى يجللك والمراد الاخبار عن احاطة النار بهم من كل جانب فلهم منها غطاء ووطاء وفراش ولحاف والتنوين فى غواش مثلها فى جوار اعنى انها للتمكن عند بعض لانه بعد حذف يائه لم يبق على زنة مساجد والعوض عند بعض اما عن الياء او عن اسكان الياء وكذلك نجزى الظالمين هم المشركون او الفسقة الذين ظلموا انفسهم ثم عقب الوعيد بالوعد فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات الاية وقوله لا نكلف نفسا الا وسعها وقد مر تفسيره فى اخر سورة البقرة اعتراض بين المبتدأ وخبره وليس باجنبى لان المجموع فيه تنبيه للمقصرين على ان الجنة مع عظم قدرها يحصل بالعمل السهل من غير مانع وصعوبة فبعدا لمن فاته وسحقا ومن جعله خبرا فالعائد محذوف اى لا يكلف نفسا منهم ثم وصف اخلاق اهل الجنة فقال ونزعنا ما فى صدورهم من غل نزع الشىء قلعه عن مكانه والغل الحقد والتركيب يدور على الاخفاء ومنه الغلول كما مر فى تفسير قوله وما كان لنبى ان يغل والاية تفسيره انا لا نزيل الاحقاد التى كانت لبعضهم على بعض فى دار الدنيا بتصفية الطباع واسقاط الوساوس ومنعه من ان يرد على القلوب فان الشيطان مشغول بالعذاب فلا يتفرغ لالقاء الوسواس فلم يكن بينهم الا التواد والتعاطف عن على كرم الله وجهه انى لارجو ان اكون انا وعثمان والزبير منهم اى الذين. ان درجات اهل الجنة متفاوتة بحسب الكمال والنقص فالله تعالى ازال الحسد عن قلوبهم حتى ان صاحب الدرجة الناقصة لا يحسد صاحب الدرجة الكاملة فيكون هذا فى مقابلة ما ذكره الله تعالى من تبرى بعض اهل النار من بعض ولعن بعضهم بعضا وليس هذا ببليغ ولا بعيد من حال اهل الجنة فان اولياء الله تعالى فى دار الدنيا ايضا بهذه المثابة بحسن توفيق الله تعالى ونور عنايته وهدايته كل منهم قد قنع بما حصل له من نعيم الدنيا وطيباتها لا يميل طبعه الى زوجه وكل هذا نتيجة ملكة الرضا بالقضاء والتسليم لامر رب الارض والسماء فيموتون كذلك ويحشرون على ذلك وفقنا الله لنيل هذا المقام بيركة اولئك الكرام تجرى من تحتهم الانهار وهذه من جملة اسباب التنزه والتزهر ان اجرى على ظاهره ومن جملة السعادات الروحانية ان اريد بها انواع المكاشفات واصناف التجليات وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا النعيم والفوز العظيم المقيم والفوز العظيم بان يسر الاسباب وخلق الدواعى ومنع الصوارف او بان اعطى العقل ونصب الادلة وازاح العلة وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله من قرأ بواو العطف فظاهر ومن حذف الواو فلانها جملة تقرب معناها من معنى الاولى وكانها بتفسيرها فلا حاجة الى العطف المؤذن بالتغاير ثم حكى عنهم سبب الاهتداء وذلك قوله لقد جاءت رسل ربنا بالحق فحصله واسطتهم اهتدينا او لطفا وتنبيها يقولون ذلك فيما بينهم سرورا او اغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا فان الجنة ليست دار التكليف ونودوا ان تلكم بانه تلكم الجنة والضمير للشان والحديث ويجوز كونه بمعنى اى لان النداء فى معنى القول وانما قيل تلكم لانهم وعدوا بها فى الدنيا وكانه قيل لهم هذه تلكم التى وعدتم بها ويجوز ان يكون التقييد للتعظيم ومعنى اورثتموها صارت اليكم ميراثا كما يصير الميراث الى اهله قد يستعمل الارث ولا يراد به زوال الملك عن الميت الى الحى كما يقال هذا الفعل يورثك الشرف او العار وقيل اعطوا تلك المنازل من غير تعب فى الحال فصار شبيها بالميراث وقيل ان اهل الجنة يرثون منازل اهل النار لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال ليس من مؤمن ولا كافر الا له فى الجنة والنار منزل فاذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار رفعت الجنة لاهل النار فنظروا الى منازلهم فيها فقيل لهم هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله ثم يقال يا اهل الجنة رثوهم بما كنتم تعملون فيقسم بين اهل الجنة منازلهم قالت المعتزلة قوله بما كنتم تعملون يدل على ان الموجب للجزاء هو العمل لا التفضل وقال غيرهم لما كان الموفق للعمل الصالح هو الله تعالى كان دخول الجنة بفضله وجعل العمل امارة على ذلك والمنادى هو الله جل وعلا او الملك الموكل بذلك والله تعالى اعلم التأويل يا بنى آدم اما يأتينكم رسل الالهامات من انفسكم من طريق قلوبكم واسراركم وفيه ان بنى آدم كلهم مستعدون لاشارات الحق والهاماته افترى على الله كذبا بان يقول اكرمنى بالكرامات والمقامات او كذب بمقامات اعطاها بعض اوليائه اولئك ينالهم نصيبهم من الشقاء الذى كتب لهم حتى اذا جاءتهم رسل الالهامات الالهية والواردات الربانية بعد ان كان هاماتى تيها البشرية يتوفونهم بجذبات الالطاف الالهية عن الاوصاف البشرية قالوا اين ما كنتم تدعون من دون الله من الدنيا وشهواتها وشهدوا هؤلاء المجرمون المحرومون انهم كانوا سائرين الحق بالباطل فهذا هم الله تعالى ثم قال لاهل الخذلان ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس وقدم الجن لان الله تعالى خلق اولا ابن الجان منهم مؤمن ومنهم كافر فلما استولى اهل الكفر منهم بعث اليهم جندا من الملائكة وقيل رئيسهم ابليس فاستأصلوهم ثم خلق آدم وذريته منهم مؤمن ومنهم كافر كلما دخلت امة فى اعمال اهل النار لعنت اختها المتقدمة فى تلك الاعمال لانهم سبقوها حتى اذا اداركوا الكل فى الاعمال الموجبة للنار عذابا ضعفا لان من سن سنة فله وزرها ووزر من عمل بها لكل ضعف لان المتأخر ايضا متقدم الذى يتلوه ويستن بسنته ولكن لا يعلمون انكم متقدمون لمتأخريكم فما كان لكم علينا من فضل لانكم سننتم لمتأخريكم كما سننا لكم لا تفتح لهم ابواب سماء القلوب الى الحضرة ولا يدخلون جنة القربة والوصلة حتى يدخل جمل النفس المتكبرة فى سم خياط احكام الشريعة وآداب الطريقة وحتى تصير بالتربية فى ازالة الصفات الذميمة وقطع تعلقات ما سوى الله اصدق من الشعر بالف مرة فيلج فى سم خياط الفناء فيدخل جنة البقاء وكذلك نجزى المجرمين الذين ضاقت انفسهم فى جمل الاولى كالجمل لهم من جهنم المجاهدة والرياضة فراش ومن فوقهم من مخالفات النفس وقمع الهوى لحاف فهذه هيئتهم وتحرق انانيتهم لا نكلف نفسا الا وسعها فرغ عن ظاهرهم وباطنهم كلفة الايمان والعمل حتى يتيسر عليهم العبودية بحسن التوفيق

ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم

فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ

پس صلا در دهد ندا کننده در میان ایشان که لعنت خدا بر ستمکاران آنان که باز دارند از راه خدا و میخواهند آنرا کج و ایشان بآن سرای کافر اند

وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا

و در میان هر دو پرده است و بر اعراف مردانند که میشناسند هر یکرا بنشان او و آواز دهند یاران بهشت را که درود بر شما نرسیده باشند آنرا

وَهُمْ يَطْمَعُونَ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَ

و ایشان طمع دارند و چون بر گردد دیده ایشان بجانب یاران آتش گویند ای پروردگار ما مگردان ما را با گروه ستمکاران

نَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ

صدا زنند یاران اعراف مردانرا که میشناسند ایشانرا بنشان ایشان گویند بی نیاز نساخت از شما جمع شما و آنچه بودید گردنکشی میکردید آیا اینها آنانند که

أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ

سوگند میخوردید که نرساند بایشان خدا رحمتی در آئید در بهشت ترسی نیست بر شما و نه شما اندوهناک شوید و گویند یاران آتش یاران

الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ

بهشت را که بریزید بر ما از آب یا از آنچه روزی کرد شما را خدا گویند که بدرستی که خدا حرام کرد آنها را بر کافران آنان که فرا گرفتند دین خود را

لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ

لغو و بازیچه و فریب داد ایشانرا زندگانی دنیا پس امروز فراموش کنیم ایشانرا چنانکه فراموش کردند دیدار روز خود را این و آنچه بودند بآیتهای ما انکار میکردند

وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ

و هر آینه آوردیم بایشان کتابی که ظاهر کردیم آنرا بر دانش خود براهنمائی و رحمت از برای گروهی که گروند آیا چشم ندارند مگر تاویل آنرا

يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ

روزی که بیاید تاویل او گویند آنان که فراموش کردند آنرا از پیش بتحقیق آمدند پیغمبران پروردگار ما براستی پس آیا از برای ما است از شفاعت

فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ القراءة نعم

پس شفاعت کنند از برای ما یا برگردیم پس بجای آریم غیر آنچه را که بودیم میکردیم هر آینه زیان کردند نفسهای خود را و رفت از ایشان آنچه بودند افترا میبستند

بكسر العين حيث كان على الباقون بالفتح مؤذن بغير همز البخاري عن ورش و يزيد والشموني وحمزة في الوقف ان مخففة لعنة الله بالرفع عاصم وابو عمرو وابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون مشددة و بالنصب الوقوف حقا لانتهاء الاستفهام نعم للعطف مع الابتداء بالتاذين على الظالمين لان الذين صفتهم عوجا لاحتمال الواو الاستيناف والحال كافرون لان ما بعده لم يدخل في التاذين ولم يجز ان يكون حالا لتناهي حال القسمين في اتفاق الجملتين بينهما ط بسيماهم ج يطمعون اصحاب النار لان بعده جواب اذا الظالمين تستكبرون برحمة لتناهي الاستفهام والاقسام تحزنون رزقكم الله الكافرين الحيوة الدنيا للابتداء مع فاء التعقيب هذا وما مصدرية كما نسوا والتقدير تنساهم نسيانا كنسيانهم وجحودهم يجحدون يؤمنون الا تاويله بالحق لابتداء الاستفهام مع الفاء للتعقيب كنا نعمل يفترون التفسير لما شرح وعيد الكفار و ثواب الابرار اتبعه المناظرات التي تدور بين الفريقين فقال ونادى وانما ذكره بلفظ الماضي لان المستقبل الذي يخبر الله تعالى عنه موجب للتحقق وقوعه كالماضي والظاهر ان هذا النداء انما يكون بعد الاستقرار في الجنة لانه ورد بعد قوله ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها فاهل الجنة في اعلى السموات والنار في اسفل الارض ومع هذا البعد الشديد كيف يصح هذا النداء واجيب بان البعد الشديد والقرب الشديد عندنا ليس من موانع الادراك ولو سلم المنع في الشاهد فلم نسلم في الغائب وهذا النداء يقع من كل اهل الجنة لكل اهل النار لان اصحاب الجنة واصحاب النار يفيد العموم لكن الجمع اذا قرن بالجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة ينادي من كان يعرفه من الكفار وان في ان وجدنا مخففة من الثقيلة كما في قوله ان تلكم الجنة وكذا في قوله ان لعنة الله لان النداء والتاذين في معنى القول قال ابن عباس وجدنا ما وعدنا ربنا من الثواب في الدنيا حقا صحيحا مطابقا للواقع فهل وجدتم ما وعد ربكم من العقاب حقا والغرض من هذا الاستفهام اظهار البشاشة والاغتباط وايقاع الحزن في قلب العدو وفي هذه الحكاية لطف للمؤمنين وترغيب كما في سائر الاخبار وانما حذف المفعول في وعد ربكم لدلالة المفعول في وعدنا عليه ولان كونهم مخاطبين من قبل الله تعالى بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف وانه لا يليق الا بحال المؤمنين ويحتمل ان يكون الاطلاق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة قالوا نعم قال سيبويه نعم عدة وتصديق اي يستعمل تارة تصديقا فاذا قال قد كان كذا وكذا افعلت نعم فقد صدقت والحاصل ان نعم للتصديق في الخبر والتحقيق في الاستفهام مثبتين كانا او منفيين ولو قيل قام زيد او اقام زيد فيقول نعم كان معناه نعم قام زيد ولو قيل لم يقم زيد فقلت نعم كان المعنى ما قام زيد مصدقا او محققا ومن ثم قال ابن عباس لو قالوا في جواب الست بربكم نعم لكان كفرا هذا من حيث اللغة وقد يكون العرف على خلاف ذلك كقول الفقهاء لو قيل اليس لي عليك دين فقلت نعم لزمت الدين بناء على العرف الطاري



بعد الوضع وكنانة تكسر العين من نعم وروي عن عمر انه سأل قوما عن شيء فقالوا نعم فقال عمر اما النعم فالابل قولوا نعم وانكر هذه الرواية ابو عبيد فاذن
مؤذن قال ابن عباس هو الملك صاحب الصور يأمر الله فينادي نداء يسمع اهل الجنة واهل النار ومعنى التأذين بالنداء والتصويت للاعلام بالصلوة
وبوقتها والظالمون في الاية قيل عام للكافر والفاسق والظاهر انهم الكفار لان الصد عن سبيل الله اي المنع عن قبول الدين الحق بالقهر او بالحيلة و
القاء الشكوك والشبهات في الدلائل وهو المراد بقوله ويبغونها عوجا وقد مر في آل عمران والكفر بالاخرة كلاهما من اوصاف الكفرة وانما قدم
بالاخرة تصحيحا لفواصل الاي لمن دل لفظة هم هنا على القياس واما في سورة هود فلما تقدم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم قال الا لعنة الله
على الظالمين ولم يقل عليهم والقياس ذلك لئلا يلتبس انهم هم ام غيرهم فكرر ليعلم انهم هم المذكورون لا غيرهم ثم وصف اهل الجنة والنار فقال
وبينهما يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين حجاب هو السور المذكور في قوله سبحانه فضرب بينهم بسور له باب قيل اي حاجة الى ضرب هذا السور
والجنة فوق السموات والجحيم في اسفل سافلين واجيب انه مع بعد احدهما عن الاخر لا يمتنع ان يكون بينهما سور وحجاب والاعراف لغة جمع عرف بالضم وهو
الرمل المرتفع ومنه عرف الفرس وعرف الديك وكل مرتفع من الارض عرف لانه بسبب ارتفاعه يصير اعرف مما انخفض منه والاعراف في الاية يفسر بالمكان
تارة وبغيره اخرى اما الذين فسروه بالمكان وهم الاكثرون فقالوا ان الاعراف اعالي السور المضروب بين الجنة والنار ويروى عن ابن عباس
وعنه ايضا ان الاعراف شرف الصراط وعلى هذا التفسير فالذين هم على الاعراف من هم فيه قولان احدهما انهم اقوام يكونون في الدرجة العليا
من الثواب وثانيهما انهم في الدرجة النازلة وعلى الاول فيه وجوه وقال ابو مجلز هم ملائكة يعرفون اهل الجنة واهل النار فقيل له يقول الله تعالى
وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملائكة فقال الملائكة ذكور لا اناث ويرد عليه ان الرجل لغة يطلق على من يصلح ان يكون من نوعه انثى بل
يطلق على الذكر من بني آدم وقيل انهم الانبياء عليهم السلام اجلسهم الله تعالى على ذلك المكان العالي اظهارا لشرفهم وليكونوا مشرفين على الفريقين
مطلعين على احوالهم ومقادير ثوابهم وعقابهم وقيل انهم الشهداء وعلى القول الثاني قيل انهم قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم اوقفهم الله على
هذه الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار ثم يؤول عاقبة امرهم الى الجنة برحمة من الله وفضل قاله حذيفة وابن مسعود واختاره الفراء
وخصصه بعضهم فقال هم قوم خرجوا الى الغزو بغير اذن امامهم فاستشهدوا فتساوت معصيتهم وطاعتهم وفي هذا التخصيص نظر وقال عبد الله بن
الحرث انهم مساكين اهل الجنة وقال قوم هم الفساق من اهل الصلوة يعفو الله عنهم ويسكنهم الاعراف واما الذين فسروه بغير المكان وهو قول
الحسن والزجاج فقد قالوا ان المعنى وعلى معرفة اهل الجنة والنار رجال يميزون البعض من البعض اما بالالهام او بتعريف الملائكة قال الحسن والله لا
ادري لعل بعضهم الآن معنا وعلى جميع التفاسير فهم يعرفون اهل الجنة واهل النار قال قوم يعرفون اهل الجنة بكون وجوههم ضاحكة
مستبشرة ومبيضة واهل النار بسواد وجوههم وزرقة عيونهم وزيف بان هذا النوع من المعرفة عام لاهل المحشر فلا وجه لتخصيص اصحاب الاعراف
بذلك ويمكن ان يقال ان معرفتهم لكونهم على الامكنة المرتفعة امتن قال المحققون انهم كانوا يعرفون اهل الخير والايمان والصلوة واهل الشر والكفر
والافساد وهم كانوا في الدنيا شهداء الله على اهل الايمان والطاعة وعلى اهل الكفر والمعصية فهو تعالى يجلسهم على الاعراف ليكونوا مطلعين على الكل
يشهدون على كل احد بما يليق به ثم قال ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم اي انهم اذا نظروا الى الجنة سلموا على اهلها ثم اخبر على سبيل الاستئناف
ان اهل الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون كأن سائلا سأل عن حالهم او على انه صفة اخرى لرجال فان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف فيكون الله تعالى
اخر ادخالهم الجنة ليطلعوا على احوال الجنة والنار ثم انه تعالى ينقلهم الى الدرجات العالية في الجنة كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال ان اهل
الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدري في وسط السماء وان ابا بكر وعمر منهم ومعنى يطمعون على هذا يتيقنون كقول ابراهيم والذي
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين ولا يخفى ما في هذه العبارة من حسن الادب وان قلنا اصحاب الاعراف هم الاوساط فلا اشكال لانهم يطمعون من فضل
الله واحسانه ان ينقلهم من ذلك الموضع الى الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار قال الواحدي التلقاء جهة اللقاء وهي جهة المقابلة
وهو في الاصل مصدر استعمل ظرفا ولم يأت من المصادر على تفعال بالكسر الا حرفان تبيان وتلقاء واما في الاسم فكثير كتمثال وتقصار والمعنى انه كلما
وقعت ابصار اصحاب الاعراف على اهل النار تضرعوا الى الله تعالى انه لا يجعلهم من زمرتهم وفي بناء الفعل للمفعول وان لم يقل واذا ابصروا فائدة هي
ان صارفا يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويتحوا ثم بين ان اصحاب الاعراف ينادون رجالا من اكابر اهل النار واستغنى عن التصريح بهم بوصفهم
بما لا يليق الا بهم فقال ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون
عن الحق وعلى الناس وفيه تبكيت للمخاطبين وشماتة بهم ثم زادوا في التبكيت مشيرين الى فريق من اهل الجنة كانوا يستضعفونهم ويستقلون احوالهم
وربما استهزؤا بهم وانفوا من مشاركتهم في دينهم لقلة حظوظهم من الدنيا فقالوا أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اما قوله ادخلوا
الجنة الى اخر الاية فمن قول الله تعالى لاصحاب الاعراف او من قول الملائكة لهم بامره او من قول بعضهم لبعض وذلك بعد ان يحبسوا ويحبسوا او
يقولوا قال المفسرون ان رجالا منهم الوليد بن المغيرة وابو جهل بن هشام والعاص بن وائل السهمي ونظراؤهم وكانوا يقولون ان بلالا وسلمان
وعمارا وامثالهم لا يدخلهم الله الجنة ويدخلنا النار كلا والله ان الله لا يفضل علينا احدا منا ودعانا اقسموا ان لا يخصهم بفضل دونهم فناداهم
اصحاب الاعراف ثم ختم المناظرين بقوله ونادى اصحاب النار قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع اهل النار بفرج بعد اليأس.







فقالوا ربنا ان لنا قرابات من اهل الجنة فائذن لنا حتى نريهم ونكلمهم فامر الله بالجنة فزخرفت ثم نظر اهل جهنم الى قراباتهم في الجنة وما هم فيه
من النعيم فعرفوهم فنظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل جهنم فلم يعرفوهم قد اسودت وجوههم وصاروا خلقا آخر فنادى اصحاب النار اصحاب الجنة
باسمائهم وقالوا أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ طلبوا الماء او لما في بواطنهم من الاحتراق الشديد وفي الافاضة نوع دلالة على ان اهل الجنة اعلى
مكانا من اهل النار قال بعض العلماء انهم سألوا ذلك مع جواز الحصول وقال الآخرون بل مع الياس لانهم عرفوا دوام عقابهم ولكن الآيس من الشيء
قد يطلبه كما يقال في المثل الغريق يتعلق بالزبد وان علم انه لا يغنيه قوله أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قيل اي سائر الاشربة لدخوله في حكم الافاضة وقيل
اي من الثمار او الطعام والمراد والقوا علينا من الطعام والفاكهة كقوله عَلَفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً بَارِدًا فيكون في الآية دليل على نهاية عطشهم وشدة جوعهم
ثم كان لسائل ان يسأل فبماذا اجابهم اهل الجنة فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اي منعهم شراب الجنة وطعامها كما تمنع المكلف ما يحرم عليه
وهذه نهاية الحسرة والخيبة اعاذنا الله منها ثم وصف هؤلاء الكافرين بانهم الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ وقد مر تفسير الوصفين
في اوسط سورة الانعام وقال ابن عباس يريد المستهزئين المقتسمين وجملة الامر ان الانسان يطمع في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال
وقوة الجاه فلشدة رغبته في هذه الاشياء يصير محجوبا عن طلب الدين غريقا في بحر الدنيا ومشتهياتها ثم ذكر جزاءهم يوم القيمة على سبيل الحكاية
فقال فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ اي نتركهم في عذابهم كما تركوا العمل للقاء يَوْمِهِمْ هَذَا قال الحسن ومجاهد والسدي والاكثرون قيل اي نعاملهم معاملة من نسي تركهم
في النار كما فعلوه هم في الاعراض عن آياتنا فسمى جزاء النسيان نسيانا كقوله وجزاء سيئة سيئة والحاصل انه لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم
وذكر عن ابي الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عذابهم فيستغيثون فيغاثون بالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من
جوع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة ثم يذكرون الشراب فيستغيثون الى اهل الجنة كما في هذه الآية فيقول اهل الجنة إِنَّ اللَّهَ
حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ويقولون لمالك ليقض علينا ربك فيجيبهم على ما قيل بعد الف عام انكم ماكثون ويقولون ربنا اخرجنا منها فيجيبهم اخسؤا
فيها ولا تكلمون فعند ذلك ييأسون من كل خير ويأخذون في زفير وشهيق وعن ابن عباس في صفة اهل الجنة انهم يرون الله عز وجل في كل
جمعة وينزل كل واحد منهم الف باب فاذا رأوا الله تعالى يدخل من كل باب ملك معهم الهدايا الشريفة وقال ان نخل الجنة خشبها الزمرد وقوائمها
الذهب الاحمر وسعفها حلل وكسوة لاهل الجنة وثمرتها امثال القلال اشد بياضا من الفضة والين من الزبد واحلى من العسل لا عجم فيها فهذه
صفة الفريقين من القرآن والحديث فتاهب لايهما شئت والله الموفق ولما شرح الله تعالى احوال الطائفتين والمناظرات الجارية بينهم لتكون حاملا
للمكلف على الحذر من موجبات النار وعلى الرغبة في مستتبعات الجنة بين شرف هذا الكتاب الكريم وغاية منافعه الجليلة فقال وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ
ميزنا بعضه عن بعض تمييزا يهدي الى الرشاد ويؤمن من الغلط والخبط وانما فعلنا ذلك لا كيفما اتفق بل عَلَى عِلْمٍ بما في كل فصل من تلك الفصول
من الفوائد الكثيرة والمنافع العزيزة حتى جاء بريئا من كل خلل وقادح ومعجزا باقيا على وجه الدهر وقوله هُدًى وَرَحْمَةً حالان من منصوب
فصلناه كما ان على علم حال مرفوعه ويحتمل ان يكونا مفعولا لهما لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لان فائدته تعود اليهم ثم لما بين ازاحة العلة بسبب انزال هذا
الكتاب المفصل الموجب للهداية والرحمة بين بعده حال من كذب فقال هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ والنظر ههنا بمعنى الانتظار والتوقع وكيف
ينتظرون مع جحدهم وانكارهم الجواب لعلهم افاقوا ما تشككوا وتوقفوا لهذا السبب انتظروه وايضا انهم كانوا جاحدين الا انهم بمنزلة المنتظر
من حيث ان تلك الاحوال تاتيهم لا محالة قال الفراء الضمير في تأويله للكتاب اي عاقبة امره وما يؤول اليه من بيان صدقه وظهور صحة ما نطق
به من الوعد والوعيد او عاقبتهما وعده وابرها على السنة الرسل من الثواب والعقاب التأويل مرجع الشيء ومصيره من قولهم آل الشيء يؤول يَوْمَ يَأْتِي
يريد يوم القيمة وانتصابه على الظرف بيقول ومعنى نَسُوهُ تركوا العمل به والايمان او انهم صاروا في الاعراض عنه بمنزلة من نسيه قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ
رَبِّنَا بِالْحَقِّ اي ملتبسين بما هو الحق او الباء للتعدية والمراد اعترافهم بثبوت الحشر واحوال القيمة واهوالها اذا عاينوها فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا
لَنَا منصوب باضمار ان بعد الفاء والتقدير هل يثبت لنا شفيع فيشفع أَوْ هَلْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ فنوحد الله تعالى بدلا
عن الشرك ونطيعه بدلا عن المعصية وفيه دليل على ان اهل الآخرة لا تكليف عليهم خلافا للنجار ومن يتبعه والا لم يسألوا الرد الى دار التكليف ولم
يتمنوه بل كانوا يتوبون في الحال ثم حكم بان ذلك التمني لا يفيدهم شيئا وان مطلوبهم لا يكون البتة فقال قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ اي لا ينتفعون بالاصنام التي عبدوها في الدنيا وليس تفيدهم نصرة الاوثان وان بالغوا في نصرها التأويل نادى اهل الجنة اهل
القطيعة ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا يعني قوله الا من طلبني وجدني فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهو قوله ومن طلب غيري لم يجدني فاذن مؤذن العزة و
العظمة على الظالمين الذين وضعوا استعداد الطلب في غير موضع مطلوبه الذين يصدون القلب والروح عن سبيل الله وطلبه ويطلبون
صرف وجوههم الى الدنيا وما فيها وما بينهما حجاب من الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة النفسانية فلا يرى اهل النار اهل الجنة وبينهما اهل
الله وهم اصحاب الاعراف حجاب من الاوصاف الخلقية والاخلاق الحميدة الروحانية وسميت اعرافا لانها موطن اهل المعرفة وسموا رجالا لانهم
بالرجولية يتصرفون فيما سوى الله تصرف الرجال في النساء ولا يتصرف فيهم شيء منها فالاعراف مرتبة فوق الجنان في حظائر القدس عند الرحمن
يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النيران بسيماهم من آثار نور القلب وظلمته وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ يعني هنيئا لكم ما انتم فيه من

الجنة واهلها



النعيم والحور والقصور ثم اخبر عن جهة اهل الاعراف فقال لم يدخلوها اى الجنة ونعيمها ولم يلتفتوا الى غير المولى وهم يطمعون فى الوصول الى الحق
سبحانه وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار ابتلاء ليعرفوا انه تعالى من يشاء يدرك خلصهم ويأبى كرامة خصصهم ومن هذا القبيل يكون ما يسنح لارباب
الكمال من الخواطر النفسانية يعرفونهم بسيماهم يعنى اهل الجنة واهل النار ما اغنى عنكم جمعكم يا اهل الجنة واهل الله من الطاعات ويا اهل
النار من الدنيا والشهوات وما كنتم تستكبرون عن السير فى حقيقة لا اله الا الله أهؤلاء الذين أقسمتم يعنى ان من المؤمنين والعلماء يعلم الظالم
فى بعض الاوقات من يقول الدنيا جنة لاهل المحبة والمعرفة لا ينالهم الله برحمة الوصول ادخلوا الجنة يعنى الجنة المضافة اليه فى قوله ادخلى جنتى
فى حظائر القدس وعالم الجبروت لا خوف عليكم من الخروج ولا انتم تحزنون على ما فاتكم من نعيم الجنة اذ فزتم بشهود جمالنا واعلم ان الله
حظائر القدس وسرادق العزة انقطع عنهم نظرهم ونظر الملائكة المقربين فافهم يحكى عن ابى جعفر الابهرى انه دخل على ابى طاهر الجهلى فقال انى
كنت فانى حضرت البارحة مع الخواص على باب الله فما رأيتك ثمة فقال يا ابا طاهر صدقت كنت على الباب مع الخواص وكنت داخلا مع الاخص فما رأيتنى
افيضوا علينا من الماء كانوا فى الدنيا عبيد البطون حراصا على الطعام والشراب فماتوا على ما عاشوا وحشروا على ما ماتوا وان اهل الجنة لما جوعوا بطونهم
لوليمة الفردوس كان اشتغالهم فى الجنة بشهوات النفس والمضايفة فقالوا ان الله حرمهما على الكافرين وفى الحقيقة انما حرمهما عليهم فى الازل فلم يوفقوا لما
تورث الجنة هل ينظرون الا تأويله ما يؤول اليه عاقبة فى شأنهم فللمؤمنين كشف الغطاء ولاهل الحجاب القهر والانقطاع وعذاب النار اعاذنا الله تعالى منه

مسبوغ العلماء ع

إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ
بدرستی که پروردگار شما او ست که آفرید آسمانها و زمین را در شش روز پس جای گرفت بر عرش میپوشاند شب را بروز طلب میکند
حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
بشتاب وآفتاب وماه وستارگان منقادند بفرمان او آگاه باش که مر او راست آفرینش و فرمان بزرگوارست خدا پروردگار جهانیان بخوانید پروردگار خود را بزاری
وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ
ودر نهان بدرستی که او دوست ندارد از حد گذرندگان را و فساد مکنید در زمین پس از اصلاح آن و بخوانید خدا را از بیم و امید بدرستی که رحمت خدا نزدیک است
مِنَ الْمُحْسِنِينَ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ
از نیکوکاران واوست آنکه میفرستد بادها را مژده دهنده در پیش رحمت خود تا آنکه چون بردارند ابرهای گرانبار را رانیم آنرا
لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ
بسوی شهری مرده پس فرو فرستادیم بآن آب را پس بیرون آوردیم بآن از هر میوه همچنین بیرون آریم مردگان را تا شاید شما پند گیرید
وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ
وزمین پاکیزه بیرون آید رستنی آن بفرمان پروردگارش وآنکه ناپاکست بر نیاید مگر اندکی همچنین بگردانیم آیات را برای گروهی که سپاس گذارند

القراءة يغشى بالتشديد حيث كان حمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب غير روح والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها بالرفع ابن عامر الآخرون بالنصب
الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف نشرا بالنون وسكون الشين حمزة وعلى وخلف ابو زيد عن المفضل وبضم الباء الموحدة والشين الساكنة
عاصم غير ابن زيد الباقون بضم النون والشين ميت بالتشديد ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وحفص والمفضل نكدا بفتح الكاف يزيد الآخرون
بكسرها الوقوف حثيثا لمن قرأ والشمس وما بعدها مرفوعات بأمره والامر العالمين وخفية المعتدين للعطف مع الآية وطمعا المحسنين رحمته الثمرات تذكرون
باذن ربه للابتداء مع العطف نكدا يشكرون التفسير لما بالغ سبحانه فى تقرير امر المعاد عاد على عادته الى بيان المبدأ وهو ذكر الدلائل الدالة على
التوحيد وكمال القدرة والعلم تأكيدا للمعاد والمعنى ان الذى يربيكم ويصلح شأنكم ويوصل اليكم الخيرات ويدفع عنكم المكاره هو الذى بلغ كمال قدرته
وعلمه وحكمته ورحمته الى حيث خلق هذه الاجسام العظام واودع فيها انواع المنافع واصناف الفوائد فكيف يليق ان يرجع الى غيره فى طلب الخيرات و
يعول على غيره فى تحصيل السعادات قال علماء الادب اصل ستة سدسة بدليل سديس واسداس ثم ان العرب كانوا يخالطون اليهود فالظاهر انهم
سمعوا بعض اوصاف الخالق منهم فكانه سبحانه يقول لا تشتغلوا بعبادة الاوثان والاصنام فان ربكم هو الذى اسمعكم من عقلاء الناس انه بانه
هو الذى خلق السموات والارض على غاية عظمتها وبهائها وجلالها فى ستة ايام قيل انه تعالى كان قادرا على ايجادها دفعة واحدة فما الفائدة فى ذكر
انه خلقها فى ستة ايام فى اثناء ذكر ما يدل على وجود الصانع واجيب بانه اراد ان يعلم عباده الرفق والتأنى فى الامور والصبر فيها كيلا يحمل المكلف تأخير
الثواب والعقاب على التعطيل ومن العلماء من قال ان الشىء اذا احدث دفعة واحدة ثم انقطع الاحداث فلعله يخطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على
سبيل الاتفاق اما اذا احدثت الاشياء على التعاقب والتواصل مع كونها مطابقة للحكمة والمصلحة كان ذلك اقوى فى الدلالة على كونها واقعة باحداث
محدث حكيم عليم قادر رحيم وايضا ثبت بالدليل انه تعالى خلق العاقل اولا ثم خلق السموات والارض بعده لان خلق ما لا ينتفع فى الحال يجر الى العبث
ثم ان ذلك العاقل ملكا كان او جنيا اذا شاهد فى كل ساعة وحين حدوث شىء آخر على سبيل التعاقب والتوالى كان ذلك اقوى فى افادة اليقين
لانه يتكرر على عقله ظهور هذه الدلائل لحظة فلحظة واما تقدير المدة بستة ايام فلا يرد عليه اشكال لان السؤال يعود على اى مقدار فرض وقيل



ان لعدد السبعة شرفا عظيما ولهذا اختصت ليلة القدر بالسابع والعشرين فالايام الستة لتخليق العالم والسابع لتحصيل كمال الملك والملكوت فان قيل
كيف يعقل حصول الايام قبل خلق الشمس التي ينضبط تقديرها لانه منضبط بطلوعها وغروبها فالجواب ان المراد خلق السموات والارض في مقدار ستة ايام كقوله ولهم رزقهم
فيها بكرة وعشيا والمراد مقدار البكرة والعشي في الدنيا لانه لا صباح عند الله ولا مساء وعن ابن عباس ان هذه الايام ايام الآخرة كل يوم الف سنة مما
تعدون والاكثرون على انها ايام الدنيا لان التعريف بما نفع والظاهر انها الايام بلياليها لا النهار ويقول يمكن ان تحمل الايام الستة على الاطوار
الستة على الاطوار الستة التي للاجسام الهيولى والصورة والجسم البسيط ثم المركب المعدني والنباتي والحيواني والله تعالى اعلم بمراده اما قوله سبحانه
ثم استوى على العرش فحمل بعضهم الاستواء على الاستقرار وزيف بوجوه عقلية ونقلية منها ان استقراره على العرش يستلزم تناهيه من الجانب
الذي يلي العرش وكل ما هو متناه فاختصاصه بذلك الحد المعين يستند لا محالة الى محدث مخصص فلا يكون واجبا ولقائل ان يقول لم لا يجوز
ان يكون الاله تعالى نورا غير متناه ويراد استقراره على العرش لا تناهيه احاطته به من الجوانب نفوذه في الكل لا كاحاطة الفلك الحاوي بالمحوي
ولا كنفوذ النور المحسوس في الشرف بل على نحو آخر تعوزه العبارات ومنها انه تعالى لو كان في مكان وجهة لكان اما ان يكون غير متناه من كل الجهات
او متناهيا من بعضها دون بعض وعلى الاول يلزم اختلاطه بجميع الاجسام حتى القاذورات ومع ذلك فالشيء الذي هو محل السموات اما ان يكون عين الشيء
الذي هو محل الارض او غيره وعلى الاول يلزم ان يكون السماء والارض حالين في محل واحد فهما شيء واحد لا شيئان وعلى الثاني يلزم التركيب
والتجزئة في ذاته تعالى واما ما كان متناهيا من الجهات فلو حصل في جميع الاحياز فهو محال بالبديهة ولو حصل في حيز واحد فلو كان جوهرا فردا
لزم ان يكون واجب الوجود احقر الاشياء والا لزم التبعيض لان جهة الفوق منه يكون مغايرة لمقابلها وكذا الكلام فيه ان كان متناهيا من
بعض الجهات ولو جاز ان يكون الشيء المحدود من جانب وجوانب قديما ازليا فاعلا للعالم فلم لا يجوز ان يقال فاعل العالم هو الشمس او القمر او كوكب
آخر وايضا يصح على الشق المتناهي ان يكون غير متناه وعلى غير المتناهي ان يكون متناهيا لان الاشياء المتساوية في تمام الماهية كل ما صح على واحد منها
صح على الباقي فيصح النمو والذبول والزيادة والنقصان والتفريق والتمزق على ذاته تعالى فيكون ممكنا محدثا لا واجبا قديما ولقائل ان يقول انه غير متناه
ولا يلزم من ذلك ان يكون محلا للعالم ولا حالا فيه واستصحاب الشيء للمحل غير كونه نفس المحل او مفتقرا الى المحل وحديث اختلاطه بالقاذورات تخييل
لا اصل له عند اولي البرهان ومنها انه لو كان الباري تعالى ازليا ومحال ان يكون ما سوى الواجب ازليا وان لم يكن موجودا لزم كون العدم المحض
ظرفا لغيره ومشارا اليه بالحس وذلك باطل واعترض بان ذلك ايضا وارد عليكم في قولكم الجسم حاصل في الحيز والجهة واجيب بان مكان الجسم عندنا
عبارة عن السطح الظاهر من الجسم الحاوي وهذا المعنى بالاتفاق في حق الله محال فسقط الاعتراض ولقائل ان يقول الجهة مقطع الاشارة الحسية
وهذا في حقه محال لعدم تناهيه ولم لا يجوز ان يكون المكان خلاء فلا يلزم تداخل البعدين ولو لزم هناك لزم في الاجسام ايضا بل لا بعد هناك ولا
امتداد ولو فرض فلن يلزم منه الانقسام في الخارج ومنها انه لو امتنع وجود الباري تعالى بحيث لا يكون مختصا بالحيز والجهة لكانت ذاته مفتقرة
في تحققها ووجودها الى غيره فيكون ممكنا والجواب ما مر من ان استصحاب المكان لا يوجب الافتقار اليه ومنها ان الحيز والجهة لا معنى لها الا الفراغ
المحض ولان هذا المفهوم واحد فالاحياز باسرها متساوية في تمام الماهية فلو اختص ذاته تعالى بحيز معين لكان اختصاصه به لمخصص مختار وكل
ما كان فعل الفاعل المختار فهو محدث وكل ما لا يخلو عن الحادث فهو اولى بالحدوث فالواجب محدث هذا خلف ولقائل ان يقول ما لا تناهي لا يعقل
له حيز معين ولو فرض لا تناهي الاحياز ايضا فافتقاره اليها ممنوع وكيف يفتقر الشيء الى ما تأخر وجوده عن وجود ذلك الشيء والمعية بعد ذلك
لا تضر ومنها لو كان في الحيز والجهة لكان مشارا اليه بالحس ثم ان كان قابلا للقسمة لزم التجزي والا لكان نقطة او جوهرا فردا فلا يبعد ان
يقال ان اله العالم جزء من الف جزء من راس ابرة او ملتصق بذنب نملة او نملة ولقائل ان يقول لا نسلم ان كونه مع الحيز من جميع الجهات المفروضة
يستلزم كونه مشارا اليه حسا فان العقل يعجز عن ادراكه فضلا عن الحس وباقي الكلام لا يستحق الجواب ومنها كل ذات قائمة بالنفس مشار اليها بحسب
الحس فلا بد ان يكون جانب يمينه مغايرا لجانب شماله فيكون منقسما وكل منقسم مفتقر ممكن قالوا هذا الدليل مبني على نفي الجوهر الفرد ومنها لو كان
في حيز لكان اما اعظم من العرش او مساويا او اصغر منه والثالث باطل بالاجماع والاولان يستلزمان الانقسام لان المساوي للمنقسم منقسم و
كذا الزائد عليه لان القدر الذي فضل عليه مغاير لما سواه ولقائل ان يقول لا نسبة بين الجسم وبين نور الانوار ويستحيل هذه التقادير
ومنها انه لو فرض كونه تعالى غير متناه من جميع الجهات كما يزعم الخصم لزم لا تناهي الابعاد وانه محال لبرهان تناهي الابعاد ولقائل ان يقول ان براهين
تناهي الابعاد لا نسلم ولو سلم فلا بعد فيما وراء العالم الجسماني ولا امتداد ومنها انه سبحانه لو كان حاصلا في الحيز وكونه هناك اما ان يمنع من حصول
جسم آخر فيه او لم يمنع وعلى الاول كان تعالى مساويا لجميع الاجسام في هذا المعنى ثم انه ان لم يحصل بينه وبينها مخالفة بوجه آخر صح عليه التغيرات والتفرق
محال وان حصل بينه وبينها مخالفة من سائر الوجوه كان ما به المشاركة مغايرا لما به المخالفة فيكون الواجب مركبا بل ممكنا وايضا ان ما به المشاركة
وهو طبيعة البعد والامتداد اما ان يكون محلا لما به المخالفة او حالا فيه او لا هذا ولا ذاك فان كان محلا لكان البعد جوهرا قائما بنفسه والامور
التي بها حصلت المخالفة اعراضا وصفات واذا كانت الذوات متساوية في تمام الماهية فكل ما يصح على البواقي وكل ما صح على بعض الاجسام من التفرق
والتمزق والنمو والذبول والعفونة والفساد يصح على ذاته تعالى وان كان ما به المخالفة محلا او ذوات وما به المشاركة حالا او صفة فذلك المحل ان كان

نسخها بعض ملى



لما ايضا اختصاص بحيز وجهة فيجب افتقاره الى محل اخر لا الى نهاية والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا وامتدادا هذا خلف وان لم يكن حالا ولا
محلا كان اجنبيا مباينا فيكون ذات الله تعالى مشابهة لتمام الاجسام في الماهية ويصح عليها ما صح عليها وهو محال وعلى التقدير الثاني وهو ان ذاته تعالى لا يمنع
حصول جسم اخر في حيزه ان سرى فيه في ذلك الجسم وتداخل البعدين كما والكل محال فالمقدم وهو كونه تعالى في جهة محال وللقائل ان يقول كون البارئ
تعالى مع الحيز مغايرا لكون الجسم في الحيز فاين الاشتراك ولو سلم فالاشتراك في اللوازم لا يوجب الاشتراك في الملزومات فمن اين يلزم التركيب قوله
فان كان محلا له كان البعد جوهرا قائما بنفسه قلنا كون البعد جوهرا قائما بنفسه حق ولكن الملازمة ممنوعة وكذا قوله الامور التي بها حصلت
الاعراض وصفات الحيوان قيام العرض بالعرض كالبطوء والسرعة القائمين بالحركة قوله والا كان موجودا مجردا فلا يكون بعدا ممنوع لما قلنا من احتمال
وجود بعد مجرد بلا وجه مر والكلام في سريانه في الموجودات قد مر ومنها لو انه كان في جهة فان امكنه التحرك منه بعد سكونه فيه كان المؤثر في
حركته وسكونه فاعلا مختارا وكل فعل لفاعل مختار فهو محدث وما لا يخلو عن الحادث فهو اولى بان يكون محدثا وان لم يمكنه التحرك منه كان كالزمن المقعد
العاجز وذلك محال وايضا لا يبعد فرض اجسام اخرى مختصة باحياز معينة بحيث يمتنع خروجها عنها فلا يمكن اثبات حدوث الاجسام بدليل
الحركة والسكون والكون فيهما عدم صحة ما ذكر وللقائل ان يقول ان الحركة والسكون من خواص الاجسام المفتقرة الى احيازها فاما النور المجرد فلا يوصف
بالحركة والسكون وان كان مع الحيز والمتحيز سلمنا وجوب اتصافه باحدهما فلم لا يجوز ان لا يمكنه التحرك لا لكونه زمنا مقعدا ولكن لانه نور غير متناه
لا يصح وصفه بالتخلخل ونحو ذلك فيستحيل عليه الحركة لانها موقوفة على شغل حيز وتفريغ حيز اخر ولان العالم التي والخلاء الذي لا نهاية له مملو منه
فكيف يتصور خلو حيز عنه ومنها انه لو كان مختصا بحيز فان كان لطيفا كالماء والهواء كان قابلا للتفرق والتمزق وان كان صلبا كان اله العالم
جبلا واقفا في الحيز العالي وان كان نورا محضا جاز ان تعرض هذه الانوار التي تشرق على الجدران الطاهرة وايضا انه كان لطرف وصدها فان كان ذا عمق
وحجر كان بالضرورة طاهرا والا كان سطحا في غاية الرقة مثل قشرة الثوم بل ارق منها الف الف مرة قلت ان امثال هذه الكلمات لا يصدر الا عمن لا يفرق
بين النور المعقول والنور المحسوس والجوهر المجرد والجوهر المادي والشيء القائم بذاته والمفتقر الى غيره ومن العجب العجاب ان هذا المستدل قد سمع
من جمهور العقلاء ان الاجرام الفلكية لا تطلق عليها الصلابة والرقة واذا جاز ان يكون في انواع الاجسام نوع لا يمكن ان يتصف بشيء من المتقابلين كان
ذلك الموضع اجل واشرف من ان يتصف باحدهما فلم لا يجوز ان يكون فيما هو اشرف من ذلك النوع شيء لا يتصف بهما ومنها لو كان اله العالم فوق
العرش لكان مماسا للعرش او مباينا له ببعد متناه او غير متناه وعلى الاول فان لم يكن له تحيز فالمماس مغاير لغير المماس ويلزم تركيبه وان كان مباينا
ببعد متناه فلا يمتنع ان يرتفع العالم من حيزه الى ان يماسه ويعود الالزام المذكور وان كان مباينا ببعد غير متناه لزم ان يكون غير المتناهي
محصورا بين الحاصرين وللقائل ان يقول المباينة والمماسة من خواص الاجسام وانه تعالى نور مجرد محض فلا يصح عليه الاتصال والانفصال والتماس
والتباين والتداخل واشباه ذلك ومنها ان الاستقراء قد دل على ان الجرمية كلما كانت اقوى كانت الفاعلية والتاثير اضعف وبالعكس
ولهذا كان تاثير الارض اقل من تاثير الماء وتاثير الماء من تاثير الهواء وتاثير الهواء من تاثير النار بالاحراق والطبخ وتاثير النار من تاثير الافلاك
المؤثرة في العنصريات ثم انه لا قدرة ولا قوة اشد من قدرة الواجب لذاته فيكون بريئا من الحجم والجرم والكثافة والوزن قلت في الاستقراء
نزاع انه صحيح تام اولا ولكن لا نزاع في ان واجب الوجود تعالى شانه بريء عن الجسمية والكثافة وعن كل شيء يقدح في قيوميته وههنا حجج قد اوردت
في سورة الانعام في تفسير قوله سبحانه وهو القاهر فوق عباده وقد عرفت ما عليها فهذه حجج عقلية استدل بها الامام فخر الدين الرازي في تفسير
الكبير وقد اورد ما عليها ما كانت ترد من المنوع والاعتراضات لا اعتقادا للتشبيه والتجسيم او تقليدا للاوثان لا اقوام بل تشحيذ الاذهان وتقريبا
الى المعارف والحقائق ودعوة بالضبع المتامل في المضايق والمزالق فليحمل المصنف ما اراد والله الموفق للرشاد ولعل هذا المقام مما لا يكشف المقال
عنها غير الخيال والله اعلم بحقيقة الحال ثم قال ره واما الدلائل السمعية فكثيرة منها قوله تعالى قل هو الله احد والاحد مبالغة في كونه واحدا والذي
يمتلي منه العرش ويفضل العرش يكون مركبا من اجزاء وذلك ينافي كونه احدا واجيب بانه ذات واحدة حصلت في كل الاحياز دفعة واحدة وزيف
من هذا المعلوم الفساد بالضرورة ولو جاز ذلك فلم لا يجوز ان يقال جميع الارض الى ما تحت الثرى جوهر واحد وموجود واحد الا ان ذلك الجزء
الذي لا يتجزى حصل في جملة الاحياز فظن انه اشياء كثيرة قلت هذه مغالطة فان الجزء الذي لا يتجزى لصغره غير الشيء الذي لا يقبل التجزي
والانقسام لذاته وايضا المتحيز الذي له مقدار ذراع لا يشغل بالبديهة حيزين كل منهما ذراع في ذراع فيلزم منه ان لا يشغل ذلك الحيزين
متحيز مقداره ضعف ذلك على ان الحق ما عرفت مرارا ان نور الانوار قيوم في ذاته حاصل بجميع الاشياء لا منفصل المحيط عن المحاط ولا متصل
بها اتصال العرض الساري في الاجسام ولهذا لا يلزم من انقسامها الانقسام ومنها قوله ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ويلزم منه ان يكون
حامل العرش حاملا للاله والجواب انك ان سميت المعية حملا فلا نزاع ومنها قوله والله الغني فوجب ان يكون غير مفتقر الى المكان والجهة
والجواب ان الاستصحاب غير الافتقار ومنها ان فرعون طلب حقيقة الاله الحق قوله وما رب العالمين ولم يزد موسى على ذكر الاوصاف طلعة فرعون
فقد طلب الاله في السماء قوله فاطلع الى اله موسى فعلمنا ان التنزيه دين موسى ووصفه بالمكان والحيز دين فرعون والجواب لا نزاع في
ان حقيقة ذاته كما هي لا يعلمها الا هو والبسائط الحقيقية لا تعرف الا باللوازم وطلب فرعون انما كان مذموما لانه تصور ان يكون الاله شخصا

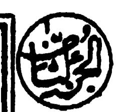
عنها انفصالا



مثله على تقدير وجوده لقوله ما علمت لكم من اله غيري ومنها ان الآية تدل على انه استقر على العرش بعد تخليق السموات والارض وكان قبل ذلك مضطربا والجواب المراد بالاستقرار انه كان ولم يكن معه شيء فاذ الخالق ما خلق من عالم الاجسام والامثال ثم ظلمة ونورا محضا ومنها قصة ابراهيم وتبريه من الآفلين ولو كان جسما لكان افلا في افق الامكان والجواب ان نور لا نهاية له حل من ذلك ولا يلزم من كونه مع جميع الاحيان ومع ما سواها ان يكون في مرتبة الاجسام بل النفوس والعقول ومنها ان اول الآية اعني قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض يدل على قدرته وحكمته وكذا قوله يغشي الليل النهار الى آخر الآية فلو كان المراد من الاستواء هو الاستقرار كان اجنبيا عما قبله وعما بعده لانه ليس من صفات المدح اذ لو استقر عليه بق وبعوض صدق عليه انه استقر على العرش فاذن المراد بالاستواء كمال قدرته بتدبير الملك والملكوت حتى تصير هذه الكلمة مناسبة لما قبلها ولما بعدها والجواب ان الاستقرار بالتفسير الذي ذكرناه ادل شيء على المدح والثناء وحديث البق والبعوض جزاف وهل هو الا كقول القائل لو كان واجب الوجود بقا او بعوضا صدق عليه انه اله فلا يكون الا له دالا على المدح ومنها انه سبحانه حكم في آيات كثيرة بانه سما الساكن العرش لان السماء عبارة عن كل ما علا وسما ومن هنا قد يسمى السحاب سماء فيلزم ان يكون خالقا لنفسه والجواب بعد تسليم ان كل ما سما وارتفع فهو سما من غير اعتبار انه نور او جسم ان ذاته سبحانه مخصوص بدليل منفصل كقوله الله خالق كل شيء هذا ولغير الموسومين بالمجسمة والمشبهة في الآية قولان الاول انقطع بكونه متعاليا عن المكان والجهة ثم الوقوف عن تاويل الآية وتفويض علمها الى الله والثاني الخوض في التاويل وذلك من وجوه احدها تفسير العرش بالملك والاستواء بالاستعلاء على الملك وثانيها ان استوى بمعنى استولى كقول الشاعر قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق وثالثها ان العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملوك ثم جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال استوى على سريره وملكه اذا استقام له امره واطرد وفي ضده خلا عرشه اي انتقض ملكه وفسد فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره للعالم بالوجه الذي الفوه من ملوكهم ورؤسائهم استقرت عظمة الله تعالى في قلوبهم الا ان ذلك مشروط بنفي التشبيه فاذا قال انه عالم فهموا منه انه تعالى لا يخفى عليه شيء ثم علموا بعقولهم انه لم يحصل ذلك العلم بفكرة وروية ولا باشتغال حاسة واذا قال قادر علموا انه متمكن من ايجاد الكائنات وتكوين الممكنات ثم عرفوا انه غني في ذلك الايجاد والتكوين عن الآلات والادوات وسبق المادة والمدة والفكرة والروية وكذا القول في كل من صفاته واذا اخبر انه بنيا يجب على عباده حجه فهموا منه انه نصب موضعا يقصدونه لمآربهم وحوائجهم كما يقصدون بيوت الملوك والرؤساء لهذا المطلوب ثم علموا بعقولهم نفي التشبيه وانه لم يجعل ذلك البيت مسكنا لنفسه لم ينتفع به لدفع الحر والبرد واذا امرهم بتحميده وتمجيده فهموا منه انه امرهم بنهاية تعظيمه ثم علموا انه لا يفرح بذلك التحميد والتمجيد ولا يحزن بتركه والاعراض عنه واذا اخبر انه خلق السموات والارض ثم استوى على العرش فهموا منه انه بعد ان خلقها استوى على عرش الملك والجلال ومعنى التراخي انه يظهر تصرفه في هذه الاشياء وتدبيره لها بعد خلقها لان تاثير الفاعل لا يظهر الا في القابل وقال ابو مسلم العرش لغة هو البناء والعارش الباني قال تعالى ومن الشجر ومما يعرشون فالمراد انه بعد ان خلقها قصد الى تعريشها وتسطيحها وتشكيلها بالاشكال الموافقة لها قوله سبحانه يغشي الليل والنهار قال صاحب الكشاف يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما اللفظ جميعا وقال صاحب القفال لما اخبر بالاستواء على العرش وان امر المخلوقات منوط بتدبيره ومشيئته اراهم ذلك عينا فيما يشاهدونه لينضم العيان الى الخبر وقدم ذكر الليل والنهار لما في تعاقبهما من المنافع الجليلة بهما يتم امر الحيوة ثم وصف الحركة التي يحصلان منها بالسرعة حتى انها في مقدار ما يقول واحد واحد يتحرك الفا وسبعمائة واثنين وثلثين فرسخا من مقعر فلكه والله اعلم بتحرك محدبه فان قيل ما محل الجملتين قلنا اما الاولى فمستانفة كانه قيل فماذا يفعل بعد خلق السموات والارض فاجيب يغشي الليل النهار وعلى قول من يفسر الاستواء بالتدبير والتصرف يحتمل ان يكون هذه الجملة مبينة واما الثانية ففي محل النصب على الحال من الملحق كان حثيثا منصوب على الحال من الطالب هو الملحق بعينه ثم قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات من قراها مرفوعات فعلى الابتداء والخبر وكلتا القراءتين حسنة لانك اذا قلت ضربت زيدا استقام ان تقول زيد مضروب وقوله بامره متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره قال في الكشاف سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك ومنهم من حمل هذا الامر على الامر الذي هو الكلام وعلى هذا لا يبعد ان يكون بامره متعلقا بخلق بدأ بالشمس لانه سلطان الكواكب وثنى بالقمر لانه كالنائب وثلث بسائر النجوم لانها كالخدم فالشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل والشمس تاثيرها بالتسخين والقمر تاثيره في الترطيب تولهما بخاصية عجيبة وتاثير غريب لا يعلمه بتمامه الا مبدعه وخالقه واعلم ان الاجسام متماثلة في الجسمية فاختصاص جرم الشمس بالنور القاهر والتسخين الشديد ولتدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسفلي وكذا تخصيص كل واحد من سائر السيارات والثوابت بقوة اخرى لابد ان يستند الى فاعل حكيم قدير عليم فلهذا قال مسخرات بامره وايضا ان لكل واحد من اجرام الشمس والقمر والكواكب سيرا خاصا من المشرق الى المغرب وسيرا اخر سريعا بسبب حركة الفلك الاعظم فقوله يغشي الليل النهار تنبيه على ان حدوث الليل والنهار انما هو بحركة الفلك الاعظم المسمى بالعرش ودع في جرمه قوة قاهرة قامرة باعتبارها قويت على تحريك ما دونه على خلاف طبعها من المشرق الى المغرب وايضا ان اقسام الاجسام ثلثة متحرك الى الوسط وهما العنصران الثقيلان ومتحرك عن الوسط وهما الخفيفان ومتحرك على الوسط وهي الاجرام الفلكية فكون الافلاك والكواكب متحركة بالاستدارة لا الى المركز ولا عن المركز لا يكون الا بتسخير الله تعالى ولامرها اكثر الله سبحانه في كتابه الكريم من الاستدلال على العلم والقدرة والحكمة باحوال السموات والارض وتعاقب الليل والنهار وكيفية تبدل الضياء بالظلام وبالعكس واحوال الشمس

اى استولى

والنجوم تم



والقمر والنجوم وامر بالنظر في ملكوت السماء والغبراء بالتفكر فيها فقال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
وزيّنّاها اولم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق وانه من صنف كتابا شريفا مشتملا على دقائق العلوم العقلية والنقلية
فالمعتقدون في شرفه وفضيلته فريقان منهم من اعتقد كونه كذلك على الاجمال ومنهم من وقف على دقايقها على سبيل التفصيل والكمال ولا ريب
ان اعتقاد الفريق الثاني يكون اكمل واقوى اذا ثبت هذا فنقول من اعتقد ان جملة هذا العالم محدث وكل محدث فله محدث فحصل له بهذا الطريق
اثبات الصانع اما الذي ضم الى هذه المرتبة البحث عن احوال العالم العلوي والعالم السفلي على التفصيل الممكن لا يزال ينتقل من برهان الى برهان
ومن دليل الى دليل فان يقينه يتزايد وبصيرته تتكامل الى ان تصير عاما معقولا مضاهيا لما عليه الموجود ولمثل هذه الفوايد والاغراض والغايات
انزل هذا الكتاب الكريم لا لتكثير وجوه الاعراب والاشتقاقات المؤدية الى الاطناب والاسهاب واما قوله عز من قائل الا له الخلق فالخلق عبارة
عن التقدير فيختص بكل ما هو جسم وجسماني لانه مخصوص بقدر معين فكل ما كان بريا عن الحجم والمقدار فهو من عالم الارواح وعالم الامر لانه اوجدها
كن من غير سبق مادة ومدة فعالم الخلق في تسخيره وعالم الامر في تدبيره واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره وهيهنا مسائل ذكرها العلماء
الاولى انه تعالى متكلم امرا ومخبرا مستخبرا لان قوله الا له الخلق والامر دل على ان له الامر فوجب ان يكون له النهي وساير انواع الكلام ضرورة انه لا قائل
بالفرق الثانية لا خالق الا هو لان قوله الا له الخلق بتقديم الخبر يفيد الحصر لو سلم انه لا يفيده فلا اقل من افادة انه خالق بعض الاشياء وح
يثبت المطلوب لان افتقار المخلوق الى الخالق لامكانه والامكان مفهوم واحد في الممكنات وانه علة للحاجة الى موجود معين فجميع الممكنات محتاجة
الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات لا يحتاج الى ذلك المعين فالذي يكون مؤثرا في جميع الممكنات الثالثة قالت الاشاعرة كل اثر
يصدر عن فلك وملك وجني وانسي فخالقه في ذلك الاثر في الحقيقة هو الله تعالى لقوله الا له الخلق والامر ويتفرع على هذا انه لا اله الا الله وان
كان الثاني مدبرا وخالقا وانه لا تاثير للكواكب في احوال هذا العالم وان القول بالطبايع والعقول والنفوس على ما يزعم الفلاسفة على ما يزعم
الفلاسفة واصحاب الطلسمات باطل وان خالق اعمال العباد هو الله تعالى بان العلم والقول يوجب الغالبية والقدرة يوجب القادرية كل باطل ذلك
لئلا يلزم خالق ومؤثر غير الله تعالى الرابعة كلام الله تعالى قديم لانه ميز بين الخلق وبين الامر ولو كان كلام الله مخلوقا لما صح هذا التمييز اجاب
الجبائي بانه لا يلزم من افراد الامر بالذكر عقيب الخلق ان لا يكون الامر داخلا في الخلق كقوله وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ وعارض الكعبي بقوله
بقوله فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ فانه لو وجب مغايرة المعطوف للمعطوف عليه لزم ان يكون الكلمات غير الله تعالى
وكل ما كان غير الله تعالى فانه محدث ومخلوق وكلمات الله مخلوقة وقال القاضي اتفق المفسرون على انه ليس المراد بهذا الامر كلام الله
تعالى بل المراد نفاذ ارادته واظهار قدرته وقال قوم لا يبعد ان يقال الامر داخل في الخلق ولكنه من حيث كونه امرا يدل على نوع اخر من الكمال والجلال
والمعنى له الخلق والايجاد في المرتبة الاولى ثم بعد الايجاد والتكوين له الامر والتكليف في المرتبة الثانية وقال اخرون معنى قوله الا له الخلق انه
شاء خلق وان شاء لم يخلق فقوله والامر يجب ان يكون معناه ان شاء امر وان شاء لم يامر ولا يلزم منه ان يكون الامر محدثا مخلوقا لانه لو كان قديما لم يكن
ذلك الامر بحسب مشيته بل كان من لوازم ذاته فلا يصدق انه ان شاء امر وان شاء لم يامر هذا خلف اجيب بانه لو كان الامر داخلا تحت الخلق لزم
التكرار والاصل عدمه فلا يصار اليه الا للضرورة ولا ضرورة هيهنا الخامسة في الاية دلالة على انه ليس لاحد ان يلزم غيره شيئا الا الله ففعل
الطاعة لا يوجب الثواب وفعل المعصية لا يوجب العقاب وايصال الالم لا يوجب العوض السادسة دلت الاية على ان القبيح لا يجوز ان يقبح لوجه
عايد اليه والا لم يامر الا بما حصل فيه وجه الحسن ولا ينهى الا عما حصل فيه وجه القبح فلا يكون متمكنا من الامر والنهي كيف شاء واراد هذا خلف السابعة اطلق الخلق والامر
فيعلم انه لو اراد خلق الف عالم بما فيه من العرش والكرسي والكواكب في اقل من لحظة لقدر عليه لان هذه الماهيات ممكنة والحق قادر على كل
الممكنات الثامنة قال قوم الخلق صفة من صفات الله تعالى وهو غير المخلوق لان اهل السنة يقولون معنى قوله الامر صفة له فكذا الخلق صفة قايم
به انه فلا يكون مخلوقا واجيب بان الخالق لو كان غير المخلوق فاما ان يكون قديما ويلزم من قدمه قدم المخلوق واما ان يكون حادثا فيفتقر الى
خلق اخر ويتسلسل ويمكن ان يقال الصفة قديمة والتعلق حادث التاسعة الامر يقتضي ان لا امر الا لله وقول النبي صلى الله عليه وآله اذا امرتكم
بشيء فاتوا منه ما استطعتم لا ينافي ذلك لان المؤمن لان الموجب للامر في الحقيقة هو امر الله تعالى العاشرة في الاية دلالة على ان لله تعالى امرا ونهيا على
عباده والخلاف مع نفاة التكليف قالوا ان كان التكليف معلوم الوقوع لكان واجب الوقوع والا فلا فائدة في الامر به وايضا الكافر والفاسق لا
يستفيد بالتكليف الا الضرر المحض لانه تعالى يعلم انه لا يؤمن ولا يطيع وخلاف علم الله محال فلا يحصل من الامر الا مجرد استحقاق العذاب وهذا
لا يليق بالرحيم الحليم وايضا التكليف ان لم يكن لفائدة في الامر فهو عبث وان كان لفائدة ولا بد ان يعود الى المكلف لانه سبحانه غني عن جميع الفوايد
منحصرة في تحصيل نفع او دفع ضرر والله تعالى قادر على تحصيلها للمكلف من غير واسطة التكليف فكان توسيط التكليف ضررا محضا والجواب ان
اقل الاية دل على انه تعالى هو الخالق لكل العبيد واذا كان خالقا لهم كان مالكا لهم وتصرف المالك في ملك نفسه كيف شاء مستحسن ويحسن
منه تعالى ان يامر عباده بما شاء بمجرد كونه خالقا لا لما يقوله المعتزلة من كون ذلك الفعل صلاحا او من كونه موجب عوض او ثواب ولما بين
انه الامر والنهي بالحكمة والتكليف كرامة يستحق الثناء والتقديس فقال تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ والبركة تفسيران احدهما الثبات والدوام

وملائكته



ولا ريب انه الواجب لذاته الدائم القائم بذاته الغني بذاته وصفاته وافعاله واحكامه عن كل ما سواه وثانيهما كثرة الآثار الفاضلة ولا شك
ان كل الخيرات والكمالات فائضة من وجوده واحسانه بل جميع الممكنات رشحة من بحار فضله وامتنانه ثم لما بين كمال قدرته وحكمته وارشد
الى التكاليف الموصلة الى سعادة الدارين اتبعه ذكر ما يستعان به على تحصيل المطالب المآرب الدينية والدنيوية فقال ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا
وَخُفْيَةً قال في الكشاف نصب على الحال اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا قلت ويحتمل الانتصاب على المصدر مثل رجع القهقرى والتضرع
التذلل وهو اظهار ذل النفس والخفية بالضم والكسر ضد العلانية قال بعض العلماء الدعاء ههنا بمعنى العبادة لئلا يلزم التكرار وعطف
الشيء على نفسه قوله وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا والاظهر انه على الاصل ومن انكر الدعاء لان المطلوب بالدعاء ان كان معلوم الوقوع او كان مرادا
في الازل او كان على وفق الحكمة والمصلحة وقع لا محالة والا فلا فائدة فيه وايضا انه نوع من سوء الادب وعدم الرضا وقد يطلب ما ليس بنافع او فيه
من الاشتغال بغير الله وعدم التوكل عليه ما لا يخفى والحق ان الدعاء نوع من انواع العبادة ورفضه يستدعي رفض كثير من الوسائط والروابط
ولو لم يكن فيه الا معرفة ذلة العبودية وعزة الربوبية لكفى بذلك فائدة ولهذا روي عنه صلى الله عليه وآله ما من شيء اكرم على الله سبحانه من الدعاء
الا انه لا بد فيه من الاخلاص والصون عن الرياء واليها اشار بقوله تضرعا وخفية ونحن اطنبنا في تحقيق الدعاء وشرائطه في سورة البقرة في تفسير
قوله واذا سألك عبادي عني ثم ختم الآية بقوله اِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ اتفاق على ان التماس الجنة عند اطلاقها على الله شهوة النفس وميل الطبع و
لكنها عبارة عن ايصال الثواب وارادة الايصال لكنا لا نعرف تلك الجنة ما هي وكيف هي الا ان عدم العلم بالشيء لا يوجب العلم بعدم ذلك الشيء
نظيره ذلك ان اهل السنة يثبتون كونه مرئيا ثم يقولون ان تلك الرؤية لا كرؤية الاجسام والالوان ويعني المعتدين المجاوزين ما امروا به
فيشمل كل من خالف امر الله ونهيه وقال الكلبي وابن جريج من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء ويؤيده انه امر بالدعاء مقرونا بالاخفاء وظاهر الامر
الوجوب اذا فقد اثنى على زكريا فقال اِذْ نَادٰى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا وعن النبي صلعم دعوة في السر تعدل سبعين دعوة في العلانية وعنه صلعم خير الذكر الخفي
وخير الرزق ما يكفي وعنه صلى الله عليه وآله سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من
قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله اِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ومن هنا اختلف ارباب الطريقة ان الاولى في
العبادات الاخفاء ام الاظهار فقيل الاولى الاخفاء صونا لها عن الرياء وقيل الاولى الاظهار ليرغب غيره في الاقتداء توسط الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي فقال ان كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى في حقه الاخفاء وان بلغ في الصفاء وقوة اليقين الى حيث صار امنا من شائبة
الرياء فالاولى في حقه الاظهار ليحصل فائدة الاقتداء قال الشافعي اظهار التامين افضل وقال ابو حنيفة الاخفاء افضل لانه ان كان دعاء وجب
اخفاؤه لقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان كان اسما من اسماء الله تعالى على ما قيل فكذلك لقوله تعالى وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً
فان لم يثبت الوجوب فلا اقل من الندبية ثم نهى عن مجامع المفاسد والمضار بقوله وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْاَرْضِ فيدخل فيه خمسة اشياء المنع
من افساد النفوس بالقتل ومن افساد الاموال بقطع الطريق والسرقة وافساد الانساب بالزنا واللواطة والقذف وافساد العقول بشرب المسكرات
وافساد الاديان بالكفر والبدعة وذلك ان قوله لا تفسدوا منع عن ادخال ماهية الفساد في الوجود والمنع عن الماهية يقتضي المنع من جميع انواعها
ومعنى بَعْدَ اِصْلَاحِهَا بعد ان اصلح خالق الارض على الوجه المطابق لمنافع الخلق الموافق لمصالح المكلفين والمراد اصلاح الارض بسبب ارسال
الانبياء وانزال الكتب وتفصيل الشرائع فان الاقدام على تكذيب الرسل وانكار الكتب والتمرد عن قبول الشرائع يقتضي وقوع الهرج والمرج وحدوث
الفتن في الارض وفي الآية دلالة على ان الاصل في المضار الحرمة فان وجدنا نصا خاصا على جواز الاقدام على بعض المضار قضينا به تقديما للخاص
على العام وفيها ايضا دلالة على ان كل عقد وقع التراضي به بين الخصمين فانه منعقد صحيح لان دفعه بعد ثبوته يكون افسادا بعد الاصلاح فان وجدنا
نصا يدل على عدم صحة بعض تلك العقود قضينا فيه بالبطلان عملا بالاخص فجميع احكام الله تعالى داخلة تحت عموم هذه الآية الدالة على ان الاصل
في المضار الحرمة كما كانت داخلة تحت عموم قوله قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِيْنَةَ اللّٰهِ الَّتِيْ اَخْرَجَ لِعِبَادِهٖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ بانها كانت تدل على ان الاصل
في المنافع واللذات الاباحة والحاصل فكل واحدة من الآيتين مطابقة ومؤكدة للاخرى ثم لما بين ان الدعاء لا بد ان يكون مقرونا بالتضرع والاخفاء
وبعدم المنافي وهو الافساد بالوجوه المذكورة ذكر ان فائدة الدعاء والباعث عليه احد الامرين الخوف من العقاب والطمع في الثواب واعترض
عليه بان اهل السنة يقولون التكاليف انما وردت بمقتضى الالهية والعبودية اي كونه الها لنا وكوننا عبيدا له اقتضى ان يحسن منه ان يامر عبيده
بما شاء كيف شاء ولا يعتبر فيه كونه في نفسه صلاحا وحسنا والمعتزلة يقولون انها وردت لانها في نفسها مصالح فعلى القولين من اتى بها للخوف
من العقاب والطمع في الثواب لم يأت بها على الوجه الذي وجب فوجب ان لا يصح واجيب بان المراد من الآية ادعوه مع الخوف من وقوع التقصير في بعض
الشرائط المعتبرة في قبول ذلك الدعاء ومع الطمع في حصول تلك الشرائط باسرها اي كونوا جامعين في نفوسكم بين الخوف والرجاء في جميع
اعمالكم ولا تقطعوا اعمالكم وان اجتهدتم انكم اديتم حق ربكم كقوله وَالَّذِيْنَ يُؤْتُوْنَ مَا اٰتَوْا وَّقُلُوْبُهُمْ وَجِلَةٌ والجواب الصحيح عندي ان غاية
التكليف من الامر غير غايته من المامور فغاية الغاية الاولى هي المصلحة او الالهية والعبودية فلم لا يجوز ان يكون الغاية الثانية الخلاص من
العذاب والوصول الى الثواب ثم ختم الآية بقوله اِنَّ رَحْمَتَ اللّٰهِ قَرِيْبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِيْنَ ظاهره ان يقال قريبة وذكروا في حذف علامة التانيث

بالقضاء نسخة

وللمسلمين نسخة



وجوها فقيل لان تانيث الرحمة غير حقيقي وقال الزجاج لان الرحمة والغفران والعفو والانعام بمعنى واحد وقيل لان المراد بالرحمة الترحم والرحم وقيل
انه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب وشبه بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسراء وقيل لانه بزنة المصدر كالنقيض
صوت العقبان او الزجاجة والضغيف صوت الارنب وقيل المراد انه مكان قريب كلابن وتامر وروى الواحدي باسناده عن ابن السكيت يقول
العرب هو قريب مني وهما قريب مني وهي قريب مني ثم في تاويل هو في مكان قريب مني قال بعض المفسرين معنى هذا القرب ان الانسان يزداد بعدا عن الدنيا
وقربا من المستقبل اي الاخرة التي هي مقام رحمة الله ويمكن ان يقال المراد به قرب الحصول سواء كان في الدنيا او في الاخرة كقوله الا ان نصر الله قريب
قالت المعتزلة ان ماهية الرحمة لما كانت حصة المحسنين وجب ان لا يحصل للكافر والفاسق منها شيء والغرض ان صاحب الكبيرة لا يكون له نصيب من
العفو واجيب بان المحسن من صدر عنه الاحسان ولو من بعض الوجوه فكل من امن بالله تعالى واقر بالتوحيد والنبوة فقد احسن والدليل عليه الاجماع
على ان الصبي اذا بلغ وقت الضحوة وامن بالله ورسوله واليوم الاخر ومات قبل الوصول الى الظهر فانه يسمى مؤمنا محسنا على ان قوله ماهيته
نصيب المحسنين ممنوع لان الكافر ايضا في رحمة الله ونعمته في الدنيا بدليل قوله ومن كفر فامتعه ثم انه سبحانه لما ذكر دلائل الالهية
وكمال العلم والقدرة من العالم العلوي اتبعه بذكر الدلائل من احوال هذا العالم وهي الاثار العلوية والمعادن والنبات والحيوان ومن جملتها
احوال الرياح والسحب والامطار ولما تم الدلائل التي لا تدل الا على وجود الاله القادر العليم الحكيم الرحيم اقام الدلالة التي في هذه الاية على
صحة القول بالحشر والنشر بالايتين تقدير المبداء والمعاد فقال وهو الذي يرسل الرياح الريح هواء متحرك وتحركه ليس لذاته ولا للوازم
ذاته والا لدام بدوام الذات فهو بتحريك الفاعل المختار قالت الحكماء من اسباب الريح يرتفع من الارض اجزاء ارضية تسخنت تسخينا شديدا
فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد فاذا وصلت الى قريب من الفلك فان الهواء الملاصق بمقعر الفلك يمنع هذه الادخنة من الصعود
بل يردها عن سمت حركتها لتحرك تلك الطبقة على الاستدارة تبعا للفلك ثم ترجع الادخنة وتتفرق في الجوانب وبسبب تفرقها تحصل الرياح
وكلما كانت تلك الادخنة اكثر وكان صعودها اقوى كان رجوعها ايضا اشد فكانت الرياح ونوقض بان صعود تلك الاجزاء الارضية انما
يكون لاجل شدة تسخينها بالعرض فاذا تصاعدت ووصلت الى الطبقة الباردة بردت فامتنع صعودها الى الطبقة العليا المتحركة بحركة الفلك
سلمنا انها تصعد الى الطبقة المتحركة بالاستدارة لكن رجوعها يجب ان يكون على الاستقامة كما هو مقتضى طبيعة الارض لكنها تتحرك يمنة ويسرة
وايضا ان حركة تلك الاجزاء لا يكون قاهرة فان الرياح اذا اصعدت الغبار الكثير ثم عاد ذلك الغبار ونزل على السطوح لم يحس احد بنزولها
ونحن نرى هذه الرياح تقلع الاشجار وتهدم الجبال وتموج البحار وايضا لو كان الامر على ما قالوا لكانت الرياح كلما كانت اشد وجب ان يكون
حصول الاجزاء الغبارية الارضية اكثر وليس كذلك لانه قد توجد الرياح العاصفة في وجه البحر وليس فيها شيء من الغبار ويمكن ان يجاب بان الحكم
بامتناع الصعود استبعاد محض وحديث الرجوع على الاستقامة مبني على ان الريح هي تلك الاجزاء الراجعة فقط وليس كذلك فان الراجع اذا خرق الهواء
تحرك واضطرب وتموج شبيه ما يحدث في الماء اذا القي فيه حجر وكذا الكلام في الوجهين الباقيين وقال المنجمون قد يحدث بسبب وصول كوكب
معين الى موضع معين من البروج ريح عاصفة ونوقض بانه لو كان كذلك لزم تحرك كل الهواء والجواب ان وصول الكوكب الى الموضع الفلاني
انما يوجب تحرك الهواء بتسخين او تلطيف او تكثيف يحدث في بعض المواد المستعدة لذلك فيطلب ذلك القابل مكانا اكثر او اقل مما كان عليه
فيلزم من ذلك تحرك المجاور له لاستحالة التداخل والخلاء لا يتدافع الى ان يتحرك جميع كرة الهواء بل يتموج بعض اجزاء الهواء ثم يستقر كل في
موضعه ويختلف مقدار ذلك بحسب المؤثر والمتاثر والكل يستند الى تدبير الله سبحانه وتقديره وانما قرئ في هذه السورة يرسل الرياح بلفظ
المستقبل وكذا في الروم لان ما قبله ههنا ذكر الخوف والطمع وانهما يناسبا المستقبل واما في الروم فليناسب ما قبله ومن اياته ان يرسل وقال
في الفرقان ارسل الرياح بلفظ الماضي ليناسب ما قبله كيف مد الظل وما قبله وهو الذي جعل وكذا في فاطر مبني على اول السورة فاطر
السموات والارض جاعل الملائكة وهما بمعنى الماضي والله تعالى اعلم اما قوله نشرا بنون مفتوحة وشين ساكنة فانه مصدر نشر وانتصابه اما على الحال
بمعنى منتشرات واما لان ارسل ونشر متقاربان كانه قيل نشرها نشرا ومن قرأ نشرا بضمتين فلانه جمع نشور كرسول ورسل وقد تخفف كرسل
ومن قرأ بشرا بضم الباء الواحدة وسكون الشين فلانه مخفف بشر جمع بشير ومعنى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو من اجل النعم
واحسنها وهذا بحسب الاغلب فان المطر قلما لا ينعقد برياح يسلطها الله تعالى على السحاب والعرب يستعمل اليدين بدل قدام واما مجاز
لان اليدين من الحيوان متقدمان على الرجلين حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاقه من القلة لان الرافع الذي يقدر على حمل الثقيل
يزعم ان ما يرفعه قليل سحابا جمع سحابة ولهذا قال ثقالا على الجمع جمع ثقيلة والضمير في سقناه يعود الى السحاب على لفظه وضمير المتكلم في سقناه
على صلة اما الذي في قوله وهو الذي فعلى طريقة الالتفات والا فالظاهر ان يقول نحن ارسلنا واعلم ان السحاب المستمطر للمياه العظيمة انما يبقى
معلقا في الهواء لانه تعالى دبر بحكمته ان يحرك الرياح تحريكا شديدا ولتلك الحركات فوائد منها ان اجزاء السحاب ينضم بعضها الى بعض ويتراكم
وينعقد السحاب الكثيف الماطر ثم يصير متفرقة ومنها ان تتحرك الرياح يمنة ويسرة فيمنع الاجزاء المائية الرشية عن النزول فيبقى معلقا
في الهواء ومنها ان يسوق السحاب الى موضع علم الله احتياجهم الى نزول الامطار ومن الرياح مقوية للزروع والاشجار ومكملة لما فيها

شد فيما يليها من الهواء

الهواء

من النشو والنماء وهي اللواقح ومنها مبطلتها كما في الخريف ومنها طيبة لذيذة موافقة للابدان ومنها مهلكة كالحر الشديد وكالسموم او البرد
الشديد مشرقية ومغربية وشمالية وجنوبية وبالجملة فهبوب الرياح من كل جانب ولكنها ضبطت كما ترى وقد يصعد الريح من قعر الارض
فقد نشاهد غليانا شديدا في البحر بسبب تولد الرياح في قعره ثم لا يزال يتزايد ذلك الغليان الى ان ينفصل الريح الى ما فوق البحر وعن ابن
عمر الرياح ثمان اربع منها عذاب وهو العاصف والقاصف والصرصر والعقيم واربع منها رحمة الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور والجنوب وعن كعب لو حبس الله الريح عن عباده ثلثة ايام لانتن اكثر الارض وعن
السدي انه تعالى يرسل الرياح فتأتي بالسحاب ثم انه تعالى يبسطه في السماء فيرسل الماء على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك برحمته وهي المطر ومعنى
لبلد ميت اي لاجل بلد ميت ليس فيه نبات ولا زرع والبلد كل موضع من الارض عامر او غير عامر خال او مسكون فانزلنا به الماء قال الزجاج
وابن الانباري اي بالبلد وجاز ان يراد بالسحاب او بالسوق فالباء للسببية فاخرجنا به قال الزجاج اي بالبلد من كل الثمرات ويجوز ان يراد
بالماء قال جمهور الحكماء انه تعالى اودع في الماء قوة وطبيعة يوجب حدوث الاحوال المخصوصة عند امتزاج الماء بالتراب وقال اكثر المتكلمين ان الثمار ليست
متولدة من الماء وانما اجرى الله تعالى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء والتراب كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات نخرج
الموتى فالتشبيه انما وقع في اصل الاحياء اي كما احيينا هذا البلد بعد موته فانبت فيه الشجر وجعل فيه الثمر كذلك نحيي الموتى بعد ان كانوا ترابا لان من يقدر
على احداث الجسم وخلق الرطوبة والطعم فيه كان قادرا على احداث الحيوة في بدن الميت قال كثير من المفسرين انه تعالى كما يخلق النبات بواسطة
انزال مطر على الاجساد الرميمة يروى انه يمطر على اجساد الموتى فيما بين النفختين مطر كالمني اربعين يوما فينبتون عند ذلك احياء وعن مجاهد
يمطر السماء عليهم حتى ينشق عنهم الارض كما ينشق الشجر عن النور والثمر ثم يرسل الارواح فيعود كل روح الى جسدها قال العلماء ان هؤلاء المفسرين ذهبوا
الى هذا بناء على النقل وعلى اجراء العادة والا فانه تعالى قادر على خلق الحيوة في الجسم ابتداء من غير واسطة المطر كما انه يجمع بقدرته الاجزاء
المتفرقة والممزقة غاية التفرق والتمزق ولهذا ختم الاية بقوله لعلكم تذكرون والمعنى انكم لما شاهدتم ان الارض كانت مزينة وقت الربيع و
الصيف والخريف بالازهار والثمار والاشجار ثم صارت وقت الشتاء ميتة عارية عن تلك الزينة ثم احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها
قادر على احياء الاجساد بعد موتها ثم ضرب الله سبحانه مثلا للمؤمن والكافر فشبه القرآن بالمطر وذلك ان الارض الحرة اذا انزل بها المطر حصل فيها
انواع الازهار والثمار والارض السبخة بعد نزول المطر لا يخرج منها الا النزر القليل من النبات فكذلك النفس الطاهرة النقية من الاخلاق
الذميمة اذا اتصل بها انوار القرآن ظهرت عليها انواع المعارف والاخلاق الفاضلة والنفس الخبيثة لا ترجع من ذلك الا بخفي حنين وقيل ليس
المراد من الاية تمثيل المؤمن والكافر وانما المراد ان الارض السبخة يقل نفعها وثمرتها ومع ذلك فان صاحبها لا يهمل امرها بل يتعب نفسه
في اصلاحها طمعا منه في تحصيل ما يليق بها من المنفعة فمن يطلب هذا النفع اليسير فلان يطلب النفع العظيم الموعود به في الدار الاخرة
بالمشقة التي لا بد منها ومن تحملها اداء الطاعات كان اولى وفي الاية دلالة على ان السعيد لا ينقلب شقيا وبالعكس لانها دلت على ان الارواح
قسمان منها ما يكون في اصل جوهرها طاهرة نقية مستعدة لان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به ومنها ما يكون بالضد لا يقبل المعارف الحقيقية
والاخلاق الفاضلة كالارض السبخة التي لا يتولد فيها الاشجار والانهار والثمار ومما يقوي هذا الكلام ان النفوس نراها مختلفة في سبيل الله
فمنها قاسية قلوبهم كالحجارة او اشد قسوة ومنها ما تلذذ بالشهوة دون الغضب ومنها على العكس ومنها راغبة في المال دون الجاه ومنها بالخلاف
ومن الراغبين في المال من يرغب في العقار دون الاثمان والنقود ومنهم من هو بالعكس ومما يؤكد هذه المعاني قوله سبحانه باذن ربه اي بتيسيره
وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا كاملا لوقوعه في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير فيه وتقديره والبلد الخبيث لا يخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه وهو الضمير الراجع الى البلد مقامه فانقلب مرفوعا مستكنا بعد ان كان
مجرورا بارزا ومن قرأ نكدا بفتح الكاف فعلى المصدر اي ذا نكد كذلك مثل ذلك التصريف نصرف الايات ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله لان
فائدة التصريف تعود عليهم وانما ختم الاية بالحث على الشكر لان الذي سبق ذكره هو ان الله تعالى يرسل الرياح النافعة فيجعلها سببا للمطر
الذي هو سبب اللذات والطيبات فهذا يدل من احد الوجهين على وجود الصانع وقد مر ذكره ومن الوجه الثاني على عظيم نعمته وقد ترغب
من هذا الوجه مقابلتها بالشكر والله اعلم التأويل عرف ذاته للخلق بصفات الهوية والالوهية والقادرية والخالقية والمدبرية والحكيمية
والاستوائية فقال ان ربكم الله الاية وانما خص ستة ايام لان انواع المخلوقات الا الارواح الانسانية ست المكنونات منها الملائكة والجن و
الشياطين والملكوت والسموات والارض ومنها العقول المفردة والمركبة والنفوس السماوية والارضية والاجرام البسيطة العلوية كالعرش
والكرسي والسموات والجنة والنار والاجسام البسيطة السفلية وهي العناصر والاجسام الكثيفة المركبة من العناصر فلما خلق الانواع الستة
استوى على العرش بعد الفراغ من خلقها استواء التصرف في العالم وما فيه وخص العرش بالاستواء لانه مبدأ الاجسام اللطيفة قابلة للفيض الرحماني
والاستواء لا يشبه استواء المخلوقين كما ان علمه لا يشبه علم المخلوقين ومن اسرار الخلافة ان الروح تصرف في النطفة ايام الحمل فجعلها عالما صغيرا قالبه
كالارض وراسه كالسماء والقلب كالعرش والسر كالكرسي والقلب يقسم فيض الروح الى القالب كما ان العرش يقسم فيض الاله الى سائر المخلوقات

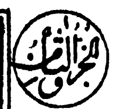
وقع تعظيم هبوب الرياح في وجه البحر

البلد الميت يحيي الموتى بواسطة انزال المطر عليه

او البلد الخبيث لا يخرج

ستة الايام

كالعالم الصغير من صفاته



يغشى ای استولی ليل ظلمات النفس وصفاتها على نهار انوار القلب بالعكس الا له الخلق بواسطة والامر بلا واسطة ادعوا ربكم تضرعا بالجوارح وخفية بالقلوب او تضرعا باداء حق العبودية وخفية بطالب حق الربوبية انه لا يحب المعتدين الذين يطلبون منه سواه ولا تفسدوا في الارض القلوب بعد ان اصلحها الله برفع الوسايط وادعوه خوفا من الانقطاع وطمعا في الاصطناع او خوفا من الاثنينية وطمعا في الوحدة او خوفا من الانفصال وطمعا في الوصال من المحسنين الذين لا يرون سواه يرسل رياح العناية فينشر سحاب الهداية سحابا ثقالا بامطار المحبة سقناه لكل قلب ميت فانزلنا به ماء المحبة فاخرجنا ثمرات المكاشفات والمشاهدات كذلك نخرج موتى القلوب من قبور الصدور لعلكم تذكرون ايام حيوتكم في عالم الارواح اذ كنتم في رياض القدس وحياض الانس والبلد الطيب القلب الحي يتخلق باخلاق الحميد كذلك نصرف الآيات الى النفوس صفاتها الى اوصاف القلب واخلاقه

ع٥ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

تحقيق که فرستاديم نوح را بسوی قومش پس گفت که ای قوم بپرستيد خدا را نيست شما را خدائی بجز او بدرستی که من ميترسم بر شما عذاب روز بزرگ را

قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ

گفتند بزرگان از قوم او که بدرستيکه ما هر آينه می‌بينيم ترا در گمراهی هويدا گفت ای قوم نيست در من گمراهی وليکن من پيغمبرم از پروردگار جهانيان ميرسانم بشما

رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ

پيغامهای پروردگار خود را و پند ميدهم شما را و ميدانم از خدا آنچه شما نميدانيد آيا عجب کرديد از آنکه آمد شما را پندی از پروردگار شما بر مردی از شما

لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا

تا بترساند شما را و تا پرهيزيد و شايد که شما رحم کرده شويد پس تکذيب کردند او را پس رهانيديم او را و آنانرا که با او بودند در کشتی و غرق کرديم آنانرا که تکذيب کردند آيات ما را بدرستيکه ايشان بودند

قَوْمًا عَمِينَ ۝ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن

گروهی کوردلان و بسوی عاد برادر ايشان هود را گفت ای قوم بپرستيد خدا را نيست شما را خدائی غير او آيا پس نمی‌پرهيزيد گفتند بزرگان آنانکه کافر شدند از

قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن

قوم او که ما هر آينه می‌بينيم ترا در بيخردی و بدرستی ما هر آينه گمان کنيم ترا از دروغ گويان گفت ای قوم نيست بمن بيخردی وليکن من پيغمبرم از پروردگار

رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ

جهانيان که ميرسانم بشما پيغامهای پروردگار خود را و من شما را پند دهنده امينم آيا عجب کرديد از آنکه آمد شما را پندی از پروردگار شما بر مردی از شما تا بترساند شما را

وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ قَالُوا

و ياد آريد وقتی را که گردانيد شما را جانشينان از بعد قوم نوح و افزود شما را در آفرينش زيادتی پس ياد آوريد نعمتهای خدای را شايد که رستگار شويد گفتند

أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم

آيا آمدی بما تا بپرستيم خدا را تنها و واگذاريم آنچه ميپرستيدند پدران ما پس بيار بما آنچه وعده ميکنی ما را اگر هستی از راستگويان گفت بتحقيق واقع شد بر شما

مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم

از پروردگار شما پليدی و خشم آيا خصومت ميکنيد مرا در نامهائی که خود نهاده‌ايد و پدران شما نفرستاده است خدا با آن از حجتی پس منتظر باشيد که من با شما

مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ۝ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ

از منتظرانم پس رهانيديم او را و آنانرا که با او بودند بمهربانی از خود و بريديم اصل آنانرا که تکذيب کردند آيات ما را و نبودند مؤمنان

القراءة المغيرة بالجر على الوصف حيث كان يزيد وعلى الباقون بالرفع حملا على محل من اله اني اخاف بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير ابلغكم بالتخفيف حيث كان ابو عمرو والباقون بالتشديد عباس بالاختلاس بسطة بالصاد ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل وعاصم وعلي وسهل وشجاع وابن الاخرم عن ابن ذكوان الحلواني عن قالون مخيرا الوقوف غيره ط عظيم مبين العالمين لا يعلمون ترحمون باياتنا عمين هودا غيره ط تتقون الكاذبين العالمين امين لينذركم ط لنا هي الاستفهام بسطة تنبيها على الانعام العام بعد ذكر انعام خاص مع اتفاق الجملتين تفلحون اباؤنا للعدول مع فاء التعقيب الصادقين وغضب سلطان لانتهاء الاستفهام الى امر التهديد المنتظرين مؤمنين التفسير لما ذكر في تقرير المبداء والمعاد دلائل قاهرة وبينات باهرة شرع في قصص الانبياء وفي ذلك فوائد منها التنبيه على ان اعراض الناس عن قبول الدلائل عادة معتادة فيكون فيه تسلية لرسول الله صلعم ومنها بيان سوء عاقبة المستكبرين وحسن عقبى المطيعين وفي ذلك تقوية قلوب المحقين وكسر قلوب المبطلين ومنها التنبيه على ان الله سبحانه لا يهمل المبطلين وان كان يمهلهم ومنها العظة والاعتبار لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها الدلالة على نبوة محمد صلعم من حيث انه اخبار بالغيب لانه لم يقرأ الكتب فيكون قد عرف ذلك بالوحي لا محالة ان القصص اولها قصة آدم قدمت في اول السورة الثانية قصة نوح وهو نوح بن لمك بن متوشلح بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس قيل كان اسمه يشكر فسمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه حين دعا على قومه فاهلكوا فندم او حين راجع ربه في شان ابنه او حين مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ

يلد قبيح فهو تبع على ذلك قال الله اعتبني انه خلقته ام عبث الكلب هذه الوجوه متكلفة فان الاعلام لا تفيد صفة في المسمى والصحيح انه اسم اعجمي
قال ابن عباس معنى ارسلنا بعثنا وقال اخرون معناه انه تعالى حمله رسالة يؤديها فالرسالة على هذا التقدير يكون متضمنة للبعث فيكون البعث كالتابع
لا انه اصل كما في التفسير الكبير وهذا البحث مبنى على مسئلة اصولية هي ان الرسول ارسل الى قوم ليعرفهم احكاما لا سبيل لهم الى معرفتها بعقولهم او الغرض
من بعثته مجرد تاكيد ما في العقول وهذا الاختلاف متفرع على المعتزلة انه امرهم نوح بعبادة الله ثم حكم بانه لا اله الا الله ثم حذرهم عذاب يوم عظيم
هو القيامة او الطوفان ولم يذكر دليلا على هذه الدعاوى الثلث لان قوله بعد ظهور المعجزة حجة او لعله قد ذكر الحجج وما حكاها الله تعالى لانه قد علم
من القرآن ذم التقليد في مواضع كثيرة فيعلم ان نبي الله لا يامر قومه بالتقليد المحض وايضا قدم دلائل التوحيد والنبوة وصحة القرآن من اول سورة
البقرة الى ههنا غير مرة فوقع التعويل على ذلك هذا مع ان الحكم الثاني كالعلة للاول لانه اذا لم يكن لهم اله غيره كان كل ما حصل عندهم من وجوه النفع
والاحسان والبر واللطف حاصلا منه ونهاية الانعام توجب غاية التعظيم ومن هنا قال بعض العلماء لا يحسن منا عبادة الله تعالى قبل العلم بانه واحد
لانا اذا جوزنا التعدد لم يتعين المنعم فيقع العبادة ضائعا والاله معناه المستحق للعبادة والاوثان في الالهة غير معبود ومعنى الخوف في الاية قال بعضهم
الجزم واليقين فانه كان جازما بنزول العذاب بهم عاجلا او آجلا وقال اخرون الشك لانه كان يجوز ايمانهم ومع هذا التجويز كيف يجزم بالعذاب ولعل
السمع لم يرد بعد فلهذا كان متوقفا او لعله وصف العذاب على جواز ثم انه تردد في وصف العذاب لا في نفس العذاب وقيل المراد من الخوف
التحذير وجملة قوله اني اخاف بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون الاصنام فقال الملأ من قومه اي الاشراف وصدور المجالس
الذين هم بعض قومه في جواب نوح انا لنريك في ضلال في ذهاب عن طريق الحق والصواب مبين بين والرؤية رؤية القلب بمعنى الاعتقاد
والظن دون المشاهدة والبصر نسبوه الى الضلال فيما ادعاه من التكليف والتوحيد والنبوة والمعاد قال يا قوم ليس بي ضلالة لم يقل ضلال
ليكون ابلغ لعموم السلب كانه قال ليس بي نوع من انواع الضلال ثم لما نفى عن نفسه العيب الذي نسب اليه وصف نفسه باشرف الصفات واجلها
فاستدرك قائلا ولكني رسول من رب العالمين وهذا الاستدراك يسمى في علم البيان تاكيد المدح بما يشبه الذم وفي ذلك بيان فرط جهلهم
وعتوهم حيث وصفوا من هو بهذه المنزلة من الهدى بالضلال الظاهر الذي لا ضلال بعده وفيه ان مدح الانسان نفسه اذا كان في موضع
جائز ثم ذكر ما هو المقصود من البعثة وهو امران الاول تبليغ الرسالة والثاني تقرير النصيحة فقال ابلغكم الاية الجملة الاستيناف بيانا لكونه
رسولا من رب العالمين او صفة لرسول وانما جاز ان يكون صفة ولفظ الرسول غائب نظرا الى المعنى كقوله انا الذي سمتني امي حيدره رسالات
ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاولة او ما اوحي الي في المعاني المختلفة من الاوامر والنواهي وشرح مقاديره وان كان جائزا ولكن يقول انصح
لكم قال في الكشاف وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وحقيقة النصح الارشاد الى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه ومعنى
الاية وابلغكم تكاليف الله ثم ارشدكم الى الاصلح الاصوب ادعوكم الى ما دعاني الله تعالى واحب لكم ما احب لنفسي واعلم من الله ما لا تعلمون اي اعلم انكم
ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان وذلك انهم لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم او اعلم ان الله يعاقبكم في الاخرة عقابا او اعلم من توحيد الله من
صفات جلاله ما لا تعلمون يكون المقصود حمل القوم على ان يرجعوا اليه في طلب تلك العلوم او عجبتم الهمزة للانكار والمعطوف محذوف والتقدير اكذبتم
وعجبتم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال الحسن يعني الوحي الذي جاءهم به وقال اخرون الذكر المعجز كتابا او غير كتاب وقيل هو الموعظة على رجل اي على لسان
قال ابن قتيبة ونظيره اتنا ما وعدتنا على رسلك وقال الفراء على بمعنى مع تقول جاءنا الخير على وجهك كلاهما جائز وقيل بمعنى الى رجل ومعنى
منكم من بني نوعكم كانه استبعد وان يكون لله رسول الى خلقه لاعتقادهم ان المقصود من الارسال التكليف وان التكليف لا منفعة للمعبود لتعاليه
ولا للعابد لتضرره في الحال واما في المآل فالله تعالى قادر على تحصيله بدون واسطة التكليف وايضا ان العقل كاف لمعرفة الحسن والقبيح وما لا يعلم
حسنه ولا قبحه فان كان المكلف مضطرا اليه تركه حذرا عن الخطر ويعتقدون انه لا بد من الرسول فان ارسال الملائكة اولى لشدة بطشهم وقوة
عصمتهم وطهارتهم واستغنائهم عن الاكل والشرب والنكاح ويعتقدون جواز كون النبي من البشر فلعلهم اعتقدوا ان من كان فقيرا خاملا لا يصلح
للنبوة فانكر نوح عم كل هذه الاشياء لانه تعالى خالق الخلق فله بحكم الالهية ان يامر عباده ببعض الاشياء وينهاهم عن بعضها ولا يجوز ان يخاطبهم
بتلك التكاليف من غير واسطة لان ذلك ينتهي الى حد الالجاء المنافي للتكليف ولا يجوز ان يكون ذلك الرسول ملكا لان الجنس الى الجنس
اسكن وقد مر في اول الانعام ثم بين ما لاجله يبعث الرسول فقال لينذركم الاية وانه ترتيب انيق لان المقصود من البعثة الانذار والتقوى و
من التقوى الفوز برحمة الله قال الجبائي والكعبي في الاية دلالة على انه تعالى اراد من المبعوث اليهم التقوى ومن التقوى الجنة دون الكفر والعذاب
وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا فكذبوه في ادعاء النبوة وتبليغ التكاليف واصروا قال بعض العلماء ما في حق العقلاء من التكذيب فبغير
الباء نحو كذبوا رسلي وكذبوه وما في حق غيرهم فبالباء نحو كذبوا باياتنا والتحقيق ان المراد كذبوا رسلنا بردّ اياتنا فانجيناه والذين استقروا
معه في الفلك وانجيناهم في السفينة من الطوفان قيل كانوا اربعين رجلا وامراة وقيل كانوا تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن امن وانما
قال في سورة يونس فنجيناه ومن معه في الفلك لان التشديد للتكثير ولفظة من ادل على العموم وهذا يقع على الواحد والتثنية والجمع والمذكر
والمؤنث بخلاف الذين انهم كانوا قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقال اهل اللغة يقال رجل عمي

بالعظم
الضرورة
ذكر
ومع وجهل بهم
ومن الانذار

البصيرة واعمى في البصر العمي يدل على عمى ثابت على عمى حادث القصة الثالثة قصة هود وذلك قوله سبحانه والى عاد اخاهم هودا والتقدير
لقد ارسلنا نوحا الى قومه وارسلنا الى عاد اخاهم هودا انما كان اخاهم في الدين ثم قال الزجاج معناه انه كان من ادم ومن جنسهم لا من جنس الملئكة

وانسفوا على انه هودا

والجن وقيل اراد واحدا منهم قاله الكلبي وهو من قولك يا اخا العرب لواحد منهم وخص تعالى واحدا منهم بالارسال اليهم ليكونوا اعرف بحاله في صدقه
وامانته وقيل معناه صاحبهم ونسبه هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وهودا عطف بيان لاخاهم واما عاد فهم كانوا باليمن بالاحقاف
قال ابن اسحق والاحقاف الرمل الذي بين عمان الى حضرموت واعلم ان الفاظ هذه القصة بعضها يوافق الالفاظ المذكورة في قصة نوح وبعضها يخالفها
فلنبين اسرارها عن اسباب الجواب عن شبهاتهم لحظة واحدة واما هود فما كان حدته الى هذا الحد فلاجرم جاء بالتعقيب في قصة نوح دون قصة هود وواقعة
هود كانت مسبوقة بواقعة نوح فوقع الاقتصار على ذلك اي لعلكم تحذرون مثل ذلك العذاب العظيم الذي اشتهر خبره في الدنيا ومنها
قال الملأ من قومه ويمكن ان يقال انما اضمر في ارسلنا اضمر الفاء لان الداعي الى الالفاظ لفظ ارسلنا وفي الكشاف ان هذا وارد على سبيل الاستيناف
قصة هود قال الملأ الذين كفروا من قومه اما ان يكون هذا وصفا ورد للذم لا غير واما انه لم تكن في اشراف قوم نوح من يؤمن وكان في اشراف
قوم هود من امن به منهم مرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فاريد التفرقة بالوصف ومنها ان قوم نوح قالوا انا لنراك في ضلال مبين وقوم
هود قالوا انا لنراك في سفاهة اي متمكنا فيها تمكن المظروف من الظرف وذلك ان نوحا كان يخوفهم بالطوفان العام وكان يشتغل باعداد
السفينة مدة طويلة فوصفوه بضعف الرأي والبعد عن الصواب واما هود فما ذكر شيئا الا ان معتقدهم في عبادة الاصنام وطعن فيها فقابلوا
بمثله ونسبوه الى السفاهة وخفة العقل حيث فارق دين قومه ثم قالوا وانا لنظنك من الكاذبين في ادعاء الرسالة وقيل الظن بمعنى الجزم
واليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم قال الحسن والزجاج كانوا شاكين فيعلم منه ان الشاك والمجوز في اصول الدين يوجب

وقال هود وانا لكم

الكفر ومنها قول نوح وانصح لكم وقول هود ناصح وذلك لانه كان من عادة نوح عليه السلام العود الى تجديد تلك الدعوة في كل يوم وفي كل ساعة وصيغة الفعل
دالة على التجدد المستمر ولهذا قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى اخر الايات واما هود فكان ثابتا على النصح غير مجدد اياه لحظة فلحظة
كما كان يفعل نوح ثم ان نوحا عليه السلام قال اعلم من الله ما لا تعلمون لانه كان يعلم من اسرار الله تعالى ما لم يصل اليه هود فلاجرم امسك هود لسانه واقتصر على
وصف نفسه بكونه امينا ثقة اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فليس من حقي ان اتي بالكذب والغش او المراد تقريره للرسالة فانها تدور
على الامانة اي انا لكم ناصح فيما ادعو اليه امين على ما اقول لكم لا كذب فيه وفي هذين الجوابين عن مثل ذينك الشخصين مع جلالة قدرهما دليل
على ان الحكيم يجب ان لا يقابل السفهاء الا بالكلام المبني على الحلم والاغضاء ومنها ان هودا اقتصر على قوله لينذركم لما مر في قصة نوح ان فائدة الانذار
هو حصول التقوى الموجبة للرحمة فلم يكن حاجة الى الاعادة ولكنه ضم الى ذلك امرا يختص بهم فقال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم
في الارض وجعلكم ملوكا قد استخلفكم فيها بعدهم واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم واملاكهم وما يتصل بها من المنافع واذ مفعول به لا ظرف اي
اذكروا وقت جعلكم وزادكم في الخلق بسطة فالخلق التقدير قلما ينطلق الا على الشيء الذي له مقدار وحجمية والمراد حصول الزيادة في اجسامهم زيادة
خارقة للعادة والا لم تكن في معرض الامتنان قال الكلبي كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستون ذراعا وقال اخرون تلك الزيادة هو مقدار ما
يبلغه يد الانسان اذا رفعها كانوا يفضلون على اهل زمانهم بهذا القدر ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة في القوة ومنهم من حمل اللفظ على الزيادة
في القوة ومنهم من قال الخلق الخليقة وبسطتهم فيهم كونهم من قبيلة واحدة متشاركين في القوة والشدة والجلادة متناصرين متوادين فاذكروا
الاء الله في استخلافكم وبسطة اجرامكم وفيما سواهما من عطاياه والالاء النعم واحدها الى ونحوه اني وآناء كعنب واعناب قال ابن الجوهري واحدها الى
بالفتح وقد يكسر ويكتب بالياء استدل الطاعنون في وجوب الاعمال الظاهرة بالاية قالوا انه تعالى رتب حصول الفلاح على مجرد التذكر واجيب بان
الايات الدالة على وجوب العمل مخصصة او مقيدة والتقدير فاذكروا الاء الله واعملوا عملا يليق بتلك الانعام لعلكم تفلحون ذكرهم نعم الله
عليهم ليرجعوا الى عقولهم فيعلموا ان العبادة نهاية التعظيم ولا يليق الا ممن صدر عنه نهاية الانعام وليس للاصنام على الخلق شيء من النعم لانها

والجهاد

جماد لا قدرة لها اصلا فلم يكن للقوم جواب عن هذه الحجة الا التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم اجئتنا لنعبد الله وحده والهمزة للانكار
واستبعاد اختصاص الله وحده بالعبادة وفي المجيء وجوه منها ان يكون لهود معتزل يتحنث فيه اي يتعبد كما كان يفعل رسول الله صلعم بحراء قبل المبعث فلما اوحي
اليه جاء قومه يدعوهم ومنها الاستهزاء اعتقادا منهم ان الله لا يرسل الا الملائكة كأنهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك ومنها ان لا يراد به القصد
كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كأنهم قالوا تعرضت لنا بتكليف عبادة الله وحده اي منفردا عن الاصنام وهو من المعارف التي
وقعت موقع الاحوال ولا يمكن ان يكون وحده ههنا اعتراضا كما يقول الموحد لا اله الا الله وحده لان الفرض انهم مشركون ثم ان
قول هود فيما قبل افلا تتقون كان مشعرا بالتهديد والوعيد فلهذا استعجلوا العذاب زعما منهم انه كاذب وذلك قولهم فأتنا بما تعدنا
فاجابهم هود بقوله قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب ولا بد ان يحملا على معنيين متغايرين لمكان العطف اما الغضب في حقه تعالى فارادة
ايصال السوء كما سبق مرارا واما الرجس فضد التطهير كما قال سبحانه في صفة اهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا وقال القفال الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كما قال فزادتهم رجسا الى رجسهم وهذا التفسير اخص لما قوله قد

ووقع لا يقع العذاب بعد ففيه وجوه قال بعض من يقول بان ارادة الله تعالى حادثة معناه انه تعالى احدث ارادة فى ذلك الوقت وقيل اراد هو
انه اخبر بنزول العذاب وقيل جعل المتوقع الذى لا شك فيه بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب منك حاجة قد كان ذلك تريد انها ستكون البتة
وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء اباه يبكى فقال له يا بنى مالك فقال لسعنى طوير كانه ملتف فى بردى حبرة فضمه الى
صدره وقال يا بنى قد قلت الشعر ثم انكر عليهم قبيح فعالهم فقال اتجادلوننى فى اسماء تناظروننى فى شان الهة اشباح ما هى الا اسماء سميتموها انتم
انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اى لا حجة على حقيقتها فيه. والحاصل انها اسماء بلا مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها
معدوم ومحال سموا واحدا بالعزى مشتقا من العز وما اعطاه الله تعالى عزا اصلا وسموا آخر منها باللات من الالهية اثر وقال انما فى هذه السورة
وفى غيرها مما سيجيء انزل لان نزل للتكثير فيكون للمبالغة وجرى ما بعده مجرى التفصيل للجملة والله اعلم ثم انه ذكرهم وعيد المجدد فقال فَأَنْجَيْنَاهُ وَ
الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ بسبب رحمة كانوا يستحقونها مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اى استأصلناهم عن آخرهم وقدم مثله فى الانعام
وفائدة نفى الايمان عنهم فى قوله وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ مع اثبات التكذيب بآيات ربهم ان يكون تعريضا بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا
ولقد قطعنا دابر الذين كذبوا ولم يكونوا مثل من آمن منهم ومعنى وما كانوا مؤمنين فى علم الله تعالى اى لم يكونوا بعض من المكذبين اولو
بقوا لآمنوا قال فى الكشاف وان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمودا والهبا فبعث الله
هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس
كانوا اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج من ذلك عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح
وسيدهم معوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما نزلوا
على معوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم انزلهم واكرمهم كانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
قينتان كانتا لمعوية احديهما وردة والاخرى جرادة ولما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا لاجله اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالى
واصهارى وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحيى ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون
من قاله فقال معوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما ويسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما الهينمة اخفاء الكلام
فى الدعاء وغيره ومعنى يسقينا يجعله ساقيا لنا وقوله ما يبينون الكلام اى لا يكادون يفقهون قولا من ضعفهم وسوء حالهم فلما غنتا به قالوا
ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا يسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود
ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فلما
فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فتعبدوا الله فيها حتى ماتوا التأويل
لقد ارسلنا نوح الروح الى قومه بلاد القوالب وهم القلب وصفاته والنفس وصفاتها ومن صفة الروح العبودية والطاعة دعوة القلب
والنفس وصفاتها الى الله وعبوديته ومن صفات النفس تكذيب الروح ومخالفته والاباء عن نصحه والتعجب فكذبه بواعث النفس وصفاتها نوح الروح فا
فانجيناه والذين معه فى الفلك الشريعة واغرقنا النفس وصفاتها فى بحر الدنيا وشهواتها انهم كانوا قوما عمين عن رؤية الله والوصول اليه
وزادكم فى الخلق بسطة كما وقع التفاوت بين الشخص وشخص فيما يعود الى المبانى اوقع التباين بين قوم وقوم فيما يرجع الى المعانى قد وقع عليكم من ربكم رجس غضب اه
مقالتكم تدل على حالتكم انه اصابكم سطوات العذاب فمن امارات الاعراض رد العبد الى شهود الاغيار وتفريقه اياه فى بحار الظنون والاوهام والخيالات

وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً

و فرستاديم بسوى ثمود كه از ايشان بود صالح نام گفت اى قوم پرستيد خدا را نيست شما را خدايى جز او هر آينه آمد شما را حجتى از پروردگار شما اين است ناقه خدا از براى شما نشانه

فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَ

پس واگذاريد او را كه بخورد در زمين خدا و ملاقات مكنيد او را ببدى پس فرا گيرد شما را عذابى دردناك و ياد آوريد وقتى را كه گردانيد شما را جانشينان از بعد قوم عاد و

بَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

منزل داد شما را در زمين كه فرا ميگرفتيد از دشتان قصرها و ميتراشيديد كوهها را از جهة خانه پس ياد كنيد نعمتهاى خدا را و حركت مكنيد در زمين

مُفْسِدِينَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا

فساد كنندگان گفتند بزرگان آنان كه سركشى كردند از قوم او مر آنهايى را كه ناتوان بودند مر آنهايى را كه ايمان آورده بودند از ايشان آيا دانيد كه صالح

مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ

فرستاده شده است از پروردگار خويش گفتند ما بآنچه فرستاده شده بآن گرويدگانيم گفتند آنان كه سركشى كردند ما بآنچه گرويده ايد بآن كافرانيم

فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ

پس پى كردند شتر را و در گذشتند از فرمان پروردگار خويش و گفتند اى صالح بيار بر ما آنچه وعده ميدهى ما را اگر هستى از پيغمبران

نزل
او انواع العذاب
كانه قيل لهم
ع ٧

فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ

پس فرا گرفت ایشانرا عذاب پس صبح کردند در خانها و منزلهای خود زانو زدگان پس رو گردانید از ایشان و گفت ای قوم هر آینه رسانیدم بشما پیغام

رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَ

پروردگار مرا و پند دادم شما را ولیکن دوست ندارید پند دهندگان را و لوط را چون گفت مر قوم خود را آیا می آیید بفعل زشتی که پیش نکرده است آنرا هیچکس از عالمیان

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ

بدرستی که شما می آیید مردان را از غلبه شهوت از غیر زنان بلکه شما گروهی زیاده روانید و نبود پاسخ قوم او مگر اینکه گفتند بیرون کنید ایشانرا از

قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِ

ده خود که ایشان مردمانند پاکیزه پس رهانیدیم او را و اهل او را مگر زنش که بود از بازماندگان و باراندیم بر ایشان باران پس بنگر که چگونه است عاقبه گناهکاران

القراءة وقال الملأ بالواو ابن عامر انكم بحذف همزة الاستفهام ابو جعفر ونافع وحفص سهل أئنكم بهمزتين ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص هشام يدخل بينهما مدة أانكم بالمد وبالياء ابو عمرو ويزيد ايكم بالهمزة والياء ابن كثير ويعقوب غير يزيد الوقوف صالحا لئلا يظن ان صالحا صفته لا علم فالجملة بعده نعت له وهذا بخلاف اسم شعيب غيره من الاعلام العربية غيره وطمن تكبوا اليهم بيوتا المكاني قصة هود بن بسطة مفسر من ربه مؤمنون كافرون المرسلين جاثمين ناصحين من العالمين من دون النساء لمكان الاضراب مسرفون من قريتكم لاحتمال التعليل استهزاء الا امراته لاحتمال الاستئناف والاشبه انها حال المرأة من الغابرين مطرا المجرمين لتفسير القصة الواضحة قصة صالح مع قومه ثمود قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وانه لا ينصرف تارة بتاويل القبيلة وينصرف اخرى بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عاد بن ارم بن سام بن نوح وقيل ان ثمود اخ جديس وطسم وقد ورد القران بالصرف وبمنعه جميعا قال تعالى الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود قد جاءتكم بينة اية ظاهرة دالة على صحتي وكانه قيل ما تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية وانتصابها على الحال والعامل فيها ما في اسم الاشارة او حرف التنبيه من معنى الفعل اي اشير اليها او انبه عليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة للايمان وهم ثمود وسبب تخصيص اولئك الاقوام بها مع انها اية لكل احد انهم عاينوها وغيرهم اخبروا بها وليس الخبر كالمعاينة او لعله سبقت سائر المعجزات الا ان القوم التمسوا هذه المعجزة بعينها على سبيل الاقتراح فاظهرها الله تعالى لهم فلهذا حسن التخصيص وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها حيث جاءت مكونة من عنده من غير فحل وطروقة اية من اياته كما يقول اية الله وبيت الله وبالحقيقة هي اية تشتمل على ايات خروجها من الجبل اية وكونها لا من ذكر وانثى اية وكمال خلقها من غير تدريج ومهل اية ان لها شرب يوم ولجميع ثمود شرب يوم اية وكذا الكلام في قوتها الماسة للماء وفي غزارة لبنها وانكر الحسن فقال انها لم تحلب قطرة لبن قط ويروى ان جميع الحيوانات كانت تمتنع عن الورود في يوم شربها وقيل سميت ناقة الله لانه لا مالك لها سوى الله تعالى وقيل لانها حجة الله على القوم فذروها تاكل في ارض الله اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فدعوها تاكل في ارض ربها وتما انبتت منها ولا تمسوها بسوء من الضرب والطرد وسائر انواع الاذى اكراما لاية الله فياخذكم عذاب اليم يعني اخذ الاستئصال والاستيصال واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد تفسيره كما في قصة هود وبواكم في الارض انزلكم فيها والمباءة المنزل والارض ارض الحجر تتخذون من سهولها اي تبنون من سهولة الارض قصورا بما تعملون من الاراضي السهلة لبنا واجرا ودهصا وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة كما تقول خط هذا الثوب قميصا في حال الخياطة ويجوز ان يكون من مقدرة اكتفاء بقوله من سهولها كما ان في موضع اخر تنحتون من الجبال بيوتا فارهين فيكون منصوبا على انه مفعول به وقيل المراد انهم كانوا يسكنون السهول في الشتاء وفي الصيف الجبال في الشتاء فاذكروا الاء الله يعني اني قد ذكرت لكم بعض نعم ربكم فاذكروا انتم تمامها ولا تعثوا في الارض مفسدين قيل نهي عن عقر الناقة والاولى حمله على العموم واعرابه قد مر في اوائل سورة البقرة قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا اي المساكين الذين استحقرهم رؤساء الكفار وقوله لمن امن منهم بدل من قوله للذين استضعفوا باعادة الجار لشدة الاتصال والضمير في منهم اما ان يرجع الى الذين استضعفوا فيكون البدل بدل البعض ودل على ان المستضعفين فرقتان مؤمنون وكافرون واما ان يرجع الى قومه فيكون البدل بدل الكل ودل على ان الاستضعاف من شان اهل الايمان يستضعفهم المستكبرون ولا يكون صفة ذم في حقهم وانما الذم يعود الى المستحقرين وفي الاية دلالة على ان الفقر خير من الغنى لان الاستكبار يتولد من كثرة المال والجاه والتصديق والانقياد ينشا من قلتهما اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه على سبيل التهكم والسخرية لا الاستعلام والاسترشاد قالوا انا بما ارسل به مؤمنون جعلوا ارساله امرا بينا مكشوفا مسلما لا يدخله ريب انما الكلام في وجوب الايمان فجزموا انا به مؤمنون ولذلك قال الذين استكبروا في جوابهم انا بالذي امنتم به كافرون فعقروا الناقة قال الازهري العقر عند العرب كشف عن قوت البعير ثم اطلق على النحر اطلاقا لاسم السبب على المسبب واسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم مع انه ما باشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة العظيمة انتم فعلتم كذا ولعله ما فعله الا واحد منهم كقوله واذ قتلتم وعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله قال مجاهد العتو الغلو في الباطل وامر ربهم شانه اي دينه المراد امره صالحا

لا ينصرف الا بعلتين من تسع العلل الفرعية لا السوى الثبت معا

من قوله فذروها ولا تمسوها والعقر مرتبا عليه بتركها كان هو السبب في عتوهم فان الانسان حريص على ما منع وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت
من المرسلين اطلقوا الوعد اراد واما وعدهم من العذاب الاليم واستعجالهم العذاب انما كان لاجل تكذيبهم لكل ما اخبر عنه من الوعد والوعيد
ولذلك علقوه بما كانوا ينكرونه وهو كونه من المرسلين فاخذتهم الرجفة قال الفراء والزجاج هي الزلزلة الشديدة قال تعالى يوم ترجف الارض
والجبال قال الليث هي كرجفان البعير تحت الرجل وكما ترجف الشجرة اذا ارجفتها الريح وهذا لا ينافي ما ورد في موضع اخر انهم اهلكوا بالطاغية
وفي اخر انهم اهلكوا بالصيحة لان الطغيان مجاوزة الحد قال تعالى انا لما طغى الماء حملناكم فالزلزلة هي الحركة الخارجة عن الحد المعتاد والغالب ان الزلزلة
لا تنفك عن الصيحة الهائلة واصبحوا في دارهم اي في بلدهم كقولك دار الحرب ودار الاسلام وقد جمع في اية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد بالدار لكل
واحد منزله الخاص الا انه حيث ذكر الرجفة وحد وحيث ذكر الصيحة جمع لان الصيحة كانها من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة ومعنى جاثمين
موتى لا حراك بهم قال ابو عبيد الجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للابل فجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال سكونه بالليل ومنه
المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى فتولى عنهم الفاء للتعقيب فالظاهر انه ادبر عنهم بعد ما ابصرهم جاثمين تولي متحسر
على ما فاته من ايمانهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وحد الرسالة بخلاف ما مر في قصتي نوح وهود لان المراد هناك اشياء
كان يأمر بها قومهما بعد الايمان بالله وههنا وقع في اخر القصة فاراد بها مجموع ما ادى من الرسالة او اراد بذلك اداء حديث الناقة
فقط ونصحت لكم اي اجتهدت في النصيحة ولكن لا تحبون الناصحين حكاية الحال الماضية واعترض على هذا التفسير بانه كيف يصح خطاب الموتى
واجيب بانه قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يصغ اليه يا اخي كم نصحتك وكم قلت فلم تقبل مني حتى القيت بنفسك الى التهلكة والفائدة
في مثل هذا الكلام ان يسمعه بعض الاحياء فيعتبر به او لعل القائل انما يتسلى بذلك وتزول بعض الغصة عن قلبه ويخف عليه ما نزل به وانه قد روي
انه صلى الله عليه وآله وقف على قليب قتلى بدر وقال يا فلان ويا فلان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل له كيف
تكلم مع هؤلاء الجيف فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الجواب تفسير اخر وهو ان يكون توليه عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم
حين راى العلامات قبل نزول العذاب وجملة قصتهم ما روي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض فكثروا وعمروا
اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا عن امر الله و
افسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم
مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسألوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب
لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسألوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية
الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح
عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا
وكانت في غاية العظم حتى قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة يعني موضع بروكها فوجدته ستين ذراعا ثم نتجت ولدا مثلها
في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع بقاياهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة وولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا
كما قال عز من قائل لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وذلك لان الماء كان عندهم قليلا فجعلوا ذلك الماء بالكلية شربا لها يوما وشربا للقوم يوما
قال السدي وكان الناقة في اليوم الذي تشرب فيه الماء تحلب فيكفي الكل فكانها كانت تصب اللبن صبا وفي اليوم الذي يشربون الماء لا تاتيهم
وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطن الوادي واذا وقع البرد كان الامر بالعكس فشق ذلك عليهم وقال لهم صالح
يولد في شهركم هذا غلام يكون هلاككم على يديه فذبحوا تسعة نفر من ابنائهم ثم ولد للعاشر فابى ان يذبح ابنه فنبت نباتا سريعا ولما كبر الغلام
هل لكم في ان اعقر هذه الناقة فشد عليها فلما بصرت به شدت عليه فهربت منها الى جانب صخرة فزحموها عليه فلما مرت به تناولها فعقرها
فسقطت فذلك قوله تعالى فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر واظهروا كفرهم وقيل زينت لهم عقرها امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت
الناقة بمواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال
لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم
مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوه ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتاهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا واستبعد بعضهم ان
العاقل مع مشاهدة المعجزات والعلامات يبقى مصرا على كفره واجيب بانهم عند مشاهدة العلامات خرجوا عن حد التكليف وان يكون توبتهم
مقبولة عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم
الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه وروي ان نبينا صلى الله عليه وسلم مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون من هذا قالوا الله
ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن وروي ان عاقر الناقة كان

لما استعجلوا وان استعجب لنا
الكاثبة
فقال الغلام



يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الآخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك. القصة الخامسة قوله سبحانه وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ تقديره ارسلنا لوطا وقت قال لقومه ويجوز ان يكون معناه واذكروا لوطا اذ قال على ان اذ بدل من المفعول به لا ظرف وانما صرف نوح ولوط مع ان فيه سببين العجمة والعلمية لان سكون وسطه قاوم احد السببين أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ اتفعلون الخصلة المتمادية في القبح ما سبقكم بها قال في الكشاف الباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله اي ما عملها قبلكم قلت ومن المحتمل ان يكون الباء فيه مثلها في قولك كتبت بالقلم او في قوله تنبت بالدهن اي ما سبقكم ملتبسا بها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ من الاولى زائدة لتاكيد النفي وافادة الاستغراق والثانية للتبعيض وموقع هذه الجملة استيناف لانه انكر عليهم اولا بقوله أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها وهو جواب سؤال مقدر كانه قيل لم لا نأتيها فقال مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به ويجوز ان يكون صفة الفاحشة كقوله وَلَقَدْ أَمُرُّ عَلَى اللَّئِيمِ يَسُبُّنِي وهاهنا سؤال وهو انه كيف يجوز دعوى عدم السبق بهذه الخصلة ولم تزل الشهوة داعية اليها والجواب لعل متقدميهم كانوا يستقذرونها ويتنفرون عنها طبعا كسائر الحيوانات او المراد الاقبال بالكلية على ذلك لعله لم يوجد في الاعصار المتقدمة قال الحسن كانوا ينكحون الرجال في ادبارهم وكانوا لا ينكحون الا الغرباء وقال عطاء عن ابن عباس استحكم ذلك فيهم حتى فعل بعضهم ببعض إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ بيان لما اجمله في قوله أتأتون الفاحشة وكلا الاستفهامين للانكار وفي الثاني اكثر ولهذا زيد فيه ان و مثله في النمل تأتون الفاحشة أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ فجمع بين ان والاستفهام لانه آخر القصة انا منجوك إِنَّا مُنْزِلُونَ وانتصب شَهْوَةً على انها مفعول له اي لا حاصل لكم على غشيان الرجال من دون النساء الا مجرد الشهوة او مصدر وقع حالا اي مشتهين شهوة بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحالة الموجبة لارتكاب القبائح وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء وختم هذه الآية بلفظ الاسم موافقة لرؤس الآيات التي تقدمت وهي العالمين الناصحين جاثمين المرسلين وفي النمل قال بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ اما العدول من الاسراف الى الجهل فلتغير العبارة وكل اسراف جهل وكل جهل اسراف واما العدول من الاسم الى الفعل فليتوافق ما قبلها من الآيات و وكلها افعال تبصرون تتقون يعلمون واعلم ان قبح هذا العمل كالامر المقرر في الطباع ووجوه القبح فيه كثيرة منها ان اكثر الناس يحترزون فيه عن الولد لان الولد يحمل المرء على طلب المال واتعاب النفس في وجوه المكاسب الا انه تعالى جعل الوقاع سببا لحصول اللذة العظيمة حتى ان الانسان يطلب تلك اللذة ويقدم على الوقاع وح يحصل الولد شاء ام ابى وبهذا الطريق يبقى النسل ولا ينقطع النوع فوضع اللذة في الوقاع يشبه وضع الشيء الذي يشتهيه الحيوان في الشبكة والغرض ابقاء النوع الانساني الذي هو اشرف الانواع فكل لذة لا يؤدي الى هذا الغرض وجب الحكم بتحريمها لما فيه من ضياع البذر ولزوم خلاف الحكمة ومنها ان الذكورة مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فانعكاس القضية يكون خروجا عن مقتضى الطبيعة والحكمة ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة تشبه بالبهائم وخروج عن الغريزة الانسانية وهبت الفاعل يلتذ بذلك العمل الا انه سعى في الحاق العار العظيم بالمفعول الى حيث يقدم المفعول على قتل الفاعل او على الحاق الضرر به بكل طريق يقدر عليه وذلك لتنفر طبعه عن رؤيته واما حصول هذا العمل بين الرجل والمرأة فانه يوجب زيادة الالفة والمحبة كما قال خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ومنها انه تعالى اودع في الرحم قوة جاذبة للمني بحيث لا يبقى شيء منه في مجاريه واوعيته اما اذا واقع الذكر فانه يبقى شيء من اجزاء المني في المجاري فيعفن و يفسد ويتولد منه العلل والاورام في الاسافل كما يشهد به القوانين الطبية قال بعضهم وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ يقتضي حل وطء المملوك مطلقا ذكرا كان او انثى ولا يمكن تخصيص هذا العموم بقوله أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ لان كلا من الآيتين اعم من الاخرى من وجه لان المملوك قد يكون ذكرا وقد لا يكون والذكر قد يكون مملوكا وقد لا يكون فتخصيص احدهما بالاخرى ترجيح من غير مرجح بل الترجيح لجانب الحل لمقتضى الاصل ولان المالك مطلق التصرف ولان شرع محمد اولى من شرع لوط واجيب بان الاعتماد على التواتر الظاهر من محمد صلى الله عليه وسلم ان هذا العمل حرام قال وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ بالواو وكيلا يكون التعقيب بالفاء بعد الاسم وفي النمل والعنكبوت فَمَا كَانَ وفي العنكبوت وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فما كان فصح تعقيب الفعل الفعل إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ وفي النمل أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ ليكون ملائما للنمل تفسير الهاء الكناية وقيل ان سورة النمل نزلت قبل الاعراف فيكون قد صرح في الاولى وكنى في الثانية سؤال في الكشاف يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة ووسمهم بصفة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بكلام آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونه من وعظهم ونصحهم قولهم إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشيطان من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف واريحونا من هذا المتزهد وقيل المراد ان ذلك العمل في موضع النجاسة فمن تركه فقد تطهر وقيل ان البعد عن الاثم يسمى

طهارة فالمراد انهم يتباعدون عن المعاصي والآثام فَاَنْجَيْنٰهُ وَاَهْلَهٗۤ اي انصاره واتباعه والذين قبلوا دينه وعن ابن عباس واد المتطهر
بمعنى التشبه بهم قيل قوله اِلَّا امْرَاَتَهٗ يقال امرأة الرجل اي زوجته ولا يقال مرأة يعني زوجها لان المالكية حق الزوج كَانَتْ مِنَ الْغٰبِرِيْنَ
وفي النمل قدرناها من الغابرين اي كانت في علم الله من الغابرين فقدرناها من الغابرين وان قلنا بتاخر نزول الاعراف فالمعنى قدرناها
من الغابرين فصارت من الغابرين والغبور المكث والبقاء اي من الذين بقوا من ديارهم وهلكوا او التذكير لتغليب الذكور وكانت كافرة
موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت ثم وصف العذاب فقال اَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَّطَرًا اي ارسلنا عليهم نوعا من المطر
عجيبا قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين
منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى
قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع فَانْظُرْ يا محمد صلى الله عليه وعلى اله وكل من له اهلية الاعتبار كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِيْنَ وهذه الاية وان اثبتت من
عذاب الاستيصال الا ان الخوف والاعتبار من شيمة المؤمن لا ينبغي ان ينفك عنه على ان عذاب الاخرة اشد وابقى لمن لم يؤمنوا بعد مسائل من
الشافعي ان اللواط يوجب الحد لانه ثبت في شريعة لوط فالاصل بقاؤه الى ان يظهر الناسخ ولم يظهر نسخ في شرعنا ولان ذكر الحكم عقيب الوصف
المناسب يدل على علية الوصف للحكم فالاية دلت على ان هذا الجرم المخصوص علة لحصول هذا الزاجر المخصوص قال ابو حنيفة ان الواجب فيه التعزير لانه
فرج لا يجب المهر بالايلاج فيه فلا يجب الحد كاتيان البهيمة وعلى الاول في عقوبة الفاعل قولان احدهما ان عقوبته القتل محصنا كان او لم يكن
لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول واصحهما ان حده حد الزنى فيرجم ان كان محصنا ويجلد
ويغرب ان لم يكن محصنا لانه حد يجب بالوطي فيختلف فيه البكر والثيب كالاتيان في القبل وعلى قول القتل فيه وجوه احدها يقتل بالسيف
كالمرتد والثاني وبه قال مالك واحمد يرجم تغليظا ويروى عن علي عليه السلام والثالث يهدم عليه جدار او يرمى من شاهق ليموت اخذا في عذاب
قوم لوط واما المفعول فان كان صغيرا او مجنونا او مكرها فلا حد عليه ولا مهر لان منفعة بضع الرجل لا تتقوم وان كان مكلفا طائعا فيقتل بما يقتل
به الفاعل ان قلنا ان الفاعل يقتل وان قلنا يحد حد الزنى فيجلد ويغرب محصنا كان او لم يكن وان اتى امرأة في دبرها ولا ملك ولا نكاح فا
لاظهر انه لواط لانه اتيان في غير المأتى ويجب على الفاعل والمفعول ما ذكرنا وقيل انه زنى لانه وطي انثى فاشبه الوطي في القبل فعلى هذا حده حد
الزنى بلا خلاف وترجم المرأة ان كانت محصنة واذا لاط بعبده فهو كالاجنبي على الاصح ولو اتى امرأته وجاريته في الدبر فالاصح القطع بمنع
الحد لانها محل استمتاعه بالجملة التاويل هذه ناقة الله معجزة الخواص ان يخرج لهم من حجارة القلب ناقة السر عشراء تشعب سر السر وهو الخفي و
ناقة الله هي التي تحمل امانة معرفته ويعطي ساكني بلد القالب من القوى والحواس لبن الواردات الالهية فذروها ترتع في رياض القدس وحياض الانس
ولا تمسوها بمخالفات الشريعة ومعارضات الطريقة فيأخذكم عذاب اليم بالانقطاع عن المواصلات الحقيقية اذ جعلكم خلفاء مستعدين
للخلافة وبوأكم في ارض القلوب تتخذون من سهولها وهي المعاملات بالصدق والاخلاص قصورا في الجنان والجنان تنحتون من جبال اطوار القالب
بيوتا هي مقامات السائرين الى الله فاذكروا الاء الله النعماء والاخلاص فالاول يتضمن ترويح الظاهر والثاني يوجب تلويح السر فالترويح بوجوه المبار و
التلويح بشهود الاسرار ولا تعثوا في الارض القلب بالفساد لاستعداد الفطرة الذين استكبروا هم الاوصاف البشرية والاخلاق الذميمة الذين استضعفوا
من اوصاف القلب والروح وتعلمون ان صالح الروح مرسل بنفخة الحق الى بلد القالب ساكنيه ليدعوهم من الاوصاف السفلية الظلمانية
الى الاخلاق العلوية النورانية فعقروا اي النفس وصفاتها ناقة سر القلب بسكاكين مخالفات الحق فاخذتهم رجفة الموت فاصبحوا في دارهم جاثمين والله اعلم

وَاِلٰى مَدْيَنَ اَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِّنْ اِلٰهٍ غَيْرُهٗ قَدْ جَاۤءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَاَوْفُوا الْكَيْلَ
وفرستادیم بسوی مدین یکی از ایشان شعیب را گفت ای قوم پرستید خدا را نیست شما را خدائی بجز او هر آینه آمد شما را نشانه ظاهر از پروردگار شما پس تمام کنید پیمانه
وَالْمِيْزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ اَشْيَاۤءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوْا فِي الْاَرْضِ بَعْدَ اِصْلَاحِهَا ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ وَلَا تَقْعُدُوْا بِكُلِّ
وترازو را و کم مکنید مردم را چیزهای ایشان را و تباهی مکنید در زمین پس از اصلاح آن این بهتر است برای شما اگر باشید مومنان و منشینید بر هر
صِرَاطٍ تُوْعِدُوْنَ وَتَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ مَنْ اٰمَنَ بِهٖ وَتَبْغُوْنَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوْۤا اِذْ كُنْتُمْ قَلِيْلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوْا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
راهی وعده و وعید میدهید و باز میدارید از راه خدا هر کرا که گروید بخدا و میجوئید از برای آن کجی را و یاد کنید وقتی را که بودید کم پس بسیار گردانید شما را و بنگرید که چگونه بوده عاقبت
الْمُفْسِدِيْنَ وَاِنْ كَانَ طَاۤئِفَةٌ مِّنْكُمْ اٰمَنُوْا بِالَّذِيْۤ اُرْسِلْتُ بِهٖ وَطَاۤئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوْا فَاصْبِرُوْا حَتّٰى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحٰكِمِيْنَ قَالَ
مفسدان را و اگر بوده اند گروهی از شما که گرویده اند بآنچه فرستاده شده ام بآن و گروهی نگرویده اند پس شکیبائی کنید تا داوری کند خدا میان ما و او بهترین داورانست گفت
الْمَلَاُ الَّذِيْنَ اسْتَكْبَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ لَنُخْرِجَنَّكَ يٰشُعَيْبُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَاۤ اَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِيْ مِلَّتِنَا قَالَ اَوَلَوْ كُنَّا كٰرِهِيْنَ
بزرگان آنان که گردنکشی کردند از قوم او هر آینه بیرون کنیم ترا ای شعیب و آنها را که گرویدند با تو از ده ما یا اگر نه برگردید در طریقه ما گفت آیا اگرچه باشیم کارهان
قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا اِنْ عُدْنَا فِيْ مِلَّتِكُمْ بَعْدَ اِذْ نَجّٰىنَا اللّٰهُ مِنْهَا وَمَا يَكُوْنُ لَنَاۤ اَنْ نَّعُوْدَ فِيْهَاۤ اِلَّاۤ اَنْ يَّشَاۤءَ اللّٰهُ
بحقیقت بربافته ایم بر خدا دروغ را اگر برگردیم در طریقه شما پس از آنکه نجات داد خدا ما را از آن و سزاوار نیست ما را که برگردیم در آن مگر آنکه بخواهد خدا

رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا

پروردگار ما فرا گرفت پروردگار ما همه چیز را از روی دانش بر خدای توکل کردیم پروردگارا بگشای در میان ما و میان قوم ما بحق و تو بهترین گشایندگانی و گفتند بزرگان آنان که کافر شدند

مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ

از قوم او که اگر پیروی کردید شعیب را شما آنگاه هر آینه زیانکارانید پس فرا گرفت ایشان را عذاب پس صبح کردند در خانهای شان بر زانو زده آنان که تکذیب کردند شعیب را گویا

لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ

که نیارمیده بودند در وی آنان که تکذیب کردند شعیب را بودند ایشان زیانکاران پس روی گردانید ازیشان و گفت ای قوم تحقیق که رسانیدم بشما پیغامهای پروردگار را و پند دادم شما را پس چگونه اندوه خورم بر گروه کافران

ع

القراءة كامر الوقوف شعيبا غير اصل الجملة مؤمنين لعطف المتفقين او قوع العارض بين الاية وجاج لاتفاق الجملتين مع طول الكلام وكثرة العطف المتفقين المفتقد بيننا لاحتمال الواو الحال والاستيناف لحاكين الجزء التاسع ملتنا ط كارهين قيل لا وقف لان الابتداء بقوله قد افترينا قبيح قلنا اذا كان محكيا عن شعيب كان اقبح ولكن الكلام معلوم بشرط بعقبه منها الله ربنا علما توكلنا للعدول الفاتحين لخاسرون جاثمين ج ان يوصل وقف على كان لم يغنوا حال لمعنى الفعل في الجاثمين وان جعل الذين مبتدأ خبره كان لم يغنوا وقف على جاثمين وعلى فيها ومن لم يقف على فيها وجعل الذين بدلا عن الذين الاول وقف على شعيب او يستانف بكانوا ولا بخ من تعسف الخاسرين ونصحت لكم لان كيف للتعجب فيصلح للابتداء مع ان فيه فاء التعقيب كافرين والله اعلم التفسير القصة التاسعة قصة شعيب ومدين اسم البلد وقيل اسم القبيلة لانهم شعيب موبر مدين بن ابراهيم خليل الرحمن وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وذلك انه امرهم باشياء الاول عبادة الله امرهم بها ونهاهم عن عبادة غير الله وهذا اصل معتبر في شرائع جميع الانبياء الثاني تصديقه في ما ادعاه من النبوة واشار اليه بقوله قد جاءتكم بينة اى معجزة دالة على نبوتي ففي الاية دلالة على ان لشعيب معجزة ظاهرة كما ينبغي لكل مدعى نبوة والا كان متنبيا غير ان معجزته لم يذكر في القرآن كما لم يذكر اكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وآله فيه يحكى انه دفع الى موسى عصاه وتلك العصا كانت عصا النبيين وايضا قال لموسى ان هذه الاغنام تلد اولادا عنقها اسود وسائرها ابيض وقد وهبتها منك وكان الامر كما اخبر وكل ذلك قبل ان يستنبأ موسى فقال اهل السنة ان هذه الامور علامات نبوة موسى وتسمى ارهاصا وقالت المعتزلة انها معجزات شعيب بناء على ان الارهاص عندهم غير جائز الثالث قوله فاوفوا الكيل الاية واعلم ان للانبياء ان يبدأوا في الموعظة بما يكونون مقبلين عليه وكان قوم شعيب مشغوفين بالبخس والتطفيف وكان يقول البخس عبارة عن الخيانة بالشيء القليل وهو امر مستقبح في العقول ومع ذلك فقد جاءت البينة والشريعة الموجبة لتحريمه فلم يبق لكم فيه عذر فاوفوا الكيل والميزان قال في الكشاف لم يقل المكيال والميزان كما في سورة هود لانه اراد بالكيل الة الكيل وهو المكيال او سمى ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد فاوفوا الكيل ووزن الميزان او الميزان مصدر كالميعاد والميلاد الرابع ولا تبخسوا الناس اشياءهم يقال بخسه حقه اذا نقصه اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي المثل تحسبها حمقاء وهي باخس قال تغلب ان شئت قلت باخسة وذلك يتناول الانسان والبهيمة يضرب لمن لا يعبأ به وفيه دهاء وجربزة خص اولا ثم عمم ليشتمل جميع انواع الضيم كالغصب والسرقة واخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الاموال بوجوه الاحتيال وروي انهم كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه وكانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا الخامس ولا تفسدوا في الارض وهذا اعم من البخس لشموله الاموال والاعراض والنفوس وكل ما يوجب مفسدة ونبوة والمعنى بعد صلاح اهلها على حذف المضاف او كقوله بل مكر الليل والنهار اي بعد لا اصلاح فيها بعث الصالحين من الانبياء ومتابعيهم العاملين بشرائعهم ذلكم الذي ذكر من الامور الخمسة خير لكم في الانسانية وحسن الاحدوثة وزيادة البركة لرغبة الناس في متاجرتكم عند اشتهاركم بالامانة والديانة ولا يخفى ان حاصل هذه التكاليف الخمسة يرجع الى التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله ان كنتم مؤمنين مصدقين لي في قولي ثم فصل بعض ما اجمل فقال ولا تقعدوا بكل صراط وحقيقة ذلك انهم كانوا يجلسون على الطرق والمراصد كما كانت تفعل قريش بمكة يخوفون من امن بشعيب يقولون انه كذاب لا يفتنكم عن دينكم او كانوا يقطعون الطريق او كانوا عشارين وقيل انه مجاز وهم الذين قعدوا على طريق الدين ومنهاج الحق لاجل ان يمنعوا الناس عن قبوله اقتداء بالشيطان حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ودليل هذا المجاز قوله وتصدون عن سبيل الله يقال قعد بمكان كذا اى لصق به وعلى مكان كذا اى على ذلك المكان وفيه اذا احل فحروف الجر يتعاقب في مثل هذا الموضع لتقارب معانيها ومحل توعدون وما عطف عليه نصب على الحال نهاهم عن القعود على صراط الله حال الاشتغال باحد هذه الافعال وانما قال بكل صراط مع ان صراط الحق واحد لانه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كثيرة كل منها نفس سبيل وكانوا اذا راوا احدا يشرع فيها اوعدوه وصدوه والضمير في به راجع الى كل صراط والتقدير توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التقبيح والتفظيع ومعنى وتبغونها عوجا تطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها معوجة وذلك بالقاء الشكوك والشبهات قال في الكشاف ويكون تهكما بهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج ثم ذكرهم نعم الله تعالى لان ذكر النعم مما يحمل على الطاعة ويبعد عن المعصية فقال واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم قال الزجاج يحتمل كثرة العدد بعد القلة وكثرة القدرة والشدة بعد الضعف والذلة قيل ان مدين بن ابرهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء وصاروا كثيرا في العدة والعدة والشدة ثم حذرهم سوء

عاقبة من افسد قبلهم من الامم وكانوا قريبي العهد مما اصاب المؤتفكة فقال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ردعهم اولا ورهبهم ثانيا واكد الترهيب بقوله وان كان طائفة الاية وفيه وعيد للكافرين ووعد للمحقين المؤمنين وحث لهم على الصبر على ما يلحقهم من اذى المشركين الى ان يحكم بمقتضى العدل والحكمة خير الحاكمين ثم حكى جواب قومه المجوجين المستكبرين وذلك قولهم لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم الى الكفر وههنا سؤال وهو ان الكفر على الانبياء محال فكيف يتصور العود وهب ان قول الكفار ليس بحجة اليس قول شعيب حجة حيث قال ان عدنا في ملتكم واجيب بان الكلام بني على التغليب وان شعيبا اراد عود قومه الا انه نظم نفسه في جملتهم لما ذكرنا ولعل رؤساءهم قالوا ذلك تلبيسا على العوام وشعيب اجرى كلامه على وفق ذلك كان او ان العرم يخفي من صبح فتوهموا انه على دينهم او اريد بالملة الشريعة التي صارت منسوخة بشرعه او يطلق العود على الابتداء كقوله وان يكن الايام احسن مرة الى فقد عادت لهن ذنوب قال شعيب في جوابهم اولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام والواو للحال والتقدير لا نعيدوننا في ملتكم وحال كراهيتنا ثم صرح بانه لا يفعل ذلك فقال قد افترينا على الله كذبا ان فعلنا ذلك وذلك ان اصل الباب في النبوة والرسالة الصدق والتبري والبراءة عن الكذب والعود في ملتكم بما في ذلك ومعنى قوله بعد اذ نجانا الله منها بعد ان علمنا قبحه وفساده ونصب الادلة على بطلانها او المراد نجى قومه فعلبا والمراد على حسب زعمكم ومعتقدكم كما مر قال في الكشاف وقوله قد افترينا اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف اللام معناه والله لقد افترينا على الله كذبا وما يكون لنا اي ما ينبغي لنا وما يصح ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا قال اهل السنة في الاية دلالة على ان المنجي من الكفر هو الله تعالى وكذا المعيد اليه قال الواحدي ولم تزل الانبياء والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وكثيرا ما كان يقول نبينا يا مقلب القلوب والابصار ثبت قلوبنا على دينك وطاعتك وقال يوسف توفني مسلما اجابت المعتزلة بوجوه الاول ان قوله الا ان يشاء قضية شرطية اي من شاء بعد وليس فيه بيان انه شاء ام ابى الثاني ان هذا على طريق التبعيد والاحالة كما يقال لا افعل ذلك الا اذا ابيض القار وشاب الغراب الثالث لعل المراد ما لو كرهوا على العود فان اظهار الكفر عند الاكراه جائز وان كان الصبر افضل وما كان جائزا صح ان يكون مراد الله تعالى كما ان المسح على الخفين مراد الله وان كان غسل الرجلين افضل الرابع يحتمل ان يعود الضمير في فيها الى قريتكم كما مر قال ان اخرجتمونا من القرية حرم علينا العود فيها الا باذن الله تعالى الخامس المشيئة عند اهل السنة لا توجب جواز الفعل فانه تعالى يريد الكفر من الكافر ولا يجوز فعله انما الذي يوجب الجواز هو الامر فيحتمل ان يراد بالمشيئة ههنا الامر فيكون التقدير الا ان يامر الله ان نعود الى شريعتكم المنسوخة فان الشرع المنسوخ لا يبعد ان يامر الله تعالى بالعمل بها مرة اخرى السادس قال الجبائي المراد من الملة الشريعة التي يجوز اختلاف التعبد فيها بالاوقات كالصوم والصلوة فمن الجائز ان يكون بعض احكام الشريعة المنسوخة باقيا فيكون المعنى الا ان يشاء الله تعالى بعض تلك الملة فيدلنا عليها ثم ان المعتزلة تمسكوا بالاية على صحة قولهم من وجهين احدهما ان قوله وما يكون لنا معناه لو شاء الله عودنا اليها لكان لنا ان نعود وذلك يقتضي ان كل ما شاء الله تعالى ويجوز كان فعله جائزا مأذونا فيه وما كان حراما ممنوعا منه لم يكن مرادا لله تعالى وثانيهما ان قوله لنخرجنك او لتعودن لا وجه للفصل بينهما فان كان العود بخلق الله كان الاخراج ايضا بخلقه قلت للسني ان يلتزم ذلك اما قوله وسع ربنا كل شيء علما فيحتمل تعلقه بما تقدم على قول الجبائي وهو ان التكليف بحسب المصالح فيكون معنى قول شعيب الا ان يشاء الله الا ان يختلف المصلحة في تلك العبادات فيكلفنا بها والعلم بالمصالح لا يكون الا بان وسع كل شيء علما وقالت الاشاعرة وجه التعلق هو ان القوم لما قالوا لنخرجنك او لتعودن قال شعيب وسع ربنا كل شيء علما فربما كان في علمه قسم ثالث وهو ان يبقينا في القرية مؤمنين ويجعلكم مقهورين خاسرين ويؤكد هذه القضية قوله عقيب ذلك على الله توكلنا اي لا على غيره وانتصاب علما على التمييز في قوله وسع بلفظ الماضي دلالة على انه تعالى كان في الازل عالما بجميع المعلومات فلا يخرج شيء عن متعلق علمه وهو معنى جف القلم وطويت الصحف ولزوم الاحكام وسعادة السعيد وشقاوة الشقي ويعلم من عموم كل شيء انه علم الماضي والحال والمستقبل وعلم المعدوم انه لو كان كيف يكون وهذه اقسام اربعة يقع كل منها على اربعة اوجه لانه علم الماضي كيف كان وعلم انه لو لم يكن ماضيا بل كان حالا او مستقبلا او معدوما محضا انه كيف يكون وكذا الكلام في الاقسام الاخر فيكون المجموع ستة عشر واذا اعتبر كل منها بحسب كل جنس ونوع وصنف وشخص من الجواهر ومن الاعراض صار مبلغا يتحير فيه عقول العقلاء بل يقف دون اول فقرة من فقرات بحاره ثم ان شعيبا لما اعرض عن الاسباب وارتقى بطريق التوكل الى مسببها ختم كلامه بالدعاء فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق قال ابن عباس والحسن وقتادة والسدي احكم واقض وعن ابن عباس ما كنت ادري ما معنا قوله حتى سمعت بنت ذي يزن تقول لزوجها تعالى افاتحك اي احاكمك وجوز الزجاج ان يكون معنى الاية اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف فيكون المراد ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون شعيب وقومه محقين ثم اثنى على الله تعالى بقوله وانت خير الفاتحين كما انه خير الحاكمين قالت الاشاعرة الاية تدل على ان الايمان فتح باب الخيرات وهو شرف صفات المحدثات فلو كان موجد الايمان هو العبد كان هو خير الفاتحين قالت المعتزلة لو ان يقولوا لولا الطاف الله وهدايته لم يحصل ذلك الايمان لا يوجد الا باعانته لن ندهم لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون اي في الدين او في الدنيا لانه يمنعكم من اخذ الزيادة من الناس والاموال بطريق البخس والتطفيف فاخذتهم الرجفة قد سبق تفسيرها الذين كذبوا



شعيبا كان لم يغنوا فيها اى فنى القوم فى دارهم اذا طال مقامهم فيها والمغانى المنازل اذا كان فيها اهلها وقال الزجاج اى كان لم يعيشوا فيها مستغنين
من الغنى الذى هو ضد الفقر على التفسير شبه حال المكذبين بحال من لم يكن قط فى تلك الديار كقوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس
ولم يسمر بمكة سامر قال فى الكشاف الذين كذبوا مبتدأ خبره كان لم يغنوا وكذلك كانوا هم الخاسرين وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل
الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا
هم المخصوصون بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستيناف والابتداء والتكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ لاشياعهم وتسفيه
لرأيهم واستهزاء بهم بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم قلت فى العرب قد نكون للتفخيم والتعظيم فيقول اخوك الذى ظلمنا اخوك الذى
هتك اعراضنا وايضا ان القوم لما قالوا لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون بين تعالى ان الذين لم يتبعوه وخالفوه هم الخاسرون وفى الاية فوائد
اخر منها ان ذلك العذاب انما حدث بتخليق فاعل مختار وليس ذلك تاثير الكواكب والطبيعة والا حصل فى اتباع شعيب كما حصل فى حق الكفار
ومنها ان ذلك الفاعل عليم بالجزئيات حتى يمكنه التمييز بين المطيع والعاصى ومنها يكون معجزة لشعيب حيث وقع ذلك العذاب على قوم دون
قوم مع كونهم مجتمعين فى بلد واحد فتولى عنهم قد تقدم ان هذا التولى جاز ان يكون بعده قال الكلبى خرج من بينهم ولما اشتد حزنه على
قومه من جهة الوصلة والقرابة والمجاورة وطول الالفة ولانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاجابة للايمان عزى نفسه وقال فكيف آسى
على قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم بسبب اصرارهم على الكفر والاسى شدة الحزن وقيل المراد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ والنصيحة
والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تقبلوا نصيحتى فكيف آسى عليكم لانكم لستم مستحقين لذلك التاويل فلا تحزنوا فيه الخساسة والدناءة
والحرص والظلم من الصفات التى يجب كف النفس عنها فان الله تعالى يحب معالى الامور ويبغض سفسافها ولا تفسدوا فى الارض لطينة التى جبل
الانسان عليها ولا تقعدوا بكل صراط لا تقطعوا الطريق على الطالبين بانواع الحيل والمكايد اذ كنتم قليلا فكثركم بالتناصر والتعاون فى
الامور وبكثرة العدد نعمة فانه يجب ان تصرف فى اعلاء كلمة الدين وان كان طائفة منكم اى الروح والقلب طائفة لم يؤمنوا وهم النفس
وصفاتها وهو خير الحاكمين لا يجعل الروح والقلب المؤمنين تبعا للنفس الكافرة فى العذاب واذاقة الم الهجران او لتعودن فى ملتنا اشارة
الى ان كل جنس لا يميلون الا الى اشكالهم والاوحد بابى من ابن نفح اصرابه بعد اذ نجانا الله منها فى القسمة الازلية افتح بيننا احكم بيننا وبينهم
باظهار حقيقتنا وقدرتهم من خاتمة الخير واظهار ما قدرته من خاتمة السوء فاخذتهم الرجفة فصاروا صرعوتهم تبعا للمعاصى فانهم كانوا احياء الارواح فى دنيا الاشباح كان لم يغنوا فيها الان ابطلنا
زاهق لا محالة وما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا

ونفرستاديم در هيچ دهى پيغمبرى را مگر كه فراگرفتيم اهلش را بسختى حال و بدحالى تا ايشان زارى كنند پس بدل داديم

مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون

در جاى بدى خوبى را تا كه در گذشتند و گفتند هر آينه رسيد پدران ما را سختى و بدحالى پس گرفتيم ايشان را ناگهان و ايشان در نمى كردند

ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا

و اگر چنانچه اهل دهها ايمان آورده و پرهيز كردند هر آينه گشاديم بر ايشان بركتها از آسمان و زمين و ليكن تكذيب كردند پس گرفتيم ايشان را بانچه بودند

يكسبون افامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا ضحى

كسب ميكردند ايا ايمن شدند اهل دهها كه در رسد ايشان را عذاب ما در شب و ايشان در خواب باشند يا ايمن شدند اهل دهها از اينكه در رسد عذاب ما در روز

وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد

و ايشان بازى كنند ايا پس ايمن شدند مكر خدا را پس ايمن نشود مكر خدا مگر گروه زيانكاران ايا روشن نكرد مر آنها را كه ميراث گرفتند زمين را از پس

اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات

اهلش كه اگر خواهيم برسانيم ايشان را بسبب گناهان ايشان و مهر نهاديم بر دلهاى ايشان پس ايشان نمى شنوند اين دهها كه حكايت ميكنيم بر تو از خبرهاى آن و بتحقيق آورد ايشان را پيغمبران ايشان نشانها

فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين

پس نبودند كه گروند بانچه تكذيب كردند از پيش همچنين مهر نهد خدا بر دلهاى كافران و نيافتيم مر بسيارى از ايشان را عهدى و اگر چه يافتيم بسيارى از ايشان را تباه كاران

القراءة لفتحنا بالتشديد ابن عامر ويزيد او امن بسكون الواو ابو جعفر ونافع غير ورش وابن عامر وقرا ورش بنقل حركتها الى الساكن قبلها اولم يهد بالنون
حيث كان زيد عن يعقوب الباقون بالياء التحتانية رسلهم بسكون السين حيث كان ابو عمرو الوقوف يضرعون لا يشعرون ج يكسبون نائمون
قراءة من فتح الواو على ان الهمزة للاستفهام ومن سكن الواو وقف لان او للعطف يلعبون مكر الله ج للفصل بين الاخبار والاستخبار مع ان الفاء
للتعقيب الخاسرون بذنوبهم ج للفصل بين الماضى والمستقبل وتقدير ونحن نطبع مع اتحاد القصة لا يسمعون من انبائها ج لعطف المختلفين
بالبينات ج لان ضمير فما كانوا ليؤمنوا لاهل مكة وضمير جاءتهم للامم الماضية مع ان الفاء توجب الاتصال من قبل الكافرين من عهد لعطف
الجملتين لفاسقين التفسير انه سبحانه لما عرفنا احوال هؤلاء الانبياء وما جرى على اممهم ذكر ما يدل على ان هذا الجنس من الهلاك قد فعله بغيرهم

ع



ولئن سخطوا عليهم وبين العلة التي لاجلها فعل بهم ما فعل والقرية مجتمع القوم فتشمل المدينة ايضا فقد بين الكلام وما ارسلنا في قرية من نبي فكذب
اهلها الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال الزجاج البأساء الشدة في الاموال والضراء الامراض في الابدان وقيل بالعكس لعلهم يضرعون اي
يتضرعون فادغم التاء في الضاد والمعنى ليصلوا الى رتبة التضرع والاستكبار ويتضرعوا ليتهم ثم بين ثم بين انه يديم في اهل القرى لا يجري على نمط واحد فقال
ثم بدلنا مكان السيئة وهي كل ما يسوء صاحبه الحسنة وهي ما يستحسنه الطبع او العقل اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من الفقر والضر السعة والصحة
حتى عفوا كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفى النبات والشجر اذا كثر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء كما
هو دأب الاشرين يقولون هذه عادة الدهر في اهله يوم محنة ويوم منحة والمراد انهم لم ينتفعوا ابتلاء الله تعالى فيهم من رخاء بعد شدة وامن
بعد خوف وراحة بعد عناء فاخذناهم بغتة امن ما كانوا عليه ليكون ذلك اعظم في الحسرة وهم لا يشعرون بنزول العذاب والحكمة في جميع
هذه الحكايات اعتبار من سمعها ووعاها وتعريف ان العصيان سبب الحرمان عن الخيرات وسد لجميع ابواب السعادات ولهذا قال ولو ان اهل القرى
اي جنسها او القرى المذكورة في قوله وما ارسلنا في قرية امنوا بما يجب به الايمان في باب المبدأ والمعاد واتقوا كل ما نهى الله عنه لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض اي لاتيناهم بالخير من كل وجه او اراد القطر والنبات والمراد بفتح البركات عليهم تيسير اسباب النجاح كقولهم فتحت على القارئ اذا يسرت
القراءة عليه بالتلقين ولكن كذبوا الرسل فاخذناهم بغتة والآية بينهما اعتراض والنقد يرابعد ذلك من اهل القرى ان يأتيهم باسنا بياتا وامنوا
ان يأتيهم باسنا ضحى فلهذا عطف الثانية بالواو واما قوله افامنوا مكر الله فتكرير لقوله افامن اهل القرى فلهذا رجع فعطف بالفاء قلت يجوز
ان يقدر المعطوف عليه بعد الهمزة والمعنى افعلوا ما فعلوا فامن واما من قرأ او بسكون فمعناه اما احد الشيئين ويرجع المعنى الى قولنا فامنوا احد هذه
العقوبات واما الاضراب كما تقول انا اخرج تقول او اقيم على ان المراد هو الاضراب عن الخروج واثبات الاقامة اي لا بل اقيم ومعنى بياتا قد تقدم في
اول السورة وضحى نصب على الظرف قال الجوهري ضحوة النهار بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهو حين تشرق الشمس مقصورة وتذكر على انه
اسم كصرد لان ذلك كاللعب في انه يضر ولا ينفع ومكر الله تقدم في آل عمران بعد الاستدراج او سمى جزاء المكر مكرا عن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت
له مالي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام قال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات يعني المذكور في الآية اللهم اجعلنا من الخائفين العاقلين لا من
الامنين الغافلين ثم لما بين حال المهلكين مفصلا ومجملا ذكر ان الغرض من القصص حصول العبرة للباقين فقال اولم يهد من قرأ بالياء ففاعله
ان لو نشاء والمعنى اولم يهد للذين يخلفون اولئك المتقدمين فيرثون ارضهم وديارهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اي بعقابها
كما اصبنا من قبلهم ومن قرأ بالنون فظوله ان لو نشاء منصوب المحل بمعنى الهداية لتبيين على القراءتين على القراءة الاولى محذوف والتقدير او لم
يكشف لهم الحال والشان المذكور واما قوله ونطبع على قلوبهم فاما ان يكون منقطعا عما قبله بمعنى ونحن نطبع واما ان يكون متصلا بما قبله قال
في الكشاف وذلك هو يرثون او ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع قال لا يجوز ان يكون معطوفا على اصبناهم وطبعنا
لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم فيجري مجرى تحصيل الحاصل وللقائل ان يقول لا يلزم من المذكور وهو كونهم مذنبين ان يكونوا مطبوعين
فان قرف الذنوب غير الطبع لانه يذنب ولا او يكفر ثم يستمر على ذلك فيصير مطبوعا على قلبه وايضا جاز ان يراد لو نشاء لزدنا في طبعهم او لادمناه و
الله سبحانه واعلم بمراده ثم اخبر عن الاقوام المذكورين تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم فقال تلك القرى وهي مبتدأ وخبر وقوله نقص الحال والعامل معنى اسم
الاشارة او خبر بعد خبر او القرى صفة لتلك ونقص خبر وفائدة الاخبار على هذا التقدير ظاهرة واما على الاولين فيرجع الفائدة الى الحال و
الخبر الثاني كما ترجع الى الصفة في قولك هو الرجل الكريم والحاصل ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها
عليك وايضا خصصنا تلك القرى بقص بعض انبائها لانهم اغتروا بطول الامهال مع كثرة النعم وكانوا اقرب الامم الى العرب فذكرنا احوالهم تنبيها
على الاحتراز عن مثل اعمالهم ثم عزى رسوله بقوله ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل اللام لتاكيد النفي
وان الايمان كان منافيا لحالهم قال ابن عباس والسدي فما كان اولئك الكفار ليؤمنوا عند ارسال الرسل بسبب تكذيبهم يوم اخذ ميثاقهم حين
اخرجهم من ظهر آدم اقروا باللسان كرها واضمروا التكذيب قال الزجاج ما كانوا ليؤمنوا بعد رؤية المعجزات بما كذبوا به من قبل رؤية تلك المعجزات
وعن مجاهد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد الاهلاك ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل
فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بما كذبوا من قبل مجيئهم وقيل ما كانوا ليؤمنوا في الزمان المستقبل بما كذبوا به في الزمان الماضي اي استمروا على التكذيب
من لدن مجيء الرسل الى ان ماتوا مصرين لم ينجع فيهم تكرير المواعظ وتتابع الآيات كذلك اي مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
الذين كتب ان لا يؤمنوا ابدا والطبع والختم والرين والكنان والغشاوة والصد والمنع واحد كما سلف وقال الجبائي هو ان يسم قلوب الكفار بسمات و
علامات يعرف الملائكة بها ان صاحبها لا يؤمن وقال الكعبي انما اضاف الطبع الى نفسه لاجل ان القوم انما صاروا الى ذلك الكفر عند امره وامتحانه
فهو كقوله تعالى فلم يزدهم دعائي الا فرارا ثم شرح حال المكلفين فقال وما وجدنا لاكثرهم من عهد والضمير للناس على الاطلاق قال ابن عباس
يعني بالعهد قوله الست بربكم اقروا به ثم خالفوا وعن ابن مسعود هو الايمان كقوله الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني من قال لا اله الا الله
وقيل العهد عبارة عن الادلة الدالة على التوحيد والنبوة والمراد الوفاء بالعهد وان وجدنا هي المخففة من الثقيلة اذ دخلت ضمير شان مقدر

عذاب

والتقدير وانه الشان والحديث علمنا اكثرهم فاسقين خارجين من الطاعة والاية اعتراض ويحتمل ان يعود الضمير الى الامم المذكورين كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن نكثوه بعد كشف الضر التاويل لاخذنا اهلها بالباساء والضراء اولى يتضرع اليه عند البلاء ويتوكل عليه والعدو يهتدي عن الحق ولا يرجع اليه ولو ان اهل القرى يعني صفات النفس امنوا بما يرد الى صفات القلب والروح من الطاف الحق واتقوا مشابهها النفس لفتحنا عليهم ابواب العواطف من سما الروح وارض القلب فاخذناهم عاقبنا بعذاب البعد بما كسبوا من مخالفات الحق وعلى موافقات الطبع بياتا في صورة القهر ضحى في صورة اللطف بسطوات الجذبات وهم يلعبون يشتغلون بالدنيا الا القوم الخاسرون من اهل القهر هم الذين خسروا سعادة الدارين ومن اهل اللطف هم الذين خسروا الدنيا والعقبى وربحوا المولى اولئك لهم الامن وهم مهتدون

ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ

پس برانگیختیم از بعد ایشان موسی را با آیات بسوی فرعون و بزرگان ایشان پس ستم کردند بآن پس بنگر چگونه بوده است عاقبت تباه کاران

وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ

وگفت موسی ای فرعون بدرستی که من پیغمبرم از پروردگار جهانیان سزاوارم بر آنکه نگویم بر خدا مگر حق را بتحقیق آوردم شمارا گواهی

مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ

از پروردگار شما پس بفرست با من بنی اسرائیل را گفت که اگر میباشی که آورده معجزه پس بیار آنرا اگر هستی از راستگویان پس افکند عصای خویش

فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ

پس ناگاه آن اژدهائی بود هویدا و بر آورد دست خود را پس ناگاه آن آفتابی بود مر نگرندگان را گفتند بزرگان از قوم فرعون که بدرستی که این هر آینه جادوئیست دانا

يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ

میخواهد که بیرون کند شما را از زمینهای شما پس چه میگوئید گفتند که تاخیر کن او را و برادرش را و بفرست در شهرها جارچیان تا بیارند پیش تو

بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ

هر جادوی دانائی را و آمدند جادوان فرعون را گفتند آیا از برای ما مزدیست اگر باشیم ما غالبان گفت آری و شما باشید از مقربان

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ

گفتند ای موسی یا آنکه تو بیفکنی و یا آنکه میباشیم ما اندازندگان گفت بیفکنید پس چون انگندند جادو کردند در نظر مردمان و ترسانیدند شان

وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا

و آوردند جادوئی بزرگ و وحی نمودیم بسوی موسی که بیفکن عصای خود را پس ناگاه آن میبلعید آنچه بافته اند پس ثابت شد حق و نابود شد آنچه

كَانُوا يَعْمَلُونَ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ

بودند که میکردند پس مغلوب شدند آنجا و بازگشتند ذلیلان و افتادند ساحران سجده کنان گفتند گرویدیم بپروردگار عالمیان پروردگار موسی

وَهَارُونَ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ

و هرون گفت فرعون که گرویدید بآن پیشتر از آنکه فرمان دهم شما را بدرستی که این مکریست که کرده اید در شهر تا بیرون کنید از آن اهل آنرا پس زود

تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَ

بدانید هر آینه ببرم دستهای شما را و پاهای شما را از خلاف یکدیگر پس بدار کشم شما را همه گفتند که ما بسوی پروردگار خود بازگردیم و

مَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ القراءة حقيق

انتقام نمیکشی از ما مگر بجهت آنکه ایمان آوردیم بآیات پروردگار خود چون در آمد بر ما پروردگارا فرو ریز بر ما صبر را و بمیران ما را تسلیم کنندگان

علي بالتشديد نافع الباقون بالتخفيف معي بفتح الياء حيث كان حفص ارجه باسكان الهاء الضم حمزة وعاصم غير المفضل ارجه بكسر الجيم والهاء من غير اشباع يزيد وقالون وعلي وعباس وخلف والمفضل ارجئه بالهمزة ابو عمرو غير عباس وسهل ويعقوب وابن الاخرم عن ابن ذكوان وهشام غير الحلواني ارجئهو بالاشباع ابن كثير والحلواني عن هشام ارجئه بكسر الهاء ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان سحار بالمبالغة حمزة وعلي وخلف وكذلك في يونس وقرا قتيبة ونصير والدوري حمزة في رواية ابن سعدان وابي عمرو بالامالة الباقون ساحر ان لنا بحذف همزة الاستفهام ابن كثير وابو جعفر ونافع وحفص ان لنا باثبات همزة الاستفهام عاصم غير حفص وحمزة وعلي وخلف وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقلب الهمزة ياء ابو عمرو ويزيد اين بالياء ولا مدة سهل ويعقوب غير زيد تلقف بالتخفيف حيث كان حفص والمفضل هي تلقف بالتشديد وادغام التاء الاولى في الثانية البزي وابن فليح الباقون بتشديد القاف وحذف تاء التفعل امنتم بزيادة همزة الاستفهام بهمزة واحدة ممدودة حفص امنتم بزيادة همزة الاستفهام حمزة وعلي وخلف وعاصم سوى حفص امنتم بالمد وتليين الهمزة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير غير الهاشمي وابن مجاهد وابي عون عن قنبل فرعون وامنتم بالواو والخالص الهاشمي من قنبل وامنتم بالواو وتحقيق الهمزة الاولى ابن مجاهد وابو عون

ارجه بالاشباع نافع غير قالون

ع

والمهتدي عن قبيل الوقوف فظلموا بها ج للفصل بين الخبر والطلب مع العطف بالفاء المفسدين ج العالمين ه حقيق على بالتشديد اي واجب
علي ومن قرأ مخففا جاز له الوصل على جعل حقيق وصفا لرسول وعلى معنى الباء الا الحق ط بني اسرائيل ط الصادقين مبين ج للفصل بين الجملتين و
والوصل اجوز للجمع بين المعجزتين للناظرين عليم لا لان ما بعده وصف لساحر من ارضكم ج لاحتمال ان بعده من تمام قول الملأ لفرعون في
والجمع للتعظيم او له ولعظماء حضرته وان يكون ابتداء جواب من فرعون اي فاذا تشيرون تأمرون ه حاشرين لا لان ما بعده جواب الامر عليم ه الغالبين
المقربين ه الملقين ه القوي الحق للعطف عظيم ه عصاك ج لحق الحذف لان التقدير فالقاها فاذا هي ما يأفكون ه وكانوا يعملون ه صاغرين ج لمكان
حروف العطف ساجدين ص لا لاحتمال كون قالوا حالا باضمار قد العالمين لا للبدل وهرون ه لان لكم ج للابتداء مع اتحاد القائل اهلها ج لان
سوف للتهديد مع العطف تعلمون ه اجمعين ه منقلبون ه للاتحاد مع المقول جاءتنا للعدول عن المحاباة الى المناجاة مسلمين ه التفسير القصة السابعة
من قصص هذه السورة قصة موسى عليه السلام وقد ذكر في هذه القصة من البسط والتفصيل ما لم يذكر في غيرها لان جهل قومه اعظم وافحش من جهل سائر
الاقوام ولهذا كانت معجزاته متفقة بين الانبياء والضمير في قوله ثم بعثنا من بعدهم يعود الى رسل الامم المذكورين وفي قوله باياتنا دلالة
على كثرة معجزاته وان النبي لا بد له من آية ومعجزة بها يمتاز عن المتنبي فظلموا بها اي بتلك الآيات والمراد كفرهم بها لان وضع الانكار في موضع
الاقرار وابدال الكفر بدل الايمان وضع الشيء في غير موضعه او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا من آمن بها
فانظر ايها المعتبر المستبصر بعين بصيرتك كيف كان عاقبة المفسدين كيف فعلنا بهم وهذا اجماله ثم شرع في تفصيلها وذلك قوله وقال موسى
يا فرعون اني رسول من رب العالمين اي اله قادر عليم حكيم وفيه ان العالم موصوف بصفات لاجلها افتقر الى رب يربيه حقيق على ان لا
اقول من قرأ بالتشديد فحقيق اما بمعنى فاعل اي واجب علي ترك القول على الله الا الحق او بمعنى مفعول اي حق علي ذلك تقول العرب انك
لمحقوق على ان افعل خيرا واما قراءة العامة فحقيق على مرسلة الياء ففيه وجوه احدها ان يكون على بمعنى الباء كقولهم جئت على حال حسنة و
بحال حسنة قال الاخفش وهذا كما قال ولا تقعدوا بكل صراط اي على كل صراط ويؤكد هذا الوجه قراءة ابي حقيق بان لا اقول اي انا خليق
بذلك وثانيها ان الحق هو الدائم الثابت والحقيق مبالغة فيه وكل ما لزمك فقد لزمته وكان المعنى انا ثابت مستمر على ان لا اقول الا بالحق
وثالثها ان يضمن حقيق معنى حريص ورابعها ان يكون من القلب الذي يشجع عليه امن الالتباس فيؤول المعنى الى قراءة نافع وخامسها ان يكون اغراقا
في الوصف ومبالغة بالصدق والمراد انا حقيق على قول الحق اي واجب عليه ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به وسادسها ان
يكون على هذه هي التي تقرن بالاوصاف اللازمة الاصلية كقوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ويقال جاءني فلان على هيئته وعلى عادته وعرفته و
تحققته على كذا او كذا من الصفات فمعنى الآية انا حقيق لا على قول الحق ولما كان ظهور المعجز على وفق الدعوى دالا على الاله القادر المختار وعلى تصديق
الرسول جميعا قال قد جئتكم ببينة من ربكم اي بمعجزة قاهرة باهرة منه ثم فرع عليه تبليغ الحكم وهو قوله فارسل معي بني اسرائيل اي اطلقهم وخل سبيلهم
حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم و
استعبدهم واستخدمهم في الاعمال الشاقة قال ان كنت جئت باية فأت بها ان كنت من الصادقين فيه سؤالان احدهما لفظي وهو ان ههنا شرطين
فاين جوابهما والجواب ان المؤخر في اللفظ مقدم في المعنى نظيره قول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كلمت زيدا وثانيهما ان قوله ان كنت جئت
باية وقوله فأت بها كلاهما واحد في المعنى فكيف يفيد تعليق احدهما بالآخر والجواب المنع اذ المراد ان كنت جئت من عند من ارسلك باية فاحضرها
لتصح دعواك ثم ان فرعون لما طالب موسى باقامة البينة الدالة على وجود الرب وعلى صحة نبوته قلب العصا ثعبانا واظهر اليد البيضاء وذلك
قوله سبحانه فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين ومعنى كون الثعبان مبينا ان امره ظاهر لا شك في انه ثعبان
ليس مما جاءت به السحرة من التمويهات وانما هو من قبيل المعجزات والمراد انما بان قول المدعي الكاذب والثعبان في اللغة الحية العظيم الذكر روي
انه كان اشقر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض ولحيه الاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب واحدثه البطن في ذلك اليوم اربعمائة مرة وكان لم يحدث قبل ذلك وصاح
الناس فانهزموا ومات منهم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه
موسى فعاد عصا والنزع في اللغة القلع والاخراج اي اخرجها من جيبه او من جناحه بدليل قوله في موضع آخر وادخل يدك في جيبك تخرج
روي انه اري فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها في جيبه وعليه مدرعة صوف ثم نزعها فاذا هي بيضاء نورانية غلب شعاعها
الشمس وكان موسى آدم شديد الادمة وقوله للناظرين يتعلق ببيضاء فانها لا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها عجيبا خارجا من العادة
اجتمع الناس للنظر اليه كما يجتمعون للعجائب واعلم ان القول بجواز انقلاب العادات عن مجاريها مقام صعب مشكل ولهذا اضطربت اقوال العلماء فيه
فالاشاعرة جوزوا ذلك على الاطلاق بناء على القول بالفاعل المختار فجوزوا في الانسان وسائر انواع الحيوان ان يتولد دفعة واحدة من غير
سابقة مادة ومدة وجوزوا في الجوهر الفرد ان يكون حيا عالما قادرا من غير حصول بنية ولا مزاج وجوزوا في الاعمى الذي بالاندلس ان
يبصر في ظلمة الليل البقة التي تكون باقصى المشرق وفي سليم البصر ان لا يرى الشمس في كبد السماء من غير حائل والمعتزلة جوزوا انخراق العادات في بعض

معجزاته اقوى من م

قوله موسوعين

وصاحوا وحمل على الناس م

المتصورون بعض من غير ضابط ولا قانون اللهم الا ان يحال على الشرع والطبيعيون المتفلسفون انكروا ذلك على الاطلاق وزعموا انه لا يجوز
حدوث الاشياء ودخولها في الوجود الا على هذا الوجه المخصوص والطريق المعين والا لزم فتح باب الجهالات فانه اذا جاز ان ينقلب العصا
ثعبانا جاز في الشخص الذي شاهدناه كموسى وعيسى ومحمد مثلا انه ليس هو الشخص الاول وهذا يوجب القدح في النبوة والرسالة فان زعم
زاعم ان هذه الامور تختص بزمان دعوة الانبياء قلنا المختص في ذلك الزمان لا يعرف الا بدليل غامض وكل من لا يقف على ذلك الدليل يقع
في تيه الاشكال والضلال مع ان زمان جواز الكرامات لا ينقرض عندكم ابدا فلا ينقضي التجويز سرمدا هذا وانما جمع بين العصا واليد مع ان
المعجز الواحد كاف لان كثرة الدلائل توجب مزيد اليقين قال بعض المحققين هما شيء واحد والمراد ان حجة موسى كانت قوية ظاهرة من حيث
ان الحجة ابطلت اقوال المخالفين كانت كالثعبان الذي يلقف ما يافكون ومن حيث انها كانت باهرة ظاهرة في نفسها وصفت باليد البيضاء كما يقال
لفلان يد بيضاء في الامر الفلاني اي قوة كاملة ومرتبة ظاهرة والحق ان انقلاب العصا وغير ذلك امور ممكنة في ذواتها لان الاجسام متماثلة
في الجسمية فكل ما صح على شيء صح على مثله والله سبحانه قادر على كل الممكنات فكل ما ثبت وقوعه بالتواتر وجب قبوله من غير تاويل وزعم ان السحر كان
غالبا في ذلك الزمان وكانت السحرة متفاوتين في ذلك فزعم اتباع فرعون ان موسى كان في النهاية من علم السحر الى ان بلغ الصفة وانه كان يطلب
بذلك الملك والرياسة وذلك قوله سبحانه قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم ولا ينافي هذا ما حكى الله تعالى في
سورة الشعراء انه قال ذلك فرعون فانه يحتمل صدور هذا القول في تلك الحالة منه ومنهم او لعل فرعون قاله ابتداء فتلقفه الملأ منه فقالوه لغيرهم
او قالوا عنه لسانه على طريق التبليغ فان الملوك اذا رأوا رأيا ذكروه للخاصة وهم يذكرونه للعامة والاظهر ان قوله فماذا تامرون من كلام فرعون
اما لان الامر لا يجوز ان يكون من الادنى للاعلى واما لانه من قولهم امرته فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك برأي ولهذا فان الملأ قالوا في
جوابه ارجه واخاه اي اخر امره وامر اخيه ولا تعجل بقضائك في شانهما فتصير عجلتك حجة عليك قال الجوهري ارجأت الامر اخرته يهمز ولا يهمز وعن الكلبي
وقتادة ان المعنى احبسه ورد بانه خلاف اللغة الا ان يقال حبس المرء نوع من التاخير امره وبان فرعون ما كان يظن انه قادر على حبس موسى بعد
مشاهدة حال العصا وارسل في المدائن المدينة فعيلة من مدن بالمكان يمدن مدونا اذا اقام به ولهذا اطبق القراء على همز مدائن لانه كصحائف
وقيل انها مفعلة من دان اي ملك وكان هذا القائل لا يهمز مدائن وقال المبرد اصلها مديونة من دانه اذا قهره وساسه فعل بها ما فعل بمخيط ومبيع
في مخيوط ومبيوع وليس المراد مدائن الارض كلها ولكن المقصود مدائن صعيد مصر وقال ابن عباس وكان رؤساء السحرة باقصى مدائن الصعيد حاشرين
جامعين ياتوك بكل سحار الباء بمعنى مع او للتعدية قيل كانوا سبعين ساحرا سوى رئيسهم وقيل بضعة وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا وقيل ثمانين
الفا وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى قرية بقرب الموصل وضعف بان المجوس من اتباع زرادشت وهو انما جاء بعد موسى
وفي الاية دلالة على كثرة السحرة في ذلك الزمان ولهذا كانت معجزة موسى شبيهة بالسحر وان كان مخالفا له في الحقيقة كما ان الطب لما كان غالبا على
اهل زمن عيسى كان معجزته من جنس ذلك كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى وكانت الفصاحة غالبة في عصر نبينا فلا جرم كانت معجزته العظمى
وهي القرآن من جنس الفصاحة وتحقيق السحر وسائر ما يتعلق به قد مر في سورة البقرة فليتذكر وجاء السحرة فرعون قالوا لم يقل فقالوا بناء الكلام
على سؤال مقدر كأن سائلا سأل ما قالوا اذا جاؤه فاجيب قالوا ائن لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له
لغنما يقصد الكثرة قال نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر لكم على الثواب بل لكم مع ذلك ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتكريم
لان الثواب انما يهنأ اذا كان مقرونا بالتعظيم وروي انه قال لهم تكونون اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤساء السحرة فقال لهم ما صنعتم
قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السماء فانه لا طاقة لنا به وفي الاية اشارة الى ان اهل السحر ليسوا قادرين على قلب
الاعيان والا فلم احتاجوا الى طلب الاجر من فرعون بل قلبوا ملك فرعون الى انفسهم ولم يطلبوا منه الاجر فعلى العاقل ان لا يغتر بما كاذيبهم ومزخرفاتهم ثم ان السحرة راعوا
حسن الادب حيث خيروا موسى اولا وقدموه في الذكر ثانيا حيث قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين كما هو دأب المناظرين والمتصارعين
مع ان في قولهم واما ان نكون نحن ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر ومن جهة تعريف الخبر
واقحام الفصل قال الفراء قد جمع بين اما وان في هذه الاية بخلاف قوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم لان الفعل ههنا في موضع امر بالاختيار
اعني في موضع نصب كقول القائل اختر ذا او ذا كانهم قالوا اختر ان تلقي بخلاف تلك الاية فان الامر لا يصلح هناك قال موسى للسحرة القوا ما راعوا
فيه ادلاء بشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بان الامر الالهي لن يغلب فان قيل ان القاءهم الحبال والعصي معارضة المعجز بالسحر وذلك كفر والامر
بالكفر كفر فالجواب من وجوه احدها انه انما امرهم بشرط ان يعلموا كونه حقا فاذا لم يكن كذلك فلا امر البتة كقول القائل اسقني الماء من
الجرة فهذا انما يكون امرا بشرط حصول الماء في الجرة والثاني ان موسى علم انهم جاؤا لذلك فلا بد ان يفعلوه وانما وقع النزاع في التقديم والتاخير الثالث
انه اذن لهم في الاتيان بذلك السحر ليتمكن من الاقدام على ابطاله كمن يريد سماع شبهة ملحد ليبحث عنها ويكشف عن ضعفها يقول له هات وقل
ومراده ان يجيب عنها ويبين لكل احد ضعفها وسقوطها فلما القوا سحروا اعين الناس قال القاضي لو كان السحر حقا لكانوا قد سحروا قلوبهم لا اعينهم
فثبت انهم خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه وقال الواحدي بل المراد انهم غلبوا الاعين عن صحة ادراكها بسبب تلك التمويهات وروي انهم القوا الحبال



بالزيبق وجعلوا الزيبق داخل العصي فلما اثر تسخين الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض فخيل الى الناس انها تسعى واسترهبوهم اي رهبوهم
والسين زائدة كأنهم استدعوا رهبتهم وقال الزجاج اشتدت رهبة الناس فبعثوا جماعة ينادون عند القاء ذلك ايها الناس احذروا فهذا هو
الاسترهاب وجاؤا بسحر عظيم كما زعموا ان ذلك سحر لا يطيقه سحرة الارض عن ابن عباس انه خيل الى موسى ان حبالهم وعصيهم حيات مثل عصا موسى
فاوحى الله عز وجل اليه ان الق عصاك وفي رواية الواحدي عندنا ان المراد بالوحي ههنا الالهام وههنا الاضمار والتقدير فالقاها فاذا هي تلقف قال الجوهري لقفت
الشيء بالكسر القفه وتلقفته ايضا تناولته بسرعة وما في ما يافكون موصولة او مصدرية بمعنى ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه
وافكهم تسمية للمافوك بالافك قال المفسرون لما القى موسى العصا صارت حية عظيمة حتى الافق ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا وابتلعت ما القوا من
حبالهم وعصيهم فلما اخذها موسى صارت عصا كما كانت من غير تفاوت في الحجم والمقدار اصلا فلعل الله سبحانه اعدم بقدرته تلك الاجرام
العظيمة او فرقها اجزاء لطيفة ثم قال سبحانه وتعالى فوقع الحق قال مجاهد والحسن وقال القاضي معناه قوة الظهور بحيث لا يصح في الواقع ان يصير
لا واقعا ومع ثبوت هذا الحق زالت الاعيان التي افكوها وهي تلك الحبال والعصي وذلك قوله وبطل ما كانوا يعملون اي الذي عملوا او عملهم
فغلبوا هنالك اي حين التحدي وانقلبوا صاغرين لانه لا ذل ولا صغار اعظم في حق المبطل من دحوض حجته روي ان تلك الحبال والعصي كانت
حمل ثلثمائة بعير فلما ابتلعها ثعبان موسى وصارت عصا كما كانت قال بعض السحرة لبعض هذا خارج عن حد السحر وانما هو امر الهي قال المحققون انهم
لاجل كمالهم في علم السحر ميزوا السحر عن غيره فانتقلوا ببركة ذلك من الكفر الى الايمان فما ظنك بالانسان الكامل في علم التوحيد والشريعة و
الحكمة وفي قوله والقي السحرة ساجدين دليل على ان ملقيا القاهم وما ذاك الا الله سبحانه الموجد للدواعي والقدر وقال الاخفش من سرعة
ما سجدوا صاروا كأنه القاهم غيرهم لانهم لم يتمالكوا ان وقعوا ساجدين قال بعض العلماء الايمان مقدم على السجود فكيف نقل عنهم انهم سجدوا ثم
قالوا امنا برب العالمين واجيب بانه لا يبعد انهم عند الذهاب الى السجود قالوا ذلك او انهم لما ظفروا بالمعرفة سجدوا لله في الحال شكرا على الفوز
بذلك واظهارا للخشوع والتذلل واقرارا باللسان بعد التصديق بالجنان قال المفسرون لما قالوا امنا برب العالمين قال فرعون اياي يعنون
فلما قالوا رب موسى قال اياي يعنون لاني انا الذي ربيته فلما زادوا وهرون زالت الشبهة وعرف الكل انهم امنوا باله السماء وكفروا بفرعون
وقيل افردا بالذكر من جملة العالمين ليعلم ان الداعي الى ايمانهم هو موسى وهرون وقيل خصا بالذكر تعظيما وتشريفا ثم ان فرعون لما راى ان اعلم
الناس بالسحر اقر بنبوة موسى بمحضر جمع عظيم خاف ان يصير ذلك حجة عليه عند قومه فالقى في الحال شبهة في البين بعد ما انكر عليهم ايمانهم اما
الانكار فذلك قوله امنتم له من لم يرد حرف الاستفهام فظاهره انه اخبار توبيخ اي فعلتم هذا الفعل الشنيع ومن قرا بحرف الاستفهام فمعناه الاستبعاد
والانكار وفي قوله قبل ان اذن لكم دلالة على مناقضة فرعون في دعائه الالهية لانه لو كان الها لما جاز ان ياذن لهم في ان يؤمنوا بغيره وهذا
من جملة الخذلان الذي يظهر على المبطلين واما الشبهة فقوله ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها اي هذه حيلة
احتلتموها انتم وموسى وتواطأتم عليها لغرض لكم وهو ان تخرجوا القبط وتسكنوا بني اسرائيل وروى محمد بن جرير عن السدي في حديث ابن
عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ان موسى وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارايتك ان غلبتك اتؤمن بي وتشهد ان ما جئت به
حق فقال الساحر لاتين غدا بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون ينظر اليهما ويسمع فلذلك زعم التواطؤ فسوف تعلمون وعيد
اجمال وتفصيله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين واختلف المفسرون هل وقع ذلك منه ام لا فمن
قائل لم يقع لانهم سالوا ربهم ان يتوفاهم من جهته لا بهذا القتل والقطع ومن قائل وقع هو الاظهر وعليه الاكثر ومنهم ابن عباس لانه حكى عن الملأ
انهم قالوا لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ولو انه ترك اولئك السحرة لذكروهم ايضا وحذروه اياهم ولانهم قالوا ربنا افرغ
علينا صبرا والصبر لا يطلب الا عند نزول البلاء وقد يجاب عن الاول بانهم داخلون تحت قوله وقومه وعن الثاني بانهم طلبوا الصبر على
الايمان والثبات عليه وعدم الالتفات الى وعيده وعن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخره شهداء بررة ثم حكى عن القوم انهم قالوا
عند الوعيد انا الى ربنا منقلبون اي نحن لا نبالي بالموت لانا ننقلب الى لقاء ربنا ونخلص منك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدة
القطع والصلب او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون نرجع الى الله فيحكم بيننا او انا لا محالة ميتون فما يقدر ان يفعل بنا الا ما لا بد لنا منه وما
تنقم منا قال ابن عباس ما اتينا بذنب تعذبنا عليه وما تعيب منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهي المعجزات الظاهرة التي لا يقدر على مثلها
الا الله تعالى وهذا من باب تاكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب ثم لجاؤا الى الله تعالى كما هو
دأب الصديقين حين نزول البلاء فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا افض علينا سجال الثبات على متابعة الدين او على ما توعدنا به فرعون وتوفنا
مسلمين ثابتين على الدين الذي جاء به موسى اخبروا عن ايمانهم اولا وسالوا التوفي على الاسلام ثانيا فيمكن ان يستدل بذلك على ان الايمان
والاسلام واحد واحتجت الاشاعرة بالاية على ان الايمان والاسلام بخلق الله تعالى والا لم يطلبوا ذلك منه والمعتزلة يحملون امثال ذلك
على منح الالطاف واعلم ان مبنى القصة في هذه السورة على الاختصار وفي الشعراء على التطويل فلهذا قيل هناك يريد ان يخرجكم من ارضكم
بسحره وانكم اذا لمن المقربين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون فلسوف تعلمون وفي كل ذلك زيادة ولما قوله ههنا وارسل في المدائن

وهنالك وابعث فلان الارسال بهذا المعنى البعث مع العلو فخص هذه السورة بذلك ليعلم ان المخاطب فرعون دون غيره وانما قال ههنا آمنتم
به وفي طه والشعراء آمنتم له باللام لان الضمير في هذه يعود الى رب العالمين وفي السورتين الى موسى وقيل آمنتم به واحد وقال ههنا لاصلبنكم
لانه لما افاد الترتيب كان العطف المطلق كافيا وكثير من متشابهات هذه السور الثلث يعود الى رعاية الفواصل فتدبر التأويل فظلموا بها
بان جعلوها سحرا فوضعوها في غير موضعها عاقبة المفسدين الذين افسدوا الاستعداد بالركون الى الدنيا ولذا انها حقيق على ان لا
اقول الا الحق قائم بحقائق الجمع فان الخلق واثار التفرقة فاذا هي ثعبان لانه اضاف العصا الى نفسه في قوله هي عصاي ويعلم منه ان كل شئ اضفته
الى نفسك جعلته حجابك فانه ثعبان يبتلعك وهذا قبل القها يا موسى فاذا هي بيضاء فيه الاية قبل تعلقها بالاشياء كانت بيضاء نقية
نورانية روحانية لموسى كانت روحانيته في جميع الاوقات ولكن ما كانت نورانيتها منظورة للناظرين الا باظهار الله تعالى بعض الاوقات
خوارق العادات على يده الجسمانية يريد ان يخرجكم لاشك ان موسى اراد ان يخرجهم من ارضهم ولكن من ارض بشريتهم الى النورانية والروحانية توهموا
ان التأخير وحسن الكد يغير شيئا من التقدير ولم يعلموا ان عند حلول الحكم لا سلطان للعلم والفهم ان لنا لاجرا لم يعلموا ان اجرهم في
المغلوبية لا في الغالبية قال نعم وانكم لمن المقربين اجرى الله تعالى على هذا لسان فرعون حقا وصدقا فصاروا مقربين عند الله قالوا يا موسى
اما ان تلقي اكرموا موسى بالتقديم والاستيذان فاكرمهم الله تعالى بالسجود والايمان بسحر عظيم اي عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان
عظيم في الاثم كما قال سبحانك هذا بهتان عظيم وعظمه اثم السحر لمعارضة المعجزة فاذا هي تلقف ما يأفكون فيه ان عصا الذكر اذا القيها عند القاء
سحر سحرة صفات النفس يبتلع بفم لا النفي جميع ما سحروا به اعين الناس فوقع الحق باثبات الا الله وبطل ما كانوا يعملون من تزيين زخارف الدنيا
في العيون فغلبوا اي سحرة صفات النفس بنور الذكر وانقلبوا صاغرين ذليلين تحت اوامر الشرع ونواهيه والقي السحرة ساجدين اي صارت
صفات النفس بعد التمرد منقادة للعبودية برب موسى الروح وهرون القلب اعلم ان صفات النفس اذا تنورت بنور الذكر يتبدل كفرها بالايمان
ولكن النفس بذاتها لا تؤمن ولا تتبدل اللهم الا عند غرقها في الواردات والمواهب الربانية كحال فرعون وايمانه عند الغرق وفي القصة
دلالة على انه تعالى قد يبرز العدو في صورة الولي مثل بلعام وبالعكس كالسحرة قبل ان آذن لكم هذا من جملة جهل فرعون ظن ان الايمان باذن الله
لمكر مكرتموه في موافقة موسى الروح في مدينة القالب لتخرجوا منها اهلها وهو اللذات والشهوات البدنية لاقطعن بسكين التسويل عن الاعمال
الصالحة ثم لاصلبنكم في جذوع تعلقات الدنيا وزخارفها والله اعلم وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا

فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا

در زمین و واگذارد ترا و خدایان ترا گفت که زود باشد که میکشیم فرزندان ایشان را و زنده گذاریم زنان ایشان را و ما بالای ایشان قهر کنندگانیم گفت موسی مر قوم خود را که یاری جوئید

بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ

بخدا و صبر کنید بدرستیکه زمین مر خدای راست میراث دهد آنرا بهرکه خواهد از بندگانش و عاقبت مر پرهیزگاران راست گفتند رنجانیده شدیم پیش از آنکه بیاوری ما را و پس از آنکه

مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ

آوردی ما را گفت امید است که پروردگار شما هلاک کند دشمن شما را و جانشین سازد شما را در زمین پس بنگرد که چه میکنید و هر آینه بتحقیق که فرا گرفتیم آل فرعون را

بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا

بقحطها و کمی از میوها شاید که ایشان پند گیرند پس چون آمد ایشان را نیکی گفتند که از جهت ماست این و اگر رسیدی بدی فال بد زدندی

بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا

بموسی و آنکه با او بود آگاه باش که شومی ایشان در نزد خداست ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند و گفتند که هر زمان که بیاوری ما را نشانی که جادو کنی ما را

فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا

پس نیستیم مر ترا گروندگان پس فرستادیم بر ایشان طوفان را و ملخ را و شپش را و وزغ و خون را آیات روشن پس گردن کشی کردند

وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ

و بودند گروهی گناهکار و چون ثابت شد بر ایشان پلیدی گفتند ای موسی بخوان برای ما پروردگار را بآنچه پیمان بسته در نزد تو که هرگاه بر داری از ما پلیدی را

لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ

هر آینه بگرویم بتو و هر آینه بفرستیم با تو بنی اسرائیل را پس چون برطرف کردیم از ایشان پلیدی را تا زمانی که ایشان رسنده بودند بآن ناگاه ایشان میشکستند عهد را پس انتقام کشیدیم

فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ

پس غرق کردیم ایشان را در دریا بسبب آنکه تکذیب کردند بآیات ما و بودند از آن بیخبران و میراث دادیم گروهی را که بودند ناتوانان

مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ

مشرقهای زمین و مغربهای آنرا که برکت دادیم در آن و تمام شد کلمه پروردگار تو نیکو بر بنی اسرائیل بآنچه صبر کردند و هلاک کردیم آنچه میکرد فرعون



وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى

وقوم او و آنچه ایشان بسته بودند و گذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس آمدند بر گروهی که مقیم بودند بر بتهائی که داشتند گفتند ای موسی

اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ

قرار ده از برای ما خدائی چنانچه مر ایشان راست خدایان گفت که شما گروهی بیخردانید هر آینه این گروه هلاک خواهد شد آنچه ایشان در آنند و باطل است آنچه بودند که میکردند

قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ

گفت آیا غیر خدا را میخواهم خداوند و او زیادتی داد شما را بر عالمیان و چون رهانیدیم شما را از آل فرعون میچشانیدند شما را

سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ القراءة سنقتل

از بدی عذاب میکشتند فرزندان شما را و زنده گذارند زنان شما را و در این بلائی است از پروردگار شما بزرگ

بالتخفيف ابن كثير وابو جعفر ونافع يقتلون بالتشديد الخراز عن هبيرة كلمات ربك على الجمع يزيد في رواية يعرشون بضم الراء حيث كان ابن عامر وابو بكر وحماد الباقون بالكسر يعكفون بكسر الكاف حمزة وخلف الباقون بالضم انجاكم ابن عامر الآخرون انجيناكم على الحكاية يقتلون بالتخفيف الوقوف الهتك تستأنم للابتداء بان العطف لاتحاد القائل فاهرون واصبروا ج لما قلنا عباده المتقين ما جئتنا تعملون يذكرون لنا هذه آية لبا ن شاء بين الاضافتين على التناقض ومن معه لا يعلمون بها بمؤمنين مجرمين بما عهد عندك لان جواب لئن منتظر مع اتحاد القائل بني اسرائيل لان جواب لما منتظر مع دخول الفاء فيه ينكثون م غافلين باركنا فيها ط للعدول عن الحكاية وكذلك بما صبروا ط لعكسه يعرشون يعكفون اصنام لهم لاتحاد القائل بلا عطف آلهة تجهلون يعملون العالمين سوء العذاب ط لاحتمال كون ما بعده مستأنفا وحالا ابناءكم ط عظيم والله اعلم

التفسير ان فرعون بعد وقوع الواقعة لم يتعرض لموسى ولا اخذه وحبسه لانه كان كلما رأى موسى خافه اشد الخوف الا ان قومه لم يعرفوا ذلك فحملوه على اخذه وحبسه فقالوا أتذر موسى اتتركه وقومه ليفسدوا في الارض اي يغيروا على الناس دينهم الذي كانوا عليه او ليتوسلوا بذلك الى اخذ الملك ويذرك عطف على ليفسدوا او قوله وآلهتك مفعول معه والمراد انه اذا تركهم ولم يمنعهم كان ذلك مؤديا الى تركه مع الهته فقط ويحتمل ان يكون منصوبا على انه جواب الاستفهام والمعنى يكون منك ان تذر موسى ويكون من موسى ان يذرك وآلهتك قال كثير من المفسرين ان فرعون كان قد وضع لقومه اصناما صغارا وامرهم بعبادتها وسمى نفسه الرب الاعلى وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام ووجه بانه لعله كان اتخذ اصناما على صور الكواكب مدبرات العالم السفلي والمخدوم الحقيقي في هذا العالم والمربي لهم فهو نفسه فقوله انا ربكم الاعلى اي انا مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم وكل ذلك بناء على انه كان دهريا ينكر وجود الصانع ثم ان فرعون اوهم قومه انما يحبسه ولم يمنعه لعدم التفاته اليه لا للخوف فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم فكانه قال ان موسى انما يمكنه الافساد بواسطة الرهط والشيعة فنحن نسعى في تقليل رهطه وشيعته وانا فوقهم قاهرون اي سنعيد عليهم ما كنا عليه من الغلبة ولئلا يتوهم العامة انه المولود الموعود من قبل الكهنة ولكنه منتظر بعد قال موسى لما وصل ما جرى بين فرعون وملائه اليه لقومه استعينوا بالله واصبروا ولا ريب ان الصبر نتيجة الاستعانة بالله فان من انه لا مدبر للعالم الا الله تعالى انشرح قلبه بنور المعرفة وعلم ان الكل بقضاء الله وقدره فيسهل عليه كل ما يصل اليه ثم لما امرهم بشيئين بشرهم بآخرين فقال ان الارض يعني ارض مصر او جنس الارض فيتناول مصر بالتبعية لله يورثها من يشاء من عباده يعني بالتوريث جعل الشيء للخلف بعد السلف والعاقبة للمتقين والخاتمة الحميدة لمن هو بصدد التقوى منكم ومن القبط وهذا من الكلام المنصف لانه معلوم ان القبط لا تقوى لهم او المراد ان كل من اتقى الله تعالى وخافه فالله الغني الكريم يعينه في الدنيا والآخرة ثم انهم خافوا وفزعوا من تهديد فرعون فشكوا الى موسى مستعجلين النصر قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولده الى حين نبوته ثم اعادة ذلك عليهم في قوله سنقتل الى غير ذلك من انواع المحن والمهن فعند ذلك قال لهم موسى مصرحا بما رمز اليهم من البشارة قبل عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض ارض مصر ولا ريب ان في عسى طمعا واشفاقا ومثل هذا الكلام اذا صدر عن النبي المؤيد بالمعجزات القاهرة الناظر بنور الحق افاد قوة اليقين وازال ما خامرهم من الضعف ثم قال فينظر كيف تعملون قال الزجاج اي يرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه شكره وكفره لوقوع ذلك منكم لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم قديما وانما يجازيهم على ما يقع حديثا فيتعلق الرؤية الآن ليتم عن عمرو بن عبيد انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم يكن فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعدما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون وكيف نصب يعملون لا بينظر لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ثم حكى سبحانه ما نزل بفرعون وآله من المحن والبلايا بشوم التكذيب والتمرد فقال ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين اي بسني القحط فالسنة من الاسماء الغالبة غلبت عليه الحرب كالدابة والنجم وقد يراد بها في غير هذا الموضع الحول والعام قال ابو زيد والفراء بعض العرب يقول هذه سنين ورأيت سنينا فيعرب ومنه قول الشاعر دعاني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا والسنون من الجوع المجحف الشاذة عن ابن عباس السنون لاهل البوادي واصحاب المواشي ونقص من الثمرات لاهل الامصار وفائدة توسيط من ان يعلم ان كل الثمرات لم ينقص وانما نقص بعضها لعلهم يذكرون فيتنبهوا ويرجعوا الى الانقياد والطاعة فان مس الضر مما

قوله سنقتل ابناءهم الخ اي نعيد عليهم ما كنا محتاجين من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا م



يلين الاعطاف ويرق القلوب قيل عاش فرعون اربعمائة سنة لم ير مكروها في ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية قال القاضي في الاية دلالة على انه تعالى اراد منهم ان يتذكروا ولا يقيموا على ما هم عليه من الكفر واجيب بانه يعاملهم معاملة المختبر ولا اختبار في الحقيقة ولا اختيار ولا يرعوي عن الكفر والطغيان الا من شاء واراد ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فلهذا حكى عن فرعون وقومه فاذا جاءتهم الحسنة قال ابن عباس اي العشب والخصب والمواشي والثمار وسعة الرزق والعافية والسلامة قالوا لنا هذه اي نحن مخصوصون بذلك لم نزل في الرفاهية والنعمة وهكذا عادة الزمان فينا ولم يعلموا انها من الله فيشكروه عليها ويقوموا بحق نعمته وان تصبهم سيئة اي ضدها ذكرنا يطيروا اي يتشاءموا بموسى ومن معه واصله يتطيروا فادغم التاء في الطاء لقرب مخرجهما وانما عرفت الحسنة وخصت باذا ونكرت السيئة وقرنت بان لان جنس الحسنة وقوعها كالواجب لكثرته وشموله واما السيئة فوقوعها نادر مشكوك فيه ولهذا قيل لقد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله قال الازهري يقال للشوم طائر وطيرة وعن ابن عباس طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم ومنه قول العرب طار له سهم كذا اي حصل ووقع ذلك المقدر حظه وكان النبي ﷺ يتفال ولا يتطير لان الفال الكلمة الحسنة والتطير عيافة الطير قال الامام فخر الدين الرازي وذلك لان الارواح الانسانية اقوى واصفى من الارواح البهيمية فيمكن الاستدلال بالاول على بعض الخفيات بخلاف الثاني ومعنى الاية ان كل ما يصيبهم من خير او شر فهو بقضاء الله وبتقديره ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الكل رهين بمشيته وتقديره فيقولون هذا بيمن فلان او بشومه وقد تشاءمت اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة فقالوا غلت اسعارنا وقلت امطارنا مذ اتانا قال في الكشاف ويجوز ان يكون معناه الا ان سبب شومهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم وكما حكى عنهم انهم لجهلهم اسندوا حوادث هذا العالم لا الى قضاء الله وقدره كذلك حكى عنهم انهم لجهلهم وسفههم لم يميزوا بين المعجزة والسحر وقالوا لنبيهم مهما تأتنا به من اية وفي مهما قولان فعن الخليل والبصريين ان اصلها ما الشرطية زيدت عليها ما المؤكدة الابهامية ثم كرهوا التكرار فجعلوا الالف من الاولى هاء وعن الكسائي ان مه بمعنى اكفف وما للشرط كانه قيل كف ما تأتنا به ومحل مهما الرفع بمعنى اي شيء تحضرنا تأتنا به ومن اية بيان لها والضمير في به وكذا في بها يعود اليه شيء ما امكن العود الى المبين الا ان الضمير ذكر تارة حملا على اللفظ وانث اخرى حملا على المعنى وسموها اية تهكما اذ لو قالوا ذلك اعتقادا لم يردفوه بقولهم لتسحرنا بها وبقولهم فما نحن لك بمؤمنين قال ابن عباس ان القوم لما قالوا ما قالوا وكان موسى رجلا حديدا دعا عليهم فارسل الله عليهم الطوفان قيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والاصح انه المطر واصله ما طاف وغلب من مطر او سيل ارسل الله عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما امنوا فانبت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله وزعموا ان هذا الذي جزعوا منه هو خير لهم ولم يشعروا به فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة فارسل الله تعالى ريحا فاحتملت الجراد فالقته في البحر وقيل خرج موسى الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان كبار القردان عن ابي عبيدة وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وقرأ الحسن القمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف وعن سعيد بن جبير هو السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلي قملا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذ في ابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل عليهم الضفادع بعد شهر فدخلت بيوتهم وامتلأت منها انيتهم واطعمتهم وكان احدهم اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكان يمتلي منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي فشكوا الى موسى فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما وكان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي القبطي دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك وكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وقيل الدم الرعاف سلطه الله عليهم وقوله ايات مفصلات نصب على الحال من المذكورات ومعناها ظاهرات لا تشكل على عاقل انها معجزات او فصل بين بعض وبعض بزمان يمتحن فيه احوالهم وينظر ايوفون بالعهد ام ينكثون كما روي ان موسى ؑ مكث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات ولا شك ان كل واحدة من هذه معجزة في نفسها واختصاصها بالقبطي دون الاسرائيلي معجز اخر فاستكبروا عن العبادة والطاعة وكانوا قوما مجرمين مصرين على الذنب والجرم ثم فصل استكبارهم واجرامهم فقال ولما وقع عليهم الرجز اي الانواع الخمسة المذكورة من العذاب وعن سعيد بن جبير انه الطاعون وهو العذاب السادس الذي كان اصابهم فمات من القبط سبعون الف انسان في يوم واحد فتركوا غير مدفونين قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة فما مصدرية والباء يتعلق بادع تعلق القلم بالكتابة في قولك كتبت بالقلم اي ادع الله متوسلا اليه بعهده عندك او تعلق المقسم به

لا بهما لان البيان كالتبيان فلا يعود

فاخذ عليهم

ما يلي الاسرائيلي ماء

بالفعل



بالفعل فيكون باء الاستعطاف اى اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة ووجه آخر وهو ان يكون
قسما مجابا بلنؤمنن فيكون متعلقا بالاقسام اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل
اى نخليهم وشأنهم فيذهبون حيث شئت فلما كشفنا عنهم العذاب لا مطلقا ولا فى جميع الوقائع بل الى اجل هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه اذا هم
ينكثون جواب لما اى لما كشف عنهم فاجأوا النكث وبادروه فانتقمنا منهم سلبنا النعمة عنهم بالعذاب فاغرقناهم فى اليم وهو البحر الذى لا يدرك
قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه سمى باليم لان المنتفعين به يممونه اى يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اى كان اغراقهم بسبب التكذيب بانهم
كانوا عنها اى عن الآيات وقيل عن النقمة بدلالة انتقمنا اى كانوا عن النقمة قبل حلولها غافلين اى معرضين غير متفكرين فان نفس الغفلة
ليست باختيار الانسان حتى يترتب الوعيد عليها ثم بين ما فعله بالمحقين بعد هلاك المبطلين فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون
بقتل الابناء واستحياء النساء والاستخدام فى الاعمال الشاقة مشارق الارض ومغاربها يعنى ارض مصر والشام لانها هى التى كانت تحت تصرف فرعون
وبقوله التى باركنا فيها اى بالخصب وسعة الارزاق وذلك لا يليق الا بارض الشام وقيل المراد بجملة الارض لانه خرج من بنى اسرائيل من ملك جملتها كداود
وسليمان وتمت كلمة ربك الحسنى تأنيث الاحسن صفة الكلمة قيل يريد بالكلمة قوله فى سورة القصص ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
فى الارض ونجعلهم ائمة الى تمام الآيتين ومعنى تمت مضت واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه وقيل معنى تمام الكلمة الحسنى انجاز الوعد
الذى تقدم باهلاك عدوهم واستخلافهم فى الارض لان الوعد بالشئ جعله كالمعلق فاذا حصل الموعود صار تاما كاملا بما صبروا اى بسبب صبرهم
وفيه ان الصبر عنوان الظفر وضمين بالنصر والفرج ودمرنا اى اهلكنا والدمار الهلاك ما كان يصنع فرعون وقومه قال ابن عباس يريد المصانع
وقال غيره يعنى العمارات وبناء القصور ولعله على العموم فيتناول المدن والايوان وما كانوا يعرشون من الجنات كقوله وهو الذى انشأ جنات
معروشات وقيل وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وههنا تمت قصة فرعون والقبط ثم ذكر ما جرى على بنى
اسرائيل بعد ذلك فقال وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر روى انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموا شكرا لله
فأتوا على قوم لهم فمروا بقوم يعكفون ويواظبون على عبادة اصنام لهم قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم
نزلوا الرقة عن قتادة وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى بقتالهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة ما كافة للكاف عن العمل ولهذا
دخلت على الجملة وكانهم طلبوا من موسى ان يعين لهم اصناما وتماثيل يتقربون بعبادتها الى الله تعالى كقول الكفرة ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى فتوجه اللوم عليهم لان العبادة نهاية التعظيم سواء اعتقد انه المعبود او تقربا الى الله ونهاية التعظيم لا يليق الا بمن يصدر عنه نهاية الانعام
وكان هذا القول لا يصدر من مشايخ بنى اسرائيل وعقلائهم كالسبعين المختارين ولكنه صدر عن عوامهم وجهلتهم ولهذا قال لهم موسى انكم قوم
تجهلون تعجب من قولهم على اثر ما رأوا من الآيات العظمى فوصفهم بالجهل المطلق المؤكد وعن على رضى الله عنه ان يهوديا قال اختلفتم بعد نبيكم
قبل ان يجف ماؤه فقال على اختلفنا عنه لا فيه ثم قال قلتم اجعل لنا الها ولما تجف اقدامكم ان هؤلاء عبدة تلك التماثيل متبر مكسر مهلك
ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا والتبار الهلاك وباطل ما كانوا يعملون اى يتبر الله اصنامهم ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى
فيصير فى الزوال والاضمحلال وفى ايقاع هؤلاء اسما لان وفى تقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لان اشارة الى ان عبدة الاصنام ليسوا
على شئ البتة وان مصيرهم الى النار لا محالة قال اغير الله ابغيكم الها انتصب غير على الحال المقدمة التى لو تأخرت كانت صفة كما تقول ابغيكم الها
غير الله وانتصب الها على المفعول به قال الواحدى يقال بغيت فلانا شيئا وبغيته له قال تعالى يبغونكم الفتنة والمعنى اغير المستحق للعبادة اطلب لكم
معبودا وهو فضلكم على العالمين خصكم بالنعم الجسام دون ابناء زمانكم ومعنى الهمزة الانكار والتعجب مما قالوا مع كونهم مغمورين فى نعم الله فان
الاله ليس شيئا يطلب ويجعل بل الاله هو الموجود بنفسه القادر على الايجاد والاعدام والاكرام والانعام والآيات الباقية قد مر تفسيرها فى
البقرة والفائدة فى اعادتها ههنا التعجيب والتعجب ممن اشتغل بعبادة غير هذا المنعم وانما قيل ههنا يقتلون دون يذبحون ليناسب قوله
سنقتل ابناءهم والله اعلم. التأويل وقال الملأ من قوم فرعون من الهوى والغضب والكبر لفرعون النفس أتذر موسى الروح وقومه من القلب
والسر والعقل ليفسدوا فى الارض البشرية ويذرك والهتك من الدنيا والشيطان والطبع قال فرعون النفس سنقتل ابناءهم يعنى
اعمالهم الصالحة نبطلها بالرياء والعجب ونستحيى نساءهم اى الصفات التى عنها تتولد الاعمال وانا فوقهم قاهرون بالمكر والخديعة والحيلة قال
موسى الروح لقومه لهم القلب والعقل والسر استعينوا بالله واصبروا على جهاد النفس ومخالفتها ومتابعة الحق ان الارض يعنى ارض البشرية
يورثها من يشاء من عباده يورث ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها
فتتصف بصفاتها والعاقبة للمتقين يعنى عاقبة الخير والسعادة للاتقياء السعداء يورثها ارض بشرية السعداء الروح وصفاته فتتصف
بصفاته ويورث ارض بشرية الاشقياء النفس وصفاتها فتتصف بصفاتها اوذينا من قبل ان تأتينا بالواردات الروحانية قبل البلوغ كنا
نتأذى من اوصاف البشرية ومعاملاتها ومن بعد ما جئتنا بالواردات والالهامات الروحانية بعد البلوغ نتأذى من دواعى البشرية
عسى ربكم ان يهلك عدوكم النفس وصفاتها وفيه اشارة الى ان الواردات الروحانية لا يكفى لافناء النفس وصفاتها ولا بد فى ذلك من

الله او اعتقد انه

بتجلي صفات الربوبية فاذا جاءتهم الحسنة للكفر ولا يرى فضل المنعم وكذا السلوك اذا اراد قطيعة مل الوصال وقال كان وكان ولكن اكثرهم
لا يعلمون لان بصائرهم مسدودة عقولهم عن شهود الحق مصدودة فارسلنا عليهم الطوفان العلم الكثير والجراد الواردات والقمل
الالهامات والضفادع الخواطر والدم اصناف المجاهدات والرياضات مفصلات وقتا بعد وقت وحينا غب حين فاستكبروا عن
قبولها وكانوا قوما مجرمين في الازل فلهذا لم يفدهم الوسايط والاسباب كما وقع عليهم الرجز وهو عذاب القطيعة فاغرقناهم في يم الدنيا
وشهواتها وما كانوا يعرشون اي يرفعون بالتجبر والتكبر انفسهم من عرش الطائر اذا ارتفع بجناحيه على من تحته وجاوزنا بصفات القلب
من بحر الدنيا وخلصناهم من فرعون النفس فوصلوا الى صفات الروح يعكفون على اصنام لهم من المعاني المعقولة والمعارف الروحانية
فاستحسنوها وارادوا العكوف على عتبة عالم الارواح قال لهم موسى الوارد الرباني عند ركونهم الى الروحانيات انكم قوم تجهلون قدر الله
وعنايته فعلم ان هؤلاء يعني صفات الروح متبر ما هم فيه من الركون والعكوف على استحلاء المعاني المعقولة وباطل ما كانوا يعملون في غير طلب الحق و
الوصول الى المعارف الربانية وهو فضلكم على العالمين من الحيوان والجن والملك بفضيلة العبور من الجسمانيات والروحانيات والوصول الى المعارف والحقايق الالهية

ع وَوٰعَدْنَا مُوسٰى ثَلٰثِينَ لَيْلَةً وَّاَتْمَمْنٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقٰتُ رَبِّهٖٓ اَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسٰى لِاَخِيهِ هٰرُونَ اخْلُفْنِي فِي

و وعده کردیم موسی را سی شب و افزودیم بران ده شب پس تمام شد وعده پروردگار او در چهل شب و گفت موسی مر برادر خود را ای هرون جانشین باش مرا

قَوْمِي وَاَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَلَمَّا جَآءَ مُوسٰى لِمِيقٰتِنَا وَكَلَّمَهٗ رَبُّهٗ ۙ قَالَ رَبِّ اَرِنِيٓ اَنْظُرْ اِلَيْكَ ۚ قَالَ

در قوم من و اصلاح کن و پیروی مکن راه تباه کاران را و چون آمد موسی مر وعده گاه ما را و گفتگو کرد او را پروردگار او گفت پروردگارا بنمای خود را به من تا بنگرم بتو گفت

لَنْ تَرٰىنِي وَلٰكِنِ انْظُرْ اِلَى الْجَبَلِ فَاِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهٗ فَسَوْفَ تَرٰىنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلّٰى رَبُّهٗ لِلْجَبَلِ جَعَلَهٗ دَكًّا وَّخَرَّ مُوسٰى صَعِقًا ۚ

هرگز نبینی مرا و لکن بنگر بسوی کوه پس اگر قرار گرفت در جای خود پس ببینی مرا پس چون تجلی کرد پروردگار او کوه را گردانید او را پاره پاره و افتاد موسی بیهوش

فَلَمَّآ اَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ اِلَيْكَ وَاَنَا اَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قَالَ يٰمُوسٰىٓ اِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسٰلٰتِي

پس چون بهوش آمد گفت منزهی تو بازگردیدم بسوی تو و منم نخست گروندگان گفت ای موسی من برگزیدم ترا بر مردم به پیغامهای خود

وَبِكَلَامِي ۖ فَخُذْ مَآ اٰتَيْتُكَ وَكُنْ مِّنَ الشّٰكِرِينَ ۝ وَكَتَبْنَا لَهٗ فِي الْاَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَّتَفْصِيلًا لِّكُلِّ

و بگفتار خود پس بگیر آنچه دادم ترا و باش از سپاسگزاران و نوشتیم برای او در لوحها از هر چیزی پند و بیان از برای هر

شَيْءٍ ۚ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَّاْمُرْ قَوْمَكَ يَاْخُذُوا بِاَحْسَنِهَا ۚ سَاُورِيكُمْ دَارَ الْفٰسِقِينَ ۝ سَاَصْرِفُ عَنْ اٰيٰتِيَ الَّذِينَ

چیزی پس بگیر آنرا بتوانائی و بفرمای قوم خود را بگیرند به نیکوتر آن زود باشد که بنمایم شما را جایگاه فاسقان را زود باشد که بگردانم از آیات خود آنها را که

يَتَكَبَّرُونَ فِي الْاَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ وَاِنْ يَّرَوْا كُلَّ اٰيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ وَاِنْ يَّرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ

گردنکشی میکنند در زمین بدون حق و اگر ببینند هر نشانه را نگروند بآن و اگر ببینند راه حق را نگیرندش راه

ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غٰفِلِينَ ۝ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِاٰيٰتِنَا وَلِقَآءِ الْاٰخِرَةِ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ ۚ هَلْ

این بجهت آنست که ایشان دروغ داشتند آیات ما را و بودند از آن بیخبران و آنان که دروغ داشتند آیات ما را و دیدار آخرت ناچیز شد کردارهای ایشان آیا

يُجْزَوْنَ اِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ ع وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسٰى مِنْ بَعْدِهٖ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهٗ خُوَارٌ ۚ اَلَمْ يَرَوْا اَنَّهٗ لَا يُكَلِّمُهُمْ

مزد داده میشوند بجز آنچه بودند میکردند و فرا گرفتند قوم موسی پس از وی از زیور ایشان گوساله کالبدی که مر او را آواز بود آیا ندیدند که او گفتگو نمیکرد با ایشان

وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ اِتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظٰلِمِينَ ۝ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ اَيْدِيهِمْ وَرَاَوْا اَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا ۙ قَالُوا لَئِنْ لَّمْ يَرْحَمْنَا

و نمینماید بایشان راهی را فرا گرفتند او را و بودند ستمکاران و چون پشیمان شدند و دیدند که ایشان گمراه شدند گفتند که اگر رحم نکند ما را

رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ۝ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسٰىٓ اِلٰى قَوْمِهٖ غَضْبٰنَ اَسِفًا ۙ قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي

پروردگار ما و نیامرزد ما را هر اینه باشیم از زیانکاران و چون بازگشت موسی بسوی قوم خود خشمناک و غمناک گفت بد جانشینی کردید مرا

مِنْۢ بَعْدِيٓ ۚ اَعَجِلْتُمْ اَمْرَ رَبِّكُمْ ۚ وَاَلْقَى الْاَلْوَاحَ وَاَخَذَ بِرَاْسِ اَخِيهِ يَجُرُّهٗٓ اِلَيْهِ ۚ قَالَ ابْنَ اُمَّ اِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي

پس از من آیا شتافتید در فرمان پروردگار خود و افگند لوحها را و گرفت سر برادر خود را میکشید او را بسوی خود گفت ای برادر مادری هر آینه قوم ناتوان کردند مرا

وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ۖ فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْاَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ۝ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِاَخِي وَاَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ

و نزدیک بودند که بکشند مرا پس شاد مکن بمن دشمنان را و مگردان مرا با گروه ستمکاران گفت پروردگارا بیامرز مرا و برادر مرا و داخل کن ما را در رحمت خود

ع وَاَنْتَ اَرْحَمُ الرّٰحِمِينَ ۝ اِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا ۚ وَكَذٰلِكَ

و توئی مهربان ترین مهربانان بدرستیکه آنان که فرا گرفتند گوساله را زود باشد که رسد بایشان خشمی از پروردگار ایشان و خواری در زندگانی دنیا و همچنین

نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ۝ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّاٰتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْۢ بَعْدِهَا وَاٰمَنُوٓا ۖ اِنَّ رَبَّكَ مِنْۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝

مزد میدهیم بر هم بافندگان را و آنان که کردند بدیها پس توبه کردند پس از آن و گرویدند بدرستیکه پروردگار تو پس از آن هر اینه آمرزنده مهربانست

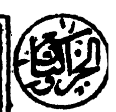
الاعراف

وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ القراءة ارنى انظر
وچون فرونشست از موسى خشم فراگرفت لوحها را ودر نوشتهء آن راستي بود ورحمت آنرا كه ايشان مر پروردگار را خوف دارند بسكون الراء وفتح
الياء ابن فليح وزمعة والخزاعي عن البزي الباقون بكسر الراء وسكون الياء دكاء بالمد حمزة وعلي وخلف اني اصطفيتك بفتح الياء المتكلم ابن كثير
وابو عمرو برسالتي على التوحيد ابو جعفر ونافع وابن كثير الاخرون برسالاتي اياتي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة الرشد بفتحتين حمزة وعلي وخلف
الباقون بضم الراء وسكون اللام يعقوب حليهم بالكسرات وتشديد الياء حمزة وعلي الباقون مثله ولكن بضم الحاء ترحمنا ربنا وتغفر لنا بالخطاب و
النداء حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ورفع ربنا على الفاعلية بعدي اعجلتم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو قال ابن ام بكسر
الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الباقون بفتحها ومثله يا ابن ام في طه الوقوف اربعين ليلة ج للعطف مع اختلاف
القائل المفسدين ه ربه لا لان ما بعده جواب لما اليك ط فسوف تراني ج صعقا ج المؤمنين ه الشاكرين ه لكل شيء ج للعدول مع فاء التعقيب باحسنها ط
الفاسقين ه بغير الحق ط بها ج لابتداء شرط اخر لبيان تعارض الاحوال مع العطف سبيلا ج لذلك سبيلا ج غافلين ه اعمالهم ط يعملون ه خوار ط سبيلا م
لئلا يصير الجملة صفة السبيل فان الهاء ضمير العجل ظالمين ه ضلوا لا لان ما بعده جواب الخاسرين ه اسفا لا ما بعدي ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد
القائل امر ربكم ج لان قوله والقى معطوف على قوله قال بئسما وقد اعترض بينهما استفهام اليه ط يقتلونني ز ماضيا والوصل اولى لان الفاء
للجزاء اي اذا هموا بقتلي فلا تشمت بي الظالمين ه في رحمتك ز لان الاولى ان يوصل لان الواو للحال تحسينا للدعاء بالثناء الراحمين ه الدنيا ط
المفترين ه وامنوا ز لظاهر ان والوجه الوصل لان بعده خبر والعائد محذوف والتقدير ان ربك من بعد توبتهم لغفور لهم رحيم ه الالواح ج صلى
لاحتمال ما بعده الحال يرهبون ه التفسير لما اهلك الله سبحانه اعداء بني اسرائيل سأل موسى ربه ان يؤتيه الكتاب الذي وعده فامره بصوم ثلثين
وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلثين انكر من نفسه خلوف الفم فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدتها بالسواك
فاوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لهذا السبب وقيل فائدة
التفصيل انه تعالى امره بصوم ثلثين وان يعمل فيها ما يقربه من الله ثم انزلت عليه التورية في العشر وكلم فيها وقال ابو مسلم الاصفهاني
من الجائز ان يكون موسى عند تمام الثلثين بادر الى ميقات ربه قبل قومه بدليل قوله في طه وما اعجلك عن قومك يا موسى فلما اعلمه
الله تعالى خبر قومه مع السامري رجع الى قومه ثم عاد الى الميقات في عشرة اخرى فتم اربعون ليلة وقيل لا يمتنع ان يكون الوعد الاول لحضور المختارين
معه ليسمعوا الكلام ومن فوائد الفذلكة في قوله فتم ميقات ربه اربعين ليلة ازالة وهم من يتوهم ان الميقات كان عشرين ثم اتمه بعشر
فصار ثلثين والفرق بين الميقات والوقت ان الميقات ما قدر فيه عمل من الاعمال والوقت وقت الشيء قدره مقدر ام لا وانتصب اربعين على الحال
اي تم بالغا هذا العدد وهرون عطف بيان لاخيه وقرئ بالضم على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح كن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح
من امور بني اسرائيل ومن دعاك الى الافساد فلا تتبعه وانما جعله خليفته مع انه شريكه في النبوة بدليل واشركه في امري والشريك اعلى حالا
من الخليفة لان نبوة موسى كانت بالاصالة ونبوة هرون بتبعيته فكانه خليفته ووزيره وانما وصاه بالاصلاح تاكيدا واطمئنانا والا فالنبي
لا يفعل الا الاصلاح ولما جاء موسى لميقاتنا اللام بمعنى الاختصاص كانه قيل اختص مجيئه بوقتنا الذي حددنا له كما يقال اتيته لعشر خلون
من شهر كذا وكلمه ربه للناس في كلام الله مذاهب فقيل عبارة عن هذه الحروف المؤلفة المنتظمة وقيل صفة حقيقية مخالفة للحروف و
الاصوات وعلى الاول فمحل تلك الحروف والاصوات هو ذات الله تعالى وهو قول الكرامية او جسم مغاير كالشجرة ونحوها وهو قول المعتزلة
وعلى الثاني فالاشعرية قالوا ان موسى عم سمع تلك الصفة الازلية لانه كما لا يتعذر رؤية ذاته مع انه ليس بجسم ولا عرض فكذا لا يمتنع
سماع كلامه مع انه ليس بحرف ولا صوت وقال ابو منصور الماتريدي الذي سمعه موسى عم اصوات مقطعة وحروف مؤلفة قائمة بالشجرة واختلف
العلماء ايضا في ان الله تعالى كلم موسى وحده ظاهر الاية او مع السبعين المختارين وهو قول القاضي لان تكليم الله موسى معجز وقد تقدمت
نبوة موسى فلا بد من ظهوره لهذا المعجز لغيره قال رب ارني انظر اليك اي ارني نفسك واجعلني متمكنا من رؤيتك فانظر اليك و
اراك عن ابن عباس ان موسى عم جاء ومعه السبعون وصعد الجبل وبقي السبعون في اسفل الجبل وكلم الله موسى وكتب له في الالواح كتابا
وقربه نجيا فلما سمع صرير القلم عظم شوقه فقال رب ارني انظر اليك قالت الاشاعرة ان موسى سأل الرؤية ان موسى سأل الرؤية وانه عارف
بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى فلو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها قال القاضي للمحصلين من العلماء في هذا المقام اقوال احدها قول
الحسن وغيره ان موسى ما عرف ان الرؤية غير جائزة على الله تعالى وهذا لا يقدح في معرفته لان العلم بامتناع الرؤية وجوازها لا يبعد ان
يكون موقوفا على السمع وزيف بانه يلزم ان يكون موسى ادون حالا من علماء المعتزلة العالمين بامتناع الرؤية على الله تعالى وبانهم يدعون
العلم الضروري بان كل ما كان مرئيا فانه يجب ان يكون مقابلا او في حكم المقابل فلو لم يكن هذا العلم حاصلا لموسى كان ناقص العقل
وهو محال وان كان حاصلا او جوز موسى عليه المقابلة كان كفرا وهو ايضا محال وثانيها طريقة ابي علي وابي هاشم ان موسى عم
سأل الرؤية عن لسان قومه فقد كانوا يكررون المسألة عليه بقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة وزيف بانه لو كان كذلك

الشين من حليهم بفتح الحاء وسكون

موسى وحده والوعد الثاني لحضرة

في كلام الله تعالى



لقول موسى ارهم ينظروا اليك ولقال الله لن يروني ولانه لو كان محالا لمنعهم كما منعهم لما قالوا اجعل لنا الها وبانه ذكر الدليل القاطع في هذا
المقام فرض ضيق فلم يمكن تأخيره مع انهم لو كانوا مقرين بنبوة موسى كفاهم في الامتناع عن السؤال قول موسى والا فلا انتفاع لهم بهذا الجواب فالحق
لهم ان يقولوا لا نسلم ان هذا المنع من الله بل هذا مما افتريته على الله وثالثها وهو اختيار ابي القاسم الكعبي ان موسى سئل ربه المعرفة الضرورية
بحيث يزول عنده الخواطر والوساوس كما في معرفة اهل الآخرة وزيف بانه تعالى اراه من الآيات كالعصا واليد وغيرهما ما لا غاية بعدها يليق بان
يقول اظهر لي انه تدل على انك موجود ولو فرض انه لا يليق بحال موسى فلم منعه انه تعالى عن ذلك وللقائل ان يقول منعه في الدنيا لحكمة عرفها الله
تعالى ولا يلزم منه المنع في الآخرة ورابعها وهو قول ابي بكر الاصم ان موسى اراد ان يتأكد الدليل العقلي بالدليل السمعي وتعاضد الدلائل امر مطلوب
للعقلاء وضعف بانه كان الواجب عليه ح ان يقول ارني انظر اليك ان يقوى امتناع رؤيتك بوجوه زائدة على ما ظهر في عقلي وللقائل ان يقول
هذا تعيين الطريق وفي الآية سؤال وهو انه تعالى لم قال لن تراني دون لن تنظر الي ليناسب قوله انظر اليك والجواب لان موسى لم يطلب النظر
المطلق وانما طلب النظر الذي معه الادراك بدليل ارني ومن حجج الاشاعرة انه تعالى علق رؤيته على امر جائز هو استقرار الجبل والمعلق على الجائز
جائز ورد بانه علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته بدليل قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه اي في وقت النظر وعقيبه و
استقرار الجبل حال حركته محال ومنها قوله فلما تجلى ربه اي ظهر وبان ومنه جلوة العروس اذا ابرزتها وظهر للجبل اقتداره وتصدى له امره وارادته
جعله دكا اي مدكوكا مصدر بمعنى مفعول والدك والدق اخوان ومن قرأ بالمد اراد ارضا دكاء مستوية ومنه ناقة دكاء متواضعة السنام والدكا
بمد اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة والغرض من الجميع تعظيم شان الرؤية وان احدا لا يقوى على ذلك الا بتقوية الله وتأييده وقالت
المعتزلة الرؤية امر محال لقوله لن تراني وكلمة لن ان لم تفد التأبيد فلا اقل من التأكيد وايضا الاستدراك في قوله ولكن انظر معناه ان النظر الي
محال فلا تطلبه لكن عليك بنظر اخر الى الجبل لتشاهد تدكدك اجزائه وتفرق ابعاضه من عظمة التجلي واذا لم يطق الجماد ذلك فكيف الانسان قالت
الاشاعرة ههنا لم يبعد ان يخلق الله تعالى في الجبل حياة وعقلا وفهما ورؤية وليهم قوله وخر موسى صعقا اي مغشيا عليه غشية كالموت دليل
استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم روي ان الملائكة مرت عليه غشية كالموت دليل استحالة الرؤية على الانبياء فضلا عن غيرهم وروي ان
الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم يقولون يا ابن النساء الحيض اطمعت في رؤية رب العزة وايضا قوله بعد الافاقة من
الصعقة سبحانك تبت اليك مما لا يليق بك من جواز الرؤية عليك اي تبت اليك من طلب الرؤية بغير اذن منك وان كان لغرض صحيح
هو تنبيه القوم على استحالة ذلك بنص من عندك وانا اول المؤمنين بانك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس وقالت الاشاعرة وانا
اول المؤمنين بانك لا ترى في الدنيا او بانه لا يجوز السؤال منك الا باذنك ثم لما سأل الرؤية ومنعه الله اياها اخذ في تعداد وسائر
نعمه عليه وامره ان يشتغل بشكرها فقال يا موسى اني اصطفيتك الآية والمقصود تسلية موسى عن منع الرؤية قيل وفي هذا دليل على
جواز الرؤية في نفسها والا لم يكن الى هذا العذر حاجة وانما قال اصطفيتك على الناس ولم يقل على الخلق لان الملائكة قد تسمع كلام الله
تعالى من غير واسطة كما سمعه موسى والغرض انه تعالى خصه من دون الناس بمجموع امرين الرسالة والكلام وسائر الرسل لهم الرسالة فقط وانما كان
الكلام بلا واسطة سببا للشرف بناء على العرف الظاهر وقد جاء في المثل لنا شتان بين من اتخذه الملك لنفسه حبيبا وقربه اليه بلطفه تقريبا
وبين من ضرب له الحجاب وحال بينه وبين المقصود بواب ونواب المراد بالرسالات ههنا اسفار التوراة فخذ ما اتيتك من شرف الرسالة
والكلام وكن من الشاكرين لله على ذلك بان تشتغل بلوازمها علما وعملا ثم فصل تلك الرسالة فقال وكتبنا له في الالواح قيل خر موسى صعقا
يوم عرفة واعطاه الله التوراة يوم النحر وذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها انها كانت عشر الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت
من زمرد جاء بها جبرئيل وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل كانت من خشب نزلت من السماء وعن وهب انها كانت من صخرة صماء لينها الله
تعالى لموسى فقطعها بيده وشققها باصابعه وقيل طولها كان عشرة اذرع والتحقيق ان امثال هذه يحتاج الى النقل الصحيح والا وجب السكوت
عنه اذ ليس في الآية ما يدل على ذلك واما كيفية تلك الكتابة فقال ابن جريج كتبها جبرئيل بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وحكم
هذا النقل ايضا كما قلنا من كل شيء مفعول كتبنا ومن للتبعيض نحو اخذت من الدراهم موعظة وتفصيلا بدل منه فيدخل في الموعظة
كل ما يوجب الرغبة في الطاعة والنفرة عن المعصية وذلك بذكر الوعد والوعيد واراد بالتفصيل تبيين كل ما يحتاج اليه بنو اسرائيل من اقسام
الاحكام ويجوز ان يكون موعظة وتفصيلا مفعولين لكتبنا والمفرد وكتبنا في الالواح موعظة من كل شيء وتفصيلا لكل شيء قيل انزلت
التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها
على ارادة القول اي وكتبنا فقلنا له خذها او بدل من قوله فخذ ما اتيتك والضمير للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات
او للتوراة بقوة بجد وعزيمة فعل اولي العزم من الرسل وامر قومك يأخذوا باحسنها سئل ههنا انه لما تعبد بكل ما في التوراة وجب كون
الكل مأمورا به فظاهر قوله يأخذوا باحسنها يقتضي ان فيها ما ليس باحسن وانه لا يجوز لهم الاخذ به واجاب العلماء بوجوه منها ان تلك التكاليف منها

ولا تقتلوا

ما هو حسن ومنها ما هو احسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان ياخذوا بما هو ادخل في الحسن واكثر للثواب فيكون كقوله واتبعوا احسن
ما انزل اليكم من ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقال قطرب الاحسن بمعنى الحسن وكلها حسن وقيل الحسن يشمل الواجب
والمندوب والمباح والاحسن الواجب والمندوب وقال في الكشاف يجوز ان يراد ياخذوا بما امروا به دون ما نهوا عنه كقولهم الصيف احر من
الشتاء ثم ختم الامر بالوعيد والتهديد فقال ساوريكم دار الفاسقين قال ابن عباس والحسن ومجاهد يعني جهنم اي ليكن ذكر جهنم حاضرا في انفسكم
لتحذروا ان تكونوا منهم وعن قتادة يريد مواطن الجبابرة والفراعنة الخاوية بالشام ومصر ليعتبروا بذلك فلا يفسقوا مثل فسقهم فيصيبهم مثل ما
اصابهم وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود واقرانهم يمرون عليها في اسفارهم وقيل المراد الوعد والبشارة بان الله تعالى سيرزقهم ارض اعدائهم و
يؤيده ما قرئ ساورثكم وقوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون ثم ذكر ما يعامل الفاسقين المتكبرين فقال ساصرف عن اياتي
الاية فاحتجت الاشاعرة بها على انه تعالى قد يمنع عن الايمان ويصرف عنه وقال الجبائي قوله ساصرف للاستقبال والمصروفون موصوفون
بالتكبر والانحراف عن الطريق المستقيم في الزمان الماضي فعلم ان المراد من هذا الصرف ليس هو الكفر وايضا الصرف مذكور على وجه العقوبة
على التكبر والاعتساف ولا يكون العقوبة عين المعاقب عليه فوجب تاويل الاية فقال الكعبي وابو مسلم الاصفهاني ان هذا الكلام تمام لما
وعد الله به موسى من النصرة والعصمة اي اصرفهم عن اياتي فلا يقدرون على منعك من تبليغها كما قال في حق نبينا بلغ ما انزل اليك
الى قوله والله يعصمك من الناس وقيل ساصرف هؤلاء المتكبرين عن نيل ما في اياتي من العز والكرامة المعدة للانبياء والمؤمنين فيكون ذلك
الصرف المستلزم للاذلال والاهانة جاريا مجرى العقوبة على كفرهم وتكبرهم على الله تعالى وقيل ان من الايات ايات لا يمكن الانتفاع بها الا بعد سبق
الايمان فاذا كفروا فقد صيروا انفسهم بحيث لا يمكنهم الانتفاع بها بعد ذلك فح يصرفهم الله تعالى عنها وبوجه اخر ان الله تعالى اذا علم من حال بعضهم
انه اذا شاهد تلك الايات فانه لا يستدل بها بل يستخف بها ولا يقوم بحقها فاذا علم الله تعالى ذلك صح ان يصرفهم عنها وعن الحسن ان من الكفار من يبالغ
في كفره وانتهى الى الحد الذي اذا وصل اليه مات قلبه وهي بالطبع والخذلان فالمراد بالمصروفين هؤلاء عن رسول الله صلعم اذا عظمت امتي الدنيا نزع
عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي قوله بغير الحق اما ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان الكبر
بالحق لله وحده اذ له كمال فوق كل كمال فله اظهار العظمة والكبرياء على كل من سواه واما ان يكون صلة للفعل اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الذي
لا اصل له ومنه يعلم ان للمحق ان يتكبر على المبطل كما قيل التكبر على المتكبر صدقة والرشد طريق الهدى والحق والصواب كلاهما واحد قال الكسائي و
فرق ابو عمرو فقال الرشد بضم الراء الصلاح لقوله فان انستم منهم رشدا وسبيل الغي ضد ما ذكرنا ثم بين ان ذلك الصرف وتعكيس القضية
انما كان لاجل كونهم مكذبين بايات الله وكونهم غافلين عنها ومحل ذلك الرفع على الابتداء او النصب على معنى صرفهم الله ذلك الصرف بسبب
انهم كذا وكذا ثم بين ان اولئك المتكبرين مجزيون شر الجزاء وان صدر عنهم صورة الاحسان والخير فقال والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة
اي جحدوا المعاد حبطت اعمالهم ثم قال هل يجزون الا ما كانوا يعملون احتجت الاشاعرة بها على فساد قول ابي هاشم ان تارك الواجب ليستحق العقاب بمجرد
ترك الواجب وان لم يصدر عنه فعل ضد ذلك قالوا لانها دلت على انه لا جزاء الا على عمل وترك الواجب ليس بعمل اجاب ابو هاشم باني لا اسمي ذلك
العقاب جزاء ورد بان الجزاء ما يجزي اي يكفي في المنع عن المنهي وفي الحث على المامور به لكن العقاب على ترك الواجب كاف في الزجر عن ذلك الترك
فكان جزاء قيل ان بني اسرائيل كان لهم عيد يتزينون فيه يستعيرون من القبط الحلي فاستعاروها مرة فاغرق الله القبط فبقيت تلك الحلي في ايدي
بني اسرائيل فلهذا اضيفت اليهم على ان مجرد ملابسة الاستعارة ايضا يصحح الاضافة والحلي جمع حلي كثدي وثدي ومن كسر الحاء فللاتباع فجمع السامري
تلك الحلي وكان رجلا مطاعا فيهم ذا قدر وكانوا قد سالوا موسى ان يجعل لهم الها يعبدونه فصاغ السامري عجلا واختلف المفسرون بعد ذلك
فقال قوم كان قد اخذ ترابا من حافر فرس جبرئيل فالقاه في جوف ذلك العجل فانقلب لحما ودما وظهر منه الخوار مرة واحدة فقال السامري هذا الهكم
واله موسى وقال اكثر المفسرين من المعتزلة انه كان قد جعل ذلك العجل مجوفا ووضع في جوفه انابيب على وجه مخصوص ثم وضع التمثال على مهب
الرياح فظهر منه صوت يشبه خوار العجل وقال اخرون انه صير ذلك التمثال اجوف وخبا تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به الناس وانما قال
سبحانه واتخذ قوم موسى مع ان المتخذ هو السامري وحده لان القوم رضوا بذلك واجتمعوا عليه فكانهم شاركوه او لان المراد باتخاذ العجل
هو عبادته كقوله ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد مضيه الى الطور وقال الحسن كلهم عبدوا العجل غير هرون لعموم الاية ولقول موسى في الدعاء رب اغفر
لي ولاخي ولو كان غيرهما اهلا للدعاء لاشركهم في ذلك وقال اخرون بل كان قد بقي في بني اسرائيل من ثبت على ايمانه لقوله سبحانه ومن قوم موسى
امة يهدون بالحق وبه يعدلون وهل انقلب ذلك التمثال لحما ودما او بقي ذهبا كما كان قال بعضهم الى الاول لانه تعالى قال عجلا جسدا له خوار
والجسد اسم للجسم ذي اللحم والدم والخوار انما يكون للبقر لا للصورة واستبعد بعضهم وناقش في ان الجسد مختص بذي الروح ثم قال ان ذلك الصوت
لما اشبه الخوار لم يبعد اطلاق لفظ الخوار عليه وقرا علي كرم الله وجهه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وجسدا بدل من عجلا ثم اظهر سبحانه
فساد كون ذلك العجل الها بقوله الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ومن حق الاله ان يكون متكلما هاديا الى سبيل الحق ومنبها بما ركز في
العقول من الادلة وبما انزل من الكتب قالت المعتزلة ههنا سؤال فمن كان مضلا عن الدين لا يصلح ان يكون الها قالت الاشاعرة لو صح ان الاله

وبفتحتين الاستقامة في الدين لقوله مما علمت رشدا ح

ليستحق

يلزم ان يكون هاديا لزم ان يكون كل متكلم هاديا والحق ان الملازمة ممنوعة فان الدعوى ليست الا ان كل اله فانه يجب ان يكون متكلما هاديا و
الموجبة الكلية لا تنعكس كنفسها على انه يمكن ان يقال لا متكلم ولا هادي في الحقيقة الا الله تعالى ثم ختم الآية بقوله اتخذوه وكانوا ظالمين وهذا كما قال
في البقرة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم اخبر عن عقبى حالهم بقوله ولما سقط في ايديهم معناه ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل
اختلفوا في وجه هذه الاستعارة فقال الزجاج اريد بالايدي القلوب والانفس كما يقال حصل في يده مكروه وان كان من المحال حصول المكروه في اليد
تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين وفي الكشاف ان من شان من اشتد ندمه ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه وقع فيها
فاصل الكلام سقط فاه في يده فحذف الفاعل وبني الفعل للمفعول نحو في قولهم مر بزيد وهذا من باب الكناية لان عض اليد من لوازم الحسرة والندم
وقيل كل من عمل عملا يقدم عليه فذلك لاعتقاد ان ذلك العمل خير له وصواب وانه يورثه نفعا وزينة فاذا بان ان ذلك العمل كان باطلا فكانه انحط وسقط من
علو الى سفل ومنه قولهم للرجل اذا اخطأ ذلك منه سقطة ثم ان اليد آلة البطش والاخذ والنادم كانه تدارك الحالة التي لاجلها حصل الندم وكانه قد سقط
في يده نفسه من حيث انه بعد حصول ذلك الندم يشتغل بالتدارك والتلافي وحكى الواحدي انه من السقيط وهو ما يغشى الارض بالغدوات شبه الثلج فمن
وقع في يده السقيط لم يحصل منه على شيء قط لانه يذوب بادنى حرارة فهذا مثل من خسر في عاقبته ولم يحصل على طائل من سعيه وقال بعضهم الآلة الاصلية
في اكثر الاعمال اليد والعاجز في حكم الساقط فسقوط اليد هو العجز التام كما يقال في العرف ضل يده ورجله لمن لا يهتدي الى محل قصده وقيل ان في بمعنى
على اي سقط على ايديهم فان من عادة النادم ان يطاطئ راسه ويضع على يده تحت ذقنه ثم قال تعالى ورأوا انهم قد ضلوا اي تبينوا ضلالهم كانهم ابصروه
بعيونهم قال القاضي الكلام على التقديم والتاخير لان الندم والتحسر بعد تعرف الحال وتبين الخطاء والترتيب لا يصلح ولما راوا انهم قد ضلوا وسقط في
ايديهم ويمكن ان يقال الواو لا يفيد الترتيب او يقال الاقدام على ما يعلم كونه صوابا او خطا فاسد موجب للندم وقد تكامل العلم فيظهر انه خطأ جزما ثم انهم
اعترفوا بذنوبهم وانقطعوا الى ربهم وذكروا مثل ما ذكر ابونا آدم وحواء لئن لم يرحمنا ربنا الآية ولما رجع موسى الى قومه قال بعضهم ان موسى قد عرف
خبر القوم بعد رجوعه اليهم وقال الاكثرون وهو قول ابي مسلم انه كان عارفا بذلك قبل رجوعه بدليل قوله غضبان اسفا فانه يدل على ان هاتين
الحالتين حاصلتان له عند رجوعه اليهم ولما جاء في سورة طه قد فتنا قومك من بعدك وفيه دليل ظاهر على انه تعالى اخبره بوقوع الواقعة في الميقات
والاسف الشديد الغضب وهو قول ابي الدرداء وعطاء والزجاج وعن ابن عباس والحسن انه الحزين وقال الواحدي هما متقاربان فاذا جاءك ما تكره ممن
هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فكان موسى غضبانا على قومه اسفا من فتنة ربه بئسما خلفتموني خطاب عبدة العجل او وجوه القوم
هرون والمؤمنين حيث لم يكفوا العبدة وفاعل بئس مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص محذوف لتقدير بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم
ومعنى من بعدي مع قوله خلفتموني من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الانداد او من بعد ما كنت احمل القوم عليه من التوحيد والكف عن اتخاذ
اله غير الله حيث قالوا اجعل لنا الها ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم من بعدهم ولا يخالفوهم ونظير الآية قوله فخلف من بعدهم خلف اي من
بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم قال الواحدي العجلة التقدم بالشيء قبل وقته ولذلك صارت مذمومة في الاغلب بخلاف
السرعة فانها عمل الشيء في اول وقته قال ابن عباس يعني اعجلتم ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين و
ذلك انهم قدروا انه لما لم يأت على راس الثلاثين ليلة فقد مات وروي ان السامري قال لهم ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين
يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا وقال الكلبي اعجلتم عبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وقال عطاء اعجلتم سخط ربكم وفي الكشاف
يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار
موسى حافظين لعهده وما وصيتكم به والقى الالواح التي فيها التوراة لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال يرحم الله
اخي موسى ليس الخبر كالمعاينة لقد اخبره الله تعالى بفتنة قومه فعرف ان ما اخبر الله تعالى به حق وانه مع ذلك متمسك بما في يده وروي ان التوراة كانت سبعة
اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة قال في التفسير الكبير القاء الالواح
ثابت بالقرآن فاما القاؤها بحيث تكسرت فلا وانه جراءة عظيمة ومثله لا يليق بالانبياء واقول الجراءة تحصل بنفس الالقاء الا بالتكسر الذي لا يتعلق
باختياره فكما يجعل عذرا عن نفس الالقاء يصح ان يجعل عذرا عن التكسر واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوائبه واعلم ان موسى عليه السلام كان
في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وقد استتبع غضبه امرين احدهما
القاء الالواح والآخر اخذه راس اخيه جارا اليه فزعم مثبتوا عصمة الانبياء انه جر راس اخيه الى نفسه ليساره ويستكشف منه كيفية الواقعة لا لاجل
الاهانة والاستخفاف ثم ان هرون خاف ان يتوهم جهال بني اسرائيل ان موسى فعل ما فعل به اهانة فقال يا ابن ام من كسرها بناء على طرح ياء المتكلم و
من فتحها فتشبيها بخمسة عشر لكثرة الاستعمال او على حذف الالف المبدلة من ياء الاضافة وانما اضافه الى الام اشارة الى انهما كانا من ام واحدة على ما روي
انه كان اخاه لابيه وامه ليكون ادعى الى العطف والرقة ولانها كانت مؤمنة فافتخر بنسبها ولانها هي التي تحملت فيه الشدائد فذكره حقها ان القوم
استضعفوني استذلوني وقهروني ولم يبالوا بي لقلة انصاري وكادوا يقتلونني حين منعتهم عن عبادة العجل ونهيتهم عنها فلا تشمت بي الاعداء
العابدين العجل فانهم يحملون هذا الذي تفعل بي على الاهانة لا على الاكرام ولا تجعلني مع القوم الظالمين في اشتراك العقوبة والاذلال ولا تعتقد

كما يحذف الفاعل ويبني الفعل منه

اى واحد منهم ولا يخفى ما فى هذا التفسير من التعسف والتكلف والحق ان هذا القدر من الحدة الناشئة من عصبية الدين لا يقدح فى العصمة
وغايته ان يكون من قبيل ترك الاولى ولذلك قال موسى رب اغفر لى لما اقدمت عليه من الحدة قبل جلية الحال ولاخى ان عسى فرط فى شان
الخلافة ثم اخبر عن مجازاة القوم فقال ان الذين اتخذوا العجل اى الها سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحيوة الدنيا فالغضب ما امروا به من قتل
انفسهم والذلة خروجهم من ديارهم وذل الغربة لا يخفى واعترض بان قوله سينالهم للاستقبال وفى وقت نزول الاية كان القتل واقعا
واجيب بان هذا الكلام حكاية عما اخبر الله تعالى موسى به حين الميقات من افتتان قومه وكان سابقا على وقوعهم فى الغضب والذلة قلت ويجوز
ان يكون الاتيان من تتمة قول موسى الا ان قوله وكذلك نجزى المفترين ينبو عن ذلك الا ان يحمل على الاعتراض ولما فى هذا التفسير
من التكلف ذهب التفسير من التكلف ذهب بعض المفسرين الى ان المضاف فى الاية محذوف والتقدير ان الذين اتخذ اباؤهم العجل يعنى الذين
كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم سينالهم غضب من ربهم فى الاخرة وذلة فى الحيوة الدنيا بضرب الجزية او غضب وذلة كلاهما فى الدنيا القتل والجلاء كما نال بنى
قريظة والنضير والتقدير ان الذين اتخذوا العجل سينال اولادهم وكذلك نجزى المفترين اى كل مفتر فى دين الله بجزاء الغضب والذلة
قال مالك بن انس ما من مبتدع الا ويجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وامنوا ظاهر الاية
يدل على ان التوبة شرط العفو وانه لا بد مع التوبة من تجديد الايمان فما اصعب شان المذنبين لكن عموم لفظ السيئات يدل على ان من اتى
بجميع المعاصى ثم تاب فان الله يغفرها فما احسن حال التائبين لغفور ستور عليهم محاء لما صدر عنهم رحيم منعم عليهم بالجنة وفيه ان الذنوب ان جلت
وعظمت الا ان عفوه وكرمه اعظم واجل ولما بين ما كان منه بعد الغضب فقال ولما سكت عن موسى الغضب قال علماء البيان انه خرج على قانون
الاستعارة فكان الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول الق الالواح وغير ذلك فترك النطق وقطع الاغراء وعن عكرمة ان المعنى سكت موسى عن الغضب فقلب
كما يقال ادخلت الخف فى رجلى وانما ادخل الرجل فى الخف وقيل السكوت بمعنى السكون وقد قرئ به اخذ الالواح التى القاها منبها على زوال الغضب لانه
اوكد ما تقدم من امارات الغضب وفى نسختها فعلة بمعنى مفعول كالخطبة من النسخ الكتابة اى وفيما نسخ فيها اى كتب فيها من اللوح المحفوظ سواء قلنا ان الالواح لم
يتكسر واخذها موسى باعيانها بعد ما القاها او قلنا انها تكسرت اخذ ما بقى منها وقيل النسخ بمعنى الازالة لما روى عن ابن عباس انه لما القى الالواح
تكسرت فصام اربعين يوما فاعاد الله تعالى الالواح وفيها غير ما فى الاولى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون ادخل اللام
فى المفعول لتقدمه فان تاخير الفعل يكسبه ضعفا ونظيره للرؤيا تعبرون وقولك لزيد ضربت ويجوز ان يكون المراد الذين هم لاجل ربهم يرهبون
لا رياء وسمعة وجوز بعضهم ان يكون اللام صلة نحو ردف لكم التاويل ثلثين ليلة لئلا يستكثر النفس الاربعين من ضعف البشرية واتممناها
بعشر لخصوصية الاربعين فى ظهور ينابيع الحكمة من القلب على اللسان وقال موسى لاخيه هرون القلب عند توجهه لمقام المكالمة والتجلى
كن خليفتى فى قومى من الاوصاف البشرية واصلح ذات بينهم على وفق الشريعة وقانون الطريقة ولا تتبع سبيل المفسدين من الهوى والطبيعة
وهذه الخلافة هى السر الاعظم فى بعثة الروح من ذروة عالم الارواح الى حضيض عالم الاشباح ولما جاء موسى اى لما حصل الروح على بساط القرب
وتتابع عليه كاسات الشرب اثر فيه سماع الكلام فطال لسان انبساطه عند التمكن على بساطه فقال رب ارنى انظر فقيل هيهات انت بعد فى
بعد الاثنينية وحجاب جبل الانانية فلن ترانى ببصر انانيتك وخر موسى صعقا بالانانية فكان ما كان بعد ان بان ما بان فاشرقت الارض
بنور ربها فكان ما كان سرا لا ابوح به فظن خيرا ولا تسئل عن الخبر فلو لم يكن جبل انانية النفس بين موسى الروح وتجلى الرب لطاش فى
الحال وما عاش ولولا ان القلب خليفته عند الفناء بالتجلى لما امكنه الافاقة والروح الى الوجود ولو لم يكن تعلق الروح بالجسد لما استسعد بالتجلى فافهم
فلما افاق من غشية الانانية بسطوة تجلى الربوبية قال موسى بلا هويته سبحانك تنزيها لك من خلقك واتصال المخلوقات وانا اول المؤمنين
بانك لا ترى بالانانية وانما ترى بنور هويتك برسالاتى وبكلامى دون رؤيتى فكن من الشاكرين فان الشكر يبلغك الى ما سالت من الرؤية
لان الشكر يورث الزيادة هى والزيادة الرؤية للذين احسنوا الحسنى وزيادة فخذها بقوة اى بقوة الصدق والاخلاص وبقوة واعانة منا
سأريكم دار الفاسقين الخارجين عن طلب الله الى طلب الاخرة والدنيا ساصرف عن اياتى فحجاب لتكبرهم المتكبرين عن رؤية الايات واتخذ قوم
موسى اى سامرى الهوى من بعد توجه موسى الروح لمكالمة الحق تخذ من حلى زينة الدنيا ورعونات البشرية التى استعارها بنو اسرائيل صفات
القلب من قبط صفات النفس عجلا هو الدنيا له خوار يدعو الخلق بها الى نفسه ولما سقط فى ايديهم عند رجوع موسى الروح الى قومه وهم الاوصاف
الانسانية ندمت من فعلها وعادت الى ما كانت فيه من عبودية الحق والاخلاص لئن لم يرحمنا بجذبات العناية ربنا الاية غضبان لما
عبدت صفات القلب عجل الدنيا اسفا على ما فات لها من عبودية الحق اعجلتم امر ربكم بالرجوع الى الدنيا وزينتها والتعلق بها قبل اوانه من غير ان
يامركم ربكم وفيه اشارة الى ان اصحاب السلوك لا ينبغى ان يلتفتوا الى شئ من الدنيا فى اثناء الطلب اللهم الا اذا قطعوا مفاوز النفس والهوى
ووصلوا الى كعبة وصال المولى فيامرهم المولى ان يرجعوا الى الدنيا لدعوة الخلق والقى الالواح يعنى ما لاح للروح من اللوائح الربانية عند استيلاء
الغضب الطبيعى واخذ براس اخيه القلب فانه اخو الروح يجره اليه قسرا عند استيلاء طبيعة الروحانية قال ابن ام هما من اب واحد وام واحدة ابوهما الامر
وامهما الخلق وانما نسبه الى الخلق لان فى عالم الخلق تواضعا وتذللا بالنسبة الى عالم الامر ان القوم استضعفونى يعنى اوصاف البشرية استذلونى

من موسى مع الغضب بين ما كان

بالتلبثات عند غيبتك كادوا يقتلوننى فلا تشمت بى الاعداء وهم الشيطان والنفس والهوى ولا تجعلنى مع القوم الظالمين فيه ان صفات القلب تتغير و تتلون بالوان صفات النفس ورعوناتها ولكن القلب من حيث هو هو لا يتغير عما جبل عليه من محبة الله وطلبه وانما يعرض تغير صفاته كما ان النفس لا يتغير من حيث هى عما جبلت عليه من حب الدنيا وطلبها وانما تتغير صفاتها من الامارية الى اللوامية والملهمية والمطمئنة والرجوع الى الحق ولو وكلت الى نفسها طرفة عين لعادت الى طبعها رب اغفر لى ولاخى اشارة الى الروح والقلب استعداد قبول الجذبة الالهية المخصوص بها السير فى عالم الصفات وكذلك نجزى المفترين الذين يريدون ان الله اعطاهم قوة لا يبصرهم عما الهوى والدنيا وشهواتها

واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل

و برگزید موسی از قومش هفتاد مرد را از برای وعده جای ما پس چون فرو گرفت ایشان را عذاب گفت ای پروردگار اگر خواستی هلاک کردی ایشان را از

واياى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء انت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وانت

و مرا نیز آیا هلاک گردانی ما را بانچه کردند بیخردان از ما نیست آن مگر آزمایش تو گمراه کنی بآن آنرا که خواهی و هدایت کنی آنرا که خواهی توئی کارگذار ما پس بخش ما را و رحم کن ما را و توئی

خير الغافرين واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة انا هدنا اليك قال عذابى اصيب به من اشاء و

بهترین آمرزندگان و بنویس از برای ما در این دنیا نیکوئی و در آخرت نیکوئی بدرستی که ما بازگردیدیم بسوی تو گفت عذاب من برسانم بآن هر که خواهم و

رحمتى وسعت كل شىء فساكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكوة والذين هم باياتنا يؤمنون الذين يتبعون

رحمت من فرا گرفت هر چیزی را پس زود باشد بنویسم آنرا از برای آنان که میپرهیزند و میدهند زکوة را و آنان که ایشان بآیات ما میگروند آنان که پیروی میکنند

الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التورية والانجيل يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل

رسول را پیغمبر امی را آنکه مییابند او را نوشته در نزد ایشان در توریة و انجیل بفرماید ایشان را بمعروف و باز دارد ایشان را از منکر و حلال کند

لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم فالذين امنوا به وعزروه و

از برای ایشان پاکیزها را و حرام گرداند بر ایشان ناپاکها را و بنهد از ایشان بار گرانرا و زنجیرها که بود بر ایشان پس آنان که گرویدند بآن و عزیز داشتند او را

نصروه واتبعوا النور الذى انزل معه اولئك هم المفلحون قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا

ع

و یاری کردند او را و پیروی کردند نور روشن را که فرستاده شد با او آنگروه ایشانند رستگاران بگو ای زمره مردمان بدرستی که من پیغمبر خدایم بسوی شما همه

الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيى ويميت فامنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن

آنکه مر او راست پادشاهی آسمانها و زمین نیست خدائی بجز او زنده کند و بمیراند پس بگروید بخدا و رسول او پیغمبر امی آنکه ایمان آورده

بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون

بخدا و کلمات او و پیروی کنید او را شاید که شما هدایت کرده شوید و از قوم موسی گروهیند که راه برند بحق و بآن برابری کنند

اصيب بفتح الياء ابو جعفر ونافع اصارهم على الجمع ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب والمفضل الباقون على التوحيد الوقوف لميقاتنا ج للابتداء بكلمة الجزاء مع فاء التعقيب اياى ط منا ج للعدول الى النافية مع اتحاد القائل فتنتك ج لان ما بعده مستانف وتهدى من تشاء ط الغافرين اليك ط من اشاء ج للفصل بين الجملتين تعظيما لشانها مع الاتفاق فى اللفظ كل شىء ط للسر واختلاف الجملتين والفاء للاستيناف ووصل على الخصوص يؤمنون لا لاحتمال ما بعده النصب والرفع على المدح والجر على البدل والانجيل ز لان يامرهم يحتمل ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى هو يامرهم وان يكون نعتا اى مكتوبا امرا او بدلا عن مكتوبا او مفعولا بعد مفعول اى يجدونه امرا او يكون النعت للامى الذى يامرهم فيكون كالبدل عن الصلة ومنهم كانت عليهم ط انزل معه لا لان ما بعده خبر فالذين المفلحون ه والارض ج لاحتمال ما بعده الابتداء والحال اى استحق ملك السموات غير مشارك لطول الكلام والا فالفاء للجزاء اى اذا كنت رسولا فامنوا به تهتدون ه يعدلون ه التفسير الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشىء اذا اخذ خيره وخياره ومن مناسبته بفعل الحيوان فعلا اختياريا وذلك ان صدور الفعل عن الحيوان موقوف على حكمه بكون ذلك الفعل خيرا له من تركه قال النحويون اصله واختار موسى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل فان من الافعال ما يتعدى الى المفعول الثانى بحرف واحد ثم يتسع فيحذف الحرف من ذلك قولهم اخترت من الرجال زيدا ثم يتسع فيقال اخترت الرجال زيدا وكذا استغفرت الله من ذنبى واستغفرته ذنبى وجوز بعضهم فى الآية ان يراد بالقوم المعتبرون منهم اطلاقا لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم فيكون مفعولا اول من غير واسطة ويكون سبعين بدلا او بيانا قيل من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فصاروا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر من خرج فقعد كالب ويوشع وروى انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين ولم يجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبى فامرهم موسى ان يتطهروا ويطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وللمفسرين خلاف فى ان هذا الميقات عين ميقات الكلام والرؤية ام غيره الذاهبون الى الاول قالوا ان موسى كان امره ربه ان ياتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما سمعوا الكلام طلبوا الرؤية وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهى المراد من الرجفة فى هذه الآية والذاهبون الى الثانى حملوا القصة على ما مر فى البقرة فى تفسير قوله واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك وقد ذكرنا هنالك ان منهم من قال

هذه الواقعة كانت قبل قتل الانفس توبة من عبادة العجل ومنهم من قال انها كانت بعد القتل واحتج اصحاب هذا المذهب على المغايرة بانه تعالى ذكر قصة ميقات الكلام وطلب الرؤية ثم اتبعها ذكر قصة العجل ثم ختم الكلام بهذه القصة فظاهر الحال يقتضي ان يكون هذه القصة مغايرة لتلك القصة والاكثرون على التناسب عن علي ان موسى وهرون انطلقا الى سفح جبل فنام هرون فتوفاه الله تعالى فلما رجع موسى الى قومه قالوا انه قتل هرون فاختار من قومه سبعين فذهبوا الى هرون فاحياه الله تعالى فقال ما قتلني احد فاخذتهم الرجفة هنالك وقيل كانت موتا وقيل اخذتهم الرعدة حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم فخاف موسى عليهم الموت فدعا الله تعالى وقال رب لو شئت اهلكتهم من قبل هذا اهلكتنا جميعا يعني نفسه واياهم بما فعل السفهاء منا قال اهل العلم لا يجوز ان يظن موسى ان الله تعالى اهلك قوما بذنوب غيرهم فهذا الاستفهام بمعنى الجحد اراد انك لا تفعل ذلك كما تقول لمن تهين من يخدمك تريد انك لا تفعل ذلك وقال المبرد انه استفهام استعطاف اي لا تهلكنا قبل لو كان تشفيهم لقولهم لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ناسب ان تقول اتهلكنا بما قال السفهاء فاذن التسفيه لفعل صدر عنهم كعبادة العجل وغيرها ومنه يعلم ان هذا الميقات غير ميقات طلب الرؤية ان هي الا فتنتك الضمير تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد وان هي الا هند تعني الواحدة ولعله يعود الى مقدر ذهني والمعنى ان الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك ابتلاؤك ومحنتك حين كلمتني وسمعوا كلامك وحين اسمعتهم صوت العجل تضل بها اي بالفتنة من تشاء فيفتتن وتهدي به من تشاء فيثبت على الحق قالت الاشاعرة في الآية دلالة ظاهرة على ما بينا ان الاضلال والهداية من الله تعالى وقالت المعتزلة ان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام او الضمير يعود الى الرجفة اي تضل عن الدين بسبب عدم الصبر على تلك الرجفة ولعدم الايمان بانها من عندك من تشاء وتهدي الى الجنة بها لا اضلا دما فلنا من تشاء او المراد بالاضلال الاهلاك اي تهلك من تشاء بالرجفة وتصرفها عمن تشاء انت ولينا يفيد الحصر اي لا ولي لنا ولا ناصر الا انت فاغفر لنا وارحمنا قيل تذكر ان قوله ان هي الا فتنتك جرأة عظيمة فاشرك نفسه مع قومه في طلب المغفرة والرحمة وانت خير الغافرين لان غفرانك غير متوقف على جلب نفع او دفع ضر بل لمحض الفضل والكرم واكتب اوجب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة نظيره سؤال المؤمنين من هذه الامة ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقد فسرناها في سورة البقرة واعلم ان كونه تعالى وليا للعبد يناسب ان يطلب العبد منه دفع المضار وتحصيل المنافع ليظهر آثار كرمه والهيته وايضا اشتغال العبد بالتوبة والخضوع يناسب طلب هذه الاشياء فذكر السبب الاول ثم رتب عليه الدعاء وختم بالسبب الثاني هو قوله انا هدنا اليك اي تبنا فلا يبعد وقوع الاجابة ولان دفع الضر مقدم على تحصيل النفع قدم المغفرة والرحمة على طلب ايجاب الحسنة في الدارين قال الله تعالى في جواب موسى عذابي من حاله صفته اصيب به من اشاء اذ ليس لاحد على اعتراض في ملكي وقالت المعتزلة اي من وجب في الحكمة تعذيبه ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة وقرأ الحسن من اساء من الاساءة ورحمتي من شانها انها وسعت كل شيء قالت الاشاعرة هذا من العام الذي اريد به الخاص وقال اكثر المحققين ان رحمته في الدنيا تعم الكل فما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب في نعمته واما في الآخرة فهي مختصة بالمؤمنين وذلك قوله فساكتبها للذين يتقون وقيل الوجود خير من العدم فلا موجود الا وهو مشمول بنعمته وقيل الخير مطلوب بالذات والشر مطلوب بالعرض وما بالذات راجح غالب وقالت المعتزلة الرحمة عبارة عن ارادة الخير ولا حي الا وقد خلقه الله تعالى للرحمة والخير واللذة وان حصل هناك الم فله اعواض كثيرة واعلم ان تكاليف الله تعالى كثيرة ولكنها محصورة في نوعين التروك والافعال فقوله فساكتبها للذين يتقون اشارة الى التروك والتكاليف الفعلية اما مالي وهو قوله ويؤتون الزكوة واما غيره وذلك قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون فانه يشمل كل ما يجب على الانسان علما وعملا ثم ضم الى ذلك اتباع النبي الامي الى آخره وصف محمدا صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بصفات تسع الاولى الرسالة الثانية النبوة فان قيل النبوة مقدمة على الرسالة فلم قدم ها بالذكر قلت لا بل بينهما عموم وخصوص من وجه فقد يكون رسولا ولا يكون نبيا لقوله جاعل الملئكة رسلا وقد يكون نبيا لا رسولا ككثير من الانبياء فلا يكون احدالوصفين على الاطلاق مغنيا عن الآخر ولو سلم فذكر الآخر تتميم وتصريح بما علم ضمنا الثالثة كونه اميا قال الزجاج معناه انه على صفة امة العرب قال صلى الله عليه وآله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب وقيل منسوب الى الام اي انه على هيئته يوم ولد لم يكتسب خطا ودراسة وكان هذا من جملة معجزاته ويشا عن وجوه الاول انه كان يقرأ عليهم كتاب الله منظوما مرة بعد اخرى من غير تبديل والخطيب العربي اذا ارتجل خطبة ثم اعادها فانه لا بد ان يزيد فيها او ينقص فهذا المعنى من مدد سماوي كقوله سنقرئك فلا تنسى الثاني لو كان يحسن الخط والقراءة لصار متهما بانه طالع كتب الاولين وما اتى بهذا القرآن العظيم المشتمل على جلائل العلوم من غير تعلم ومطالعة بل هو وحي من السماء واليه الاشارة بقوله وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الثالث ان تعلم الخط لا يفتقر الى فطنة قليلة ومع ذلك كان الخط مشكلا عليه ثم ان الله تعالى آتاه علوم الاولين والآخرين وما لم يصل اليه احد من العالمين فالجمع بينهما بين الحالين من الامور الخارقة للعادة كالجمع بين الضدين الصفة الرابعة الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل الضمير في يجدونه للذين يتبعونه من بني اسرائيل ثم ان كان المراد اسلافهم فالوجه ان يراد بالاتباع اعتقاد نبوته من حيث وجدوا نعته في التوراة اذ لا يمكن ان يتبعوه في شرائعه قبل بعثه الى الخلق ويكون المراد من قوله والانجيل انهم يجدونه مكتوبا عندهم ان نعته في الانجيل فمن المحال ان يجدوه في الانجيل قبل انزال الانجيل وان كان المراد المعاصرين فالمعنى ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكوة وآمن بالدلائل في زمن موسى واتبع النبي الامي في شرائعه وفي هذا دليل على ان نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والانجيل والا كان ذكره مما

قتيل ... ان هي الا فتنتك من تشاء تنبيه ... هذا انما ... الملائكة ... اللائقة ... والطلب ... ملك ... منهم



الكلام من اعظم الفواحش والمنفرات لاهل الكتابين عن قبول قوله لان الاصرار على الزور والبهتان يوجب نقصان حال المدعى فلا يرتكبه عاقل فلما امر
على ذلك دل على انه في نفسه كذلك الخامسة والسادسة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وقد ذكرنا تفصيل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في آل عمران و
مجامع ذلك محصورة في قوله صلى الله عليه وسلم التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فان كل ذرة من ذرات المخلوقات لما كانت دليلا قاهرا وبرهانا باهرا
على توحيد الله وتنزيهه فانه يجب النظر اليها بعين الاحترام والاشفاق كما يليق بها السابعة ويحل لهم الطيبات قيل اي ما يستطاب طبعا لان تناول
ذلك يفيد اللذة وقيل يعني الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة التي حكم الله تعالى بحلها وزيف بانه يجري مجرى قول القائل ويحل لهم المحللات
وهو تكرار ويمكن ان يجاب بان المراد وبين لهم المحللات وفائدة العدول ان يعلم ان كل حلال مستطاب طبعا وان الاصل في كل ما يستطيبه النفس ويستلذه
الطبع الحل الا لدليل منفصل وقيل معنى ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها الثامنة ويحرم عليهم الخبائث قال عطاء عن ابن عباس الميتة والدم ونحوهما
من المحرمات وقيل كل ما يستخبثه الطبع فالاصل فيه الحرمة الا لدليل منفصل التاسعة ويضع عنهم اصرهم الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه من
الحراك لثقله وهو مثل لصعوبة تكاليفهم كاشتراط قتل النفس في صحة التوبة وكذا الاغلال التي كانت عليهم مثل لما في شرائعهم من الامور الشاقة كالقصاص
بتة من غير شرع الدية وكقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم جعلها الله تعالى اغلالا
لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب
الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها على السارية يحبس نفسه على العبادة فالاغلال على هذا القول غير مستعارة وفي الاية دلالة على ان
الاصل في المضار والمشاق الحرمة كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وهذا اصل عظيم في هذه الشريعة ثم لما وصفه بالصفات التسع اكد الايمان
به بقوله والذين آمنوا به قال ابن عباس يعني من اليهود والاولى حمله على العموم وعزروه ووقروه وعظموه قال في الكشاف واصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب
دون الحد لانه منع من معاودة القبيح فالمراد ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدوه وعلى هذا لم يبق فرق بينه وبين قوله ونصروه وفرق كثير واتبعوا النور الذي
انزل معه وهو القرآن اي انزل مع نبوته لان نبوته ظهرت مع ظهور القرآن او يتعلق باتبعوا اي اتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته واتبعوا
القرآن كما اتبعه النبي مصاحبين له في اتباعه اولئك هم المفلحون الفائزون بالمطلوب في الدارين اعلم انه سبحانه لما قال فساكتبها للذين يتقون بين
ان من شرط نزول الرحمة لاولئك المتقين كونهم متبعين للرسول النبي الامي ثم اراد ان يحقق عموم رسالته الى المكلفين فقال قل يا ايها الناس اني
رسول الله اليكم جميعا وانتصابه على الحال من اليكم وفيه دليل على ان محمدا صلى الله عليه وآله مبعوث الى الخلق كافة خلافا لطائفة من اليهود هم
العيسوية اتباع عيسى الاصفهاني زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول صادق لكنه مبعوث الى العرب خاصة وفساده ظاهر لانه من المعلوم بالتواتر من دينه انه كان
يدعي عموم الرسالة فان كان رسولا حقا امتنع الكذب عليه وان لم يكن رسولا حقا فهذا يقتضي القدح في كونه رسولا الى العرب والى غيرهم وزعم
بعض العلماء انه عام دخله التخصيص لانه غير مبعوث الى غير المكلفين بقوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن النائم حتى يستيقظ وعن
المجنون حتى يفيق وايضا يمكن وجود قوم في طرف من اطراف العمارة لم يصل اليهم خبر وجوده فهم لا يكونون مكلفين بالاقرار بنبوته والجواب ان رفع القلم
عن الاصناف الثلثة انهم حكم عليهم بهذا الاعتبار يدخلون تحت الخطاب وان وجود قوم كما زعمتم من المستبعدات فلا يستحق الالتفات اليه
فقال بعض الاكابر ان الاية وان دلت على انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كل الخلق فليس فيها دلالة على ان غيره من الانبياء ما كان مبعوثا الى كلهم وقد تمسك جمع
من العلماء بالحديث المشهور اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي ارسلت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا ونصرت بالرعب مسيرة
شهر واحلت لي الغنائم وختم بي النبيون ورد بان مجموع هذه الامور من خواصه لا كل واحد واحد وبان آدم بعث الى كل اولاده في ذلك الزمان فكان
مبعوثا الى كل الناس وقتئذ ولا يخفى ضعف هذا الرد لانا نعلم من دين محمد انه خاتم النبيين وحده وفي رواية اخرى واحلت لي الغنائم ولم تحل
لاحد قبلي واذا كان بعض هذه الامور من خواصه لزم ان يكون كل واحد منها كذلك وايضا ان آدم لم يكن مبعوثا الى حواء لانه عرفت التكليف لا بواسطة
آدم بدليل ولا تقربا بل ثم كما امر رسول الله بان يقول للناس اني رسول الله اليكم اتبعه ذكر ما يدل على صحة هذه الدعوى وانها لا تتم الا بتقرير اصول
اربعة اولها اثبات ان للعالم الها حيا عالما قادرا واشار اليه بقوله الذي له ملك السموات والارض اذ لو لم يكن للعالم مؤثر او كان له مؤثر موجب
بالذات لا فاعل بالاختيار لم يمكن القول ببعثة الرسول ومحل الذي نصب او رفع على المدح او جر بدلا او وصفا لله وثانيها ان اله العالم واحد و
ذلك قوله لا اله الا هو اذ لو فرض الهان لم يكن عبادة احدهما اولى من عبادة الآخر وثالثها انه تعالى قادر على الخير والشر والبعث والحساب كما قال
يحيي ويميت وانما لم يوسط العاطف بين هذه الجمل لان كلا منها مبينة لما قبلها واذا ثبت هذه الاصول الثلثة ثبت اصل رابع وهو انه يصح من الله
تعالى ارسال الرسل ومطالبة الخلق بالتكاليف اما بالاصل الاول والثاني فلانه يحسن من المولى مطالبة عبده بطاعته وخدمته ولا سيما اذا كان
فردا منزها عن الشريك والنظير مستقلا بالامر والنهي واما بالاصل الثالث فلانه يحسن من القادر تكليف المكلف بنوع من طاعته ايصالا له الى الجزاء
والى لذة الجزاء فان تحصيل لذة الاجر بدون كونه اجرا ممتنع واشار الى هذا الاصل الرابع بقوله فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي فخص من الصفات الذي كونه
هيهنا على الامية لانها اجل الاوصاف وادلها على حقيته وذلك انه لم يتفق له مطالعة كتاب ولا مصاحبة معلم لانه ما كانت مكة بلدة العلماء وما غاب منها
رسول الله صلى الله عليه وسلم غيبة طويلة يمكن التعلم فيها ومع ذلك فتح الله عليه ابواب العلم والتحقيق واظهر عليه هذا القرآن الذي اشتمل على علوم الاولين والآخرين فليس

ذلك الا بتأييد سماوي وفيض الهي ثم وصفه بقوله الذي يؤمن بالله وكلماته لان النبي صلى الله عليه وسلم يجب ان يكون من آمن بالله وبكتبه وانما قيل
فآمنوا بالله وبعد قوله اني رسول الله ولم يقل فآمنوا بالله وبي عدل الى المظهر ليمكن ان يجري عليه الصفات المذكورة ولما في طريقة الالتفات من البلاغة وليعلم ان
الذي وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة واحترازا
عن العصبية واعلم ان الكمالات اما نظرية واشار اليها بقوله فآمنوا واما عملية واليها الاشارة بقوله واتبعوه والاولى اشارة الى التكاليف المستفادة
من اقواله فان كل فعل يصدر عنه وقد واظب عليه فلا بد ان يكون جانب فعله راجحا على تركه ثم ان ظاهر الامر للوجوب فيجب علينا اتباعه وان كان
ذلك مندوبا له الا ان يدل دليل منفصل على ان ذلك الفعل من خصائصه ومعنى الترجي لعلكم تهتدون قد مر نظائره لا سيما في اوائل البقرة
في قوله لعلكم تتقون ثم لما ذكر الرسول انه يجب على الخلق متابعته ذكر ان في قوم موسى من اتبع الحق وهدى اليه فقال ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
اي يهدون الناس بكلمة الحق وبه يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون وهذه الامة حصلت في اي زمان كانت اختلف المفسرون في ذلك فقيل
هم اليهود الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وابن صوريا وغيرهما ولفظ الامة قد يطلق على القليل اذا كان لهم شأن
كما اطلق على الواحد في قوله ان ابراهيم كان امة وقيل انهم قوم ثبتوا على الدين الحق الذي جاءهم به موسى ودعوا الناس اليه وصانوه عن التحريف والتبديل
في زمن تفرق بني اسرائيل واحداثهم البدع ويجوز ان يكونوا قد ماتوا على ذلك الى ان جاء المسيح فدخلوا في دينه ويجوز ان يكونوا هلكوا قبل ذلك
وقال السدي وجماعة من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا اليه وسألوا
الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين ثم من المفسرين من قال انهم
بقوا متمسكين بدين اليهودية الى الان بناء على ان خبر نبينا لم يصل اليهم فهم معذورون ومنهم من استبعد عدم وصول الخبر اليهم مع ان
خبر هذه الشريعة طار في كل افق وتغلغل في كل نفق فقال انهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبرئيل ذهب به ليلة
الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبرئيل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد صلى الله عليه وسلم النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم يكن نزلت فريضة غير الصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا
مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت والله اعلم بالتأويل واختار موسى قومه المختار من الخلق من اختاره الله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة فالذي اختاره الله كان مثل موسى وانا اخترتك والذين اختارهم موسى كانوا مستحقين بسوء الادب
للرجفة والصعقة وههنا نكتة هي ان قلب موسى لما كان مخصوصا بالاصطفاء للرسالة والكلام دون القوم كان سؤاله للرؤية شعلة نار المحبة مقرونا
بحفظ الادب على بساط القرب بقوله رب ارني انظر اليك فلم عزة الربوبية واظهر ذلة العبودية وكان سؤال القوم من القلوب المتناهية
القاسية فتصاعد دخان الشوق بسوء الادب فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة قدموا الجحود والانكار وطلبوا الرؤية جهارا فاخذتهم الصاعقة
فصعقة موسى كانت صعقة اللطف مع تجلي صفة الربوبية وان صعقتهم كانت صعقة القهر عند اظهار صفة العزة والعظمة ولما كان موسى عليه السلام
ثابتا في مقام التوحيد كان ينظر بنور الوحدة فيرى الاشياء كلها من عند الله فرأى سفاهة القوم من آثار صفات قهره فتنة واختبارا لهم فقال ان
هي الا فتنتك تريغ بها قلب من تشاء باصبع صفة القهر وتقيم قلب من تشاء باصبع صفة اللطف واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الرؤية كما
كتبتها فسأكتبها يعني حسنة الرؤية والجنة للذين يتقون بالله عن غيره ويؤتون عن نصابهم هذا المقام الزكوة الى الطالبين والذين هم بانوار شواهد الآيات با
لتحقيق لا بالتقليد يؤمنون وفي قوله الذين يتبعون الرسول النبي الامي اشارة الى ان في امته من يكون مستعدا لاتباعه في هذه المقامات الثلثة
ومعنى الامي انه ام الموجودات واصل المكونات كما قال عليه السلام اول ما خلق الله روحي وقال حكاية عن الله لولاك لما خلقت الكون فاما اتباعه في مقام الرسالة
فبان تأخذ منه ما آتاك وتنتهي عما نهاك كما قال وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فالرسالة تتعلق بالظاهر والنبوة بالباطن فللعوام شركة مع الخواص
في الانتفاع من الرسالة وللخواص اختصاص بالانتفاع من النبوة فمن ادى حقوق احكام الرسالة في الظاهر فتح له ببركة ذلك احوال النبوة في الباطن فيصير
صاحب الاشارة والالهامات الصادقة والرؤيا الصالحة والهواتف الملكية وربما يؤل حاله الى ان يكون صاحب المكالمة والمشاهدة والمكاشفة ولعله
يصير مأمورا بدعوة الخلق الى الحق بالمتابعة لا بالاستقلال كما قال صلى الله عليه وسلم علماء امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتباعه في مقام الامية فذلك لاخص
الخواص وذلك انه صلى الله عليه وسلم يرجع بالسير من مقام بشريته الى مقام روحانيته الاولى ثم بجذبات الوحي نزل في مقام التوحيد وهو قاب قوسين ثم
اختطف بانوار الهوية عن انانيته الى او ادنى وهو مقام الوحدة كما قال قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن رجع بالسير متابعته
من مقام البشرية الى ان بلغ مقام روحانيته ثم بجذبات النبوة انزل في مقام التوحيد ثم اختطف بانوار المتابعة عن انانيته الى مقام الوحدة فقد
خطى من مقام امته مكتوبا عندهم بالحقيقة وهو مكتوب عنده في مقعد صدق يأمرهم بالمعروف وهو طلب الحق وينهاهم عن المنكر طلب ما سواه
ويحل لهم الطيبات كل ما يقرب الى الله فان الله هو الطيب ويحرم عليهم الخبائث الدنيا وما فيها ويضع عنهم اصرهم الى العهد الذي بين الله وبين
حبيبه انه لا يوصل احد الى مقام امته الا امته واهل شفاعته كقوله الناس يحتاجون الى شفاعتي حتى ابراهيم فكان من هذا العهد عليهم ثقل واغلال
يمنعهم من الوصول الى هذا المقام فقد وضع النبي صلى الله عليه وسلم عنهم هذا الاصر والاغلال بالدعوة الى متابعته واشار الى هذا المعاني بقوله فالذين آمنوا

فرد محمد علي موسى عليه السلام

به وعزره وقربه باعتقاد اختصاص هذا المقام به دون سائر الانبياء والرسل ونصروه بالمتابعة واتبعوا نور الوحدة الذي نزل معه ليملك السموات
القلوب ارض النفوس لعمد بر فيهما غير مبعي قلب من يشاء من عباده بنور الوحدة ويميت نفسه عن صفات البشرية وكلما ته هي ما اوحى اليه ليلة المعراج
بلا واسطة ومن قوم موسى امة يهدون بالحق يعني خواصهم الذين يرشدون الخلق بالكتاب المنزل بالحق على موسى وبه يعدلون في الحكم بين العوام
فشتان بين امة غايتهم القصوى هو هداية الخلق وكان نبيهم محجوبا بحجاب الانانية عند سؤال الرؤية فاجيب بلن تراني وبين امة امتنه بلغوا بجذبات
انوار المتابعة الى مقام الوحدة حتى سموا امة مهتدين وفي حقهم كنت له سمعا وبصرا ولسانا فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق فلهذا دعا موسى اللهم اجعلني من امة محمد شوقا الى لقاء ربه فافهم

وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا
و پراکنده کردیم ایشان را دوازده فرقه گروهان و وحی فرستادیم بسوی موسی چون طلب آب کردند او را قوم او که بزن بعصای خود سنگ را پس روان شد از آن دوازده
عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا
چشمه و دانسته است هر آدمی آب خوردن خود را و سایبان کردیم بر ایشان ابر را و فرو فرستادیم بر ایشان من و سلوی را بخورید از پاکیزه های آنچه روزی کردیم شما را
ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ
و ستم نکردند ما را و لکن بودند بر خویشتن ستم میکردند و چون گفته شد مر ایشان را که منزل گیرید درین ده و بخورید از آن هر جا که خواستید و بگوئید حطه و در روید در در را
سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ
سجده کنان تا بیامرزیم گناهان شما را و زود بود که بیفزائیم نیکوکاران را پس تغییر دادند آنانکه ستمکردند گفتاری غیر از آن که گفته شده بود ایشان را پس فرستادیم بر ایشان عذابی از آسمان
بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ
بسبب ظلم ایشان و سوال کن ایشان را از آن دهی که بود در نزد دریا چون از حد در گذشتند در باب روز شنبه چون می آمد ماهیان ایشان در روز شنبه
شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ
آشکارا و روزی که شنبه نمیکردند نمی آمدند بایشان همچنین می آزمائیم ایشان را بسبب آنچه بودند بدکاران و چون گفتند گروهی از ایشان که چرا پند میدهید گروهی را که خدا
مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ
هلاک کننده ایشان است یا عذاب کننده ایشان را عذاب سخت گفتند برای عذر است بسوی پروردگار شما و شاید که ایشان بپرهیزند پس چون فراموش کردند آنچه پند داده شده بودند نجات دادیم آنانرا که
يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
منع میکردند از بدی و فرا گرفتیم آنانرا که ستمکردند بعذاب سخت بسبب آنکه بودند بدکاران پس چون سرکشی کردند از آنچه نهی کرده شده بودند از آن گفتیم ایشانرا باشید
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ
بوزینگان راندگان و چون اعلام کرد پروردگار تو که هر آینه برانگیزد بر ایشان تا روز قیامت کسی را که بچشاند ایشان را بدی عذاب هر آینه پروردگار تو زود عقوبت است
وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
و هر آینه او آمرزنده مهربان است و متفرق کردیم ایشانرا در زمین گروهان بعضی از ایشان نیکوکاران اند و بعضی از ایشان غیر از این و آزمودیم ایشانرا بنیکیها و بدیها
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن
تا بود که ایشان باز گردند پس جانشین شد پس از ایشان جانشینانی که میراث بردند کتاب را فرا میگیرند متاع این دنیا را و میگویند زود آمرزیده شود ما را و اگر
يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ۗ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ
بیاید ایشانرا متاعی مانند آن فرا گیرند آنرا آیا گرفته نشد بر ایشان پیمان کتاب که نگویند بر خدا مگر حق و درس گویند آنچه در آنست و خانه آخرت
خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ
بهتر است مر آنانرا که پرهیزگاری میکنند آیا پس نمی فهمید و آنانکه چنگ میزنند بکتاب و بر پای داشتند نماز را هر آینه ما ضایع نمیکنیم مزد نیکوکاران را و چون برکندیم کوه را بالای ایشان
كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ القراءة نغفر
گویا که آن سایبانیست و گمان کردند که آن فرود آینده است بایشان بگیرید آنچه را که دادیم شما را بتوانائی و یاد کنید آنچه را که در آنست شاید که ایشان بپرهیزند بالتاء الفوقانية
مضمومة وفتح الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب المفضل الباقون بالنون وكسر الفاء خطاياكم مجموع جمع التكسير ابو عمرو خطيئاتكم بالرفع على
الوحدة ابن عامر خطاياكم بالرفع مجموع جمع السلامة ابو جعفر ونافع وسهل ويعقوب المفضل الباقون مثله ولكن بالنصب الذي يليق بجمع سلامة المؤنث
يسبتون من الاسبات ابو زيد عن المفضل معذرة بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع بئس مثل ريم ابو جعفر ونافع بيئس على فيعل بفتح العين الاعشى
والبرجمي الباقون بئيس على فعيل تأذن بالتليين الاصفهاني عن ورش والشموني وحمزة في الوقف تعقلون بتاء الخطاب ابو جعفر ونافع وابن ذكوان
وسهل ويعقوب وحفص الباقون بياء الغيبة يمسكون من الامساك ابو بكر وحماد والآخرون بالتشديد الوقوف اُمَمًا واِن خففت الجملتان لان
اوحينا عامل اذ استسقيه دون قطعنا فان تفريق الاسباط لم يكن في زمان الاستسقاء الحجر للحذف مع اتحاد الكلام اى فضرب فانبجست عينا والسلوى ط

ع ١١

ربع

بيئس على فيعل كسيد ابن عامر



ما رزقناكم والحذف جعل العقلاء لهم كلوا ولا تدخروا فادخروا فانقطع عنهم وما ظلمونا يظلمون وخلطنا لكم المحسنين يظلمون ففيه حيلة نفس الطالب الحق
الذين حجوا نفس مع نهار وقع معالجة عين قلبه وانقطع قلبه ونفس قلبه معالجة هذه الاعضاء بريد الادراك من بعد الاحيا فهو كفارة له فيما فرط
من احيا نفسه معالجة قلبه طرفة عين لم يحكم على نفسه بما انزل الله في تزكيتها وتحليتها فاولئك الذين ظلموا انفسهم بوضع الحظوظ مقام الحقوق وفي
البحر كيلا يصير طابعه ظرفا لقوله واسألهم فانه محال لان تأتيهم لا احتمال تعلق كذلك بحرف اى يوم لا يسبتون لا تأتيهم اياتنا كاتيانهم يوم السبت والاقح ان
كذلك صفة مصدر محذوف اى نبلوهم بلاء كذلك فالوقف على كذلك جائز ايضا يفسقون قوما الا وان الجملة بعد صفة شديد يتقون يفسقون خاسئين
العذاب رحيم نصف الجزء واما الاحتمال كون ما بعده صفة او مستأنفا دون ذلك نذ للعطف على قطعنا فان لم يجعل الجار صفة للام كان عطفا
مع عارض يرجعون سيغفر لنا ويأخذوه ما فيه يتقون تعقلون الصلوة على تقدير حذف اى لا نضيع اجرهم انا لا نضيع اذ هم المصلحون ولا
نضيع اجر المصلحين وللوصل وجه على تقدير وضع الظاهر موضع الضمير اى انا لا نضيع اجر المصلحين السبع الثالث واقع بهم لحق المحذوف تتقون
التفسير انه سبحانه ختم قصة بني اسرائيل بتعداد جمل من احوالهم تبصرة المكلفين بعدهم ومعنى قطعناهم صيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من
بعض كيلا يتحاسدوا ويتباغضوا فيقع بينهم الفتن والهرج والاسباط اولاد الاولاد جمع سبط واصله من السبط نبت يعتلفه الابل فكان الاب كالشجرة
والاولاد كالاغصان والاسباط في بني اسرائيل كالقبائل من العرب وههنا سؤال وهو ان مميز ما عدا العشرة الى التسعة والتسعين مفرد فما قيل
اثنتي عشر سبطا واجيب بان كل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة كقوله بين رماحي مالك ونهشل ولهذا انث اثنتي عشرة وقال الزجاج
الزجاج المميز محذوف واسباطا نعت لذلك المحذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة اسباطا وقال الفارسي والجوهري اسباطا بدل من اثنتي عشرة و
المميز كما قال الزجاج وقولنا انه بدل من اثنتي عشرة لان كل اسباط كانت جماعة كثيفة العدد تؤم خلاف ما كانت تؤمه الاخرى وباقي الاية الى قوله
بما كانوا يظلمون قد مر تفسيره في البقرة وكذا بيان المتشابهات فيه ذكر النوع الاخر من احوالهم قوله سبحانه واسألهم عن القرية اى عن
اهلها وليس المقصود تعرف هذه القصة من قبل اليهود لانها معلوم للرسول من قبل الله تعالى ولكن المراد تقريرهم بما كانوا قد قدموا عليه
عليه من الاعتداء والفسق ليعلم ان لهم سابقة في ذلك ليس كفرهم بمحمد اول مناكيرهم وقد يقول الانسان لغيره هل كان هذا الامر كذا
وكذا ليعرف ذلك لغيره انه محيط بتلك القصة وفيه انه اذا اعلمهم بها من لم يقرأ كتابا ولم يتعلم علما كان ذلك مستفادا من الوحي فيكون معجزا و
الاكثرون على ان تلك القرية ايلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية ومعنى حاضرة البحر قريبة من البحر وعلى شاطئه اذ يعدون
في السبت يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم في يوم السبت ومحل اذ يعدون مجرور بدلا عن القرية بدل الاشتمال اى واسألهم عن وقت
عدوانهم قال في الكشاف ويجوز ان يكون منصوبا بحاضرة او بكانت بناء على ان كان الناقصة تعمل في غير الاسم والخبر وفيه نظر اذ لا معنى لكون القرية
حاضرة البحر في زمن العدوان لانها حاضرة في جميع الاحيان وقوله اذ تأتيهم منصوب بيعدون او مجرور بدلا بعد بدل والحيتان جمع الحوت و
هو السمكة شرعا ظاهرة على وجه الماء جمع شارع وكل شيء دان من شيء فهو شارع ودار شارعة اى دانية من الطريق ونجوم شوارع اى دنت من المغيب
فالحيتان كانت تدنو من القرية بحيث يمكنهم صيدها عن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش البيض وقال ابن عباس ومجاهد ان اليهود امروا باليوم
الذي امرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله تعالى به وحرم عليهم الصيد فيه وباقي القصة مذكورة في البقرة وفيها دلالة على
ان من اطاع الله تعالى خفف الله عليه احوال الدنيا والاخرة ومن عصاه ابتلاه بانواع البلاء والمحن قالت الاشاعرة لو وجب رعاية الاصلح على الله تعالى
لوجب ان لا يكثر الحيتان في ذلك اليوم صونا لهم عن الكفر والمعصية وهذا الاعتراض وارد على خلق ابليس وسائر ابواب الشرور النوع الثالث
قوله واذ قالت وهو معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من صلحاء اهل القرية الذين بالغوا في موعظتهم حتى ايسوا
الاخرين كانوا لا يتركون وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لعلمهم بان عاقبة المعصية شؤم والمنهمك في الفساد لا يكاد
يفلح قالوا معذرة من رفع فبتقدير هذه او موعظتنا او قولنا ابداء عذر الى الله والمعذرة مصدر كالمغفرة ومن نصب فعلى انا نعتذر معذرة
او وعظناهم معذرة الى ربكم اى اذا طولبنا باقامة النهي عن المنكر قلنا قد فعلنا فنكون بذلك معذورين ولعلهم يتقون ولانا نرجو ان يتقوا
بعض الاتقاء فيتركوا الصيد في السبت فلما نسوا يعني اهل القرية تركوا ما ذكرهم به الصالحون انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا
بعذاب بئيس ومعناه على اختلاف القراءات شديد من بؤس بأسا اذا اشتد والظاهر ان هذا العذاب غير المسخ المذكور في قوله فلما عتوا
تكبروا وتمردوا وابوا عن ترك ما نهوا عنه بحذف المضاف لان الاباء عن النهي عنه يكون طاعة قلنا لهم كونوا قردة خاسئين والمراد امر التكوين
والايجاد لا ان هناك قولا وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ عن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا
في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه والله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة
ادهى وامر وقد ذكرنا هذه القصة مع تحقيق المسخ في سورة البقرة الا انه بقي ههنا بحث وهو ان اهل القرية كم فرقة كانوا فقيل فرقتان المذنبة
والواعظة ولما الامة القائلة لم تعظون فهم المذنبة بعينها قالوا للفرقة الواعظة لم تعظون قوما الله مهلكهم بزعمكم والاعتراض على هذا القول
انه لو صح ذلك لكان اللائق ان يقال في الجواب معذرة الى ربكم ولعلكم تتقون لان الجميع خطاب من الفرقة الناهية للفرقة العاصية والتعجب

انهم ثلث فرق فرقة مذنبة وفرقة واعظة وفرقة قالوا للواعظين لم تعظون اما المذنبة فقد هلكوا بالاتفاق واما الواعظة فقد نجوا بقي الكلام في الثالثة
فعن ابن عباس انه توقف فيهم وكان يقول ليت شعري ما فعل بهؤلاء وعنه ايضا انهم هلكوا وكان اذا قرأ عليه هذه الآية يبكي وقال ابن عباس هؤلاء الذين
سكتوا عن النهي عن المنكر هلكوا ونحن نرى اشياء ننكرها ثم نسكت ولا نقول شيئا وعن الحسن انهم نجوا لانهم كانوا ينكرون عليهم ويحكمون بان الله
مهلكهم او معذبهم وانما تركوا الوعظ لانهم لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي بحال المنهي وان النهي لا ينجع فيه سقط عنه النهي
ولعل الواعظين لم يستحكم يأسهم بعد كما استحكم يأس اولئك ولعلهم كانوا احرص الطائفتين ولعل الامة سكتوا عن علة الوعظ سؤال المنكرين والله تعالى
اعلم بالسرائر النوع الرابع واذ تأذن ربك هو تفعل من الايذان الاعلام والمعنى عزم ربك لان العازم على الامر يحدث به نفسه فكانه يؤذن النفس بانه يفعل
واجري مجرى فعل القسم في الجزم بالجزاء نحو علم الله وشهد الله فاجيب بجواب القسم اي حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن ومعناه التسليط كقوله بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي بأس شديد واختلف في العائد في عليهم فقيل يرجع الى الممسوخين بناء على ان لهم نسلا وقيل الى اصحاب تلك القرية فكانه مسخ المعتدين وذكر
النسل بالبقية وقال الاكثرون هم اليهود الذين ادركهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى شريعته فثبتوا على الكفر واستمروا على اليهودية اما العذاب فقيل هو
اخذ الجزية كانوا يؤدونها الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى يوم القيمة وقيل الاستخفاف والاهانة و
قيل القتل والقتال كما وقع في زمن بختنصر وغيره وقيل الاخراج عن الاوطان كما في بني قريظة والنضير وخيبر واذ قد اخبر الله تعالى بلزوم الذل والصغار
اياهم ونحن نشاهد ان الامر كذلك فهو اذن اخبار عن الغيب فيكون معجزا قيل والخبر المروي في ان اتباع الدجال هم اليهود ان صح فمعناه انهم كانوا قبل خروجه
يهودا ثم دانوا بالهيته فذكروا بالاسم الاول وانما تكلف ذلك لانهم يكونون في وقت اتباع الدجال ظاهرين غالبين النوع الخامس وقطعناهم في
الارض امما فرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد الا وفيه منهم طائفة منهم الصالحون الذين كانوا في زمن موسى يهدون بالحق والذين
وراء الصين وعن ابن عباس ومجاهد الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ومنهم دون ذلك اي ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون
عنه فيجوز ان يكون فيهم بعض الصلاح وان كان ادون من صلاح الاولين الا ان قوله بعد ذلك لعلهم يرجعون يدل على ان المراد بهم الكفرة الفسقة
الباقية على الخبث والفساد ومحل دون ذلك رفع على انه صفة مرفوع محذوف كما قلنا وبلوناهم عاملناهم معاملة المبتلي المختبر بالحسنات الخصب والعافية
والسيئات الجدب والشدائد لعلهم يرجعون لان كلا من الحالتين تدعو الى الطاعة والانابة النعم بالترغيب والنقم بالترهيب فخلف من بعدهم
خلف ظاهره يدل على ان الاول ممدوح والثاني مذموم فالمراد فخلف من اولئك الصلحاء خلف قال الجوهري الخلف القرن بعد القرن فيقال هؤلاء
خلف سوء لناس لاحقين بناس اكثر منهم قال الاخفش وقد يحرك ومنهم من يقول خلف سوء من ابيه بالتسكين وخلف صدق من ابيه بالتحريك قال لبيد
ذهب الذين يعاش في اكنافهم وبقيت في خلف كجلد الاجرب والخلف الردي من القول يقال سكت الفا ونطق خلفا اي سكت عن الف كلمة ثم تكلم بخطأ
ورثوا الكتاب التورية بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها من الاوامر والنواهي ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الادنى
اي حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر وفي الاشارة بقوله هذا الادنى تحقير و
تخسيس واراد بالدنو القرب لانه عاجل او دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في تحريف الاحكام والنعوت ويقولون
سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما اخذنا واسناد الفعل اما الى الجار والمجرور واما الى الاخذ الدال عليه يأخذون وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
الواو للحال اي يرجون المغفرة وهم مصرون والمراد الاخبار عن اصرارهم على الذنوب وقال الحسن هذا اخبار عن حرصهم على الدنيا
وانهم لا يشبعون منها ثم بين نكث عهدهم فقال الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اي التورية ومحل ان لا يقولوا على الله الا الحق رفع عطف بيان
للميثاق المذكور في التورية وهو ان لا يحرفوا الكلم عن مواضعه ولا يقبلوا الرشى او لا يصروا على الذنب مع الجزم بالغفران فان خلاف كل ذلك
خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق ويجوز ان يكون ان لا يقولوا مفعولا لاجله ومعناه لئلا يقولوا ويجوز ان يكون ان مفسرة
ولا يقولوا نهيا كانه قيل الم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق ودرسوا عطف على الم يؤخذ لانه تقرير كانه قيل اخذ عليهم الميثاق وقرؤا ما فيه
اي انهم ذاكرون لما اخذ عليهم لانهم قد قرؤه ودرسوه والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشى والمحارم ثم لما ذكر حال
من ترك التمسك بالتورية اتبعها حال من تمسك به اي اعتصم به فقال والذين يمسكون بالكتاب والتشديد للتكثير وفي افراد اقامة الصلوة مع ان
التمسك بالكتاب مشتمل على كل عبادة اظهار لمزية الصلوة واشعار بانها عماد الدين النوع السادس واذ نتقنا قال ابو عبيدة اصل النتق قلع
الشيء عن موضعه والرمي به ومنه امرأة ناتق اذا كثر ولدها لانها ترمي بالاولاد رميا والمعنى واذ قلعنا الجبل من اصله وجعلناه فوقهم كانه ظلة و
هي كل ما اظلك من سقف او حائط وظنوا انه واقع بهم علموا او تيقنوا انه ساقط عليهم وقيل قوي في نفوسهم انه يقع بهم ان خالفوا وذلك انهم ابوا ان يقبلوا
احكام التورية فرفع الله الطور عليهم على راسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا في فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى
الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر ويقولون
هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا يقرأ عليه التورية الا
اهتز وانغض لها راسه خذوا على ارادة القول اي قلنا لهم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على احتمال مشاقه وتكاليفه

وذكروا

واذكروا ما فيه من الاوامر والنواهي او من التعريض للثواب والعقاب خذوا ما آتيناكم من الاحكام العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة لعلكم تتقون ما انتم عليه من الاباء التاويل القرية التي كانت
حاضرة البحر هي قرية الجسد الحيواني على شاطئ بحر البشرية واهل قرية الجسد الصفات الانسانية صنف روحانية كصفات الروح وصنف كصفات
النفس الامارة بالسوء وكل له نوع صيد حيتان الدواعي البشرية في سبت محارم الله فلم يمسك الحرمة الا الصفات الانسانية اذ تأتيهم حيتانهم يوم
سبتهم شرعا لان الانسان حريص على ما منع فتهيج الدواعي في المحرمات دون الحلالات بما كانوا يفسقون اي بما كان من طبيعة النفس وصفاتها من الخروج
عن امر الله لانها امارة بالسوء واذ قالت امة منهم صفات القلب والصفات الروح لم تعظون قوما الله مهلكهم بالمخالفات عند استيفاء اللذات والشهوات
او معذبهم عذابا شديدا وهو المسخ بتبديل الصفات الانسانية الى الصفات الحيوانية قالوا معذرة الى ربكم لانا خلقنا هكذا آمرين بالمعروف
ناهين عن المنكر فنقضي ما علينا ليعلم انا ما قصرنا من اوصافنا او وظائفنا الملكية ولعل النفس وصفاتها يتقون فتتصف بالمأمورية والاطمئنان فانها
قابلة لذلك بعذاب بئيس وهو ابطال استعداد قبول الفيض الالهي ليبعثن عليهم على الارواح والقلوب الذين يتبعون النفس وصفاتها من
يسومهم وهو الشيطان المنظر الى يوم القيامة سوء العذاب عذاب البعد عن الله وعذابه له الخذلان للنفس والشيطان وقطعناهم فرقنا الارواح
والقلوب في ارض الاجساد منهم الصالحون قابلون لفيض نور الله ومنهم دون ذلك في القبول وبلوناهم بالحسنات والسيئات وهي المعاصي لعلهم
يرجعون الى الحق وذلك ان السير الى الله يتم بقدم الطاعة وبقدم ترك المعصية ومن هنا قيل خطوتان وقد وصلت او بلوناهم بالحسنات
ليرجعوا الينا بقدم الشكر والسيئات ليرجعوا بقدم الصبر او بلوناهم بكثرة الطاعات والعجب بها كما كان حال ابليس وبكثرة المعاصي والندامة عليها
كما كان حال آدم فخلف من بعد الارواح والقلوب لما سلكوا طريق الحق ووصلوا الى مقعد صدق خلفهم النفوس الامارة بالسوء ورثوا الكتاب و
هو ما الهم الله تعالى الارواح والقلوب من المواعظ والحكم والمعاني والاسرار وورثت النفوس وجعلوها ذريعة العرض الدنياوية وتحصيل المال
والجاه واستيفاء اللذات ويقولون سيغفر لنا مثل هذه الزلات لانا واصلون كاملون كما هو مذهب اهل الاباحة او سيغفر لنا انا استغفرنا
وهم يستغفرون باللسان لا بالقلب اذ نتقنا الجبل فيه ان الانسان لو وكل الى الطبع ونفسه لا يقبل شيئا من الامور الدينية وايمانا على
القبول بامر ظاهر او باطن وفيه ان على رؤس اهل الطلب جبل امر الحق وهو امر التحويل فيحولهم بالقدرة الى ان ياخذ واليه ايما الله تعالى بقوته لا بقوتهم
وارادتهم واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم ٤٢

و چون فرا گرفت پروردگار تو از فرزندان آدم از پشت ایشان فرزندان ایشان را و گواه گرفت ایشان را بر نفسهای ایشان آیا نیستم من پروردگار شما گفتند آری گواهیم تا که نگویید در روز

القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم افتهلكنا بما فعل المبطلون

قیامت که ما بودیم از این بی‌خبران یا بگویید که جز این نیست که شرک آوردند پدران ما از پیش و بودیم فرزندان از بعد ایشان آیا پس هلاک گردانی ما را بآنچه کردند مبطلان

وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان

و همچنین بیان می‌سازیم آیات را و شاید که ایشان باز گردند و بخوان بر ایشان خبر آن کس را که دادیم او را نشانهای خود پس بیرون آمد از آن پس در پی افتاد او را شیطان

فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه

پس گردید از جمله گمراهان و اگر میخواستیم هرآینه بالا بردیم او را بآن و لیکن او جاوید شد در زمین و متابعت کرد هوای خود را پس مانند او چون مانند سگ است اگر حمله بری بر او

يلهث او تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين

زبان بیرون آرد یا واگذاری او را زبان بیرون آرد این است مثل آن گروه که تکذیب کردند آیات ما را پس بیان کن حکایتها را تا اندیشه کنند بد است مانند آن گروه که

كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد

تکذیب کردند بآیات ما و تنهای خود را بودند که ستم کردند هر که را هدایت کند خدا پس او است راه یافته و هر که را گمراه کند پس آن گروه ایشانند زیانکاران و هرآینه تحقیق که

ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها

آفریدیم از برای جهنم بسیاری از پریان و آدمیان که از برای ایشان است دلهائی که نمی‌فهمند بآن و از برای ایشان چشمها که نمی‌بینند بآن و مر ایشان راست گوشها که نمی‌شنوند بآن

اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون

آن گروه چون چهارپایانند بلکه ایشان گمراه‌ترند آن گروه ایشانند غافلان و مر خدا راست نامهای نیکو پس بخوانید او را بآن و واگذارید آنان را که میل میکنند در نامهای او زود باشد که جزا داده شوند

بما كانوا يعملون وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي ٤٣

بآنچه بودند که میکردند و از آنان که آفریدیم گروهی است که راه می‌نمایند بحق و بآن عدل میکنند و آنان که تکذیب کردند بآیات ما زود درجه بدرجه گیریم ایشان را از جائی که ندانند و مهلت میدهم مر ایشان را بدرستی که مکر من

متين القراءة ذريتهم على التوحيد حمزة وخلف وابن كثير وعاصم سوى حفص والمفضل الباقون على الجمع يقولوا بياء الغيبة في الحرفين ابو عمرو يلهث
ذلك بالاظهار حفص والاصفهاني عن ورش والحلواني عن قالون والنقاش عن ابي ربيعة عن قنبل يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون
بضم الياء وكسر الحاء من الالحاد ولقد ذرأنا مظهرا ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ورش وعاصم غير الاعشى ذرانا بغير همز ابو عمرو ويزيد



الاعشى اذ زانا بغير همز ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف الباقون بالهمز الوقوف انفسهم ج لان التقدير وقالوا
الست بربكم مع اتحاد الكلام بربكم ط فصلا بين السؤال والجواب بلى ج لان شهدنا يصلح ان يكون من قولهم فيوقف على شهدنا ويعلق ان يجد وف
اي فعلنا ذلك لئلا يقولوا ويصلح ان يكون شهدنا من قول الملائكة اي قيل للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا فيكون منفصلا من جملة
ومتصلا بان يقولوا غافلين ه للعطف من بعدهم ج لابتداء الاستفهام واتحاد القائل المبطلون ه يرجعون ه الغاوين ه هواه ج لان قوله فمثله مثبتا ولو شئنا لرفعناه
فيه غير كمثل الكلب ج لابتداء الشرط مع ان الجملة تفسير المثل او تتركه يلهث ط بآياتنا يتفكرون ه يظلمون ه المهتدي ج للعطف ولان التفصيل من الجملتين
ابلغ في التنبيه الخاسرون ه والانس ز والوصل اولى لان الجملة بعده صفة لكثيرا لا يفقهون بها ج لان العطف صحيح ولكن الوقف لامهال
فرصة الاعتبار وكذا الثانية ولهذا كرر لفظة لهم في اول كل جملة لا يسمعون بها ط اضل ط الغافلون ه فادعوه بها ص لعطف المتفقتين في اسمائه ط يعملون
يعدلون ه لا يعلمون ه ج وعطف املي على سنستدرجهم احسن من جعله مستأنفا فتوقف على املي لهم متين ه التفسير لما شرح قصة موسى على اقصى الوجوه
ذكر ما يجري مجرى تقرير الحجة على جميع المكلفين وفي الآية للمفسرين قولان احدهما ما روى مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب قال سئل عنها رسول
الله صلعم فقال ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية قال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره
فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون قال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلعم ان الله اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل
النار فيدخله به النار وهذا القول ذهب اليه كثير من قدماء المفسرين كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير والضحاك وعكرمة والكلبي وابن عباس
اما المعتزلة واصحاب النظر والمعقولات فانهم فسروا الآية بانه تعالى اخرج الذرية وهم الاولاد من اصلاب آبائهم وذلك الاخراج انهم كانوا نطفة
فاخرجها الله تعالى الى ارحام الامهات وجعلها علقة ثم مضغة ثم جعلهم بشرا سويا وخلقا كاملا ثم اشهدهم على انفسهم بما ركب في عقولهم من
دلائل وحدانيته وعجائب خلقه وغرائب صنعته وكانه قررهم وقال الست بربكم وكانهم قالوا بلى انت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا
بوحدانيتك وباب التمثيل باب واسع في كلام الله ورسوله وفي كلام العرب نظيره فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين
وقال الشاعر امتلأ الحوض وقال قطني وهذا القول الثاني غير مناف للقول الاول ولا هو مطعون في نفسه انما الكلام في صحة القول الاول
والمنكرون طعنوا فيه بوجوه منها ان قوله من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل فالمعنى واذ اخذ ربك من ظهور بني آدم وعلى هذا
فلم يذكر الله تعالى انه اخذ من ظهر آدم شيئا ويمكن ان يجاب بانه تعالى علم ان الشخص الفلاني يتولد من آدم ومن فلان آخر فعلى الترتيب الذي
علم دخولهم في الوجود يخرجهم ويميز بعضهم من بعض فثبت اخراج الذرية من ظهور بني آدم بالقرآن وثبت اخراج الذرية من ظهر آدم بالخبر فوجب المصير
اليهما معا صونا للآية والخبر عن الطعن ومنها ان اولئك الذر ان لم يكونوا عقلاء لم يمكن اخذ الميثاق منهم وان كانوا عقلاء وجب ان يتذكروا
تلك الحالة في هذا الوقت وبهذا الدليل بعينه يبطل التناسخ ويحتمل ان يجاب بالفرق وذلك انا اذا كنا في ابدان اخرى وبقينا فيها سنين
ودهورا امتنع في مجرى العادة نسيانها واما اخذ هذا الميثاق فانما حصل في اسرع زمان فلم يبعد حصول النسيان فيه ومنها ان جميع الخلق من اولاد
آدم جمع عظيم وجم غفير وصلب آدم على صغره لن يتسع لذلك المجموع على ان البنية شرط لحصول الحيوة والعقل والفهم فكل واحد من اولئك
الذر لها بنية وان كانت صغيرة والمجموع يبلغ مبلغا عظيما في الحجمية والمقدار واجيب بان البنية عندنا ليست شرطا في الحيوة والعقل
والجائز ان يكون كل من الذر جوهرا فردا ومنها ان فائدة اخذ الميثاق ان يكون حجة عليهم في ذلك الوقت وفي الدنيا والاجماع منعقد
على انهم بسبب ذلك لا يصيرون مستحقين للثواب والعقاب على انهم ادون حالا من الاطفال ولا يتوجه التكليف على الطفل فكيف
على الذر واجيب بانه لا يسئل عما يفعل وان المعتزلة اذا ارادوا تصحيح القول بوزن الاعمال وانطاق الجوارح قالوا لا يبعد ان يكون لبعض الملائكة
في تمييز السعداء من الاشقياء في وقت اخذ الميثاق لطف وقيل ان الله تعالى يذكرهم ذلك الميثاق يوم القيمة ومنها انه سبحانه قال ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين وقال فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكون اولئك الذر ناسا احياء في كون الانسان مخلوقا من الماء والطين
والجواب لم لا يجوز ان يخرج الله تعالى من صلب آدم ذرة من الماء ثم منها ذرة اخرى وهلم جرا الى الآخر نسلها ثم يعدم الكل ويميتها فيحصل الموت
للانسان اربع مرات اولها وقت الميثاق وثانيها في الدنيا وثالثها في القبر ورابعها في القيمة ويحصل له الموت ثلث مرات بين كل حيوتين
واحد ولا ينافي هذا حكاية قول الكفرة ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين لانهم قالوا ذلك بناء على حسب ظنونهم اما قوله ان تقولوا فالتقدير
واشهدهم على انفسهم بكذا لئلا يقولوا او كراهة ان يقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا المشهود له غافلين من قرأ بياء الغيبة فلان الكلام على الغيبة
وهو قوله بني آدم من ظهورهم واشهدهم على انفسهم لئلا يقولوا ومن قرأ على الخطاب فلانه قد جرى في الكلام خطاب وهو قوله الست بربكم
وكلا الوجهين حسن لان الغائبين هم المخاطبون في المعنى او يقولوا يعني الكفار انما اشرك آباؤنا اشركوا فقلدناهم في ذلك الشرك فكان الذنب لاسلافنا فكيف
تعذبنا على هذا الشرك وهو معنى قوله افتهلكنا بما فعل المبطلون والحاصل انه تعالى لما اخذ عليهم الميثاق امتنع منهم التمسك بهذا العذر وعند المعتزلة
معناه اشهدناهم كراهة ان يقولوا انما اشركنا على سبيل التقليد لاسلافنا لان نصب الادلة على التوحيد قائم فلا عذر معهم في الاعراض عنه

والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء وقال في الكشاف المراد ببني آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذريتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم لان الآيات السابقة في شان اليهود وكذلك قوله واتل عليهم اي على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اما قوله وكذلك الخ ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الآيات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا الى الحق ويعرضوا عن الباطل نفصلها او يرجعوا الى ما اخذ الله عليهم من الميثاق في التوحيد ولبعض العلماء في الآية قول ثالث وهو ان الارواح البشرية موجودة قبل الابدان والاقرار بوجود الاله من لوازم ذواتها وحقائقها وهذا العلم ليس مما يحتاج في تحصيله الى كسب وطلب هو المراد باخذ الميثاق عليهم لكنها بعد التعلق بالابدان يشغلها التعلق عن معلومها فربما تتذكر بالتذكير واتل عليهم على بني آدم او اليهود خاصة قال ابن عباس وابن مسعود ومجاهد نزلت في بلعم بن باعوراء وذلك ان موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه وغزا اهله وكانوا كفارا فطلبوا منه ان يدعو على موسى وقومه وكان مجاب الدعوة وعنده اسم الله الاعظم فامتنع منه فما زالوا يطلبونه منه حتى دعا عليهم فاستجيب له ووقع موسى ع وبنو اسرائيل بدعائه في التيه فقال موسى يا رب باي ذنب وقعنا في التيه فقال بدعاء بلعم فقال كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه ثم دعا موسى ع ان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله تعالى مما كان عليه ونزع عنه المعرفة فخرجت من صدره كحمامة بيضاء فهذه قصته ويقال ايضا انه كان نبيا من انبياء الله تعالى فلما دعا عليه موسى ع انتزع الله تعالى منه الايمان فكان كافرا وهذا بعيد لانه سبحانه قال الله اعلم حيث يجعل رسالته وفيه انه تعالى لا يشرف عبدا من عبيده بالرسالة الا اذا علم امتيازه عن سائر عبيده بمزيد الشرف والفضل ومن كان هذا حاله فكيف يليق به الكفر وقال عبد الله ابن عمرو وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم وابو روق نزلت في امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله تعالى يرسل رسولا في ذلك الوقت فرجا ان يكون هو فلما ارسل الله محمدا صلى الله عليه وآله حسده ثم مات كافرا ولم يؤمن بالنبي صلعم وهو الذي قال فيه النبي صلعم ولقد كان يسلم وذلك انه يوحد الله تعالى في شعره ويذكر دلائل توحيده من خلق السماء والارض واحوال الآخرة والجنة والنار وقيل نزلت في ابي عامر الراهب الذي سماه النبي صلعم بالفاسق وكان يترهب في الجاهلية فلما جاء الاسلام خرج الى الشام وامر المنافقين باتخاذ مسجد الضرار واتى قيصر واستنجده على النبي صلى الله عليه وآله فمات هناك طريدا وحيدا وقيل نزلت في منافقي اهل الكتاب وكانوا يعرفون النبي صلعم عن الحسن والاصم وروى عكرمة عن ابن عباس قال هو رجل اعطي ثلث دعوات يستجاب له فيها وكانت له امرأة يقال لها البسوس وكان له منها ولد وكانت تحبه فقالت اجعل لي منها دعوة فقال لك واحدة فماذا تأمرين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امرأة في بني اسرائيل فلما علمت ان ليس فيهم مثلها رغبت عنه وارادت شيئا آخر فدعا الله عليها ان يجعلها كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان وجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة يعيرنا بها الناس فادع الله ان يردها الى الحال التي كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت وذهبت الدعوات الثلث وبها يضرب المثل فيقال اشأم من البسوس وقيل هو عام فيمن عرض عليه الهدى فاعرض عنه وهو قول قتادة وعكرمة وابي مسلم ومعنى قوله آتيناه آياتنا عند الاكثرين علمناه حجج التوحيد وفهمناه ادلته حتى صار عارفا بها فانسلخ منها فخرج من محبة الله تعالى الى معصيته ومن رحمته الى سخطه يقال لكل من فارق شيئا بالكلية انه انسلخ منه وقال ابو مسلم آتيناه آياتنا فانسلخ منها اي بينا ها فلم يقبل وعري منها وتباعد كما هو شأن كل كافر لم يؤمن بالادلة واقام على الكفر والقول الاول اولى لان الانسلاخ يدل على انه كان الشيء مقصودا فيه ثم خرج منه لا على انه لم يوجد فيه اصلا وايضا ثبت بالاخبار ان الآية نزلت في انسان كان عارفا بدين ثم خرج من المعرفة الى الكفر والغواية وذلك قوله فاتبعه الشيطان اي ادركه ولحقه وصار قرينا له او اتبعه الشيطان خطواته او كفار الانس وغواتهم اي الشيطان جعل كفار الانس اتباعا له فكان من الغاوين في علم الله تعالى او فصار منهم ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار بها اي بتلك الآيات ولكنه اخلد الى الارض اصل الاخلاد اللزوم على الدوام فكانه قيل لزم الميل الى الارض ومنه اخلد فلان بالمكان اذا لزم الاقامة به قال ابن عباس معناه مال الى الدنيا وقال مقاتل رضي بالدنيا وقال الزجاج سكن الى الدنيا قال الواحدي فهؤلاء فسروا الارض بالدنيا لان ما في الدنيا من الضياع والعقار كلها ارض وسائر امتعتها من المعادن والنبات والحيوان يستخرج من الارض وبها يكمل ويقوى ومعنى واتبع هواه انه اعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات ثم انه لو اجري الكلام على ظاهره لقيل ولو شئنا لرفعناه بها ولكنا لم نشأ الا ان قوله ولكنه اخلد الى الارض لما دل على هذا المعنى لا جرم اقيم مقامه قالت الاشاعرة لفظة لو تدل على ان الله تعالى قد لا يريد الايمان ويريد الكفر وقال الجبائي معناه ولو شئنا لرفعناه باعماله بان نخترمه ونزيل التكليف عنه قبل ذلك الكفر حتى تسلم له الرفعة لكنا علمنا بان ابانة التكليف بمنزلة زائدة فابقاه ليستمر على الايمان او المراد لو شئنا لرفعناه بان نحول بينه وبين الكفر قهرا وجبرا الا ان ذلك ينافي التكليف فلا جرم تركناه مع اختياره وقال صاحب الكشاف معناه ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله تعالى رفعته تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ثم وضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله وارذلها في هذا المعنى ومحل قوله ان تحمل عليه النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالين ويجوز ان يكون تفسيرا للمثل كما مر قال الليث هو ان الكلب ونحوه اذا ناله الاعياء عند شدة الحر فانه يدلع لسانه من العطش وكل شيء يلهث فانه يلهث من اعياء او عطش الا الكلب فانه يلهث فانه

ومنها الا بتذكره



واعلم ان التمثيل

يلهث في جميع احواله لا لحاجة وضرورة بل لطبيعة الخبيسة فعنى الاية ان هذا الكلب ان شد عليه وهيج لهث وان ترك لهث ايضا لاجل ان ذلك
الفعل القبيح لهجة اصلية له عن ابن عباس الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه قيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره
وجعل يلهث كما يلهث الكلب فيكون هذا وجه التمثيل ما وقع بجميع الكلاب وانما وقع بالكلب اللاهث واخس الحيوانات هو الكلب واخس الكلاب هو
اللاهث فان الرجل العالم اذا توسل بعلمه الى طلب الدنيا فذلك انما تكون لاجل انه يورد عليهم انواع علومه ويظهر عندهم فضائل نفسه ومناقبها
ولا شك انه عند ذكر تلك الكلمات يدلع لسانه ويخرجه لاجل ما تمكن من قلبه من حرارة الحرص وشدة العطش الى الفوز بالدنيا فكانت حالته
شبيهة بحال ذلك الكلب الذي اخرج لسانه ابدا من غير حاجة ولا ضرورة بل لمجرد الطبيعة الخبيسة وايضا هذا الحريص الضال ان وعظته فهو ضال وان لم
تعظه فهو ضال لاجل ان ذلك الضلال والخسة عادة اصلية وطبيعة ذاتية له كما ان ذلك الكلب ان شد عليه لهث وان ترك لهث ثم عمم بالتمثيل جميع
المكذبين الضالين فقال ذلك مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وقال ابن عباس يريد اهل مكة كانوا يتمنون هاديا يهديهم وداعيا يدعوهم
الى طاعة الله ثم لما جاءهم من لا يشكون في صدقه ودينه كذبوه وقيل هم اليهود قرأوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية وذكر القران المعجز وما
فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فاقصص القصص يريد قصص المكذبين او قصص بلعم الذي
هو نحو قصص المكذبين لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته ثم ذكر تاكيدا اخر في باب التحذير فقال ساء مثلا ولا
بد من تقدير مضاف ليناسب التمييز المخصوص بالذم فيصير التقدير ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب مثل القوم وفي ساء ضمير مبهم يفسره المنصوب
بعده وظاهر الاية يقتضي كون المثل مذموما فقيل كيف يتصور ذلك مع ان الله تعالى ذكره والجواب ان الذم انما يتوجه الى ما افاده المثل من تكذيبهم
بايات الله واعراضهم عنها حتى صاروا في ذلك بمنزلة الكلب اللاهث اما قوله وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ فاما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل
في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم
المفعول للاختصاص كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها ثم بين ان الهداية والضلال بتقدير فقال من يهد الله فهو المهتدي
وهو محمول على اللفظ من حيث ان من مفرد اللفظ ومن حيث ان الاهتداء مطاوع هدى ومن يضلل فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وانه محمول على المعنى
لان من معناه ههنا الجمع ولان الخسار ليس مطاوع الاضلال بل الضلال مطاوع له والخسار لازم الذم ولا يخفى ان ظاهر الاية موافق لمعتقد الاشاعرة
ان الهداية والضلال بل جميع الاعمال بخلق الله تعالى والمعتزلة اولوها بان المراد من يهده الله الى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا ومن يضلله عن
طريق الجنة وقال بعضهم التقدير من يهده الله فقبل هداه فهو المهتدي ومن يضلل بان لم يقبل فهو الخاسر وقيل من يهده الله بالالطاف
وزيادة الهدى فهو المهتدي ومن يضلله عن ذلك بما تقدم منه وثبوا اختياره فاخرج لهذا السبب تلك الالطاف من ان يؤثر فيه فهو الخاسر ونقض بالعلم
والداعي وبان الاصل عدم الاضمار وبان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله عند المعتزلة في حق جميع الكفار وبالاية بعدها وهي قوله
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا الى اخره وذلك انه بين انه خلق كثيرا من الجن والانس لجهنم وقد علم ذلك في الازل وخلاف مقدوره معلومه محال وايضا العاقل لا
يريد الكفر والجهل الموجبين لدخول النار فحصول ذلك على خلاف قصده واجتهاده لا يكون الا من قبل غيره ولا يتسلسل بل ينتهي الى مسبب الاسباب
لا محالة لا يقال العبد انما يسعى في تحصيل ذلك الاعتقاد الباطل لانه اشتبه الامر عليه وظنه اعتقادا صحيحا لانا نقول على هذا التقدير انما وقع في هذا
الجهل لاجل جهل متقدم ولا يتسلسل بل ينتهي الى جهل حصل ابتداء فيتوجه الالزام قالت المعتزلة الايات الدالة على انه سبحانه اراد من العبد الطاعة
والعبادة والخير فقط كثيرة كقوله وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وايضا انه قال في معرض الذم لهم قلوب لا يفقهون بها الى اخره ولو كانوا
مخلوقين للنار وغير قادرين على الايمان لم يحسن ذمهم وايضا لو خلقهم للنار لما كان له نعمة على الكفار لان منافع الدنيا باسرها لا اعتداد بها في جنب
العذاب الدائم لكن القران مملوء من انه تعالى منعم على جميع الخلائق وايضا مذهبكم يوجب ان لا يكون للمدح والذم والثواب والعقاب والترغيب
والترهيب فائدة ولو خلقهم للنار لوجب ان يخلقهم في النار ابتداء لانه لا فائدة في ان يستدرجهم الى النار بخلق الكفر فيهم ايضا الاية متروكة
الظاهر لان لام الاختصاص لا يفيد فيها الا اذا قدر ولقد ذرأناهم لكي يكفروا فيصيروا الى جهنم فيجب تاويلها على قوله وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون لان ظاهره يصح من غير حذف وعلى هذا وجب تاويل الاية بان اللام فيها لام العاقبة كقوله فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا
اذ يتوهم انه جعلهم لاعراقهم في الكفر وشدة شكائمهم كانهم مخلوقون للنار كقولهم ما خلق فلان الا لكذا اذا كان عريقا في بعض الامور والجواب
اجمالا بانه لا يسئل عما يفعل وتفصيلا بان النعمة وان قلت في نفسها نعمة وبان الوسائط معتبرة وبان حمل اللام على العاقبة يجوز لا يصار اليه
الا لضرورة في تصحيح المعنى وههنا لا ضرورة فقد تعاضدت الدلائل العقلية كالعلم والداعي والنقلية كايات كثيرة على ان الكل من الله فوجب
المصير الى طرف الجبر ولا سيما فان ما قبل هذه الاية وهو قوله مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وما بعدها وهو قوله وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ
يدل على ما قلنا وايضا الاية تدل على ان اولئك الكفار كانت لهم قلوب يفهمون بها مصالح الدنيا وكذا اعين مبصرة واذان سامعة فالمراد انهم ما كانوا
يفقهون ويبصرون ويسمعون ما يرجع الى مصالح الدين ثم انه تعالى كلفهم تحصيل الدين مع عدم القابلية كيف وان الكفار بلغوا في عداوة الرسول
صلى الله عليه وسلم وفي شدة النفرة عن قبول دينه مبلغا لا يمكنه كنهه والعلم الضروري حاصل بان حصول الحب والبغض في القلب ليس باختيار الانسان



بل هو حالة حاصلة في القلب كون الانسان اراد ونحو ذلك يثبت القول بالجبر وروى الشيخ احمد البيهقي في كتاب مناقب الشافعي ان علي بن ابي
طالب عليه السلام خطب الناس فقال واعجب ما في الانسان قلبه فيه مواد من الحكمة واضدادها فان سنح له الرجاء وله الطمع وان هاج به الطمع
اهلكه الحرص وان ملكه اليأس قتله الاسف وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ وان اسعد الرضى فنسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحزن
وان اصابته المصيبة قتله الجزع وان وجد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغله البلاء وان اجهده الجوع قعد به الضعف فكل تقصير به مضر
وكل افراط له مفسد وهذا الفصل كالمطلع على سر مسئلة القضاء والقدر لان اعمال الجوارح مربوطة باحوال القلوب وكل حالة من احوال القلب
فانها مستندة الى حالة اخرى حصلت قبلها واذا وقف الانسان على هذه الحالة علم انه لا خلاص من الاعتراف بالجبر وذكر الامام الغزالي
في الاحياء فصلا ثم قال فان قلت اني اجد من نفسي اني ان شئت الفعل فعلت وان شئت الترك تركت فيكون فعلي حاصلا بي لا بغيري اجبنا
وقلنا هب انك وجدت من نفسك ذلك الا انا نقول وهل تجد من نفسك انك ان شئت ان تشاء شيئا شئت وان شئت ان لا تشاء
لم تشأ ما اظنك تقول ذلك لانه يذهب الامر فيه الى ما لا نهاية له فالمشية بك ولا حصول فعلك بعد حصول مشيتك بك انما انت مضطر
في صورة مختار والله تعالى اعلم قال بعض العلماء انه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم وفيه دليل على ان محل الفقه هو القلب
واقول ليس المراد بالقلب ههنا اللحم الصنوبري بل اللطيفة الربانية التي بها يكون الانسان انسانا وقد يعبر عنها بالنفس الناطقة وبالروح اما
قوله اولئك كالانعام بل هم اضل فتقريره ان الانسان يشارك سائر الحيوان في القوى الطبيعية الغاذية والنامية والمولدة وفي منافع الحواس
الخمس الظاهرة وفي احوال التخيل والتفكر وانما يحصل الامتياز بالقوة العقلية والفكرية التي تهديه الى معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به فاذا
لم تحصل هذه الغاية للانسان صار في درجة الانعام بل اضل وادون لان الذي اعرض عن اكتساب الفضائل مع القدرة على تحصيلها من حيث
النوع كان اخس حالا ممن لم يكتسبها مع العجز عنها وقيل وجه الاضلية ان الانعام مطيعة لله والكافر غير مطيع فقال مقاتل الانعام تعرف ربها
وتبصر منافعها ومضارها فتسعى في تحصيلها ودفعها وهؤلاء الكفار اكثرهم معاندون مصرون وقيل انها تفر ابدا الى اربابها ومن يقوم
بمصالحها والكافر يهرب عن ربه الى الاصنام وقيل انها لا تضل اذا كان معها مرشد والكافر يضل بعد ارسال الرسل وانزال الكتب اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقال عطاء انهم الغافلون عما اعد الله لاوليائه من الثواب ولاعدائه من العقاب ثم نبه بقوله ولله الاسماء الحسنى على ان الموجب لدخول
جهنم هو الغفلة عن ذكره سبحانه والمخلص من عذاب جهنم هو ذكره وكل من له ذوق وجد من نفسه ان الامر كذلك فان القلب اذا غفل عن الذكر واقبل على
الدنيا وقع في نار الحرص وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الى رغبة ومن طلب الى طلب ومن ظلمة الى ظلمة فاذا فتح على قلبه باب الذكر خلص
من نيران الآفات وخسران الحسرات الى معرفة رب الارض والسموات وهذا اللفظ مذكور في ثلاثة مواضع اولها هذا واخرى في بني اسرائيل وفي طه وفي اخر الحشر ومعنى
حسن الاسماء حسن معانيها ومفهوماتها لانها اسماء دالة على معاني الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين عدم افتقاره تعالى الى غيره وثبوت افتقار
غيره اليه وقد عرفت في تفسير البسملة ان اسماء الله تعالى لا تكاد تنحصر بحسب السلوب والاضافات فكل من كان وقوفه على اسرار حكمته في مخلوقاته اكثر كان
علمه باسماء الله الحسنى اكثر ولا ان نقول ان من تقسيمات اسماء الله ما يقوله المتكلمون من ان صفات الله انواع ما يجب عليه وما يجوز وما يستحيل ومنها ان يقال
ان اسماء الله اما ان يجوز اطلاقها على غيره كالرحيم والكريم وان كان معناها في حق الله مغايرا لمعناها في حق غيره واما ان لا يجوز نحو الله والرحمن وقد
يقيد القسم الاول بقيود مخصوصة فيصير من القسم الثاني مثل يا ارحم الراحمين ويا اكرم الاكرمين ويا خالق السموات والارضين ومنها ان يقال
من الاسماء ما يمكن ذكره وحده كقولنا يا الله يا رحمن يا حي يا حكيم ومنها ما لا يكون كذلك كقولنا مميت وضار فانه لا يجوز افراده بالذكر بل يجب
ان يقال يا محيي يا مميت يا ضار يا نافع ومنها ان يقال اول ما يعلم من صفات الله تعالى كونه محدثا للاشياء مرجحا لوجودها على عدمها وذلك انما يعلم
بواسطة الاستدلال بوجود الممكنات عليه وذلك المرجح اما ان يرجح على سبيل الوجوب او على سبيل الصحة والاول باطل والا لزم
دوام العالم بدوامه والثاني هو المعنى بكونه قادرا ثم انا بعد هذا نستدل بكون افعاله محكمة متقنة على كونه عالما ثم نقول ان القادر العالم يمتنع
ان لا يكون حيا فظهر ان العلم بصفاته تعالى وباسمائه ليس واقعا في درجة واحدة بل العلم بها علوم مترتبة يستفاد بعضها من بعض ومن البين
ان الاسماء الحسنى لا تكون الا لله تعالى لان كل الشرف والجلال لمن يستلزم وجوب الوجود وكل نقص وخساسة فانه يعقب الامكان وكل اسم لا يفيد
في المسمى صفة كمال وجلال فانه لا يجوز اطلاقه على الله تعالى ومن هنا اختلف في انه هل يطلق عليه اسم الشيء ام لا وقد مر تحقيق ذلك في تفسير البسملة
وفي الانعام في قوله قل اي شيء اكبر شهادة قل الله اما قوله فادعوه بها ففيه ان قوله دليل على ان الانسان لا يجوز ان يدعو ربه الا بتلك الاسماء
الحسنى بعد ان عرف معانيها ويكون مستحضرا لامرين عزة الربوبية وذلة العبودية كما انه في قوله عند التحريم الله اكبر يشير الى انه لا نسبة لكبريائه
وعظمته الى ما سواه من الروحانيات والجسمانيات والعلويات والسفليات وانما هو اكبر من هذه الاشياء وذروا الذين يلحدون في
اسمائه قال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ما ليس منه يقال قد الحد في الدين ولحد وقال غيره من اهل اللغة الالحاد العدول
عن الاستقامة والانحراف عنها ومنه اللحد الذي يحفر في جانب القبر خلاف الواحد الا جودة قرئ في العامة ولا يكاد يسمع لاحد بمعنى ملحد والالحاد
في اسماء الله تعالى يقع على ثلاثة اوجه الاول اطلاق اسمائه المقدسة على الاصنام كاشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز ومناة من

واكبر من ان يقال اكبر من هذه الاشياء

المنان وكان مسيلمة الكذاب يسمى نفسه بالرحمن والثاني ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمع عن البدو قولهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نجي بناء على ان النخوة مدح الثالث ان يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى كالرحمن مثلا قال بعض العلماء انه ورد الاذن في بعض الاسماء لا يجوز اطلاق سائر الالفاظ المشتقة منه عليه فلا يجوز ان يقال يا معلم وان ورد وعلم آدم الاسماء وكذا في حق الانبياء لا يجوز ان يقال ان آدم عاص او غاو وان ورد وعصى آدم ربه فغوى ثم اوعد الملحدين في اسمائه بقوله سيجزون ما كانوا يعملون ثم اخبر ان كثيرا من الثقلين مخلوقون للجنة فقال وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقد مر مثل هذه الاية في قصة موسى فعن قتادة وابن جريج وابن عباس ان المراد في الاية امة محمد صلى الله عليه وآله وروى الربيع ان النبي صلعم كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها وعن الربيع بن انس ان النبي صلعم قرأ هذه الاية فقال ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعن الكلبي هم الذين آمنوا من هذا الكتاب وقال الجبائي هم العلماء والدعاة الى الدين في كل حين ثم اعاد ذكر المكذبين وما عليهم من الوعيد فقال والذين كذبوا باياتنا قال ابن عباس يريد اهل مكة والظاهر انه عام والاستدراج استفعال من الدرجة ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب اذا طواه شيئا بعد شيء ومعنى الاية سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك كلما اقدموا على ذنب فتح الله عليهم بابا من ابواب الخير فيزدادون بطرا وانهماكا في الغي والفساد ثم يأخذهم اغفل ما يكونون وأملي لهم اطيل لهم مدة عمرهم ان كيدي متين عن ابن عباس يريد ان مكري شديد والمتين من كل شيء هو القوي يقال متن متانة واحتجت الاشاعرة بالفاظ الاستدراج والاملاء والكيد في مسئلة القضاء والقدر قال بعض المجبرة سنستدرجهم الى الكفر مع انه فاسد لان جزاء الكفر لا يكون كفرا وحملها المعتزلة على ان المراد سنستدرجهم الى العقوبات اما في الدنيا او في الاخرة وزيفها بان هذا الاستدراج والامهال مما يزيد الكافر به كفرا وعتوا واستحقاقا للعقاب فلو اراد به الخير لاماته قبل ان يصير مستوجبا لتلك الزيادات من العقوبة بل كان يجب في حكمته ورعاية الاصلح ان لا يخلقه ابتداء او يميته قبل التكليف فلما خلقه والقاه في ورطة التكاليف وامهله ومكنه من المعاصي مع علمه بان كل ذلك لا يفيد الا مزيد استحقاق العقاب علمنا انه ما خلقه الا للنار كما قال ولقد ذرأنا لجهنم الاية التاويل واذ اخذ ربك لم يقل ربكم لان في الاية غموضا لا يطلع عليه غيره صلعم وغير من انعم به عليه من خواص متابعيه وانه تعالى لم يكلم احدا وهو بعد في العدم الا بني آدم كلهم وهم غير موجودين واجابوه وهم معدومون فجرى ما جرى بالجود فهذا الا بالوجود بدايتهم والى هذا ينتهي نهايتهم بان يكون الله تعالى سمعهم وابصارهم والسنتهم انما اشرك اباؤنا بان رضوا بالاثنينية وما رجعوا الى الوحدة بالفناء في الله بما فعل المبطلون الذين ابطلوا استعداد الرجوع الى الوحدة لله ولعلهم يرجعون بهذه الدلالات من البداية الى النهاية وهو مقام الوحدة فانسلخ منها اي وقع في ورطة العلية عن ذوق طلب الحق ومحبته فادركته همزة الشيطان وجعلته من الهالكين ليعلم ان المعصوم من عصمه الله وان السالك بل الواصل يجب ان لا يأمن مكر الله فلا يفتح على نفسه ابواب الشره والنهمة ولا يميل الى حب المال والجاه ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا هم مظاهر القهر فادعوه بها بان تتصفوا بمعانيها بالنيات الصالحات وبالاعمال الزاكيات لتتخلقوا بها بالاحوال بتصفية مرآة القلب ومراقبته عن التعلق بما سوى الله تعالى والذين كذبوا باياتنا بان لم يوافق اقوالهم افعالهم سنستدرجهم فينحطون عن مراتبهم بالتدريج والله اعلم ۝

للنار حكي ان بعضا منهم مخلوقون ١٢

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ

ایا اندیشه نکنند که نیست در رفیق ایشان از دیوانگی نیست او مگر ترساننده ظاهر ایا نمی‌نگرند در حقیقت اسمانها و زمین و انچه آفرید

اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ۝ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَ

خدا از چیزها و انکه شاید بود باشد که نزدیک رسیده باشد اجل ایشان پس بچه حدیث بعد از ان ایمان اورند هرکرا گمراه کرد خدا پس نیست راه نماینده مر او را و

يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ

وا میگذارد ایشانرا در گمراهی ایشان کور دلان سوال کنند ترا از قیامت که کی برپا شد بگو که دانش ان نزد پروردگار منست ظاهر نکند ان را در وقت ان مگر او

ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ

سنگین شده است در اسمانها و زمین در نمیرسد شمارا مگر ناگهان سوال میکنند ترا گویا که تو اگاهی از ان بگو که جز این نیست علم ان نزد خداست ولکن بیشتر مردمان

لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ

نمیدانند بگو که ندارم برای خود سود و نه زیان مگر انچه خواهد خدا و اگر بودمی که بدانم غیب را هر اینه بسیار اندوختمی از خیر و نرسیدی مرا

السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ ع هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا

بدی نیستم من مگر ترساننده و مژده دهنده مر گروهی را که ایمان اورند اوست انکه افرید شمارا از یک نفس و گردانید از ان جفت او را تا ارام گیرد بسوی ان

فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝

پس چون مباشرت کرد حوا را برداشت باری سبک پس گذشت بان پس چون سنگین شد خواندند خدا پروردگار خود را که اگر بیاوری ما را فرزندی صالح هر اینه میباشیم از سپاس گذارندگان

فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ

پس چون اورد ایشانرا فرزند صالحی قرار دادند مر او را انبازان در انچه داد ایشانرا پس برترست خدا از انچه شریک قرار میدهند ایا شریک قرار میدهند انچه را که نمی افریند چیزی را و ایشان

يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

آفریده شوند و نتوانند ایشان برای ایشان یاری دادن و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانید ایشان را بسوی راستی متابعت نکنند شما را یکسانست بر شما چه بخوانید ایشان را یا شما

صَامِتُونَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ

خاموشان باشید هر آینه آنانی را که میخوانید بجز خدا بندگانند مانند شما پس بخوانید ایشان را پس باید که جواب دهند شما را اگر هستید راستگویان آیا مر ایشان راست پایها

يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا

که روند بآنها یا مر ایشان راست دستها که بگیرند بآن یا مر ایشان راست چشمها که ببینند بآن یا مر ایشان راست گوشها که بشنوند بآن بگو که بخوانید انبازان خود را پس کید سازید بمن پس

تُنْظِرُونِ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ

زمان مدهید مرا هر آینه کارساز من آن خدائیست که فرو فرستاد کتاب را و او دوست میدارد نیکوکاران را و آنانکه میخوانید ایشان را بجز او نمی‌توانند

نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

یاری شما را و نه خویشتن را یاری کنند و اگر بخوانید آنها را بسوی راستی نشنوند و بینی که می‌نگرند بسوی تو و ایشان نمی‌بینند

القراءة فباي بتليين الهمزة حيث كان الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف ويذرهم بالياء مرفوعا ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم غير عباس والمفضل ويذرهم بالياء مجزوما عباس وحمزة وعلي وخلف الباقون بالنون مرفوعا ان انا الا بالمد ابو نشيط شركا بكسر الشين وسكون الراء ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد الآخرون شركاء على الجمع يتبعوكم مخففا نافع الباقون بالتشديد يبطشون بضم الطاء يزيد قل ادعوا بكسر اللام للساكنين وكذا بابه حمزة وعاصم وسهل ويعقوب وعباس الآخرون بالضم للاتباع كيدوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل والحلواني عن هشام في الوصل ينظروني بالياء في الحالين يعقوب وافق سهل وعباس في الوصل ان ولي الله بياء واحدة مشددة ابو زيد عن المفضل وشجاع وعباس اذا قرؤا بالادغام الكبير وليي بثلث ياءات روح والبرجمي الباقون بياءين اولاهما مشددة مكسورة والثانية مفتوحة الوقوف من جنة ط مبين ه من شيء لا لان التقدير وفي ان عسى اجلهم ط لابتداء الاستفهام مع الفاء يؤمنون ه هادي له ط لمن قرأ ويذرهم بالرفع على الاستئناف ومن جزم فلا وقف لانه معطوف على موضع فلا هادي له يعمهون ه مرسيها ط عند ربي ج لاختلاف الجملتين الا هو ط والارض ط بغتة ط عنها ط لا يعلمون ه ما شاء الله ط من الخير ج لاحتمال ان يفسر السوء بالجوع فيكون معطوفا على جواب لو واحتمال ان يفسر بالجنون الذي نسبوا اليه فيكون ابتداء نفي يؤمنون ه اليها ج لاجل الفاء فترتب بها لذلك الشاكرين ه فيما آتيهما ج لابتداء التنزيه ووجه الوصل بتعجيل التنزيه يشركون ه وهم يخلقون ه والوصل اولى للعطف ينصرون ه لا يتبعوكم ط صامتون ه صادقين ه يمشون بها لا لان ام عاطفة مع انها في معنى ابتداء استفهام للانكار والثانية والثالثة كذلك يسمعون بها ط تنظرون ه الكتاب ز والوصل اولى لكون الواو عاطفة الصالحين ه ينصرون ه لا يسمعوا ط لا يبصرون ه التفسير انه تعالى لما بالغ في تهديد المعرضين عن آياته الغافلين عن التأمل في بيناته عاد الى الجواب عن شبهاتهم فقال اولم يتفكروا واعلم ان الرؤية بالبصر حالة مخصوصة بالانكشاف والجلاء ولها مقدمة هي تقليب الحدقة الى جهة المرئي كذلك رؤية البصيرة وهي المسماة بالعلم واليقين متعينة بالوضوح والانارة ولها مقدمة هي تقليب حدقة القلب الى الجوانب طلبا لذلك وهذه الحالة تسمى نظر العقل وفكره وفي اللفظ محذوف والتقدير اولم يتفكروا فيعلموا ما بصاحبهم من جنة وهي حالة من الجنون كالجلسة كان جهال اهل مكة ينسبونه الى الجنون لوجهين احدهما انه كان يغشاه حالة عجيبة عند الوحي شبيهة بالغشي يتربد وجهه ويتغير لونه والثاني ان فعله وهو الاعراض عن الدنيا والاقبال على الآخرة والدعاء الى الله تعالى كان مخالفا لفعلهم عن الحسن وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قام ليلا على الصفا يدعو فخذا فخذا من قريش يا بني فلان يحذرهم باس الله وعقابه فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات على الصباح فامرهم الله تعالى بالتفكر والتدبر في امره وذلك انه كان يدعوهم الى عبادة الله وحده ويقيم عليهم الدلائل القاطعة بالفاظ فصيحة عجز الاولون والآخرون عن معارضتها وكان حسن الاخلاق طيب العشرة مرضي السيرة مواظبا على اعمال حسنة صار بسببها قدوة العقلاء العالمين ومن المعلوم بالضرورة ان مثل هذا الانسان لا يمكن وصفه بالجنون وانما هو نذير مبين ارسله رب العالمين لترهيب الكافرين وترغيب المؤمنين ولما كان النظر في امر النبوة مفرعا على دلائل التوحيد قال اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض اي في مدلولهما والملكوت الملك العظيم وفي عدم النظر دلالة على وجوب الاستدلال فيما للعقل اليه سبيل وقد تقدم في هذا الكتاب كيفية دلالة السموات والارض على وجود الصانع ولا سيما في سورة البقرة عند قوله ان في خلق السموات والارض ثم قال وما خلق الله من شيء اي مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس غير محصورة والغرض التنبيه على ان الدلالة على التوحيد ليست مقصورة على السموات والارض بل كل ذرة من ذرات هذا العالم فيها برهان باهر ودليل قاهر على الوحدانية لانها مختصة بحيز معين من الاحياز غير المتناهية وبقدر معين من الاقدار وموضع معين من الاوضاع وكذا الكلام في لونها وشكلها وطبعها وطعمها وسائر صفاتها وكل واحد من هذه الاختصاصات لا بد له من مخصص ولا بد من الانتهاء الى واجب واحد في ذاته وفي جميع اعتباراته وان عسى هي مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير للشان وفي ان يكون ضمير الشان ايضا والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم الموت الى العقبة واذا كان الاحد

الاحتمالين فانما وجب على العاقل المطالعة الى هذا الفكر والنظر سعيا فى تخليص النفس من هذا الخوف الشديد والخطر العظيم اما قوله فباى حديث بعده يؤمنون فمتعلق بقوله عسى ان يكون كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا ولا دلالة فى اطلاق لفظ الحديث على حدوث الكلام ولو سلم فانه محمول على الالفاظ والكلمات ولا نزاع فى حدوثها قوله من يضلل الله قد سبق تفسير مثله ثم لما تكلم فى النبوة والتوحيد والقضاء والقدر اتبعه الكلام فى المعاد فقال يسئلونك عن الساعة وايضا لما ذكر اقتراب الاجل بين ان وقت الساعة مكتوم عن الافهام ليصير ذلك حاملا للمكلفين على المسارعة الى التوبة واداء الفرائض ومن السائل عن ابن عباس انهم اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هى وعن قتادة انهم قريش قالوا يا محمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة قال فى الكشاف الساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا سميت القيامة ساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس لطولها كما يقال للحبشى ابو البيضاء او لانها عند الله كساعة من الساعات عند الخلق وايان استفهام عن الزمان ويختص بالامور العظام نحو ايان مرسيها وايان يوم الدين ولا يقال ايان نمت وكسر همزتها لغة سليم وعن ابن جنى ان اشتقاقه من اى فعلان منه واى فعل من اويت اليه لان البعض آو الى الكل وانكر ان يكون اشتقاقه من اين لانه للزمان واين للمكان ولقلة فعال فى الاسماء وكثرة فعلان فيها وقال الاندلسى اصله اى اوان حذفت الهمزة مع الياء الاخيرة فبقى ايوان فادغم بعد القلب قيل اصله ای آن بمعنى اى حين فخفف بحذف الهمزة فاتصلت الالف والنون بالياء ورد بان آنا لا يستعمل الا بلام التعريف والمرسى بمعنى الارساء والاثبات والرسو الثبات والاستقرار ولعله لا يطلق الا على ما فيه ثقل ومنه رسا الجبل وارست السفينة ولا اثقل من الساعة على الخلائق قل انما علمها اى علم وقت ارسائها واثباتها واقرارها عند ربى قد استاثر به لم يخبر احدا من ملك مقرب ولا نبى مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما اخفى وقت الموت لذلك لا يجليها لا يظهرها لوقتها اى للخبر عن وقتها قبل مجيئها احد الا هو والحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو ثقلت فى السموات والارض قال الحسن اى ثقل مجيئها على اهل السموات لانشقاق السماء وتكوير الشمس وانتثار النجوم وعلى اهل الارض لان فى ذلك اليوم فناءهم وهلاكهم او ثقل هذا اليوم على الخلائق بما فيه من الشدائد والاهوال او ثقل تحصيل العلم بوقتها المعين عليهم اى اشكل واستبهم حتى صار ثقيلا على الافهام لا تأتيكم الا بغتة الا فجاءة على حين غفلة منكم وهذه الجمل مؤكدات ومبينات لما تقدمها وقد نقل العاطف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وروى الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفس محمد بيده ليقومن الساعة وان الرجل ليرفع اللقمة الى فيه حتى يحول الساعة بينه وبين ذلك ثم كرر يسئلونك للتاكيد ولما نيط به من زيادة قوله كانك حفى عنها فكان السؤال الاول عن وقت قيام الساعة والسؤال الثانى عن كنه ثقل الساعة وشدتها ومهابتها ولهذا اختص باسم الله فى قوله قل انما علمها عند الله لان اعظم اسماء الله مهابة هو الله واما الرب فيدل على التربية والرحمة دون الهيبة والعزة وفى الحفى وجوه فقيل انه البار اللطيف عن بعض الباء اى كانك بار بهم لطيف العشرة معهم وهذا قول الحسن وقتادة والسدى والضمير عائد الى قريش لانها ادعت القرابة وجعلوها وسيلة الى ان يخبرهم بالساعة والمعنى انك لا تكون حفيا بهم ما داموا على كفرهم ولو اخبرت بوقتها وامرت بالاخبار عنها لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما اوحى اليك وعلى هذا القول جاز ان يكون عنها متعلقا بيسئلونك اى يسئلونك عنها كانك حفى اى بار بهم فحذف قوله بهم لطول الكلام او لانه معلوم وقيل عنها متعلق بمحذوف وحفى فعيل من حفى فلان بالمسئلة اى استقصى والمعنى كانك بليغ فى السؤال عنها لان من اكثر السؤال علم وهذا التركيب يفيد المبالغة ومنه احفاء الشارب واحفى فى المسئلة اذا الحف وقيل المراد كانك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى انك تكره السؤال عنها لانه من علم الغيب الذى استأثر الله به ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه مختص بذلك العلم او لا يعلمون ان القيامة حق وانما يقولون ان هى الا حياتنا الدنيا او لا يعلمون السبب الذى لاجله خفيت معرفة وقتها المعين عن الخلق ثم امر نبيه باظهار ذلة العبودية حتى لا ينسب اليه نقص ولا يعاب من قبل عدم العلم بالغيب فقال قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله وفيه ان قدرته قاصرة وعلمه قليل وكل من كان عبدا كان كذلك والقدرة الكاملة والعلم المحيط ليس الا لله تعالى واحتجت الاشاعرة بالاية فى مسئلة خلق الاعمال قالوا الايمان نفع والكفر ضر فوجب ان لا يحصلا الا بمشيئة الله تعالى واجابت المعتزلة بان المراد لا املك لنفسى من النفع والضر الا قدر ما شاء الله ان يقدرنى عليه ويمكننى منه وظاهر الاية وان كان عاما الا انها مخصوصة بصورة النزول قال الكلبى ان اهل مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشترى فتربح بالارض التى تريد ان تجدب فترتحل عنها الى ما قد اخصب فانزل الله هذه الاية فالمراد بالخير فى قوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير هو جلب منافع الدنيا وخيراتها من الخصب والارباح والاكتساب وقيل المراد ما يتصل بامر الدين يعنى لو كنت اعلم الغيب لكنت اعلم ان الدعوة الى الدين الحق تؤثر فى هذا ولا تؤثر فى ذلك لكنت اشتغل بدعوة هذا دون ذاك وقال بعضهم لما رجع صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق جاءت فى الطريق ريح نفرت منها فاخبرهم بموت رفاعة وكان فيه غيظ للمنافقين وقال انظروا اين ناقتى فقال عبد الله بن ابى لقومه الا تعجبون من هذا الرجل يخبر عن موت رجل بالمدينة ولا

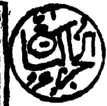


يعرف ابن ناقته فقال صلى الله عليه وسلم ان ناسا من المنافقين قالوا كيت وكيت وناقتي في هذا الشعب قد تعلق زمامها بشجرة فوجدوها على ما قال فنزلت
اما قوله وما مسني السوء فمعناه لكان حالي على خلاف ما هي عليه من المغلوبية في بعض الحروب والخسران في بعض التجارات والاخطاء في بعض التدابير
ان انا الا عبد مرسل للنذارة والبشارة وما من شأني ان اعلم الغيب قوله لقوم يؤمنون اما ان يتعلق بالبشير وحده ويكون المتعلق بالنذير
وهو للكافرين محذوفا للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر او يتعلق بالوصفين جميعا الا ان المؤمنين لما كانوا هم المنتفعين بهما خصوا بالذكر
كقوله هدى للمتقين واعلم ان اكثر ما جاء في القرآن من لفظي الضر والنفع معا جاء بتقديم لفظ الضر على النفع وهو الاصل لان العابد يعبد
معبوده خوفا من عقابه اولا ثم طمعا في ثوابه ثانيا يؤيده قوله يدعون ربهم خوفا وطمعا وحيث تقدم النفع على الضر فذلك لسابقة
لفظ تضمن معنى نفع كما في هذه السورة تقدم لفظ الهداية على الضلال في قوله من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل وتقدم الخير
على السوء في قوله لاستكثرت من الخير وما مسني السوء وفي الرعد تقدم ذكر الطوع في قوله طوعا وكرها والطوع نفع وفي الفرقان تقدم
قوله هذا عذب فرات وهو نفع وفي سبأ تقدم البسط في قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقس على هذا ثم رجع الى تقرير امر التوحيد
وابطال الشرك فقال هو الذي خلقكم من نفس واحدة المروي عن ابن عباس انها عني نفس آدم وقد تقدم مثل ذلك في اول سورة النساء
قال مجاهد كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد فقال لهما الشيطان اذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملئكة الحرث فذلك
قوله فلما آتاهما صالحا ولدا سويا جعلا يعني آدم وحواء له شركاء والمراد تسميته بعبد الحرث هذا تمام القصة وقد زيفها النقاد لوجوه منها انه تعالى
قال فتعالى الله عما يشركون بلفظ الجمع لا التثنية ومنها قوله أيشركون ما لا يخلق شيئا الى آخر الآيات وفي ذلك تصريح بان المراد الاصنام
ولو كان المراد ابليس لكان أيشركون ما لا يخلق شيئا وهو يخلق ومنها ان آدم عم كان عالما بجميع الاسماء فكيف خفيت عليه الاسماء ام كيف لم
يعرف ان اسم ابليس كان حارثا ام كيف لم يتنبه لعداوة ابليس بعد ان جرى عليه منه ما جرى ومنها ان المراد بذلك اسم علم او اسم صفة والاول لا يستلزم
محذورا لان اسماء الاعلام لا يفيد في المسميات فائدة فلا يلزم الاشراك والثاني يوجب الكفر الصريح ولا قائل بامكان نسبته الى آدم فعند ذلك
ذكر العلماء في تأويله وجوها احدها ان هذا مثل فكأنه تعالى يقول هو الذي خلقكم اي كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها
انسانا يساويه في الانسانية ليسكن اي تلك النفس فذكر بعدما انث حملا على المعنى ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويطمئن اليها فكان التذكير
احسن لمطابقة المعنى فلما تغشاها اي جامعها لان الرجل اذا علاها صار كالغاشية لها حملت حملا خفيفا قالوا يريد بها النطفة والحمل بالفتح ما كان في البطن او
على رأس الشجرة وبكسر الحاء ما حمل على الظهر او على الدابة فمرت به اي استمرت وقضت على ذلك الحمل من غير ازلاق وقيل فقامت وقعدت به من
غير ما ثقل وقيل المراد بالخفة انها لم تلق ما تلقاه بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى فلما اثقلت كان وقت ثقل حملها ودنت ولادتها
دعوا الزوج والزوجة الله ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا لئن آتيتنا صالحا ولدا قد صلح بدنه او ولدا
ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة لنكونن من الشاكرين لنعمائك فلما آتاهما صالحا كما طلبا جعلا له شركاء ومن قرأ شركا فعلى حذف
المضاف اي ذوي شرك وهم الشركاء ايضا او المراد احدثا لله اشراكا في ولدهما لانهم تارة ينسبون ذلك الولد الى الطبايع وتارة الى الكواكب وتارة
الى الاوثان والاصنام وثانيها ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصي والمعنى هو الذي خلقكم من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجة عربية قرشية فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار
والضمير في يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وثالثها انا سلمنا ان الآية وردت في قصة آدم الا انه لم لا يجوز ان يكون قوله
جعلا واردا بمعنى الاستفهام على سبيل الانكار والتبعيد ثم قال فتعالى الله عما يشركون اي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الذين يقولون
بالشرك وذلك انهم كانوا يقولون ان آدم عم كان يعبد الاصنام ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها ونظيره ان ينعم رجل على رجل بوجوه
كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ايذاءك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت في حق فلان كذا و
احسنت اليه بكذا وكذا ثم انه يقابلني بالشر والاساءة فانه بريء من ذلك فغرضه من قوله انه يقابلني بالشر والاساءة التبري عنه من ذلك فغرضه
من قوله انه يقابلني بالشر النفي والتبعيد ونقول لم لا يجوز ان يكون قوله جعلا له على حذف المضاف اي جعل اولادهما له شركاء وكذا فيما
آتاهما اي آتى اولادهما عبر عنهم بلفظ التثنية مرة لكونهم صنفين او نوعين ذكورا واناثا وبلفظ الجمع اخرى وهو قوله فتعالى الله عما يشركون ورابعها
ان الضمير في جعلا وفي آتاهما لآدم وحواء الا انهما كانا عزما ان يجعلاه وقفا على خدمة الله وطاعته ثم بدا لهما لكونهما ينتفعان به في مصالح
الدنيا فاريد بالشرك هذا فلهذا قال تعالى عما يشركون لان حسنات الابرار سيئات المقربين ونقول انهما سمياه عبد الحرث اعتقادا منهما
انه انما سلم من الآفات ببركة دعائه وقد يسمى المنعم ومنه قول بعض العلماء انا عبد من علمني حرفا فلما حصل الاشتراك في لفظ العبد عوتبا
معاتبين بذلك والله تعالى اعلم ثم اقام الحجة على ان الاوثان لا تصلح للالهية فقال أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون اعتبر
اللفظ اولا فوحد والمعنى ثانيا فجمع وانما جمع بالواو والنون بناء على معتقدهم انهم عقلاء واحتج الاشاعرة بها في مسئلة خلق الاعمال
فانها تدل على ان غير الله لا يخلق ثم بين ان المعبود يجب ان يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فقال ولا يستطيعون

العزى وعبد

[illegible]

عليه عبد المنعم



لهم نصرا وهو المعونة على العدو ولا أنفسهم ينصرون ولا يدفعون عن أنفسهم مكروها فان من اراد كسرهم لم يقدروا على دفعه والحاصل
ان الاصنام لا ينصر من اطاعها ولا ينتقم ممن عصاها بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم ثم ذكر انها كما لا ينفع ولا يضر فكذلك لا تعلم
شيئا من الاشياء وانها لا يصح منها اذا دعيت الى الخير والصلاح الاتباع ولا ينفصل حال من يخاطبهم ممن يسكت عنهم فقال وان تدعوهم الى
الهدى لا يتبعوكم ويجوز ان يكون المراد وان يطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبكم كما يجيبكم الله بدليل
قوله بعد فادعوهم فليستجيبوا لكم ثم قوى هذا الكلام بقوله سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون واعرابه شبيه بما تقدم في اول
سورة البقرة في قوله سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم وانما عطف الاسمية على الفعلية لان هؤلاء المشركين اذا وقعوا في مهم ومعضلة
تضرعوا الى تلك الاصنام واذا لم يحدث تلك الواقعة بقوا ساكنين صامتين فقيل لهم لا فرق بين احداثكم دعاءهم وبين ان تستمروا على صمتكم
ثم اكد بيان انها لا تصلح للالهية بقوله إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فسئل انه كيف يحسن وصف الجمادات بانها عباد
واجيب بعد تسليم اختصاص العباد بالعقلاء بان ذلك ورد على معتقدهم انها عقلاء وفيه ايضا نوع من الاستهزاء اي قصارى امرهم ان
ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم قبلتموها الهة لكم وادبابا ثم بين عدم التفاضل بقوله
فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين في انها الهة ولام الامر للتعجيز فانه اذا ظهر لكل عاقل انها لا تقدر على الاجابة ظهر انها لا تصلح للعبودية
وانها والعباد سواء بل هم اخس وادون بدليل قوله ألهم أرجل يمشون بها الاية وذلك ان كل ما هو من شأنه ان يكون له هذه الاعضاء و
الالات فاذا كان فيها قوى محركة ومدركة كان هو افضل ممن خلا اعضاؤه عن هذه القوى فكيف يليق بالافضل الاكرم الاشرف خدمة
المفضول الخسيس الدنى وانما قلنا كل ما من شأنه ان يكون له هذه الاعضاء لان من جل عن ثبوت هذه الاعضاء والجوارح له فعدم هذه
الاشياء بالنسبة اليه فضيلة وكمال فان القادر القاهر من غير افتقار الى آلة وعدة كان اشرف ممن يفتقر في افعاله الى الالات فضلا عمن لا
فعل له فلا يرد اعتراض بعض اغمار المشبهة ان الله تعالى لو لم تكن له هذه الاعضاء لكان عدمها دليلا على عدم الالهية ثم انهم كانوا يخوفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهتهم كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء فقال عز من قائل لنبيه قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون امر
من الكيد لكم فلا تنظرون نهي من الانظار الامهال والخطاب لهم ولشركائهم جميعا وهذا قول واثق بعصمة الله ان لا يبالي بغير الله
كائنا من كان ثم لما امره بالتبري حثه على التولي فقال ان وليي الله الذي نزل عليكم الله الاية وفيه ان الواجب على كل عاقل عبادة الذي يتولى
تحصيل منافع الدارين اما الدينية الاخروية فبسبب انزال الكتاب المشتمل على العلوم الجمة واما الدنيوية فهو المراد بقوله وهو يتولى الصالحين
اي من عادته ان ينصرهم فلا يضرهم عداوة من عاداهم وفي ذلك ايأس المشركين ان يضره كيدهم يحكى ان عمر بن عبد العزيز
كان لا يدخر لاولاده شيئا فقيل له ذلك فقال اما ان يكون ولدي من الصالحين فوليه الله ولا حاجة له الى مالي واما ان يكون من
المجرمين وقد قال تعالى فلن أكون ظهيرا للمجرمين ومن رده الله لم اشتغل باصلاح مهماته اقول وفي التقريب بالاية الثانية نظر لانها
حكاية كلام موسى عليه السلام الا ان يقال التقريب في التقريب ثم اعاد وصف الاصنام بمثل الصفات المذكورة فقال والذين تدعون من دونه
الاية قال الواحدي انما اعيد هذا المعنى لان الاول مذكور على جهة الفرق بين من يجوز له العبادة وبين من لا يجوز كانه قيل الاله المعبود
يجب ان يكون بحيث يتولى الصالحين وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون صالحة للالهية وإن تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا الاسماع سمع
ولا اسماع اجابة وتراهم تحسبهم ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر
اليه وهم لا يبصرون لا يدركون المرئي وقيل الضمير في قوله وإن تدعوهم الى اخر الاية يعود الى المشركين المار ذكرهم في قوله قل ادعوا والمراد انهم
بلغوا في الجهل والحماقة الى انك لو دعوتهم واظهرت انواع الحجة والبرهان لم يسمعوا بعقولهم البتة وتراهم الى الناس و اليك ينظرون ولكنهم لشدة
اعراضهم عن قبول الحق لم ينتفعوا بذلك النظر فكانهم عمي بصدقه قوله في موضع اخر فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والتأويل
أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض لارباب العقول والنظر والاستدلال لتحصيل الايمان ولارباب القلوب والوح والكشف لحصول الايقان والعيان
وما خلق الله من شيء يعني عالم الملك المخلوق من مادة بخلاف عالم الملكوت الذي ابدع من غير شيء وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم يعني اجل
فنائهم عما سوى الحق فان لم يؤمنوا بطريق النظر استدلالا لا بابي حديث بعده اي بعد النظر يؤمنون يسألونك عن الساعة التي يظهر الله تعالى
فيها اثار صفة القهارية لافناء عالم الصورة فلا يبقى منه داع ولا مجيب فهو بنفسه لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لاستكثرت من الخير من الحوم
الالهية ودفع الحاجات البشرية خلقكم من نفس واحدة هي الروح وخلق منها زوجها وهي القلب ليسكن اليها لان القلب بين اصبعين من اصابع
الرحمن فكان الروح يتمتم من القلب بنسايم نفحات الطاف الحق حملت حملا خفيفا في البداية بظهور ادنى اثر من اثار الصفات البشرية في القلب الروحاني
فلما اثقلت كثرت اثار الصفات خاف الروح والقلب على انفسهما من تبدل الصفات الروحانية الاخروية النورانية بالصفات النفسانية
الدنيوية الظلمانية فدعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا قابلا للعبودية لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا اي الروح
والقلب له شركاء اي جعلا وجه النفس الى الدنيا ونعيمها فصارت عبد البطن وعبد الخميصة وعبد الدرهم والدينار ولا يستطيع

التفريع ومثله كثير على جهة الحكم

بعد الشاء



لهم نصرا اي لا يستطيع الدنيا ومن فيها الروح والقلب والنفس تقوية وتربية الا بالله ولا انفسهم ينصرون للبقاء والدوام

خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم

پیشه گیر درگذشتن را و بفرمای به نیکوئی و روی گردان از نادانان و اگر رسد بتو از دیو وسوسه پس پناه بر بخدا که او است شنونده دانا

إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون

بدرستی آنکه پرهیز کردند هرگاه رسید ایشان را وسوسه از شیطان یاد کردند خدا را پس ایشان بینا شدند و برادران ایشان میکشند ایشان را در گمراهی پس کوتاهی نکنند

وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم

و چون نیاوردی بایشان آیتی گفتند چرا فرا نیاوردی آنرا از خود بگو که من پیروی کنم آنرا که وحی کرده میشود بمن از پروردگارم این بینائیها است از پروردگار شما و رهنمائی و رحمت مر گروهی را

يؤمنون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة

که میگروند و چون خوانده شود قرآن پس گوش دهید آنرا و ساکت باشید شاید که شما رحم کرده شوید و یاد آر پروردگارت را در نفس خود بزاری و ترس

ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

و جز آواز بلند از گفتار در بامدادان و عصرها و نباش تو از بیخبران بدرستی آنانکه در نزد پروردگار تو اند سر نمیپیچند از بندگی او و تسبیح کنند او را و مر او را سجده کنند

القراءات طيف بسكون الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب على الباقون طائف على وزن فاعل يمدونهم من الامداد ابو جعفر ونافع الاخرون بفتح الياء وضم الميم من المد العفو وامر مدغما ابو عمرو وقرئ بغير همز حيث كان يزيد والشموني وحمزة في الوقف الوقوف الجاهلين ٥ بالله ط عليم ٥ مبصرون ٥ ج لان قوله واخوانهم مبتدأ الا ان المعنى يقتضي الوصل لبيان اختلاف حالي الفريقين لا يقصرون ٥ اجتبيتها ط من ربي ج لاختلاف الجملتين بلا عطف مع اتحاد المقول يؤمنون ٥ ترحمون ٥ من الغافلين ٥ يسجدون ٥ سجدة التفسير لما ذكر فساد طريقة عبدة الاصنام وبين النهج القويم والصراط المستقيم ارشد الى مكارم الاخلاق ثم العفو الفضل وكل ما اتى من غير كلفة واعلم ان الحقوق التي يستوفى من الناس اما ان يجوز ادخال المساهلة فيها وهو المراد بقوله خذ العفو ويدخل فيه التخلق مع الناس بالخلق الحسن وترك الغلظة والفظاظة ومن هذا الباب ان يدعو الخلق الى الدين الحق بالرفق واللطف كما قال في حق نبيه صلى الله عليه وسلم فبما رحمة من الله لنت لهم واما ان لا يجوز دخول المسامحة فيها وذلك قوله وامر بالعرف وهو المعروف والعارف انه كل امر عرف انه لا بد من الاتيان به وان وجوده خير من عدمه فلو اقتصر في هذا القسم على الاخذ ولم يبين لي ذلك سعه كان راضيا بتغيير الدين وابطال الحق ثم اذا امر بالمعروف ورغب فيه ونهى عن المنكر ونفر عنه فربما اقدم بعض الجاهلين على السفاهة والايذاء فلهذا قال واعرض عن الجاهلين قال عكرمة لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبرئيل ما هذا فقال لا ادري حتى اسأل العالم ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك قال اهل العلم تفسير جبرئيل مطابق للفظ الآية فانك اذا وصلت من قطعك فقد عفوت عنه واذا اعطيت من حرمك فقد امرت بالمعروف واذا عفوت عمن ظلمك فقد اعرضت عن الجاهل يروى عن جعفر الصادق عليه السلام ليس في القرآن العزيز آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية ولبعض المفسرين في تفسير الآية طريق آخر قالوا خذ العفو اي ما اتوك به عفوا فخذه ولا تسأل ما وراء ذلك فنسخت بآية الزكاة وامر بالمعروف اي باظهار الدين الحق وهذا غير منسوخ واعرض عن الجاهلين اي المشركين وهذا منسوخ بآية القتال والحق ان تخصيص اخذ العفو بالمال تقييد للمطلق من غير دليل ولو سلم فايجاب الزكاة بالمقادير المخصوصة لا ينافي ذلك لان آخذ الزكاة مامور بان لا ياخذ كرائم اموال الناس وان لا يشدد الامر على المزكي وايضا لا يمتنع ان يومر النبي بان لا يقابل سفاهة المشركين بمثلها ولكن يقاتلهم واذا كان الجمع بين الامرين ممكنا فلا حاجة الى التزام النسخ قال ابن زيد لما نزل قوله واعرض عن الجاهلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل وإما ينزغنك من الشيطان نزغ اي عرض ونخس والنزغ نازغا كما قيل جد جده عن ابي زيد نزغت ما بين القوم اي افسدت ما بينهم واصله الازعاج بالحركة الى الشر واكثر ما يكون ذلك عند الغضب في نزغ الشيطان ووسوسته القلب بما يسول للانسان من المعاصي وعلاجه ودفعه انما يكون بالاستعاذة وهي الاستخلاص عن حول الشيطان وقوته الى حول الرحمن وقوته والاعراض عن مقتضى الطبع والاقبال على اوامر الشرع عن معاذ بن جبل قال استب رجلان عند النبي حتى عرف الغضب في وجه احدهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها لذهب غضبه اعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال بعض الطاعنين في عصمة الانبياء لو لم يجز على النبي الاقبال على وسوسة الشيطان لم يومر بالاستعاذة والجواب ان كلمة ان لا يفيد وقوع الشرط ولو سلم فمن اين علم انه قبل تلك الوسوسة ولو سلم فمحمول على ترك الاولى ثم ختم الآية بقوله انه سميع عليم ليعرف ان القول اللساني بدون المعارف الحقيقية عديم الفائدة وكانه تعالى قال اذكر لفظ الاستعاذة بلسانك فاني سميع واحضر معنى الاستعاذة في ضميرك فاني عليم ثم بين ان حال المتقين قد تزيد على حال النبي في باب وسوسة ابليس فان النبي لا يكون له الا النزغ الذي هو كابتداء الوسوسة واما المتقون فقد يمسهم الشيطان وذلك قوله ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف قال الفراء الطائف والطيف كالخاطر وجوز بعضهم ان يكون مصدرا كالعافية ولكنه بلا تاء والاصح انه اسم فاعل من طاف يطوف او من طاف به الخيال يطيف طيفا ومن قرأ طيفا فهو اما مصدر اي لمسة من الشيطان واما مخفف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين قال في الكشاف



وهذا تأكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم نزغ من الشيطان و
إلمام بوسوسة ومفعول تذكروا محذوف اى تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فابصروا السداد واعلم ان الغضب انما يهيج بالانسان اذا استقبح من
المغضوب عليه عملا من الاعمال ثم اعتقد في نفسه كونه قادرا وفي المغضوب عليه كونه عاجزا هذا اذا كان واقفا على ظلمات الاجساد فيغتر بظواهر
الامور واما اذا انكشف له نور من عالم العقل عرف ان المغضوب عليه انما اقدم على ذلك العمل لان الله تعالى خلق فيه داعية جازمة وقد علم منه
تلك الحالة في الازل ومتى كان كذلك فلا سبيل له الى تركها فيفتر غضبه كما قال صلى الله عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب وايضا انه كر انسانا
في العمل فقد تجاوز الله عنه وان الله اقدر عليه منه فاذا امضى الغضب كان شريكا للسباع المؤذية واذا آثار العفو كان مضاهيا للانبياء والاولياء
مستاهلا للثواب الجزيل وانه ربما انقلب الضعيف قويا والقوي ضعيفا فالمراد من قوله تعالى اذا مسهم طائف من الشيطان ما ذكرنا من الاعتقادات والمراد
من قوله تذكروا الامور التي تفيد ضعف تلك الاعتقادات اما قوله واخوانهم فالضمير فيه يرجع الى الشيطان وجمع لان المراد به الجنس كقوله اولياؤهم
الطاغوت والضمير المرفوع في يمدون يرجع الى الاخوان لان شياطين الانس يعضدون شياطين الجن على الاغواء والاضلال او الى الشياطين
الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم اى يكونون مددا لهم في الغي ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين والضمير المجرور يعود الى الجاهلين
فيكون الخبر جاريا على ما هو له قال في الكشاف والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا قال الواحدي عامة ما جاء في التنزيل مما يحمد
ويستحب امددت على افعلت كقوله انما نمدهم به من مال وامددناهم بفاكهة اتمدونن بمال وما كان بخلافه فانه يجيء على مددت قال ونمدهم في
طغيانهم يعمهون فالوجه ههنا قراءة العامة ووجه الغي الاستهزاء والتهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم اما قوله ثم لا يقصرون فالاقصار الكف عن الشيء
قال ابن عباس اي لا يمسك الغاوي عن الضلال والمغوي عن الاضلال ومعنى ثم تبعيد عدم الاقصار عن المدد فانه يجب على العاقل اذا اقبل
على الغي ان يمسك عنه سريعا الا ان يتمادى فيه وينهمك ولهذا قيل الرجوع الى الحق اولى من التمادي في الباطل ثم ذكر نوعا واحدا من اغوائهم فقال
واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها وذلك لانهم كانوا يطلبون آيات معينة ومعجزات مخصوصة على سبيل التعنت كقولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض
ينبوعا الى آخر ما كان يتمنون بها فعند ذلك قالوا لولا اجتبيتها اي اجتبى بمعنى جبى لنفسه اي جمع وجبى اليه فاجتباه اي اخذه والمعنى هلا
افتعلتها وجئت بها من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى وكانوا ينسبونه الى السحر او المراد هلا اخذتها واقترحتها على
الهك ومعبودك ان كنت صادقا في ان الله يجيب دعاءك ويسعف باقتراحك عنده فامر رسوله ان يذكر في الجواب انما اتبع ما يوحى الي من ربي
ولست بمفتعل الآيات او لست بمقترح لها ثم بين ان عدم الاتيان بتلك المعجزات التي اقترحوها لا يقدح في الغرض لان ظهور القرآن على
وفق دعواه معجزة باهرة كافية في تصحيح النبوة فكان طلب الزيادة من التعنت فقال هذا يعني القرآن بصائر اطلاقا لاسم المسبب وذلك
ان فيها حججا بينة تفيد للقلوب بصيرة وكشفا وهدى للمستدلين الواصلين بالنظر والاستدلال الى درجة العرفان فالبصائر لاصحاب
عين اليقين والهدى لارباب علم اليقين والرحمة لغيرهم من الصالحين المقلدين والجمع لقوم يؤمنون ولما عظم شان القرآن بتلك الاوصاف
علم المكلفين ادبا حسنا في بابه فقال واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا والانصات السكوت للاستماع قال العلماء ظاهر الامر للوجوب فمقتضاه
ان يكون الاستماع والسكوت واجبا وقت قراءة القرآن في صلوة وغير صلوة وهو قول الحسن واهل الظاهر وعن ابي هريرة كانوا يتكلمون في
الصلوة فنزلت وقال قتادة كان الرجل يأتي وهم في الصلوة فيسألهم كم صليتم كم بقي وكانوا يتكلمون في الصلوة لحوائجهم فنزلت ثم صار سنة
في غير الصلوة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الامام لما روي عن ابن عباس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلوة المكتوبة وقرأ اصحابه رافعين اصواتهم فخلطوا عليه فنزلت وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار
وجماعة نزلت في الانصات عند الخطبة يوم الجمعة ورد بان اللفظ عام فكيف يجوز قصره على قراءة القرآن في الخطبة او على الخطبة نفسها بناء على انها
قرآن لاشتمالها عليه واجيب بان كلمة اذا لا تفيد العموم بدليل انه اذا قال لزوجته اذا دخلت الدار فانت طالق فانها لا تطلق مرة ثانية بدخول
الدار مرة اخرى ودليل ان الشافعي اوجب على المأموم ان يقرأ الفاتحة ورد بان المأموم انما يقرأ الفاتحة في حال سكتة الامام كما قال
ابو سلمة للامام سكتتان فاغتنم القراءة في ايهما شئت يعني سكتة بين التكبير الى ان يقرأ واخرى بين القراءة الى ان يركع واعترض بان سكوت
الامام واجب ام لا والاول باطل بالاجماع وعلى الثاني يجوز ان لا يسكت وح يلزم ان يحصل قراءة المأموم مع قراءة الامام فيفضي الى ترك
الاستماع ثم ايضا فهذا السكوت ليس له حد محدود والمأمومون مختلفون ببطء القراءة وسرعتها فربما لا يتمكن المأموم من اتمام قراءة الفاتحة في مقدار
سكوت الامام فيلزم المحذور المذكور وايضا الامام في هذا السكوت يصير كالتابع للمأموم وذلك غير جائز قال الواحدي الانصات هو
ترك الجهر عند العرب وان كان يقرأ في نفسه اذا لم يسمع احدا واورد عليه ان غايته توجيه هو ان الانصات مع قراءة الامام ممكن لكن امكان
حصول الاستماع عبارة عن كونه بحيث يحيط بذلك الكلام المسموع على الوجه الكامل ولا كذلك الانصات ان الاستماع على تقدير الانصات الذي المفسر
ممكن ان يحصل مع قراءة الامام هذا وقد سلم كثير من الفقهاء عموم اللفظ الا انهم جوزوا تخصيص عموم القرآن بخبر الواحد وذلك
ههنا قوله صلى الله عليه وسلم لا صلوة الا بفاتحة الكتاب وهو مذهب الامام مالك وهو القول القديم للشافعي انه لا يجوز للمأموم قراءة الفاتحة

في الصلوة



في الصلوة الجهرية عملا بمقتضى هذا النص ويجب علينا القراءة في الصلوات السرية لان الاية لا دلالة لها على هذه الحالة وفي الاية
تفسير آخر وهو ان الخطاب في الاية مع الكفار وذلك ان كون القران بصائر وهدى ورحمة لا يظهر الا بشرط مخصوص وهو ان النبي اذا
قرأ عليهم القران عند نزوله استمعوا له وانصتوا ليقفوا على مراتبه ومعانيه فيعترفوا باعجازه ويستغنوا بذلك عن طلب سائر المعجزات
ومما يؤكد هذا التفسير قوله في آخر الاية لعلكم ترحمون والترجي انما يناسب حال الكفار لا حال المؤمنين الذين حصل لهم الرحمة جزما في
قوله ورحمة لقوم يؤمنون ويمكن ان يجاب بان الاطماع من الكريم واجب فلم يبق الفرق وقيل المراد باستماع القران العمل بما فيه ثم امر نبيه
وامته بتبعيته بالذكر العام قرآنا كان او غيره على سبيل الدوام وذلك ان استماع القران كان كالذكر الخفي فقال واذكر ربك في نفسك وفي
الاية فوائد الاول تخصيص اسم الرب دون الاله وغيره تنبيها على ان سبب الذكر هو التربية والانعام وليدل على الطمع والرجاء والثاني ذكر الذكر
في النفس ليكون ادخل في الاخلاص وابعد عن الرياء وقيل ذكر في النفس هو ان يكون عارفا بمعاني الاسماء التي يذكرها بلسانه وقال بعض المتكلمين الذكر
النفسي هو الكلام النفسي الذي يثبته الاشاعرة الثالث والرابع قوله تضرعا وخيفة اي متضرعا وخائفا فالتضرع لاظهار ذلة العبودية والخوف العقاب
وهو مقام المذنبين واما خوف الجلال وهو مقام العارفين فاذا كوشفوا بالجمال عاشوا واذا كوشفوا بالجلال طاشوا واما خوف الخاتمة فلخوف
السابقة فانها علة الخاتمة الخامس قوله ودون الجهر من القول والمراد ان يقع ذلك الذكر متوسطا بين الجهر والاخفاء قال ابن عباس هو
ان يذكر ربه على وجه يسمع نفسه انما اخر هذا عن الذكر القلبي لان الخيال يتأثر من الذكر اللساني فيوجب قوة في النفس ولا يزال يترايد في ذلك
الى ان يجري الذكر على لسانه بل يسري في جميع اعضائه وجوارحه واركانه سريانا معتدلا خاليا عن التكلف بريا من التعسف السادس قوله بالغدو
والاصال والغدو مصدر غدا يغدو والمراد وقت الغدو كما يقولون دنا الصباح اي وقته وقيل انه جمع غدوة واما الاصال فانها جمع الاصيل وهو
الوقت بعد العصر الى المغرب وقد يقال اشتقاقه من الاصل واليوم بليلته انما يبتدئ في الشرع من اول الليل فسمي آخر النهار اصيلا لكونه
ملاصقا لما هو الاصل في اليوم الثاني وخص هذان الوقتان بالذكر لان الغدو عندها ينقلب الحيوان من النوم الذي هو كالموت الى اليقظة
التي هي كالحيوة والعالم يتحول من الظلمة التي هي طبيعة عدمية الى النور الذي هو طبيعة وجودية والاصال الامر بالضد وهذان النوعان
من التغير العجيب يدلان ظاهران باهران على وجود صانع قدير وحكيم خبير فوجب ان يكون المكلف فيهما مشتغلا بالذكر والخضوع ويمكن
ان يكون المراد مداومة الذكر والمواظبة عليه بقدر الامكان السابع قوله ولا تكن من الغافلين وفيه اشارة الى ان الذكر القلبي يجب ان
يداوم عليه ولا يزال الانسان يستحضر جلال الله وكبريائه بحسب الطاقة البشرية لتتنور جوهر النفس ويستعد لقبول الاشراقات القدسية
فيضاهي سكان حظائر الجبروت الذين مدحهم الله بقوله ان الذين عند ربك ومعنى دنو الشرف والقرب من عنايته والطافه لا يستكبرون
عن عبادته فيغرمون على ذلك ويسبحونه يبرئونه وينزهونه عن كل سوء وهذا يرجع الى المعارف والعلوم وله يسجدون يخصونه بغاية الخضوع
والاستكانة وهذا يعود الى اعمال الجوارح وفي هذا الترتيب دليل على ان الاصل في الطاعة والعبودية اعمال القلوب ويتفرع عليها اعمال
الجوارح والمقصود من الاتيان الملائكة مع غاية طهارتهم ونهاية عصمتهم وبراءتهم عن بواعث الشهوة والغضب ودواعي الحقد والحسد
يواظبون على العبودية والطاعة فالانسان مع كونه مبتلى بظلمات عالم الطبيعة وكدورات الزلات البشرية اولى بان يداوم على
ذكر معبوده وينجذب ما امكن الى العالم العقلي ومقره الاصلي ويتصفى مرآة قلبه عن اصداء الهواجس وينتقش بالجلال القدسية والمعارف
الحقيقية والله ولي التوفيق التاويل وأمر بالعرف وهو طلب الحق لانه معروف العارفين واعرض عن الجاهلين الذين يطلبون غير الله
من الشيطان نزغ في طلب غير الله فاستعذ بالله من طلب غير الله ان الذين اتقوا هم ارباب القلوب فان التقوى من شان القلب
كما قال عم التقوى ههنا واشار الى صدره طائف من الشيطان نزغ من العمل الشيطاني يرى القلب بنور التقوى ويعرفه فيذكره انه يفسد
ويكدر صفاه فيجتنبه واخوانهم يعني اخوان القلوب وهم النفوس الامارة واذا لم تأتهم اي لم تأت القلوب باية من الله لتعجز النفوس عن
تكذيبها فان لواء النفوس للقلب لولا اختلقتها من خاصية قلبيتك لتزكية النفوس قل انما اتبع الهام الحق فلا اقدر على تزكية النفوس
الا بقوة الالهام الرباني فاستمعوا باذانكم الظاهرة وانصتوا بالسنتكم الباطنة لعلكم ترحمون بالاسماع بالسمع الحقيقي وذلك قوله كنت له
سمعا وبصرا فبي يسمع فمن سمع القران من باريه فقد سمع من قاريه وهذا سر الرحمن علم القران فهو المستعد لخطاب واذكر ربك في نفسك
بان تبدل اخلاقها باخلاق الله تضرعا في البداية وهو من باب التكلف وخيفة في الوسط ودون الجهر من القول في النهاية وهو مقام الفناء
فان فناء سر الربوبية كفر في غدو الازل واصال الابد فان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ولهذا قال في الازل فاذكروني اذكركم
ومن هنا قال يوسف الحسين الرازي ما قال احد الله الا الله ولا تكونن من الغافلين الذين لا يعلمون ان الذاكر والذكر والمذكور هو الله ان الذين عند
ربك وهم الذين بقوا ببقاء الله لا يستكبرون عن عبادته لانهم افنوا اخلاقهم في اخلاقه ويسبحونه ينزهونه عن الحلول والاتصال والاتحاد وله يسجدون
في الوجود والعدم من الازل الى الابد منه المبداء واليه المنتهى الله حسبي ه ه ه

سورة الانفال مدنية الا سبع ايات من قوله واذ يمكر بك الى قوله يحشرون وحروفها ۵۰۹۴ وكلمها ۱۲۳۱ اياتها خمس وسبعون

اما خوف ثم

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلّٰهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ

سؤال کنند ترا از مال غنیمتها بگو که غنیمتها از برای خدا و پیغمبر است پس پرهیز کنید خدا را و باصلاح آرید کار میان خود را و فرمان برید خدا و رسول او را اگر باشید

مُؤْمِنِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّٰهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

گروندگان جز این نیست که مؤمنان آنها اند که چون یاد کرده شود خدا بترسد دلهاشان و چون خوانده شود بر ایشان آیات او بیفزاید مر ایشان را ایمان و بر پروردگار ایشان توکل کنند

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ

آنان که بر پای دارند نماز را و از آنچه روزی کردیم ایشان را بدهند آن گروه ایشانند مؤمنان براستی مر ایشان راست پایها در نزد پروردگار ایشان و آمرزش

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ

و روزی فراوان چنانچه بیرون آورد ترا پروردگار تو از خانه تو بحق و براستی که طائفه از مؤمنان هر آینه ناخوش دارند خصومت کنند ترا در حق

بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّٰهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ

پس از آنکه ظاهر شد گویا که رانده شوند بسوی مرگ و ایشان می‌نگرند و چون وعده داده شما را خدا یکی از دو طائفه را که آن از برای شماست و دوست داشتید

أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ

که صاحبان سلاح نباشند بوده باشد از برای شما میخواهد خدا که ثابت کند حق را بسخنان خود و ببرد دنباله کافران را تا پایدار کند حق را و برطرف کند

الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ

باطل را و هرچند ناخوش داشته باشند گناهکاران چون فریاد میکردید پروردگار خود را پس مستجاب کرد از برای شما که من یاری کنم شما را بهزار از فرشتگان از پی هم آیندگان و نگردانید آن را خدا

إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

مگر مژدگانی و تا ساکن شود بآن دلهای شما و نیست یاری مگر از نزد خدا بدرستی که خدا غالب داور است

القراءات مردفين بفتح الدال ابو جعفر و سهل و يعقوب و المفضل و ابو عون عن قنبل الباقون بالكسر الوقوف عن الانفال ط والرسول ج لعطف المختلفين مع الفاء ذات بينكم ص مؤمنين ه يتوكلون لاحتمال جعل الذين مبتدأ والاصل ان يكون الوقف على ينفقون ويكون الثناء بحقيقة الايمان منصرفا الى قوله هم المؤمنون حقا ط كريم ه لما يجيء في التفسير بالحق لطول الكلام لكارهون لا ينظرون الكافرين المجرمون ج لاحتمال كون اذ متعلقا بمحذوف وهو اذكر وبقوله ويحق مردفين قلوبكم ط لابتداء النفي مع احتمال الحال عند الله ط حكيم ه التفسير روى عكرمة عن ابن عباس لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل كذا فله كذا فذهب شبان الرجال وجلس الشيوخ تحت الرايات فلما كانت الغنيمة جاء الشبان يطلبون نفلهم وقالت الشيوخ لا تستأثروا علينا فانا كنا تحت الرايات ولو انهزمتم كنا لكم فانزل الله تعالى يسئلونك عن الانفال فقسمها بينهم بالسواء وعن عبادة بن الصامت قال لما هزم العدو يوم بدر واتبعتهم طائفة يقتلونهم احدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم واستولت طائفة على العسكر والنهب فلما نفى الله العدو رجع الذين طلبوهم وقالوا لنا النفل نحن طلبنا العدو وبنا نفاهم الله وهزمهم وقال الذين احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما انتم باحق به منا احدقنا برسول الله لا ينال العدو منه غرة وقال الذين استولوا على العسكر والنهب نحن اخذناه واستولينا عليه فهو لنا فنزلت الآية فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم بالسوية وعن سعد بن ابي وقاص لما كان يوم بدر قتل اخي عمير وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك اطرحه في القبض اي في المقبوض من الغنائم فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتني السيف وليس لي وانه الآن قد صار لي فاذهب فخذه والنفل بالتحريك الغنيمة وجمعه الانفال وهي الاموال المأخوذة من الكفار قهرا قال الازهري هو ما كان زيادة على الاصل فسميت الغنائم بذلك لان المسلمين فضلوا بها على سائر الامم الذين لم تحل لهم الغنائم وسميت صلوة التطوع نافلة لانها زيادة على الفرض وقال تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة اي زيادة على ما سأل والضمير في يسئلونك عائد الى جمع معينين من الصحابة لهم تعلق بالغنائم كما قررنا وحسن العود وان لم يجر لهم ذكر في اللفظ لدلالة الحال عليهم ولفظ السؤال وان كان مبهما الا ان تعيين الجواب يدل على ان المراد انهم سألوا عن الانفال كيف مصرفها ومن المستحق لها قال الزجاج انما سألوا عنها لانها كانت حراما على من كان قبلهم وضعف بان الآية دالة على انها مسبوقة بالتنازع والتنافس فسألوا عن كيفية قسمتها لا عن حلها وحرمتها وعن عكرمة ان المراد من هذا السؤال الاستعطاء اي يطلبون منك الغنائم وقال في الكشاف النفل ما ينفله الغازي اي يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال للسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام الوفاء بما وعد به وهذا التفسير يناسب خبر سعد بن ابي وقاص في اعطاء السيف اياه وعن ابن عباس في بعض الروايات ان المراد بالانفال ما شذ عن المشركين الى المسلمين من غير قتال من دابة او عبد او متاع فهو الى النبي صلى الله عليه وسلم يضعه حيث

يشاء وعن بعضهم ان الانفال الخمس الذي جعله الله لاهل الخمس وعلى هذا فالقوم انما سألوا عن الخمس فنزلت الآية ثم امر بالشروع في الجواب
فقال قل الانفال لله والرسول اي حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول امر الله فيها وليس الامر في
قسمتها مفوضا الى رأي احد قال مجاهد وعكرمة والسدي انها منسوخة بقوله واعلموا انما غنمتم الآية وضعف بان جعل اربعة اخماسها ملكا
للغانمين لا ينافي كون الحكم فيها لله والرسول ولو فسر الانفال بالخمس او بالسلب فلا اشكال ثم حثهم على ترك المنازعة وعلى المواخاة والمصافاة
فقال فاتقوا الله اي عقابه ولا تقدموا على معصيته واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الاموال واصلحوا ذات بينكم اي التي هي بينكم
من الاحوال حتى يكون احوال الفة ومودة وموافقة لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كما ان الاسرار لما كانت مضمرة في الصدور
قيل لها ذات الصدور
ثم ختم الآية بقوله ان كنتم مؤمنين اي كاملي الايمان منبها على ان كمال الايمان موقوف على التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله ثم وصف المؤمنين الكاملين
فقال انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لذكره استعظاما لجلاله وحذرا من اليم عقابه وقد تطمئن القلب بعد ذلك
اذا تذكر كمال رأفته وجزيل ثوابه كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فيفزع
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا قالت العلماء زيادة الايمان يكون على احد ثلاثة انحاء الاول بقوة الدليل بكثرته فان كل دليل فهو مركب
لا محالة من مقدمات ولا شك ان النفوس مختلفة في الاشراق والانارة والاذهان متفاوتة بالذكاء والغباوة فكل من كان جزمه بالمقدمات
اكثر وادوم كان علمه بالنتيجة اكمل واتم وكذا من سنح له على المطلوب دليلان كان علمه اتم ممن لا يجده على المطلوب سوى دليل واحد ولذا يورد
العلماء دلائل متعددة على مدلول واحد ولله در القائل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد الثاني بتعدد التصديق وتجدده فمن المعلوم
ان من صدق انسانا في شيئين كان تصديقه ازيد من تصديق من صدقه في شيء واحد فمعنى الآية انهم كلما سمعوا آية متجددة اتوا
باقرار جديد الثالث ان يقال الايمان عبارة عن مجموع الاعتقاد والاقرار والعمل كما ينبئ عنه ظاهر الآية لانه لما ذكر الامور الخمسة قال اولئك
هم المؤمنون فدل ذلك على ان كل الخصال داخلة في مسمى الايمان ويؤيده ما رواه ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها
شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان واذا كان الايمان عبارة عن مجموع الاركان الثلاثة
فبسبب التفاوت في العمل يظهر التفاوت في الايمان وان لم يكن التفاوت في الاقرار والاعتقاد متصورا اما قوله وعلى ربهم يتوكلون فيفيد
الحصر اي لا يتوكلون الا على ربهم وهذه الصفات مرتبة على احسن جهات الترتيب فالاولى الفزع من عقاب الله والثانية الانقياد لتكاليفه
والثالثة الانقطاع بالكلية عما سواه ثم لما فرغ من اعمال القلوب وهي الخشية والتسليم والتوكل شرع في وصفهم باعمال الجوارح وذكر منها اساسها
وسنامها وهما الصلاة والصدقة ثم عظمهم بقوله اولئك هم المؤمنون حقا وفي اولئك وفي توسيط الفصل وتعريف الخبر وايراد حقا من
المبالغات ما لا يخفى وحقا صفة مصدر محذوف اي ايمانا حقا وهو مصدر مؤكد للجملة قبله وقال الفراء معناه اخبركم بذلك اخبارا حقا وقيل
انه منوط بما بعده اي حقا لهم درجات واعلم ان الائمة اتفقوا على ان الرجل المؤمن يجوز له ان يقول انا مؤمن ثم اختلفوا في انه هل يجوز
لان التصديق والاقرار كلاهما محقق والثاني مذهب اصحاب الشافعي واجابوا عن الآية بانه لا نزاع في ان الموصوف بالصفات المذكورة
مؤمن حقا انما النزاع في ان القائل انا مؤمن هل هو موصوف بتلك الصفات جزما ام لا واما حديث الشك فمبني على ان الايمان عبارة عن الاركان
الثلاثة ولا ريب ان كون الانسان آتيا بالاعمال الصالحة امر مشكوك فيه والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في حصول تلك الماهية فاذن
النزاع لفظي على انا لا نسلم ان الاستثناء لاجل الشك وانما هو لزوال العجب او لعدم القطع بحسن الخاتمة او لنوع من الادب ففيه تفويض الامر الى علم الله
وحكمه كقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وانه تعالى منزه عن الشك والريب عن الحسن ان رجلا سأله أمؤمن انت قال الايمان ايمانان
فان كنت تسألني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألني عن قوله
انما المؤمنون فوالله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل الجنة حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا
ويحكى عن ابي حنيفة انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك فقال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي فقال هلا اقتديت
به في قوله او لم تؤمن قال بلى قيل وكان لقتادة ان يقول ولكن ليطمئن قلبي وفيه ما فيه ثم اخبر عن مآل حالهم فقال لهم درجات عند ربهم
اي سعادات روحانية متفاوتة في الصعود والارتفاع ولكن استغراق كل واحد في سعادته الخاصة به يمنعه عن الالتفات الى من حاله فوقه كما قال
سبحانه ونزعنا ما في صدورهم من غل ومغفرة وتجاوز عن سيئاتهم ورزق كريم هو نعيم الجنة المقرون بالدوام والتعظيم والكرم اسم جامع
لكل ما يحمد ويستحسن في بابه نقله الواحدي عن اهل اللغة فالله سبحانه موصوف بانه كريم لانه محمود في كل ما يحتاج اليه والقرآن كريم لانه يوجد فيه بيان
كل شيء وقال اني القي الي كتاب كريم وقال من كل زوج كريم وقل لهما قولا كريما قال بعض العارفين المغفرة ازالة الظلمات الحاصلة من الاشتغال
بغير الله والرزق الكريم الانوار الحاصلة بسبب الاستغراق في معرفته ومحبته قوله عز من قائل كما اخرجك يقتضي شيئا مشبها بهذا الاخراج وذكروا فيه
وجوها الاول ان المشبه محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك والمعنى ان حالهم في كراهة ما صنعت من تنفيل الغزاة مثل حالهم
في كراهة خروجك للحرب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى كثرة المشركين يوم بدر وقلة المسلمين قال من قتل قتيلا فله كذا وكذا ومن اسر اسيرا فله كذا وكذا

ترغيبا لهم فى القتال فلما انهزم المشركون قال سعد بن عبادة يا رسول الله لو اعطيت هؤلاء ما سميت لهم بقى خلق كثير بغير شئ فنزلت الانفال
لله والرسول يصنع فيها ما يشاء فامسك المسلمون عن الطلب وفى انفس بعضهم شئ من الكراهة الثانى ان ينتصب الكاف على انه صفة مصدر الفعل
المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى ثبت الحكم واستقر بان الانفال لله وان كرهوا ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك اياك الى القتال وان كرهوا وتخصيص
هذا المشبه به بالذكر من بين سائر احكام الله ان القصة واحدة ووجه جعل الاخراج مشبها به كونه اقوى فى وجه التشبيه لان مدار القصة عليه وقيل
التقدير هو ان الحكم بكونهم مؤمنين حق كما ان حكم الله باخراجك من بيتك لاجل القتال حق الثالث قال الكسائى الكاف متعلق بما بعده وهو
قوله يجادلونك والتقدير كما اخرجك ربك من بيتك على كره فريق من المؤمنين كذلك هم يكرهون القتال ويجادلونك فيه والبيت بيته
صلى الله عليه وآله بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فلها به اختصاص كاختصاص البيت بساكنه ومعنى بالحق اى اخراجا ملتبسا
بالحكمة والصواب وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ فى موضع الحال اى اخرجك فى حال كراهة بعضهم ثم بين الكراهة بقوله يجادلونك ويجوز
ان يكون الجملة بدلا او خبرا بعد خبر روى ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعهم اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص
وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم
فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد صلى الله عليه وآله لن تفلحوا بعدها ابدا
وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى رأيت عجبا رأيت ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل فرمى بها فلم يبق بيتا
من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم
النفير على ما قيل فى المثل السائر لا فى العير ولا فى النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله
لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور وتقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بخروجنا وان محمدا لم يصب العير
فمضى بهم الى بدر ونزل جبرئيل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون
ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رد
عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب
النبى صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر فاحسنا الكلام ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ما تخلف عنك احد من الانصار
ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب
انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا
وصلت الينا فانت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف ان يكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على
عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت
به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت
بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل
الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله
قد وعدنى احدى الطائفتين والله لكانى انظر الى مصارع القوم وارجع الى التفسير قوله فى الحق اى فى تلقى النفير بعد ما تبين اى بعد
اعلام النبى صلى الله عليه وسلم بانهم هم المنصورون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون
إِلَى الْمَوْتِ اليقين لمشاهدة اسبابه من قلة العدد والعدد والعير والنفير وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ اى تتمنون ان يكون لكم
العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ يثبته ويعليه بكلماته بآياته المنزلة
فى محاربة ذات الشوكة من انزال الملائكة واسر الكفرة وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ اى يستاصلهم والدابر الآخر يعنى
انكم تريدون العاجل وسفساف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى تقوية الدين وشتان ما بين المرادين وقوله لِيُحِقَّ الْحَقَّ متعلق
بمحذوف اى لاظهار الاسلام وابطال الكفر فعل ما فعل وانما قدر المحذوف متاخرا ليفيد معنى الاختصاص اى ما فعل ذلك الا ليحق الحق
ويبطل الباطل وقيل يتعلق بيقطع فان قيل الحق حق لذاته والباطل باطل فى ذاته وما ثبت للشئ لذاته فانه يمتنع تحصيله بجعل جاعل قلنا
المراد اظهار كون الحق حقا والباطل باطلا وذلك يكون تارة باظهار الدلائل وتارة بتقوية رؤساء الباطل فان قيل اليس فى الكلام تكرار قلنا لا
اذ المراد بالاول تثبيت ما وعد فى هذه الواقعة من الظفر بالاعداء والمراد بالثانى اعلاء الاسلام ومحق الكفر والحاصل ان الاول جزئى
اى انتم تريدون العير والله يريد اهلاك النفير والثانى كلى يشمل هذه القضية وغيرها من القضايا التى تحصل فى ضمنها اعلاء كلمة الله
وقمع كلمة الكفر احتجت الاشاعرة بقوله كما اخرجك ربك وقوله ليحق الحق على ان الاعمال والعقائد كلها بخلق الله وبتكوينه ولا يمكن ان يقال

[illegible] احدى الطائفتين [illegible]

المراد من اظهار الحق وضع الدلائل عليه لان هذا المعنى حاصل بالنسبة الى المسلم والكافر وقيل هذه الواقعة وبعدها فلا يبقى للتخصيص فائدة والمعتزلة تمسكوا بالآية على ابطال قول من يقول انه لا باطل ولا كفر الا والله مريد له لان ذلك ينافي ارادة تحقيق الحق وابطال الباطل والجواب ان اللام في الحق ينصرف الى المعهود السابق اي في هذه القضية فلم قلتم انه كذلك في جميع الصور ولو كره المجرمون اي الكافرون او المشركون كقوله ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وفي موضع آخر ولو كره المشركون وقوله اذ تستغيثون بدل من قوله اذ يعدكم وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر ان رسول الله صلعم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك بالدعا ربك فانه سينجز لك ما وعدك وروي انه لما اصطف القوم قال ابو جهل اللهم اولانا بالحق فانصره ورفع رسول الله يده بالدعاء المذكور ومعنى تستغيثون تطلبون الاغاثة بقول الواقع في بلية اغثني اي فرج عني فاستجاب لكم اني باني ممدكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال وفتحها من ردفته اياه اذا اتبعته متعديا الى مفعولين او من ردفته اذا اتبعته اي جئت بعده متعديا الى مفعول واحد ومعنى الاول جاعلين بعضهم او مجعولين بعضهم تابعا لبعض او انفسهم تابعين للمؤمنين يحرسونهم او للملائكة اخرى ومعنى الثاني تابعين بعضهم للبعض او للمؤمنين يقدمونهم على ساقتهم يحفظونهم او لغيرهم من الملائكة واختلف في قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبرئيل في خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب في صور الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصاري رسول الله صلعم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا وقد اجبنا عن هذه الشبهة في تفسير سورة آل عمران وكذا تفسير قوله وما جعله الا بشرى وقد مر هنالك وقد بقي علينا ان المتشابه فنقول حذف لكم ههنا لان المخاطبين معلومون في قوله فاستجاب لكم وقدم قلوبكم واخر به في آل عمران ازدواجا بين الخطابين ثم ان قصة بدر على قصة احد فقيل في الانفال ان الله عزيز حكيم ليستقر الخبر وجعل في آل عمران صفة لان الخبر قد سبق والله اعلم التاويل كثرة السؤال توجب الملال وانما سألوا ليكون لهم الانفال فاجيبوا على خلاف ما تمنوا وقيل الانفال لله والرسول قطعا لطريق الاعتراض والسؤال واصلحوا ذات بينكم من الاخلاق الرديئة والهمم الدنية واطيعوا الله ورسوله بالتسليم والايثار زادتهم ايمانا بحسب مزيد الانوار كما اخرجك ربك فيه انه اخرج المؤمن الحقي عن اوصاف البشرية الى مقام العبدية بجذبات العناية كما اخرجك من وطن وجودك بالحق وهو تجلي صفات الجمال والجلال وان فريقا هم القلب والروح لكارهون للفناء عند التجلي فان البقاء محبوب عند كل ذي وجود يجادلونك اي الروح والقلب في الحق بعد ما تبين بجذبه كانهم ينظرون الى الفناء ولا يرون البقاء بعد الفناء كمن يساق الى الموت واذ يعدكم الله ايها السائرون احدى الطائفتين اما الظفر بالاعداء وهي النفوس واما غير الواردات الروحانية وغنائم الاسرار الربانية وتودون ان غير ذات الشوكة اي اردتم ان لا تجاهدوا اعدى النفس ذات المكر والحيلة والهوى واستحليتم الواردات والشواهد الغيبية وذلك ان السير قسمان سير السالكين على اقدام الطاعات وتبديل الصفات النفسانية الى جنات الروحانية وسير المجذوبين على اجنحة عنقاء الجذبات الى دوائر قاف الانانية فكان موسى من السالكين الى ميقات ربه ولم يجاوز طور النفس فكان مقامه مع الله المكالمة وكان محمد من المجذوبين وكان سيره على جناح جبرئيل الى سدرة المنتهى ومنها على رفرف الجذبة الالهية الى قاب قوسين او ادنى فكان مكانه المشاهدة فمن العناية ان لا يكل الله السائر الى ما يوافق طبعه وهواه كما قال ويريد الله ان يحق الحق بكلماته اي بجذباته ويقطع دابر الكافرين من النفوس الامارة بالسوء اذ تستغيثون ربكم يعني استغاثة الروح والقلب من النفس الى الله عند استيلاء صفاتها بالفعل لكنهم الصفات الملكية والروحانية الا بشرى لكم بتبديل الاخلاق وما النصر باهلاك النفس وصفاتها الا بتجلي صفة القهار ان الله عزيز لا يوصل اليه الا بعد فناء الوجود حكيم في كل ما يفعل بمن يفعل والله اعلم

اِذْ يُغَشِّيْكُمُ النُّعَاسَ اَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاۤءِ مَاۤءً لِّيُطَهِّرَكُمْ بِهٖ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلٰى قُلُوْبِكُمْ

چون فرا گرفت شما را پینکی ايمنی از قبل او و ميفرستد بشما از آسمان آب را تا پاک کند شما را بان وببرد از شما پليدی شيطان را وتا ببندد بر دلهای شما

وَيُثَبِّتَ بِهِ الْاَقْدَامَ اِذْ يُوْحِيْ رَبُّكَ اِلَى الْمَلٰۤئِكَةِ اَنِّيْ مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا سَاُلْقِيْ فِيْ قُلُوْبِ الَّذِيْنَ كَفَرُوا

و پايدار کند بان قدمها را چون وحی ميفرستد پروردگار تو بسوی فرشتگان که من با شما ام پس ثابت داريد آنها را که گرويده اند زود باشد که بيفکنم در دلهای آنان که کافر شده اند

الرُّعْبَ فَاضْرِبُوْا فَوْقَ الْاَعْنَاقِ وَاضْرِبُوْا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ شَاۤقُّوا اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ وَمَنْ يُّشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُوْلَهٗ

ترس را پس بزنيد بالای گردنها وبزنيد از ايشان هر سر انگشتی را اين بجهت آنست که ايشان خصومت کردند خدا را ورسول او را وهر که نزاع کند خدا را ورسول او را

وقيل فقاتلت

وعكس ههنا ازدواجا بين الغائبين

ع

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ

بدرستی که خدا سخت عقوبت است این است پس بچشید از او و بدرستی مر کافران راست عذاب آتش ای زمره انهائی که گرویده اید چون دیدید انهارا که

كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ

کافر شدند باینده پس مگردانید بایشان پشتها را و هر که بگرداند در ان روز پشت خود را مگر گردیده از بهر کارزار یا جای گزینده بسوی طایفه پس اینه

بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ

بازگشته بخشم از خدا و منزلش دوزخ است و بد جای بازگشت پس کارزار نکردید و لکن کارزار کرد خدا و نیفکندی وقتی که افکندی

وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ إِنْ

و لکن خدا افکند و تا بیازماید مومنان را از او ازمایشی نیکو بدرستی که خدا شنونده داناست این است و خدا ضعیف کننده کید کافران است اگر

تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ

طلب گشایش کنید پس تحقیق که آمد شما را گشایش و اگر باز ایستید پس آن بهتر است مر شما را و اگر باز گردید باز گردیم و هرگز بی نیاز نسازد شما را گروه شما چیزی اگرچه زیاد باشد و بدرستی که خدا با گروندگان است

القراءة يغشاكم النعاس ابن كثير وابو عمرو ويغشيكم النعاس من باب الافعال ابو جعفر ونافع الباقون يغشيكم النعاس من التفعيل وينزل من الانزال ابن كثير وسهل ويعقوب وابو عمرو الاخرون بالتشديد رجزا بالامالة حمزة وعلي وخلف ويحيى موهن من الافعال كيد بالنصب ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص وسهل ورويس موهن من الافعال كيد بالجر للاضافة حفص الباقون موهن بالتشديد كيد بالنصب وان الله بالفتح ابن عامر وابو جعفر ونافع وحفص والمفضل الباقون بالكسر الوقوف الاقدام لتعلق اذ بمحذوف هو اذكر الذين آمنوا ط كل بنان ط ورسوله ج العقاب ه النار ه الادبار ج جهنم ط المصير ه قتلهم ج لعطف المتفقتين مع الاحتمال ان يكون الواو مقحمة واللام متعلقا بما قبله واحتمال ان يكون عاطفة على ولكن الله رمى او على محذوف اي ليستبشروا وليبلي حسنا ط عليم ه الكافرين ه الفتح ج للفصل بين الجملتين المتضادتين مع العطف خير لكم ج لذلك نعد ج كثرت ط لمن قرأ وان بالكسر المؤمنين ه التفسير قال في الكشاف اذ يغشيكم بدل ثان من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وامنة مفعول لاجله ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من عند الله ولما كان غشيان النعاس وكذا اغشاؤه وتغشيته متضمنا لمعنى نعستم كان فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا كما هو شرطها انتصاب المفعول له والمعنى اذ تنعسون لامنكم او يغشيكم النعاس فتنعسون امنا وجوز على قراءة الاغشاء والتغشية ان يكون الامنة بمعنى الايمان اي ينعسكم ايمانا امنة وجوز ان ينتصب الامنة على انها للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اي يغشاكم النعاس لامنة على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة او على ان المراد انامكم في الوقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم امنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل من فوائد هذا النعاس في سورة آل عمران ومن نعم الله تعالى عليهم في تلك الواقعة انزال المطر عليهم وكان فيه فوائد احدها تحصيل الطهارة والثانية اذهاب رجز الشيطان وقيل هو الجنابة التي اصابتهم لانها من تخييل الشيطان ولا تكرار لان الاول عام وهذه خاص وقيل المراد المني لانه شيء مستخبث مستقذر وعلى هذا يكون في الآية دلالة على نجاسة المني لقوله والرجز فاهجر وقيل المراد وسوسة الشيطان اليهم وتخويفه اياهم من العطش وذلك ان المشركين سبقوهم الى الماء ونزل المؤمنون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء فناموا فاحتلم اكثرهم فتمثل لهم ابليس في صورة انسان فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على حق لما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا فانزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ اصحاب رسول الله الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى تثبت عليه الاقدام وكانت هذه ثالثة الفوائد واشار اليها بقوله ويثبت به اي بالماء الاقدام وقيل الضمير عائد الى الربط الذي يدل عليه قوله وليربط على قلوبكم والمراد من تثبيت الاقدام الصبر في مواطن القتال وذلك ان من كان قلبه ضعيفا فر ولم يقف فلما ربط الله على قلوبهم اي قواها ثبتت اقدامهم ومعنى على ان القلوب امتلأت من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها وقال الواحدي يشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالنصر وما اوقع فيها من اليقين روي ان المطر نزل على الكافرين ايضا ولكن الموضع الذي نزل الكفار فيه كان موضع التراب فعظم الوحل وصار مانعا لهم من المشي والاستقرار فقوله ويثبت به الاقدام يدل مفهومه على ان حال الاعداء كان بخلاف ذلك ومن جملة النعم قوله اذ يوحي ربك وهو بدل ثالث من اذ يعدكم او منصوب بيثبت او باذكر اني معكم الخطاب للملائكة والمراد اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقيل الخطاب للمؤمنين لان المقصود من هذا الكلام ازالة التخويف والملائكة ما كانوا يخافون الكفار وفيه نبو لقوله فثبتوا الذين آمنوا وفي هذا التثبيت وجوه احدها انه مفسر لقوله سالقي فاضربوا ولا معونة اعظم من القاء الرعب على قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصر وثانيها ان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم ما يقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال فالالهام من الملائكة كالوسوسة من الشياطين و



وثالثها ان الملائكة كانوا يتشبهون بصور رجال عن معارفهم وكانوا يعدونهم النصر والظفر ومعنى فوق الاعناق اعالي الاعناق التي هي المذابح
لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها حزا للرأس من الجسد وقيل اراد ضرب الهام لان الرؤس فوق الاعناق والبنان الاصابع سميت بذلك
لان بها صلاح احوال الانسان التي يريد ان يقيمها من ابن بالمكان اى اقام به والمراد بنفي الاطراف من اليدين والرجلين ثم اختلفوا فمنهم
من قال المراد ان يضربوهم كما شاؤا لان ما فوق العنق هو الراس وهو اشرف الاعضاء والبنان عبارة عن اضعف الاعضاء فذكر الاشرف والاخس
تنبيها على كل الاعضاء او بوجه اخر الضرب اما واقع على مقتل او غير مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ومنهم من قال الاول اشارة الى القتل وقطع
البنان عبارة عن افناء الات المدافعة والمحاربة ليعجزوا عن القتال وجوز في الكشاف ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان تلقينا للملائكة
ما يثبتونهم به اى قولوا لهم قول سالقي او يكون واردا على الاستيناف كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قول سالقي فالضاربون
على هذا هم المؤمنون ذلك العقاب العاجل من الضرب والقتل وقع عليهم بانهم شاقوا بسبب مشاقتهم ومخالفتهم الله ورسوله ثم بين ان
الذي نزل بهم في ذلك اليوم شيء يسير وقد زر في جنب ما اعد الله لهم ولامثالهم في الآجل فقال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله
شديد العقاب اى له والكاف في ذلك للرسول او لكل من له اهلية الخطاب وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع تقديره
ذلكم العذاب المعجل من القتل والاسر او العذاب ذلكم اى الزموه فذوقوه او هو كقولك زيدا فاضربه قال في الكشاف وان للكافرين عطف
على ذلكم في وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة فوضع الظاهر موضع
ضمير الخطاب تكلف ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر اى وان الكافرين عذاب النار حق او بالعكس اى والحكم والشان ان للكافرين
وفي ذكر الذوق اشارة الى ان عذاب الدنيا شيء قليل بالنسبة الى عذاب الآخرة قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا
زحفا قال الازهري اصل الزحف هو ان يزحف الصبي على استه قبل ان يقوم شبه بزحف الصبي مشي الطائفتين يمشي كل فئة مشيا رويدا
الى الفئة الاخرى قبل التداني للضراب فانتصابه على الحال من الفريقين اى اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم ويجوز ان يكون حالا من الذين كفروا
والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اى يدب دبيبا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم
قليل فلا تفروا فضلا عن حالة المداناة والمساواة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين وهم المؤمنون اى اذا ذهبتم اليهم للقتال فلا تنهزموا
ومعنى فلا تولوهم الادبار لا تجعلوا ظهوركم مما يليهم او هو تقدمة نهي عن الفرار يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر
الفا في قوله ومن يولهم يومئذ دبره ثم بين ان الانهزام محرم الا في حالتين فقال الا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه انه
منهزم ثم يعطف عليه وهو نوع من خدع الحرب او متحيزا الى فئة منحازا الى فئة الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعلى هذا
انتصب متحرفا ومتحيزا على انه استثناء مفرغ من اعم العام ووجه صحته مع انه ليس في الكلام نفي ظاهر هو انه في معنى النفي كانه قيل ومن لا يقدم
او لا يعطف عليهم في حال من الاحوال الا في حال التحرف او التحيز ويجوز ان يكون الاستثناء تاما على ان الموصوف محذوف والتقدير ومن
يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا ووزن متحيز متفيعل لانه من حاز يحوز فعل بزوا فعل بالياء ولو كان متفعلا لقيل متحوز عن ابن عمر خرجت
سرية وانا فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم العكارون وانا فئتكم
والعكر الكر وعن ابن عباس ان الفرار من الزحف من اكبر الكبائر واحتج القاضي بالآية على القطع بوعيد الفساق من اهل
الصلوة واجيب بانه مشروط بعدم العفو وعن ابي سعيد الخدري والحسن وقتادة والضحاك ان هذا الحكم مختص بيوم بدر لان رسول الله صلعم
كان حاضرا بنفسه ولانه تعالى وعدهم النصرة ولانه كان اول جهاد فناسب التشديد ولهذا منع من اخذ الفداء واكثر المفسرين على انه عام في
جميع الحروب لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال اكثر المفسرين ان المؤمنين لما كسروا اهل مكة وقتلوا واسروا اقبلوا على التفاخر وكان
القائل يقول قتلت واسرت فقيل لهم فلم تقتلوهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لانه
هو الذي انزل الملائكة والقى الرعب في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وربط عليها ولما طلعت قريش قال رسول الله صلعم هذه قريش قد
جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم اني اسئلك ما وعدتني فاتاه جبرئيل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى
الجمعان لعلي اعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا فنزلت وما رميت
انت يا محمد اذ رميت ولكن الله رمى اثبت الرمية للرسول لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان اثرها فوق حد الطاقة البشرية
قال حكيم بن حزام لما كان يوم بدر سمعنا صوتا وقع من السماء الى الارض كانه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله صلعم تلك الحصاة فانهزمنا
وعن سعيد بن المسيب عن ابيه قال اقبل ابي بن خلف يوم احد الى النبي صلعم يريده فاعترض له رجال من المؤمنين فامرهم رسول الله صلعم فخلوا سبيله
فاستقبله مصعب بن عمير اخو بني عبد الدار ورأى رسول الله صلعم ترقوة ابي من فرجة بين سابغة البيضة والدرع فطعنه بحربته فسقط ابي
عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم وكسر ضلعا من اضلاعه فاتاه اصحابه وهو يخور خوار الثور فقالوا له ما اعجزك انما هو خدش فقال والذي
نفسي بيده لو كان هذا الذي بي باهل ذي المجاز لماتوا اجمعين فمات ابي الى النار قبل ان يقدم مكة فانزل الله في ذلك وما رميت اذ رميت ولكن

او غير مقتل

او النصب والتقدير عليكم ذلكم

البشرية

الله رمى وقيل نزلت بخيبر حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوس فرمى منها بسهم فاقبل السهم يهوى حتى قتل كنانة بن ابى الحقيق وهو على فراشه والصحيح الاول
هو الاول كيلا يدخل فى اثناء القصة كلام اجنبى نعم لا يبعد ان يدخل تحته سائر الوقائع لان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وليبلى المؤمنين
منه بلاء حسنا وليعطيهم عطاء جميلا فعل ما فعل ما فعله الا لذلك قال القاضى ولولا ان المفسرين اجمعوا على ان معنى البلاء ههنا النعمة والا
لكان يحتمل المحنة اى الذى فعله تعم يوم بدر كان كالسبب فى حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات ان الله سميع لكلامكم عليم بضمائركم
وهذا يجرى مجرى التحذير والترهيب كيلا يغتر العبد بظواهر الامور ذلكم الغرض اى الغرض لكم وان الله موهن كيد الكافرين اعرابه كما مر فى قوله
وان للكافرين عذاب النار قال ابن عباس ينبئ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انى قد اوهنت كيد عدوك حتى قتلت جبابرتهم واسرت اشرافهم
قال السدى والكلبى والحسن كان المشركون حين خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا واخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين
واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين فانزل الله تعالى خطابا لهم على سبيل التهكم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وقال عكرمة
قال المشركون اللهم لا نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فنزلت وروى ان اباجهل قال يوم بدر اللهم ايّنا كان افجر واقطع
للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه وقيل هو خطاب للمؤمنين الذين استغاثوا الله وطلبوا النصر ثم خاطب الكفار بقوله وان تنتهوا اى عن
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم واسلم وان تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم وجوز بعضهم ان يكون الخطاب فى الجميع للمؤمنين اى ان
تكفوا عن المنازعة فى امر القتال وعن طلب الفداء فهو خير لكم وان تعودوا الى المنازعات نعد الى ترك نصرتكم ثم ختم الاية بقوله وان الله
مع المؤمنين وتقديره على قراءة الفتح ولان الله معين المؤمنين كان ذلك التأويل اذ يغشيكم النعاس امنة منه تغليب الحال الى ضده
بامر التكوين كما قال للنار كونى بردا وسلاما على ابراهيم كذلك قال للخوف كن امنا على محمد واصحابه فكان وينزل عليكم من سماء الروح
ماء الالهام الربانى ليطهركم به من دنس الصفات النفسانية والحيوانية ويذهب عنكم وساوس الشيطان وهواجسه وليربط على قلوبكم
بالصدق والاخلاص والمحبة والتوكل واليقين ويثبت به الاقدام على طريق الطلب انى معكم فثبتوا فيه ان التثبيت من الله لا من غيره
وكذلك القاء الرعب فى قلوبهم وغير ذلك اذا لقيتم الذين كفروا اذا لقيتم كفار النفوس وصفاتها مجتمعين على قهر القلوب وصفاتها فلا
فلا تنهزموا فيقعوا عن صراط الطلب الا متحرفا الا قلبا يتحرف لينهيئ اسباب القتال مع النفس او راجعا الى الاستمداد من الروح وصفاتها
اولى الولاية الشيخ والى حضرة الله تعالى مستمدا فى قمع النفس وقهرها بطريق المجاهدة فانها بورث المشاهدة فلم تقتلوهم نفى القتل عن
الصحابة بالكلية واحاله الى نفسه فقال ولكن لم ينف الرمى عن النبى بالكلية حيث قال اذ رميت لان الله تعالى كان قد تجلى له بالقدرة
وكان يده يد الله كما كان حال عيسى لما تجلى له بصفة الاحياء كان يحيى الموتى وليبلى المؤمنين منه فيجتهدوا فى متابعته الى ان يبلغوا هذا المقام
ان تستفتحوا اى تفتحوا ابواب قلوبكم بمفتاح الصدق والاخلاص وترك ما سوى الله فى طلب التجلى فقد جاءكم الفتح فانه تعالى متجلى فى ذاته ازلا
وابدا وانما التغير فى احوال الخلق فهم عند انغلاق ابواب قلوبهم محرومون وعند انفتاح ابوابها محظوظون وان ينتهوا عن طلب غير الله فهو
خير لكم وان تعودوا الى طلب الدنيا وزخارفها نعد الى خذلانكم ونكلكم الى انفسكم ودواعيها ولن يغنى عنكم لا يقوم شئ من الدنيا
والاخرة وما فيهما مقام شئ مما اعد لاهل الله وخاصته يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وانتم تسمعون
اى زمره كسانى كه ايمان آورده ايد اطاعت كنيد خدا و رسول او را و بر مگرديد از او و شما ميشنويد

ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم
و مباشيد چون كسانى كه گفتند شنيديم و ايشان نشنيده اند بدترين جنبندگان نزد خدا كران و گنگانند انانكه درك نكنند و اگر ميدانست خدا در ايشان
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا
خوبى هر آينه ميشنوانيد ايشان را و اگر ميشنوانيد هر آينه برگشتندى و روگردان بودندى اى زمره انانكه گرويده ايد پاسخ دهيد مر خدا و مر پيغمبر را وقتى كه خواند شما را بانچه زنده كند شما را و بدانيد
ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله
بدرستى كه خدا حايل است در ميان مرد و دل او و آنكه بسوى او باز گرديد و بپرهيزيد از بلائى را كه نميرسد انان را كه ستم كردند از شما تنها و بدانيد كه خدا
شديد العقاب واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون فى الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فاواكم وايدكم بنصره
سخت عقوبت است و ياد كنيد خدا را چون بوديد شما كم ناتوانان در زمين ميترسيديد كه در ربايند شما را مردمان پس جاى داد شما را و قوت داد شما را بيارى خود
ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون
و روزى كرد شما را از پاكيزه ها شايد كه شما سپاس گذاريد اى زمره انانكه گرويده ايد خيانت مكنيد خدا و رسول را و خيانت مكنيد امانتهاى خويش را و شما ميدانيد

واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا ايها الذين امنوا ان
و بدانيد كه جز اين نيست كه مالهاى شما و فرزندان شما آزمايش است و بدرستى كه خدا نزد او است مزدى بزرگ اى زمره انانكه گرويده ايد اگر
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك
بپرهيزيد خدا را بگرداند از براى شما جدائى و بپوشاند از شما گناهان شما را و بيامرزد شما را و خدا صاحب زيادتى بزرگ است و چون مكر ميكردند بتو

الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين القراآت ولا تولوا

آنان كه كافر شدند تا ثابت گردانند ترا يا بكشند ترا يا بيرون كنند ترا و مكر كنند ايشان و مكر كند خدا وخدا بهترين مكر كنندگان است بالادغام فتسمعوا

للاية والعطف لا يسمعوا منع لا يعقلون لا سمعهم ط معرضون لما يحييكم لعطف المتفقين مع اعتراض الظرف تحشرون خاصة لما مر العقاب تشكرون تعلمون

فتنة للعطف عظيم ويغفر لكم ط العظيم او يخرجوك ط ويمكر الله ط الماكرين التفسير انه سبحانه بعد ان ذكر نحوا من قصة بدر والغنائم ادب المؤمنين احسن

تاديب فامرهم بطاعته وطاعة رسوله في قسمة الغنائم وغيرها ثم قال ولا تولوا عنه فوحد الضمير لان التولي انما يصح في حق الرسول بان يعرضوا عنه و

عن قبول قوله وعن معونته في الجهاد ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعه اليهما كقوله والله ورسوله

احق ان يرضوه وكقولك الاحسان والاجمال لا ينفع في فلان ويجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اي لا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وانتم تسمعون

لم يبين انهم ماذا يسمعون لانه يعلم من مساق الكلام في السورة ان المراد وانتم تسمعون دعاءه الى الجهاد او المراد وانتم تسمعوا الامر المذكور او

وانتم تصدقون بدليل قوله ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون لانهم ليسوا بمصدقين فلا يصح دعوى السماع منهم وتحقيق ذلك ان

الانسان لا يمكنه ان يقبل التكليف ويلتزمه الا بعد ان يسمعه فجعل السماع كناية عن القبول ثم اكد التكاليف المذكورة بقوله ان شر الدواب

ان شر من يدب على الارض وان شر البهائم والفرق بين التفسيرين ان الاول حقيقة لانه ذكر في معرض الذم كقولك لمن لا يفهم الكلام هو

شبح وجسد والثاني مذكور في معرض التشبيه بالبهائم بل جعلهم شرها لجعلهم وعدولهم عن الانتفاع بالحواس كقوله بل هم اضل ومعنى عند الله

اي في حكمه وقضائه ثم قال ولو علم الله فيهم اي في هؤلاء الصم البكم خيرا لاسمعهم عن ابن جريج المنافقون وعن الحسن اهل الكتاب وقيل بنو عبد

الدار ابن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن بكم عمي عما جاء به محمد صلعم لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا

باحد وكانوا اصحاب اللواء وروي انهم سئلوا النبي ان يحيي لهم قصي بن كلاب وغيره من امواتهم ليخبروهم بصحة نبوته فبين تعالى انه لو علم فيهم خيرا

وهو انتفاعهم بقول هؤلاء الاموات لاحياهم حتى يسمعوا كلامهم ولكنه يقول تعالى علم منهم انهم لا يقولون هذا الكلام الا على سبيل العناد

والتعنت وانهم لو اسمعهم الله كلامهم لتولوا عن قبول الحق ولاعرضوا عنه على عادتهم المستمرة واعلم ان معلومات الله تعالى على اربعة اقسام جملة

الموجودات وجملة المعدومات وان كل واحد من الموجودات لو كان معدوما فكيف يكون حاله وان كل واحد من المعدومات لو كان موجودا

فكيف يكون حاله والاولان علم بالواقع والاخران الباقيان علم بالمقدر ومن هذا القبيل قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم وتقدير

الكلام لو حصل فيهم خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ فعبر عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده واورد على الاية انها على صورة قياس شرطي

فاذا حذفنا الحد الاوسط بقيت النتيجة لو علم الله فيهم خيرا لتولوا ولكن كلمة لو وضعت للدلالة على انتفاء الشيء لانتفاء غيره فيكون التولي

منتفيا لاجل انتفاء علم الله الخير فيهم بل لاجل انتفاء الخير فيهم لكن انتفاء التولي خير من الخيرات فاول الكلام يقتضي نفي الخير عنهم واخره يقتضي حصول

الخير فيهم وهذا تناقض والجواب المنع من ان الحد الاوسط مكرر لان المراد بالاسماع الاول اسماع التفهم والزام القبول والمراد بالاسماع

الثاني صورة الاسماع فحسب وايضا كلمة لو في المقدمة الثانية هي التي تجيء للمبالغة بمعنى ان كقولهم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه

فاذن لا تعلق لاحدى الجملتين بالاخرى فلا قياس واستدلت الاشاعرة بالاية على ان صدور الايمان عن الكافر محال لان الصادق قد اخبر

انهم على تقدير الاسماع معرضون وخلاف علمه وخبره محال وقال في الكشاف لو علم الله فيهم خيرا اي انتفاعا باللطف للطف بهم حتى يسمعوا

المصدقين ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا

وتزييف هذا التفسير سهل ثم علم المؤمنين ادبا اخر فقال استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم فوحد الضمير كما مر والمراد بالاستجابة الطاعة والا

الامتثال وبالدعوة البعث والتحريض عن ابي هريرة ان النبي صلعم مر على باب ابي بن كعب فناداه وهو في الصلوة فعجل في صلوته ثم جاء فقال ما منعك

عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وقد يتمسك الفقهاء بهذا الخبر

على ان ظاهر الامر للوجوب والا لم يتوجه اللوم ثم قيل ان هذا مما اختص به رسول الله صلعم وقيل ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله

للمصلي فله ان يقطع صلوته ثم الاحياء لا يمكن ان يحمل على نفس الحيوة لان احياء الحي محال فذكروا فيه وجوها قال السدي هو الاسلام والايمان

لان الايمان حيوة القلب والكفر موته بدليل قوله يخرج الحي من الميت اي المؤمن من الكافر وقال قتادة يعني القران لان فيه العلم الذي هو

الحيوة الحقيقية والاكثرون على انه الجهاد لانه وهن احد العدوين سبب حيوة الاخر ولان الجهاد سبب حصول الشهادة التي توجب الحيوة الدائمة لقوله

بل احياء عند ربهم وقيل انه عام في كل حق وصواب فيدخل فيه القران والايمان والجهاد وكل اعمال البر والطاعة والمراد لما يحييكم الحيوة الطيبة

كما قال فلنحيينه حيوة طيبة واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه اختلف الناس فيه بحسب اختلافهم في مسئلة الجبر والقدر فنقل الواحدي عن

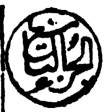
ابن عباس والضحاك يحول بين الكافر وطاعته ويحول بين المطيع ومعصيته فالسعيد من اسعده الله والشقي من اضله الله والقلوب بيد الله

يقلبها كيف يشاء ويخلق فيها التصورات والدواعي والعقائد حسبما يريد وتقرير ذلك من حيث العقل وجوب انتهاء جميع الاسباب اليه ثم ختم الاية بقوله

وانه اليه تحشرون ليعلم انهم مع كونهم مجبورين خلقوا اما بين معاقبين اما للجنة واما للنار لا يتركون مهملين معطلين وقالت المعتزلة ان من حال الله

الفرى واين عليم الوقوف م

سماع م



بينه وبين الايمان فهو عاجز وامر العاجز سفه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وايضا امر تعالى بالاستجابة لله وللرسول فلو لم يكن للاجابة ممكنة فكيف
يأمر بها ولو كان الامر بغير المقدور جائزا لكان القرآن حجة للكفار على الرسول لا له عليهم فاذن لا يمكن حمل الآية على ما قاله اهل الجبر فتأويلها
ان الله يحول بين المرء وبين الانتفاع بقلبه بسبب الموت يدل عليه قوله وانه اي الشان او الله اليه تحشرون والمقصود الحث على الطاعة
قبل نزول سلطان الموت او انه تعالى يحول بين المرء وبين ما يتمناه بقلبه وتسمية الشيء باسم محله فكأنه قيل بادروا الى الاعمال الصالحة ولا تعتمدوا
على طول البقاء فان الاجل يحول دون الامل او المراد سارعوا الى الطاعة ولا تمتنعوا عنها بسبب ما تجدون في قلوبكم من الضعف و
الجبن فان الله مقلب القلوب من حالة العجز والجبن الى القوة والشجاعة وقد يبدل بالامن خوفا وبالخوف امنا وبالذكر نسيانا وبالنسيان
ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا وقال مجاهد المراد بالقلب العقل و
المعنى بادروا الى الاعمال وانتم تعقلون ولا تأمنوا زوال العقول التي عند ارتفاعها يبطل التكليف فلا يقدر على الكفر والايمان وعن الحسن
ان الغرض التنبيه على انه تعالى مطلع على بواطن العبد وضمائره وانه قريب من عبده اشد من قرب قلبه منه كقوله ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
ثم حذرهم الفتن والاختلاف فقال واتقوا فتنة قيل هو العذاب وقيل افتراق الكلمة وقيل اقرار المنكر بين اظهرهم وقوله لا تصيبن اما ان
يكون جوابا للامر وجاز دخول النون المؤكدة فيه مع خلوه عن الطلب لان فيه معنى النهي كقولك انزل عن الدابة لا تطرحك وان شئت
لا تطرحنك وعلى هذا من في منكم للتبعيض وقيل الجواب محذوف والمعنى ان اصابتكم لا تصيب بعضكم وهم الظالمون حال كونهم خاصة
ولكنها تعم الظالمين وغيرهم لانه يحسن من الله تعالى ذلك بحكم المالكية او لاشتمال ذلك على نوع من الصلاح واما ان يكون نهيا بعد امر ومن البيان
كانه قيل احذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تصيبنكم تلك العقوبة خاصة على ظلمكم لان الفتنة نهيت عن ذلك لا لاختصاص على طريق الاستعارة
وهكذا ان جعلت الجملة الناهية صفة للفتنة على ارادة القول اي واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن كقوله جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط
عن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة على ما قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها
وعن السدي نزلت في اهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي ان الزبير كان يساير النبي ص يوما اذ اقبل علي فضحك اليه الزبير فقال رسول الله ص
كيف حبك لعلي ص فقال يا رسول الله ص بابي انت وامي اني احبه كحبي لولدي او اشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله ثم ختم الآية بقوله
واعلموا ان الله شديد العقاب والمراد منه الحث على لزوم الاستقامة ثم ذكرهم نعمه عليهم فقال واذكروا اذ انتم وانتصابه على انه مفعول به
اي وقت انتم قليل يستوي فيه الواحد والجمع مستضعفون في الارض ارض مكة قبل الهجرة تخافون ان يتخطفكم الناس يستلبونكم لكونهم اعداء
لكم فآواكم الى المدينة وايدكم بنصره بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون
اي نقلكم من الشدة الى الرخاء ومن البلاء الى النعماء لا لاجل ان تشتغلوا بالشكر والطاعة فكيف يليق بكم ان تشتغلوا بالمنازعة في الانفال
ثم منعهم من الخيانة في الامانة يروى ان رسول الله ص حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير
على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول الله ص الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة
مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه
ان حكم سعد بن معاذ هو الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله فنزلت الآية فشد نفسه على سارية من
سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له
قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر
دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال ص يجزيك الثلث ان تتصدق به وقال السدي كانوا يسمعون من النبي ص شيئا فيفشونه
ويلقونه الى المشركين فنهاهم الله عن ذلك وقال ابن زيد نهاهم الله ان يخونوا كما صنع المنافقون يظهرون الايمان ويسرون الكفر وعن
جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فعلم النبي ص خروجه وعزم على الذهاب اليه فكتب اليه رجل من المنافقين ان محمدا يريدكم فخذوا
حذركم فنزلت وقال الزهري والكلبي نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة بخروج النبي ص اليها حكاه الاصم قال القاضي والاقرب
انها في الغنائم فالخيانة فيها خيانة الله لانها عطيته وخيانة الرسول لانه القيم بقسمتها وخيانة للمؤمنين الغانمين فلكل منهم فيها حق قال و
يحتمل ان يراد بالامانة كل ما تعبد به وكان معنى الآية ايجاب اداء التكاليف باسرها في الغنيمة وغيرها على سبيل التمام والكمال من غير نقص
واخلال ومعنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام فاذا خنت الرجل شيئا فقد ادخلت عليه النقصان وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب
وخان الشتار السبب الكرب حبل قصير يوصل بالرشا ويكون على العراقي سمي كربا لانه يكرب من الدلو اي يقرب منه واشتار العسل
اذا اجتناه وجمعه وتخونوا يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق ومعنى الآية على الوجه العام لا
تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانتكم فيما بينكم بان لا تحفظوها وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله او تعلمون
انكم تخونون يعني ان الخيانة توجد منكم عمدا لا سهوا وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن ثم لما كان الداعي الى الخيانة حب

الاموال والاولاد ولعل ما فرط من ابى لبابة كان بسبب ذلك نبه الله سبحانه على انه يجب على العاقل ان يحترز عن المضار المتولدة من ذلك الحب
فقال اِنَّمَا اَمْوَالُكُمْ وَاَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ اى انها سبب الوقوع فى الفتنة وهى الاثم او العذاب او هى محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون على حدوده
فى ذلك لباب وَاَنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ اَجْرٌ عَظِيمٌ فعليكم ان تزهدوا فى الدنيا وما يتعلق بها وتنوطوا هممكم بما يفضى الى السعادات الروحانية
الباقية ويمكن ان يتمسك بالاية فى بيان ان الاشتغال بالنوافل لكونه مفضيا الى الاجر العظيم عند الله وهو افضل من الاشتغال بالنكاح
لادائه الى الفتنة ثم رغب فى التقوى التى توجب الاعراض عن محبة الاموال والاولاد عن التهالك فى شانهم فقال يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ
فى ارتكاب الكبائر والاصرار على الصغائر يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا فارقا بينكم وبين الكفار فى الاحوال الباطنة بالاختصاص بالمعرفة والهداية وانشراح
الصدر وازالة الغل والحسد والمكر وسائر الاخلاق الذميمة والاوصاف السبعية والبهيمية وفى الاحوال الظاهرة باعلاء الكلمة والاظهار
على اهل الاديان كلهم وفى احوال الآخرة بالثواب الجزيل والمنافع الدائمة والتعظيم من الله والملائكة وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ يستر عليكم فى الدنيا
صغائركم ان فرطت منكم وَيَغْفِرْ لَكُمْ فى دار الجزاء وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ فاذا وعد بشئ وفى به احسن الايفاء ومن عظيم فضله انه يتفضل بذاته
من غير واسطة وبدون التماس عوض وكل متفضل سواه فانه لا يتفضل الا بعد ان يخلق الله فيه داعية التفضل وبعد ان يمكن المتفضل عليه
من الانتفاع بذلك وبعد ان يكون قد تصور فيه ثوابا او ثناء او حمله على ذلك رقة طبع او عصبية او لا فلا فضل فى الحقيقة الا لله سبحانه
فلهذا وصفه بالعظم ثم لما ذكر المؤمنين نعمه عليهم بقوله وَاذْكُرُوا اِذْ اَنْتُمْ قَلِيلٌ ذكر رسوله نعمته عليه وذلك دفع كيد المشركين عنه حين كان
بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم وفيما اتاح له من حسن العاقبة والعز واذكر وقت مكرهم فان ابن عباس ومجاهدا وقتادة وغيرهم من المفسرين
ان قريشا اجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت
مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحا فقالوا ادخل هذا من نجد لا بأس عليكم به فقال ابو البخترى من بنى عبد الدار
رأيى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس
الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع
واسترحتم فقال بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه
ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق
هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على رأى ابى جهل مجمعين على قتله فاخبر جبرائيل رسول الله وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن الله فى الهجرة فامر
عليا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا
عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم ومعنى ليثبتوك قال ابن عباس ليوثقوك ويسجنوك لانه لا يقدر على الحركة
وهو اشارة الى رأى البخترى وقوله او يقتلوك اشارة الى رأى ابى جهل وقوله او يخرجوك من مكة اشارة الى رأى هشام وانكر القاضى حديث
ابليس فى القصة وتصويره نفسه بصورة الانس قال لان ذلك التغيير ان كان من فعل ابليس فذلك لا يليق بحكمة الله تعالى لانه لا اقدار لابليس
على تغيير صورة نفسه اعانة له على الاغواء والتلبيس هذا ما حكى عن القاضى ويتفق عليه ان هذا الاعتراض وارد على خالق ابليس نفسه و
على خلق سائر اسباب الشرور والاثام وقد اجبنا عن امثال ذلك مرارا فقد عرفت تفسير المكر فى سورة آل عمران والحاصل انهم احتالوا فى ابطال امر
محمد والله نصره وقواه فضاع فعلهم وظهر صنع الله فكيف قال والله خير الماكرين واجيب بان المراد انه اقوى الماكرين او المراد انه لو قدر
فى مكرهم خير لكان الخير فى مكره اكثر او المراد انه فى نفسه خير لنا وبل ان شر من دب فى الوجود هم الصم عن استماع كلام الحق بسمع القلب والقبول البكم
عن كلام الحق والكلام مع الحق والاصم لا بد ان يكون ابكم فلذلك خصا بالذكر الذين لا يعقلون لانهم لما خلقوا فلاجرم تزول حالهم من ان
يكونوا احرى البرية الى ان يكونوا شر الدواب استجيبوا لله انه تعالى يطلب المحبة من العبد الاجابة كما يطلب العبد الحاجة منه الاجابة فالاستجابة لله
اجابة الارواح للشهود واجابة القلوب للشواهد واجابة الاسرار للمشاهدة واجابة الخفى للفناء فى الله والاستجابة للرسول بالمتابعة لما يحييكم
بالفناء عنكم والبقاء به واتقوا ايها الواصلون فتنة ابتلاء النفوس بحظوظها الدنيوية والاخروية لا تصيب النفوس الظالمة فقط بل تصيب الظلمة
الارواح النورانية والقلوب الربانية فتجتذبها من حظائر القدس ورياض الانس الى حضائض صفات الانس واعلموا ان الله شديد العقاب
يعاقب الواصلين بالانقطاع والاستدراج عند الالتفات الى ما سواه واذكروا اذ انتم ايها الارواح والقلوب قليل لم ينشأ بعد لكم الصفات
والاخلاق الروحانية مستضعفون من غلبات صفات النفس لاعواز التربية بالبان اداب الطريقة ولانعدام جريان احكام الشريعة
عليهم الى اوان البلوغ تخافون ان تسلبكم النفوس وصفاتها والشيطان واعوانه فآواكم الى حظائر القدس وايدكم بالواردات
الربانية ورزقكم من المواهب الظاهرة من لوائح الحدوث يا ايها الذين آمنوا يعنى الارواح والقلوب المتنورة بنور الايمان المستسعدة
بسعادات العرفان لا تخونوا الله فيما آتيكم من المواهب بجعلها شبكة لاصطياد الدنيا ولا تخونوا الرسول بترك السنة والقيام
بالبدعة وتخونوا اماناتكم التى هى محبة الله وخيانتها تبديلها بمحبة المخلوقات وانتم تعلمون انكم تبيعون الدين بالدنيا والمولى

ذكر وام

بفعل الله فهو اعانة الكفار على المكر وان كان منهم

بالاولى فتنة يخبر كم الله بها التميز الموافق والصديق من الزنديق من المنافق يا ايها الذين امنوا بهذه المقامات والكرامات ان تتقوا الله من غير الله يجعل لكم فرقانا يفيض عليكم من سبحات جماله وجلاله القديم ما تفرقون به بين الحدوث والقدم ويكفر عنكم سيئات وجودكم الفاني ويغفر لكم بستركم بانوار جماله وجلاله والله ذو الفضل العظيم وهو البقاء بالله بعد الفناء فيه ليثبتوك ايها الروح في اسفل سافلين الطبيعة او يقتلوك بانعدام اثارك او يخرجوك من عالم الارواح والله خير الماكرين يصلح حال اهل الصلاح البتة

وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيٰتُنَا قَالُوْا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هٰذَآ اِنْ هٰذَآ اِلَّآ اَسَاطِيْرُ الْاَوَّلِيْنَ ۝ وَاِذْ قَالُوا اللّٰهُمَّ

وچون خوانده شود بر ایشان آیات ما گویند که شنیدیم ما اگر بخواهیم هر آینه بگوئیم مانند این نباشد این مگر افسانهای پیشینیان ۝ وچون گفتند خداوندا

اِنْ كَانَ هٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَاَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ اَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ اَلِيْمٍ ۝ وَمَا كَانَ اللّٰهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

اگر هست این او حق از نزد تو پس بباران بر ما سنگ از آسمان یا بیاور بما عذابی دردناک ۝ ونباشد خدا که عذاب کند ایشانرا

وَاَنْتَ فِيْهِمْ وَمَا كَانَ اللّٰهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَ ۝ وَمَا لَهُمْ اَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّٰهُ وَهُمْ يَصُدُّوْنَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وحال آنکه تو در میان ایشانی ونباشد خدا عذاب کننده ایشانرا وایشان استغفار کنند ۝ وچیست ایشانرا که عذاب نکند خدا ایشانرا وایشان باز میدارند از مسجد الحرام

وَمَا كَانُوْٓا اَوْلِيَآءَهٗ اِنْ اَوْلِيَآؤُهٗٓ اِلَّا الْمُتَّقُوْنَ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ ۝ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ اِلَّا مُكَآءً وَّتَصْدِيَةً

ونباشند دوستان او نیست دوستان او مگر پرهیزگاران ولیکن بیشتر ایشان نمیدانند ۝ ونباشد نماز ایشان در نزد خانه مگر شکوه زدن ودست بر هم زدن

فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ ۝ اِنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا يُنْفِقُوْنَ اَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوْا عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ فَسَيُنْفِقُوْنَهَا

پس بچشید عذاب را بآنچه بودید که کافر میشدید ۝ بدرستیکه آنانکه کافر شدند خرج میکنند مالهای خود را تا باز دارند از راه خدا پس خرج کنند آنرا

ثُمَّ تَكُوْنُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُوْنَ ۝ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِلٰى جَهَنَّمَ يُحْشَرُوْنَ ۝ لِيَمِيْزَ اللّٰهُ الْخَبِيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَ

پس باشد بر ایشان پشیمانی پس مغلوب شوند ۝ وآنانکه کافر شدند بسوی جهنم گرد آورده شوند ۝ تا جدا کند خدا پلید را از پاک و

يَجْعَلَ الْخَبِيْثَ بَعْضَهٗ عَلٰى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهٗ جَمِيْعًا فَيَجْعَلَهٗ فِيْ جَهَنَّمَ اُولٰٓئِكَ هُمُ الْخٰسِرُوْنَ ۝ قُلْ لِّلَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا

قرار دهد پلید را بعض او را بر بعضی پس برو روی هم نهد او را همه پس بیفکند او را در جهنم آن گروه ایشانند زیانکاران ۝ بگو مر آنانرا که کافر شدند

ع ١١

اِنْ يَّنْتَهُوْا يُغْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ وَاِنْ يَّعُوْدُوْا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْاَوَّلِيْنَ ۝ وَقَاتِلُوْهُمْ حَتّٰى لَا تَكُوْنَ

اگر باز ایستند آمرزیده شود ایشانرا آنچه گذشت واگر باز گردند پس بتحقیق گذشت طریقه پیشینیان ۝ وکارزار کنید با ایشان تا نباشد

فِتْنَةٌ وَّيَكُوْنَ الدِّيْنُ كُلُّهٗ لِلّٰهِ فَاِنِ انْتَهَوْا فَاِنَّ اللّٰهَ بِمَا يَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ ۝ وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوْٓا اَنَّ اللّٰهَ مَوْلٰىكُمْ نِعْمَ الْمَوْلٰى وَنِعْمَ

فتنه وباشد دین همه آن برای خدا پس اگر باز ایستند پس بدرستیکه خدا بآنچه میکنند بیناست ۝ واگر بر گردند پس بدانید که خدا دوستدار شماست نیکو دوستدار است و

الْنَّصِيْرُ

القراءة بما تعملون بصير بالتاء الخطاب يعقوب لوتوف مثل هذا لا لان الابتداء بان هذا اساطير الاولين قبيح الاولين اليم وانت فيهم ط يستغفرون ٥ وما كانوا اولياءه ط لا يعلمون وتصدية ط تكفرون ٥ عن سبيل الله ط يغلبون ٥ لان ما بعده مبتداء يحشرون ٥ لتعلق اللام في جهنم ط الخاسرون ٥ سلف ج لابتداء الشرط مع العطف الاولين كله لله ج بصير مولاكم ط النصير الجزء العاشر التفسير لما حكى مكرهم في ذات محمد صلى الله عليه وآله حكى مكرهم في دينه روى ان النضر بن الحرث خرج الى الحيرة تاجرا واشترى احاديث كليلة ودمنة وقصة رستم واسفنديار وكان يقعد مع المستهزئين والمقتسمين فيقرا عليهم ويقول هذا مثل ما يذكره محمد من قصص الاولين ولو شئت لقلت مثل قوله وهذا منه ومن امثاله صلف تحت الراعدة لانهم لم يتوانوا في مشيتهم لو ساعدتهم الاستطاعة ويروى عن النضر وعن ابي جهل على ما في الصحيحين ان احدهما قال ما معناه اللهم ان كان هذا هو الحق الاية وهذا اسلوب من العناد بليغ لان قوله هو الحق بالفصل وتعريف الخبر تهكم لمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق ومعنى حجارة من السماء الحجارة المسومة للعذاب اي ان كان القران هو المخصوص بالحقية فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بنوع اخر من جنس العذاب الاليم ومراده نفي كونه حقا فلذلك علق بحقيته العذاب كما لو علق بامر محال فهو كقول القائل ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وعن معوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له ثم شرع في الجواب عن شبهتهم فقال وما كان الله ليعذبهم اللام لتاكيد النفي دلالة على ان تعذيبهم بعذاب الاستيصال والنبي بين اظهرهم غير مستقيم عادة تعظيما لشان النبي وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون قال قتادة والسدي المراد نفي الاستغفار عنهم اي لو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم وقيل اللفظ عام الا ان المراد بعضهم وهم الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين المؤمنين فهو كقولك قتل اهل فلان وانما قتله واحد منهم او اثنان وقيل وصفوا بصفة اولادهم والمعنى وما كان الله معذب هؤلاء الكفار وفي علم الله انه يكون لهم اولاد يؤمنون بالله ويستغفرونه وفي علم الله ان فيهم من يؤول امره الى الايمان كحكيم بن حزام والحرث بن هشام وعدد كثير ممن امن يوم الفتح وقبله وبعده وفي الاية دلالة على ان الاستغفار امان وسلامة من العذاب قال ابن عباس كان فيهم امانان نبي الله



والاستغفار اما النبي فقد مضى واما الاستغفار فهو باق الى يوم القيمة ثم بين انه يعذبهم اذا خرج الرسول من بينهم فقال وما لهم الا يعذبهم الله واى
شئ لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لاحظ لهم في ذلك وهم معذبون لا محالة ثم الحقهم هذا العذاب الموعود به يوم بدر وقيل يوم فتح مكة بدليل
قوله وهم يصدون اي كيف لا يعذبون وحالهم انهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية والاولون قالوا ان اخراجهم
رسول الله صلعم والمؤمنين من الصد وعن ابن عباس هذا العذاب عذاب الآخرة والذي نفاه عنهم هو عذاب الدنيا وكانوا يقولون نحن ولاة البيت
والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فنفى الله استحقاقهم الولاية بقوله وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون من المسلمين ليس كل مسلم يصلح لذلك فضلا
عن مشرك ولكن اكثرهم لا يعلمون كان فيهم من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم ثم ذكر بعض اسباب
سلب الولاية عنهم فقال وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية المكاء فعال كالثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر والتصدية التصفيق
تفعلة من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل فيكون في الاصل مثل التكرار او من صد يصد مضاعفا اي صاح فقلبت الدال الاخيرة
ياء كالتقضي في التقضض وانكر هذا الاشتقاق بعضهم وصوبه الازهري وابو عبيدة قال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن
المكاء والتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقيل هو ان يجعل بعض اصابع اليمين وبعض اصابع الشمال في الفم ثم يصفر به وقيل تسويت تشبه صوت
المكاء بالتشديد وهو طائر معروف عن ابن عمر كانوا يطوفون بالبيت عراة فهم مشبكون بين اصابعهم فيها يصفرون ويصفقون فالمكاء والتصدية
على هذا نوع عبادة لهم فلهذا وضعا موضع الصلوة بناء على معتقدهم وفيه ان من كان المكاء والتصدية صلوته فلا صلوة له كقول العرب
ما لفلان عيب الا السخاء اي من كان السخاء عيبه فلا عيب له وقال مجاهد ومقاتل كانوا يعارضون النبي صلعم في الطواف والصلوة عند
المسجد الحرام يستهزؤن به ويخلطون عليه فجعل المكاء والتصدية صلوة لهم كقولك زرت الامير فجعل جفائي صلتي اي اقام الجفاء
مقام الصلة ثم خاطبهم على سبيل المجازاة بقوله فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر يوم بدر او عذاب الآخرة بما كنتم تكفرون بسبب
كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ولما شرح احوال هؤلاء الكفار في الطاعات البدنية اتبعها شرح احوالهم في الطاعات المالية
فقال ان الذين كفروا ينفقون اموالهم الآية قال مقاتل والكلبي نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ونبيه ومنبه ابنا حجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحرث وحكيم بن حزام وابي بن خلف وزمعة بن
اسود والحرث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب كلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال سعيد بن جبير وابن
ابزى نزلت في ابي سفيان بن حرب استاجر يوم احد الفين من الاحابيش والاحبوش جماعة من الناس ليسوا من قبيلة واحدة وانفق عليهم
اربعين اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا قاله في الكشاف وقال محمد بن اسحق عن رجاله لما اصيبت قريش يوم بدر فرجع فلهم الى مكة و
رجع ابو سفيان بعيره مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وسفيان بن امية في رجال من قريش اصيب منهم اباؤهم وابناؤهم
واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن امية مع رجال من قريش اصيب اباؤهم وابناؤهم واخوانهم ببدر فكلموا ابا سفيان بن حرب ومن كان
له في تلك العير تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا بهذا المال الذي افلت على حربه لعلنا ان ندرك
منه ثارا لمن اصيب منا فانزل الله تعالى الآية ومعنى ليصدوا عن سبيل الله ان غرضهم في الانفاق كان هو الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله
وان لم تكن عندهم كذلك ثم اخبر عن الغيب على وجه الاعجاز فقال فسينفقونها اي سيقع منهم هذا الانفاق ثم تكون عاقبة انفاقها ندما
وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة ثم يغلبون آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ومعنى ثم في الجملتين اما التراخي في الزمان لما بين الانفاق المذكور وبين ظهور دولة الاسلام من الامتداد واما التراخي في
الرتبة لما بين بذل المال وعدم حصول المقصود من المباينة ثم قال والذين كفروا اي الكافرون منهم ولم يقل ثم يغلبون والى جهنم يحشرون
لان منهم من اسلم وحسن اسلامه فذكر ان الذين بقوا على الكفر لا يكون حشرهم الا الى جهنم دون من اسلم منهم ثم بين الغاية والغرض
فيما يفعل بهم من الغلبة ثم الحشر الى جهنم فقال ليميز الله الخبيث اي الفريق الخبيث من الكفار من الفريق الطيب هم المؤمنون ويجعل
الفريق الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا عبارة عن الجمع والضم وفرط الازدحام يقال ركم الشيء يركمه اذا جمعه والقى بعضه على بعض
اولئك الفريق الخبيث هم الخاسرون وقيل الخبيث والطيب صفة المال اي ليميز المال الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة
رسول الله صلعم والمؤمنين من المال الطيب الذي انفقه المهاجرون والانصار في نصرته فيركمه فيضم تلك الاموال الخبيثة بعضها الى بعض
فيلقيه في جهنم ويعذبهم بها كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم على هذا فاللام في قوله ليميز الله يتعلق بقوله ثم تكون عليهم حسرة قاله
في الكشاف ولا يبعد عندي ان يتعلق بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا ولما بين ضلالهم في عباداتهم البدنية والمالية ار
ارشدهم الى الطريق المستقيم وما يتبعه من الصلاح فقال قل للذين كفروا اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة
الرسول وقتاله بالدخول في السلم والاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصي ولو كان المراد خاطبهم بهذا القول لقيل ان تنتهوا
يغفر لكم وقد قرأ بذلك ابن مسعود وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر او سنة الذين تحزبوا

ان اولياؤه



على انبيائهم من الامم فاهلكوا او غلبوا كقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي واستدل كثير من العلماء منهم اصحاب ابي حنيفة بالاية على ان الكفار ليسوا مخاطبين بفروع الاسلام لان الخطاب مع الكفر باطل بالاجماع وبعد زواله لا يؤمر بقضاء العبادات الفائتة بل ذهب ابو حنيفة الى ان المرتد اذا اسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالعود الى الردة واختلفوا في ان الزنديق تقبل توبته ام لا والصحيح انها مقبولة لشمول الاية جميع الكفار لقوله صلى الله عليه وسلم نحن نحكم بالظاهر ولانه يكلف بالرجوع ولا طريق له الا التوبة فلو لم تقبل لزم تكليف ما لا يطاق ثم امر بقتالهم ان اصروا على الكفر فقال وقاتلوهم الاية وقد مر تفسيره في سورة البقرة الا انه زاد ههنا لفظة كله في قوله ويكون الدين كله لله لان القتال ههنا مع جميع الكفار وهناك كان مع اهل مكة فحسب فان انتهوا عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير فيثيبهم على توبتهم واسلامهم ومن قرأ بتاء الخطاب اراد فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه بصير يجازيكم احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا ان الله مولاكم ناصركم ومتولي اموركم يحفظكم ويدفع شر الكفار عنكم فانه نعم المولى ونعم النصير فثقوا بولايته ونصرته التاويل قالوا قد سمعنا وما سمعوا في الحقيقة والا لم يقولوا لو نشاء لقلنا فان كلام المخلوق لن يكون مثل كلام الله ثم انظر كيف استخرج الله منهم عقيب دعويهم لقلنا مثل هذا قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر ليعلم ان من هذا حاله كيف يكون مثل القران مقاله ولو كان لهم عقل لقالوا ان كان هذا حقا فاهدنا له ومتعنا بانواره واسراره وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه رحمة للعالمين والرحمة تنافي العذاب ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم يعني اكثر المتقين لا يعلمون انهم اولياؤه لان الولي قد لا يعرف انه ولي ان الذين كفروا ينفقون كذلك داب كفار النفوس ينفقون اموال الاستعداد الفطري في غير طلب الله وانما تصرفها في استيفاء اللذات والشهوات فستندم حين لا ينفع الندم ثم يغلبون لا يظفرون بمشتهيات النفس كلها ولا جلها والذين كفروا من الارواح والقلوب التابعة للنفوس الى جهنم البعد والقطيعة يحشرون ليميز الله الارواح والقلوب الخبيثة من الطيبة التي لا تركن الى الدنيا ولا يخدع بانخداع النفوس فيركمه جميعا فيجعل الارواح الخبيثة فوق النفوس الخبيثة فتلقى الجميع في جهنم القطيعة قل للذين كفروا من الارواح والقلوب اي ستروا النور الروحاني بظلمات صفات النفس ان ينتهوا عن اتباع الهوى يغفر لهم ستر تلك الظلمات بنور الفرقان والرشاد وقاتلوا كفار النفوس حتى لا يكون فتنة مانعة عن الوصول ويكون الدين كله لله ببذل الوجود وفقد الموجود لنيل الوجود وكرامة الشهود والله تعالى اعلم

ع وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ

و بدانید که بدرستی که آنچه غنیمت گرفتید از چیزی پس بدرستی که مر خدا راست پنج یک آن و از برای پیغمبر و از برای صاحبان خویشی و یتیمان و فقیران و راه گذریان اگر

كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا

بوده که گرویده اید بخدا و آنچه فرستادیم بر بنده خود در روز جدائی روزیکه بهم رسیدند دو طائفه و خدا بر هر چیزی تواناست وقتی که شما بکناره نزدیکتر

وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا

و ایشان بکناره دورتر بودند و کاروان زیرتر از شما و اگر وعده کرده بودید هر آینه اختلاف کردید در وعده و لیکن تا بگذارد خدا فرمانی را که ساخته بود

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا

تا گمراه شود آنکه گمراه شود از گواه و زنده ماند آنکه زنده شود از حجت و بدرستی که خدا هر آینه شنونده داناست چون نمود ایشان را خدا بتو در خواب تو کم

وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ

و اگر نمودی ایشان را بتو بسیار هر آینه جبان شدید و خلاف کردید در کار و لیکن خدا سلامت داد بدرستی که او داناست بآنچه در سینه هاست و چون بنمود ایشان را

ع إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

هنگامیکه بهم رسیدید در نظرهای شما کم و کم نمود شما را در نظرهای ایشان تا بگذارد خدا کاری را که کرده شده و بسوی خداست گردانیده کارها ای زمره آنانی که

آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا

گرویده اید چون دیدید گروهی را پس ثابت باشید و یاد کنید خدا را بسیار شاید که رستگار شوید و فرمان برید خدا و پیغمبر او را و خصومت مکنید

فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ

پس بددل شوید و برود صولت شما و صبر کنید بدرستی که خدا با صبر کنندگانست و نباشید چون کسانی که بیرون رفتند از منزلهای خود بنخوت و نمودن

النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ

بمردم و باز دارند از راه خدا و خدا بآنچه میکنند احاطه کرده و چون آراست از برای ایشان شیطان کردارهای ایشان را و گفت که غالب نیست

لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا

بر شما امروز از مردمان و من یاوریم از برای شما پس چون برابر شدند دو گروه برگشت بر پاشنه خود و گفت من بیزارم از شما که من میبینم چیزی را

ع تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ وَمَنْ

که نمی بینید بدرستی که من میترسم خدا را و خدا سخت عقوبت است چون گفتند منافقان و آنانکه در دل ایشان ناخوشی بود فریب داد اینها را دین اینها



يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ القراءة بالعدوة بالكسر في الحرفين ابن كثير وابو عمرو ويعقوب الباقون بالضم من حيّ بيائين ابو جعفر و
متوکل کرد بر خدا پس بدرستیکہ خدا غالب دانا ست نافع وخلف وسهل ويعقوب والبزي ونصير وابو بكر وحماد الباقون بالادغام ولا تنازعوا بالادغام
البزي وابن فليح ولتذهب بالجزم للجزاء عن هبيرة واذ زين وبابه مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة في رواية خلاد وابن سعدان وابي عمر وهشام انّي اري
انّي اخاف بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو تراءت الفئتان بالامالة نصير لو توف وابن السبيل ط لتعلق حرف الشرط بمحذوف يدل
عليه ما قبلها تقديره واعلموا واعتقدوا هذه الاقسام ان كنتم الجمعان ط قد يتسفل منكم ط في الميعاد لا لعطف لكن مفعولا لا لتعلق اللام من حيّ عن
بيّنة ط عليهم لا لتعلق اذ قليلا ط منكم ط الصدور ومفعولا ط الامور تفلحون للآية والعطف واصبروا ط الصابرين ج لا ذكر عن سبيل الله ط محيط جار
لكم ط اخاف الله ط العقاب دينهم ط حكيم. التفسير لما امر سبحانه بالقتال في قوله وقاتلوهم والمقاتلة مظنة حصول الغنيمة اعاد حكم الغنيمة ببيان
اوفى واشفى فقال وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ الذي فيئتم به من اموال الكفرة قهرا وقوله من شيءٍ بيان ما اي من كل ما يقع عليه اسم الشيء حتى المخيط و
الخياط وقوله فان لله بالفتح مبتدأ محذوف الخبر وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر قال في الكشاف والمشهور اكد واثبت للايجاب كانه
قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به لانه اذا احذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم كان
اقوى لايجابه من النص على واحد عن الكلبي ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد بدر بشهر وثلثة ايام
للنصف من شوال على عشرين شهرا من الهجرة واعلم ان الآية تقتضي اخذ الخمس من الغنائم واختلفوا في كيفية قسمة تلك الخمس على اقوال اشهرها
ان ذلك الخمس يخمس حتى يكون مجموع الغنيمة مقسوما بخمسة وعشرين قسما عشرون للغانمين بالاتفاق لانهم كسبوها كالاحتطاب والاصطياد
واما الخمسة الباقية فواحد منها وكان لرسول الله يصرف الآن الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كسد الثغور وعمارة الحصون والقناطر
والمساجد وارزاق القضاة والائمة الاهم فالاهم وواحد لذوي القربى يعني اقارب رسول الله من اولاد هاشم والمطلب ابني عبد مناف
دون عبد شمس ونوفل وهما ابنا عبد مناف ايضا لما روي عن عثمان بن عفان وجبير بن مطعم وكان عثمان من بني عبد شمس وجبير من بني
نوفل انهما قالا لرسول الله هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم
دوننا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين
اصابعه ويستوي في هذا السهم غنيهم وفقيرهم الا ان الذكر مثل حظ الانثيين وثلثة اخماس الخمس الباقيات لليتامى والمساكين وابن السبيل
هذا عند الامامين ابي حنيفة والشافعي الا ان ابا حنيفة قال ان سهم رسول الله ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون
لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء فعلى مذهب الامامين معنى قوله سبحانه فَأَنَّ لِلّٰهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ فان لرسول الله خمسه كقوله والله
ورسوله احق ان يرضوه وعن ابي العالية ايجاب سهم آخر لله وانه يقسم الخمس على ستة اسهم والذاهبون الى هذا القول اختلفوا فقيل
ان ذلك السهم لبيت المال وقيل يصرف الى مصالح الكعبة لما روي انه كان ياخذ الخمس فيصرف بيده فيما اخذ منه قبضة فيجعلها
للكعبة فهو سهم الله وعن ابن عباس انه كان يقسم على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى ابو بكر الخمس على ثلثة وهم
اليتامى والمساكين وابن السبيل وكذا روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي ان ابا بكر منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى
فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غني لا يعطى هو ولا يتيم موسر من الصدقة شيئا وروي
عن زيد بن علي انه قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة لما روي عن علي انه قيل له ان الله
تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الامر من بعده وعند مالك بن انس الامر
مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين الاصناف الخمسة عند الشافعي وان راى اعطى بعضهم دون بعض وان راى غيرهم اولى واهم
فذلك فعلم هذا يكون معنى قوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به الى الله لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة
تفضيلا لها على غيرها كقوله وَمَلٰئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ وحاصل الآية ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل على عبدنا فاعلموا
علما يتضمن العمل والطاعة ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه اطماعكم واقنعوا بالاخماس الاربعة ويوم الفرقان يوم بدر لانه
فرق فيه بين اهل الحق واهل الباطل والجمعان فريقا ما والذي نزل عليه يومئذ الآيات والملائكة والنصر والتأييد وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على نصر القليل على الكثير اذ ما بدل من يوم الفرقان العدوة بالكسر والضم شط الوادي اي جانبه وحافته وقال ابو
عمرو هي المكان المرتفع والدنيا تانيث الادنى يعني الجانب الذي يلي المدينة وقلب الواو ياء فيه على القياس لان فعلى من بنات الواو
يقلب ياء كالعليا واما القصوى تانيث الاقصى فانه كالقود في مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا ايضا قليلا والعدوة القصوى مما يلي مكة والركب
يعني الاربعين الذين كانوا يقودون العير اسفل منكم بالساحل وهو نصب على الظرف مرفوع المحل خبر للمبتدأ اي مكانا اسفل من مكانكم
والفائدة في ذكر مراكز الفرق الثلث تصوير وقعة بدر وما دبر الله سبحانه فيها من عجيب صنعه وكمال قدرته وتصوير حقيقة كان ما كان وذلك ان
العدوة القصوى التي اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها واما العدوة الدنيا فرخوة رخوة تسوخ فيها الاقدام

ولا ماء بها وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وحميتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحروب
بعيالهم واثقالهم ليبعثهم الذب عن الحرم على بذل مجهودهم حيث لم يتركوا وراءهم ما يحدثون انفسهم بالانحياز اليه ولو تواعدتم انتم واهل
مكة على موضع تلتقون فيه لاختلفتم في الميعاد فبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم ما في قلوبهم من هيبة الرسول والمسلمين
فلم يتفق لكم من التلاقي ما تيسر بتوفيق الله وتسبيبه ولكن ليقضي الله اي ليظهر امرا كان مفعولا مقدرا وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه
دبر ذلك وقوله ليهلك بدل من ليقضي بدل الخاص من العام واستعير الهلاك والحيوة للكفر والاسلام وذلك ان وقعة بدر كان فيها من
الايات والمعجزات ما الكافر بعدها كالمكابر لنفسه فكفره صادر عن وضوح بينة اي لا شك في كفره وعناده كما لم يبق شك المسلمين في
حقية دين الاسلام وفي قوله ليقضي ليهلك دلالة على ان افعاله تعالى مستتبعة للحكم والمقاصد والغايات خلاف ما عليه ظاهر مذهب
الاشاعرة وان الله لسميع الدعاء عليم بنياتكم اذ يريكهم منصوب باذكر او بدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اي يعلم اذ يريكهم في منامك
اي في رؤياك قليلا اراهم اياه في رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه وكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وقيل في منامك اي في عينك في اليقظة
لان العين موضع النوم وفيه تكلف ولو اراكهم كثيرا على ما هم عليه لفشلتم والفشل الجبن والخور ولتنازعتم في الامر امر الحرب والاقدام ولكن الله
سلم عصم من الفشل والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيحدث فيها من مواجب الاقدام والاحجام واذ يريكموهم يبصركم اياهم اذ التقيتم
في اعينكم قليلا نصب على الحال لان الرؤية رؤية العين لا القلب وقد استوفت الاراءة مفعوليه فلم يتعد الى ثالث ويقللكم في اعينهم الحكمة
في تقليل الكفار في اعين المؤمنين ظاهرة مع ان في ذلك تصديقا لرؤيا النبي واما في تقليل المؤمنين في اعينهم فالحكمة في ذلك ان
يجترئ الكفار عليهم قلة مبالاة بهم وان لا يستعدوا لهم كما ينبغي ليقضي الله امرا كان مفعولا فعل ما فعل من التقليل والى الله ترجع الامور فيه
ان احوال الدنيا غير مقصودة لذواتها وانما المراد منها ما يصلح ان يكون زادا للمعاد ثم علم المؤمنين اداب اللقاء في الحروب فقال اذا لقيتم
فئة فاثبتوا في القتال لهم ولا تفروا واللقاء اسم قد غلب في القتال فلهذا ترك وصف الفئة بالمحاربين ونحو ذلك والامر بالثبات في القتال لا ينافي
الرخصة في التحرف والتحيز ولعل الثبات في الحرب لا يحصل الا بهما واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب لعلكم تفلحون تظفرون بمرادكم من
النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان العبد لا يجوز ان يفتر عن ذكر ربه في اي شغل وعمل كان ولو ان رجلا اقبل من المغرب الى المشرق
منفقا امواله لله والاخر من المشرق الى المغرب ضاربا بسيفه في سبيل الله كان الذاكر لله اعظم اجرا وقيل المراد من هذا الذكر ان يدعو على
العدو اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم ونحو ذلك والاولى حمله على العموم واطيعوا الله ورسوله في سائر ما يامر به لان الجهاد لا ينفع الا مع التمسك
بسائر الطاعات ولا تنازعوا فتفشلوا منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله في حكم النهي ويظهر الفرق في قوله وتذهب ريحكم على
قراءتين والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيته على وفق المشيئة بالريح وهبوبها هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة
ونفذ امره وقيل الريح حقيقة ولم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا حذرهم التنازع واختلاف الراي نحو ما
وقع لهم باحد بمخالفتهم رسول الله احتج نفاة القياس بالاية لان القول به يفضي غالبا الى التنازع المنهي عنه وكذا القائلون بان النص لا
يجوز تخصيصه بالقياس قال اهل السير ان اهل مكة حين نفروا لحماية العير اتاهم رسول ابي سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت
عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور تعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها فسقوا كؤوس
المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله المؤمنين ان يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم كاطعام الطعام ونحوه
فقال ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم الاية وصفهم باوصاف ثلاثة اولها البطر وهو الطغيان في نعمة ويقال ايضا شدة المرح و
التحقيق ان النعم اذا كثرت من الله على العبد فان صرفها الى مرضاته وعرف حق الله فيها فذاك هو الشكر وان توسل بها الى المفاخرة على
الاقران والمكاثرة على ابناء الزمان فذاك هو البطر وثانيها رئاء الناس وهو القصد الى اظهار الجميل مع قبح النية فساد الطوية او هو اظهار
الجميل مع قبح النية وفساد الطوية او هو اظهار الطاعة مع ابطان المعصية كما ان النفاق اظهار الايمان مع ابطان الكفر وثالثها قوله ويصدون
عن سبيل الله اي يمنعون عن قبول دين محمد ﷺ قال الواحدي معناه وصدا عن سبيل الله ليكون عطفا للاسم على الاسم او يكون الكل احوالا
على تاويل مرائين صادين او بطرين مرائين ويصدون واعترض عليه في التفسير الكبير بانه تارة يقيم الاسم مقام الفعل والاخرى بالعكس
ليصح كون الكلمة معطوفا على جنسها وكان من الواجب عليه ان يذكر السبب الذي لاجله عبر عن الاولين بالمصدر وعن الثالث بالفعل ثم
ذكر السبب فقال ان ابا جهل ورهطه كانوا مجبولين على البطر والرئاء فذكرا بلفظ الاسم تنبيها على اصالتهم فيهما واما الصد فانما حصل في
زمان ادعاء محمد النبوة فذكر بلفظ الفعل الدال على التجدد قلت لو جعلنا قوله ويصدون عطفا على صلة الذين لم يحتج الى هذه التكلفات
التي اخترعها الامام والله بما تعملون محيط فيه زجر عن التصنع والافتخار ويعلم منه ان المعصية مع الانكسار اقرب الى الخلاص من الطاعة
مع الاستكبار واذ زين اي واذكر اذ زين وهو معطوف على ما قبله من النعم واقرب بها قوله واذ يريكموهم وفي هذا التزيين وجهان احدهما ان الشيطان زين
بوسوسته من غير ان يتمثل بصورة انسان وهو قول الحسن والاصم وفي الكشاف زين لهم الشيطان اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول

اذ يريكهم

بطرين

معناه اذكر اذ زين

الله و وسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان
وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وثانيهما انه ظهر فى صورة انسان وذلك ان المشركين حين ارادوا المسير الى بدر ذكروا التى بينهم
وبين بنى كنانة من الحرب فلم يأمنوا ان يأتوهم من ورائهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من اشرافهم
فى جند من الشيطان معه راية وقال لا غالب لكم اليوم من الناس اى لا غالب كائن لكم ولو كان لكم مفعولا بمعنى لا غالب الا اياكم لانتصب
كما يقال لا ضاربا زيدا هنا وانى جار لكم اى مجيركم من بنى كنانة ومن كل عدو بفرض من البشر ومعنى الجار ههنا الدافع عن صاحبه انواع الضرر كما
يدفع الجار عن الجار فلما تراءت الفئتان اى التقى الجمعان بحيث رأت كل واحدة الاخرى نكص على عقبيه رجع القهقرى والنكوص الاحجام عن الشىء اى
رجع وقال انى برىء منكم قيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا
ترون الملائكة ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم
حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفى الحديث ما رأى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة
الا ما رأى يوم بدر واما قوله انى اخاف الله فقد قيل انه لما رأى جبريل خافه وقيل لما رأى الملائكة ينزلون من السماء خافهم لانه ظن ان الوقت
التى انظر اليه قد حضر قال قتادة صدق فى قوله انى ارى ما لا ترون وكذب لعنه الله فى قوله انى اخاف الله وقوله والله شديد العقاب
يجوز ان يكون من بقية حكاية كلام ابليس ويجوز ان يكون اعتراضا وظرفا اذ يقول او لا ظرف له واذ يقول منتصب باذكر على انه كلام مبتدأ
منقطع عما قبله ولهذا فقد العاطف والمنافقون قوم من الاوس والخزرج بالمدينة والذين فى قلوبهم مرض يجوز ان يكون من صفة المنافقين
وان يراد قوم من قريش اسلموا وما قوى الاسلام فى قلوبهم ولم يهاجروا ثم ان قريشا لما خرجوا الى رسول الله صلعم قال اولئك نخرج مع قومنا فان
كان محمد فى كثرة خرجنا اليه وان كان فى قلة اقمنا فى قومنا قال محمد بن اسحق ثم قتلوا جميعا مع المشركين ببدر يوم غر هؤلاء دينهم قال ابن
عباس معناه انه خرج ثلثمائة وثلاثة عشر الى زهاء الف وما ذلك الا لانهم اعتمدوا على دينهم وقيل المراد ان هؤلاء يسعون فى قتل انفسهم رجاء
ان يجعلوا احياء بعد الموت ثم قال جوابا لهم ومن يتوكل على الله يكل امره اليه ويثق بفضله فان الله عزيز غالب يسلط الضعيف على القوى
الكثير حكيم يوصل العذاب الى اعدائه والرحمة الى اوليائه التأويل واعلموا يا اهل الجهاد الاكبر ان ما غنمتم عند رفع الحجب من انوار المشاهدات
واسرار المكاشفات فلكم اربعة اخماسه تعيشون بها مع الله وتكتمونها عن الاغيار وتنفقونها خمسها فان لله مخلصا وللرسول متابعا ولذى
القربى يعنى الاخوان فى الله مواصلا واليتامى يعنى اهل الطلب من الذين غاب عنهم مشايخهم قبل بلوغهم الى حد الكمال والمساكين الذين
تمسكوا بايدى الارادة بذيال ارشادكم وابن السبيل يعنى الصادر والوارد من الصدق والارادة مراعيا جانب كل طائفة على حسب صدقهم
وارادتهم واستعدادهم ان كنتم وصلتم فى متابعة الرسول الى الايمان بالله عيانا وبما انزلنا على عبدنا فى سر فاوحى الى عبده ما اوحى
يوم الفرقان الذى فيه الرحمن علم القرآن يوم التقى الجمعان جمع الصفات الانسانية وجمع الاخلاق الربانية فصار محمد صلعم مع الله خلوة لا
يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل والله على كل شىء قدير فيقدر على ان يوصلكم فى متابعة رسوله الى هذا المقام وهو الفناء عن الوجود
والبقاء بالمعبود اذ انتم ايها الصادقون فى الطلب بالعدوة الدنيا نازلة وهم بالعدوة القصوى اى الارواح باقصى عالم الملكوت بارزة
والركب اسفل منكم يعنى الهياكل والقوالب اسفل سافلين الطبيعة ولو تواعدتم ايها الارواح والنفوس والاجساد لاختلفتم فى الميعاد
لما بينكم من التباين والتضاد ولكن جمعكم الله بالقدرة والحكمة ليقضى امرا كان مفعولا وهو ايصال كل شخص الى رتبته التى استعد لها
فيهلك من هلك عن بينة عن حجة ثابتة عليه ويحيى من حى عن بينة له فالاشقياء يبقون فى سجين الطبيعة ونار القطيعة واما السعداء
فارواحهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر كما قال ارجعى الى ربك ونفوسهم مع الملائكة المقربين كما قال فادخلى فى عبادى
وابدانهم فى جنات النعيم كما قال وادخلى جنتى وان الله لسميع لمن دعاه للوصول والوصال بالغدو والآصال عليم بمن يستحق لاذلال
او بتاهل الاجلال اذ يريكهم فى منامك قليلا مع كثرتهم فى الصورة ليدل على قلتهم فى المعنى لفشلتم على عادة الطبع الانسانى ولكن الله
سلم عن الخوف البشرى ويقللكم فى اعينهم لانهم نظروا اليكم بالابصار الظاهرة فلم يدركوا كثرة معناكم ومددكم بالملائكة اذا لقيتم فئة
هى النفس وهواها والشيطان واعوانه والدنيا وزينتها فاثبتوا على ما انتم عليه من اليقين والصدق والاخلاص والطلب ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم اوصافهم وتركوا الدنيا وداروا البلاد ودار العباد ليتباهوا بذلك على الاخوان والاقران واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم فظنوا انهم بلغوا مبلغ الرجال وانه لا يضرهم التصرف فى الدنيا وارتكاب بعض المنهيات بل ينفعهم فى نفى الرياء والعجب اذ هو
طريق اهل الملامة فلما تراءت الفئتان فئة الارواح والقلوب بالاوصاف الملكية والواردات الربانية حتى تغادرت النفوس لما نكص على
عقبيه هو باطله وصار محاربا للنفس كما قال انى برىء منكم انى ارى ما لا ترون لانه يرى بنظر الروحانية تجلى الانوار الربانية من
القلوب لو وقع على الشيطان من ذلك تلألؤ لاحترق ولهذا قال انى اخاف الله وفيها اشارة الى انه غير منقطع الرجاء من رحمة الله انه ارحم الراحمين
ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك

اى من نزول الرحمة

فئة النفوس و صفاتها والصدالله فئة الارواح و القلوب

بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم

بانچه پیش فرستاده دستهای شما و آنکه خدا نیست ستم کننده مر بندگانرا چون طریقه آل فرعون و آنانکه از پیش ایشان بودند کافر شدند بآیات خدا پس گرفت

الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا

ایشانرا خدا بگناهان ایشان بدرستی که خدا توانای سخت عقوبت است این بآنجهت است که خدا نیست تغییر دهنده نعمتی را که عطا کرد بر گروهی تا که تغییر دهند

ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم

آنچه در خود و آنکه خدا شنونده داناست چون خوی آل فرعون و آنانکه پیش از ایشان بودند تکذیب کردند بآیات پروردگارشان پس هلاک کردیم ایشانرا

بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون

بگناهانشان و غرق کردیم آل فرعون را و همه بودند ستمکاران بدرستی که بدترین جنبندگان در نزد خدا آنانند که کافر شدند پس ایشان ایمان نمی آورند

الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم

آنان که پیمان گرفتی از ایشان پس میشکنند پیمان خود را در هر مرتبه و ایشان پرهیز نمیکنند پس اگر یابی ایشانرا در کارزار پس پریشان ساز بایشان آنانرا که در عقب ایشانند

ع لعلهم يذكرون وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ولا يحسبن الذين

شاید که پند گیرند و اگر بترسی از گروهی خیانت را پس بینداز بسوی ایشان بر یکسان بدرستی که خدا دوست ندارد خیانتکارانرا و نپندارند آنانکه

كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم

کافر شدند که پیشی گرفتند بدرستی که ایشان عاجز نمیکنند و مهیا سازید برای ایشان آنچه توانید از توانائی و از بستن اسبان میترسانید بآن دشمن خدا را و دشمن خود را

وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون وإن جنحوا

و دیگران از جز ایشان نمیدانید ایشانرا خدا میداند ایشانرا و هرچه خرج کنید از چیزی در راه خدا تمام داده شود بسوی شما و شما ستم کرده نشوید و اگر میل کنند

للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي

بصلح پس میل کن بآن و توکل کن بر خدا که او است شنونده دانا و اگر خواهند که فریب دهند ترا پس بدرستی که کفایت تو کننده است خدا او است آنکه

أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله

قوت داد ترا بیاری خود و بمومنان و دوستی انداخت در دلهای ایشان که اگر خرج میکردی آنچه در زمین است همه را دوستی نمی افکندی در دلهای ایشان و لیکن خدا

ع ألف بينهم إنه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين

دوستی انداخت میان ایشان بدرستی که او غالب درست کار است ای پیغمبر بس است ترا خدا و آنکه پیروی کرد ترا از مومنان ای پیغمبر راغب گردان مومنانرا

على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين

بر کارزار اگر بوده باشد از شما بیست نفر صبر کنندگان غالب آیند بر دویست نفر و اگر بوده باشد از شما صد نفر غالب آیند هزار نفر از آنانکه

كفروا بأنهم قوم لا يفقهون الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة

کافر شدند بآنکه ایشان گروهی اند نمی فهمند در این وقت سبک کرد خدا از شما و دانست که در شما ناتوانائی است پس اگر بوده باشد از شما صد نفر صبر کننده

يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين

غالب آیند بر دویست نفر و اگر بوده باشد از شما هزار نفر غالب آیند بر دو هزار بفرمان خدا و خدا با صبر کنندگان است

القراءة تتوفى بتاء التأنيث

شامي الباقون بالياء كثير ولا يحسبن بياء الغيبة ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل الآخرون بتاء الخطاب إنهم بالفتح ابن عامر السلم بكسر السين أبو بكر وحماد ترهبون بالتشديد رويس الباقون بالتخفيف من الارهاب وإن يكن منكم بالياء التحتانية أبو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتاء الفوقانية وعلم مبنيا للمفعول حيلة ضعفا بالمد جمعا يزيد وقرأ حمزة وعاصم غير المفضل وخلف لنفسه ضعفا بفتح الضاد الآخرون بالضم فإن يكن منكم مائة بالتحتانية عاصم وحمزة وعلي وخلف الوقوف كفروا لا لأن فاعل تتوفى الملائكة وما قيل أن المتوفى هنا الله غير صحيح لاختلال النظم وفساد المعنى لأن الكفار لا يستحقون أن يتوفاهم الله بلا واسطة وأدبارهم ج لحق الإضمار أي يقولون ذوقوا الحريق للعبيد لتعلق الكاف فرعون لا للعطف من قبلهم ط بذنوبهم ط العقاب بأنفسهم لا للعطف أن على أن عليم لا لأن الكاف من قبلهم ط بآيات ربهم لاختلاف الجملتين من الفاء آل فرعون لأن الواو يصلح للاستيناف والحال ظالمين لا يؤمنون ه لا لاحتمال الوصف واحتمال النصب أو الرفع على الذم لا يتقون يذكرون على سواء ط الخائنين لا سبقوا لمن قرأ إنهم بالكسر لا يعجزون من دونهم ج لاحتمال الجملة بعده الوصف والاستيناف لا تعلمونهم الله يعلمهم ط لا تظلمون على الله ط العليم حسبك الله بين قلوبهم ط الأول بينهم ط حكيم من المؤمنين على القتال ط مائتين ج لابتداء الشرط مع العطف لا يفقهون ضعفا ط مائتين ج بإذن الله ط الصابرين التفسير لما شرح أحوال هؤلاء الكفار في حياتهم شرح أحوالهم حين وفاتهم وجواب لو محذوف وترى في معنى الماضي لخاصية لو وكذا تتوفى في خاصية إذ

وان نصب على الظرف قال في الكشاف ويمكن ان يكون مفعولا به والمعنى ولو رأيت او عاينت او شاهدت وقت قبض الملائكة ارواح الكفار
لرأيت امرا فظيعا يضربون وجوههم وادبارهم قال مجاهد يريد بالادبار الاستاه ولكن الله كريم يكني وفي تخصيص العضوين بالضرب نوع
من الخزي والنكال وعن ابن عباس المراد ما اقبل منهم وما ادبر وذلك ان المشركين كانوا اذا اقبلوا بوجوههم الى المسلمين ضربوا وجوههم
بالسيف واذا ولوا ضربوا ادبارهم فلاجرم قابلهم الله بمثله في وقت خروج ومعنى عذاب الحريق مقدمة عذاب النار نفسها في الآخرة
تبشرهم بذلك عن ابن عباس ان معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار قوله ذلك بما قدمت ايديكم الاية قد مر تفسيرها
في آل عمران ويحتمل ان يكون هذا حكاية كلام الملائكة ولما بين سبحانه ما انزل باهل بدر من الكفار عاجلا واجلا ذكر ان هذه سنته
في فرق الكفرة كلهم فقال كداب آل فرعون يريد ان عادتهم وعملهم الذي داوموا عليه كعادة آل فرعون فجوزي هؤلاء بالقتل و
السبي كما جوزي اولئك بالاهلاك والاغراق ثم ذكر ما يجري مجرى العلة في العقاب الذي انزله بهم فقال ذلك بان الله لم يك حذف النون
لكثرة الاستعمال ومعنى لا يغير ان ذلك العذاب والانتقام بسبب ان الله لم يستقم في حكمته وتدبيره ان يغير نعمته على قوم حتى يغيروا ما بهم
من الاحوال والاخلاق والتعرض ان آل فرعون ومشركي مكة قد فتح عليهم ابواب الخيرات وازال الموانع وسهل السبل ومن عليهم بانزال
الكتب وارسال الرسل ثم انهم قابلوا هذه النعم بالكفر والفسوق والعصيان فلاجرم استحقوا تبديل النعم بالنقم والمنح بالمحن وان الله سميع
للاقوال عليم بالاحوال يجزي كل فريق بما يستاهله ثم ذكر مرة اخرى قوله كداب آل فرعون وفي التكرير بعد التاكيد فوائد استنبطها
العلماء منها ان الثاني كالتفصيل للاول لان الاغراق كالبيان للاخذ بالذنوب ومنها ان الاول لعله في حال الموت والثاني لما بعد الموت
قلت ويشبه ان يكون بالعكس لان الاهلاك والاغراق بحال الموت انسب ومنها ان الاول اخبار عن عذاب لم يمكن الله احدا من فعله وهو ضرب
الملائكة وجوههم وادبارهم عند نزع ارواحهم والثاني اخبار عن عذاب مكن الناس من فعل مثله وهو الاهلاك والاغراق ومنها ان المراد في
الاول كداب آل فرعون فيما فعلوا وفي الثاني كداب آل فرعون فيما فعل بهم فهم فاعلون في الاول ومفعولون في الثاني ومنها ان المراد بالاول
كفرهم بالله وبالثاني تكذيبهم الانبياء لان التقدير كذبوا الرسل بآيات ربهم ومنها ان يجعل الضمير في كفروا وكذبوا لكفار قريش اي
كفروا بآيات الله كداب آل فرعون وكذبوا بآيات ربهم كداب آل فرعون ومنها ان الاول اشارة الى انهم انكروا دلائل الالهية فكان لازمه
الاخذ والثاني اشارة الى انهم انكروا دلائل التربية والاحسان فكان لازمه الاهلاك والاغراق ثم ختم الاية بقوله وكل كانوا ظالمين اي وكل واحد
من غرقى القبط وقتلى قريش وممن قبلهم من الكفرة كانوا ظالمي انفسهم بالكفر والمعاصي وظالمي غيرهم بالايذاء والايحاش فلاجرم دمرهم الله بسبب ظلمهم
ثم خص من الظلمة شرهم فقال ان شر الدواب الاية جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم واشار الى هذا
بقوله فهم لا يؤمنون وشر المصرين الناكثون للعهود واشار اليهم بقوله الذين عاهدت منهم ومن للتبعيض ومفعول عاهدت محذوف
اي الذين عاهدتهم وهم بعض اولئك الكفرة يعني الاشراف الذين معهم يليق المعاهدة ثم ينقضون عطف المستقبل على الماضي لفائدة الاستمرار
وان من شانهم نقض العهد في كل مرة من مرات المعاهدة ومعنى ثم تبعيد النقض عن المعاهدة قال ابن عباس هم بنو قريظة نقضوا عهد رسول
الله ص واعانوا عليه المشركين بالسلاح يوم بدر وقالوا قد نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا واعانوا عليه يوم الخندق وهم لا يتقون عاقبة
الغدر وما فيه من العار والنار ثم امر رسوله بالمخاشنة معهم والغلظة عليهم جزاء على قبح فعلهم وسوء عقيدتهم فقال فاما تثقفنهم تصادفنهم
وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم والتشريد التفريق مع الاضطراب اي ففرق عن محاربتك من وراءهم وقال
عطاء معناه اكثر فيهم القتل حتى يخافك غيرهم والضمير في لعلهم يذكرون لمن خلفهم لانه اذا نكل بالناكثين وقتلهم شر قتلة لن يجسر عليه احد
بعدهم اتعاظا بحالهم واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح اليهم العهد على سواء على طريق
مستو قصد اي اخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك
وقيل على استواء في العلم بنقض العهد وقيل على استواء في العداوة قال في الكشاف الجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم ثابتا على
طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا قلت ويحتمل ان يكون حالا من
المنبوذ اي حال كون المنبوذ وهو العهد واقعا على طريق واضح فيكون كناية عن تحقق شان العهد اذ ذاك وعن انكشاف حاله في النبذ
قال اهل العلم ان آثار نقض العهد اذا ظهرت فاما ان يظهر ظهورا محتملا او ظهورا مقطوعا به وعلى الاول وجب الاعلام به كما هو مذكور في
الاية وذلك ان قريظة عاهدوا النبي ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى تظاهرهم على رسول الله فحصل لرسول الله صلى
الله عليه وآله خوف الغدر منهم به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويؤذنهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا
قطعيا فلا حاجة الى نبذ العهد اليهم كما فعل رسول الله ص باهل مكة لما نقضوا العهد ثم بين حال من فاته في يوم بدر ولم يتمكن من
التشفي والانتقام كيلا يبقى حسرة فقد كان فيهم من بلغ في اذيته مبلغا عظيما فقال لا تحسبن من قرا بتاء الخطاب فمفعوله الاول الذين
كفروا وثانيه سبقوا اي فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا يعجزون كل من المكسورة والمفتوحة تعليل له لان المكسورة على طريقة الاستئناف

او عذاب النار ع

كان سائلا اسئل ما لهم لا يحسبوا سابقين فاجيب بما اجيب المفتوحة تعليل صريح والجار محذوف اى لانهم لا يعجزون الله من الانتقام منهم ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم اعجزت فلانا وعجزته جعلته او وجدته عاجزا والمراد لا يحسبنهم انهم لما تخلصوا من الاسر والقتل يوم بدر فقد تخلصوا من العقاب عاجلا واجلا ومن قرا بالياء التحتانية فذكر فيه وجوها منها ان فاعله الذين كفروا ومفعوله سبقوا على ان الاصل ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن اياته يريكم البرق ويؤيده قراءة ابن مسعود انهم سبقوا ومنها ان الفعل وقع على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في موضع الحال ومنها ان المفعول الاول محذوف للعلم به والتقدير ولا يحسبنهم او ولا يحسبن انفسهم الذين كفروا سبقوا ومنها ان فاعله محذوف اى ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا ثم انه لما اتفق لاصحاب النبي صلعم في قصة بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة امرهم الله ان لا يعودوا لمثله وبتاهبوا للقتال لاعداء فقال واعدوا لهم ما استطعتم من قوة عن عكرمة هي الحصون وعن عقبة بن عامر ان رسول الله صلعم قرا هذه الاية على المنبر ثم قال الا ان القوة الرمي قالها ثلثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله والاصح انها عامة في كل ما يتقوى به في الحرب من آلة وعدة وقوله صلعم القوة الرمي كقوله الحج عرفة وفيه تنبيه على ان المذكور جزء شريف من جملة المقصود ومن رباط الخيل هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصال وفصيل والظاهر انه بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون قوله ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكائيل فلا ريب ان ربط الخيل من اقوى الات الجهاد روى عن ابن سيرين انه سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فتربط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر ولقد علمت على توقي الردى ان الحصون الخيل لا مدر القرى وعن عكرمة ان الخيل ههنا الاناث لانها اولى بالربط لتكثير النسل وقيل هي الفحول لانها اقوى على الكر والفر والظاهر العموم ثم ذكر ما لاجله امر باعداد هذه الاشياء فقال ترهبون به اى بما استطعتم عدو الله وعدوكم لان الكفار اذا علموا تاهب المسلمين للقتال لم يجسروا عليهم وخافوهم وربما يدعوهم ذلك الى الانقياد والطاعة واخرين من دونهم يريد بالاولين اهل مكة وبالاخرين اليهود على قول ولكنه لا يتجاوب بقوله لا تعلمونهم الله يعلمهم والمنافقين على قول واعترض عليه بانهم لا يرهبون لانخراطهم في سلك المسلمين ظاهرا واجيب بان الخائن خائف فكلما اشتدت شوكة المسلمين ازداد المنافقون في انفسهم خوفا ورعبا فربما يدعوهم ذلك الى الاخلاص وعن السدي هم اهل فارس وروى ابن جريج عن سليمان ابن موسى انهم كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروى ان صهيل الخيل يرهب الجن وقيل المراد بالاخرين اعداء المرء من دينه فان المسلم قد يعاديه مسلم اخر ثم رغبهم في الانفاق في باب الجهاد فقال وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم اى ثوابه وانتم لا تظلمون لا تنقصون من ثواب اعمالكم شيئا وخص بعض الصالحين مال الاعداء اليها فقال وان جنحوا للسلم الاية جنح له واليه جنوحا اذا مال وانما قيل فاجنح لها لان السلم يؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب وبتاويل الخصلة او الفعلة عن ابن عباس ومجاهد ان الاية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله او بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والاولى ان يقال انها ثابتة فليس يحتم ان يتقي المشركون ابدا اذ يجابوا الى الهدنة ابدا وانما الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام ودونه فاذا راى الصلاح في الصلح فذاك والمصلحة قد يظهر عند ضعف المسلمين اما لقلة العدد او لقلة المال وبعد العدو وقد يكون مع القوة للطمع في اسلامهم او قبولهم الجزية او اذا خالطوا المسلمين او بان يعينوه على قتال غيرهم واما مدة المهادنة فاذا لم يكن بالمسلمين ضعف وراى الامام الصلاح في المهادنة فقد قال الشافعي هادن اربعة اشهر فما دونها لقوله تعالى فسيحوا في الارض اربعة اشهر وذلك كان في اقوى ما كان رسول الله صلعم منصرفه من تبوك وان كان بالمسلمين ضعف جازت الزيادة بحسب الحاجة الى عشر سنين اقتداء برسول الله صلعم حين صالح اهل مكة بالحديبية على وضع القتال عشر سنين الا انهم نقضوا العهد قبل كمال المدة وان انقضت المدة والحاجة باقية استانف العقد ثم قال وتوكل على الله اى فوض الامر فيما عقدته معهم الى الله ليكون عونا لك على السلامة وينصرك عليهم اذا نقضوا العهد وعدلوا عن الوفاء كما كان من شان قريظة والنضير وعن مجاهد نزلت فيهم انه هو السميع للاقوال العليم بالاحوال وفيه زجر عن نقض الصلح ما امكن ثم ذكر حكما من احكام المهادنة فقال وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك محسبك وكافيك الله والمعنى انهم ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب قبول ذلك الصلح لان الحكم فيه يبنى على الظاهر كما ان اصل الايمان مبني على الظاهر ولا تنافي بين هذه الاية وبين ما تقدم من قوله واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم لان هذه المخادعة محمولة على امور خفية تدل على الغل والنفاق وذلك الخوف محمول على امارة قوية تدل على كونهم قاصدين للشر واثارة الفتنة ثم اكد كون الله تعالى كافيا له بقوله هو الذي ايدك بنصره اى من غير واسطة اسباب معتادة وبالمؤمنين اى بوساطة الانصار ثم بين انه كيف ايده بالمؤمنين فقال والف بين قلوبهم قال جمع من المفسرين هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك اشرافهم ودق جماجمهم فرفع الله تعالى ذلك بلطيف صنعه والاولى حمله على العموم والتاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلعم من الايات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغائن في الامور المستحقرة لم تكد يا تلف هواهم وينتظم شملهم ثم ائتلف قلوبهم على اتباع رسول الله حتى بذلوا دونه المهج والارواح والاموال فليس ذلك الا من مقلب القلوب والاحوال



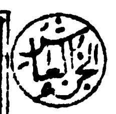
والتحقيق في الباب ان المحبة لا تحصل الا عند تصور حصول خير من المحبوب ثم ان كان سبب انعقاد المحبة امراً سريع التغير كالمال او الجاه او
اللذة الجسمانية كانت تلك المحبة بصدد الزوال والاضمحلال فالمعشوق يريد العاشق لماله والعاشق يحب المعشوق لاستيفاء لذة بهيمية
فمهما حصل مرادهما كانا متحابين ومتى لم يحصل عادا متباغضين وان كان سبب انعقاد المودة كمالا حقيقيا روحانيا دائما لم يتصور لها تغير وزوال
ثم ان العرب كانوا قبل مقدم النبي ص مقبلين على المفاخرة والتسابق في المال والجاه والتعصب والتفرق فلا جرم كانوا متحابين تارة ومتباغضين
اخرى فلما جاءهم النبي ص ودعاهم الى عبادة الله تعالى والاعراض عن الدنيا والاقبال على تحصيل السعادة الابدية الروحانية توحد مطلبهم و
صاروا اخوانا متراحمين متحابين في الله ولله انه عزيز حكيم اي قادر قاهر على تقليب القلوب والدواعي فاعل لكل ما يفعل على وجه الاحكام
والاتقان او على حسب المصالح على اختلاف القولين في مسئلة الجبر والقدر قال القاضي لولا الطاف الله تعالى ساعة فساعة لما حصلت هذه
الاحوال ونظيره انه يضاف علم الولد وادبه الى ابيه لاجل انه لم يحصل ذلك الا بمعونة الاب وتربيته واجيب بانه عدول عن الظاهر والاية صريحة في
ان العقايد والارادات والكراهات كلها بخلق الله تعالى وايجاده اللهم يا مصرف القلوب ومقلبها ثبت قلبي على دينك ووفقنا لما بعثت به نبيك انك
قادر على ما تشاء ولا يكون الا ما تشاء ثم انه سبحانه لما وعد نبيه النصر والكفاية عند مخادعة الاعداء وعده النصر والكفاية على الاطلاق فقال
يا ايها النبي حسبك الله ومحل من اتبعك منصوب لانه بمنزلة زيد في قولك حسبك وزيدا درهم قال الفراء وليس بكثير في كلامهم ان يقولوا حسبك و
اخيك بل المستعمل ان يقال حسبك وحسب اخيك باعادة الجار فلو كان قوله ومن اتبعك مجرورا لقيل حسبك ومن اتبعك ومعنى الاية كفاك
وكفى اتباعك من المؤمنين الله ناصرا وجوز ان يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون فيكون كقوله هو الذي ايدك بنصره
وبالمؤمنين ويؤكده ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه اسلم مع النبي ص ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فصاروا اربعين
فانزل الله تعالى الاية ثم بين سبحانه ان كفايته مشروطة بالجد والاجتهاد في الجهاد فقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال والتحريض
في اللغة كالتحضيض وهو الحث على الشيء وذكروا في اشتقاقه انه من الحرض وهو الاشراف على الهلاك من شدة الضنى كانه ينسبه الى الهلاك لو
تخلف عن المأمور او كانه يأمره ان يبالغ فيه وفي تحصيله حتى يدنو من التلف في قوله ان يكن منكم عشرون صابرون عدة من الله وبشارة
بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم بعون الله وتاييده واعترض عليه بانه يلزم منه ان لا يغلب قط مائتان من الكفار عشرين
من المؤمنين ويمكن ان يجاب بعد تسليم وقوع مثل ذلك ان الخلل لعله يكون من فقدان الشرط وهو الصبر قال بعض العلماء هذا خبر في معنى
الامر كقوله والوالدات يرضعن والمطلوب يتربصن بدليل قوله الآن خفف الله عنكم والنسخ بالامر اليق منه بالخبر وبدليل قوله والله مع
الصابرين وفيه ترغيب في الثبات على الجهاد فمعنى الاية فان يكن منكم عشرون فليصبروا وليجتهدوا في القتال حتى يغلبوا مائتين ثم الصبر
لا يحصل الا بكونه شديد الاعضاء قويا جلدا شجاعا غير جبان ولا متحرف لقتال او متحيز الى فئة وعند حصول هذه الامور كان يجب للواحد
ان يثبت للعشرة لما سبق من وعد النصر في قوله حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وانما كرر المشبه مرتين لان السرايا التي كانت يبعثها
رسول الله ص كان لا ينقص عددها على العشرين وما كانت تزيد على المائة فورد على وفق الواقعة واما في الكرة الثانية فانما كررت التشبيه
للطباق وليكون فيه بشارة واشارة الى ان عدد عسكر الاسلام سيؤول من العشرات والمئات الى الالوف والله اعلم بمراده ثم بين السبب في الغلبة
فقال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة لا يعرفون معادا وقد انحصرت السعادة واللذة عندهم في هذه الحيوة العاجلة
وايضا انهم يعولون على قوتهم وشوكتهم والمسلمون يتوكلون على ربهم ويستغيثونه ويتوقعون منه انجاز ما وعد من النصر والتاييد ونحوه
وهو ان اهل العلم والمعرفة يكون لهم في اعين الناس هيبة وحشمة ويكونون في انفسهم اقوياء اشداء لما تجلى عليهم من انوار المعرفة والبصيرة
يعرف ذلك اصحاب العلوم وارباب المعارف بخلاف الجهلة الذين لا بصيرة لهم ولا نور قال عطاء عن ابن عباس لما نزل التكليف الاول ضج
المهاجرون وقالوا يا رب نحن جياع وعدونا شباع ونحن في غربة وعدونا في اهليهم وقال الانصار شغلنا بعدونا وواسينا اخواننا وعن
ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وكان رسول الله ص بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب وارادوا
قتالهم فمنعهم جهينة وبعث رسول الله ص مع عبد الله بن انيس لخالد بن سفيان جامعة فابتدر عبد الله فقال يا رسول الله صفه لي فقال
انك اذا رايته ذكرت الشيطان ووجدت لذلك قشعريرة وبلغني انه جمع لي فاخرج اليه واقتله فلما خرجت نحوه فلما دنوت منه وجدت القشعريرة
فقال لي من الرجل قلت له من العرب سمعت بك وبجمعك ومشيت معه حتى اذا تمكنت منه قتلته بالسيف واسرعت الى رسول الله ص وذكرت اني
قتلته فاعطاني عصا وقال امسكها فانها اية بيني وبينك يوم القيامة وقال عكرمة انما امر الرجل ان يصبر لعشرة والعشرة لمائة حال ما كان المسلمون
قليلين فلما كثروا خفف الله عنهم ولهذا قال ابن عباس ايما رجل فر من ثلاثة فلم يفر فان فر من اثنين فقد فر والحاصل ان الجمهور ادعوا ان قوله
الآن خفف الله عنكم ناسخ لحكم الاية المتقدمة وانكر ذلك ابو مسلم الاصفهاني قال لان لفظ الاية ورد على الخبر سلمنا انه بمعنى الامر لكن لم قلتم ان
التقدير ولكن العشرون صابرين في مقابلة المائتين ولم لا يجوز ان يكون المراد ان حصل عشرون صابرون في مقابلة المائتين فليشتغلوا بهم
واذا كان الشرط غير حاصل في حقهم فلا يلزم القول وعلم ان فيكم ضعفا فلا جرم لم يثبت ذلك الحكم فلا يتصور النسخ ولفظ التخفيف لا يقتضي ورود التثقيل قبله

لان مثل هذا الكلام قد يقوله العرب ابتداء ومما يدل على عدم النسخ تقارن الايتين والناسخ يجب ان يكون بعد المنسوخ بزمان هذا حاصل
قول ابى مسلم وهو تمام لتحقيق الجواب لو لم يحصل قبلا اطباق على حصول هذا النسخ والله تعالى اعلم ومعنى قوله وَعَلِمَ اَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ظهر معلومه
فلا يبقى لهشام حجة فى مذهبه انه تعالى لا يعلم الجزئيات الا بعد وقوعها والمراد بالضعف قيل الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة
فى الدين وكانوا متفاوتين فى ذلك والظاهر ان المراد الضعف الانسانى المذكور فى قوله وَخُلِقَ الْاِنْسَانُ ضَعِيفًا التاويل يضربون
فى وُجُوهَهُمْ وَاَدْبَارَهُمْ لان الكافر ذاهب عن الدنيا مع تعلقه بها فيحصل له الم من جهة الخلف ويقبل على الاخرة ولا نور له يبصر به ما امامه
فيحصل له تالم من قدام ذٰلِكَ مُغَيِّرًا مبدلا لاحسن تقديم واستعدادا عطائه بضده حَتّٰى يُغَيِّرُوْا بالكفر والتكذيب ما بانفسهم من نعم الاستعداد
الفطرى الَّذِيْنَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ يا روح فى الازل لان نورك وصفتك غلب على ظلمة النفس وصفاتها فتشرد يا روح بهم من خلفهم اى بالغ فى
تبديل صفات النفس فى تزكيتها بحيث يؤثر نور تبديلها فى الصفات التى ورائها فانبذ اليهم على سواء اظهر عداوتك معهم وجاهدهم
انهم لا يعجزون اى النفوس الكافرة تحت تصرفه فلا تقنطوا من رحمته فى صلاح حالهم من قوة الروح وغلبات صفاتها واعداده بمداومة
الذكر وقطع التعلق ومن رباط الخيل ومن ربط القلب بطريق المراقبة لئلا يلتفت الى الدنيا وزينتها ترهبون بالذكر والمراقبة عدو الشيطان
وعدوكم النفس والهوى واخرين من دونهم من نفوس شياطين الانس لا يعلمونهم انهم عدوكم من الاخيار والاصدقاء والاقرباء الله يعلمهم
انهم عدو لكم كقوله اِنَّ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ وَاَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ وَمَا تُنْفِقُوْا مِنْ شَيْءٍ من شهوات النفس ولذاتها وزينتها بطريق الذكر والمراقبة
يُوَفَّ اِلَيْكُمْ فوائد من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وَاَلَّفَ بَيْنَ قُلُوْبِهِمْ بين الروح والقلب والسر وبين النفس وصفاتها لو انفقت
ما فى ارض وجودك من السعى والجد والاجتهاد كما بين الروح النورانى والنفس الظلمانى من التضاد ولكن الله الف بين الروح
وبين القلب والقالب ليكون الشخص الانسانى طلسما على كنز وجوده لم يكسر الطلسم للوصول الى الكنز والله اعلم مَا كَانَ لِنَبِيٍّ اَنْ يَّكُوْنَ
لَهٗٓ اَسْرٰى حَتّٰى يُثْخِنَ فِى الْاَرْضِ تُرِيْدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّٰهُ يُرِيْدُ الْاٰخِرَةَ وَاللّٰهُ عَزِيْزٌ حَكِيْمٌ لَوْلَا كِتٰبٌ مِّنَ اللّٰهِ
مر او را اسیران تا کہ بسیار کشد در زمین میخواهید شما خواسته دنیا را وخدا میخواهد آخرت را وخدا غالب داناست اگر نبود کتابی از خدا
سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيْمَآ اَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ فَكُلُوْا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلٰلًا طَيِّبًا وَّاتَّقُوا اللّٰهَ اِنَّ اللّٰهَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ يٰٓاَيُّهَا النَّبِيُّ
که پیش رفت هر آینه رسیدی شما را در آنچه فرا گرفتید عذابی بزرگ پس بخورید از آنچه غنیمت بردید حلال و پاک و بپرهیزید خدا را بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست ای پیغمبر
قُلْ لِّمَنْ فِيْٓ اَيْدِيْكُمْ مِّنَ الْاَسْرٰٓى اِنْ يَّعْلَمِ اللّٰهُ فِيْ قُلُوْبِكُمْ خَيْرًا يُّؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ اُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّٰهُ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ
بگو مر کسی را که در دستهای شماست از اسیران اگر بداند خدا در دلهای شما خوبی بدهد شما را خوبی از آنچه گرفته شد از شما و بیامرزد شما را وخدا آمرزنده مهربانست
وَاِنْ يُّرِيْدُوْا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ فَاَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّٰهُ عَلِيْمٌ حَكِيْمٌ اِنَّ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهَاجَرُوْا
واگر بخواهند خیانت کردن ترا پس بدرستیکه خیانت کردند خدا را از پیش پس دست داد ترا بر ایشان وخدا دانای محکم کار است بدرستیکه آنان که ایمان آوردند وسفر کردند
وَجٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا وَّنَصَرُوْٓا اُولٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِيْنَ
وکوشش کردند بمالهای خود ونفسهای خود در راه خدا وآنان که جای دادند و یاری کردند آن گروه بعضی از ایشان دوستان بعضی اند وآنان
اٰمَنُوْا وَلَمْ يُهَاجِرُوْا مَا لَكُمْ مِّنْ وَّلَايَتِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتّٰى يُهَاجِرُوْا وَاِنِ اسْتَنْصَرُوْكُمْ فِى الدِّيْنِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ اِلَّا عَلٰى
که گرویدند وسفر نکردند نباشد شما را از ولایت ایشان از چیزی تا هجرت کنند واگر طلب یاری کنند شما را در دین پس بر شماست یاری کردن مگر بر
قَوْمٍۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيْثَاقٌ وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْضُهُمْ اَوْلِيَآءُ بَعْضٍ اِلَّا تَفْعَلُوْهُ تَكُنْ
گروهیکه در میان شما و در میان ایشان پیمانست وخدا بآنچه میکنید بیناست وآنان که کافر شدند بعضی از ایشان دوستان بعضی اند اگر نکنید آنرا باشد
فِتْنَةٌ فِى الْاَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيْرٌ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَهَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا فِيْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَالَّذِيْنَ اٰوَوْا
فتنه در زمین وتباه کاری بزرگ وآنان که گرویدند وسفر کردند وکوشش کردند در راه خدا وآنان که جای دادند
وَّنَصَرُوْٓا اُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيْمٌ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مِنْۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوْا وَجٰهَدُوْا مَعَكُمْ فَاُولٰٓئِكَ
ویاری کردند آن گروه ایشانند مؤمنان براستی مر ایشانراست آمرزش وروزی بزرگ وآنان که گرویدند در بعد وسفر کردند وجهاد کردند با شما پس آن گروه
مِنْكُمْ وَاُولُوا الْاَرْحَامِ بَعْضُهُمْ اَوْلٰى بِبَعْضٍ فِيْ كِتٰبِ اللّٰهِ اِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمٌ القراءة ان تكون
از شمایند وصاحبان قرابت بعضی از ایشان سزاوارترند ببعضی در کتاب خدا بدرستیکه خدا بهر چیزی داناست
بالتاء الفوقانية
ابو عمرو وسهل ويعقوب ويزيد اسارى يزيد والمفضل الاخرون اسرى من الاسارى يزيد وابو عمرو والمفضل الباقون من الاسرى
من ولايتهم بكسر الواو حمزة الباقون بفتحها الوقوف فى الارض لتقدير الاستفهام اى تريدون الاخرة ط حكيم عظيم واتقوا الله رحيم و
يغفر لكم ط رحيم منهم ط حكيم اولياء بعض حتى يهاجروا ه ميثاق بصير اولياء بعض كبير حقا ط كريم منكم ط فى كتاب الله عليم التفسير هذا حكم اخر
من احكام الجهاد ومعنى ما كان ما صح وما استقام والاثخان كثرة القتل واشاعته من الثخانة التى هى الغلظ والكثافة والمعنى فيه تذليل الكفر



واضعافه واعزاز الاسلام واظهاره باشاعة القتل في الكفرة روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب
فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا
بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
ثم قال لاصحابه انتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروي انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد
واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل ناخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين اوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن
محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة اوقية والاوقية اربعون درهما وروي انهم لما اخذوا الفداء نزلت الاية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذ الفداء ولقد
عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله
كان الاثخان في القتل احب الي واعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء تمسكوا في هذا المقام بوجوه الاول ما كان لنبي تصريح في النهي وقد حصل
الاسر بدليل قل لمن في ايديكم من الاسرى الثاني انهم امروا بالقتل يوم بدر في قوله فاضربوا فوق الاعناق فكان الاسر معصية واجيب بان
قوله حتى يثخن يدل على ان الاسر كان مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان ولا شك ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما فلعل العتاب انما
ترتب لان الاثخان امر غير مضبوط فظنوا ان ذلك القدر من القتل بلغ حد الاثخان فاخطؤا في الاجتهاد وكان قوله فاضربوا فوق الا
عناق تكليفا مختصا بحالة الحرب فلم يتناول الاسر بعد انهزام الكفار الثالث قالوا الحكم باخذ الفداء معصية والا لم يتوجه الذم في قوله
تريدون عرض الدنيا اي حطامها سمي بذلك لانه سريع الزوال كالعرض قسيم الجوهر والله يريد الاخرة اي ثوابها او ما هو سبب الجنة
وهو اعزاز الاسلام باشاعة القتل في اعدائه وقرئ بجر الاخرة على التقابل والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه ويقهرونهم ويلجئونهم
الى القتل او الفداء بعد الاسر لكنه حكيم لا يرخص في اخذ الفداء الا بعد افشاء القتل في الاعداء والجواب ان كل ذلك محمول على ترك الاولى
وكذا الكلام في قوله لولا كتاب من الله سبق اي لولا حكم من الله سبق اثباته في اللوح وهو انه لا يعاقب احدا بخطاء في الاجتهاد لانهم نظروا
في ان استبقاءهم انما كان سببا في اسلامهم وتوبتهم وحصول اولادهم مسلمين وان فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم ان قتلهم
اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم قال ابن عباس هذا الحكم انما كان يوم بدر لان المسلمين كانوا قليلين فلما كثروا وقوي سلطانهم انزل الله بعد
ذلك في الاسارى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء قال بعض العلماء هذا الكلام يوهم ان مقتضى الايتين مختلف
وليس كذلك فان كلتيهما تدل على انه لا بد من تقديم الاثخان على الفداء وعن سعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق بانه سيحل لكم الفداء
وكان قريبا لو تنبه من التحليل يوجب تخفيف العقاب وقال محمد بن اسحق لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب احدا الا بعد تاكيد الحجة
وتقديم النهي وحاصل هذا القول يرجع الى ترك الاولى وذلك ان الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين انما يعاتب على ترك
الاولى وغير الاولى يشتركان في كونهما مباحين وانما يعاتب على ترك الاولى لا على سبيل العقوبة بل على سبيل الحث على فعل الاولى وعن
بعضهم المراد حكم الله بانه لا يعذب من شهد بدرا واعترض بانه يلزم ان لا يكونوا مكلفين والجواب ان عدم العقاب على الذنب لا يوجب
عدم التكليف فلعل التكليف لاجل زيادة الثواب وقيل لولا كتاب سبق بالعفو عن هذه الواقعة لكان استحقاق مس العذاب حاصلا
وروي انهم امسكوا عن الغنائم وعن اخذ الفداء لانه من جملة الغنائم فنزلت فكلوا والفاء للتسبيب ومعنى الاية قد ابحت لكم الغنائم فكلوا
حلالا نصب على الحال من المغنوم او صفة للمصدر اي كلا حلالا واتقوا الله فيما تستقبلون فلا تقدموا على شيء لم تؤمروا به ان الله غفور لما فرط
منكم من ترك الاولى رحيم فمن ذلك رخص لكم فيما رخص من اخذ الفداء ثم قال لاستمالة قلوب الاسارى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم
من الاسارى ان يعلم الله ان يظهر معلومه ان في قلوبكم خيرا وهو الايمان والعزم على طاعة الله وطاعة رسوله في جميع التكاليف والتوبة
عن الكفر وعن جميع المعاصي ويدخل فيه العزم على نصرة الرسول والتوبة عن محاربته يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من المنافع العاجلة
ويغفر لكم في الاخرة والمراد بالخير ايضا الثواب وبالمغفرة ازالة العقاب ثم انا قد نعلم ان كل من خلص من الاسار وامن فقد اتاه الله في الدنيا خيرا
لدلالة الاية على ذلك اجمالا واما ان ذلك الخير ان كان دنيا فلا شك ان كلهم قد وجد ولعل ذلك لان قليل الدنيا مع الايمان اعظم من كثير الدنيا
مع الكفر وان كان دينيا فتفصيل ذلك غير معلوم الا ما روي عن بعضهم كالعباس روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه مال البحرين ثمانون الفا
فتوضأ لصلوة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان ياخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وانا ارجو المغفرة
وقال ابن عباس نزلت الاية في العباس وعقيل بن ابي طالب ونوفل بن الحرث وكان العباس اسيرا يوم بدر ومعه عشرون اوقية من
من الذهب اخرجها ليطعم الناس وكان احد العشرة الذين ضمنوا الطعام لاهل بدر فلم يبلغه التوبة حتى اسر فقال العباس كنت مسلما

اي عرض الاخرة



الا انهم استكرهوني فقال ان يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا قال العباس وكلمت رسول الله صلى الله عليه وآله ان يرد ذلك الذهب علي فقال اما شيء خرجت به تستعين به علينا فلا قال وكلفني الرسول فداء ابن اخوي عقيل بن ابي طالب عشرين اوقية وفداء نوفل بن الحرث فقال العباس تركتني يا محمد اتكفف قريشا فقال رسول الله فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني في وجهي فان حدث في حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في امرك فاما اذ اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب في عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي ثم قال ﴿وان يريدوا خيانتك﴾ اي نكث ما بايعوك عليه من الاسلام لما اطلقهم من الاسر وعهد معهم ان لا يعودوا الى محاربته والى معاضدة المشركين كما هو العادة فيمن يطلق من الحبس والاسر وقيل المراد من الخيانة منع ما ضمنوا من الفداء ﴿فقد خانوا الله من قبل﴾ في كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه ﴿فامكن منهم﴾ اي المؤمنين يوم بدر قتلا واسرا فذاقوا وبال امرهم فسيمكن المؤمنين منهم مرة اخرى ان اعادوا الخيانة ﴿والله عليم﴾ باحوالهم ﴿حكيم﴾ فيجازيهم على حسب اعمالهم واعلم ان رسول الله لما ظهرت نبوته بمكة ودعا الناس هناك الى الدين ثم انتقل منها الى المدينة فمن المؤمنين من وافقه في الهجرة وهم المهاجرون الاولون ومنهم من لم يوافقه في ذلك ومنهم من هاجر بعد هجرته فذكر في خاتمة هذه السورة احكام هذه الاصناف واحوالهم مع ذكر انصاره بالمدينة ومع ذكر الكفار ايضا فقال ﴿ان الذين آمنوا﴾ ويدخل فيه الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والانقياد لجميع التكاليف ﴿وهاجروا﴾ فارقوا الاوطان وتركوا الاقارب والجيران في طلب مرضاة الله ﴿وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله﴾ اما المجاهدة بالاموال فلانهم اذا فارقوا الديار ضاعت مساكنهم ومزارعهم وضياعهم وبقيت في ايدي الاعداء واحتاجوا الى الانفاق في تلك الغزوات والسفر وفي الغزوات والمحاربات واما المجاهدة بالانفس فيكفي في وصف ذلك انهم اقدموا على قتال اهل بدر من غير آلة ولا عدة والاعداء في غاية الكثرة ونهاية الشدة وذلك يدل على انهم ازالوا اطماعهم عن الحياة وبذلوا ارواحهم في سبيل الله وكانوا اول الناس اقداما على هذه الافعال والتزاما لهذه الخصال ولهذه السابقة اثر عظيم في تقوية الدين ﴿لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا﴾ وذلك ان غيرهم يقتدي بهم ويقوى به اعينهم بما يرون منهم والمحن يخف على القلوب بالمشاركة ولان المهاجرين لهم سابقة قدم في الاسلام ذكر الله تعالى الانصار بعدهم فقال ﴿والذين آووا ونصروا﴾ اي الذين انزلوا المهاجرين بهم وجعلوا لهم مأوى ونصروهم على اعدائهم ﴿اولئك بعضهم اولياء بعض﴾ اتفق جم غفير من المفسرين كابن عباس وغيره على ان المراد بهذه الولاية الارث كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون القرابة حتى نسخ ذلك بقوله ﴿واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض﴾ واستبعد الامام فخر الدين الرازي هذا التفسير لانه يستلزم النسخ واستلزام النسخ محذور منه ما امكن ولان لفظ الولاية يشعر بالقرب حيث دون ان يطلق الارث كقولهم السلطان ولي من لا ولي له وقال سبحانه ﴿الا ان اولياء الله لا خوف عليهم﴾ فان المراد ان المهاجرين والانصار يعظم بعضهم بعضا وبينهم معاونة وتناصر وانهم يد واحدة على الاعداء وان حب كل واحد لغيره جار مجرى حبه لنفسه ما قوله ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ فوجهه قراءة حمزة بان تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كالتجارة والقصارة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا ويتباشر عملا قال المفسرون لا يجوز ان يكون المراد بهذه الولاية النصرة والمعونة والا لم يصح عطف ان استنصروكم عليه لان الشيء لا يعطف على مثله فالمراد بها الارث كما مر واجيب بان لو حملنا ما على التعظيم زال الاشكال وحصل التغاير لان اهل الايمان قد ينصر بعضهم بعضا في بعض الاحوال مع انهم لا يوالونهم بمعنى الاجلال والتعظيم وكذا قد ينصر المرء عبده ولا يعظمه جعل الله تعالى حكم هؤلاء المؤمنين متوسطا بين الاولين وبين الكفرة من حيث انه نفى عنهم الولاية قبل ان يهاجروا واثبت لهم النصرة عند الاستنصار الا على الكفار المعاهدين لانهم لا يبدؤن بالقتال ثم قال ﴿والذين كفروا بعضهم اولياء بعض﴾ ظاهره اثبات الموالاة بينهم والغرض نهي المسلمين عن موالاتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارث بعضهم بعضا وفيه ان المشركين واليهود والنصارى لما اشتركوا في عداوة محمد صار ذلك الجهة موجبة لاتصال بعضهم الى بعض وقرب بعضهم من بعض وان كان واحد منهم في نهاية الانكار لصاحبه وذلك من ادل الدلائل ان تلك العداوة ليست لاجل الدين ولكنها لمحض الحسد والعناد ومن حمل الولاية في هذه الآيات بمعنى الارث استدل بذلك على ان الكفار في التوارث على اختلاف مللهم كاهل ملة واحدة فالمجوسي يرث الوثني والنصراني يرث المجوسي واليهودي يرث النصراني وبالعكس ثم قال ﴿الا تفعلوه﴾ اي ما امرتكم به من موالاة المسلمين المهاجرين ومن عدم موالاة غير المهاجرين الا في حالة الاستنصار ومن عدم موالاة الكفرة اصلا ﴿تكن فتنة﴾ اي تحصل مفاسد عظيمة في الارض من تفرق الكلمة واختلاط المؤمن بالكافر ووقوع الهرج والمرج ثم كرر تعظيما لشان المؤمنين والثناء عليهم قوله ﴿والذين آمنوا وهاجروا﴾ الآية فوصفهم بانهم هم المؤمنون حقا ﴿لهم مغفرة ورزق كريم﴾ وقد تقدم تفسير مثله في اول السورة والحاصل ان هذه السعادات العالية انما حصلت لهم لانهم اعرضوا عن اللذات الجسمانية

فتركوا الاهل والوطن وبذلوا النفس والمال وفيه تنبيه على انه لا طريق الى تحصيل السعادات الا بالاعراض عن هذه الجسمانيات ثم وصف
اللاحقين بالهجرة بعد السابقين اليها فقال وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ نقل الواحدي عن ابن عباس ان المراد بعد الحديبية وهي الهجرة الثانية
وقيل بعد نزول الاية وقيل بعد يوم بدر والاصح ان المراد الذين هاجروا بعد الهجرة الاولى فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ الحقهم بالاولين تشريفا
للاخرين وتعظيما للثاني ولولا كون القسم الاول اشرف لما صح هذا الالحاق ثم ختم الكلام بقوله وَأُولُو الْأَرْحَامِ اي ذووا القرابات بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ
بِبَعْضٍ اي احق بهم واجدر فِي كِتَابِ اللَّهِ اي في حكمه وقسمته او في اللوح او في القران وهو اية المواريث وهذه الاية ناسخة للتوارث بالهجرة
والنصرة اما الذين فسروا تلك الولاية بالنصرة والمحبة والتعظيم فانهم قالوا لما كانت تلك الولاية مخالفة للولاية بسبب الميراث بين الله تعالى
في هذه الاية ان ولاية الارث انما تحصل بسبب القرابة فيكون المقصود من هذا الكلام ازالة ذلك الوهم اعني ازالة الوهم من يجعل الولاية هناك
بمعنى الارث وقد تمسك اصحاب ابي حنيفة بهذه الاية في توريث ذوي الارحام وهم ذووا قرابة ليست بسبب فرض ولا عصوبة او كل قريب يخرج
عن اصحاب الفروض والعصبات وانهم عشرة اصناف الجد ابو الام وكل جد وجدة ساقطين واولاد البنات وبنات الاخوة واولاد الاخوات وبنو الاخوة للام
وبنات الاعمام والعمات والاخوال والخالات والخلاف في انه اذا لم يوجد ذو فرض وعصبة فهل يورث ذووا الارحام او يوضع المال في بيت
المال فقدمهم ابو حنيفة على بيت المال للاية وعكس الشافعي قال ان الاية مجملة في الشيء الذي حصلت فيه هذه الاولوية فلما قال في كتاب الله
كان معناه في الحكم الذي بينه الله في كتابه فصارت هذه الاولوية مقيدة باحكام اية الميراث فلا يبقى حجة في توريث ذوي الارحام و
اعلم انه سبحانه قال في اول الايات وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وفي براءة بتقديم في سبيل الله لان في هذه السورة تقدم
ذكر المال والفداء والغنيمة في قوله تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وفي قوله لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ اي من الفداء وفي قوله فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ وفي براءة
تقدم ذكر الجهاد في سبيل الله وهو قوله وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وفي قوله لِمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
ثم انه حذف من الاية الثانية باموالهم وانفسهم اكتفاء بما في الايتين قبلها والله اعلم ثم ختم السورة بقوله إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ والمراد
ان هذه الاحكام التي ذكرتها وفصلتها كلها حكمة وصواب وصلاح وليس فيها عيب وعبث لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب
نظيره ان الملائكة لما قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا قال مجيبا لهم إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ التأويلات ما كان لنبي الروح ان يكون له نفس ط
سورة وقوى موجهة الى تدبير امور المعاش والدعوة الى الله وان كان تصرفا بالحق حتى يثخن في ارض البشرية بقتل القوى والنفوس المنطبعة
بسيف الرياضة والمجاهدة ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الوحي يتحنث في غار حراء تريدون عرض الدنيا فيه اشارة الى ان الانسان اذا وكل
الى نفسه وطبعه يكون مائلا الى الدنيا وراغبا فيها والله يريد الاخرة منكم اي ليس الانسان من حيث طبعه ان يميل الى الاخرة انما هو بتوفيق
الله وبعنايته الازلية وَلَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ بان الانسان لا يكون مجذوبا نحو عالم الارواح بالكلية وانما يكون متوسطا بين العالمين
مراعيا للطرفين لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ من وراء النفس لما سورته والتفاتها الى تدبير البدن عَذَابٌ عَظِيمٌ هو عذاب القطيعة والبعد عن
عالم النور فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ من فوائد الجهاد الاكبر من الانوار والاسرار عند رفع الاستار حلالا طيبا نفوسكم عن لوث محبتها فكل ما يشغل
المرء عن الالتفات الى الله فهو شركه وصنم وَاتَّقُوا اللَّهَ عما سواه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ يستر بانوار وجوده ظلمات وجودكم رَّحِيمٌ بكم حيث يغنيكم عنكم
ويبقيكم به يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ النفوس الماسورة التي اسرت في الجهاد الاكبر عند استيلاء سلطان الذكر عليها إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا
من الاطمينان الى ذكر الله والانقياد لاحكامه يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ من اللذات الفانية واسبابها وذلك هو البقاء الحقيقي والذوق السرمدي
وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ يعني الميل الى ما جبلت النفوس عليه من طموح الى زخارف الدنيوية فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ بالتجاوز عن حدود الشريعة و
رسوم الطريقة فامكن منهم عند استيلاء الذكر عليها وقتلها بسيف الرياضة وَاللَّهُ عَلِيمٌ باحوالها حَكِيمٌ فيما دبر من امر جهادها وتزكيتها وَالَّذِينَ
آوَوا ذكر الله ومحبته في القلوب وَّنَصَرُوا المحبة بالذكر الدائم والطلب القائم أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ في المرافقة والموافقة في الطلب والسير الى
الله وَالَّذِينَ آمَنُوا بان الطلب حق ولم يهاجروا عن اوصافهم وافعالهم ووجودهم المجازي وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ تمسكوا باذيال ارادة الواصلين منكم
فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ بان تدلوهم على طريق الحق بمعاملتكم وسيركم ليقتدوا بكم وباحوالكم الا على قوم اي الا على بعض احوالكم مما صالحتم عليه نفوسكم
بعد ما جاهدتموها واسرتموها وامنتم شرها فلا تدلوا الطلاب على هذه الاحوال لئلا يميلوا الى الصلح في اوان الجهاد وَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ اشارة الى ان
المتاخرين اذا دخلوا في زمرة المتقدمين الواصلين فهم منهم وانهم ذووا رحم الوصول لانه ليس عند الله صباح ولا مساء ولهذا قال امتي كالمطر لا يدرى
اوله خير ام آخره

سورة التوبة مدنية حروفها ١٠٨٧٠ كلماتها ٢٤٩٧ مائة وتسع وآياتها عشرون

بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ
بیزاریست از خدا و رسول او بسوی آنها که عهد بستید از مشرکان پس بگردید در زمین در چهار ماه و بدانید که شما عاجز کننده
مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَ
نیستید خدا را و آنکه خدا رسوا کننده کافران است و اعلامی از خدا و رسول او بسوی مردمان در روز حج بزرگ که هر آئینه خدا بیزار است از مشرکان و

السابقين م

بلغ الاولى ... من اثناء التفسير ... الله ...

ع

الجزء العاشر

ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم إلا

الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن

الله يحب المتقين فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد

فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم وإن أحد من المشركين استجارك

ع

فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند

رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين كيف

وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون اشتروا

بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله إنهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك

هم المعتدون فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم

يعلمون وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم

لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم

فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف

صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم أم حسبتم أن تتركوا ولما

سینهای گروه مومنان را و ببرد خشم دلهای ایشان را و توبه پذیرد خدا بر آنکه خواهد و خدا دانای محکم کار است پایند اشتید که واگذاشته شوید و هنوز

يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون

ندانسته خدا آنها را که جهاد کردند از شما و نگرفتند از سوای خدا و نه پیغمبر او و نه مومنان دوستی و خدا مطلع است بآنچه میکنید

القراءة ورسوله بالنصب روح وزيد الباقون بالرفع أئمة بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف ابن ذكوان هشام يدخل بينهما مدة الباقون أئمة بهمزة ثم ياء

لا إيمان بكسر الهمزة ابن عامر الباقون بالفتح جمع يمين يعملون بياء الغيبة عباس مخبر الوقوف من المشركين ط معجزي الله ط للعطف الكافرين من

المشركين لا للعطف ورسوله ط حين لكم ج لابتداء الشرط مع الواو معجزي الله ط أليم لا للاستثناء مدتهم ط المتقين مرصد ج سبيلهم ط رحيم مأمنه ط

لا يعلمون المسجد الحرام ج لأن ما الجزاء مع اتصالها بالفاء فاستقيموا لهم ط المتقين ولا ذمة ط قلوبهم ج فاسقون ج لأن ما بعده يصلح وصفا استئنافا

يعلمون ولا ذمة ط المعتدون في الدين ط يعلمون أئمة الكفر لا لتعلق لهم بقوله فقاتلوا وما بينهما اعتراض ينتهون أول مرة ط أتخشونهم ج لأن ما

بعده مبتدأ مع الفاء مؤمنين مؤمنين لا للعطف قلوبهم ط من يشاء ط حكيم وليجة ط تعملون التفسير قد عد في الكشاف من أسماء هذه السورة

براءة وذلك واضح والتوبة لأن فيها ذكر التوبة على المؤمنين والمقشقشة لأنها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه والمبعثرة والمثيرة والحافرة والفاضحة

والمنكلة والمشردة والمخزية والمدمدمة لأنها تبعثر عن أسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم

تدمدم عليهم وعن حذيفة إنكم تسمونها سورة التوبة وإنما هي سورة العذاب وإنما تركت إلا ما قل أحد منه وعن ابن عباس ما زالت تقول

ومنهم حتى حسبنا أن لا تدع وللعلماء خلاف في سبب إسقاط التسمية من أولها فعن ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان في ذلك

فقال كان النبي صلى الله عليه وسلم كلما نزلت عليه سورة يقول ضعوها في موضع كذا وكان براءة من آخر القرآن نزولا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين موضعها

وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقرنت بينهما وكانه اراد بالمشابهة ما روي عن ابي بن كعب ان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود
فوضعت احديهما بجنب الاخرى واستبعد جمع من العلماء هذا القول لانا لو جوزنا في بعض السور ان لا يكون ترتيبها من الله على سبيل الوحي
لجوزنا مثله في سائر السور وفي ايات السورة الواحدة وذلك يفضي الى تجويز الزيادة والنقصان في القران على ما يقوله الامامية و
وقال بعض العلماء ان الصحابة اختلفوا ان الانفال مع التوبة سورتان ام سورة واحدة لانهما مائتان وست ايات فهما بمنزلة احدى الطوال
وكلتاهما وردت في القتال والمغازي فلما كان هذا الاختلاف فرجوا بينهما فرجة تنبيها على قول من يقول انهما سورتان ولم يكتب البسملة تنبيها
على قول من يرى انهما واحدة فعلوا ما لا يدل على ان هذا الاشتباه حاصل وفيه انهم لما سامحوا بهذا القدر من الشبهة دل على انهم كانوا متشددين
في ضبط الدين وحفظ القران عن التغيير والتحريف وذلك يبطل قول الامامية وفيه دليل على ان البسملة اية من كل سورة والا لجازت كتبتها
ههنا بل عند كل مقطع كلام وعن ابن عباس سألت علي بن ابي طالب ع عن ذلك فقال لان بسم الله الرحمن الرحيم امان وهذه السورة نزلت بالسيف
ونبذ العهود وذكر سفيان بن عيينة هذا المعنى واكده بقوله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا فقيل له اليس ان النبي صلعم كتب الى اهل الحرب
بسم الله الرحمن الرحيم فاجاب بان ذلك ابتداء منه يدعوهم الى الله ولم ينبذ اليهم عهدهم ولهذا قال في اخر الكتاب والسلم على من اتبع الهدى
ومما يؤكد شبهة من زعم انهما سورة واحدة ان ختم الانفال وقع بايجاب ان يوالي المؤمنون بعضهم بعضا وان يكونوا منقطعين عن الكفار
بالكلية وقوله براءة من الله ورسوله تاكيد لذلك الكلام وتقرير له ومعنى البراءة انقطاع العصمة وهي خبر مبتدأ محذوف ومن لابتداء
الغاية متعلق بمحذوف والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون
براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها وهي الجار والمجرور كما قلنا والخبر محذوف كما ذكرنا نظيره قولك رجل من بني تميم في الدار كان قد اذن الله في
معاهدة المشركين فاتفق المسلمون مع رسول الله وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم وكانه قيل للمسلمين اعلموا ان
الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين روي انهم كانوا عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا
الا اناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين ساروا والاشهر هي الحرم لقوله
فاذا انسلخ الاشهر الحرم والسياحة الضرب في الارض والاتساع في السير والبعد عن المدن وموضع العمارة مع الاقلال من الطعام والشراب و
منه قيل للصائم سائح لتركه المطعم والمشرب والمعنى في هذا الامر اباحة الذهاب مع الامان وازالة الخوف روي ان فتح مكة كان سنة ثمان من
الهجرة وكان رسول الله صلعم قد ولى عتاب بن اسيد الوقوف بالناس في الموسم فاجتمع في تلك السنة في المواقف ومعالم الحج المسلمون والمشركون
ويروى ان هذه السورة سنة تسع وكان قد امر فيها ابا بكر على الموسم فلما نزلت السورة اتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل
له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلعم فلما لحقه قال
امير او مامور قال مامور وروي ان ابا بكر لما كان ببعض الطريق هبط جبرئيل ع قال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر الى رسول
الله صلعم فقال يا رسول الله اشيء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر وحدثهم عن مناسكهم
وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلث عشرة
ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي
عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن الرماح وضرب بالسيوف
استدلت الامامية بهذه القصة على تفضيل علي كرم الله وجهه وعلى تقدمه واجاب اهل السنة بانه امر ابا بكر على الموسم وبعث عليا خلفه
لتبليغ هذه الرسالة حتى يصلي على خلف ابي بكر ويكون ذلك جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر واما قوله لا يبلغ عني الا رجل مني فذلك لان
المتعارف بين العرب انه اذا عقد السيد الكبير منهم لقوم حلفا او عاهد عهدا لم يحل ذلك العهد الا هو او رجل من ذوي قرابته كاخ او عم
فلو تولاه ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما نعرف فينا من نقض العهد فان يلتمسوا عليهم بنو حليف فلهم تولية ذلك عليا وقيل لما خص ابا بكر بتولية
امر الموسم خص عليا بهذا التبليغ تطبيبا للقلوب ورعاية للجوانب ولنرجع الى التفسير قال ابن الانباري في الكلام اضمار والتقدير فقل لهم
سيحوا او يكون ذلك رجوعا من الغيبة الى الحضور كقوله وسقيهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء واختلفوا في الاشهر الاربعة فعن الزهري
ان براءة نزلت في شوال والمراد فهي شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الاول وعشر
من ربيع الاخر وكانت حرما لانهم او منوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او سميت حرما على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل ابتداء المدة من عشر ذي
القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسئ الذي كان فيهم ثم صار في السنة الثانية في ذي الحجة قال
المفسرون هذا تاجيل من الله للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطه الى اربعة ومن كانت مدته اقل رفعه اليها والمقصود
من هذا التاجيل ان يتفكروا في انفسهم ويحتاطوا في الامر ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا احد امور ثلثة الاسلام او قبول الاسلام

او قبول الجزية او السيف فيصير ذلك حاملا لهم على قبول الاسلام ظاهرا والى هذا المعنى اشار بقوله واعلموا ان هذا الامهال ليس لعجز ولكن لمصلحة ولطف ليتوب من تاب فهو ضرب من التهديد كانه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما امكنكم من اعداد الآلات والادوات فانكم لا تفوتون الله وهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالعذاب وقوله مخزي الكافرين من باب الالتفات من الحضور الى الغيبة ومن وضع الظاهر موضع المضمر ليكون فيه اشارة الى ان سبب الاخزاء هو الكفر ثم اراد ان يعلم جميع الناس البراءة المذكورة فقال واذان وارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها وخطى الزجاج في قوله انه معطوف على براءة لانه لو عطف عليها لكان هو ايضا مخبرا عنه بالاول وهو الذين عاهدتم لكنه غير مقصود بل المقصود بل الاخبار عنه بقوله الى الناس والاذان اسم بمعنى الايذان الاعلام كالامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء ومنه اذان الصلوة امر الله تعالى بهذا الاعلام يوم الحج الاكبر وهو الجمع الاعظم الذي حضر فيه المؤمن والمشرك والمعاهد الناكث وغير الناكث ليصل الخبر الى جميع الاطراف ويشتهر وكان النبي صلى الله عليه وسلم يريد ان يحج في السنة الآتية فامر باظهار هذه البراءة لئلا يحضر الموقف غير المؤمنين الموحدين وقيل يوم الحج الاكبر يوم عرفة لان فيه اعظم اعمال الحج وهو الوقوف بعرفة ولهذا قال عليه السلام الحج عرفة وهو قول عمر وابن سعيد ابن المسيب وابن الزبير وعطاء وطاوس ومجاهد واحدى الروايتين عن علي عليه السلام وابن عباس ورواية المسور بن مخرمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فقال اما بعد فان هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن عباس في رواية عطاء هو يوم النحر وافقه قول الشعبي والسدي والمغيرة بن شعبة وسعيد بن جبير وذلك ان معظم افعال الحج من الطواف والحلق والرمي والنحر يقع فيه ومثله ما روي عن علي عليه السلام ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما يوم الحج الاكبر فقال يومك هذا خل عن دابتي يعني يوم النحر وعن ابن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقال ابن جريج عن مجاهد يوم الحج الاكبر ايام منى كلها وهو قول سفيان الثوري وكان يقول يوم الحج الاكبر ايامه كلها كيوم صفين ويوم الجمل يراد به الحين والزمان لان كل حرب من هذه الحروب دامت اياما كثيرة وعلى هذا فقد وصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر وقيل الحج الاكبر القران والاصغر الافراد عن مجاهد ايضا هذا وقد حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا والتقدير بان الله بريء من المشركين وقوله ورسوله بالرفع مبتدأ محذوف الخبر اي ورسوله ايضا كذلك او هو معطوف على المنوي في بريء اي بريء هو ورسوله وجاز العطف من غير تأكيد بالمنفصل للفصل وقرئ بالجر على الجوار او على ان الواو للقسم كقوله سبحانه لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون والفرق بين قوله براءة من الله وبين قوله ان الله بريء ان المقصود من الكلام الاول هو الاخبار بثبوت البراءة من العهد وبالثاني البراءة التي هي نقيض الموالاة ولهذا لم يصف المشركين ثانيا بوصف معين كالمعاهدة تنبيها على ان الموجب لهذه البراءة هو كفرهم وشركهم ولهذا اتبعه قوله فان تبتم اي عن الشرك فهو خير لكم وفيه ترغيب في التوبة والاقلاع الموجب لزوال البراءة وان توليتم اعرضتم عن التوبة او بقيتم على التولي والاعراض عن الايمان والوفاء فاعلموا انكم غير فائتين اخذ الله وعقابه قال بعض العلماء قوله سبحانه واعلموا انكم غير معجزي الله ليس بتكرار لان الاول للمكان والثاني للزمان وليس بالمجاهد او بأمن له اهلية الخطاب وفيه من التهكم والتهديد ما فيه كيلا يظن ان عذاب الدنيا لو فات وزال تخلصوا من العذاب بل العذاب الشديد معد لهم يوم القيمة اما قوله الا الذين فقد قال الزجاج ان الاستثناء يعود الى قوله براءة والتقدير براءة من الله ورسوله الى المشركين المعاهدين الا الذين لم ينقضوا العهد وقال في الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين والتقدير فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم وقيل استثناء من قوله الا الذين عاهدتم ومعنى لم ينقضوكم بالضاد المعجمة اي لم ينقضوا عهدكم ومعنى فاتموا اليهم اي ادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ثم ختم الآية بقوله ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين القبيلين ولا يجعل الوفي كالغادر ومن جملة الغادرين بنو بكر عدوا على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم الانصار كرشي وعيبتي اي انهم بطانتي وموضع سري وامانتي وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشد لاهم اني ناشد محمدا ان قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا حلف ابينا وابيك الاتلدا فقال صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم ومعنى ناشد محمدا اذكره الحلف والعهد لانه كان ابتداء بين عبد المطلب وبين خزاعة حلف قديم لهذا قال الاتلد اي الاقدم ثم بين حكم انقضاء اجل الناكثين فقال فاذا انسلخ الاشهر الحرم اي التي ابيح فيها للناكثين ان يسيحوا والانسلاخ الشهر تكامله جزءا فجزءا الى ان ينقضي كانسلاخ الجلد عما يحويه شبه خروج المتزمن عن زمانه بانفصال المتمكن عن مكانه فكلاهما ظرف فاقتلوا المشركين يعني الناقضين حيث وجدتموهم من حل او حرم وفي اي وقت كان وخذوهم واسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم امنعوهم من التصرف في البلاد وقيدوهم وقال ابن عباس حصرهم ان يحال بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل ممر ومجاز ترقبوهم هناك وانتصابه على الظرف كما مر في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة ان حصلوا على شروطها فخلوا سبيلهم المراد من التخلية الكف عنهم واطلاقهم من الاسر والحصر عن البيت الحرام او عن التصرف في مهماتهم ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف منهم من الكفر والغدر وقال الشافعي انه تعالى اباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر و



واقامة الصلوة وايتاء الزكوة فما لم يوجد احد هذه الامور وما لم يوجد هذا المجموع فوجب ان يبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلوة يقتل
ولعل ابا بكر استدل بمثل ذلك على جواز قتال مانعي الزكوة وحمل اكثر الائمة الاقامة والايتاء ههنا على اعتقاد وجوبهما والاقرار به لانه وان
كان عدولا عن الظاهر عن الحسن ان اسيرا نادى بحيث يسمع النبي صلعم اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد ثلثا فقال صلعم عرف الحق لاهله فارسلوه
قال بعض العلماء ذكر التوبة ههنا عبارة عن تطهير القوة النظرية عن الجهل وذكر الصلوة والزكوة عبارة عن تطهير القوة العملية عما لا ينبغي ولا ريب
ان كمال السعادة منوط بهما المعنى جعلنا الله من اهلهما لما اوجب الله سبحانه بعد انسلاخ الاشهر الحرم قتل المشركين دل ذلك على ان حجة الله تعالى
قد قامت عليهم وان ما ذكره الرسول قبل ذلك من انواع الدلائل والبينات كفى في ازاحة عللهم فيتجه ذلك ان احدا من المشركين لو طلب الدليل و
الحجة لم يلتفت اليه بل يطالب اما بالاسلام او بالجزية او بالقتل فازال الله تعالى بكمال رأفته هذه الشبهة فقال وَاِنْ اَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِيْنَ اسْتَجَارَكَ الاية
قال علماء العربية ارتفع احد بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وان استجارك احد استجارك وهو الجمع بين المفسر فحذف المفسر والغرض بناء الكلام
على الابهام ثم التفسير من حيث ان من مظان وقوع الفعل بعده وايضا ذكر الفاعل ههنا اهم لما بينا ان ظاهر الدليل يقتضي اباحة دم المشرك
فقدم ليدل على مزيد العناية بصون دمه عن الاهدار ومعنى استجرت فلانا اي طلبت منه ان يكون جارا لي محاميا وحافظا من ان يظلمني ظالم ومنه
يقال اجاره الله من العذاب اي انقذه والمعنى وان جاءك احد من المشركين بعد انسلاخ الاشهر لا عهد بينك وبينه فاستأمنك ليسمع ما تدعو
اليه من التوحيد والقران فامنه حتى يسمع كلام الله سماع تدبر وتامل ثم ابلغه داره التي يامن فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت وفيه ان المقصود
من شرع القتل قبول الدين والاقرار بالتوحيد وان النظر في دين الله من اعلى المقامات فان الكافر الذي دمه مهدر لما اظهر من نفسه
كونه طالبا للنظر والاستدلال زال ذلك الاهدار ووجب على الرسول ان يبلغه مأمنه اما زمان مهلة النظر فليس في الاية ما يدل على ذلك
ولعله مفوض الى اجتهاد الامام فمتى ظهر على المشرك علامات كونه طالبا للحق باحثا عن وجه الاستدلال امهل وترك ومتى ظهر عليه كونه معرضا
عن الحق دافعا للزمان بالاكاذيب لم يلتفت اليه وابلغ المأمن وقيل ان تلك المدة اربعة اشهر وهو الصحيح عن مذهب الشافعي والمذكور في الاية
كونه طالبا لسماع القران الا انه الحق به كونه طالبا لسماع الدلائل ولجواب الشبهات لانه تعم علل وجوب الاجارة بكونه غير عالم حيث قال
في اخر الاية ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُوْنَ فكل من حصلت فيه هذه العلة وجبت اجارته وفي سماع كلام الله وجوه قيل اراد جميع القران لان تمام
الدلائل والبينات فيه وقيل اراد سماع سورة براءة لانها مشتملة على كيفية المعاملة مع المشركين والاولى حمله على كل الدلائل وانما خص القران
بالذكر لانه الكتاب الحاوي لمعظم جميع الدلائل واعلم ان الامان قد يكون عاما يتعلق باهل اقليم او بلدة او ناحية وهو عقد المهادنة ويختص
بالامام وقد مر في تفسير قوله تعم وَاِنْ جَنَحُوْا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وقد يكون خاصا يتعلق بافراد الكفار وهذا يصح من الولاة ومن احاد المسلمين
ايضا وهذا مقصود الاية وانه ثابت غير منسوخ روي عن سعيد بن جبير ان رجلا من المشركين جاء الى علي عم فقال ان اراد الرجل منا
ان ياتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل ليسمع كلام الله او ياتيه لحاجة قتل قال لا واستدل بالاية وعن السدي هو منسوخ بقوله فَاقْتُلُوا
الْمُشْرِكِيْنَ وشرط الامان الاسلام والتكليف فيصح من العبد والمراة والفاسق روي انه صلعم قال يسعى بذمتهم ادناهم وعن ام هاني قالت اجرت رجلين
من احمائي فقال صلعم امنا من امنت ويعتبر مع الاسلام والتكليف الاختيار فلا يصح امان المكره على عقد الامان وينعقد الامان بكل لفظ مفيد
للغرض صريحا كقوله اجرتك او لا تخف وكناية كقوله انت على ما تحب او كن كيف شئت ومثله الكتابة والرسالة والاشارة المفهمة وروي عن عمر
انه قال والذي نفسي بيده لو ان احدكم اشار باصبعه الى مشرك فنزل على ذلك ثم قتله لقتلته هذا اذا دخل الكافر بلادنا بلا سبب اما اذا
دخل لسفارة فلا يتعرض له وكذا اذا دخل لسماع الدلائل وقصد التجارة لا يفيد الامان الا اذا راى الامام مصلحة في دخول التجار وحكم
الامان اذا انعقد عصمة المؤمن من القتل والسبي فان قتله قاتل ضمن بما يضمن به الذمي ولا يتعدى الامان الى ما خلفه في دار الحرب
من اهل ومال واما الذي معه منهما فان وقع التعرض لامانه اتبع الشرط والا فالارجح ان لا يتعدى الامان الى ذلك وقد بقي في الاية مسئلة اصولية
هي ان المعتزلة استدلوا بالاية على ان كلام الله تعالى هو هذه الحروف المسموعة ويتبع ذلك ان يكون كلامه محدثا لان دخول هذه
الحروف في الوجود على التعاقب واجيب بان هذه المسموعة فعل الانسان وليست هي التي خلقها الله تعالى اولا عندكم ونعلم ان هذا المسموع
ليس كلاما بالاتفاق فيجب ارتكاب التجوز البتة ونحن نحمله على انها دالة على الكلام النفسي فلهذا اطلق عليها انها كلام الله كما ان الجبائي قال ان كلام
الله شيء مغاير لهذه الحروف والاصوات وهو باق مع قراءة كل قارئ وزعم بعض الناس حين راوا انه تعم جعل كلامه مسموعا ان هذه الحروف
والاصوات قديمة لئلا يلزم قدم كلامه تعم وفيه ما فيه ثم اكد المعاني المذكورة من اول السورة الى ههنا فقال على سبيل الاستنكار والاستبعاد
كَيْفَ يَكُوْنُ لِلْمُشْرِكِيْنَ عَهْدٌ والمرفوع اسم كان وفي خبره ثلثة اوجه الاول كيف وقدم للاستفهام الثاني للمشركين وعند على هذين ظرف للعهد
او ليكون او للجار وهو وصف للعهد الثالث الخبر عند الله وللمشركين تبيين او متعلق بيكون وكيف حال من العهد يعني محال ان يثبت لهؤلاء
عهد وهم اضداد لكم يضمرون الغدر في كل عهد فلا تطمعوا في الوفاء منهم ولا تتوانوا في قتلهم ثم استثنى منهم المعاهدين عند المسجد الحرام
الذين لم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة ثم بين حكمهم فقال فَمَا اسْتَقَامُوْا لَكُمْ في ما وجهان احدهما ان يكون زمانية وهي المصدرية



على الحقيقة اى استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم الثاني شرطية اى ان استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِيْنَ
فيه اشارة الى ان الوفاء بالعهد والاستقامة عليه من اعمال المتقين ثم كرر الاستبعاد فقال كيف وحذف الفعل لكونه معلوما اى كيف
يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى يغلبوكم ويظفروا بكم وذلك ان الغلبة من الكمال عند الشخص وكل من تصور في نفسه كمالا
فانه يريد ان يظهر ذلك لغيره فاطلق الظهور على الغلبة لكونه من لوازمها لا يرقبوا لا يراعوا فيكم ولا ينتظروا بكم اِلًّا وَّلَا ذِمَّةً قال في الصحاح الال
العهد والقرابة ووجه ذلك في الكشاف بان اشتقاقه من الال وهو الجؤار لانهم اذا تحالفوا رفعوا به اصواتهم وسميت به القرابة
لانها تعقد بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق وفي الصحاح ايضا ان الال بالكسر من اسماء الله عز وجل وفي الكشاف انه قرئ ايلا بمعناه وقيل
جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن قال الزجاج الال عندي على ما يوجبه اللغة يدور على معنى الحدة
من ذلك الالة الحربة واذن مؤللة محددة ومعنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك والذمة العهد وجمعها ذمم وذمام وهو كل امر لزمك وكان
بحيث لو ضيعته لزمتك مذمة وقال ابو عبيدة الذمة ما يتذمم به اى ما يجتنب فيه الذم قال في الكشاف يُرْضُوْنَكُمْ كلام مبتدأ في وصف حالهم
من مخالفة الظاهر والباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وابآء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام
الجميل ثم قال سبحانه وَاَكْثَرُهُمْ فٰسِقُوْنَ عن ابن عباس لا يبعد ان يكون بعض هؤلاء الكفار قد اسلم وتاب فلهذا لم يحكم بالفسق على الكل والظاهر
انما اراد ان اكثرهم فساق في دينهم لا يتحرزون عن الكذب ونقض العهد الذي هو مذموم في جميع الاديان والنحل اشتروا استبدلوا بِاٰيٰتِ اللّٰهِ
بالقران او بالاسلام ثَمَنًا قَلِيْلًا هو اتباع الاهواء فَصَدُّوْا عَنْ سَبِيْلِهٖ فصرفوا عنه غيرهم وعدلوا هم انفسهم قال مجاهد اراد الاعراب الذين
جمعهم ابو سفيان واطعمهم وقيل لا يبعد ان يراد طائفة من اليهود الذين اعانوا المشركين على نقض العهود فان هذا اللفظ من القرآن كالامر
المختص باليهود ولانه وصفهم بقوله لَا يَرْقُبُوْنَ فِيْ مُؤْمِنٍ اِلًّا وَّلَا ذِمَّةً ولو اراد المشركين كان تكرارا وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُوْنَ المتجاوزون حدود الله
في دينه وما يوجبه العهد والعقد ثم قال فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة فان كان هذا في اليهود وما ذكره قبل في الكفار فلا تكرار
وان كان كلاهما في الكفار فجزاء الاول تخلية سبيلهم وجزاء هذا الثاني قوله فَاِخْوَانُكُمْ اى فهم اخوانكم في الدين فلم يكن من التكرار في شيء
قال ابن عباس حرمت هذه الاية دماء اهل القبلة وَنُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ نبينها لِقَوْمٍ يَّعْلَمُوْنَ لانهم هم المنتفعون بالبيان وهذه جملة معترضة
تفيد البعث على التامل في احكام المشركين وعلى المحافظة على مواردها وَاِنْ نَّكَثُوْا يعني هؤلاء التائبين ايمانهم من بعد عهدهم اى من
بعد اسلامهم حتى يكونوا مرتدين او المراد نكث المشركين عهودهم ومواثيقهم والنكث نقض الخيط من بعد ابرامه وَطَعَنُوْا فِيْ دِيْنِكُمْ ثلبوه و
عابوه فَقَاتِلُوْا اَئِمَّةَ الْكُفْرِ هي جمع امام واصلها اءممة كمثال وامثلة نقلت حركة الميم الى الهمزة وادغمت الميم في الميم وهو من وضع الظاهر موضع
المضمر للدلالة على ان من كان بهذه المثابة من الغدر وقلة الوفاء وعدم الحياء فهو عريق في الكفر مقتدى فيه لا يشق كافر غباره وقيل خص
سادتهم بالذكر لان من سواهم يتبعهم لا محالة ثم بين غرض القتال بقوله لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ليعلم ان الباعث على قتالهم هو ردهم الى طاعة معبودهم
رحمة عليهم لا امر نفساني وداع شهواني ووسط بين الامر بالقتال وبين الحامل عليه قوله اِنَّهُمْ لَآ اَيْمَانَ تنبيها على العلة الفاعلية للقتال
اثبت لهم الايمان اولا في الظاهر حيث قال وَاِنْ نَّكَثُوْا اَيْمَانَهُمْ ثم نفاها عنهم في الحقيقة لان ايمانهم ليست مما يعتد بها اذ لم يوفوا بها وبهذا
تمسك ابو حنيفة في ان يمين الكافر لا يكون يمينا وعند الشافعي يمينهم يمين لانه تعالى وصفها بالنكث ولو لم تكن
منعقدة لم يتصور نكثها ومن قرأ لا ايمان لهم بالكسر اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث فظاهر قال العلماء اذا
طعن الذمي في دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة
ثم شرع في ذكر سائر الاسباب المحرضة على القتال فقال اَلَا تُقَاتِلُوْنَ قال اهل المعاني اذا قلت الا تفعل كذا فانما يستعمل ذلك في فعل
يقدر وجوده واذا قلت الست تفعل فانما تقول ذلك في فعل تحقق وجوده والفرق ان لا ينفى بها المستقبل فاذا دخلت عليها الالف صار
تحضيضا على فعل ما يستقبل وليس مستعمل في نفي الحال فاذا دخلت عليه الالف صار لتحقيق الحال قال ابن اسحق والسدي والكلبي نزلت في
في كفار مكة نكثوا ايمانهم بعد عهد الحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة وهموا باخراج الرسول من مكة حين هاجر او من المدينة يريد اليهود
هموا باخراجه منها ونكثوا عهده وظاهروا اباسفيان عليه صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب وقيل همت قريش يوم الحديبية بان يدخلوه مكة ثم يخرجوه قبل
ان يتم حجه استخفافا به وعلى هذا اريد بالهم العزم على الفعل وان لم يوجد وَهُمْ بَدَءُوْكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ بالقتال يعني يوم بدر لانهم حين سلم العير
قالوا لا ننصرف حتى نستأصل محمدا ومن معه او المراد انهم قاتلوا حلفاءه من خزاعة او المراد ان الرسول جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم
به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى المقاتلة والبادي اظلم والحاصل ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء
بالقتال حقيق بان لا تترك مقاتلته وان يوبخ من فرط فيها ثم زاد في التوبيخ فقال فيه تقرير للخشية وتقوية لداعية القتال منهم كما اذا قلت
للرجل تخشى خصمك لانه يستنكف ان ينسب الى كونه خائفا من خصمه ثم بين ما يجب ان يكون الامر عليه بقوله فَاللّٰهُ اَحَقُّ اَنْ تَخْشَوْهُ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِيْنَ
يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا الله لان قدرته اتم وعقابه اشد بل لا قدرة الا له ولا يكون الا ما يريد وفي الفاء نوع

تعليل

تعليل لان الاستفهام في النهي كأنه قيل لا تخشوهم لان الله احق بالخشية واحرى بالطاعة وفيه نوع مجازاة كأنه قيل ان صح انكم مؤمنون فلا تخشوا
الا الله ثم زاد في تأكيد الامر بالقتال فقال قاتلوهم ورتب عليه خمس نتائج الاولى قوله يعذبهم الله بايديكم اى بالقتل والاسر والاغتنام
الاموال وهذا لا ينافي ما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لانه اراد هناك عذاب الاستيصال قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه تعالى
يدخل في الوجود من الافعال كلها من الله يظهرها على ايدى العباد واعترض الجبائي بانه لو كان كذلك لجاز ان يقال كذب الله انبياءه على لسان
الكفرة واجيب بان الامر كذلك عندنا الا انا لا نقوله رعاية للادب كما لا يقال يا خالق الخنافس والحشرات وكما انكم لا تقولون يا مسهل اسباب
الزنى واللواط ويا دافع الموانع عنها الثانية ويخزهم قيل هو الاسر وقيل المراد ما نزل بهم من الذل والهوان حين شاهدوا انفسهم مقهورين
في ايدى المؤمنين وهو قريب من الاول وهو هو وقيل هو عذاب الآخرة الثالثة وينصركم عليهم اورد عليه ان النصر يستتبع اخزاء الخصم فما
حاجة الى افراده بالذكر والجواب ان المغايرة كافية في افراد كل من المتلازمين بالذكر على انه من المحتمل ان يحصل لهم الخزى من جهة المؤمنين
الا ان المؤمنين يحصل لهم آفة بسبب آخر فلما وعدهم النصر على الاطلاق زال ذلك الاحتمال الرابعة ويشف صدور قوم مؤمنين هم خزاعة عن
ابن عباس بطون من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج
قريب الخامسة ويذهب غيظ قلوبهم قيل شفاء الصدر واذهاب غيظ القلب كلاهما بمعنى فيكون تكرارا والجواب ان القلب اخص من الصدر
كقوله يا دار مية بالعلياء فالسند وشفاء الصدر اشارة الى الوعد بالفتح ولا ريب ان الانتظار شاق وان كان مع التيقن بالموعود فاذهاب غيظ
القلب اشارة الى الفتح وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق النبي عليه السلام واعجازه ثم قال ويتوب الله على من يشاء وهو
ابتداء كلام للاخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وقد وقع فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول
التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى كقوله فاصدق واكن اما ان التوبة كيف يقع جزاء للمقاتلة فذلك من قبل الكفرة واضح فان القتال
قد يصير سببا للتوبة بعضهم عن الكفر واما من جهة المؤمنين فلعل القتال كان شاقا على بعضهم فاذا اقدم صار ذلك العمل جاريا مجرى التوبة
عن تلك الكراهة وايضا ان حصول النصر والظفر العام عظيم والعبد اذا شاهد توالى النعم لم يبعد ان يصير ذلك داعيا له الى ان يتوب عن
جميع الذنوب قد يصير كثرة المال والجاه سببا لتحصيل اللذات بالطريق الحلال فينتهى عن الحرام وايضا الانسان حريص على ما منع فاذا انفتح
عليه ابواب الخيرات الدنيوية فربما يصير ذلك سببا لانقباضه عن الدنيا واعراضه عنها وهذا هو احد الوجوه التى ذكروها في تفسير قوله تعالى
حكاية عن سليمان رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى يعنى حصول هذا الملك لا ينبغى للنفس للاشتغال بالدنيا والله عليم بكل
ما يجرى في ملكه وملكوته حكيم مصيب في افعاله واقواله واحكامه وتدابيره عن ابن عباس ان قوله الا تقاتلون الاية ترغيب في فتح مكة لان
النتائج المذكورة مشاكلة لتلك الاحوال واستبعده الحسن لان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة بسنة ثم بين انه ليس الغرض من ايجاب القتال
نفس القتال وانما المقصود ان يؤتى به انقيادا لامر الله ولتكليفه ليظهر المخلص من المنافق فقال ام حسبتم الاية وقد مر نحوها في آل عمران
عند قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة والوليجة
البطانة يعنى الحبيب الخالص فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل وهو الرجل يكون في القوم وليس منهم قال الواحدى يقال هو وليجتى يستوى الواحد
والجمع ومعنى الاية لا تحسبوا ان تتركوا على ما انتم عليه ولم يظهر بعد معلوم الله من تميز المجاهد بن المخلص الذين جاهدوا لوجه الله ولم يتخذوا
حبيبا من الذين يضادون رسول الله والمؤمنين ثم ختم الاية بقوله والله خبير بما تعملون ليعلموا انه لم يزل عالما بالاشياء لا يخفى عليه شئ في
الارض ولا في السماء فيجهدوا في استقامة السيرة ويجتهدوا في نقاء السريرة التأويل براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من النفوس
المشركة التى اتخذت الهوى وصنم الدنيا معبودا فعاهدتها الروح والقلب اوان الطفولية لاستكمال القالب وتربيته فسيحوا في ارض البشرية
اربعة اشهر هى مدة كمال الاوصاف الاربعة النباتية والحيوانية والشيطانية والانسانية واذان من الله ورسوله الى الصفات الناسوتية
يوم الحج الاكبر يوم الوصول الى كعبة الجلال والحج الاصغر الوصول الى كعبة القلب ان زيارة كعبة الوصال حرام على مشركى الصفات الناسوتية
فان تبتم عن الناسوتية بافنائها في اللاهوتية فهو خير لكم من بقائكم بالناسوت وان توليتم وكنتم الى غير الله فاعلموا انكم غير معجزى الله
عن التصرف فيكم اما لاهل السعادة فبالجذبات الازلية واما لاهل الشقاوة فبأليم عذاب القطيعة الا الذين عاهدتم ايها القلوب والارواح
من مشركى النفوس على التوافق في العبودية ثم لم ينقصوكم شيئا من وظايف الشريعة ولم يظاهروا عليكم احدا من الشيطان والدنيا فاتموا اليهم عهدهم
بالمداراة والرفق الى اوان طلوع قمر العناية ونجم الجذبة والهداية فاذا انسلخ الاشهر الحرم استكملت مدة التربية بتمام الاوصاف الاربعة فاقتلوا
النفوس المشركة بسيف النهى عن الشهوات حيث وجدتموهم في الطاعة بان تكلفوها اياها وفي المعصية بان تزجروها عنها وخذوهم بآداب الطريقة
واحصروهم احبسوهم في حصار الحقيقة واقعدوا لهم كل مرصد راقبوهم في الاحوال كلها فان تابوا رجعوا الى الطلب الحق واقاموا الصلوة اى
حق العبودية وآتوا الزكوة تزكت عن الاخلاق الذميمة فخلوا سبيلهم اتركوا التشديد عليهم بالرياضات ليعملوا بالشريعة بعد الوصول
الى الحقيقة فان النهاية هى الرجوع الى البداية وان احد من مشركى صفات النفس استجارك يا قلب ترك ما هو المخصوص من الصفات الذميمة

المنافقين من المجاهدين تمم

فاجره حتى يسمع كلام الله حتى يلهم بالهام ثم ابلغه مامنه وهو وارد الجذبة الالهية وان الجذبة اذا تعلقت بصفة من صفات النفس تجذب النفس بجميع صفاتها ذلك بانهم قوم لا يعلمون الله واسراره فلا يميلون اليه ويعلمون الدنيا وشهواتها فيركنون اليها كيف يكون للمشركين النفوس ثبات على العهد وقد جبلت ميالة الى السفليات وغايتها بعد صلاح حالها ان تميل الى نعيم الجنات الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهو مقام الوصول المحرم على اهل الدنيا والاخرة وهو مقام اهل الله وخاصته الذين تنورت نفوسهم بانوار الجمال والجلال فيثبتها الله على العهد بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فما استقاموا لكم على الصراط المستقيم فاستقيموا لهم بشرط حفظ متسع رعاية الشريعة لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يحفظوا حقوق الصحبة فان الارواح والقلوب والنفوس مزدوجة في عالمي الامر والخلق يرضونكم بالاعمال الظاهرة وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون فيما يعملون خارجون عن الصدق والاخلاص اشتروا بدلالات توصلهم الى الله ثمنا قليلا من متاع الدنيا ومصالحها فصدوا عن سبيله قطعوا طريق الحق على الارواح والقلوب فاخوانكم في الدين رفقاؤكم في طلب الحق فارعوا حقوقهم فان لنفسك عليك حقا لقوم يعلمون ان السير الى الله من اعظم المقامات واهم المهمات وطعنوا في دينكم انكروا مذهب السلوك ائمة الكفر النفوس وهموا باخراج الرسول يعني الواردات الغيبية باستيلاء دورة القلب اقد مرة في اوان الطفولية اتخشونهم في فوات حظوظها فالله احق ان تخشوه بفوات حقوقها ويذهب غيظ قلوبهم يعني وحشة الارواح والقلوب وكدورتها ويتوب الله على من يشاء بالرجوع الى الحق قبل التمادي في الباطل من حاجة الى رياضة شديدة والله عليم باستعدادات النفوس حكيم فيما يدبر لكل منها ام حسبتم ايها النفوس الامارة ان تتركوا بلا رياضة ولم يتخذوا اولياء من الشيطان والدنيا والاخرة ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم

بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۝ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ

وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً

عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۝ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ۝ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى

الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۝ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَ

عَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ۝ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ

كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ

ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ

جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ۝ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا



يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ



القراءة مسجد الله ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون على الجمع يبشرهم خفيفا حمزة وعشيراتكم على الجمع ابو بكر وحماد وجبلة وضاقت
ونحوها بامالة حمزة رحبت ثم بالمظاهرة ابو جعفر ونافع وابن كثير وخلف ويعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف بالكفر ط اعمالهم ج لعطف المختلفين
خالدون ه المهتدين ه في سبيل الله ط عند الله ط والظالمين ه لئلا يشتبه بالوصف انفسهم لا لان ما بعده خبر الذين عند الله ط الفائزون ه مقيم
لان ما بعده حال ابدا ط عظيم على الايمان ط الظالمون ه بامره ط الفاسقين ه كثيرة لعطف الظرف على الظرف حنين لا لان اذ ظرف نصركم مدبرين ج للاية والعطف
كفروا ط الكافرين ه من يشاء ط رحيم ه نصف الجزء وهذا ان شاء ط حكيم ه التفسير انه سبحانه بدأ السورة بذكر البراءة من المشركين وبالغ في ايجاب ذلك
بتعداد فضائحهم وقبائحهم ثم اراد ان يحكي شبهاتهم التي كانوا يحتجون بها في ان هذه البراءة غير جائزة مع الجواب عنها قال المفسرون لما اسر العباس
يوم بدر اقبل عليه المسلمون فعيروه بالكفر وقطيعة الرحم واغلظ علي له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقال له علي عليه السلام الكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج ونفك العاني فانزل الله تعالى ردا عليهم ما كان للمشركين
ما صح لهم وما استقام ان يعمروا مسجد الله يعني المسجد الحرام ومن قرأ على الجمع فاما ان يراد جميع المساجد فيشمل المسجد الحرام ايضا الذي هو اشرفها
وهذا آكد لان طريقه طريق الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك واما ان يراد المسجد الحرام وجمع
لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد او لان كل بقعة منه مسجد قال الفراء العرب قد يضع الواحد مكان الجمع كقولهم
فلان كثير الدرهم وبالعكس كقولهم فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا ملكا واحدا وعمارة المسجد اما لزومه واما كثرة اتيانه للصلوة و
الاعتكاف ولا شك انه ليس للمشرك ذلك واما مرمته وتعهده وليس للمشرك هذا ايضا لانه لا يجري مجرى الانعام على المسلمين ولا ينبغي ان يكون
للكافر منة على اهل الاسلام ولان دخوله المسجد يؤدي الى تلويث المسجد اما لكونه نجسا في الحكم واما لانه قلما يحترز عن النجاسات وما روي انه
صلى الله عليه وآله انزل وفد ثقيف في المسجد وهم كفار وشد ثمامة بن اثال الحنفي على سارية من سواري المسجد محمول على تعظيم شانه كانه اراد
ان يكون ذلك بمحضر منه وهو في المسجد وقوله شاهدين على انفسهم حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين
عمارة متعبدات الله مع الكفر به وفي تفسير هذه الشهادة اقوال اصحها انهم اقروا على انفسهم بعبادة الاوثان وتكذيب النبي والقرآن ولهذا
قال السدي هي ان النصراني اذا قيل له ما انت قال نصراني واليهودي يقول يهودي وعابد الوثن يقول انا عابد الوثن وقيل هي قولهم في طوافهم لبيك لا شريك
لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وعن ابن عباس انه قال المراد انهم يشهدون على محمد بالكفر وانما جاز هذا التفسير لقوله تعالى لقد
جاءكم رسول من انفسكم ثم بين تعالى ما هو الحق في هذا الباب فقال اولئك حبطت اعمالهم الصادرة عنهم كاكرام الوالدين وبناء الربط واطعام
الجائع لانه لا يعتد مع الكفر طاعة لان الكفر يوجب عقاب الابد ولهذا قال وفي النار هم فيها خالدون ولافادة هذا التركيب الحصر احتجت
الاشاعرة به على خلاص صاحب الكبيرة ثم وصف من له استيهال عمارة المسجد فقال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر لان المرء ما لم
يعرف المبدأ والمعاد لا يصح منه التوجه اليه وانما طوى ذكر الرسول تنبيها على انه واسطة والتوجه الحقيقي من الله والى الله ولهذا ورد في الحديث
المصلي يناجي ربه وقيل ان المشركين كانوا يقولون ان محمدا ادعى رسالة الله طلبا للرياسة والملك فلنفي هذه التهمة ترك ذكره ص وقيل دل
عليه بقوله واقام الصلوة وآتى الزكوة لانهما معلومتان من افعاله ص ولما في الصلوة من التشهد وقبلها الاذان والاقامة ثم ان اقامة الصلوة
لا ريب فيها عمارة المسجد والحضور فيه واما ايتاء الزكوة فانما كان سببا للعمارة لانه يحضر المسجد طوائف الفقراء والمساكين لاخذ الزكوة ولان
ايتاء الزكوة واجب وبناء المسجد واصلاحه نفل والانسان ما لم يفرغ عن الواجب لم يشتغل بالنافلة فلو لم يكن مؤديا للزكوة فالظاهر انه
لم يشتغل بعمارة المسجد ثم قال ولم يخش الا الله ليعلم انه لو اتى المسجد وبناه رياء وسمعة لم يكن عامرا له فعلى المؤمن ان يختار في جميع الاحوال رضوان
الله على غيره فان ذلك لو ضره في العاجل فسينفعه في الآجل وفي ادخال كلمة انما في صدر الآية تنبيه على ان من لم يكن موصوفا بالصفات
المذكورة لم يكن من اهل عمارة المسجد وان المسجد يجب صونه عن غير العبادة فقد روي عن النبي ص انه قال يأتي في آخر الزمان ناس من امتي يأتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وعنه ص الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال
صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور
ان يكرم زائره ومن عمارة المسجد تعظيمها والتدريس فيها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح فعن انس عن النبي ص من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه وفي قوله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين حسم لاطماع الكفار في الانتفاع
باعمالهم فان الموصوفين بالصفات المذكورة اذا كان اهتداؤهم المستعقب لصلاح حالهم في الدارين دائرا بين عسى ولعل فما ظنك بهؤلاء
المشركين ومعناه وفيه ان المؤمن يجب ان لا يغتر بالله عز وجل هذا وقد مر ان بعض الائمة ذهبوا الى ان عسى من الله الكريم واجب قال بعضهم ان
الرجاء راجع الى العباد ثم انه قال اجعلتم سقاية الحاج ومعناه هب ان عمارة المسجد وسقي الحجيج توجب لكم نوعا من الفضيلة الا ان هذه الاعمال
في مقابلة الايمان بالله والجهاد شيء نزر قال المفسرون انها نزلت في مناظرة جرت بين الفريقين الا انهم اختلفوا فقيل كافر ومؤمن
لقوله كمن آمن وقصته ما مر ان العباس بن عبد المطلب حين اسر يوم بدر قال لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد فلقد كنا نعمر

المسجد الحرام وسقي الحاج وروى ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام فنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت اليهود لهم انتم
افضل وقيل ان كلا الفريقين مؤمن لقوله أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً وهذا يقتضي ان يكون للمفضول ايضا درجة وقصته ما روى عن النعمان بن بشير
قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال الآخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد
الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله وهو يوم الجمعة ولكني اذا صليت دخلت
فاستفتيت رسول الله فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله الآية ويروى عن الحسن والشعبي ان طلحة قال انا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو اشاء
بت فيه وقال العباس وذلك بعد اسلامه انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال علي عليه السلام ما ادري ما تقولان لقد صليت ستة اشهر قبل الناس وانا
صاحب الجهاد فنزلت وعن ابن سيرين قال علي عليه السلام للعباس بعد ان كان اسلم الا تهاجر الا تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة الست اسقي
حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فنزلت هذه الآية فقال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها
خيرا والسقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر ولا بد من تقدير مضاف اي أَجَعَلْتُمْ اهل سِقايَةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ او
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كخصال من آمن ثم كان لسائل ان يسئل ما بال احد الفريقين لا يشبه بالآخر فلا جرم قال مستأنفا
لا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ ثم صرح بالمفضول فقال وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ اي المشركين إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ واي ظلم اشنع من وضع
اخس الموجودات وهو الاصنام مقام اشرفها وهو الله سبحانه وانما لم يهدهم الله لعدم قابلية وقع في استعدادهم الفطري وذلك لكونهم مظاهر
القهر فافهم ثم صرح بالفريق الفاضل فقال الَّذِينَ آمَنُوا الآية ثم من قال ان الفريقين المتناظرين كافر ومؤمن اورد عليه ان قوله أَعْظَمُ
دَرَجَةً يوجب ان يكون للمفضول ايضا درجة ولكنه ليس للكافر درجة واجيب بان هذا وارد على حسب ما كانوا يقدرونه لانفسهم من الدرجة
والفضيلة نظيره قوله ذلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ او المراد انهم اعظم درجة من كل من لم يكن موصوفا بالهجرة والجهاد وان كان مؤمنا فضلا
عن الكافر او المراد ترجيح الايمان والهجرة والجهاد على السقاية والعمارة ولا شك انهما من اعمال الخير وموجبان للثواب لولا الكفر وفي قوله عِنْدَ
اللَّهِ تشريف عظيم كقوله وَمَنْ عِنْدَهُ لا يَسْتَكْبِرُونَ وكذا في قوله وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ لدلالته على انحصار الفوز فيهم ثم فسر الفوز بقوله يُبَشِّرُهُمْ
رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ التنكير فيها يفيد انها وراء وصف الواصف قال المتكلمون الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة
بالتعظيم فالتبشير بالرحمة والرضوان اشارة الى غاية التعظيم ونهاية الاجلال والجنات اشارة الى حصول المنافع العظيمة وقوله لَهُمْ
فِيها نَعِيمٌ اشارة الى خلوص تلك المنافع عن شوائب الكدورات ثم عبر عن دوامها بثلثة الفاظ مؤكدات اولها مقيم وثانيها خالدين وثالثها
ابدا وقال اهل التحقيق الفرح بالنعمة قد يكون من حيث ان المنعم خصه بها كالسلطان اذا اعطى بعض الحاضرين تفاحة مثلا ثم النعمة قد يكون
حسية وقد يكون عقلية فقوله يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ اشارة الى اعلى المراتب وهو مقام العارفين الذين نظرهم على مجرد سماع البشارة لا على المبشر به
وقوله بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ اشارة الى المرتبة الوسطى وهم العاكفون على عتبة اللذات الروحانية العقلية وقوله جَنَّاتٍ الى آخره اشارة
الى المرتبة السفلى وهم الواقفون عند ساحات مواقع اللذات الحسيات وفي تخصيص الرب بالمقام اشارة الى ان الذي رباكم في الدنيا
بالنعم التي لا احد لها يبشركم بخيرات دائمة وسعادات باقية لا حصر لها ويجوز ان يكون الرحمة اشارة الى رضاء العبد بقضائه فيسهل عليه الغموم و
الآفات والرضوان اشارة الى الرضا عن العبد فيكون كقوله ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ثم اكد المعاني المذكورة بقوله إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ
أَجْرٌ عَظِيمٌ وفي تصدير الجملة بالاسمية بان وفي لفظ عنده وتنكير اجر ووصفه بالعظم مبالغات لا تخفى قال الكلبي لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة
الى المدينة جعل الرجل يقول لابيه ولاخيه ولقرابته انا قد امرنا بالهجرة فمنهم من يسرع الى ذلك ويعجبه ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده
فيقولون انشدك الله ان تدعنا الى غير شيء فنضيع فيرق فيجلس معهم ويدع فنزل فيهم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الى الآيتين و
ذكروا في وجه النظم ان هذه الآية جواب عن شبهة اخرى قالوها وهي انه كيف يمكن دعوى البراءة من الكفار وبينهم وبين المسلمين قرابات و
مواصلات ومعاملات فذكر الله تعالى ان الانقطاع عن الآباء والابناء والاخوان واجب بسبب الكفر ومعنى استحبوا اختاروا وهو في الاصل طلب المحبة
ثم ان النهي كان يحتمل ان يكون نهي تنزيه لا تحريم فلازالة ذلك الوهم ختم الآية بقوله وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قال ابن عباس يريد
انه يكون مشركا مثلهم لان الرضا بالشرك شرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب ويبغض في الله حتى يحب في الله اقرب الناس
وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا
يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا آباءنا وعشائرنا وذهبت تجارتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين
فنزلت قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ الآية فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقربائه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم
رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله عز وجل عن موالاتهم قال الواحدي عشيرة الرجل اهله
الادنون وهم الذين يعاشرونه ومن قرأ على الوحدة فلان العشيرة اسم جمع ومن قرأ على الجمع فلان كل واحد من المخاطبين له عشيرة قال الاخفش
لا يكاد العرب يجمع عشيرة على عشيرات وانما يجمعونها على عشائر وللقرآن حجة عليه والاقتراف الاكتساب والتركيب يدور على الدنو

غزوات الرسول تسع عشرة

الكاسب الى الشي ويدخله تحت ملكه والترتيب المذكور في الاية في غاية الحسن لان اعظم الاسباب الداعية الى المخالطة القرابة القريبة
ثم البعيدة ثم ان يتوسل بتلك المخالطة الى ابقاء الاموال المكتسبة ثم الى التجارات المثمرة وفي اخر المراتب الرغبة في الاوطان التي بنيت
للسكنى فبين تعالى انه يجب تحمل هذه المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما وذكر انه ان كانت رعاية هذه المصالح الدنيوية اولى عنده من
طاعة الله وطاعة رسوله ومن المجاهدة في سبيل الله فتربصوا انتظروا بما تحبون حتى ياتي الله بامره عن الحسن هو عقوبة عاجلة او اجلة
وقيل يعني القتال وعن ابن عباس هو فتح مكة وفيه بعد لما روي ان هذه السورة نزلت بعد فتح مكة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعة الله الى معصيته ولا يخفى ما فيه من التهديد ثم لما اوجب ترك مصالح الدنيا لاجل الدين اراد ان يبين ان كل من اعرض عن
الدنيا لاجل مصالح دينه فان الله تعالى يراعي مصالح دنياه فيفوز بسعادة الدارين وضرب لهذا مثلا فقال لقد نصركم الله في مواطن
كثيرة قال الواحدي النصر المعونة على الاعداء خاصة والمواطن جمع الموطن وهو كل موضع اقام به الانسان لامر ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها
وامتناعها من الصرف لانه على صيغة منتهى الجموع ولا هاء كمساجد والمواطن الكثيرة غزوات الرسول ص وهي على ما في الصحاح تسع عشرة منها
غزوة بدر وقريظة والنضير واحد وغزوة خندق وذات الرقاع وغزوة بني المصطلق وغزوة انمار وغزوة ذي القرد وخيبر والحديبية
والفتح ويوم حنين اي وفي يوم حنين استبعد صاحب الكشاف عطف الزمان على المكان فقال معناه في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان
يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين ع قال على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر اي ونصركم يوم حنين
لان قوله اذ اعجبتكم كثرتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا
كثيرا في جميعها ويجوز ان يكون اذ منصوبا باضمار اذكر قلت ولعله لا حاجة الى هذه التكلفات فلا استبعاد في عطف الزمان على المكان و
ما جعل بدلا عن الزمان لا يلزم ان يكون بدلا عن المكان حتى يكون الفعل الاول مقيدا بهما جميعا وحنين واد بين مكة والطايف
قال المفسرون لما فتح رسول الله ص مكة وقد بقيت ايام من شهر رمضان خرج متوجها الى حنين لقتال هوازن وثقيف واختلفوا في عدد
عسكر رسول الله ص حينئذ فعن عطاء عن ابن عباس كانوا ستة عشر الفا عشرة الاف من الذين حضروا مكة والفان من الطلقاء
الاسارى الذين اعتقهم رسول الله ص وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وبالجملة كانوا عددا كثيرين وكان هوازن وثقيف اربعة
الاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فهذه الكلمة ساءت رسول الله ص وهي المراد من قوله اذ اعجبتكم وقيل قالها ابو بكر
وقيل رسول الله ص وهو بعيد لانه كان في الاحوال متوكلا على الله منقطع القلب عن الدنيا واسبابها ثم قال فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما يدفع
الحاجة اي لم يعطكم الكثرة شيئا يدفع حاجتكم ولم يفدكم وضاقت عليكم الارض بما رحبت ما مصدرية والباء بمعنى مع والرحب السعة والجار والمجرور
في موضع الحال اي متلبسة برحبها كقولك دخلت عليه بثياب السفر والمعنى انكم لشدة ما لحقكم من الرعب لم تجدوا في الارض ذات الطول والعرض
موضعا يصلح لفراركم اليه وكانها ضاقت عليكم ثم وليتم مدبرين اي انهزمتم انهزاما قال البراء بن عازب كانت هوازن رماة فلما حملنا عليهم انكشفوا
واكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام فانكشف المسلمون عن رسول الله ص ولم يبق معه الا العباس بن عبد المطلب وابو سفيان بن الحرث والذي
لا اله الا هو ما ولى رسول الله ص دبره قط لقد رايته وابو سفيان اخذ بالركاب والعباس اخذ بلجام الدابة وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن
عبد المطلب وطفق يركض بغلته نحو الكفار لا يبالي وكانت بغلة شهباء ثم قال للعباس ناد المهاجرين والانصار وكان العباس رجلا صيتا
فنادى يا اصحاب الشجرة فرجعوا ونزلت الملائكة عليهم ثياب بيض على خيول بلق واخذ رسول الله ص بيده كفا من الحصباء فرماهم بها وقال شاهت
الوجوه فما زال حدهم مدبرا وجدهم كليلا ولم يبق منهم احد الا وقد امتلات عيناه من ذلك التراب فانهزموا وذلك قوله سبحانه ثم انزل الله
سكينته رحمته التي سكنوا بها وامنوا على رسوله وعلى المؤمنين الذين كانوا انهزموا وعلى الذين ثبتوا مع رسول الله ص حين وقع الهرب وانزل
جنودا لم تروها يعني الملائكة ستة عشر الفا او ثمانية الاف على اختلاف الروايات وعن سعيد بن المسيب قال حدثني رجل كان في المشركين يوم
حنين قال لما كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه حسان فقالوا شاهت الوجوه ارجعوا
فرجعنا وركبوا اكتافنا واختلفوا في قتال الملائكة فقيل قاتلوا وقيل ما قاتلوا الا يوم بدر وانما نزلوا في هذا اليوم لتكثير السواد ولالقاء الخواطر
الحسنة في قلوب المؤمنين ثم قال وعذب الذين كفروا اي بالقتل والاسر واخذ الاموال وسبي الذراري احتجت الاشاعرة بانزال السكينة
وهي الطمانينة والسكون والثبات وبقوله وعذب على ان الدواعي والافعال كلها بخلق الله تعالى ثم ختم الله بقوله وذلك جزاء الكافرين واعلم ان
الحنفية تمسكوا في مسئلة الجلد مع التغريب بقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا قالوا الفاء للجزاء والجزاء اسم للكافي وكون الجلد كافيا يمنع
ان يكون غيره مشروعا معه واجاب الشافعية بانه تعالى قال في هذه الاية وذلك اي الاخذ والاسر جزاء الكافرين سمى العذاب العاجل
جزاء مع انه غير كاف لان العذاب الاجل باق اما قوله ثم يتوب الله من بعد ذلك اي يسلم ناس منهم روي ان ناسا منهم جاؤا تائبين فاسلموا
وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابرهم وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل و
الغنم ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون يعني العساكر ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا

نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرتهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده شئ وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا ثم انه سبحانه اجاب عن شبهة اخرى وهو ان عليا عليه السلام حين قرأ عليهم براءة ينبذ اليهم عهدهم قال اناس يا اهل مكة ستعلمون ما تلقونه من الشدة لانقطاع السبل وفقد الحمولات فقال تعالى يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس قال فى الكشاف هو مصدر كالقذر ومعناه ذو نجس وقال الليث انه صفة يستوى فيه الواحد وغيره رجل نجس وقوم نجس وامرأة نجس قلت ويجوز ان يجعل المصدر نعتا للمبالغة فى الوصف واختلف فى تفسير كون المشرك نجسا فعن ابن عباس ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ وهو قول الهادى من ائمة الزيدية واما الفقهاء فقد اتفقوا على طهارة ابدانهم واحتج القاضى على ذلك بما روى انه عليه السلام شرب من اوانيهم وبانه لو كان نجس العين لما تبدلت النجاسة بسبب الاسلام واولوا الآية بان معناها انهم لا يغتسلون عن الجنابة ولا يتوضأون عن الحدث او انهم بمنزلة الشئ النجس فى وجوب الاجتناب والاحتراز او ان كفرهم الذى هو صفة بمنزلة النجاسة الملتصقة بالشئ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهى السنة التاسعة من الهجرة التى وقع النداء فيها بالبراءة من المشركين واختلفوا فى هذا النهى فعن ابى حنيفة واصحابه ان المراد ان لا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلونه فى الجاهلية والدليل عليه قول على عليه السلام فى النداء الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك وقال الشافعى المراد المنع من الدخول فيه وهو ظاهر النص وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وقيل المراد ان يمنعوا من تولى المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهى المشركين ان يقربوه راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم منه لقوله تعالى وان خفتم عيلة اى فقرا بسبب منع المشركين وموضع التجارات ليس هو عين المسجد بل الحرم كله ومن قال ان المراد منعهم من الحج قال انهم اذا لم يحضروا الموسم لم يحصل للمسلمين ما كان لهم فى قدومهم عليهم من الارفاق والمكاسب فلهذا خافوا الفقر ثم وعدهم الله ازالة الفقر بقوله فسوف يغنيكم الله من فضله اى من تفضله بوجه آخر قال عكرمة انزل الله عليهم المطر فكثر خيرهم وعن الحسن جعل الله ما اخذ الجزية بدلا عن ذلك وقيل اغناهم عن الفئ وعن مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش وحملوا الطعام الى مكة فكان ذلك اعود عليهم واعلم ان هذا اخبار بالغيب وقد وقع فكان معجزا ومعنى ان شاء تعليم وارشاد وان لا يفتر المسلمون بذلك فيتركوا التضرع الى الله والالتجاء اليه وليعلم ان حصول ذلك لا يكون فى كل الاوقات لاغراض ومقاصد لا يعلمها الا ضابط الامور ورابط الاسباب ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم اى باحوالكم حكيم لا يعطى ولا يمنع الا عن حكمة ومصلحة التأويل ما كان لمشركى النفوس الامارة ان يعمروا مساجد الله وهى القلوب وهم مصرون على ما جبلوا عليه من التمرد وتتبع الهوى حبطت اعمالهم التى صدرت عنهم رياء وسمعة انما يعمر القلوب من آمن بالله واليوم الآخر صدق بان المقصود والمعبود هو الله وعمل لنيل السعادات الاخروية وادام المناجاة مع الله بصدق الطلب وزكى نفسه عن الاخلاق الذميمة ولم يخف فوات الحظوظ العاجلة وانما يخاف فوات الحقوق الالهية سقاية الحاج خدمة هذه الطائفة للاغراض الفاسدة وعمارة المسجد الحرام بالاعمال الموجبة لعمارة القلوب اذا كانت مشوبة بالرياء والهوى لا يستوون عند الله الطالبون والبطالون والله لا يهدى القوم الظالمين الذين يضعون الاعمال الصالحة فى غير موضعها الذين آمنوا اى القلوب المؤمنة وهاجروا اى الارواح المهاجرة الى القوالب وجاهدوا فى سبيل الله الجهاد الاكبر باموالهم وانفسهم ببذل الموجود والوجود جميعا يبشرهم ربهم بعد الخلاص عن حجب الوجود بتجلى صفات لطفه وجنات الشواهد والكشوف ان الله عنده اجر عظيم اى من وصل الى مقام العندية فالله العظيم اجره لا تتخذوا آباءكم الآيتان فيهما اشارة الى ان من آثر محبة الخلق فقد ابطل الاستعداد الفطرى لقبول الفيض الالهى ويوم حنين اى حين حنت قلوبكم شوقا الى لقاء ربها وحسبتم انكم تبلغونه بكثرة الطاعات وضاقت عليكم ارض الوجود ثم اعرضتم عن الطلب اذ احتجبتم بحجب العجب مدبرين الى عالم الطبيعة الحيوانية ثم انزل الله سكينته وهى واردات ترد على الارواح والقلوب فتسكن الى ربها على رسول الروح وعلى القلوب المؤمنة وانزل جنودا من المواهب الربانية ومن المتمردة باستعمالها فى احكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اى علاج النفوس المتمردة باستعمالها فى احكام الشريعة وآداب الطريقة وذلك جزاء الكافرين اى علاج النفوس المتمردة ثم يتوب الله من بعد ذلك العلاج بجذبة ارجعى انما المشركون النفوس لعابدة للدنيا والشيطان والهوى فلا يقربوا القلب بعد عامهم هذا وهو حالة البلوغ وجريان قلم التكليف على الانسان نهى القلوب عن اتباع النفوس وامرها بمقتها ومنعها عن طوافها لئلا تنجس كعبة القلب بنجاسة شرك النفس وان خفتم عيلة الذين هو صافها ... حظوظا يستلذ بها عند اتباع النفس فسوف يغنيكم الله بعد انقطاع تصرفات النفس عن القلب بالواردات الربانية والكشوف الروحانية ان الله عليم بمستحقى فضله حكيم فيما دبر من قتال النفوس قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين

کارزار کنید با آنها که نگروند بخدا و نه بروز پسین و حرام نسازند آنچه را که حرام کرده خدا و پیغمبر او و دین نگیرند دین حق را از آنها

اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح

که داده شده اند کتاب را تا بدهند جزیه را از دست و ایشان ذلیل باشند و گفتند یهود که عزیر پسر خداست و گفتند ترسایان که مسیح

ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا
هو سبحانه عما يشركون يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين
آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله
والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم
يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا
ما كنتم تكنزون إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات
والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة
كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا
يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين

ربع

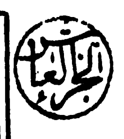
نصف

القراءة عزير ابن بالتنوين مكسورة للساكنين عاصم وعلي وسهل ويعقوب الباقون بغير تنوين يضاهئون بالهمزة عاصم غير الخراز الآخرون
يضاهون بحذف الهمزة ان يطفوا وليواطوا بحذف الهمزة فيهما يزيد وحمزة في الوقف وان شاء لين الهمزة اثنا عشر بسكون العين يزيد و
الخراز انما النسي بالتشديد ورش من طريق البخاري وحمزة في الوقف الباقون بيا بعدها همزة يضل بضم الياء وفتح الضاد علي وحمزة
غير العجلي وحفص وخلف لنفسه يضل بضم الياء وكسر الضاد العجلي واوقيه ورويس الباقون يضل بفتح الياء وكسر الضاد الوقوف صاعزير
المسيح ابن الله ط بافواههم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف من قبل قاتلهم الله ج يؤفكون ابن مريم ج لاحتمال الجملة بعده ان يكون حالا
واستينافا واحدا ط لان ما بعده يصلح ابتداء ووصفا الا هو ط يشركون الكافرون كله لا لتعلق لو بما قبلها المشركون عن سبيل الله ط في سبيل الله
لتعلق الفاء اليم اي في يوم وظهورهم ط تكنزون حرم ط تقاتلونكم كافة ط المتقين فيحلوا ما حرم الله ط اعمالهم ط الكافرين التفسير انه لما ذكر شبهات المعترضين
واجاب عنها باجوبة صحيحة اراد ان يبين احكام اهل الكتاب المقصود تميزهم من المشركين في الحكم لان الواجب في المشركين القتال الى الاسلام والواجب
في اهل الكتاب القتال او الجزية الى الاسلام واعلم انه تعالى ذكر صفات اربعة وامر بقتال من اتصف بجملتها ثم بين بها بقوله من الذين اوتوا الكتاب
فدل على ان اهل الكتاب متصفون بتلك الصفات فالصفة الاولى انهم لا يؤمنون بالله واورد عليه ان القوم يقولون نحن نؤمن بالله
واجيب بان ايمانهم بالله كلا ايمان لانهم مشبهة وحلولية واعترض ثانيا بان كل من نازع في صفة من صفات الله لو كان منكرا لله لزم ان يكون
اكثر المتكلمين كذلك فالاشعري من اهل السنة اثبت البقاء صفة والقاضي انكره وعبد الله بن سعيد اثبت القدم صفة والباقون انكروه و
القاضي اثبت لله ادراك المطعوم وادراك الروائح والحرارة والبرودة والاستاذ ابو اسحق انكره والقاضي اثبت للصفات سبعة احوال معللة بتلك
الصفات وغيره انكره وعبد الله بن سعيد زعم ان كلام الله في الازل ما كان امرا ولا نهيا ولا خبرا ثم صار كذلك عند الانزال والآخرون انكروه
وقوم من قدماء الاشاعرة اثبتوا لله خمس كلمات الامر والنهي والاستخبار والخبر والنداء والمشهور ان كلام الله واحد واختلفوا في ان خلاف
المعلوم هل هو مقدور لله واما اختلافات المعتزلة وسائر الفرق فاكثر من ان تحصى ههنا واجيب بان المجسم خالف في الذات لانه يقول ان
الاله جسم والبرهان على ان اله العالم ليس بجسم ولا جسماني واما الخلاف في المسائل المذكورة فراجع الى الصفة وظهر الفرق نعم ان انكر الحلولية

ثم بين الموصوفين بها بقوله

والحروف فيه القائلين بأن كلام الله تعالى في كل لسان وفي كل جسم كتب فيه القرآن كما تكفر النصارى القائلين بأن أقنوم الكلمة حلت في عيسى الصفة
الثانية أنهم لا يؤمنون باليوم الآخر لأن اليهود والنصارى ينكرون المعاد الجسماني والقرآن دل على أن أهل الجنة يأكلون ويشربون و
يتمتعون أما السعادات الروحانية فتتفق عليها الصفة الثالثة ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أي لا يحرمون ما حرم الله في القرآن والرسول
في سنته كالخمر والخنزير ونحوهما وقال أبو روق أي لا يعملون بما في التوراة والإنجيل بل حرفوهما وأتوا بأحكام توافق مشتهاهم الصفة الرابعة ولا
يدينون دين الحق أي لا يعتقدون صحة دين الإسلام الذي هو الحق يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذ ذلك دينه ومعتقده وقيل الحق هو الله
ثم ذكر غاية القتال فقال حتى يعطوا الجزية فعلة من جزى يجزي إذا قضى ما عليه قال الواحدي هي ما يعطي المعاهد على عهده وقال في الكشاف سميت
جزية لأنها طائفة مما على أهل الذمة أن يجزوه أي يقضوه أو لأنهم يجزون بها من منّ عليهم بالإعفاء عن القتل ومعنى عن يد إن أريد بها يد المعطي أي عن يد
مؤاتية غير ممتنعة يقال أعطى بيده إذا انقاد وأصحب أو المراد حتى يعطوها عن يد إلى يد نقدا غير نسيئة ولا مبعوثا على يد أحد وإن أريد بها يد الآخذ
فمعناه حتى يعطوها عن يد قاهرة مستولية أي بسببها كقوله ينهون عن أكل وعن شرب أي يتناهون في السمن بسببهما أو المراد عن إنعام عليهم لأن
قبول الجزية منهم بدلا عن أرواحهم نعمة عظيمة عليهم قيل إن من اليهود من هو موحد فما وجه إيجاب الجزية عليهم والجواب أنه إذا ثبت وجوب الجزية على بعضهم
لزم القول به في حق الكل لعسر الامتياز ولوجود الصفات الباقية فيهم أما مقدار الجزية فعن أنس قسم رسول الله ﷺ على كل محتلم دينارا وقسم عمر على
فقرائهم في المدينة اثني عشر درهما وعلى الأوساط أربعة وعشرين وعلى أهل الثروة ثمانية وأربعين فذهب الشافعي إلى أن أقل الجزية دينار ولا
يزاد على الدينار إلا بالتراضي وذهب أبو حنيفة إلى قسم عمر والمجوس سبيلهم سبيل أهل الكتاب لقوله ﷺ سنوا بهم سنة أهل الكتاب ويروى أنه ﷺ أخذ الجزية
من مجوس هجر وذلك لأن لهم شبهة كتاب قيل معنى ذلك أن كتبهم وهي الصحف التي نزلت على إبراهيم عليه السلام قد رفعت إلى السماء لأحداث أحدثوها وليس
المقصود من أخذ الجزية تقرير الكفرة على كفرهم بدينار واحد حتى يصير موجبا للطعن وإنما الغرض حقن دمائهم وإمهالهم مدة لعلهم يتفكرون في كتابهم
فيعرفون صدق محمد وما دعاهم إليه وأيضا فحرمة أنبيائهم وحرمة كتابهم وحرمة آبائهم الذين انقرضوا على الحق من شريعة التوراة والإنجيل وأما
قوله وهم صاغرون فمعناه أنه لا بد مع أخذ الجزية من إلحاق الذل والصغار بهم والسبب فيه أن طبع العاقل ينفر عن تحمل الذل فإذا أمهل الكافر مدة
وهو يشاهد عز الإسلام وذل الكفر ويسمع الدلائل فالظاهر أن مجموع ذلك يحمل على الانتقال إلى الإسلام وفسروا الصغار في الآية بأخذ الجزية
على سبيل الإهانة بأن يكون الذمي قائما والمسلم الذي يأخذ الجزية قاعدا ويأمره بأن يخرج يده من جيبه ويحني ظهره ويطأطئ رأسه فيصب ما معه
في كفة الميزان ويأخذ المستوفي بلحيته ويضرب في لهزمتيه وهذه الهيئة مستحبة على الأصح لا واجبة وقيل الصغار هو نفس أخذ الجزية والجزية تسقط
بالإسلام عند أبي حنيفة دون الشافعي وإنما تؤخذ عند أبي حنيفة في أول السنة وعند الشافعي في آخرها ولا تؤخذ من فقير لا كسب له ولا من امرأة
وخنثى ولا صبي ولا مجنون وعبد ولا من سيده بسببه وتضرب على الزمن والعسيف والشيخ الفاني والراهب والأعمى على الأصح من قولي الشافعي لأن الجزية
بمنزلة الكراء يستوي فيه المعذور وغيرهم قال الشافعي في أحد قوليه العاجز عن الكسب يعقد له الذمة بالجزية فإذا تم الحول أخذنا إن أيسر وإلا فهي
في ذمته إلى أن يوسر وهكذا في كل حول ولا يصح عقد الذمة إلا من الإمام أو نائبه الذي فوض إليه لأنه من الأمور الكلية وكيفية العقد أن يقول
أقررتكم وأذنت لكم في الإقامة في دار الإسلام على أن تبذلوا كذا وتنقادوا لأحكام الإسلام التي يراها الإمام ولا يقر أهل الكتاب بالجزية في أرض
الحجاز لما روي أنه ﷺ قال أخرجوا اليهود من الحجاز قال الشافعي هو مكة والمدينة ومخاليفهما أي قراها وما روي أنه ﷺ أوصى بأن يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة
العرب محمول على أنه أراد الحجاز جمعا بين الحديثين وقد بقي في الآية نكتة ذكرها بعض العلماء في أن المسلم لا يقتل بالذمي قال لأن قوله قاتلوا مشتمل
على إباحة دمهم وعلى عدم وجوب القصاص بسبب قتلهم فلما قال حتى يعطوا الجزية علمنا أن المجموع انتفى عند انتفاء الجزية ولكن انتفاء
المجموع يكفي فيه انتفاء
لأحد أجزائه وأحد الجزئين وهو وجوب قتلهم مرتفع بالاتفاق فيبقى الآخر وهو عدم وجوب القصاص بقتلهم والجزية كما كان ولقائل أن يقول
لا نزاع في الاحتمال ولكن ما الدليل على عدم وجوب القصاص وأنت بصدد إثباته ولما حكى في الآية المتقدمة أن أهل الكتاب لا يؤمنون بالله
شرع في إثبات تلك الدعوى فقال وقالت اليهود عزير ابن الله الآية العلم مبتدأ والابن خبره ومن أسقط التنوين من عزير فلأنه اسم
عجمي زائد على ثلاثة أحرف فيمتنع من الصرف كعازر وقيل منصرف لكونه عربيا وكان الوجه كسر التنوين كقراءة عاصم ولكنه أسقط التنوين للساكنين
على مذهب بعضهم أو لأن الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا وطعن في هذا الوجه عبد القاهر بأنه يستلزم احتمال توجه الذم إلى الخبر دون
الوصف فيحصل تسليم كونه ابنا لله ومعلوم أن ذلك كفر ولعله قول ناس من اليهود بالمدينة وما هو بقول كلهم إلا أنه جاء على عادة العرب في
إيقاع اسم الجماعة على الواحد يقال فلان يركب الخيول ويجالس الملوك ولعله لم يركب ولم يجالس إلا واحدا عن ابن عباس جاء رسول الله ﷺ سلام بن مشكم
ونعمان بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وعنه أيضا أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله التوراة و
نسخها من صدورهم فتضرع عزير إلى الله تعالى وابتهل إليه فعاد حفظ التوراة إلى قلبه فأنذر قومه فلما جربوه وجدوه صادقا فيه فقالوا هذا
ابن الله وقال عبيد بن عمير إنما قال هذا القول رجل من اليهود اسمه فنحاص بن عازوراء وقيل لعل هذا المذهب كان فاشيا فيهم ثم انقطع ولا
عبرة بإنكار اليهود وقول الله أصدق وقال في الكشاف الدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية تليت عليهم فما أنكروا ولا كذبوا مع تهالكهم

على التكذيب واما النصارى فلا اشكال انهم يقولون ذلك وتمسكوا الواحدي في سبب ذلك ان اتباع عيسى كانوا على الحق بعد رفع عيسى حتى وقع حرب بينهم وبين
اليهود وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس قتل جمعا من اصحاب عيسى ثم قال لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا ونحن مغبونون ان
دخلوا الجنة ودخلنا النار واني احتال فاضلهم فعرقب فرسه واظهر الندامة مما كان يصنع ووضع على راسه التراب وقال نوديت من السماء ليس لك توبة الا
ان تتنصر وقد تبت فادخله النصارى الكنيسة ومكث سنة لا يخرج وتعلم الانجيل فصدقوه واحبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم رجلا اسمه
نسطور وعلمه ان عيسى ومريم والاله كانوا ثلثة ثم توجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال ما كان عيسى انسانا ولا جسما ولكنه الله
وعلم رجلا آخر يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى ثم دعا هؤلاء الثلثة وقال لكل واحد منهم انت خالصتي
فادع الناس الى نحلتك ولقد رايت عيسى في المنام فرضي عني واني غدا اذبح نفسي لمرضاة عيسى ثم دخل المذبح فذبح نفسه فهذا هو السبب في وقوع
هذا الكفر في طوائف النصارى الاقرب ان لفظ الابن ورد في الانجيل على سبيل التشريف حيث قال انك انت الابن الوحيد كما وقع لفظ
الخليل في حق ابرهيم وقال المسيح للحواريين احبوا اعداءكم وبركوا على لاعنيكم واحسنوا الى مبغضيكم وصلوا على من يؤذيكم لكي تكونوا ابناء ابيكم الذي
في السماء الذي اشرق شمسه على الصالحين والفجرة ثم ان القوم لاجل عداوة اليهود ولاجل ان يقابلوا غلوهم الفاسد في احد الطرفين بغلو فاسد في الطرف
الآخر حملوا لفظ الابن على البنوة الحقيقية والله تعالى اعلم بحقيقة الحال والله تعـ اعلم بحقيقة الحال ثم قال سبحانه ذلك قولهم بافواههم وفائدة
هذا التخصيص ان كل قول فانما يقال بالفم انه قول لا يعضده برهان بل البرهان دال على نقيضه لاستحالة اثبات الولد لمن هو مبرا عن الحاجة والشهوة والمصاحبة
واتخاذ الصاحبة فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة لا ابا وذا الحناجر ولا يؤثر معناها في القلب بل لا معنى لها حتى يؤثر نظيره قوله
وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم او نقول ان الانسان قد يختار مذهبا ولكن لا يصرح به ولا يذكره بلسانه اما اذا نطق به فذلك هو الغاية في اختياره اذا
ساعده عليه دليل كان نهاية في الحسن والتاثير فالمراد بالقول المذهب وانهم يصرحون به لا يخفونه البتة او انه مذهب لا يساعده دليل فلا تاثير له في القلوب
ويحتمل ان يراد انهم دعوا الخلق الى هذه المقالة حتى وقعت في الافواه والالسنة يضاهؤن من قرا بغير همز فظاهر لانه من ضاهى يضاهي مفعولا اي يشاكل
ومن قرا بالهمز فلغة فيه ضاهات لقولهم صهبا على تغيره ومنه التي شاكلت الرجال في انها لا تحيض ومن جعل ضهياء فعلاء بزيادة الهمزة كما في غرقئ القشرة البيض
السفلي المجنى ضهيا ممدودا بمعناه فلا يثبت في هذا الثاني عنده ولا بد من تقدير مضاف اي يضاهي قولهم قول الذين حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه
مقامه فانقلب مرفوعا لفقد الجار والمعنى ان قول هؤلاء المعاصرين للنبي من اهل الكتاب يشبه قول قدمائهم اي انه كفر فيهم قديم غير مستحدث او يضاهي
قول اهل الكتاب قول المشركين القائلين الملائكة بنات الله وقيل الضمير في يضاهؤن للنصارى فقط اي يشاكل قول النصارى المسيح ابن الله قول اليهود عزير
ابن الله لان اليهود اقدم منهم ثم قال على عادة محاورات العرب تعجبا وتشنيعا على سبيل الانكار قاتلهم الله انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق اي هم
احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما اعجب فعلهم ولمن ضل عن الطريق اين تذهب ثم وصفهم بضرب
آخر من الاشراك فقال اتخذوا احبارهم ورهبانهم قال اهل المعاني الحبر العالم الذي يعبر عما يريد بحسن بيان والراهب الذي ظهرت آثار الرهبة من قلبه على
وجهه ولباسه لكن في عرف الاستعمال اختص الاحبار بعلماء اليهود من ولد هرون والرهبان بعلماء النصارى من اصحاب الصوامع واختلفوا في معنى اتخاذهم اياهم
اربابا بعد الاتفاق على انه ليس المراد انهم جعلوهم آلهة العالم فقال اكثر المفسرين المراد انهم اطاعوهم في اوامرهم ونواهيهم نقل ان عدي بن حاتم كان نصرانيا
فانتهى الى النبي ﷺ وهو يقرا سورة براءة فلما وصل الى هذه الآية قال عدي انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله ويحلون ما حرم الله فقلت بلى فقال
فتلك عبادتهم قال الربيع قلت لابي العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني اسرائيل فقال انهم ربما وجدوا في كتاب الله ما يخالف قول الاحبار والرهبان وكانوا
ياخذون باقوالهم وما كانوا يقبلون حكم الله قال العلماء انما لم يلزم تكفير الفاسق بطاعة الشيطان خلافا لما عليه الخوارج لان الفاسق وان كان يقبل
دعوة الشيطان الا انه يلعنه ويستخف به بخلاف اولئك الاتباع المعظمين لمتبوعيهم قال الامام فخر الدين الرازي رح قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء
قرات عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في بعض المسائل وكانت تلك الآيات مخالفة لمذهبهم فيها ولم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا اليها وكانوا ينظرون الي كالمتعجب
يعني كيف يمكن العمل بظواهر تلك الآيات مع ان الرواية عن سلفنا وردت بخلافها ولو تاملت حق التامل وجدت هذا ساريا في عروق الاكثرين قلت ولعلهم
توقفوا لحسن ظنهم بالسلف لانهم ربما وقفوا من تلك الآي على ما لم يقف عليه الخلف وقيل في تفسير هذه الربوبية ان الجهال والحشوية اذا بالغوا في تعظيم شيخهم
وقدوتهم فقد يميل طبعهم الى الحلول والاتحاد وقد يساعدهم الشيخ في ذلك اذا كان مزورا طالبا للدنيا وقد رضي بسجودهم له تعظيما واجلالا مع ان
السجود عبادة لا يليق الا بالله واذا كان هذا مشاهدا في هذه الامة فكيف بالامم السالفة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة والالهية ولعل
السبب في افراد المسيح بالذكر ان قولهم فيه اشنع من قولهم في الاحبار والرهبان او لان القول بالهية المسيح مخصوص باحد الفريقين فلو قيل اتخذوا احبارهم
والمسيح ابن مريم اربابا لاوهم اشتراك الفريقين في اتخاذ المسيح ربا وما امروا الضمير للمتخذين والذي امرهم بذلك ادلة العقل والكتب السماوية وفي القرآن
حكاية عن المسيح انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ويجوز ان يكون الضمير للاحبار والرهبان اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا
بان يكونوا مربوبين ثم نزه نفسه عن مقالتهم فقال لا اله الا هو سبحانه عما يشركون ثم ذكر نوعا آخر من قبائح افعال اهل الكتاب وهو سعيهم في ابطال امر محمد
وجدهم في اخفاء الدلائل الدالة على صحة نبوته فقال يريدون ان يطفؤا نور الله اي يبطلوا الثابت بالدليل المشبه بالنور لاشتراكهما في الاهتداء
بهما وذلك ان دين محمد مؤيد بالمعجزات الباهرة التي بمثلها ثبت نبوة موسى وعيسى لا سيما بالقرآن وحاصل شرعه تعظيم الله وتنزيهه عما لا يليق به والانقياد



الطاعة وصرف النفس عن الأمور الفانية والترغيب في السعادات الباقية ثم ألهم بكمالاتهم تركيبي وشبهاتهم السخيفة ارادوا ابطال هذه الدلائل
فكانوا كمن يريد ابطال نور الشمس الذي هو اشد الانوار المحسوسة بسبب ان ينفخ فيه ولا ريب ان ذلك سعي باطل وكيد زاهق ولهذا قال ويأبى
الله الا ان يتم نوره اي لم يرد الله الا ذلك لان الاباء يفيد زيادة على عدم الارادة وهي المنع والامتناع قال وان ارادوا ظلمنا ابيناه
امتدح بذلك ولا يجوز ان يمتدح بانه يكره الظلم لان ذلك يستوي فيه القوي والضعيف وفيه وعد بمزيد النصرة والقوة واعلاء الدرجة
ثم اكد ذلك المعنى بقوله هو الذي أرسل رسوله بالهدى وبكثرة الدلائل والمعجزات ودين الحق وهو ما اشتمل على امور يظهر لكل احد كونه موصوفا
بالصواب ومطابقا للحكمة ومؤديا الى صلاح الدنيا والآخرة ثم بين غاية امره وتمام حكمه فقال ليظهره على الدين كله اي ليجعل الرسول او
دين الحق غالبا على اهل الاديان كلهم او على كل دين عن ابي هريرة انه قال هذا وعد من الله بان يجعل الاسلام غالبا على جميع الاديان و
تمام هذا انما يظهر عند خروج عيسى وقال السدي ذلك عند خروج المهدي لا يبقى احد الا دخل في الاسلام وادى الخراج قلت قد دخل في
عصرنا من الملوك الكفرة ومن اشياعهم في الاسلام ما لا يعد ولا يحصى وازدياد ذلك كل يوم دليل ظاهر على ان الكل سيدخلون في
الاسلام وقد جاء في الحديث زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقيل ليظهر الاسلام
على غيره في جزيرة العرب وهذا التخصيص يوجبه ضعف الطعن وقيل ليظهر الرسول على جميع شرائط الدين حتى لا يخفى عليه شيء من مدارك
الاحكام وقيل ليظهره بالحجة والبرهان لان غلبة الكفار في بعض الاقطار ظاهرة ولقائل ان يقول ان المسلمين في تلك البلاد وان
قلوا غالبة على الكفار وان كثروا بدليل انهم لا يمنعونهم من اظهار شعائر الاسلام والتزام احكامه قوله هو الذي أرسل فيه مدح منه تعالى
لنفسه من جهة انه هو القادر على بداء مثل هذا الامر العظيم ومن جهة انه هو الغالب على ايصاله الى حيث شاء واراد من غير معاند
ولا منازع ومن جهة انه هو المعطي لمثل هذه النعمة التي لا توازنها نعمة وهي نعمة الهدى ودين الاسلام وقوله ولو كره الكافرون الآية الثانية
ولو كره المشركون اما متساويا الدلالة تنبيها على ان اليهود والنصارى ايضا مشركون واما تخصيص بعد تعميم ولعله رغم لانف
مشركي قريش ثم لما وصف رؤساء اليهود والنصارى بالتكبر والتجبر وادعاء الربوبية والترفع على الخلق اراد ان يصفهم بالطمع والحرص
فقال يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان الآية وفيه تنبيه على ان مقصودهم من اظهار تلك الربوبية والتجبر تحصيل
حطام الدنيا قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ولعمري من تأمل في احوال اهل الناموس والتزوير في زماننا وجد هذه الآيات كأنها ما انزلت
الا في شأنهم وشرح احوالهم فترى الواحد منهم يدعي انه لا يلتفت الى الجنة ولا يعلق خاطره بجميع المخلوقات وانه في الطهارة والعصمة
مثل الملائكة المقربين حتى اذا آل الامر الى الرغيف الواحد تراه يتهالك ويحتمل الذل والدناءة في تحصيله وفي قوله كثيرا دلالة على ان
هذه الطريقة طريقة بعضهم لا كلهم فان العالم لا يخلو عن الحق واطباق الكل على الباطل واثبات ذلك كالممتنع وهذا يوهم انه كما ان اجماع
هذه الامة على الباطل لا يحصل فكذلك في سائر الامم وعبر عن اخذهم اموال الناس بالاكل تسمية للشيء باسم ما هو اعظم مقاصده
وايضا من اكل شيئا فقد ضمه الى نفسه ومنعه من الوصول الى غيره كما لو اخذه ولهذا فان من اخذ اموال الناس فاذا طولب بردها
قال اكلتها وما بقيت فلا قدرة لي على ردها وفي تفسير الباطل وجوه منها انهم كانوا يأخذون الرشى في تخفيف الاحكام والمسامحة
في الشرائع وفي اخفاء نعت محمد وتأويل الدلائل الدالة على نبوته ومنها انهم كانوا يوعدون عند عوامهم الحمقى انه لا سبيل الى الفوز
بمرضاة الله تعالى الا بخدمتهم وطاعتهم وبذل الاموال في ذاتهم والعوام كانوا يغترون بتلك الاكاذيب ومنها انهم قالوا لا طريق
الى تقوية دينهم الا اذا كان اولئك الفقهاء اقوياء عظماء اصحاب الجاه والحشمة والاموال كما يفعله المزورون في زماننا هذا اما قوله
ويصدون عن سبيل الله فمعناه يبالغون في المنع من متابعة محمد كيلا يبطل جاههم وحشمتهم عند العوام لو اقروا بدينه ثم قال سبحانه
والذين يكنزون الكنز هو المال المدفون وقد كنزه يكنزه والتركيب يدل على الجمع ومنه ناقة كناز مكتنزة اللحم واكتنز الشيء اجتمع وقيل
المراد بقوله والذين الاحبار والرهبان لما وصفهم بالحرص لتشديد اراد ان يصفهم بالامتناع من اخراج الواجبات عن اموالهم وقيل المقصود
مانعوا الزكوة من المسلمين ووجه النظم انه لما كان حال من امسك مال نفسه بالباطل كذلك فما ظنك بحال من سعى في اخذ مال غيره
بالباطل والحديث فيه عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فاذا انا بابي ذر فقلت له ما انزلك هذه البلاد قال كنت بالشام فاختلفت
انا ومعوية في هذه الآية فقال معوية نزلت في اهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فصار ذلك سببا للوحشة فكتب الى عثمن ان اقدم
المدينة فلما قدمت المدينة انحرف الناس عني كأنهم لم يروني من قبل فذكرت ذلك لعثمان فقال ان شئت تنحيت فكنت قريبا قلت
اني والله لا ادع ما كنت اقول وعن الاحنف قال لما قدمت المدينة رأيت ابا ذر يقول بشر الكانزين بكي يوم يحمى عليها في نار جهنم فيوضع
على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفه ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه فلما سمع القوم ذلك تركوه فاتبعته وقلت
ما رأيت هؤلاء الا كرهوا ما قلت لهم فقال ما عسى يصنع بي قريش واختلف علماء الصحابة في هذا الكنز المذموم فقال الاكثرون هو المال
الذي لم تؤد زكوته عن عمر بن الخطاب ايما مال اديت زكوته فليس بكنز وقال ابن عمر كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وكل
مال لم تؤد زكوته فهو كنز وان كان فوق الارض قال جابر اذا اخرجت الصدقة من مالك فقد اذهبت عنه شره وليس بكنز وعن ابن عباس

وقوله

قوله «ولا ينفقونها في سبيل الله» يريد الذين لا يؤدون زكاة أموالهم قال القاضي ويندرج فيه سائر الحقوق من الكفارات والديون ونفقة
الحج والجهاد والانفاق على الأهل والعيال وضمان المتلفات وأروش الجنايات. وقال الأقلون كل مال كثير فهو مذموم سواء أديت زكاته
أو لم تؤد. حجة الأولين قوله تعالى «لها ما كسبت» «ولا يسألكم أموالكم» وقوله ص كل امرئ أحق بكسبه نعم المال الصالح ما أديت زكاته فليس بكنز
وإن كان باطنا وما بلغ أن يزكى ولم تزك فهو كنز وإن كان ظاهرا وقد كان في عهد رسول الله ص جمع من الأغنياء كعثمان بن عفان
وعبد الرحمن بن عوف وكان بعدهم من أكابر المؤمنين وقد ندب إلى إخراج الثلث والأقل في المرض ولو كان جمع المال محرما لكان يأمر
المريض بتصدق الكل بل الصحيح في حال الصحة. حجة الأقلين عموم الآية وما روى سالم بن الجعد أنها لما نزلت قال رسول الله ص تبا للذهب تبا للفضة
قالها ثلاثا فقالوا له أي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين أحدكم على دينه. وقوله من ترك صفراء وبيضاء كوي بها. وتوفي
رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله ص كية. وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان. وعن علي ع كل مال زاد على أربعة آلاف فهو كنز
أديت منه الزكاة أو لم تؤد. ومن المعقول أن الله تعالى خلق الأموال لدفع الحاجات فإذا حصل للرجل منه ما زاد على قدر حاجته ومنع منه
الغير كان مانعا من ظهور حكمة الله ودافعا لوجوه الإحسان إلى عبيده. وقد رام طائفة من العلماء الجمع بين القولين فقالوا كان هذا
قبل أن يفرض الزكاة فأما بعد فرض الزكاة فالله أعدل وأكرم من أن يجمع عبده مالا من حيث أذن له فيه ويؤدي عنه ما وجب عليه ثم
يعاقبه. وقال أهل التحقيق النهي عن جمع المال محمول على التقوى لأن تزايد المال لا حد له يقف هنالك فيجر إلى تضييع العمر تارة في تحصيله
وأخرى في حفظه ولأنه كلما ازدادت لذته بذلك فيشتد حرصه لا ينقطع البتة وقد يفضي إلى الطغيان والخذلان كقوله تعالى «إن الإنسان
ليطغى أن رآه استغنى» ولو لم يكن في الفقر سوى الانكسار وقلة التعلق وفراغ البال لكفى بها منقبة وفخرا وكل ما يلهيك عن الله ولم
يكن في سبيل الله فعدمه خير من وجوده. وأما ظاهر الفتوى فهو أن صاحب المال الكثير لا عتب عليه إذا أدى منه حقوقه هذا. ومن
حمل الآية على وعيد مانعي الزكاة في النقود قاس الزكاة في المواشي عليه وقد ورد أيضا في الحديث ما من صاحب إبل أو بقر أو غنم وهو
مشهور. ولا ريب أن الأصل المعتبر في الأموال هو النقد وسائر الأمتعة إنما تحصل بهما وتدور عليهما. ولمن أوجب الزكاة في الحلي المباح
الاستدلال بالآية لأن الذهب والفضة يشمله. ومن لم يوجب الزكاة فيه خصص عموم الآية بما روي أنه ص قال لا زكاة في الحلي المباح ورجحه
أبو عيسى الترمذي وبتقدير أن يصح حملوه على اللآلي لقوله تعالى «وتستخرجون حلية تلبسونها» ولقائل أن يقول لو حملنا الحلي في الحديث على
اللآلي لم يبق لتقييد المباح فائدة. ثم إنه تعالى ذكر شيئين الذهب والفضة ثم قال «ولا ينفقونها» فقيل الضمير عائد إلى المعنى وهو الكنوز و
الأموال ولأن كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودراهم ودنانير فهو كقوله «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا» وقيل المعنى
أي لا ينفقون من الفضة وحذف الذهب لأنه داخل في الفضة من حيث كونهما جوهرين ثمينين نفيسين مقصودين بالكنز فأغنى ذكر
أحدهما عن الآخر كقوله «وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها» «ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا» وإما لأن التقدير والذهب كذلك
كما أن معنى قوله «فإني وقيار بها لغريب» وقيار كذلك. ثم قال «فبشرهم بعذاب أليم» تهكما مثل قولهم تحيتهم الضرب وإكرامهم الشتم. ولو قيل البشارة
هي الخبر الذي يؤثر في القلب فيتغير بسببه لون بشرة الوجه سواء كان من الفرح أو من الغم كان حقيقة «يوم يحمى عليها» معناه أن النار تحمى عليها
أي يوقد عليها نار ذات حمي وحر شديد من قوله «نار حامية» ولو قيل يوم تحمى أي الكنوز كقولك حميت الحديد لم يفد هذا المعنى. وإنما ذكر الفعل
مع أن الإحماء للنار لأنه مسند إلى الجار والمجرور وبعد حذف النار كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير
«فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» ذكر العلماء في تخصيص هذه الأعضاء بالكي وجوها منها أن حصول الأموال يقصد به فرح
في القلب يظهر أثره في الوجه وشبع ينتفخ بسببه الجنبان ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم فعورضوا بنقيض المقصود. ومنها أن هذه
الأعضاء يعظم تألمها لكونها مجوفة ولما في داخلها من الأعضاء الشريفة. ومنها أنهم يكوون على الجهات الأربع أما من قدام فعلى الجبهة وأما
من خلف فعلى الظهر وأما من اليمين واليسار فعلى الجنبين. ومنها أن المراد وقوع الكي على كل الأعضاء لأنها إما في غاية اللطافة ومثاله الجبهة
وإما في غاية الصلابة ومثاله الظهر وإما متوسطة ومثاله الجنبان. ومنها أن الجمال في الوجه والقوة في الظهر والجنبين والإنسان إنما يطلب
المال للجمال والقوة فعورض بإزالتهما. ومنها قول أبي بكر الوراق خصت بالذكر لأن صاحب المال إذا رأى الفقير قبض جبينه وإذا قعد بجنبه
تباعد وتجافى عنه وولى عليه ظهره. وأنا أقول يحتمل أن يراد بالجباه مقاديمهم لتشخصهم حين لم يقدم لنفسه خيرا، وبالظهور جهة الخلف حين خلف
ما أعقبه الحسرات، وبالجنبين اليمين والشمال حين لم يصرف المال في مرضات الله وأنفقه في معصيته وسخطه. وهذا بالتأويل أليق
ثم الذي جعل كيا هو كل المال أو القدر الزكوي. الظاهر أنه الكل لأنه لما لم يخرج منه الحق كان ذلك الجزء شائعا في كل المال فناسب أن
يعذب بكل الأجزاء. ثم قال «هذا ما كنزتم» والتقدير فيقال لهم هذا ما كنزتم «لأنفسكم» وفيه توبيخ وإشعار بأنهم عوضوا بنقيض ما
قصدوا وأكد ذلك بقوله «فذوقوا ما كنتم تكنزون» ما مصدرية أو موصولة والمعنى عرفوا وبال كونكم كانزين أو وبال المال الذي كنتم
تكنزونه. ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال «إن عدة الشهور» الآية. وذلك أنه تعالى حكم في كل وقت
بحكم خاص فإذا غيروا تلك الأوقات بسبب النسيء والكبيسة كان ذلك سعيا منهم في تغيير حكم الله بحسب الهوى فكان ذلك زيادة

في كفرهم واعلم ان المعالم الشرعية كلها منوطة بالشهور القمرية الهلالية لقوله سبحانه قل هي مواقيت للناس والحج والسنة القمرية عبارة عن
اثني عشر شهرا قمريا بدليل قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يتعلق قوله في كتاب الله
بقوله عدة الشهور للفصل بالاجنبي وهو الخبر اعني اثنا عشر فقوله في كتاب الله ويوم خلق الثاني بدل من الاول وهو من عند والتقدير ان
عدة الشهور عند الله في كتاب الله يوم خلق السموات والارض وفائدة الابدالات تقرير الكلام في الاذهان لانه يعلم منه ان ذلك العدد
واجب عند الله وثابت في علمه في اول ما خلق الله العالم ويجوز ان يكون في كتاب الله صفة اثني عشر اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله
وعلى هذا لا يجوز ان يراد بالكتاب كتاب من الكتب لان يوم متعلق به ولا يتعلق الظروف باسماء الاعيان لا يقال غلامك يوم الجمعة بل الكتاب
يكون مصدرا بمعنى المفعول اي فيما اثبته في ذلك اليوم اللهم الا اذا قدر الكلام هكذا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا مكتوبا في
كتاب الله يوم خلق قال ابن عباس هو اللوح المحفوظ وقيل القرآن منها اربعة حرم ثلثة سرد اي مسرودة ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد
فرد وهو رجب ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الحرم الدين المستقيم الذي كان عليه ابرهيم واسمعيل وقد توارثته العرب منهما وكانوا
يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه واخيه تركه فلا تظلموا فيهن اي في الاشهر الاربعة انفسكم بان تجعلوا حرامها حلالا
عن عطا تالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن الحسن مثله لانه فسر الدين القيم بانه الثابت
الذي لا يزول وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم
اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق والسبب فيه ان لبعض الاوقات اثرا في زيادة الثواب والعقاب كالامكنة و
كانت الحكماء يختارون لاجابة الدعاء اوقاتا مخصوصة وفيه فائدة اخرى هي ان الانسان جبل مطبوعا على الظلم والفساد ومنعه من ذلك
على الاطلاق شاق عليه فخص بعض الازمنة والامكنة بطاعة ليسهل عليه الاتيان بها فيهما ولا يمنع عن ذلك ثم لو اقتصر على ذلك فهو امر
مطلوب في نفسه وان جره ذلك الى الاستدامة والاستقامة بحسب الالف والاعتياد او لاعتقاده ان الاقدام على ضد ذلك يبطل مساعيه
السالفة فذلك هو المطلوب الكلي ولا ريب ان تخصيص ذلك من الشارع اقرب الى اتحاد الاداء ولطائف الكلمة وقيل الضمير في قوله فيهن عائد
الى اثني عشر والمقصود منع الانسان من الاقدام على الافساد مطلقا عمرا والمراد المنع من النسيء على ما يجيء قال الفراء الاولى رجوع الضمير الى
الاربعة لقربها ولما ذكرنا ان لهذه الاشهر مزيد شرف فناسب ان يخص بالمنع من الظلم ولان العرب تختار فيما بين الثلثة الى العشرة ضمير
الجماعة وفيما جاوز العشرة وهو جمع الكثرة ضمير الواحدة قال حسان لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى واسيافنا يقطرن من نجدة
دما ويقال لثلث خلون من شهر كذا ولاحدى عشرة ليلة خلت ثم قال عز من قائل وقاتلوا المشركين وظاهر الاية يدل على اباحة القتال
في جميع الاشهر لان الامر الوارد عقيب الحرمة يدل على الاباحة ومعنى كافة جميعا لانهم اذا اجتمعوا تزاحموا فكف بعضهم بعضا وينتصب
على المصدر عند بعضهم لانه مثل العاقبة والعافية وقال الزجاج نصبه على الحال ولا يجوز ان يثنى ويجمع ويعرف باللام كقولك
قاموا معا وقاموا جميعا وفي وجه التشبيه في قوله كما يقاتلونكم كافة قولان فعن ابن عباس قاتلوهم بكليتهم ولا تحابوهم بترك القتال
كما انهم يستحلون قتال جميعكم وقيل قاتلوهم باجمعكم غير متفرقين في مقاتلة الاعداء ومقابلتهم فعلى الاول يكون كافة حالا من
المفعول وعلى الثاني يكون حالا من الفاعل وفي قوله واعلموا ان الله مع المتقين حث لهم على التقوى وعلى الجهاد وضمان النصرة و
المعونة ثم فسر الظلم المنهي عنه في الاية المتقدمة واكد النهي عنه بقوله انما النسيء وهو مصدر نسأ اذا اخر كالنذير والنكير وقال قطرب اصله
الزيادة من قولهم نسأت المرأة اذا حبلت لزيادة الولد فيها ورد بانه يقال لها ذلك لتاخر حيضها وقيل هو بمعنى منسوء كقتيل بمعنى
مقتول واعترض بان المؤخر هو الشهر فيؤل المعنى الى ان الشهر زيادة في الكفر وهذا الحمل غير صحيح ويمكن ان يجاب بان المراد ان
العمل الذي بسببه يصير الشهر الحرام مؤخرا زيادة في الكفر احتج الجبائي ههنا بان الكفر يقبل الزيادة فكذا الايمان وايضا
اطلق الكفر على هذا العمل فتركه يكون ايمانا فلا يكون الايمان مجرد الاعتقاد والاقرار واجيب بان الزيادة راجعة الى الكفر و
انما سمي هذا العمل كفرا لانه يؤل الى اعتقاد تحليل ما هو حرام وبالعكس وفي قوله يضل به الذين كفروا بحث مشهور بين المعتزلة
وغيرهم ان اسناد الاضلال الى الله تعالى بالمجاز او بالحقيقة وقد مر مرارا قوله يحلونه عاما الضمير فيه عائد الى النسيء قال الواحدي
اي يحلون التاخير عاما وهو العام الذي يريدون ان يقاتلوا في الشهر الحرام ويحرمونه التاخير عاما آخر وهو الذي
يتركون الشهر الحرام على تحريمه قال المفسرون انهم كانوا اصحاب حروب وغارات وكان يشق عليهم مكث ثلثة اشهر متوالية من
غير قتل وغارة فاذا اتفق لهم في شهر منها او في المحرم حرب وغارة اخروا تحريم ذلك الشهر الى شهر آخر قال الواحدي واكثر العلماء على
ان هذا التاخير كان من المحرم الى صفر وروي انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني
مطاعا في قومه وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول
ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والاكثرون على انهم كانوا يحرمون من جملة شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوا ولم يعلموا انهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص وذلك قوله

قوله فيحلوا ما حرم الله اي من القتال وترك الاختصاص قال اهل اللغة يقال تواطأ القوم على كذا اذا اجتمعوا عليه لان كل واحد
منهم يطأ حيث يطأ صاحبه والايطاء في الشعر من هذا وهو ان يأتي في القصيدة بقافيتين لفظهما ومعناهما واحد قال ابن عباس انهم
ما احلوا شهرا من الاشهر الحرم الا حرموا مكانه شهرا آخر من الحلال ولم يحرموا شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا آخر من الحرام لاجل ان يكون عدة
المحرم اربعة مطابقة لما ذكره الله تعالى فهذا هو المراد بالمواطاة وللآية تفسير آخر وهو ان يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمرية بشهر
حتى يلتحق بالسنة الشمسية وذلك ان السنة القمرية اعني اثني عشر شهرا قمرية هي ثلثمائة واربعة وخمسون يوما وخمس وسدس من يوم على ما
عرف من علم النجوم وعمل الزيجات والسنة الشمسية وهي عبارة عن عود الشمس من اية نقطة تفرض من الفلك اليها بحركتها الخاصة ثلثمائة
وخمسة وستون يوما وربع يوم الا كسرا قليلا فالسنة القمرية اقل من السنة الشمسية بعشرة ايام واحد وعشرين ساعة وخمس ساعة
تقريبا وبسبب هذا النقصان ينتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون الحج واقعا في الشتاء مرة وفي الصيف اخرى وكذا في الربيع
والخريف فكان يشق الامر عليهم اذ ربما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجار من الاطراف فكان يختل اسباب تجاراتهم ومعايشهم فلهذا السبب
اقدموا على الكبيسة بحيث يقع الحج دائما عند اعتدال الهواء وادراك الثمار والغلات وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفي
فكبسوا تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر قمرية حتى صارت تسع عشرة سنة شمسية فزادوا في السنة الثانية شهرا ثم في الخامسة ثم في
السابعة ثم في العاشرة ثم في الثالثة عشرة ثم في السادسة عشرة ثم في الثامنة عشرة وذلك ترتيب بهزيجوح عند المنجمين وقد تعلموا هذه الصنعة
من اليهود والنصارى فانهم يفعلون هكذا لاجل اعيادهم فالشهر الزائد هو الكبيس وسمي بالنسيء لانه المؤخر والزائد مؤخر عن مكانه وهذا
التفسير يطابق ما روي انه صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع وكان في جملة ما خطب الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض
السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر
الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة في نفس الامر وكانت
حجة ابي بكر قبلها في ذي القعدة التي سموها ذا الحجة وانما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لانهم اذا حكموا على بعض السنين بانها
ثلثة عشر شهرا كان مخالفا لحكم الله بان عدة الشهور اثنا عشر شهرا اي لا ازيد ولا انقص واليه الاشارة بقوله ذلك الدين القيم على
هذا التفسير ويلزمهم ايضا ما لزمهم في التفسير الاول من تغيير الاشهر الحرم عن اماكنها فيجوز ان يكون الاشارة الى المجموع ومعنى قوله
يحلونه عاما اي يحلون النسيء من عام الكبيس ويحرمونه عاما اي في غير سنة الكبيس ومعنى قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله ما روي انه
كان يقوم في الموسم منهم خطيب فيقول انا النسيء لكم في هذه السنة شهرا وكذا افعل في كل سنتين او ثلث حتى يأتي حجكم وقت الادراك فنسمي
المحرم ونجعله كبيسا ثم انه متى انتهت النوبة الى الشهر الحرام فيكون حرم عليهم فاحلوا به على وفق مصلحتهم واحل الآخر وباقي الآية قد مر
تفسير مثله والله تعالى اعلم التأويل قاتلوا النفوس الذين لا يؤمنون بالله بتعبده ولا باليوم الآخر اي لا يعملون للآخرة ولا يحرمون
ما حرم الله من حب الدنيا فانها راس كل خطيئة وحرم رسوله على نفسه ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب من النفوس الملهمة با
الواردات الربانية حتى يعطوا الجزية وهي معاملتها على خلاف طبعها عن يد عن حكم صاحب قوة وهو الشارع وقالت اليهود النفس عزير
القلب ابن الله وذلك اذا انعكس عن مرآة القلب انوار الواردات الى النفس المظلمة فتنورت كما ان اليهود لما سمعت التوراة والعلوم
التي هم عنها بمعزل من عزير قالوا انه ابن الله وقالت نصارى القلوب ان مسيح الروح ابن الله وذلك ان الروح ربما يتجلى للقلب في صفة
الربوبية والخلافة مقترنا بصفة ابداع الحق وبشريتها اضافة وتفخيما منه من روحي يضاهؤن قول الذين كفروا من قبل وهم
النفوس الكافرة اتخذوا احبارهم اي علماءهم ورهبانهم اي زهادهم اربابا والمسيح بن مريم وهو الخفي وذلك ان الخفي هو
اول مظهر للفيض الالهي الذي منه التربية للروح ثم القلب ثم النفس ثم القالب فالنفس من قصر نظرها الى ان يرى الكل من الحق
فان رؤية ذلك من شان القلب كقوله ما كذب الفؤاد ما رأى يريدون اي النفوس ان يطفئوا نور الله الذي رش على الارواح في
مبدأ الخلق بافواه استيفاء الشهوات واللذات الجسمانيات هو الذي ارسل رسوله وهو الفيض النوراني المرشش بالهداية الى الله وطلب الحق ليظهره
في طلب الحق على طلب غيره ان كثيرا من احبار القلوب ورهبان الارواح ليأكلون اي يتمتعون بحظوظ النفس وهواها والذين يكنزون
الذهب والفضة حرصا وطمعا في الاستمتاع بحظوظ النفس ولا ينفقونها في سبيل الله ليقطعوا مسافة البعد عن الله بقدم ترك
الدنيا وقمع الهوى يحمى عليها في نار جهنم الحرص فتكوى بها جباه القلوب والارواح لانهم اشتغلوا بذلك عن التوجه الى الحق وجنوبهم
حيث لا يتجافى جنوبهم عن مضاجع المكونات وظهورهم حيث لم يقضوا حق التواضع والخشوع فيقال لهم هذا الذي اصابكم من الم الحرمان
وعذاب القطيعة بسبب ما كنزتم فذوقوا الان الم كي نار الحرص لانكم لم تذوقوا في الدنيا حيث كنتم في منام الغفلة منها اربعة حرم فيه
اشارة الى ان الطالب المضطر الى تحصيل قوت نفسه وعياله يجب ان يجعل اوقات عمره اثلاثا ثلثا لطلب المعاش وترتيب مصالح
الدنيا وثلثا للطاعات التي ينتفع بها في الآخرة وثلثا من ذلك حرام ان يقع في خاطره غير المولى ومن استغنى عن المؤنة فحرم
عليه صرف لحظة في غير طلب الحق والى هذا المعنى اشار بقوله ذلك الدين القيم وفيه تنبيه على من لم يكن هكذا كان في سلوكه

اعوجاج ثم ذكر من شان النفوس المشركة انها ان اقبلت على طاعة اخرها عن وقتها وهو النسيء الموجب لازدياد كفرها لانها قد خالفت الشرع من حيث تركها الطاعة باختيارها ومن حيث ذلك انها اعتقدت انها التاخير مما لا باس به يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ

إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

که چون گویند شما را که بیرون روید در راه خدا درنگ کنید در زمین آیا خوشنود شدید بزندگانی دنیا از آخرت پس نیست بهره زندگانی دنیا

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

در جنب آخرت مگر کمی اگر بیرون نروید عذاب کند شما را عذابی دردناک و بدل آورد از شما گروهی غیر از شما و ضرر نرسانید او را چیزی و خدا بر همه

شَيْءٍ قَدِيرٌ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا

چیز تواناست اگر یاری نکنید او را پس تحقیق که یاری کرد او را خدا وقتی که بیرون کردند او را کافران که دوم از دو بود وقتی که در غار بودند چون گفت یار خود را که

تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ

اندوه مخور که خدا با ماست پس فرو فرستاد خدا اطمینان خود را بر او و یاری کرد او را بلشکری که ندیدید آنرا و گردانید سخن آنانکه کافر شدند پست و سخن

اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ

خدا آن بلند پایه است و خدا غالب و درست کار است بیرون روید سبکبار و گرانبار و کوشش کنید با مالهای خود و نفسهای خود در راه خدا این بهتر است

لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ

مر شما را اگر هستید دانایان اگر بودی کالای نزدیک و سفری میانه هر آینه پیروی کردندی ترا ولیکن دور شد بر ایشان مسافت و سوگند خواهند خورد

بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ

بخدا که اگر توانستیم هر آینه بیرون شدیم با شما هلاک میکنند نفسهای خود را و خدا میداند که ایشان هر آینه دروغ گویانند درگذشت خدا از تو چرا اذن دادی

لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

ایشان را تا ظاهر شود مر ترا آنان که راست گفتند و بدانی دروغگویان را دستوری نخواهند از تو آنانکه میگروند بخدا و روز

الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ

واپسین که کوشش کنند بمالهای خود و نفسهای خود و خدا داناست بپرهیزکاران جز این نیست که دستوری خواهند آنانکه نگروند بخدا و

الْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِنْ

روز واپسین و در شک است دلهای ایشان پس ایشان در شک خود متردد میروند و اگر اراده کردندی بیرون رفتن هر آینه مهیا کردندی برای آن ساز

كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا

ولیکن ناخوش داشت خدا برخاستن ایشان را پس بازداشت ایشان را و گفته شد بنشینید با نشستگان اگر بیرون روند با شما نیفزایند شما را مگر تباهی و هر آینه بشتابند

خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا

میان شما جستند شما را فتنه و در میان شما جاسوسان ایشان اند و خدا داناست بستمکاران تحقیق که جستند فتنه را از پیش و برگردانیدند

لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ

برای تو کارها را تا که آمد حق و هویدا شد فرمان خدا و ایشان کراهت دارند و از ایشان کسی است که میگوید دستوری ده مرا و در فتنه میفگن مرا آگاه باشید در فتنه

سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ القراءة وكلمة الله بالنصب يعقوب الباقون من الآخر فقليل شاذ قدة معنا العطف

افتادند و بدرستی که جهنم هر آینه محیط است بکافران

انزل على نصره مع عوض الظروف السفلى الا لمن قرء وكلمة بالنصب لعليا حكيم في سبيل الله تعلمون الشقة معكم لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لكاذبون عنك لحق الاستفهام مع انتصا الكلام معنى الكاذبين و انفسهم بالمتقين يترددون القاعدين لفتنة لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال لهم بالظالمين كارهون ولا تفتني سقطوا بالكافرين

التفسير لما شرح معايب هؤلاء الكفار عاد الى الترغيب في قتالهم عن ابن عباس انها نزلت في غزوة تبوك سنة عشر وذلك انه صلعم لما رجع عن الطائف اقام بالمدينة اياما فامر بجهاد الروم فاستثقل الناس لكون الزمان زمان الضيق والقحط ولبعد المسافة ولمزيد احتياج الى الاستعداد ولشدة الحر وللخوف من عسكر الروم ولوجود اسباب الرفاهية بالمدينة لكون الوقت وقت ادراك الثمار وحصول الغلات روي ان رسول الله ما خرج في غزوة الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة واصل النفر الخروج الى مكان لامر هاج عليه واسم ذلك القوم الذين يخرجون النفير واصل اثاقلتم تثاقلتم كما قلنا في فادارأتم ومعناه تباطأتم وانما عدي بالى لتضمين معنى الميل والاخلاد كقوله اخلد الى الارض لما الى الدنيا وشهواتها وقيل المراد ملتم الى الاقامة بارضكم والبقاء فيها ومعنى الاستفهام في ما لكم الانكار وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام للانكار ايضا فيكون جواب اذا فعلا آخر مدلولا عليه باثاقلتم كنحو ملتم وذلك ان جواب اذا عامل في اذا والاستفهام لا يعمل فيما قبله ويجوز على هذا ان يكون اذا لمجرد الظرفية والعامل فيه ما في ما لكم من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذ قيل لكم ومن في الآخرة للبدل كقوله لجعلنا منكم ملائكة في الارض

تخلفون كانه قيل قد ذكرنا الموجبات الكثيرة الداعية الى القتال وبينا انواع فضائحهم التي تحمل العاقل على مقاتلتهم ولو لم يكن فيه
الا الطاعة المعبود المستلزمة لثواب الآخرة لكفى به باعثا فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة اي في جنبها وفي مقابلتها الا قليل ويجوز
ان يراد بالقلة العدم اذ لا نسبة للمتناهي الزائل الى غير المتناهي الباقي والظاهر ان هذا التثاقل لم يصدر من جميع المخاطبين لاستحالة
انطباق هذه الآية على المعصية والضلالة لكن الآية انما اعطي للاكثر حكم الكل واطلق لفظ الكل على الاغلب ثم لما رغبهم في الجهاد
بعوض الثواب عليهم رغبهم فيه بعوض العقاب فقال الا تنفروا واورد عليه ثلث خصال الاولى قوله يعذبكم عذابا اليما قيل هو عذاب
الدنيا عن ابن عباس استنفرهم رسول الله صلعم فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر وقال الحسن الله اعلم بالعذاب الذي كان ينزل عليهم و
قيل هو عذاب الآخرة فان الاليم لا يليق الا به وقيل انه تهديد بالعذاب المطلق الشامل للدارين الثانية قوله ويستبدل قوما
غيركم يعني قوما آخرين خيرا منهم واطوع قيل هم اهل اليمن عن ابي روق وقيل ابناء فارس عن سعيد بن جبير وقيل يحتمل ان يراد بهم الملائكة
وقال الاصم معناه انه يخرجكم من بين اظهركم وهو المدينة والاصح ابقاء الآية على الاطلاق الثالثة قوله ولا تضروه شيئا قال الحسن
الضمير لله ومعناه انه غني عنهم في نصرة دينه بل في كل شيء وقال الآخرون الضمير للرسول لان الله وعده ان يعصمه ووعد الله كائن لا محالة
في قوله والله على كل شيء قدير تنبيه على انه قادر على نصرة رسوله باي وجه اراد وقادر على ايقاع العذاب بكل من يخالف امره كائنا
من كان عن الحسن وعكرمة ان الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة والصحيح انها خطاب لمن استنفره رسول الله
فلم ينفروا فلا نسخ قال الجبائي في الآية دلالة على ابطال مذهب المرجئة من اهل القبلة لا وعيد لهم وقال القاضي فيها دلالة على
وجوب الجهاد سواء كان مع الرسول او لا كقوله تعالى ما لكم اذا قيل لكم ولم ينص على ان القائل هو الرسول ومن قال ان الضمير في
قوله لا تضروه عائدا الى الرسول فجوابه ان خصوص آخر الآية لا يمنع من عموم اولها ثم رغبهم في الجهاد بطريق آخر فقال الا تنصروه فقد
نصره الله وهذا كالتقرير لما تقدم والمعنى ان لم تشتغلوا بنصره فان الله سينصره بدليل ان الله نصره وقواه حال ما لم تكن معه الا
رجل واحد لا اقل من الواحد فعينه انه لما اوجب النصرة فحينئذ فلن يخذله بعد ذلك وقوله اذ اخرجه الذين كفروا اي الجاؤه الى الخروج
ظرف لنصره وثاني اثنين نصب على الحال ومعناه احد اثنين لانه اذا حضر اثنان فكل واحد منهما ثان للآخر وواحد منهما وقوله
اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه واذ يقول بدل ثان والغار نقب عظيم في الجبل والمراد به ههنا نقب في اعلا ثور وهو جبل في
يمنى مكة على مسيرة ساعة واعلم انا قد ذكرنا في سورة الانفال ان قريشا ومن بمكة تعاقدوا على قتل رسول الله صلعم فنزل واذ يمكر بك الذين
كفروا فامره الله تعالى ان يخرج هو وابو بكر الصديق الى الغار وامر عليا ان يضطجع على فراشه فلما وصلا الى الغار دخل ابو بكر يلتمس
ما في الغار فقال له الرسول ما لك فقال بابي انت وامي الغيران مأوى السباع والهوام فان كان فيه شيء كان
لابي بكر فخرق عمامته وسد الحجرة وبقي حجر واحد فوضع عقبه عليه كيلا يخرج منه ما يؤذي الرسول صلعم فلما طلب المشركون الاثر وقربوا
بكى ابو بكر خوفا على رسول الله صلعم فقال عم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم
فقال عم لا تحزن ان الله معنا وقيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله صلعم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله
فقال عم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال
رسول الله صلعم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون له قد اخذ الله بابصارهم عنه استدل اهل السنة بالآية على
افضلية ابي بكر وغاية اتحاده ونهاية صحبته وموافقة باطنه ظاهره والا لم يعتمد الرسول عليه في مثل تلك الحالة وانه كان ثاني
رسول الله صلعم في الغار وفي العلم لقوله ما صب في صدري شيء الا وصببته في صدر ابي بكر وفي الدعوة الى الله لانه صلعم عرض الايمان اولا
على ابي بكر فآمن ثم عرض ابو بكر الايمان على طلحة والزبير وعثمان بن عفان وجماعة اخرى من اجلة الصحابة وكان لا يفارق الرسول صلعم
في الغزوات وفي اداء الجماعات وفي المجالس والمحافل وقد اقامه في مرضه مقامه في الامامة ولما توفي دفن بجنب رسول الله وكان ثاني
اثنين من اول الامر الى الآخر ولو قدرنا انه توفي رسول الله صلعم في ذلك السفر لزم ان لا يقوم بامره ولا يكون وصيه الا ابو بكر وان لا يبلغ
ما حدث في ذلك الطريق من الوحي والتنزيل الا ابو بكر وقوله لا تحزن نهي عن الحزن مطلقا والنهي يقتضي الدوام والتكرار فهو لا يحزن
قبل الموت وعنده وبعده ولا شك ان من كان الله معه فانه يكون من المتقين المحسنين لقوله ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون قال الحسين بن الفضل من انكر صحبة غير ابي بكر من الصحابة فانه يكون كذابا مبتدعا ومن انكر صحبة ابي بكر فانه يكون كافرا لانه
خالف قول الله تعالى اذ يقول لصاحبه اجابت الشيعة بان كونه ثاني اثنين ليس اعظم من كون الله رابعا للكل ثلثة في قوله ما يكون من
نجوى ثلثة الا هو رابعهم وهذا عام في حق كل كافر ومؤمن وكون الصاحبية موجبة للتشريف معارض بقوله تعالى للكافر
قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك وكما احتمل ان يقال انه عم استخلصه لنفسه في هذا السفر لاجل الشفقة
احتمل ان يكون ذلك لاجل انه خاف ان يدل الكفار عليه ويوقفهم على اسراره لو تركه ثم ان حزنه لو كان حقا لم ينه عنه فهو ذنب
وخطاء سلمنا فلا دلالة للآية على فضل ابي بكر الا ان اضطجاع علي عم على فراشه اعظم من ذلك لما فيه من خطر النفس اجابت اهل



السنة بأن كون الله ثالثا لكل اثنين أمر مشترك وكونه ثانيا في اثنين تشريف زائد اختص الله به أبا بكر وبه على أن المعتبر هنالك العلم والتدبير وههنا بالصحبة والمرافقة بأن أحدهما من الآخر في الصحبة في قوله قال له صاحبه مقرونة بما تقتضي الإهانة والإذلال وهو قوله أكفرت وفي الآية مقرونة بما يوجب التعظيم والإجلال وهو قوله لا تحزن إن الله معنا قالوا ولعجائب الشيعة إذا حلفوا قالوا وحق خمسة سادسهم جبرئيل واستنكروا أن يقال وحق اثنين الله ثالثهما والاحتمال الذي ذكروه مدفوع بما روي أن أبا بكر هو الذي اشترى الراحلة للرسول وأن عبد الرحمن بن أبي بكر وأسماء بنت أبي بكر هما اللذان كانا يأتيانهما بالطعام مدة مكثهما في الغار وذلك ثلاثة أيام وقيل بضعة عشر يوما وروي أن جبرئيل عليه السلام أتاه وهو جائع فقال هذه أسماء قد أتتك بحيسة ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر به أبا بكر ولو كان أبو بكر قاصدا للصياح بالكفار عند وصولهم إلى باب الغار لقال ابنه وابنته نحن نعرف مكان محمد وكون حزنه معصية معارض بقوله تعالى لموسى ولا تخف إنك أنت الأعلى وقول الملائكة لإبراهيم لا تخف وبشروه ثم إنا لا ننكر أن اضطجاع علي عليه السلام على فراش الرسول طاعة وفضيلة إلا أن صحبة أبي بكر أعظم لأن الحاضر أعلى حالا من الغائب ولأن عليا ما تحمل المحنة إلا ليلة وأبو بكر مكث في الغار أياما وإنما اختار عليا للنوم على فراشه لأنه كان صغيرا لم يظهر عنه بعد دعوة بالدليل والحجة ولا جهاد بالسيف والسنان بخلاف أبي بكر فإنه قد دعا جماعة إلى الدين وكان يذب عن الرسول بالنفس والمال وكان غضب الكفار على أبي بكر أشد من غضبهم على علي عليه السلام ولهذا لم يقصدوا عليا بضرب ولا ألم لما عرفوا أن المضطجع هو ثم زعم أهل السنة أن الضمير في قوله فأنزل الله سكينته عليه عائد إلى أبي بكر لا إلى الرسول لأنه أقرب المذكورين فإن التقدير إذ يقول محمد لصاحبه أبي بكر ولأن الخوف كان حاصلا لأبي بكر والرسول كان آمنا ساكن القلب بما وعده الله من النصر ولو كان خائفا لم يمكنه إزالة الخوف عن غيره بقوله لا تحزن ولناسب أن يقال فأنزل الله سكينته عليه فقال لصاحبه لا تحزن واعترض بأن قوله وأيده على عطف فأنزل فوجب أن يتحد الضميران في حكم العطف وأجيب بأن قوله وأيده معطوف على قوله فقد نصره والتقدير إلا تنصروه فقد نصره في واقعة الغار وأيده في واقعة بدر والأحزاب وحنين بالملائكة والظاهر أن الحزن لا يبعد أن يكون شاملا للنبي صلى الله عليه وسلم أيضا من حيث البشرية كقوله وزلزلوا أو يكون في الكلام تقديم وتأخير والتقدير فأنزل الله سكينته عليه إذ يقول أو يكون فأنزل معطوفا على نصره والمراد بالسكينة التي ألقي في قلبه من الأمنة التي سكن عندها وعلم أنه منصور لا محالة كقوله في قصة حنين ثم أنزل الله سكينته على رسوله وقوله وجعل يعني يوم بدر وسائر الوقائع كلمة الذين كفروا وهي دعوتهم إلى الكفر وعبادة الأصنام السفلى وكلمة الله وهي دعوته إلى الإسلام أو كلمة التوحيد لا إله إلا الله هي العليا وفي توسيط كلمة الفصل أعني هي تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة بالعلاء دون سائر الكلم قال الفراء لا أحب قراءة نصب كلمة لأن الأجود أن يقال وكلمته هي العليا ألا ترى أنك تقول أعتق أبوك غلامه ولا تقول أعتق أبوك غلام أبيك قلت وفي الرفع أيضا الاستئناف وما في الجملة الاسمية من الثبات والله عزيز حكيم قاهر غالب لا يفعل إلا الصواب ثم لما توعد من لا ينفر مع الرسول وضرب له من الأمثال ما وصف عقبه بالأمر الجزم فقال انفروا خفافا وثقالا قال المفسرون أي خفافا في النفور لنشاطكم وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا والصحيح التعميم وأن المراد انفروا سواء كنتم على الصفة التي يخف عليكم الجهاد معها أو على ضدها قال الأكثرون ظاهر هذا الأمر يقتضي تناوله لجميع الناس حتى روي أن ابن أم مكتوم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم ما أنت إلا خفيف أو ثقيل فرجع إلى أهله ولبس سلاحه ووقف بين يديه فنزل قوله ليس على الأعمى حرج وقال مجاهد إن أبا أيوب شهد بدرا مع الرسول ولم يتخلف عن غزوات المسلمين ويقول قال الله انفروا خفافا وثقالا فلا أجدني إلا خفيفا أو ثقيلا وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا إلا أنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وعن أنس قال قرأ أبو طلحة هذه الآية فقال ما أسمع الله عذر أحدا فخرج مجاهدا إلى الشام حتى مات وقال السدي جاء المقداد بن الأسود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عظيما سمينا وشكا إليه وسأله أن يأذن فنزل فيه انفروا خفافا وثقالا فاشتد شأنها على الناس فنسخها الله بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل لا حاجة إلى التزام النسخ لأن هذه الآيات نزلت في غزوة تبوك بالاتفاق ولا شك أنه صلى الله عليه وسلم خلف عن النساء والرجال أقواما فذلك يدل على أن هذا الوجوب ليس على الأعيان ولكنه من فروض الكفايات فمن أمره الرسول بأن يخرج لزمه ذلك ومن أمره أن يبقى لزمه أن يبقى ولقائل أن يقول لا نزاع في الضعفاء والمرضى ثم قال وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم وفيه إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بالنفس إن لم تكن مال زائد على أسباب الجهاد أو بالمال بأن يستنيب من يغزو عنه إن لم تكن له نفس سليمة صالحة للجهاد وهذا قول كثير من العلماء ذلكم خير لكم يعني أنه خير في نفسه وأنه خير من القعود لما فيه من الراحة



والدعة والنعيم العاجل وانما قال لو كنتم تعلمون لان ما يحصل من الخيرات في الجهاد لا يدرك الا بالتأمل ولا يعرفه الا المؤمن الذي عرف بالدليل ان وعد الله حق ثم نزل في المتخلفين من غزوة تبوك من المنافقين لو كان عرضا قريبا قال الزجاج اي لو كان المدعو محذوف لدلالة لزما تقدم عليه والعرض ما عرض من منافع الدنيا ومنه قولهم الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر والمراد بالقرب سهولة ماخذه وسفرا قاصدا اي وسطا بين القرب والبعد وكل متوسط بين الافراط والتفريط فهو قاصد اي ذو قصد لان كل احد يقصده والشقة المسافة الشاقة الشاطة ووصف المسافة البعيدة بالبعد مبالغة نحو جد جده ومحوى الكلام لو كانت المنافع قريبة الحصول والسفر وسطا لا تبعوك طمعا في الفوز بتلك المنافع ولكن طال السفر فكانوا كالآيسين من الفوز بالغنيمة ثم اخبر انهم سيحلفون اذا رجعوا من الجهاد يحلفون بالله اما ابتداء على طريقة اقامة العذر واما عند ما يعاتبهم بسبب التخلف وقد وقع كما اخبر فكان معجزا وبالله متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلام المتخلفين والقول مقدر في الوجهين اي سيحلفون بالله قائلين لو استطعنا وقوله لخرجنا ساد مسد جوابي القسم ولو جميعا قيل في الآية دلالة على ان قوله انفروا خطاب للمستطيعين والا لما امكنهم جعل عدم الاستطاعة عذرا في التخلف قال الجبائي فيها دليل على ان الاستطاعة قبل الفعل والا لما كذبهم الله تعالى فان من لم يخرج الى القتال لم يكن مستطيعا للقتال عند من يجعل الاستطاعة مع الفعل وقال الكعبي ذلك ما عليه فان قيل لم لا يجوز ان يراد انهم ما كان لهم زاد ولا راحلة ولا يراد نفس القدرة قلنا ان من لا زاد ولا راحلة له يعذر في ترك الخروج فمن لا قدرة له اولى وايضا الظاهر من الاستطاعة قوة البدن واذا اريد به المال فلانه يعين على ما يفعله الانسان بقوة البدن واجيب بان المعتزلة سلموا ان القدرة على الفعل لا توجد قبله بوقت واحد فان الانسان الجالس في مكان لا يكون قادرا في هذا الزمان على ان يفعل فعلا في مكان بعيد عنه وانما يقدر على فعله في المكان الملاصق لمكانه فالقوم الذين تخلفوا ما كانوا قادرين على القتال عندنا وعندهم فيلزمهم ما الزموه علينا فوجب المصير الى تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة فسقط السؤال ولقائل ان يقول انهم ان كانوا غير قادرين على القتال الا انهم كانوا قادرين على الاشتغال باسباب القتال فيعود السؤال قال في الكشاف يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون او حال اي يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وحال من ضمير خرجنا اي لخرجنا معكم وان القينا انفسنا في التهلكة وانما جاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنه بقال حلف بالله ليفعلن او لافعلن فالغيبة على الاخبار والتكلم على الحكاية قلت وفي الوجه الاخير نظر للزوم بناء اول الكلام على التكلم واخره على الغيبة ولعل الصحيح ان لو قيل لخرجنا معكم نهلك انفسنا والله تعالى اعلم ثم بين ان ذلك التخلف من بعضهم كان باذن الرسول ولهذا توجه عليه العتاب بقوله عفا الله عنك فان العفو يستدعي سابقة الذنب وبقوله لم اذنت لهم فانه استفهام في معنى الانكار وبيان لما كنى عنه بالعفو قال قتادة وعمرو بن ميمون شيئان فعلهما الرسول لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله كما تسمعون والذي عليه المحققون انه محمول على ترك الاولى وقوله عفا الله عنك انما جاء على عادة العرب في التعظيم والتوقير فيقدمون امثال ذلك بين يدي الكلام يقولون عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وقال الله الا عرف حقي وبعد حصول العفو من الله تعالى يستحيل ان يكون قوله لم اذنت لهم واردا على سبيل الذم والانكار بل يحمل على ترك الاكمل والاولى لا سيما وهذه الواقعة كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا قال كثير من العلماء في الآية دلالة على جواز الاجتهاد لانه اذن لهم من تلقاء نفسه من غير ان يكون من الله في ذلك اذن والا لم يعاتب او منع والا كان فاصلا بالكافر لقوله ومن لم يحكم بما انزل الله ولا ريب انه لا يكون بمجرد التشهي فيكون بالاجتهاد ثم انه لم يمنع من الاجتهاد مطلقا وانما منع الى غاية هي قوله حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين ولا يمكن ان يكون المراد من ذلك التبين هو التبين بطريق الوحي والا كان ترك ذلك كبيرة فتعين ان يحمل التبين على استعلام الحال بطريق الاجتهاد ليكون الخطاء واقعا في الاجتهاد لا في النص ويدخل تحت قوله ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد وفي الآية دلالة على وجوب الاحتراز عن العجلة وترك الاغترار بظواهر الامور وقال قتادة عاتبه الله كما تسمعون ثم رخص له في سورة النور في قوله فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم قال ابو مسلم يحتمل ان يريد بقوله اذنت لهم الاذن في الخروج لا في القعود فقد يكون الخروج غير صواب لكونهم عينا للمنافقين واذا كان هذا محتملا فلا يتعين ان الآية لرخصة الاذن في القعود وقال القاضي هذا بعيد لان سياق الآية يدل على ان الكلام في القاعدين وفي بيان حالهم ثم ذكر انه ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوا لان الاستيذان من علامات النفاق فقال لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا اي في ان يجاهدوا وكان الاكابر من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الجهاد وكانوا بحيث لو امرهم بالقعود شق عليهم ذلك الا ترى ان علي بن ابي طالب لما امره الرسول صلى الله عليه وسلم بان يبقى في المدينة شق عليه ذلك ولم يرض الى ان قال له الرسول صلى الله عليه وسلم انت مني بمنزلة هرون من موسى وقيل ان حرف النفي مضمر كاضمار الجار والتقدير في ان لا يجاهدوا لا ان سياق الآية يدل على ذم من يستاذن في القعود وعلى هذا يمكن ان يقدر معناه كراهة ان



يجاهدوا وفي قوله والله عليم بالمتقين رمز الى انهم من جملة المتقين وان لهم ثوابهم ثم بين الذين من شأنهم الاستيذان فقال
انما يستأذنك الذين لا يؤمنون وفيه ان الشاك في امر الدين وتفاصيله الا في بعض مسائله غير مؤمن بالله تعالى وفيه ان محل الريب واليقين هو
القلب وان الايمان ليس مجرد الاقرار باللسان والا لم يصح نفيه عن المنافقين ومعنى قوله فهم في ريبهم يترددون ان الشاك متردد
بين النفي والاثبات غير حاكم باحد الطرفين وتقديره ان الاعتقاد اما ان يكون جازما اولا والجازم ان كان غير مطابق فهو
الجهل وان كان مطابقا فاما بضرورة او نظر فهو العلم اولا وهو اعتقاد المقلد وغير الجازم ان كان احد الطرفين راجحا عنده فالراجح
هو الظن والمرجوح هو الوهم وان تساوى الطرفان فهو الريب والشك فلهذا كانت الحيرة والتردد من شأن صاحبه كما ان الثبات
والاستقرار ديدن المستبصر قال المفسرون وان المستأذنين هم المنافقون وكانوا تسعة وثلثين رجلا ثم نعى على المنافقين سوء فعالهم
فقال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة قال ابن عباس يريد من الماء والزاد والراحلة لان سفرهم بعيد والزمان شديد
فتركهم العدة دليل على انهم ارادوا التخلف قال العلماء وفيه اشارة الى انهم كانوا مياسير قادرين على تحصيل الاهبة والعدة ولكن
كره الله انبعاثهم اي انطلاقهم فثبطهم والتثبيط رد الانسان عن الفعل الذي هم به ومعنى الاستدراك ان قوله ولو ارادوا
الخروج يعطي معنى نفي الخروج وكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا لان الله تعالى صرفهم عن ذلك كما يقول ما احسن الى زيد ولكن
اساء الى ومثل هذا يسمى في علم البديع صنعة الاستدراك وقد يقال تأكيد الذم بما يشبه المدح وههنا سؤال وهو ان خروجهم
مع الرسول ان كان مفسدة فلم عاتب الله رسوله في اذنه لهم بالقعود وان كان مصلحة فلم كره الله انبعاثهم والجواب انه كان مفسدة
لقوله عقيب ذلك لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا وحديث العتاب ظاهر عند من لا يجوز الاجتهاد على الانبياء لتمكنهم من استعلام
الصواب بطريق الوحي وكذا على قول ابي مسلم وتمام بحثه انه ص اذن لهم في الخروج قوله تعالى في هذه السورة فان رجعك الله الى
طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا وقوله في سورة الفتح سيقول لك المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم الى قوله
قل لن تتبعونا واما عندنا فانما خطأ الرسول في اذنه لهم بالقعود وان كان قعودهم مصلحة لانه اذن لهم قبل تمام التفحص وكمال
التدبر ولانه لو لم يأذن لهم فهم كانوا يقعدون من تلقاء انفسهم وكان يصير ذلك القعود علامة على نفاقهم فكان لا يقع الحاجة الى
اظهار نفاقهم بوجوه اخر دالة على هتك استارهم وكشف اسرارهم قالت معتزلة البصرة في الاية دلالة على انه تعالى موصوف بصفة الكراهة
كما انه موصوف بصفة الارادة وقالت الاشاعرة معنى كره الله انه اراد عدم ذلك الشيء وزيف بان العدم لا يصلح ان يكون متعلق
الارادة لان العدم مستمر فتعلق الارادة به يكون تحصيلا للحاصل ويمكن ان يجاب بان الارادة صفة تقتضي ترجيح احد طرفي
الممكن على الاخر سواء في ذلك طرف الوجود وطرف العدم وطرف العدم غير حاصل الا بارادة العدم فكيف يكون تعلق الارادة
تحصيلا للحاصل وايضا عدم الشيء المخصوص ليس عدما محضا اما قوله وقيل اقعدوا فيحتمل ان يكون قد جعل القاء الله في قلوبهم
كراهة الخروج امرا بالقعود ويحتمل ان يراد به قول الشيطان بطريق الوسوسة او قول بعضهم لبعض لما ارادوا الاجماع على التخلف
او هو قول الرسول كانه غضب عليهم حين استأذنوه فقال على سبيل الزجر اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا هذه اللفظة وقالوا
قد اذن لنا فلهذا عوتب بقوله لم اذنت لهم اي لم ذكرت هذه اللفظة التي امكنهم ان يتوسلوا بها الى تحصيل غرضهم ومعنى قوله
مع القاعدين ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم الجثوم في البيوت رضوا بان يكونوا مع الخوالف قال
المفسرون لما خرج رسول الله ص ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن ابي عسكره على ذي جدة اسفل من ثنية الوداع
ولم يكن باقل العسكرين فلما سار رسول الله ص تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين واهل الريب فانزل الله تعالى
يعزي نبيه لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فيكون استثناء متصلا من اعم العام وحمله على الاستثناء المنقطع بناء على
ان التقدير ما زادوكم خيرا الا خبالا ضعيف والخبال في اللغة الفساد ومنه المخبل للمعتوه وللمفسرين عبارات قال الكلبي الا شرا
وقال سليمان الا مكرا وقال الضحاك الا غدرا وقيل الا خبثا وقيل هو الاضطراب في الرأي وذلك بتزيين امر لقوم وتقبيحه لاخرين
حتى يختلفوا ويتفرق كلمتهم قالت المعتزلة دلت الاية على انه كره انبعاثهم لاشتماله على هذا الخبال والشر ففيه دليل على انه تعالى
لا يريد الا الخير والصلاح وللقائل ان يقول اثبات حكم كلي بحكم جزئي غير معقول واعلم انه سبحانه عد من مفاسد خروجهم ثلثة
الاول قوله ما زادوكم الا خبالا والثاني ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة قال في الكشاف زيدت الف في الكتابة لان الفتحة كانت تكتب الفا
قبل الخط العربي والخط العربي اخترع قبل نزول القران وقد بقي من ذلك الالف اثر في الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا اخرى ونحو
او لا اذبحنه في النمل ولا اتوها في الاحزاب لا رابع لها في القران وفي الايضاع قولان لاهل اللغة فقال الاكثرون هو متعد يقال
وضع البعير اذا عدا واوضعه الراكب اذا حمله على العدو وعلى هذا يكون في الاية حذف والتقدير ولا وضعوا ركائبهم وقال الاخفش
وابو عبيدة انه جاء لازما ويقال اوضع الرجل اذا سار بنفسه سيرا حثيثا ومنه ما روي ان النبي ص افاض من عرفة وعليه السكينة

واوضع



واوضع فى ذلك مجرى اى اسرع قال الواحدى والاية تشهد للاخفش وابى عبيد وعلى القولين المراد فى الاية السعى بين المسلمين بالتضريب
والنميمة والمبالغة فى الاول اكثر لان الراكب اسرع من الماشى ومعنى خلالكم اى فيما بينكم والخلل الفرجة فيما بين الشيئين ويبغونكم
الفتنة اى يبغون لكم قال الاصمعى يقال ابغنى كذا وابغ لى اى اطلبه لاجلى ومعنى الفتنة هنا افتراق الكلمة والتشويش فى المقاصد
فعند ذلك يحصل الانهزام اسرع فالحاصل من النوع الاول يحصل اختلاف الاراء ومن الثانى المشى بالنميمة لتسهيل ذلك الغرض
واما النوع الثالث فذلك قوله وفيكم سماعون لهم قال ابن مجاهد وابن زيد اى عيون لهم ينقلون اليهم ما يسمعون منكم وقال
قتادة فيكم من يسمع كلامهم ويقبل قولهم واذا تعاضد الفاعل والقابل وقع الاثر على اكمل الوجوه لا محالة واعترض على هذا
القول بانه كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع قوة دينهم واجيب بان ذلك انما يقع لمن قرب عهده بالاسلام اولمن جبل على الجبن
والفشل اولمن حسن ظنه ببعض المنافقين لقرابة او هيبة وقلما يخلو الاقوياء من ضعيف سخيف واهل الحق من مبطل منافق
ولهذا ختم الاية بقوله والله عليم بالظالمين الذين ظلموا انفسهم بكفرهم ونفاقهم وعزمهم بالقاء الفتنة فيما بينهم ثم سلى نبيه بتوهين
كيد اهل النفاق قديما وحديثا فقال لقد ابتغوا الفتنة من قبل اى من قبل وقعة تبوك قال ابن جريج هو ان اثنى عشر رجلا من
المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبى عم وقيل المراد ما فعله عبد الله بن ابى يوم احد حين انصرف عن النبى عم
مع اصحابه ومعنى الفتنة هو تشتيت شمل المسلمين والاختلاف الموجب للفرقة بعد الالفة فسلمهم الله منه وقلبوا لك الامور
صرفوها ودبروا كل الحيل والمكايد ومنه فلان حول قلب اذا كان دائرا حوله مصايد المكايد حتى جاء الحق الذى هو القرآن وظهر
امر الله غلب دينه وشرعه وهم كارهون رد الله مكرهم فى نحرهم واتى بضد مقصودهم ولما كان الامر كذلك فى الماضى فكذا يكون
الحال فى المستقبل لقوله ويابى الله الا ان يتم نوره ومنهم من يقول ائذن لى فى القعود ولا تفتنى ولا توقعنى فى الفتنة
وهى الاثم بان لا تاذن لى فانى ان تخلفت بغير اذنك اثمت احتمل ان يكون قد ذكره على سبيل السخرية او على سبيل الجد بان
كان يغلب على ظن ذلك المنافق صدق محمد وان كان غير جازم به بعد وقيل لا تفتنى اى لا تلقنى فى الهلكة فانى ان خرجت
معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر يعنى نساء
الروم ولكنى اعينك بمال فاتركنى فاعرض عنه النبى عم وقال قد اذنت لك فنزلت الاية فقال رسول الله صلعم لبنى سلمة وكان الجد
منهم من سيدكم يا بنى سلمة قالوا جد بن قيس غير انه بخيل جبان فقال النبى عم واى داء ادوى من البخل بل سيدكم الابيض الفتى
الجعد بشر بن البراء بن معرور الا فى الفتنة سقطوا اى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة النفاق والتمرد عن قبول التكليف
المستتبع لشقاء الدارين ولهذا ختم الاية بقوله وان جهنم لمحيطة بالكافرين اما فى الدنيا فلاحاطة اسبابها بهم من النعى عليهم
بالنفاق وافشاء الاسرار وهتك الاستار وتحقير المقدار واما فى الاخرة فلمآل حالهم اى الدرك الاسفل من النار والتاويل ايها
الارواح والقلوب المؤمنة ما اصابكم وما لكم اذا قيل لكم بالالهام الربانى اخرجوا من الدنيا وما فيها فى طلب الله والسير اليه اثاقلتم
الى ارض الدنيا وشهواتها الا تنفروا من سجن الدنيا وقيود شهواتها يعذبكم عذابا اليما باستيلاء ظلمات الصفات النفسانية
وغلبات الاوصاف السبعية والشيطانية وبالم البعد عن الحضرة الربانية ويستبدل قوما غيركم من الارواح والقلوب العاشقة
الصادقة بدلا من العقول الكاملة المفارقة الا تنصروا رسول الوارد الربانى فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا اى النفوس الامارة
الكافرة من ارض القبول ثانى اثنين ثانى النفس الملهمة اذ هما فى غار العدم وكلمة الله هى العليا بجعل النفس المطمئنة بخطابه
ارجعى فاصلة الى مقام العندية انفروا ايها الطلاب خفافا مجردين من علائق الاهل والاولاد والاموال وثقالا متلبسين بها
او خفافا مجذوبين بالعناية وثقالا سالكين بالهداية وجاهدوا ببذل الاموال والانفس وقدم انفاق المال لان
بذل النفس مع بقاء صفاتها الذميمة غير معتبر ومن صفاتها الذميمة الحرص على الدنيا والبخل بها ذلكم خير لكم لان الحاصل من
المال ومن النفس الوزر والوبال والحاصل من الطلب الوصول والوصال لو كان مطلوبك يا محمد عرضا قريبا هو الدنيا ونعيمها او
سفرا قاصدا هو تتبع شهوات النفس وهواها لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة لانها الخروج من الدنيا والعقبى وسيحلفون يعنى
ارباب النفوس لو استطعنا لخرجنا معكم يا اهل القلوب عفا الله عنك قدم العفو على العتاب تحقيقا لقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فهم فى ريبهم يترددون بين اوصافهم الذميمة النفسانية والحيوانية بلا اعتبار الخروج الى الانوار الروحانية لاعدوا له
عدة وهى متابعة الانبياء فثبطهم حبسهم فى سجن البشرية ما زادوكم الا خبالا فيه اشارة الى ان قعود اهل الطبيعة فى حبس
البشرية صلاح لارباب القلوب واصحاب السلوك لانهم لو خرجوا عن نية صادقة وعزيمة صادقة ما زادوهم الا تشويشا وتفرقة
لاقوالهم وافعالهم واحوالهم لقد ابتغوا الفتنة من قبل يعنى ان صفات النفس قبل البلوغ كانت تستخدم الروح فى شهواتها حتى جاء الحق
وهو العقل القابل لاوامر الشرع وظهر امر الله وهو التكليف ومنهم من يقول يعنى من صفات النفس من يقول وهو الهوى ائذن لى فى القعود



عن الارتقاء فی مدارج المعارف والمشارع ولا تفتنی بالروح بتکلیفی ما لیس من شأنی وذلک ان الهوی مرکب المجبر یستعمل الروح فی تقاعده الی ذروة الکمال والوصال الا فی الفتنة سقطوا ای ان فتنة الهبوط هی الفتنة بالحقیقة وان جهنم البعد والقطیعة من لوازم کفار النفس اِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَاِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ اَخَذْنَا اَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ

وصفاتها اعاذنا الله عنها — اگر رسد ترا نیکوئی بد آید ایشان را و اگر رسد ترا مصیبتی گویند بدرستیکه فرا گرفتیم کار خویش از پیش و برگردند و ایشان شادمان باشند

قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا اِلَّا مَا كَتَبَ اللّٰهُ لَنَا هُوَ مَوْلٰينَا وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا اِلَّا اِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ

بگو نرسد ما را مگر آنچه نوشت خدا برای ما او خداوند ما است و بر خدای پس باید توکل کنند گروندگان بگو چشم نمیدارید ما را مگر یکی از دو نیکو

وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ اَنْ يُصِيبَكُمُ اللّٰهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهٖ اَوْ بِاَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا اِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ۝ قُلْ اَنْفِقُوا طَوْعًا

و ما چشم میداریم شما را که برساند شما را خدا عذابی از نزد خود یا بدستهای ما پس چشم دارید که ما با شما چشم دارندگانیم بگو نفقه کنید بطوع

اَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ اِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ۝ وَمَا مَنَعَهُمْ اَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ اِلَّا اَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللّٰهِ وَبِرَسُولِهٖ وَلَا

یا بکره هرگز پذیرفته نشود از شما بدرستیکه شما هستید گروه بیرون از طاعت و منع نکرده است ایشان را که پذیرفته شود از ایشان نفقات ایشان مگر آنکه ایشان کافر شدند بخدا و برسول او و نمی آیند

يَاْتُونَ الصَّلٰوةَ اِلَّا وَهُمْ كُسَالٰى وَلَا يُنْفِقُونَ اِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ۝ فَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَلَا اَوْلَادُهُمْ اِنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ

بنماز مگر و ایشان کاهلان باشند و نفقه نکنند مگر که ایشان کارهان باشند پس بشگفت نیاورد ترا اموال ایشان و نه فرزندان ایشان بدرستیکه میخواهد خدا

لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ وَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ اِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلٰكِنَّهُمْ

تا عذاب کند ایشان را بآن در زندگانی دنیا و بدر رود جانهای ایشان و ایشان کافرانند و سوگند میخورند بخدا که ایشان از شمایند و نیستند ایشان از شما و لکن ایشان

قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَاً اَوْ مَغَارَاتٍ اَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا اِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ

گروهی میترسند اگر بیابند پناهی یا غارهائی یا سوراخی هر آینه روی آرند بدان و ایشان شتابندگان باشند و از ایشان کسی است که عیب میکند ترا در دادن صدقات

فَاِنْ اُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَاِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا اِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ۝ وَلَوْ اَنَّهُمْ رَضُوا مَا اٰتٰهُمُ اللّٰهُ وَرَسُولُهٗ وَقَالُوا حَسْبُنَا

پس اگر بدهند ایشان را از آن راضی شوند و اگر نداده شوند از آن ناگاه ایشان بخشم آیند و اگر ایشان راضی شدندی بآنچه داده است ایشان را خدا و رسول او و گویند بس است ما را

اللّٰهُ سَيُؤْتِينَا اللّٰهُ مِنْ فَضْلِهٖ وَرَسُولُهٗ اِنَّا اِلَى اللّٰهِ رَاغِبُونَ ۝ القراءة هل تربصون باظهار اللام وتشدید التاء البزی و

خدا زود بدهد ما را خدا از فضل خود و رسول او بدرستیکه ما بسوی خدا رغبت کنندگانیم فلیح وقراءة حمزة وعلی وهشام مدغما فی لا یجمع ساکنان

الباقون باظهار اللام وتخفیف التاء لن تقبل بالیاء التحتانیة حمزة وعلی وخلف الباقون بالفوقانیة مدخلا بضم المیم وسکون الدال سهل ویعقوب الباقون بالدال المشددة المفتوحة یلمزک بضم المیم سهل ویعقوب الاخرون بکسرها سوی عباس فانه مخیر الوقوف تسؤهم لابتداء شرط اخر مع واو العطف فرحون لئلا الابتداء لفظا مع الاتحاد معنی هو مولینا لابتداء اخبار من الله او الحكاية عنهم المؤمنون الحسنیین للاستیناف بعد تمام الاستفهام بایدینا لوصل اصح لان الفاء جواب نتربص متربصون منکم فاسقین کارهون ولا اولادهم کافرون لمنکم یفرقون یجمحون الصدقات للشرط مع الفاء یسخطون ورسوله الی قوله راغبون لان لکل یتعلق بلو وجواب لو بعد التمام محذوف ای لکان خیرا لهم التفسیر هذا نوع اخر من خبث ضمائر المنافقین عن ابن عباس الحسنة فی یوم بدر والمصیبة فی یوم احد والاولی حمله علی العموم اذ معلوم من حال المنافقین انهم کانوا فی کل حسنة وعند کل مصیبة بالوصف الذی ذکر الله تعالی ومعنی اخذنا امرنا ای امرنا الذی نحن موسومون به من التیقظ والتحرز وحسن الرای والتدبیر من قبل ای من قبل ما وقع ویتولوا ای عن مقام التحدث بذلک الی اهالیهم او اعرضوا عن الرسول وهم فرحون مسرورون ثم امر نبیه بان یقول فی جوابهم لن یصیبنا الا ما کتب الله لنا قیل ای فی اللوح المحفوظ من خیر او شر او خوف او رجا او شدة او رخاء وفائدته انه اذا علم الانسان ان الذی وقع امتنع ان لا یقع لان خلاف معلوم الله ومقدوره محال لذلک عنه منازعة النفس وهانت علیه المصائب وقیل ای فی عاقبة امرنا من الظفر بالعدو واظهار دین الله علی کل الادیان فیکون المقصود ان احوال المسلمین وان کانت مختلفة فی الغم والسرور والدولة والمحنة الا ان العاقبة یکون لهم وان الظفر یقع من جانبهم فلا معنی لفرح المنافقین فی الحال وقال الزجاج معناه لن یصیبنا الا ما اختصنا الله به من النصرة علیکم او الشهادة وعلی هذا القول یقع ما فی الایة الثانیة کالمکرر هو مولینا لا یتولی امورنا الا هو یفعل بنا ما یرید من اسباب التهانی والتعازی لا اعتراض لاحد علیه وعلی الله فلیتوکل المؤمنون فیه تنبیه علی ان المؤمن یجب ان لا یعلق الرجاء الا برب الارباب فانهم یتعلقون بالوسایط والاسباب ثم امرهم بجواب ثان فقال هل تربصون بنا الا احدی الحسنیین التربص التمسک بما ینتظر به مجیء حینه ومنه تربص بالطعام اذا تمسک به الی حین زیادة سعره والحسنی تانیث الاحسن وهی صفة الحالة والخصلة او العاقبة یعنی النصرة او الشهادة وفی الاولی احراز الغنیمة والظفر بالاعداء وفی الثانیة ابقاء الذکر والفوز بنعیم الاخرة ونحن نتربص بکم ان یصیبکم الله بعذاب من عنده قارعة مثل قارعة عاد وثمود وقیل عذاب الله یشمل



الدارين او بايدينا يعني القتل بان يظهر نفاقكم ويامر بقتلكم كالكافر الحربي فتربصوا امر للتهديد بخوف فانك انت العزيز الكريم ثم
ذكر انهم ان تواتى منهم صورة البر لم يكن له قدر عند الله ولا ينتفعون به في الاخرة والغرض ان اسباب الذل والهوان مجتمعة عليهم
في الدنيا والاخرى عن ابن عباس نزلت في الجد بن قيس حين قال للنبي صلعم ائذن لي في القعود وهذا مالي اعينك به ولا يبعد ان
يكون السبب خاصا والحكم عاما وانفقوا لفظه امر ومعناه خبر كقوله فيما يجيء استغفر لهم او لا تستغفر لهم ومعناه انفقوا وانظروا
هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه ومثله قول كثير عزة اسيئي
بنا او احسني لا ملومة كانه يقول امتحني لطف محلك عندي وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل تجدين مني تفاوتا
في الحالين وانما يجوز اقامة الخبر والطلب احدهما مقام الاخر اذا دل الكلام عليه فيعدل عن الاصل لافادة المبالغة وانتصب طوعا
او كرها على الحال ومعناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين من جهتهما وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان
الزام الله اياهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه ويحتمل ان يراد طائعين من غير اكراه من رؤسائكم او ملزمين من جهتهم وذلك ان
رؤساء اهل النفاق كانوا يحملونهم على الانفاق اذا راوا فيه مصلحة ومعنى لن يتقبل منكم ان الرسول لا يقبله منكم او انه لا يقع مقبولا
عند الله ثم علل عدم القبول بقوله انكم كنتم قوما فاسقين قال الجبائي فيه دليل على ان الفسق يحبط الطاعات واجيب بان الفسق ههنا
بمعنى الكفر ولا يلزم منه كون الفسق المطلق كذلك وانما قلنا ان الفسق بمعنى الكفر لقوله سبحانه وما منعهم ان يقبل منهم الاية علل
منع القبول بامور ثلثة اولها الكفر بالله وبرسوله وثانيها ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى قال المفسرون معناه انه ان كان في جماعة
صلى وان كان وحده لم يصل وذلك انه يصلي للناس لا لله وذلك انه غير معتقد للصلوة ووجوبها فلهذا لزم منهم الكسل وثالثها ولا ينفقون
الا وهم كارهون وذلك انهم لا ينفقون رغبة في ثواب الله وانما ينفقون لاجل المصالح الدنيوية فهم في حكم الكارهين وان
انفقوا مختارين يعدون الانفاق مغرما ومنعه مغنما خلاف قول رسول الله صلعم ادوا زكوة اموالكم طيبة بها نفوسكم قيل الكفر بالله
سبب مستقل في منع القبول فكيف ضم اليه الامرين الاخرين والجواب انها امارات ويجوز توارد الامارات المتعددة على شيء واحد
وبوجه اخر اطلق كفرهم اولا ثم قيده بعدم اعتقادهم وجوب الصلوة والزكوة وبعبارة اخرى حكم عليهم بالكفر مطلقا ثم خص من
انواع كفرهم هذين تفظيعا لشان تارك الصلوة والزكوة قال في الكشاف وقرات في بعض الاخبار ان رسول الله صلعم كره للمؤمن
ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الاية وان الكسل من صفات المنافقين قال بعض العلماء وجه الجمع بين قوله ومن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره وبين مضمون هذه الاية وهو ان شيئا من اعمال البر لا يكون مقبولا عند الله مع الكفر هو ان يصرف ذلك الى
تاثيره في تخفيف العقاب ولقائل ان يقول لو لم يكن مقبولا بوجه لم يكن له في التخفيف ايضا اثر وقيل في الاية دلالة على ان
الصلوة لازمة للكفار والا لم يكن الاتيان بها على وجه الكسل مانعا من تقبل طاعاتهم كما ان قيامهم وقعودهم وسائر تصرفاتهم
على وجه الكسل ليس مانعا من التقبل بالانفاق ثم لما قطع رجاء المنافقين عن منافع الاخرة اراد ان يبين ان ما يظنونه من منافع
الدنيا فهو ايضا في الحقيقة سبب لتعذيبهم وبلائهم وتشديد المحنة عليهم فقال مخاطبا للرسول او لكل احد فلا تعجبك الاية
ونظيره ولا تمدن عينيك وانما قال فلا تعجبك بالفاء لان ما قبله مستقبل يصلح للشرط اي ان يكن منهم ما ذكرنا من الاتيان
بالصلوة على وجه الكسل وغير ذلك فهذا جزاؤه وهذا بخلاف ما سيجيء في الاية الاخرى من هذه السورة والاعجاب سرور
بالشيء مع نوع من الافتخار واعتقاد انه ليس لغيره ما يساويه وانه من البعيد في حكم الله ان يزيل ذلك الشيء عنه ويحصله لغيره كقوله
ما اظن ان تبيد هذه ابدا ولا شك ان هذه خصلة مذمومة من جهة استغراق النفس في ذلك الشيء وانقطاعها عن الله ومن جهة
استبعاد ازالته في قدرة الله ولهذا قال صلعم ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمقصود من الاية زجر الناس
عن الانصباب الى الدنيا والمنع من التهالك في حبها فان المسكن الاصلي هو الاخرة لا الاولى وقوله انما يريد الله ليعذبهم اعرابه كما
مر في قوله يريد الله ليبين لكم قال مجاهد والسدي وقتادة في الاية تقديم وتاخير والتقدير فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحيوة
الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة كانهم نظروا الى ان المال والولد لا يكونان عذابا بل هما من نعم الله تعالى على عباده
واورد عليه انهما لا يكونان عذابا في الاخرة ايضا فان تكلفوا وقالوا اراد بذلك انهما سبب العذاب فقد استغنوا عن التقديم
والتاخير لانهما قد يكونان سببا للعذاب في الدنيا ايضا وبوجه اخر المال والولد وكذا الاعجاب بهما يكونان في الدنيا لا محالة
فاي فائدة في ذكرها واعلم ان الاموال والاولاد قد يكونان سببا للتعذيب في الدنيا والاخرة وذلك ان كل ما كان حب الشيء اشد
كان خوفه عن فواته اكثر وحزنه على فواته اعظم وصاحب المال ابدا اما في خوف فوات المال واما في حزن فواته واما في تعب
حفظه وتثميره ثم ان الدنيا حلوة خضرة فاذا كثر ماله انصب بكليته اليه ويفضي الى طغيانه وقساوة قلبه الى ان ينسى حب الله
وذكر الاخرة ثم انه ان بقي عليه ذلك الى اخر عمره فعند الموت عظم اسفه على مفارقته وكان كمن ينتقل من بستان ونعيم الى جحيم وعند

الحشر

المحشر يكون حلاله حسابا وحرامه عذابا فثبت ان حصول المال سبب لعذاب الدارين الا من يتصرف فيه بالحق ومثله يكون نادرا وكذا الكلام في الولد وهذا المعنى وان كان عاما للكل الا ان المنافقين لهم وجوه اختصاص بالتعذيب وذلك ان الرجل اذا كان مؤمنا بالله واليوم الآخر علم انه خلق للآخرة لا للدنيا فيفتر حبه للامور الدنيوية بخلاف المنافق الذي اعتقد ان لا سعادة الا هذه الخيرات العاجلة وايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكلفهم انفاق الاموال وبعث الاولاد الى الغزو والجهاد وكانوا لا يعتقدون في ذلك فائدة اخروية وكانوا في اشق تكليف وكانوا مبغضين للنبي صلى الله عليه وسلم مع انهم كانوا مضطرين الى بذل المال وبعث الاولاد الى خدمته وكانوا خائفين من افتضاحهم واظهار نفاقهم وتعريض اولادهم واموالهم للنهب والسبي وكثير منهم كان لهم اولاد اتقياء مخلصون كحنظلة بن ابي عامر غسيل الملائكة وكعبد الله بن عبد الله شهد بدرا وكان عند الله بمكان وهم خلق كثير كانوا يرفضون طريقة آبائهم في النفاق ويقدحون فيهم والابن اذا صار هكذا تأذى الاب بسببه لاجل هذه المعاني ذكر بعض العلماء ان التقدير يريد الله ان يزيد في اموالهم ليعذبهم اما قوله وتزهق انفسهم اي تخرج وهم كافرون فقد قالت الاشاعرة فيه دليل على انه تعالى اراد منهم الكفر واورد الجبائي عليه ان المريض اذا قال للطبيب اريد ان تدخل علي في حالة مرضي لم يلزم منه كونه مريدا للمرض نفسه والجواب ان امثال هذه موكولة الى قرائن الحال ففي قول المريض لا ريب ان المطلوب هو دخول الطبيب وكون الدخول واقعا في تلك الحالة من ضرورات كونه مريضا وهو طبيبه وفي الآية ليس المراد زهوق الروح فقط لان المسلم والمنافق في ذلك سيان فالمراد وقوع الزهوق في حالة الكفر فيكون الكفر منهم مرادا بالضرورة وقال في الكشاف المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمه الى ان يموتوا وهم كافرون مشغولون بالتمتع عن النظر للعاقبة ومن قبائح افعال المنافقين ما حكى الله سبحانه عنهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم اي على دينكم ثم قال وما هم منكم اي ليسوا على دينكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل فيظهرون الايمان تقية ثم اكد نفاقهم بقوله لو يجدون ملجأ مفرا يتحصنون فيه آمنين على انفسهم منكم لفروا اليه ولفارقوكم فلا تظنوا ان موافقتهم اياكم في الدار والمسكن من صميم القلب او مغارات جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور الانسان فيه اي يستتر او مدخلا بالتشديد مفتعل من الدخول ادغمت التاء في الدال لقرب مخرجيهما والمدخل يفتعل من الادخال ومعناه المسلك الذي يندس بالدخول فيه قال الكلبي وابن زيد نفقا كنفق اليربوع والمراد انهم لو وجدوا مكانا على احد هذه الوجوه مع انها شر الامكنة لولوا اليه يقال ولى اليه بنفسه اذا انصرف وولى عنه اذا اعرض وهم يجمحون اي يسرعون اسراعا لا يرد وجوههم شيء ومنه الفرس الجموح لا يرده اللجام والحاصل انهم من شدة تأذيهم وتنفرهم من الرسول والمسلمين صاروا بهذه الحالة قال بعض العلماء انه تعالى ذكر ثلاثة اشياء والاقرب حملها على المعاني المتغايرة فالملجأ الحصون والمغارات الكهوف في الجبال والمدخل السرب تحت الارض كالآبار والله تعالى اعلم ومن جملة قبائحهم قوله ومنهم من يلمزك الآية قال الزجاج لمزت الرجل الزه واللمز بكسر الميم وضمها اذا عبته وفرق الليث فقال اللمز العيب في الحضور والهمز العيب في الغيبة واعلم ان العيب في الصدقات يحتمل وجوها الاول في اخذها بان يقال انتزاع كسب الانسان من يده غير معقول لان الله هو المتكفل بمصالح عبيده ان شاء افقرهم وان شاء اغناهم الثاني ان يقال هب انك تأخذ الزكوات الا ان ما تأخذه كثير فيجب ان تقنع باقل من ذلك الثالث هب انك تأخذ هذا الكثير الا انك تصرفه الى غير مصرفه فيكون العيب فيه وقع في قسمة الصدقات وفي تفريقها وهذا هو الذي دلت الاخبار على انهم ارادوه عن ابي سعيد الخدري بينا يقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائم حنين قال له ابن ذي الخويصرة راس الخوارج اعدل يا رسول الله فقال ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل فنزلت وعن الكلبي هو ابو الجواظ قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقيل هم المؤلفة قلوبهم ثم بين ان عيبهم ذلك وسخطهم لاجل نصيب انفسهم لا للدين فقال فان اعطوا منها رضوا وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون ومعنى اذا هم يسخطون فهم يسخطون وفائدته ان يعلم ان الشرط مفاجئ للجزاء ومتهجم عليه ثم ارشدهم الى ما هو صلاحهم في نفس الامر فقال ولو انهم رضوا الآية ورتبه على اربع مراتب الاولى الرضا بما آتاهم الله ورسوله لعلمهم بانه تعالى حكيم يعلم عواقب الامور فكلما كان حكما له وقضاء منه كان حقا وصوابا ولا اعتراض عليه الثانية ان يظهر اثر ذلك الرضا على لسانه وهو قولهم حسبنا الله كفانا فضله وصنعه لغيرنا المال ولنا الرضا والتسليم وذكر الحسب الثالثة ان يترقى من هذه المرتبة العالية كان واثقا بان الله لا يهمله وسيعوضه من فضله في غنيمة اخرى الرابعة الرغبة الى الله ان المقصد الحقيقي والمقصود الاصلي من الايمان هو الطاعة لا المال والمنال يروى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مر بقوم يذكرون الله فقال ما الذي يحملكم عليه قالوا الخوف من عقاب الله فقال اصبتم ومر على قوم آخرين يذكرون فقال ما الذي حملكم عليه فقالوا الرغبة في الثواب فقال اصبتم ومر على قوم ثالث مشتغلين بالذكر فسألهم فقالوا لا نذكره للخوف من العقاب ولا للرغبة في الثواب بل لاظهار ذلة العبودية وعزة الربوبية وتشريف القلب بمعرفته وتشريف اللسان بذكره فقال انتم المحقون التأويل ان تصبك يا روح حسنة من عواطف الحق تحزن النفس



وصفاتها

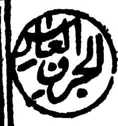
وصفاتها فيها تظفر الروح عليها وان تصبك مصيبة من الموانع والقواطع اخذنا نصيبنا من المراتع الحيوانية لما خالفناه في السير الى العالم الروحاني قل يا روح لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الا علينا فان الفترات والوقفات للتربية لا للرد وانظر وقل هل تربصون بنا ايها النفس وصفاتها الا احدى الحسنيين الاحسان والعواطف الربانية والوقفة والفترة الموجبة لحسن التربية بعذاب من عنده هو الابتلاء بالمصائب من الخوف والجوع وغيرهما او بايدينا بالمنع من المخالفات وبكثرة الرياضات والمجاهدات طوعا او رياء وكرها اى نفاقا لن يتقبل منكم لان اعمال اللسان وغيره من الجوارح من غير عمل القلب ليست بمقبولة وان كان عمل القلب بدون الجوارح مقبولة لقوله صلى الله عليه وسلم نية المؤمن ابلغ من عمله وباقى الآيات اشارات الى ان من امارات النفاق عدم الرضا بقسمة الخلاق وحال المخلص بالعكس

إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ

القراء اذن خير كلاهما بالرفع والتنوين الاعشى وبالرفع الم يعلموا بتاء الخطاب جبلة عن المفضل الباقون بياء الغيبة ان نعف نعذب كلاهما بالنون ونصب طائفة عاصم غير المفضل الباقون على البناء للمفعول بياء الغيبة فى الاول وبتاء التانيث فى الثانى الوقوف وابن السبيل اى فرض الله فريضة من الله حكيم هو اذن ط آمنوا منكم ط اليم ط ليرضوكم ج لاحتمال الواو الحال والاستيناف مؤمنين خالدا فيها ط العظيم بما فى قلوبهم ط استهزؤا ج لاحتمال ان فى ان للتعليل تحذرون ونلعب ط تستهزؤن ط بعد ايمانكم ط مجرمين من بعض كيلا تصير الجملة صفة لبعض المنافقين وهى صفة لكلهم ايديهم ط فنسيهم ط الفاسقون فيها ط حسبهم ج لاختلاف النظم مع اتحاد المقصود فى تمام الجزاء ولعنهم الله لذلك مقيم بناء على تعلق الكاف واولادا ط خاضوا ط والآخرة ج الخاسرون التفسير ان المنافقين لما لمزوا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قسمة الصدقات بين لهم الله سبحانه مصرفها كيلا يبقى لهم طعن اذ وجدوا فعله موافقا لحكم الله فقال انما الصدقات الآية وفى تصدير الكلام بانما دلالة على انه لا حق لاحد فى الصدقات الا لهؤلاء ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت من الاصناف الثمانية فلك فيها حق والا فهو صداع فى الرأس وداء فى البطن ولنتكلم فى تعريف هؤلاء الاصناف فالاول والثانى الفقراء والمساكين ولا شك ان كلا من الصنفين محتاجون

لا يبقى بخلهم بخرجهم انما الكلام في انهما متساويان في الدلالة او احدهما اسوء حالا فعن ابي يوسف ومحمد والجبائي انهما واحد حتى
لو اوصى لزيد وللفقراء والمساكين فنصف ما كان لزيد النصف لا الثلث قال الجبائي انه تعالى ذكرهما باسمين لتوكيد امرهم في الصدقات
والفائدة ان يصرف اليهم من الصدقات سهمان لا كما يرهم وعند الشافعي الفقير اسوء حالا لانه تعالى اثبت الصدقات لهؤلاء
الاصناف دفعا لحاجاتهم فالذي وقع الابتداء بذكره يكون اشد حاجة لان الظاهر تقديم الاهم على المهم ومما يدل على اشعار
الفقر بالشدة العظيمة قوله تعالى تظن ان يفعل بها فاقرة جعل الفاقرة كناية عن اعظم انواع الشر والدواهي وروى انه صلعم كان يتعوذ
من الفقر وقد سال المسكنة في قوله اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فكانه سأل التوسط الحال ولهذا مات وفي
رسول الله صلعم ترك اشياء معلومة مع انه تعالى اجاب دعائه ظاهرا فانه مسكينا وتقييده تعالى المسكين بقوله ذا متربة يدل على ان المسكين
قد لا يكون كذلك وقال تعالى اما السفينة فكانت لمساكين وكان ابن عباس يفسر الفقير بانه الذي لا يجد شيئا كاهل الصفة والمسكين بانه
الطواف الذي يسال الناس والغالب انه يحصل له منهم شيء وقريب منه قول من قال سمي مسكينا لانه الدائم السكون الى الناس ولما كان
المسكين هو السائل لما قلنا فالمحروم في قوله سبحانه وفي اموالهم حق للسائل والمحروم هو الفقير صاحب الحرمان واتفق الناس على ان
الفقر ضد الغنى ولم يقل احد ان الغنى والمسكنة ضدان فلعل النزع هو ضد التمسكن وقال ابو حنيفة المسكين اسوء حالا لقوله تعالى او
مسكينا ذا متربة وقد تقدم الكلام عليه ولانه تعالى جعل الكفارات من الاطعمة ولا فاقة اعظم من الجوع ونقل الاصمعي عن ابي عمرو بن
العلاء ان الفقير الذي له ما ياكل والمسكين هو الذي لا شيء له وقال يونس قلت لاعرابي افقير انت قال لا والله بل مسكين وقيل سمي مسكينا
لانه يسكن حيث يحضر لاجل انه لا بيت له ولا منزل واجيب بانه تعالى جعل الكفارة للمسكين ذي المتربة وهو الفقير بعينه وانما النزاع
في المسكين المطلق والروايات معارضة بامثالها والله اعلم الصنف الثالث العاملون على الصدقات وهم السعاة الجباة للصدقة قال ابن
عمر وابن الزبير والشافعي يعطى هؤلاء اجور امثالهم لانها اجرة للعمل وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات لانهم صنف من
الثمانية والصحيح ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لان رسول الله صلعم ابى ان يبعث ابا رافع عاملا على الصدقات
وقال اما علمت ان مولى القوم منهم وفائدة التعدية بعلى التسلط والولاية يقال فلان على بلدة كذا اذا كان واليا عليها واختلفوا في ان
الامام هل له حق لانه هو العامل في الحقيقة او لا لانه خارج عن الاصناف والجمهور على ان العامل ياخذ نصيبه وان كان غنيا
لان ذلك اجرة عمله وعن الحسن انه لا ياخذ الا مع الحاجة الصنف الرابع المؤلفة قلوبهم عن ابن عباس هم قوم اشراف من الاحياء اعطاهم رسول
الله صلعم يوم حنين وكانوا خمسة عشر رجلا منهم ابو سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصين اعطى كل رجل منهم مائة من الابل قال العلماء
لعل مراد ابن عباس انه لا يمتنع في الجملة صرف الاموال الى المؤلفة والا فلم تكن ما اعطاهم من الصدقات ويروى ان ابا بكر الصديق اعطى
عدي بن حاتم لما جاءه بصدقاته وصدقات قومه ايام الردة والذي استقر عليه راى الائمة ان المؤلفة ثلثة اقسام ضعيف النية في
الاسلام وشريف باعطائه يتوقع اسلام نظرائه والمتالف على جهاد من يليهم من الكفار ومانعي الزكوة حيث يكون ذلك اهون للامام من
بعث جيش يعطى كل واحد منهم ما راى الامام باجتهاده هذا كله اذا كانوا مسلمين فاما الكفار الذين يميلون الى الاسلام فيرغبون فيه
باعطاء مال والذين يخاف شرهم فيتالفون لدفع الشر فلا يعطون شيئا من الزكوة وكان النبي صلعم يعطيهم من خمس الخمس والان لا
يعطون اصلا لقوة الاسلام والاستغناء عن تالفهم ولانه ليس في الاية دلالة على ان المؤلفة يجوز ان يكونوا من الكفار فلا ينبغي ان
يقال ان حكم الاية منسوخ الصنف الخامس قوله وفي الرقاب قال الزجاج تقديره وفي فك الرقاب وللائمة في تفسيره اقوال فعن ابن عباس
انهم المكاتبون وهو مذهب الشافعي قال اذا عجزوا عن اداء النجوم بان لا يكون لهم شيء او لا يفي ما في ايديهم بنجومهم صرف اليهم والى سيدهم
باذنهم ما يعينهم على العتق وقال مالك واحمد واسحق المراد انه يشترى به عبيد فيعتقون وعن ابي حنيفة واصحابه وهو قول سعيد بن
جبير انه لا يعتق من الزكوة رقبة كاملة ولكن يعطى منها في رقبة ويعان بها مكاتب لان قوله وفي الرقاب يقتضي ان يكون له فيه مدخل
وذلك ينافي كونه تاما فيه وقال الزهري سهم الرقاب نصفه للمكاتبين المسلمين ونصفه يشترى به رقاب ممن صلوا وصاموا وقدم
اسلامهم فيعتقون قال المفسرون انما عدل عن اللام الى في لان الاصناف الاربعة الاول يصرف المال اليهم حتى يتصرفوا فيه كما شاؤا
وفي الاربعة الاخيرة لا يصرف المال اليهم بل يصرف الى جهات الحاجات المعتبرة في الصفات التي لاجلها استحقوا سهم الزكوة ففي الرقاب
يوضع نصيبهم في تخليص رقابهم عن الرق او الاسر ولا يدفع اليهم وفي الغارمين يصرف المال الى قضاء ديونهم وفي الغزاة يصرف المال
الى اعداد ما يحتاج اليه في الغزو وفي ابن السبيل كذلك يصرف الى ما يبلغه المقصد وقال في الكشاف انما عدل للايذان بانهم ارسخ
في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق لان في للوعاء فنبه به على انهم احقاء بان يجعلوا مصبا للصدقات وتكريره في قوله وفي سبيل
الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين الصنف السادس الغارمون قال الزجاج اهل الغرم لزمهم وما يستحق و
سمي العشق غراما لكونه امرا شاقا لازما وفلان مغرم بالنساء وسمي الدين غرما لانه شاق لازم والغارمون المديونون والدين

ان حصل بسبب معصية لم يدخل في الاية لان المعصية لا تستوجب الاعانة وان حصل لا بالمعصية فهو مقصود الاية سواء حصل
بسبب نفقات ضرورية او لاصلاح ذات البين وان كان متمولا او للضمان ان اعسر هو والاصيل وكل داخل في الاية روى الاصم في
تفسيره انه صلى الله عليه وسلم لما قضى بالغرة في جنين قالت العاقلة لا نملك الغرة يا رسول الله فقال لحمل بن مالك اعنهم بغرة من صدقاتهم وكان
حمل على الصدقة يومئذ وانما يعطى الغارم قدر دينه ان لم يقدر على شيء وان قدر على بعض اعطي الباقي الصنف السابع قوله في سبيل الله
يعني الغزاة قال الشافعي يجوز له ان ياخذ من مال الصدقات وان كان غنيا وهو مذهب مالك واحمد واسحق وابي عبيد وقال ابو
حنيفة لا يعطى الغازي الا اذا كان محتاجا وظاهر لفظ الاية لا يوجب القصر على الغزاة فلهذا نقل القفال عن بعض الفقهاء انهم
اجازوا صرف الصدقة الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الحصون وعمارة المساجد لان كلها في سبيل الله الصنف الثامن ابن
السبيل وهو المسافر لا لاجل معصية يعطى ما يبلغه المقصد وموضع ماله ان كان له في الطريق مال قال الشافعي ويدخل في المسافر
الشاخص من وطنه ومن بلد كان مقيما به منشأ للسفر والغريب المجتاز ببلدنا والله اعلم ولنذكر طرفا من احكام هذه الاصناف
الحكم الاول اتفقوا على دخول الزكوة الواجبة في قوله انما الصدقات لقوله في موضع اخر خذ من اموالهم صدقة ولقوله صلى الله عليه وسلم ليس
فيما دون خمسة اوسق صدقة واختلفوا في الصدقة المندوبة فمنهم من قال يدخل والفائدة ان تعلم ان مصارف جميع الصدقات
ليست الا هؤلاء الاصناف والاكثر على اختصاص الاية بالواجبة لدخول لام التمليك في الاصناف والصدقة المملوكة لهم ليست الا
الزكوة تدل على الحصر في الاصناف الثمانية والصدقة المندوبة يجوز صرفها الى وجوه اخر كالمساجد والمدارس وتجهيز الموتى
ولان الصدقات ينصرف الى معهود سابق وهو الصدقات الواجبة في قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الحكم الثاني في الاية دلالة
على ان الزكوة انما يتولى اخذها الامام او نائبه لانه تعالى جعل للعاملين سهما منها والعامل هو الذي نصبه الامام لاخذ الزكوات
ويتاكد هذا النص بقوله خذ من اموالهم صدقة فالقول بان المالك يجوز له اخراج زكوة الاموال الباطنة بنفسه انما يعرف بدليل
اخر كقوله وفي اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم واذا كان حقا لهما وجب ان يجوز دفعه اليه ابتداء واذا كان الامام جائرا فالتفريق
بنفسه افضل الحكم الثالث مذهب ابي حنيفة انه يجوز صرف الصدقة الى بعض هؤلاء الاصناف وهو قول عمر وحذيفة
وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وابي العالية والنخعي لانه تعالى جعل جملة الصدقات لهؤلاء الثمانية فلا يلزم ان يكون كل
جزء من اجزائها كصدقة زيد مثلا موزعا على كل واحد منهم ولان الرجل الذي لا يملك الا عشرين دينارا فاخرج نصف دينار
لو كلفناه ان يقسمه على اربعة وعشرين ليوقع كل ثلثة منها الى ثلثة من كل صنف صار كل قسم حقيرا صغيرا غير منتفع به في مهم
معتبر وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وقال الشافعي لا بد من صرفها
الى الاصناف الثمانية وهو قول عكرمة والزهري وعمر بن عبد العزيز واحتجوا عليه بان الله تعالى ذكر هذه القسمة في نص الكتاب
ثم اكدها بقوله فريضة من الله وهو في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء في قوة قوله فرض الله الصدقات
لهم وهذا كالزجر عن مخالفة الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى لم يرض بقسمة ملك مقرب ولا نبي مرسل حتى تولى قسمتها
بنفسه ثم ختم الاية بقوله والله عليم اي بمقادير الانصباء والمصالح حكيم لا يفعل الا ما هو الانسب والاصلح وكل هذه المؤكدات
دليل على وجوب الاحتياط في صرف الزكوة ومن ههنا قال الشافعي لا بد في كل صنف من ثلثة لانه تعالى ذكر اكثر الاصناف
بلفظ الجمع واقله ثلثة فان دفع نصيب الفقراء الى اثنين غرم للثالث اقل متمول على الاقيس لا الثلث لان التفضيل في افراد الصنف
جائز للمالك لان العدد من كل صنف غير محصور فيصعب اعتبار التسوية بخلاف التسوية بين الاصناف لانهم محصورون
فيسهل التسوية بينهم الحكم الرابع العامل والمؤلفة قلوبهم مفقودان في زماننا فبقي ان يصرف الزكوة الى الاصناف الستة
الباقية كما لو فقد بعض الاصناف في بلد فانه يصرف الى الباقين ولا يؤمر بالنقل الى بلد وجد وانه جميعا والاحوط رعاية
التسوية بينهم على ما يقوله الشافعي فاذا لم يفعل ذلك فانه مجزية عند سائر الائمة اما الحكمة في ايجاب الزكوة فهو ان المال
محبوب بالطبع لان القدرة من صفات الكمال والمال سبب لحصول القدرة على المشتهيات والمآرب لكن الاستغراق في
حبه يذهل النفس عن حب الله وعن التاهب للاخرة فاقتضت الحكمة الالهية تكليف مالك المال الاخراج طائفة منه كسرا للنفس
ومنعا من انصبابها بالكلية اليه فايجاب الزكوة علاج صالح لازالة مرض حب الدنيا عن القلب هو المراد من قوله خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم اي عن دنس الاستغراق في حب المال وايضا ان كثرة الاموال يوجب القوة والقدرة والشدة وتزايد تلك
اللذات يدعو الانسان الى تحصيل الاموال المتزايدة فيصير المسئلة دورية لا مقطع لها ولا اخر فاثبت الشرع لها مقطعا
واخرا وهو صرف طائفة من المال في طلب مرضاة الله ليصرف النفس عن ذلك الطريق الظلماني الذي لا اخر له ويفضي الى غلبة
الى الطغيان وقساوة القلب وايضا النفس الناطقة لها قوتان نظرية وكمالها في التعظيم لامر الله وعملية وكمالها في الشفقة



على خلق الله فاوجب الله الزكوة ليتصف جوهر الروح بهذا الكمال ويصير بسبب ذلك محبا الى الخلق وامدوا له بالدعاء والهمة وايضا المال سمى مالا لكثرة ميلها الى كل احد وهو غاد ورائح سريع الزوال مشرف على التلف والبوار فاذا انفقه لوجه الله بقى بقاء لا يمكن زواله وفي انفاق المال تشبيه بالمجردات والمفارقات وليس الغنى الا عن الشئ لا به لان الاستغناء عن الشئ صفة الحق والاستغناء بالشئ صفة المخلوقين العاجزين ففي الامر بالزكوة نقل للانسان من درجة ادنى الى درجة اعلى وايضا للانسان روح وبدن ومال فاذا بذل الروح في الاستغراق في بحار معرفة الله وبذل البدن في العبودية لله والصلوة لم يلتفت فيليق به ان لا يبذل المال في ابتغاء مرضاته وايضا اذا فضل له المال عن قدر الحاجة وحضر انسان آخر محتاج فههنا حصل سببان كل واحد منهما يوجب تملك ذلك المال اما في حق المالك فهو انه سعى في اكتسابه وتحصيله وتعلق قلبه به واما في الفقير فالاحتياج الموجب للتعلق به فلما وجد هذان السببان المتدافعان اقتضت حكمة الشارع رعاية كل منهما بقدر الامكان ورجح جانب المالك لان له حق الاكتساب وحق التعلق فابقى عليه الكثير وامر بصرف جزء يسير الى الفقير توفيقا بين الامرين وجمعا بين المصلحتين مع رعاية المال عن التعطيل فلا معطل في الوجود وايضا الاغنياء خزان الله لان المال مال الله وهم عبيده ولولا انه القاها في ايديهم لما ملكوا منها حبة فكم من عاقل لا يملك ملأ بطنه وكم من غافل ياتيه الدنيا عفوا صفوا وليس يستبعد ان يقول الملك لخزانه اصرفوا طائفة مما في الخزائن الى المحتاجين من عبيدي وايضا ان الاغنياء لو لم يلتزموا اصلاح مهمات الفقراء فربما حملهم شدة الحاجة على تحصيل المال من وجوه منكرة كالسرقة ونحوها او على الالتحاق باعداء المسلمين وقال عم الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وكان الله تعم يقول للغني اعطيتك المال فشكرت فصرت من الشاكرين فاخرج من يدك نصيبا منه حتى تصبر على فقدان المال فصرت من الصابرين ويقول للفقير ما اعطيتك الاموال الكثيرة فصبرت فصرت من الصابرين ولكني اوجبت على الغني ان يصرف اليك طائفة من المال لتشكر لي فتكون من الشاكرين وايضا اراد الله سبحانه ان يكون الغني منعما على الفقير بما يؤديه اليه ويكون الفقير منعما على الغني بما قبله منه ليحصل الخلاص لهم في الدنيا من الذم والعار وفي الآخرة من عذاب النار ثم حكى نوعا آخر من فضائح المنافقين وهو انهم كانوا يقولون لرسول الله صلعم على وجه الطعن والذم هو اذن عن ابن عباس كانوا يؤذون النبي صلعم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن سامعة فنزلت الآية وقال محمد بن اسحق بن يسار وغيره نزلت في رجل من المنافقين يقال له نافل بن الحرث وكان رجلا احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وهو الذي قال فيه النبي صلعم من اراد ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نافل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلعم الى المنافقين فقيل له لا تفعل فقال انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه نقول ما شئنا ثم ناتيه فنحلف له فيصدقنا وقال السدى اجتمع ناس من المنافقين فيهم جلاس بن سويد بن الصامت ووديعة بن ثابت فارادوا ان يقعوا في النبي صلعم وعندهم غلام من الانصار يدعى عامر بن قيس فحقروه فتكلموا وقالوا لئن كان ما يقوله محمد حقا لنحن شر من الحمير فغضب الغلام وقال والله ان ما يقول محمد حق وانكم لشر من الحمير ثم اتى النبي صلعم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان عامرا كاذب وحلف عامر انهم كذبة وقال اللهم لا تفرق بيننا حتى تبين صدق الصادق من كذب الكاذب فنزلت الآيتان قال علماء اللغة الاذن الرجل الذي يصدق بكل ما يسمع ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ومثله قولهم للربيئة عين ومنه ايذاؤهم النبي صلعم بانهم يقولون له هو اذن وذلك انهم قصدوا به المذمة وانه ليس بذكاء ولا بعد غور بل هو سليم القلب سريع الاغترار بكل ما يسمع ويجوز ان يراد بالايذاء انواع اخر سوى هذا القول اى يؤذونه بالغيبة والنميمة وسائر انواع الاذى ويقولون في وجه الاعتذار عن ذلك هو اذن يقبل كلما يسمع فنحن ناتيه فنعتذر اليه فيسمع عذرنا فيرضى ثم انه سبحانه اجاب عن قولهم فقال قل اذن خير لكم بالاضافة كقولهم رجل صدق يريدون الجودة والصلاح ويجوز ان الاضافة هو الملابسة كانه قيل نعم هو اذن في الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ويؤيده قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه عطف الخاص على العام اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع ولا يقبل غيرهما ثم بين كونه اذن خير بانه يؤمن بالله اى يقربه ويعترف بوحدانيته لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين يسلم لهم قولهم لوثوقه بقولهم وعلمه باخلاصهم لا لكونه من اهل الغرة والبله وهو رحمة للذين آمنوا منكم باللسان دون الجنان لانه يجري امركم على الظاهر ولا يبالغ في التفتيش عن بواطنكم فان الله هو الذي يتولى السرائر ولهذا ختم الآية بقوله والذين يؤذون رسول الله صلعم عذاب اليم واما من قرأ اذن خير بالرفع فيهما فعلى ان اذن خبر مبتدأ محذوف وخير كذلك اى هو اذن هو خير والمعنى هو اذن موصوف بالخيرية في حقكم لانه يقبل معاذيركم ويتغافل عن جهالاتكم فيتحفظ بذلك دماؤكم واموالكم وقيل التقدير قل الذي هو اعني سامعة للحق خير لكم من هذا الطعن الفاسد ثم

ذكر بعده ما يدل على فساد هذا الطعن وهو قوله يؤمن بالله الى آخره ووجه ثالث ذكره صاحب النظم واستحسنه الواحدى وهو ان
قوله اذن وان كان رفعا فى الظاهر لكنه نصب فى الحقيقة على الحال ودنا وبليه قل هو اذن خير لكم ثم ذكر ان من قبائح المنافقين اقدامهم
على الايمان الكاذبة فقال يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه اى كان من الواجب ان يرضوا الله تعالى با
لاخلاص والتوبة لا باظهار ما يستترون خلافه وانما لم يقل يرضوهما تعظيما لله بالافراد بالذكر او المراد والله احق ان يرضوه
ورسوله كذلك او وقع الاكتفاء بذكر الله لان رضى الله ورضى رسوله شئ واحد كما يقال احسان زيد واجماله نعشنى ومعنى ان كنتم
مؤمنين اى بزعمكم ثم وبخهم بقوله الم يعلموا وذلك انه يقال ذلك لمن يولع فى تعليم مدة ثم لم يظهر عليه اثر العلم والرشد وكان
النبى صلعم طال مكثه فيهم وكثر تحذيره عن المعصية وترغيبه فى الطاعة والضمير فى قوله انه للشان وفائدته مزيد التعظيم والتهويل
والمحادة المخالفة لان كلا منهما فى حد غير حد صاحبه كالمشاقة لان كلا منهما فى شق آخر وقال ابو مسلم هى من الحد بحد السلاح
ثم ذكر فى الجزاء وقوله فان له بالفتح اى فحق ان له نار جهنم وقيل ان مكرر للتاكيد والتقدير فله نار جهنم وقيل فان معطوف على
انه وجواب من محذوف وهو هلك قال الزجاج يجوز كسر ان على الاستيناف بعد الفاء ولكن القراءة بالفتح ونقل الكعبى فى تفسيره
انه قرا بالكسر قال السدى يقول بعض المنافقين والله لوددت انى قدمت فجلدت مائة جلدة ولا ينزل فينا شئ يفضحنا فانزل الله تعالى
يحذر المنافقون وقال مجاهد كانوا يقولون القول بينهم ثم يقولون عسى ان لا يفشى علينا سرنا فنزلت والضمير فى عليهم وفى
تنبئهم للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين لان السورة اذا انزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم وكانها تخبر عما فى بواطنهم وتذيع
عليهم اسرارهم قيل المنافق كافر فكيف يحذر نزول الوحى لانه غير قابل به واجيب بانهم عرفوا ذلك بالتجربة او كفرهم كان كفر
عناد او كانوا شاكين فى صحة نبوته والشاك فى امر خائف من وقوعه او هذا الخبر فى معنى الامر اى ليحذر المنافقون عن ابى
مسلم انهم اظهروا هذا الحذر على سبيل الاستهزاء ولهذا اجابهم الله بقوله استهزؤا وهو امر تهديد ان الله مخرج ما تحذرون ان
يظهر ما تحذرون من نفاقكم او محصل انزال السورة لان الشئ اذا حصل بعد عدم فكان فاعله اخرجه من العدم الى الوجود قوله
وان سالتهم الاية عن ابن عمر ان رجلا من المنافقين قال فى غزوة تبوك ما رايت مثل هؤلاء القراء ارغب بطونا اى اوسع ولا
اكذب السنا ولا اجبن عند اللقاء يعنى رسوله واصحابه فقال واحد من المؤمنين كذبت وانت منافق ثم ذهب ليخبر رسول الله
فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل الى رسول الله صلعم وقد ارتحل وركب ناقته فقال يا رسول الله صلعم انا كنا نلعب ونتحدث بحديث
نقطع به عنا الطريق قال ابن عمر رايت عبد الله بن ابى يشتد قدام رسول الله صلعم والحجارة تنكبه وهو يقول انما كنا نخوض ونلعب و
النبى صلعم يقول ابالله ورسوله كنتم تستهزؤن ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه وقال الحسن وقتادة بينا رسول الله صلعم يسير فى غزوة
تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات
فاطلع الله عز وجل نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا رسول الله صلعم انما كنا نخوض ونلعب
قال الواحدى اصل الخوض الدخول فى مائع مثل الماء والطين ثم كثر حتى اطلق على كل دخول فيه تلويث واذى اى كنا نخوض فى الباطل
كما يخوض الركب لقطع الطريق ثم امر نبيه بان يقول فى جوابهم ابالله اى بتكاليفه او باسمائه او بقدرته حيث استبعدتم غلبة
النبى صلعم واصحابه على فتح قصور الشام وآياته يعنى القرآن ورسوله كنتم تستهزؤن لم يعبا باعتذارهم فجعلوا كانهم معترفون بوقوع
الاستهزاء منهم فاوقع الانكار على الاستهزاء بالله بان اولى الاستفهام الذى يفيد التقرير المستهزا به ولم يقل اتستهزؤن بالله
ثم قال لا تعتذروا ونقل الواحدى عن ائمة اللغة ان معنى الاعتذار محو اثر الذنب وقطعه من قولهم اعتذر المنزل اذا درس واعتذرت
المياه اذا انقطعت ومنه عذرة الجارية لانها تعذر اى تقطع والعذر سبب لقطع اللوم نهاهم الله عن الاعتذار بالخوض
واللعب لان الشئ الذى يوجب الكفر لا يصلح للعذر ثم بين ذلك بقوله قد كفرتم اى صرحتم بالكفر بعد ايمانكم اى بعد الايمان الذى
اظهرتموه وفيه ان الاستهزاء بالدين كيف كان كفر بالله صريح لان العمدة الكبرى فى الايمان هو التعظيم لامر الله ولشرايعه ان
نعف عن طائفة منكم ذكر المفسرون انهم كانوا ثلثة استهزأ اثنان وضحك الثالث فعفا كان ذنب الضاحك اخف لانه لم يوافق القوم
فى الكفر فلا جرم عفا الله عنه وفيه اشارة الى انه من خاض فى عمل باطل فعليه ان يجتهد فى التقليل ويحذر من الانهماك فانه يرجى
له بتركه ذلك القليل ان يعفو الله عنه الكل قال الزجاج الطائفة فى اللغة الجماعة لانها الذى يمكنه ان يطيف بالشئ ثم يجوز ان
يسمى الواحد بالطائفة قال تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين واقله الواحد وروى الفراء باسناده عن ابن عباس انه قال
طائفة الواحد فما فوقه ووجهه بان من اختار مذهبا فانه ينصره ويذب عنه من كل الجوانب فلا يبعد ان يسمى طائفة بهذا السبب
والبناء للمبالغة وقال ابن الانبارى العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد قال تعالى الذين قال لهم الناس يعنى نعيم بن مسعود ثم علل
كونه معذبا للطائفة الثانية بانهم كانوا مجرمين اى مصرين مستمرين على الجرم ويجوز ان يكون سبب العفو عن الطائفة الاولى

الحذائهم لنوبتهم واخلاصهم لايمان بعد النفاق فيجوزان يراد بالعذاب العذاب العاجل ومن قرأن بعف على البناء للمفعول والنهكبر فلانه مستند الى الظرف كما تقول سير بالدابة دون سيرت وقرئ بالتانيث ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة ثم ذكر جملة احوال المنافقين وان اتباعهم فى ذلك كمذكورهم فقال المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اى فى صفة النفاق واريد به نفى ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم فصل ذلك المجمل ببيان مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال يامرون بالمنكر وهو كل قبيح عقلا او شرعا واعظم ذلك الاخلال فى الايمان وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم عن كل واجب كصلة او زكوة او انفاق فى سبيل الله وهذا اولى لتوجه الذم بتركه وقبض الايدى كناية عن الشح والبخل كبسطها فى الكرم والسخاء نسوا الله اغفلوا امره وتركوا ذكره وذلك ان النسيان الحقيقى لا يتوجه عليه الذم فنسيهم جازاهم بان صيرهم بمنزلة المنسى من ثوابه ورحمته وهذا على سبيل المزاوجة والطباق وانما جعل النسيان عبارة عن ترك الذكر لان من نسى شيئا لم يذكره فدل بذكر الملزوم على اللازم ثم قال ان المنافقين هم الفاسقون وفيه دليل على انهم هم الكاملون فى الفسق وان على المسلم ان يحترز عما يكسبه هذا الاسم ثم بين مال حال اهل النفاق والكفر فقال وعد الله الاية ومعنى خالدين فيها مقدرين الخلود فيها قاله فى الكشاف ويحتمل ان يراد مستاهلين للخلود هى حسبهم كافيهم فى الجزاء والايلام ومع ذلك فقد لعنهم الله ليكونوا لعذاب مقرونا بالاهانة والطرد ولهم عذاب مقيم نوع آخر من العذاب الدائم سوى عذاب النار او عذاب عاجل لا ينفكون عنه من تعب النفاق والخوف من افتضاحهم ثم شبه المنافقين بالكفار الذين كانوا قبلهم فى الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وقبض الايدى عن الخيرات فقال ملتفتا من الغيبة الى الخطاب كالذين من قبلكم اى انتم مثل الذين او فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم فعلى الاول محل الكاف رفع وعلى الثانى نصب ثم وصف اولئك الكفار بانهم كانوا اشد قوة اى جسامة من هؤلاء المنافقين واكثر اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم وهو ما خلق للانسان اى قدر له من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اى اثبت فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم قيل ما الفائدة فى ذكر الاستمتاع بالخلاق فى حق الاولين مرة ثم ذكره فى حق المنافقين ثانيا ثم تكريره فى حق الاولين ثالثا واجيب بانه تعالى ذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا وحرمانهم عن سعادة الاخرة بسبب استغراقهم فى تلك الحظوظ فلما قرر تعالى هذا الذم عاد فشبه حال المنافقين بحالهم فيكون ذلك نهاية فى المبالغة قال جار الله نظيره ان تقول لبعض الظلمة انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب وانت تفعل مثل فعله واما قوله وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على ما قبله مستندا اليه مستغنيا باسناده اليه عن تلك المقدمة ومعنى كالذى كالخوض الذى خاضوه او كالفوج الذى خاضوا وقيل اصله كالذين فحذف النون ثم بين ان اولئك الكفار لم يحصل لهم الا حبوط الاعمال فى الدنيا بسبب الفقر والانتقال من العز الى الذل ومن القوة الى الضعف واما فى الاخرة فلانهم هلكوا وبادوا وانتقلوا الى العقاب الدائم وخسران الدارين فهؤلاء المنافقون المشاركون لهم فى هذه الاعمال والقبائح مع ضعفهم وقلة عددهم وعددهم اولى بخزى الدارين وخسار الامرين التاويل انما الصدقات وهى صدقات مواهب الله كما قال ما من يوم ولا ليلة ولا ساعة الا لله فيها صدقة على من يشاء من عباده للفقراء وهم الاغنياء بالله الذين فنوا عنهم وبقوا به والمساكين الذين لهم بقية اوصاف الوجود الفلو سفينة القلب فى بحر الطلب فدخرتها لخضر المحبة وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا والعاملين عليها وهم ارباب الاعمال كما كان الفقراء والمساكين ارباب الاحوال والمؤلفة قلوبهم الذين تطمئن قلوبهم بذكر الله وفى الرقاب الذين يريدون ان يتخلصوا عن رق الموجودات الى حرية العبودية لموجدها والمكاتب عبد ما بقى عليه درهم والغارمين الذين استغرقوا من مراتب المكونات اوصافها وطبائعها وخواصها وهم محبوسون فى سجن الوجود فهم معاونون بتلك الصدقات للخلاص عن حبس الوجود وفى سبيل الله المجاهدين والجهاد الاكبر مع كفار النفوس والهوى والشيطان والدنيا وابن السبيل المسافرين عن اوصاف الطبيعة وعالم البشرية السائرين الى الله على اقدام الشريعة والطريقة فريضة من الله اوجبها على ذمة كرمه كما قال الا من طلبنى وجدنى والله عليم بطالبيه حكيم فى معاونتهم بعد الطلب كقوله من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا ويقولون هو اذن راوا الحامد بنظر المذمة والعيب قل اذن خير لكم اى سامعة خير لكم لان المقام السامعية يسمع ما يوحى اليه يؤمن بالله عيانا ويؤمن للمؤمنين لان فوائدها انه تعود اليهم كما تعود الى نفسه ورحمة للذين امنوا لانهم يهتدون بهداه والذين يؤذون رسول الله باقوالهم وافعالهم واحوالهم يحذر المنافقون والحذر لا يغنى عن القدر ان نعف عن طائفة اظهارا للفضل والرافة نعذب طائفة اظهارا للقهر والعزة ولكن اظهارا للطف بلا سبب واظهارا للقهر لا يكون الا بسبب انهم كانوا مجرمين وبعضهم من بعض لان ارواحهم كانت فى صف واحد فى الازل فما لامهم من نتائج خصوصيات ارواحهم نسوا الله ولو ذكروه قبل الاتيان بالمعاصى لم يفعلوا ما فعلوا ولو ذكروه بعد الاتيان لاستغفروا فغفر لهم هى حسبهم لانها نصيبهم فى الازل كانوا اشد منكم قوة بالاستعداد

بتكذيب الله ورسوله ويامرون بالمنكر وينهون عن المعروف وهو كل حسن عقلا وشرعا واعظمه ذلك



الفطرة وضيعوها في الاستمتاع العاجل فخسروا أمر الآخرة أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ ۚ أَتَتْهُمْ

رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ

وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ‎ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ‎ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي

مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ

فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ‎ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ

جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ‎ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ

مَا قَالُوا وَلَقَدْ

قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ۚ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ ۚ

فَإِن

يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا

نَصِيرٍ ‎ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ‎ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ

بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ‎ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَ

بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ‎ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ‎ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

القراءة والمؤتفكات وبابه بغير همز ابو عمرو وغير شجاع وورش ويزيد والحلوانى عن قالون والاعشى وحمزة فى الوقف الوقوف والمؤتفكات ط بالبينات لابتداء النفى مع فاء التعقيب يظلمون من بعض لما مر ورسوله ط سيرحمهم الله ط حكيم عدن ط اكبر ط العظيم واغلظ عليهم ط جهنم ط المصير ط ما قالوا لم ينالوا من فضله ج خيرا لهم والآخرة ولا نصير من الصالحين معرضون يكذبون علام الغيوب لا لاحتمال النصب والرفع على الذم وكونه بدلا من الضمير فى نجواهم فيسخرون منهم سخر الله منهم لاتمام الجزاء مع اختلاف النظم اليم التفسير لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين فى تكذيب الانبياء والاشتغال بالنعيم الزائل بين ان اولئك الكفار من هم فذكر ست طوائف سمع العرب اخبارهم لان بلادهم وهى الشام قريبة من بلادهم وقد بقيت آثارهم مشاهدة ولهذا صدر الكلام بحرف الاستفهام للتقرير فاولهم قوم نوح وقد اهلكوا بالاغراق وثانيهم قوم عاد واهلكوا بالريح العقيم وثالثهم ثمود واخذوا بالصيحة ورابعهم قوم ابراهيم سلط الله عليهم البعوض وكفى شرهلكهم وهو نمرود ببعوضة واحدة سلطها على دماغه وخامسهم اصحاب مدين قوم شعيب اخذتهم الرجفة وسادسهم اصحاب المؤتفكات قوم لوط امطر الله عليهم الحجارة بعد ان جعل مدائنهم عاليها سافلها والائتفاك الانقلاب سميت مدائنهم بذلك لان الله تعالى قلبها عليهم ويمكن ان يراد بالمؤتفكات الناس لانقلاب احوالهم من الخير الى الشر ثم قال اتتهم رسلهم بالبينات اى بالمعجزات ولا بد بعد هذا من اضمار والتقدير فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله ليظلمهم قالت المعتزلة اى ما صح منه الظلم ولكنهم استحقوا ذلك بسبب كفرهم وتقدم الكلام فى امثال ذلك ثم بين ان شأن المؤمنين فى الدنيا والآخرة بخلاف المنافقين فقال والمؤمنون الآية قال بعض العلماء انما قال ههنا اولياء بعض وهناك من بعض لان نفاق اتباع المنافقين يحصل بسبب التقليد لاكابرهم وبمقتضى الطبيعة العادة بخلاف الموافقة بين المؤمنين فانها بسبب المشاركة

ع

ولياء بعض / من بعض

في الاستدلال والتوفيق والهداية واقول كون بعض المنافقين من بعض يوجب اشتراكهم في امر من الامور بالجملة كالذات او حكم من
الاحكام الشرعية او سيرة وطريقة وهذا هو المقصود ولكنه يحتمل ان يكون تكليفا او بطريق النفاق لان سبب النفاق غرض من
الاغراض الدنيوية العاجلة فذكر الله تعالى اشتراكهم في ذلك بلفظ منهم لمكان الاحتمال المذكور واما اشتراك المؤمنين في
السيرة فلما كان سببه الاخلاص والعصبية للدين والاجتماع على ما يفضي الى سعادة الدارين كانت الموالاة بينهم محققة
فصرح الله تعالى بذلك ثم وصفهم باضداد صفات المنافقين فقال يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان
بالنسبة الى غيرهم ثم قال ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهاتان لهم في انفسهم وهما بازاء قوله في صفة المنافقين ولا يأتون
الصلوة الا وهم كسالى لا ينفقون الا وهم كارهون ثم وصفهم بالطاعة على الاطلاق فقال ويطيعون الله ورسوله اي في كل
ما يأتون ويذرون ثم ذكر ما اعد لهم من الثواب على سبيل الاجمال فقال اولئك سيرحمهم الله والسين يفيد المبالغة في انجاز الوعد بالرحمة
كما يؤكد الوعيد بها اذا قلت سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ثم ختم الاية بقوله ان الله عزيز
حكيم وفيه ترغيب للمؤمنين وترهيب للكافرين لان العزيز هو من لا يمنع من مراده في عباده من رحمة او عقوبة والحكيم هو
الذي يدبر عباده على ما هو وفق ما يقتضيه العدل والصلاح ثم فصل ما اجمل من الرحمة بقوله وعد الله المؤمنين الاية وقد كثر
كلام اصحاب الاثار في معنى جنات عدن فقال الحسن سألت عمران بن الحصين وابا هريرة عن ذلك فقالا على الخبير سقطت سألنا
رسول الله فقال هو قصر في الجنة من اللؤلؤ وفيه سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت
سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا على كل فراش زوجة من الحور العين وفي كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون
لونا من الطعام وفي كل بيت سبعون وصيفة يعطى المؤمن من القوة ما يأتي على ذلك اجمع وعن ابن عباس انها دار الله لم ترها عين
ولم يخطر على قلب بشر وقال ابن مسعود جنات عدن بطنان الجنة اي وسطها قال الازهري وبطنان الاودية المواضع التي يستنقع
فيها السيل واحدها بطن وقال عطاء عن ابن عباس هي قصبة الجنة وسقفها عرش الرحمن وهي المدينة التي فيها الرسل والانبياء
والشهداء وائمة الهدى وسائر الجنات حولها وفيها عين التسنيم وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب الريح من تحت العرش
فيدخل عليهم كثبان المسك الابيض وقال عبد الله بن عمران في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج وله خمسة الاف باب على كل باب
خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد وفي هذه الاخبار دلالة على ان عدنا علم ويؤيده قوله جنات عدن التي وعد
الرحمن عباده بالغيب ولو لم يكن علما لم يوصف بالمعرفة ولا ريب ان اصله صفة من قولك عدن بالمكان اذا اقام به ومنه المعدن للمكان
الذي يخلق فيه الجوهر وعلى هذا فالجنات كلها جنات عدن الا ان يغلب الاسم على بعضها ورضوان من الله شيء يسير من رضاه
اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وكرامة وكل خطب مع رضا المولى هين وكل نعيم مع سخطه منغص وفيه دليل على ان السعادات
الروحانية اعلى حالا واشرف من السعادات الجسمانية بل لا نسبة لتلك اللذة والابتهاج الى هذه على ان الاعتراف بالسعادات
الجسمانية واجب من حيث الشرع ذلك الموعود والرضوان هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا في الحديث ان الله عز
وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل
من ذلك قالوا وما افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ثم عاد مرة اخرى الى شرح احوال المنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار
والمنافقين واغلظ عليهم قال الضحاك اي جاهد الكفار واغلظ على المنافقين لان المنافق لا يجوز محاربته في ظاهر الشرع وضعف
بان الفسق يأباه وقيل المراد بهؤلاء المنافقين هم الذين عرف الله حالهم فصاروا اكثر الكفرة فجاز قتالهم وزيف بانه وان علم حالهم
بالوحي لانه مأمور بان يحكم بالظاهر لقوم كانوا يظهرون الاسلام فكيف يجوز قتالهم والصحيح ان الجهاد بذل الجهد في حصول
المقصود وهو شامل للسيف واللسان فالمراد جاهد الكفار بالسيف والمنافقين واغلظ عليهم في الجهادين جميعا عن ابن مسعود
ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه بان يكرهه ويبغضه ويتبرأ منه وحمل الحسن جهاد
المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها واعترض عليه بان اقامة الحدود واجبة على كل فاسق منافقا او لا لان الغالب
ممن يقام عليه الحد في زمن رسول الله صلعم كونه منافقا قال الضحاك خرج المنافقون مع رسول الله صلعم الى تبوك وكانوا اذا خلا
بعضهم الى بعض سبوا رسول الله صلعم واصحابه وطعنوا في الدين فنقل ما قالوا حذيفة الى رسول الله صلعم فقال رسول الله صلعم يا اهل
النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم فحلفوا ما قالوا شيئا من ذلك فانزل الله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وعن
قتادة ان رجلين اقتتلا رجلا من جهينة ورجل من غفار فظهر الغفاري على الجهني فنادى عبد الله بن ابي يا بني الاوس انصروا
اخاكم فوالله ما مثلنا ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فسعى
بها رجل من المسلمين الى نبي الله صلعم فارسل اليه فجعل يحلف بالله ما قال فنزلت الاية اما قوله وهموا بما لم ينالوا فهو الفتك برسول

بان قال ذلك لانه عدا ان كل فاسق منافق ... ولو الطلاق في قول ... ذلك



اللّٰه صلعم عند مرجعه من تبوك وذلك انه توافق خمسة عشر رجلا منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل وكان
عمار بن ياسر آخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبيناهم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح
فالتفت فاذا هم قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بردعامر بن قيس لرده على الجلاس بن سويد وقد
مر في تفسير قوله يحلفون بالله لكم ليرضوكم وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلعم وما نقموا وما عابوا
الا ان اغناهم كقول القائل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلعم المدينة في ضنك من العيش
لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فظفروا بالغنائم وجعلوا الاموال وروي انه قتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثني عشر الفا
فاستغنى ثم استعطف قلوبهم بعد صدور هذه الجنايات العظيمة عنهم فقال فان يتوبوا يك يعني ذلك الرجوع خيرا لهم وكان الجلاس
ممن تاب فحسنت توبته وان يتولوا يعرضوا عن التوبة يعذبهم عذابا اليما في الدنيا بالقتل والسبي واغتنام الاموال وقيل بما ينالهم
عند الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر واما عذاب الآخرة فمعلوم وما لهم في الارض يحتمل ارض الدنيا وارض القيامة ثم
بين ان هؤلاء كما نافقوا الرسول والمؤمنين فكذلك نافقوا ربهم فيما يعاهدونه عليه فقال ومنهم من عاهد الله الآية روي عن ابي
امامة الباهلي ان ابا ثعلبة بن حاطب الانصاري قال لرسول الله صلعم ادع الله ان يرزقني مالا فقال ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير
من كثير لا تطيقه ثم قال مرة اخرى فقال اما ترضى ان تكون مثل نبي الله فوالذي نفسي بيده لو شئت ان تسيل معي الجبال فضة وذهبا
لسالت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله ان يرزقني مالا لاوتين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلعم اللهم ارزق ثعلبة
مالا فاتخذ غنما فنمت كما تنمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها ونزل واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة
ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو كما تنمو الدود حتى ترك الجمعة فسال عنه رسول الله صلعم فاخبر
فقال يا ويح ثعلبة ثلثا وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة فبعث رسول الله صلعم رجلين على الصدقة رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم و
كتب لهما كيف ياخذان الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وبفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسالاه الصدقة واقراه كتاب
رسول الله صلعم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية ما ادري ما هذا انطلقا حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا واخبر السلمي فنظر
الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهم بها فلما راوها قالوا ما يجب هذا عليك وما نريد ان ناخذ هذا منك قال بلى خذوه فان
نفسي بها طيبة فاخذوها منه ثم رجعا على ثعلبة فقال اروني كتابكما ثم قال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى
اتيا النبي صلعم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلمهما ودعا للسلمي بالبركة ثم نزلت الآية وعند رسول الله صلعم من اقارب ثعلبة فخرج اليه وقال
يا ويحك يا ثعلبة قد انزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلعم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله قد منعني ان اقبل منك
صدقتك فجعل يحثو التراب على راسه فقال رسول الله صلعم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل منه شيئا رجع الى منزله و
قبض رسول الله صلعم ولم يقبل منه شيئا رجع الى منزله وقبض رسول الله صلعم ولم يقبل منه شيئا ثم اتى ابا بكر حين استخلف فقال قد علمت منزلتي
من رسول الله صلعم وموضعي من الانصار فاقبل صدقتي فقال لم يقبلها رسول الله صلعم انا اقبلها فقبض ابو بكر وابى ان يقبلها ثم جاء
بها الى عمر في خلافته فلم يقبلها وكذا في خلافة عثمان ولم يقبل صدقته واحد من الخلفاء اقتداء برسول الله صلعم واقول وما ذلك الا
بشوم اللجاج ولا واخر قال بعض العلماء المعاهدة اعم من ان يكون باللسان وبالقلب قال المحققون انه لا بد من التلفظ بها لما روي
انه صلعم قال ان الله عفا عن امتي ما حدثت به نفوسهم ولم يتلفظوا به ولان قوله عز من قائل ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن
ظاهره مشعر بالقول اللساني والمراد بالفضل ايتاء السؤال بطريق التجارة او الاستغنام ونحوهما واصل لنصدقن لنتصدقن ادغمت التاء
في الصاد والمتصدق المعطي لا السائل كقوله تعالى وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين ومعنى قوله ولنكونن من الصالحين عن ابن عباس
انه اراد الحج ولعل المراد اخراج كل ما يجب اخراجه اذ لا دليل على التقييد ثم وصفهم بصفات ثلث فقال فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا
وهم معرضون فالبخل عبارة عن منع الحق الشرعي والتولي نقض العهد والاعراض ان اريد به الاحجام عن تكاليف الله وان ذلك منهم عادة
معتادة ولترتب هذا الذم على منع الصدقة ولاطلاق لفظ البخل عليه وهو في عرف الشرع عبارة عن منع الواجب ذكر العلماء ان الصدقة
الملتزمة في قوله لنصدقن هي الصدقة الواجبة وان الرجل قد عاهد ربه ان يقوم بما يلزمه من الانفاقات الواجبة ان وسع الله عليه دون
ما يلزم الانسان بالنذر من المندوبات اذ لا دليل في الآية على ذلك مع ان سبب النزول يأباه فان قيل الزكوة لا تلزم بسبب الالتزام وانما
تلزم بسبب ملك النصاب وحلول الحول قلنا ان قوله لنصدقن لا دليل فيه على الفور بل المراد لنصدقن في وقته الذي يليق به وفي الآية دلالة
على ان الرجل حين عاهد بهذا العهد كان مسلما ثم انه لما بخل بالمال ولم يف بالعهد صار منافقا ويؤكده قوله سبحانه فاعقبهم نفاقا
عن الحسن وقتادة ان اعقب مسند الى ضمير البخل اي اورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان سببا فيه وباعثا عليه وكذا التاويل
ان جعل عائدا الى التولي او الاعراض وضعف بان حاصل هذه الامور كونه تاركا لاداء الواجب وذلك لا يمكن جعله مؤثرا في



حصول النفاق في القلب لان ترك الواجب عدم والنفاق جهل وكفر وهو امر وجودي والعدم لا يؤثر في الوجود ولان هذا الترك قد يوجد في حق كثير من الفساق مع انه لا يحصل معه النفاق ولانه لو اوجب حصول الكفر في القلب لاوجبه سواء كان الترك جائزا شرعا او محرما فبسبب اختلاف الاحكام الشرعية لا يخرج السبب عن كونه مؤثرا ولان البخل والتولي والاعراض هو بعينه خلاف ما وعدوا الله به فيصير تقدير الاية ان التولي اوجب النفاق بسبب التولي وهذا كلام كما ترى فلم يبق الا ان يسند الفعل الى الله تعالى فيكون فيه دليل على ان خالق الكفر في القلوب هو الله ومن معناه قال الزجاج معناه انهم لما ضلوا في الماضي فالله تعالى يضلهم عن الدين في المستقبل ومما يؤكد القول بان الضمير في اعقبهم لله ان الضمير في قوله الى يوم يلقونه عائد الى الله وللمعتزلة ان يقولوا النفاق وان سلم انه وجودي لكنه امر شرعي ولا يبعد جعل شيء عدمي امارة عليه وايضا الترك المقرون بالتولي والاعراض لا نسلم انه لا يحصل معه النفاق ولا يلزم من كون الترك المحرم موجبا للكفر بجعل الشارع كون الترك الجائز كذلك ولا نسلم ان البخل هو بعينه اخلاف الوعد والكذب بل قد يقع البخل من غير سبق وعد سلمنا عود الضمير الى الله لكن من اين يلزم كونه خالقا للكفر والنفاق ولم لا يجوز ان يراد فاعقبهم الله العقوبة على النفاق باحداث الغم في قلوبهم وضيق الصدر وما ينالهم من الذل والخوف او يراد فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا ولاهل السنة ان يقولوا هذا عدول عن الظاهر مع ان الدلائل الدالة على وجوب انتهاء الكل الى مشية الله وتقديره تعضد ما قلناه قال العلماء ظاهر الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فعلى المسلم ان يبالغ في الاحتراز عنه وذهب الحسن البصري ان نقض العهد يوجب النفاق لا محالة تمسكا بهذه الاية وبقوله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صلى وصام وزعم انه مؤمن اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان وقال عطاء بن ابي رباح حدثني جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ذكر قوله ثلث من كن فيه فهو منافق في المنافقين خاصة الذين حدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه وائتمنوا على سره فخانوه ووعدوه ان يخرجوا معه الى الغزو فاخلفوه ونقل ان عمرو بن عبيد فسر الحديث فقال اذا حدث عن الله كذب عليه وعلى دينه ورسوله واذا وعد اخلف كما ذكره الله فيمن عاهد الله واذا ائتمن على دين الله خان في السر وكان قلبه على خلاف لسانه ونقل ان واصل بن عطاء ارسل الى الحسن رجلا فقال له ان اولاد يعقوب حدثوه في قولهم فاكله الذئب فكذبوا ووعدوه في قولهم وانا له لحافظون فاخلفوا وائتمنهم ابوهم على يوسف فخانوه فهل تحكم بكونهم منافقين فتوقف الحسن في مذهبه قال اهل التفسير قوله الى يوم يلقونه يدل على ان ذلك المعاهد يموت وكان كما اخبر فيكون اخبارا بالغيب ومعجزا قال الجبائي هذا اللقاء لا شك انه ليس بمعنى الرؤية لان الكفار لا يرونه بالاتفاق فدل على ان اللقاء في القران ليس بمعنى الرؤية وضعف بانه لا يلزم من عدم كون هذا اللقاء بمعنى الرؤية كون كل لقاء ورد في القران كذلك كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم ثم وبخهم على التجاهل وعدم العلم بعلم الله واحاطته بضمائرهم وتناجيهم فقال الم يعلموا الاية والسر ما ينطوي عليه الصدور والنجوى ما يكون بين اثنين واكثر مع الاخفاء عن غيرهم والتركيب للتخليص كما في الانجاء كان المتناجيين تخلصا عن غيرهما ومنه خلصوا نجيا ومعنى الاية كيف تجترؤن على النفاق الذي الاصل فيه الاستسرار والتناجي فيما بينهم مع انه تعالى يعلم ذلك من حالهم كما يعلم الظاهر ويعاقب عليه كما يعاقب على الظاهر لانه العالم بجميع المعلومات على اي وجه يفرض عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبهم ذات يوم وحثهم على ان يجمعوا الصدقات فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي ثمانية الاف جئتك بنصفها فاجعلها في سبيل الله وامسكت نصفها لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امراتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة وستين الف درهم وقيل صولحت احديهما على ثمانين الفا وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال اجرت الليلة الماضية نفسي من رجل لارسال الماء الى نخيله فاخذت صاعين من تمر امسكت احدهما لعيالي واقرضت الاخر ربي فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعه في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وسمعة واما ابو عقيل فانه جاء بصاعه ليذكر مع سائر الاكابر والله غني عن صاعه فانزل الله سبحانه الذين يلمزون المطوعين اي المتطوعين فادغمت والتطوع التنفل وهو الطاعة لله بما ليس بواجب والجهد بالضم والفتح شيء قليل يعيش به المقل قال الليث وقال الفراء الضم لغة اهل الحجاز والفتح لغة غيرهم وفرق ابن السكيت بينهما فقال الجهد بالضم الطاقة وبالفتح المشقة وقال الشعبي الاول في العمل والثاني في القوة سخر الله منهم خبر لا دعاء كقوله الله يستهزئ بهم وقد عرفت ان هذا من قبيل المشاكلة او المراد منه لازم السخرية وهو ايقاع الذل والهوان بهم وقال الاصم المراد انه تعالى تكلفهم انفاق المال مع انه لا يثيبهم عليها وانما توجه الذم على المنافقين في هذا اللمز لان الحكم بالرياء لمن يعطي الكثير كعبد الرحمن وعاصم حكم على بواطن الامور وذلك مما استاثر الله به ورسوله وايضا لمز الفقير على جهد المقل سفه لانه لما تقيد الا عليه فقد بذل كل ما له فعلم منه غالبا انه لو قدر على الاكثر من ذلك لم يكن منه منع وسعي الانسان في ان يضم نفسه الى اهل الخير والدين خير له من ان يضم نفسه الى اهل الكسل والبطالة ولو لم تكن فيه الا الثقة بالله والدخول في زمرة من يؤثرون على

انفسهم

انفسهم ولو كان بهم خصاصة لكفى بمنقبة وفضلا التأويل بعضهم اولياء بعض لان التعارف فى عالم الارواح يوجب التآلف فى عالم الاشباح يأمرون بالمعروف الحقيقى اى بطلبه والمطلوب هو الله لقوله فاحببت ان اعرف وينهون عن المنكر وهو ما يقطع العبد عن الله ويقيمون الصلوة الحقيقية ويؤتون الزكوة يعنى ما فضل عن كفافهم الضرورى ويطيعون الله ورسوله بخلاف المنافقين فانهم يطيعون النفس والهوى ومساكن طيبة على مراتب النفوس الطيبة فان الطيبات للطيبين يا ايها النبى يعنى القلب الذى له نبأ من مقام الانباء جاهد النفوس الكافرة بسيف الصدق والمخالفات وجاهد نفوس المريدين الذين يدعون الارادة فى الظاهر دون الباطن واغلظ عليهم فى المؤاخذات باحكام الشريعة والطريقة حتى يتمرن نفوسهم والا فمأواهم جهنم القطيعة ولقد قالوا كلمة الكفر وهى التى توجب الانكار والاعتراض عن الشيخ وهموا بما لم ينالوا اى ثبتوا لانفسهم مرتبة الشيوخ قبل اوانها وما نقموا الا ان الشيخ رباهم بما ان فضل الله عن حكمة الولاية فلم يحتملوا لضيق حوصلة الهمة ومرتبة الطريقة اعظم من مرتبة الشريعة فلهذا يكون عذابا اليما فى الدنيا والاخرة كما قال الجنيد لو اقبل صديق الى الله الف سنة ثم اعرض عنه لحظة فان ما فاته اكثر مما ناله ومنهم من عاهد الله باستعداده الفطرى لئن اتانا من فضله جعلنا متمكنين من اكتساب الكمال لنصدقن لنصرفن كل ما اعطانا فيما اعطى لاجله الى يوم يلقونه اى يلقون جزاء النفاق وان الله علام الغيوب يعلم ما توسوس به انفسهم وهو غيب من الخلق ويعلم ما يستكن فى قلوبهم وهو غيب من نفوسهم ولهذا قال الغيوب سخر الله منهم ذكره بلفظ الماضى ليعلم ان سخرية المنافقين نتيجة سخرية الله بهم

اِسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِيْنَ مَرَّةً فَلَنْ يَّغْفِرَ اللّٰهُ لَهُمْ ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ كَفَرُوْا فى الازل

آمرزش خواه برای ایشان یا آمرزش مخواه از برای ایشان اگر آمرزش خواهی از برای ایشان هفتاد مرتبه پس هرگز نیامرزد خدا ایشان را این بآن است که کافر شدند

بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفٰسِقِيْنَ فَرِحَ الْمُخَلَّفُوْنَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلٰفَ رَسُوْلِ اللّٰهِ وَكَرِهُوْا اَنْ يُّجَاهِدُوْا

بخدا و رسول او و خدا راه نمی‌نماید گروه تباه کاران را شاد شدند پس ماندگان بنشستن ایشان برخلاف رسول خدا و کاره داشتند آنکه جهاد کنند

بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ فِىْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَقَالُوْا لَا تَنْفِرُوْا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ اَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوْا يَفْقَهُوْنَ فَلْيَضْحَكُوْا قَلِيْلًا

بمالهای خویش و جانهای خویش در راه خدا و گفتند بیرون مروید در گرما بگو آتش دوزخ سخت‌تر است در گرمی اگر می‌فهمیدند پس باید که بخندند اندک

وَّلْيَبْكُوْا كَثِيْرًا جَزَآءً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْنَ فَاِنْ رَّجَعَكَ اللّٰهُ اِلٰى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَاْذَنُوْكَ لِلْخُرُوْجِ فَقُلْ لَّنْ تَخْرُجُوْا

و بسیار گریند باداش آنچه میکردند پس اگر باز گرداند ترا خدا بسوی گروهی از ایشان پس دستوری خواهند از تو برای بیرون شدن پس بگو هرگز بیرون نیایید

مَعِىَ اَبَدًا وَّلَنْ تُقَاتِلُوْا مَعِىَ عَدُوًّا اِنَّكُمْ رَضِيْتُمْ بِالْقُعُوْدِ اَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوْا مَعَ الْخٰلِفِيْنَ وَلَا تُصَلِّ عَلٰٓى اَحَدٍ مِّنْهُمْ

با من همیشه و کارزار نکنید با من با دشمنی هرآئینه شما راضی شدید بنشستن اول بار پس بنشینید با پس ماندگان و نماز مکن بر احدی از ایشان

مَّاتَ اَبَدًا وَّلَا تَقُمْ عَلٰى قَبْرِهٖ اِنَّهُمْ كَفَرُوْا بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهٖ وَمَاتُوْا وَهُمْ فٰسِقُوْنَ وَلَا تُعْجِبْكَ اَمْوَالُهُمْ وَاَوْلَادُهُمْ اِنَّمَا

که بمیرد هرگز و بازمایست بر سر گور او که ایشان کافر شدند بخدا و رسول او و مردند و ایشان تباه کاران بودند و بشگفت نیاورد ترا مالهای ایشان و فرزندان ایشان جز این نیست

يُرِيْدُ اللّٰهُ اَنْ يُّعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ اَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كٰفِرُوْنَ وَاِذَآ اُنْزِلَتْ سُوْرَةٌ اَنْ اٰمِنُوْا بِاللّٰهِ وَجَاهِدُوْا

میخواهد خدا که عذاب کند ایشان را بآن در دنیا و هلاک شود جانهای ایشان و ایشان کافر باشند و چون فرستاده شود سوره که ایمان آرید بخدا و جهاد کنید

مَعَ رَسُوْلِهِ اسْتَاْذَنَكَ اُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوْا ذَرْنَا نَكُنْ مَّعَ الْقٰعِدِيْنَ رَضُوْا بِاَنْ يَّكُوْنُوْا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ

باری رسول او دستوری خواهند از تو توانگران از ایشان و گفتند بگذار ما را تا باشیم با نشستگان راضی شدند بآنکه باشند با زنان خانه‌نشین و مهر نهاده شد

عَلٰى قُلُوْبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ لٰكِنِ الرَّسُوْلُ وَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا مَعَهٗ جٰهَدُوْا بِاَمْوَالِهِمْ وَاَنْفُسِهِمْ وَاُولٰٓئِكَ لَهُمُ الْخَيْرٰتُ

بر دلهای ایشان پس ایشان در نمی‌یابند لیکن رسول و آنانکه گرویدند با او جهاد کردند بمالهای خویش و جانهای خویش و آنگروه مر ایشان راست نیکوئیها

وَاُولٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ اَعَدَّ اللّٰهُ لَهُمْ جَنّٰتٍ تَجْرِىْ مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهٰرُ خٰلِدِيْنَ فِيْهَا ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ القراءة

و آنگروه ایشانند رستگاران مهیا ساخته است خدا برای ایشان بوستانها که میرود زیر آنها نهرها جاوید باشند در آن این است پیروزی بزرگ معى ابدا

بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وحفص والمفضل معى عدوا بالفتح حفص الوقوف او لا تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم ورسوله الفاسقين فى الحر الا ان المعنى لو كانوا يفقهون حرارة النار لما قالوا لا تنفروا فى الحر ولو وصل لاوهم ان جهنم لا يكون نارها اشد حرا اذا لم يفقهوا ذلك يفقهون كثيرا لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مصدرا محذوفا اى يجزون جزاء يكسبون معى عدوا الخالفين على قبره فاسقون واولادهم كافرون القاعدين لا يفقهون وانفسهم الخيرات لابتداء وعد الفلاح على العظيم بدليل تكرار اولئك مع اتفاق الجملتين المفلحون خالدين فيها العظيم التفسير عن ابن عباس ان عند نزول الآية الاولى فى المنافقين قالوا يا رسول الله استغفر لنا فاشتغل بالاستغفار لهم فنزل استغفر لهم الآية ومن المفسرين من قال انهم طلبوا من الرسول ان يستغفر لهم وانا سفهاء عنه والنهى عن الشىء لا يدل على ان المنهى اقدم على ذلك الفعل ثم ان الدليل



قد يدل على انه ما اشتغل بالاستغفار لان المنافق كافر وقد ظهر في شرعه ان الاستغفار للمنافق يجري مجرى اغرائه على مزيد التعلق ولانه يلزم ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم غير مجاب الدعوة وان اكثر في الدعاء ومن الفقهاء من قال التخصيص بالعدد المعين يدل على ان الحال فيما وراء ذلك العدد بخلافه لما روي انه لما نزلت الآية قال عليه السلام لازيدن على السبعين فنزل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم فكيف عنه فلولا انه فهم بدليل الخطاب ان الامر فيما وراء السبعين بالخلاف لم يقل لازيدن على ذلك واجيب بانه اراد اظهار الرحمة والرأفة بامته ودعائهم الى ترحم بعضهم لبعض لا انه فهم منه ذلك كيف وقد قال تعالى فلن يغفر الله لهم واردفه بقوله ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله فليس لخصوص هذا العدد تحديد بل المنع وانما هو كقول القائل لمن يسأله حاجة لو سألتني سبعين مرة لم اقضها ولهذا بين العلة التي لاجلها لا ينفعهم استغفار الرسول وهي كفرهم وفسقهم وهذا المعنى قائم في الزيادة على السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجها هو ان السبعة عدد شريف لانه عدد السموات والارضين والبحار والاقاليم ونجوم السيارة والاعضاء وايام الاسبوع فضرب السبعة في عشرة لان الحسنة بعشر امثالها وقيل خص بالذكر لانه صلى الله عليه وسلم كبر على حمزة سبعين تكبيرة وكانه قال ان تستغفر لهم سبعين مرة بازاء تكبيراتك على حمزة هذا وقد مر في تفسير قوله قل انفقوا طوعا او كرها ان هذا امر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لا وانتصاب سبعين على المصدر كقولك ضربته عشرين ضربة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح افعالهم فقال فرح المخلفون قيل انهم احتالوا ان يتخلفوا وكان الاولى ان يقال فرح المتخلفون واجيب بانهم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة تبوك واراد بتخلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان او المجاهدون لما لم يوافقوهم في القعود فكانهم خلفوهم او اطلق عليهم المخلفون باعتبار انهم سيصيرون ممنوعين من الخروج في الآية الآتية فان رجعك الله الى قوله ولن تقاتلوا معي عدوا ومعنى بمقعدهم بقعودهم قال مقاتل او بموضع قعودهم وهو المدينة قال ابن عباس ومعنى خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ساروا واقاموا قاله قطرب والزجاج فانتصابه على انه مفعول له اي بعد والاجل خلافه او على الحال مثل فارسلها العراك اي مخالفين له وقال الاخفش ويونس الخلاف بمعنى الخلف اي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان جهة الامام التي يقصدها الانسان تخالفها جهة الخلف وكرهوا ان يجاهدوا وكيف لا يكرهونه وليس فيهم باعث الايمان وداعي الاخلاص ومعهم صارف الكفر والنفاق وفيه تعريض بالمؤمنين الباذلين اموالهم وارواحهم في الله المؤثرين ذلك على الدعة والخفض واعلم ان الفرح بالاقامة يدل على كراهة الذهاب الا انه صرح بذلك للتوكيد ولعل المراد انه مال طبعهم الى الاقامة لالفهم بالبلد واستيناسهم بالاهل والولد وكرهوا الخروج الى الغزو لانه تعريض للنفس والمال للقتل والاهلاك قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون ان بعد هذه الدار دارا اخرى وبعد هذه الحياة حياة اخرى وهذه المشقة منقضية سهلة وتلك باقية صعبة ولبعضهم وكانه صاحب الكشاف مسرة احقاب تلقيت بعدها مساءة يوم انها شبه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها مساءة احقاب وفي هذا استجهال عظيم لهم ثم قال فليضحكوا وهو خبر الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم لا يكون غيره ومعناه فسيضحكون قليلا اي ضحكا قليلا او زمانا قليلا وسيبكون كثيرا يروى ان اهل النفاق يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقى لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ثم عرف نبيه وجه الصلاح في سائر الغزوات فقال فان رجعك الله الى طائفة منهم اي ان ردك الى المدينة والرجع متعد مثل الرد والرجوع لازم وانما قال طائفة لان منهم من تاب عن النفاق وندم او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المخلفين من المنافقين فاستأذنوك للخروج الى غزوة اخرى بعد غزوة تبوك فقل لن تخرجوا معي ابدا عاقبهم باسقاطهم عن ديوان الغزاة جزاء على تخلفهم لما فيه من الذم والطرد وصلاحا للامر لجهاد لما في استصحابهم من المفاسد المذكورة في قوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ويعني باول مرة غزوة تبوك وانما لم يقل اول المرات معرفا مجموعا لان المعنى ان فصلت المرات مرة مرة كانت هذه اولها نظيره هو افضل رجل يعني ان عد الرجال رجلا رجلا كان هو افضلهم وانما لم يقل اولى مرة لان اكثر اللغتين هذا اكثر النساء ولا يكاد يقال هي كبرى امرأة فاقعدوا مع الخالفين كقوله وقيل اقعدوا مع القاعدين والخالف من يخلف الرجل في قومه وعن الاصمعي انه الفاسد من خلف اللبن والنبيذ اذا فسد وعن الفراء معناه المخالف قال قتادة ذكر لنا ان المخالفين الذين امروا بالقعود كانوا اثني عشر رجلا عن ابن عباس قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لما توفي عبد الله بن ابي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلوة عليه فقام اليه فلما وقف عليه يريد الصلوة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى عدو الله عبد الله بن ابي القائل يوم كذا وكذا كذا اعدد ايامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى اذا اكثرت عليه قال اخر عني يا عمر اني خيرت فاخترت قد قيل لي استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت قال ثم صلى عليه ومشى معه فقام على قبره حتى فرغ منه فعجبت من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم قال فوالله ما كان الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل على احد منهم مات ابدا الآية فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق ولا قام على قبره حتى قبضه الله قال المفسرون وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال وما

يغفر

التوبة

يغنى عنه شيئا وصلوتى من الله وانا لا اشاء كنت لا رجوان يسلم به الف من قومه وكان كما قال وقيل لعل السبب فيه انه لما طلب من
الرسول قميصه الذى مس جلده ليدفن فيه غلب على ظن الرسول انه انتقل الى الايمان لان ذلك وقت يتوب فيه الكافر فرغب ان يصلى عليه
وذكر من اسباب ذلك ان العباس عم رسول الله صلعم اخذ اسيرا ببدر ولم يجدوا له قميصا وكان طويلا فكساه عبد الله قميصه ومنها
ان المشركين قالوا له يوم الحديبية انا لا ننقاد لمحمد ولكنا ننقاد لك فقال لا ان لى فى رسول الله صلعم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلعم صنيعه
ومنها انه كان لا يرد السائل لقوله تعالى واما السائل فلا تنهر ومنها ان ابنه عبد الله كان من الصالحين فالرسول اكرمه لمكان ابنه
ومنها اظهار الرأفة والرحمة كما مر قوله مات صفة لاحد وابدا ظرف لقوله لا تصل وانه يحتمل تابيد النفى ونفى التابيد والظاهر الاول
لان القرائن تدل على منعه من ان يصلى على احد منهم منعا كليا دائما قال الزجاج معنى قوله ولا تقم على قبره ان رسول الله صلعم كان اذا
دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع ههنا منه وقال الكلبى معناه لا تقم باصلاح مهمات قبره وانهم كفروا تعليل للنهى ورد عليه
ان الكفر حادث وحكم الله قديم والحادث لا يكون علة للقديم واجيب بان العلة ههنا بمعنى الامارة المعرفة للحكم قال فى الكشاف
وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضى والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة وانما وصفهم
بالفسق بعد وصفهم بالكفر لان الكافر قد يكون عدلا فى دينه والكذب والنفاق والخداع والجبن والخبث مستقبح فى جميع الاديان
اما قوله ولا تعجبك اموالهم واولادهم فقد سبق مثله فى هذه السورة بتفاوت الفاظ فوجب علينا ان نذكر سبب التفاوت
ثم فائدة التكرار فنقول والله تعالى اعلم بمراده انما ذكر النهى ههنا بالواو وهناك بالفاء لانه لا تعلق له ههنا بما قبله وهو موهم
على حالة الفسق خلاف ما هنالك وانما قال ههنا واولادهم بدون لا لان المراد هنالك الترقى من الادون الى الاعلى وان اعجاب
اولئك الاقوام باولادهم فوق اعجابهم باموالهم كقولك لا تعجبنى امر التائب ولا امر المتوب وههنا اراد المعية فقط اما الاكتفاء بما
سبق هناك واما لان هؤلاء اقوام اخرون لم يكن عندهم تفاوت بين الامرين وقيل انه هناك لما علق الثانى بالاول لتعلق
الجزاء بالشرط اكد معنى النهى بتكرار لا وانما قال ههنا ان يعذبهم لانه اخبار عن قوم ماتوا على الكفر فتعلق الارادة بما هم فيه وهو
العذاب واما فى الاية المتقدمة فالمفعول محذوف وقدره وقيل الفائدة فيه التنبيه على ان التعليل فى احكام الله محال وانه اينما ورد حرف
التعليل فمعناه ان وانما حذف الحيوة ههنا اكتفاء بما ذكر هنالك وقيل تنبيها على ان الحيوة الدنيا لا يستحق ان يسمى حيوة لخستها
واما فائدة التكرير فهى المبالغة فى التحذير من الاموال والاولاد لانها جاذبة للقلوب فتحتاج الى صارف قوى ويحتمل ان يكون
الاولى فى قوم والثانية فى اخرين وقيل الثانية فى اليهود والاولى فى المنافقين ثم عاد الى توبيخ المنافقين فقال واذا انزلت
سورة اى تمامها او بعضها لانه يقع القرآن والكتاب على بعضه وقيل هى براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا
ان هى المفسرة لان انزال السورة فى معنى القول وقال الواحدى تقديره بان امنوا وانما قدم الامر بالايمان لان الاشتغال بالجهاد لا يفيد
الا بعد الايمان واولوا الطول ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا قال ابن عباس من الحسن وقال الاصم الرؤساء والكبراء المنظور
اليهم وخصوا بالذكر لان الذم لهم الزم اذ لا عذر لهم فى القعود مع القاعدين مع اصحاب الاعذار من الضعفة والزمنى والخوالف النساء
اللواتى يتخلفن فى البيت وجوز بعضهم ان يكون الخوالف جمع خالف وكان يصعب على المنافقين تشبيههم بالخوالف ثم قال وطبع
على قلوبهم كقوله ختم الله على قلوبهم وقد مر البحث فيه وقال الحسن الطبع بلوغ القلب فى الكفر الى حد كانه مات عن الايمان وقالت
الاشاعرة هو حصول داعية الكفر المانعة من الايمان والطبع فى اللغة الختم وهو التاثير فى الطين ونحوه ومنه الطبع للسجية التى جبل
عليها الانسان فهم لا يفقهون اسرار حكمة الله فى الجهاد وفى الذهاب مع الرسول من السعادة وما فى التخلف من الشقاء وفى قوله لكن
الرسول نكتة هى انه ان تخلف هؤلاء فقد نهض الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا
بها قوما ليسوا بها بكافرين ثم ذكر منافع الجهاد على الاجمال فقال واولئك لهم الخيرات وهى شاملة لمنافع الدارين وقيل هى الحور
لقوله فيهن خيرات حسان وقوله واولئك هم المفلحون المراد منه الخلاص من المكان ثم فصل ما اجمل فقال اعد الله الاية وقيل
الخيرات الفلاح فى الدنيا وهذه فى الاخرة والفوز العظيم عبارة عن تلك الحالة مرتبة رفيعة ودرجة عالية التاويل انما يؤثر استغفار الرسول
فى حقهم لقصور فى القابل لا لتقصير فى الفاعل والاثر يتوقف على الامرين جميعا بما كانوا يكسبون من رين القلوب وكدورة الارواح
بظلمة الصفات الحيوانية وهم كافرون مستورو القلوب بحجاب حب الاموال والاولاد لهم الخيرات لما سعوا سعى العبودية نالوا الخيرات الربوبية
هم المفلحون المتخلصون عن حجب صفات النفس ذلك **وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا**
الفوز العظيم لانه لا حجاب اعظم من حجاب النفس
و آمدند تقصیر کنندگان از اهل بادیه تا دستوری دهند ایشان را و نشستند آنانکه دروغ گفتند
اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ
خدا و رسول او را زود برسد بآنانکه کافر شدند از ایشان عذاب دردناک نیست بر ضعیفان و نه بر بیماران و نه بر آنانکه

لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلّٰهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللّٰهُ

نیابند ایشان آنچه نفقه کنند تنگی چون نیک خواهند خدا و رسول او را نیست بر نیکوکاران از راهی و خدا

غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ

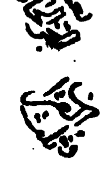
آمرزگار مهربانست و نه بر آنانکه چون آیند بتو تا برنشانی ایشانرا گوئی نمییابم آنچه برنشانم شما را

عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ۝ إِنَّمَا السَّبِيلُ

بر آن برگردند و چشمهای ایشان مملو بود از اشک اندوه آنکه نیابند آنچه نفقه کنند هر آینه که براه

عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ

بر آنها بود که دستوری بود میخواهند از تو و ایشان توانگرانند خوشنود شدند بآنکه باشند با زنان و کودکان و مهر نهاد



اللّٰهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا

خدا بر دلهای ایشان پس ایشان نمیدانند عذر خواهند از شما چون بازگردید بسوی ایشان بگو

تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّٰهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ

عذر مخواهید باور نداریم شما را بدرستیکه خبر داد ما را خدا از اخبار شما و زود باشد که ببیند خدا عمل شما

وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

و رسول او پس بازگردانند بسوی دانای نهان و آشکار پس آگاه کند شما را بآنچه کرده باشید

سَيَحْلِفُونَ بِاللّٰهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ

زود سوگند خورند بخدای شما چون برسید بسوی ایشان تا برگردید از ایشان پس برگردید از ایشان بدرستیکه ایشان

رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ

پلیدند و جایگاه ایشان دوزخ است پاداش آنچه ایشان می اندوختند سوگند خورند شما را تا راضی شوید از ایشان

فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّٰهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا

پس اگر راضی شوید از ایشان پس بدرستیکه خدا راضی نشود از گروه تباه کاران اهل بادیه سخت ترند بکفر

وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝

و نفاق و سزاوارتر که ندانند حدهای آنچه فرستاد خدا بر رسول خود و خدا دانای محکم کارست

وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ

و از اهل بادیه هست کسیکه فرا میگیرد آنچه انفاق میکند تاوان و چشم میدارد بشما حادثها بر ایشانست حادثه بد

السَّوْءِ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ

و خدا شنوای داناست و از اهل بادیه هست کسیکه ایمان آورده است بخدا و روز جزا و فرا میگیرد آنچه نفقه میکند

قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللّٰهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّٰهُ فِي رَحْمَتِهِ

نزدیکی نزد خدای را و دروردهای رسول بدان که آن نزدیکیست ایشانرا زود در آورد ایشانرا خدا در رحمت خود

إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ القراءة المعذرون من الاعذار قتيبة ويعقوب الباقون بالتشديد

بدرستیکه خدا آمرزگار مهربانست دائرة السوء بضم السين وكذلك في الفتح ابو عمرو وابن كثير الاخرون

بفتحها قربة بضم الراء نافع عن قالون الاخرون باسكانها وكلاهما بمعنى الوقوف ورسوله ط اليم ه

لله ورسوله ط من سبيل ط رحيم ه لا للعطف ما ينفقون ه ط اغنياء ج لاحتمال ان يكون رضوا مستانفا

او وصفا مع الخوالف لا لان الواو اما للعطف او الحال لا يعلمون ه الجزء الحادي عشر وثلث القران اليكم

من اخباركم ط يعملون ه لتعرضوا عنهم ط عنهم ط رجس ز لاختلاف الجملتين مع شدة اتصال المعنى

في اتمام الوعيد جهنم ج لان جزاء يصلح ان يكون مفعولا له او مفعولا مطلقا المحذوف اي يجزون جزاء

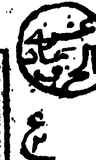
يكسبون ه لترضوا عنهم ج ط لابتداء الشرط مع فاء التعقيب الفاسقين ه على رسوله ط حكيم ه الدوائر

دائرة السوء ط عليهم ط الرسول ط لهم ط في رحمته ط رحيم ه التفسير لما شرح احوال المنافقين في المدينة
شرع في احوال المنافقين من اهل البدو فقال وجاء المعذرون من قرء بالتخفيف فهو من اعذر اذا اجتهد
في العذر وبالغ فيه ومنه قولهم من انذر فقد اعذر فكانه تعالى فصل بين اصحاب العذر وبين الكاذبين
فالمعذرون هم الذين اتوا بالعذر وهم اسد وغطفان قالوا ان لنا اتباعا وعيالا وان بنا جهدا فائذن
لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا
فقال صلى الله عليه وآله سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار ومن قرأ بالتشديد ففيه وجهان الاول
ان يكون من التعذير وهو التقصير في الامر والتواني فيه وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له
الثاني وقد ذكره الفراء والزجاج وابن الانباري انه من الاعتذار والاصل فيه المعتذرون ادغمت
التاء في الذال بعد نقل حركتها الى العين والاعتذار قد يكون بالكذب كقوله تعالى يعتذرون اليكم
اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا وقد يكون صحيحا كقول القائل ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر اي
جاء بعذر صحيح فاذا اخذنا بقراءة التخفيف كان المعذرون صادقين واذا اخذنا بقراءة التشديد و
فسرناها بالمعتذرين احتمل الامران ومن المفسرين من رجح جانب صدقهم لانه تعالى ميزهم من الكاذبين
بقوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله ومنهم من مال الى انهم كاذبون روى الواحدي باسناده
عن ابي عمرو انه قال ان اقواما تكلفوا عذرا بباطل وهم الذين عناهم الله بقوله وجاء المعذرون وتخلف
اخرون لا بعذر ولا بشبهة عذر جراة على الله وهم الذين ارادهم الله بقوله وقعد الذين كذبوا الله
ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الايمان سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي
العقبى بالنار وانما قال منهم لعلمه بان بعضهم سيؤمن ويتخلص من هذا العقاب ثم ذكر ان تكليف
الجهاد ساقط عن اصحاب الاعذار الحقيقية فقال ليس على الضعفاء وهم الذين في ابدانهم ضعف في اصل
الخلقة او لهرم ولا على المرضى ويدخل فيه اصحاب العمى والعرج والزمانة وكل من كان موصوفا بمرض
يمنعه من التمكن من المحاربة ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون في الغزو وعلى انفسهم حرج قيل هم
مزينة وجهينة ومن عدده وفيه دليل على انه لا يحرم عليه الخروج اذا امكنه الاعانة بمقدار القدرة كحفظ
متاع المجاهدين وتكثير سوادهم وانما يكون ذلك منه طاعة مقبولة اذا لم يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم ثم
انه شرط في جواز القعود النصح لله ورسوله بان يحترزوا بعدهم عن القاء الارجاف واثارة الفتن ويقدموا
على اصلاح مهمات بيوتهم وبالجملة على كل ما له مدخل في طاعة الله ورسوله وموافقة السر للعلن
كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ثم قال ما على المحسنين اي المعذرين الناصحين من سبيل العقاب
والمؤاخذة قال بعض اهل الظاهر كداود الاصفهاني وغيره ان المحسن هو الآتي بالاحسان ورأس
الاحسان وسنامه هو قول لا اله الا الله فهذا يدل على ان المكلف اذا تكلم بهذه الكلمة برئت ذمته
نفسه وماله الا بدليل منفصل كما ان السلطان لو قال لاهل مملكته تكليفي عليكم كذا وكذا وبعد
ذلك لا سبيل لاحد على احد كان ذلك دليلا على انه لا تكليف عليهم فيما وراء ذلك لان باب
النفي لا نهاية له فلا ينضبط الا بهذا الطريق وعلى هذا لو ورد في القرآن الف تكليف واقل واكثر كان ذلك
تنصيصا على ان التكاليف محصورة فيها وفيما وراءها ليس لله على الخلق تكليف وامر ونهي وبهذا الطريق
يصير الشريعة مضبوطة ويكون القرآن وافيا ببيان التكاليف والاحكام ولا حاجة الى التمسك بالقياس
لان هذا النص دل على ان الاصل براءة الذمة فان كان القياس مفيدا للبراءة ايضا فمثبت وان كان

يفيد شغل الذمة صار مخصصا لعموم النص وانه لا يجوز لان النص اقوى من القياس ولما ذكر
ذكر الضعفاء والمرضى والفقراء بين متمما رابعا وهم الذين لا يجدون الراحلة وان قدروا
على الزاد فقال وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ اى على المركوب قلت قال في الكشاف
هو حال من الكاف في اتوك باضمار قد اى اذا ما اتوك قائلا لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا
وجوز ان يكون واسطة بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت ويحتمل ان يكون بدلا من اتوك قال
مجاهد هم ابناء مقرن ومعقل وسويد والنعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه اتوا
رسول الله صلى الله عليه وآله يستحملونه ووافق منه غضبا فقال مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ فتولوا
وهم مدبرون يبكون فدعاهم واعطاهم ذودا غر الذرى فقال ابو موسى الست حلفت يا رسول
الله صلى الله عليه وآله فقال اما اني ان شاء الله لا احلف بيمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت
عن يميني وقيل هم البكاؤن ستة نفر من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله
ابن كعب وعلبة بن زيد وسالم بن عمير وثعلبة بن عنمة وعبد الله بن مغفل اتوا رسول الله صلى الله
عليه وآله فقالوا يا نبي الله ان الله عز وجل قد ندبنا للخروج معك فاحملنا على الخفاف المرقوعة و
البغال المخصوفة نغز معك فقال لا اجد ما احملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقوله تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ
كقولك تفيض من الدمع دمعا وهو ابلغ من تفيض دمعها لان العين جعلت كانها فائضة
ومن للبيان والجار والمجرور في محل النصب على التمييز حَزَنًا الا يجدوا اى على ان لا يجدوا إِنَّمَا
السَّبِيلُ اى سبيل الخطاب والعتاب في امر الغزو والجهاد عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ في التخلف وَهُمْ
أَغْنِيَاءُ ثم قال على سبيل الاستيناف رَضُوا كانه قيل ما لهم استاذنوا وهم قادرون على الاستعداد
فقيل رضوا بالدناءة والانتظام في جملة الخوالف ومن جملة اسباب الاستيذان أن طبع الله
تعالى عَلَى قُلُوبِهِمْ قال اهل العلم لما قال في الاية الاولى وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ قال هناك
وطبع ليكون المجهول منفيا على المجهول بخلافه في هذه الاية ثم ان العلم فوق الفقه وكان انسب بالمقام
الذي جرى فيه ذكر الله اما قوله قل لا تعتذروا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ فانه علة المنع من الاعتذار لان غرض المعتذر
ان يصير عذره مقبولا فاذا علم بان القوم يكذبونه وجب عليه تركه وقوله قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ علة لانتفاء التصديق
وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ يعني رؤية وقوع اى سيقع انكم هل تبقون على الحالة التي تظاهرون بها ام لا وفي قوله ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ تخويف شديد وفيه انه مطلع على بواطنهم الخبيثة وضمائرهم المملوة من
النفاق والكذب وانما لم يقل في هذه الاية وَالْمُؤْمِنُونَ كما في الاية التي تجيء لان هذه في المنافقين
ولا يطلع على ما في باطنهم الا الله ثم رسوله باطلاع الله اياه ... دنبوته كما قال قد نبأنا الله من اخبار
كم والاية الاخرى في المؤمنين وعباداتهم ظاهرة للكل وختم اية المنافقين بقوله ثُمَّ تُرَدُّونَ
لانه وعيد فقطعه عن الاول بخلاف اية المؤمنين حيث وصلها بالواو لانه وعد والله اعلم ثم ذكر ان
منافقي الاعراب سيؤكدون اعتذارهم بالايمان الكاذبة مثل ما حكى تعالى عن منافقي المدينة فقال
سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ اى لاجلكم اذا انقلبتم اى رجعتم اليهم ولم يذكر المحلوف عليه والظاهر انهم حلفوا على انهم ما
قدروا على الخروج ولكن بين غرضهم من الحلف فقال لتعرضوا عنهم ارادوا الصفح والعفو فامر الله المؤمنين باعطاء
طلبتهم ولكن على سبيل المقت لا الصفح وكذا قال ابن عباس اراد ترك الكلام والسلام وقال مقاتل قال

الا اتيت الذي هو خير منها

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وكانوا ثمانين رجلا منهم جد بن قيس ومعتب بن قشير ثم بين علة الاجتناب
عنهم فقال انهم رجس فكانهم نجس العين فلا سبيل الى تطهيرهم بالعتاب والتوبيخ وفي امثالهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة
المعاتبة المعاودة وبشرة الاديم ظاهره الذي عليه الشعر اي انما يعاد الى الدباغ من الاديم ما سلمت بشرته بضرب لمن فيها مراجعة
ومستعتب اي اذا لم يكن المعاتبة نافعة فيهم فتركها هو الصواب ومأواهم جهنم منقلبهم النار عتابا وتوبيخا ثم بين انهم طلبوا اعراض
الصفح بقوله يحلفون لترضوا عنهم نهاهم عن الرضى بقوله فان ترضوا عنهم الآية ذلك ان ارادة المؤمن يجب ان تكون موافقة
لارادة الله واي فائدة في رضى المؤمنين اذا كان الله تعالى ساخطا عليهم ثم عدد مثالب الاعراب وارادتهم جمعا معيبين كانوا
يوالون منافقي المدينة قال اهل اللغة رجل عربي اذا كان نسبه الى العرب ثابتا وجمعه عرب كالمجوسي والمجوس واليهودي واليهود فالاعرابي
اذا قيل له يا عربي فرح واذا قيل للعربي يا اعرابي غضب وذلك ان من استوطن القرى العربية فهو عربي ومن نزل البادية فهو اعرابي
ولهذا لا يجوز ان يقال للمهاجرين والانصار اعراب وانما هم عرب قال عليه السلام لا تؤمن امرأة رجلا ولا فاسق مؤمنا ولا اعرابي مهاجرا قيل
انما سمي العرب عربا لان اولاد اسمعيل عليه السلام نشأوا بالعرب وهي من تهامة ونسبوا الى بلدهم وكل من يسكن جزيرة العرب وينطق بلسانهم
فهو منهم وقيل لان السنتهم معربة عما في ضمائرهم لما في لسانهم من الفصاحة والبلاغة يحكى عن بعض الحكماء انه قال حكمة الروم في
ادمغتهم وذلك لانهم يقدرون على التركيبات العجيبة وحكمة الهند في اوهامهم وحكمة يونان في افئدتهم وذلك لكثرة ما لهم
من المباحث العقلية وحكمة العرب في السنتهم وذلك لحلاوة الفاظهم وعذوبة عباراتهم وانما حكم على الاعراب بانهم اشد
كفرا ونفاقا لانهم يشبهون الوحوش سئل بعض الحكماء ما بال اهل البادية لا يحتاجون الى الطبيب فقال كما لا يحتاج حمر الوحش
الى البياطرة ولاستيلاء الهواء الحار عليهم الموجب لكثرة الطيش والخروج عن الاعتدال وان من اصبح وامسى مشرقا عليه انوار
النبوة ومشرفا باستماع مواعظه وادابه كيف يكون مساويا لمن نشأ كما شاء من غير سياسة سائس ولا تأديب مؤدب وان شئت فقس
الفواكه الجبلية بالفواكه البستانية ولهذا قال ان الجفاء والقسوة في الفدادين اي الاكارين لانهم يفدون اي يصيحون وقوله واجدر
اي اولى واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله اي مقادير تكاليفه واحكامه وما ينتهي اليه الادلة العقلية والسمعية والله عليم
بما في قلوب اهل البدو والحضر واصحاب الوبر والمدر حكيم في كل ما قدر من الشرائع وما يتبعها من الجزاء ثم نوع جنس الاعراب فقال
ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما هو مفعول ثان ليتخذ لانه بمعنى الجعل والاعتقاد والزعم اي يعتقد ان الذي ينفقه في
سبيل الله غرامة وخسران وقد عرفت ان اصل الغرم اللزوم كأنه اعتقد انه لزمه لامر من خارج كتقية او رياء الناس لما يبتغ من
النفقة والمغرم اما مصدر او موضع ويتربص بكم الدوائر نوب الزمان وتصاريفه ودوله وكأنها لا تستعمل الا في المكروه تشبيها
بالدائرة التي تحيط بما في ضمنها بحيث لا يوجد منها مخلص ثم خيب الله ظنونهم بالاسلام وذويه بان دعا عليهم بقوله عليهم دائرة
السوء وانها جملة معترضة كقوله غلت ايديهم والسوء بالفتح مصدر اضيف اليه الدائرة للملابسة كقوله رجل صدق قال في
الكشاف وهو ذم للدائرة لان من دارت عليه ذام لها وبالضم اسم بمعنى البلاء والعذاب والمراد انهم لا يرون في محمد ودينه الا
ما يسوءهم والله سميع لاقوالهم عليم بنياتهم قيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ثم ختم الكلام بذكر الصالحين منهم فقال ومن
الآية والمعنى انهم يعتقدون ما ينفقونه سببا لحصول القربات عند الله وسببا لحصول الصلوات
الرسول عليه السلام لانه كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله اللهم صل على آل ابي اوفى ثم انه تعالى اشهد لهم ولامثالهم
بصحة ما اعتقدوه فقال على طريق الاستيناف مؤكدا بحرفي التنبيه والتحقيق الا انها قربة لهم ثم فسر القربة بقوله سيدخلهم
والسين لتحقيق الوعد قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه اخذت امه بجادا وهو كساء مخطط فشقته بنصفين فردته
باحدهما وازرته بالثاني وبعثته الى رسول الله عليه السلام فكان فائدة والله اعلم وفي التأويل الناس ثلثة المقصرون المعذرون المعترفون
بتقصيرهم والقاعدون الكاذبون والناصحون المخلصون في الطلب لكن فيهم الضعفاء والمرضى والفقراء فلا حرج عليهم في
القعود عن طلب الكمال بالظواهر مع اشتغال البواطن في الطلب بقدر الاستعداد ولا على الذين اذا ما اتوك بطريق المتابعة
لتحملهم على جناح الهمة النبوية وتوصلهم الى مقامات لم تكونوا بالغيها بجناحي البشرية والروحانية قلت لا اجد ما احملكم
عليه تعززا ودلالا واستهزاء لزيادة اشتياقهم كما قيل لموسى لن تراني زيادة لشوقه وهم اغنياء لهم الاستعداد الكامل فلم
يستعملوها في طلب الكمال كسلا وميلا الى اللذات العاجلة الاعراب اشد كفرا ان في عالم الانسانية وهو نفسه وحضرته
قلبه الكفر والنفاق للنفس مقتضى الذات كما ان الايمان للقلب لذاته بالفطرة وقد يصير القلب كافرا بسراية النفس ومؤمنة
بسراية القلب لكن النفس يكون اشد كفرا من القلب الكافر كما ان القلب يكون اشد ايمانا من النفس المؤمنة حدود ما انزل الله على
رسوله يعني الواردات النازلة على الروح فان القلب حضرة الروح كما ان المدينة حضرة الرسول عليه السلام ومن النفوس من يعتقد ان ما



ع

يصرف من او فتترقب طلب الكمال ضايع وخسارة ينتظر بالقلب اشتغالا وفرة عليهم دائرة السوء باستيلاء القلب عليها و

قهرها بما فيها لف هواها والله سميع يجيب هذا الدعاء عليهم بمن ينبغي ان يسمع في حقه وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ

وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

و به نهان   و آنانکه پیروی کردند ایشان را به نیکوترین   راضی شد خدا از ایشان و راضی شدند از او   و آماده ساخت از برای ایشان بهشتها و بوستانها که روان است از زیر آنها

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا

نهرها   جاوید باشند در آن همیشه   اینست فیروزی بزرگ   و از آنکه بر اطراف شما اند از اهل بادیه   منافقانند   و از اهل شهر   سخت گشته اند

عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا

بر نفاق   نمی دانی ایشان را   ما میدانیم ایشان را   زود عذاب کنیم ایشان را دو مرتبه   پس باز گردانیده شوند بسوی عذاب بزرگ   و دیگران معترف شده اند

بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ خُذْ مِنْ

بگناهان خویش   آمیختند   عمل نیک و دیگر بد   شاید خدا آنکه رحمت کند بر ایشان   بدرستیکه خدا آمرزنده مهربان است   بگیر از

أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

اموال ایشان   صدقه پاک گرداند ایشان را و تزکیه کنی ایشان را بآن   و درود بر ایشان   بدرستیکه درود تو آرام است مر ایشان را و خدا شنوا و دانا است

أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقُلِ اعْمَلُوا

آیا ندانستند که خدا   او است   توبه پذیرنده از بندگان خود   و فرا گیرد صدقات را   و آنکه خدا او است توبه پذیرنده مهربان   و بگو کار کنید

فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

پس زود ببیند خدا عمل شما را و رسول او نیز و گروندگان   و زود باز گردانیده شوید بسوی دانای نهان و آشکارا   پس خبر دهد شما را بآنچه بودید میکردید

وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا

و دیگران تاخیر کرده شدگان اند مر فرمان خدا را   یا عذاب کند ایشان را و یا رحمت کند بر ایشان   و خدا دانا است محکم کار است   و آنانکه فرا گرفتند مسجد را از جهت گزند رسانیدن

وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

و کافر شدن و جدائی افکندن میان گروندگان   و ساختن مر آنرا که حرب کرد با خدا و رسول او از پیش   و سوگند خورند که نخواستیم مگر نیکوئی   و خدا حاضر است

إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ

بدرستیکه ایشان هر آینه دروغ گویانند   باز مایست در آن هرگز   هر آینه مسجدی که بنا نهاده شده بر پرهیزکاری از اول روز   سزاوارتر است که بایستی در آن   در آن مردانند که دوست میدارند

يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ

که پاکی جویند   و خدا دوست میدارد پاکیزه کاران را   آیا آنکه بنا نهاد بنیاد آنرا   بر پرهیزگاری از خدا   و خوشنودی   بهتر است یا آنکه بنا نهاد بنیاد آنرا

عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً

بر کنار رودی   پس بیفتد بآن در آتش دوزخ   و خدا راه ننماید گروه ستمکاران را   همیشه بنا نهادن ایشان که بنا کردند شبهه

فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ؕ القراءة من تحتها بزيادة من ابن كثير الباقون بحذفها ويالنصب

در دلهای ایشان مگر پاره پاره شود دلهای ایشان و خدا دانا است محکم کار است

على الظرف والانصار بالرفع يعقوب الاخرون بالجر ان صلوتك على

التوحيد حمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الجمع بكسر التاء علامة للنصب مرجون بواو ساكنة

بعد الجيم ابو جعفر ونافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم سوى ابي بكر وحماد الباقون بالهمزة المضمومة بعد الجيم الذين اتخذوا بغير واو

ابو جعفر ونافع وابن عامر اسس بنيانه مجهولا في الحرفين ابن عامر ونافع جرف بسكون الراء ابن عامر وحمزة وخلف ويحيى

وحماد الباقون بالضم هار بالامالة ابو عمرو وحمزة وفي رواية ابن سعدان وابي عمرو وعلى غير ليث وابن حمدون وحمدويه

والنجاري عن ورش وابن ذكوان غير ابن مجاهد والنقاش ويحيى وحماد الى ان قراها يعقوب الباقون الا ان تقطع فعلا

ماضيا ومضارعا بحذف التاء من التفعل ابن عامر ويزيد وحمزة وحفص والمفضل وسهل ورويس تقطع مضارعا

مجهولا من التقطيع الوقوف باحسان لا لان قوله رضي الله عنهم خبر والسابقون ابدا العظيم منافقون لمن قدر ومن اهل المدينة

قوم مردوا ومن وصل وقف على اهل المدينة تقديره مردوا على النفاق ومن قال ولمن اهل المدينة قوم احتمل ان يجعل

لا تعلمهم صفة للقوم فلم يقف لا تعلمهم نحن نعلمهم عظيم لاحتمال التقدير ومنهم اخرون وان يكون معطوفا على

منافقون وعلى قوم المقدر سيئا عليهم رحيم وصل عليهم لهم عليم الرحيم والمؤمنون تعملون يتوب عليهم حكيم

من قبل الحسنى لكاذبون ابدا ان تقوم فيه ان يتطهروا المطهرين في نار جهنم الظالمين قلوبهم حكيم للتغيير

لما ذكر الاعراب المخلصين بين ان فوق منازلهم منازل اعلى واجل وهي منازل السابقين الاولين والتابعين لهم باحسان قال ابن
عباس السابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وشهدوا بدرا وعن الشعبي هم الذين بايعوا بيعة
الرضوان بالحديبية ومن الانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين في
الذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن والظاهر ان الآية عامة في كل من سبق في الهجرة والنصرة
قال اهل السنة لا شك ان ابا بكر اسبق في الهجرة او هو من السابقين فيها وقد اخبر الله تعالى عنهم بانه رضي عنهم ولا شك ان
الرضاء معلل بالسبق الى الهجرة فيدوم بدوام فدل ذلك على صحة امامته والا استحق اللعن والمقت قال اكثر العلماء كلمة
من في قوله من المهاجرين والانصار للتبعيض وانما استحق السابقون منهم هذا التعظيم لانهم آمنوا وفي عدد المسلمين في مكة
والمدينة قلة وفيهم ضعف فقوي الاسلام بسببهم وكثر عدد المسلمين واقتدى بهم غيرهم وقد قيل من سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها وقيل للتبيين ليتناول المدح جميع الصحابة وروي عن حميد بن زياد انه قال قلت يوما لمحمد بن كعب
القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان بينهم فقال لي ان الله تعالى قد غفر لهم واوجب لهم الجنة في كتابه محسنهم ومسيئهم
قلت له في اي موضع اوجب لهم الجنة قال سبحان الله الا تقرأ قوله تعالى والسابقون الاولون الى آخر الآية اوجب جميعهم الرضوان
وشرط على التابعين شرطا لم يشترط عليهم وهو الاتباع بالاحسان وذلك ان يقتدوا بهم في اعمالهم الحسنة لا السيئة او
باحسان في القول وهو ان لا يقولوا فيهم سوءا ويحفظوا لسانهم عن الاغتياب والطعن في حقهم قال العلماء معنى رضاء الله
عنهم قبول طاعاتهم ثم عاد الى شرح احوال المنافقين فقال وممن حولكم هو خبر ومن الاعراب بيان او حال ومنافقون
مبتداء ومن اهل المدينة عطف على الخبر او خبر لمبتداء آخر بناء على ان التقدير ومن اهل المدينة قوم مردوا والتركيب يدل على
الملاسة والبقاء على هيئة واحدة من ذلك صرح ممرد وغلام امرد وارض مرداء لا نبات فيها وتمرد اذا عتا فان من لم يقبل
قول غيره ولم يلتفت اليه بقي كما كان على هيئته الاصلية من غير تغير فمعنى مردوا على النفاق تمهروا وتمرنوا وبقوا عليه حذاقا
معودين الى حيث لا تعلم انت نفاقهم مع وفور حدسك وقوة ذكائك ثم قال سنعذبهم مرتين قال ابن عباس هما العذاب
في الدنيا بالفضيحة والعذاب بالقبر روى السدي عن ابي مالك انه صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان انك منافق
حتى اخرج ناسا وفضحهم وقال مجاهد هما القتل والسبي وعذاب القبر وقال قتادة بالزبانية وعذاب القبر وقال محمد بن اسحق
هو ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام والمسلمين ثم عذابهم في القبور وقال الحسن باخذ الزكوة من اموالهم وبعذاب القبر و
قيل احد العذابين ضرب الملائكة الوجوه والادبار والآخر عند البعث يوكل بهم عنق من نار ثم يردون الى عذاب عظيم هو
الدرك الاسفل من النار قال الكلبي وممن حولكم جهينة ومزينة واشجع واسلم وغفار ومن اهل المدينة عبد الله بن ابي و
جد بن قيس ومعتب بن قشير وابو عامر الراهب واضرابهم ثم قال وآخرون وهو معطوف على منافقون او مبتداء
اعترفوا صفته وخلطوا خبره وعسى الله جملة مستانفة وقيل خلطوا حال باضمار قد وعسى الله خبره وللمفسرين خلاف
في انهم قوم من المنافقين تابوا عن نفاقهم او قوم من المسلمين تخلفوا عن غزوة تبوك لا للكفر والنفاق ولكن للكسل ثم ندموا على
ما فعلوا عن ابن عباس في رواية الوالبي نزلت في قوم كانوا قد تخلفوا ثم ندموا وقالوا نكون في الكن والظلال مع النساء ورسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد روي انهم كانوا ثلثة ابو لبابة مروان بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن خزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم
حين بلغهم ما نزل في المتخلفين ايقنوا بالهلاك واوثقوا انفسهم على سواري المسجد وقالوا والله لا نطلق انفسنا حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وصلى ركعتين وكانت هذه عادته كلما قدم من سفر فرآهم
موثقين فسأل عنهم فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت الذي تطلقهم وترضى
عنهم فقال رسول الله وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم فنزلت هذه الآية فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا
رسول الله هذه اموالنا وانما تخلفنا عنك بسببها فتصدق وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فنزل خذ من اموالهم
صدقة الآية والاعتراف هو الاقرار بالشيء عن معرفة والمراد انهم اقروا بذنوبهم وهذا كالمقدمة للتوبة لان الاعتراف بالذنب
لا يكون توبة الا اذا اقترن به الندم على الماضي والعزم على تركه في الحال وفي الاستقبال خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا اي
خلطوا كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن وهذا ابلغ من قولك خلطت لانك جعلت في الاول كلا منهما مخلوطا
ومخلوطا به كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون الواو بمعنى الباء من قولك بعت الشاة شاة ودرهما
اي شاة بدرهم وذلك لان الواو للجمع والباء للالصاق فهما متقاربان ويجوز ان يقال الخلط ههنا بمعنى الجمع قال اهل السنة فيه
دليل على نفي القول بالمحابطة لانه لو لم يبق العملان لم يتصور اختلاطهما وفي قوله عسى الله ان يتوب عليهم دليل على توقع

الماء باللبن

التوبة التي اخبر بحصول مقدمتها وهي الاعتراف عنهم وفيه دليل على قبول توبتهم لان عسى من الكريم اطماع واجب وفائدته ان يكون
المكلف على الطمع والاشفاق فلا يتكل ولا يهمل وفيه ان التوبة بخلق الله وقالت المعتزلة معناه ان يتوب ان يقبل التوبة وديانه
عدول عن الظاهر مع ان الدليل العام وهو وجوب انتهاء الكل الى المشيئة وتكوينه يعضد ما قلناه ثم قال سبحانه خذ من
اموالهم صدقة عن الحسن كانوا يقولون ليس المراد من هذه الآية الصدقة الواجبة وانما هي صدقة كفارة الذنب الذي صدر
عنهم وبهذا يحصل النظم بينها وبين ما قبلها كما مر وقال اكثر الفقهاء المراد بها الزكوة ووجه النظم انهم لما اظهروا التوبة و
الندامة امروا باخراج الزكوة الواجبة تصحيحا لدعواهم ومما يدل على ذلك ان الامر ظاهر في الوجوب وايضا التطهير والتزكية يناسب
الواجب لا التطوع وفي قوله من اموالهم دلالة على ان القدر الماخوذ بعض تلك الاموال ويتعين ذلك البعض بما عرف من السنة
وفي اضافة المال اليهم دليل على ان المال مالهم ولا شركة للفقير فيه فتكون الزكوة متعلقة بذمته حتى لو تلف النصاب بعد
الوجوب بقي الحق في ذمة المالك وهو قول الشافعي وقوله تطهرهم وتزكيهم التاء فيهما للخطاب اي تطهرهم ايها الآخذ وتزكيهم
بواسطة تلك الصدقة وقيل التاء في تطهرهم للتانيث والضمير للصدقة وفيه نوع انقطاع بين المعطوفين قال العلماء المعطوفان
متغايران لا محالة فالتزكية مبالغة في التطهير او هي بمعنى الانماء كانه تعالى جعل النقصان سببا للانماء والزيادة والبركة او
المراد بالتزكية تعظيم شانهم والاثناء عليهم قال ابو حنيفة ظاهر الآية يدل على ان الزكوة طهرة للآثام فلا تجب الا حيث يمكن
حصول الآثام وذلك لا يعلم الا في حق البالغ العاقل دون الصبي والمجنون وقال الشافعي يجب الزكوة في مالهما لانه لا يلزم من
انتفاء سبب معين انتفاء الحكم مطلقا وصل عليهم قال ابن عباس معناه ادع لهم ومن هنا قال الشافعي السنة للامام اذا اخذ
الصدقة ان يدعو للمتصدق ويقول آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت وقال آخرون بظاهر اللفظ لما روي عن عبد
الله بن ابي اوفى قال كان ابي من اصحاب الشجرة وكان النبي ﷺ اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان فاتاه ابي بصدقته
فقال اللهم صل على آل ابي اوفى واكثر الائمة على انه لا يحسن الصلوة لغير النبي الا تبعا واطلق بعضهم كالغزالي و
امام الحرمين لفظ الكراهة وقالوا السلام ايضا في معنى الصلوة واما الشيعة فانهم يذكرون الصلوة والسلام في حق آل الرسول ايضا
كعلي واولاده عليهم السلام وهم على العموم من القرشيين بنو هاشم والمطلب دون بني امية وبني نوفل وغيرهم قالوا لانها كانت جائزة في
حق من يؤدي الزكوة فكيف يمتنع ذكره او لا يحسن في اهل بيت الرسول ولان الكل اجمعوا على جوازها بالتبعية فما الفرق واما
السلام فلا كلام عليه لانه جائز في حق جمهور المسلمين فكيف لا يجوز في آل الرسول ان صلوتك سكن لهم والسكن ما يسكن اليه المرء
وتطمئن به نفسه وذلك لان دعاءه مستجاب بالبتة فيستبشرون بها وكيف لا وفيض اشراق نفسه عليهم بتوجهه اليهم والترحم
لهم احتج مانعو الزكوة بها في زمان ابي بكر قالوا الوجوب مشروط بحصول السكن ولا سكن وورد عليهم بما تلونا الآيات روي
ان رسول الله ﷺ لما حكم بصحة توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا
لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الم يعلموا يعني غير التائبين وقيل معناه الم يعلم التائبون قبل ان يتاب عليهم وتقبل
صدقاتهم ان الله يقبل التوبة الصحيحة ويقبل الصدقات الصادرة عن خلوص النية وفائدة توسط هو ان يعلم ان الالهية
هي الموجبة لقبول التوبة لاستغنائه عن طاعة المطيعين ومعصية المذنبين فاذا انتقل العبد من حالة المعصية الى حالة الطاعة
وجب على كرمه قبول توبته وفيه ايضا ان قبول التوبة ليس الى الرسول وفي قوله عن عباده دون من اشارة الى البعد الذي يحصل
للعبد عن الله بسبب العصيان او الى تبعيده نفسه عن الله هضما وانكسارا وفي اضافة اخذ الصدقات الى الله بعد ان امر
الرسول بالاخذ تشريف عظيم لهذه الطاعة وانها من الله بمكان وانه يربيها كما يربي احدنا فلوه حتى ان اللقمة يكون عند
الله اعظم من احد وقد جاء هذا المعنى في الحديث ثم امر نبيه بان يقول للتائبين او لغير التائبين ترغيبا لهم في التوبة اعملوا وفيه نوع
تهديد وتخويف فسيرى الله عملكم وقد مر تفسير مثله عن قريب الحاصل انه كانه قيل لهم اجتهدوا في العمل فان له في الدنيا حكما وهو
ان يراه الله ورسوله والمؤمنون وفي الآخرة حكما وهو الجزاء وبوجه آخر كانه قيل ان كنت من المحققين فاعمل لله وان كنت من
الظاهريين فاعمل للفوز بثناء الخلق وهم الرسول والمؤمنون فانهم شهداء الله يوم القيمة والشهادة لا تصح الا بعد الرؤية
ولا شك ان رؤية الله تعم شاملة لافعال القلوب والجوارح جميعا اما رؤية الرسول والمؤمنين فلا يشمل افعال القلوب
الا باراءة الله واطلاعه فتأمله واعلم انه تعالى قسم المتخلفين الى ثلثة اقسام منهم المنافقون الذين مردوا على النفاق والثاني
التائبون المعترفون بذنوبهم والثالث الذين بقوا موقوفا امرهم وذلك قوله وآخرون واعرابه كاعراب قوله وآخرون
اعترفوا ومعنى مرجون من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه قوله ارجه واخاه كما مر وبه سميت المرجئة لانهم لا يجزمون بعفو
ان ذنب التائب ولكن يؤخرونها الى مشية الله ويقولون انهم مرجون لامر الله وقال الاوزاعي لانهم يؤخرون العمل

شهداء

او مؤخرون

عن الايمان وقال ابن عباس نزلت في كعب بن مالك ومرارة بن ربيع وهلال بن امية امر رسول الله صلعم اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا
امرهم الى الله واخلصوا نياتهم فقبلت توبتهم ونزل فيهم وعلى الثلثة الذين خلفوا كما سيجيء وقال الحسن هم قوم من المنافقين
حذرهم الله بهذه الاية ان لم يتوبوا وقوله اما يعذبهم التشكيك فيه راجع الى العباد اي ليكن امرهم على الخوف والرجاء وكان
يقول الناس هلكوا انه لم ينزل الله لهم عذرا ويقول اخرون عسى الله ان يغفر لهم قال الجبائي جعل امرهم بين التعذيب و
والتوبة فدل ذلك على انتفاء القسم الثالث وهو العفو من غير التوبة واجيب بانه لا يجوز ان يكون المنفصلة مانعة الجمع فقط
ولما ذكر اصناف المنافقين وبين طوائفهم المختلفة قال والذين اتخذوا كانه قال ومنهم الذين اتخذوا وفي الكشاف ان محله الرفع
على الابتداء وخبره محذوف اي وفي من وصفنا هؤلاء الاقوام قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وعامة اهل التفسير كانوا اثنى عشر
رجلا بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وروي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلعم ان ياتيهم فاتاهم فصلى
فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا كذلك واعلم انه سبحانه حكى ان الباعث لهم على هذا العمل كان امورا
اربعة الاول الضرار وهو المضارة والثاني الكفر بالنبي صلعم وبالاسلام وذلك انهم ارادوا تقوية اهل النفاق والثالث التفريق
بين المؤمنين لانهم ارادوا ان لا يحضروا مسجد قباء فيقل جماعتهم ولا سيما اذا صلى النبي في مسجدهم فيؤدي ذلك الى الاختلاف
الكلمة وبطلان الالفة والرابع قوله وارصادا لمن حارب الله ورسوله وقوله من قبل يتعلق بحارب اي من قبل بناء مسجد الضرار
وقال في الكشاف انه متعلق باتخذوا والمراد من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف قال الزجاج الارصاد الانتظار وقال ابن قتيبة الانتظار
مع العداوة قال الاكثرون انه الاعداد والمراد ممن حارب ابو عامر الراهب والد حنظلة الذي غسلته الملائكة وسماه رسول الله
الفاسق وكان قد تنصر في الجاهلية وترهب وطلب العلم فلما ظهر رسول الله صلعم عاداه لانه زالت رياسته وقال لرسول
الله صلعم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا
الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وات بجنود ومخرج محمدا و
اصحابه من المدينة فبنوا مسجدا وانتظروا ابا عامر ليصلي بهم في ذلك المسجد ثم اخبر الله تع عن نفاقهم بقوله وليحلفن ان اردنا
اي ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى وهي الصلوة وذكر الله والتوسعة على المسلمين قال المفسرون انهم لما بنوا مسجدهم وافق
ذلك غزوة تبوك فاتوا رسول الله وقالوا بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ونحن نحب ان
تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة فقال صلعم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من الغزوة سالوه
اتيان المسجد فنزلت لا تقم فيه ابدا الاية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا
الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر
بالشام بقنسرين وقال الحسن هم رسول الله ان يذهب الى ذلك المسجد فناداه جبرئيل لا تقم فيه ولا ريب ان النهي عن القيام
فيه يستلزم النهي عن الصلوة فيه ثم بين علة النهي فقال لمسجد اسس على التقوى من اول يوم اي من ايام وجوده احق ان
تقوم فيه والمعنى لو كان القيام في غيره جائزا لكان هذا اولى لاشتماله على الخيرات الكثيرة فكيف اذا كان غيره مشتملا
على المفاسد الكثيرة من الضرار وغيره قالت الشيعة في هذا المقام ان المسجد اذا كان مبنيا على التقوى من اول يوم كان اولى
بالصلوة فيه فالامام اولى بان يكون متقيا من اول عمره وما ذاك الا علي ع كرم الله وجهه لانه لم يكفر بالله طرفة عين اختلفوا
في هذا المسجد فقيل مسجد رسول الله صلعم بالمدينة عن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلعم عن المسجد الذي اسس على
التقوى فاخذ الحصباء وضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة وقيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلعم وصلى
فيه ايام مقامه بقباء وهو يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة قال في الكشاف وهذا اولى لان الموازنة
بين مسجدي قباء اوقع وقال القاضي كل مسجد بني على التقوى فانه يدخل فيه كما لو قال قائل لرجل صالح احق ان تجالسه لم
يكن ذلك مقصورا على واحد وايضا كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى وجه الله او بمال غير طيب فهو
لاحق بمسجد الضرار ثم ذكر لمسجد التقوى وصفا اخر وذلك قوله فيه رجال يحبون ان يتطهروا فقيل انه التطهر من
الذنوب بالتوبة والاستغفار والاخلاص كما ان اهل مسجد الضرار وصفوا باضداد هذه الامور من الضرار و
الكفر والتفريق ولان طهارة الباطن اشد تاثيرا من طهارة الظاهر في القرب من الله وقيل انه التطهر بالماء وذلك انهم كانوا
لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وروي انها لما نزلت مشى رسول الله ومعه المهاجرون حتى وقف على
باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم

بيان

فقال عم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال أتصبرون على البلاء قالوا نعم قالوا أتشكرون في الرخاء قالوا نعم فقال عم مؤمنون ورب
الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا
رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي عم رجال يحبون ان يتطهروا وقيل يحبون ان يتطهروا
بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا باجمعهم ومحبتهم للتطهر ايثاره والحرص عليه ومحبة الله الرضاء عنهم والاحسان اليهم كما يفعل المحب
بمحبوبه ثم بين انه لا نسبة بين الفريقين وان بينهما بونا بعيدا فقال مستفهما على سبيل التقرير افمن اسس بنيانه وهو مصدر
كالغفران واريد به المبني والمعنى ان من اسس بناء دينه على قاعدة قوية محكمة وهي تقوى الله ورضوانه خير ام من اسس دينه على ضد ذلك
والشفا هو الشفير اي الشفة والجرف هو ما اذا سال السيل وانحفر الوادي ويبقى على طرف المسيل طين واه مشرف على السقوط ساعة
فساعة فذلك الموضع الذي هو بصدد السقوط جرف والهار الهائر وهو ايضا المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط
قال الليث الهار مصدر هار الجرف يهور اذا انصدع عن خلفه وهو ثابت بعد في مكانه فاذا سقط فقد انهار قال في الكشاف انه صفة
قصرت عن فاعل كخلف عن خالف والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور على فعل ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا
ادل على حقيقة الباطل فلكونه على شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما يسقط في قعر
جهنم روى انه حفرت بقعة من مسجد الضرار فرأى الدخان يخرج منه ثم ذكر ان بنيانهم ذلك سبب لازدياد ريبهم فقال لا يزال
بنيانهم الذي بنوا ريبة في كونه سببا للريبة في قلوبهم وجوه منها ان هدمه صار سببا لازدياد شكهم في نبوته ومنها انهم
ظنوا انه لاجل الحسد فارتفع امانهم عنه وصاروا مرتابين في انه هل يتركهم على ما هم فيه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم فلا يزول
تلك الريبة الا ان تقطع قلوبهم اجزاء متفرقة اما بالموت واما بالسيف واما بالبلاء فحينئذ يضمحل اثرها عنها والمقصود ان
هذا الشك يبقى في قلوبهم ابدا ويموتون على النفاق قال في الكشاف يجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة
عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع
بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم التأويل والسابقون الاولون الذين سبقت لهم العناية الازلية والسابقون الاولون
عند الخروج من العدم وهم اهل الصف الاول من الجنود المجندة او السابقون في جواب الست بربكم الاولون في استماع هذا
الخطاب والسابقون في استحقاق المحبة عند اختصاصهم بتشريف يحبهم في الازل الاولون باداء حق المحبة في سر يحبونه
او السابقون عند تخمير طينة آدم في مماسة ذراتهم يد القدرة الاولون باستكمال تصرف القدرة في كمال الاربعين صباحا
والسابقون عند رجوعهم بقدم السلوك الى مقام الوصال الاولون بالوصول الى سرادقات الجلال وهذا السبق
مخصوص بالنبي عم وبامته كما قال نحن الآخرون السابقون من المهاجرين عن الاوطان البشرية والانصار لهم في طلب الحق والذين
اتبعوهم باحسان بذلوا جهدهم في متابعتهم بقدر الامكان رضي الله عنهم باعطاء الاستعدادات الكاملة ورضوا عنه بايفاء حقوقها
وممن حولكم من الاعراب صفات النفس منافقون ومن اهل مدينة القلب في صفات النفس بعضها منافق كالقوة الشهوية
للوقاع فانها تتبدل بالعفة عند استيلاء القلب على النفس بسياسة الشريعة وتربية الطريقة ظاهرا لا حقيقة لانها لا تتبدل بالكلية
بل تميل الى الشهوة اذا خليت وطباعها ولهذا قال عم ان اخوف ما اخاف على امتي النساء ومنها كافرة كالقوة الشهوية في
طلب الغذاء فانها باقية على طلبها ما دام البدن باقيا لاحتياجه الى بدل ما يتحلل ومنها مسلمة كالقوة الغضبية والشيطانية من
الكبر والحسد والكذب والخيانة فانها يحتمل ان تتبدل باضدادها من التواضع والحمد والصدق والامانة عند استنارة النفس بنور
الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم تتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة بانوار صفات وفقها القلب
عند استنارة النفس بنور الايمان والذكر فهذه الصفات وغيرها من صفات النفس ما لم يتبدل بالكلية ولم تكن مغلوبة
بانوار بعض النفاق كما قال عم اربع من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد
اخلف واذا عاهد غدر ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها لا تعلمهم نحن نعلمهم يعني ان هذه
الافعال لا يعرفها ارباب العلوم الظاهرة وانما يعرفها اصحاب الكشوف الباطنة سنعذبهم مرتين مرة باحكام الشريعة
ومرة بآداب الطريقة ثم يردون بجذبات اللطف الى عذاب عظيم هو انقطاع عن الكونين والفناء في الله او بجذبات القهر الى
اسفل حجب البعد والبقاء في عالم الطبيعة وآخرون يعني القلب وصفاته اعترفوا بذنوب ثبوت صفات النفس والتلوث بها
خلطوا عملا صالحا هو صدق التوجه وآخر سيئا هو مطاوعة النفس والهوى في بعض الاوقات عسى الله ان يوفقهم للرجوع الى
طريق الحق بالكلية والاعراض عما سواه خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها عن دنس حب الدنيا وتزكيهم بالاخلاق الفاضلة
فان حب الدنيا رأس كل خطيئة ويأخذ الصدقات فيه ان المعطي يجب ان لا ينظر الا الى الله ولا يمن على الفقير اصلا ويتردد



التوبة

يا فنام اعمالكم الى الله الذى يعلم ما غاب منكم من نتائج اعمالكم وما غبتم عنه من التقدير الازلى وما تشاهدون بالعيون والقلوب فى عالمى الملك والملكوت واخرون مرجون آخرت توبتهم ليترددوا بين الخوف والرجاء فيظهروا بجناحى القبض والبسط الى ان يصلوا الى سرادقات الهيبة والانس والله عليم بتربية عباده حكيم فيما يفعل من القبول والرد والذين اتخذوا فى عالم الطبيعة من مزبلة النفس مسجدا ضرارا الارباب الحقيقة وكفرا باحوالهم لمن حارب الله هم اهل الاباحة من مدعى الفقر لا تقم بارسول الروح ابدا لمسجد اسس على التقوى هو مسجد القلب جبل على العبودية والطاعة من اول يوم من الميثاق رجال يحبون ان يتطهروا هم الاوصاف الحميدة والملكات المزكات عن دنس الطبيعة ولوث الحدوث ثم ميز بين اهل السعادة والشقاوة فقال افمن اسس بنيانه اى جبل على الخير وما فيه رضى الله لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة لانهم جبلوا على الشقاء الا ان تقطع قلوبهم عبروا عن طباعهم وذلك محال ولا يزال ينزع من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم عبروا عن طباعهم وذلك محال ولا يزال يبرح من مزبلة النفس وسخ وظلمة الى قلوبهم الا ان تقطع قلوبهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة يقاتلون يسكنها الرياضة فتزول عنها تلك الملكات

بدرستيكه خدا خريد از گروندگان نفسهاى ايشانرا و مالهاى ايشانرا بانكه مر ايشانرا باشد بهشت كارزار ميكنند

فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التورية والانجيل والقران ومن اوفى بعهده من الله

در راه خدا پس ميكشند و كشته ميشوند وعده در گذر بر آن ثابت در تورية و انجيل و قرآن و كيست وفا كننده بعهد خويش از خدا

فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون

پس شاد شويد به بيع كردن خود آنكه بيع كرديد بآن و اينست آن رستگارى بزرگ توبه كنندگان عبادت كنندگان حمد كنندگان روزه داران

الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ما كان

ركوع كنندگان سجود كنندگان امر كنندگان به نيكوئى ونهى كنندگان از بدى وحفظ كنندگان مر حدود خدا را ومژده ده گروندگان را نبود

للنبى والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان

مر پيغمبر را و آنانكه گرويده اند آنكه آمرزش خواهند مر مشركان را و اگر چه باشند خداوند خويشى از پس آنچه روشن گرديد مر ايشانرا بدرستيكه ايشان ياران دوزخند ونبود

استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه ان ابرهيم لاواه حليم

آمرزش خواستن ابرهيم مر پدرش را از سر وعده كه وعده داده بود او را پس چون روشن شد او را بدرستيكه دشمن خدا بود بيزار شد از او بدرستيكه ابرهيم اوه كننده بردبار

وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شىء عليم ان الله له ملك السموات

ونبود خدا را كه گمراه كند قومى را پس آنكه راه نمود ايشانرا تا روشن كند ايشانرا آنچه پرهيز ميكنند بدرستيكه خدا بهر چيزى داناست بدرستيكه خدا مر او راست پادشاهى آسمانها

والارض يحيى ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار

و زمين زنده ميكند و ميميراند و نيست مر شما را از جز خدا هيچ دوستى و نه يارى بتحقيق كه خدا استعمال كرد بر پيغمبر و هجرت كنندگان و ياوران

الذين اتبعوه فى ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رءوف رحيم و

آنانكه پيروى كردند او را در هنگام دشوارى از پس آنكه نزديك بود كه ميل كنند دلهاى گروهى از ايشان پس رحمت كرد بر ايشان بدرستيكه او بايشان مهربانست و

على الثلثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت

بر سه كس مهربانست لانكه واپس گذاشته شدند تا چون تنگ شد بر ايشان زمين با همه فراخى بود تا چون تنگ شد بر ايشان زمين با همه فراخى بود و تنگ شد

عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا ايها الذين

بر ايشان نفسهاى ايشان و گمان كردند آنكه نيست پناهى از خدا مگر بسوى او پس رحمت كرد بر ايشان تا باز آيند بدرستيكه خدا اوست توبه پذير مهربان اى آنانكه

امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين القراءة فيقتلون مبنيا للمفعول ويقتلون مبنيا للفاعل حمزة وعلى وخلف

گرويدند بپرهيزيد از خدا و باشيد با راستگويان

الاخرون على العكس يقتلون بالتشديد ابو عون عن قنبل ابراهام وكذلك ما تعبد هشام يزيغ بياء الغيبة حمزة وحفص والمفضل الباقون بتاء التانيث خلفوا بالتخفيف وفتح اللام روى الجرمى عن عباس الباقون بالتشديد مجهولا الوقوف الجنة ط ويقتلون ط والقران ط بايعتم به ط العظيم ه لحدود الله ط المؤمنين ه الجحيم ه اياه ط منه ط حليم ه ما يتقون ط عليم ه والارض ط ويميت ط نصير ه تاب عليهم ط رحيم ه للعطف على النبى خلفوا ط الا اليه ط ليتوبوا ط الرحيم ه الصادقين ه التفسير لما شرح فضائح المنافقين وقبائحهم بسبب تخلفهم عن غزوة تبوك وذكر اقسامهم وفرع على كل قسم ما كان لائقا به عاد الى بيان فضيلة الجهاد والترغيب فيه قال محمد بن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهم سبعون نفسا قال عبد الله بن رواحة اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك

فقالوا لنا ما لنا الجنة قال لو ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ الآية قال مجاهد والحسن ومقاتل ثامنهم فأغلى ثمنهم
وقال جعفر الصادق عم والله ما لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها واعلم أن هذا الاشتراء وقع مجازا عن الجزاء لأن
المشتري إنما يشتري ما لا يملك والعبد وما يملكه لمولاه ولهذا قال الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها والمراد بأنفسهم نفوس
المجاهدين وبأموالهم التي ينفقونها في أسباب الجهاد وعلى أنفسهم وأهليهم وعيالهم على الوجه المشروع وههنا نكتة هي أن قيم الطفل
له أن يبيع مال الطفل من نفسه بشرط رعاية الغبطة ففي هذه الآية البائع والمشتري هو الله وفيه تنبيه على أن العبد كالطفل الذي
لا يهتدي إلى مصالح نفسه وأنه تعالى هو المراعي لمصالحه حتى يوصله إلى أنواع الخيرات وأصناف السعادات وبوجه آخر الإنسان
بالحقيقة عبارة عن الجوهر المجرد الذي هو من عالم الأرواح وهذا البدن وما يحتاج إليه من ضروريات المعاش كالآلات والوسائط
لتحصيل الكمالات الموصلة إلى الدرجات العاليات فالبائع هو جوهر الروح القدسي والمشتري هو الله والأحد العوضين الجسد
البالي والمال الفاني والعوض الآخر الجنة الباقية والسعادات الدائمة فالربح حاصل والخسران زائل ولهذا قال فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وفي قوله يقاتلون معنى الأمر كقوله وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وهو كالتفسير لتلك
المبايعة فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ أي إنهم يقتلون الكفار فلا يرجعون عنهم حتى يصيروا مقتولين ومن قرأ بتقديم المجهول فمعناه أن
طائفة منهم إذا صاروا مقتولين لم يصد ذلك رادعا للباقين عن المقاتلة بقدر الإمكان ومن العلماء من خصص هذا الوعد
بجهاد السيف لظاهر قوله يُقَاتِلُونَ والمحققون أن كل أنواع الجهاد يدخل فيه لأن الجهاد بالحجة والدعوة إلى دلائل التوحيد أكمل
آثارا من القتال ولهذا قال عم لعلي عم لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس ولأن الجهاد بالسيف لا
يحسن إلا بعد تقديم الجهاد بالحجة ولأن الإنسان جوهر شريف فمتى أمكن إزالة صفاته الرذيلة مع إبقاء ذاته الشريفة كان أولى
من إفناء ذاته ألا ترى أن جلد الميتة لما كان منتفعا به من بعض الوجوه حث الشرع على إبقائه فقال هلا أخذتم إهابها فدبغتموه فانتفعتم
به قوله وعدا عليه قال الزجاج إنه منصوب بمعنى قوله بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ كأنه قيل وعدا فهو مصدر مؤكد وكذا قوله حقا وهو نعت للمصدر
مؤكد وما الذي حصل في التوراة والإنجيل والقرآن قيل وعد المجاهدين على الإطلاق وقيل ذكر هذا البيع لأمة محمد وقيل
الأمر بالقتال وَمَنْ أَوْفَىٰ استفهام بمعنى الإنكار أي لا أحد أوفى بما وعد من الله لأنه الغني عن كل الحاجات القادر على كل
المقدورات وفي الآية أنواع من التوكيدات فأولها قوله إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَىٰ وإذا كان المشتري هو الإله الواجب لذاته المتصف
بجميع الكمالات المفيض لكل الخيرات فما ظنك به ومنها أنه عبر عن إيصال الثواب بالبيع والشرى حتى يكون حقا مؤكدا
ومنها أنه قال بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ بحرف التحقيق وبلام التمليك دون أن يقول بالجنة ومنها قوله وَعْدًا وأنه لا يخلف الميعاد ومنها
قوله عليه وكلمة على للوجوب ظاهرا ومنها قوله حقا وهو تأكيد للتحقيق ومنها قوله فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وأنه يجري
مجرى الإشهاد لجميع الكتب الإلهية وجميع الأنبياء والرسل على هذه المبايعة ومنها قوله وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ وفيه تنبيه
على أنه لا يكذب ولا يخلف البتة ومنها قوله فَاسْتَبْشِرُوا والبشارة الخبر الصدق الأول ومنها قوله وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ ثم وصف
الفوز بالعظيم واعلم أن هذه الخاتمة تقع على ثلثة أوجه أحدها ذلك الفوز بغير هو وأنه في ستة مواضع في براءة موضعين وفي
النساء والمائدة والصف والتغابن وما في النساء بزيادة واو والآخر وذلك هو الفوز بزيادة هو وذلك في ستة مواضع أخرى
براءة موضعين ويونس والمؤمن والدخان والحديد وما في براءة أحدهما بزيادة الواو وهو خاتمة هذه الآية وكلمة في
المؤمن وسبب هذا الاختلاف أن الجملة إذا جاءت بعد جملة من غير تراخ بنزول جاءت مربوطة إما بواو العطف وإما
بكناية تعود من الثانية إلى الأولى وإما بإشارة فيها إليها وربما جمع بين شيئين منها والثلثة للدلالة على المبالغة وقد
جمع في هذه الخاتمة بين الثلثة لغاية التوكيد والمبالغة لأنه ذكر الكتب الثلثة فكل رابطة في مقابلة كتاب واحد و
كذلك في المؤمن وقع الثلثة في مقابلة ثلثة أدعية فاغفر لهم وأدخلهم قال أبو القاسم البلخي لا بد من حصول الأعواض
على الآلام للأطفال والبهائم قياسا على ما أثبته الله تعالى للمكلفين من العوض على ألم القتل وهو الجنة ثم ذكر أن حكم سائر
المؤمنين كذلك فقال التَّائِبُونَ قال الزجاج إنه مبتدأ محذوف الخبر أي التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ من أهل الجنة أيضا وإن لم يجاهدوا
كقوله وَكُلًّا وَعَدَ اللّٰهُ الْحُسْنَىٰ وقيل التائبون رفع على البدل من الضمير في يقاتلون وقيل مبتدأ خبره العابدون وما بعده
أي التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال أما تفسير هذه الأوصاف فقد قال ابن عباس والحسن التائبون
هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا عن النفاق وما لا يخرجون إلى التعميم ليشمل العاصي أيضا إذ لا دليل على التخصيص والعابدون
قال ابن عباس الذين هم يرون عبادة الله واجبة عليهم وقال الحسن هم الذين عبدوا الله في السراء والضراء والعبادة لا
شك أنها عبادة عن نهاية التعظيم وغاية الخضوع وقال قتادة هم قوم أخذوا من أبدانهم في ليلهم ونهارهم وَالْحَامِدُونَ

وعد لهم الجنة

هم الذين يقومون بحق شكر نعم الله ويجعلون اظهارها ذلك عادة لهم ومن ثمّ كان الحمد ذكر من كان قبل ادم لقول الملائكة وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وذكر اهل الدنيا يقولون في كل يوم سبع عشرة مرة الحمد لله رب العالمين وذكر من يكون بعد خراب الدنيا لقوله وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالسَّائِحُونَ قال عامة المفسرين هم الصائمون لقوله سياحة امتي الصيام ثم قيل هذا صوم الفرض وقيل الذين يديمون الصيام قال الازهري انما قيل للصائم سائح لان الذي يسيح في الارض متعبدا لا زاد معه يكون ممسكا عن الاكل والشرب كالصائم وقيل اصل السياحة الاستمرار على الذهاب كالماء الذي يسيح والصائم مستمر على فعل الطاعة وترك المنهي من الاكل والشرب والوقاع وقال اهل المعنى الانسان اذا امتنع من الاكل والشرب انفتحت عليه ابواب المعاني والحكم وتجلت له انوار المعارف والحقائق فيحصل له سياحة في عالم العقول وقيل السائحون طلاب العلم ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم في مظانه وكانت السياحة في بني اسرائيل قال عكرمة عن وهب بن منبه لا ريب ان للسياحة اثرا عظيما في تكميل النفس لانه يلقى انواعا من الضر والبؤس فيصبر عليها وقد ينقطع زاده فيتوكل على الله فيصير ذلك ملكة له وقد ينتفع بالمشاهد والزيارات للاحياء وللاموات ويستفيد ممن هو فوقه ويفيد من هو دونه ويكتسب التجارب في معرفة الاحوال والاخلاق والسير والآثار الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ يعني المصلين قال بعض العلماء انما جعل الركوع والسجود كناية عن الصلوة لان سائر هيئات المصلي موافقة للعادة كالقيام والقعود وانما الفصل بين المصلي وغيره بالركوع والسجود وقيل اولى مراتب التواضع القيام واوسطها الركوع وغايتها السجود فخصا بالذكر تنبيها على ان المقصود من الصلوة نهاية الخضوع ثم قال الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ومعناهما مذكور فيما مر الا ان ههنا بحثا آخر وهو انه لم ادخل الواو في قوله وَالنَّاهُونَ وَالْحَافِظُونَ دون سائر الاوصاف واجيب بان النسق يجيء بالواو وبغيرها كقوله غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ او المراد ان الموصوفين بالصفات الستة هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ويكون فيه ترغيب في الجهاد لان راس المعروف الايمان بالله وراس المنكر الكفر به والجهاد يوجب حصول الايمان وازالة الكفر او النهي عن المنكر اصعب اقسام التكاليف لافضائه في الاغلب الى الخصومة وثوران الغضب فادخل عليه الواو تنبيها على هذه المخالفة والمباينة ولبعض النحويين جواب عام يشمل هذه الآية وما في الكهف في قوله وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ وما في الزمر في قوله في ذكر الجنة وفتحت ابوابها وما في التحريم في قوله ثيبات وابكارا وذلك انهم سموا هذه الواو واو الثمانية قائلين ان السبعة نهاية العدد ولهذا اكثر ذكرها في القرآن والاخبار فالثمانية تجري مجرى استيناف كلام فلهذا فصل بالواو واما قوله وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ فكالاجمال بعد التفصيل وذلك ان التكاليف اما ان يتعلق بمصالح الدين وهي باب العبادات من الصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد والاعتاق والنذور ونحوها او بمصالح الدنيا وهي المعاملات وانها اما لجلب المنافع او لدفع المضار والمنافع اما ان يكون مقصودة بالاصالة او بالتبعية فالمقصودة بالاصالة هي المنافع الحاصلة من طرق الحواس الخمس وهي المذوقات ويدخل فيها كتاب الاطعمة والاشربة والصيد والذبائح والضحايا والملموسات ويدخل فيها باب احكام الوقاع فمنها ما يفيد حله كباب النكاح والرضاع وما يتبعها من المهر والنفقة والسكنى واحوال القسم والنشوز ومنها ما يوجب ازالته كالطلاق والخلع والايلاء والظهار واللعان ومن احكام الملموسات البحث عما يحل لبسه واستعماله وعما لا يحل كالاواني الذهبية وغيرها والمبصرات وهو باب ما يحل النظر اليه وما لا يحل والمسموعات وهو باب ما يحل سماعه وما لا يحل والمشمومات وقد قيل انه ليس للفقهاء فيه مجال ويحتمل ان يقال ان منها جواز استعمال الطيب في بعض الاوقات ومنعه في بعضها كحالة الاحرام ومنها ما يكره كاكل البصل والثوم للمصلي بالجماعة في المسجد والمنافع المقصودة بالتبعية هي الاموال والبحث عنها اما من جهة الاسباب المفيدة للملك كالارث والهبة والوصية واحياء الاموات والالتقاط واخذ الفيء والغنائم والزكوات وكالبيع بيع العين بالعين وهو السلم او بالعكس كما اذا اشترى شيئا في الذمة او بيع الدين بالدين وهو بيع الكالي بالكالي المنهي عنه الا عند تقاص الدينين او من جهة الاسباب المفيدة للمنفعة كالاجارة والجعالة وعقد المضاربة او من جهة الاسباب التي توجب لغير المالك التصرف فيه كالوكالة والوديعة او من جهة الاسباب التي تمنع المالك التصرف في ملكه كالرهن والاجارة والتفليس واما دفع المضار والمضرة اما في النفس وهو كتاب الجراح او في الدين وهو كتاب الجهاد وباب الارتداد واحكام البغاة واما في النسب وهو باب احكام الزنى والقذف واللعان واما في العقل كباب تحريم الخمر واما في المال والضرر فيه اما على سبيل الاعلان والجهار وهو الغصب وقطع الطريق او على سبيل الخفية وهو السرقة وههنا باب آخر وهو ان كل احد لا يمكنه استيفاء حقوقه من المنافع ودفع المضار بنفسه عن نفسه لضعفه فلهذا السبب نصب الله الامام لتنفيذ الاحكام وقد يكون للامام نواب هم الامراء والقضاة وليس قول الغير معتبرا الا بحجة وهي

اوبيع الدين بالدين

الشهيد



الشهادة والايمان فحصل من ذلك كتاب ادب القضاء وباب الدعاوى والبينات فهذا ما امكن من ضبط معاقد تكاليف
الله تعالى واحكامه وحدوده وكلها منوطة باعمال الجوارح دون اعمال القلوب التي لا يطلع عليها الا الله تعالى ولكن قوله
والحافظون لحدود الله يشمل ذلك ايضا بل رعاية تامة من رعاية احوال الظواهر ثم ختم الاية بتكرير البشارة وفيه من كمال
العناية ما فيه ولما بين من اول السورة الى ههنا وجوب اظهار البراءة من المنافقين والكفرة الاحياء اراد ان يبين وجوب
البراءة من امواتهم ايضا وان كانوا اقارب فقال ما كان للنبي ومعناه النهي اي ما صح له وما استقام وما ينبغي له ذلك ثم علل
المنع بقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا على الشرك وقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به فطلب غفرانهم جار
مجرى الخلاف وعد الله ووعيده وفيه حط لمرتبة نبي حيث يدعو بما لا يستجاب له وهذه العلة لا تختلف بان يكونوا من
الاباعد او من الاقارب فلهذا بالغ فيه بقوله ولو كانوا اولي قربى روى الواحدي باسناده عن سعيد بن المسيب عن ابيه قال
لما حضر ابا طالب الوفاة دخل عليه رسول الله صلعم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وابن ابي امية يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يكلمانه حتى قال اخر شيء
كلمهم به انا على ملة عبد المطلب فقال النبي صلعم لاستغفرن لك ما لم انه عنه فاستغفر له بعد ما مات فقال المسلمون ما
يمنعنا ان نستغفر لابائنا ولذوي قراباتنا قد استغفر ابرهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه فاستغفروا للمشركين فنزلت
ما كان للنبي الاية وقيل عن ابن عباس لما افتتح صلعم مكة سئل اي ابويه احدث به عهدا اي اخرهما موتا فقيل امه فزار صلعم
قبرها ثم قام باكيا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته في الاستغفار لها فلم ياذن لي فيه ونزل
عليه ما كان للنبي الاية وقال بعضهم كصاحب الكشاف والحسين بن الفضل هذا اصح لان هذه السورة من اخر القرآن نزولا
وكانت وفاة ابي طالب بمكة في اول الاسلام ويمكن ان يوجه الاول بانه صلعم لعله بقي مستغفرا الى حين نزول الاية ثم اعتذر
عن استغفار ابرهيم لابيه بانه صدر عن موعدة وعدها اياه وذلك ان اباه كان وعد ابرهيم ان يؤمن فكان يستغفر له
بناء على ذلك الوعد فلما تبين لابرهيم انه عدو لله اما باصراره على الكفر او بموته على ذلك او بطريق الوحي تبرا منه وترك
الاستغفار ويجوز ان يكون الواعد ابرهيم ويوافقه قراءة الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة وذلك في قوله
لاستغفرن لك وعده ان يستغفر له رجاء اسلامه وقيل المراد من استغفار ابرهيم لابيه دعاؤه له الى الاسلام المؤدي
للغفران وكان يتضرع الى الله تعالى ان يرزقه الايمان وقيل المقصود النهي عن صلوة الجنازة فكان قوله ولا تصل على
احد منهم في حق المنافقين خاصة وهذه في حق الكافرين عامة ثم ختم الاية بقوله ان ابرهيم لاواه حليم قال اهل
اللغة اواه فعال ماخوذ من حروف اوه كلمة يقولها المتوجع وذلك ان الروح القلبي يختنق عند الحزن في داخل القلب
ويشتد حرارته فاذا تكلم صاحبه بها خرج ذلك النفس المختنق فخفف بعض ما به وعن النبي صلعم انه قال الاواه الخاشع المتضرع
والحليم ضد السفيه وصفه لتقرير شدة الرافة والشفقة والخوف والوجل فبين ان ابرهيم مع هذه العادة تبرا من ابيه
حين انقطع رجاؤه منه فانتم بهذا المعنى اولى ثم ان المسلمين خافوا ان يؤاخذوا بما سلف منهم من الاستغفار للمشركين
فانزل الله وما كان الله ليضل قوما اي عن طريق الجنة ويحكم عليهم بالضلال او يخذلهم او يوقع الضلالة في قلوبهم حتى
يكون منهم الامر الذي يستحق به العقاب بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون ما يجب عليهم ان يحترزوا عنه والحاصل
ان الله لا يسمي قوما ضلالا بعد اذ سماهم مهتدين ما لم يقدموا على شيء مبين خطره واما قبل العلم والبيان فلا يؤاخذهم كما
لم يؤاخذ بشرب الخمر والربوا قبل تحريمهما وفي الاية تشديد عظيم حيث جعل المهدي للاسلام اذا اقدم على بعض المحظورات داخلا
في حكم الضلال ثم قال ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت والمراد ان من كان عالما قادرا
هكذا لم يحتج الى ان يفعل العقاب قبل البيان وازاحة العذر قالت المعتزلة وفيه دليل على انه يقبح من الله الابتداء بالعقاب
واجيب بان ذلك لحكم المالكية غاية ما في الباب انه لا يعاقب الا بعد ازاحة العذر عادة وفي قوله ان الله له ملك السموات
والارض فائدة اخرى هي انه لما امر بالبراءة من الكفار بين غاية قدرته ونهاية نصرته لمن اراد استظهار المسلمين كيلا
يضعف قلوبهم بالانقطاع عن الاقارب والانصار كانه قال وجب عليكم ان تنقطعوا الى حكمي وتكلا البغي لاني الحكم وانتم عبيدي
ثم عاد الى بقية احكام الكفار فقال لقد تاب الله على النبي الاية ولنبين تفسيرها مبنيا على اسولة مع جواباتها فالسؤال الاول
ان قبول التوبة دليل سبق الذنب والنبي معصوم والمهاجرون والانصار الذين اتبعوه وتحملوا اعباء ذلك السفر الطويل فكان
اللائق بحالهم ان يثني عليهم والجواب انه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار لانه لا ينفك عن هفوة اما من
باب الكبائر واما من باب الصغائر واما من باب ترك الاولى والافضل كما اشير الى ذلك في حق النبي صلعم بقوله عفا الله عنك

لما اذنت لهم ولعله قد وقع في قلوب المؤمنين نوع نفرة من تلك السفرة لما عاينوا المتاعب لا لامل من الوساوس و
الهواجس فاخبر الله سبحانه ان تلك الشدائد صارت مكفرة لجميع الزلات التي صدرت عنهم في ذلك السفر بل في مدة عمرهم و
صارت قائمة مقام التوبة المقرونة بالاخلاص ويجوز ان يكون ذكر الرسول لاجل تعظيم شان المهاجرين والانصار لا لانه
صدر عنه ذنب السؤال الثاني ما المراد بساعة العسرة فالجواب قد يستعمل الساعة في معنى الزمان المطلق والعسرة تعذر
الامر وصعوبته والمراد الزمان الذي صعب عليهم الامر جدا في ذلك السفر كانوا في عسرة من الظهر تعتقب العشرة على بعير
واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة المنتنة وقد بلغت منهم الشدة الى ان اقتسم
التمرة اثنان ثم الى ان مصها جماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من
حمارة القيظ كما قال المنافقون لا تنفروا في الحر وقال ابو مسلم يجوز ان يراد بساعة العسرة جميع الاحوال والاوقات العسرة
التي مرت عليهم في غزواتهم كما ذكر الله تعالى في غزوة الخندق واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر الثالث ما معنى
كاد تزيغ وكيف اعرابه والجواب فيهما استعمالان كاد زيد يخرج ويخرج زيد ومعنى الاول كاد زيد خارجا اي قارب الخروج ومعنى الثاني
كان الشان يكون كذا يعني قارب الشان هذا الخبر وشبهه سيبويه بقولهم خلق الله مثله اي ليس الشان ذاك ولكن ضده
والزيغ الميل عن الجادة قيل قارب بعضهم ان يميل عن الايمان وقيل هم بعضهم عند تلك الشدة بالمفارقة ثم حبسوا انفسهم صبروا
وثبتوا وندموا وقيل ما كان ذلك الا حديث نفس بلا عزيمة ومع ذلك خافوا ان يكون معصية الرابع ذكر التوبة في اول الاية
فلم كررها في قوله ثم تاب عليهم الجواب لان عاد الضمير في عليهم الى الفريق فلا تكرار وان عاد الى النبي صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار جميعا
فالتكرير للتوكيد مع رعاية دقيقة هي ان التوبة اكتنفت الذنب من جانبيه ذلك انه بدا بذكر التوبة قبل ذكر الذنب تطييبا
لقلوبهم ثم ذكر الذنب ثم اردفه بذكر التوبة ليدل على ان العفو عفو متاكد كما يقول السلطان عند كمال الرضى عفوت عنك
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يغفر ذنب الرجل المسلم عشرين مرة وقال ابن عباس في تفسير قوله ثم تاب عليهم يريد ازداد
عنهم رضى ثم اكد هذه المعاني بقوله انه بهم رؤف رحيم فيشبه ان يراد بالرافة ازالة الضرر وبالرحمة ايصال المنفعة
او الاول رحمة سابقة والثاني لاحقة الخامس من الثلاثة الذين خلفوا ومن هم الجواب هم المرجون لامر الله كما مر سموا مخلفين
كما سموا مرجئين اي مؤخرين عن ابي لبابة واصحابه حيث يتب عليهم بعدا ولئك وقيل لانهم خلفوا عن الغزو ومثله قراءة
من قرا بالتخفيف اي خلفوا الغازين وقيل المخلف من خلوف الفم اي فسدوا وقرا جعفر الصادق خالفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض مع سعتها وهو مثل للحيرة في الامر وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور وظنوا اي علموا
وتيقنوا ان لا ملجا من سخط الله الا الى استغفاره كقوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بك منك وقيل الظن بمعناه الاصلي وهو الرجحان وذلك
انهم ما كانوا قاطعين بان ينزل الله في شانهم قرآنا وان سلم انهم قطعوا بذلك الا انهم جوزوا ان يكون المدة قصيرة وجواب
اذا محذوف والتقدير حتى اذا كان كذا وكذا تاب عليهم وحسن حذفه لتقدم ذكره عن كعب بن مالك قال لما قفل رسول الله
سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعدما كان ذكرني في الطريق وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه
والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد
من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع
وهو جبل بالمدينة ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وتتابعت البشارة
فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المجلس وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله وهرول الي حتى صافحني
وقال لتهنئك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ
ولدتك امك ثم تلا علينا الاية سئل ابو بكر الوراق عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق
عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه السادس قد عرفنا فائدة قوله تاب عليهم ثم تاب عليهم فما فائدة قوله ثم تاب عليهم ليتوبوا
الجواب معناه رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم او تاب عليهم في الماضي ليتوبوا في المستقبل
اذا فرطت منهم خطيئة علما منهم بان الله تواب ولو عاد في اليوم مائة مرة او تاب عليهم ليرجعوا الى حالهم وعادتهم في الاختلاط
بالمؤمنين او تاب عليهم لينتفعوا بالتوبة وثوابها لان الانتفاع بها لا يحصل الا بعد توبة الله عليهم وقالت الاشاعرة
المعصوبيان ان فعل العبد مخلوق لله تعالى حتى انه لو لم يتب عليهم لم يتوبوا وايضا فالاية دالة على ان قبول التوبة
غير واجب عقلا لان توبة هؤلاء قد حصلت في اول الامر ثم انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت اليهم وتركهم خمسين يوما ويمكن ان يجاب بان
شرائط التوبة من الاخلاص والنصح وغير ذلك لعلها لم تكن حاصلة من اول الامر فلهذا تاخر القبول ودليله قوله تعالى حتى اذا

فكاد يخرج نسخه

ثم عفوت عنك نسخه

على من تاب نسخه

ضاقت

ضاقت الآية ثم حث سبحانه المؤمنين على ملازمة سيرة التقوى والانضمام في زمرة اهل الصدق لا النفاق فقال يا ايها الذين
آمنوا الآية قال بعض العلماء ظاهر الامر للوجوب فوجب على المؤمنين ان يكونوا مع الصادقين لا بمعنى ان يكونوا على
طريقتهم وسيرتهم لان ذلك عدول عن الظاهر بل بمعنى المصاحبة والكون مع الشيء مشروط بوجود ذلك الشيء فلا بد من
وجود الصادقين ثم انه ثبت بالتواتر من دين محمد ﷺ ان التكاليف المذكورة في القرآن متوجهة على المكلفين الى يوم القيمة
فلا يكون هذا الامر مختصا بالكون مع الرسول واصحابه في الغزوات بل اعم من ذلك ثم ان الصادق لا يجوز ان يكون منحصرا
في الامام المعصوم الذي يمتنع خلو زمان التكليف عنه كما يقوله الشيعة لان كون كل واحد من المؤمنين مع ذلك الصادق
بعد تسليم وجوده تكليف بما لا يطاق فالمراد بالصادقين اهل الحل والعقد في كل حين والمراد انهم اذا اجمعوا على شيء كانوا
صادقين فيه محقين ويجب على الباقين ان يكونوا معهم ظاهرا وباطنا قال اكثر المفسرين الصادقون هم الذين صدقوا في دين
الله وفيما عاهدوا عليه من الطاعة فيه قولا وعملا وقيل اي كونوا مع الثلاثة المذكورين في الصحة والثبات وعن ابن عباس
الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار في الصدق وقيل الخطاب للذين ربطوا انفسهم على السواري
وفي الآية دلالة على فضيلة الصدق وكمال درجته ومن خصائص الصدق ما روي ان اعرابيا جاء الى رسول الله ﷺ وقال اني
اريد ان اومن بك الا اني احب الخمر والزنى والسرقة والكذب والناس يقولون انك تحرم هذه الاشياء كلها ولا طاقة لي بتركها
فان قنعت مني بترك واحد آمنت بك فقبل ذلك وشرط له الصدق ثم اسلم فلما خرج من عند رسول الله ﷺ عرضوا عليه الخمر
فقال ان شربت فان سألني رسول الله ﷺ عن شربها وكذبت فقد نقضت العهد وان صدقت اقام الحد علي فتركها ثم عرض
عليه الزنى فجاءه ذلك الخاطر فتركه وكذا في السرقة فعاد الى رسول الله ﷺ وقال ما احسن ما فعلت لما منعتني عن الكذب
انسد ابواب المعاصي علي وتاب عن الكل ومن فضائل الصدق ان الايمان منه لا من سائر الطاعات ومن معايب الكذب ان
الكفر منه لا من سائر الذنوب ومن مثالب الكذب ان ابليس مع تمرده وكفره استنكف منه حتى استثنى في قوله لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم المقتضي لقبح الكذب هو كونه كذبا عند الاشاعرة وكونه مفضيا الى المفاسد عند
المعتزلة والله اعلم

التأويل ان الله اشترى في التقدير الازلي ولهذا تيسر لهم الآن بذل النفس والمال في الجهاد الاصغر وفي الجهاد
الاكبر وانه كما اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة اشترى من اوليائه الصديقين قلوبهم وارواحهم بان
لهم التائبون عما سوى الله العابدون المتوجهون اليه على قدم العبودية الحامدون له على ما وفقهم لنعمة طلبه السائحون السائرون
اليه بقدمي الصبر والشكر والتبري والتولي الراكعون اي الراجعون عن مقام القيام بوجودهم الى القيام بوجده الساجدون
الساقطون على عتبة الوحدة بلا هم الآمرون بالمعروف الحقيقي الناهون عما سواه والحافظون لحدود الله لئلا يتجاوزوا
عن طلبه الى طلب غيره ما كان للنبي فيه ان الاجتهاد ليس سببا لنيل المراد وان الهداية من مواهب الربوبية لا من مراتب العبودية
ان ابراهيم لاواه الاواه هو المتبري من المخلوقات لكثرة نيل المواجيد والكرامات فيكون لضيق البشرية تأوه بموجدتها
وودله واذا الحوض ضاق عليه نطاق الخلق فيتأوه عند تنفس القلب المضطر من الخلق الى الحق حليم عما اصابه من الخلق للحق فلا
رجوع له من الحق الى الخلق بحال من الاحوال ولهذا قال لجبرئيل حين سأله الك حاجة اما اليك فلا وما كان الله ليضل قوما
ليردهم بالمكر الى الاثنينية والبعد بعد اذ هداهم الى الوحدانية والفردانية بالتوحيد والتفريد حتى يبين لهم ما يتقون من
آفات البشرية ودواعيها كالدنيا فهي رأس كل خطيئة فان لم يحترزوا عنها وقعوا بالاستدراج الى حيث خرجوا عنها نعوذ بالله من
الحور بعد الكور او نقول ان الله لعم بعد اذ هداهم بالافناء عن الوجود الى البقاء بالجود لا يردهم الى بقاء البقاء وهو الاثبات
بعد المحو والصحو بعد السكر وقد سماه المشايخ الاثبات الثاني حتى يبين لهم ما يتقون من الاعمال والاقوال رعاية لتلك
الاحوال ان الله له ملك السموات القلوب وارض النفوس يحيي بنور ربوبيته من يشاء ويميت عن صفات بشريته من يشاء وما
لكم من دون الله من ولي فلا يشغلكم طلب الملك عن المالك فان طالب الملك لا يجد الملك ولا المالك وطالب المالك
يجد الملك ولا المالك وطالب المالك يجد الملك مع المالك جميعا لقد تاب الله على النبي التوبة فضل من الله ورحمة فقدم
ذكر النبي ﷺ على المهاجرين ليكون وصول فضله اليهم بعد العبور على النبي تحقيقا لقوله وما ارسلناك الا رحمة للعالمين الذين
اتبعوه في ساعة العسرة الدنيا وترك شهواتها او نقول لقد تاب الله اي افاض انوار عرفانه على نبي الروح ومهاجري صفاته
الذين هاجروا معه من مكة عالم الروح الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعه
الى مدينة الجسد والانصار من القلب والنفس وصفاتهما الذين اتبعوه في ساعة رجوعهم الى عالم العلو بالعسرة لانهم من عالم
السفل وعلى الثلاثة الذين خلفوا من النفس والهوى والطبع وما تبعوا الروح عند رجوعه الى عالم ابتداء حتى اذا ضاقت عليهم

أرض البشرية شوقا الى تلك الحضرة وضاقت عليهم أنفسهم تحننا الى تلك السعادات وتحققوا بنور اليقين أن لو يعقوبي السعد
لا ملجأ لهم من عذاب البعد عن الله الا الفرار اليه ثم تاب عليهم بجذبة العناية ولو وكلهم الى طبيعتهم ما سلكوا الطريق فكونوا أبدا
مع الصادقين الذين صدقوا ما كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا
يوم الميثاق والله أعلم.

بخود راه — مدینه و آنکه پیرامون ایشانند از اهل بادیه — که خلاف کنند از رسول خدا — و نباید که رغبت کنند

بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ

بنفسهای ایشان از نفس او — این بسبب آنست که ایشان نرسد ایشان را تشنگی — و نه رنج و نه گرسنگی — در راه خدا — و بپای نزنند جای که بخشم آورد

الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً

کافران را — و نیابند از هیچ دشمنی — مگر آنکه نوشته شود ایشان را کار نیکو — هر آینه خدا ضایع نمیکند مزد نیکوکاران را — و نفقه نکنند نفقه کردن

صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ

کوچک و نه بزرگ — و نبرند وادی را مگر — که نوشته شود برای ایشان تا پاداش دهد ایشان را خدا به نیکوترین آنچه میکردند — و نبود مؤمنان

لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ

تا بیرون روند همه — پس چرا بیرون نرفتند از هر گروهی از ایشان گروهی تا فقیه شوند — در دین — و تا بیم کنند قوم خویش را چون باز گردند بسوی ایشان تا شاید ایشان

يَحْذَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ

بپرهیزند — ای آنکه — گرویده اید کارزار کنید با آنکه نزدیک شما اند از کافران — و باید که یابند در شما — درشتی — و بدانید که

اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ

خدا با پرهیزگاران است — و چون فرستاده شود سوره — پس بعضی از ایشان کسی است که گوید از منافقان کدام یک شما افزود او را این سوره ایمان — و اما آنکه گرویدند پس افزود ایشان را

إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ أَوَلَا

ایمان و ایشان خرسند میشوند — و اما آنکه — در دلهای ایشان شک و نفاق است پس افزود ایشان را پلیدی با پلیدی ایشان و بمیرند ایشان و حال آنکه کافر باشند — آیا نمی بینند

يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ

که ایشان — مبتلا میشوند در هر سال یک بار یا دو بار — پس توبه نمیکنند و ایشان پند نمیگیرند — و چون فرستاده شود سوره — می نگرند بعضی از ایشان

إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ

بسوی بعضی آیا می بیند شما را از هیچ کس — پس بر گردند — بر گردانید خدا دلهای ایشان را بآنکه گروهی اند که نمی فهمند — هر آینه آمد شما را رسولی از

أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ۝ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

نفسهای شما — دشوار است بر او رنج شما — حریص است بر شما — بمؤمنان — مهربان بخشاینده است — پس اگر بر گردند پس بگو بس است مرا خدا نیست خدای مگر

هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ القراءة موطيا ونحوه بالياء يزيد والشموني وفي الوقف غلظة بفتح

او بر او توکل کردم و او است پروردگار عرش عظیم

العين المفضل الباقون بكسرها أولا ترون بتاء الخطاب للمؤمنين حمزة و
يعقوب الباقون على الغيبة الوقوف عن نفسه ط صالح ط المحسنين لا للعطف يعملون كافة ط يحذرون ه غلظة ط المتقين
ايمانا ج يستبشرون ه كافرون ه يذكرون ه الى بعض ط لحق المحذوف اي يقولون هل يريكم ثم انصرفوا لا يفقهون عزيز
على تاويل عليه شفاعة ما عنتم والصحيح الوصل لان المعنى شديد عليه ما أثمتم ولا وقف في الآية الى قوله رحيم حسبي الله ن
والاصح الوصل على جعل الجملة حالا اي يكفي الله عز شأنه منفردا في الالوهية الا هو ط العظيم ه التفسير لما أمر بموافقة النبي وأصحابه
في جميع الغزوات والمشاهد بقوله وكونوا مع الصادقين أكد ذلك المعنى بالنهي عن التخلف عنه فقال ما كان لأهل المدينة
أي لا يستقيم ولا يجوز لهم والأعراب الذين كانوا حول المدينة قد ذكرنا عن ابن عباس أنهم مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار
وكان المراد المعروفين منهم وإلا فاللفظ عام ومعنى ولا يرغبوا ولا أن يرغبوا يقال رغبت بنفسي عن هذا الأمر أي بخلت
بها عليه ولم أتركها له والمراد أنه لا يصح لهم أن يرغبوا عن صحبة رسول الله بسبب صلاح أنفسهم وبقائها بل عليهم
أن يصحبوه على البأساء والضراء وأن يرضوا لأنفسهم ما يرضاه الرسول لنفسه لأن نفسه أعز نفس عند الله فإذا تعرضت
مع كرامتها للخوض في شدة وجب على سائر الأنفس أن لا يضنوا بها على ما سمح بنفسه عليه وفي هذا النهي مع التهييج توبيخ عظيم ولا
يخفى أن الجهاد لا يجب على كل فرد بعينه للإجماع وأن أصحاب الأعذار من الضعفاء والمرضى ونحوهم مخصوصون بالعقل و
بالنقل فيبقى ما وراءها من الصورتين داخلا تحت عموم الآية ثم ذكر ترغيبا يجري مجرى علة المنع من التخلف فقال
ذلك بأنهم أي الوجوب الدال عليه بقوله ما كان لهم بسبب أنهم مثابون على أنواع المتاعب وأصناف الشدائد بل على جميع



الحركات والسكنات مدة الذهاب والإياب والظماء شدة العطش والنصب الإعياء والتعب والمخمصة المجاعة الشديدة التي
تظهر ضمور البطن والموطئ مصدر كالمورد او مكان فعلى التقدير الثاني الضمير في يغيظ عائد الى الوطء الصريح او المقدر ثم الوطء
يجوز ان يكون حقيقة فيراد به الدوس بالأقدام وبحوافر الخيول وبأخفاف الإبل ويجوز ان يكون مجازا فيراد به الإيقاع
والإهلاك قال ابن الأعرابي غاظه وغيظه وأغاظه بمعنى ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم
ويلحق بهم ضررا من قتل او اسر او غنيمة او هزيمة والمراد انهم لا يتصرفون في ارض الكفار تصرفا يغيظهم ولا يرزأونهم شيئا الا
كتب لهم به عمل صالح وفيه دليل على ان من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات مكتوبة
عند الله وكذا القول في طرف المعصية ولكن بالضد فما اعظم بركة الطاعة وما اشد شؤم المعصية وبهذه الآية استشهد
اصحاب ابي حنيفة ان المدد الوافد بعد انقضاء الحرب يشارك الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم وقال
الشافعي لا يشاركون الغانمين في الغنيمة وان شاركوهم في الثواب لان الغنيمة من خواص المحاربين ومن قد تعاطى خطرا قال
قتادة هذا الحكم من خواص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا بنفسه فليس لاحد ان يتخلف عنه الا بعذر وقال ابن زيد هذا حين كان المسلمون
قليلا فلما كثروا نسخه الله بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال عطية ما كان لهم التخلف اذا دعاهم الرسول وامرهم قال العلماء
وكذلك غيره من الائمة والولاة اذا عينوا طائفة لانا لو سوغنا للمندوب ان يتقاعد لم يختص بذلك بعض دون بعض فيؤدي الى
تعطيل الجهاد قوله ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة قال المفسرون يريد تمرة فما فوقها وعلاقة سوط وما اربى عليها مثل
ما انفق عثمان في جيش العسرة ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم وهذا شائع في استعمال العرب يقولون
لا تصل في وادي غيرك وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال والوادي كل منعطف بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل
الا كتب لهم ذلك الانفاق والقطع وذلك العمل الصالح المعهود في الآية المتقدمة ثم ذكر فائدة الكتب فقال ليجزيهم اي اثبت
في صحائفهم لاجل الجزاء جزاء احسن من اعمالهم واجل وقيل الاحسن من صفة الفعل اي يجزيهم على الاحسن وهو الواجب
والمندوب دون المباح واعلم انه سبحانه عدد اشياء بعضها ليس من اعمال المجاهدين وهو الظماء والنصب والمخمصة وباقيها
من اعمالهم وهي الوطء والنيل والانفاق وقطع الارض وقسم هذا الباقي قسمين فضم شطرا منه الى ما ليس من اعمالهم تنبيها على
انه في الثواب جار مجرى عملهم ولهذا صرح بذلك فقال الا كتب لهم به عمل صالح اي جزاء عمل صالح واكد ذلك بقوله ان الله
لا يضيع اجر المحسنين ثم اورد الشطر الباقي لغرض آخر وهو الوعد باحسن الجزاء واقتصر ههنا على قوله الا كتب لهم لان
هذا القسم من عملهم فلم يحتج الى تصريح بذلك واكتفاء بما تقدم او لان الضمير عائد الى المصدر الدال عليه الفعل والله تعالى اعلم
بمراده ثم قال وما كان المؤمنون وفيه قولان احدهما انه من بقية احكام الجهاد لانه سبحانه لما بالغ في عيوب المنافقين
كان المسلمون اذا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية الى الكفار ينفرون جميعا ويتركونه بالمدينة وحده فنزلت الآية قال ابن عباس
والمعنى انه لا يجوز للمؤمنين ان ينفروا باسرهم الى الجهاد بل يجب ان يصيروا طائفتين احداهما الملازمة لخدمة الرسول والاخرى
النافرة الى الغزو ثم ههنا احتمالان لانه قال محرضا فلولا نفر اي هلا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين فذهب
الاكثرون الى ان الضمير في ليتفقهوا عائد الى الفرقة الباقية في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهم اذا بقوا في خدمته شاهدوا الوحي والتنزيل
وضبطوا ما حدث من الشرائع وعلى هذا فلا بد من اضمار والتقدير فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة واقام طائفة ليتفقه
المقيمون في الدين ولينذروا قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون معاصي الله عند ذلك وبهذا الطريق يتم امر
الدين بهاتين الطائفتين والا ضاع احد الشقين والاحتمال الآخر ما روي عن الحسن ان الضمير يعود الى الطائفة النافرة وتفقههم
هو انهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين وان العدد القليل منهم من غير زاد ولا سلاح كيف يغلبون الجم الغفير من الكفار
فيتنبهون لدقائق صنع الله في اعلاء كلمته فاذا رجعوا الى قومهم انذروهم بما شاهدوا من دلائل الحق فيحذروا اي يتركوا الكفر
والشرك والنفاق القول الثاني انه ليس من بقية احكام الجهاد وانما هو حكم مستقل بنفسه ووجه النظم ان الجهاد امر يتعلق
بالسفر وكذا التفقه اما في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم فوجوبه ظاهر لمن ليس بحضرته حتى يصل اليه ويستفيد من خدمته لان الشريعة ما
كانت مستقرة بل كانت تتجدد كل يوم شيئا فشيئا واما في زماننا فلا ريب انه متى عجز عن التفقه الا بالسفر وجب عليه وان امكنه
في الحضر فلا شك ان للسفر بركة اخرى يعرفها كل من زاول الاسفار وحاول الاخطار ومعنى ليتفقهوا ليتكلفوا الفقاهة في الدين
ويتجشموا المتاعب في اخذها وتحصيلها والفقه في الاصطلاح هو العلم بالاحكام الشرعية الفرعية المستنبطة من دلائلها التفصيلية
والظاهر ان المراد في الآية اعم من ذلك بحيث يشمل علوم الشرع كلها من التفسير والحديث واصول الدين واصول الفقه ومقدمات
كل من ذلك وغاياتها بحسب الامكان النوعي او الشخصي وفي قوله ولينذروا قومهم اشارة الى ان الغرض الاصلي من التعلم هو الانذار

والارشاد

والارشاد الا ما يتبعه علماء السوء من الاغراض الفاسدة كالمطاعم والملابس والمفاخر اعاذنا الله تعالى بفضله من قبح النية وفساد الطوية وجعلنا ممن لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا القائلون بان خبر الواحد حجة قالوا اوجب الله تعالى ان يخرج من كل فرقة طائفة والخارج من الثلثة يكون اثنين او واحدا ثم انه اوجب العمل باخبارهم بقوله ولينذروا او اجيب بان ايجاب الانذار لا يدل على وجوب العمل لان الشاهد الواحد يلزمه اداء الشهادة وان لم يلزم القبول ورد بان قوله لعلهم يحذرون ايجاب للعمل باخبارهم ثم ارشد سبحانه الى ترتيب القتال فقال يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم مبتدأ من الاقرب متنقلا الى الابعد والقتال واجب مع كافة الكفرة باية القتال ولكن هذه الاية اخص لان الغرض منها الترتيب ما لم يدع الى قتال الابعد قبل دفع الاقرب ضرورة فلا يكون هذه منسوخة باية القتال على ما نقل عن الحسن وانما وجب الابتداء بالغزو من المواضع القريبة لان قتال الكل دفعة متعذر وللاقرب ترجيح ظاهر كما في الدعوة وكما في سائر المهمات مثلا في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يبتدأ بالجمع الحاضرين ثم ينتقل الى الغائبين وايضا المؤنة في قتال الاقربين من النفقة والدواب تكون اقل والقتال معهم يكون اسهل للوقوف على احوالهم وعدد عسكرهم والفرقة المجاهدة اذا تجاوزوا من الاقرب الى الابعد فقد عرضوا الذراري للفتنة وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام ويروى ان اعرابيا جلس على المائدة وكان يمد يده الى الجوانب البعيدة من تلك المائدة فقال صلى الله عليه وسلم كل مما يليك فثبت بهذه الوجوه ان الابتداء بالاقرب فالاقرب واجب ما لم يضطر الى العدول لضرورة وقوله وليجدوا فيكم غلظة اي شدة نظيره قوله واغلظ عليهم ومن قرأ بفتح العين فهو المصدر ايضا كالسخطة وهي لفظة جامعة للجرأة والصبر على القتال و شدة العداوة والعنف في القتل والاسر كل ذلك فيما يتصل بالدعوة الى الدين اما باقامة الحجة واما بالسيف اما فيما يتصل بالبيع والشري والمجالسة فلا ولكن بتقوى الله سبحانه على ذكر منه في موارده ومصادره ولهذا ختم الاية بقوله واعلموا ان الله مع المتقين فان قتله قتله الله وان تركه على الجزية تركه الله وان كسر عدوه وال الامر الى اخذ الغنيمة راعى فيه حدود الله ثم حكى بقية فضائح اعمال المنافقين فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين فقال وكلما انزلت سورة فمنهم من يقول اي يقول بعض المنافقين لبعض انكارا واستهزاء بالمؤمنين المعتقدين زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به او يقولونه لقوم من المسلمين وغرضهم صرفهم عن الايمان والمقول ايكم مرفوع بالابتداء وخبره زادته هذه ايمانا ثم انه تعالى حكى انه حصل للمؤمنين بسبب نزول هذه السورة امران احدهما ازدياد الايمان وقد مر معناه في اول سورة الانفال والثاني الاستبشار وهو استدعاء البشارة اما بثواب الاخرة واما بالعز والنصرة في الدنيا والمراد انهم يفرحون بسبب تلك التكاليف الزائدة من حيث انه يتوسل بها الى مزيد الثواب وحصل للمنافقين الذين في قلوبهم مرض اي عقائد فاسدة واخلاق ذميمة امران اولهما زيادة الرجس على الرجس لان تكذيب سورة بعد تكذيب مثلها انضمام كفر الى كفر ولان حصول حسد وغل ونفاق عقيب امثالها ازدياد ملكة ذميمة عقب اخرى وثانيهما بقاؤهم على تلك العقائد والاعمال الى ان ماتوا لان الملكة الراسخة لا تزول الى ان مات صاحبها واسناد زيادة الرجس الى السورة اسناد حقيقي عند الاشاعرة لانهم يقولون انه سبحانه يخلق الكفر والايمان في العبد فلا يبعد احداث السورة فيهم الرجس واسناد مجازي عند المعتزلة لانهم يقولون انهم احدثوا الرجس من عند انفسهم حين نزول السورة بدليل ان الاخرين سمعوا السورة وازدادوا ايمانا والتحقيق فيه ان النفس الطاهرة النقية عن درن الدنيا باستيلاء حب الله و الاخرة اذا سمعتها صار سماعها موجبا لازدياد رغبته في الاخرة ونفرته عن الدنيا واما النفس الحريصة المتهالكة على لذات الدنيا وطيباتها الغافلة عن حب الاخرة وعشق المولى اذا سمعتها مشتملة على تعريض النفس للقتل والمال للنهب بسبب الجهاد ازدادت نفرته عنها وانكاره عليها وكل يقدر ثم تعجب من حال المنافقين فقال اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين قال ابن عباس اي يمتحنون بالمرض ثم لا يتوبون من النفاق ولا يتعظون بذلك المرض كما يتعظ المؤمن وانه عند ذلك يتذكر ذنوبه وموقفه بين يدي ربه فيزيده ذلك ايمانا وخوفا وقال مجاهد بالقحط والجوع وقال قتادة بالغزو والجهاد فان تخلفوا وقعوا في السنة الناس بالطعن والخزي وان ذهبوا وهم على حالة النفاق عرضوا انفسهم للقتل واموالهم للنهب من غير فائدة وقال مقاتل كانوا يجتمعون على ذكر الرسول بالطعن فيخبره جبريل فيوبخهم بذلك فيعظهم فما كانوا يتعظون ثم ذكر نوعا اخر من مخازيهم فقال واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض اي سورة مشتملة على ذكرهم او اعم من ذلك والنظر نظر الطعن والاستهزاء والايذاء بالوحي قائلين هل يريكم من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم لان نظر التغامز دال على ما في الباطن من الانكار الشديد واداروا ان كان من رآكم احد فلا تخرجوا والا فاخرجوا للتخلص من



هذا الابذاء وسماع الباطل ثُمَّ انْصَرَفُوا اى من مكانهم الوحى الى مكانهم او عن استماع القران الى الطعن فيه ومعنى صَرَفَ
اللّهُ قُلُوبَهُمْ قال ابن عباس منعهم عن كل رشد وخير وقال الحسن طَبَعَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ وقال الزجاج اضلهم الله قالت الاشاعرة
هو اخبار عما فعل الله بهم من الصد عن الايمان والمنع منه وقالت المعتزلة هو دعاء عليهم بالخذلان وبصرف قلوبهم عن الانشراح
او اخبار بانه صرفهم عن الالطاف التى يختص بها من امن بها والمراد صرف قلوبهم بما اورثهم من الغم والكيد قالوا ومعنا
قوله لَا يَفْقَهُونَ لا يتدبرون حتى يفقهوا وعند الاشاعرة هم قوم جبلوا على ذلك يحكى عن محمد بن اسحق انه قال لا تقولوا انصرفنا
من الصلوة فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم لكن قولوا قضينا الصلوة كان مقصوده التفال باللفظ الوارد فى الخبر دون
الشر فانه تعالى قال فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله ثم لما امر رسوله فى هذه السورة بتبليغ تكاليف
شاقة يعسر تحملها ختم السورة بما يهون الخطب فى تحملها فقال لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ اى من جنس البشر لا الملك لان
الجنس الى الجنس اميل هذا الخطاب للعرب والخطاب للعرب المقصود ترغيبهم فى نصرته والقيام بخدمته لان كل ما يحصل له من
الدولة والرفعة فان ذلك سبب لعزهم وفخرهم لانه من ابناء جلدتهم او الخطاب لاهل الحرم خاصة لانهم كانوا يسمون اهل الحرم اهل
الله وخاصته وكانوا يخدمونهم ويقومون باصلاح مهامهم فكانه قيل لهم كنتم قبل مقدمه مجدين فى خدمة اسلافه فلم
تتكاسلون فى خدمته مع انه لا نسبة له فى الشرف الى ابائه او المقصود من ذكر هذه الصفة التنبيه على طهارته كانه قيل هو من
عشيرتكم تعرفونه بالصدق والامانة والعفاف وتعرفون كونه حريصا على دفع الافات عنكم وايصال الخيرات اليكم فارسال
من هذا حاله وصفته يكون من اعظم نعم الله عليكم وقرئ من انفسكم بفتح الفاء اى من اشرفكم وافضلكم وتنسب هذه القراءة
الى النبى والوصى واهل البيت ثم وصفه بما يستتبعه المجانسة والمناسبة من النتايج وذلك قوله عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ العزة
الغلبة والشدة والعنت المشقة والوقوع فى المكروه والاثم وما مصدرية اى شديد شاق عليه لكونه بعضا منكم عنتكم ولقائكم
المكروه واولى المكاره بالدفع عقاب الله وهو انما ارسل لدفع هذا المكروه حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ الحرص يمتنع ان يتعلق بذواتهم
فالمراد حريص على ايصال الخيرات اليكم فى الدارين فالصفة الاولى لدفع الافات وايصال الخيرات والسعادات فلا تكرار و
قال الفراء الحريص الشحيح والمعنى انه شحيح عليكم ان تدخلوا النار وفيه نوع تكرار ثم بين انه رحمة للعالمين فقال بِالْمُؤْمِنِينَ اى منكم ومن
غيركم رَؤُفٌ رَحِيمٌ قال ابن عباس لم يجمع الله لنبى بين اسمين من اسمائه الا له وحاصل هذه الخاتمة ان هذا الرسول منكم فكل ما يحصل له من
العز والشرف فذلك عائد اليكم وانه كالطبيب الحاذق وكالاب الشفيق واذا عرفت ان الطبيب حاذق والاب مشفق فالعلاج والتاديب
منهما احسان واجمال وان كان صعبا مولما فاقبلوا ما امركم به من التكاليف وان كانت شاقة لتفوزوا بسعادة الدارين ثم قال لرسوله
فَإِنْ لم يقبلوها بل اعرضوا وتولوا فاتركهم ولا تلتفت اليهم وارجع فى جميع امورك الى الله الذى بالحق ارسلك فهو كافيك وَ
هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ فلا يخرج عن قبضة قدرته وتصرفه شئ لانه يحيط بالعرش وبما يحويه العرش والله اعلم التاويل مَا كَانَ
لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ القالب فهو النفس والهوى والقلب ومن حولهم من الاعراب الصفات النفسانية والقلبية ان يتخلفوا عن رسول
الروح السائر اليه ولا يبذلوا وجودهم عند بذل وجوده بالفناء فى الله ذلك بانهم لا يصيبهم ظماء من ماء الشهوات ولا نصب
من انواع المجاهدات ولا مخمصة بترك اللذات وحطام الدنيا فى طلب الله وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا من مقامات الفناء يغيظ الكفار
النفس والهوى وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ الشيطان والنفس والدنيا بلاء ومحنة وفقرا وحزنا وغير ذلك من اسباب الفناء الا
كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ من البقاء بالله بقدر الفناء فى الله وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً هى بذل الصفات وَلَا كَبِيرَةً هى بذل الذات
فى صفات الله وفى ذاته وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا من اودية الدنيا والاخرة والنفس والهوى والقلب والروح احسن ما كانوا يعملون
لان علمهم بقدر معرفتهم وجزاؤه يضيق عنه نطاق فهمهم فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا فى السير
الى الله وبالله وفى الله فهلا نفر مِنْ كُلِّ قوم وقبيلة فِرْقَةٍ طَائِفَةٌ هم خواصهم واهل الاستعداد الكاملون ليتعلموا السلوك
ويخبروا بذلك قومهم لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ من غير الله قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ من كفار النفس والهوى وصفاتها وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً عزيمة
صادقة فى ترك شهواتها وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ اى لموت قلبهم لتراكم ظلمة النفاق كل حين ثم اخبر عن موت القلب بقوله
أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ والفتنة موجبة لانتباه القلب الحى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ اى قلب حى هَلْ يَرَاكُمْ
مِنْ أَحَدٍ فى مقام الانكار والنفاق اى هل يرى محمد انكاركم على رسالته والقران فانه من رسول الله ما نبوة رسالته ثُمَّ انْصَرَفُوا على
هذا الحسبان لان قلوبهم مصروفة وَلَكِنْ لهم فقه القلب لان ذلك من امارات حيوة القلب مِنْ أَنْفُسِكُمْ تسكين للعوام لئلا ينفروا عنه و
اشارة للخواص الى انا البشر لهم استعداد الوصول والوصال فان لم يكن بالاستقلال فبالمتابعة فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ ومن
انفسكم اى اشرفكم فلانه اول جوهر خلقه الله تعالى او اول ما خلق الله تعالى روحى ولا اختصاصا بالخلاص عن تعلق الكونين

وبلوغه إلى قاب قوسين أو أدنى وتحليه بحلية فأوحى إلى عبده ما أوحى وبعلو همته ما زاغ البصر وما طغى ولرؤيته سر
العدد ولقد رأى من آيات ربه الكبرى بالمؤمنين رؤوف رحيم قدم رأفته أمر بالرفق كما قال إن هذا الدين متين فأوغلوا
فيه بالرفق ومن رحمته قيل له فبما رحمة من الله لنت لهم وههنا نكتة وهي أن رأفته ورحمته لما كانت مخلوقة أخصت
بالمؤمنين فقط وكانت رحمته نعم ورأفته للناس عامة إن الله بالناس لرؤوف رحيم ونكتة أخرى
هي أن رحمته عامة للعالمين لقوله وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وأما رحمته
المضمومة إلى الرأفة فخاصة بالمؤمنين وكان الرأفة إشارة إلى ظهور أثر
الدعوة في حقهم فالمؤمنون أمة الدعوة والإجابة جميعا وغيرهم
أمة الدعوة فقط حسبي الله لأن المقصود من التبليغ قد
حصل لك وهو وصولك إلى الله أعرضوا عن
دعوتك وأقبلوا والله المستعان

تم الربع الثاني من التفسير المسمى غرائب القرآن
ورغائب الفرقان والحمد لله
على نواله والصلوة
على نبيه المصطفى
محمد و
آله



سورة یونس مکیة الا ثلث آیات قوله تعالی فان کنت فی شک الی آخرهن حروفها خمسة آلاف وخمسمائة وسبعة وستون کلماتها الف وثمانمائة واثنان وثلثون آیاتها مائة وتسع

بسم الله الرحمن الرحیم

بنام خداوند بخشنده مهربان

ع الر تلک آیات الکتاب الحکیم اکان للناس عجبا ان اوحینا الی رجل منهم ان انذر الناس وبشر الذین آمنوا ان لهم

این آیتهای کتاب با حکمت است آیا باشد مردمان را عجبی که وحی فرستادیم بر مردی از ایشان که بترسان مردمان را و مژده ده آنان را که گرویدند که ایشان راست

قدم صدق عند ربهم قال الکافرون ان هذا لساحر مبین ان ربکم الله الذی خلق السموات والارض فی ستة

سابقه خوب نزد پروردگار ایشان گفتند کافران بدرستیکه این هر آینه ساحریست بزرگ بدرستیکه پروردگار شما خدایست که آفرید آسمانها و زمین را در شش

ایام ثم استوی علی العرش یدبر الامر ما من شفیع الا من بعد اذنه ذلکم الله ربکم فاعبدوه افلا تذکرون الیه

روز پس مستولی شد بر عرش تدبیر میکند کارها را نیست هیچ شفیعی مگر پس از دستوری او آنست خدا پروردگار شما پس بپرستید او را آیا پس پند نمیگیرید بسوی او

مرجعکم جمیعا وعد الله حقا انه یبدؤا الخلق ثم یعیده لیجزی الذین آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذین کفروا

بازگشت شما همه وعده داده است خدا وعده راست بدرستیکه او آغاز میکند آفرینش را پس باز میگرداند او را تا جزا دهد آنان را که گرویدند و کردند کارهای شایسته بعدالت و آنان که کافر شدند

لهم شراب من حمیم وعذاب الیم بما کانوا یکفرون هو الذی جعل الشمس ضیاء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا

مر ایشانراست شربتی از آب جوشان و عذابی دردناک بسبب آنچه بودند که کافر میشدند اوست آنکه گردانید آفتاب را روشنی و ماه را روشن و مقدر کرد او را منزلها تا بدانید

عدد السنین والحساب ما خلق الله ذلک الا بالحق یفصل الآیات لقوم یعلمون ان فی اختلاف اللیل والنهار وما

شمار سالها و حساب را نیافرید خدا آنرا مگر بحق تفصیل میدهد آیتها را برای گروهی که میدانند بدرستیکه در اختلاف شب و روز و آنچه

خلق الله فی السموات والارض لآیات لقوم یتقون ان الذین لا یرجون لقاءنا ورضوا بالحیوة الدنیا واطمأنوا

آفرید خدا در آسمانها و زمین هر آینه آیتهاست برای گروهی که میپرهیزند بدرستیکه آنانکه امید نمیدارند ملاقات ما را و راضی شدند بزندگانی دنیا و آرمیدند

بها والذین هم عن آیاتنا غافلون اولئک مأویهم النار بما کانوا یکسبون ان الذین آمنوا وعملوا الصالحات

بآن و آنانکه ایشان از آیتهای ما بیخبرانند آنها جایگاه ایشان آتش است بسبب آنچه بودند که کسب میکردند بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته

یهدیهم ربهم بایمانهم تجری من تحتهم الانهار فی جنات النعیم دعویهم فیها سبحانک اللهم وتحیتهم فیها

راه مینماید ایشانرا پروردگار ایشان بایمان ایشان نهرها در بهشتهای با نعمت خواندن ایشان در آن سبحانک اللهم است و درود ایشان در آن

سلام وآخر دعویهم ان الحمد لله رب العالمین القراءة الر بالامالة کذلک ما بعده وابو عمرو وخلف وحمزة وعلی والخزاز

سلام است و آخر خواندن ایشان اینکه حمد مر رب العالمین عن هبیرة والبخاری عن ورش ویحیی وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذکوان لساحر

بالالف ابن کثیر وعاصم وحمزة وعلی وخلف الاخرون لسحر حقا انه بالفتح یزید ضیاء بالهمز حیث کان ابن مجاهد وابو عون عن قنبل یفصل

بالیاء ابن کثیر وعمرو وسهل ویعقوب وحفص والمفضل والعجلی الباقون بالنون واظلمها نوا بغیر همز الاصبهانی عن ورش وحمزة فی الوقف

الوقوف الر ٥ الحکیم ط عند ربهم ط مبین ٥ یدبر الامر ط اذنه ط فاعبدوه ط تذکرون ٥ جمیعا ط حقا ط الا لمن قرأ انه بالفتح

بالقسط ط یکفرون ٥ والحساب ط الا بالحق ط لمن قرأ نفصل بالنون ومن قرأ بالیاء امکنه ان یجعل نفصل حالا یعلمون ٥ یتقون ٥ غافلون ٥

لان



لان اولئك جيران بايمانهم ط المحذوف تقديره يهديهم ربهم بايمانهم الى ادراك البقاء مع اتحاد المقصود وتمام الموعود النعيم سلام ط لان الجملتين وان اتفقتا فقد اعترضت جملة معطوفة اخرى لان قوله واخر دعويهم معطوف على دعويهم الاول العالمين التفسير اتفقوا على ان قوله الر ليس باية وعلى ان طه اية ولعل الفرق ان الر لا يشاكل مقاطع الآي التي بعده عن ابن عباس الر معناه انا الله ارى وقيل لا ربي غيري وقيل الر حم اسم الرحمن تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات وفي التبعيد للتعظيم والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتمالها عليها او وصف بصفة من تكلم به ومنه قولهم للقصيدة حكيمة وقيل فعيل بمعنى فاعل لانه يحكم بين الحق والباطل او يحكم بان محمدا صادق لانه القران اظهر معجزاته وابقاها وقيل بمعنى مفعول اي حكم فيه بجميع المامورات والمنهيات وقيل بمعنى المحكم والاحكام المنع من الفساد وذلك انه لا يمحوه الماء ولا يحرقه النار ولا يغيره الدهور ويحتمل ان يقال الكتاب الحكيم هو القران او اللوح المحفوظ او التورية والانجيل لان جميع الكتب الالهية متوافقة في الاصول ويجوز ان يكون تلك اشارة الى ما تقدم هذه السورة من آيات القران واعلم انه سبحانه لما ختم السورة المتقدمة بقوله لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ صدر هذه السورة بتعديد بعض الحروف على طريق التحدي وفي ذلك ان حروف القران من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه وما نقضوه ولما بين بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله حكى على كفار قريش تعجبهم من كونه رسولا فقال أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا نصب على انه خبر كان واسمه أَنْ أَوْحَيْنَا وفائدة اللام في قوله للناس مع تقديمه هي انهم جعلوه لهم اعجوبة يتحدثون بها ثم ان تعجبهم اما ان يكون من جعل البشر رسولا او من تخصيص محمد بالوحي والنبوة فقد روي انهم كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسل الى الناس الا يتيم ابي طالب وكلا الامرين ليس بعجب اما الاول فلان الجنس الى الجنس اميل وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا واما الثاني فلان الفقر واليتم لا يوجب في النبوة قدحا لان الله غني عن العالمين وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى وانما المعتبر في الاستنباء كونه متصفا بالصدق والامانة والتقوى وكان لمحمد في ذلك قبل بعثته اليد الطولى وكان يدعى محمد الامين وان في قوله أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول او مخففة من الثقيلة وقد عملت في ضمير شان مقدر معناه انه اي ان الشان قولنا انذر الناس وقوله بشر الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ اي بان لهم والانذار اخبار مع تخويف والانعام للناس كلهم ولكن البشارة خاصة بالمؤمنين ويحتمل ان يراد بالناس الكفار فقط ويمكن ان يكون تعجبهم عائدا الى الانذار والتبشير وليس ذلك بعجب بل المنكر في العقول تعطيل الاعمال وان يترك الانسان سدى وارسال الرسل امر ما اخلى الله تعالى المكلفين عنه شيئا من الازمنة وبه يتم المالكية والامر والنهي والاذن والمنع والثواب والجزاء وانما قدم الانذار على التبشير لان الانذار تحذير عن فعل ما لا ينبغي والتبشير ترغيب في فعل ما ينبغي والتخلية مقدمة على التحلية ومعنى قَدَمَ صِدْقٍ سابقة وفضل ومنزلة رفيعة اي سبقوا لهم عند الله خير قال احمد بن يحيى القدم كل ما قدمت من خير وقال ابن الانباري كناية عن العمل الذي لا يقع فيه تاخير ولا ابطاء والسبب في اطلاق القدم على السابقة ان السعي والسبق لا يحصل الا بالقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافة القدم الى صدق لاجل المبالغة وللتنبيه على انها من سوابق العظيمة اي القدم التي بصدق ويحق ان يسمى قدما واما عبارات المفسرين فمنهم من قال قدم صدق هي الاعمال الصالحة ومنهم من قال الثواب ومنهم من قال شفاعة محمد اما قوله قَالَ الْكَافِرُونَ فقال القفال فيه اضمار والتقدير فلما انذرهم قالوا ذلك ثم من قرا الساحر بالالف فقوله هذا اشارة الى النبي ومن قرا السحر فهو اشارة الى القران وفيه دليل على عجزهم واعترافهم بانهم قاصرون عن معارضته كالسحر ومن هنا جوز بعضهم ان يكونوا ارادوا به المدح اي انه لكمال فصاحته وتعذر الاتيان بمثله جار مجرى السحر ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور المذكورة وهي الواسطة اراد ان يقيم البرهان عليها وعلى اثبات المعاد وذلك في اثنين متواليتين وقد مر في الاعراف تفسير قوله إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ فلا حاجة الى الاعادة ثم ذكر ما يدل على مزيد عظمته وجلاله وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره فقال يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ وانما فقد العاطف لانها كالتفسير والتفصيل لما دل عليه قوله إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الآية والامر الشان اراد به احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض والعرش والمعنى انه يقضي ويقدر ويقتضي الحكم ويفعل ما يفعله المصيب في افعاله الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي قال الزجاج ان الذين خوطبوا بهذه الاية الكفار كانوا يقولون ان الاصنام شفعاؤنا عند الله فرد الله عليهم بانه ليس لاحد ان يشفع اليه في شيء الا بعد اذنه لانه اعلم بموضع الحكمة والصواب فلا يجوز لهم ان يسئلوه ما لا يعلمون انه صواب وصلاح ففي قوله يُدَبِّرُ الْأَمْرَ اشارة الى استقلاله في التصرف في جانب المبدا وفي قوله مَا مِنْ شَفِيعٍ اشارة الى استقلاله في طرف المعاد ويمكن ان يقال المراد انه خلق العالم على احسن الوجوه واقربها من الاصلح مع انه ما كان هناك شفيع يشفع في تحصيل المصالح فدل ذلك على انه محسن الى عباده مريد للخير والراحة بهم كامل العناية باحوالهم قال ابو مسلم الشفيع معناه الثاني من الشفع الذي يخالف الوتر اي خلق السموات والارض وحده ولا حي معه ولا شريك يعينه ثم خلق الملائكة والثقلين فالمراد انه لم يدخل في الوجود احد الا من بعد ان قال له كن حتى كان وحصل ثم اشار الى الحي المعلوم بالاوصاف المذكورة فقال ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الذي يستاهل منكم العبادة بازاء النعم الجسام

باثبات المبدأ وبين غايتها



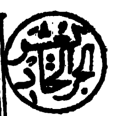
من خلق السموات والارض وما فيهما وعليهما فاعبدوه وحده أفلا تذكرون فيه تنبيه على وجوب الاعتبار والنظر في الدلائل الدالة على عظمته
وجلاله ثم شرع في اثبات المعاد فقال اليه مرجعكم جميعا اي رجوعكم جميعا مجموعين وتقديم الجار والمجرور للاختصاص والمعنى لا ترجعون في
العاقبة الا الى جزائه وحكمه فاستعدوا للقائه ثم اكد ذلك بقوله وعد الله حقا وفيه تأكيد لما مر ثم قال انه يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو
استيناف فيه معنى التعليل كأنه قال ان الذي قدر على الابداء يقدر على الاعادة بالطريق الاولى كقوله وننشئكم فيما لا تعلمون يعني انه سبحانه
لما كان قادرا على انشاء ذواتكم اولا ثم على انشاء اجزائكم حال حيوتكم ثانيا شيئا فشيئا من غير ان تكونوا عالمين بوقت حدوثه وبوقت نموه
وجب القطع بانه لا يمتنع عليه اعادة تلك الاجزاء بعد البلى والتفرق ومن قرأ انه بالفتح فعلى حذف لام التعليل اي لانه او على انه منصوب
بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله وعدا بدء الخلق ثم اعادته ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدء الخلق ثم ذكر
غاية الاعادة وحكمتها فقال ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال المفسرون في الآية اضمار والتقدير انه يبدء الخلق ليأمرهم بالعبادة
ثم يميتهم ثم يعيدهم ليجزي وانما حسن هذا الحذف لتقدم قوله فاعبدوه ولان الاعادة لا تكون الا بعد الاماتة والاعدام وقوله
بالقسط اي بالعدل متعلق بيجزي اي يجزيهم بقسطهم ويوفيهم اجرهم او يجزيهم بقسطهم بما لم يظلموا انفسهم حين آمنوا وعملوا صالحا و
هذا وجه حسن لطباق قوله بما كانوا يكفرون وفي قوله والذين كفروا من غير ان يدخل لام العاقبة في الجملة كما ادخلها في الاولى دليل على انه
خلق الخلق للرحمة لا للعذاب وانما جاء التعذيب لغرض وقوعهم في طريق القهر والحميم الماء الذي اسخن بالنار حتى انتهى حره قالت الاشاعرة في
الآية دلالة على عدم منزلة بين المنزلتين على ما يقول بها المعتزلة واجيب بان عدم الذكر لا يدل على العدم ورد بان الفساق اكثر من اهل الطاعة
فكيف يجوز طي ذكرهم واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول
لا يجب على الله شيء اصلا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية منها انه تعالى خلق الخلق واعطاهم
عقولا وقدرا فيجب في حكمته ان يرغبهم في الخيرات ويزجرهم عن السيئات وهذا الترغيب والزجر لا يمكن الا بربط الثواب على الفعل والعقاب
على الترك هذا في المامورات وبالعكس في المنهيات وذلك الثواب المرغب والعقاب المرهب غير حاصل في الدنيا فلا بد من دار اخرى هي دار
الآخرة ليحصل فيها ذلك والا لزم ان يكون الله تعالى كاذبا في قوله ليجزي الخ فان قيل لم لا يكفي في الترغيب والردع ما اودع الله في العقول
من تحسين الخيرات وتقبيح المنكرات فلا يحتاج الى الوعد والوعيد ولئن سلم فلم لا يجوز ان يكون الغرض من الترغيب والترهيب نظام العالم لانه
يفعل ذلك ولا يلزم منه الكذب على الله الستم تخصصون اكثر عمومات القرآن ثم تزعمون انه لا كذب سلمنا انه يفعل لكن لم لا يجوز ان يكون
الثواب والعقاب هو ما يصل الى الانسان في دار الدنيا من الراحات والآلام فالجواب ان العقل وان كان يدعو الى فعل الخير وترك الشر الا
ان الهوى والنفس يدعوان الى الانهماك في الشهوات الجسمانية واذا حصل هذا التعارض فلا بد من مرجح وما ذاك الا ترتيب الوعد والوعيد
على الاعمال وتجويز الخلف في ذلك مناف للغرض واخذ الاجرة انما يكون بعد الفراغ من العمل والعبد ما دام في الدنيا فهو في العمل فقد
ترى ازهد الناس واعلمهم مبتلى بالآفات والبليات وافسقهم واجهلهم في اتم اللذات والمسرات ومنها ان صريح العقل يوجب في حكمة
الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والظالم والمظلوم الا ان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن آمن به واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا كما
قيل كم عالم عالم اعيت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا فلا بد من دار اخرى يظهر فيها التفاوت ومنها انه كلف عبيده بان يعبدوه
والحكيم اذا امر عبده بشيء فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات
والتبادر الى تحصيل اسباب الراحات فلو لم يكن لهم زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ المكلف لاداء ما امر به فان قيل
لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا
ولا خوف له من المعاد فحينئذ يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الآخرة ومنها انه تعالى
خلق هذا العالم وخلق فيه الناس والعبث لا يليق بالحكيم الرحيم فوجب ان يقال انه خلقهم لمقصود ومصلحة وخير وليس ذلك في الدنيا لان
لذات هذا العالم جسمانية لا حقيقة لها الا ازالة الالم وازالة الالم امر عدمي وكان هذا حاصلا قبل الوجود فلا يبقى للتخليق فائدة وايضا ان لذات الدنيا
مشوبة بالآلام بل اللذة في الدنيا كالقطرة من البحر فعلمنا ان للراحة دار اخرى فان قيل اليس انه يعذب اهل النار لا لمصلحة وفائدة لهم
قلنا الفرق ان ذلك الالم استحقوه على اعمالهم وهذا الالم الحاصل في الدنيا غير مستحق فوجب ان يعقبه خيرات عظيمة والا فينافي كونه ارحم
الراحمين واكرم الاكرمين ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسية لان الروث
في مذاق الجعل كاللوزينج في فم الانسان والانسان يزيد عليها بعقل هو سبب تألمه وتاذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في الاحوال الماضية
فيتاسف ويتامل في الاحوال الآتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سبب شقائه وخسته دون
شرفه ومرتبته ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالآفات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا بالمرتبة الاولى
وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرأفة والحكمة فهناك ينعم على المطيعين ويعفو عن المذنبين ويزيل

والثالثة الالم

العموم

النوم والهموم والآفات والمخافات ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائماً في الترقي من حين كونه جنيناً في بطن امه الا ان يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والشد الوثيق في المهد الى تناول الاطعمة اللذيذة والمشي والعدو والى ان يصير اميراً نافذ الحكم على الخلق او عالماً مشرفاً على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف وابهى من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها طريقة الاحتياط فانا اذا آمنا بالمعاد وتاهبنا له فان كان هذا المذهب حقاً فقد نجونا وهلك المنكر وان كان باطلاً لم يضرنا هذا الاعتقاد غايته ذلك فوات بعض اللذات الزائلة المشوبة بالمنغصات ومنها ان احوال الانسان من صباه الى هرمه شبيهاً بحال الارض من الربيع الى الشتاء ثم انا نرى الارض في الربيع الثاني يعود الى تلك الحيوة فلم لا يعقل مثل ذلك في الانسان ومنها ان الانسان انما يتولد من نطفة تولدت من الاغذية الكائنة من الاجزاء العنصرية المتفرقة في مشارق الارض ومغاربها فاذا مات وتفرقت تلك الاجزاء فكيف يمتنع ان يجتمع مرة اخرى على مثال الاجتماع الاول ومنها ان النظر في تغيرات العالم ادى الى اثبات صانع حكيم قادر قاهر والعقل يحكم بان هذا الحكيم لا يليق به ان يترك عبيده مهملاً يكذبون عليه ويجوزون فلا بد من ان يكون له امر ونهي ووعد ووعيد من غير تجويز خلف فيهما كما مر ولا يتحقق جميع ذلك الا في دار الجزاء واما الفريق الآخر الذين لا يعللون افعال الله تعالى برعاية المصالح فانهم يقولون المعاد امر جائز الوجود لان تعلق النفس بالبدن لما كان في المرة الاولى جائزاً فالمرة الثانية ايضاً جائزة ثم ان اله العالم قادر مختار عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات فلا يعجزه تمييز اجزاء بدن زيد وان اختلطت باجزاء التراب والبحار عن اجزاء بدن عمرو واذا ثبت هذا الامكان وقد دل الدليل على صدق الانبياء وعلى ان القرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم انهم قطعوا بوقوع هذا الممكن والقرآن مشحون بآيات البعث والجزاء فوجب علينا القطع بالمعاد الجسماني اما شبهة المنكرين فمن ذلك انهم قالوا الدار الآخرة ان كانت شراً من هذه فالتبديل سفه وان كانت مثلها فعبث وان كانت خيراً منها فاما ان يقال انه قادر على خلق ذلك الاجود اولاً ثم تركه وفعل الارذل فذلك سفه او يقال انه ما كان قادراً ثم حدثت له القدرة فذلك انتقال من العجز الى القدرة ومن الجهل الى الحكمة فهو محال على القديم والجواب ان كلاً من الدارين خير في وقتها فالاولى لتحصيل الكمالات النفسانية الممكنة للنوع الانساني من قبيل العلم والعمل والاخرى للرحمة والجزاء ومن ذلك انهم قالوا حركات الافلاك مستديرة والمستديرة لا ضد له وما لا ضد له لا يقبل الفساد والجواب ما ذكرنا في كتبنا الحكمية من ان كل جسم مركب وكل مركب ينحل لا محالة ولئن سلمنا انها ازلية لكنها غير ازلية لان الحركة عبارة عن الانتقال من حال الى حال وهذه الهيئة تقتضي المسبوقية بالغير فكان الجمع بين الازل والحركة محالاً ولئن سلم ان الحركة ازلية فلم لا يجوز ان يكون بعض اوضاع الافلاك مقتضياً لاعادة المعدومات من الاشخاص الانسانية ومن ذلك انهم قالوا الانسان عبارة عن هذا البدن ذي الاجزاء لا كيف كانت بل بشرط وقوعها على تاليف مخصوص لان اجزاء البدن كانت موجودة قبل هذا الانسان والموجود مغاير للمعدوم فاذا مات الانسان وتفرقت اجزاؤه فقد عدمت تلك الصورة والاعراض وعود المعدوم محال واجيب بان الانسان ليس عبارة عن هذا الجسد وانما هو النفس سواء كانت جوهراً مجرداً مفارقاً او جسماً مخصوصاً لطيفاً باقياً في جميع احوال البدن من الصبى الى الهرم مصوناً عن التحلل والتبدل وهو الذي يسميه المتكلمون بالاجزاء الاصلية ومن ذلك انهم قالوا اذا قتل الانسان واغتذى به انسان آخر لزم ان يعاد تلك الاجزاء في بدن كل واحد من الشخصين وذلك محال واجيب بعين ما مر وهي ان الاجزاء الاصلية لا تصير جزء من انسان آخر فهذه خلاصة ما وصل اليه العقول من امر المعاد والله تعالى اعلم بحقائق الامور ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هو الذي جعل الشمس ضياء وهو اجوف واوي همزة اللام قلبت واوه ياء لكسرة ما قبلها ومن قرا بهمزتين بينهما الف فمحمول على القلب لانه اذا قدم اللام على العين وقع حرف العلة على الطرف فانقلبت همزة كما في كساء وهو اما ان يكون جمع ضوء كحوض وحياض او مصدر ضاء يضوء مثل قام قياماً وصام صياماً ولا بد من تقدير مضاف اي جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذا نور الا ان يحمل على المبالغة فجعل نفس الضياء والنور كما يقال للرجل الكريم انه كرم وجود والضياء اقوى من النور ولا خلاف بين العقلاء ان ضوء الشمس كيفية قائمة بها لذاتها واما نور القمر فقد ذهب جمهور الحكماء الى انه مستفاد من الشمس وبذلك يقع اختلاف احواله من الهلالية الى البدرية كما بينا في تفسير قوله تعالى يسئلونك عن الاهلة وقدره منازل قال في الكشاف اي قدر مسيره منازل او قدره ذا منازل والمنزل القمر المسافة التي يقطعها في يوم وليلة بحركته الخاصة به وجملتها ثمانية وعشرون واساميها مشهورة الشرطين الثريا البطين آه وهي كواكب ثابتة معروفة عندهم جعلوها علامات المنازل فنزل القمر كل ليلة نازلاً بقرب احدها وذلك انهم قسموا دور الفلك وهو اثنا عشر برجاً على ثمانية وعشرين عدد ايام دور القمر فاصاب كل برج منزلان وثلث فسموا كل منزل بالعلامة التي وقعت فيه للتسمية بهذا الاسم وذكر بعض منافعها العائدة على المكلفين فقال لتعلموا عدد السنين والحساب بحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي وقد ذكرنا السنة الشمسية والسنة القمرية وكيفية دورانهما في الاخرى في تفسير قوله تعالى ان عدة الشهور والاية فلا حاجة الى التكرار ثم اشار الى سائر منافعها وخواصها بقوله ما خلق الله ذلك الا

الهيئة د بالحالة المنتقل عنها والازلية تنافي المسبوقية



الا متلبسا بالحق والصواب دون الباطل والعبث فالشمس سلطان النهار والقمر خليفتها بالليل وبحركة الشمس ينفصل السنة الى الاربعة وبالفصول ينتظم مصالح هذا العالم ويتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر يحصل الشهور وباختلاف حالة في زيادة النور ونقصانه يختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي يرشد اليها التامل والتدبر ولهذا قال يفصل الآيات لقوم يعلمون لانهم هم الذين ينتفعون بهذه الدلائل وقيل المراد بالعلم ههنا العقل الذي يعم الكل ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار وقد مر تفسيره في سورة البقرة في قوله إن في خلق السموات والأرض الآية ومعنى قوله وما خلق الله في السموات والأرض كقوله وما خلق من شيء وقد مر في اخر الاعراف وانما خص كونها آيات بالمتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى التدبر والنظر قال القفال من تدبر في هذه الاحوال علم ان الدنيا مخلوقة لبقاء الناس وان خالقها وخالقهم ما اهملهم بل جعلها لهم دار عمل واذا كان كذلك فلا بد من امر ونهي ثم من ثواب وعقاب ليتميز المحسن عن المسيء فهذه الاحوال في الحقيقة دالة على صحة القول بالمبدأ والمعاد ثم شرع في شرح احوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال إن الذين لا يرجون لقاءنا عن ابن عباس ومقاتل والكلبي معناه لا يخافون البعث كقوله وهم من الساعة مشفقون واستبعد الاكثرون تفسير الرجاء بالخوف فقالوا انه بمعنى الطمع اي لا يطمعون في حسن لقائه كما يامله السعداء او لا يتوقعونه اصلا لانهم لا يؤمنون بالمعاد فهم ذاهلون عن طلب اللذات الحقيقية فارغون عن التوجه نحو السعادات الباقية ورضوا مع ذلك بالحيوة الدنيا الحسية الخسيسة واطمانوا بها سكنوا اليها سكون العاشق الى معشوقه وهذه غاية الانهماك والاستغراق في اللذات الجسمانية والذين هم عن آياتنا غافلون فلا يعتبرون بالآيات ولا ينظرون في الدلائل الموصلة الى حقيقة المبدأ والمعاد فلم يقبلوها بالتقليد ولم ينظروا اليها بعين الاجتهاد أولئك مأواهم النار وفيه معنى الجزاء ولذلك تعلق به قوله بما كانوا يكسبون وفيه ان الاعمال السابقة هي المؤثرة في حصول العذاب الجسماني وهو النار المحسوس والعذاب الروحاني وهو نار البعد من المالوفات والقطيعة من السعادة الباقيات فيكون مثاله مثال من اخرج من مجالسة معشوقه فالقي في بئر ظلمانية لا انيس بها ولا مونس بل يكون فيها انواع الموذيات واصناف الموحشات نعوذ بالله من تلك الحالات هذا حال من لا يؤمن بالمعاد فلا يعمل له واما حال الذي يؤمن به فذلك قوله إن الذين آمنوا استكملوا من جهة القوة النظرية وعملوا الصالحات استكملوا من قبل القوة العملية او صدقوا بقولهم ثم حققوا التصديق بالعمل الصالح الذي جاءت به الانبياء والكتب من عند الله او اشتغلوا قلوبهم وارواحهم بتحصيل المعرفة ثم جوارحهم بالخدمة حتى تكون عيونهم مشغولة بالاعتبار وآذانهم باستماع كلام الله والسنتهم بذكر الله وسائر اعضائهم بطاعة الله تعالى يهديهم ربهم بإيمانهم قال اكثر المفسرين معناه يهديهم الى الجنة ثوابا لهم على ايمانهم واعمالهم الصالحة ومعنى قوله بإيمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهذا التفسير يوافق قوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ولقوله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله الصالح في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق به الى النار وقيل معنى الآية ان ايمانهم يهديهم الى خواص من الالطاف ولوامع من الانوار بحيث يزول بواسطتها عنهم الشكوك والشبهات فتؤدي الى حصول المثوبات ولذلك جعل تجري من تحتهم الأنهار بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها فهذه الهداية عبارة عن الفوائد الزوائد الحاصلة في الدنيا بعد الايمان قال القفال فعلى هذا الوجه كان المعنى يهديهم ربهم بايمانهم ويجري من تحتهم الانهار الا انه حذف الواو وجعل قوله تجري خبرا مستانفا منقطعا عما قبله والتحقيق في تقرير هذا الوجه ان العلم نور والجهل ظلمة والروح كاللوح والعلوم والمعارف كالنقوش ولكن حالها بالضد من النقوش الجسمانية تكدر اللوح وتولد النقوش المعنوية وتكاثرها يزيد اللوح الروح لمعانا واشراقا حتى انه يقوى بها على تحصيل المعارف الباقية بسهولة فليس فهم الرجل المنتهي للعلوم والحقائق كفهم المبتدي فالانسان اذا آمن بالله فقد اشرق روحه بنور المعرفة واذا واظب على الاعمال الصالحة حصلت له ملكة التوجه الى الآخرة والاعراض عن الدنيا ولا يزال تتزايد اشراقات هذه المعارف والملكات فيرتقي في معارجها لحظة فلحظة ولما كان لا نهاية لمراتب المعارف والانوار العقلية فلا نهاية لمراتب هذه الهداية وفي قوله يهديهم ربهم بإيمانهم دليل لمن قال ان العلم بالمقدمتين لا يوجب العلم بالنتيجة ولكنهما تعدان الذهن لحصول الفيض من الجواد المطلق ومعنى تجري من تحتهم الأنهار انهم يكونون في البساتين على مواضع مرتفعة كالسرر والارائك والانهار تجري من بين ايديهم دعواهم فيها قال بعض المفسرين اي دعاؤهم ونداؤهم كما يدعو القانت بقوله اللهم اياك نعبد وقيل الدعاء العبادة كقوله وقال ربكم ادعوني وما تدعون من دون الله وانما يكون هذه عبادتهم لا على سبيل التكليف بل على سبيل الالهام والعادة تابتهاجا بذكر الله وقيل الادعاء بين المتخاصمين والمعنى ان اهل الجنة يدعون في الدنيا والآخرة تنزيه الله من المعايب والاقرار له بالالهية قال القفال اصله من الدعاء لان الخصم يدعو خصمه الى من يحكم بينهما وقيل اي طريقتهم وسيرتهم وذلك لان المدعي للشيء مواظب عليه فيمكن ان يجعل الدعوى كناية عن الملازمة وان لم يكن في قولهم سبحانك اللهم دعاء ولا دعوى وقيل ان تمنيهم كقوله ولهم ما يدعون اي ما يتمنونه ويقول العرب ادع علي ما شئت اي تمن فكان تمنيهم في الجنة ليس الا التسبيح لله وتقديسه لقد كانوا في الدنيا يدعون الحروب من يسكنون اليه ويستنصرونه فيقولون

فانه يزاحم النقوش الجسمانية نسخه

يا الفلان فاخبر الله تعالى عنهم ان انسهم في الجنة بذكر الله وسكونهم بتحميده وتحيتهم فيها سلام اى يحيى بعضهم بعضا بالسلام وقيل هى تحية الله والملائكة
اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وآخر دعواهم ان الحمد لله اى ان المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشأن نقل اهل الظاهر من
المفسرين في سبب تخصيص هذه الاذكار باهل الجنة ان قوله وقوله سبحانك اللهم علم بين اهل الجنة وخدامهم اذا سمعوا ذلك منهم ثم الحمد لله
رب العالمين وقال القاضي انه وعد المتقين بالثواب العظيم فاذا دخل اهل الجنة الجنة ووجدوا تلك المواعيد قالوا سبحانك اللهم اى تنزيها لك
عن الخلف في الوعد وقيل الهم الله بنى آدم في الجنة بعد انقراض الدنيا ما افتخر به الملائكة قبلهم في قولهم ونحن نسبح بحمدك ويمكن ان يقال ان
لكل انسان معراجا بحسب قوته فاذا وصل العارف الصادق الى صفات جلال الله تعالى قال سبحانك واذا ارتقى منها الى الذات قال
اللهم فاذا عجز عن ذلك المضمار واحترق في اوائل تلك الانوار رجع من عالم الجلال الى عالم الاكرام فافاض الخير على جميع المخلصين ويدفع المخاوف
والمكاره عنهم بكل ما امكنه وذلك قوله وتحيتهم فيها سلام ثم اذا شاهدوا اثر نعمة الله عليهم بالاستفاضة والافاضة اختتموا الكلام
بقولهم الحمد لله رب العالمين على هدايته وادراجهم في العروج والنزول ما داموا في الدنيا فيكون ذلك حالهم في العقبى لقوله كما تعيشون
تموتون وكما تموتون تبعثون كذا في التأويلات النجمية وفيه اشارة ان احدهما من الحق للخلق الى حبيبه محمد كانه قال بالائى عليك في الازل وانت في
العدم وبلطفى عليك في الوجود وبرحمتى ورافتى لك من الازل الى الابد والثانية من الحق لنبيه عليه السلام يقول بانسك معى حين خلقتك وحدك
ولم يكن ثالث وبلبيك الذى اجبتنى به حين دعوتك للخروج من العدم فقلت ياسين اى يا سيد فقلت لبيك وسعديك والخير كله بيديك
وبرجوعك منك الى حين قلت لنفسك بجذبة ارجعى الى ربك تلك اى هذه الآيات المنزلة عليك آيات الكتاب الحكيم الذى وعدتك في
الازل واشرك الامتنان في الحاكم على الكتب كلها فلا ينسخه كتاب وهو ينسخ الشرائع والاحكام والكتب كلها الى رجل منهم لما راى فيه وجود
قبول الوحى دون غيره ويحتمل ان يكون معنى انذر الناس بلغ الناس عهد الله قدم صدق محمد لانه اول من خرج من العدم الى الوجود وهو العناية الازلية
سبقت رحمتى غضبى لساحر مبين صدقوا في انهم مسحورون الا انه سحرهم سحرة صفات فرعون النفس ان ربكم الذى هو الذى خلق
السموات سموات ارواحكم وارض نفوسكم من ستة انواع هى الروح والقلب والعقل والنفس الحيوانية والنفس النباتية والصورة المعدنية ثم
استوى على عرش القلب يدبر الامر السعادة والشقاوة يقلبه كيف يشاء اليه مرجعكم جميعا فرجعوا مقبولين بجذبات العناية التى
صورتها خطاب ارجعى الى ربك وحقيقتها الجذبات القلبية الى الله ونتيجتها عزوف النفس عن الدنيا واستواء الذهب والمدر عندها ورجوع
المردودين بغير الاختيار بالسلاسل والاغلال ومن نتايجه تعلقات الدنيا واستيلاء صفات النفس والقسط اى لكل بحسب كماله
ونقصانه جعل شمس الروح ضياء يستنير بها قمر القلب اذا وقع في مواجهتها واذا وقع في مقابلة ارض النفس انكسف ولهذا سمى قلبا لتقلب
احواله بين الروح والنفس وتلك الاحوال هى منازله ومقاماته لتعلموا عدد سنين المقامات وحساب الكشوف والمشاهدات ان في
اختلاف ليل صفات البشرية ونهار صفات الروحانية وما خلق الله في سموات الروحانية وارض البشرية من الاوصاف والاخلاق
وتبدل الاحوال لآيات دالة على التوحيد لقوم يتقون الاخلاق الذميمة والذين هم عن آياتنا غافلون وان لم يركنوا الى الدنيا وتمتعاتها
كالرهابين والبراهمة ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في
بعض الفلاسفة والله تعالى اعلم
طغيانهم يعمهون وإذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر
مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما
كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم
آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ان
اتبع الا ما يوحى الى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد
لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون
من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات



وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ

ونه در زمین منزه است او و برتر است از آنچه شریک میدانند ۝ و نبودند مردمان مگر امت واحد پس اختلاف کردند و اگر نبودی کلمه که پیشی یافته است از پروردگار تو هر آینه

بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ

میان ایشان در آنچه در آن اختلاف میکردند ۝ و میگویند چرا فرستاده نشد بر او آیتی از پروردگارش پس بگو جز این نیست که غیب مر خدا راست پس منتظر باشید بدرستیکه من با شما از منتظرانم

القراءة لقضي إليهم مبنيا للفاعل اجلهم بالنصب ابن عامر ويعقوب الآخرون مبنيا للمفعول ورفع اجلهم او بدله بضم اللام وسكون

الهاء روى خلف عن الكسائي والاختيار عنده وعن غيره الاشمام الى ان يفتح الياء وكذلك في الخاف ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو نفيه

ان يفتح الياء وابو عمرو وابو جعفر ونافع لادريكم بلام الابتداء فعلا ماضيا مثبتا روى ابو ربيعه عن البزي وحمزه وعلي وابو عمرو وخلف

وورش من طريق البخاري والخزاز عن هبيرة وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وحماد ويحيي طريق ابي حمدون بالامالة فعلا ماضيا

منفيا بلا الباقون مثله ولكن بالتفخيم تشركون بتاء الخطاب وكذلك في النحل والروم حمزه وعلي وخلف الباقون بالياء الوقوف اجلهم

لان ما بعده مستقبل اي فنحن نذرهم يعمهون او قائما ط مسه ط يعملون ظلموا لا لان الواو للحال ليؤمنوا ط المجرمين يعملون بينات

لان ما بعده جواب اذا او بدله ط نفسي ج ط لان ان النافية لها صدر الكلام ولكن القائل متحد الي ط ج كمثل ما قلنا عظيم ط به الوصل

اولى للفاء اولشدة اتصال المعنى من قبله ط تعقلون بآياته ط المجرمون عند الله ط في الارض ط يشركون فاختلفوا ط يختلفون من ربه ج

للابتداء بالامر مع الفاء فانتظروا ج لاحتمال الابتداء او التعليل المنتظرين التفسير انه سبحانه ابتداء في هذه السورة بذكر الشبهات

القوم فالاولى انهم تعجبوا من تخصيص الله محمدا صلعم بالنبوة فازال ذلك التعجب بالانكار وبالدلائل الدالة على صحة المبدأ والمعاد

فكانه قيل انه ما جاء الا بدليل التوحيد والاقرار بالمعاد فليس للتعجب معنى ثم شرع في شبهة اخرى وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان

محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فاجابهم بقوله ولو يعجل الله الآية وقال القاضي لما ذكر الوعيد على عدم الايمان بالمبدأ والمعاد

ذكر ان ذلك العذاب من حقه ان يتأخر عن هذه الحيوة الدنيا والا لنافى التكليف وقال القفال لما وصفهم فيما مر بالغفلة اكد ذلك بان

من غاية غفلتهم ان الرسول متى انذرهم استعجلوا العذاب فبين الله تعالى انه لا مصلحة في تعجيل ايصال الشر اليهم فلعلهم يؤمنون او يخرج

من اصلابهم من يؤمن كانوا عند نزول الشدائد يدعون الله بكشفها كما يجيء في الآية التالية وفي الرخاء كانوا يستعجلون النبي بالعذاب

فقال ما معناه ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لاميتوا واهلكوا قال في الكشاف اصل الكلام ولو يعجل الله للناس

الشر تعجيله لهم بالخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل منه لهم وقيل التعجيل

معناه طلب العجلة الا ان الاستعجال اشهر واظهر فمعنى الآية لو اراد الله عجل الشر للناس كما ارادوا عجلة الخير لهم وقيل هما مثلا زمان فكل معجل

يلزمه الاستعجال الا انه تعالى وصف نفسه بتكوين العجلة ووصفهم بطلبها لان اللائق به التكوين واللائق بهم الطلب وسمى العذاب في الآية

شرا لانه اذى والم في حق المعاقب به ثم ان قوله ولو يعجل كان متضمنا المعنى نفي التعجيل فيمكن ان يكون قوله فنذرهم معطوفا على منوي كانه قيل

ولكن لا يعجل فنذرهم الزاما للحجة او لمصالح اخرى ثم بين انهم كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ما طلبوه اظهروا العجز والطيش فقال واذا

مس الانسان الضر اي هذا الجنس دعانا لجنبه اللام في معنى الوقت كقولك جئته لشهر كذا وان شئت قلت في موضع الحال لان الظرف

والحال متآخيان فيصح عطف احدهما على الآخر وتأويل احدهما بالآخر دعانا مضطجعا او قاعدا او قائما او وقت اضطجاعه وقعوده وقيامه

والمراد انه يدعو الله في جميع احواله لا يفتر عن الدعاء ثم ان خص الضر بالمرض احتمل ان يراد انه يدعو الله حين كان مضطجعا غير قادر على

القعود او قاعدا غير قادر على القيام او قائما لا يطيق المشي والمضطر اليه ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها ويراد ان من المضرورين

من هو اسوء حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يصبرون على الضراء قال

بعض المفسرين الانسان ههنا هو الكافر ومنهم من بالغ فقال كل موضع في القرآن ورد فيه ذكر الانسان فالمراد به الكافر وهذا شبه تحكم

لورود مثل قوله تعالى هل اتى على الانسان الا ان يساعده نقل صحيح والاصح عند العلماء العموم لان الانسان خلق ضعيفا لا يصبر على

اللأواء ولا يشكر عند النعماء الا من عصمه الله وقليل ما هم وهم الذين نظرهم في جميع الاحوال على المقدر الموجل للامور حسب ارادته

ومشيته فلا جرم ان اصابتهم السراء شكروا واصابتهم الضراء صبروا فافنوا ارادتهم في ارادته ورضوا بقضائه قال الزجاج في الآية تقديم

وتأخير والتقدير واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما وضعف بان تعديد احوال الدعاء ابلغ من تعديد احوال الضر لانه

اذا كان داعيا على الدوام ثم نسي ذلك في وقت الرخاء كان اعجب فلما كشفنا عنه ضره مر اي مضى على طريقته التي كان عليها قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الدعاء و

التضرع لا يرجع اليه معنى كان لم يدعنا كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين ما كانوا يعملون

من تتبع الشهوات والمزين هو الله تعالى او النفس او الشيطان تفرع على مسئلة الجبر والقدر وقد مر مرارا قال العلماء سمي الكافر مسرفا لانه

انفق ماله من الاستعداد الشريف من القوى البدنية والاموال النفيسة في الامور الخسيسة الزائلة من الاصنام التي هي احقر من لا شيء

ومن الشهوات الفانية التي لا اصل لها ولا دوام والمسرف في اللغة هو الذي ينفق المال الكثير لاجل الغرض الخسيس فصح ما قلنا ثم ذكر ما يجري
مجرى الردع والزجر لهم عن اقتفاء السبيل الا غاليط فقال ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ وقد مضى تفسير القرن في اول الانعام ولما ظرف لاهلكنا والواو
في وجاءتهم للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم ﴿رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالدلائل والحجج على صدقهم وهي المعجزات وقوله ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ اما ان يكون
عطفا على ظلموا او يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي وان الله قد علم منهم انهم يصرون على الكفر والسبب في اهلاكهم تكذيب الرسل وعلم الله
باصرارهم ﴿كَذَلِكَ﴾ اي مثل ذلك الجزاء وهو الاستيصال الكلي ﴿نَجْزِي﴾ كل ﴿مُجْرِمٍ﴾ وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم رسول الله ثم خاطب
الذين بعث اليهم رسول الله بقوله ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ﴾ اي استخلفناكم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بعد تلك القرون ﴿لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ خيرا او شرا استعير
النظر للعلم الحقيقي الذي لا يتطرق اليه شك ويعني به العلم الذي يتعلق به الجزاء كما مر في الاعراف قال قتادة صدق الله ربنا ما جعلنا خلفاء الا
لينظر الى اعمالنا فاروا الله من اعمالكم خيرا بالليل والنهار ثم حكى نوعا ثالثا من شبهاتهم فقال ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا﴾ اي لا يؤمنون بالمعاد لان كل من كان مؤمنا بالمعاد فانه يرجو ثواب الله ويخاف عقابه وانتفاء اللازم دليل انتفاء الملزوم طلبوا
من الرسول احد امرين اما الاتيان ﴿بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا﴾ القرآن مع بقاء هذا القرآن على حاله واما تبديل هذا القرآن بنسخ بعض الآيات ووضع
اخرى مكانها فامر الله تعالى ان يقول في جوابهم ﴿مَا يَكُونُ لِي﴾ اي ما ينبغي وما يحل ﴿أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ من قبل نفسي فنفى عن نفسه احد القسمين
الذي هو اسهل واقل ليلزم منه نفي الاصعب الاكثر بالطريق الاولى ثم اكد الجواب بقوله ﴿إِنْ أَتَّبِعُ﴾ اي ما اتبع ﴿إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ان نسخت آية تبعت
النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وقد تمسك بهذا نفاة القياس ونفاة جواز الاجتهاد واجيب بان رجوعهما ايضا الى الوحي ونقل
عن ابن عباس ان قوله ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ منسوخ بقوله ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وضعف
بان النسخ انما يكون في الاحكام والتعبدات لا في ترتيب العقاب على المعصية قال المفسرون هذا الالتماس منهم يحتمل ان يكون على سبيل السخرية
فقد روى مقاتل والكلبي انهم خمسة نفر من مشركي مكة وهم المستهزؤن في قوله ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ ويحتمل ان يكون على سبيل التجربة والامتحان
حتى انه ان فعل ذلك علموا انه كاذب وارادوا ان هذا القرآن مشتمل على ذم آلهتهم فطلبوا قرآنا آخر لا يكون كذلك ثم اكد كون هذا القرآن من
عند الله سبحانه وانه غير مستند في ايراده فقال ﴿لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ﴾ ولا اعلمكم الله به على لساني ومن قرأ بلام الابتداء
فمعناه ما تلوته انا عليكم ولاخبركم الله به على لسان غيري ﴿وَلَٰكِنَّهُ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فرآني اهلا بذلك دون غيري وقرئ ولا ادرأتكم به بالهمزة
ووجهه ان يكون الهمزة مقلوبة من الالف ويكون من الدرء الدفع ومعنى ادرأته جعلته داريا اي لو اجعلكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال
وتكذبونني ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ اي بعضا معتبرا من العمر وهو اربعون ﴿مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فيه قدح في صحة عقولهم لان ظهور مثل
هذا الكتاب العظيم المشتمل على علوم الاولين والآخرين المعجز للثقلين عن معارضته على من عرفوا حاله من عدم التعلم والمدارسة ومخالطة العلماء
اذا شك فيه انه من قبيل الوحي والمدد السماوي كان ذلك انكارا للضروريات وافتراء على الله فلهذا قال ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
الآية وفيه ان هذا القرآن لو لم يكن من عند الله ثم نسبه الرسول الى الله لم يكن احد اظلم منه ثم قبح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم
من الالتماس فقال ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ ان لم يعبدوه ﴿وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ ان عبدوه ومن حق المعبود ان يكون مثيبا معاقبا وفيه
اشعار بانها جماد والمعبود لا بد ان يكون اكمل من العابد اذا كانت المنافع والمضار كلها من الله فلا يليق العبادة الا به ﴿وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِندَ اللَّهِ﴾ قد ذكرنا وجه ذلك في اوائل سورة البقرة في قوله ﴿وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ثم انكر عليهم معتقدهم بقوله ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ
بِمَا لَا يَعْلَمُ﴾ والمراد انه لا وجود لكونهم شفعاء اذ لو كان موجودا لكان معلوما للعالم بالذات المحيط بجميع المعلومات وهذا مجاز مشهور
يقول ما علم الله ذلك مني والمقصود انه ما وجد منك ذلك قط وفي قوله ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ تاكيد آخر لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو
منتف معدوم قوله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ اما ان يكون من تمام ما امر النبي ان يقول لهم او ابتداء كلام من الله تعالى نزه بها
نفسه عن اشراكهم وعن الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب او البشر كلهم كانوا على
على الدين الحق فاختلفوا وقد مر تفسير مثله في سورة البقرة في قوله ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ والمقصود هنا تقبيح صورة الشرك و
عبادة الاصنام من دون الله في اعينهم وتنفير طباعهم عن مثل هذا الامر المستحدث الفظيع ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾ من انباء امر الثواب
والعقاب على التكليف لا على الالجاء والقسر ومن تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة او من قوله سبقت رحمتي غضبي ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ عاجلا وليتميز المحق
من المبطل ثم ذكر نوعا رابعا من اغاليطهم فقال ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ وقد مر تفسيره في الانعام في قوله ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ
مِّن رَّبِّهِ﴾ كانهم لم يعتدوا بالقرآن آية فاقترحوا غيره تعنتا ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ هو المختص بعلمه ﴿فَانتَظِرُوا﴾ نزول ما اقترحتموه هذا امر فيه تهديد
ووعيد والله ورسوله اعلم ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا
يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا﴾



ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين

فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم

بما كنتم تعملون انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما ياكل الناس والانعام

حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا او نهارا فجعلناها حصيدا

كان لم تغن بالامس كذلك نفصل الايات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط

مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون و

الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل

مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا

بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك

بیان شان وگفت انبازان شان آنچه بودید ما را می پرستیدند پس کافیست خدا گواه میان ما و شما که بودیم از پرستیدن شما هر آینه بیخبران آنجا

تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون القراءة يمكرون بياء الغيبة سهل

وروح الباقون بالتاء الفوقانية ينشركم بالنون ابن عامر ويزيد الباقون يسيركم من التسيير متاع بالنصب حفص والمفضل الباقون بالرفع قطعا بسكون الطاء ابن كثير وعلي وسهل ويعقوب الاخرون بفتحها تتلوا بتائين من التلاوة حمزة وعلي وخلف وروح وروى عن عاصم نبلو بالنون ثم الباء الموحدة كل نفس بالنصب الباقون بتاء التانيث كل بالرفع الوقوف اياتنا ط مكرا ط تمكرون ٥ والبحر ط في الفلك ج ط للعدل مع ان جواب اذا منتظر احيط بهم ط لان قوله دعوا بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو متلبس به وان جعل دعوا جوابا عن سؤال سائل فما صنعوا كان للوقف حيز الدين ج لاحتمال اضمار القول وجعل الدعاء في معنى القول الشاكرين بغير الحق ط على انفسكم ط الا لمن جعله متعلقا ببغيكم تعملون ٥ والانعام ط عليها ج لان ما بعده جواب اذا ما لا امرنا ط يتفكرون ٥ السلام مستقيم ٥ وزيادة ط ولا ذلة ط الجنة ج ط خالدون ٥ بمثلها ط لا لان قوله وترهقهم معطوف على محذوف اي يلزمهم جزاء سيئة وترهقهم ذلة عاصم ج ط لان الكاف لا يتعلق بعاصم مع تعلقها بذلة قبله معنى لان رهق الذلة سواد الوجه المعبر عنه بقوله كانما مظلما ط اصحاب النار ج ط خالدون ٥ شركاؤكم ج ط للعدول مع فاء التعقيب بينهم ٥ تعبدون ٥ لغافلين ٥ يفترون ٥ نصف الجزء التفسير لما بين في الاية المتقدمة انهم يطلبون الايات الزائدة عنادا ومكرا ولجاجا اكد ذلك بقوله واذا اذقنا روي انه سبحانه سلط القحط على اهل مكة سبع سنين ثم رحمهم وانزل الامطار النافعة ثم انهم اضافوا تلك المنافع الى الاصنام وقيل نسبوها الى الانواء فقابلوا نعم الله بالكفران فذلك مكرهم وهو احتيالهم في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من القاء شبهة او تخليط في المناظرة وفي تخصيص الاذاقة بجانب الرحمة دليل على ان كثيرا من الرحمة قليل بالنسبة الى رحمته الواسعة وعلى ان الانسان لغاية ضعف الفطرة لا يطيق ادنى الراحة كما انه لا يطيق ادنى الالم الذي يمسه قال في الكشاف معنى مستهم خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم هذا ايضا من جملة الضعف لانه نسي ما عهد من الضر الشديد اذا الثانية للمفاجاة وقعت مقام الفاء في جواب الشرط كما مر في قوله اذا هم يقنطون وفائدتها ان يعلم انهم فاجاوا وقوع المكر منهم في وقت الاذاقة وسارعوا اليه ولم يلبثوا قدر ما ينفضوا من رؤسهم غبار الضر ولهذا قال سبحانه قل الله اسرع مكرا يقدر على ايصال جزاء مكرهم اليهم قبل ان يرتد اليهم طرفهم ولكنه يمهلهم لاجل معلوم ليتضاعف خبثهم مع كونه محفوظا بيانه قوله ان رسلنا يكتبون ما تمكرون وقد مر تحقيق هذا في تفسير قوله ويرسل عليكم حفظة واعلم ان مضمون هذه الاية قريب من مضمون قوله واذا مس الانسان الضر الا ان هذه زائدة عليها بدقيقة هي انهم بعد الاعراض عن الدعاء يطلبون الغوائل ويقابلون الرحمة بالمكر

والجذ بغيره ولا يرضون راسا براس ثم ضرب لاجل ما وصفهم به مثالا حتى ينكشف المقصود تمام الانكشاف فقال هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ ومن قراه ينشركم فكقوله فانتشروا فى الارض قال بعض العلماء المسير فى البحر هو الله سبحانه وتعالى واما فى البر فالمراد من التسيير التمكين والاقدار والحق ان جميع الافعال والحركات مستندة الى احداث الله تعالى غاية ذلك ان اثاراقداره واحداثه فى البحر اظهر كما مر فى تفسير قوله والفلك التى تجرى فى البحر قال القفال هو الله الهادى لكم الى السير فى البحر طلبا للمعاش وهو الميسر لكم لاجل انه هيأ لكم اسباب ذلك السير حتى لا انتهاء الغاية والغاية مضمون الجملة الشرطية بكمالها فالقيود المعتبرة فى الشرط ثلثة اولها الكون فى الفلك وثانيها جرى الفلك بهم بالريح الطيبة والضمير فى جرين للفلك على انها جمع كما مر وثالثها فرحهم بها والقيود المعتبرة فى الجزاء ثلثة ايضا اولها جاءتها اى الفلك والريح الطيبة تلقتها ريح عاصفة ذات عصوف كلابن لذات اللبن ولان لفظ الريح مذكر والعصوف شدة هبوب الريح وثانيها وجاءهم الموج من كل مكان اى من جميع جوانب احيان الفلك والموج ما ارتفع من الماء فوق البحر وثالثها وظنوا انهم احيط بهم اى غلب على ظنونهم الهلاك واصله ان العدو اذا احاط بقوم او بلد فقد دنوا من البوار فجعل احاطة العدو بالشخص مثلا فى الهلاك وقرئ فى الفلكى الا فيه قال فى الكشاف وانما التفت فى قوله وجرين بهم الى اخره من الخطاب الى الغيبة للمبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح قال الامام فخر الدين الرازى الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبة فى هذه الاية دليل المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك فى قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب قلت لكل منهما وجه حسن اما قوله دعوا الله مخلصين فقد قال ابن عباس تركوا الشرك ولم يشركوا به من الهتهم شيئا واقروا لله بالربوبية والوحدانية وقال الحسن ليس هذا اخلاص الايمان لكن لاجل العلم بانه لا ينجيهم من ذلك الا الله فيكون ذلك جاريا مجرى الايمان الاضطراري وقال ابن زيد هؤلاء المشركون يدعون مع الله ما يدعون فاذا جاء الضر والالم لم يدعوا الا الله وعن ابى عبيدة ان المراد من ذلك الدعاء قولهم اهيا شراهيا تفسيره يا حى يا قيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق ما الدليل على اثبات الصانع فقال اخبرنى عن حرفتك فقال التجارة فى البحر قال صف لى كيف حالك فقال ركبت البحر فانكسرت السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفة فقال جعفر الصادق هل وجدت فى قلبك تضرعا ودعاء فقال نعم قال جعفر فالهك هو الذى تضرعت اليه فى ذلك الوقت لئن انجيتنا من هذه الشدة كما مر فى الانعام يبغون فى الارض بغير الحق البغى قصد الاستعلاء بالظلم من قولك بغى الجرح اذا ترقى الى الفساد واصله الطلب فلهذا اكد المعنى بقوله بغير الحق قال فى الكشاف انما زاد هذا القيد احترازا من استيلاء المسلمين على ارض الكفرة بهدم دورهم واحراق زروعهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة قلت ويحتمل ان يراد بغير شبهة حق عندهم كقوله ويقتلون النبيين بغير الحق من قرا متاع بالنصب فما قبله جملة تامة اى انما بغيكم وبال على انفسكم وهو مصدر مؤكد كانه قيل يتمتعون متاع الحيوة الدنيا ومن قرا بالرفع فاما على ان التقدير هو متاع الدنيا بعد تمام الكلام او على انه خبر وقوله على انفسكم صلة اى انما بغيكم على امثالكم والذين جنسهم جنسكم بغى بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها والبغى من منكرات المعاصى قال صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى اثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال تعالى انما بغيكم على انفسكم اى لا يتهيأ لكم بغى بعضكم على بعض الا اياما قلائل وهى مدة حيوتكم مع قصرها وسرعة انقضائها ثم الى الله وعدنا من المجازاة مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وهو فى هذا الموضع وعيد بالعقاب كقول الرجل فى معرض التهديد ساخبرك بما فعلت ثم ذكر مثلا لمن يبغى فى الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة الدنيا اى صفتها العجيبة الشان كماء انزلناه من السماء فاختلط به اى اشتبك بسبب هذا الماء نبات الارض فيحتمل ان يراد ان نباته ثم وصوله الى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان نباته الى حد الكمال كليهما بسبب المطر ويحتمل ان يراد ان النبات كان فى اول بروزه ومبدا حدوثه غير مهتز ولا مترعرع فاذا نزل المطر عليه اهتز وربى حتى اختلط بعض الانواع ببعض وتكاثف حتى اذا اخذت الارض زخرفها قال الجوهرى الزخرف الذهب ثم يشبه به كل مموه مزور وازينت اصله تزينت فادغم واجتلبت لذلك همزة الوصل وهذا كلام فى نهاية الفصاحة وفيه تشبيه الارض بالعروس التى تاخذ الثياب الفاخرة من كل لون فتلبسها ثم تتزين بجميع الاقسام المعهودة لها من حمرة وبياض ونحوها وظن اهلها اى غلب على ظنونهم او تيقنوا انهم قادرون عليها متمكنون من تحصيل ريعها اتيها امرنا باهلاكها واستيصالها وضربها ببعض العاهات ليلا او نهارا اى حين غفلتهم بالنوم او حين اشتغالهم وتقلبهم فى طلب معايشهم فجعلناها اى زرعها حصيدا شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستيصاله كان لم تغن اى كان الشان لم يلبث زرعها بالامس اى فى زمان قريب يقال غنى بالمكان بالكسر يغنى بالفتح اذا اقام به والامس مثل فى الوقت القريب هذا والصحيح عند علماء البيان ان هذا التشبيه من التشبيه المركب قال فى الكشاف شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه وقيل المراد ان فائدة هذه الحيوة التى ينفقها المرء فى باب الدنيا كفائدة هذا النبات الذى حين عظم الرجاء به وقع اليأس منه لان الغالب ان المتمسك بالدنيا اذا اطمأن بها وعظمت رغبته فيها وانتظم امره بعض الانتظام اتاه الموت فى تخليصه منه كما لم يحصل لذلك الزرع عاقبة محمودة فكذلك المغتر بالدنيا المحب لا يحصل



عاقبته بحمد ويحتمل ان يكون هذا مثلا لمن لا يؤمن بالمعاد فان الارض لما تزينت اذا حصدها فانه يعود زرعها مرة اخرى فكذا النشور كذلك نفصل
الآيات نذكر واحدة منها بعد الاخرى لتكون كثرتها وتواليها سببا لقوة اليقين موجبا لزوال الشك لقوم يتفكرون في احوال الآفاق و
الانفس ثم لما نفر المكلفين عن الميل الى الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة بقوله والله يدعوا الى دار السلام ومثله ما روي عن النبي ﷺ
انه قال ان سيدا بنى دارا ووضع مائدة وارسل داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل ورضي عنه السيد ومن لم يجب لم يدخل ولم ياكل ولم يرض عنه
السيد فالله السيد والدار دار السلام والمائدة الجنة والداعي محمد ﷺ وعنه ﷺ ما من يوم طلع فيه الشمس الا وبجنبيها ملكان يناديان بحيث يسمع
كل الخلائق الا الثقلين ايها الناس هلموا الى ربكم والله يدعوا الى دار السلام واتفقوا على ان دار السلام هو الجنة واختلفوا في سبب التسمية
فقيل ان السلام هو الله والجنة داره فالاضافة للتشريف وانما اطلق اسم السلام عليه تعالى لانه سلم من الفناء والتغير ومن جميع سمات النقص
والحدوث من الظلم والعجز والجهل وهو القادر على تخليص المضطرين عن المكاره والآفات فكفى بدار اضافها الله الى نفسه فضلا وشرفا و
بهجة وسرورا وقيل سميت دار السلام لان من دخلها سلم من الآفات والمخافات وقيل لفشو السلام بينهم تحيتهم فيها سلام والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم سلام قولا من رب رحيم واعلم ان الدعوة عامة ولكن الهداية خاصة فلذلك قال ويهدي من يشاء الى صراط
مستقيم ومن هنا ذهب اهل السنة الى ان الهداية والضلالة والخير والشر كلها بمشيئة الله تعالى وارادته وقالت المعتزلة المراد ويهدي من يشاء
اجابة تلك الدعوة ويعنون ان من اجاب الدعاء واطاع واتقى فان الله يهديه اليها والمراد من الهداية الالطاف ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين
وبين حال كل طائفة فقال للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا بد من تفسير هذه الالفاظ الثلاثة فعن ابن عباس احسنوا اي ذكروا كلمة لا اله
الا الله وذهب غيره الى ان المراد اتيان الطاعات واجتناب المنهيات لان الدرجات العالية لا تليق الا بهم واما الحسنى فقال في الكشاف المراد
المثوبة الحسنى وقال ابن الانباري العرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها ولذلك ترك موصوفها واما الزيادة
فحملها اهل السنة على رؤية الله لان اللام في الحسنى للمعهود بين المسلمين من المنافع التي اعدها الله تعالى لعباده فالزيادة عليها تكون مغايرة لها
فما هي الا الرؤية وقالت المعتزلة الزيادة يجب ان يكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى بعد تسليم جوازها ليست من جنس نعيم الجنة فالمراد
بها ما يزيد على المثوبة من التفضل كقوله ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله وزيف بان الزيادة اذا كان المزيد عليه مقدرا بمقدار معين
وجب ان يكون من جنسه كما لو قال الرجل لغيره اعطيتك عشرة امنان من الحنطة وزيادة اما اذا كان غير مقدر كما لو قال اعطيتك الحنطة
وزيادة لم يجب ان يكون الزيادة من جنس المزيد عليه والمذكورة في الآية لفظة الحسنى وهي الجنة وانها مطلقة فالزيادة عليها شيء مغاير لكل
ما في الجنة وعن علي الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الجنة والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد مغفرة
من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة هي ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان امطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم هذا شان
المنافع الحاصلة لهم واما انها منافع خالصة عن الكدورات فافاد ذلك بقوله ولا يرهق اي لا يغشى وجوههم قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا
اثر هوان وكسوف بال ثم اشار الى كون تلك المنافع الخالصة آمنة من الانقطاع بقوله اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وهذا معنى قول
علماء الاصول الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم ثم بين حال الفريق الآخر بقوله والذين اي وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء
سيئة بمثلها اي جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها ومن جوز العطف على عاملين مختلفين جوز ان يكون التقدير
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها قالت المعتزلة وفيه دليل على ان المراد بالزيادة في الآية المتقدمة التفضل لانه دل بترك الزيادة
على السيئة على عدله فناسب ان يكون قد دل هناك باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وترهقهم ذلة [illegible] حين ماتوا ناقصين خالين
عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سبب اذلالهم وهوانهم على انفسهم وهذا على قاعدة حكماء الاسلام ان الجهل سواد وظلمة كما ان
العلم والمعرفة بياض ونور ومنه قول الشبلي ره كل بيت انت ساكنه غير محتاج الى السرج ما لهم من الله من عاصم اي لا يعصمهم احد من عذابه وسخطه
او ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمؤمنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى
في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد وجوههم فقال كانما اغشيت اي البست وجوههم قطعا
من الليل من قرأ بسكون الطاء فمعناه البعض او الطائفة ومظلما صفة ومن قرأ بفتحها على انه جمع قطعة فمظلما حال من الليل والعامل
فيه ما معنى الفعل في من الليل او اغشيت لان قوله من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاء العامل الى الموصوف كافضائه الى الصفة قاله
في الكشاف واعلم ان جمعا من العلماء ذهبوا الى ان المراد بقوله والذين كسبوا السيئات هو الكفار لان سواد الوجه من علامات الكفر
بدليل قوله فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وقوله ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة
ولقوله بعدها ويوم نحشرهم والضمير عائد الى هؤلاء ثم انه وصفهم بالشرك وقال الآخرون اللفظ عام يتناول الكافر والفاسق الا ان الآيات
المذكورة مخصصة ثم شرح بعض احوال المشركين في القيمة فقال ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلوا اي في يوم كذا
تبلو كل نفس وحاصل الكلام انه تحشر العابد والمعبود ليسألوا فتتبرأ المعبود من العابد بخلاف ما كانوا يزعمون من قولهم هؤلاء شفعاؤنا

عند الله وفيه اشارة الى ان الممكن لا نسبة له الى الواجب الحق فاذا اتخذ الممكن معبودا برئ من ذلك في مقام لا ينفع الا الصدق قال في الكشاف مكانكم اي
الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما نفعل بكم وعند ابي علي هو اسم من اسماء الافعال وحركته حركة بناء وهو كلمة وعيد عند العرب وانتم لتاكيد
الضمير في مكانكم لسده مسد قوله الزموا وشركاؤكم عطف عليه فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت بينهم في الدنيا قيل
عين الكلمة واو لانه من زال يزول وانما قلبت ياء لان وزن الكلمة فيعل اي زيولنا مثل بيطر وعلى الاول سيد قيل هي من زلت الشيء
ازيله فعينه على هذا ياء والوزن فعل ونظيره زيلنا قوله ونادى اصحاب الاعراف لان حكم الله بانهم سيكونون كالكائن وقال شركاؤهم
في صحة هذه الاضافة وجوه منها انهم جعلوا نصيبا من اموالهم لتلك الاصنام فهم شركاؤهم ومنها انهم متشاركون في الخطاب في قوله
مكانكم ومنها انهم اثبتوا هذه الشركة والشركاء قيل هم الملائكة لقوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون وقيل كل من عبد من دون الله وقيل الاصنام لان هذا الخطاب مشتمل على التهديد وانه لا يليق بالملائكة المقربين ثم كيف
ينطق هذه الاصنام قيل لان الله يخلق فيهم الحيوة والعقل والنطق ثم هل يبقيهم ويفنيهم الكل محتمل ولا اعتراض لاحد عليه قيل يخلق فيهم
الكلام وهو تهديد في حق العابدين فهل يكون تهديدا في حق المعبودين قالت المعتزلة لا لانه لا ذنب للمعبودين ومن لا ذنب له يقبح من الله تهديده
وتخويفه وقالت الاشاعرة لا يسئل عما يفعل ما قول الشركاء ما كنتم ايانا تعبدون وهم كانوا قد عبدوهم فالمراد انكم ما عبدتمونا بامرنا
وارادتنا فقولهم فكفى بالله شهيدا الآية ومن اعظم اسباب الغفلة كونها جمادات لا حس لها ولا شعور وقيل ان ذلك الموقف لدهشته
وحيرته فذلك الكذب يجري مجرى كذب الصبيان والمجانين والمدهوشين وقيل انهم ما اقاموا لاعمال الكفار وزنا فجعلوها كالعدم وقيل
المراد انهم عبدوا الشياطين حيث امروهم باتخاذ الانداد ومن جوز الكذب في القيمة فلا اشكال وهنالك اي في ذلك المقام وفي ذلك الموقف وفي ذلك
الوقت على استعارة اسم المكان للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما اسلفت من العمل ومن قرأ بالنون فالمعنى يفعل بها فعل الخابر
او نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية لاجل ما اسلفت من الشر ومن قرأ تتلو بتائين فمعناه تتبع ما اسلفت لان
عمله هو الذي يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير او شر وردوا الى الله مولاهم الحق الصادق ربوبيته
وضل عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء الله او ما كانوا يختلقون من شفاعة الالهة والحاصل انهم يرجعون عن الباطل ويعرفون الحق
حين لا ينفعهم ذلك التاويل واذا اذقنا الناس ذوق توبة وانابة وذوق كشف وشهود من بعد ضراء وهي الفسوق والاخلاق الذميمة و
الاوصاف اذا لهم مكر في آياتنا باظهارها الى غير اهلها بشرب النفس في طلب الجاه والقبول قل الله اسرع مكرا فيستدرجهم عن تلك المقامات
الى دركات البعد من حيث لا يشعرون وهو الذي يسيركم في البر البشرية والبحر الروحانية او في بر العبودية وبحر الربوبية حتى اذا كنتم في فلك
جذبات العناية وجرين بهم بهبوب نسيم شهود الجمال وفرحوا بالوصول والوصال جاءتها نكباء تجلي صفات الجلال وجاءهم موج البلاء والمحن
من اماكن النعم البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء ثم الامثل فالامثل فلما انجاهم فيه اشارة الى ان ارباب الطلب وصلوا بجذبات الحق الى
شهود الجمال واستغراق لجج بحر الجلال ستقبلهم عواصف العزة والكبرياء فيستدرجهم الى البغي وهو الطلب في ارض ما سوى الحق كماء
انزلناه من سماء القلب الى ارض البشرية فاختلط به الصفات المتولدة من ارض البشرية مما ياكل الناس والانعام من الصفات الحميدة
الانسانية والذميمة البهيمية اتيها حكمنا الازلي ليلا او عند استيلاء ظلمات صفات النفس او نهارا عند بقاء ضوء الفيض الروحاني لكنه
بامتزاج القوة الخيالية والوهمية وقع في ورطة العقائد الباطلة كالبعض الفلاسفة والمبتدعة والله يدعوا الى دار السلام وهي مقام
الفناء لان صاحبه يسلم عن آفات الحجب في مقام العلم والمعرفة لان صاحبه يسلم عن آفة الاثنينية والجهالة ويهدي من يشاء بجذبات
العناية الى صراط مستقيم يؤدي الى السير بالله في الله للذين احسنوا الحسنى فالاحسان ان تعبد الله كانك تراه والحسنى هي شهود الحق
والنظر اليه والزيادة الجنة وما فيها من النعيم وهي ما زاد على النظر من فناء قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع
الناسوتية في اللاهوتية والله ولي التوفيق

بگو کیست که روزی میدهد شمارا از آسمان و زمین یا کیست که مالک شنوائی است

وَالْاَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّٰهُ فَقُلْ اَفَلَا تَتَّقُونَ فَذٰلِكُمُ اللّٰهُ

و دیدها را وکه بیرون می‌آورد زنده را از مرده و بیرون می‌آورد مرده را از زنده وکه تدبیر میکند کارها را پس زود بگویند خدا پس بگو آیا پس نمی‌ترسید پس این خدا

رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلَالُ فَاَنّٰى تُصْرَفُونَ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِيْنَ فَسَقُوْا اَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ

پروردگار شماست براستی پس چیست بعد از حق مگر گمراهی پس بکجا برگردانیده میشوید همچنین لازم شد کلمه پروردگار تو بر آنانکه فسق ورزیدند بدرستیکه ایشان نمیگروند

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ قُلِ اللّٰهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ فَاَنّٰى تُؤْفَكُوْنَ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ

بگو آیا از شریکان شما کسیست که میآفریند خلق را پس باز میگرداند بگو خدا میآفریند خلق را پس باز میگرداند آنرا پس بکجا برگردانیده میشوید بگو آیا از شریکان شما

يَهْدِيْ اِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّٰهُ يَهْدِيْ لِلْحَقِّ اَفَمَنْ يَهْدِيْ اِلَى الْحَقِّ اَحَقُّ اَنْ يُتَّبَعَ اَمَّنْ لَا يَهِدِّيْ اِلَّا اَنْ يُهْدٰى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُوْنَ وَمَا يَتَّبِعُ

که هدایت کند بسوی حق بگو خدا راه می‌نماید بسوی حق آیا پس کسیکه راه مینماید بسوی حق سزاوارتر است به پیروی یا کسیکه راه نیابد مگر آنکه راه نموده شود پس چیست شمارا چگونه حکم میکنید و پیروی نمیکنند

فقط وهذا الخطأ

وضاع عنهم

ع



أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا إن الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله
بیشترشان مگر گمان را بدرستیکه گمان کفایت نمیکند از حق چیزی را بدرستیکه خدا داناست بآنچه میکنند و نباشد این قرآن که بدروغ بسته شود از غیر خدا
ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة
ولیکن تصدیق آنچه پیش اوست و تفصیل داون کتاب نیست شکی در آن از پروردگار جهانیان یا میگویند بربست آن را بدروغ بگو پس بیاورید سوره
مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله كذلك
مانند آن و بخوانید هر که را توانید از غیر خدا اگر هستید راستگویان بلکه تکذیب کردند آنچه احاطه نکردند بدانشش و هنوز نیامده ایشان را تاویلش همچنین
كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك أعلم
تکذیب کردند آنانکه بیش از ایشان بودند پس بنگر چگونه بود انجام ستمکاران و از ایشان کسیست که میگرود بآن و از ایشان کسیست که نمیگرود بآن و پروردگار تو داناتر است
بالمفسدين فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون القراءة كلمات ربك
به تباهکاران پس اگر تکذیب کنند ترا پس بگو مرا کردارم و مر شما راست کردارتان شما بیزارید از آنچه میکنم و من بیزارم از آنچه شما میکنید وكذلك في آخر السورة

وعلى الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لا يهدي مثل يرمي حمزة وعلي وخلف يهدي بسكون الهاء وتشديد الدال أبو جعفر ونافع غير ورش وعباس أبو عمرو وغير عباس بإشمام الفتحة قليلا يهدي بكسر الهاء وتشديد الدال عاصم غير يحيى وجبلة وروبس يهدي بكسرتين والتشديد يحيى بفتحتين والتشديد ابن كثير وابن عامر وورش وسهل ويعقوب غير روبس الوقوف يدبر الأمر ط الله تتقون ج ط ربكم الحق ج لأن الاستفهام مع الفاء إلا الضلال ج ط تصرفون لا يؤمنون ثم يعيده ط الأول ط تؤفكون إلى الحق ط للحق ط أن يهدى ج ط لما فيما لكم ص لحق لأن الثاني تحكمون ط إلا ظنا ط شيئا يفعلون العالمين افتراه ط صادقين تأويله الظالمين لا يؤمن به ط بالمفسدين عملكم ج لأن أنتم مبتدأ والعامل واحد تعملون التفسير لما بين فضائح عبدة الأوثان أكدها بالحجج اللامعة والبراهين القاطعة من أحوال الرزق والحواس والموت والحياة والابتداء والإعادة والإرشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب إلى المسؤول ليكون أبلغ في إلزام الحجة وأوقع في النفوس فالحجة الأولى قوله قل من يرزقكم من السماء والأرض بإنزال الأمطار النافعة الموجبة لتولد الأغذية النباتية والحيوانية في الأرض بعد غاية شرائط تربيتها وإنمائها وحفظها من العاهات أم من يملك السمع والأبصار خص الحاستين بالذكر لما في خلقهما وتسويتهما من الفطرة العجيبة وكان علي يقول سبحان من بصر بشحم وأسمع بعظم وأنطق بلحم ولما في تحصينهما من الآفات في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شيء بمزيد قدرة ورأفة ومن يخرج الحي من الميت الحيوان الماشي والطائر من النطفة والبيضة وقد مر سائر الأقوال في سورة الأنعام ومن يدبر الأمر عمم بعد ما خصص لأن أقسام تدبيره تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي وعالمي الغيب والشهادة أمور لا نهاية لها وذكرها كالمتعذر فسيقولون الله وفيه دليل على أنهم كانوا يعبدون الأصنام بناء على أنها شفعاؤهم وأنها يقربونهم إلى الله زلفى ولكنهم كانوا مخطئين في هذا الاعتقاد فلهذا ختم الآية بقوله فقل أفلا تتقون الله الذي اعترفتم بأنه سبب فيضان جميع الخيرات فكيف أشركتم بعبادته الجمادات التي لا تقدر على نفع أو ضر فذلكم الموصوف بالقدرة الكاملة والرحمة الشاملة ربكم الحق الثابت ربوبيته بالوجدان والبرهان فماذا بعد الحق ما مزيدة وما نافية واستفهامية ومجموع ماذا كلمة واحدة معناها أي شيء بعد الحق إلا الضلال والمراد أنه لما ثبت وجود الواجب الحق كان ما سواه ممكنا لذاته باطلا لدعوى الإلهية لأن واجب الوجود يجب أن يكون واحدا في ذاته وفي صفاته وفي جميع اعتباراته وإلا لزم افتقاره إلى غيره وانقسم إليه فلا يكون واجبا هف محال ولهذا ختم بقوله فأنى تصرفون كيف تستجيزون العدول عن هذا الحق الظاهر ومن يقعون في الضلال إذ لا واسطة بين الأمرين فمن تخطى أحدهما وقع في الآخر كذلك أي كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك وتفسير الكلمة أنهم لا يؤمنون على أنه بدل أي حق عليهم انتفاء الإيمان وقد علم الله منهم ذلك في الأزل أو المراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل على حذف اللام احتجت المعتزلة بمثل قوله تعالى فأنى تصرفون أن الصارف لو كان هو الله تعالى لم يصح منه هذا التعجيب والإنكار وقالت الأشاعرة قد تعلق علمه تعالى بأنهم لا يؤمنون كما قال حقت كلمة ربك فتعلق خبره بأنهم لا يؤمنون وقدرته لم تتعلق بخلق الإيمان فيهم بل بخلق الكفر فيهم وأثبت ذلك في اللوح المحفوظ وأشهد عليه ملائكته وأنزله على أنبيائه وأشهدهم عليه فلو حصل الإيمان لبطلت هذه الأشياء فينقلب علمه جهلا وخبره الصدق كذبا وقدرته عجزا وإرادته عبثا وإشهاده باطلا الحجة الثانية قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وإنما قال ثم يعيده مع أن الخصم لا يعترف به لا تقدم في هذه السورة دلائل الإعادة بحيث لا يتمكن العاقل من دفعها إذا تأمل وأنصف فبنى الأمر على ذلك ولهذا أمر نبيه أن ينوب عنهم في الجواب بقوله قل الله الآية تنبيها على أن هذا المعنى بلغ في الوضوح إلى حيث لا حاجة فيه إلى إقرار الخصم المكابر فكأنه قيل كلم عنهم إن لم يدعهم لجاجهم أن ينطقوا بكلمة الحق وقوله فأنى تؤفكون كقوله فأنى تصرفون وقد مر في المائدة الحجة الثالثة الاستدلال على وجود الصانع بالخلق أولا ثم بالهداية عادة مطردة في القرآن فحكى عن الخليل عليه السلام الذي خلقني فهو يهدين وعن موسى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى



وامر بهداية سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى والسر فيه ان المقصود من خلق الجسد حصول الهداية للروح ولتنال
العلوم والمعارف فيه وارشاد الحق سبحانه لان الطرق المنحرفة كثيرة والظنون والاغاليط غير محصورة فتحصيل الوسط الحقيقي لا يمكن الا
بتوفيقه وهدايته ولا مدخل في ذلك بالاستقلال للملك والنبي وجني فضلا عن الاصنام التي هي في ادنى مراتب الوجود لانها
جمادات لا شعور لها هذا تقرير الحجة الثالثة وقال الزجاج يقال هديت للحق والى الحق بمعنى فجمع بين العبارتين ويقال هدى
بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله امن لا يهدي وسائر القراآت اصلها يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء
او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الهاء لاتباع ما بعدها قيل هذه الشركاء جمادات فكيف يصح في حقها الا ان يهدى واجيب بوجوه
منها ان المراد بها في الاية رؤساؤهم واشرافهم كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا والمراد ان الله سبحانه هو الذي يهدي الخلق الى
الدين الحق بالدلائل النقلية وبما يمكنهم منه من الدلائل العقلية واما هؤلاء الدعاة والرؤساء فانهم لا يقدرون على ان يهدوا غيرهم الا اذا
هداهم الله ومنها انهم لما اتخذوها آلهة وصفهم الله تعالى بصفة من يعقل كقوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ومنها ان ذلك بالفرض
والتقدير بمعنى انها لو كانت بحيث يمكنها ان يهتدي فانها لا يهدي غيرها الا ان يهدى ومنها ان البنية عندنا ليست بشرط في صحة الحيوة
والعقل فيصح من الله تعالى ان يجعلها حية عاقلة ثم انها تشتغل بهداية الغير ومنها ان المراد من الهدى النقل والحركة يقال هديت المرأة
الى زوجها اي نقلت اليه فالمعنى لا ينتقل الى مكان الا اذا نقل اليه ثم عجب من مذهبهم الفاسد باستفهامين متواليين فقال فما لكم كيف
تحكمون ثم بين ما بنوا عليه مذهبهم فقال وما يتبع اكثرهم الا ظنا اي في اقرارهم بالله لانه قول غير مستند الى برهان عندهم بل سمعوه
من سلافهم او في قولهم للاصنام انها آلهة او شفعاء وعلى هذا فالمراد بالاكثر الجميع ان الظن في معرفة الله وفيما يجب تحقيقه لا يغني
من الحق وهو العلم والتحقيق شيئا من الاغناء والمعنى ان الظن لا يقوم مقام العلم في شيء من الاحوال ثم اوعدهم على اتباعهم الظن وتقليد
الآباء بقوله ان الله عليم بما يفعلون وتمسك نفاة القياس بالاية ظاهر من قبل ان القياس لا يفيد الا الظن واجيب بان التمسك
بالعمومات لا يفيد الا الظن وهذه الاية من العمومات فلم يجب اتباعها بزعمكم وما افضى ثبوته الى نفيه كان متروكا ولما فرغ من دلائل
التوحيد شرع في اثبات النبوة فقال وما كان هذا القرآن ان يفترى اي افتراء من دون الله وكلمة ان بمعنى اللام اي ما ينبغي له وما
استقام ان يكون مفترى والحاصل ان وصفه ليس وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لانه معجز لا يقدر البشر على اتيان مثله
وانما القادر عليه هو الله تعالى ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب المنزلة لاعجازه دونها فهي عيار عليها شاهد بصحتها
ونفس هذا التصديق آية معجزة لان اقاصيصه موافقة لما في كتبهم ولانه مع انه لم يتعلم قط ولم يتلمذ ولان بشارات جاءت في تلك
الكتب على وفق دعواه ولانه يخبر عن الغيوب المستقبلة فيقع مطابقا فظهر ان القرآن معجز من قبل اشتماله على الغيوب الماضية والمستقبلة
اما انه معجز من جهة اشتماله على العلوم الجمة فذلك قوله وتفصيل الكتاب اي يبين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع كقوله كتاب الله
عليكم قال في الكشاف وقوله لا ريب فيه من رب العالمين داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين وجوز ان يكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ولا ريب فيه اعتراض كقولك زيد لا شك فيه
كريم والمعنى ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فيه ثم اعاد بيان اعجازه مرة اخرى فقال مستفهما على
سبيل الانكار ام يقولون افتراه قل ان كان الامر كما تزعمون فأتوا انتم على وجه الافتراء بسورة مثله في البلاغة وحسن النظم فانتم
مثلي في العربية والفصاحة وادعوا من استطعتم من دون الله اي لا تستعينوا بالله وحده ثم استعينوا بكل من سواه ان كنتم صادقين
انه افتراه قال بعض العلماء هذه الاية في سورة يونس وهي مكية فلعل المراد بالسورة المتحدى بها هذه السورة والاصح ان التحدي
واقع على اقصر سورة قالت المعتزلة لو لم يمكن الاتيان بمثل القرآن صح الوجود في الجملة لم يتحد العرب به لكنهم تحدوا بذلك فدل على
ان القرآن محدث اذ لو كان قديما والاتيان بالقديم محال لم يصح هذا التحدي واجيب بان القرآن يقال بالاشتراك على الصفة القديمة
القائمة بذات الله وعلى هذه الحروف والاصوات المحدثة والتحدي انما وقع بهذه لا بتلك بل كذبوا سارعوا الى التكذيب بما لم
يحيطوا بعلمه وهو القرآن ولما يأتهم تأويله ومعنى التوقع فيه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء
وكذبوا به بعد التدبر وتكرير التحدي عليهم واستيقان عجزهم عن مثله بغيا وحسدا وعنادا وانما حملهم على ذلك التكذيب وجوه
منها انهم وجدوا في القرآن اقاصيص الاولين ولم يعرفوا المقصود منها فقالوا اساطير الاولين وخفي عليهم ان الغرض منها
بيان قدرة الله تعالى على التصرف في هذا العالم ونقل الامم من العز الى الذل وبالعكس ليعرف المكلف ان الدنيا ليست بما يبقى
فنهاية كل حركة سكون وغاية كل سكون ان لا يكون كقوله عز من قائل لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب ومنها انهم كلما
سمعوا حروف التهجي في اوائل السور ولم يفهموا منها شيئا ساء ظنهم بالقرآن فاجاب الله تعالى عنه بقوله هو الذي انزل عليك
الكتاب الى قوله واخر متشابهات الاية ومنها انهم رأوا القرآن يظهر شيئا فشيئا فاتهموا النبي وقالوا لولا انزل عليه القرآن

جملة واحدة ومنها انهم وجدوا القرآن مملوا من حديث الحشر والنشر وكانوا فاقد العقل المحسوس فاستبعدوا ذلك انهم وجدوا فيه تكاليف كثيرة
من الصلوة والصيام والزكوة والحج والجهاد وكانوا يقولون ان اله العالم غني عن عنا وعن طاعاتنا كذلك كذب الذين من قبلهم يعني قبل
النظر في معجزات انبيائهم قال اهل التحقيق في الاية دلالة على ان من كان غير عارف بوجوه التاويل قد يقع في الكفر والبدعة لان ظواهر
النصوص قد يتعارض فيضطر هنالك الى تطبيق التنزيل على التاويل وقيل معنى بالغيوب بعض الايات ان القرآن كتاب معجز من جهتين
من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب من جملتها احوال الاخرة فقوله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اشارة الى التكذيب
به قبل ان ينظروا في نظمه ويبلغوا حد الاعجاز وقوله ولما ياتهم تاويله اشارة الى تكذيبهم قبل ان يمتحنوا اخباره بالغيوب هل يطابق الواقع ام لا ثم ختم
الاية بقوله فانظر كيف كان عاقبة الظالمين والمراد انهم طلبوا الدنيا واعرضوا عن الاخرة فلم يبق عليهم الدنيا وفاتتهم الاخرة
فبقوا في خسران الدارين وقيل المقصود عذاب الاستيصال الذي نزل بالمكذبين قبلهم ثم قسم طوايف الامم فقال ومنهم من يؤمن
به اي بالقرآن او بالرسول اي يصدقه في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ومنهم من يشك فيه لا يصدق به لا ظاهرا ولا باطنا ويمكن ان يقال المراد
بقسمتهم في الاستيصال اي ومنهم من سيؤمن به ومنهم من يبقى على الكفر فيكون الاية كالعذر في تبقيتهم وعدم استيصالهم وربك
اعلم بالمفسدين فيجازيهم على حسب مراتبهم في التكذيب يعلم طوياتهم هل يتوبون او يصرون ثم بين اختصاص كل مكلف بافعاله
وبنتايج اعماله من الثواب والعقاب فقال وان كذبوك فقل لي عملي اي جزاء عملي على الطاعة والايمان وتبليغ الرسالة ولكم عملكم
قال مقاتل والكلبي هي منسوخة باية القتال والتحقيق ان اية القتال لا يدفع شيئا من مدلولات هذه فلا نسخ والله اعلم التأويل
قل من يرزقكم اي من ينزل من سماء النفس مطر الهوى ويخرج من ارض النفس نبات الافعال والاعمال او ينزل من سماء القلب مطر
انوار فيض الروح ويخرج من ارض النفس نبات الصفات البشرية والحيوانية او ينزل من سماء الروح مطر فيض الروح ويخرج من ارض
القلب نبات الاوصاف الحميدة او ينزل من سماء القدرة مطر تجلي الصفات والفيض الرباني ويخرج من ارض الروح المجذوبة والاخلاق
الالهية او ينزل من سماء الذات مطر تجلي الصفات ويخرج من ارض الوجود نبات الفناء في الله وثمرات البقاء بالله امن يملك السمع و
الابصار فيكون سمعه الذي به يسمع وبصره الذي به يبصر ويخرج الحي من الميت النفس من القالب والقلب من النفس والروح من القلب وبالعكس
ومن يدبر الامر امر الانسان بالرتبة من التراب الى ان يصل الى رب الارباب فسيقولون هذه الاحوال كلها من الله فقل لمن بلغ نظره الى هذه
المراتب العلية وانها عتبة باب التوحيد والمعرفة افلا تتقون بالله عن غيره لتدخلوا بيت الوحدة كذلك حقت كلمة ربك هكذا جرى
القلم في الازل على الذين خرجوا عن قبول فيض النور حين رش على الخلق من نوره وتفصيل الكتاب تفصيل الجملة التي هي مكتوبة عنده في
ام الكتاب هو علمه القائم بذاته وربك اعلم بالمفسدين الذين افسدوا استعدادهم الفطري والله اعلم ومنهم من يستمعون اليك

أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ
آیا پس تو میشنوانی کران را و اگرچه باشند که نیابند بعقل و از ایشان کسیست که نگاه میکند بسوی تو آیا پس تو راه مینمائی کوران را و اگرچه باشند که نه بینند بدرستیکه خدا ظلم نمیکند
النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ
مردمان را چیزی و لیکن مردمان بخود ایشان ظلم میکنند و روزیکه حشر کند ایشان را گویا درنگ نکرده اند مگر ساعتی از روز شناخت کنند میان خود بتحقیق زیان کرد
الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ
آنانکه تکذیب کردند ملاقات جزای خدا را و نبودند هدایت یافتگان و اگر بنمائیم ترا بعضی از آنچه وعده میدهیم ایشان را یا بمیرانیم ترا پس بسوی ماست بازگشت ایشان پس خدا گواه است
عَلَى مَا يَفْعَلُونَ ۝ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ
بر آنچه میکنند و از برای هر امتی رسولیست پس چون آمد رسول ایشان حکم کرده شود میان ایشان بعدالت و ایشان ستم کرده نشوند و میگویند کی خواهد بود این وعده
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً
اگر هستید راستگویان بگو مالک نیستم از برای خود ضرری و نه نفعی مگر آنچه خدا خواست از برای هر امتی اجلیست چون آمد اجل ایشان پس واپس نمانند ساعتی
وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ۝ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ
و نه پیشی توانند گرفت بگو خبر دهید اگر آید شما را عذاب او بشب یا بروز چه چیز را از آن شتاب میخواهند گناهکاران آیا پس چون واقع شود ایمان آرید بآن آیا اکنون
وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ۝ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ۝ وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي
و بدرستیکه بودید بآن شتاب میکردید پس گفته شود مر آنانرا که ظلم کردند بچشید عذاب جاوید را آیا جزا داده میشوید مگر بآنچه بودید که کسب میکردید و خبر میپرسند از تو آیا حق است آن بگو آری
وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ
بحق پروردگار من که آن حق است و نیستید شما عاجز کنندگان و اگر باشد مر هر نفسی را که ستم کرده آنچه در زمین است هر آینه فدا دهد آنرا و پوشیده داشتند پشیمانی را چون دیدند عذاب را و حکم کرده شد
بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ هُوَ يُحْيِي

یونس

وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ قُلْ

و بسوی او باز گردانیده شوید ای مردمان بحقیقت آمد بشما پندی از پروردگار شما و شفائی مر آنکه در سینهاست و هدایت و رحمتی از برای گرویدگان بگو

بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ

بکرم خدا و برحمتش پس بآن پس باید شاد شوند آن بهترست از آنچه جمع میکنند بگو خبر دهید که آنچه فرو فرستاد خدا برای شما از روزی پس گردانیدید از آن حرام و حلال بگو آیا خدا

أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

رخصت داد شما را یا بر خدا دروغ می‌بندید و چیست گمان آنانکه می‌بندند بر خدا دروغ را روز قیامت هر آینه خدا صاحب کرمست بر مردمان و لکن بیشتر ایشان

لَا يَشْكُرُونَ القراءة آفأنت بتليين الهمزة ونحوه الاصبهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولكن الناس بالتخفيف والرفع حمزة وعلى وخلف

شکر نمیکنند يحشرهم بالياء حفص الباقون بالنون نريك ونتوفينك بالنون الخفيفة رويس الان بونين غالان بحذف الهمزة التى

بعد اللام والقاء حركتها على اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وزمعة وحمزة فى الوقف بى انه بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع فليفرحوا

بياء الغيبة تجمعون بتاء الخطاب ابن عامر ويزيد وقرأ يزيد على ضده وقرأ رويس كليهما على الخطاب الباقون على الغيبة فيهما الوقوف

اليك ط لا يعقلون اليك ط لا يبصرون يظلمون بينهم ط مهتدين يفعلون رسول ج ط لا يظلمون صادقين ما شاء الله ط اجل ط

ولا يستقدمون المجرمون امنتم به ط يستعجلون الخلد ج ط للاستفهام مع ان القائل واحد يكسبون احق هو ط بمعجزين لا فتدت به ط

العذاب ج ط للعطف على اسروا دون رأوا يظلمون والارض ط لا يعلمون يرجعون للمؤمنين فليفرحوا ط يجمعون وحلالا ط يفترون

القيمة ط لا يشكرون نصف السبع التفسير ان الانسان اذا قوى بغضه لانسان آخر وعظمت نفرته عنه صارت نفسه متوجهة الى

طلب مقابحه فى كلامه معرضة عن جهات محاسنه فيه فنفرته كالصمم فى الاذن مغنيا فى حصول ادراك الصوت والعمى فى العين امر

يمنع فى حصول ادراك الصورة فكذلك حصول هذا البغض الشديد يضاد وقوف الانسان على محاسن من يعاديه فبين الله سبحانه ان اولئك

الكفار بلغت حالتهم فى النفرة والعداوة الى هذا الحد يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يسمعون ولا يقبلون

وينظرون اليك يعاينون ادلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يبتصرون ولا يصدقون قال اهل المعانى المستمع الى القرآن كالمستمع

الى النبى بخلاف النظر فكان فى المستمعين كثرة فجمع ليطابق اللفظ المعنى ووحد ينظر حملا على اللفظ اذ لم يكثروا كثرتهم ثم قال افتطمع ان

تقدر على اسماع الصم لو انضم الى صممهم عدم عقولهم او تقدر على هداية العمى لا سيما اذا اقترن بفقد البصر فقد البصيرة انما يقدر على

ردهم الى حالة الكمال خالق القدر والقوى وحده وهذا الحصر انما يفهم من قوله افانت والمقصود من هذا الكلام تسلية الرسول فان

الطبيب اذا رأى مريضا لا يقبل العلاج اصلا اعرض عنه ولم يستوحش من ذلك لان التقصير من المزاج لا من الطبيب والحذق ثم اكد عدم قابليتهم

فى الفطرة مع اشارة الى ما يلحقهم من الوعيد يوم القيمة بقوله ان الله لا يظلم الآية فسرها المعتزلة بان المراد من نفى الظلم انه ما الجاء

احدا الى هذه القبائح والمنكرات ولكنهم باختيار انفسهم اقدموا عليها واجاب الواحدى عنها بانه انما نفى الظلم عن نفسه لانه يتصرف فى ملك

نفسه فلا اعتراض عليه فيما فعل وقال ولكن الناس انفسهم يظلمون لان الفعل منسوب اليهم بسبب الكسب والتحقيق انه نفى الظلم عنه لان وقوع فريق

القهر ضرورى ونسب الظلم اليهم لخصوص وقوعهم فى الطريق وفيه دقة ثم ذكر وعيد الكفار فقال ويوم نحشرهم اى واذكر يوم نحشرهم كأن لم

يلبثوا فى محل النصب على الحال اى مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وقوله يتعارفون حال اخرى وبيان لقوله كأن لم يلبثوا لان التعارف

لا يبقى مع طول العهد ويجوز ان يكون قوله ويوم نحشرهم متعلقا بيتعارفون والمراد باللبث قيل لبثهم فى الدنيا وقيل فى القبور استقلوا

المدة الطويلة اما لانهم ضيعوا اعمارهم فى الدنيا فجعلوا وجودها كالعدم واستقصروها للدهش والحيرة او لطول وقوفهم فى الحشر او لشدة

ما هم فيه من العذاب لنسوا لذات الدنيا واستحقروها واما التعارف فقد قيل يعرف بعضهم بعضا ما كانوا عليه من الخطاء والكفر وقيل

يعرف كل واحد اهل معرفته والجمع بين ذلك وبين قوله ولا يسئل حميم حميما ان هذا تعارف توبيخ وتضليل يقول كل فريق لصاحبه انت

اضللتنى يوم كذا وانهم يتعارفون اذا بعثوا ثم ينقطع المعرفة وانما حذف جميعا فى هذه الآية اكتفاء بما فى الآية السابقة ويوم نحشرهم

جميعا ثم نقول للذين اشركوا ولان الآية سيقت هناك لبيان حشر العابدين والمعبودين فاكده بقوله جميعا ليشمل الفريقين صريحا والله

اعلم قد خسر استيناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ما اخسرهم وفيه شهادة من الله على خسرانهم وجوز فى الكشاف ان يكون على ارادة القول

اى يتعارفون بينهم قائلين ذلك ثم اكد خسرانهم بقوله وما كانوا مهتدين اى فى رعاية مصالح هذه التجارة لانهم اعطوا الكثير الشريف

الباقى وقنعوا بالقليل الخسيس الفانى كمن رأى زجاجة خسيسة فيظنها جوهرة نفيسة فاشتراها بكل ما له فاذا عرضها على الناقد بان خاب

سعيه وفات امله ثم سلى رسوله فقال واما نرينك وجوابه محذوف وقوله فالينا مرجعهم جواب او نتوفينك والمعنى واما نرينك فى

اعدائك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه فى الآخرة لان مرجع الكل الينا ولقد صدق الله وعده

فقد اراه فى هذه الدار خزيهم وقهرهم بالقتل والاسر والاستيلاء عليهم والاستعلاء على ديارهم واموالهم والذى سيريه فى الآخرة اكثر واشد

الوقوف

فی طوبق

فوائد

يدل عليه لفظ ثم لتبعيد الرتبة في قوله ثم الله شهيد على ما يفعلون ولا يخفى نتيجة هذه الشهادة من السخط والعقاب ويحتمل ان يراد بانطاق
جوارحهم يوم القيمة جعل ذلك بمنزلة شهادة الله ثم بين انه ما اهمل امة من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال ولكل امة رسول
وزمان الفترة محمول على ضعف دعوة النبي المتقدم ووقوع موجبات التخليط في شرعه فاذا جاء رسولهم فبلغ فكذبه قوم وصدقه اخرون
قضي بينهم بالقسط اي حكم وفصل بالعدل فانجي الرسول والمصدقون وعذب المكذبون فهذه الاية نظيرة قوله وما كنا معذبين
حتى نبعث رسولا ويحتمل ان يقال المراد ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول ينسبون اليه ويدعون به فكانه تع يقول انا شهيد
على اعمالهم ومع ذلك فاني احضر في موقف القيمة مع كل قوم رسولهم حتى يشهد عليهم بالكفر والايمان فاذا جاء رسولهم وشهد لهم او
عليهم قضي بينهم والمراد منه المبالغة في اظهار العدل والنصفة فيكون الاية كقوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد ثم ذكر شبهة
اخرى من شبهات الكفرة وذلك انه ص كلما هددهم بنزول العذاب مر زمان ولم يظهر ذلك العذاب كانوا يقولون متى هذا الوعد
استبعادا لنزوله وقدحا في نبوته وهذا مما يؤكد القول الاول في الاية المتقدمة لانه لا يجوز ان يقولوا متى هذا الوعد عند حضورهم في دار
الاخرة لحصول اليقين والمعرفة ح وايضا قوله ان كنتم صادقين لفظ الجمع موافق لقوله ولكل امة رسول ثم امر ان يجيب بما يحسم مادة الشبهة
وهو قوله قل لا املك لنفسي ضرا من مرض او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله قال العلماء انه استثناء منقطع اي ولكن ما شاء
الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضرر وجلب العذاب ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء وان لعذاب كل طائفة امدا محدودا لا يتجاوزه
فلا وجه للاستعجال فقال لكل امة اجل الاية وقد مر تفسير الاية في اوائل الاعراف الا انه ادخل الفاء ههنا في الجزاء لانه بنى الشرط على
الاستثناء والبيان بخلاف ما هنالك فانه جعل الشرط مرتبا على قوله ولكل امة اجل فلم يحسن الجمع بين الفائين ثم زيف رايهم في استعجال
العذاب مرة اخرى فقال قل ارايتم اي اخبروني ان اتيكم عذابه بياتا اي في حين الغفلة والراحة او نهارا حين الاشتغال بطلب المعاش في اول الامر
ماذا يستعجل اي شيء يستعجل منه اي من العذاب المجرمون وانما لم يقل ماذا يستعجلون منه لدلالته على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام
لان حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه وان ابطا مجيئه فضلا عن ان يستعجله ومن للبيان او للابتداء والمعنى ان العذاب كله مر المذاق موجب
للنفار فاي شيء يستعجلون منه يوجب الاستعجال والمراد التعجب كانه قيل اي شيء هائل شديد يستعجلون وقيل الضمير في منه لله تع وجواب
الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطاء فيه وماذا الجملة مفعول ارايتم ويجوز ان يكون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك
ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم ويجوز ان يكون اعتراضا وجواب الشرط ثم اذا ما وقع امنتم به والمعنى ان اتيكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين
لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء الان على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا بعد وقوع العذاب
الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون على جهة التكذيب والانكار وقوله ثم قيل عطف على قيل المضمر قبل الان والحاصل ان الذي تطلبونه ضرر
محض عار عن المنفعة والعاقل لا يطلب مثل ذلك وانما قلنا انه ضرر محض لانه اذا وقع العذاب فاما ان تؤمنوا وايمان الياس غير مقبول و
اما ان لا تؤمنوا فيحصل عقيب ذلك عذاب اخر اشد وادوم ويقال على سبيل الاهانة ذوقوا عذاب الخلد فان قلتم الهنا انت الغني عن الكل
فكيف يليق برحمتك هذا الوعيد والتهديد فجوابه هل تجزون الا بما كنتم تكسبون فالجزاء مرتب على العمل ترتب المعلول على العلة كما يقوله
الحكيم او ترتب الاجر الواجب عند المعتزلة او بحكم الوعد المحض عند اهل السنة وتفسير الكسب مذكور في البقرة في قوله لها ما كسبت ولكم ما كسبتم
ثم حكى عنهم انهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة اخرى عن تحقيق العذاب فقال ويستنبئونك احق هو وهو استخبار على جهة الاستهزاء
والانكار اي احق ما تعدنا به من نزول العذاب في العاجل وهذا السؤال جهل محض لانه تقدم ذكره مع الجواب مرة واحدة فلا وجه للاعادة
ولانه قد تبين بالبراهين القاطعة صحة نبوة محمد ص فيلزم القطع بصحة كل ما يخبر عن وقوعه وقيل المراد احق ما جئتنا به من القران والشرع
وقيل اي ما تعدنا من البعث في القيمة فامر الله تع ان يجيبهم بقوله قل اي وربي ومعناه نعم ولكنه مستعمل مع القسم البتة وفائدة
هذا القسم في جوابهم ان يكون قد اخرج الكلام معهم على الوجه المعتاد بينهم استمالة لقلوبهم من ان الظاهر ان من اخبر عن شيء واكده بالقسم فقد
اخرجه عن حد الهزل وادخله في باب الجد فقد يكون هذا القدر مقنعا اذا لم يكن الخصم الد ثم اكد مضمون المقسم عليه بقوله وما انتم بمعجزين
فائتين العذاب والغرض التنبيه على ان احدا لا يدافع نفسه عما اراد الله وقضى ثم زاد في التاكيد بقوله فلو ان لكل نفس الاية وقد مر مثله
في ال عمران والمائدة وقوله ظلمت صفة لنفس اما قوله واسروا الندامة فقد قيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اي اظهروا الندامة
ح لضعفهم وليس هناك تجلد والمشهور انه الاخفاء وسببه انهم بهتوا حين عاينوا وقيل الاسرار بمعنى الاظهار والهمزة للسلب اي ما سلبهم قواهم
فلم يطيقوا صراخا ولا بكاء واخفوا الندامة من سفلتهم واتباعهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وهذا التزوير يحاولونه لما يرون العذاب
اما عند مخالطة النار اياهم فلا يبقى هذا التماسك او اراد بالاخفاء الاخلاص لان من اخلص في الدعاء اسره وفيه تهكم بهم وباخلاصهم لانهم
اتوا بذلك في غير وقته وقضي بينهم بالقسط وقيل اي بين المؤمنين والكافرين وقيل بين الرؤساء والاتباع وقيل بين الكفار بانزال
العقوبة عليهم وقيل بين الظالمين من الكفار والمظلومين منهم فيكون في ذلك القضاء تخفيف من عذاب بعضهم وتثقيل العذاب على بعضهم

وان اثتراه

وان اشرك كلهم فى العذاب ثم ذكر فى ايتين ان له جميع ما فى الكون بحكم المالكية والقدرة على الاحياء والاماتة والابداء والاعادة وقيل فى وجه النظم
انه لما ذكر حديث الافتداء بين انه ليس للظالم شئ يفتدى به فان كل الاشياء ملكه وملكه وقيل انه لما اقسم على حقية ما جاء به النبى وكان
دليلا اقناعيا اراد ان يصححها بالبرهان النير فذكر ان كل ما فى هذا العالم من نبات وحيوان وجسد وروح وظلمة ونور وعلوى وسفلى
وبسيط ومركب فهو ملكه فلكونه قادرا على جميع الممكنات يقدر على ايصال الرحمة الى اوليائه والعذاب الى اعدائه ولكونه منزها عن النقايص
والافات يكون بريئا عن الخلف فى الوعد والايعاد وفى تصدير الكلام بكلمة الا تنبيه للغافلين وايقاظ للنائمين وتقريع للناظرين فى الاسباب
الظاهرة القائلين البستان للامير والدار للوزير والغلام لزيد والجارية لعمرو ولا يعلمون ان كلها عوارى وودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع
واعلم ان الطريق الى اثبات نبوة الانبياء بامور احدها اظهار المعجزة على يده مطابقا للدعواه وقد قرره الله سبحانه فى هذه السورة
على احسن الوجوه حيث قال وما كان هذا القرآن ان يفترى الى تمام الاية والثانى ان نعلم بعقولنا ان الاعتقاد الحق والعمل الصالح ما
هو فكل من جاء ودعا الخلق الى ذلك وادعى الرسالة وكان لنفسه قوة تكميل الناقصين غلب على ظننا انه النبى الحق فاشار سبحانه الى
هذا الطريق بقوله قل يا ايها الناس الاية فوصف القرآن بصفات اربع الاولى كونه موعظة والمراد بها الزجر عما لا ينبغى كالطبيب ينهى
المريض عن الاغذية الضارة والثانية كونه شفاء لما فى الصدور لحصول العقايد الحقة والاخلاق الحميدة فيها بدل اضدادها كالطبيب يعيد
الصحة بدل المرض والاخلاط المحمودة بدل الاخلاط الفاسدة بالمعالجات الصائبة والادوية النافعة الثالثة حصول الهدى بسبب ذلك لانه
اذا زالت الملكات الردية التى طبيعتها الظلمة وصارت مرآة النفس مصقولة محاذية لعالم القدس انطبع فيها نقش الملكوت وتجلى لها قدس اللاهوت
الرابعة كونه رحمة للمؤمنين وذلك بان تصير النفس البالغة الى هذه الدرجات الروحانية والمعارج الربانية بحيث تفيض انوارها على
ارواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على اجرام هذا العالم وانما خص المؤمنين بهذه الرحمة لان كل روح لم يتوجه الى خدمة ارواح
الانبياء المطهرين لم ينتفع بانوارهم كما ان كل جرم لم يقع فى مواجهة قرص الشمس لا يستضئ بنورها والحاصل ان الموعظة اشارة الى تطهير
ظواهر الخلق عما لا ينبغى وهو الشريعة والشفاء اشارة الى تطهير الارواح عن العقايد الفاسدة والاخلاق الردية بتحصيل اضدادها وهى
الطريقة والهدى عبارة عن ظهور نور الحق فى قلوب الصديقين هى الحقيقة والرحمة اشارة الى كونها بالغة فى الكمال والاشراق الى حيث تصير مكملة للناقصين
وهى النبوة ولما ارشد سبحانه الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هى التى يجب ان يكمل الفرح بحصولها دون السعادات
الفانية الجسمانية فقال قل بفضل الله وبرحمته قال فى الكشاف اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتقرير
والتاكيد وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوايد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة الاخر عليه والفاء داخلة
لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشئ فليخصوهما بالفرح ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وان يراد قد جاءتكم
موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اى بمجيئها فليفرحوا وعلى هذا يكون قل اعتراضا ومن قرأ بتاء الخطاب فمعناه على ما نقل عن زيد بن
ثابت فبذلك فلتفرحوا يا اصحاب محمد هو خير مما يجمع الكفار ونسبت هذه القراءة الى النبى وهو الاصل والقياس لانه دل على الامر بالفرح واشد
تحريصا به وانما قلنا انه الاصل لان حكم الامر فى المخاطب والغايب واحد الا انه خفف امر المخاطب بحذف اللام وبحذف حرف المضارعة لكثرة الاستعمال
فاضطر الى الهمزة الوصل ومن قرأ تجمعون بتاء الخطاب فانه عنى المخاطبين والغائبين جميعا الا انه غلب المخاطب كما يغلب التذكير وكانه اراد
المؤمنين وفيه حث لهم على ترجيح الجواذب العقلية الروحانية على النوازع النفسانية الجسدانية لانه لا معنى لهذه اللذات الجسمانية الا دفع الالام
والمعنى العدمى لا يستحق الفرح به وبتقدير ان تكون صفات ثبوتية الا ان التضرر بالامها اقوى من الانتفاع بلذاتها فلا نسبة للذة الوقاع
وهى اقوى اللذات الى الم القولنج وساير الالام القوية وايضا ان مداخل اللذات الجسمانية معظمها البطن والفرج ومداخل الالام كل جزء من
اجزاء البدن وايضا اللذات الجسمانية لا بقاء لها مثلا لا لذة الا بزوال الم الجوع فاذا زال الالتذاذ بالاكل وكل ما لا بقاء له لا يشتد فرح العاقل بحصوله
ولو لم يحصل فى لذة الاكل والوقاع الا اتعاب الحواس والجوارح فى مقدماتها ولواحقها لكفى ومن المعلوم ان الفرح الحاصل بحدوث الولد
لا يعادل الحزن والغم عند موته وفيه قال المعرى ان حزنا فى ساعة الموت لاضعاف سرور فى ساعة الميلاد فتبين بهذا الوجوه ان الفرح انما
الفرح انما يجب ان يكون بالروحانيات الباقيات لا بالجسمانية الزائلات اما المفسرون فقد قالوا فضل الله الاسلام ورحمته ما وعد عليه وعن
ابى بن كعب ان رسول الله تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام ومثله ما روى عن ابى سعيد الخدرى فضل الله القرآن
ورحمته ان جعلكم من اهله ثم اشار الى طريق ثالث فى اثبات النبوة فقال قل ارأيتم الاية وتقريره انكم تحكمون بحل بعض الاشياء وبحرمة بعضها
فان كان هذا لمجرد التشهى فذلك طريق باطل بمجمع بالاتفاق لانه اداء الى التنازع والتشاجر واختلاف الاراء وافتراق الاهواء وان كان
لانه حكم الله فيكم فبم عرفتم ذلك فان كان بقول رسول ارسله اليكم فقد اعترفتم بصحة النبوة والا كان افتراء على الله وفى الاية اشارة الى فساد
طريقتهم فى شرايعهم واحكامهم من تحريم السوائب والبحائر وقولهم هذه انعام وحرث حجر وغير ذلك مما انزل الجار فى محل الرفع بالابتداء وهو
الله اذن لكم وقل مكرر للتاكيد والرابط محذوف ومجموع المبتدء والخبر متعلق بارأيتم والمعنى اخبرونى الذى انزل الله لكم من رزق فجعلتم

منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم في تحريمه وتحليله أم على الله تفترون وعن الزجاج ان ما في أنزل بمعنى الاستفهام منصوبا بانزل وانه مع
معموله مفعول ارايتم معناه اخبروني وعلى هذا يكون قل الله كلاما مستأنفا ومعنى انزل خلق وانشأ كقوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية
أزواج وذلك لان كل ما في الارض من زرع او ضرع فانه بسبب الماء النازل من السماء قال في الكشاف ويجوز ان يكون الهمزة في الله للانكار وام
منقطعة بمعنى بل تفترون على الله تقرير الافتراء ثم قال وما ظن الذين يعني اي شيء ظنهم في ذلك اليوم وما يصنع بهم فيه وهو في صورة الاستعلام
ولكن المراد تعظيم وعيد من يفتري على الله حيث ابهم امره وكفى به زاجرا للمفتي في الاحكام بغير علم فليتق الله وليصمت إن الله لذو فضل
على الناس اذ انعم عليهم بالعقل ورحمهم بارسال النبي وتعليم الشرائع ولكن أكثرهم لا يشكرون هذه النعم بجحد نبيه ومخالفة انبائه وبل أفأنت
تسمع الصم صم آذان القلوب فانت تهدي العمي عمي ابصار البصائر ويوم يحشرهم حشر العوام خروج اجسادهم من القبور الى المحشر وحشر الخواص
خروج ارواحهم الاخروية من قبور اجسامهم الدنيوية بالسير والسلوك وحشر الاخص خروجهم من قبور الانانية الروحانية الى الهوية الربانية كما
قال يوم نحشر المتقين الى الرحمن كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار لانه لا نسبة لمدة الدنيا الى ما بين الازل والابد يتعارفون بينهم بمعرفة
تفاوت مقامات كل صنف من هؤلاء وإما نرينك بعض الذي نعدهم بشرط الايمان من نعيم الجنان ولقاء الرحمن أو نتوفينك فنبلغك
اعلى المراتب ومقامك المحمود فإلينا مرجعهم رجوعا اضطراريا لا اختياريا ثم الله شهيد على ما يفعلون من خيانة الدين ولكل أمة
رسول في الظاهر من الانبياء وفي الباطن من الهام الحق لكل أمة أجل في استكمال السعادة والشقاوة بياتا اي في الازل أو نهارا اي يظهر
الآن ما قدر لكم في الازل قل إي وربي إنه لحق اي اقسم بربك الذي يربيك ان وقوع الامور الاخروية حق لانك عرضت على الجنة والنار ليلة
المعراج ظلت بما فيها الاستعدادات ألا إن لله ما في سموات الارواح وارض القلوب والنفوس ألا إن وعد الله لاهل السعادة ولاهل الشقاوة
في الازل حق هو يحيي قلوب بعضهم بالمعرفة ويميت قلوب آخرين بالجهل ويحيي بالنور ويميت بالظلمة او يحيي بصفة الجمال يا أيها الناس
يا اهل النسيان قد جاءتكم موعظة هي خطاب الست بربكم وهو دواء العشق وشفاء من ذلك الداء وهو توفيق اجابة بلى لما في الصدور وهو
القلب فانها دار صدق السكر وهدى عناية خاصة اذ الدعوة عامة والهداية خاصة ورحمة اتصال مدد الفيض الى ان يبلغ غاية
الكمال للمؤمنين بالوصول والوصال قل بفضل الله وهو اسماع الخطاب وبرحمته وهو الابقاء على مدلول الخطاب فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اهل
الدنيا في نيامهم ما أنزل الله لكم من رزق القلوب والارواح فضلا عن النفوس والاشباح من الواردات والشواهد فجعلتم منه حراما
على انفسكم وحلالا على غيركم اي حدثت انفسكم بان تحصيل هذه السعادات ونيل تلك الكرامات ليس من شأننا وانما هو من شأن
الانبياء وخواص الاولياء قل آلله أذن لكم ان تعرضوا عن هذه المقامات وتحيلوها الى غيركم وتركنوا الى الدنيا وزخارفها أم
على الله تفترون بان الدعوة اختصت بهم دوننا إن الله لذو فضل على الناس بتسوية الاستعداد الفطري وما تكون في
شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال

و نمی‌باشی در هیچ کاری و نمی‌خوانی از آن هیچ قرآنی و نمی‌کنید هیچ کاری مگر آنکه باشیم بر شما گواهان هنگامی که شروع میکنید در آن و پنهان نمی‌ماند از پروردگار تو هم وزن

ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم

ذره در زمین و نه در آسمان و نه کوچکتر از آن و نه بزرگتر مگر در کتاب روشن آگاه باشید که دوستان خدا نه ترسی بر ایشان و نه ایشان

يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم

اندوهناک میشوند آنانکه گرویدند و بودند که پرهیزکاری میکردند مر ایشان راست بشارت در زندگانی دنیا و در آخرت نیست تبدیلی مر سخنان خدا را این است آن کامیابی بزرگ

ولا يحزنك قولهم إن العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون

و نباید اندوهگین کند ترا گفتار ایشان بدرستیکه عزت مر خدا راست همگی اوست شنوا دانا آگاه باشید بدرستیکه مر خدا راست هرکه در آسمانها و در زمین است و پیروی نمیکنند آنانکه میخوانند

من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا

از غیر خدا شریکان را پیروی نمیکنند مگر گمان را و نیستند ایشان مگر آنکه دروغ میگویند اوست که گردانید برای شما شب را تا آرام گیرید در آن و روز را بینش

إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم

بدرستیکه در این آیتهاست از برای گروهی که میشنوند گفتند گرفت خدا فرزندی دانم پاکیست او را اوست بی‌نیاز مر او راست آنچه در آسمانها و آنچه در زمین است نیست نزد شما

من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم

هیچ حجتی بر این آیا میگوئید بر خدا آنچه نمیدانید بگو بدرستیکه آنانکه می‌بندند دروغ را بر خدا رستگار نمیشوند مایه تمتعی است در دنیا پس

إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون القراءات تشان بغيرهم حيث كان ابو عمرو وغير شجاع والاعشى

بسوی ماست بازگشت ایشان پس بچشانیم ایشان را عذاب سخت بودند که کافر میشدند يزيد والاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يعزب بالكسر حيث كان

على الباقون بالضم ولا اصغر ولا اكبر بالرفع فيهما حمزة وخلف وسهل ويعقوب والمفضل الآخرون بالنصب الوقوف تفيضون فيه مبين

يحزنون



يحزنون ج لان الذين يصلح صفة للاولياء ويصلح نصبا او رفعا على المدح فيوقف على يتقون ط او مبتدأ خبره لهم البشرى فلا توقف على
يتقون وفي الآخرة ط لكلمات الله ط العظيم ط لانه لو وصل لاوهم ان الضمير عائد الى الاولياء وقول الاولياء لا يحزن الرسول قولهم
لئلا توهم ان قوله ان العزة مقول الكفار جميعا ط العليم الارض ط شركاء ط يخرصون مبصرا ط يسمعون سبحانه ط الغني ط وما في
الارض ط بهذا ط لا يعلمون لا يفلحون ط يكفرون ط التفسير لما بين فساد طريقة الكفار في عقائدهم واحكامهم بين كونه سبحانه عالما بعمل كل
احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وما تكون يا محمد في شأن اي امر من الامور واصله الهمز بمعنى
القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده قال ابن عباس اي في شأن من اعمال البر وقال الحسن في شأن الدنيا وحوائجها وما في وما
يكون وما تتلوا نافية والضمير في منه لله عز وجل اي نازل من عنده او للشأن لان تلاوة القرآن شأن من شؤون رسول الله ص
بل هو معظم شأنه ولهذا افرد بالذكر كقوله وملائكته وجبريل وميكال او للقرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له لانه قيل وما تتلو
من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن ثم عمم الخطاب فقال ولا تعملون ايها المكلفون من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين
رقباء والجمع للتعظيم او لان المراد الملائكة الموكلون اذ تفيضون فيه الافاضة الشروع في العمل على جهة الانصباب والاندفاع ومنه قوله فاذا
افضتم من عرفات قيل شهادة الله علمه فيلزم انه لا يعلم الاشياء الا عند وجودها والجواب ان الشهادة علم خاص لا يلزم منه امتناع تقدم
العلم المطلق على الشيء كما لو اخبرنا الصادق ان زيدا يفعل كذا غدا فنكون عالمين بذلك لا شاهدين ثم ازداد في التعميم فقال وما يعزب
عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب ومنه كلأ عازب اي بعيد والرجل العزب لبعده عن الاهل ومعنى مثقال ذرة قد مر في قوله ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وذلك في سورة النساء والمقصود انه لا يغيب عن علمه شيء اصلا وان كان في غاية الحقارة واما تقديم الارض ههنا في الارض ولا في السماء خلاف
ما في سورة سبأ وهو المعهود في القرآن لان الكلام سيق لشهادته على شؤون اهل الارض فناسب ان يقدم ذكر ما في الارض هذا بعد تسليم
ان الواو يفيد الترتيب ثم بالغ في تعميم علمه فقال ولا اصغر من ذلك ولا اكبر من قرأ بالنصب على نفي الجنس ومن قرأ بالرفع على الابتداء ليكون كلاما
برأسه فلا اشكال واما من جعل منصوبه معطوفا على لفظ مثقال لانه في موضع الجر بالفتح لامتناع الصرف وجعل مرفوعه معطوفا على
محل مثقال لانه فاعل يعزب ورد عليه الاشكال وهو انه يصير تقدير الآية لا يعزب عنه شيء في الارض ولا في السماء الا في كتاب فيلزم منه ان
يكون ذلك الشيء الذي في الكتاب خارجا عن علم الله وانه محال ويمكن ان يجاب عنه بان الاشياء المخلوقة قسمان قسم اوجده الله تعالى ابتداء
من غير واسطة كخلق الملائكة والسموات والارض وقسم اوجده بواسطة القسم الاول من حوادث عالم الكون والفساد ولا شك ان هذا
القسم الثاني متباعد في سلسلة العلية والمعلولية عن مرتبة واجب الوجود فالمراد من الآية انه لا يبعد عن مرتبة وجوده شيء في الارض ولا
في السماء الا وهو في كتاب مبين وهو كتاب اثبت فيه صور تلك المعلومات والغرض الرد على من يزعم انه تعالى غير عالم بالجزئيات ونقول
ان الاستثناء منقطع بمعنى لكن هو في كتاب مبين وذكر ابو علي الجرجاني صاحب النظم ان الا بمعنى الواو وعلى ان الكلام قد تم عند قوله ولا اكبر
ثم وقع الابتداء بكلام آخر فقال الا في كتاب اي وهو ايضا في كتاب مبين والعرب تضع الا موضع واو النسق كثيرا ومنه قوله اني لا يخاف لدي
المرسلون الا من ظلم يعني ومن ظلم وقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا يعني والذين ظلموا ثم انه لما بين احاطته بجميع الاشياء
وكان في ذلك تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال الا ان اولياء الله الآية والتركيب يدل على القرب
فكأنهم قربوا منه تعالى لاستغراقهم في نور معرفته وجماله وجلاله قال ابو بكر الاصم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق
عبوديته والدعوة اليه وقال المتكلمون ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح والمبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة
في الشريعة وعنوا بذلك قوله تعالى في صفتهم الذين آمنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال
القوة العملية وههنا مقام آخر وهو ان يحمل الايمان على مجموع الاعتقاد والعمل ويكون الولي متقيا في كل الاحوال اما في موقف العلم فبان
تقدس في ذاته الحق الى ان يكون مقصورا على ما عرفه ويكون كالواصف لها واما في مقام العمل فان يرى عبوديته وعبادته قاصرة عما يليق بكبريائه وجلاله
فيكون ابدا في الخوف والدهشة واما نفي الخوف والحزن عنهم فتقدم تفسيره في اوائل سورة البقرة وعن سعيد بن جبير ان رسول الله ص سئل من
اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعني ان مشاهدتهم تذكر الآخرة لما فيهم من آثار الخشوع والاخبات والسكينة وعن عمر سمعت
النبي ص يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول
الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم
لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية يحكى ان ابراهيم الخواص كان في البادية ومعه واحد
يصحبه فاتفق في بعض الليالي ظهور حالة قوية وكشف تام له فجلس في موضعه وجاءت السباع ووقفوا بالقرب منه والمريد تسلق على اعلى
رأس شجرة خوفا منها والشيخ كان فارغا من تلك السباع فلما اصبح وزالت تلك الحالة ففي الليلة الثانية وقعت بعوضة على يده فظهر
الجزع من تلك البعوضة فقال المريد كيف تليق هذه الحالة بما قبلها فقال الشيخ انما تحملنا البارحة ما تحملناه بسبب قوة الواردة الغيبي



فلما غابت تلك الواردة فانا الضعف خلق الله ثم اخبر الله سبحانه عنهم بان لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فقيل بشرهم في الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين في غير مكان في كتابه قوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقيل انها عبارة عن محبة الناس لهم وعن ذكرهم اياه بالثناء الحسن عن ابي ذر رضه قلت لرسول الله صلعم ان الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس قال تلك عاجل بشرى المؤمن الدليل العقلي عليه ان الكمال محبوب لذاته فكل من اتصف بصفة الكمال كان محبوبا لكل احد اذا انصف ولم يحسده ولا كمال للعبد اعلى واشرف من كونه مستغرق القلب في معرفة الله معرضا عما سواه ونور الله مخدوم بالذات ففي اي قلب حصل كان مخدوما بالطبع لما سوى الله وقيل هي الرؤيا الصالحة وعنه الرؤيا الصادقة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وسبب تخصيص هذا العدد ان النبي صلعم استنبئ بعد اربعين سنة الى كمال عمره وهو ثلث وستون سنة وكان يأتيه الوحي اولا بطريق المنام ستة اشهر ونسبة هذه المدة الى ثلث وعشرين سنة التي هي جميع مدة الوحي نسبة الواحد الى ستة واربعين واما ان الرؤيا الصادقة توجب البشارة فلانها دليل صفاء القلب واتصال النفس الى عالم القدس والاطلاع على بعض ما هنالك وعن عطاء البشرى في الدنيا هي البشارة عند الموت تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها الى غير احوالهم في الجنة لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده وقد مر مثله في الانعام ذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب ان يقع بعد الاعتراض كلام يقول فلان ينطق بالحق والحق ابلج قال القاضي لا تبديل لكلمات الله يدل على انها قابلة للتبديل وكل ما يقبل العدم امتنع ان يكون قديما ومحل المنع ظاهر فان نفي شيء عن شيء لا يلزم منه امكانه كقول الموحد لا شريك لله ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال ولا يحزنك ويقول انه كما ازال الحزن عنه في الاخرة بقوله الا ان اولياء الله ازال الحزن عنه في الدنيا بقوله ولا يحزنك قولهم اي تكذيبهم لك وتهديدهم بالحذم والاموال وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وبالجملة كل ما يتكلمون به في شانك من المطاعن والقوادح ثم استانف قوله ان العزة لله كانه قيل ما لي لا احزن فقيل لان العزة لله جميعا ان الغلبة والقهر لله يحزنه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرئ ان بالفتح لا على انه بدل فان ذلك يؤدي الى ان القوم كانوا يقولون ان العزة لله جميعا والرسول كان يحزنه ذلك وهذا كفر بل لان التقدير لان العزة على صريح التعليل وكان رسول الله صلعم واثقا بوعد الله تعالى في جميع الاحوال وان كان قد يقع في بعض الحروب والوقايع انكسار وهزيمة فان الامور بخواتيمها ثم اكد الوعد بقوله هو السميع العليم ليسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون فيكفيك شرهم ثم زاد في التاكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال الا ان لله من في السموات ومن في الارض فخصص ذوي العقول اما للتغليب واما لان الاية سيقت لبيان فساد عقايد اهل الشرك فذكر ان العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان كلهم عبيد له ولا يصلح احد منهم لان يكون شريكا له فما دونهم ممن لا يسمع ولا يعقل كالاصنام اولى بان لا يكون ندا له ثم اكد هذا المعنى بقوله وما يتبع ما نافية ومفعول يدعون محذوف اي ليس يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء في الحقيقة انما هي اسماء لا مسميات لها لان شركة الله في الربوبية محال وانما حذف احد المكررين للدلالة فالاول مفعول يدعون والثاني مفعول يتبع ويجوز ان يكون ما استفهامية بمعنى اي شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون ولا حاجة الى الاضمار ويجوز ان يكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل لله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي له شركاؤهم ثم زاد في التاكيد فقال ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون وقد مر مثله في سورة الانعام ثم ذكر طرفا من اثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه طلبا للراحة والنهار مبصرا اذا ابصار باعتبار صاحبه اي جعله مضيئا لتهتدوا به في حوائجكم وهذان طرف من منافع الليل والنهار ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر وقبول ثم حكى نوعا اخر من اباطيلهم فقال قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه وقد مر في البقرة وانه نزه نفسه عن اتخاذ الولد برهن على ذلك بقوله هو الغني وتقريره ان الغني التام يوجب امتناع كونه ذا اجزاء وحصول الولد لا يتصور الا بعد انفصال جزء منه يكون كالبذر بالنسبة الى النبات وايضا انما يحتاج الى الولد والى توليد المثل الذي يقوم مقام من يكون بصدد الانقضاء والانقراض فالازلي القديم لا يفتقر الى الولد ولا يصح له مثل وايضا الغني لا يفتقر الى الشهوة ولا الى اعانة الولد ولو صح ان يتولد منه مثله لصح ان يكون هو ايضا متولدا من مثله ولا يشكل هذا بالولد الاول من الاشخاص الحيوانية فان المدعى هو الصحة لا الوقوع ثم بالغ في البرهان فقال له ما في السموات وما في الارض واذا كان الكل ملكه وعبيده فلا يكون شيء منها ولدا له لان الاب يساوي الابن في الطبيعة بخلاف المالك ثم زيف عقائدهم الفاسدة فقال ان عندكم من سلطان بهذا اي ما عندكم من حجة بهذا القول قال في الكشاف والباء حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اقول كانه نظر الى ان استعمال الباء بمعنى في اكثر منه بمعنى على ثم وبخهم على القول بلا دليل ومعرفة فقال اتقولون على الله ما لا تعلمون ثم اوعدهم على افترائهم فقال قل ان الذين يفترون الاية ثم بين ان ذلك المفتري ان فاز بشيء من المطالب العاجلة والمآرب الخسيسة



من دياسة ظاهرة وغرض زايل فذلك متاع قليل في الدنيا ثم لابد من الموت والرجوع الى حكم الله ثم حصول الشقاء المؤبد لعذاب الاليم اعاذنا الله منه انه اويل وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ من النبوة وما تتلو من شان النبوة من قرآن وما تعملون يا امة محمد من عمل من اعمال الامة النبوة من قبول القرآن ورده مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ مما اظهر من حركة في ارض البشرية بعمل من اعمال الخير والشر وَلَا فِي السَّمَاءِ اى في سماء القلوب بالنيات الصالحة والفاسدة وَلَا أَصْغَرَ من الحركة وهو القصد دون الفعل وَلَا أَكْبَرَ من النية وهو العمل أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ الذين هم اعداء النفوس لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ من تمنى النظر بنفوسهم وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما فاتهم من شهوات النفوس للعداوة القائمة بينهم لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالوقايع والمبشرات وفي الاخرة بكشف القناع عن جمال العزة لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ لاحكامه الازلية حيث قال للولي كن وليا وللعدو كن عدوا وَلَا يَحْزُنكَ يا رسول القلب قول مشركي النفوس في تزيين شهوات الدنيا ولذاتها في نظرك إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا يعز من يشاء في الدنيا وفي الاخرة جميعا فلا يمنعه نعيم الدنيا عن نعيم الاخرة بل ربما يعينه على الاخرة كما جاء في الحديث الرباني وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى فان افقرته يفسده ذلك أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اى القلوب السماوية والنفوس الارضية إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ اى يظنون انهم يتبعون شركاء الدنيا والهوى باختيارهم لا باختيارنا هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ البشرية لِتَسْكُنُوا فِيهِ تعب المجاهدات وتزول عنكم الملالة والكلالة والنهار الروحانية ذا ضياء وبصيرة يبصر بها مصالح السلوك والترقي في المقامات لقوم يسمعون حقايق القرآن بسمع القلوب الواعية ثم اخبر عن الشبهات التي تقع في اثناء السلوك قالوا اى مشركو النفوس عند تجلي الروح بالخلافة في صفة الربوبية معترفا بتجلي صفة ابداع الحق ومبدعية الروح مع كمال قربه واختصاصه بالحق عند بقاء تصرفات الخيال حتى يثبت الابوة والنبوة بين الله وبين العبد اذ النبوة اخص التعلقات بالوالد وهذا الكشف والابتداء هو مبدأ ضلالة اليهود والنصارى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ الروحانية من الكشوف والاحوال وَمَا فِي الْأَرْضِ البشرية من الوهم والخيال وما ينشأ من الشبهات والآفات إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ هم النفوس الامارة بالسوء لَا يُفْلِحُونَ لا يظفرون بكشف الحقايق ثم نذيقهم لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاحسوا بالالم والله اعلم وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ

لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ

مر قومش را اى قوم من اگر هست که عظیم آمده باشد بر شما قیام من و پند دادن من بایتهای خدا پس بر خدا است توکل من پس گرد آورید کار خود را و بتان خود را پس نباید که باشد

أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ

کار شما بر شما پوشیده با اندوه پس گذارش کنید بمن و مهلت مدهید مرا پس اگر اعراض کردید پس نخواستم از شما مزدی نیست مزد من مگر بر خدا و فرموده شدم که باشم از

الْمُسْلِمِينَ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

مسلمانان پس تکذیب کردندش پس رهانیدیم او را و هر که بود با او در کشتی و کردیم ایشان را جانشینان و غرق کردیم آنها را که تکذیب کردند بایتهای ما پس بنگر چگونه بود انجام کار

الْمُنذَرِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ

بیم داده شدگان پس بر انگیختیم از بعد او رسولان بسوی قومشان پس آمدند ایشان را با بینها پس نبودند که بگروند بانچه تکذیب کردند او را از پیش همچنین مهر مینهیم بر

قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ

دلهای تعدی کنندگان پس بر انگیختیم از بعد ایشان موسی و هرون را بسوی فرعون و جماعتش با آیتهای ما پس سرکشی کردند و بودند گروهی گنهکاران

فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ

پس چون آمد ایشان را حق از نزد ما گفتند بدرستیکه این هر آینه سحریست آشکار گفت موسی آیا میگوئید مر حق را چون آمد شما را آیا سحر است این و رستگار نمیشوند جادوگران

قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي

گفتند آیا آمدی ما را تا بگردانی ما را از آنچه یافتیم بر آن پدران خود را و باشد مر شما را بزرگی در زمین و نیستیم مر شما را گروندگان و گفت فرعون بیاورید نزد من

بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ

هر ساحر دانا را پس چون آمدند ساحران گفت مر ایشان را موسی بیندازید آنچه شمائید اندازندگان پس چون انداختند گفت موسی آنچه آوردید بدان سحر است بدرستیکه خدا باطل سازد آن

إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ

بدرستیکه خدا سامان نمیدهد کار فساد کنندگان را و ثابت میکرداند خدا حق را بکلمات خویش و اگر چه ناخوش دارند گنهکاران پس ایمان نیاورده بموسی مگر فرزندانی از قومش بر ترسی

مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ

از فرعون و گروه ایشان از آنکه عذاب کند ایشان را و بدرستیکه فرعون هر آینه غالب است در زمین و بدرستیکه او هر آینه از اسراف کاران و گفت موسی ای قوم من اگر هستید ایمان آورده اید بخدا

فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ

پس بر او توکل کنید اگر هستید از منقادان پس گفتند بر خدا است توکل ما پروردگارا مگردان ما را فتنه مر گروه ستمکاران و برهان ما را برحمت خود از

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ

گروه کافران و وحی کردیم بسوی موسی و برادرش که جای گیرید مر قوم شما را بمصر خانها و بگردانید خانهای خود را قبله و برپا دارید نماز را و مژده ده

الْمُؤْمِنِينَ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا

گروندگان را و گفت موسی پروردگار ما بدرستیکه تو داده فرعون و جماعتش را آرایشی و مالها در زندگانی دنیا پروردگار ما گمراه گردانند از راه تو پروردگار ما

اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ

نابود کن بر مالهای ایشان و سخت کن بر دلهای ایشان پس ایمان نیارند تا ببینند عذاب دردناک را گفت بتحقیق اجابت کرده شد دعای شما پس ثابت باشید و از پی مروید

سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ

راه آنان را که نمیدانند و گذرانیدیم بنی اسرائیل را از دریا پس از پی ایشان رفت فرعون و لشکر او از روی ستم و تعدی تا چون دریافتش غرق گفت

آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

ایمان آوردم که نیست الهی مگر آنکه گرویدند بدو فرزندان یعقوب و من از منقادانم اکنون و بتحقیق نافرمانی کردی پیش و بودی از فسادکنندگان

فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ القراءة وشركاؤكم بالرفع يعقوب ان

پس امروز برآریم ترا بموضع بلند با بدن تو تا باشی برای کسیکه بعد از تو آید نشانه و بدرستیکه بسیاری از مردمان از نشانهای ما غافلانند جری بفتح الياء حيث كان ابو جعفر و

نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ويكون لكما بياء الغيبة حماد ويزيد وزيد الباقون بتاء التانيث لتجرى بالمدينة يزيد وابو عمرو وان تبوأ ابالياء

الخراز وحمزة فى الوقف ولن شاء لين الهمزة الآخرون بالهمزة ليضلوا بضم الياء حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل ولا تتبعان بتخفيف النون

ابن عامر غير الحلوانى عن هشام تتبعان خفيفة التاء والنون ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وفى كلتا القراءتين خففت النون ثم

كسرت لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية الباقون والحلوانى عن هشام تتبعان بتشديدهما فى الحالين امنت انه بكسر الهمزة على الاستئناف

بدلا من امنت حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح ننجيك من الانجاء سهل ويعقوب وقتيبة الآخرون بالتشديد الوقوف نبأ نوح ط لا

يوهم ان اذ ظرف لقوله اتل بل التقدير واذكر اذ قال و لا تنظرون ه من اجر ط على الله لا لان التقدير وقد امرت من المسلمين ه بآياتنا ج للفاء

ولان امر النظر للعبرة يقتضى التثبت للتدبر المنذرين ه من قبل ط المعتدين ه مجرمين ه مبين ه لما جاءكم لابتناء على ان التقدير اتقولون

للحق لما جاءكم هو سحر والاستفهام فى قوله اسحر يستحق الابتداء وسيجيئ له مزيد بيان هذا ط للفصل بين الاخبار والاستخبار الساحرون

فى الارض ط بمؤمنين ه عليم ه ملقون ه ما جئتم به ط لمن قرأ السحر مستفهما السحر ط سيبطله ط المفسدين ه المجرمون ه ان يفتنهم ط فى الارض ج لاتصال الكلام

المسرفين ه مسلمين ه توكلنا ج ط للعدول مع اتحاد القائل الظالمين ه لا للعطف الكافرين ه ج واقيموا الصلوة ط لان قوله وبشر خطاب

لمحمد وان اريد به موسى فلا بد من العدول المؤمنين ه الدنيا لا لتعلق قوله ليضلوا بقوله اتيت ج ربنا لتكرار النداء ولاجل

التضرع عن سبيلك ج لابتداء النداء مع اتحاد القائل الاليم ه لا يعلمون ه وعدوا ط الغرق لا لان قال جواب اذا المسلمين ه المفسدين ه

آية ط لغافلون ه التفسير لما بالغ فى تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع فى قصص الانبياء المتقدمين لان نقل الكلام

من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدور ودفع الملال مع ان فى ذكرها تسلية للرسول وعبرة للمعتبر الى غير ذلك من الفوائد

التى سنذكرها فى الاعراف ومعنى كبر ثقل وشق كقوله وانها لكبيرة وفى مقامى وجوه منها انه زيادة كقولك فعلت كذا لمكان فلان

اى لاجله وكقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اى خاف ربه مثله قولهم فلان ثقيل الظل ومنها ان يراد به المكث اى شق عليكم مكثى بين اظهركم

مدة طويلة الف سنة الا خمسين عاما ولا شك ان من لم عرف طريقته ويدعى الى خلافها ولا سيما اذا تكرر الدعاء كان ذلك موجبا للتنفر والثقل وخاصة

اذا كان تلك الطريقة مقتضاة النفس والطبيعة الداعيتين الى اللذات العاجلة ومنها ان يكون المقام بمعنى القيام لانهم كانوا يقومون على ارجلهم

فى الوعظ والتذكير ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود وجواب الشرط اما قوله

فعلى الله توكلت اى ان شق بعضكم لى يحملكم على الاقدام على ايذائى وانا لا اقابل ذلك الشر الا بالتوكل على الله فان ذلك هجيرى قديما

وحديثا واما قوله فاجمعوا وقوله فعلى الله توكلت اعتراض كقولك ان كنت انكرت على شيئا فالله حسبى فاعمل ما تريد ولا

يحسن ان يقال ان الفاء الثانية عاطفة للاختلاف طلبا وخبرا ومعنى فاجمعوا امركم اعزموا عليه من اجمع الامر اذا نواه وعزم عليه

قاله الفراء وقال ابو الهيثم اجمع امره اى جعله جمعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا ومرة افعل كذا فلما عزم على امر

واحد فقد جمعه اى جعله جميعا فهذا هو الاصل فى الاجماع ثم صار بمعنى العزم حتى وصل بعلى فقيل اجمعت على الامر اى عزمت عليه

والفصيح اجمعت الامر والمراد بالامر وجوه مكرهم وكيدهم وانتصب شركاؤكم على المفعول معه اى مع شركائكم ومن قرأ بالرفع عطفا

على الضمير المتصل وانما يحسن ذلك من غير تاكيد بالمنفصل للفصل والمراد بالشركاء اما منهم على مثل قولهم ودينهم واما الاصنام و

حسن اسناد الاجماع اليهم على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون واعلم انه عليه السلام قال فى اول الامر فعلى الله توكلت ليدل على

انه واثق بوعد الله جازم بان تهديدهم اياه بالقتل لا يضره ثم اورد عليهم ما يدل على صحة دعواه فقال فاجمعوا كيدكم كانه قال احصلوا

كل ما تقدرون عليه من الاسباب المؤدية الى مطلوبكم غير مقتصرين على ذلك بل ضامين الى انفسكم شركائكم الذين تزعمون ان حالهم



يقوى بمكانهم ثم ضم الى ذلك قيدا اخر فقال ثم لا يكن امركم عليكم غمة قال ابو الهيثم اى مبهما من قولهم غم علينا الهلال فهو مغموم اى التبس
وقال الليث يقال هو فى غمة من امره اذا لم يهتد له وقال الزجاج اى ليكن امركم الذى اجتمعتم عليه ظاهرا منكشفا اى تجاهرونى بالاهلاك ويحتمل ان يراد
بهذا الامر العيش والحال اى اهلكونى لئلا يكون عيشكم بسبب غصة حالكم عليكم غمة اى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة ثم زاد
قيدا اخر فقال ثم اقضوا الى ذلك الامر الذى تريدون بى اى ادوا الى قطعه واحكموا بصحته وامضائه عن القفال ان فيه تضمينا والمعنى
القوا الى ما استقر عليه رايكم محكما مفروغا منه ثم ختم الكلام بقوله ولا تنظرون اى عجلوا ذلك باشد ما تقدرون عليه من غير امهال
ومعلوم ان مثل هذا الكلام لا يصدر الا عمن بلغ فى التوكل الغاية القصوى ثم بين ان كل ما اتى به فان ذلك فارغ من الطمع الدنيوى والغرض الخسيس
فقال فان توليتم اعرضتم عن نصحى وتذكيرى فما سألتكم من اجر فما كان عندكم ما ينفركم عنى وتتهمونى لاجله من طمع او غرض عاجل ان اجرى اى ليس
اجرى الا على الله اى ما نصحتكم الا لوجهه ولا يبتغى الا هو وفى الاية نكتة كانه اراد انه لا يخاف منهم بوجه من الوجوه لا بايصال الشر وذلك قوله
فعلى الله توكلت الى اخره ولا بانقطاع الخير منهم وذلك قوله فان توليتم الاية وامرت ان اكون من المسلمين اى سواء قبلتم دين الاسلام
اولم تقبلوه فانا مامور بان اكون على دين الاسلام او مامور بالاستسلام لكل ما ياتى من قبل هذه الدعوة وكذبوه بقوا على تكذيبه
الى اخر المدة المتطاولة فنجيناه ومن معه فى الفلك قد ذكرنا فى الاعراف الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك وجعلناهم خلائف يخلفون
الهالكين بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تعظيم لشان اهلاكهم وتحذير لغيرهم وتسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا من بعده من بعد نوح
رسلا كهود وصالح وابرهيم ولوط وشعيب فجاؤهم بالبينات بالحجج الواضحات والمعجزات الباهرات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل الاية
قد مر تفسيرها فى اواسط الاعراف الا انه زيد ههنا لفظة به فقيل لتناسب ما قبله فكذبوا باياتنا وكذلك فى الاعراف راعى المناسبة لان
ما قبله ولكن كذبوا بغير الباء ثم بعثنا من بعدهم بعد الرسل والامم باياتنا يعنى الايات التسع فاستكبروا عن قبولها وكانوا قوما مجرمين
كفارا ذوى اثام ولذلك اجترؤا على رد الايات اما قوله اسحر هذا فليس بمقول القول اتقولون لانهم قطعوا فى قولهم ان هذا لسحر مبين بانه
سحر فما استفهموا ولكن الوجه فيه ان يقال ان القول ههنا بمعنى الطعن والعيب كالذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ومنه قولهم فلان يخاف
القالة اى مطاعن الناس فكانه قال اتعيبون الحق وتطعنون فيه ثم انكر عليهم قولهم فقال اسحر هذا او يقال مفعول يقولون محذوف وهو
قولهم ان هذا لسحر مبين ويقال جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا منكرين لما جاءهم به اجئتما بالسحر
تطلبان به الفلاح ولا يفلح الا من حاصل صنيعهم تخييل وتمويه قالوا اجئتنا لتلفتنا التركيب يدل على الالتواء ومنه الفتل والالتفات
افتعال من اللفت وهو الصرف وتكون لكما الكبرياء فى الارض اى الملك والعز فى ارض مصر قال الزجاج سمى الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب
من امر الدنيا وايضا فالنبى اذا اعترف القوم بصدقه صارت مقاليد امر امته اليه فصار اكبر القوم وقيل لان الملوك موصوفون بالكبر
والحاصل انهم عللوا عدم قبولهم دعوة موسى بامرين التمسك بالتقليد وهو عبادة ابائهم الاصنام والحرص على طلب الدنيا والجد فى بقاء
الرياسة ويجوز ان يقصدوا ذمهما بانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا ثم صرحوا بالتكذيب فقالوا وما نحن لكما بمؤمنين ثم حاولوا المعارضة
وقد مرت تلك القصة فى الاعراف اما قوله ما جئتم به فمعناه الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من ايات الله
قال الفراء وانما قال السحر بالالف واللام لانه جواب الكلام الذى سبق كانهم قالوا لموسى ما جئت به سحر فقال موسى بل ما جئتم به
السحر فوجب دخول الالف واللام لان النكرة اذا اعادت معرفة يقول الرجل لغيره لقيت رجلا فيقول له من الرجل ولو قال من رجل لم يقع فى
وهمه انه يسئل عن الرجل الذى ذكره ومن قرأ اسحر بالاستفهام فما استفهامية مبتداء وجئتم به خبره كانه قيل اى شئ جئتم به ثم قال على وجه
التوبيخ اسحر اى هو سحر او السحر جئتم به ان الله سيبطله باظهار المعجزة عليه ان الله لا يصلح عمل المفسدين لا يؤيده بجميل الخاتمة ويحق الله
الحق يثبته بكلماته بمواعيده او بما سبق من قضائه او باوامره فما امن لموسى اى فى اول امره الا ذرية من قومه قال ابن عباس لفظة الذرية
يعبر به عن القوم على وجه التحقير ولا ريب ان المراد ههنا ليس هو الاهانة فالمراد التصغير بمعنى قلة العدد وقيل المراد اولاد من اولاد قومه كانه
دعا الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف من فرعون ان يصرفهم عن دينهم بتسليط انواع البلاء عليهم
وقيل ان الذرية اقوام كان اباؤهم من قوم فرعون وامهاتهم من بنى اسرائيل وقيل الذرية مؤمن ال فرعون واسية امرأته وخازنه
امرأة خازنه وماشطته فالضمير فى قومه على هذا لفرعون وعوده الى موسى اظهر لانه اقرب المذكورين ولما نقل ان الذين امنوا به كانوا
من بنى اسرائيل والضمير فى ملائهم اما لفرعون على جهة التعظيم لانه ذو اصحاب ياتمرون له او المراد ال فرعون بحذف المضاف او للذرية
يعنى اشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم على انفسهم يدل على ذلك قوله ان يفتنهم اى يعذبهم فرعون
ثم اكد اسباب الخوف بقوله ان فرعون لعال لغالب فى الارض ارض مصر وانه لمن المسرفين فى القتل والتعذيب او لمن المجاوزين الحد لانه من جنس
العبيد فادعى الربوبية العليا وقال موسى تثبيتا للقوم ان كنتم امنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا اخصوه بتفويض اموركم اليه
ان كنتم مسلمين قال العلماء المؤخر فى مثل هذه الصورة مقدم فى المعنى نظيره ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة والمراد ان كانت بك

توة فان ضربك بيده فاضربه فكأنه قيل لهم في حال اسلامهم ان كنتم منقادين لتكاليفه بكم بالاخلاص مصدقين له بالتحقيق عارفين بانه
واجب الوجود لذاته وما سواه محدث مخلوق مقهور تحت حكمه وتدبيره ففوضوا جميع اموركم اليه وحده فقالوا لموسى مجيبين له على الله توكلنا
ثم اشتغلوا بالدعاء قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اي موضع فتنة لهم والمراد بالفتنة تعذيبهم او صرفهم عن دينهم او المراد لا تفتن بنا فرعون
وقومه لانك لو سلطتهم علينا صار ذلك شبهة لهم في انا لسنا على الحق ويجوز ان يكون الفتنة بمعنى المفتون اي لا تجعلنا مفتونين بان
تمكنهم من صرفنا عن الدين الحق ولما قدموا التضرع الى الله في ان يصون دينهم عن الفساد اتبعوه بسؤال عصمة انفسهم فقالوا ونجنا الاية
وفي ذلك دليل على ان عنايتهم بمصالح الدين فوق اهتمامهم بمصالح النفس وهكذا يجب ان يكون عقيدة كل مسلم والله الموفق واوحينا الى موسى
واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوأ بالمكان اتخذه مباءة ومرجعا مثل توطنه اذا اتخذه وطنا واختلف المفسرون في البيوت فمنهم من ذهب
الى انها المساجد كقوله في بيوت اذن الله ان ترفع فالمراد من قوله واجعلوا بيوتكم قبلة ان يجعل تلك البيوت مساجد متوجهة نحو القبلة
وهي جهة بيت المقدس او الكعبة على ما نقل عن ابن عباس وقال الحسن الكعبة قبلة كل الانبياء وانما وقع العدول عنها بامر الله تعالى في ايام
نبينا بعد الهجرة ومنهم من قال انها مطلق البيوت ثم قيل المراد واجعلوا دوركم قبلة اي صلوا في بيوتكم وقيل المراد اجعلوا بيوتكم متقابلة
اما السبب في اتخاذ هذه البيوت فان يصلوا في بيوتهم خفية خيفة عن الكفرة كما كان المؤمنون على ذلك في اول الاسلام بمكة او المقصود جمعية
واعتضاد البعض بالبعض وقيل على التفسير الاول لما اظهر فرعون العداوة الشديدة امر الله موسى وهرون وقومهما باتخاذ المساجد على رغم
الاعداء وتكفل ان يصونهم عن شرهم وانما ثني الخطاب اولا ثم جمع لان اختيار المكان للعبادة مما يفوض الى الانبياء فخوطب موسى وهرون
بذلك ثم جعل الخطاب عاما لهما ولقومهما لان استقبال القبلة واقامة الصلوة واجب على الجمهور ثم خص موسى ع بالتبشير في قوله وبشر المؤمنين
لان الغرض الاصلي من جميع العبادات هو هذه البشارة فلم تكن لائقة الا بحال موسى الذي هو الاصل في الرسالة وفيه تعظيم لشان البشارة
والمبشر قال الضعيف مؤلف الكتاب قد سنح في خاطري وقت هذه الكتابة ان الخطاب في قوله وبشر المؤمنين لنبينا ص على طريقة الالتفات
والاعتراض ومضمون البشارة انه جعلت الارض كلها لهذه الامة مسجدا وطهورا دون سائر الامم فانهم امروا باتخاذ موضع يرجعون
اليه لبنية للعبادة والله اعلم بمراده ثم ان موسى ع لما بالغ في اظهار المعجزات القاهرة ورأى القوم مصرين على الجحود والانكار اخذ يدعو
عليهم ومن حق من يدعو على الغير ان يذكر اولا سبب الدعاء عليه فلهذا قال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا
فالزينة عبارة عن الصحة والجمال واللباس والدواب واثاث البيت والاموال ما يزيد على ذلك من الصامت والناطق عن ابن عباس كانت لهم
من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة قالت الاشاعرة اللام في قوله ليضلوا لام التعليل كأن موسى ع قال يا
رب انك اعطيتهم هذه الزينة والاموال لاجل ان يضلوا فيفيد ان الله تعالى سبب لضلالهم واراد منهم ذلك والا لم يهيئ اسبابه ثم شرع في
الدعاء عليهم بالطمس على اموالهم والطمس المحو والمسخ كما مر في سورة النساء في قوله سبحانه من قبل ان نطمس وجوها وبالشد على قلوبهم فمعناه
الاستيثاق والختم وقالت المعتزلة قوله ليضلوا دعاء بلفظ الامر الغائب دعا عليهم بثلاثة امور بالضلال وبالطمس وبالشد كأنه لما علم
بالتجربة وطول الصحبة ان ايمانهم كالمحال او علم ذلك بالوحي اشتد غضبه عليهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره فالمراد ليثبتوا على
ما هم عليه من الضلال وليطبع الله على قلوبهم كما يقول الاب المشفق لولده اذا لم يقبل نصحه واستمر على غيه سلمنا ان قوله ليضلوا ليس
دعاء عليهم لكن اللام فيه للعاقبة كقوله لدوا للموت سلمنا ان اللام للتعليل لكنهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكأنهم اوتوها
ليضلوا ولم لا يجوز ان يكون لا مقدرة اي لئلا يضلوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا اي لا تضلوا او يكون حرف الاستفهام مقدرا
في آتيت على سبيل التعجب اما قوله تعالى فلا يؤمنوا فاما ان يكون معطوفا على قوله ليضلوا على التفاسير كلها وما بينهما اعتراض واما ان يكون
جوابا للقوله واشدد ويجوز ان يكون دعاء بلفظ النهي معطوفا على اشدد قال قد اجيبت دعوتكما اضاف الدعوة اليهما لان موسى كان
يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان الا انه خص موسى بالذكر في الاية الاولى لاصالته في الرسالة والمعنى ان دعاءكما مستجاب
وما طلبتما كائن ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من التبليغ والانذار زيادة في الزام الحجة ولا تستعجلا فقد لبث نوح في قومه
الف سنة الا قليلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة يدعوهم الى الله ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ان الاستعجال
لا يفيد في اجابة الدعاء فقد يستجاب الدعاء ولكن يظهر الاثر بعد حين وجاوزنا ببني اسرائيل البحر قد مرت تلك القصة في اوائل سورة البقرة
في قوله واذ فرقنا بكم البحر الاية ومعنى قوله فاتبعهم لحقهم يقال تبعه حتى اتبعه والبغي الافراط في الظلم والعدو ومجاوزة الحد وفي الاية
سؤال وهو ان فرعون تاب بثلاث مرات احدها قوله آمنت وثانيها انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وثالثها وانا من المسلمين فلم
يقبل توبته والجواب من وجوه الاول ان ايمان اليأس وانه لا يقبل لان الالجاء ينافي التكليف الثاني انها لم تكن مقرونة بوجوب الصانع ومثل
هذا الاعتقاد الفاحش لا يزول ظلمته الا بنور الحجة القطعية الرابع ما روي ان بعض بني اسرائيل لما جاوزوا البحر اشتغلوا بعبادة العجل
اراد الايمان بذلك العجل الذي آمنوا بعبادته في ذلك الوقت وكانت هذه الكلمة سببا لزيادة الكفر الخامس ان اكثر اليهود يميلون الى

بالاخلاص وانما كانت لدفع البلية الحاضرة والمحنة الناجزة الثالث ان ذلك التوحيد كان مبنيا على محض التقليد والجحد ولكان من الدهرية المنكرين ع

تخيم

والتجسيم والتشبيه ولذلك عبدوا العجل فكأنه ما آمن الا بالاله الموصوف بالجسمية والحلول والنزول السادس لعل الايمان انما يتم بالاقرار
بوحدانية الله تعالى وبنبوة موسى كما انه لو قيل الف مرة لا اله الا الله يصح ايمانه الا اذا قرن به محمد رسول الله تعالى الى الناس كافة السابع
يروى ان جبرائيل عليه السلام اتى فرعون بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون
فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعمته ان يغرق في البحر ثم ان فرعون لما غرق دفع جبرائيل اليه
خطه فعرفه اما قوله الآن فالمشهور من الاخبار انه قول جبرائيل وقيل انه قول الله سبحانه والتقدير أتؤمن الساعة في وقت الاضطرار حين
ادركك الغرق وقوله وقد كنت من المفسدين في مقابلة قوله وانا من المسلمين يروى ان جبرائيل اخذ يملأ فاه بالطين حين قال
آمنت لئلا يتوب غضبا عليه والاقرب عند العلماء ان هذا الخبر غير صحيح لانه في ذلك الحين بقاء التكليف لم يجز على جبرائيل ان يمنعه من التوبة
بل يجب ان يحثه عليها وعلى كل طاعة لقوله تعالى وتعاونوا ولو منعه لكانت التوبة ممكنة لان الاخرس قد يتوب بان يعزم بقلبه على ترك
المعاودة الى القبيح ولو منعه من التوبة لكان قد رضي ببقائه على الكفر والرضاء بالكفر كفر وكيف يليق به سبحانه ان يقول لموسى وهرون
فقولا له قولا لينا ثم يامر جبرائيل بمنعه عن الايمان ولو قيل ان جبرائيل فعل ذلك من تلقاء نفسه كان منافيا لقوله وما نتنزل الا
بامر ربك لا يسبقونه بالقول وان كان قال ذلك بعد زوال التكليف فلم يكن لما فعل جبرائيل فائدة اللهم الا ان يقال انه دس حال البحر
في فيه في وقت لا ينفعه بيانا انه غضب الله على الكافر فقوله فاليوم ننجيك ببدنك فيه اقوال منها ان معناه نخرجك من البحر ونخلصك مما
وقع فيه قومك من قعر البحر ولكن بعد ان تغرق وقوله ببدنك في موضع الحال اي في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن قال كعب رماه
الماء الى الساحل كأنه ثور والمراد ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا بالساحل لا بدنا وفيه نوع تهكم كأنه قيل ننجيك
لكن هذه النجاة انما تحصل لبدنك لا لروحك كما يقال نعتقك ونخلصك من السجن لكن بعد ان تموت وقيل ننجيك ببدنك اي نلقيك
بنجوة من الارض وهي المكان المرتفع وقيل ببدنك اي بدرعك قال الليث البدن الدرع القصير الكمين عن ابن عباس قال كان عليه درع
من الذهب يعرف بها فاخرجه الله من الماء مع ذلك الدرع ليعرف فان صحت هذه الرواية كانت معجزة لموسى عم قوله لتكون لمن خلفك آية فقيل ان قوما
اعتقدوا فيه الالهية وزعموا ان مثله لا يموت فاظهر الله تعالى امره بان اخرجه من الماء بصورته حتى يشاهدوه وتزول الشبهة عن قلوبهم
وكانت مطرحه على ممر من بني اسرائيل فلهذا قيل لمن خلفك وقيل انه تعالى اراد ان يشاهده الخلق على ذلك الذل والمهانة بعد ما سمعوا
منه قوله انا ربكم الاعلى ليكون ذلك زجرا للخلق عن مثل طريقته ويعرفوا انه كان بالامس في نهاية الجلالة ثم آل امره الى ما ترى فلا
يجترؤا على نحو ما اجترأ عليه وقيل المراد ليكون طرحك بالساحل وحدك دون المغرقين آية من آيات الله للامم الآتية ثم زجر هذه الامة عن
ترك النظر في الدلائل وحثهم على التأمل والاعتبار فقال وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون التأويل واتل عليهم نبأ نوح الروح
اذ قال لقومه وهم القلب والسر والنفس وصفاتها يا قوم ان كان عظم عليكم مقامي في الاخلاق الحميدة الروحانية ودعائي الى الله ببراهينه
الواضحة فما سألتكم من اجر من حظ من حظوظ مشاربكم الدنيوية ما حظي الا من مواهب الله وشهود جماله وجعلناهم خلائف خلفاء
الله في ارضه ما في التأويل كما مر في الاعراف هكذا في قصة موسى ولا يفلح الساحرون لان الفلاح هو الخلاص عن قيد الوجود المجازي
ويحق الله الحق اي الذكر بكلماته وهي لا اله الا الله ولو كره اهل الهوى والنفوس الامارة فما آمن لموسى القلب الا صفاته او بعض صفات
فرعون النفس بتبديل اخلاقها الذميمة بالاخلاق الحميدة القلبية على خوف من فرعون النفس والهوى والدنيا وشهواتها ان يفتنهم
الى حالها الطبيعة التي جبلت عليها واوحينا الى موسى القلب وهرون السر ان تبوءا لصفاتكما بمصر عالم الروح مقامات ومنازل لا في
عالم النفس السفلي واجعلوا تلك المقامات متوجهة الى طلب الحق واقيموا الصلوة اديموا العروج من المقامات الروحانية الى المواصلات
الربانية ليضلوا عن سبيلك ليكون عاقبة امرهم ان ينقطعوا ويقطعوا ابناء الدنيا عن السير في طلبك ربنا اطمس على اموالهم بمحقها و
تحقيرها في نظرهم واشدد طريق النظر الى الدنيا وما فيها على قلوبهم واجعل همتهم عليه في طلبك والنظر اليك فقط حتى يروا العذاب الاليم
فان النفس وصفاتها لا يؤمنون بالآخرة وطلب الحق حتى يذيقهم الم الفطام عن الدنيا وشهواتها سبيل الذين لا يعلمون طريق الوصول
الى الله ولا يعرفون قدره وجاوزنا ببني اسرائيل هم القلب والسر وصفاتهما البحر بحر الروحانية الملكوتية فاتبعهم فرعون النفس وصفاتها
بعد الفطام عن شوائب عالم الملك بغيا وعدوا حتى اذا اصابت امواج اللطف وتموجت بحار الفضل واستغرق موسى القلب صفاته في لجج بحر
الوصال وبلغت افواج امواجه الى ساحل البشرية ادرك فرعون النفس الغرق فتمسك بعروة تلك الغريق قال آمنت ومن مارات جنبته فرعون
النفس من عالم الروح انه لم يتمسك بحبل التوحيد والمعرفة بيد الصدق والاستقلال لم يقل آمنت بالله الذي لا اله الا هو وانما تمسك بيد
الاضطراب والتقليد فقال لا اله الا الذي آمنت به بنوا اسرائيل ننجيك ببدنك اي نخلصك مع قالبك من بحر الضلالة لتكون دليلا
على كمال قدرتنا وعلى عنايتنا وان من تبع خواص عبادنا نجعله من اهل النجاة والدرجات بعد ان كان من اهل الهلاك والدركات
والله حسبنا ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان

ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتاب

من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين

إن الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم فلولا كانت قرية آمنت

فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم إلى حين ولو شاء ربك

لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله

ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا

يؤمنون فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا

ع ١٠

والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون

من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا

تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين وإن يمسسك

الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم

قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم

بوكيل واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين القراءة بوانا مثل انشانا ويجعل بالنون يحيى وحماد الاعشى

بالياء الخطابية ثم ننجي من الانجاء نصر وروح ويزيد

ننجي المؤمنين من الانجاء ايف علي سهل ويعقوب حفص المفضل الاخرون بالتشديد بدينهما الوقوف الطيبات ج للابتداء بالنفي

مع الفاء العلم ط يختلفون من قبلك ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى الممترين لا للعطف الخاسرين لا يؤمنون لا لتعلق لو بما قبلها

الاليم يونس ط حين جميعا ط مؤمنين باذن الله ط اي وهو يجعل لا يعقلون والارض ط للفصل بين الاستخبار والاخبار لا يؤمنون

من قبلهم ط من المنتظرين كذلك ج لاحتمال ان يراد ننجيهم كانجاء الرسل او يكون الوقف على امنوا والتقدير ننجي المؤمنين لا انجاء

كذلك حقا علينا اعتراض المؤمنين لا يتوفاكم لاحتمال ان يراد وقد امرت المؤمنين لا للعطف حنيفا ج للعطف مع زيادة نون

التاكيد المؤذن بالاستيناف المشركين ولا يضرك ج للابتداء بالشرط مع الفاء الظالمين الا هو ج للعطف مع حق الفصل

بين المتضادين لفضله ط من عباده ط الرحيم من ربكم ج لتفسير عليها ج للعطف مع النفي بوكيل ط يحكم الله ج لاحتمال العطف

والاستيناف الحاكمين التفسير لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه الختم في واقعة بني اسرائيل

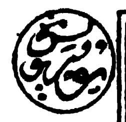
فقال ولقد بوانا اي اسكناهم مسكن صدق واسكان صدق فيكون المبوأ اسم مكان او مصدرا والعرب اذا مدحت شيئا اضافته

الى الصدق ليعلم ان كل ما يظن به من الخير ويطلب منه فانه يصدق ذلك الظن بوجد فيه فيكون المعنى منزلا صالحا مرضيا والمراد ببني اسرائيل

اما اليهود الذين كانوا في زمن موسى فمبوأ الصدق الشام ومصر وما بينهما فانها بلاد كثيرة الخصب غزيرة الارزاق ومع ذلك

فقد اورثهم الله جميع ما كانت تحت تصرف فرعون وقومه من الناطق والصامت فما اختلفوا في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا

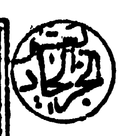
كانوا على طريقة واحدة حتى قرأوا التورية وعرفوا بلوغها بضد المقصود منها وبدلوا الاتفاق بالاختلاف واحدثوا المذاهب المتعددة



واما اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مذهب جم غفير من المفسرين عن ابن عباس هم قريظة والنضير وبنو قينقاع انزلناهم منزل الصدق
ما بين المدينة والشام ورزقناهم من طيبات تلك البلاد رطبا وتمرا ليس في غيرها فبقوا على دينهم ولم يظهر فيهم الاختلاف حتى جاءهم
سبب العلم وهو القرآن النازل على محمد صلى الله عليه وسلم فاختلفوا في نعته وصفته وامن به قوم وبقي على الكفر آخرون وبالجملة فالله تعالى يقضي بين
المحقين منهم والمبطلين في يوم الجزاء لان دار التكليف ليست بدار القضاء ولما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم وفي شان رسولهم
حقق حقيقته وحقيقة ما انزل عليه بقوله فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ والشك في اللغة ضم الشيء بعضه الى بعض منه شك الجوهر في العقد وشكته بالرمح
اي خرقته وانتظمته والشك كالفرقة من الناس والشكاك البيوت المصطفة والشاك يضم الى ما يتوهمه شيئا آخر خلافه والخطاب فيه للرسول
في الظاهر والمراد امته كقوله يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ والدليل عليه قوله بعيد ذلك قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي ولانه لو كان
شاكا في شانه لكان غيره بالشك اولى ويمكن ان يقال الخطاب للرسول حقيقة ولكن ورد على سبيل الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك
مثلا والقضية الشرطية لا اشعار فيها البتة بوقوع الشرط ولا وقوعه بل المراد استلزام الاول للثاني على تقدير وقوع الاول وقد يكونان
محالين كقول القائل ان كانت الخمسة زوجا كانت منقسمة بمتساويين وفيه من الفوائد الارشاد الى طلب الدلائل لاجل مزيد اليقين وحصول
الطمانينة وفيه استمالة للامة والحث لهم على السؤال عما كانوا منه في شك وفيه ان اهل الكتاب من الاحاطة بصحة ما انزل اليك بحيث يصلحون لمراجعة
مثلك فضلا عن غيرك فيكون الغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى الرسول لا وصف الرسول بالشك ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عند نزوله لا اشك
ولا اسال بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل المراد فيتراى انك في شك يعني
لا تامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا وقيل الخطاب لكل سامع يتاتى منه الشك ومن المسؤول عنهم قال المحققون هم مؤمنوا
اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وعبد الله بن صوريا وتميم الداري وكعب الاحبار لانهم هم الذين يوثق بخبرهم ومنهم من قال الكل سواء لانهم
اذا بلغوا حد التواتر وقرؤا آية من التوراة والانجيل يدل على البشارة بمقدم محمد صلى الله عليه وسلم فقد حصل الغرض لان تلك الآية لما بقيت مع توفر دواعيهم
على تحريفها كانت من اقوى الدلائل والظاهر ان المقصود من السؤال معرفة حقيقة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لقوله مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وقيل
السؤال راجع الى قوله فما اختلفوا حتى جاءهم الْعِلْمُ ثم انه سبحانه لما بين الطريق المزيل للشك شهد بحقيته فقال لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
ثم ان فرق المكلفين بعد المصدقين اما متوقفون في صدقه واما مكذبون فنهى الفريقين مخاطبا في الظاهر لنبيه فقال فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ
وَلَا تَكُونَنَّ الآية والمراد فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية وانتفاء التكذيب وفيه من التهييج والبعث على اليقين والتصديق ما فيه ثم لما
زجر كل فريق عما زجر بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء وعبادا ختم لهم بالحسنى فلا يتغيرون عن حالهم البتة اما الاولون فاشار اليهم بقوله
إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ الآية وقد مر مثله في هذه السورة وقالت المعتزلة ان عدم ايمان هذا الفريق الى حين وقوع الباس سوء بهم على الكفر مكتوب
عند الله وثبت عليهم قوله في الازل عما يجري عليهم لكنها كاشفة غير مقتضية ولا مرادة وقالت الاشاعرة كلمته حكمه وارادته وخلقه فيهم الكفر وقد مر تمام
هذه الابحاث مرارا كثيرة واما الآخرون فذلك قوله فَلَوْلَا كَانَتْ اي فهلا حصلت قَرْيَةٌ وَاحِدَةٌ آمَنَتْ تابت عن الكفر واخلصت الايمان
قبل معاينة العذاب فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا لوقوعه في وقت الاختيار والتكليف دون اوان الياس والاضطرار إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ هو استثناء منقطع اي
ولكن قوم يونس لان اول الكلام جرى على القرية وان كان المراد اهلها وقيل ان لولا في هذا المقام بمعنى النفي كانه قيل ما آمنت قرية من
القرى الهالكة الا قوم يونس يروى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا كما يجيء في سورة الانبياء
فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب
الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى تغشى مدينتهم وتسود سطوحهم فلبسوا
المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى
بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم
فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم ومتعوا
بالايمان والاعمال الصالحة وبالخيرات الدنيوية الى حين انقضاء آجالهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت
وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ثم بين ان الايمان وضده كلاهما بمشيئة الله وتقديره فقال وَلَوْ
شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا قالت الاشاعرة هذه القضية تفيد الشمول والاحاطة لكنه ما حصل ايمان اهل الارض
بالكلية فدل هذا على انه تعالى ما اراد ايمان الكل واول المعتزلة المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر حيث ان الكلام في الايمان الذي كان يطلبه
النبي منهم وهو الايمان المنوط به التكليف لا الايمان القسري الذي لا ينتفع به المكلف فلو حمل الايمان المذكور في الآية وكذا المشيئة
على الايمان الالجائي ومشيئة القسر لم ينتظم الكلام ثم ذكر ان القدرة القاهرة والمشيئة النافذة ليست الا للحق سبحانه وتعالى فقال أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ

لا وصف الرسول به

معلوم لا كما يزعم



فاولى الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الكلام فى المكره من هو وما هو الا الله الواحد وحده فحمل المعتزلة
هذا الاكراه على الالجاء ومعناه ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وحمل الاشاعرة الاكراه على الايمان ومعناه انه قادر
على خلق الايمان والكفر فيهم لا انت بدليل قوله وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس اى الكفر والفسق على الذين لا يعقلون
وفسر المعتزلة الاذن بمنح الالطاف والرجس بالخذلان لان الرجس هو العذاب والخذلان سببه خصصوا النفس بالنفس المعلوم ايمانها والذين
لا يعقلون يعنى المصرين على الكفر واستدلت الاشاعرة بقوله وما كان لنفس على انه لا حكم للاشياء قبل ورود الشرع لان الاذن
عبارة عن الاطلاق فى الفعل ورفع الحجر واذا كان اصل الشرع وهو الايمان باذن الله فما ترتب عليه اولى واجابت المعتزلة بان المراد بالاذن
التوفيق والتسهيل والالطاف ولما بين ان الايمان لا يحصل الا بمشيئة الله امر بالنظر والاستدلال بالسماوية والارضية حتى لا يتوهم ان الحق
هو الجبر المحض فقال قل انظروا ماذا فى السموات والارض اى شىء فيهما من الآيات والعبر ثم ذكر ان التفكر والتدبر فى هذه الدلائل لا ينفع فى
حق من حكم الله عليه فى الازل بالشقاء فقال وما تغنى يحتمل ان يكون ما نافية اى لا تفيد هذه الآيات والنذر وهى جمع نذير صفة
او مصدر فى حق المحكوم عليهم بعدم الايمان وان يكون استفهامية للانكار بمعنى اى شىء يغنى عنهم ثم قال فهل ينتظرون والمراد ان الانبياء
المتقدمين كانوا يتوعدون كفار زمانهم بايام مشتملة على انواع العذاب وبوقائع الله فيهم وهم يكذبونهم ويسخرون منهم وكذلك كان
يفعل الكفار المعاصرون للرسول ثم قال سبحانه قل فانتظروا وفيه تهديد ووعيد بانه سينزل بهؤلاء مثل ما نزل باولئك من الاهلاك
بعد انجاء الرسول واتباعه كما حكى تلك الاحوال الماضية بقوله ثم ننجى رسلنا الاية قالت المعتزلة حقا علينا المراد به الوجوب لاستحالة
انه لا يحسن تعذيب الرسول والمؤمنين وقالت الاشاعرة انه حق بحسب الوعد والحكم فان العبد لا يستحق على خالقه شيئا ثم امر رسوله باظهار
الدين والتباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال يا ايها الناس والمعنى يا اهل مكة ان كنتم لا تعرفون دينى فاعلموا انى برىء عن اديانكم
الباطلة ولكن اعبد الله الذى يتوفاكم وتخصيص هذا الوصف لانه يدل على الخلق اولا وعلى الاعادة ثانيا كما مر مرارا ولان الموت اشد
الاحوال مهابة فى القلوب فكان اقوى فى الزجر والردع ولانه قد تقدم ذكر الاهلاك والوقائع النازلة بالامم الخالية فكانه قال اعبد
الله الذى وعدنى باهلاككم وانجائى وفى الاية اشارة الى انه لن يوافقهم فى دينهم كيلا يشكوا فى امره ويقطعوا اطماعهم عنه ولما ذكر انه
لا يعبد الا الله بين انه مامور بالايمان والمعرفة فقال وامرت ان اكون اى بان اكون من المؤمنين ثم عطف عليه قوله وان اقم وجهك
ولا تدع نظرا الى المعنى كانه قيل له كن مؤمنا ثم اقم ولا تدع او المراد وامرت بكذا واوحى الى ان اقم قال فى الكشاف قد سوغ سيبويه ان
يوصل ان بالامر والنهى وشبه ذلك بقولهم انت الذى تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما يكون معه فى معنى المصدر والامر والنهى دالان
على المصدر لانه غيرهما من الافعال ومعنى اقم وجهك استقم اليه لا تلتفت يمينا وشمالا وحنيفا حال من الدين او من الوجه قال المحققون
الوجه ههنا وجه العقل والمراد توجيه الكلية الى طلب الدين كمن يريد ان ينظر الى شىء نظرا تاما فانه يقيم وجهه فى مقابلته لا يصرفه عنه ثم اكد الامر
بالنهى عن ضده فقال ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت اى فان دعوت من دون الله ما لا
ينفعك ولا يضرك وكنى عنه بالفعل اختصارا واذن جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سئل عن تبعة عبادة الاوثان وجعل
من الظالمين لان اضافة التصرف بالاستقلال الى ما سوى مدبر الكل وضع للشىء فى غير موضعه ثم صرح بانه مبدأ الكائنات
ومنتهى الحاجات لا غيره فقال وان يمسسك الله الاية وقد مر تفسير مثلها فى اول سورة الانعام قال الواحدى وان يردك بخير من المقلوب
واصله وان يرد بك الخير ولكنه لما تعلق كل واحد منهما بالآخر جاز كل واحد منهما واقول فى تخصيص الارادة بجانب الخير والمس بجانب الشر
دليل على ان الخير يصدر عنه سبحانه بالذات والشر بالعرض ثم ختم السورة بما يستدل به على قضائه وقدره فى الهداية والضلال فقال يا ايها
الناس الاية وفسرها الاشاعرة بان من حكم له فى الازل بالاهتداء فسيقع له ذلك ومن حكم له بالضلال فكذلك ولا حيلة فى دفعه كما مر فى
سورة الانعام قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه الاية وقالت المعتزلة المراد انه بين الشريعة وازاح العلة فظهر وقطع المعذرة
فمن اختار الهدى فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فلا يعود وباله الا على نفسه يروى عن ابن عباس ان الاية منسوخة باية
القتال ولا يخفى ضعفه ثم امره باتباع الوحى والتنزيل فان وصل اليه بسبب الاتباع مكروه فليصبر فيه الى ان يحكم الله وهو خير الحاكمين ولبعضهم
فى الصبر شعر ساصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى ... واصبر حتى يحكم الله فى امرى ... ساصبر حتى يعلم الصبر اننى ... صبرت على شىء امر من الصبر
التأويل ولقد بوأنا بنى اسرائيل يعنى متولدات الروح العلوى من القلب والسر دون النفس لانها من البنات لا من البنين مبوأ صدق
منزلا عليا فى العالم النورانى ورزقناهم من الطيبات من الفيض الربانى الفائض على الروح لان الروح مستو على عرش القلب وكل
ما فاض من صفة الرحمانية على الروح يفيض الروح على القلب والسر فما اختلف القلب والسر حتى جاءهم دعوة النبى فمن قبلها صار مقبولا ومن
ردها كان مردودا وبوجه آخر ما اختلفوا اصلا لانهم بين الاصبعين من اصابع الرحمن فما اختلفوا حتى ادركهم علم الله الازلى بالسعادة والشقاوة
فان كنت فى شك يخلق الانسان ضعيفا فاذا انفتح عليه ابواب الكرامات وهبت رياح السعادات فربما ظن انه مما يخادع به الاطفال



فلا يدرى هل هو من كرامة الاجتباء او من خاتمة الابتلاء فكان النبى من خصوصيته انما انا بشر مثلكم من تمتع فى هذه الرياض وباختصاص يوحى الى يسقى بكاسات المناولات من تلك الحياض فشك عند سكره انها من شهو التلوين او من كشوف التمكين فادركته العناية الازلية فاكرم بخطاب لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين بل كان هذا النبى فى التكوين فما كان ممتريا ولهذا قال والله لا اشك ولا اسئل لامثل امام الذين خلوا من انه كل ميسر لما خلق له قل فانتظروا واظهوروا ما قدر لكم ولكن اعبد الله الذى يتوفيكم بالفناء عن النفس وصفاتها حيفا طاهرا عن لوث الالتفات الى ما سوا واقم الصلوة طرفى النهار

سورة هود مكية غير اية واحدة فانها مدنية وهى قوله اقم الصلوة طرفى النهار وحروفها سبعة الاف وستمائة وخمسة كلماتها الف وسبعمائة وخمس عشرة واياتها مائة وثلث وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان

الٓرٰ كِتٰبٌ اُحْكِمَتْ اٰيٰتُهٗ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَّدُنْ حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ ۙ اَلَّا تَعْبُدُوْٓا اِلَّا اللّٰهَ ؕ اِنَّنِيْ لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيْرٌ وَّبَشِيْرٌ ۙ وَّاَنِ اسْتَغْفِرُوْا

کتابیست که محکم کرده شده است آیتهایش پس تفصیل داده شد از نزد درستکردار آگاه که پرستید مگر خدا را بدرستیکه من مر شما را از آن بیم کننده ام و مژده دهنده ام و آنکه آمرزش خواهید

رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوْٓا اِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَّتَاعًا حَسَنًا اِلٰٓى اَجَلٍ مُّسَمًّى وَّيُؤْتِ كُلَّ ذِيْ فَضْلٍ فَضْلَهٗ ؕ وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنِّيْٓ اَخَافُ عَلَيْكُمْ

از پروردگار تان پس بازگشت کنید بوی تا برخوردار گرداند شما را برخوردار نیکو تا مدتی نام برده شده و میدهد هر صاحب فضلی را فضلش و اگر رو گردانید پس بدرستیکه من میترسم بر شما

عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيْرٍ ۞ اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ ۚ وَهُوَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيْرٌ ۞ اَلَآ اِنَّهُمْ يَثْنُوْنَ صُدُوْرَهُمْ لِيَسْتَخْفُوْا مِنْهُ ؕ اَلَا حِيْنَ يَسْتَغْشُوْنَ

از عذاب روز بزرگ بسوی خداست بازگشت شما و او بر همه چیزی تواناست آگاه باشید که ایشان میپیچند سینهاشان را تا پوشیده شوند از او آگاه باشید هنگامیکه بر سر میکشند

ثِيَابَهُمْ ۙ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّوْنَ وَمَا يُعْلِنُوْنَ ۚ اِنَّهٗ عَلِيْمٌۢ بِذَاتِ الصُّدُوْرِ ۞ وَمَا مِنْ دَآبَّةٍ فِي الْاَرْضِ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ؕ كُلٌّ فِيْ

جامهاشان را میداند آنچه پنهان میکنند و آنچه آشکار میکنند بدرستیکه او داناست بآنچه در سینهاست و نیست هیچ جنبنده در زمین مگر بر خداست روزیش و میداند قرارگاه او را

كِتٰبٍ مُّبِيْنٍ ۞ وَهُوَ الَّذِيْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِيْ سِتَّةِ اَيَّامٍ وَّكَانَ عَرْشُهٗ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ اَيُّكُمْ اَحْسَنُ عَمَلًا ؕ وَلَئِنْ

کتابی روشن و اوست آنکه آفرید آسمانها و زمین را در شش روز و بود عرش او بر آب تا بیازماید شما را که کدام از شما نیکوتر است در کردار و اگر

قُلْتَ اِنَّكُمْ مَّبْعُوْثُوْنَ مِنْۢ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُوْلَنَّ الَّذِيْنَ كَفَرُوْٓا اِنْ هٰذَآ اِلَّا سِحْرٌ مُّبِيْنٌ ۞ وَلَئِنْ اَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ اِلٰٓى اُمَّةٍ

گوئی که بدرستیکه شما برانگیخته شدگانید از پس مرگ هر آینه گویند آنانکه کافر شدند نیست این مگر جادوی آشکار و اگر باز پس اندازیم از ایشان عذاب را تا مدتی

مَّعْدُوْدَةٍ لَّيَقُوْلُنَّ مَا يَحْبِسُهٗ ؕ اَلَا يَوْمَ يَاْتِيْهِمْ لَيْسَ مَصْرُوْفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَّا كَانُوْا بِهٖ يَسْتَهْزِءُوْنَ ۞ وَلَئِنْ اَذَقْنَا الْاِنْسَانَ

شمرده شده هر آینه میگویند چه باز میدارد آنرا آگاه باشید روزیکه بیاید بایشان نیست گردانیده شده از ایشان و فرود آید بایشان آنچه بودند که بآن استهزا میکردند و هر آینه اگر بچشانیم انسان را

مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنٰهَا مِنْهُ ۚ اِنَّهٗ لَيَئُوْسٌ كَفُوْرٌ ۞ وَلَئِنْ اَذَقْنٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُوْلَنَّ ذَهَبَ السَّيِّاٰتُ عَنِّيْ ؕ اِنَّهٗ لَفَرِحٌ فَخُوْرٌ ۙ

از خود رحمتی پس برداریم آنرا از او بدرستیکه او نومید ناسپاس است و اگر بچشانیم او را نعمتی بعد از سختی که رسیده باشد بوی هر آینه گوید رفت بدیها از من بدرستیکه او شادمان نازنده است

اِلَّا الَّذِيْنَ صَبَرُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ ؕ اُولٰٓئِكَ لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَّاَجْرٌ كَبِيْرٌ ۞ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوْحٰٓى اِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهٖ صَدْرُكَ

مگر آنانکه صبر کردند و کردند کارهای شایسته آنها ایشانراست آمرزش و مزد بزرگ پس شاید تو ترک کننده باشی برخی از آنچه وحی کرده میشود بسوی تو و تنگ شونده باشد بآن سینه تو

اَنْ يَّقُوْلُوْا لَوْلَآ اُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ اَوْ جَآءَ مَعَهٗ مَلَكٌ ؕ اِنَّمَآ اَنْتَ نَذِيْرٌ ؕ وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ وَّكِيْلٌ ۞ اَمْ يَقُوْلُوْنَ افْتَرٰىهُ ؕ قُلْ فَاْتُوْا بِعَشْرِ

که میگویند چرا فرستاده نشد بر او گنجی یا نیامد با او فرشته جز این نیست که تو بیم کننده و خدا بر همه چیز نگهبانست یا میگویند بدروغ بر بسته است آنرا بگو پس بیاورید ده

سُوَرٍ مِّثْلِهٖ مُفْتَرَيٰتٍ وَّادْعُوْا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ اِنْ كُنْتُمْ صٰدِقِيْنَ ۞ فَاِلَّمْ يَسْتَجِيْبُوْا لَكُمْ فَاعْلَمُوْٓا اَنَّمَآ اُنْزِلَ بِعِلْمِ

سوره مثل او بر بافته شده و بخوانید هر که را توانید بجز خدا اگر هستید راستگویان پس اگر اجابت نکنند مر شما را پس بدانید که جز این نیست که فرو فرستاده شده بعلم

اللّٰهِ وَاَنْ لَّآ اِلٰهَ اِلَّا هُوَ ۚ فَهَلْ اَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ۞ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا وَزِيْنَتَهَا نُوَفِّ اِلَيْهِمْ اَعْمَالَهُمْ فِيْهَا وَهُمْ فِيْهَا لَا يُبْخَسُوْنَ

خدا و آنکه نیست خدائی مگر او پس آیا شما مسلمانید هر که باشد که خواهد زندگانی دنیا و زینت آنرا تمام دهیم بایشان جزای کارهاشان در آن و ایشان در آن کم داده نشوند

اُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ اِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوْا فِيْهَا وَبٰطِلٌ مَّا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ۞ اَفَمَنْ كَانَ عَلٰى بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّهٖ

آنها آنانند که نیست مر ایشانرا در آخرت مگر آتش و ناچیز شد آنچه کردند در آن و باطل است آنچه بودند که میکردند آیا پس کسیکه باشد بر حجتی از پروردگارش

وَيَتْلُوْهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِنْ قَبْلِهٖ كِتٰبُ مُوْسٰٓى اِمَامًا وَّرَحْمَةً ؕ اُولٰٓئِكَ يُؤْمِنُوْنَ بِهٖ ؕ وَمَنْ يَّكْفُرْ بِهٖ مِنَ الْاَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهٗ ۚ فَلَا

و میخواند آنرا گواهی از او و از پیش او کتاب موسی پیشوا و رحمت آنها میگروند بآن و کسیکه کافر شود بآن از گروهها پس آتش وعده گاه اوست پس

تَكُ فِيْ مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ اِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۞ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا ؕ اُولٰٓئِكَ يُعْرَضُوْنَ عَلٰى

مباش در شکی از آن بدرستیکه آن حقست از پروردگار تو و لیکن بیشتر مردمان نمیگروند و کیست ستمکارتر از کسیکه بر بافت بر خدا دروغرا آنها عرض کرده میشوند بر

رَبِّهِمْ وَيَقُوْلُ الْاَشْهَادُ هٰٓؤُلَآءِ الَّذِيْنَ كَذَبُوْا عَلٰى رَبِّهِمْ ۚ اَلَا لَعْنَةُ اللّٰهِ عَلَى الظّٰلِمِيْنَ ۞ الَّذِيْنَ يَصُدُّوْنَ عَنْ سَبِيْلِ اللّٰهِ وَيَبْغُوْنَهَا

پروردگار شان و میگویند گواهان اینها آنانند که دروغ بستند بر پروردگار شان آگاه باشید لعنت خدا بر ستمکارانست آنانکه باز میدارند از راه خدا و میجویند آنرا

عشر

ع

ونعلم مستقرها: ومیداند قرارگاه اوشرا

ع

نعمآء



عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ

کج و ایشان بآخرت ایشان کافران ایشان نباشند عاجز کنندگان در زمین و نباشد مر ایشان را از جز خدا هیچ دوستان مضاعف کرده شود برای ایشان عذاب

مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ

نیستند که بتوانند شنیدن و نیستند که ببینند ایشان آنند که زیان کردند بخویشتن و گم شد از ایشان آنچه دروغ می بستند ناچار بدرستیکه ایشان

فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ

در آخرت ایشانند زیانکاران بدرستیکه آنانکه گرویدند و کردند کارهای شایسته و آرمیدند بسوی پروردگار ایشان آنگروه اهل بهشت اند ایشان در آن جاوید مانند

مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ القراءة وان تولوا باظهار النون وتشديد

مانند آن دو گروه چون کور و کر و بیننده و شنوا است آیا برابر باشند بمثل آیا پند نمیگیرند التاء البزي وابن فليح فاني اخاف بفتح الياء

ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير عني انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف آرقا كوفي خبيرة لا بناء على انه يتعلق بما قبله

الا الله ط وبشيرا للعطف فضله ج كبير مرجعكم ج لاحتمال الحال والاستيناف قدير منه ط ثيابهم لا بناء على ان عاملين قوله يعلم

يعلنون الصدور الجزء الثاني عشر مستودعها ط مبين عملا ط مبين ما يحبسه ط يستهزؤن منه ج لحذف جواب لئن اي ليائس

وقيل جوابها انه والاول اوجه كفور عني ط فخور لا للاستثناء الصالحات ط كبير ملك ط نذير وكيل ط لان ام استفهام تقريع افتريه ط صادقين

الا هو ط للاستفهام مع الفاء مسلمون يبخسون الا النار ز بناء على ان ليس بمنزلة حرف النفي والوصل او جعل ان ليس فعل ماض وهو مع ما

عطف عليه المجموع جزاء يعملون ورحمة ط يؤمنون به موعده ط لاختلاف الجملتين مع الفاء لا يؤمنون كذبا ط على ربهم الثاني ج لان

ما بعده يحتمل ان يكون من قول الاشهاد او ابتداء اخبار الظالمين لا عوجا ط من اولياء م لئلا يوهم ان ما بعده صفة اولياء العذاب ط

يبصرون يفترون الاخسرون الى ربهم لا لان ما بعده خبر ان الجنة ج خالدون والسميع ط مثلا ط تذكرون التفسير آلر ان كان اسما للسورة

فما بعده خبره وان كان واردا على سبيل التعديد وكان معناه انا الله ارى فقوله كتاب خبر مبتدا محذوف اي هذا الكتاب والاشارة اما

الى هذا البعض واما الى مجموع القرآن ومعنى احكمت نظمت نظما رصينا من غير نقض ونقص وجعلت حكيمة من حكم بالضم اذا صار حكيما او منعت من الفساد

والبطلان من قولهم حكمت الدابة وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماع اي لم ينسخ بكتاب سواه كما نسخ سائر الكتب وذلك لاشتماله على

العلوم النظرية والعملية والظاهرية والباطنية وعلى اصول جميع الشرائع فلا محالة لا يتطرق اليه تبديل وتغيير ثم فصلت كما يفصل القلائد

بالفرائد من دلائل التوحيد والنبوة والاحكام والمواعظ والقصص لكل معنى من هذه المعاني فصل انفرد به وجعلت فصولا سورة سورة وآية

آية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها تكاليف العباد وبين ما يحتاجون اليه في اصلاح المعاش والمعاد ومعنى ثم التراخي

في الحال كقولك فلان كريم الاصل ثم كريم الفعل واحكمت صفة كتاب ومن لدن صفة ثانية او خبر بعد خبر او صلة لاحكمت وفصلت اي من

عنده احكامها وتفصيلها وفي قوله حكيم خبير لف ونشر لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير عالم بمواقع الامور احتج الجبائي بقوله احكمت

ثم فصلت على كون القرآن محدثا لان الاحكام والتفصيل يكون بجعل جاعل وكذا بقوله من لدن لان القديم لا يصدر من القديم واجيب

بانه لا نزاع في حدوث الاصوات والحروف انما النزاع في الكلام النفسي قوله ان لا تعبدوا الا الله مفعول له اي لاجل ان لا ويكون ان

مفسرة لان في تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل ثم قيل للنبي قل لهم لا تعبدوا وجوز في الكشاف ان يكون كلاما مبتدا منقطعا عما قبله

محكيا عن لسان النبي يغريهم على اختصاص الله بالعبادة كانه قال ترك عبادة الله مثل فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل حالا من

نذير وبشير اي انني لكم نذير من جهته ان لم تخصوه بالتعبد وبشير ان خصصتموه بذلك ويجوز ان يكون منه صلة للنذير اي انذركم منه ومن

عذابه ويكون صلة البشير محذوفا اي ابشركم بثوابه ثم عطف على قوله ان لا تعبدوا قوله وان استغفروا اي اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم

ثم بين الشيء الذي به يطلب ذلك وهو التوبة فقال ثم توبوا اليه فالتوبة مطلوبة لكونها من متممات الاستغفار وما كان آخرا في الحصول

كان اولا في الطلب فلهذا قدم الاستغفار على التوبة وقيل استغفروا اي توبوا ثم قال توبوا اي اخلصوا التوبة واستقيموا عليها وقيل

استغفروا من سالف الذنوب ثم توبوا من آنف الذنوب قيل استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة وقيل الاستغفار ان يطلب من الله

الاعانة في ازالة ما لا ينبغي والتوبة سعي الانسان في الطاعة والاستعانة بفضل الله مقدم على الاستعانة بسعي النفس ثم رتب على الامتثال

امرين الاول التمتع بالمنافع الدنيوية الى حين الوفاة كقوله فلنحيينه حيوة طيبة سؤال كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى ولولا ان يكون

الناس امة واحدة وقول النبي الدنيا سجن المؤمن البلاء موكل بالانبياء ثم بالاولياء واجيب بان المراد انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال

او يرزقهم كيف كان والجواب الثاني ان الانسان اذا كان مشغولا بطاعة الله مستغرقا في نور معرفته وعبادته كان مبتهجا في نفسه مسرورا

في ذاته هينا عليه ما فاته من اللذات العاجلة فانعا بما يصيبه من الخيرات الزائلة الثاني قوله ويؤت اي في الآخرة كل ذي فضل فضله اي نحو

فضل فذلك التخصيص مقتضاه يعني الجزاء المرتب على عمله بحسب تزايد الطاعات في تسمية العمل الحسن فضلا تشريفه ويجوز ان يعود الضمير في فضله



الى الله تعـ وفيه تنبيه على الدرجات فى الجنة يتفاضل بحسب تزايد الطاعات ثم اوعد على مخالفة الامر فقال وَإِن تَوَلَّوْا اى تتولوا فحذفت احدى التائين
والمعنى ان تعرضوا عن الاخلاص فى العبادة وعن الاستغفار والتوبة فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ هو يوم القيمة الموصوف بالعظم لثقل
ايضه ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ثم بين كبر عذاب ذلك اليوم بقوله إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ اى لا حكم فى ذلك اليوم الا لله ولا رجوع الا الى جزائه
وهو مع ذلك كامل القدرة نافذ الحكم فما ظنكم بعذاب يكون المعذب به مثله وفيه من التهديد ما فيه ولكن الاية تتضمن البشارة من وجه
اخر وذلك ان الحاكم الموصوف بمثل هذه العظمة والقدرة والاستقلال فى الحكم اذا راى عاجزا مشرفا على الهلاك فانه يرحم عليه لا يقيم لعذابه
وزنا اللهم لا تخيب رجاءنا فانك واسع المغفرة ثم ذكر ان التولى عن الاوامر المذكورة باطنا كالتولى عنها ظاهرا فقال أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ يقال ثنى
صدره عن الشيء اذا ازور عنه وانحرف وطوى عنه كشحا قال المفسرون وههنا اضمار اى يثنون صدورهم ويريدون لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ اى
من الله ثم كرر كلمة الا تنبيها على وقت استخفائهم وهو حين يستغشون ثيابهم اى يريدون الاستخفاء فى وقت الاستغشاء بالثياب
قال الكلبى ثنى صدورهم كناية عن نفاقهم لما روى ان طائفة من المشركين منهم الاخنس بن شريق قالوا اذا اغلقنا ابوابنا وارخينا ستورنا و
استغشينا ثيابنا وثنينا صدورنا على عداوة محمد صلعم فكيف يعلم بنا وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار وقيل انه حقيقة وذلك ان بعض الكفار
كان اذا مر به رسول الله صلعم ثنى صدره وولى ظهره واستغشى ثيابه لئلا يسمع كلام رسول الله صلعم وما يتلو من القران وليقول فى نفسه
ما يشتهى من الطعن ثم استأنف قوله يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ تنبيها على انه لا فائدة لهم فى استخفاء لانه تعـ عالم بالسرائر كما انه عالم بالظواهر
ثم اكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهامها فضلا وامتنانا وكرما ولحسانا
فقال وَمَا مِن دَابَّةٍ الاية والمستقر مكانها من الارض والمستودع ما قبل ذلك من الاماكن من صلب او رحم او بيضة وقال الفراء مستقرها
حيث تاوى اليه ليلا او نهارا ومستودعها موضعها الذى يموت فيه وقد مر تمام الاقوال فى سورة الانعام واستدل الاشاعرة بالاية على
ان الحرام رزق لانها تدل على ان ايصال الرزق الى كل حيوان واجب على الله بحسب الوعد عندنا او بحسب الاستحقاق عند المعتزلة شبهة النذر
ثم نرى انسانا لا ياكل من الحلال طول عمره وقد سماه الله تعـ رزقا ثم ختم الاية بقوله كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ اى كل واحد من الدواب رزقها ومستقرها
ومستودعها ثابت فى علم الله او فى اللوح المحفوظ وقد ذكرنا فائدته فى قوله وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ يروى ان موسى عـ عند نزول
الوحى عليه تعلق قلبه فامره الله تعـ ان يضرب بعصاه صخرة فانشقت فخرجت ثالثة ثم ضربها فخرجت دودة كالذرة وفى فمها شيء يجرى
مجرى الغذاء لها فسمع الدودة يقول سبحان من يرانى ويسمع كلامى ويعرف مكانى ويذكرنى ولا ينسانى ثم دلائل قدرته بقوله وَهُوَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ قال الاحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء
يرتعد ثم خلق الريح فجعل الماء على متنها ووضع العرش على الماء وقال ابو بكر الاصم هذا كقولك السماء على الارض وليس ذلك على سبيل
كون احدهما ملتصقا بالاخر وعلى هذا فيكون الا انه عرشه على الماء وقال فى الكشاف المراد انه ما كان تحت العرش سوى الماء وفيه دليل على
العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وعلى ان الملائكة خلقت قبل العرش والماء ليعتبروا بهما الا لزم ان يكون خلقهما قبل ان يعتبر
بهما عبثا اذ لا يتصور عود نفعهما اليه تعـ وقال ابو مسلم العرش البناء اى بناؤه للسموات كان على الماء وقال حكماء الاسلام المراد بالماء
تحركه شبه سيلان الماء اى وكان عرشه يتحرك وبالجملة مقصود الاية بيان كمال قدرته فى امساك الجرم العظيم على الصغير اما قوله لِيَبْلُوَكُمْ فالمعتزلة
قالوا اللام للتعليل وذلك انه خلق هذا العالم الكبير لاجل مصالح المكلفين وان يعاملهم معاملة المختبر المبتلى لاحوالهم كيف يعملون فيجازى
كل فريق بما يستحقه والاشاعرة قالوا ان احكامه غير معللة بالمصالح ومعناه انه فعل فعلا لو كان يفعله من يجوز عليه رعاية المصالح لما فعله
الا لهذا الغرض وانما علق فعل البلوى لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق الى العلم فهو ملابس له كالنظر والاستماع فى قولك انظر
ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن كلاما قال فى الكشاف الذين هم احسن عملا هم المتقون وانما خصهم بالذكر وطرح ذكر من وراءهم من الفساق
والكفار تشريفا لهم قلت ويجوز ان يقال ان احسن بمعنى حسن ليشمل الخطاب جميع المكلفين ثم لما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث اتبع
ذلك قوله وَلَئِن قُلْتَ الاية والاشارة فى قوله إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ الى البعث اى هو باطل كبطلان السحر او الى القران لانه الناطق بالبعث
فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث قال القفال معناه ان هذا القول خديعة منكم وضعتموها لمنع الناس عن
لذات الدنيا واحتذابهم الى الانقياد لكم والدخول تحت طاعتكم ومن قرأ ساحر فالاشارة الى النبى صلعم ثم بين انه متى اخر عنهم العذاب الذى
توعدهم الرسول به اخذوا فى الاستهزاء وقالوا ما الذى حبسه عنا فقال وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الاية والامة اشتقاقها من الام وهو القصد
واريد بها الوقت المقصود لايقاع الموعود وقيل هى فى الاصل الجماعة من الناس وقد يسمى الحين باسم ما يحصل فيه كقولك كنت عند فلان
صلوة العصر اى فى ذلك الحين فالمراد الى حين تنقضى امة معدودة من الناس قال فى الكشاف اى جماعة من الاوقات والعذاب عذاب
الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبرئيل المستهزئين وهو ما يحبسه شيء يمنعهم من النزول استعجالا له على جهة الاستهزاء
والتكذيب فاجابهم الله بقوله أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ وهو متعلق بخبر ليس اى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم ياتيهم واستدل به على جواز تقديم

فانشقت فخرجت منها
صخرة ثانية ثم ضرب فانشقت
صح

خبر ليس على الدليل لانه اذا جاز تقديم معمول الخبر عليها فتقديم الخبر عليها اولى ولان للتابع مزية على المتبوع ثم قال وحاق اى احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اراد يستعجلون ولكنه وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء وحاق بلفظ الماضى لتحقق الوقوع وجعله كالواقع ثم حكى ضعف حال الانسان فى حالتى السراء والضراء فقال ولئن اذقنا الانسان الاية واختلف المفسرون فقيل الانسان مطلق بدليل صحة الاستثناء فى قوله الا الذين امنوا ولان هذا النوع مجبول على الضعف والنقص والعجلة وقلة الثبات وقيل المراد الكافر والاستثناء منقطع واللام للعهد لتقدم ذكر الكافر ولان وصف اليأس والكفر والفرح المفرط بالامور الزائلة والفخر بها لا يليق الا بالكافر وذلك انه يعتقد ان السبب فى حصول تلك النعم من الامور الاتفاقية فاذا زالت استبعد حدوثها مرة اخرى فيقع فى اليأس الشديد وعند حصولها كان ينسبها الى الاتفاق فلا يشكر الله بل يكفره واذا انتقل من مكروه الى محبوب ومن محنة الى منحة اشتد فرحه بذلك وافتخر بها لذهوله عن السعادات الاخروية الروحانية فيظن انه قد فاز بغاية الامانى ونهاية المقاصد اما المؤمن فحاله على العكس لذلك استحق وعد الله بالمغفرة والاجر الكبير اما تفسير الالفاظ فالاذاقة والذوق اقل ما يوجد به الطعم وفيه دليل على ان الانسان لا يصبر عن اقل القليل ولا علية وفيه ان جميع نعم الدنيا فى قلة الاعتبار وسرعة الزوال يشبه حلم النائمين وخيالات المبرسمين والرحمة النعمة من صحة وامن وجدة ونزعها سلبها واليؤس والكفور بناءان للمبالغة والنعماء انعام يظهر اثره على صاحبه والضراء مضرة كذلك قال الواحدى لانها اخرجت مخرج الاحوال الظاهرة نحو حمراء وعوراء والسيئات يريد بها المصائب التى ساءته ثم سلى نبيه بقوله فلعلك تارك قال ابن عباس ان رؤساء مكة قالوا ان كنت رسولا فاجعل لنا جبال مكة ذهبا او ائتنا بالملائكة يشهدون لك فهم النبى صلى الله عليه وسلم ان يدع سب الهتهم فنزل فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك واختلفوا فى ذلك البعض فعن ابن عباس ان المشركين قالوا له ائتنا بكتاب ليس فيه شتم الهتنا حتى نتبعك ونؤمن بك وقال الحسن طلبوا منه ان يترك قوله ان الساعة اتية واجمع المسلمون على انه لا يجوز على الرسول ان يترك بعض ما يوحى الله اليه لانه ينافى المقصود من الرسالة المعتبر فيها الامانة فاولوا الاية بان امثال هذه التهديدات لعلها سبب عدم التقصير فى اداء الوحى فلهذا خوطب بها او لعله كان صلى الله عليه وسلم يهم بتهديد من احدهما ترك اداء شىء من الوحى وثانيهما انهم كانوا يتلقونه بالطعن والاستهزاء فنبه بالاية على ان تحمل الضرر الثانى اهون واذا وقع الانسان بين مكروهين وجب ان يختار اسهلهما والعرب يقول لغيره اذا اراد ان يزجره لعلك تفعل كذا اى لا تفعل وانما قال وضائق ولم يقل وضيق ليدل على انه ضيق حادث لانه صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومعنى ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم بين ان حاله مقصور على النذارة لا يتخطاها الى انزال المقترحات والذى ارسله هو القادر على ذلك حفيظ عليه وعلى كل شىء ومن كمال قدرته انزال القران المعجز لهذا المصاقع واشار الى ذلك بقوله ام يقولون الاية وقد مر مثله فى سورة يونس عن ابن عباس السور العشر من اول القران الى ههنا واعترض عليه بان هذه السورة المتقدمة عليها مدنية فكيف يمكن ان يشار الى ما لم ينزل بعد فالاولى ان يقال ان التحدى وقع بمطلق السور التى تظهر فيها قوة تركيب الكلام وتاليفه تحداهم اولا بمجموع القران فى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله ثم بعشر سور فى هذه الاية وذلك ان العشرة اول عقد من العقود ثم بسورة فى يونس وفى البقرة وهذا كما يقول الرجل لصاحبه اكتب كما اكتب فاذا عجز قال اكتب عشرة اسطر مثل ما اكتب فاذا ظهر عجزه قال له فى اخر الامر قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله ثم اراد انكم اذا بالغتم فقد جوزت لكم ان تستعينوا بكل من تريدون فاذا ظهر عجزهم حال الانفراد وحال الاجتماع والتعاون تبين عجزهم عن المعارضة على الاطلاق ولهذا قال فان لم يستجيبوا لكم الى المعارضة القران والى الايمان لكم اى لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم او الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلموا انما انزل بعلم الله اى متلبسا بما لا يعلمه الا الله من النظم المعجز والاشتمال على العلوم الجمة والاخبار الغائبة ومعنى الامر راجع الى الثبات اى اثبتوا على ما انتم عليه من العلم واليقين بشان القران ودوموا على التوحيد الذى استفدتم من القران ودلكم على ذلك عجز الهتهم عن المعارضة والاعانة ثم ختم الاية بقوله فهل انتم مسلمون وفيه نوع من التهديد كانه قيل للمسلمين اذا تبين لكم صدق قول محمد صلى الله عليه وسلم وازددتم بصيرة وطمانينة وجب عليكم الزيادة فى الاخلاص والطاعة وتفسيره اخر وهو ان يكون الضمير فى لم يستجيبوا لمن فى من استطعتم والخطاب فى لكم للمشركين وكذا فى قوله فاعلموا وفى انتم والمعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه الى المظاهرة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا انه منزل من عند الله وان توحيده واجب ثم رغبهم فى اصل الاسلام وهددهم على تركه بقوله فهل انتم بعد لزوم الحجة مسلمون ثم اوعد من كانت همته مقصورة على زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا او عنادا فقال من كان يريد الاية عن انس انهم اليهود والنصارى وقيل المنافقون كانوا يطلبون بغزوهم مع الرسول الغنائم فكان يسهم لهم فيها وقال الاصم هم منكرو البعث وقال اخرون هى عامة فى الكافر والمسلم المرائى وقال القاضى المراد من كان يريد بعمل الخير الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو ما ينالون من الصحة والكفاف وسائر اللذات والمنافع عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيمة يدعى برجل جامع للقران فيقال له ما عملت فيه فيقول يا رب قمت فيه اناء الليل والنهار فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان قارئ وقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله الم اوسع عليك فماذا عملت فيه فيقول وصلت الرحم وتصدقت فيقول الله كذبت بل اردت ان يقال فلان جواد وقد قيل

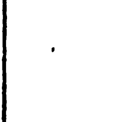
مكية وبعض المدنى



ثم يؤتى بمن قتل في سبيل الله فيقول قاتلت في الجهاد حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت بل اردت ان يقال فلان جرئ قال ابو هريرة ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتي وقال يا ابا هريرة اولئك الثلثة اول خلق تسعر بهم النار يوم القيمة وروي ان ابا هريرة ذكر هذا الحديث عند معوية فبكى معوية حتى ظننا انه هالك ثم افاق فقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآيتان ثم بين ان بين طالب الدنيا وحدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا بينا فقال افمن كان والمعنى امن كان يريد الحيوة الدنيا فمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة عند الله ولا يقاربونهم نظيره اذا اتاك العلماء والجهال فاتوت بالجهال للدخول قبل العلماء فيقول الجهال ثم العلماء كلا وحاشا تريد ان العلماء ينبغي ان يدخلوا اولا ثم الجهال ويمكن ان يقال التقدير امن كان على بينة من ربه كمن يريد الحيوة الدنيا فحذف الخبر للعلم به ومثله امن زين له سوء عمله فراه حسنا امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما واعلم ان اول هذه الآية يشتمل على الفاظ اربعة مجملة الاول ان هذا الذي وصفه بانه على بينة من هو الثاني ما المراد بالبينة الثالث ما معنى يتلوه اهو من التلاوة ام من التلو الرابع الشاهد من هو وللمفسرين فيها اقوال اصحها ان معنى البينة البرهان العقلي الدال على صحة الدين الحق والذي هو على البينة مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه ومعنى يتلوه يعقبه وتذكير الضمير العائد الى البينة بتاويل البيان والبرهان والمراد بالشاهد القرآن ومنه اي من الله او من القرآن المقدم ذكره في قوله ام يقولون افتريه ومن قبله كتاب موسى اي ويتلو ذلك البرهان من قبل القرآن كتاب موسى وهو التورية حال كونه اماما اي اماما كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل اليهم والحاصل ان المعارف اليقينية المكتسبة اما ان يكون طريق اكتسابها بالحجة والبرهان واما ان يكون بالوحي والالهام واذا اجتمع على بعض المطالب هذان الامران واعتضد كل واحد منهما بالآخر كان المطلوب اوثق ثم اذا توافقت كلمة الانبياء على صحته بلغ المطلوب غاية القوة والوثوق ثم انه حصل في تقرير صحة هذا الدين هذه الامور الثلثة جميعا البينة وهي الدلائل العقلية اليقينية والشاهد وهو القرآن المستفاد من الوحي وكتاب موسى المشتمل على الشرائع المتقدمة عليه الصالح لاقتداء الخلف به وعند اجتماع هذه الامور لم يبق لطالب الحق المنصف في صحة هذا الدين شك وارتياب وقيل امن كان محمد والبينة القرآن ويتلوه يقرءه شاهد هو جبرئيل نزل بامر الله وقرء القرآن على محمد او شاهد من محمد هو لسانه او شاهد هو بعض محمد يعني علي بن ابي طالب عليه السلام او ويتلو اي يعقب ذلك البرهان شاهد من النبي هو صورته ومخايله فان من نظر اليه بعقله تفرس منه انه ليس بمجنون ولا وجهه وجه كذاب ولا كاهن وقيل الكائن على البينة هم المؤمنون والبينة القرآن ويتلوه يعقب القرآن شاهد من الله هو محمد صلى الله عليه وسلم او الانجيل لانه يعقبه في التصديق والدلالة على المطلوب وان كان موجودا قبله وذلك الشاهد كون القرآن واقعا على وجه يعرف المتامل فيه اعجازه لاشتماله على فنون الفصاحة وصنوف البلاغة الى غير ذلك من المزايا التي قلما يخبر عنها الا الذوق السليم ثم مدح الكائن على البينة بقوله اولئك يؤمنون به اي بالقرآن ثم اوعد غيرهم بقوله ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن تحازب معهم كاليهود والنصارى والمجوس فالنار موعده فلا تك في مرية منه من القرآن او من الموعد ولما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد الحيوة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد وذلك قوله افمن كان على بينة اراد ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم انها شفعاء من تشفعهم فقال ومن اظلم ثم قال اولئك يعرضون لم يجعل عليهم العرض لانهم مخصوصون بالعرض فان العرض عام ولكن فائدة الحمل ترجع الى المعطوف واراد انهم يعرضون فيفضحون بقول الاشهاد ومعنى عرضهم على ربهم انهم يعرضون على الاماكن المعدة للحساب والسؤال والمراد عرضهم على من يوبخ ويبكت بامر الله من الانبياء والمؤمنين او اراد انهم يحبسون في المواقف ويعرض اعمالهم على الرب قال مجاهد الاشهاد الملائكة الحفظة وقال قتادة هم الناس كما يقال على رؤس الاشهاد اي الناس وقيل هم الانبياء كقوله ولنسئلن المرسلين والاشهاد اما جمع شاهد كصاحب واصحاب او جمع شهيد كشريف واشراف قال ابو علي وهذا ارجح لكثرة ورود شهيد في القرآن ويكون الرسول عليكم شهيدا فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والفائدة في اعتبار قول الاشهاد المبالغة في اظهار الفضيحة وباقي الآية قد مر تفسير مثلها في الاعراف اولئك لم يكونوا معجزين في الارض لم يكن يمكنهم ان يهربوا من عذابنا لانه سبحانه قادر على جميع الممكنات ولا تتفاوت قدرته بالنسبة الى القريب والبعيد والضعيف والقوي وما كان لهم من دون الله من اولياء ينصرونهم ويمنعونهم من عقابه جمع تعالى بين ما يرجع اليهم وبين ما يرجع الى غيرهم وبين بذلك انقطاع حيلهم في الخلاص من عذاب الدنيا ومن عذاب الآخرة وقيل هذا من كلام الاشهاد والمراد انه تعالى لو شاء عقابهم في الدنيا لعاقبهم ولكنه اراد انظارهم وتأخيرهم الى هذا اليوم يضاعف لهم العذاب من قبل الكفر والصد اي الضلال والاضلال ما كانوا يستطيعون السمع يريد ما هم عليه في الدنيا من صمم القلوب وعمى البصائر ثم ان الاشاعرة قالوا ان ذلك بخلق الله تعالى حيث صيرهم عاجزين ممتنعين عن الوقوف على دلائل الحق ويوافقهم ما روي عن ابن عباس انه قال انه تعالى منع الكافرين من الايمان في الدنيا وذلك قوله ما كانوا يستطيعون السمع وفي الآخرة كما قال يدعون الى السجود فلا يستطيعون وقالت المعتزلة المراد استثقالهم لاستماع الحق ونفورهم عنه كقول القائل هذا الكلام مما لا استطيع ان اسمعه وهذا الشخص لا استطيع ان ابصره والمراد بالاولياء الاصنام كانه قال الذين سموهم اولياء الهة في الحقيقة او اولياء ثم نفى كونهم اولياء بانهم لا يسمعون ولا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وعلى هذا يكون قوله يضاعف لهم العذاب اعتراضا



بوعبد واعلم انه سبحانه وصف الكفار في هذه الآيات بصفات كثيرة الاولى فمن اظلم ممن افترى الثانية اولئك يعرضون اي في موقف الذل والهوان الثالثة بيان الخزي والفضيحة في قوله ويقول الاشهاد الرابعة اللعنة عليهم الخامسة الصد عن سبيل الله السادسة سعيهم القاء الشبهات وذلك قوله ويبغونها عوجا السابعة كونهم كافرين بالآخرة الثامنة كونهم عاجزين عن الفرار اولئك لم يكونوا التاسعة وما كان لهم من دون الله من اولياء العاشرة مضاعفة العذاب لهم الحادية عشر ما كانوا يستطيعون الآية الثانية عشر اولئك الذين خسروا انفسهم وقد مر في الانعام الرابعة عشر فضل عنهم ما كانوا يفترون وقد سبق في يونس الخامسة عشر لا جرم قال الفراء انها بمنزلة قولك لا بد ولا محالة ثم كثر استعمالها حتى صارت بمنزلة حقا وقال النحويون لا حرف نفي وجرم اي قطع معناه لا قطع قاطع انهم في الآخرة هم الخاسرون وقال الزجاج لا نفي لما ظنوا انه ينفعهم وجرم معناه كسب المعنى لا ينفعهم ذلك وكسب لهم ذلك الفعل خسار الدارين قال الازهري وهذا من احسن ما قيل في هذه اللفظة قوله في وعد المؤمنين واخبتوا الى ربهم معناه اطمأنوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع من الخبت وهي الارض المطمئنة وفيه اشارة الى ان الاعمال لا بد فيها من الاحوال القلبية الموجبة للالتفات عما سوى الله وقيل المراد اطمينانهم وتصديقهم كل ما وعد الله به من الثواب وضده وقيل المراد كونهم خائفين من وقوع الخلل في بعض تلك الاعمال ثم ضرب للفريقين مثلا وهو اما تشبيهان مثنين بهما فالاعمى والبصير والاخرى بالاصم والسميع او تشبيه حذف الواو لعطف الصفة على الصفة فيكون قد شبه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين البصر والسمع لا شك ان الفريق الكافر هو الذي وصفه بالصفات الست عشرة واما الفريق المؤمن فقيل المراد به قوله افمن كان على بينة وقيل المذكورون في قوله ان الذين آمنوا ثم انكر تساويهما في الاحكام والمراتب بقوله هل يستويان مثلا اي تشبيها وفي قوله افلا تذكرون تنبيه على ان علاج هذا العمى وهذا الصمم يمكن بتبديل الاخلاق وتغيير الاحوال بتيسير الله تعالى وتوفيقه



الر الالف اشارة الى الله واللام الى جبرئيل والراء الى الرسول يعني ما انزل الله على لسان جبرئيل الى الرسول كتاب مبين من لدن حكيم خبير كقوله وعلمناه من لدنا والعلم اللدني ان تقول لامتك يا محمد ان لا تعبدوا الا الله وان استغفروا ربكم بما ضاع من عمركم في غير طلب الله ثم توبوا ارجعوا اليه بقدم السلوك لتكون التوبة تحلية لكم بعد التزكية بالاستغفار يمتعكم متاعا حسنا هو الترقي في المقامات العلية الى اجل مسمى هو حين انقضاء المقامات وابتداء درجات الوصول ويؤت كل ذي فضل فضله اي يؤت كل ذي صدق واجتهاد في الطلب درجات الوصول فان المشاهدات بقدر المجاهدات والحاصل ان المتاع الحسن في مراتب السير الى الله وايتاء الفضل في درجات السير في الله عذاب يوم كبير هو عذاب الانقطاع عن الله الكبير الا حين يستغشون ثياب الجسمية على وجه الروح كان يعلم ما يسرون من حرمان النور المرشش ومن نقص الحرمان تحت ثياب القالب وما يعلنون من ثق الصدور انه عليم بذات الصدور اي بما في الصدور من القلوب الظلمانية وما من دابة في الارض الا على الله رزقها لان كل حيوان له صفة مخصوصة ومزاج مخصوص وغذاء يكون ملائما لمزاجه فعلى ذمة كرم الله انه كما خلق اجسادها على الامزجة المتعينة يخلق غذاءها موافقا لمزاج كل منها ثم يهديها الى ماواها وقولها ويعلم مستقرها في العدم كيف قدر ما استعد للصور المختصة بها ومستودعها الذي يؤل اليه عند ظهور ما فيها بالقوة الى الفعل ليبلوكم فان العالم بما فيه محل الابتلاء ومحك السعداء الاشقياء ولئن قلت للاشقياء موتوا عن الطبيعة باستعمال الشريعة ومزاولة الطريقة لتحيوا بالحقيقة فان الحيوة الحقيقية تكون بعد الموت عن الحيوة الطبيعية ليقولن الذين كفروا ستروا حسن استعدادهم الفطري بتعلق الشهوات الفانية ان هذا الا سحر مبين اي كلام مموه لا اصل له ولئن اخرنا عنهم عذاب البعد الى الحين الموت

ع

وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا نُوحًا اِلٰى قَوْمِهٖٓ اِنِّيْ لَكُمْ نَذِيْرٌ مُّبِيْنٌ ۙ اَنْ لَّا تَعْبُدُوْٓا

دون العذاب فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا — و بتحقيق فرستاديم نوح را بسوى قوم او بر تحقيق من شما را بيم كننده روشنم آنكه پرستيد

اِلَّا اللّٰهَ ؕ اِنِّيْٓ اَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ اَلِيْمٍ ۚ فَقَالَ الْمَلَاُ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا مِنْ قَوْمِهٖ مَا نَرٰىكَ اِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرٰىكَ اتَّبَعَكَ

مگر خدا بدرستيكه من ميترسم بر شما از عذاب روزى دردناك پس گفتند آن جماعت كه كافر شده بودند از قومش نمى بينيم ترا مگر آدمى مانند خود و نمى بينيم ترا كه پيروى كرده باشند

اِلَّا الَّذِيْنَ هُمْ اَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّاْيِ ۚ وَمَا نَرٰى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كٰذِبِيْنَ ۚ قَالَ يٰقَوْمِ اَرَءَيْتُمْ اِنْ كُنْتُ عَلٰى بَيِّنَةٍ

مگر آنانكه ايشانند فرومايگان ما در ديده انديشه و نمى بينيم شما را بر خود هيچ زيادتى بلكه گمان ميبريم شما را دروغگويان گفت اى قوم من خبر دهيد اگر باشم بر حجتى از پروردگارم

مِّنْ رَّبِّيْ وَاٰتٰىنِيْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِهٖ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ؕ اَنُلْزِمُكُمُوْهَا وَاَنْتُمْ لَهَا كٰرِهُوْنَ ۚ وَيٰقَوْمِ لَآ اَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ؕ اِنْ

از پروردگارم و داده باشد مرا رحمتى از نزد او پس پوشيده باشد بر شما آيا جبر كنم شما را بان و شما باشيد مر آنرا ناخوش دارندگان واى قوم من نمى طلبم از شما بر اين مالى نيست مزد من

اَجْرِيَ اِلَّا عَلَى اللّٰهِ وَمَآ اَنَا بِطَارِدِ الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا ؕ اِنَّهُمْ مُّلٰقُوْا رَبِّهِمْ وَلٰكِنِّيْٓ اَرٰىكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُوْنَ ۚ وَيٰقَوْمِ مَنْ يَّنْصُرُنِيْ مِنَ

مزد من مگر بر خدا و نيستم من راننده آنانكه گرويدند بدرستيكه ايشان ملاقات كنندگان خدااند و ليكن مى بينم شما را گروه نادانان واى قوم من كيست يارى كند مرا از

اللّٰهِ اِنْ طَرَدْتُّهُمْ ؕ اَفَلَا تَذَكَّرُوْنَ ۚ وَلَآ اَقُوْلُ لَكُمْ عِنْدِيْ خَزَآئِنُ اللّٰهِ وَلَآ اَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ اَقُوْلُ اِنِّيْ مَلَكٌ وَّلَآ اَقُوْلُ لِلَّذِيْنَ

خدا اگر برانم ايشان را آيا پس پند نميگيريد و نميگويم بر شما كه نزد من است خزينهاى خدا و نميدانم غيب را و نميگويم بدرستيكه من فرشته ام و نميگويم مر آنانرا كه

تَزْدَرِيْٓ اَعْيُنُكُمْ لَنْ يُّؤْتِيَهُمُ اللّٰهُ خَيْرًا ؕ اَللّٰهُ اَعْلَمُ بِمَا فِيْٓ اَنْفُسِهِمْ ۚ اِنِّيْٓ اِذًا لَّمِنَ الظّٰلِمِيْنَ ۚ قَالُوْا يٰنُوْحُ قَدْ جٰدَلْتَنَا فَاَكْثَرْتَ

بخوارى مى بينند چشمهاى شما هرگز ندهد ايشان را خدا خيرى خدا داناتر است بآنچه در نفسهاى ايشانست بدرستيكه من آنگاه از ستمكارانم گفتند اى نوح بتحقيق مجادله كردى با ما پس بسيار كردى

جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي

جدال ما را پس بیار بما آنچه وعده میدهی ما را اگر هستی از راستگویان گفت جز این نیست که آورد شما را خدا اگر خواهد و نیستید شما عاجز کنندگان و سود نمیدهد شما را پند دادن من

إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي

اگر خواهم که پند دهم شما را اگر خواسته باشد خدا که گمراه کند شما را اوست پروردگار شما و بسوی او باز گردانیده شوید بلکه میگویند بربافته است او را بگو اگر بربافته باشم او را پس بر من است

إجرامي وأنا بريء مما تجرمون وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون

گناه من و من بیزارم از آنچه گناه میکنید و وحی کرده شد بسوی نوح که ایمان نخواهد آورد از قوم تو هرگز مگر آنکه ایمان آورده پس اندوهگین مباش بآنچه میکنند

واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من

و بساز کشتی را بنگاه داشت و وحی ما و درخواست مکن مرا در باره آنانکه ستم کردند ایشان غرق شدگانند و میساخت کشتی را و هرگاه که بگذشتندی بر او جماعتی از

قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه

قوم او استهزا کردندی او را گفت اگر استهزا میکنید بما پس ما نیز استهزا میکنیم بشما چنانکه استهزا میکنید پس خواهید دانست کسی را که آید بوی عذابی که رسوا گرداند او را و فرود آید بر او

عذاب مقيم حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول و

عذابی دائم تا وقتیکه آمد فرمان ما و بر جوشید آن تنور گفتیم بردار در کشتی از هر زوجی دو تا و کسان ترا مگر آنکه پیشی گرفته بر او گفتار و

من آمن وما آمن معه إلا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج

آنکه ایمان آورده و ایمان نیاورده بودند با او مگر اندکی و گفت سوار شوید در آن بنام خدا روان شدنش و بازداشتنش بیگمان خدای من آمرزنده مهربانست و آن میبرد ایشان را در موجی

كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يعصمني

که بود چون کوهها و آواز داد نوح پسرش را و بود در کناره از کشتی که ای پسرک من سوار شو با ما و مباش با کافران گفت زود باشد که پناه برم بکوهی که نگاه دارد مرا

من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعي ماءك

از آب گفت نیست نگاهدارنده امروز از فرمان خدا مگر آنکه بخشاید و حایل شد میان ایشان موج پس شد از غرق شدگان و گفته شد ای زمین فرو بر آب خود را و

ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال

وای آسمان باز گیر آب را و کم کرده شد آب و گزارده شد کار و قرار گرفت بر کوه جودی و گفته شد دوری از رحمت مر گروه ستمکاران را و برخواند نوح پروردگار خود را پس گفت

رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا

ای پروردگار من بدرستیکه پسرم از کسان منست و بدرستیکه وعده تو حقست و تو حکم کننده ترین حکم کنندگانی گفت ای نوح بدرستیکه او نیست از کسان تو بدرستیکه او صاحب کرداریست ناشایسته پس

تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم

مخواه از من آنچه نیست مر ترا بآن دانش بدرستیکه من پند میدهم ترا که باشی از نادانان گفت ای پروردگار من بدرستیکه من پناه میبرم بتو که سوال کنم از تو آنچه نیست مرا بآن دانش

وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم

و اگر نیامرزی مرا و رحم نکنی مرا باشم از زیانکاران گفته شد ای نوح فرود آی بسلامتی از ما و برکتها بر تو و بر گروههائی از آنها که با تواند و امتهائی که برخوردار کنیم

ثم يمسهم منا عذاب أليم تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن

پس برسد ایشانرا از ما عذابی دردناک این از خبرهای پنهانست وحی میکنیم آنرا بسوی تو نبودی که بدانی آنرا تو و نه قوم تو پیش از این پس صبر کن بدرستیکه

العاقبة للمتقين

انجام نیک مر پرهیزگارانست

القراءة اني لكم بكسر الهمزة نافع وابن عامر وعاصم وحمزة والاخرون بفتحها بادي بالهمزة ابو عمرو ونصير الراي بالياء ابو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف فعميت مجهولا مشددا حمزة وعلي وخلف وحفص انلزمكموها باختلاس ضمة الميم عباس اجرى بالامالة ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو وحفص لكني اريكم بالفتح حيث كان ابو جعفر ونافع وابو عمرو ونصحي ان ابو جعفر ونافع وابو عمرو باعيننا مدغما حيث كان عباس من كل بالتنوين حيث كان حفص والمفضل مجريها بفتح الميم بالامالة حمزة وعلي وخلف وحفص مجريها بالضم بالامالة ابو عمرو والباقون بالضم مفخما يا بني بفتح الياء عاصم اركب معنا مظهرا عاصم وحمزة عمل بلفظ الفعل غير بالنصب علي وسهل ويعقوب الاخرون عمل غير بالرفع فيهما تسئلن بالنون المشددة المكسورة لا ادغاما النون المخففة في نون الوقاية بعد حذف ياء المتكلم في الحالين ابن عامر وقالون باثبات الياء في الوصل ابو جعفر ونافع غير قالون بفتح النون المشددة ابن كثير تسئلن بغير نون التاكيد باثبات الياء في الحالين سهل ويعقوب الباقون بغيرها في الحالين اني اعظك اني اعوذ بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن عامر وابو عمرو الوقوف مبين لا الا الله ط اليم الرأي ج كاذبين فعميت عليكم ط كارهون ما لا ط امنوا ط تجهلون طردتهم ط تذكرون خيرا ط انفسهم ج الظالمين الصادقين بمعجزين ان يغويكم ترجعون ط افتريه ط تجرمون يفعلون للاية والعطف ط الامواج لاحتمال التعليل مغرقون سخروا منه ط تسخرون ط يعلمون لا لان ما بعده مفعول مقيم التنور لا لان ما بعد

جواب او ومن آمن ط قليل ط ومرسيها ط رحيم ج الكافرين من الماء ط رحم ج لاتفاق الجملتين مع اختلاف العامل المغرقين ط الظالمين الحاكمين
من اهلك ج عمل ط الجاهلين علم ط الخاسرين معك ط اليم ط اليك ج ط لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هذا ط وعلى قوله فاصبر ا
حسن للابتداء بان للمتقين التفسير لما اورد على الكفار انواع الدلائل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب
الى اسلوب في الموعظة فبدأ بقصة نوح ومعنى اني لكم اي متلبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم فلما اتصل به الجار فتح ومن كسر فعلى
ارادة القول وان لا تعبدوا بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله ويكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير ووصف
اليوم باليم مجاز لوقوع الالم فيه فيكون مجازا وكذا لو جعل الوصف للعذاب والجر بالجوار ثم حكى انه طعن اشراف قومه في نبوته من ثلث جهات
الاولى انه بشر مثلهم الثانية انه لم يتبعه الا الاراذل يعنون اصحاب الحرف الخسيسة كالحياكة وغيرها قالوا لو كنت صادقا لاتبعك الاكياس من الناس
والاشراف منهم والاراذل جمع ارذل وقيل جمع الارذال جمع رذل وهو الدون من كل شيء في منظره وحالاته ومعنا بادي الرأي اول الرأي وهو
نصب على الظرف اي اتبعوك في ابتداء حدوث الرأي من غير روية او معناه ظاهر الرأي من قولك بدا الشيء اذا ظهر ومنه البادية للبرية لظهورها و
بروزها للناظر وهذا تفسير من قرأ بغير همز وعلى هذا فالمراد انهم اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه او اتبعوك وقت حدوث ظاهر رأيهم فحذف
المضاف فقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يتعلق بادي الرأي بقوله اراذلنا اي كونهم كذلك امر ظاهر لكل من يراهم عيانا ونبا كده هذا التاويل
بما نقل عن مجاهد انه قرأ الا الذين هم اراذلنا راي العين انما استرذلوا المؤمنين لاعتقادهم ان المرتبة عند الله سبحانه بالمال والجاه ولم يعلموا
ان ذلك مبعد من الحق لا مقرب منه وان الانبياء ما بعثوا الا لترك الدنيا والاقبال على الاخرة فكيف يجعل قلة المال طعنا في النبوة وفي
متابعة النبي الشبهة الثالثة وما نرى لكم علينا من فضل لا في العقل ولا في كيفية رعاية المصالح ولا في قوة الجدل بل نظنكم كاذبين خطاب
لنوح ولمن آمن به تبعية او خطاب للاراذل كانهم نسبوهم الى الكذب في ادعاء الايمان ثم حكى ما اجاب به نوح قومه وهو ان حصول المساوات
في صفة البشرية لا يمنع من حصول المفارقة في صفة النبوة وذلك قوله ارأيتم ان كنت على بينة برهان من ربي وآتاني باتيان تلك البينة
رحمة وعلى هذا البينة هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة وقيل بالعكس فعميت خفيت ولخفيت البينة او كل من
البينة والرحمة اي صارت مظلمة مشتبهة في عقولكم والبينة توصف بالابصار والعمى مجازا باعتبار نتيجتها كما ان دليل القوم
ان كان بصيرا اهتدوا وان كان اعمى بقوا خابطين متحيرين ثم قال انلزمكموها اي انكرهكم على قبول البينة وانتم لها كارهون والمراد
انا لا نقدر على ايصال حقيقة البينة اليكم وانما يقدر على ذلك من هو قادر على الايجاد والاعدام وتغيير الاحوال وتبديل الاخلاق ثم انه ذكر
لا يطلب على تبليغ الرسالة مالا حتى يتفاوت الحال بسبب كون المجيب غنيا او فقيرا وما انا بطارد الذين آمنوا عن ابن جريج انهم قالوا ان
احببت يا نوح ان نتبعك فاطردهم فانا لا نرضى بمشاركتهم فلم يبذل ملتمسهم وعلل ذلك بقوله انهم ملاقوا ربهم فيعاقب من طردهم
او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من الايمان الصحيح او النفاق بزعمكم او المراد انهم معتقدون لقاء ربهم ولكني اريكم قوما تجهلون
لقاء ربكم او انهم خير منكم قوما تسفهون حيث تسمون المؤمنين اراذل ثم اكد عدم طردهم بقوله ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني
من عقابه ان طردتهم لان العقل والشرع توافقا على انه لا بد من تعظيم المؤمن البر المتقي ومن اهانة الكافر الفاجر فكيف يليق بنبي الله ان
يقلب هذه القضية سؤال ان كان طرد المؤمن لطلب مرضاة الكافر معصية فكيف فعل ذلك رسول الله حتى نهي عنه بقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الجواب انه لم يكن ذلك طردا مطلقا وانما عين لاجلهم اوقاتا مخصوصة لاشراف قريش واوقاتا اخرى فعوتب على ذلك القدر
احتجت المعتزلة بالاية على عدم الشفاعة للفاسق اذ لو كانت جائزة لكانت في حق نوح اولى فلم يقل من الذي يخلصني من عذابه واجيب
بانه مخصوص بآيات العفو ثم ذكر انه كما لا يسألهم مالا فانه لا يدعي ان عنده خزائن الله حتى يجحدوا ان له فضلا عليهم من هذه الجهة ولا اعلم
الغيب حتى اصل به الى ما اريده لنفسي ولاتباعي واطلع على الضمائر ولا اقول اني ملك لتعظموا بذلك علي بل طريقي الخضوع والتواضع وعدم
الاستنكاف عن مخالطة الفقراء وقد مر في الانعام سائر ما يتعلق بالاية ومعنى تزدري تعيب وتحقر والازدراء افتعال من زرى عليه اذا
عابه وفي قوله تعالى الله اعلم بما في انفسهم دلالة على انهم كانوا ينسبون اتباعه مع الفقر والذلة الى النفاق اني اذا اي ان قلت شيئا من
ذلك كنت من الظالمين لنفسي او ان قلت ان الله لن يؤتيهم خيرا مع انه لا وقوف لي على ما في قلوبهم ثم ان قومه وصفوه بكثرة الجدال فقالوا يا
نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا قال اهل المعاني اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جادل فلان فاكثر او ترد انه اعطى عطية
اقل فاكثر بل تريد ان الوصف مقارن للموصوف وفي الاية دلالة على ان الجدال في تقرير دلائل التوحيد من دأب اكابر الانبياء ثم استعجلوا العذاب
الذي كان يتوعدهم به فاجاب بان ذلك ليس الي وانما هو بمشيئة الله وارادته ولا يعجزه عن ذلك احد وقوله ولا ينفعكم نصحي كقول القائل
لامرأته انت طالق ان دخلت الدار ان اكلت الخبز لم يقع الطلاق الا اذا دخل الدار فاكل الخبز ولهذا قال الفقهاء المؤخر في اللفظ مقدم في
المعنى فكانه قيل ان كان الله سبحانه يغويكم فان اردت ان انصح لكم لم ينفعكم نصحي واحتجاج الاشاعرة بالاية ظاهر واجاب المعتزلة بانه لا يلزم من
فرض امر وقوعه ولعل نوحا انما قال ذلك ليبين لهم انه تعالى بنى امر التكليف على الاختيار والا لم يكن للنصح فائدة ولتشبث الخصم بالجبر ولزم افحام النبي

ومن الجائز ان يراد بالاغواء التعذيب من غوى الفصيل اذا بشم فهلك او يراد به الخيبة كقوله فسوف يلقون غيا اي خيبة من خير الآخرة او يراد به منع
الالطاف وقد تقدم امثال ذلك مرارا ثم اشار الى المبدأ والمعاد بقوله هو ربكم واليه ترجعون ثم انكر الله سبحانه عليهم قولهم انما ادعى نوح
انه اوحي اليه مفترى فقال ام يقولون افتراه فامره بان يجيب بكلام منصف هو قوله ان افتريته فعلي اجرامي اي عقاب اثمي وهو الافتراء وانا
بريء مما تجرمون اي من اجرامكم وهو اسناد الافتراء الي وههنا اضمار كانه قيل لكني ما افتريته فالاجرام وعقابه عليكم وانا بريء منه واكثر
المفسرين على ان هذه الآية من تمام قصة نوح وعن مقاتل انها من قصة محمد ﷺ وقعت في اثناء قصة نوح قوله سبحانه واوحي الى نوح انه لن
يؤمن اقناط له من ايمانهم الذي كان يتوقعه منهم بدليل قوله الا من قد آمن فان قد للتوقع وقوله فلا تبتئس تسلية له اي لا تحزن بما فعلوه
من تكذيبك وايذائك فقد حان وقت الانتقام منهم قال اكثر المعتزلة انه لا يجوز ان ينزل الله عذاب الاستيصال على قوم يعلم ان فيهم
من يؤمن او في اولادهم من يؤمن بدليل دعاء نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى قوله الا فاجرا كفارا علل الاهلاك
بمجموع الامرين فدل ذلك على انهما لو لم يحصلا لم يجز الاهلاك وذهب كثير منهم الى الجواز فليس كل خير معلوم بواجب الوقوع نعم كلما يقع
يجب ان يكون على الوجه الاصلح ومذهب الاشاعرة في هذا المعنى ظاهر فله ان يفعل في ملكه ما شاء ثم عرفه وجه اهلاكهم والهمه وجه خلاص
من آمن فقال واصنع الفلك وهو امر ايجاب على الاظهر لانه لا سبيل الى صون روحه عن الهلاك في الطوفان الا بذلك وصون النفس واجب
وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب وقيل امر اباحة كمن امر ان يتخذ الانسان لنفسه دارا يسكنها والانصاف ان الامر ظاهر الوجوب وان قطعنا النظر عن
فائدته وغايته وقوله باعيننا ووحينا في موضع الحال اي متلبسا بذلك والسبب فيه ان اقدامه على صنعة السفينة مشروط بامرين احدهما انه
لا يمنعه اعداؤه عن ذلك العمل واشار اليه بقوله باعيننا وليست العين بمعنى الجارحة لانه منزه عن الجوارح والاعضاء فالمراد بها الحفظ والحياطة
والكلاءة فلان العين آلة الحفظ والحراسة والثاني ان يكون عالما بكيفية تركيب الاخشاب ونحتها عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى
الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر وقيل المراد اعين الملك الذي كان يعرفه كيفية اتخاذ السفينة ثم قال ولا تخاطبني في الذين ظلموا
اي في شانهم وعلل عدم الخطاب بقوله انهم مغرقون اي انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد جف القلم عليهم بذلك فلا فائدة للشفاعة
وقيل لا تخاطبني في تعجيل عقابهم فانهم يغرقون في الوقت المعين لذلك فلا فائدة في الاستعجال فلكل امة اجل وقيل المراد بالذين ظلموا
امرأته واعلة وكنعان ابنه ثم حكى الحال الماضية بقوله ويصنع الفلك والحال انه كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه يحتمل ان يكون
هذا جوابا لما وقوله قال ان تسخروا استيناف على تقدير سؤال سائل كانه قيل ماذا قال نوح ع ويحتمل ان يكون سخروا بدلا من مر او
صفة لملأ وقال جوابا قيل كانوا يقولون يا نوح كنت نبيا فصرت نجارا ولو كنت صادقا في دعواك لكان الهك يغنيك عن هذا
العمل الشاق وقيل لم يروا السفينة قبل ذلك فكانوا يتعجبون ويسخرون وقيل لانها كانت كبيرة وكان يصنعها في مفازة بعيدة عن الماء
فكانوا يقولون هذا من باب الجنون وقيل طالت مدته وكان ينذرهم الغرق وليس منه عين ولا اثر فغلب على ظنونهم كونه كاذبا فيسخرون
منه فاجابهم بقوله ان تسخروا منا في الحال فانا نسخر منكم في المستقبل اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة او ان حكمتم علينا بالجهل
فيما نصنع فانا نحكم عليكم بالجهل فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن
الجهل بحقيقة الامر والبناء على الظاهر كما هو عادة الاغمار وسمى جزاء السخرية سخرية كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم هددهم بقوله فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا وهو عذاب الغرق ويحل عليه عذاب مقيم في الآخرة لازم لزوم الدين للحال الغريم ومن موصولة او استفهامية
وقد مر في الانعام روي ان نوحا اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلث مائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وارتفاعها ثلثين
وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة بطون الاسفل للوحوش والسباع والهوام والاوسط للدواب والانعام والاعلى للناس ولما يحتاجون
اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وقال الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة قوله حتى اذا جاء امرنا هي غاية لقوله ويصنع الفلك
اي كان يصنعها الى ان جاء وقت الامر بالاهلاك وفار التنور اي نبع الماء منه بشدة وسرعة تشبيها بغليان القدر والتنور هي التي يختبز فيه
فقيل هو مما استوى فيه العربي والعجمي وقيل معرب لانه لا يعرف في كلام العرب نون قبل راء عن ابن عباس والحسن ومجاهد هو تنور نوح وقيل كان لآدم
وحواء حتى صار لنوح وموضعه بناحية الكوفة قاله مجاهد والشعبي عن علي ع انه في مسجد الكوفة وقد صلى فيه سبعون نبيا وقيل بالشام بموضع
يقال له عين وردة قاله مقاتل وقيل بالهند روي ان امرأته كانت تخبز فاخبرته بخروج الماء من ذلك التنور فاشتغل في تلك الحال بوضع الاشياء
في السفينة وكان الله تعالى جعل هذا علامة لزمان نزول الطوفان وروي عن علي ع ان المراد بالتنور وجه الارض كقوله وفجرنا الارض عيونا
وعنه ايضا كرم الله وجهه ان معنى فار التنور طلع الصبح وقيل معناه اشتد الامر كما يقال حمي الوطيس والمراد اذا رايت الامر يشتد والماء يكثر
فاركب في السفينة وذلك قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين والزوجان شيئان يكون احدهما ذكرا والآخر انثى من قرأ بالاضافة
فمعناه احمل من كل صنفين بهذا الوصف اثنين ومن قرأ بالتنوين فالمراد احمل من كل شيء زوجين اثنين الذكر والانثى ولا يبعد ان يكون النبات
داخلا فيه لاحتياج الناس اليه واهلك معطوف على مفعول احمل وكذا ومن آمن وقوله الا من سبق عليه القول قال الضحاك اراد ابنه وامرأته

قدّر الله بها الكفر اذ علم منها ذلك ثم قال وما آمن معه الا قليل اي نفر قليل عن مقاتل انهم ثمانون وبهم سميت قرية ثمانين بناحية الموصل لانهم
لما خرجوا من السفينة بنوها وقيل اثنان وسبعون رجلا وامرأة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم
رجال ونصفهم نساء وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة وعن النبي كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وقيل في بعض الروايات ان ابليس
دخل معهم السفينة وفيه بعد لانه جسم ناري فلا يؤثر الغرق فيه قوله سبحانه حكاية عن نوح واهله وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرسيها الاية فيه ابحاث الاول
ان الركوب يتعدى بنفسه يقال ركبت الدابة والبحر والسفينة اي علوتها فما الفائدة في زيادة لفظة في قال الواحدي فائدته ان يعلم انه امرهم بان يكونوا
في جوف الفلك لا على ظهره الثاني في قوله بسم الله اما ان يتعلق بقوله اركبوا حالا من الواو اي مسمين الله او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها مصدران حذف
منهما الوقت المضاف كقولهم جئتك خفوق النجم ومقدم الحاج ويراد مكانا الاجراء والارساء او زمانهما وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او
بالقول المقدر وعلى التقديرين يكون مجموع قوله وقال اركبوا الى قوله ومرسيها كلاما واحدا واما ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها كلاما آخر
من مبتدأ وخبر اي بسم الله اجراؤها وارساؤها يروى انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان
ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها وكان نوح امرهم بالركوب اولا ثم اخبرهم بان اجراءها
وارساءها بذكر اسم الله او بامره وقدرته وجوز في الكشاف ان يكون هذه الجملة في موضع الحال عن ضمير الفلك ولا يكون جملة مستأنفة
ولكن فضلة من تتمة الكلام الاول كانه قال اركبوا فيها مقدرين ان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى يقال رسا الشيء يرسو اذا ثبت وارساه غيره
يروى انها سارت لاول يوم من رجب لعشر مضين منه فسارت ستة اشهر ثم استوت على الجودي يوم العاشر من المحرم ويروى انها مرت بالبيت
فطافت به سبعا فاعتقها الله من الغرق البحث الثالث قوله ان ربي لغفور رحيم كيف ناسب مقام الاهلاك واظهار العزة والجواب كان
القوم اعتقدوا انهم نجوا ببركة ايمانهم وعلمهم فنبههم الله تعالى بهذا الذكر على ان الانسان في كل حال من احواله لا ينفك عن ظلمات الخطاء والزلل فيحتاج
الى مغفرة الله ورحمته وفي الآية اشارة الى ان العاقل اذا ركب في سفينة الفكر ينبغي ان يكون قد برئ من حوله وقوته وقطع النظر عن الاسباب
وربط قلبه وعلق همته بفضل واهب العقل فيقول بلسان الحال باسم الله مجريها ومرسيها حتى تصل سفينة فكره الى ساحل الايمان وتتخلص
عن امواج الشبهة والظنون والاوهام قال في الكشاف وهي تجري بهم متصل بمحذوف كانه قيل فركبوا فيها يقولون باسم الله وهي تجري وهم
فيها في موج كالجبال في التراكم والارتفاع فلعل الامواج احاطت بالسفينة من الجوانب فصارت كانها في داخل تلك الامواج واختلف
المفسرون في قوله ونادى نوح ابنه فالاكثرون على انه ابن له في الحقيقة لئلا يلزم صرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة ولا استبعاد
في كون ولد النبي كافرا كالعكس واعترض على هذا القول بانه كيف ناداه مع كفره وقد قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا والجواب انه
كان منافقا وظن نوح انه مؤمن او ظن انه كافر الا انه توقع منه الايمان عند مشاهدة العذاب بدليل قوله ولا تكن مع الكافرين ولعل شفقة
الابوة حملته على ذلك النداء وعن محمد بن علي الباقر والحسن البصري انه كان ابن امرأته ويؤيده ما روي ان عليا عليه السلام قرأ ونادى نوح ابنها
ويؤكد هذا الظن قوله ان ابني من اهلي دون ان يقول انه مني وقيل انه ولد على فراشه لغير رشدة واليه الاشارة بقوله تعالى فخانتاهما ورد
هذا القول بانه يجب صون منصب الانبياء عن مثل هذه الفضيحة لقوله الخبيثات للخبيثين وفسر ابن عباس تلك الخيانة بان امرأة
نوح كانت تقول زوجي مجنون وامرأة لوط دلت الناس على ضيفه قوله وكان في معزل هو مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده اي كان
في مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن السفينة وعمن فيها او كان في معزل عن دين ابيه وقيل في معزل عن الكفار ولهذا ظن نوح انه يريد مفارقة
الكفرة ولكن قوله ولا تكن مع الكافرين لا يساعد هذا القول قوله يا بني بكسر الياء لاجل الاكتفاء به عن ياء الاضافة وبفتحها اكتفاء
به عن الالف المبدلة من الياء ويجوز ان يكون الياء والالف ساقطتين من اللفظ فقط لالتقاء الساكنين ثم حكى اصرار ابنه على الكفر بان
قال سآوي الى جبل فاجاب نوح بانه لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم واعترض عليه بان معنى من رحم من رحمه الله وهو معصوم فكيف
يصح استثناؤه من العاصم واجيب بان من فاعل في المعنى لا مفعول والمراد نوح لانه سبب الرحمة والنجاة كما اضيف الاحياء الى عيسى عليه السلام او الرحيم
الذي مر ذكره في قوله ان ربي لغفور رحيم وهو عاصم لا معصوم وهو استثناء مفرغ والتقدير لا عاصم اليوم لاحد من امر الله الا من رحم
او العاصم بمعنى ذي العصمة كلابن وتامر والعصمة المعصوم والمضاف محذوف والتقدير لا عاصم قط الا مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني
السفينة او هو استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج اي بسبب هذه الحيلولة خرج من ان يخاطبه نوح
فصار من جملة المغرقين قوله سبحانه وقيل يا ارض الاية مما اختص بمزيد البلاغة حتى صارت متداولة بين علماء المعاني فتكلموا فيها وفي وجوه
محاسنها فلا علينا ان نورد ههنا بعض ما استفدناه منهم فنقول النظر فيها من اربع جهات من جهة علم البيان ومن جهة علم المعاني ومن جهتي الفصاحة
المعنوية واللفظية اما من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فالقول فيه انه عز سلطانه
اراد ان يبين معنى اردنا ان نرد ما انفجر من الارض الى بطنها فارتد وان نقطع طوفان السماء فانقطع وان نغيض الماء النازل من السماء
فغاض وان نقضي امر نوح وهو انجاؤه واغراق قومه كما وعدناه فقضي وان نسوي السفينة على الجودي وهو جبل بقرب الموصل فاستوت



وابقينا الظلمة عنى بحكي الامر والتشبيه الارض والسماء بالمامور الذي لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وهو التشبيه تكوين المراد بالامر الجزم النافذ
في تكون المقصود تصويرا لاقتداره وان السماء والارض مع عظم جرمهما تابعتان لارادته ايجادا واعداما وتغييرا وتصريفا كانهما عقلاء مميزون
قد احاطا علما بما يوجب الامتثال والاذعان لحكمه فاستعمل قيل بدل اريد مجازا اطلاقا للمسبب على السبب فانه يتصور القول بما يكون بعد الارادة
وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد بقوله يا أرض ابلعي ويا سماء والخطاب ايضا على سبيل الاستعارة للشبه المذكور وهو كون السماء والارض
كالمامورين المنقادين وفيه استعار لغور الماء في الارض البلع الذي هو اعمال القوة الجاذبة في المطعوم للشبه بين الغور والبلع وهو
الذهاب الى مقر خفي وجعل قرينة الاستعارة نسبة الفعل الى المفعول وفي جعل الماء مكان الغذاء ايضا استعارة لانه شبه الماء بالغذاء
لتقوي الارض بالماء في الانبات للزروع والاشجار تقوي الاكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة ابلعي لكونها موضوعة للاستعمال
في الغذاء دون الماء ثم امر الجماد على سبيل الاستعارة للشبه المقدم ذكره وخاطب في الامر دون ان يقول ليبلع ترشيحا لاستعارة النداء اذ
كونه مخاطبا من صفات الحي كما ان كونه مناديا من صفاته ثم قال ماءك باضافة الماء الى الارض على سبيل المجاز تشبيها لاتصال الماء بالارض
باتصال الملك بالمالك واختار ضمير الخطاب دون ان يقول ليبلع ماءه لاجل الترشيح المذكور ثم اختار لاحتباس المطر الاقلاع
الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ثم امر على سبيل الاستعارة وخاطب في الامر لمثل ما تقدم في ابلعي من ترشيح استعارة
النداء ثم قال وغيض الماء غاض الماء قل ونضب وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا فلم يصرح بالفاعل
سلوكا لسبيل الكناية لان هذه الامور لا يتأتى الا من قدير قهار فلا مجال لذهاب الوهم الى غيره في صدد الاية ليستدل من ذكر الفعل
وهو اللازم على الفاعل وهو الملزوم وهذا شان الكناية ثم ختم الكلام بالتعريض لانه ينبئ عن الظلم المطلق وعن علة قيام الطوفان واما
النظر فيها من جهة علم المعاني وهو النظر في فائدة كل كلمة منها وجهة كل تقديم وتاخير فيما بين جملها فذلك انه اختير يا للنداء لانها اكثر استعمالا
ولدلالتها على تبعيد المنادى الذي يستدعيه مقام العزة والهيبة ولهذا لم يقل يا ارضي بالاضافة تهاونا بالمنادى ولم يقل يا ايتها الارض
للاختصار مع الاحتراز عن تكلف التنبيه لمن ليس من شانه التنبيه واختير لفظ الارض والسماء لكثرة دورانهما مع قصد المطابقة واختير
ابلعي على ابتلعي لكونه اخصر ولمجيء حظ التجانس بينه وبين اقلعي اوفر وقيل ماءك بلفظ المفرد لما في الجمع من الاستكثار المتأبى عنه مقام
العزة والاقتدار وكذا الى افراد الارض والسماء ولم يحذف مفعول ابلعي لئلا يلزم تعميم الابتلاع لكل ما على الارض ولما علم اختصاص الفعل به
واقتصر عليه حذف من اقلعي حذرا من التطويل وانما لم يقل ابلعي ماءك فبلعت لان عدم تخلف المامور به عن امر الامر المطاع معلوم واختير
غيض على غيض المشددة للاختصار ولمثل هذا عرف الماء والامر دون ان يقال ماء الطوفان وامر نوح للاستغناء عن الاضافة بالتعريف
العهدي ولم يقل سويت لتناسب اول القصة وهي تجري بهم من بناء الفعل للفاعل ولان استوت اخصر لسقوط همزة الوصل ثم قيل بعدا
للقوم دون ان يقال ليبعد القوم من بعد بالكسر يبعد بالفتح اذا هلك للتاكيد مع الاختصار ودلالة لام الملك على ان البعد حق لهم و
قول القائل بعدا له من المصادر التي لا يستعمل اظهارها رفعها ثم اطلق الظلم ليتناول ظلم انفسهم وظلمهم غيرهم واما ترتيب الجمل فقدم النداء
على الامر ليتمكن الامر الوارد عقيب النداء كما في نداء الحي وقدم نداء الارض لابتداء الطوفان منها بدليل قوله وفار التنور ثم بين نتيجة
البلع والاقلاع بقوله وغيض الماء ثم ذكر مقصود القصة وهو قوله وقضي الامر اي انجز الموعود من هلاك الكفرة وانجاء المومنين ثم بين حال
استقرار السفينة بقوله واستوت على الجودي وكان جبلا منخفضا فكان استواء السفينة عليه دليلا على انقطاع مادة الماء ثم ختمت
القصة من التعريض قيل كيف يليق بحكمة الله تغريق الاطفال بسبب اجرام الكفار واجيب على اصول الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل وعلى
اصول المعتزلة بانه يعوض الاطفال والحيوانات كما في ذبحها واستعمالها في الاعمال الشاقة وقد روى جمع من المفسرين انه سبحانه اعقم
ارحام النساء قبل الغرق باربعين سنة فلم يغرق الا من بلغ اربعين وهذا مع تكلفه لا يتمشى في الجواب عن اهلاك سائر الحيوانات والظاهر ان
القائل في قوله وقيل بعدا هو الله تعالى لتناسب صدر الاية ويحتمل ان يكون القائل نوحا واصحابه لان الغالب ممن يسلم من الامر الهائل
بسبب اجتماع قوم ظلمة انه يقول مثل هذا الكلام ولانه جار مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر اليق واما النظر في الاية من جهة الفصاحة
المعنوية فهي كما ترى نظم للمعاني لطيف وتادية لها ببلغ وجه واتمه واما من جهة الفصاحة اللفظية فهي كالعسل في الحلاوة وكالنسيم في الرقة
علية على العذبات سلسة على الاسلات فلعل ما تركنا من لطايف هذه الاية بل كل اية اكثر مما ذكرنا والله تعالى اعلم بمراده من كلامه ونادى
نوح ربه اي اراد ان يدعوه فقال رب ان ابني من اهلي بعض اهلي سواء كان من صلبه او ربيبا وان وعدك اي كل ما تعده به الحق الثابت الذي
لا شك في انجازه وقد وعدتني ان تنجي اهلي وانت احكم الحاكمين اعلمهم او اعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ويجوز ان يكون
الحاكم بمعنى ذي الحكمة كدارع قال يا نوح انه ليس من اهلك اي من اهل دينك او ممن هلك الذين وعدتهم الانجاء معك ثم صرح بان العبرة
بقرابة الدين والعمل الصالح لا بقرابة النسب فقال انه عمل غير صالح من قرأ على لفظ الفعل فمعناه انه عمل عملا غير صالح وهو الاشراك والتكذيب
ومن قرأ على لفظ الاسم فللمبالغة كما يقال فلان كرم وجود اذا غلب عليه الكرم والجود وفي قوله غير صالح دون ان يقول فاسد تعريض

بل تضرع بحيانه ثم ان انجائه من نجا باصلاح ويحتمل على هذه القراءة ان يعود الضمير في انه الى سؤال نوح اى ان ذلك هذا التضمن لسؤال انجاء ابنه
عمل غير صالح وقيل المراد ان هذا الابن ولد زنا وقد عرفت سقوطه ثم نهاه عن مثل هذا السؤال وبخه عليه بقوله فلا تسئلن ما ليس لك به
علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين قال المحققون انه كان ابنه منافقا فلذلك اشتبه امره على نوح وحمله شفقة الابوة او لا على حثه
الى ركوب السفينة فلما حال بينهما الموج لجأ الى الله في خلاصه من الغرق فعوتب على ذلك لانه لما وعده الله انجاء اهله واستثنى منهم من سبق
عليه القول كان عليه ان يتوكل على الله حق توكله ويعلم ان كل من كان من اهله مؤمنا فانه يخلص من الغرق لا محالة ولما لم يعلم ولم يصبر الى تبين الحال
توجه اليه العتاب على ترك الاولى فلذلك تنبه ورجع الى الله قال رب انى اعوذ بك ان اسئلك فيما يستقبل من الزمان ما ليس لى به علم
تادبا بادابك واتعاظا بعظتك والا تغفر لى ما فرط منى من الخطأ في باب الاجتهاد ومن قلة الصبر على ما يجب عليه الصبر وهذا التضرع
مثل تضرع ابيه وابينا آدم في قوله ربنا ظلمنا الآية فلذلك عفى عنه وقيل يا نوح اهبط اى من السفينة بعد استوائها على الجبل وانزل من
الجبل الى الفضاء متلبسا بسلام منا بسلامة من التهديد بالوعيد بل من جميع الآفات والمخافات لانه لما خرج من السفينة كان خائفا من
عدم المأكول والملبوس وسائر جهات الحاجات لانه لم يبق في الارض شئ يمكن ان ينتفع به من النبات والحيوانات وقيل اى مسلما عليك
مكرما وبركات الخيرات النامية الثابتة وفسرها في هذا المقام بانه وعده بان جميع اهل الارض من الاشخاص الانسانية يكون من نسله
اما لانه لم يكن في السفينة الا من هو من ذريته واما لانه لما خرج من السفينة مات من لم يكن من اهله وبقى النسل والتوالد في ذريته بدليله قوله سبحانه
وجعلنا ذريته هم الباقين فنوح آدم الاصغر وقيل انه وعده السلامة من الآفات ووعده ان موجبات السلامة والراحة تكون في التزايد
والثبات لا عليك وحده بل وعلى امم ممن معك ان كان من للبيان فالمراد الامم الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او هم اصل
الامم التى انشعبت منه وان كان لابتداء الغاية فالمعنى على امم ناشئة ممن معك الى آخر الدهر هذا شان الامة المؤمنة ثم ذكر حال الامة الكافرة
المتوالدة فقال وامم وهو رفع على الابتداء والخبر محذوف اى وممن معك امم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم في الآخرة منا عذاب اليم يعنى
ربما هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وخصص بعضهم الامم الممتعة بقوم هود وصالح ولوط و
شعيب تلك اشارة الى قصة نوح وهو مبتدأ والجمل بعدها اخبار وقوله ولا قومك للمبالغة كقول القائل لا تعرف هذه المسئلة لا
انت ولا قومك ولا اهل بلدك والمراد تفاصيل القصة والا فجملها اشهر من ان يخفى ومعنى من قبل هذا اى من قبل هذا الايحاء او العلم
الذى كسبته بالوحى او من قبل هذا الوقت وكان هذه القصة اعيدت في هذه السورة تسلية للنبى على ايذاء قومه ولذلك ختمت بقوله
فاصبر كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين التأويل ما نراك الا بشرا مثلنا اى مخلوقا محتاجا مثلنا وفيه ان النفس بنظرها السفلى يرى الروح
العلوى سفليا فلهذا لا تنظر الى النبوة ولا ترى نبوته الحميدة بل تراه بنظر الكذب والسحر والجنون الا الذين هم اراذلنا بادى الرأى والاراذل
من اتباع الروح البدن وجوارحه الظاهرة فان الغالب على الخلق ان البدن يقبل دعوة الروح ويستعمل الجوارح بالافعال الشرعية و
لكن النفس الامارة يكون على كفرها ولا تخلى البدن ان يشتغل بالاعمال الشرعية الدينية الا لغرض فاسد ومصلحة دنيوية كما هو المعتاد لاكثر
الخلق وما انا بطارد الذين آمنوا من طبع النفس ان يتأذى من استعمال البدن وجوارحه في التكاليف الشرعية فيقول للروح ان تريد ان
اومن بك وتخلق باخلاقك فامنع البدن وجوارحه من التكاليف من ينصرنى من الله من يمنعنى من قهره ان منعت البدن من الطاعة واقتصر على
مجرد ايمان النفس وتخلقها باخلاق الروح كما هو معتقد اهل الفلسفة والاباحة يقولون ان اصل العبودية معرفة الربوبية وجمعية الباطن
والتحلى بالاخلاق الحميدة افلا تذكرون ان جمعية الباطن ونوره من نتائج من استعمال الشرع والظلمة في الطبع وانما بعث الانبياء ليخرجوا الخلق من
ظلمات الطبع الى نور من الشرع فى الظاهر فالنور في الشرع والظلمة في الطبع وانما ظلمات الطبع انما تنمحى بالشرع لن يؤتيهم الله خيرا اى استعدادا
لتحصيل الدرجات العلوية وانهم مخلوقون من السفليات الله اعلم بما في نفس كل جارحة من استعداد تحصيل الكمال فان افتريته فعلى اجرامى
من التكذيب وفيه ان ذنوب النفس لا يؤثر في صفاء الروح ولا يتكدر بها ما كان الروح متبريا من ذنوب النفس متاسفا على معاملات
النفس ولا يتبع هواها واوحى الى نوح الروح انه لن يؤمن من قومك وهم القلب وصفاته والسر والنفس وصفاتها والبدن وجوارحه الا من
قد آمن من خواص العباد وهم القلب وصفاتها والسر وصفات النفس والبدن وجوارحه فاما النفس فانها لا تؤمن ابدا اللهم الا نفوس الانبياء
وخواص الاولياء فانها اسلم الحيا نادون الايمان فلا تبتئس بما كانوا يفعلون لان اعمال الشر لنفوس السعداء كالحديد للاكسير ينقلب ذهبا
مقبولا عند طرح الروح عليها فكذلك ينقلب اعمال الشر خيرا لعند طرح التوبة عليها اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ولا تبتئس
على نفوس الاشقياء لان اعمالهم حجة الله على شقاوتهم وبتلك السلاسل يسحبون في النار على وجوههم واصنع الفلك تحذيا نوح الروح
سفينة الشريعة بنظرنا لا بنظرك فان نظرك تبع الحواس يبصر ظاهرها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبنى في الذين ظلموا فان الظلم من شيم
النفوس انهم مغرقون في بحر الدنيا وشهواتها وكلما سولت لهم النفس هواها ويغفل عن اسرارها ولا تخاطبنى في الذين ظلموا ان الظلم
وصفاتها انهم مغرقون من استعمال اركان الشريعة انهم يعصوا احكامها حتى اذا جاء امرنا وهو حد البلوغ والركون في سفينة الشريعة وفار



في ان التنور في الشرع

ماء الشهوة من تنور القالب قلنا احمل السفينة الشريعة من كل صفة زوجها كالشهوة وزوجها العفة والحرص وزوجها القناعة والبخل
وزوجها السخاء والغضب وزوجه الحلم وكذا الحمد مع الملامة والعداوة مع المحبة والكبر مع التواضع والتانى مع العجلة وامثالهم صفات الروح
لا النفس ومن امن وهم القلب والسر فى قوله تعالى وقال اركبوا فيها باسم الله اشارة الى ان من ركب سفينة الشرع بالطبع وتقليد الاباء والمعلم
لم يحصل له النجاة الحقيقية كما ركب ابليس بالطبع فى سفينة نوح وانما النجاة لمن ركب بامر الله وذكره مجريها من الله ومرسيها الى الله كقوله وان
الى ربك المنتهى فى موج من الفتن كالجبال ونادى نوح الروح ابنه كنعان النفس المتولد بينه وبين القالب وكان فى معزل من معرفة الله وطلبه
سآوى الى جبل العقل يعصمنى من الماء الفتن لا عاصم اليوم اى لا مانع ماء الشهوات من ارض البشرية ونزول ما عملان الدنيا وزينتها
من سماء القضاء فلا يتخلص منه الا من رحم الله بالاعتصام بسفينة الشريعة ابلعى ماءك شهواتك اقلعى عن انزال مطر الآفات وغيض ماء الفتن
ببركة الشرع وقضى الامر ما كان مقدرا من طوفان الفتن للابتلاء والتربية واستوت سفينة الشريعة على الجودى وهو مقام التمكين
بعد مقامات التلوين وان وعدك الحق وهو نوح الروح عند هبوطه الى العالم السفلى من الرجوع الى العالم العلوى ما بعد انه ليس من اهلك
وكان للروح اربعة بنين ثلثة من المؤمنين وهم القلب والسر والعقل وواحد كافر وهو النفس فهى عن النفس اهلية الدين والملة لانها خلقت
للامارية اهبط من سفينة الشريعة عند مفارقة الجسد بالخلاص من طوفان الفتن وامم سنمتعهم هم النفوس متعت بالحظوظ الدنيوية
ثم يمسهم فى الآخرة عذاب البعد عن الله لما فات فاصبر على تربية الروح والنفس ان العاقبة لمن اتقى طوفان فتن الدنيا والنفس والهوى

وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ۝ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ
و فرستاديم بقوم عاد برادر ايشان هود را گفت اى قوم من بپرستيد خدا را نيست شما را هيچ خداى جز او نيستيد شما مگر افترا كنندگان اى قوم من نمى‌طلبم از شما بر آن مزدى نيست
أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ
مزد من مگر بر آنكه بيافريد مرا آيا پس نمى‌يابيد بعقل و اى قوم آمرزش خواهيد از خداى ايشان پس توبه كنيد بسوى او تا فرستد از آسمان بر شما باران پى در پى و بيفزايد شما را
قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ۝ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
قوتى با قوت شما و اعراض مكنيد در حاليكه مجرم باشيد گفتند اى هود نياوردى بما حجتى روشن و نيستيم ما واگذارندگان خدايان خود را از گفتار تو و نيستيم مر ترا گروندگان
إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّٰهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۝ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي
نمى‌گوئيم مگر آنكه رسانيده‌اند ترا برخى خدايان ما به بدى گفت بدرستيكه من گواه ميكنم خدا را و گواه باشيد كه من بيزارم از آنچه شرك مى‌آوريد از جز او پس كيد كنيد بمن
جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللّٰهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
همه پس مهلت مدهيد مرا بدرستيكه من توكل كردم بر خدا كه پروردگار من و شما است نيست هيچ جنبنده مگر او گيرنده است موى پيشانى او را بدرستيكه پروردگار من بر راه راست است
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
پس اگر اعراض كنيد پس بتحقيق رسانيدم بشما آنچه فرستاده شدم بآن بسوى شما و جانشين گرداند پروردگار من گروهى را غير شما و ضرر نتوانيد رسانيد او را چيزى بدرستيكه خداى من بر همه چيز نگهبان است
وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
و چون آمد فرمان ما رهانيديم هود را و آنانكه گرويده بودند با او برحمتى از ما و رهانيديم ايشان را از عذاب درشت و قوم عاد انكار كردند آيتهاى پروردگار خود را
وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ وَأُتْبِعُوا فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا
و نافرمانى كردند پيغمبران او را و پيروى كردند هر سركش حق ناپذير را و پى آورده شدند در اين دنيا لعنت را و روز قيامت آگاه باشيد بدرستيكه عاد كافر شدند به پروردگار خود آگاه باشيد دورى باد
لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۝ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
مر عاد را كه قوم هود بودند و بسوى ثمود برادر ايشان صالح گفت اى قوم بپرستيد خدا را نيست شما را هيچ خدايى جز او او آفريد شما را از زمين و عمر داد شما را
فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ۝ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
در آن پس آمرزش خواهيد از او پس بازگشت كنيد بسوى او بدرستيكه خداى من نزديك است و اجابت كننده است گفتند اى صالح بدرستيكه بودى در ميان ما اميد داشته شده پيش از اين آيا نهى ميكنى ما را از آنكه بپرستيم
آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۝ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَنْ
پدران ما و بدرستيكه ما هر آينه در شكيم از آنچه ميخوانى ما را بآن در شك افكننده گفت اى قوم خبر دهيد اگر باشم بر حجتى از پروردگار و داده باشد مرا از خود رحمتى پس كيست
يَنْصُرُنِي مِنَ اللّٰهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۝ وَيَا قَوْمِ هٰذِهِ نَاقَةُ اللّٰهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللّٰهِ
كه يارى كند مرا از خدا اگر نافرمانى كنم او را پس نمى‌افزائيد مرا جز زيانكارى و اى قوم اين ناقه خداست شما را آيتى پس بگذاريد او را تا بخورد در زمين خدا
وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۝ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ
و مس مكنيد او را ببدى پس فرا گيرد شما را عذابى نزديك پس پى كردند آنرا پس گفت برخوردارى كنيد در خانهاى خود سه روز اين وعده‌ايست غير دروغ
فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۝ وَأَخَذَ
پس چون آمد فرمان ما رهانيديم صالح را و آنانكه گرويده بودند با او برحمتى از ما و از رسوائى آن روز بدرستيكه پروردگار تو اوست توانا و غالب و گرفت

الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ○ كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ○ القراءة

آنان را که ستمکردند فریاد پس گشتند در خانه‌هاشان بر جای ماندگان ○ گویا اقامت نداشتند در آن آگاه باشید بدرستیکه ثمود کافر شدند پروردگار خود را آگاه باشید دوری باد مر ثمود را

بفتح الياء ابو جعفر ونافع والبزي غير الخزاعي اني اشهد بالفتح ابو جعفر ونافع فان تولوا بتشديد التاء البزي وابن فليح ويستخلف بالجزم الخزاز
عن هبيرة الباقون بالرفع يومئذ بفتح الميم وكذلك في المعارج ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وعلي والشموني والبرجمي وعباس الاخرون بالجر الا
ان ثمود غير منصرف وكذا الوقف بغير الالف حمزة وحفص وسهل ويعقوب الباقون بالتنوين والوقف بالالف لثمود بالتنوين في الوصل علي
الوقوف هودا ط غيره ط مفترون اجرا ط فطرني ط تعقلون مجرمين بمؤمنين بسوء ط تشركون لا لا تنظرون وربكم ط بناصيتها ط مستقيم
به اليكم ط للاستيناف الا لمن قرأ ويستخلف بالجزم غيركم ج لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال شيئا ط حفيظ مناج لحق المحذوف اي
وقد نجيناهم غليظ ط عنيد ويوم القيمة ط ربهم ط هود صالحا م لما مر في الاعراف غيره ط اليه ط مجيب مريب تخسير قريب ايام ط مكذوب
يومئذ ط العزيز جاثمين لا لكاف التشبيه فيها ربهم ط لثمود التفسير قد مر في الاعراف تفسير قوله والى عاد الاية ومعنى قوله ان انتم الا
مفترون انكم كاذبون في قولكم ان هذه الاصنام تحسن عبادتها مع انها لا حس لها ولا شعور ثم قال مثل قول نوح يا قوم لا اسئلكم
عليه اجرا لان النصيحة لا يمحضها الا حسم المطامع افلا تعقلون ان نصح من لا يطلب الاجر الا من الله لا يكون من التهمة في شيء وقيل انما قال
في قصة نوح مالا وهنا اجرا لذكر الخزائن بعده فلفظ المال بها اليق وحذف الواو من يا قوم لانه اراد الاستيناف او البدل دون العطف ويا
قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه قد مر مثله في اول السورة وقال الاصم لان القوم المراد سلوه ان يغفر لكم ما تقدم لكم امراكم ثم اعزموا
على ان لا تعودوا الى مثله ثم قصد استمالتهم وترغيبهم في الايمان بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا حراصا على جمع الاموال من وجوه العمارة
والزراعة مفتخرين بها وتواصين بالبطش والقوة فقدم اليهم في باب الدعوة الى الدين والترغيب فيما كانت همتهم معقودة به ليحصل في ضمن
الغرض الكلي والمقصود الاصلي وهو الفوز بالسعادات الاخروية وكانه انما خص هذين النوعين من السعادات الدنيوية لان الاول اصل جميع
النعم والثاني اصل في الانتفاع بتلك النعم وقيل المراد بالقوة الزيادة في المال وقيل في النكاح وروي انه حبس عنهم القطر لشؤم التكذيب ثلث
سنين واعقم ارحام نسائهم فوعدهم انهم ان امنوا احيا الله بلادهم ورزقهم المال والولد والمدرار الكثير الدر كما مر في اول الانعام عن الحسن بن علي
انه وفد على معوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار حتى انه ربما استغفر في يوم
واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع
قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم باموال وبنين ثم قال هود ولا تتولوا اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين
على الاجرام والاثام مجددا هودا وقالوا يا هود ما جئتنا ببينة كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه ولم يشتهر منه معجزة
ولكن العلماء قالوا اظهار الدعوة مع اولئك الاقوام من غير مبالاة وتوانيه من الايات وقوله عن قولك حال من الضمير كانه قيل وما نترك
الهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين لا نصدق مثلنا مثلك بل اثم زعموا ان بعض الهتهم اعتراه بسوء اي غشاه ولزمه
الخبل والجنون لانه كان يسب الهتهم وذلك قولهم ان نقول الا اعتراك والا لغو اي ما نقول شيئا الا هذا القول فمن ثم تتكلم
بكلام المجانين والمراد ان الاصنام كافاته على سوء فعله بسوء الجزاء فاظهر نبي الله الجلادة والثقة بالله فيما هو بصدده وتبرأ منهم ومن شركهم
فاشهد الله وذلك شهادة صحيح واشهدهم ايضا وهذا كالتهاون وقلة المبالاة بهم كقول الرجل لمن نوى قطعه بالكلية اشهد علي اني لا احبك
تهكما به ثم قدر قوله فكيدوني جميعا الاية في اخر سورة الاعراف وقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل وكانوا
اذا اسروا الاسير فارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته فكان علامة لقهره قالت المعتزلة هذا دليل التوحيد لدلالته على انه لا مالك
الا هو وقوله ان ربي على صراط مستقيم دليل العدل والاشاعرة قالوا معناه مثل ان ربك لبالمرصاد اي لا يخفى عليه شيء ولا يفوته
هارب فان تولوا فقد ابلغتكم كقول القائل ان اكرمتني الان فقد اكرمتك فيما مضى والمراد فان تتولوا فانا غير معاتب ولا مقصر لاني
قد وفيت حق الرسالة وفي قوله ويستخلف اشارة الى عذاب الاستيصال وانه يخلق بعدهم من هو اطوع منهم وانه لا ينقص من ملكه شيئا
ان ربي على كل شيء حفيظ يحفظ اعمال العباد حتى يجازيهم عليها او يحفظني عن شركم وكيدكم او يحفظني من الهلاك والذين امنوا معه قيل كانوا
اربعة الاف برحمة منا اي بفضل وامتنان وبسبب ما هم فيه من الايمان والعمل الصالح ونجيناهم من عذاب غليظ اطلق التنجية اولا ثم قيدها
على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ سموم تدخل في افواههم وتخرج من ادبارهم فيقطعهم عضوا عضوا ويحتمل ان يراد بالثانية
النجاة من عذاب الاخرة ولا عذاب اغلظ منه ولما ذكر قصتهم خاطب محمدا واشار الى قبورهم واثارهم بقوله وتلك عاد فانظروا واعتبروا
ثم استانف وصف احوالهم مجملة فقال جحدوا بايات ربهم فلم يلتفتوا من المعجزات الى صدق الانبياء ولم يرتقوا من الممكنات الى وجود الخالق
بالذات وعصوا رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وصح الجمع لان عصيان رسول واحد يتضمن عصيان كلهم لا نفرق بين احد من رسله
واتبعوا امر كل جبار عنيد اطاعوا رؤساءهم وكبراءهم المتمردة والمعاندة ولهذا جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين وفي تكرير الا والنداء

على تقطيع شانهم وانهم كانوا مستاهلين للدعاء عليهم بالهلاك ويحتمل ان يراد البعد من رحمة الله في الاخرة وقوله قوم هود عطف بيان لعاد
اما اللتاكيد ومزيد التقرير واما لان عادا عادان القديمة التي هي قوم هود والاخرى هي ارم قوله في قصة ثمود هُوَ اَنْشَاَكُمْ تقديم الضمير للحصر اي
لم ينشئكم الا هو ومعنى الانشاء من الارض ان الكل مخلوق من صلب آدم وهو مخلوق من الارض ويمكن ان يقال ان الانسان مخلوق من
المني وهو يحصل من الغذاء والغذاء ينتهي الى النبات ثم الى الارض وقيل ان من بمعنى في وَاسْتَعْمَرَكُمْ من العمارة اي جعلكم عمار الارض
وامركم بالعمارة فمنها واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار فعمروا الاعمار الطوال
مع ما كان فيهم من الظلم فسأل نبي لهم من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي
وقيل من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقيل من العمرى ومعناه اعمركم الله فيها ديارکم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم وجعلكم معمرين
ديارکم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانه اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها الوارث ومعنى كونه قريبا قد مر في قوله وَاِذَا
سَاَلَكَ عِبَادِيْ عَنِّيْ فَاِنِّيْ قَرِيْبٌ وذلك في البقرة قَالُوْا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِيْنَا مَرْجُوًّا عن ابن عباس فاضلا خيرا يقدمك الله على جميعنا
وقيل كنا نظن بك الرشد والصلاح و كمال العقل واصابة الرأي وقيل كنت تعطف على فقيرنا وتعين ضعيفنا وتعود مرضانا فظننا
انك من الانصار والاحباب واهل الموافقة في الدين فكيف ظهرت العداوة والبغضاء ثم اضافوا الى هذا الكلام التمسك بالتقليد ومتابعة الاباء
ثم صرحوا بالتوقف والريب في امره ومريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة وهو من الاسناد المجازي واعلم ان
قوله وَاِنَّنَا لَفِيْ شَكٍّ بنون الوقاية ههنا على الاصل واما في سورة ابرهيم فانما قالوا انا بغير نون الوقاية لقوله بعده تدعوننا على الجمع
فكان اجتماع النونات مستكرها فاجابهم هو بقوله اِنْ كُنْتُ عَلٰى بَيِّنَةٍ الاية وبناه على الفرض والتقدير لان خطاب المخالف على الوجه اقرب مثل
الى القبول كانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة فمن يمنعني من عذاب الله ان عصيته في اوامره فما تزيدونني غير تخسير
اي على هذا التقدير تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تحملونني عليه الا ان انسبكم الى الخسران واقول انكم خاسرون والمعنى الاول
اقرب لانه لا دلالة على ان متابعتهم لا تزيده الا خسران الدارين ويا قوم هذه ناقة الله قد مر تفسيره في الاعراف ومعنى عذاب قريب عاجل
لا يستاخر الا ثلثة ايام وغير مكذوب من باب الاتساع اي غير مكذوب فيه فحذف الحرف واجرى الضمير مجرى المفعول به او من باب المجاز كان
الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود وصفه به قوله فَلَمَّا جَاۤءَ اَمْرُنَا بالفاء وفي قصة هود بالواو لمكان التعقيب
ههنا بدليل قوله عَذَابٌ قَرِيْبٌ ومثله في قصة لوط لقوله اَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيْبٍ واما في قصة هود فانه قال ويستخلف بلفظ المستقبل ومثله في
شعيب سوف تعلمون من ياتيه بحرف التسويف فلم يكن الفاء مناسبا واعتبر هذا المعنى في سائر المواضع كما في سورة يوسف قال ولما
جهزهم بالواو ولا لان التعقيب لم يكن مرادا ثم فلما جهزهم لمكان التعقيب والله اعلم مِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ معطوف على محذوف والتقدير نجينا صالحا
ومن معه من العذاب النازل بقومه ومن الخزي الذي لزمهم او يتعلق بمعطوف محذوف اي ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم
من عذاب غليظ والمعنيان كما قلنا هناك والقراآت في يومئذ لان الظرف المضاف الى اذ يجوز بناؤه على الفتح والتنوين في اذ عوض من
المضاف اليه عن الجملة والتقدير يوم اذ كان كذا وكسر الذال للساكنين اِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيْزُ القادر الغالب فمن قدرته تمييز المؤمن
من الكافر ومن عزته وقهره اهلاك الكفار بالصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبرئيل واما لاحداثها في سحاب مع برق شديد
محرق وانما يصير الصيحة سببا للهلاك لان التموج الشديد في الهواء يوجب تاذي صماخ الانسان وقد يتمزق غشاء الدماغ بذلك والامر
النفسانية ايضا اذا قويت اوجبت الموت وتمام القصة مذكور في سورة الاعراف وقوله اَلَآ اِنَّ ثَمُوْدَاْ الى الاخرة شبيه بما مر في قصة هود والتاويل
كما مر في سورة الاعراف والله اعلم

وَلَقَدْ جَاۤءَتْ رُسُلُنَآ اِبْرٰهِيْمَ بِالْبُشْرٰى قَالُوْا سَلٰمًا ۭ قَالَ سَلٰمٌ فَمَا لَبِثَ اَنْ جَاۤءَ بِعِجْلٍ حَنِيْذٍ

و بتحقیق آمدند فرستادگان ما ابراهیم را بمژده فرزند گفتند سلام گفت سلام پس درنگ نکرد که آورد گوساله بریان در زمین

فَلَمَّا رَآٰ اَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ اِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيْفَةً ۭ قَالُوْا لَا تَخَفْ اِنَّآ اُرْسِلْنَآ اِلٰى قَوْمِ لُوْطٍ وَامْرَاَتُهٗ

پس چون دید دستهای شان نمیرسد بان ناخوش گرفت ایشان را و دردل گرفت از ایشان ترسی گفتند مترس بدرستیکه ما فرستاده شده ایم بسوی قوم لوط و زن او

قَاۤىِٕمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنٰهَا بِاِسْحٰقَ ۙ وَمِنْ وَّرَاۤءِ اِسْحٰقَ يَعْقُوْبَ قَالَتْ يٰوَيْلَتٰٓى ءَاَلِدُ وَاَنَا عَجُوْزٌ وَّهٰذَا بَعْلِيْ شَيْخًا

ایستاده بود پس خندید پس مژده دادیم او را باسحق و از پس اسحق یعقوب گفت ای وای عجب آیا فرزند آورم و من پیرزنم و این شوهر منست کهن سال مرد

اِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ قَالُوْٓا اَتَعْجَبِيْنَ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ رَحْمَتُ اللّٰهِ وَبَرَكٰتُهٗ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الْبَيْتِ ۭ اِنَّهٗ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ فَلَمَّا ذَهَبَ

بدرستیکه این چیزیست عجب گفتند آیا تعجب میکنی از امر خدا رحمت خدا و برکتهای او بر شما اهل خانه بدرستیکه او ستوده بزرگوارست پس چون رفت

عَنْ اِبْرٰهِيْمَ الرَّوْعُ وَجَاۤءَتْهُ الْبُشْرٰى يُجَادِلُنَا فِيْ قَوْمِ لُوْطٍ اِنَّ اِبْرٰهِيْمَ لَحَلِيْمٌ اَوَّاهٌ مُّنِيْبٌ يٰٓاِبْرٰهِيْمُ اَعْرِضْ عَنْ هٰذَا

از ابراهیم ترس و آمد او را مژده فرزند سخن میکرد با ما درباره شفاعت قوم لوط بدرستیکه ابراهیم بردبار ناله کننده بازگشت کننده است ای ابراهیم روی بگردان از این شفاعت

اِنَّهٗ قَدْ جَاۤءَ اَمْرُ رَبِّكَ ۚ وَاِنَّهُمْ اٰتِيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُوْدٍ وَلَمَّا جَاۤءَتْ رُسُلُنَا لُوْطًا سِيْۤءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَّقَالَ

بدرستیکه آمد فرمان پروردگار تو و ایشان آینده است ایشان را عذابی که گردانیده نشود و چون آمدند رسولان ما لوط را محزون شد بایشان و تنگ شد بایشان در طاقت و گفت

الطول ع ل

ع

هذا يوم عصيب ۝ وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر

این روزیست سخت ۝ و آمدند او را قوم وی شتابان بسوی وی و از پیش بودند که میکردند بدیها را گفت ای قوم اینها دختران من اند ایشان پاکیزه تر اند

لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد ۝ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم

برای شما پس بترسید از خدا و رسوا مکنید مرا در مهمانان من آیا نیست از شما مردی راه یابنده ۝ گفتند به تحقیق دانسته که نیست ما را در دختران تو هیچ حقی و هر آینه تو میدانی

ما نريد ۝ قال لو أن لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد ۝ قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك

آنچه را میخواهیم ۝ گفت کاش مرا بودی به شما قوتی یا پناه گیرم بجای سخت ۝ گفتند ای لوط بدرستیکه ما رسولان پروردگار تو ایم نخواهند رسید بر تو پس شب رو با کسان خود

بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب

با پاره از شب و باید که ننگرد به پس از شما احدی جز زن تو بدرستیکه رسنده است او را آنچه رسید ایشان را بدرستیکه وعده گاه ایشان صبح است آیا نیست صبح نزدیک

فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ۝ مسومة عند ربك وما هي من

پس چون آمد فرمان ما گردانیدیم بالای آن را زیر آن را و بارانیدیم بر آن سنگهائی از سنگ گل بر هم نهاده شده ۝ نشان کرده نزد پروردگار تو و نیست آن از

الظالمين ببعيد ۝ القراءة سلم بكسر السين بلا الف فيهما حمزة وعلي ويعقوب بالنصب ابن عامر وحمزة وحفص الاخرون بالرفع سيئ بهم وبابه ستمکاران دور ۝ كضرب مجهولا ابو جعفر ونافع وابن عامر وعلي ورويس الاخرون سيئ مثل قيل تخزوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل ضيفي بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو فاسر بوصل الهمزة الوصل ابو جعفر ونافع وابن كثير وعباس من طريق الوصلي وحمزة في الوقف ان شاء بين الهمزة الا امرأتك بالرفع ابن كثير وابو عمرو الباقون بالنصب الوقوف سلاما ط حنيذ خيفة ط قوم لوط ط باسحق ط لا من قرأ يعقوب بالرفع يعقوب شيخا ط عجيب اهل البيت ط مجيد قوم لوط ط منيب عن هذا ج لاحتمال التعليل امر ربك ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مردود عصيب ج للعطف ولاختلاف النظم السيئات ط ضيفي ط رشيد من حق لتعلم ما نريد شديد الا امرأتك ط اصابهم ط الصبح ط بقريب منضود لا لان ما بعده صفة حجارة عند ربك ط ببعيد التفسير الرسل ههنا الملائكة واجمعوا على ان الاصل فيهم جبرئيل ثم اختلفوا فقيل كان معه اثنا عشر ملكا على احسن ما يكون من صورة الغلمان وقال الضحاك كانوا تسعة وقال ابن عباس كانوا ثلثة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وهم الذين ذكر الله تعالى في سورة الحجر ونبئهم عن ضيف ابرهيم وفي الذاريات هل اتيك حديث ضيف ابرهيم والظاهر ان البشرى هي البشارة بالولد وقيل هلاك قوم لوط ومعنى سلاما سلمنا عليك وفي معنى سلام هو سلام امركم سلام او سلام عليكم ولان الرفع يدل على الثبات والاستقرار والنصب يدل على الحدوث لمكان تقدير الفعل قال العلماء ان سلام ابرهيم كان احسن اقتداء بقوله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها وانما صح وقوع سلام مبتدأ مع كونه نكرة لتخصصها بالاضافة الى المتكلم اذ اصله سلمت سلاما فعدل الى الرفع لافادة الثبات ومن قرأ سلم فمعناه السلم ايضا قال الفراء سلم وسلام كحل وحلال وحرم وحرام وقال ابو علي الفارسي يحتمل ان يراد بالسلم خلاف الحرب قالوا ومكث ابرهيم خمس عشرة ليلة لا يأتيه ضيف فاغتم لذلك فجاءته الملائكة فرأى اضيافا لم ير مثلهم فما لبث ان في ان جاء بعجل او فما لبث مجيئه بعجل هو ولد البقرة حنيذ مشوي في حفرة من الارض بالحجارة المحماة وهو من فعل اهل البادية معروف ومعناه محنوذ كطبيخ بمعنى مطبوخ وقيل الحنيذ الذي يقطر دسما كقوله بعجل سمين يقول حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا فلما رأى ايديهم لا تصل اليه الى العجل او الطعام نكرهم اي انكرهم واستنكر فعلهم واوجس اضمر منهم خيفة لانه ما كان يعرف انهم ملئكة وكان من عادة العرب انه اذا نزل بهم الضيف ولم يتناول طعامهم توقعوا منه المكروه والشر وقيل انه كان ينزل في طرف من الارض بعيد عن الناس فلما امتنعوا من الاكل خاف ان يريدوا به شرا وقيل انه كان يعرف انهم ملئكة الله لقولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط لم يقولوا لا تخف انا ملئكة بل ذكروا سبب الارسال وهو اهلاك قوم لوط وعلى هذا فانما خاف ان يكون نزولهم لامر انكره الله او لتعذيب قومه والاحتمال الاول وهو انه كان لا يعرف انهم ملائكة اقرب بدليل احضاره الطعام واستدلاله بترك اكلهم على توقع الشر منهم وانما ذكروا سبب الارسال ايجازا واختصارا لدلالة الارسال على كونهم رسلا لا اضيافا وانما اتوه على صورة الاضياف ليكونوا على صفة يحبها لانه كان مشعوفا بالضيافة وبم عرف الملئكة قيل بالتغير في وجهه او بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملئكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب وامرأته وهي سارة بنت هاران بن ناحور وابنة عم ابرهيم قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم او كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وهم قعود فضحكت قال العلماء لابد للضحك من سبب فقيل سببه السرور بزوال الخيفة وقيل بهلاك اهل الخبائث وعن السدي ان ابرهيم قال لهم الا تأكلون قالوا انا لا ناكل طعاما الا بالثمن فقال ثمنه ان تذكروا اسم الله على اوله وتحمدوه في آخره فقال جبرئيل لميكائيل حق لمثل هذا الرجل ان يتخذه ربه خليلا فضحكت امرأته فرحا بهذا الكلام وقيل كانت تقول لابرهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ففرحت بموافقة قولهم لقولها فضحكت وقيل طلب ابرهيم منهم معجزة دالة على انهم من الملئكة فدعوا ربهم باحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي الى مرعاه فضحكت سارة من طفرته وقيل ضحكت تعجبا من قوم اتاهم العذاب وهم غافلون و قيل تعجبت من خوف ابرهيم مع كثرة خدمه وحشمه من ثلثة انفس وقيل في الكلام تقديم وتأخير اي فبشرناها باسحق فضحكت سرورا وعن مجاهد و

التفسير

حكم

وعكرمة ضحكت اي حاضت ومنه ضحكت الطلعة اذا انشقت يعني استعدادها لعلوق الولد من قرأ يعقوب بالرفع فعلى الابتداء والخبر محذوف
اي يعقوب مولود او موجود من بعد اسحق ومن قرأ بالنصب فعلى العبارة المتروكة كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن بعد اسحق يعقوب قول من المحتمل ان يكون
يعقوب مجرورا بالعبارة الموجودة اي وبشرناها بيعقوب من بعد اسحق وقيل الوراء ولد الولد ووجهان يراد بيعقوب ولاده كما يقال هاشم ويراد
اولاده يا ويلتى كلمة تلهف قدمت في لما انت في يا ويلتى أألد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا نصب على الحال والعامل فيه ما في هذا من معنى التنبيه او الاشارة انه لما يعني ان
تولد ولد من هرمين لشيء عجيب عادة قالوا اي الملائكة أتعجبين منكرين عليها بقولهم على سبيل الاستيناف رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت خليل
الرحمن المقصود ان رحمته عليكم متكاثرة وبركاته فيكم متواترة وخوارق العادات في اهل بيت النبوة غير عجيب ويحتمل ان يكون انتصاب اهل البيت على الاختصاص
وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم ثم اكدوا ازالة التعجب بقولهم انه حميد محمود في افعاله
مجيد ذو الكرم الكامل فلا يليق بمنع الطالب عن مأموله فلما ذهب عن ابرهيم الروع الخوف الذي حصل حين نكر اضيافه وجاءته البشرى البشارة
بحصول الولد يجادلنا في قوم لوط في معناهم وفي شأنهم وهو جواب لما على حكاية الحال اولان لما ترد المضارع الى الماضي عكس ان ويحتمل ان يكون جواب
لما محذوفا على تقدير اقبل يجادلنا اي اجترأ على خطابنا او قال كذا ثم ابتداء فقال يجادلنا وقيل معناه اخذ يجادلنا ولا بد من حذف مضاف اي يجادل
رسلنا لا بمعنى مخالفة امر الله فان ذلك لا يكون معصية بل سعيا في تاخير العذاب عنهم رجاء ايمانهم وتوبتهم روي انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
فقال ارأيتم لو كان فيها خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال فان كان فيها رجل واحد مسلم
اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله قال الاصوليون ان ابرهيم كان يقول ان امر الله
ورد بايصال العذاب ومطلق الامر لا يوجب الفور والملائكة يدعون الفور اما للقرائن اولان مطلق الامر يستدعي ذلك فحصلت المجادلة او لعل
ابرهيم كان يدعي ان الامر مشروط بشرط لم يحصل بعد وهم لا يسلمون وبالجملة فان العلماء يجادل بعضهم بعضا عند التمسك بالنصوص وليس يوجب القدح
في واحد منهم فكذلك ههنا ولذلك مدحه بقوله ان ابرهيم لحليم غير عجول في الامور أواه كثير التأوه من الذنوب منيب راجع الى الله في كل ما يحبه
له وهذه الصفات تدل على رقة القلب والشفقة على خلق الله حتى حملته على الجدال فيهم رجاء ان يرفع العذاب عنهم ولما عرفت الملائكة ان العذاب قد
حق عليهم قالوا يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال انه قد جاء امر ربك باهلاكهم وانهم آتيهم لاحق بهم عذاب غير مردود فلا راد لقضائه فلا ينفع فيهم
جدال ولا دعاء ولما جاءت رسلنا المذكورون لوطا سيء بهم اصله سوئ لانه من ساءه يسوءه نقيض سره يسره نقلت الكسرة الى الفاء وابدلت
العين ياء ومن قرأ سيء بابدال العين ياء مكسورة فلكراهة اجتماع الواو والهمزة وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة واصله
ان البعير يذرع بيده في سيره على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طاقته ضاق ذرعه عن ذلك فجعل ضيق الذرع عبارة عن قلة الوسع
والطاقة وربما قالوا ضقت به ذرعا وقال هذا يوم عصيب اي شديد من العصب الشديد كانه ربط به لاشتداد ما فيه من الامور عن ابن
عباس انطلقوا من عند ابرهيم الى لوط وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه على صورة شباب مرد من بني آدم في غاية الحسن ولم يعرف لوط انهم ملائكة
الله فساءه مجيئهم واغتم لاجل انه خاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم وقيل سبب المساءة انه لم يكن قادرا على القيام بحق ضيافتهم لانه
ما كان يجد ما ينفق عليهم وقيل السبب ان قومه منعوه عن ادخال الضيف داره وقيل عرف انهم ملائكة جاؤا لاهلاك قومه فرق قلبه على قومه والصحيح
هو الاول يروى انه تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه
القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته
فاخبرت بهم قومها فذلك قوله وجاءه قومه يهرعون اليه قال ابو عبيدة يستحثون اليه كانه يحث بعضهم بعضا وقال الجوهري الاهراع الاسراع
اهرع الرجل على ما لم يسم فاعله فهو مهرع اذا كان يرعد من حمى او غضب او فزع وقيل انما لم يسم فاعله للعلم به والمعنى اهرعهم خوفهم او حرصهم ثم
بين ان اسراعهم انما كان لاجل العمل الخبيث فقال ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش فمرنوا عليها فلذلك جاؤا مجاهرين لا يكفهم حياء
وقيل معناه وكان لوط قد عرف عادتهم في ذلك العمل قبل ذلك فاراد ان يقي اضيافه فعرض بناته فقال هؤلاء بناتي عن قتادة بناته من صلبه وعن مجاهد
وسعيد بن جبير اراد نساء امته لان النبي كالاب لامته واختير هذا القول لان عرض البنات المحصنات على الفجار لا يليق بذوي المروات ولان اللواتي
من صلبه لا يكفي للجمع العظيم لما روي انه لم يكن له الا ابنتان واقل الجمع ثلثة والقائلون بالقول الاول قالوا انما دعاهم الى التزوج بهن بعد الايمان

الاول قالوا انما دعى القوم ٣

او مع الكفر فلعل تزويج المسلمات من الكفار كان جائزا كما في اول الاسلام زوج رسول الله صلعم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع بن عبد
العزى وهما كافران فنسخ بقوله ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقيل ان بناته كن
اكثر من ثنتين ويجوز ان يكون قد عرض البنات عليهم لا بطريق الجد بل طمعا منهم ان يستحيوا منه ويتركوا له ما طلبوا هن اطهر لكم بمعنى الطاهرات لا طهارة في نكاح
الرجال فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون ولا تفضحون من الخزي ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق اضيافي فان خزي الضيف والجار يورث
للمضيف العار والشنار والضيف يستوي فيه الواحد والجمع ويجوز ان يكون مصدرا أليس منكم رجل رشيد صالح او مصلح مرشد يمنع او يمتنع عن مثل
هذا العمل القبيح قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق من شهوة ولا حاجة لان من احتاج الى شيء فكانه حصل له فيه نوع حق ولذلك قالوا وانك



لتعلم ما نريد ويجوز ان يراد انهن ليس لنا بازواج فلا حق لنا فيهن من حيث الشرع ومن حيث الطبع ام يراد انك دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ونحن لا
نؤمن البتة فلا يتصور لنا حق فيهن قال لوط لو ان لي بكم قوة وجوابه محذوف اي لفعلت بكم وصنعت بالغت في دفعكم قال اهل المعاني حذف الجواب ابلغ
لان الوهم يذهب الى انواع كثيرة من الدفع والمنع والمراد لو ان لي ما اقوى به عليكم فسمى موجب القوة بالقوة ويحتمل ان يريد بالقوة القدرة والطاقة او آوي
انضم الى ركن شديد حام منيع شبه الركن من الجبل في شدته وقوله او آوي عطف على الفعل المقدر بعد لو والحاصل انه تمنى دفعهم بنفسه او بمعاونة غيره
قال ذلك من شدة القلق والحيرة في الامر النازل به ولهذا قالت الملائكة وقد وجدت عليه وجدا ان ركنك لشديد وقال النبي صلعم رحم الله اخي لوطا كان
يأوي الى ركن شديد فما بعث نبي بعد ذلك الا في ثروة من قومه ويحتمل ان يريد بالركن الشديد حصنا يتحصن به فيأمن من شرهم ويحتمل انه لما شاهد
سفاهة القوم واقدامهم على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استدرك وقال بل الاولى الاوي الى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله روي
انه اغلق بابه لما جاؤا فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك وهذه جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا
كانوا رسل الله لم يصل الاعداء اليه ولن يقدروا على ضرره فامر الملائكة ان يفتح الباب فدخلوا فاستأذن جبرئيل ربه في عقوبتهم فاذن له فضرب بجناحه
وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال سبحانه ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون ان في بيت لوط
سحرة ثم بين نزول العذاب ووجه خلاص لوط واهله فقال فاسر باهلك الباء للتعدية ان كان الهمزة للوصل من سرى او زائدة ان كانت للقطع والاسراء
بقطع من الليل عن ابن عباس اي في اخر الليل بسحر وقال قتادة بعد طائفة من الليل وقيل نصف الليل كانه قطع بنصفين ولا يلتفت منكم احد اي لا ينظر
الى ما وراءه الا امرأتك اكثر القراء على النصب فاعترض بان الفصيح في مثله هو البدل لان الكلام غير موجب فكيف اجتمع القراء على غير فصيح فاجاب
جار الله بان الرفع بدل من احد على القياس والنصب مستثنى من قوله فاسر لا من قوله لا يلتفت وزيف بان الاستثناء من اسر يقتضي كونها غير مسرى بها و
الاستثناء من لا يلتفت احد يقتضي كونها مسرى بها لان الالتفات بعد الاسراء فيكون مسرى بها غير مسرى بها ويمكن ان يجاب بان اسر وان كان مطلقا في اللفظ
الا انه في المعنى متصل (مقيد) بعدم الالتفات اذ المراد اسر باهلك اسراء لا التفات فيه الا امرأتك فانك تسري بها اسراء مع الالتفات فاستثن على هذا ان شئت
من لا يلتفت ولا تناقض وبعضهم كابن الحاجب جعل الا امرأتك في كلتا القراءتين مستثنى من لا يلتفت ولم يستبعد اجتماع القراء على قراءة غير الاقوى ويمكن ان يقال
انما اجتمعوا على النصب ليكون استثناء من اسر اذ لو جعل استثناء من لا يلتفت لزم ان تكون مأمورة بالالتفات لان القائل اذا قال لا يقم منكم الا
زيد كان ذلك امرا لزيد بالقيام اللهم الا ان يجعل الاستثناء منقطعا على معنى ولا يلتفت منكم احد لكن امرأتك تلتفت فيصيبها ما اصابهم وان
كان هذا الاستثناء منقطعا كان التفاتها موجبة للمعصية قال في الكشاف وروي انه امرها ان يخلفها مع قومها فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف
الروايتين يجب اجتماعهما على الصحة لتواتر القراءات كلها وروي انها لما سمعت هدة العذاب لي صوتها التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها
قيل المراد بعدم الالتفات قطع تعلق القلب عن الاصدقاء والاموال والامتعة فعلى هذا صح الاستثناء الان من غير شائبة التناقض كانه امر
لوطا ان يخرج بقومه ويترك هذه المرأة فانها هالكة من الهالكين ثم امرهم ان يقطعوا العلائق واخبر ان امرأته تبقى متعلقة القلب بها ويروى انه قال لهم
متى موعد هلاكهم فقيل له ان موعدهم الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا باهلاكهم جعلنا اي جعل
وسلنا عاليها سافلها روي ان جبرئيل ادخل جناحه الواحد تحت مدائن قوم لوط وقلعها وصعد بها الى السماء نهيق الحمير ونباح الكلاب وصياح
الديوك لم ينكفأ لهم طعام ولم يتكسر لهم اناء ثم قلبها دفعة وضرب بها على الارض ثم امطر عليهم حجارة من سجيل وهو معرب سنك كل كانه مركب من حجر وطين
وهو في غاية الصلابة وقيل سجيل اي مثل السجل وهي الدلو العظيمة او مثلها في تضمن الاحكام الكثيرة وقيل اي مرسلة عليهم من اسجلته اذا ارسلته وقيل
اي مما كتب الله ان يعذب بها او كتب عليها اسماء المعذبين من السجل وقد سجل لفلان وقيل من سجين اي من جهنم فابدلت النون لاما وقيل انه اسم
سماء الدنيا ومعنى منضود موضوع بعضها فوق بعض في النزول يأتي على سبيل المتابعة والتلاصق ونضدت السماء نضدا معدا لاهلاك الظلمة وفي السماء
معادنها في جبال مخصوصة كقوله من جبال فيها من برد مسومة معلمة للعذاب او ببياض وحمرة عن الحسن والسدي عليها امثال الخواتيم وقال ابن جريج كان عليها
سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال الربيع مكتوب على كل حجر اسم من يرمى به وقال ابو صالح رأيت منها عند ام هانئ حجارة فيها خطوط حمر على هيئة الجزع
ومعنى عند ربك اي في خزائنه لا يتصرف في شيء منها الا هو او مقرر في علمه اهلاك من اهلك بكل واحد منها وما هي اي تلك الحجارة من الظالمين
اي من كل ظالم ببعيد وهو وعيد لاهل مكة عن رسول الله صلعم انه سأل جبرئيل عن هذا فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو بعرض سقوط حجر
عليه ساعة فساعة وقيل اي تلك القرى ليست ببعيدة من ظالمي اهل مكة يمرون بها في مسافرهم الى الشام وقيل المراد انها وان كانت في السماء الا انها اذا هوت
منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمى فكانها بمكان قريب والله تعالى اعلم بمراده والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله
غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا
الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وما انا عليكم بحفيظ قالوا يا شعيب اصلوتك تأمرك
ان نترك ما يعبد اباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني
منه رزقا حسنا وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب

اسر وان شئت

في سمع اهل السماء

ع



وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ
عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ
إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وَلَقَدْ
أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ
النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ
وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ وَكَذَلِكَ
أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ

القراءة لكن بالفتح اربكم بالامالة ابو جعفر ونافع وابو عمرو والبزي وكذلك
روي عن اهل مكة اني اخاف شقاقي ان بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وصلواتك كما مر في سورة التوبة في قوله ان صلواتك سكن تؤمر فيقى
بالفتح ابو عمرو وابن عامر وابو جعفر ونافع ارهطي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر وابو عمرو وبعدت ثمود بالاظهار ابن كثير وابو جعفر ونافع وخلف و
يعقوب وعاصم غير الاعشى الوقوف شعيبا ط غيره ط محيط ط مفسدين ج مؤمنين ج للابتداء بالنفي مع الواو وبحفيظ ط ما نشاء ط الرشيد ط حسنا ط عنه ط ما استطعت ط
الا بالله ط انيب ط نصف الجزء صالح ط ببعيد ط اليه ط ودود ط ضعيفا ج لان لوطا للابتداء مع الواو لرجمناك ز لحق النفي وكون الواو للحال اوجه بعزيز ط من الله ط للفصل
بين الاستخبار والاخبار واتحاد المقصود وجه للوصل ظهريا ط محيط ط عامل ط تعلمون لا كاذب ط للفصل بين الخبر والطلب رقيب ج جاثمين لا مدين ط ثمود ط مبين لا للتعلق
الجار فرعون ج للنفي مع الواو للعطف او الحال برشيد ط النار ط المورود ط القيامة ط المرفود ط وحصيد ط امر ربك ط تتبيب ط الظالمة شديد ط التفسير نقص المكيال يشمل معنيين
بان ينقص الايفاء من القدر الواجب ويزيد في الاستيفاء على القدر الواجب فيلزم في كلا الحالين نقصان حق الغير ثم علل النهي بقوله اني اريكم بخير اي بثروة وسعة
تغنيكم عن التطفيف او بنعمة من الله حقها ان تشكر لتزداد لا ان تكفر فتزال واني اخاف عليكم عن ابن عباس انه فسر الخوف بالعلم وقال الآخرون انه الظن الغالب لانه
كان يجوز ان يرجعوا وانتهائهم والعذاب المحيط المهلك المستأصل كانه احاط بهم بحيث لا يفلت منهم احد وزيادة اليوم لاجل المبالغة والاسناد مجازي
باعتبار ما هو واقع فيه واشتمل عليه ذلك اليوم قيل هو عذاب الاستئصال في الدنيا وقيل عذاب الآخرة والاظهر العموم قوله اوفوا المكيال الى قوله اشياءهم قد
مر تفسير مثله في الاعراف وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين مضى تفسيره في اوائل البقرة بقي في الآية سؤال وهو انه سبحانه نهى اولا عن النقص ثم
امر بالايفاء فهل فيه فائدة سوى التاكيد والتقرير والجواب بعد تسليم ان النهي عن الشيء امر بضده هو ان النهي عن النقص في المبايعة وان كان يفيد تصريحه
تعييرا وتوبيخا لكنه يوهم النهي عن اصل المبايعة فلدفع هذا الخيال امر بايفاء الكيل فقيل بل احل اصل المبايعة مع التصريح بالنعت المستحسن في العقول لزيادة
الترغيب فيه اتم فائدة اخرى من قبل تقييد الايفاء بالقسط ليعلم ان ما جاوز العدل ليس بواجب بل هو فضل ومروءة لا تقف عند حد وانما الواجب
شيء من الايفاء بقدر ما يخرج عن العهدة بيقين كما ان غسل الوجه لا يحصل باليقين الا عند غسل شيء من الراس بقية الله قيل ثواب الله وقيل طاعته
ورضاه كقوله والباقيات الصالحات خير وقيل اي ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم بشرط ان تؤمنوا لان شيئا من الاعمال
لا ينفع مع الكفر وان كنتم مصدقين لي فيما انصح لكم ولا ريب ان الامانة تجر الرزق لاعتماد الناس واقبالهم عليه فينفتح له ابواب المكاسب والخيانة تجر
الفقر لتنفر الناس عنه وعن معاملته وصحبته قالت المعتزلة في اضافة البقية الى الله دليل على ان الحرام لا يسمى رزق الله وقرئ تقية الله بالتاء الفوقانية
اي تقواه الصارفة عن المعاصي والقبائح وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم لاجازيكم انما انا مبلغ ناصح وقد اعذر قوله اصلوتك قيل اي دينك
وايمانك لان الصلوة عماد الدين فعبر عن الشيء باسم معظم اركانه وقيل المراد الاتباع لانه اصل الصلوة ومنه المصلي للذي يتلو السابق والمعنى تامرك
اي اتباعك بامر ربك بذلك والاظهر ان المراد به الاعمال المخصوصة روي ان شعيبا عليه السلام كان كثير الصلوة فكان قومه اذا راوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا
بقولهم اصلوتك تامرك السخرية والهزء فكان الصلوة التي يداوم عليها ليلا ونهارا هي من باب الجنون والوساوس ومعنى تامرك بتكليف ان نترك على حذف
المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره وقوله او ان نفعل معطوف على ما في ما يعبد اي تامرك بترك ما يعبد آباؤنا وبترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء
روي انه كان ينهاهم عن قطع اطراف الدراهم كما كان يامرهم بترك التطفيف والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير انك لانت الحليم الرشيد قيل
انه مجاز والمراد نسبته الى غاية السفاهة والغواية فعكسوا تهكما به وقيل حقيقة وانه كان معروفا فيما بينهم بالحلم والرشد فكانهم قالوا له انك المعروف بهذه
السيرة فكيف تنهانا عن دين الفناء وسيرة تعودناها ثم اشار عليه السلام الى ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والكرامة والرزق الحلال الحاصل من غير بخس ولا تطفيف
وجواب الشرط محذوف اكتفي عنه بما ذكر في قصتي نوح وصالح والمعنى ارأيتم ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وقد اتاني بعد هذه السعادات الروحانية
السعادات الدنيوية من الخيرات والمنافع الجليلة هل يسعني مع هذه الاكرامات ان اخون في وحيه ولا آمركم بترك الشرك وبفعل الطاعة والانبياء لا يبعثون
الا لذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه فالمعنى لا اجعل فعلي مخالفا لقولي فلا اسبقكم
الى شهواتكم التي نهيتكم عنها ان اريد الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالموعظة والنصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطعت ما للمدة ظرفا للاصلاح

ع

ن نترك ما ترك



اي مدة استطاعتي للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه او المضاف محذوف اي الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا للاصلاح فقد يعمل المصدر المعرف كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم ثم بين ان كل ما ياتي ويذر فوقوعه بتسهيل الله وتاييده فقال وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ والتوفيق ان يوافق ارادة العبد ارادة الله تعالى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ اخصه بتفويض الامور اليه لا اتوكل الا عليه وَإِلَيْهِ أُنِيبُ لانه المعاد الحقيقي وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم منه ثم اوعدهم بقوله لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي لا يكسبنكم خلافي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ من الغرق أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ من الصيحة وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ لم يقل ببعيدة حملا على لفظ القوم لانه مؤنث ولا ببعيدين حملا على معناه ولكنه على تقدير مضاف اي وما اهلاكهم ببعيد لانهم اهلكوا في عهد قريب من عهدهم او المراد وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد وجوزوا ان يستوي في بعيد وقريب قليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التي هي الصهيل والنهيق ونحوهما إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ يجوز ان يكون بمعنى فاعل او مفعول كقوله يحبهم ويحبونه وهذا حث لهم على الاستغفار والتوبة وتنبيه على ان سبق الكفر والمعصية لا ينبغي ان يمنعهم عن الايمان والطاعة ولما بالغ خطيب الانبياء في التقرير والبيان قالوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ اما للغفلة او عناد وقالوا تهكما واستهانة كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادري ما تقول كانهم جعلوا كلامه تخليطا وهذيانا لا ينفعهم كثير منه وقيل لانه كان الثغ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا عن الحسن مهينا اي لا عز لك فيما بيننا ولا قوة فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وفسر بعضهم الضعيف بالاعمى لان العمى سبب الضعف ولانه لغة حمير وزيف هذا القول اما عند من جوز العمى على الانبياء فلان لفظ فينا يأباه لان الاعمى فيهم وفي غيرهم واما عند من لا يجوزه كبعض المعتزلة فلان الاعمى لا يمكنه الاحتراز من النجاسات ولانه يخل بجواز كونه حاكما او شاهدا فلان يمنع من النبوة كان اولى ثم ذكروا انهم انما لم يوقعوا به المكروه ولم يوقعوا به الشر لاجل رهطه والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة والرجم شر القتل وهو الرمي بالحجارة او المراد الطرد والابعاد ومنه الشيطان الرجيم ثم اكدوا المذكور بقولهم وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ وانما العزيز علينا رهطك لا خوفا من شوكتهم ولكن لانهم من اهل ديننا وفي الكلام واقع في فاعل العز لا في الفعل وهو العز ولذلك قال في جوابهم أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب انما لم يقل اعز عليكم مني ايذانا بان التهاون بنبي الله تهاون بالله كقوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وَاتَّخَذْتُمُوهُ اي امر الله او ما جئت به وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب اي جعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر غير ملتفت اليه ثم وصف الله تعالى بما يتضمن الوعيد في حقهم فقال إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ثم زاد في الوعيد والتهديد بقوله اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ وقد مر تفسير مثله في الانعام قال في الكشاف الاستيناف بغير الفاء في سَوْفَ تَعْلَمُونَ وصل خفي تقديري وانه افخم من الوصل بالفاء وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه ثم بالغ في التهديد بقوله وَارْتَقِبُوا انتظروا عاقبة الشقاق إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ راقب كالضريب بمعنى الضارب او مراقب كالعشير والنديم او مرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع وباقي القصة على قياس قصة صالح واخذ الصيحة واخذت الصيحة كلتا العبارتين فصيحة لمكان الفاصل الا انه لما في قصة شعيب مرة الرجفة ومرة الظلة ومرة الصيحة ازداد التانيث حسنا بخلاف قصة صالح وانما دعا عليهم بقوله كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ لما روى الكلبي عن ابن عباس قال لم يعذب الله امتين بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاما قوم صالح فاخذتهم الصيحة من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم من فوقهم قوله سبحانه بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ قال في التفسير الكبير الآيات اسم للقدر المشترك بين العلامات المفيدة للظن وبين الدلائل التي تفيد اليقين والسلطان اسم لما يفيد القطع وان لم يتاكد بالحس والسلطان المبين مخصوص بالدليل القاطع الذي يعضده الحس وقال في الكشاف يجوز ان يراد ان الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها وقوله الى فرعون متعلق بارسلنا فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ اي شانه وطريقه او امره اياهم بالكفر والجحود وتكذيب موسى وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ اي ليس في امره رشد انما هو غي وضلال وفيه تعريض بان الرشد والحق في امر موسى ثم ان قومه عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في امره رشد قط فلا جرم كما كان فرعون قدوة لهم في الضلال فكذلك يقدمهم اي يتقدمهم يوم القيمة الى النار وهم على اثره ويجوز ان يراد بالرشد الاحماد وحسن العاقبة فيكون المعنى وما امر فرعون بحميد العاقبة ثم فسره بانه يقدم قومه اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته ويقال قدمه وقدمه بالتخفيف والتشديد بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش ومثله اقدم ومنه مقدم العين وانما قال فاوردهم بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع والورد المورود الذي وردوه شبه فرعون بمن يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم نعى عليهم بقوله وبئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده وتذكير بئس لتذكير الورد وان كان هو عبارة عن النار كقولك نعم المنزل دارك ولو قلت نعمت جاز نظرا الى الداره وفي تشبيه النار بالماء نوع تهكم بهم وابتعوا في هذه حذف صفته في هذه الآية اكتفاء بما مر في قصة عاد بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ اي بئس العطاء المعطى ذلك وقيل الرفد العون والمرفود المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفدت اي عضدت وامدت باللعنة في الآخرة قال قتادة ترادفت عليهم لعنتان لعنة من الله والملائكة والانبياء في الدنيا ولعنة في الآخرة ذَلِكَ الذي ذكرنا او ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة نَقُصُّهُ عَلَيْكَ خبر بعد خبر ثم استأنف فقال مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ اي ومنها حصيد والمراد بعضها باق كالزرع القائم على ساقه وبعضها عافي الاثر كالزرع المحصود وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ باهلاكنا اياهم وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بارتكاب ما به اهلكوا عن ابن عباس وما نقصناهم في الدنيا من النعيم والرزق ولكن نقصوا حظ انفسهم حيث استخفوا بحقوق الله فَمَا أَغْنَتْ فما قدرت ان ترد عنهم آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ يعبدون وهي حكاية حال ماضية بأس الله حين جاء وما زادوهم يعني الاصنام غير تتبيب تخسير



هود

خسر و تتبیب غیر او قصر فی الخسران کانوا یعتقدون فی الاصنام انها معین فی الدنیا علی تحصیل المنافع ودفع المضار وتشفع لهم عند الله فی الآخرة فلم ینفعهم فی الدنیا حین جاءهم عذاب الله سهو و ثبورهم تلک الاعتقاد عذاب النار فی الآخرة فهم فی خسران الدارین ثم بین ان عذابه غیر مقصور علی اولئک الاقوام ولکنه یعم کل ظالم سیوجد فقال وکذلک ای مثل ذلک الاخذ اخذ ربک فالاخذ مبتدأ وکذلک خبره وقوله وهی ظالمة حال من القری باعتبار اهلها ان اخذه الیم شدید وجیع صعب علی الماخوذ وهو تحذیر من وخامة عاقبة کل ظلم علی الغیر او علی النفس فعلی العاقل ان یبادر الی التوبة ولا یغتر بالامهال

التأویل ولا تنقصوا المکیال مکیال المحبة ومیزان الطلب فمکیال المحبة عداوة ما سوی الله ومیزان الطلب السیر علی قدمی الشریعة والطریقة انی اریکم بخیر هو حسن الاستعداد الفطری ولکن اخاف عذاب فساد الاستعداد فی طلب غیر الحق بالقسط فی تعظیم امر الله والشفقة علی خلق الله ولا تبخسوا الناس اشیاءهم حقوق النصیحة وحسن العشرة فی الله ولله ولا تعثوا فی الارض وجودکم مفسدین بقیت الله بقاؤکم بقیاته خیر لکم مما فاتکم بابقاء المکیال والمیزان رزقا حسنا نورا تاما طی به اصلاح الامور والاستعداد ان ساعد التوفیق وما معاملة قوم لوط من معاملتکم ببعید لان الکفر کله ملة واحدة وما امر فرعون برشید لان فرعون النفس امارة بالسوء اذا اخذ القری قری الاجسام منها قائم قابل لتدارک ما فات ومنها ما هو حصید بفوات الاستعداد والله تعالی اعلم بالصواب

اِنَّ فِیْ ذٰلِكَ لَاٰیَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْاٰخِرَةِ ذٰلِكَ یَوْمٌ مَّجْمُوْعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذٰلِكَ یَوْمٌ مَّشْهُوْدٌ وَمَا نُؤَخِّرُهٗ اِلَّا لِاَجَلٍ مَّعْدُوْدٍ یَوْمَ یَاْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ اِلَّا بِاِذْنِهٖ فَمِنْهُمْ شَقِیٌّ وَّسَعِیْدٌ فَاَمَّا الَّذِیْنَ شَقُوْا فَفِی النَّارِ لَهُمْ فِیْهَا زَفِیْرٌ وَّشَهِیْقٌ خٰلِدِیْنَ فِیْهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ اِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ اِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا یُرِیْدُ وَاَمَّا الَّذِیْنَ سُعِدُوْا فَفِی الْجَنَّةِ خٰلِدِیْنَ فِیْهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ اِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَیْرَ مَجْذُوْذٍ فَلَا تَكُ فِیْ مِرْیَةٍ مِّمَّا یَعْبُدُ هٰۤؤُلَآءِ مَا یَعْبُدُوْنَ اِلَّا كَمَا یَعْبُدُ اٰبَآؤُهُمْ مِّنْ قَبْلُ وَاِنَّا لَمُوَفُّوْهُمْ نَصِیْبَهُمْ غَیْرَ مَنْقُوْصٍ وَلَقَدْ اٰتَیْنَا مُوْسَی الْكِتٰبَ فَاخْتُلِفَ فِیْهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَّبِّكَ لَقُضِیَ بَیْنَهُمْ وَاِنَّهُمْ لَفِیْ شَكٍّ مِّنْهُ مُرِیْبٍ وَاِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَیُوَفِّیَنَّهُمْ رَبُّكَ اَعْمَالَهُمْ اِنَّهٗ بِمَا یَعْمَلُوْنَ خَبِیْرٌ فَاسْتَقِمْ كَمَاۤ اُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا اِنَّهٗ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِیْرٌ وَلَا تَرْكَنُوْۤا اِلَی الَّذِیْنَ ظَلَمُوْا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُوْنِ اللّٰهِ مِنْ اَوْلِیَآءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُوْنَ وَاَقِمِ الصَّلٰوةَ طَرَفَیِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ الَّیْلِ اِنَّ الْحَسَنٰتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّاٰتِ ذٰلِكَ ذِكْرٰی لِلذّٰكِرِیْنَ وَاصْبِرْ فَاِنَّ اللّٰهَ لَا یُضِیْعُ اَجْرَ الْمُحْسِنِیْنَ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ اُولُوْا بَقِیَّةٍ یَّنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِی الْاَرْضِ اِلَّا قَلِیْلًا مِّمَّنْ اَنْجَیْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِیْنَ ظَلَمُوْا مَاۤ اُتْرِفُوْا فِیْهِ وَكَانُوْا مُجْرِمِیْنَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِیُهْلِكَ الْقُرٰی بِظُلْمٍ وَّاَهْلُهَا مُصْلِحُوْنَ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ اُمَّةً وَّاحِدَةً وَّلَا یَزَالُوْنَ مُخْتَلِفِیْنَ اِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَاَمْلَئَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ اَجْمَعِیْنَ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَیْكَ مِنْ اَنْۢبَآءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهٖ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِیْ هٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَّذِكْرٰی لِلْمُؤْمِنِیْنَ وَقُلْ لِّلَّذِیْنَ لَا یُؤْمِنُوْنَ اعْمَلُوْا عَلٰی مَكَانَتِكُمْ اِنَّا عٰمِلُوْنَ وَانْتَظِرُوْا اِنَّا مُنْتَظِرُوْنَ وَلِلّٰهِ غَیْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَاِلَیْهِ یُرْجَعُ الْاَمْرُ كُلُّهٗ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَیْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُوْنَ

القراءات وما یؤخره بالیاء یعقوب والمفضل الباقون بالنون یوم یأتی باثبات الیاء فی الحالین ابن کثیر وسهل ویعقوب وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلی فی الوصل الآخرون بحذف الیاء لا تکلم بتشدید التاء البزی وابن فلیح سعدوا بضم السین حمزة وعلی وخلف وحفص قیل انه علی حذف الهمزة من اسعده لان سعد لازم ولکنه قد جاء المسعود الآخرون بفتحها وان کلا بالتخفیف ابن کثیر ونافع وابو بکر وحماد والباقون بالتشدید لما مشددة ابن عامر وعاصم ویزید وحمزة وکذلک فی الطارق الباقون بالتخفیف زلفا بضمتین یزید الآخرون بفتح اللام فؤادک وبابه بغیر همز الاصبهانی عن ورش وحمزة فی الوقف یرجع مجهولا نافع وحفص والمفضل تعملون خطابا وکذلک فی آخر النمل ابو جعفر ونافع وابن عامر ویعقوب وحفص الباقون علی الغیبة

الوقوف الآخرة ط مشهود ط معدود ط باذنه ج شاء ربک ط لان التقدیر یعطون عطاء مجذوذ ط هؤلاء ط من قبل ط منقوص ط فاختلف فیه ط بینهم ط مریب ط اعمالهم ط خبیر ط ولا تطغوا ط النار لا لان ما بعده من تمام جزاء ولا ترکنوا تنصرون ط من اللیل ط السیئات ط للذاکرین ج المحسنین ه منهم ج لان التقدیر وقد اتبع مجرمین ه مصلحون ه مختلفین لا رحم ربک ط خلقهم ط اجمعین ه فؤادک ج اذ التقدیر وقد جاءک للمؤمنین ه مکانتکم ط عاملون لا للعطف انتظروا ج ای فانا منتظرون ه وتوکل علیه ط تعملون ه

التفسیر ان فی ذلک الذی قصصنا علیک من احوال الامم لآیة لعبرة لمن خاف ای لمن هو اهل لان یخاف عذاب الآخرة کقوله هدی للمتقین لان انتفاعه یعود الیهم قال القفال فی تقریر هذا الاعتبار انه اذا علم ان هؤلاء عذبوا علی ذنوبهم فی الدنیا وهی دار العمل فلان یعذبوا علیها فی الآخرة التی هی دار الجزاء اولی واعترض علیه فی التفسیر الکبیر بان ظاهر الآیة یقتضی ان العلم بان القیامة حق کالشرط فی حصول الاعتبار بظهور عذاب الاستئصال فی الدنیا والقفال جعل الامر علی العکس قال والاصوب عندی ان هذا تعریض لمن زعم ان اله العالم موجب بالذات لا فاعل مختار وان هذه الاحوال التی ظهرت فی ایام الانبیاء مثل الغرق والخسف والصیحة انما حدثت بسبب قرانات الکواکب واذا کان کذلک فلا یکون حصول الحادثة دلیلا علی صدق الانبیاء اما الذی یؤمن بالقیامة ویخاف عذابها فیقطع بان هذه الوقایع لیست بسبب الکواکب واتصالاتها فیستفید منها الخشیة والاعتبار اقول وهذا نظر عمیق والاظهر ما ذکرت اولا ومثله فی القرآن کثیر ان فی ذلک لعبرة لمن یخشی ان فی ذلک لقوم یذکرون ثم لما کان لعذاب الآخرة دلالة علی یوم القیامة اشار الیه بقوله ذلک یوم مجموع ای یجمع لما فیه من الحساب والثواب والعقاب الناس واوثر اسم المفعول علی فعله لاجل افادة الثبات وان حشر الاولین والآخرین فیه لا محالة منتظر قول المتهدد انک لمنهوب مالک محروب قومک فیه من تمکن الوصف وثباته ما لیس فی الفعل وذلک یوم مشهود ای مشهود فیه الخلائق فاتسع فی الظرف باجرائه مجری المفعول به والفرق بین هذا الوصف والاول ان هذا یدل علی حضور الناس فیه مع اطلاع البعض منهم علی احوال الباقین من المحاسبة والمسائلة لیس بحیث لا یعرف کل واحد الا واقعة نفسه والجمع المطلق لا یفید هذا المعنی فتنا

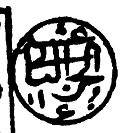
التأویل

من وقف الغفران

ع

التفسیر

والوصف به



فسرنا اليوم بانه مشهود فيه لا انه مشهود في نفسه لان سائر الايام يشركه في كونها مشهودا فيها دون غيره كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها وما نؤخره الا لاجل معدود اي لانتهاء اجل معدود اي لتقضي مدة معلومة تعين الله وقوع الجزاء بعدها وفيه فائدتان احدهما ان وقت القيامة متعين لا يتقدم ولا يتأخر والثانية ان ذلك الاجل متناه وكل متناه فانه يفنى لا محالة وكل آت قريب ثم ذكر بعض اهوال ذلك اليوم فقال يوم يأت بحذف الياء والاكتفاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل وفاعل يأتي قيل الله كقوله او يأتي ربك اي امره وحكمه بدليل قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه وقيل المراد الشيء المهيب الهائل المستعظم فحذف ذكره بتعيينه ليكون اقوى في التخويف وقيل فاعله ضمير اليوم والمراد اتيان هوله وشدائده كيلا يصير اليوم ظرفا لاتيان اليوم وانتصاب يوم بلا تكلم او باذكر مضمرا او بالانتهاء المقدر اي ينتهي الاجل يوم يأتي وتاء التانيث محذوفة من لا تكلم والآيات الدالة على التكلم في ذلك اليوم مع الآيات الدالة على نفي التكلم كقوله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وكقوله هذا يوم لا ينطقون محمولة على اختلاف المواطن والازمنة او نفي العذر الصحيح المقبول واثبات العذر الباطل الكاذب ثم قسم اهل الموقف المجموعين للحساب او الافراد العامة التي دلت عليها نفس فقال فمنهم شقي وسعيد اي ومنهم سعيد ولا خلاف في ان الشقاء والسعادة مقترنان بالعمل الفاسد والعمل الصالح ويترتب عليهما الجنة والنار في الآخرة وانما النزاع في ان العمل سبب للشقاء مثلا كما هو مذهب المعتزلة او الشقاء سبب العمل كما هو مذهب اهل السنة فيختلف تفسير الشقاء بحسب المذهبين فهو عند المعتزلة الحكم بوجوب النار لاساءته وعند السني جريان القلم عليه في الازل بانه من اهل النار وانه يعمل عمل اهل النار والتحقيق في المسألة قد مر مرارا قيل قد بقي ههنا قسم آخر ليسوا من اهل النار ولا من اهل الجنة كالمجانين والاطفال فهم اصحاب الاعراف وتخصيص القسمين بالذكر لا يدل على نفي الثالث اما قوله في صفة اهل النار لهم فيها زفير وشهيق ففيه وجوه قال الليث وكثير من الادباء الزفير استدخال الهواء الكثير لترويح الحرارة الحاصلة في القلب بسبب انحصار الروح فيه وحينئذ ترتفع صدره وينتفخ جنباه والشهيق اخراج ذلك الهواء بجهد شديد من الطبيعة وكلتا الحالتين يدل على كرب شديد وغم عظيم والحاصل انهم جعلوا الزفير بمنزلة ابتداء نهيق الحمار والشهيق بمنزلة آخره وقال الحسن ان لهب جهنم يرفعهم بقوته حتى اذا وصلوا الى اعلى دركات جهنم وطمعوا في ان يخرجوا منها ضربتهم الملائكة بمقامع من حديد وردتهم الى الدرك الاسفل من النار فارتفاعهم في النار هو الزفير وانحطاطهم مرة اخرى هو الشهيق وقال ابو مسلم الزفير ما يجتمع في الصدر من النفس عند البكاء الشديد فينقطع النفس والشهيق هو الصوت الذي يظهر عند اشتداد الكربة والحزن وربما يتبعهما الغشية وربما يحصل عقيبه الموت وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقيل الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف وعن ابن عباس طمع فيها بكاء لا ينقطع وحزن لا يندفع وقال اهل التحقيق قوة ميلهم الى الدنيا ولذاتها زفير وضعفهم عن الاستسعاد بالكمالات الروحانيات شهيق ثم ان قوما ذهبوا الى ان عذاب الكفار منقطع وله نهاية واستدلوا على ذلك بالقرآن والحديث والمعقول اما القرآن فقوله سبحانه خالدين فيها ما دامت السموات والارض اي مدة بقائهما الا ما شاء ربك وفيه استدلالان الاول ان مدة عقابهم مساوية لمدة بقاء السموات والارض المتناهية بالاتفاق الثاني استثناء المشية ويؤكد هذا النص قوله لابثين فيها احقابا واما الحديث فما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا واما المعقول فهو ان العقاب ضرر خال عن النفع لا في حق الله تعالى ولا في حق المكلف فيكون قبيحا وايضا الكفر جرم متناه ومقابلة الجرم المتناهي بعقاب لا نهاية له ظلم والجمهور من الامة على ان عذاب الكافر دائم واجابوا عن الآية بان المراد سموات الآخرة وارضها المشار اليهما بقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات ولا بد لاهل الآخرة مما يظلهم ويقلهم فهما السماء والارض واذا علق حصول العذاب للكافر بوجودهما لزم الدوام وايضا القرآن نزل على استعمالات العرب وانهم يعبرون عن الدوام والتأبيد بقولهم ما دامت السموات والارض ونظيره قولهم ما اختلف الليل والنهار وما اقام ثبير وما لاح كوكب يمكن ايضا ان يقال حاصل الآية يرجع الى شرطية هي قولنا ان دامت السموات والارض دام عقابهم فاذا قلنا لكن السموات والارض دائمة لزم دوام عقابهم وهو المطلوب وان قلنا لكنهما لم تدوما فانه لا ينتج مطلوب الخصم لان استثناء نقيض المقدم لا ينتج شيئا وبعبارة اخرى دلت الآية على انه كلما وجدت السموات والارض وجد عقابهم فلو قلنا لكنهما لم توجدا لم يلزم منه ان لا يوجد عقابهم لان الآية لا تدل الا على حصول العقاب في دهر طويل او مدة مديدة واما انه هل يكون له آخر ام لا فذلك مما يستفاد من دليل آخر كقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء واما الاستدلال بالاستثناء فقد ذكر ابن قتيبة وابن الانباري والفراء ان هذا الاستثناء لا ينافي عدم المشية كقولك والله لاضربنك الا ان ارى غير ذلك وقد يكون عزيمتك على ضربه البتة وتعلم انك لا ترى غير ذلك ورد بالفرق فان معنى الآية الحكم بخلودهم فيها الا المدة التي شاء الله فالمشية قد حصلت جزما ولقائل ان يقول الماضي ههنا في معنى الاستقبال مثل ونادى اصحاب الاعراف وسيق الذين اتقوا فلم يبق فرق وقيل الا ههنا بمعنى سوى اي سوى ما يتجاوز ذلك من الخلود الدائم كانه ذكر في خلودهم ما ليس عند العرب اطول منه ثم زاد عليه الدوام الذي لا آخر له وقال الاصم وغيره المراد ان مكثهم في الدنيا او في البرزخ او في الموقف وقيل الاستثناء يرجع الى قوله لهم فيها زفير وشهيق كانهم يصيرون آخر الامر الى الهمود والخمود وقيل فائدة الاستثناء ان يعلم اخراج اهل التوحيد من النار والمراد الا من شاء ربك هذا التأويل مما يليق بقاعدة الاشاعرة واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد فكانه تعالى يقول اظهرت القهر والقدرة والرحمة لاني فعال لما اريد وليس لاحد علي حكم البتة واما المعتزلة فكانهم لا يرضون بهذا ويقولون ان الاستثناء الثاني لا يساعد لحصول الاجماع على ان احدا من اهل الجنة لا يدخل النار فالصواب ان يقال انه استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة فان اهل النار ينقلون الى الزمهرير والى غير ذلك مما لا يعلمه الا الله واهل الجنة ينقلون الى العرش والى ما هو اعلى حالا من الجنة كقوله ورضوان من الله اكبر ثم قالوا انه ختم آية الوعيد

بقوله ان ربك فعال لما يريد ثم ختم الوعد بقوله عطاء غير مجذوذ دفعا لتوهم الانقطاع كانه قال ان شر يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل
الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فليتأمل واما الجواب عن الحديث فقد قال في الكشاف ان صح فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير
فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول يحتمل ان يكون لا لفقد سبب علم الاحساس بالعذاب يكون سبب الالتذاذ بالمألوف فيكون خلوها اشارة الى
هذا المعنى واما الجواب عن المعقول فهو ان الشر في قضاء الله وقدره من عالم التكليف لما كان غير متناه فعذاب البعد عنه انهم يجب ان يكون غير متناه ونقول
لا نهاية لنوره فلا غاية لظلمة الغافل عنه والمنكر له او نقول اوضح الاشياء الوجود الواجب فاذا كان الشخص جاهلا به كان مسلوب الاستعداد بالكلية فلا
يكون انسانا في الحقيقة فلا يتصور له عروج من عالم الطبيعة والعبارات في هذا المقام كثيرة والمعنى واحد يذكره من وفق له دخلوا الجنة ونسأل الله من
اقاصيص عبدة الاصنام وبين احوال الاشقياء والسعداء سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرح احوال الكفرة من قومه في ضمن نهي له عن الامتراء في سوء مغبتهم فقال فلا
تك حذف النون لكثرة الاستعمال في مرية في شك مما يعبد ما مصدرية او موصولة اي من عبادة هؤلاء او من الذي يعبده هؤلاء المشركون والمراد النهي عن
الشك في سوء عاقبة عبادتهم ثم علل النهي مستأنفا فقال ما يعبدون الا كما يعبد كالذي يعبده آباؤهم او كعبادة آبائهم والحاصل انهم شبهوا بآبائهم في
لزوم الجهل والتقليد وانا لموفوهم نصيبهم من الرزق والخيرات الدنيوية او من ازالة العذر واحراز العلم بارسال الرسول وانزال الكتاب او نصيبهم
من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم وفي الكشاف انه غير منقوص حال من النصيب ليعلم انه تام كامل ولا يجوز ان يوفى بعض الشيء كقولك وفيته شطر حقه
قلت هو معنى الطرلان قول القائل وفيته شطر حقه التوفية يعود الى الشطر فلو قيل غير منقوص كان كالمكرر وعاد السؤال فالصواب ان يقال انه حال مؤكدة
او صفة تقوم مقام المصدر اي توفية غير ولا تعثوا في الارض مفسدين ثم اورد تقرير الانكار هم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه
آمن به قوم وكفر به قوم آخرون كما اختلف في القرآن والغرض ان انكار الحق عادة قديمة للخلق ولولا كلمة سبقت من ربك هي ان رحمتي سبقت غضبي وهي
ان دار الجزاء الآخرة لا الدنيا او هي ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال لقضي بينهم بين قوم موسى او بين قومك بتمييز المحق من المبطل بسبب
الانجاء والاهلاك وهذا من جملة التسلية ايضا وانهم يعني قوم موسى او قومك لفي شك منه من كتابهم او من القرآن او من امر المعاد والقضاء والجزاء ثم جمع الاولين والآخرين
في حكم توفية الجزاء ثوابا او عقابا فقال وان كلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه اي وان كلهم يعني ان جميع المختلفين فيه ومن قرأ بالتخفيف فعلى اعمال
المخففة اذ لا يلزم من التخفيف ابطال العمل كما في لم يكن ولم يك ومن قرأ لما مخففا فاللام هي الداخلة في خبر ان وما مزيدة للفصل بين لام ان وبين لام جواب
القسم لئلا يتوالى كما فصلوا بالالف بين النونات في قولهم اضربنان ويمكن ان يكون ما نكرة اي لخلق او جمع والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبح
وايمان وجحود ومن قرأ لما مشددا فاصله لمن ما فقلبت النون ميما فاجتمع ثلاث ميمات فحذفت الاولى وابقاء الساكنة لاتصال اللام ويجوز ان يكون
اصله لما بالتنوين كما في قراءة الزهري وسليمان بن ارقم فحذف فبقي لما معناه ملمومين اي مجموعين وفي قراءة ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما
بمعنى الا كما في الطارق وليس يخفى ما في الاية من مؤكدات توفية الجزاء وان شيئا من الحقوق لا يضيع عنده منها لفظة ان ومنها لام خبر ان ومنها كل ومنها ما المزيدة ومنها القسم
ومنها لام القسم ومنها نون التأكيد ومنها لفظ التوفية ومنها ربك فان من يربيك يقدر على توفية حقك ومنها الجمع المضاف ومنها ختم الاية بقوله انه بما يعملون
خبير فانه اذا كان عالما بكل المعلومات قادرا على كل المقدورات كان عالما بعمل كل احد وبقدر جزائه وقادرا على ايصال ذلك اليه ثم انه لما قرر الوعد والوعيد
وقد اكد التوفية مع المؤكدات المذكورة فيتضمن وعدا ووعيدا لا محالة ثم امر نبيه بالتمسك بالاستقامة بكلمة جامعة للعقائد والاعمال فقال فاستقم كما امرت
عن جعفر الصادق عليه السلام معناه افتقر الى الله بصحة العزم يعني الوثوق به والتوكل عليه ومن تاب معك عطف على الضمير في فاستقم ووقع للفصل او هو ابتداء
اي ومن تاب معك فليستقم او مفعول معه ثم كما امر بالاستقامة على جادة الحق نهى عن الانحراف عنها فقال ولا تطغوا والطغيان مجاوزة الحد وقال ابن عباس
يريد تواضعوا للحق ولا تتكبروا على الخلق وخصص بعضهم الطغيان بالتجاوز عن حدود القرآن بتحليل حرامه وتحريم حلاله وهذه الاية اصل عظيم في الشريعة
فيكون النية في الوضوء واجبا كما ورد في القرآن وكذا القول في الحدود والكفارات ونصاب الزكوة واعداد الركعات وغيرها من جميع الامور المقدرات
ويجب الاحتياط في المسائل الاجتهادية في القياسات وكذا في الاخلاق والملكات فان لكل منها طرفا افراط وتفريط فهما مذمومان والمحمود هو الوسط
وهو الصراط المستقيم المأمور بالاستقامة والثبات عليه ولا ريب ان معرفته صعبة وتحقيقه ومعرفة العمل به والبقاء عليه اصعب ولهذا قال ابن عباس ما نزلت
على رسول الله آية في القرآن اشد ولا اشق من هذه حتى ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود واعني هذه الاية منها ثم لما كان الركون
الى الشيء مدخل عظيم في تغيير العقائد وتبديل الاخلاق نهى عن مخالطة من يضع الشيء في غير موضعه فقال ولا تركنوا اي لا تميلوا ادنى المحبة والهوى الى الذين
ظلموا فقال المحققون الركون المنهي عنه هو الرضا بما عليه الظلمة من الظلم وتحسين الطريقة وتزيينها عند غيرهم ومشاركتهم في شيء من تلك الابواب
فاما مداخلتهم لدفع ضرر او اجتلاب منفعة عاجلة فغير داخلة في الركون واقول هذا من طريق المعاش والرخصة ومقتضى التقوى هو الاجتناب عنهم
بالكلية اليس الله بكاف عبده وفي قوله فتمسكم النار اشارة الى ان الظلمة اهل النار يلازمهم في النار او كالنار لانهم كما كانوا في بطونهم الا النار
ومصاحبة النار توجب لا محالة مس النار وقوله وما لكم من دون الله من اولياء من تتمة الجزاء وقال في الكشاف الواو للحال من اولياء من انصار اي يقدر على
منعكم من عذاب الله الا هو ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وفيه ما فيه فانه ثم تبعيد النصر من الظلم قال اهل التحقيق الركون الميل اليسير
وقوله الى الذين ظلموا اي الذين حدث منهم الظلم فلم يقل ولا تميلوا الى الظالمين ليدل على ان قليلا من الميل الى من حدث منه شيء من الظلم

مخففا وتبالحذف الاولى



يوجب هذا العقاب فاذا كان هذا حال من ركن الى من ظلم فكيف يكون حال الظالم في نفسه عن رسول الله صلعم من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة احسن من قاري على باب هؤلاء ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت ثم من انواع الاستقامة اقامة الصلوة تنبيها على شرفها فقال واقم الصلوة قيل تمسك بعض الخوارج بهذه الآية على ان الواجب من الصلوة ليس الا الفجر والعشاء لانهما طرفا النهار وهما الموصوفتان بكونهما زلفا من الليل فان ما لا يكون نهارا يكون ليلا غايته انه الباب لان هذا يقتضي عطف الصفة على الموصوف وهو كثير في كلامهم ولئن سلم وجوب صلوة اخرى الا ان قوله ان الحسنات يذهبن السيئات يشعر بان اقامة الصلوة طرفي النهار كفارة لترك سائر الصلوات وجمهور الامة على بطلان هذا القول واستدلوا بالآية على وجوب الصلوات الخمس لان طرفي النهار منصوب على الظرف لاضافتها الى الوقت فيكتسب المضاف حكم المضاف اليه كقولك اتيته نصف النهار والطرفان هما الغدوة وهي الفجر والعشية وفيها الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وزلفا جمع زلفة كظلم وظلمة اي ساعات من الليل وهي القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وقرئ زلفا بسكون اللام نحو بسرة وبسر و زلف فيمن قرا بضمتين نحو بسر وبسر وقيل زلفا اي قربا فيكون معطوفا على الصلوة اي اقم الصلوة واقم زلفا اي صلوات يتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل وبالجملة فصلوة الزلف المغرب والعشاء وقيل ان طرفي النهار لا يشمل الا الفجر والعصر وبه استدل على مذهب ابي حنيفة ان التنوير بالفجر افضل وتاخير العصر افضل لان الامة اجمعت على ان نفس الطرفين هما وقت الطلوع والغروب لا يصلح لاقامة الصلوة فكل وقت كان اقرب الى الطرفين كان اولى باقامة الصلوة فيه حملا للمجاز على ما هو اقرب الى الحقيقة فهذا امكن هذا ما ذكره فخر الدين الرازي في تفسيره ولقائل ان يقول هذا لا يتمشى في صلوة الفجر لان الطرف الاول للنهار في الشرع هو طلوع الصبح الصادق والتنوير بعد الصلوة منه لا مقرب ولا ادري كيف ذهب عليه هذا المعنى مع افراط عصبيته للشافعي واستدل ايضا لابي حنيفة على مذهبه في وجوب الوتر ان اقل الجمع ثلثة فيجب اقامة الصلوة على النبي في ثلث زلف من الليل اي ثلث ساعات تذهب منها ساعتان للمغرب والعشاء فتعين ان يكون الساعة الثالثة للوتر واذا وجب عليه وجب علينا لقوله فاتبعوه ولمانع ان يمنع ان اقل الجمع ثلثة اشياء ثم ان كل ساعة لاجل صلوة ثم ان كل ما يجب على النبي يجب على الامة لان الاتباع هو الاتيان بمثل فعله اعم من ان يكون على تلك الجهة ام لا ان الحسنات يذهبن السيئات قال المفسرون نزلت في ابن اليسر عمرو بن غزية الانصاري كان يبيع التمر فاشترت امراة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها واصاب منها كل ما يصيب الرجل من زوجته سوى الجماع ثم ندم فاتى رسول الله صلعم فاخبره بما فعل فقال انتظر امر ربي فلما صلى صلوة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت فقيل له هذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي انه صلعم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات قال ابن عباس في الصلوات الخمس كفارات لسائر الذنوب ما لم تكن كبيرة وقيل المراد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن مجاهد الحسنات قول العبد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقد يحتج بالآية على ان المعصية لا تضر مع الايمان الذي هو راس الاعمال الحسنة ذلك المذكور من قوله فاستقم الى ههنا ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ارشاد للمسترشدين ثم امر بالصبر على التكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص على ان الاتيان بها احسان وان جزاءه سيحصل لا محالة فقال واصبر الآية ثم عاد الى احوال الامم الخالية وبين ان السبب في حلول عذاب الاستيصال بهم امران الاول انه ما كان فيهم قوم ينهون عن الفساد وذلك قوله فلولا اي فهلا كان من القرون من قبلكم اولوا بقية ذووا خير ورشد وفضل وذلك ان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصارت البقية مثلا في الجودة يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ومن امثالهم في الزوايا خبايا وجوز في الكشاف ان يكون من البقوى كالتقية من التقوى اي فهلا كان منهم ذووا ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه الا قليلا استثناء متصل لان في تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اناس ناهون الا قليلا ومن في ممن انجينا للبيان اي هم الذين انجيناهم قال في الكشاف لان النجاة انما هي للناهين وحدهم ولقائل ان يقول اذا كان النهي عن المنكر فرض كفاية لم يلزم ان ينحصر النجاة في الناهين فيحتمل ان يكون من للتبعيض ويجوز على ما في الكشاف ان يكون الاستثناء منقطعا معناه ولكن قليلا ممن انجينا من القرون نهوا عن الفساد ولو جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما يقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن اقول لم لا يجوز ان يكون المراد من استثناء الصلحاء منهم انه لا حاجة لهم الى التحضيض كانك قلت احضض قومك على القراءة الا الصلحاء فانهم لا يحتاجون الى ذلك لانهم مواظبون عليها على ان في جعل الاستثناء منقطعا شبهة تناقض لان اول الكلام يدل على انه لم يكن فيهم ناه وآخره يدل على ان القليل منهم قد نهوا فتأمل في هذا المقام فانه من مزلة الاقدام السبب الثاني في نزول العذاب قوله واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه عرفوا من التنعم والترفه من حيث الرياسة والثروة واسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك مما يتعلق بامر الدين فهذه الجملة معطوفة على مدلول الجملة التحضيضية اي ما كان من القرون اناس كذا واتبع الظالمون كذا ويجوز ان يكون في الكلام اضمار والواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم والمترف الذي ابطرته النعمة وصبي مترف منعم البدن وقوله وكانوا مجرمين اما معطوف على اتبع اي وكانوا مجرمين بذلك او على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر ثم بين انه ما ينبغي له سبحانه ان يهلك القرى بظلم قال اهل السنة اي بظلم كائن اي بسبب مجرد الشرك والحال انهم مصلحون في المعاملة والعشرة فيما بينهم و ذلك ان حقوق الله تعالى مبنية على المسامحة بخلاف حقوق العباد وهذا كما قيل الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم ويؤكد هذا التفسير ان هذا الا

وفي الزجاج بقايا



الاستيصال انما نزل بقوم لوط وشعيب كما حكى الله عنهم من ايذاء الناس والافساد في الارض وقالت المعتزلة قوله بظلم حال من الفاعل والمعنى استحال في
الحكمة ان يهلك الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون في العمل تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين ظلم ثم ذكر ان الكل بمشيته وارادته
فقال وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً قصد بهذا المعتزلة يحملون هذه المشية على مشية الالجاء والقسر وقد مر مرارا ولا يزالون مختلفين في الاديان
والاخلاق والافعال فمنهم من انكر العلوم كلها حتى الحسيات والضروريات وهم السوفسطائية ومنهم من سلم استنتاج العلوم كلها والمعارف ولم يثبت
لهذا العالم الجسماني مبدأ اصلا وهم الدهرية ومنهم من اثبت له مبدأ موجبا بالذات وهم الفلاسفة على ما اشتهر منهم ولهذا المقام تحقيق ليس ههنا
موضع بيانه ومنهم من انكر النبوات وهم البراهمة ومنهم من اثبتها وهم المسلمون والمجوس واليهود والنصارى وفي كل واحد من هذه الطوائف اختلافات
لا يكاد يدخل تحت الحصر وانما لم يحمل الاختلاف في الاية على الاختلاف في الالوان والالسنة والارزاق والاعمار بل حملناه على الاختلاف في الاديان
وما يتعلق بها لانه يتنوع على ما قبل الكلام وهو قوله وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وما بعده وهو قوله إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ قالت المعتزلة الا
ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على الدين الحق وقال اهل السنة جميع الالطاف التي فعلها في حق المؤمن فهي مفعولة ايضا في حق الكافر وهذه
الرحمة امر مختص بالمؤمن مرجح لجانب الايمان وصدوره منه فان الايمان بخلق الله وتكوينه وكذا ضده ثم قال وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ فاختلف العقلاء في المشار
اليه بذلك فالمعتزلة قالوا لذلك من التمكين والاختيار الذي كان منه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق لحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل لسوء
اختياره او لما ذكر من الرحمة خلقهم الاشاعرة قالوا ولاجل ما ذكر من الاختلاف خلقهم لما صح في الحديث انه خلق الجنة وخلق لها اهلها وخلق النار وخلق
لها اهلها والدلائل الدالة على ان الكل بايجاده وتخليقه وان خلاف معلومه محال والى هذا اشار بقوله وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ اي علمه وارادته او قوله للملئكة
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ الاية وفي المعتزلة بين معلومه ومراده ثم ذكر طرفا من فوائد القصص المذكورة في السورة فقال وَكُلًّا اي كل نبأ نقص عليك وقوله من انباء
الرسل بيان لكل وَمَا نُثَبِّتُ بدل من كلا او المراد وكل نوع من الاقتصاص على انه مصدر اي على الاساليب المختلفة نقص وما نثبت مفعول ومعنى تثبيت
فؤاده زيادة اليقين والطمانينة لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم او المعنى تثبيت قلبه على اداء الرسالة وتحمل الاذى من قومه اسوة بسائر الانبياء
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الحق وهو البراهين القاطعة الدالة على صحة المبدأ والوسط والمعاد وموعظة وهي الدلائل المقنعة الموقعة
للتصديق بقدر الامكان والاول للخواص انفع والثاني للعوام انجع وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ وهي الارشاد الى الاعمال الصالحة النافعة في الاخرة المحصلة لما
هنالك من السعادة فان حسن هذا الدين معلوم لمن رجع الى نفسه وعمل بمقتضى تذكره وفكره واعلم ان المعارف الالهية لا بد لها من قابل وفاعل
وقابلها القلب لانه ما لم يكن مستعدا لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب قدم ذكر اصلاح القلب وعلاجه وهو تثبيت
الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل بيانه هي قوله فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ مشتملة على الحق والموعظة والذكرى وهذا ترتيب
في غاية الحسن ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات من اهل مكة وغيرهم فقال وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا وقد مر تفسير مثله في هذه
السورة وفي الانعام وَانْتَظِرُوا ما يعدكم الشيطان إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ما وعدنا الرحمن من الغفران والاحسان وعن ابن عباس انتظروا بنا الدوائر فانا منتظرون
بكم الكذاب كما حل بنظرائكم ثم ختم السورة باية مشتملة على جميع المطالب من امر المبدأ والوسط والمعاد وقد سبق تقريره في اخر البقرة في تفسير اٰمن الرسول
فلا حاجة الى الاعادة التأويل ما دامت السموات والارض اي ما دامت سموات الارواح والقلوب ارض النفوس البشرية الا ما شاء ربك من الاشقياء و
ذلك ان اهل الشقاوة ضربان شقي واشقى فالشقي بالمعاصي سعيد بالتوحيد فيخلص من النار والاشقى هو الكافر يبقى فيها خالدا ومن اهل الجنة سعيد
يبقى خالدا فيها واسعد هم الذين يترقون الى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ وهناك مقام الوحدة التي لا انقطاع له كما قال عطاء غير مجذوذ ولموفوهم
نصيبهم الذي قدر لهم في الازل من الشقاء وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ باستكمال الشقاء لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بالهلاك عاجلا لَفِي شَكٍّ مِنْهُ اشارة الى الضلال
وقوله مُرِيبٍ اشارة الى الاضلال وان كلا اي كل واحد من الضال لمن من المضلين فَاسْتَقِمْ امر التكوين ولذلك قال كما امرت اي في الازل وفي قوله
وَمَنْ تَابَ مَعَكَ اشارة الى ان النفوس جبلت على الاعوجاج فيحتاج الى الرجوع من الطريق المنحرف الى الصراط المستقيم الى من اختص بالاستقامة بسبب امر
التكوين كالنبي إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ يعني ان الاعمال الصالحة في الاوقات المعدودة تزيل ظلمات الاوقات المصروفة في قضاء الحوائج النفسانية
الضرورية وذلك ان تعلق الروح النوري العلوي بالجسد الظلماني السفلي موجب لخسران الروح كقوله وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ الا ان يتداركه
انوار العمل الصالح فيرقيه من حضيض البشرية الى ذروة الروحانية بل الى الوحدة الربانية فيندفع عنه ظلمة الجسد السفلي مثاله الحبة في الارض
فانه من خسران الحبة الا ان يتداركها الماء وسائر الاسباب فيربيها الى ان يصير الواحد الحبة الى سبعمائة ضعف ذلك ذكرى اي تذكرة من التدارك عظة
للذاكرين الذين يريدون ان يذكروا الله في جميع الاحوال فانهم اذا حافظوا على هذه الاوقات فكانهم حافظوا على جميعها لان الانسان خلق
ضعيفا ليس يقدر على صرف جميع الاوقات في محض العبودية والعبادة فلولا كان من القرون سؤال التخصيص حقيقة السؤال ايجاب بانه لم يكن كذلك
فاعل مختار فعال لما يريد خلقت خلقا للاقرار وخلقت خلقا للانكار ولا اعتراض لاحد عليك يؤيده قوله وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً
طالبة للحق متوجهة اليه وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ منهم من يطلب الدنيا ومنهم من يطلب العقبى ومنهم من يطلب المولى وهم المشار اليهم بقوله إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ولذلك الطلب
الله خلقهم بحسب الاستعداد لان رحمته سبقت غضبه لكن تروق نور الهداية في تخلية العشرة في الوجود وهو قوله وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ جرى به القلم بالمقدور وما يثبت به



نورك التثبيت والتمكين منه ومفاتيح ابواب اللطف والقهر قل للذين لا يؤمنون لطلب الحق وجدانه اعملوا في طلب المقاصد من باب القهر انا عاملون في طلب الحق من باب لطفه وانتظروا نتائج اعمالكم انا منتظرون ثمرات اعمالنا ولله غيب السموات والارض اسماء اغاب عنكم مما اودع من لطفه في سموات القلوب ومن قهره في ارض النفوس واليه يرجع امر اهل السعادة والشقاوة ومظاهر اللطف والقهر فاعبده ايها الطالب للحق فانك مظهر اللطف وتوكل عليه في الطلب لا على طلبك فانك ان طلبته بك لم تجده وما ربك بغافل في الازل عما تعملون الى الابد والله حسبي

سورة يوسف مكية وقيل فيها من مكية الى المدنية ثلث آيات من اولها وتسعة ومتشابه اربع آياتها مائة احدى عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

ع ١١

الر تلك آيات الكتاب المبين ۝ انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ۝ نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ۝ اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين ۝ قال يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين ۝ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تاويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم ۝

ع ١٢

لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين ۝ اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين ۝ اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ۝ قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابت الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين ۝ قالوا يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ۝ ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون ۝ قال اني ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون ۝ قالوا لئن اكله

نصف

الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون ۝ فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون ۝ وجاؤا اباهم عشاء يبكون ۝ قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ۝ وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون ۝ وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون ۝ وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين ۝

القراءات يا ابت بفتح التاء والوقف بالهاء يزيد وابن عامر وقرا ابن كثير ويعقوب بكسر التاء والوقف بالهاء الباقون بالكسر في الحالين احد عشر بسكون العين يزيد وابن عباس والخزاز لي ساجدين بفتح الياء الاعشى والبرجمي بني بفتح الياء حفص والمفضل الباقون بكسرها رؤياك بالامالة علي غير قتيبة وليث وقرا ابو عمرو بالامالة اللطيفة وقرا يزيد وابو عمرو غير شجاع وورش من طريق الاصبهاني والاعشى وحمزة في الوقف بغير همزة آيات للسائلين على التوحيد ابن كثير الآخرون آيات على الجمع يخل لكم بالادغام شجاع من طريق ابي غالب ابو شعيب غيابات وما بعده على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون غيابة على التوحيد لا تامنا بغير اشمام ضمة النون يزيد والحلواني عن قالون الآخرون بالاشمام الذئب وما بعده بغير همز ابو عمرو غير شجاع واوقية ويزيد والاعشى وورش وخلف وعلي وحمزة في الوقف يرتع ويلعب بالياء فيهما وبالجزم عاصم وحمزة وعلي وخلف بكسر العين في الاول ابو جعفر ونافع بالنون فيهما وبالجزم ابن عامر وابو عمرو وبكسر العين ابن كثير سوى الهاشمي وابي ربيعة عن قنبل فانهما قرءا بالكسر مع الياء بعده نرتع ونلعب بالجزم فيهما مع النون في الاول والياء في الثاني يعقوب غير رويس ليحزنني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرا نافع ليحزنني بضم الياء ايضا ولكن من باب الافعال بل سولت وبابه مدغما حمزة وعلي وهشام يا بشرى بالامالة غير مضافة حمزة وعلي وخلف وحماد والخزاز عن هبيرة يا بشرى بغير امالة ولا اضافة عاصم غير حماد والخزاز الباقون يا بشراي بالاضافة الى ياء المتكلم الوقوف الوقف على المبين كوفي ابصارهم لا يقفون عليها لانهم يجعلون انا جواب معنى القسم في الر القرآن والوصل احسن لان الواو للحال الغافلين ساجدين كيدا ط مبين واسحق ط حكيم للسائلين عصبة ط مبين ج والعربية يوجب الوقف لان قوله اقتلوا ابتداء بامر صالحين فاعلين لناصحون لحافظون غافلون لخاسرون في غيابت الجب ج لاحتمال ان يكون جواب لما محذوفا والواو زائدة واوحينا للاستيناف تقديره فعلوا وامضوا عليه وان يكون الواو مقحمة والجواب اوحينا لا يشعرون يبكون ط فاكله الذئب لابتداء النفي مع واو العطف صادقين كذب ط امرا جميل تصفون دلوه غلام ط بضاعة ط يعملون معدودة ج لاحتمال الواو والحال الزاهدين

التفسير قال في الكشاف تلك اشارة الى آيات السورة والكتاب المبين السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها في اعجاز العرب وتبكيتهم او التي تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا يشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد بين فيها ما سالت اليهود عنه من قصة يوسف فقد روي ان علماء اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف اقول مدار هذه التفاسير على ان ابان الشيء وابان هو بنفسه انا انزلناه اي هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف يعني هذه السورة في حال كونه قرآنا عربيا والقرآن اسم جنس يقع على كله وعلى بعضه قوله قرآنا عربيا بمعنى حالا موطئة لان المراد وصفه بالعربية احتج الجبائي بانزال القرآن وبكونه عربيا وآياته على انه محدث لان هذه من اوصاف المحدثات واجيب بانه لا نزاع في حدوث الالفاظ وانما النزاع في الكلام النفسي ومعنى لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم لانه بلغتكم قال الجبائي فيه دليل على انه اراد من المكلفين كلهم ان يعقلوا توحيده وامر دينه واجيب بان الاية لا تدل الا على انه انزل هذه السورة واراد منهم معرفة كيفية هذه القصة ولا دلالة فيه على انه اراد من الكل الايمان والعمل الصالح قال اهل المعنى القصص اشتقاقه من قص

لام تعقلون ومتعلق ... ابانه ...

يوسف

اثره اذا اتبعه لان الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا ومثله التلاوة لانه يتلو اي يتبع ما حفظ منه اية بعد اية ثم ان كان القصص مصدرا
بمعنى الاقتصاص فيكون احسن مثله لاضافته الى المصدر ويكون المفعول اي المقصوص محذوفا وهو الوحي لدلالة اوحينا اليك عليه ويكون هذا القرآن
بايحائنا اياه اليك على هذا فالحسن يرجع الى المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية مقتصة في
كتب الاولين وفي كتب التواريخ ولم يبلغ شيء منها الى حد الاعجاز وان اريد بالقصص المقصوص كما يراد بالنبأ والخبر المنبأ والمخبر فالحسن يرجع الى
المنطوق لا الى القصة وحسن المنطوق كونه على ابدع طريقة واعجب اسلوب لان هذه الحكاية القصة ولا سيما فيما يرجع الى صلاح حال المكلف في الدارين ووجه
حسنها اشتمالها على الغرائب والعجائب والنكت والعبر وان الصبر مفتاح الفرج وان ما قضى الله كائن لا محالة لا يرده كيد كائد ولا حسد حاسد وروي
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نزل احسن الحديث كتابا متشابها ثم انهم ملوا فقالوا يا رسول
الله لو قصصت فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص كل ذلك يؤمرون بالقرآن وان كنت هي المخففة من الثقيلة بدليل اللام الفارقة والمعنى وان
الشأن كنت من قبل ايحائنا اليك لمن الغافلين عن هذه القصة وعن الدين والشريعة اذ قال بدل الاشتمال من احسن القصص لان الوقت مشتمل
على القصص فاذا قص وقته فقد قص المقصوص او منصوب باضمار اذكر ويوسف ليس عربيا على الاصح اذ لا سبب فيه بعد التعريف الا العجمة فهو اسم عبراني
ومن ظن انه من آسف يوسف بناء على انه قرئ بكسر السين وبفتحها فوجد فيه وزن الفعل ايضا فقد اخطأ لان القراءة المشهورة تاباه ولئن يكون
الاسم عربيا تارة واعجميا اخرى وفي هذا الخلاف وفي يونس ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم قال النحويون
التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وهي للتانيث لانها قد تقلب هاء في الوقف ويجوز الحاق التاء بالمذكر نحو حمامة ذكر والكسر فيه لمناسبة
الياء التي هي بدل منها والفتح اما فتحة الياء فيمن يفتحها او الفتحة الباقية بعد حذف الالف من يا ابتا اني رأيت هو من الرؤيا التي تختص بالمنام لا
من الرؤية التي تشمل اليقظة بدليل قول يعقوب له لا تقصص رؤياك ولان ذلك لو كان في اليقظة لكانت اية عظيمة ولم تخف على احد من قرأ
احد عشر بسكون العين فلكراهة توالي المتحركات فيما هو في حكم كلمة وكذا الى تسعة عشر الا اثني عشر لئلا يلتقي ساكنان قال في الكشاف روي جابر
ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن النجوم التي رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبرئيل فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان
اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرع ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف و
الشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها واقول ان اكثر هذه الاسماء ليست مما اشتهر عند اهل الهيئة فان
صح الخبر فهي من العلوم التي تفرد بها الانبياء وافراد الشمس والقمر من الكواكب بعد ذكرها دليل على شرفهما كقوله وملائكته وجبريل وميكائيل
وانما كرر الفعل لطول الكلام او على تقدير سؤال كانه قيل له كيف رأيتها فقال رأيتهم لي ساجدين والظاهر ان هذه السجدة كانت بمعنى وضع الجبهة
اذ لا مانع من حملها على الحقيقة لكنها كانت على وجه التواضع وانما اجريت الكواكب مجرى العقلاء في عود الضمير اليها لان السجود من شان العقلاء كقوله
للاصنام وتريهم ينظرون اليك وعند اهل الاسرار هم احياء ناطقة فلا حاجة الى العدول عبر ابوه رؤياه بان اخوته يسجدون له وهم احد عشر وكذا
ابواه وهما الشمس والقمر وقيل هما ابوه وخالته لان امه لم تدخل مصر وتوفيت قبل ذلك وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا
كانت مركوزة في الارض كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا
لاخوتك ثم رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا
يوسف ومسير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون قال علماء التعبير ان الرؤيا الرديئة تظهر اثرها عن قريب كيلا يبقى المؤمن في الغم والحزن والرؤيا الجيدة يبطى
اثرها ليكون بهجة المؤمن ادوم قوله فيكيدوا منصوب باضمار ان جوابا للنهي واللام في لك لتاكيد الصلة مثل نصحت لك قال في الكشاف ضمن الكيد
معنى الاحتيال ليفيد معنى الفعلين فيكون ابلغ في التخويف وقيل متعلق بالمصدر الذي بعده ثم انه وصل بهذه النصيحة شيئا من تعبير رؤياه فقال و
كذلك اي مثل اجتبائك لهذه الرؤيا الشريفة يجتبيك ربك لامور عظام والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء في
الحوض جمعته وخص الحسن الاجتباء بالنبوة قال في الكشاف ويعلمك كلام مبتدأ غير داخل في حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك اقول
لعل ادخاله في حكم التشبيه ليس بضائر وفي تاويل الاحاديث للناس فيما يرونه في منامهم سمي التعبير تاويلا لانه يؤول امره الى ما رآه في المنام او يؤول امر ما
رآه في المنام الى ذلك الاحاديث اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة لانها التي يتحدث بها الناس ومنها انه تبيين معاني كتب الله وسنن الانبياء لان المفسر
والمحدث يحدثان عن الله ورسوله فيقولان قال الله كذا وقال الرسول كذا ومنها ان الحديث بمعنى الحادث والمراد كيفية الاستدلال بالحادث على القدم
سبحانه واما اتمام النعمة فمن فسر الاجتباء بالنبوة فسر الاتمام بالسعادات الدنيوية والاخروية من المال والجاه والعلوم والاخلاق الفاضلة ومن فسر ذلك
بالدرجات العالية فسر هذا بالنبوة ولان اتمام النعمة عليه شبه اتمامها على ابرهيم واسحق ومن المعلوم ان الامتياز بينهما وبين غيرهما لم يكن الا بالنبوة
وقد يفسر اتمام النعمة على ابرهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط
من صلبه ويكون وجه التشبيه انجاؤه من السجن والمحن كانجائهما من النار والذبح والمراد بآل يعقوب نسله قيل يعقوب علم ان يوسف واخوته انبياء
استدلالا بضوء الكواكب فاعترض بما فرط منهم في حق يوسف واجيب بان ذلك قبل النبوة وقيل اتمام النعمة وصل نعمة الدنيا بنعم الاخرة وذلك

مفعول له
ومفعول او حينا
مفعول ثان وقيل او في
معنى المصدر يعني
ايحائنا
نقصن عليك احسن الاقتصاص
بايحائنا
قد هذا القرآن
صح

ابن الكريم صح

قال نعم صح

لان التمام للمطلق في
حق البشر ليس الا با
لنبوة صح



انه جعلهم ملوكا وانبياء وابرهيم واسحق عطف بيان لابويك لان ابا الجد في حكم الاب ان ربك عليم بمن يستحق الاجتباء حكيم لا يضع الشيء الا في موضعه فلا يجعل الرسالة الا في نفس قدسية وجوهر مشرق قيل حكم يعقوب بوقوع هذه الامور دليل على جزمه بها فكيف خاف بعد على يوسف حتى قال و اخاف ان ياكله الذئب والجواب لعل جزمه بذلك كان مشروطا بعدم كيد اخوته ولعل قوله اخاف ان ياكله الذئب كيلا يتهاونوا في حفظه ان الوسائط والاسباب مدخلا عظيما في وجود الاشياء وحصولها لقد كان في يوسف اي في قصته وحديثه ايات للسائلين لمن سئل عن تلك القصة وعرفها او ايات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سئلوه من اليهود عنها فاخبرهم بها من غير سماع العلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم يجب ان يصبر على بغي قومه الى ان يظهره الله كما فعل بيوسف يروى ان اسامي اخوته يهودا وروبيل وشمعون ولاوي وزبالون ويشجر ودينة وهؤلاء من ليا بنت خالة يعقوب ودان ونفتالي وجاد واشر وهم من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج اختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف اذ قالوا ظرف لكان او منصوب باضمار اذكر ليوسف لام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة واخوه اي لابيه وامه عنوا بنيامين احب اذ كان افعل التفضيل مستعملا بمن لم يتصرف فيه ونحن عصبة الواو للحال والعصبة العشرة فصاعدا لان الامور تعصب بكفايتهم اي انه يفضلهما في المحبة علينا وهما ابنا صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة تكفي مهماته ونقوم بمصالحه ان ابانا لفي ضلال مبين اراد والضلال الاخطاء وهو البعد عن طريق الصالح المعاش وحسن المعاشرة مع الاولاد ولم يعلموا ان المحبة امر يتعلق بالقلب ليس لله فيه تكليف ولعل يعقوب تفرس في يوسف ما اوجب اختصاصه بمزيد البر من جملة اقوالهم انهم قالوا لما تشاوروا في امره اقتلوا يوسف قيل الامر بالقتل شمعون او دان ورضي بها الباقون فجعلوا جميعا امرين والظاهر انه قال ذلك بعضهم بدلالة انه بدليل انه لم يقع القتل ولقولهم او اطرحوه فكان بعضهم اشار الى القتل وبعضهم الى الطرح ومهما صدر امر من بعض القوم صح اسناده اليهم كقوله واذ قتلتم نفسا وانتصب ارضا على الظرف كالظرف المبهم اي ارضا مجهولة بعيدة عن العمارة يخل لكم وجه ابيكم يخلص محبته لكم سليمة عن التنازع فيها وكان ذكر الوجه لتصوير الاقبال عليهم بالكلية ويجوز ان يراد بالوجه ذاته والمراد بفرغ لكم من الشغل بيوسف وتكونوا مجزوم لانه معطوف على جواب الامر من بعده من بعد قتله او اطراحه او من بعد يوسف او القتل او عزب قوما صالحين تائبين الى الله او الى ابيه بعذر تمهدونه فيما جنيتم عليه او المراد صلاح دنياهم وانتظام امورهم وتفرغهم لها بعد يوسف بفراغ البال قال قائل منهم هو يهودا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن ابرح الارض لا تقتلوا يوسف لان القتل عظيم ولا سيما قتل الاخ وخاصة اذا كان القاتل والمقتول من اولاد الانبياء والقوه في غيابت الجب سمي البئر جبا لانها قطعت قطعا ولم يحصل فيها شيء سوى القطع للارض والغيابة غور البئر وما غاب منها عن عين الناظر واظلم من اسفلها ومن قرا على الجمع فلان للجب اقطارا او نواحي يلتقطه بعض السيارة اي الرفقة السائرة قال ابن عباس ای المارة والالتقاط تناول الشيء من الطريق ونحوه يستعمل في الانسان وغيره ومنه اللقيط للمنبوذ ان كنتم فاعلين ان لم يكن بد من فعل الامر هذا الامر بكم فهذا هو الرای ثم ان يعقوب كان خائفا على يوسف من كيدهم وكان يظهر امارات ذلك على صحايف اعماله واقواله فلذلك قالوا مالك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ما وجد منا في بابه سوى النصح والاشفاق على الاطلاق ارسله معنا غدا يرتع ويلعب من قرا بالجزم من الرتع كالامنة وهي الخصب والسعة ومن قرا بالكسر فعلى حذف الياء من يرتعي مستعار من ارتعاء الابل والماشية واللعب ترك ما ينفع الى ما لا ينفع فمن قرا بالياء فلا اشكال لان الصبي لا تكليف عليه ومن قرا بالنون قال كان لعبهم الاستباق والانتضال بدليل قوله انا ذهبنا نستبق سمي لعبا لانه في صورته او اللعب قد يطلق على استعمال المباحات لاجل انشراح الصدر وقال صلى الله عليه وسلم لجابر فهلا بكرا تلاعبها وتلاعبك قال اني ليحزنني لام الابتداء للتاكيد او لتخصيص المضارع بالحال واخاف ان ياكله الذئب اصله الهمز ولهذا قال بعضهم انه مشتق من تذائبت الريح اذا اتت من كل جهة قيل كانت ارضهم مذابة فلذلك قال اخاف وقيل راى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره فلقنهم العذر كما جاء في امثالهم البلاء موكل بالمنطق قوله انا اذا جواب للقسم سد مسد جواب الشرط حلفوا له ان كان ما خاف حاله انهم رجال كفاة وحماة فهم اذن لخاسرون عاجزون او مستحقون للدعاء عليهم بالخسار او المراد ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا وخسرناها كان يعقوب قد اعتذر اليهم بامرين احدهما ان ذهابهم به مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من حفظ الذئب فلم يجيبوا عن الاول لانه هو الذي كان يغيظهم فلم يعبوا بذلك الكلام فخصوا الجواب بالثاني وههنا اضمار والتقدير فاذن لهم وارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا عزموا على ان يجعلوه في غيابت الجب قيل هو بئر بيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب ثم ان كان جواب لما محذوف فاني الاية اضمار اخر كما تقدم في الموقف قال السدي ان يوسف عليه السلام لما برز مع اخوته اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم ما يصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهودا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا حتى يؤنسوك فدلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهودا وكان ياتيه بالطعام وروي ان يوسف عليه السلام لما القي في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وحكي ان ابرهيم عليه السلام حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فالبسه



ايّاه فلما فصل ابرهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبرئيل فاخرجه والبسه اياه وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ في صغر السن كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك بالغا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة لَتُنَبِّئَنَّهُمْ لتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ انك يوسف لعلو شانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المنسي المغير للهيئات والاشكال يروى انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به فالقيتموه في غيابت الجب وقلتم لابيه اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يراد وهم لا يشعرون انا آنسناه بالوحي وازلنا الوحشة عن قلبه فيتعلق الجار بقوله وَأَوْحَيْنَا روي ان امراة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي قال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة وما ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر ان يقضي به من السنة المرضية عن مقاتل انما جاءوا عشاء لئلا يظهر امارة الخجل والكذب على وجوههم ولما سمع صوتهم يعقوب فزع وقال ما لكم يا بنيّ هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق اي نتسابق في العدو او في الرمي وقيل ننتضل وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق لشدة محبتك ليوسف فيه دليل لمن زعم ان الايمان هو التصديق ولو كنا صادقين ولو كنا عندك من اهل الصدق والثقة فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا وجاءو على قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه لا على الحال المتقدمة لان حال المجرور لا يتقدم عليه بدم كذب اي ذي كذب او وصف بالمصدر مبالغة يروى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها ويروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم من هذا اكل ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف ثلاث آيات اية ليعقوب على كذبهم واية حين القاه البشير على وجهه فارتد بصيرا واية على براءة يوسف حين قدّ من دبر ولما تبين يعقوب بالآيات المذكورة او بالوحي انهم كاذبون قال على سبيل الاضراب بَلْ سَوَّلَتْ قال ابن عباس بل زينت لكم أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا في شانه وهو تفعيل من السول الامنية قال الازهري واصله مهموز غير ان العرب استثقلوا فيه الهمزة وقال في الكشاف سولت سهلت من السول بفتحتين وهو الاسترخاء والتنكير في امرا للتعظيم فَصَبْرٌ جَمِيلٌ لا بد من تقدير مبتدا او خبر اي فامري صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي الحديث انه الذي لا شكوى فيه اي الى الخلق لقوله إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت ويحكى انه سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب تشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها لي ثم انه بين ان الصبر على ما وصفوه من هلاك يوسف لا يمكن الا بمعونة الله تعالى فقال وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ فالقرينتان كقوله إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ويعلم من الآية ان الصبر ان كان لاجل الرضا بقضاء الله تعالى او للاستغراق في شهود نور الحق بحيث يمنعه من الاشتغال بالشكاية عن البلاء فذلك صبر جميل والا فلا واعترض بان هذا الصبر كان فيه اعانة للظالمين واهمال لتخليص المظلوم من المحن والشدائد والقربة فكيف جاز صبر يعقوب حتى لم يبالغ في التفتيش والتفحص ولو بالغ لظهر عليه الامر لشهرته وعظم قدره واجيب بان الله سبحانه لعله منعه عن الطلب تشديدا للمحنة عليه ولعله ان بالغ في البحث تعدوا على قتله او علم ان الله تعالى يصون يوسف وسيعظم امره بالآخرة فلم يرد هتك ستر اولاده والقائهم في السنة الناس كقول القائل فاذا رميت يصيبني سهمي فكان الاصوب الصبر والسكوت وتفويض الامر بالكلية الى الله تعالى ثم شرع في حكاية خلاص يوسف فقال وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ عن ابن عباس قوم يسيرون من مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف في الجب فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب في قفرة بعيدة عن العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء ومعنى الوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ ارسلها في البئر والواحدة فاذا نزعها واخرجها قيل دلاها يدلوها قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وظهر يوسف فقال الوارد يا بشرى كانه ينادي البشرى ويقول تعالي فهذا اوانك ومتى قال الوارد بهذا الكلام قال جمع من المفسرين حين راى يوسف متعلقا بالحبل وقال آخرون لما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به قال السدي كان للوارد صاحب يقال له بشرى فنادى يا بشرى كما تقول يا زيد والاكثرون على انها بمعنى البشارة فقال ابو علي يحتمل ان يكون مناداه مضموما مثل يا رجل وان يكون منصوبا مثل يا رجلا كانه جعل ذلك النداء شايعا في جنس البشرى ومن قرا بالاضافة فنصبه ظاهر والضمير في وَأَسَرُّوهُ اما عائد الى الوارد واصحابه اي اخفوه من الرفقة لئلا يدعوا المشاركة في الالتقاط او في الشرى ان قالوا اشتريناه وطريق الاخفاء انهم كتموه من الرفقة او قالوا ان اهل الماء جعلوه بضاعة عندنا على ان نبيعه لهم بمصر واما عائد الى اخوة يوسف بناء على ما روي عن ابن عباس انهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولعل الوجه الاول اولى بدليل قوله بِضَاعَةً وهي نصب على الحال اي اخفوه متاعا للتجارة واصل البضع القطع والبضاعة قطعة من المال للتجارة والله تعالى اعلم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ فيه وعيد اما للوارد واصحابه حيث استبضعوا ما ليس لهم او لاخوة يوسف وذلك ظاهر وفيه ان كيد الاعداء لا يدفع شيئا مما علم الله من حال المرء والضمير في قوله وَشَرَوْهُ اما ان يعود الى الوارد واصحابه اي باعوه بثمن قليل لان الملتقط للشيء متهاون به وكانوا فيه من الزاهدين ممن يرغب عما في يده قال اهل اللغة زهد فيه وعنه بمعنى رغب عنه وزهد عنه وعنا رغب فيه واما ان يعود الى الاخوة والمعنى باعوا او الى الرفقة والمعنى اشتروه وهكذا الضمير في وكانوا ان عاد الى الاخوة فعلة رغبتهم في يوسف ظاهر والا فلانهم ابوا ان يفعلوا وان عاد الى الرفقة فذلك لانهم اعتقدوا انه ابق فخافوا اعطاء الثمن الكثير عن ابن عباس ان اخوته عادوا الى الجب بعد ثلاثة ايام يتعرفون خبره فلما لم يروه في الجب وراوا آثار السيارة طلبوهم فلما راوا يوسف قالوا هذا عبد ابق منا فقالوا لهم فبيعوه منا فباعوه منهم ولعلهم قوما



الى ولد يعقوب فكرهوا اشتراءه خوفا من الله ومن ظهور تلك الواقعة الا انهم مع ذلك اشتروه بالاخرة بثمن بخس ای بعض ناقص عن القيمة او ناقص
العيار وقال ابن عباس البخس هنا الحرام لان ثمن الحر حرام دراهم لا دنانير معدودة قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية و
هي الاربعون عن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين اخذ كل واحد من الاخوة درهمين الا يهودا فانه لم ياخذ شيئا ويروى
ان اخوته ابتعوه يقولون استوثقوا منه لا يابق والظاهر ان الضمير في فيه عائد الى يوسف ويحتمل ان يعود الى الثمن البخس اى اخذوا ثمنه ما ليس بغبن
فيه قال النحويون قوله فيه ليس من متعلقات الزاهدين لان الالف واللام فيه موصول وزاهدين صلة وكما لا يتقدم نفس الصلة فكذا ما هو
متعلق به فلا يتقدم مثلا وكانوا زيدا من الضاربين فهو بيان كانه قيل في اى شئ زهدوا فقيل فيه والله تعالى اعلم التأويل تلك ايات الكتاب الكتاب
المحبوا الى المحب لله ليدله الى طريق الوصال ولهذا كانت احسن القصص لانها اتم قصص القرآن مناسبة ومشابهة باحوال الانسان اذ قال يوسف القلب
لابيه يعقوب الروح انى رايت احد عشر كوكبا هن الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة اى المدركة والحافظة والمتخيلة والمتوهمة والحس المشترك مع المفكرة
ولكل من هذه اضاءة اى ادراك للمعنى المناسب له وهم اخوة يوسف القلب لانهم تولدوا من ازدواج يعقوب الروح وزوج النفس والشمس والقمر الروح والنفس
رايتهم لى ساجدين وهذا مقام كمالية الانسان ان يصير القلب سلطانا يسجد له الروح والنفس والحواس والقوى وكذلك يجتبيك ربك على سائر
المخلوقات وهذا كمال حسن يوسف ويعلمك من تاويل الاحاديث العلم اللدنى المختص بالقلب ويتم نعمته عليك بان يتجلى لك ويستوى لك القلب
عرش حقيقى للرب وعلى ال يعقوب اى متولدات الروح من القوى والحواس كما اتمها على ابويك من قبل ابرهيم السر واسحق الخفى وبهما يستحق القلب قبول
فيض التجلى وهناك لله الطاف خفية لا يسع الانسان فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ايات للسائلين عن طريق الوصول الى الله ليوسف واخوه بنيامين
الحس المشترك فان له اختصاص بالقلب احب الى ابينا منا لان القلب محل عرش الروح ومحل استوائه عليه والحس المشترك بمثابة الكرسى للعرش اقتلوا
يوسف القلب بسكين الهوى وبسم الميل الى الدنيا او اطرحوه فى ارض البشرية يخل لكم وجه ابيكم يقبل الروح بوجهه الى الحواس والقوى لتحصيل شهواتها
وتكونوا بعد موت القلب قوما صالحين للتنعم الحيوانى والنفسانى قال قائل منهم هو يهودا القوة المفكرة لا تقتلوا يوسف القلب والقوه فى غيابت الجب
الغالب وسفل البشرية يلتقطه بعض سيارة الجواذب النفسانية يرتع فى ملاعب الدنيا وانا له لحافظون من فتنة الدنيا وافاتها لئن اكله الذئب
الشيطان انا اذا لخاسرون لان خسران جميع اجزاء الانسان فى هلاك القلب وربحها فى سلامة القلب وهم لا يشعرون فيه اشارة الى ان من
خصوصية تعلق الروح بالقالب ان يتولد منهما القلب العلوى والنفس السفلية والحواس والقوى فيحصل التجاذب فان كانت الغلبة للروح سعد وان
كانت للنفس شقى وجاؤا اباهم عشاء اى فى النصف الاخر من مدة العمر نستبق نتشاغل باللهو فى ايام الشباب وتركنا يوسف مهملا معطلا عن
الاستكمال فاكله ذئب الشيطان وجاؤا على قميصه اى قالب القلب بدم كذب هو اثار الملكات لو يدعوا انها قد سرت الى القلب وزالت نور
الايمان عنه بالكلية قال يعقوب الروح بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل على ما قضى الله وقدره والله المستعان على ما تصفون من زين القلب وموته
وجاءت سيارة هى هبوب نفحات الطاف الحق فارسلوا واردهم واردا من واردات الحق فادلى دلوه جذبة من جذبات الرحمن قال يا بشرى فيه اشارة
الى ان الجذبة بشارة فى تعلقها بالقلب كما ان للقلب بشارة فى خلاصه من جب الطبيعة كما قال تعالى يحبهم ويحبونه والله عليم بحكمة البشارتين
وبما يعملون من شراء بثمن بخس هو الحظوظ الفانية فى ايام معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لانهم ما عرفوا قدره وانما ميلهم الى استجلاب المنافع
الدنيوية العاجلة والله اعلم وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝
وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَلَقَدْ
هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۝ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ
مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ
مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَأَى
قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ۝ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ
امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً
وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۝
قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ رَبِّ
السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ۝ القراءة هيت لك بضم التاء وفتح الهاء ابن كثير هيت بكسر الهاء وفتح التاء
ابو جعفر ونافع وابن ذكوان والرازى عن هشام مثله ولكن بالهمز الحلوانى عن هشام مثل هذا ولكن بضم التاء البخارى عن هشام الباقون هيت
بفتحتين وسكون الياء المخلصين بفتح اللام حيث كان ابو جعفر ونافع وعاصم وحمزة وعلى وخلف ربى احسن بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابن

زهدوا فيه قيل

في المرتع اليهم

ع

ان كيدكن ع

كثير



كثير من قبل ومن دبر بالاختلاس عباس قد شغفها مدغما ابو عمرو وعلي وحمزة وخلف وهشام وقالت اخرج بكسر التاء ابو عمرو وسهل ويعقوب في حمزة وعاصم
الاخرون بالضم للاتباع حاشا لله وصلا بعده في الحالين بالالف ابو عمرو رب السجن بفتح السين على انه مصدر يعقوب الباقون بالكسر الوقوف ولدا
في الارض بناء على ان الواو مقحمة واللام متعلقة بمكنا او هي عطف على محذوف قبلها اي ليتمكن ولنعلمه والاظهر انها تتعلق بمحذوف بعده اي لنعلمه
من تاويل الاحاديث كان ذلك التمكين الاحاديث ط لا يعلمون وعلما ط المحسنين هيت لك ط الظالمون همت به ز لقد قيل بناء على ان قوله وهم جواب لولا
وليس بصحيح لان جواب لولا لا يتقدم عليه وانما جوابه محذوف وهو تحقق ما هم به كذا قال السجاوندي واقول لو وقف للفرق بين الهمين لم يبعد وهم
بها برهان ربه والفحشاء ط المخلصين لدى الباب ط اليم عن نفسي ط هذا كالامر عليه وقفا ولعل الوقف عليه حسن كيلا يظن عطف وشهد على راودتني او
على جملة هي راودتني من اهلها ج على تقديره وقال ان كان من الكاذبين الصادقين من كيدكن ط عظيم عن هذا ـ لسكتة العدول عن مخاطب الى مخاطب لذنبك
لاحتمال التعليل الخاطئين عن نفسه لان قد لتحسين الابتداء مع اتحاد القائل حبا ط مبين عليهن ج لتراه كريم ط فيه ط فاستعصم ط لاحتمال القسم الصاغرين
للشرط مع الواو والجاهلين كيدهن ط العليم حين النفس قد ثبت في الاخبار ان الذي اشتراه اما من الاخوة او من الواردين ذهب الى مصر وباعه واشتراه
العزيز واسمه قطفير او اطفير ولم يكن ملكا ولكنه كان يلي خزائن مصر والملك يومئذ الريان ابن الوليد رجل ومن الواردين ذهب به الى مصر
من العماليق وقد امن بيوسف ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب ولم يؤمن بيوسف وروي ان العزيز اشتراه ابن سبع عشرة سنة واقام
في منزله ثلث عشرة واستوزره بعد ذلك ريان بن الوليد ثم اتاه الله الحكمة والعلم ابن ثلث وثلثين وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك في
ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف والمعنى ولقد جاءكم
اباءكم وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا
فابتاعه قطفير بذلك المبلغ ومعنى اكرمي مثواه اجعلي منزله ومقامه عندنا كريما اي حسنا مرضيا وفي هذه العبارة دلالة على انه عظم شان يوسف كما يقال
سلام على المجلس العالي وقال في الكشاف المراد تفقديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة في صحبتنا ساكنة في كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل
الرجل به من انسان رجل او امرأة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده واللام في لامراته يتعلق بقال ثم بين الغرض من الاكرام فقال عسى ان ينفعنا بكفاية
بعض مهماتنا او نتخذه ولدا لان قطفير كان لا يولد له ولد او كان حصورا وعن ابن مسعود افرس الناس ثلثة العزيز حين قال لامراته اكرمي مثواه
فتفرس في يوسف ما تفرس والمرأة التي اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر وروي انه سئله عن نفسه فاخبره بنسبه
فعرفه ثم قال وكذلك اي كما انعمنا عليه بالانجاء من الجب وعطف قلب العزيز عليه مكنا له في ارض مصر حتى يتصرف فيها بالامر والنهي و
لنعلمه قد مر في الوقوف ما يتعلق به وفي اوائل السورة معنى تاويل الاحاديث والمراد من الاية حكاية اعلاء شان يوسف في الكمالات الحقيقية واصولها القدرة
واشار اليها بقوله مكنا والعلم واشار اليه بقوله ولنعلمه ولا ريب انه ابتدأ ذلك كان حين القي في الجب كما قال واوحينا اليه لتنبئنهم وكان يترقى في ذلك
الى ان بلغ حد الكمال وصار مستعدا للدعوة الى الدين الحق وللارسال الى الخلق والله غالب على امره اي على امر نفسه لا منازع له ولا مدافع او على امر يوسف
لم يكله الى غيره ولم ينجح كيد اخوته فيه ولم يكن الا ما اراد الله ودبره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر كله بيد الله ثم انه سبحانه بين وقت استكمال امره فقال
ولما بلغ اشده قيل في الاشد انه الى ثماني عشرة سنة وعشرين وثلث وثلثون واربعون الى ثنتين وستين اتيناه حكما وعلما فالحكم الحكمة العملية والعلم
الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف اصحاب الافكار
والانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلاء والمحن ففتح عليه ابواب المكاشفات وقيل الحكم النبوة لان النبي حاكم على الخلق والعلم علم الدين و
قيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها فحينئذ تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس و
التحقيق في هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الالات الجسدانية وفي اوان الصغر يكون الرطوبات مستولية عليها فهي
فيضعف تلك الالات فاذا كبر الانسان واستولت الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الالات صالحة لان
يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ اشده اشارة الى اعتدال الالات البدنية وقوله اتيناه حكما
وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة وقوة لمعان الاضواء القدسية فيها قال في الكشاف وكذلك نجزي المحسنين فيه تنبيه على انه كان محسنا
في عمله متقيا في عنفوان امره وان الله اتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه واعترض عليه بان النبوة غير مكتسبة والحق ان الكل بفضل الله ورحمته
ولكن للوسائط والمعدات مدخل عظيم في كل ما يتصل الى الانسان من الفيوض والاثار فالانوار السابقة تصير سببا للاضواء اللاحقة وهلم جرا
عن الحسن من احسن عبادة ربه في شبيبته اتاه الله الحكمة في اكتهاله ثم ان يوسف كان في غاية الحسن والجمال فلما شب طمعت فيه امرأة العزيز وذلك قوله
وراودته والمراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب ضمنت معنى المخادعة اي فعلت ما يفعل المخادع بصاحبه حتى يزله عن الشيء الذي يريد ان يخرجه
من يده وقد يختص بمحاولة الوقاع فيقال راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه اذا حاول كل منهما الوطي والجماع وانما قال التي هو في بيتها ولم
يقل امرأة العزيز قصدا الى زيادة التقرير مع استهجان اسم المرأة وغلقت الابواب لا ريب ان التشديد يدل على التكثير لان غلق متعد كنفسه و
هو فيقول المفسرون روي ان الابواب كانت سبعة وقالت هيت لك هذه اللغة في جميع القراآت اسم فعل بمعنى هلم الا عند من قرا هيت لك بها



مكسورة بعدها همزة ساكنة ثم تاء مضمومة فانها بمعنى تهيأت لك يقال هاء يهيء مثل جاء يجيء بمعنى تهيأ فاما النحويون فهيت جاء بالحركات الثلاثة فالفتح للخفة والكسر لالتقاء الساكنين والضم تشبيها بحيث واذا بين باللام نحو هيت لك فهو صوت قائم مقام المصدر كاف له اي لك اقول هذا واذا لم يبين باللام فهو صوت قائم مقام مصدر قائم مقام الفعل ويكون اسم فعل ومعناه اما خبر اي تهيأت واما امر اي اقبل وقد روى الواحدي باسناده عن ابي زيد قالت هيت لك بالعبرانية هيتالج اي تعال عربه القران وقال الفراء انها لغة لاهل حوران سقطت الى مكة فتكلموا بها وقال ابن الانباري هذا وفاق بين لغة قريش واهل حوران كما اتفقت لغة العرب والروم في القسطاس ولغة العرب والفرس في السجيل ولغة العرب والترك في الغساق ولغة العرب والحبشة في ناشئة الليل ثم ان المرأة لما ذكرت هذا الكلام اجاب يوسف عم بثلاثة اجوبة الاول قال معاذ الله وهو من المصادر التي لا يجوز اظهار فعلها اي اعوذ بالله معاذا وفيه اشارة الى ان حق الله تعالى الثاني انه والضمير للشان ربي اي سيدي ومالكي بزعمهم واعتقادهم والا فيوسف كان عالما بانه حر والحر لا يصير عبدا بالبيع والمراد التربية اي الذي رباني احسن مثواي حين قال اكرمي مثواه وفي هذا اشارة الى ان حق الخالق ايضا يمنع عن ذلك العمل وقيل اراد بقوله ربي الله تعالى لانه مسبب الاسباب الثالث قوله انه لا يفلح الظالمون الذين يجازون الحسن بالسيئ واراد الذين يزنون لانهم ظلموا انفسهم وفيه اشارة الى الدليل العقلي فان صون النفس عن الضرر واجب وهذه اللذة قليلة يتبعها خزي في الدنيا وعذاب في الاخرة فعلى العاقل ان يحترز عنها فما احسن نسق هذه الاجوبة قوله سبحانه ولقد همت به وهم بها لا شك ان الهم لغة هو القصد والعزم لكن العلماء اختلفوا فقال جم غفير من المفسرين الظاهريين ان تلك الهمة بلغت حد المخالطة فقال ابو جعفر الباقر رض باسناده عن علي بن ابي طالب ع انها طمعت فيه وانه طمع فيها حتى هم ان يحل التكة وعن ابن عباس انه حل الهميان اي السراويل وجلس منها مجلس الجامع وعنه ايضا انها استلقت له وقعد هو بين شعبها الاربع وروي ان يوسف حين قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل ولا حين هممت يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء وقال الاخرون ان الهمة ما كانت الا ميلة النفس لم يخرج شيء منها من القوة الى الفعل ولكن كانت داعية الطبيعة وداعية العقل والحكمة يتجاذبان اما الاولون فقد فسروا برهان ربه بان المرأة قامت الى صنم لها مكلل بالدر والياقوت في زاوية من زوايا البيت فسترته بالثوب فقال يوسف لم فقالت استحي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال يوسف تستحين من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت فوالله لا افعل ذلك ابدا وعن ابن عباس انه مثل له يعقوب عاضا فاه على اصابعه يقول اتعمل عمل الفجار وانت مكتوب في زمرة الانبياء واليه ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضربه في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل صيح يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنى قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله تعالى لجبرئيل ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في زمرة الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز واما الاخرون فما سلموا شيئا من هذه الروايات وعلى تقدير التسليم فتوارد الدلائل على المطلوب الواحد غير بعيد وكذا ترادف الزواجر فهو عم كان ممتنعا عن ذلك العمل بحسب النظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم وبحسب ما اعطاه الله من النفس القدسية المطهرة النبوية لكنه انضاف الى ذلك البرهان هذه الزواجر تكميلا للالطاف وتتميما للعناية قالوا ولو ان اوقح الزناة واشطرهم لقي ما لقي به نبي الله مما ذكروا لما بقي عنده عرق ينبض وعضو يتحرك فكيف احتاج النبي الى جميع هذه الزواجر والمؤكدات حتى ينتهي عن امضاء العزيمة قالوا والهم يتعلق بالمعاني فامتنع تعلقه بذاته فقدروا همه بمخالطتها ونحن نقول هم بدفعها لولا ان عرف برهان ربه وهو ان الشاهد سيشهد له انه ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلعله لو اشتغل بان يدفعها امكن ان يتمزق قميصه من قبل فكانت الشهادة عليه لا له فلذلك ولى هاربا عنها وفي قوله وهم بها فائدة اخرى هي ان ترك المخالطة بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعجز قدرته عليهن بل لاجل ان دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل وكيف يظن بيوسف معصية وهو قد ادعى البراءة بقوله هي راودتني عن نفسي وبقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه والمرأة اعترفت بذلك حين قالت للنسوة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقالت الآن حصحص الحق وزوج المرأة صدقه فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم وشهد له شاهد من اهلها كما يجيء وشهد له الله تعالى فقال كذلك اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء خيانة السيد والفحشاء الزنا والسوء مقدمات الجماع من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك ثم اكد الشهادة بقوله انه من عبادنا والاضافة للتشريف كقوله وعباد الرحمن ثم زاد في التاكيد فوصفه بالمخلصين اي هو من جملة من اتصف في طاعاته بصفة الاخلاص او من جملة من اخلصه الله تعالى بناء على قراءة فتح اللام وكسرها ويحتمل ان يكون من للابتداء لا للتبعيض اي هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم ع فكل هذه الدلائل تدل على عصمة يوسف ع وانه بريء من الذنب ولو كان قد وجدت منه زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما في ادم وذي النون وغيرهما ولما استحق هذا الثناء والله اعلم بحقائق الامور قوله واستبقا الباب اي تسابقا اليه على حذف الجار وايصال الفعل مثل واختار موسى قومه او على تضمين استبقا معنى ابتدرا وانما وحد الباب لانه اراد البراني لا جميع الابواب التي غلقتها روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب وقدت قميصه من دبر لانها اجتذبته من خلفه فانقد اي انشق طولا والفيا سيدها لدى الباب صادفا بعلها وهو قطفير وانما لم يقل سيدهما لان

يمنع عن هذا العمل

ديوان

لا يشتغلوا بالاخر وانما

لان ملك يوسف لم يكن ملكا في الحقيقة روي انهما الفيا مقبلا يريد ان يدخل وقيل جالسا مع ابن عم المرأة ثم انه كان الشأن ان يسئل فما قالت المرأة
اذ ذاك فقيل قالت ما جزاء ما هي استفهامية او نافية ومعناه اي شيء جزاؤه او ليس جزاؤه الا ان يسجن او العذاب الاليم بالضرب يعني ربما فسر العذاب الاليم بالضرب بالسياط
جمعت بين غرضين تنزيه ساحتها عند زوجها من الريبة و الغضب على يوسف وتخويفه طمعا في ان يواتيها طوعا ثم انها لحبها يوسف ولعل قالت الجنة
فذكرت السجن اولا ثم العذاب لان المحب لا يريد الم المحبوب ما امكن وايضا لم يصرح بذكر يوسف بل قالت من اراد باهلك سوءا بل قصدت العموم ليندرج يوسف فيه ودل قولها
الا ان يسجن اشعارا بان ذلك السجن غير دائم بخلاف قول فرعون لموسى لاجعلنك من المسجونين فيه اشعار بالتابيد قال يوسف هي راودتني عن نفسي وانما
صرح بذلك لانها عرضته للسجن والعذاب فوجب عليه الدفع عن نفسه ولولا ذلك لكتم عليها قال سبحانه وشهد شاهد من اهلها قال جمع من المفسرين الشاهد
ابن عم المرأة وكان رجلا حكيما اتفق في ذلك الوقت انه كان مع العزيز فقال قد سمعت الجلبة من وراء الباب وشق القميص الا انا لا ندري ايكما قدام صاحبه
فان كان شق القميص من قدام فانت صادقة والرجل كاذب وان كان من خلفه فالرجل صادق وانت كاذبة فلما نظروا الى القميص وراوا الشق من خلفه قال
ابن عمها انه من كيدكن وعن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك ان الشاهد ابن خال لها وكان صبيا في المهد وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه تكلم اربعة وهم صغار
ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم وعن مجاهد الشاهد هو القميص المشقوق من خلف وضعف بان القميص لا يوصف بالشهادة
ولا يكون من الاهل واعترض على القول الاول بان العلامة المذكورة لا تدل قطعا على براءة يوسف لاحتمال ان الرجل قصد المرأة
وهي قد غضبت عليه فقعدت خلفه كي تدركه وتضربه ضربا وجيعا واجيب بان هناك امارات اخر منها ان يوسف كان عبدا لهم والعبد لا يمكنه ان يتسلط
على مولاه الى هذا الحد ومنها قرينة الحال كون تبرج المرأة فوق المعتاد وما شوهد من احوال يوسف في مدة اقامته بمنزلهم واعترض على القول الثاني بان
شهادة الصبي خارق للعادة فتكون حجة قطعية فلم يبق للاستدلال بحال القميص ولا لكونه من اهلها فائدة وايضا لفظ لا يقع في العرف الا على من تقدم
معرفته بالواقعة والجواب ان تعيين الطريق في الاخبار والاعلام غير لازم وكون الشاهد من اهلها اوجب من اتم الحجة عليها والزم لها والشاهد ههنا
مجاز وجه حسنه انه ادى مؤدى الشاهد حيث ثبت به قول يوسف وبطل قولها قال في الكشاف التنكير في قبل ودبر معناه من جهة يقال لها قبل ومن
جهة يقال لها دبر انما الضمير في قوله فلما راى وفي قوله قال انه من كيدكن فقيل انه للشاهد الذي هو ابن عمها كما ذكرنا اي ان قولك وهو ما جزاء من اراد باهلك سوءا
وان هذا الامر وهو الذي افضى الى هذه الريبة من عملكن ان كيدكن عظيم قال بعض العلماء انا اخاف النساء اكثر مما اخاف الشيطان لان الله تعالى
يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم واقول لا شك ان القران كلام الله الا ان هذا حكاية قول الشاهد فلا يثبت به
ما ادعاه ذلك العالم ولو سلم فالمراد ان كيد الشيطان ضعيف بالنسبة الى ما يريد الله تعالى امضاءه وتنفيذه وكيد النساء عظيم بالنسبة الى كيد الرجال فانهن
يغلبنهم ويسلبن عقولهم اذا اعرضن انفسهن عليهم ولهذا قال عليه السلام النساء حبائل الشيطان ثم قال الشاهد يوسف اي يا يوسف فحذف حرف النداء اعرض
عن هذا الامر واكتمه ولا تحدث به واستغفري يا امرأة لذنبك الاستغفار اما من الزوج او من الله تعالى لانهم كانوا يثبتون الا له الاعظم ويعبدون الاصنام
شفعاء لهم قال يوسف لصاحبي السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار انك كنت من الخاطئين من المتعمدين للذنب يقال خطئ اذا
اذنب متعمدا والتذكير للتغليب قيل الضمير في راى وفي قال لزوج المرأة وانه كان قليل الغيرة فلذلك اكتفى منها بالاستغفار قاله ابو بكر الاصم
وقال نسوة هي اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير حقيقي لذلك حسن حذف التاء من فعله وقد يضم نونها قال الكلبي هن اربع في مدينة مصر
امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وزاد مقاتل امرأة الحاجب الفتى الغلام الشاب الفتاة الجارية قد شغفها اي خرق حبه
شغاف قلبها والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حبا نصب على التمييز وحقيقته شغفه اصاب شغافه كما يقال كبده اذا اصاب كبده
وكذا قياس سائر الاعضاء وقرئ بالعين المهملة اي احرقها مع تلذذ من شعف البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وقال ابن الانباري هذا من الشعف وهو رؤس
الجبال اي ارتفع محبته الى اعلى المواضع من قلبها انا لنريها في ضلال مبين الخطأ عن طريق الصواب فلما سمعت بمكرهن اغتيابهن وسوء قالتهن فيها وانما سمى
الاغتياب بالمكر لاشتراكهما في الاخفاء وقيل انهن اسررن كتمان سرها فشبهنه فسمي مكرا ارسلت اليهن تدعوهن وقيل انما قلن ذلك ليتوسلن
الى رؤية يوسف فلهذا سمي مكرا وقيل كن اربعين واعتدت وهيأت لهن متكأ موضع اتكاء واصله موتكأ لانه من توكأت ابدلت الواو تاء ثم ادغمت
المراد هيأت لهن نمارق يتكئن عليها كعادة المترفات كانها قصدت بذلك تهويل يوسف من مكرها اذ خرج على اربعين نسوة مجتمعات في ايديهن
السكاكين توهمن انهن يثبن عليه وقيل المتكأ مجلس الطعام لانهن كانوا يتكئون للطعام والشراب والحديث على هيئة المتنعمين ولذلك نهي ان ياكل الرجل
متكئا واتت كل واحدة منهن سكينا ليعالجن بها ما ياكلن بها وقيل اراد بالمتكأ الطعام على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له متكأ وقال مجاهد
هو طعام يحتاج الى ان يقطع بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالة القطع وقرئ متكا مضموم الميم ساكن التاء مقصور وهو الاترج فلما رأينه اكبرنه
اعظمنه وهبن ذلك الجمال وكان احسن خلق الله الا ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان املح قيل كان يشبه ادم يوم خلقه ربه وما كان احد يستطيع وصفه وكان يرى تلالؤ
وجهه على الجدران وقد ورث الجمال من جدته سارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التي عرج بي الى السماء فقلت لجبرئيل من هذا فقال يوسف
فقيل يا رسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقال الازهري اكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال اكبرت المرأة اي دخلت في الكبر بالحيض و
حيضهن ع بان المرأة اذا فزعت سقطت ولدها وحاضت فالمراد حضن دهشا وقيل اكبرنه لما رأين عليه من نور النبوة وسيما الرسالة واثار

تو انها خوفا ان ١٢

الخضوع والاخبات والاخلاق الفاضلة الملكية كعدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح فلذلك وقعت الهيبة والرعب في قلوبهن وقطعن ايديهن اي
جرحنها بانهن يعرفن الفاكهة من اليد وبان لم يفرقوا بين الجانب الحادّ من السكين وبين مقابلة فوقع الطرف الحادّ في ايديهن وكفهن وحصل الاعتماد على
ذلك الطرف فجرح الكف وفي هذا القول شدة الملاءمة لقولهن حاش لله اي تنزّه عما يشينه من خصلة ذميمة إن هذا الا ملك كريم في الستر والعفة و
الطهارة واما قول من خافه فذلكن الذي لمتنني فيه فانما ينطبق على هذا التاويل من حيث ان الصورة الحسنة مع العفة الكاملة توجب حصول الياس من الوصال
وحصول الغرض المجازي وذلك يستتبع فرط الحيرة وزيادة العشق وعلى القولين الاولين فالمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله كما في
قولهن حاش لله ما علمنا عليه تعجبن من قدرته على خلق عفيف مثله قال صاحب الكشاف حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء واللام في لله
للبيان من يراد تنزيهه وهي حرف الخلق وضع موضع التنزيه والبراءة وقال ابو البقاء الجمهور على انه ههنا فعل لدخوله على حرف الجر وفاعله مضمر وحذف
الالف من اخره فللتخفيف وكثرة دورها على الالسنة تقديره حاشى يوسف اي بعد عن المعصية لخشية الله وما في ما هذا بشرا
اعمال ما عمل ليس لغة حجازية ان هذا اي ما هذا الشخص الا ملك كريم استدل بعضهم بالاية على افضلية الملك كما مر في اول سورة البقرة فالواو
انما قلن ذلك لما ركز في العقول ان لا احسن من صورة الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من صورة الشيطان واعترض عليه بانه لا مشابهة بين صورة الانسان و
صورة الملك واجيب بعد التسليم بتغيير المدعى وهو انهن اردن المشابهة في الاخلاق الباطنة وبها يحصل المطلوب وزيف بان قول النساء لا يصلح
للحجة وفي الاية دلالة على العفو باللوم احق لانه لحقهن بنظرة واحدة ما لحقها في مدة طويلة وانظار كثيرة فلذلك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه مسئلة
ههنا ان يوسف كان حاضرا فلم اشارت بعبارة البعيد واجاب ابن الانباري بانها اشارت اليه بعد انصرافه من المجلس وهذا شيء يتعلق بالنقل
واما علماء البيان فانهم بنوا الامر على ان يوسف حاضر واجابوا بانها لم تقل هذا رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به واستبعاد المحله او
هو اشارة الى المعنى بقولهن في المدينة عشقت عبدها الكنعاني كانها قالت هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه
يعني انكن لم تصورنه حق تصويره ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتنني في الافتتان به ولما اظهرت عذرها عند النسوة صرحت بحقيقة الحال فقالت و
لقد راودته عن نفسه فاستعصم قال السدي اي بعد حل السراويل والذين يثبتون عصمة الانبياء قالوا ان استعصم بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وفيه شهادة من المرأة على ان يوسف ما صدر عنه امر يخالف الشرع
والعقل اصلا ولئن لم يفعل ما امره قال في الكشاف معناه الذي امر به فحذف الجار كما في امرتك الخير وما مصدرية والضمير ليوسف اي امري
اياه اي موجب امري ومقتضاه وليكونن من الصاغرين هي نون التاكيد الخفيفة ولهذا يكتب بالالف والصغار الذل والهوان ومعلوم ان
التوعد بالصغار له تاثير عظيم في حق من كان رفيع النفس جليلها امثال يوسف ثم انه اجتمع على يوسف في هذه الحالة انواع من المحن والفتن منها ان زليخا كانت
في غاية الحسن ومنها انها كانت ذات مال وثروة ولو قدرت ان تبذل الكل ليوسف على تقدير ان يساعدها ومنها ان النسوة اجتمعن عليه مرغبات
مخوفات ومنها انها كانت في اقتدار ومكنة وكان خائفا من شرها ومن اقدامها على قتله ولا ريب ان نطاق عصمة البشرية يضيق عن بعض هذه الاسباب فضلا
عن كلها وعن ازيد منها ولهذا التجأ يوسف الى الله تعالى قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه لان السجن وان كان مشقة فهو زائل والذي يدعونه
اليه وان كان لذة الا انها عاجلة مستعقبة للخزي في الدنيا وعذاب الاخرة والا تصرف عني كيدهن بترجيح داعية الخير وغروب النفس ومزيد الالطاف والعصمة
اصب اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو الى روحها واكن من الجاهلين الذين لا يعملون بما يعلمون ولا يكون في علمهم فائدة او
السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح ولما كان في قوله والا تصرف معنى الدعاء وطلب الصرف قال سبحانه فاستجاب له ربه ثم ان المرأة اخذت في الاحتيال
وقالت لزوجها ان هذا العبد العبراني فضحني في الناس ويقول لهم في المجالس اني راودته عن نفسي وانا لا اقدر على اظهار عذري فاما ان تأذن لي
فاخرج فاعتذر واما ان تحبسه كما حبستني فعند ذلك وقع في قلب العزيز ان الاصلح حبسه حتى ينسى الناس هذا الحديث فذلك قوله
تعالى ثم بدا اي ظهر لهم للعزيز ومن يليه او له وحده والجمع على عادتهم في تعظيم الاشراف من بعد ما راوا الآيات الدالة على براءة يوسف من شهادة
الصبي واعتراف المرأة وشهادة النسوة له بالستر والملكية والعفة وفاعل بدا مضمر لان ظهر لهم رأي او سجنه وانما حذف لدلالة ما يفسره عليه
وهو ليسجننه والقسم محذوف حتى حين الى زمان ممتد عن ابن عباس الى زمان انقطاع القالة وما شاع في المدينة وعن الحسن خمس سنين وعن
غيره سبع سنين وعن مقاتل انه حبس اثنتي عشرة سنة التاويل لما اخرجوا يوسف القلب من جب الطبيعة ذهبوا به الى مصر الشريعة فاشتراه عزيز
مصرها وهو الدليل المرشد على جادة الطريقة ليوصله الى عالم الحقيقة فقال لامرأته وهي الدنيا اكرمي مثواه اخدميه بقدر الحاجة الضرورية
عسى ان ينفعنا حتى يكون صاحب الشريعة فيتصرف في الدنيا باكسير النبوة فيصير ببركة الشريعة حقيقة والدنيا اخرة او نتخذه ولدا نربيه
بلبان ثدي الشريعة والطريقة الى ان يبلغ العظام ام عن الدنيا الدنية وكذلك مكنا يشير الى ان تمكين يوسف القلب في ارض البشرية انما هو
لنعلم العلم اللدني لان الثمرة انما تظهر على الشجرة اذا كان اصل الشجرة راسخا في الارض والله غالب على امره القلبي في توجهه الى محبة الله وطلبه او على امر الغالب
بجذبات العناية واقامته على الصراط المستقيم فتكون تصرفاته بالله ولله وفي الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم خلقوا مستعدين لهذا الكمال
وكذلك نجزي المحسنين اي كما افضنا على القلب ما هو مستحقه من الحكمة والعلم كذلك نجزي الاعضاء الرئيسة والجوارح اذا احسنوا الاعمال والاخلا

لان الوقف عليها بالالف

على قاعدة الشريعة والطريقة فخر الجزاء وهو التبليغ الى مقام الحقيقة وفي وراودته اشارة الى ان يوسف القلب اذا استغرق في بحر صفات الالوهية لا ينقطع عنه تصرفات زليخا الدنيا ما دام هو فيها اي في الجسد الدنياوي وغلقت الابواب اركان الشريعة وقالت هيت لك اقبل الي واعرض عن الحق قال اي القلب الفاني عن نفسه الباقي ببقاء ربه معاذ الله عما سواه احسن مثواي في عالم الحقيقة انه لا يفلح الظالمون الذين يقبلون على الدنيا ويعرضون عن المولى وهم بها فوق الحاجة الضرورية لولا ان رأى برهان ربه وهو نور خصلة القناعة التي هي من نتائج نظر العناية لنصرف عنه السوء الحرص على الدنيا والفحشاء بصرف حب الدنيا فيه انه من عبادنا المخلصين الذين خلصوا من سجن الوجود المجازي ووصلوا الى الوجود الحقيقي واستبقا باب الموت الاختياري وقدت قميص بشريته من دبر بيد شهواتها قبل خروجه من الباب والفيا سيدها وهو صاحب الولاية ومربيه يوسف القلب زوج زليخا الدنيا لانه متصرف في الدنيا كما ينبغي بتمر الوجب في المراة وشهد شاهد من اهلها هو حاكم العقل العزيز دون العقل المجرد الذي هو ليس من الدنيا واهلها في شيء فبين حاكم العقل انه يتصرف في زليخا الدنيا لا يصل الى يوسف القلب الا بواسطة قميص البشرية ان كيدكن عظيم وهو قطع طريق الوصول الى الله العظيم على القلب السليم يوسف اعرض عن هذا فان ذكر الدنيا يورث محبتها وحب الدنيا رأس كل خطيئة وقال نسوة هي الصفات البشرية من البهيمية والسبعية والشيطانية في مدينة الجسد تراود فتاها لان الرب اذا تجلى للعبد خضع له كل شيء ادنيا اخدمي من خدمني اعتدت لهن متكأ الطعمة مناسبة لكل منها وآتت كل واحدة منهن سكينا الذكر وقالت اخرج عليهن اشارة الى غلبات احوال القلب على الصفات البشرية وقطعن ايديهن بالذكر عما سوى الله ثم بدا لهم اي ظهر لموكلي القلب بلسان الشريعة وهو شيخ الطريقة ومن يراعي صلاح حال القلب من بعد ما رأوا آثار عناية الله وعصمة القلب من الالتفات الى ما سواه ليسجننه في سجن الشرع الى حين قطع تعلقه عن الجسد بالموت نظيره واعبد ربك حتى يأتيك اليقين واذا كان النبي مع نهايته كما له مامورا بان يكون مسجونا في هذا السجن فكيف لمن دونه والله اعلم ودخل معه السجن فتيان قال احدهما اني أراني اعصر خمرا وقال الآخر اني أراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما ذلكما مما علمني ربي اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله امر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا واما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الامر الذي فيه تستفتيان وقال للذي ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا اضغاث احلام وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلا مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم القراآت اني اراني اعصر في الموضعين بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو وافق ابن كثير في اراني كليهما الباقون بسكون ياء المتكلم في الكل نبئنا بغير همزة يزيد والاعشى وحمزة في الوقف بتاويله بالمختلسة الحلواني عن قالون نبأتكما مثل انبأنا ربي اني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو آبائي بالفتح ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر لعلي ارجع بالفتح ابو جعفر ونافع وابو عمرو رؤياي بالامالة علي وحمزة وخلف ابو عمرو بالامالة اللطيفة والقول في ترك الهمزة مثل ما تقدم للرؤيا بامالة علي وابو عمرو بالامالة اللطيفة لعلي ارجع بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد عن ابن ذكوان وابو عمرو دأبا بفتح الهمزة حفص الآخرون بالسكون يعصرون بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والمفضل الباقون على الغيبة ما بال النسوة بضم النون الشموني ربي نفسي ربي بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو الوقوف فتيان ط خمرا ج فصلا بين القصتين مع اتفاق الجملتين الطير منه ط للعدول عن قول احدهما الى قولهما المضمر نبئنا بتأويله ج لاحتمال التعليل المحسنين ان يأتيكما ط ربي ط كافرون ويعقوب ط من شيء ط لا يشكرون القهار ط من سلطان ط الا لله ط الا اياه ط لا يعلمون خمرا ج فصلا بين الجوابين مع اتفاق الجملتين من رأسه ط لان قوله قضي جواب قولهما كذبنا وما رأينا رؤيا تستفتيان ط لاستيناف حكاية اخرى عند ربك سنين ط يابسات تعبرون احلام للنفي مع العطف بعالمين فارسلون يابسات لتعلق لعلي يعلمون دأبا للشرط مع الفاء تأكلون تحصنون يعصرون ائتوني به ايديهن عليم عن نفسه ط من سوء الحق لانقطاع النظم واتصال المعنى لتضاد القائل الصادقين الخائنين الجزء الثالث عشر نفسي للحذف اي الا ما رحم ربي ط رحيم التفسير تقدير الكلام



فحبسوه ودخل معه اى صاحباله فى الدخول السجن فتيان غلامان للملك لاكبر خبازه وشرابيه نقلا عن ائمة التفسير واستدلالا برؤياهما
المناسبة لحرفتهما رفع الى الملك انهما ارادا سمه فى الطعام والشراب فامر بادخالهما السجن ساعة اذ دخل يوسف قال احدهما انى ارانى اى فى المنام اقوطها
نبئنا بتاويله هو حكاية حال ماضية اعصر خمرا اى عنبا تسمية للشئ باسم مايؤل اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم العنب والضمير فى قوله بتاويله يعود
الى ما قصا عليه وقد يوضع علامة الضمير موضع اسم الاشارة كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك انا نريك من المحسنين عبارة الرؤيا وكان اهل السجن يقصون
عليه رؤياهم فهو مطالعهم او نريك من العلماء عرفا ذلك بالقرائن او من المحسنين فى طاعة الله وطلب مرضاته ففرج عنا الغم بتاويل ما رايناه ان كانت
لك يد فى تاويل الرؤيا وعن قتادة وكان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا توجروا فقالوا ما احسن وجهك وما احسن
خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فقال انا يوسف صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى
احسن جوارك فكن فى اى بيوت السجن شئت وعن الشعبى ومجاهد انهما تحالماه ليمتحناه فقال الشرابى ارانى فى بستان فاذا باصل كرم عليه ثلثة عناقيد
من عنب فقطفتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى ارانى وفوق راسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا ياتيكما
طعام الى اخره هذا ليس بجواب لما ظاهرا وانما قدم هذا الكلام لوجوه منها ان احد التعبير لما كان هو الصلب كان فى سماعه كراهة ونفرة اراد
ان يقدم قبله ما يوثق بقوله ويخرجه عن معرض التهمة والعداوة او اراد ان يبين علو مرتبته فى العلم وانه ليس من المعبرين الذين يعبرون
عن ظن وتخمين ولهذا قال السدى اراد لا ياتيكما طعام ترزقانه فى النوم بين بذلك ان علمه بتاويل الرؤيا ليس مقصورا على شئ دون غيره وقيل انه محول
على اليقظة وانه ادعى معرفة الغيب كقول عيسى وانبئكم بما تاكلون اى اخبركما قبل ان ياتيكما انه اى طعام هو واى لون هو وكم هو وكيف
يكون عاقبته اهو صالح نافع وان فيه سما ام لا وروى ان الملك كان اذا اراد قتل انسان صنع له طعاما مسموما فارسله اليه ثم قال ذلكما اى هذا التاويل
والاخبار بالمغيبات من قبيل الوحى والالهام لا من التكهن والتنجيم الذى يكثر فيهما وقوع الخطاء ثم شرع فى تكرير ملته مشيرا فيه الى انه رسول من عند الله ومنبها
على ان الاشتغال بمصالح الدين احق من الاشتغال بمصالح الدنيا حتى ان الرجل الذى سيصلب لعله يسلم فلا يموت على الكفر فقال انى تركت اى رفضت بل ما كنت قط ويجوز
ان يكون قبل ذلك غير مظهر للتوحيد خوفا منهم لانه كان تحت ايديهم وانما كرر لفظ هم تنبيها على انهم مخصوصون فى ذلك الزمان بانكار المعاد وتعريضا بان
اهل مصر السجن بعد معاينة الايات الشاهدة على براءته لا يصدر الا عمن ينكر الجزاء اشد انكار ثم ذكر انه اتبع ملة ابائه الانبياء فى الاصول التى لا يتبدل بتبدل
الشرائع ومعنى التنكير فى قوله من شئ الرد على كل طائفة خالفت الملة الحنيفية من عبدة الاصنام والكواكب وغيرهم ذلك التوحيد من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعمة الله الايمان او بعد اعطاء القدرة والاختيار الايمان فلا ينظرون فى الدلائل وهذا يناسب اصول المعتزلة وعن بعضهم انا لا
نشكر الله على الايمان بل الله يشكرنا عليه كما قال فاولئك كان سعيهم مشكورا يا صاحبى السجن اراد يا صاحبى فى السجن كقوله يا سارق الليلة خصهما بهذا النداء
لانهما دخلا السجن معه او اراد يا ساكنى السجن كقوله اصحاب النار فسبب التعيين انهما استفتياه من بين الساكنين ثم انكر عليهم عبادة الاصنام فقال ارباب متفرقون
فى العدد والجهة وفيما يتبعها من اختلاف الاعراض والابعاض خير ام الله الواحد القهار لان وحدة المعبود يستدعى توحد المطلب وتفرد المقصد
وكونه قهارا غالبا غير مغلوب من حيث يوجب حصول كل ما يرجى منه من ثواب صالح اذا تعلقت ارادته بذلك فلا يصلح للمعبودية الا هو ولا يصلح حقيقة الالهية
فى غيره فلذلك قال ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها اى سميتم الالهة بتلك الاسماء انتم واباؤكم والخطاب لهما ولمن على دينهما من اهل مصر كانهم
لا يعبدون الا اسماء فارغة عن المسميات ما انزل الله بها بتسميتها من سلطان اى حجة ثم لما نفى معبودية الغير بين ان لا حكم فى امر الدين والعبادة الا له
فى الحكم فقال ان الحكم الا لله ثم ذكر ما حكم به فقال امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم الثابت بالبراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه
مبدا المبادى والمعاد الحقيقى فيتخذون غيره معبودا او يجعلون لغيره من الاصنام والاجرام بالاستقلال فعلا وتاثيرا ثم شرع فى اجابة مقترحهما وهو تاويل
رؤياهما فقال اما احدكما يعنى الشرابى فيسقى ربه سيده خمرا يروى انه قال له ما رايت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلثة فانها ثلثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقال للثانى ما رايت من السلال ثلثة ايام ثم تخرج فتصلب فتاكل الطير من راسك
قوله قضى الامر قال فى الكشاف انما وحد الامر وهما امران مختلفان استفتيا فيهما لان الامر المراد بالامر اتهامهما بسم الملك وما سجنا لاجله فكانهما
استفتياه فى الامر الذى نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك استدلالا برؤياهما فقال ان ذلك الذى ذكرته من امر التاويل كائن لا محالة صدقتما او كذبتما
وقيل جحدا رؤياهما فلما علم الخباز ان تاويل رؤياه شر انكر كونه صاحب تلك الرؤيا فقال يوسف ان الذى حكمت به لكل منكما واقع لا بد منه ومن هنا
قالت الحكماء ينبغى ان لا يتصرف فى الرؤيا ولا يغير عن وجهها فان الفال على ما جرى وقال يوسف للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك اى اذكر عند الملك
انى مظلوم من جهة اخوتى اخرجونى وباعونى ثم انى مظلوم من جهة النسوة اللاتى حبسننى والضمير فى ظن ان كان للرجل الناجى فلا اشكال لانهما ما كانا مؤمنين بنبوة
يوسف بل كانا حسنى الاعتقاد فيه وكان قوله لا يفيد فى حقهما الا غلبة الظن وان عاد الى يوسف فيرد عليه انه كان قاطعا بنجاته فما معنى الظن واجيب بانه
انما ذكر ذلك التعبير بناء على الاصول المقررة فى ذلك العلم فكان كالمسائل الاجتهادية والاصح انه قضى بذلك على سبيل البت والقطع لقوله لا ياتيكما
طعام الى قوله ذلكما مما علمنى ربى فالظن على هذا بمعنى اليقين كقوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم اما الضمير فى قوله فانساه الشيطان فمن الناس من قال
انه يعود الى الرجل الناجى اى انساه الشيطان ذكر يوسف لسيده او عند سيده فاضافة الذكر الى الرب للملابسة لاجل انه فاعل او مفعول او المضاف

محذوف تقديره فانساه ذكر اخبار ربه واسناد الانساء الى الشيطان مجاز لان الانساء عبارة عن ازالة العلم عن القلب والشيطان لا قدرة له على ذلك
والا لازال معرفة الله من قلوب بني آدم وانما فعله القاء الوسوسة واحضار الهواجس التي هي من اسباب النسيان ومنهم من قال الضمير راجع الى يوسف والمراد بالرب
هو الله تعالى اي انساه الشيطان ان يذكر الله تعالى وعلى القولين عوتب باللبث في السجن بضع سنين والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة لانه القطعة من
العدد والبضع القطع ومثله العضب والاكثرون على ان المراد في الاية سبع سنين وعن ابن عباس كان قد لبث خمس سنين وقد اقترب خروجه فلما تضرع
الى ذلك الرجل لبث بعد ذلك سبع سنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك ما لبث في السجن وعن مالك انه لما قال اذكرني عند
ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن حبسك فبكى يوسف وقال طول البلاء انساني ذكر المولى فويل لاخوتي قال المحققون الاستعانة
بغير الله في دفع الظلم جائز فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن ابي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن
عيسى عليه السلام من انصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق الا ان يوسف عوتب على قوله اذكرني عند ربك لوجوه
منها انه لم يقتد بالخليل جده حين وضع في المنجنيق فلقيه جبريل في الهواء وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا مع انه اتبع ملة آبائه ومنها انه قال ما
كان لنا ان نشرك بالله من شيء وهذا يقتضي نفي الشرك على الاطلاق وتفويض الامر بالكلية الى الله سبحانه فقوله اذكرني عند ربك كالمناقض لهذا
الكلام ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله انه زعم انه رب بمعنى الاله الا ان اطلاق هذا اللفظ على غير الله لا يليق بمثله وان كان رب الدار ورب
الغلام مستعملا في كلامهم ومنها انه لم يقرن بكلامه ان شاء الله ولما دنا فرج يوسف رأى الملك في المنام سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات
عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على
الخضر حتى غلبن عليها فاضطرب الملك بسببه لان فطرته قد شهدت بان استيلاء الضعيف على القوي منذر بنوع من انواع الشر الا انه لم يعرف
تفصيله والشيء اذا علم من بعض الوجوه عظم الشوق الى تكميل تلك المعرفة لا سيما اذا كان صاحبه ذا قدرة وتمكين فبهذا الطريق امر الملك بجمع الكهنة
والمعبرين وقال يا ايها الملأ افتوني في رؤياي ثم انه تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه فاعجز الله اولئك الملأ عن جواب المسئلة وعماه عليهم حتى قالوا
اضغاث احلام ونفوا عن انفسهم كونهم عالمين بتأويلها واعلم ان الله سبحانه خلق جوهر النفس الناطقة بحيث يمكنها الصعود الى عالم الافلاك ومطالعة
اللوح المحفوظ الا ان المانع لها عن ذلك في اليقظة هو اشتغالها بتدبير البدن وبما يرد عليها من طريق الحواس وفي وقت النوم يقل تلك الشواغل فتقوى
النفس على تلك المطالعة فاذا وقفت الروح على حالة من تلك الاحوال فان بقيت في الخيال كما شوهدت لم يحتج الى التأويل وان نزلت آثار مخصوصة مناسبة
لذلك الادراك الروحاني الى عالم الخيال فهناك يفتقر الى المعبر ثم منها ما هي متسقة منتظمة يسهل على المعبر الانتقال من تلك المتخيلات الى الحقائق الروحانية
ومنها ما يكون مختلطة مضطربة لا يضبط تحليلها وتركيبها لتشويش وقع في ترتيبها وتأليفها فهي المسماة بالاضغاث وبالجملة الاضغاث ما يكون
مبدأها التشويش في القوة المتخيلة لفساد وقع في القوى البدنية او لورود امر غريب عليه من خارج لكن القسم المذكور قد يعد من الاضغاث من حيث انها
المعبر عن تأويلها ولنشتغل بتفسير الالفاظ اما الملك فريان بن الوليد ملك مصر وقوله اني ارى حكاية حال ماضية وسمان جمع سمينة وسمين وسمينة
يجمع على سمان كما يقال رجال كرام ونسوة كرام قال النحويون اذا وصف المميز فالاولى ان يوقع الوصف صفة للمميز كما في الاية دون العدد لانه ليس بمقصود بالذات فلهذا
قيل سمان بالجر ليكون وصفا لبقرات ويحصل التمييز لسبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن ولو نصب جعل تمييز السبع بجنس البقرات ولزم ان يعلم من الوصف
ان المميز بالجنس موصوف بالسمن والعجف هو الهزال الذي ليس بعده هزال والنعت اعجف وعجفاء وهما لا يجمعان على فعال ولكنه حمل على سمان لانه نقيضه وقوله
سبع عجاف تقديره بقرات سبع عجاف فحذف للعلم به كما في قوله واخر يابسات التقدير وسبعا اخر ولعله مضاف الجنس الى هذا العدد وانما لم يقل سبع عجاف
على الاضافة لان البناء الاتبع بالوصف حد وقولهم ثلثة فرسان وخمسة اصحاب لانه وصف جرى مجرى الاسم ولا يجوز ان يكون قوله واخر مجرورا عطفا
على تمييز الاول لان لفظ الاخر يأباه ويبطل مقابلة السبع بالسبع واراد بالملأ الاعيان من العلماء والحكماء واللام في للرؤيا للبيان كما قلنا في وكانوا فيه من الزاهدين
او لان عمل العامل فيما تقدم عليه ضعيف فيعضد باللام كما يعضد اسم الفاعل بها وان تأخر معموله او لان قوله للرؤيا خبر كان كقوله هو لهذا الامر اي
متمكن منه مستقل به وتعبرون خبر آخر او حال او تضمن تعبرون معنى ينتدبون لعبارة الرؤيا والفصيح عبرت الرؤيا بالتخفيف وقد يشدد واشتقاقه
من العبر بالكسر فالسكون وهو جانب النهر فيقال عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وعبرت الرؤيا اذا تأملت ناحيتها فانتقلت من احد
الطرفين الى الآخر والاضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من انواع النبت والحشيش مما طال ولم يقم على ساق والاضافة بمعنى من اي اضغاث من احلام والمعنى
الجمع ولكن الواحد قد يوصف كما يقال رمح اقصاد وبرمة اعشار فالمراد هو حلم اضغاث احلام وقد يطلق الجمع ويراد به الواحد كقولهم فلان يركب الخيل
ويلبس العمائم وان لم يركب الا فرسا واحدا ولم يلبس الا عمامة واحدة ويجوز ان يكون قد قص عليهم احلاما اخر واللام في الاحلام اما للعهد كأنهم
ارادوا المنامات الباطلة او للجنس ارادوا انهم غير متبحرين في علم تأويل الرؤيا ولما اعضل على الملأ تأويل رؤيا الملك تذكر الناجي يوسف وتأويله
رؤياه ورؤيا صاحبه المصلوب وتذكر قوله اذكرني عند ربك وذلك قوله سبحانه وادكر واصله اذتكر فقلبت التاء دالا لتناسب الذال ثم قلبت الذال دالا وادغمت
بعد امة اي بعد حين كأنها حصلت من اجتماع ايام كثيرة وقرئ بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بوزن عمه ومعناه انا انبئكم
بتأويله اخبركم به عمن عنده علمه فارسلون اليه لاسئله والخطاب للملك على الجمع للتعظيم او له وللملأ وحوله المعنى فرجع فارسلوه وعن ابن عباس لم يكن



النبوة في المدينة وههنا اضمار والمراد فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال يوسف ايها الصديق اى البليغ الكامل في الصدق وصفه بهذه الصفة لانه لم
ير احواله من قبل وفيه انه يجب على المتعلم تقديم ما يفيد المدح لمعلمه وانما اعاد عبارة الملك بعينها لان التعبير يختلف باختلاف العبارات وقوله لعلى ارجع فيه
نوع من حسن الادب لانه لم يقطع بانه يعيش الى ان يعود اليهم وعلى تقدير ان يعيش فربما عرض له ما يمنعه عن الوصول اليهم من الموانع التى لا تحصى كثرة و
كذا في قوله لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيخلصوك او يعلموا فتواك فيكون فيه نوع شك لانه راى عجز سائر المعبرين وقيل كرر لعل مراعاة
لفواصل الاى وان كان مقتضى النسق لعلى ارجع الى الناس فيعلموا ومثله في هذه السورة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون
قال يوسف في جواب الفتوى تزرعون سبع سنين وهو خبر في معنى الامر بعيد المبالغة في ايجاب ايجاد المامور به قال في الكشاف والدليل على كونه
في معنى الامر قوله فذروه في سنبله واقول يمكن ان يكون قوله تزرعون اخبارا عما سيوجد منهم في زمن الغيث والمطر لان الزرع يلازم نزول الامطار
عادة وقوله فما حصدتم ارشاد لهم الى الاصلح لهم في ذلك الوقت دابا بتسكين الهمزة وتحريكها مصدر داب في العمل اذا استمر عليه وانتصابه على
الحال اى تزرعون دائبين او على المصدر والحال فعله اى تدابون دابا وانما امرهم بان يتركوه في السنابل الا القدر الذى ياكلونه في الحال
لئلا يقع فيه السوس ثم ياتى من بعد ذلك فيه ما يدل على ان تزرعون اخبار لا امر سبع سنين شداد اى لشدتها على الناس يا كلن اى فاقد متم طعاما من
الاسناد المجازى لان الآكلين اهل تلك السنين لا السنون الا قليلا مما تحصنون تحرزون وتخبأون والاحصان جعل الشىء في الحصن كما
لاحراز جعل الشىء في الحرز اخبرانه ياتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس من الغوث او من الغيث يقال غيثت البلاد اذا امطرت وفيه يعصرون العنب
والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين ثم بشرهم بالبركة
في العام الثامن فقال المفسرون انه قد عرف ذلك بالوحى عن قتادة زاده الله علم سنة وقيل عرف بان السنة لا تقلبس بعد انتهاء الجدب لا الخصب والجواب انه لا
يلزم من انتهاء الجدب الخصب والخير الكثير فقد يكون توسط الحال وايضا في قوله وفيه يعصرون نوع تفصيل لا يعرف الا بالوحى ولما رجع الشرابى الى الملك وعرض
عليه التعبير استحسنه وقال ائتونى به فجعل الله سبحانه علمه سببا لخلاصه من المحنة الدنيوية فيعلم منه ان العلم سبب للخلاص من المحن الاخروية ايضا فلما جاءه الرسول
وهو الشرابى فقال اجب الملك قال يوسف ارجع الى ربك فسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ما شانهن وما حالهن ان ربى اى الله العالم
بخفيات الامور او العزيز الذى رباه بكيدهن عليم وعلى الاول اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره او استشهد بعلم الله على انه كيد اراد
الوعيد اى هو عليم بكيدهن فيجازيهن عليه وكيدهن ترغيبهن اياه في مواقعة سيدته او تقبيح صورته عند العزيز حتى يرضى بسجنه ومن لطايف الاية
انه اراد ان يسأل الملك ان يسأل عن باطن الامر لا انه راعى الادب فاقتصر على سؤال الملك عن كيفية الواقعة فان ذلك مما يحملهم على البحث والتفتيش ومنها انه
لم يذكر سيدته بسوء بل ذكر النسوة على التعميم ومع ذلك راعى جانبهن ايضا فوصفهن بتقطيع الايدى فقط لا بالترغيب في الخيانة عن النبى صلعم
لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجونى ولقد
عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثه لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان
كان لحليما ذا اناة قال العلماء ان الذى عمله يوسف هو اللائق بالحزم والعقل لانه لو خرج في الحال فربما بقى في قلب الملك من تلك التهمة اثر ولعل
الحساد يتسلقون بذلك الى تقبيح امره عنده وفى هذا التانى والتثبت تلاف لما صدر منه في قوله للشرابى اذكرنى عند ربك قال الملك بعد
احضار النسوة ما خطبكن ما شانكن العظيم اذ راودتن يوسف هل وجدتن منه ميلا اليكن او الى زليخا قيل الخطاب لزليخا والجمع للتعظيم وقيل خاطبهن
جميعا لانه كل واحدة منهن راودت يوسف لنفسها او لاجل امرأة العزيز قلن حاش لله تعجبا من عفته ونزاهته قالت امرأة العزيز حين عرفت انه لا
بد من الاعتراف الآن حصحص الحق وضح وانكشف وتمكن في القلوب من قولهم حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة والاستقرار على الارض وقال الزجاج
اشتقاقه من الحصة اى بانت حصة الحق من حصة الباطل اما قوله سبحانه ذلك ليعلم الى تمام الايتين ففيه قولان الاول وعليه الاكثرون انه حكاية
قول يوسف قال الفراء ولا يبعد وصل كلام انسان بكلام انسان آخر اذا دلت القرينة الصارفة لكل منهما الى ما يليق به والاشارة الى الحادثة الحاضرة
بقوله ذلك لاجل التعظيم والمراد ما ذكر من رد الرسول والتثبت واظهار البراءة وعن ابن عباس انه لما دخل على الملك قال ذلك وفى الاظهر انه قال ذلك
في السجن عند عود الرسول اليه ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اى وانا غائب عنه او من المفعول اى وهو غائب عنى او على الظرف اى بمكان
الغيب وهو الاستتار وراء الابواب المغلقة قيل هذه كون نعت الصفة في حق العزيز فكيف قال ذلك ليعلم الملك واجيب بانه اذا خان وزيره
فقد خان الملك من بعض الوجوه او اراد ليعلم الله لان المعصية خيانة او المراد ليعلم الملك انى لم اخن العزيز او ليعلم العزيز انى لم اخنه وليعلم
ان الله لا يهدى كيد الخائنين لا ينفذه ولا يسدده وفيه تعريض بامرأته الخائنة وبالعزيز حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه فكانه خان
حكم الله وفيه تاكيد لامانته وانه لو كان خائنا لما هداه الله كيده ولا يخفى ان هذه الكلمات من يوسف مع الشهادة الجازمة والاعتراف الصريح من المرأة
دليل على نزاهة يوسف من كل سوء قال اهل التحقيق انما راعى حرمة سيدته في قوله ما بال النسوة اللاتى دون ان يقول ما بال زليخا اراد ان
يكافئها على هذا الفعل الحسن فلا جرم ازالت الغطاء واعترفت بان الذنب كله منها فانظره ما يحكى ان امرأة جاءت بزوجها الى القاضى وادعت عليه
المهر فامر القاضى بان يكشف عن وجهها حتى يتمكن الشهود من اداء الشهادة فقال الزوج لا حاجة الى ذلك فانى مقر بصداقها في دعواها فقالت المرأة لما

او ضلالي هذا الحد فاشهدوا اني بريء منه من كل حق لي عليه ولما كان قول يوسف ذلك ليعلم جاريا مجرى تزكية النفس على الاطلاق في هذه
الواقعة وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم اتبع ذلك قوله وما ابرئ نفسي ان النفس اي هذا الجنس لامارة بالسوء مبالغة في القبائح راغبة في المعاصي
وفيه ان تلك الخيانة انما كان حظ النفس وشرها ولكن كان بتوفيق الله تعالى وتسهيله وصرفه الا ما رحم ربي بالعصمة كالملائكة او المراد انها امارة
بالسوء في كل وقت واوان الا وقت رحمة ربي او الاستثناء منقطع اي ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة القول الثاني انه حكاية قول المرأة لا
يوسف عليه السلام ما كان حاضرا في ذلك المجلس والمعنى وان كنت احلت عليه الذنب عند حضوره ولكني ما احلته عليه في غيبته حين كان في السجن وان الله لا يهدي
فيه تعريض بانها لما اقدمت على المكر فلا جرم ظهر الله سترها وما ابرئ نفسي من الخيانة مطلقا فاني قد خنته حين قلت ما جزاء من اراد باهلك سوءا
او حين اودعته السجن ثم انها اعتذرت عما كان منها فقالت ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي كنفس يوسف ان ربي لغفور رحيم استغفرت
ربها واسترحمته مما ارتكبت قال المحققون النفس الانسانية شيء واحد فاذا مالت الى العالم العلوي كانت مطمئنة واذا مالت الى العالم السفلي والى
الشهوة والغضب سميت امارة وفي هذا اي غلب احوالها لالفها الى العالم الحسي وقرارها فيه فلا جرم اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة
فلهذا قيل انها من حيث هي امارة بالسوء واذا كانت تنجذب مرة الى العالم العلوي ومرة الى العالم السفلي سميت لوامة ومنهم من زعم ان النفس المطمئنة هي
الناطقة العلوية والنفس الامارة منطبعة في البدن محلها على الشهوة والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وتمسكت الاشاعرة بقوله الا ما رحم ظاهر لانه
دل على ان صرف النفس عن السوء بخلق الله وتكوينه وحملته المعتزلة على منح الالطاف والله اعلم بالحقائق وفي التاويلات لما ادخل يوسف القلب سجن
الشريعة دخل معه غلامان ملك الروح هما النفس والبدن فان الروح العلوي لا يعمل عملا في السفل الدنيوي الا من شرب النفس فهو صاحب شرابه والبدن
يهيئ من الاعمال الصالحة ما يصلح لغذاء الروح فان الروح لا يبقى الا بغذاء روحاني كما ان الجسم لا يبقى الا بغذاء جسماني وانما حبسا في سجن الشريعة لانهما
متهمان بجعل سم الهوى والمعصية في شراب ملك الروح وطعامه وفي رؤياهما دلالة على انهما من اهل الدنيا واهل الدنيا نيام فاذا ماتوا انتبهوا نبئنا بتاويله انا نراك من
المحسنين الذين يعبدون الله عيانا وشهودا اني تركت ملة قوم فيه اشارة الى ان القلب مع انه ترك ملة النفس والهوى والطبيعة علمه الله علم الحقيقة اما
احدكما فيسقي ربه اي سيده باقداح المعاملات والمجاهدات شراب المكشوفات والمشاهدات وهي باقية في خدمة ملك الروح ابدا واما الآخر وهو
البدن فيصلب بخشبة الموت فتاكل الطير اعوان ملك الموت من رأسه الخيالات الفاسدة قضي في الازل هذا الامر اذكرني عند ربك يعني ان القلب
المسجون في بدء امره يلهم النفس بان تذكر المعاملات المستحسنة الشرعية عند الروح ليتقوى بها الروح وينتبه عن نوم الغفلة الناشئة من الحواس
الخمس ويسعى في استخلاص القلب عن اثر الصفات البشرية بالمعاملات الروحانية مستمدا من الالطاف الربانية ثم ان الشيطان بوساوسه محا عن
النفس اثر الهام القلب فانساه الشيطان انسى القلب ذكر الله حين استغاث النفس ليذكره عند الروح ولو استغاث بالله لخلصه في الحال فلبث في
السجن بضع سنين اشارة الى الصفات البشرية السبع التي بها القلب محبوس وهي الحرص والبخل والشهوة والحسد والعداوة والغضب والكبر اني
ارى سبع بقرات سمان هن الصفات المذكورة ياكلهن سبع عجاف هن اضدادها وهي القناعة والسخاوة والعفة والغبطة والشفقة والحلم
والتواضع يا ايها الملأ يعني الاعضاء والجوارح والحواس والقوى افتوني فيما رايت في غيب الملكوت وما نحن بتاويل الاحلام اي ليس التصرف في
الملكوت وشواهدها من شاننا فارسلون فيه ان النفس اذا ارادت ان تعلم شيئا مما يجري في الملكوت ترجع بقوة المتفكرة الى القلب فتستخبره
فالقلب ترجمان بين الروحانيات والنفس فيما يفهمهم من لسان القلب الغيبي ايها الصديق لانه صدق فيما يرى من شواهد الحق ويصدق فيما
يوحي الى الخلق ما كذب الفؤاد ما راى حدثني قلبي عن ربي وفي الكشاف ارجع الى الناس اي الى الاجزاء الانسانية تزرعون سبع سنين اشارة الى
تربية الصفات البشرية السبع بالعادة والطبيعة في اوان الطفولية فذروه في سنبله اي ما حصلتم من هذه الصفات فذروه في اماكنه
ولا تشغلوه الا قليلا مما تعيشون به الى اوان البلوغ وظهور نور العقل فمصباح السر في زجاجة القلب كانه كوكب دري ثم اذا ايد نور لطيفه
العقل بانوار تكاليف الشرع وشرف بالهام الحق في اظهار فجور النفس وتقويها فيزكيها عن هذه الصفات ويحليها بالصفات الروحانية السبع فكان
السبع العجاف كان السبع السمان وانما سمي ما هو من عالم الارواح عجافا للطافتها وما هو من عالم الاجسام سمانا لكثافتها الا قليلا مما تحصنون
به الانسان حيوة قالبه ثم ياتي من بعد ذلك عام اي بعد غلبات الصفات البشرية تظهر مقام فيه يتدارك السالك جذبات العناية
فيه يبرأ العبد من معاملاته وينجو من حبس وجوده وحجب انانيته ولما اخبر القلب بنور الله ما راه الروح في عالم الملكوت وتاوله استحق قرب الروح
وصحبته فاستدعى حضوره على لسان رسول النفس فرده اليه فقال سله ما بال النسوة لان الاوصاف الانسانية لما راين جمال القلب المتنور بنور
الله قطعن ايديهن من ملاذ الدنيا وشهواتها واثرن السعادة الاخروية على الشهوات الفانية ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي القلب المنظور نظر
العناية لما غاب عن حضرة الروح لاشتغاله بتربية النفس والقالب ما خانه بالالتفات الى الدنيا ونعيمها وان الله لا يهدي كيد الخائنين
الذين يبيعون الدين بالدنيا ثم قال اظهارا للعجز عن نفسه والفضل من ربه وما ابرئ نفسي ان النفس جبلت على الامارية ولكن اذا رحمها
ربها بفضله وبعثها فاذا النفس صبح الهداية صارت لوامة نادمة على فعلها والندم توبة واذا طلعت شمس العناية صارت ملهمة فالهمها فجورها
وتقويها واذا بلغت الشمس العناية وسط سماء الهداية اشرقت الارض بنور ربها وصارت النفس مطمئنة مستعدة لجذبة ارجعي الى ربك راضية



مرضيتها إن ربي غفور رحيم لنفس تابت ورجعت إليه رحيم لمن أحسن طاعته وعبادته والله حسبنا ونعم الوكيل وقال الملك ائتوني به
أستخلصه لنفسي فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم وكذلك مكنا
ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون
وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي
الكيل وأنا خير المنزلين فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون قالوا سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون وقال لفتيانه
اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل
فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين
ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد
كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلا أن يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله
على ما نقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت
وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه
لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون القراءة حيث نشاء بالنون ابن كثير الآخرون بياء الغيبة إني أوفي بفتح ياء المتكلم نافع
غير إسمعيل لفتيانه خير حافظا حمزة وعلي وخلف غير أبي بكر وحماد الباقون لفتيته خير حفظا يكتل بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون
يؤتوني بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد وإسمعيل في الوصل الوقوف لنفسي ج أمين ط الأرض ج لانقطاع النظم مع اتصال
المعنى عليم ط في الأرض ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال حيث نشاء ط المحسنين ط يتقون ط منكرون ط من أبيكم ج لحق الاستفهام مع اتحاد القائل
المنزلين ه ولا تقربون ه لفاعلون ه يرجعون ه لحافظون ه من قبل ط لانتهاء الاستفهام إلى الإخبار حافظا ص الراحمين ه إليهم ط لتمام جواب لما ما نبغي ط لأن ما بعده جملة مستأنفة
موضحة للاستفهام منه قبلها ردت إلينا ج لاحتمال العطف والاستئناف على تقدير ونحن نمير كيل بعير ط يسير ه بكم ج لأن قال الله قيل يسكت بين الفعل والاسم لأن القائل يعقوب
لا أن الله سبحانه والأحسن أن يفرق بينهما بقوة النغمة فقط لئلا يلزم الفصل بين القائل والمقول وكيل ه متفرقة ط من شيء ط لله ط توكلت ج المتوكلون ه أبوهم
لأن جواب لما محذوف أي سلموا بإذن الله قضاها ط لا يعلمون ه التفسير الأظهر أن هذا الملك هو الريان لا العزيز لأن قوله أستخلصه لنفسي يدل على أنه قبل
ذلك ما كان خالصا له وقد كان يوسف قبل ذلك خالصا للعزيز وفي قول يوسف اجعلني على خزائن الأرض دلالة أيضا على ما قلنا والاستخلاص طلب خلوص الشيء من
شوائب الاشتراك ومن عادة الملوك أن ينفردوا بالأشياء النفيسة وروي أن جبرائيل دخل على يوسف في السجن وقال قل اللهم اجعل لي من عندك فرجا
ومخرجا وارزقني من حيث لا أحتسب فقبل الله دعاءه وأظهر هذا السبب في تخليصه فجاءه الرسول وقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله وكتب
على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل
على الملك قال اللهم إني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه فلما كلمه احتمل أن يكون ضمير الفاعل ليوسف وللملك
وهذا أولى لأن مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم يروى أن الملك قال له أيها الصديق إني أحب أن أسمع رؤياي منك قال رأيت بقرات
فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك بعينها فتعجب من وفور علمه وحدسه وكان قد علم
من حاله ما علم من نزاهة ساحته وعدم مسارعته في الخروج من السجن وقد وصفه الشرابي من جده في الطاعة والإحسان إلى سكان السجن ما وصف فعظم
اعتقاده فيه فعند ذلك قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ويندرج في المكانة كمال القدرة والعلم أما القدرة فظاهرة وأما العلم فلأن كونه متمكنا
من أفعال الخير يتوقف على العلم بأفعال الخير وبأضدادها وكونه أمينا متفرع على كونه حكيما لأنه لا يفعل الفعل لداعي الشهوة وإنما يفعله لداعي الحكمة قال
المفسرون لما حكى يوسف رؤيا الملك وعبرها بين يديه قال له الملك فما ترى أيها الصديق قال أرى أن تزرع في هذه السنين المخصبة زرعا كثيرا و
تبني الخزائن والأهراء وتجمع الطعام فيها فيأتيك الخلق من النواحي ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد من قبلك فقال الملك ومن لي
بهذا الشغل فقال يوسف اجعلني على خزائن الأرض اللام للعهد أي ولني خزائن أرض مصر والخزائن جمع الخزانة وهي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء إني
حفيظ أي حفيظ للأمانات وأموال الخزائن عليم بوجوه التصرف فيها على وجه الغبطة والمصلحة وقيل حفيظ لوجوه أياديكم عليم بوجوب مقابلتها بالطاعة و
الشفقة قالوا وهكذا الطلب خطيئة منه فكانت عقوبته أن أخر عنه المقصود عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته لكنه لما قال ذلك أخره الله تعالى عنه سنة وقال آخرون إن التصرف في أمور الخلق كان واجبا عليه لأن النبي يجب عليه رعاية
الأصلح لأمته بقدر الإمكان وقد علم بالوحي أنه سيحصل القحط والضيق فأراد السعي في إيصال النفع إلى المستحقين ودفع الضرر عنهم وإذا علم النبي أو العالم أنه
لا سبيل إلى دفع الظلم والشر عن الناس إلا بالاستعانة من كافر أو فاسق فله أن يستظهر به على أن مجاهدا قد زعم أن الملك كان قد أسلم وقيل كان الملك
يصدر عن رأيه فكان في حكم التابع لا المتبوع ووصف نفسه بالحفظ والعلم على سبيل المبالغة لم يكن لأجل التمدح ولكن للتوصل إلى الغرض المذكور
وكذلك أي مثل ذلك التقريب والإنجاء من السجن مكنا ليوسف في الأرض أرض مصر وهي أربعون فرسخا في أربعين يتبوأ منها حيث يشاء هو ونشاء نحن على القراءتين

والمراد

يوسف

المحسنين ونحوه

والمراد استقلاله بالتقلب والتصرف فيها بحيث لا ينازعه احد فيما يريد نصيب برحمتنا من نشاء فيه ان الكل من الله وبتيسيره وقالت المعتزلة تلك المملكة لما لم يتم الا بامور فعلها الله صارت كانها من قبل الله تعالى وعلقوا ايضا المشيئة بالحكمة ورعاية الاصلح والاشاعرة فاقتصروا في هذا القيد ولا نضيع اجر المحسنين لان اضاعة الاجر يكون للعجز او للجهل او للبخل والكل ممتنع في صفته تعالى ولاجر الآخرة خير من اجر الدنيا او خير في نفسه وفي قوله للذين آمنوا وكانوا يتقون اشارة الى ان يوسف كان في الزمان السابق من المحسنين ومن المتقين وفيه دلالة على نزاهة يوسف عن كل سوء قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق يروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته لك اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رأيت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الرأي رأيك قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا فذلك قوله سبحانه وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لان طول العهد ينسي ولاعتقادهم انه قد هلك ولانه بعد عن اوهامهم حين فارقوه مبيعا بدراهم معدودة ثم رأوه ملكا مهيبا جالسا على السرير في زي الفراعنة ويحتمل ان يكون بينه وبينهم مسافة وما وقفوا الا حيث يقف طالب الحوائج وانما عرفهم لان اثر تغيير الهيئات عليهم كان اقل لانه فارقهم وهم رجال ولم يتغيروا عما هو عادتهم ولان همته كانت معقودة بهم وبمعرفتهم ويحتمل ان يكون عرفهم بالوحي وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له ولما جهزهم بجهازهم هو ما يحتاج اليه في كل باب ومنه جهاز العروس والميت قال الليث جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز السفر قال وسمعت اهل البصرة يقولون الجهاز بالكسر وقال الازهري القراء كلهم على فتح الجيم والكسر لغة جيدة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم قال العلماء لا بد من كلام يجر هذا الكلام فروي انه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم من انتم وما شأنكم فاني انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد وجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الاخ الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون قالوا انا ببلاد لا يعرفنا احد قال فدعوا بعضكم عندي رهينا وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وقيل كانوا عشرة فاعطاهم عشرة احمال فقالوا ان لنا شيخا كبيرا واخا آخر بقي معه ولا بد لهما من حملين اخرين فاستدل الملك بتخلفه عند ابيه على زيادة محبته اياه وكونه فائقا في الجمال والادب فاستدعى منهم احضاره وقيل لعلهم لما ذكروا اباهم قال يوسف فلم تركتموه وحيدا فريدا فقالوا لم يبق عنده واحد فقال لهم لم اختصه بهذا المعنى لاجل نقص في جسده قالوا لا بل لزيادة محبته فقال ان اباكم رجل عالم حكيم ثم انه خصه بمزيد المحبة مع انكم فضلاء ادباء فلا بد ان يكون هو ازيد عليكم في الكمال والجمال فائتوني به لاشاهده والاول قول المفسرين والاخوان محتملان ولما طلب منهم احضار الاخ جمع لهم بين الترغيب والترهيب فالاول قوله الا ترون اني اوفي الكيل وانا خير المنزلين للمضيفين وكان قد احسن ضيافتهم او زاد لكل من الاب والاخ الغائب حملا والثاني فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون مجزوم على النهي ولا تداخل في حكم الجزاء كانه قيل فان لم تأتوني به تحرموا ولا تقربوا قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه عنه ونحتال حتى ننتزعه من يده وانا لفاعلون كل ما في وسعنا في هذا الباب او لقادرون على ذلك وقال لفتيانه اجعلوا او لفتيته قراءتان وهما جمع فتى كالاخوان والاخوة في اخ ففعلة للقلة ووجه ان هذا العمل من الاسرار فوجب كتمانه عن العدد الكثير وفعلان للكثرة ووجه انه قال اجعلوا بضاعتهم في رحالهم والرحال عدد كثير فناسبه الجمع الكثير من الغلمان الكيالين والبضاعة ما قطع من المال للتجارة والرحال جمع رحل والمراد به ههنا ما يستصحبه الرجل معه من الاثاث والاكثرون على انه رد بضاعتهم في رحالهم على وجه لا يعرفون به قيل قوله لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم وفرغوا ظروفهم لعلهم يرجعون لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل انه وضعها على وجه عرفوها والمعنى لعلهم يعرفون حق ردها اما السبب الذي لاجله امر يوسف بذلك فقيل ليعلموا كرم يوسف فيبعثهم ذلك على المعاودة وقيل خاف ان لا يكون عند ابيه من البضاعة ما يدعوهم الى الرجوع او اراد به التوسعة على ابيه لان الزمان كان زمان قحط او لان اخذ ثمن الطعام من ابيه واخوته لؤم او اراد ان يرجعوا فيعرفوا سبب الرد لانهم اولاد الانبياء فاحترزوا ان لا يكون ذلك على سبيل السهو او اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم عيب ولا منة قال اهل علم ابيه ارسال اخيه وقيل يرجعون متعد اي لعلهم يردونها قالوا يا ابانا منع منا الكيل ارادوا قول يوسف فان لم تأتوني به فلا كيل لكم لان انذار المنع بمنزلة المنع ويؤيده قراءة من قرأ نكتل بالنون اي نرفع المانع ونأخذ من الطعام ما نحتاج اليه ويحتمل ان يراد بانهم انما طلبوا الطعام لابيهم وللاخ المخلف فلعله منع من ذلك ويقوي هذا الاحتمال قراءة الغيبة اي يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا قال هل آمنكم عليه ضمنوا كونهم حافظين له فقال يعقوب انكم ذكرتم مثل هذا

الترهيب



الكلام في يوسف فهل يكون امنكم الا كما امنتكم فيما قبل يعني كما لم يحصل الامان ويثقتكم الا الان والظاهر ان ههنا اضمارا والتقدير فتوكل على الله
فيه ودفعه اليهم وقال فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين او حافظا نصب على التمييز واحتمل الثاني الحال نحو لله دره فارسا وقرئ وهو ارحم الراحمين ارجو ان
يجمع على مصيبتين ثم فهل تفقدونكم يوسف فقال والله خير حافظا اي ليوسف لانه كان يعلم انه حي ولما فتحوا متاعهم ثم هو عام في كل ما يستمتع به ويجوز ان
يراد به ههنا الطعام او الاوعية اما قوله ما نبغي فالبغي بمعنى الطلب ما نافية او استفهامية والمعنى ما نطلب شيئا وراء ما فعل بنا من الاحسان او ما نريد منك
بضاعة اخرى او اي شيء نطلب وراء هذا نستظهر بالبضاعة المردودة الينا ونمير اهلنا في رجوعنا الى الملك ونحفظ اخانا فلا يصيبه شيء مما نخافه
ونزداد باستصحاب اخينا وسق بعير زائد على اوساق باعرنا فاي شيء نبغي وراء هذه المباغي ويجوز ان يكون البغي بمعنى الكذب والتزيد في القول على
ان ما نافية اي ما نكذب فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما
اكرمنا تلك الكرامة قال في الكشاف فعلى هذا التفسير لا يكون قوله ونمير معطوفا على معنى قوله هذه بضاعتنا وانما يكون قوله هذه بضاعتنا بيانا انا
لصادقون وقوله ونمير معطوفا على ما نبغي او يكون كلاما مبتدأ اي ونبغي ان نمير كما يقول سعيت في حاجة فلان ويجب وينبغي ان اسعى ويجوز ان يراد ما نبغي
وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا ثم بينوا كونهم مصيبين في رأيهم بقولهم هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا الى اخره ويق
مارة اي طعاما ذلك كيل يسير ذلك المكيل لاجلنا قليل نريد ان نضاف اليه ما نكال لاجل اخينا وقال مقاتل ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك القدر
سهل على الملك لا يضايقنا فيه ولا يطول مقامنا بسببه اختاره الزجاج وجوز في الكشاف ان يكون هذا من كلام يعقوب يعني ان حمل بعير شيء يسير لا
يخاطر لمثله بالولد قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا تعطوني ما اوثق به من عند الله وهو الحلف لتأتنني به الا ان يحاط بكم استثناء من اعم العام
في المفعول له وقد يقع مثل هذا الاستثناء في الاثبات اذا استقام المعنى نحو قرأت الا يوم كذا وان شئت قلت انه بالنفي اي لا تمتنعون من الاتيان به لعلة
من العلل الا لعلة واحدة هي ان يحاط بكم اي تهلكوا جميعا قاله مجاهد او تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به قاله قتادة على ما نقول من طلب الموثق واعطائه
وكيل مطلع رقيب قال جمهور المفسرين انما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد خوفا عليهم من اصابة العين وههنا مقامان الاول ان الاصابة بالعين حق لما
كثر من الامر وللمروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة اي جامعة لشر
لمة اي جامعة والمراد ملمة والتغيير للمزاوجة وعن عبادة بن الصامت قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت اليه اخر النهار
فرأيته معافى فقال ان جبرئيل عليه السلام اتاني فرقاني وقال بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من كل عين وحاسد الله يشفيك قال فافقت
وروي انه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت ام سلمة وعندها صبي يشتكي فقالوا يا رسول الله اصابته العين قال افلا تسترقون له من العين حق ولو كان شيء
يسبق القدر لسبقت العين القدر وقالت عائشة كان يأمر العائن ان يتوضأ ثم يغتسل منه المعين المقام الثاني في الكشف عن حقيقته قال
الجاحظ يمتد من العين اجزاء فيتصل بالشخص المستحسن فيؤثر ويسري فيه كتأثير اللسع والسم واعترض الجبائي وغيره بانه لو كان كذلك لاثر في غير
المستحسن كتأثيره في المستحسن واجيب بان المستحسن ان كان صديقا فحصل للعائن عند ذلك الاستحسان خوف شديد من حصوله وعلى التقديرين
يتحرك الروح وينحصر في داخل القلب فيحصل في الروح الباصرة كيفية سخنة مؤثرة فلهذا السبب امر النبي صلى الله عليه وسلم العائن بالوضوء ومن اصابته العين
بالاغتسال منه وقال ابو هاشم وابو القاسم البلخي لا يمتنع ان صاحب العين اذا شاهد الشيء واعجب به كانت المصلحة له في تكليفه ان يغير الله
ذلك الشخص حتى لا يبقى قلب المكلف معلقا به وقال الحكماء ليس شرط المؤثر ان يكون تاثيره بحسب هذه الكيفيات المحسوسة بل قد يكون التاثير
نفسانيا محضا او وهميا كالماشي على الجذع او تصوريا كما في الحركات البدنية وقد يكون للنفوس خواص عجيبة يتصرف في غير ابدانها
بحسبها فمنها المعجز ومنها السحر ومنها الاصابة بالعين اما الجبائي وغيره ممن انكر العين فقد قالوا ان اولاد يعقوب اشتهروا بمصر وتحدث الناس
بكمالهم وجمالهم وهيئتهم فلم يأمن يعقوب ان يخافهم الملك الاعظم على ملكه فيحبسهم وقيل انه كان عالما بان ملك مصر ولده الا ان الله لم يأذن له
باظهاره وكان غرضه ان يصل بنيامين اليه في غيبتهم قاله ابرهيم النخعي واعلم ان العبد يجب عليه ان يسعى باقصى الجهد والقدرة ولكنه بعد
السعي المبلغ يجب ان يعلم ان كل ما يدخل في الوجود فهو بقضاء الله وقدره وان الحذر لا يغني عن القدر فلهذا قال يعقوب وما اغني عنكم من الله من شيء
فقوله الاول مبني على رعاية الاسباب والوسائط وقوله الثاني بل قوله ان الحكم الا لله اشارة الى الحقيقة وتفويض الامر بالكلية الى مسبب الاسباب ولهذا صدقه الله
تعالى في ذلك بقوله ما كان يغني عنهم من الله من شيء قال ابن عباس ما كان ذلك ليرد قضاء قضاه الله تعالى وقال الزجاج وابن الانباري لو سبق في
علم الله ان العين تهلكهم عند الاجتماع لكان تفرقهم كاجتماعهم وقال آخرون ما كان يغني عنهم رأي يعقوب شيئا قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم
من اضافة السرقة ولحاق الاخ وتضاعف المصيبة على الاب الا حاجة استثناء منقطع اي ولكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهي اظهار الشفقة
النصيحة والخوف من اصابة العين او من حسد اهل مصر او من قصد الملك ثم مدحه الله تعالى بقوله وانه لذو علم يعني علمه بان الحذر لا يغني او التحرز للمعنى وحسن
اثاره واشار الى كونه عاملا بعلمه ولكن اكثر الناس لا يعلمون مثل علم يعقوب او لا يعلمون ان يعقوب بهذه الصفة في العلم وقيل المراد باكثر الناس المشركون لا
يعلمون ان الله تعالى كيف ارشد اولياءه الى العلوم التي تنفعهم في الدنيا والآخرة التأويل لما تبين الملك الروح قدر يوسف القلب امانته وصدقه وحسن
استعداده في خلاصه من سجن صفات البشرية ليكون خالصا له في كشف حقائق الاشياء ولم يعلم انه خلق لصلاح جميع رعايا مملكته ودخانيته وجسمانيته

وعند ذكر العين

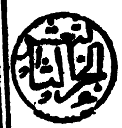


كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في جسد بني آدم مضغة ان صلحت صلح بها سائر الجسد وان فسدت فسد بها سائر الجسد الا وهي القلب وللقلب اختصاص آخر بالله دون سائر المخلوقات قال سبحانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن ولعله منطبق على خزائن ارض الجسد فان الله تعالى في كل عضو من الاعضاء لخزائن من اللطف ان استعمل الانسان فيما خلق ذلك العضو لاجله وخزائن من القهر ان استعمله بضد ما حفظ الخزائن عليهم باستعمالها فيما ينفعها دون ما يضرها فاصيب برحمتنا من نشاء من اصابة اللطف من تلك الخزائن دون القهر وهو كوله الى مشيته الله تعالى وجاء اخوة يوسف هم الاوصاف البشرية فعرفهم يوسف القلب لانه ينظر بنور الله وهم له منكرون لبقائهم في الظلمة وحرمانهم عن النور ولما جهزهم بجهازهم اي بشر ان يوسف القلب لما احتاجت اليه الاوصاف البشرية بدل صفاتها الذميمة النفسانية بالصفات الحميدة الروحانية فاستدعى منهم احضار بنيامين السر لان السر لا يحضر مع القلب الا بعد التبدل بل التلذذ كوروا اذا حضر معه يوفي باوفى الكيل ما لم يوف له الاوصاف البشرية اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فيه ان بضاعتهم كل عمل من الاعمال الّذي لا بد منه التي يجيئ بها الاوصاف البشرية الى حضرة يوسف مردودة اليها لان القلب مستغن عنها وانما الاوصاف البشرية محتاجة اليها لان النفس يتأدب ويتزكى بها كما قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان ترتيبه القلب بالاعمال القلبية كالنيات الصالحة ولهذا قال صلى الله عليه وسلم نية المؤمن خير من عمله وكالعزائم الخالصة والاخلاق الحميدة والتوكل والاخلاص ثم كمال تربية القلب بالتخلية والتحلي بصفات الحق وصفاته وذاته لعلهم يرجعون من صفة الامارية الى المأمورية والاطمينان فيستحق بجذبة ارجعي الى ربك ردت الينا فوائد ما نرجع الى يوسف القلب ونميز اهلنا الاعضاء والجوارح يحصل لهم قوة زائدة على الطاعة بواسطة رسوخ الملكة له ونحفظ اخانا من الحوادث النفسانية والوساوس الشيطانية ونزداد بواسطة حضور السر عند القلب كيل بعير من الفوائد الربانية ذلك كيل يسير لمن يسره الله لنا فنحن بمع الفوائد الربانية الا ان يحاط بكم الا ان يغالب عليكم الاحكام الازلية لا تدخلوا من باب واحد لا تتقربوا الى القلب بنوع واحد من المعاملات فللاسباب مدخل في التقرب الا ان الكل موكول الى مسبب الاسباب ولما دخلوا على يوسف آوى اليه اخاه قال اني انا اخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وانا به زعيم قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن ابرح الارض حتى يأذن لي ابي او يحكم الله لي وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا انه هو العليم الحكيم القراءة اني انا اخوك بفتح الياء ابو عمرو وابو جعفر ونافع نرفع درجات من نشاء بالاضافة وبالياء الغيبة في الفعلين سهل ويعقوب بالنون وبالتنوين عاصم وحمزة وعلي وخلف والباقون بالنون وعلى الاضافة فلما استيأسوا ويأيئس بالالف ثم الياء ابو ربيعة عن البزي وحمزة في الوقف وان شاء ابن المهرة الباقون بياء ثم همزة على الاصل لي ابي بفتح الياء فيهما ابو جعفر ونافع وابو عمرو ووافق ابن كثير في ابي او الوقوف يعملون لسارقون تفقدون زعيم سارقين كاذبين فهو جزاؤه الظالمين من وعاء اخيه ليوسف ان يشاء الله لان ما بعده مستأنف نشاء علم عليم من قبل لهم مكانا بما تصفون مكانه الثلاثة لانقطاع النظم مع اتصال المعنى المحسنين عنده لتعلق اذا بما قبلها الظالمون نجيا يوسف للابتداء بالنفي مع فاء التعقيب يحكم الله لي لاحتمال ما بعده الابتداء او الحال الحاكمين سرق لانقطاع النظم مع اتحاد القائل حافظين اقبلنا فيها لا للاختلاف الجملتين والابتداء بان لصادقون امر جميل جميعا الحكيم التفسير روي انهم لما اتوه باخيهم بنيامين انزلهم واكرمهم ضيافتهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه معه على مائدته ثم امر ان ينزل كل اثنين منهم بيتا وقال هذا لا ثاني له فاتركوه معي فآواه اليه اي انزله في المنزل الذي كان يأوي اليه فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح ولما رأى تأسفه لاخ هلك قال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك لكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك قال وهب اراد اني اقوم لك مقام اخيك في الايناس وعدم التوحش وقال ابن عباس وسائر المفسرين اراد تعريف النسب لان ذلك اقوى في ازالة الوحشة ولا وجه لصرف اللفظ عن ظاهره من غير ضرورة فلا تبتئس افتعال من البؤس الشدة والضر اراد نهيه عن اجتلاب الحزن بما كانوا يعملون من دواعي الحسد والاعمال المنكرة التي اقدموا عليها يروى ان بنيامين قال ليوسف انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل لي الى ذلك ولا سبيل الا بان اشنعك لي ما لا يحسن قال انا راض بما رضيت قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك انك قد سرقته فذلك قوله سبحانه ولما

قال واه

ع

النصف



فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه والسقاية مشربة يسقى بها وهي الصواع كان يسقى بها الملك والدواب ثم جعلت صاعا يكال به وكان مستطيلا من ذهب او فضة مموهة بالذهب او مرصعا بالجواهر اقوال ثم اذن مؤذن نادى مناد ومعنا مراجع الى الايذان والاعلام الا ان التشديد يفيد التكثير والتصويب بالنداء ايتها العير اراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي والعير الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تذهب وتجيء وقيل هي قافلة الحمير كانها جمع عير واصلها فعل بالضم كسقف فابدلت الضمة كسرة لاجل الياء كما في بيض ثم كثر في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير وههنا سؤال وهو انه كيف جاز لنبي الله ان يرضى بنسبة قوم الى السرقة وهم برآء واجاب العلماء بانهم فعلوا ذلك من عند انفسهم لانهم لما فقدوا السقاية غلب على ظنونهم انهم اخذوها او المؤذن ذكره على سبيل الاستفهام او المراد انهم سرقوا يوسف عن ابيهم او المراد ان فيكم سارقا وهو الاخ الذي رضي ان يبقى هناك فلا ذنب لان الخصم رضي بان يتهم بالسرقة نياللمنة ذلك ثم ان اخوة يوسف قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك قيل صواع اسم للصاع والسقاية وصف ولمن جاء به اي بالصواع حمل بعير من طعام جعلا لمن حصله وانا به زعيم كفيل هو من قول المؤذن وفيه ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم ايضا اذا كان معلوما فكان حمل بعير عندهم شيئا معلوما كوسق مثلا الا ان هذه كفالة المال لرد السرقة وهو كفالة لما لم يجب لانه لا يحل للسارق ان ياخذ شيئا على رد السرقة ولعل مثل هذه الكفالة كانت تصح عندهم قالوا تالله التاء بدل من الواو وفيه تعجب وضعفت عن التصرف في سائر الاسماء وجعلت فيما هو احق بالقسم وهو اسم الله عز وجل حلفوا على امرين تعجبين احدهما انهم علموا ان اخوة يوسف ما جاؤا لاجل الفساد في الارض بالنهب والغصب ونحو ذلك حتى روي انهم دخلوا وافواه دوابهم مشدودة مخوفا من ان يتناول زرعا او طعاما لاحد في الطرق والاسواق وكانوا مواظبين على انواع الطاعات ورد المظالم حتى حكي انهم ردوا بضاعتهم التي وجدوها في رحالهم وثانيهما انهم ما وصفوا قط بالسرقة قالوا اي اصحاب يوسف فما جزاؤه قال في الكشاف الضمير للصواع والمضاف محذوف اي فما جزاء سرقته ان كنتم كاذبين في جحودكم وادعائكم البراءة قلت ويحتمل ان يعود الى السارق وكان حكم السارق في آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك استفتوا في الجزاء بعينه قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء الرق قال الزجاج وقوله فهو جزاؤه زيادة في البيان اي فاخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير كما تقول حق السارق القطع جزاؤه لتقرر ما ذكر من استحقاقه ويجوز ان يكون مبتدأ وباقي الكلام جملة شرطية مرفوعة المحل بالخبرية على ان الاصل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو ليكون الضمير الثاني عائدا الى المبتدأ والاول الى من ولكنه وضع المظهر مقام المضمر للتاكيد والمبالغة وجوز في الكشاف ان يكون جزاؤه خبر مبتدأ محذوف اي المسؤل عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه اما قوله كذلك اي مثل ذلك الجزاء نجزي الظالمين فيحتمل ان يكون من بقية كلام اصحاب يوسف والله اعلم ثم قال لهم المؤذن ومن معه لابد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه لنفي التهمة والوعاء كل ما اذا وضع فيه شيء احاط به قال قتادة كان لا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا اخوه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فنظر ثم استخرجها اي السقاية او الصواع لانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه فاخذوا بوقية وحكوا بوقية ثم قال سبحانه كذلك اي مثل ذلك الكيد العظيم كدنا ليوسف يعني علمناه واوحينا به اليه والكيد مبدأه السعي في الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر في امر مكروه لا سبيل الى دفعه وقد سبق فيما تقدم ان امثال هذه الالفاظ في حقه تعالى محمولة على النهايات لا على البدايات وما هذا الكيد قيل هو ان اخوة يوسف سعوا في ابطال امره والله تعالى نصره وقواه وقيل الكيد يستعمل في الخير ايضا والمعنى كفعلنا بيوسف من الاحسان اليه ابتداء فعلنا به ابتداء وقيل تفسير هذا الكيد هو قوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك لان حكم الملك في السارق ان يضرب ويغرم مثلي ما سرق فما كان يوسف قادرا على حبس اخيه عنده بناء على دين الملك وحكمه ومعنى الا ان يشاء الله هو ان الله كاد له فاجرى على السنة الاخوة ان جزاء السارق هو الاسترقاق حتى توصل بذلك الى اخذ اخيه وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى بعض الاغراض الدينية والدنيوية ثم مدحه على الهداية الى هذه الحيلة كما مدح ابرهيم على ما حكى عنه من دلائل التوحيد والبراءة من الهة الكوكب ثم القمر ثم الشمس فقال نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم فوقه ارفع درجة منه في علمه ثم ان اطلق على الله تعالى انه ذو علم كان هذا العام مخصوصا لانه لا عليم فوقه وان قيل انه عالم بلا علم كما يقوله بعض المعتزلة كان النص باقيا على عمومه وان حملنا ان الكل بمعنى المجموع كان المعنى وفوق جميع العلماء عليم هم دونه في العلم وهو الله تعالى والميل الى هذا التفسير لان قوله ذو علم مشعر بكون علمه زائدا على حقيقته وصفته نعم عين ذاته وفي هذا البحث طول وفي الخبر كفاية يروى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ماذا الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل هم الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم فعند ذلك قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل عنوا به يوسف واختلف في تلك السرقة فعن سعيد بن جبير ان جده ابا امه كان يعبد الوثن فامرته امه بان يسرق تلك الاوثان ويكسرها فلعله يترك عبادتها وقيل سرق عناقا من ابيه ودجاجة ودفعها الى المسكين وقيل كانت لابرهيم منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته عمة يوسف فحضنت يوسف لما ان شب فاراد يعقوب ان ينتزعه منها وكانت تحبه حبا شديدا فشدت المنطقة على يوسف تحت ثيابه ثم زعمت انه قد سرقها وكان في شرعهم استرقاق السارق فتوسلت بهذه الحيلة الى امساكه عند نفسها وقيل انهم كذبوا عليه فيه وهو حسد او غيظا فاسرها يوسف قال الزجاج وغيره الضمير يعود الى الكلمة او الجملة كانه قيل فاسر الجملة في نفسه ولم يبدها لهم ثم فسرها بقوله قال انتم شر مكانا والمعنى انه قال هذه الجملة على سبيل الخفية

يوسف

وطعن الفارسي في هذا الوجه فقال اي هذا النوع من الاضمار على شريطة التفسير غير مستعمل والحق ان القرآن حجة على غيره وقيل الضمير عائد الى الاجابة اي اسر يوسف اجابتهم في ذلك الوقت الى وقت آخر وقيل يعود الى المقالة والسرقة اي لم يبين يوسف تلك السرقة كيف وقعت وفي اثر لهم فيها ما يوجب الذم والعار وعن ابن عباس انه قال عوقب يوسف ثلاث مرات عوقب بالحبس لاجل همه بها وبالحبس الطويل لقوله اذكرني عند ربك وبقولهم فقد سرق اخ له من قبل لقوله انكم لسارقون ومعنى شر مكانا انتم شر منزلة في السرقة لانكم سرقتم اخاكم من ابيكم على التحقيق وقلتم اكله الذئب والله اعلم بما تصفون المراد انه يعلم اني لست بسارق في التحقيق ولا اخي والله اعلم بان الذي وصفتموه هل يوجب تمام الا قال ابن عباس لما قال يوسف هذا القول غضب يهوذا وكان اذا غضب وصاح لم يسمع صوته حامل الا وضعت وقام شعره على جلده فلا يسكن حتى يضع بعض آل يعقوب يده عليه فقال لبعض اخوته اكفوني اسواق اهل مصر وانا اكفيكم الملك فقال يوسف لابن صغير له مسه فمسه فذهب غضبه وهم ان يصيح فركض يوسف رجله على الارض فاخذ بتلابيبه فجذبه فسقط فعند ذلك قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر وهو احب اليه منا فخذ احدنا مكانه استعبادا او رهنا حتى نبعث لفدائه اليك فلعل العفو والفداء كان جائزا ايضا عندهم انا نراك من المحسنين الينا او فعلت ذلك او من المحسنين الينا بانواع الكرامة ورد البضاعة الى رحالنا او ارادوا الاحسان الى اهل مصر حين اعتقهم بعدما اشترى رقابهم بالطعام قال يوسف معاذ الله من ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا اي اذا اخذنا غيره لظالمون في مذهبكم لان استعباد غير من وجد الصواع في رحله ظلم عندكم او اراد ان الله امرني واوحى الي بان آخذ بنيامين فلو اخذت غيره كنت عاملا بخلاف الوحي فلما استيأسوا منه حيث لم يقبل الشفاعة اي يئسوا والزيادة للمبالغة خلصوا اعتزلوا عن الناس خالصين لا يخالطهم غيرهم نجيا مصدر والمضاف محذوف اي ذوي نجوى والمراد انهم اخذوا في التناجي في انفسهم لاستجماعهم لذلك وانفرادهم فيه بجد واهتمام كما يقال رجل جور ورجال عدل او صفة لموصوف محذوف اي فوجا نجيا بمعنى مناجيا بعضهم لبعض كالعشير بمعنى المعاشر وفيه كان تناجيهم الجواب في تدبير امرهم على اي وجه يذهبون وماذا يقولون لابيهم في شان اخيهم فعند ذلك قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في القدر وهو شمعون لانه كان رئيسهم او في العقل والرأي وهو يهوذا او قوله ما فرطتم اما ان يكون صلة اي ومن قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم توفوا بعهد ابيكم واما ان يكون مصدرية محله الرفع على الابتداء وخبره الظرف المتقدم ومن قبل تفريطكم اي وقع من قبل تقصيركم في حقه او النصب عطفا على مفعول الم تعلموا اي الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل واما ان يكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اي قدمتموه في شان يوسف من الجناية ومحل الموصول الرفع او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض فلن افارق ارض مصر حتى ياذن لي ابي في الانصراف او يحكم الله لي بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخي او بخلاص من يده بسبب من الاسباب ثم انه بقي ذلك الكبير في مصر وقال لغيره من الاخوة ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقالوا بناء على ما شاهدوه من استخراج الصواع من وعائه او اراد انه سرق في قول الملك واصحابه كقول قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي في زعمك واعتقادك والمراد ان ابنك ظهر عليه ما يشبه السرقة والطلاق اسم احد الشبيهين على الآخر جائز والقوم ما كانوا اخيارا امناء فلا يبعد منهم الذنب عن ابن عباس انه قرأ سرق مشددا مبنيا للمفعول اي نسب الى السرقة وعلى هذا فلا اشكال ومما يدل على انهم بنوا الامر على الظاهر قوله وما شهدنا الا بما علمنا اي الا بقدر ما تيقناه من رؤية الصواع في وعائه وما كنا للغيب للامر الخفي حافظين فان الغيب لا يعلمه الا الله وعن عكرمة ان الغيب الليل ومعناه لعل الصواع دس في صواعه بالليل من حيث لا يشعر وما علمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق قاله مجاهد والحسن وقتادة وما علمنا انا اذا قلنا ان شرع بني اسرائيل هو استرقاق السارق واخذ اخونا بتلك الحيلة ثم بالغوا في ازالة التهمة فقالوا واسأل القرية التي كنا فيها الاكثرون على انها مصر وقيل قرية على باب مصر وقع فيها التفتيش اي ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة واسأل اصحاب العير التي اقبلنا فيها وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل قوما من اهل صنعاء وقال ابن الانباري ان يعقوب كان من اكابر الانبياء فلا يبعد ان يحمل سؤال القرية على الحقيقة بان ينطق الله الجمادات لاجله معجزة فالمراد واسأل القرية والعير والجدران والحيطان فانها تجيبك بصحة ما ذكرنا وقيل ان الشيء اذا ظهر ظهورا تاما فقد يقال سل عنه السماء والارض وجميع الاشياء ويراد انه ليس للشك فيه مجال ثم زادوا في تاكيد نفي التهمة قائلين وانا لصادقون وليس غرضهم اثبات صدقهم فان ذلك يجري مجرى اثبات الشيء بنفسه ولكن الانسان اذا ذكر الدليل القاطع على صحة الشيء فقد يقول بعده انا صادق فتامل فيما ذكرته ليزول عنك الشك وههنا اضمار التقدير فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم فعند ذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وقد مر تفسيره في اول السورة ولكن المفسرين زادوا اشياء اخر فقيل المراد انه تخيل اليكم انه سرق وما سرق وقيل المراد سولت لكم انفسكم اخراج بنيامين والمصير الى مصر طلبا للمنفعة فعاد من ذلك شر وضرر والحكم على في ارساله معكم ولم تعلموا ان قضاء الله ربما جاء على خلاف تقديركم وقيل اراد فتواهم وتعليمهم والا فما ادرى الملك ان حكم السارق في شرعهم ان يسترق واعترض على هذا الرجل القول بانه كيف يجوز على يعقوب السعي في اخفاء حكم الله تعالى واجيب بان ذلك الحكم لعله كان مخصوصا بما اذا كان المسروق منه مسلما وكان الملك كافرا ظن يعقوب كثر ولما طال بلاؤه وعظمت محنته علم بحسن الظن والرجاء انه سبحانه سيجعل له فرجا ومخرجا عما قريب ولعله علم بالوحي ان يوسف حي وكان بنيامين والكبير الذي قال فلن ابرح الارض قد بقيا في مصر فلذلك قال عسى الله ان يأتيني بهم اي بالثلاثة الغائبين جميعا انه هو العليم بحالي الحكيم في كل ما يفعله من الابتلاء والابلاء التأويل لما دخل الاوصاف البشرية وصعهم السر على يوسف القلب

ما فرطتم لعلموا

الربع حب



اي القلب السر اليه لانه اخوه الحقيقي بالمناسبة الروحانية فلا تبتئس اذ وصلت الي بما كانوا يعملون معك في نفار بني لان السر مهما كان
من قلب مغلوبا للاوصاف كان محروما عن كمالات هو مستعد لها فلما جهزهم بجهازهم جهز القلب الاوصاف بما يلائم احوالها جعل السقاية وهي مشربة
كان منها شرب في رحل اخيه لانهما اخوان من اب واحد ايتها العير انكم لسارقون سرقتم في الاول يوسف القلب وشريتموه بثمن بخس من متاع الدنيا و
شهواتها وسرقتم في الاخر مشربة ليست من مشاربكم وفيه ان من ادعى الشرب من مشارب الرجال وهو طفل بعد اخذ بالسرقة واستردت منه و
لمن جاء به حمل بعير من علف الدواب من مراتع الحيوانات لانه ليس مستحقا للشرب من مشارب الملوك لقد علمتم انا من المقبولين المقبلين على يوسف القلب
لا من اهل الافساد في ارض الدنيا كما قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنا سارقين اذ اخذنا يوسف القلب والقيناه في غيابت
الجب البشرية بل سعينا في ان ينال مملكة مصر العبودية ليكون عزيزا فيها ونحن اذلاء له جزاؤه من وجد في رحله اي لكل شارب مشرب ولكل
شرب فدية فقد بهذا الشارب مشرب الاخوة الدنيا وشهواتها وفدية الشارب من شرب الجنة بذل الوجود كذلك نجزي الظالمين الذين
وضعوا صواع الملك في غير موضعه طمعا في ان يكونوا من اهل الملك وشربه كذلك كدنا ليوسف اي كما كاد الاوصاف البشرية في الابتداء
بيوسف القلب في جب البشرية كدنا لهم عند قسمة الارزاق من خزائن الملك فجعلنا قسمتهم من مراتع الحيوانات يأكلون كما تأكل الانعام وقسمة
بنيامين السر من مشربة الملك وفوق كل ذي علم عليم اي فوق كل ذي علم الصعود عليم يجذبه من المصعد الذي يصعد اليه بالعلم المخلوق فلا مصعد لا يصعد
اليه الا بالعلم القديم وهو السير في الله بالله الى الله وهذا صواع لا تسعه اوعية الاخوة ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فيه اشارة الى ان
السر والقلب مع انهما مخصوصان بالحظوظ الاخروية والروحانية فانهما قابلان للاسترقاق من الشهوات الدنيوية والنفسانية وللادارات الاوصاف
البشرية بعزة القلب عرفت اختصاص البشرية اردت ان تفدي نفسها وسيلتها الى يعقوب الروح فقالت فخذ احدنا مكانه قال معاذ الله ان
ان نقبل بالصحبة والمخالطة الا من وجدنا متاعنا عنده من الصدق والمحبة والاخلاص عنده اي لا يكون صحبتنا بالكراهية والنفاق وانما يكون بعلة
الجنسية فلما استيأسوا من صحبة القلب خلصوا عن الاوصاف الذميمة نجيا قال كبيرهم وهو العقل الم تعلموا ان اباكم وهو الروح قد اخذ عليكم موثقا
من الله يوم الميثاق الا تعبدوا الا الله فلن ابرح ارض فناء القلب وهي العقل والحاصل ان صفة العقل المتخلصة عن الاوصاف البشرية خرجت عن
اوامر النفس وتصرفاتها وصارت محكومة لاوامر الروح مستسلمة لاحكام الحق ارجعوا الى ابيكم الروح على اقدام العبودية وتبديل الاخلاق ان ابنك
سرق الا تراه وجد في رحله مشربة المحبة التي بها كال الحب على وفده وما كنا للغيب حافظين عند ما رحلنا من الغيب الى الشهادة حافظين لانه جعل السقاية
في رحله في غيبتنا واسأل اهل القرية مصر الملكوت وارواح الانبياء والاولياء قال بل سولت لكم فيه ان للنفس تزيينات وللاوصاف البشرية خيالات يتأذى بها
يعقوب الروح لكن علي ان يصبر على امضاء احكام الله وتنفيذ قضائه عسى الله ان يأتيني بهم فيه ان متولدات الروح من القلب والسر والاوصاف وغيرها وان
تفرقوا وتباعدوا عن الروح في الجسد للاستكمال فان الله تعالى يجمعهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر انه هو العليم بامراتهم
بما في التفريق والجمع من الفوائد وتولى عنهم وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف
حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين قال انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا
الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه
اذ انتم جاهلون قالوا ائنك لانت يوسف قال انا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي
هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا واتوني باهلكم اجمعين ولما فصلت العير قال ابوهم اني لاجد ريح يوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم فلما ان جاء البشير القاه على وجهه فارتد بصيرا قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا
تعلمون قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم فلما دخلوا
على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تأويل
رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي
ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت
وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين القراآت مزجاة بالامالة حمزة وعلي وخلف حزني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن
عامر وابو عمرو قالوا انك على الخبر وعلى حذف حرف الاستفهام ابن كثير ويزيد ائنك بهمزتين عاصم وحمزة وعلي وخلف وهشام يدخل بينهما مدة
اينك بهمزة ثم ياء نافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد اينك بهمزة ممدودة ثم ياء ابو عمرو ويزيد وقالون من يتقي بالياء في الحالين ابن مجاهد
وابو عون عن قنبل الباقون بغير ياء اني اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وخلف وابن كثير وابو عمرو وسبيلي انا بالفتح ايضا ابو جعفر وابو عمرو اذا بالفتح ايضا عندهم
اخوتي بفتح الياء ايضا يزيد والبخاري عن ورش قالون غير الحلواني والله اعلم الوقوف كظيم الهالكين لا تعلمون ولا تيأسوا من روح الله الكافرون تصدق

يوسف

التفسير

علينا المتصدق فيه جاهلون لانت يوسف اخي لتجعل الشكر مع اختلاف الجملتين علينا لاحتمال انه ابتدأ التعجب من اقتدار كان من قول يوسف
جاز الوقف ايضا لاتحاد القائل مع الابتداء بان المحسنين لخاطئين البوط لاختلاف الجملتين نفيا واثباتا او خبرا ودعاء لكن لاحتمال الاستيناف
والحال وضع ارحم الراحمين بان يصبر لطول الكلام واعتراض الجواب مع اتفاق الجملتين اجمعين تفندون القديم بصبر الاحتمال ان يكون ما بعده جواب
لما وقوله القاه حال الا باضمار قد ما لا تعلمون خاطئين اي اجتبيتم منين سجدا لم من قبل لتمام الجملة لفظا دون المعنى حقا لتمام بيان الجملة الاولى
وابتداء جملة عطف اخوتي لما يشاء الحكيم الاحاديث لنحو حذف حرف النداء مع اتصال الكلام والاخرة لانقطاع النظم مع اتصال الثناء بالدعا
الصالحين التفسير لما سمع يعقوب ما سمع من حال ابنيه ضاق قلبه جدا وتولى عنهم اي اعرض عن بنيه الذين جاؤا بالخبر وفارقهم وقال يا اسفى على يوسف
الاسف اشد الحزن والالف فيه بدل من ياء الاضافة ونداء الاسف كنداء الويل وقد مر في المائدة والتجانس بين لفظي الاسف ويوسف لا يخفى حسنه
وهو من الفصاحة اللفظية وكيف تاسف على يوسف دون اخيه والاخ الذي قام بمصر والرزء الاحدث اشد الجواب لان الحزن الجديد يذكر
العتيق والاسى يجلب الاسى ولان رزء يوسف كان اصل تلك الرزايا فكان الاسف عليه اسفا على الكل ولانه كان عالما بحيوة الاخوين دون
حيوة يوسف وابيضت عيناه من الحزن اي من البكاء الذي كان سببه الحزن قال الحكماء اذا كثر الاستعبار اوجب كدورة في سواد العين مائلة كان
سببه الحزن الى البياض فتكون منها العمى لايلام الطبقات ولاسيما القرنية وانصباب الفضول اليها قال مقاتل لم يبصر ست سنين حتى
كشفه الله تعالى بقميص يوسف وقال آخرون لم يبلغ حد العمى وكان يدرك ادراكا ضعيفا والمراد بالبياض غلبة البكاء كان العين ابيضت من بياض
ذلك الماء وروي انه ما جف عين يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب وعن رسول
الله صلعم انه سئل جبرئيل ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله
ساعة قط ونقل ان جبرئيل عم دخل على يوسف حين ما كان في السجن فقال ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يوسف يده على راسه وقال ليت امي لم
تلدني فلم اكن حزنا على ابي قال اكثر اهل اللغة الحزن والحزن لغتان بمعنى وقال بعضهم الحزن بالضم فالسكون البكاء والحزن بفتحتين ضد الفرح وقد روي
يونس عن ابي عمرو قال اذا كان في موضع النصب فتحوا كقوله تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا واذا كان في موضع الجر والرفع ضموا كقوله من الحزن و
قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قال هو في موضع رفع بالابتداء قيل كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ واجيب بان المنهي من الجزع هو
الصياح والنياحة وضرب الخد وشق الثوب لا البكاء ونفثة المصدور فلقد بكى رسول الله صلعم على ولده ابرهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع
ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم لمحزونون ومما يدل على ان يعقوب عم امسك لسانه عن النياحة وعما لا ينبغي قوله وهو كظيم فعيل
بمعنى مفعول اي مملوء من الغيظ على اولاده من غير اظهار ما يسوءهم او مملوء من الحزن مع سد طريق نفثة المصدور من كظم السقا اذا شده على ملاءه
او بمعنى الفاعل اي الممسك لحزنه غير مظهر اياه والحاصل انه غرق ثلثة اعضاء شريفة منه في بحر المحنة فاللسان كان مشغولا بذكر يا اسفا و
العين كانت مستغرقة في البكاء والقلب كان مملوا من الحزن ومثل هذا اذا لم يكن بالاختيار لم يدخل تحت التكليف فلا يوجب العقاب يروى ان
ملك الموت دخل على يعقوب فقال له جئتني لتقبضني قبل ان ارى حبيبي قال لا ولكن جئت لاحزن لحزنك واشجو لشجوك عن النبي صلعم لم تعط امة من
الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال يا اسفا وضعف هذه
الرواية فخر الدين الرازي في تفسيره وقال من المحال ان لا يعرف امة من الامم ان الكل من الله وان الرجوع لا محالة اليه واقول هذا نوع من المكابرة
فان منكري المبدأ والمعاد اكثر من حصى الوادي على ان المراد من الاعطاء الارشاد الى هذا الذكر خصوصا عند المصيبة وقد اخبر الصادق
ان هذا مما خصت هذه الامة به والله اعلم قالوا الاظهر انهم ابنوا اولاده الذين تولى عنهم وانما هم جماعة كانوا في الدار من خدمه واولاد
اولاده تالله تفتؤ اراد لا تفتؤ فحذف حرف النفي لعدم الالتباس اذ لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون قال ابن عباس
والحسن ومجاهد وقتادة اي لا تزال تذكر وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتور والفتؤ اخوان قال ابو زيد ما فتئت اذكره اي ما زلت
لا يتكلم به الا مع الجحد حتى تكون حرضا وصف بالمصدر للمبالغة والحرض فساد في الجسم والعقل للحزن والحب حتى يكون لا كالاحياء ولا كالاموات
ارادوا انك تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتى تشفي على الهلاك او تهلك فاجابهم بقوله انما اشكو بثي وحزني الى الله قالت العلماء
اذا اسر الانسان حزنه كان هما واذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا فالبث اصعب الهم اذا اسر الانسان حزنه كان هما ولو لم يقدر على اسراره قد
لكثرة كان بثا فالبث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس فيعني الابثي الا ذكر الحزن القليل لا مع الله ملتجئا اليه وداعيا
له فخلوتي وشكايتي وهذا مقام العارفين الصديقين كقول نبينا صلعم اعوذ بك منك ويحتمل ان يكون هذا معنى توليه عنهم اي تولى عنهم
الى الله والشكاية اليه يحكى انه دخل على يعقوب جار وقال له ضعف جسمك ونحف بدنك وما بلغت سنا عاليا فقال الذي في لكثرة غمومي
فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي
وحزني الى الله وروي انه اوحى الى يعقوب انما وجدت اي غضبت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الي الانبياء
ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت واعلم ان حال يعقوب في تلك الواقعة



كانت مختلفة فتارة كانت مستغرقة في بحار معرفة الله وتارة كان يستولي عليه الحزن والاسف فلما كانت هذه الحادثة والتشبيه اليه
كالقاء ابرهيم في النار وكابتلاء اسحق بالذبح وكان شغل همه يوسف بغير اختيار منه وكذا تأسفه عليه وما روي انه عوتب على ذلك فان صح
فالابرار سيئات المقربين وبالجملة فقد كانت واقعة يعقوب امرا خارق العادة اراد الله تعالى بذلك ابتلاءه وتمادى اسفه وحزنه والا فمع غاية شهرته
وشدة محبته وقرب المسافة بينه وبين ابنه كيف خفي حال يوسف ولم لم يبعث يوسف الى ابيه رسولا بعد تملكه وقدرته ولم زاد في حزن ابيه بحبس
اخيه عنده اما قوله واعلم من الله ما لا تعلمون فمعناه اعلم من رحمته واحسانه ما لا تعلمون فارجو ان يأتيني الفرج من حيث لا احتسب وقيل انه رأى ملك
الموت في المنام فقال له يا ملك الموت هل قبضت روح ابني يوسف قال لا يا نبي الله ثم اشار الى جانب مصر وقال اطلبه ههنا وقيل انه كان قد رأى
امارات الرشد والكمال في يوسف فعلم ان رؤياه صادقة لا تخطئ وقال السدي اخبره بنوه بسيرة الملك وكمال حاله في اقواله وافعاله فظن انه ابنه او
علم ان بنيامين لا يسرق وسمع ان الملك ما اذاه فغلب على ظنه ان الملك هو يوسف وقيل اوحى الله تعالى اليه انه سيلقى يوسف ابنه ولكنه ما عين
الوقت فلذلك قال ما قال ثم دعا بنيه على سبيل التلطف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وهو طلب الشيء بالحاسة كالسمع والبصر و
مثله التجسس بالجيم وقد قرئ بهما وربما يخص الجيم بطلب الخبر في الشر ولا تيأسوا من روح الله من فرجه وتنفيسه وقرئ بالضم اي من رحمته
التي يحيي بها العباد قال الاصمعي الروح ما يجده الانسان من نسيم الهواء فيسكن اليه والتركيب يدل على الحركة والهزة فكل ما يهتز بوجوده ويلتذ
به فهو روح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لان هذا اليأس دليل على انه اعتقد ان الله تعالى غير قادر على كل المقدورات
او غير عالم بجميع المعلومات او ليس بجواد مطلق ولا حكيم لا يفعل العبث في البعث وكل واحدة من هذه العقايد كفر فضلا عن جميعها اللهم انا
لا نيأس من روحك فاصنع بنا فعل من انت اهله ثم ههنا اضمار والتقدير فقبلوا وصية ابيهم وعادوا الى مصر فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز
اي الملك القادر المنيع مسنا واهلنا الضر الفقر والحاجة الى الطعام وعنوا باهلهم من خلفهم وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة
عنها من ازجيته اذا دفعته قال سبحانه الم تر ان الله يزجي سحابا ومنه قولهم فلان يزجي العيش اي يدفع الزمان بالقليل قال الكلبي هي من لغة
العجم وقيل لغة القبط والاصح انها عربية لوضوح اشتقاقها قيل كانت بضاعتهم الصوف والسمن والاقط وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل
وقيل دراهم زيوفا لا يؤخذ الا بنقص لانها لم يكن عليها صورة يوسف وكانت دراهم مصر منقشا عليها صورته فاوف لنا الكيل الذي هو حقنا وتصدق
علينا واعلم انهم طلبوا المسامحة بما بين الثمنين وان يسعر لهم بالرديء كما يسعر بالجيد فاختلف العلماء في انه هل كان ذلك منهم طلب الصدقة
فقال سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبياء الا نبينا محمدا صلعم وقال الاكثرون ارادوا بالتصدق التفضل بالاغماض عن رداءة البضاعة
او بايفاء الكيل والصدقات محظورة على الانبياء كلهم وقوله ان الله يجزي المتصدقين يمكن تنزيله على القولين لان كل احسان يبتغى به وجه الله فان ذلك
لا يضيع عنده والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة عند الله ومن ثم لم يجوز العلماء ان يقال الله تعالى متصدق ولا اللهم تصدق علي بل يجب ان يقال
اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني كان يعقوب لما امرهم بالتحسس عن يوسف واخيه والمتحسس يجب عليه ان يتوسل الى مطلوبه بجميع الطرق كما قيل الغريق
يتعلق بكل شيء فبدؤا بالعجز والاعتراف بضيق اليد واظهار الفاقة فرق الله تعالى قلبه وارفض عيناه فعند ذلك قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف و
قيل ادوا اليه كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابرهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي
فشدت يداه ورجلاه ورمي به في النار ليحرق فنجاه الله تعالى وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا
فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم
كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته
علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروي انه لما قرأ الكتاب
بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا وقوله هل علمتم استفهام يفيد تعظيم الواقعة ومعناه ما اعظم الامر الذي ارتكبتم من يوسف وما اقبح ما اقدمتم
عليه كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت وفيه تصديق لقوله سبحانه لتنبئنهم بامرهم هذا واما فعلهم باخيه فتعريضهم اياه للغم بافراده عن اخيه لابيه
وامه وايذاؤهم اياه بالاحتقار والامتهان وقوله اذ انتم جاهلون جار مجرى الاعتذار عنهم كانه قال انما اقدمتم على ذلك الفعل القبيح المنكر حال ما كنتم
في اوان الصبي وزمان الجهالة والغرة ازالة للخجالة عنهم فان مظنة الجهل الشباب ونصحا لهم في الدين اي هل علمتم قبحه فتبتم لان العلم بالقبح يدعو
الى التوبة غالبا فاثر كما هو عادة الانبياء حق الله على نفسه في المقام الذي يتشفى المغيظ وينفث المصدور ويدرك ثارة الماثور وقيل انما نفى
العلم عنهم لانهم لم يعملوا بعلمهم ولما كلمهم بذلك قالوا ائنك لانت يوسف عرفوا بالخطاب الذي لا يصدر الا عن حنيف مسلم من سنخ ابرهيم
او تبسم فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم او رفع التاج عن راسه فنظروا الى علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء كان ليعقوب وسارة مثلها قال
انا يوسف صرح بالاسم تعظيما لما جرى عليه من ظلم اخوته كانه قال انا الذي ظلمتموني على اشنع الوجوه والله اوصلني الى اعظم المناصب انا ذلك العاجز
الذي قصدتم قتله ثم صرت كما ترون ولهذا قال وهذا اخي مع انهم كانوا يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما كما كنت ثم صار
منعما عليه من الله وقيل لم يعرفونه لان مقصوده ان يقول وهذا ايضا كان مظلوما قوله قد من الله علينا اي بكل خير دنيوي واخروي او بالجمع بعد التفرق

انه ان الشان من يتق عقاب الله ويصبر عن معاصيه وعلى طاعته فان الله لا يضيع اجر المحسنين اراد اجرهم فاكتفى عنه بالظاهر بالعموم ومن قرأ يتقي باثبات الياء فوجهه ان يجعل من بمعنى الذي ويجوز على هذا الوجه ان يكون قوله ويصبر في موضع الرفع الا انه حذفت الحركة للتخفيف او للمشاكلة وفي الاية دليل على براءة ساحة يوسف ونزاهة جانبه عن كل سوء والا لم يكن من المتقين الصابرين قالوا تالله لقد اثرك الله علينا اعتراف منهم بتفضيله عليهم بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين وصفة الاحسنين ولا يلزم من ذلك ان لا يكونوا انبياء وان احتج بهم بعضهم لان الانبياء متفاوتون في الدرجات تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض وان كنا وان شاننا انا كنا خاطئين قال ابو عبيدة خطاء واخطأ بمعنى واحد وقال الاموي المخطئ من اراد الصواب فصار الى غيره ومنه قولهم المجتهد يخطئ ويصيب والخاطئ من تعمد ما لا ينبغي قال ابو علي الجبائي انهم اعتذروا عن ذلك الذي فعلوا بيوسف لانه وقع منهم قبل البلوغ ومثل ذلك لا يعد ذنبا وانما اعتذروا من حيث انهم اخطأوا بعد ذلك حين لم يظهروا لابيهم ما فعلوه ليعلم انه حي وان الذئب لم ياكله واعترض عليه فخر الدين الرازي بانه يبعد من مثل يعقوب ان يبعث جمعا من الصبيان من غير ان يبعث معهم رجلا بالغا عاقلا فالظاهر انه وقع ذلك منهم بعد البلوغ سلمنا لكن ليس كل ما لا يجب الاعتذار عنه لا يحسن الاعتذار عنه ولما اعترفوا بفضله عليهم وبكونهم متعمدين للاثم قال يوسف لا تثريب عليكم لا تانيب ولا توبيخ وقيل لا اذكر ذنبكم وقيل لا مجازاة لكم عندي على ما فعلتم وقيل لا تخليط ولا افساد عليكم واشتقاقه من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كالتجليد والتقريد لازالة الجلد والقراد وذلك لانه اذا ذهب منه الثرب كان في غاية الهزال والعجف فصار مثلا للتقريع المدنف المضني وقوله اليوم اما ان يتعلق بالتثريب او بالاستقرار المقدر في عليكم اي لا اثربكم اليوم الذي هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره ثم ابتدأ فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم ليكون عقاب الدارين زائلا عنهم واصل الدعاء ان يقع على لفظ المستقبل فاذا اوقعوه بلفظ الماضي فذلك للتفاؤل ويحتمل ان يكون اليوم متعلقا بالدعاء فيكون فيه بشارة بتعجيل غفران الله لحدوث توبتهم وحدوثها في ذلك اليوم يروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الان بكم وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم الفتح بعضادتي باب الكعبة فقال لقريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال صلى الله عليه وسلم اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم قال عطاء الخراساني طلب الحوائج الى الشباب اسهل منها الا الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف استغفر لكم ولما عرفهم يوسف نفسه سألهم عن ابيهم فقالوا ذهبت عيناه فقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يات بصيرا كقولك جاء البناء محكما ومثله بارتد بصيرا والمراد يات الي وهو بصير دليله قوله واتوني باهلكم اجمعين قيل هو القميص المتوارث الذي كان في تعويذ يوسف وكان من الجنة اوحى الله اليه ان فيه عافية كل مبتلى وشفاء كل سقيم وقالت الحكماء لعله علم ان اباه ما كان اعمى وانما صار ضعيف البصر من كثرة البكاء فاذا القي عليه قميصه سار منشرح الصدر يقوي روحه وزال ضعفه ويروى ان يهوذا حمل القميص قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم فافرحه كما احزنته فحمله وهو حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا عن الكلبي كان اهله نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق ودخل قوم يوسف مصر وهم ثلاثة وتسعون بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم نحو من ستمائة الف ولما فصلت العير خرجت من عريش مصر فصل من البلد فصولا انفصل منه وجاوز حيطانه وفصل مني اليه كتاب اذا نفذ واذا كان فصل متعديا كان مصدره الفصل قال ابوهم لمن حوله من قومه اني لاجد بحاسة الشم ريح يوسف قال مجاهد هبت ريح فصفقت القميص ففاحت رائحة الجنة في الدنيا فعلم يعقوب انه ليس في الدنيا من ريح الجنة الا ما كان من ذلك القميص قال اهل التحقيق ان الله تعالى اوصل الى يعقوب ريح يوسف عند انقضاء مدة المحنة ومجيء اوان الروح والفرح من مسيرة ثمان ومنع من وصول خبره اليه مع قرب البلدين في مدة ثمانين سنة او اربعين عند الاكثرين وكلاهما معجزة ليعقوب خارقة للعادة وذلك يدل على ان كل سهل فهو في زمان المحنة صعب وكل صعب فهو في زمان الاقبال سهل وقوله لولا ان تفندون جوابه محذوف اي لولا تفنيدكم اياي لصدقتموني والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وتغير العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفندة لانها لم تكن ذات رأي فتفند في الكبر قالوا يعني الحاضرين عنده تالله انك لفي ضلالك القديم اي فيما كنت فيه من البعد عن الصواب في افراط محبة يوسف كما قال بنوه ان ابانا لفي ضلال مبين وقيل لفي شقائك القديم بما يكابد من الاحزان قال الحسن انما قالوا هذه الكلمة الغليظة لاعتقادهم ان يوسف قد مات فلما ان جاء او صلة زائدة فلما تأمل فلما ذهب عن ابراهيم الروع وقيل هي مع الفعل في محل الرفع بفعل مضمر فلما ظهر ان جاء البشير وهو يهوذا القاه طرحه البشير او يعقوب على وجهه فارتد بصيرا رجع القلب من العمى الى البصر او من الضعف الى القوة قال الم اقل لكم جوز في الكشاف ان يكون مفعوله محذوفا وهو قوله اني لاجد ريح يوسف او قوله ولا تيأسوا من روح الله ويكون قوله اني اعلم كلاما مستانفا والظاهر انه مفعوله وقوله اني اعلم من الله ما لا تعلمون وذلك انه قال لهم انما اشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون روي انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الان تمت النعمة ثم ان اولاده اخذوا يعتذرون اليه فوعدهم الاستغفار قال ابن عباس والاكثرون اراد ان يستغفر لهم في وقت السحر لانه ارجى الاوقات اجابة وعن ابن عباس في رواية اخرى اخر الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة وقيل اخر ليتعرف حالهم في الاخلاص وقيل استغفر لهم في الحال وقوله

عمران

ص ١١



علمتهم

لدوام الاستغفار في الاستقبال فقد روي انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة وروي انه قام الى الصلوة في وقت السحر فلما
فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين
وروي انهم قالوا له وقد غلبتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل الشيخ القبلة
قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى جهدوا وظنوا انهم هلكوا نزل جبرئيل فقال ان الله قد اجاب
دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة واختلاف الناس في نبوتهم مشهور ويحكى انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه
بمن معه وخرج يوسف والملك في اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهودا فنظر الى الخيل والناس فقال
يا يهودا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك فلما لقيه قال يعقوب السلام عليك يا مذهب الاحزان فاجابه يوسف وقال يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان
القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك ومعنى آوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن اسحق كانت امه باقية الى
ذلك الوقت او ماتت الا ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها تحقيقا لرؤيا يوسف وقيل المراد بابويه ابوه وخالته لان امه ماتت في النفاس باخيه
بنيامين حتى قيل بنيامين بالعبرية ابن الوجع ولما توفيت امه تزوج ابوه بخالته فسماها الله تعالى احد الابوين لان الخالة تدعى اما لقيامها مقام الام او
لان الخالة ام كما ان العم اب فكيف وقد اجتمع ههنا الامران قال السدي كان دخولهم على يوسف قبل دخولهم مصر كانه حين استقبلهم نزل لهم
في خيمة او بيت هناك فدخلوا عليه وضم اليه ابويه وقال ادخلوا مصر فعلى هذا جاز ان يكون الاستثناء عائدا الى الدخول وعن ابن عباس ادخلوا
مصر اي اقيموا بها وقوله ان شاء الله آمنين تعلق بالدخول المكيف بالامن وكانه قيل اسلموا وآمنوا في دخولكم واقامتكم ان شاء الله وجواب الشرط
بالحقيقة محذوف والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين اراد الامن على انفسهم واموالهم واهليهم بحيث لا يخافون احدا وكانوا فيما
سلف يخافون ملك مصر او اراد الامن من القحط والشدة او من تعييره اياهم بالجرم السالف ورفع ابويه على العرش السرير او الرفيع الذي كان يجلس
عليه وخروا له سجدا لسائل ان يقول السجود لا يجوز لغير الله فكيف سجدوا ليوسف وايضا تعظيم الابوين تالي تعظيم الله سبحانه فمن اين جاز
سجدة ابويه له والجواب عن ابن عباس في رواية عطاء ان المراد وخروا لاجل وجدانه سجدا لله فكانت سجدة الشكر لله سبحانه وكذا التأويل في قوله والشمس
والقمر رأيتهم لي ساجدين اي انها سجدت لله تعالى لاجل طلب مصلحتي واعلاء منصبي واحسن من هذا ان يقال انهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا
لله شكرا على لقائه او يراد بالسجدة التواضع التام على ما كانت عادتهم في ذلك الزمان من التحية ولعلها ما كانت الا انحناء دون تعفير الجبهة
واعترض على هذا الوجه بان لفظ الخرور يأباه واجيب بان الخرور قد يعنى به المرور قال تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا اي لم يمروا وقيل الضمير
عائد الى اخوته فقط ورد بان قوله هذا تأويل رؤياي من قبل ينبو عنه واجيب بان التعبير لا يلزم ان يكون مطابقا للرؤيا من كل الوجوه
فيحتمل ان يكون السجدة في حق الاخوة التواضع التام وفي حق ابويه مجرد ذهابهما من كنعان الى مصر ففيه تعظيم تام للولد وايضا وقيل انما سجد الابوان لئلا
تحمل الانفة اخوته على عدم السجود فيصير سببا لثوران الفتن واحياء الاحقاد والضغائن او لعله تعالى امر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفية لا يعرفها
الا الله تعالى ورضي بذلك يوسف موافقة لامر الله ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان يوسف لما رأى سجودهم اقشعر جلده ولكن لم يقل شيئا و
كان الامر بتلك السجدة كان من تمام التشديد والبلية والله اعلم وقد احسن بي اي احسن بي واليه بمعنى اذ اخرجني من السجن لم يذكر اخراجه من البئر
لانه نوع تثريب للاخوة وقد قال لا تثريب عليكم ولانه لم يكن نعمة لانه حينئذ صار عبدا وصار مبتلى بالمرأة ولان هذا الاخراج اقرب واشمل وجاء بكم
من البدو اي من البادية سمي المكان باسم المصدر لظهور الشخص فيه من بعيد وكان يعقوب وولده بارض كنعان اهل مواش ينتقلون في المياه و
الصحاري قال ابن الانباري بدا موضع معروف هنالك روي عن ابن عباس ان يعقوب كان قد تحول اليه وسكن فيه ومنه قدم الى يوسف فعلى
هذا كان يعقوب وولده اهل الحضر والبدو قصد هذا الموضع الذي يقال له بدا والمعنى جاء بكم من قصد بدا ذكره الواحدي في البسيط قال الجبائي
والكعبي والقاضي انه تعالى اخبر عن يوسف انه اضاف الاحسان الى الله ونسب النزغ الى الشيطان وهو الافساد والاغراء ففيه دليل على ان الخير من الله
دون الشر واجيب بانه انما راعى الادب والا فليس فعل الشيطان الا الوسوسة والقاصرة الداعية الى الشر فلا بد من عودها الى الله تعالى فان العاقل لا يريد
ضرر نفسه ان ربي لطيف لما يشاء فاذا اراد حصول امر هيأ اسبابه وان كان في غاية البعد عن الاوهام انه هو العليم بالوجه الذي يسهل به الصعاب
الحكيم في افعاله حتى يجيء على الوجه الاصوب والنحو الاصلح يحكى ان يوسف اخذ بيد يعقوب وطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب و
خزائن الحلي والثياب والسلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني
جبرئيل قال او ما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسأله فقال جبرئيل الله امرني بذلك لقولك واخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتني ثم ان يعقوب
اقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ذلك ثلثا وعشرين سنة فلما
تم امره وعلم انه لا يدوم له قال رب قد آتيتني من الملك شيئا من ملك الدنيا او من ملك مصر لانه كان دون ملك فوقه وعلمتني من تأويل الاحاديث بعضا
من ذلك لانه لا يمكن للانسان ان يحصل في العمر المتناهي والاستعداد المعين المحصور سوى المتناهي من السعادات الدنيوية والكمالات الاخروية فاطر السموات
والارض منادى ثان او صفة للنداء الاول اي مبدعهما على النحو الافضل من مادة سابقة كالدخان او من عدم محض انت وليي في الدنيا والآخرة

لا ينوي اصلاح مهماتي في الدارين غيرك ولما قدم النداء والثناء كما هو شرط الادب احسن ذكر المسئلة فقال توفني مسلما اراد الوفاة على حال الاسلام
والختم بالحسنى كقوله تعالى ولا تموتن الا وانتم مسلمون والحقني بالصالحين من آبائي او على العموم قيل الصلاح اول درجات المؤمنين فالواصل الى الغاية
وهي النبوة كيف يليق به ان يطلب البداية والجواب ان اراد الالحاق بالآباء فظاهر وان اراد العموم فكذلك لان طلب الصلاح غير طلب الالحاق باهل
الصلاح عبر فان اجتماع النفوس المشرقة بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي تتعاكس اضواؤها وتتكامل انوارها
الى حيث لا تطيقها العيون الضعيفة هذا مع ان الختم على الصلاح نهاية مراتب الصديقين وههنا بحث للاشاعرة وهو ان التوفي على الاسلام
والالحاق باهل الصلاح لو لم يكن من فعل الله تعالى كان طلبه من الله جاريا مجرى قول القائل افعل يا من لا يفعل وهل هذا الا كتشنيع المعتزلة
علينا اذا كان الفعل من الله فكيف يجوز ان يقول للمكلف افعل مع انه ليس بفاعل اجاب الجبائي والكعبي بان المراد اللطف بالاقامة على الاسلام
الى ان اموت فالحق بالصالحين ورد بانه عدول عن الظاهر مع ان كل ما في مقدور الله من الالطاف فقد فعله في حق الكل فسؤاله لغو لانهما يعلمون
انهم يموتون على الاسلام البتة فما الفائدة في الطلب اجيب بان العلم الاجمالي لا يغني عن العلم التفصيلي ولا سيما في مقام الخشية والرهبة وقال في التفسير
الكبير المطلوب ههنا حالة زائدة على الاسلام الذي هو ضد الكفر وهي الاستسلام لحكم الله والرضا بقضائه وعن قتادة وكثير من المفسرين انه تمنى
الموت واللحوق بدار البقاء في زمرة الصلحاء ولم يتمن الموت نبي قبله ولا بعده قال اهل التحقيق لا يبعد من الرجل العاقل اذا كمل عقله ان يعظم رغبته
في الموت لوجوه منها ان مراتب الموجودات ثلث المؤثر الذي لا يتأثر وهو الاله تعالى وتقدس والمتأثر الذي لا يؤثر وهو عالم الاجسام فانها
قابلة للتشكيل والتصوير والصفات المختلفة والاعراض المتضادة ويتوسطهما قسم ثالث هو عالم الارواح لانها تقبل الاثر والتصرف من
العالم الالهي ثم اذا اقبلت على عالم الاجسام تصرفت فيه واثرت والنفوس في التأثير والتأثر مراتب غير متناهية لان تأثرها بحسب تأثيرها
فما فوقها والكمال الالهي غير متناه فاذن لا ينفك النفس من نقصان ما والناقص اذا حصل له شعور بنقصانه وذاق لذة الكمال بقي في القلق
والم الطلب ولا سبيل له الى دفع هذا القلق والالم الا بالموت فح يتمنى الموت ومنها ان سعادات الدنيا ولذاتها سريعة الزوال مشرفة على
الفناء والالم الحاصل عند زوالها اشد من اللذة الحاصلة عند وجدانها مخلوطة بالمنغصات والاراذل من الخلق يشاركون الافاضل
فيها بل ربما كانت حصة الاراذل اكثر فلاجرم تمنى العاقل موته ليتخلص من هذه الآفات ومنها ان اللذات الجسمانية لا حقيقة لها الا ان
حاصلها يرجع الى دفع الآلام وقد قررنا هذا المعنى فيما سلف ومنها ان مداخل اللذات الدنيوية ثلثة لذة الاكل ولذة الوقاع ولذة الرياسة
ولكل منها عيوب فلذة الاكل مع انها غير باقية بعد البلع فان المأكول يختلط بالبصاق المجتمع في الفم ولا شك انه شيء منفر ثم يصل الى المعدة
ويستحيل الى ما ذكره منفر فكيف يفرح به ومن ههنا قال بعض العقلاء من كانت همته ما يدخل في جوفه كانت قيمته ما يخرج من بطنه هذا مع اشتراك الحيوانات الخسيسة
فيها وايضا اشتداد الجوع حاجة والحاجة نقص وآفة وكذا الكلام في لذة النكاح وعيوبها مع ان فيها فتح احتياجا الى زيادة المال والنفقة للزوج
والولد وما يلزمهما والاحتياج الى المال يلقي المرء في مهالك الاكتساب ومهاوي الانتجاع ولذة الرياسة ادنى عيوبها ان كل واحد يكره بالطبع ان
يكون خادما مأمورا ويحب ان يكون مخدوما آمرا فسعي الانسان في الرياسة سعي في مخالفة كل من سواه ولا ريب ان هذا امر صعب الحصول منيع
المرام واذا ناله كان على شرف الزوال في كل حين واوان لان كثرة الاسباب توجب حصول الاثر فيكون دائما في الحزن والخوف فاذا تأمل العاقل في
هذه المعاني علم قطعا انه لا صلاح في اللذات العاجلة ولكن النفس جبلت على طلبها والرغبة فيها فيكون دائما في بحر الآفات وغمرات الحسرات
فح يتمنى زوال هذه الحيوة وقد سبق منا في تمني الموت كلام اخر في سورة البقرة في تفسير قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين فليتذكر قال اهل
السير لما توفي يوسف تخاصم اهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر
وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا فيه شرعا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع
فتى موسى ثم بقي يوسف هنالك الى ان بعث الله موسى فاخرج عظامه من مصر ودفنها عند قبر ابيه والله تعالى اعلم بحقائق الامور التأويل ان يعقوب
الروح لا يتأسف على فوات شيء من المخلوقات الا على يوسف القلب لانه مرآة جمال الحق لا يشاهد الحق الا فيها فلذلك ابيضت عيناه
في انتظارها فلامه على ذلك الاوصاف البشرية بقولهم تفتؤا تذكر يوسف وانه اهل السلوة في شيء من اهل العشق انه لا يخلو من الشيء ولا بد
للمحب من ملامة الخلق فاول ملامة في آدم ع حين قالت الملائكة لاجله اتجعل فيها من يفسد فيها بل اول ملامة هو الله تعالى حين قال انه ظلوم
فيها وذلك انه اول محب ادعى المحبة وهو قوله يحبهم واعلم من الله من حاله وكماله اذهبوا فتحسسوا فيه ان الواجب على كل مسلم ان يطلب يوسف
قلبه ويبتغيه من سره وان ترك لطف الله والتائبين عن جهله كفر فلما رأت الاوصاف البشرية آثار العزة من رب العزة على صفحات احوال
يوسف القلب حين وصلوا بسير احكام الشريعة وتدبير آداب الطريقة الى سرادقات حضرة القلب قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا وهم القوى
الانسانية الضر البعد عن الحضرة الربانية وجئنا ببضاعة مزجاة من الاعمال البدنية فاوف لنا الكيل بافاضة سجال العواطف واسباغ ظلال
العواطف انتم جاهلون اذ كنتم على صفة الظلومية والجهولية لقد آثرك الله علينا بالطلب والصدق والشوق والمحبة والوصول والوصال
وان كنا لخاطئين في الاقبال على استيفاء الحظوظ الحيوانية التي تضر القلب بالسر والروح لا تثريب عليكم اليوم لا تتصدعون منها ماصد بحكمة من الله

من الصالحين ١٢

ثم انها

تعالى وتربية القلب وان كان مضرا له ظاهرا كما ان صنيع اخوة يوسف فى البداية صار سببا لزيادة منزلته فى النهاية فانه هو ابيض بصره وهو نور جمال الله
ولما فصلت عير واردات القلب هبت نفحات الطاف الحق انك لفى ضلالك القديم شعر يا عاذل العاشقين دع فئة + اضلها الله كيف
يرشدها + فارتد بصيرا لان الروح كان بصيرا فى بدو الفطرة ثم عمى لتعلقه بالدنيا وبصره فيها ثم صار بصيرا بوارد من القلب شعر +
ورد البشير بما اقر الاعينا + وشفى النفوس من فنون غايات المنى + والقلب فى بدو الامر كان محتاجا الى الروح فى الاستكمال فلما كمل وصلح لقبول
فيضان الحق بين اصبعين ونال مملكة الخلافة بمصر القربة فى النهاية صار الروح محتاجا اليه لاستنارته بانوار الحق وذلك ان القلب بمثابة
المصباح فى البداية الى الزيت قبول النار ولكن الزيت يحتاج الى المصباح وتزكيته فى النهاية لتقبل بواسطة النار ادخلوا مصر ان شاء الله
لانه لا يصل الى الحضرة الاحدية الا بجذبة المشيئة امنين من الانقطاع والانفصال وخروا له سجدا لما راوه وعرفوه انه عرش الحق تعالى فالسجدة
لله كانت فى الحقيقة او بالعرش هذا تاويل رؤياى من قبل انى كنت نائما فى نوم العدم اذ اخرجنى من السجن الى الوجود ولم يقل من الجب لانه لا يخرج من جب البشرية
مادام فى البدن والطبيعة تنتشى الملك ملك الوصال والوصول فاطر سموات عالم الارواح وارض البشرية توفنى مسلما من قيد الوجود المجازى وابقنى ببقائك
مع الباقين بك بفضلك ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون وما اكثر
الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسئلهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من اية فى السموات والارض يمرون
عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم
الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى وسبحان الله وما انا من المشركين
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من اهل القرى افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم ولدار الاخرة خير للذين اتقوا افلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا
فنجى من نشاء ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب ما كان حديثا
يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شىء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون القراءات سبيلى بفتح الياء ابو
جعفر ونافع نوحى بالنون وكسر الحاء حفص الاخرون بالياء وفتح الحاء يعقلون على الغيبة ابو عمرو وحمزة وعلى وخلف وهشام وابن كثير والاعشى والبرجمى
والباقون بتاء الخطاب كذبوا بالتخفيف عاصم وحمزة وعلى وخلف ويزيد الباقون بالتشديد فنجى بضم النون وكسر الجيم المشددة وفتح الياء ابن عامر و
عاصم وسهل ويعقوب فعلى هذا يكون فعلا ماضيا مبنيا للمفعول وعن الكسائى مثل هذا ولكن بسكون الياء وخطاء عليه بناء على انه فعل مستقبل
من الانجاء والنون لا يدغم فى الجيم ومن التخفيف والنون المتحركة لا يدغم فى الساكن واقول ان كان فعلا ماضيا من التنجية والنون المتحركة لا يدغم
كما فى القراءة الاولى ولكن سكن الياء للتخفيف لم يلزم منه خطاء الاخرون قرؤا بنونين وتخفيف الجيم وسكون الياء فعلا مضارعا من الانجاء
على حكاية الحال الماضية الوقوف اليك ج لابتداء النفى مع واو العطف يمكرون ه بمؤمنين ه اجر ط للعالمين ه معرضون ه مشركون ه لا يشعرون ه ومن اتبعنى ط
المشركين ه القرى ط من قبلهم ط اتقوا ط تعقلون ه نصرنا لا لمن قرا فنجى بالتخفيف ولا وقف على من نشاء ومن قرا فنجى مشددة وصله بما قبله ووقف على من نشاء المجرمين ه
الالباب ط يؤمنون ه التفسير ذلك الذى ذكر من نبأ يوسف هو من اخبار الغيب وقد مر تفسير مثل هذا فى اخر قصة زكريا فى سورة ال عمران ومعنى اجماع
الامر والعزم عليه كما مر فى سورة يونس فى قصة نوح واراد عزمهم على القاء يوسف فى البئر وهو المكر بعينه وذلك مع سائر الغوائل من المجئ على قميصه بدم
كذب ومن شراهم اياه بثمن بخس قال اهل النظر ان كفار قريش وجماعة من اليهود طلبوا هذه القصة من رسول الله صلعم على سبيل التعنت فاعتقد رسول الله
انه اذا ذكرها لهم اصروا على كفرهم فنزل وما اكثر الناس اى اكثر خلق الله المكلفين او اكثر اهل مكة قاله ابن عباس ولو حرصت جوابه مثل ما تقدم
اى ولو حرصت كما هم بمؤمنين والحرص طلب الشئ باقصى ما يمكن من الاجتهاد ونظير الاية قوله انك لا تهدى من احببت وما تسئلهم عليه على
ما تحدثهم به من اجر كما يسئل القصاص ان هو الا ذكر وعظة من الله للعالمين عامة على لسان رسوله وكاين من اية الاكثرون على انه لفظ مركب من كاف
التشبيه واى التى هى فى غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة لكنه انمحى عن الجزئين معناهما الافرادى وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية والتمييز عن
الكاف لا عن اى كما فى مثلك رجلا والاكثر ادخال من فى تمييزه وقد مر فى سورة البقرة فى تفسير قوله سبحانه ان فى خلق السموات والارض وفى مواضع
اخر تفصيل بعض الايات السماوية والارضية الدالة على توحيد الصانع وصفات جلاله ومن جملة الايات قصص الاولين واحوال الانبياء ومعنى
يمرون عليها انهم يشاهدونها وهم عنها معرضون لا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على الابتداء خبره يمرون والمراد ما يرون من اثار الامم
الهالكة وغير ذلك من العبر والحاصل ان جملة العالم العلوى والعالم السفلى محتوية على الدلائل والبينات على وجود الصانع ونعوت كماله ولكن
الغافل يتعامى عن ذلك وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون وذلك انهم كانوا مقرين بالاله ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله لكنهم كانوا يثبتون له شريكا فى المعبودية وهو الاصنام ويقولون هم الشفعاء وكان اهل مكة يقولون الملائكة بنات الله وعن الحسن هم
اهل الكتاب يقولون عزير ابن الله والمسيح ابن الله وعن ابن عباس هم الذين يشبهون الله بخلقه احتجت الكرامية بالاية على ان الايمان عبارة عن مجرد الاقرار
اذ لو كان كافيا لما اجتمع مع الشرك غاشية عقوبة تغشاهم وتغمرهم قل يا محمد لهم هذه سبيلى التى هى الدعوة الى الايمان سبيلى وسيرتى وقوله ادعوا الى الله

نفسه لسبيلي وعلى بصيرة حال من ضمير ادعو. انا تاكيد للمستتر في ادعو ومن اتبعني عطف عليه ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة في انا ومن اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ معطوفا عليه ومن اتبعني وعلى بصيرة خبر امقدما فيكون ابتداء اخبار بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى وتشهي وقل سبحان الله تنزيها عما اشركوا وما انا من المشركين لا شركا جليا ولا شركا خفيا قال وما ارسلنا من قبلك رد الانبياء قبلك بغير من لان قبلا اسم للزمان السابق على ما اضيف اليه ومن يفيد استيعاب الطرفين وفي هذه السورة اريد الاستيعاب قوله الا رجالا رد على من زعم ان الرسول ينبغي ان يكون ملكا او يمكن ان يكون امرأة مثل سجاح المتنبئة وقوله من اهل القرى خصهم بالاستنباء لما في اهل البادية من الغلظ والجفاء. فبما رحمة من الله لنت لهم قال صلعم من بدا جفا ومن اتبع الصيد غفل افلم يسيروا في الارض فينظروا الى مصارع الامم المكذبة انما قال افلم يسيروا بالفاء بخلاف ما في الروم والملائكة لاتصاله بقوله وما ارسلنا من قبلك فكان الفاء انسب الواو ولدار الآخرة موصوف محذوف صلة دار الساعة والحال الآخرة لان للناس حالين حال الدنيا وحال الآخرة وبيان الخيرية قد مر في الانعام وانما حسن ههنا الحذف لتقدم ذكر الساعة قال في الكشاف حتى غاية لمحذوف دل عليه الكلام والتقدير فتراخى نصر اولئك الرجال حتى اذا استيأسوا عن النصر او عن ايمان القوم وظنوا انهم قد كذبوا فيه وجوه لقرائتي التخفيف والتشديد كان عود الضمير في الفعلين الى الرسل والى المرسل اليهم الدال عليهم ذكر الرسل السابق ذكرهم في افلم يسيروا اما وجوه التخفيف فمنها فظن الرسل انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون وكذبهم رجاؤهم لقولهم رجاء صادق وكاذب المراد ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله قد تطاولت وتمادت حتى توهموا ان لا نصر لهم في الدنيا قال ابن عباس ظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر قال وكانوا بشرا الا ترى الى قوله وزلزلوا والعلماء حملوا قول ابن عباس على ما يخطر بالبال شبه الوسوسة وحديث النفس على ما البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الآخر فلا لان الرسل اعرف الناس بالله وبانه بعيد عن الخلف مبرأ عن وصمة الاخلاف ومنها وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا فيما وعدوا من النصر والظفر ومنها وظن المرسل اليهم انهم قد كذبوا من جهة الرسل اي كذبهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم واما قراءة التشديد فان كان الظن بمعنى اليقين فمعناه ايقن الرسل ان الامم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان بعده فحينئذ دعوا عليهم فهنالك نزل عذاب الاستئصال او كذبوهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وان كان بمعنى الحسبان فالمعنى توهم الرسل ان الذين آمنوا بهم كذبوهم تكذيبا لا يصدر عنهم الايمان وهذا تأويل عائشة قالت وعد الله محمدا شيئا الا وعلم انه سيوفيه ولكن البلاء لم يزل بالانبياء حتى خافوا من ان يكذبهم الذين كانوا قد آمنوا بهم لقد كان في قصصهم قصص الرسل اضافه المصدر الى الفاعل ويحسن ان يعود الضمير لاخوة يوسف له لاختصاص هذه السورة بهم والعبرة نوع من الاعتبار وهي العبور من الطرف المعلوم الى الطرف المجهول ووجه الاعتبار على العموم ان يعلم ان لا خير الا في العمل الصالح والتزود بزاد التقوى فان الملوك الذين عمروا البلاد وقهروا العباد ثم لم يراعوا حق الله في شيء من ذلك ماتوا وانقرضوا وبقي الوزر والوبال عليهم وعلى الخصوص ان الذي قدر على اعزاز يوسف بعد القائه في الجب واعلاء شانه بعد حبسه في السجن واجتماعه باهله بعد طول التباعد قادر على اظهار محمد واعلاء كلمته والكل مشترك في الدلالة على صدق محمد لان هذا النوع من القصص الذي لم يخرج جملة الاحاديث ورواة الاخبار ممن لم يطالع الكتب ولم يخالط العلماء دليل ظاهر وبرهان باهر على انه بطريق الوحي والتنزيل وانما يكون دليلا واعتبارا لاولي الالباب اصحاب العقول الذين يتاملون ويتفكرون لا الذين يمرون ويعرضون على ان الدليل دليل في نفسه للعقلاء وان لم ينظر فيه مستدل قط كما ان الرئيس الحقيقي من له اهلية الرياسة وان كان في نهاية الخمول ما كان مدلول القصص هو المقصوص والقرآن حديثا مفترى لظهور الاعجاز ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وتفصيل كل شيء يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذي يستند اليه السنة والاجماع والقياس وقيل تفصيل كل شيء من واقعة يوسف مع ابيه واخوته قال الواحدي وعلى التفسيرين فهو ليس على عمومه لان المراد به الاصول والقوانين وما يؤول اليها وهدى في الدنيا ورحمة في الآخرة لقوم يؤمنون لانهم هم المنتفعون بذلك التاويل من ابناء الغيب لان هذا الترتيب في السلوك لا يعلمه الا اولو الجوز في ملكوت السماء الغواصون في بحر بطن القرآن وما كنت لديهم بالصورة ولكن كنت حاضرا بالمعنى وما اكثر الناس وهم صفات الناسوتية وما تسئلهم عليه وما تسئلهم عليه من اجر لان اللاهوتية غير محتاجة الى الناسوتية وان دعتها الى الاستكمال لانها كاملة في ذاتها مكملة لغيرها وكاين من آية في سماوات القلوب وارض النفوس تمر الاوصاف الانسانية عليها وهم عنها معرضون لانها لما طلع الدنيا وشهواتها وما يؤمن اكثر الصفات الانسانية بطلب الله وتبدل صفاتها الا وهم مشركون في طلب الدنيا وشهواتها وطلب الآخرة ونعيمها او وما يؤمن اكثر الخلق بالله وطلبه الا وهم مشركون برؤية الايمان والطلب منهم لا من الله فكل من يرى السبب فهو مشرك وكل من يرى المسبب فهو موحد كل شيء هالك في نظر الموحد الا وجهه او وما يؤمن اكثر الناس بالله ووحدته وايجاده الا وهم مشركون في طلب الحاجة من غيره فعاشية خذ بتقهر ارادتهم وتسلب اختيارهم كما قيل العشق عذاب الله او تاتيهم الساعة ساعة الانجذاب الى الله هذه سبيلي لان طريق السير والسلوك مختص بي وبامتي الا رجالا لا من اهل قرى الملكوت دون مدن الملك والاجساد والرجال من القرى ولشيبان يعبر عن عالم الارواح بالقرى لبساطتها والمدن لما فيه اجزاء من المدن افلم يسيروا في ارض البشرية على قدمي الشريعة والطريقة ليصلوا الى فضاء عالم الحقيقة وظنوا انهم قد كذبوا في بطء النصر ابتلاء للرسل الله حسبي ونعم الوكيل

سورة الرعد مكية وقيل مدنية الا قوله ويقول الذين كفروا الاية نزلت بالجحفة وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا حروفها ثلثة آلاف وخمسمائة وستة كلماتها ثمانمائة وخمس وخمسون آياتها ثلث واربعون



بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذي أنزل إليك من ربك الحق ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ۞ الله الذي رفع السموات بغير عمد
ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون ۞ و
هو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات
لقوم يتفكرون ۞ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ۞ وإن تعجب فعجب قولهم أإذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد أولئك
الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ۞ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة
وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب ۞ ويقول الذين كفروا
لولا أنزل عليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ۞ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء
عنده بمقدار ۞ عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ۞ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب
بالنهار ۞ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال ۞

القراءات وزرع ونخيل صنوان وغير بالرفع فيهن ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص والمفضل الآخرون بالجر فيهن عطفا على أعناب تسقى بالياء المثناة من تحت على تقدير يسقى كلها أو التغليب ابن عامر وعاصم ويزيد ويعقوب الباقون بتاء التأنيث لقوله جنات يفضل على الغيبة حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون علي ونحو نفصل إذا بهمزتين واحدة على الابتداء بقلب الثانية ياء والباقي كما مر غير قالون وسهل ويعقوب غير يزيد آنذا أنا بالمد والباقي مثله يدخلون إذا بهمزة واحدة أئنا بهمزتين ابن عامر هشام يدخل بينهما مدة إذا بهمزة واحدة آئنا بهمزة ممدودة ثم ياء فيهما ابن كثير مثله ولكن بالمد أبو عمرو إنا إذا بهمزتين فيهما عاصم وحمزة وخلف هادي ووالي بالياء في الوقف يعقوب ابن كثير غير ابن فليح وزمعة ابن شنبوذ عن قنبل بالياء في الوقف وعن البزي بغير ياء المتعالي في الحالين ابن كثير ويعقوب وافق سهل وعباس في الوصل

الوقوف المر ط آيات الكتاب ط لا يؤمنون والقمر ط مسمى ط يوقنون وأنهارا ط النهار ط يتفكرون بماء واحد قف لمن قرأ ونفضل بالنون في الأكل ط يعقلون جديد ط بربهم ج في أعناقهم ج النار ج خالدون المثلات ط ظلمهم ج العقاب من ربه ط هاد وما تزداد ط بمقدار المتعال بالنهار من أمر الله ط ما بأنفسهم ط فلا مرد له ج لاختلاف الجملتين وال

التفسير تلك الآيات التي في هذه السورة آيات السورة العجيبة الكاملة في بابها والذي أنزل إليك من ربك أي القرآن كله هو الحق الذي لا محيد عنه والمراد أنه لا ينحصر الحقية في هذه السورة وحدها ثم أخذ في تفصيل الحق فبدأ بالدلائل على صحة المبدأ والمعاد فقال الله مبتدأ خبره الذي والموصول صفة المبتدأ وقوله يدبر الأمر يفصل الآيات خبر بعد خبر والعمد بفتحتين جمع عمود وهو ما يعمد به الشيء شبه الأسطوانة وقوله ترونها كلام مستأنف على سبيل الاستشهاد أي وأنتم ترونها مرفوعة بلا عماد وقال الحسن في الآية تقديم وتأخير تقديره رفع السموات ترونها مرفوعة بغير عمد وفيه تكلف وقيل ترونها صفة للعمد ثم زعم من تمسك بالمفهوم أن للسموات عمدا لكنا لا نراها وما تلك العمد قال بعض الظاهريين هي جبل من زبرجد محيطة بالدنيا يسمى جبل قاف ولا يخفى سقوط هذا القول لأن كل جسم لو كان محتاجا يلزم أن يكون معتمدا على شيء فذلك الجبل أيضا كان معتمدا على شيء ويتسلسل وقال بعض من ترقى من حضيض الصورة إلى ذروة عالم المعقول إن تلك العمد هي قدرة الله تعالى وحفظه الذي أوقفها في العالي ونحن لا نرى ذلك التدبير ولا نعرف كيفية ذلك الإمساك أما قوله كل يجري لأجل مسمى فعن ابن عباس أن للشمس مائة وثمانين منزلا في مائة وثمانين يوما ثم إنها تعود مرة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال تلك الأيام ومجموع تلك الأيام سنة تامة أقول إن صح هذا عنه فلعله أراد بها عددها في دائرة نصف النهار وتنازلها عنها في أيام السنة أو أراد نزولها في فلكها الخارج المركز من الأوج إلى الحضيض ثم صعودها من الحضيض إلى الأوج فإن لها بحسب كل جزء من تلك الأجزاء في كل يوم من أيام السنة تعديلا خاصا زائدا أو ناقصا كما برهن عليه أهل النجوم وأما القمر فسيره في منازله شهورا وقال سائر المفسرين المراد كونهما متحركين إلى يوم القيامة وبعد ذلك ينقطع الحركات وتنتهي المسيرات كقوله وأجل مسمى عنده واللام للتاريخ كما يقول كتبت لثلث خلون وإنما قال في سورة لقمان إلى أجل مسمى موافقة لقبيل ذلك ومن يسلم وجهه إلى الله والقياس لله كما في قوله أسلمت وجهي لله يدبر الأمر إجمال بعد التفصيل أي أمر العالم العلوي والعالم السفلي من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى بحيث لا يشغله شأن عن شأن لأن تدبيره لعالم الأرواح كتدبيره لعالم الأشباح وتدبيره للكبير كتدبيره للصغير لا يختلف بالنسبة إلى قدرته الخواص شيء من ذلك الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وتبديل الصور والأعراض وتغيير الأشكال والأوضاع يفصل الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته ويحتمل أن يراد بتدبير الأمر تدبير عالم الملكوت ويكون معنى تفصيل الآيات تنزيل الكتب وبعث الرسل وتكليف العباد الذي هو أثر ذلك العالم في العالم السفلي ويجوز أن يكون تدبير الأمر إشارة إلى القضاء وتفصيل الآيات إشارة إلى القدر وقوله لعلكم بلقاء ربكم توقنون على التفاسير إشارة إلى إثبات المعاد لأن المقر بتدبيره وتقديره على الأنواع المذكورة لا بد أن يعترف باقتداره على الإعادة والجزاء ولما ذكر الدلائل السماوية أتبعها الدلائل الأرضية فقال وهو الذي مد الأرض قال الأصم أي بسطها إلى ما لا يدرك منتهاها وهذا الامتداد الظاهر لحس البصر لا ينافي كونها كرة لتباعد أطرافها وجعل فيها رواسي أي جبالا ثوابت في أحيازها غير منتقلة عن أماكنها وكيفية تكون الجبال على بسيط الأرض لا يعلم تفصيلها إلا الله وزعمت الفلاسفة أن القمر من تأثير السموات في الأجزاء الأرضية القابلة لذلك الأثر بعد امتزاجها بالأجزاء المائية وغيرها وقد يعين على ذلك نزول

الامطار

الامطار وهبوب الرياح وهذا ان صح فعلم اجمالي وزعم بعضهم ان البحار كانت في جانب الشمال مدة كون حضيض الشمس هناك وحين انتقل الحضيض
الى الجنوب انجذبت المياه الى ذلك الجانب لان الشمس تصير في الحضيض اقرب الى الارض فيوجب شدة السخونة الجاذبة للرطوبات فصار الطين اللزج حجرا وحدث
الجبال والاغوار بحسب المواضع المرتفعة والمنخفضة وباعانة من السموات والآثار العلوية وبالجملة فالاسباب تنتهي لا محالة الى مسبب لا سبب له وهو الله سبحانه
ومن الدلائل الدالة على وجود الصانع ووحدانيته جريان الانهار العظيمة على وجه الارض الكائنة فيها من احتباس الابخرة واكثر ذلك انما يكون في
الجبال فلذلك قرن الجبال بالانهار في القرآن كثيرا كقوله وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا وقد يحصل فيها معادن الفلزات ومواضع الجواهر
ومكامن الاجساد المائعة من النفط والقير والكبريت وغيرها وكل ذلك دليل على وجود فاعل مختار ومدبر قهار ثم يحدث على الارض بتربية المياه
وتغذيتها انواع النبات فلذلك قال وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وللمفسرين فيه قولان الاول انه حين مد الارض خلق فيها من جميع الثمرات
انواعها زوجين زوجين ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت فيكون كل زوجين بالنسبة الى ذلك النوع كآدم وحواء بالاضافة الى الانسان القول الثاني
ان المراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاختلاف الصنفي ووصف الزوجين بالاثنين للتأكيد مثل نفخة واحدة
اما قوله يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ فقد مر تفسيره في الاعراف وانما ذكر هذا الانعام في اثناء الدلائل الارضية لان النور والظلمة انما يحدثان في الجو الذي يسميه
الحكماء كرة النسيم كرة البخار وليس فيما وراء ذلك ضياء ولا اظلام فتعاقب الليل والنهار من جملة الاحداث السفلية وان كان سببها طلوع الشمس وغروبها
في الافق ويحتمل ان يقال ان هذا دليل سماوي وانه سبحانه عاد مرة اخرى الى الدليل السماوي ثم الى الدليل الارضي وذلك قوله وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ
اي بقاع مختلفة مع كونها متجاورة ومثاله صغيرة طيبة الى سبخة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على خلاف ذلك ففي هذا دلالة ظاهرة
على انه بجعل فاعل مختار موقع لافعاله على حسب ارادته وكذا الكروم والزروع والنخيل الكائنة في هذه القطع مختلفة الطباع متخالفة الثمار في اللون
والطعم والشكل وهي تسقى بماء واحد فدل على ان هذه الاختلافات لا تستند الى الطبيعة فقط ولكنها بتقدير العزيز العليم وانما ذكر الزرع بين
الاعناب والنخيل لانها كثيرا ما ان يكون كذلك في الوجود كقوله جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا والصنوان
جمع صنو وهي النخلة لها راسان واصلهما واحد وعن ابن الاعرابي الصنو المثل ومنه قوله صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه فمعنى الآية على هذا ان اشجار النخيل قد يكون
متماثلة وقد لا يكون والاكل الثمر الذي يؤكل قاله الزجاج وعن غيره انه عام في جميع المطعومات وانما ختم الآية السابقة بقوله إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
وهذه بقوله لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ لان المقام الاول يحتاج الى التفكر لان الفلاسفة يسندون الحوادث السفلية الى الآباء الاثيرية والامهات العنصرية
لكن العاقل اذا تفكر في اختصاص كل ممتزج بمزاج معين وشكل معين وطبيعة وخاصية مخالفتين لغيره علم ان كل هذه الاختلافات لا تستند الى اشعة
كواكب معدودة ولا الى الطبائع عناصر محصورة كما اشير الى ذلك بقوله وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ الآية ولئن سلم ان الاتصالات الفلكية واختلافات القوابل
والقوابل قد ينتهي الى حد يظهر منها هذه الآثار فلا بد لكل مسبب من الانتهاء الى مسبب لا سبب له وليس ذلك الا الله وحده فهذا مقام لا يحتاج
الا الى مجرد عقل بل فاقد حس والحاصل ان التفكر في الآيات يوجب عقلية ما جعلت الآيات دليلا عليه فهو الاول المؤدي الى الثاني والله ولي التوفيق
ثم عاد سبحانه الى ذكر المعاد فقال وَإِنْ تَعْجَبْ قال ابن عباس ان تعجب يا محمد من تكذيبهم اياك بعد ما كانوا حكموا انك من الصادقين فهذا اعجب او ان
تعجب من عبادتهم الاصنام بعد الدلائل الدالة على التوحيد او ان تعجب يا محمد فقد عجبت في موضع العجب لانهم اعترفوا بانه تعالى رفع السموات بغير عمد وسخر
الشمس والقمر على وفق مصالح العباد واظهر الغرائب والعجائب في عالم الخلق ثم انكروا الاعادة التي هي اهون واسهل قال المتكلمون موضع العجب هو الذي
لا يعرف سببه وذلك في حقه تعالى محال فالمراد وان تعجب فعجب عندك قولهم وان سلم ان المراد عجب عند الله كما مر في الصافات بل عجبت بضم
التاء فتأويله انه محمول على النهاية لا على البداية اي منكر عند الله فان الانسان اذا تعجب من شيء انكره قال في الكشاف أَئِذَا كُنَّا الى آخر
قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ وهو نبعث ونحشر ثم حكم
عليهم بامور ثلاثة الاول أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يعني اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم وذلك ان انكار البعث لا يكون الا عن انكار القدرة
او عن انكار العلم بان يقال انه موجب بالذات لا فاعل بالاختيار فلا يمكنه ايجاد الحيوان الا بواسطة الابوين وتأثير الطبائع والافلاك او انكار العلم
بان يقال انه غير عالم بالجزئيات فلا يمكنه تمييز المطيع عن العاصي وتمييز اجزاء بدن زيد عن اجزاء بدن عمرو او انكار الصدق كما اذا قيل انه اخبر عنه لكنه
لا يفعل لان الكذب جائز عليه كما يكذب احدنا بناء على مصلحة عامة او خاصة وكل واحدة من هذه العقائد كفر فضلا عن جميعها والثاني وَأُولَئِكَ
الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ قال الاصم المراد بذلك كفرهم وذلتهم وانقيادهم للاصنام يقال للرجل هذا غل في عنقك للعمل الردي اذا كان لازما له وهو
مصر على فعله وقال آخرون هو من جملة الوعيد ولا بد من يجوز على القولين اما على الاول فظاهر واما على الثاني فلان المراد انه سيحصل هذا المعنى
والتعبير بلفظ انه حاصل في الحال لتأكيد القول الثاني قوله إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ والاول قوله إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا والثالث وَ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ومما يستدل الاشاعرة به ان الصيغة للحصر فيدل على ان اهل الكبائر لا يخلدون في النار ويمكن ان يناقش
في افادتها الحصر ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة وكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة اخرى بعذاب الدنيا فيستعجلونه
بزعمائهم بانه كلام لا اصل له والى هذا اشير بقوله وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ بالعذاب والعقوبة التي تسوءهم قبل تمام الحسنة وهي العافية والاحسان اليهم

بالامهال والتاخير وقد خلت من قبلهم المثلات اي عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون بها واصل هذا الحرف من المثل لانه العقوبة
لان العقاب مماثل للمعاقب عليه ومنه المثلة بالضم والسكون لتقبيح الصورة بقطع الانف والاذن وسمل العين ونحو ذلك وذلك انه ليس تغيير كلها الا
بما ثل الصورة الاولى وانما ذلك تغيير ينفي الصورة معه قبيحة وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قالت الاشاعرة فيه دلالة على جواز العفو عن
صاحب الكبيرة قبل التوبة لان قوله على ظلمهم حال منهم ومن المعلوم ان الانسان حال اشتغاله بالظلم لا يكون تائبا فمن لا بد ان الله تعالى يغفر
الذنوب قبل الاشتغال بالتوبة وترك العمل بهذه في حق الكافر فيبقى معمولا به في حق اهل الكبائر لا يقال المراد من هذه المغفرة تاخير العقاب الى الاخرة
ليندفع جوابا عن استعجالهم او المراد غفران الصغائر لمجتنب الكبائر او غفران الكبائر بشرط التوبة فان تاب والا فهو شديد العقاب لانا نقول تاخير
العقاب الى الاخرة لا يسمى مغفرة والا كان غافرا للكفار وايضا انه تعالى مدح نفسه بهذا والتمدح انما يحصل بالتفضل لا باداء الواجب وعندكم
يجب غفران الصغائر لمن اجتنب الكبائر وجواب البواقي مامر عن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل
احد قال اهل النظر ان الكفار طعنوا في نبوته بسبب الطعن في الحشر والنشور ثم طعنوا في نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا في نبوته بسبب عدم
الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه وقد تقدم مثل هذا في الانعام في تفسير قوله وقالوا لولا انزل
عليه آية من ربه ويجيء مثل هذه بعينها في هذه السورة قبل وليس بتكرار محض لان المراد بالاول آية مما اقترحوا نحو ما في قوله لن نؤمن لك حتى تفجر الآيات
وبالثاني آية ما لانهم لم يعتدوا بان القران آية فوق كل آية وانكروا سائر آياته صلى الله عليه وسلم ولعلهم ذكروا هذا الكلام قبل مشاهدة سائر المعجزات فاجاب
سبحانه تسلية لرسوله انما انت منذر ما عليك الا الاتيان بما يصح به دعوى انذارك ورسالتك ولكل قوم هاد من الانبياء يدعوهم الى الله بنوع
من الهداية والارشاد يليق بزمانه وبامته ولم يجعل الانبياء شرعا في المعجزات فعلى هذا التقدير المنذر نبي والهادي نبي الا ان الاول محمد و
الثاني نبي كل زمان وقيل المنذر محمد والهادي هو الله تعالى قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والمعنى انهم ان جحدوا كون القرآن
معجزا فلا يضيق قلبك بسببه فما عليك الا الانذار واما الهداية فمن الله وقيل المنذر النبي والهادي هو علي وروي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضع يده على صدره فقال انا المنذر واومى الى منكب علي فقال وانت الهادي يا علي بك يهتدي المهتدون بعدي ذكره في التفسير الكبير ثم ان المعاد
المذكور في الآيات السابقة بقوله الله يعلم لانه اذا كان عالما بجميع المعلومات قادرا على تمييز اجزاء بدن كل مكلف من غيره فلا يستنكر منه البعث ويكون نزول
العذاب مفوضا الى علمه فلا يجوز استعجاله به وكذا انزال الآيات يكون موكولا الى تدبيره فان علم ان المكلفين اقترحوها لاجل الاسترشاد و
مزيد البيان اظهرها الله تعالى لهم والا فلا وفيه ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية وعلى القول
الثاني فيه ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم باي طريق شاء وعلى هذا احتمل ان يكون الله خبر مبتدأ محذوف
والجملة مفسرة لهاد اي هو الله ثم ابتدأ فقيل يعلم ما تحمل كل انثى قال في الكشاف لفظة ما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما ان تكون مصدرية والمعنى يعلم حمل كل
انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها او غيض ما فيها وزيادته على ان الفعلين غير متعديين فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها والازدياد افتعال
من زاد فابدلت التاء دالا وانه يتعدى ولا يتعدى [illegible] او موصولة والمراد يعلم ما تحمله من الولد ذكورته وانوثته وتخاطيط اعضائه وسائر احواله من
السعادة وضدها ومن العلم وضده الى غير ذلك ويعلم ما تغيضه الارحام اي تنقصه كقوله وغيض الماء وما تزداده من العدد فقد يكون واحدا واكثر ومن
الخلقة فقد يكون تاما او مخدجا ومن المدة فقد يكون اقل من تسعة اشهر او زيد الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك
ومن دم الحيض قال ابن عباس كلما سال الحيض يوما زاد في مدة الحمل يوما ليحصل الجبر ويعتدل الامر ثم بين كمال علمه ونفاذ امره بقوله وكل شيء عنده بمقدار اي بقدر
وحد لا يتجاوزه ومن طرفي التفريط والافراط والمراد بالعندية العلم كما يقال هذه المسئلة عند الشافعي كذا وذلك انه سبحانه خصص كل حادث بوقت معين وحالة
معينة حسب مشيئته الازلية وارادته السرمدية وقال حكماء الاسلام وضع اسبابا كلية واودع فيها قوى وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة
بالمقادير المخصوصة احوال جزئية معينة ومناسبات معلومة مقدرة ومن جملتها افعال العباد وافعالهم واحوالهم وخواطرهم ولذلك ختم الآية بقوله
عالم الغيب والشهادة اي هو عالم بما غاب عن الحس وبما حضر له او بما غاب عن الخلق وبما شهدوه او بالمعدومات وبالموجودات الكبير في ذاته لا بحسب الجثة
بل بالرتبة والشرف لانه اجل الموجودات المتعالي المنزه عن كل ما لا يجوز عليه في ذاته وفي صفاته وفي افعاله ثم زاد في التاكيد فقال سواء منكم من اسر
القول ومن جهر به اي مستو في علمه هذان لانه يعلم السر كما يعلم الجهر لا يتفاوت في علمه احد الحالين وسواء عنده من هو مستخف ليتناول معنى الاستواء شخصين
احدهما مستخف والآخر سارب والا فلم يتناول لا واحدا هو مستخف وسارب الا ان يكون من في معنى الاثنين حتى كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل و
سارب بالنهار وفي المستخفي والسارب قولان احدهما ان المستخفي هو المستتر الطالب للخفاء في ظلمة الليل والسارب من يضطرب في الطرقات ظاهرا بالنهار
يبصره كل احد يقال سرب في الارض سروبا اي ذهب فيه والسرب بالفتح والسكون هو الطريق ويؤيده قول مجاهد معناه سواء من تقدم على القبائح في ظلمات الليالي
ومن ياتيها في النهار الظاهر على سبيل التوالي وثانيهما نقل الواحدي عن الاخفش وقطرب المستخفي الظاهر من قولهم اختفيت الشيء اي استخرجته والسارب
المتواري الداخل سربا بفتحتين ومنه انسرب الوحشي اذا دخل في كناسه وهذا وان صح من حيث اللغة لكن قرينتي الليل والنهار انما تساعدان القول الاول و
الحد اطبق اكثر المفسرين عليه ثم ذكر ما يجري في الظاهر مجرى السبب لاستواء علمه بحال المسر والمعلن فقال له اي لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب معقبات

جماعات من الملائكة يعقب في حفظه وكلائته والاصل معتقبات فادغمت وهو على اصله من عقبه بالتشديد اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا
ولانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه والتانيث للمبالغة نحو نسابة وعلامة او لانه جمع معقبة اي ملائكة معقبة او جماعة معقبة وقوله من امر الله ليس صلة الحفظ
لانه لا قدرة للملك ولا لاحد من الخلق على ان يحفظوا احدا من قضاء الله وانما هو صفة اخرى كانه قيل له معقبات من امر الله يحفظونه او له معقبات يحفظونه
ثم بين سبب الحفظ فقال من امر الله اي من اجل ان الله امرهم بحفظه فمن بمعنى الباء وقرأ ابو علي وابن عباس وغيرهما ويجوز ان يكون صلة على معنى يحفظونه
من باس الله اذا اذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب قال ابن جريج هو مثل قوله تعالى عن اليمين وعن الشمال قعيد صاحب اليمين
يكتب الحسنات والذي عن يساره يكتب السيئات وقال مجاهد ما من عبد الا وله ملك يحفظه من الجن والانس والهوام في نومه ويقظته وقيل المراد يحفظونه
من جميع المهالك من بين يديه ومن خلفه لان في المستخفي والسارب اذا سعى في مهماته فانما يحذر من الجهتين وما الفائدة في تسليطهم على ابن
ادم قال علماء الشريعة ان الشياطين يدعون الى المعاصي والشرور وهؤلاء الملائكة يدعون الى الخيرات والطاعات بالالهامات الحسنة والاخطارات
الشريفة واذا علم ابن ادم ان معه ملائكة يحصون عليه افعاله واقواله استحيى منهم وكان ذلك له رادعا قويا وقد مر في هذا الباب كلام في الانعام في قوله
ويرسل عليكم حفظة فليتذكر وللاية تفسير اخر منقول عن ابن عباس واختاره ابو مسلم الاصفهاني قال المعقبات الحرس واعوان الملوك والجملة وهي قوله
له معقبات صفة للمستخفي والسارب او حال منه لكونه نكرة موصوفة اي يستوي في علم الله السر والجهر والمستخفي بظلمة الليل والسارب بالنهار مستظهرا بالمعاونة
والانصار والمقصود بعث الامراء والسلاطين على ان يطلبوا الخلاص عن المكاره بعصمة الله لا بالحرس والاعوان ولذلك ختم الاية بقوله واذا اراد الله
بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال يلي امرهم ويدفع عنهم قالت الاشاعرة في هذا الكلام دلالة على ان العبد غير مستقل في الفعل لانه
اذا كفر العبد فلا شك انه تعالى حكم بكونه مستحقا للذم في الدنيا والعقاب في الاخرة فلو كان العبد مستقلا لحصل الايمان وكان رادا لقضاء
الله تعالى وقالت المعتزلة هذا معارض بما تقدم عليه من كلام الله وهو قوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم لانه لو ابتدأ بالعبد اول ما يبلغ با
لضلال والخذلان كان ذلك من اعظم العقاب مع انه ما كان منه تغيير قالوا وفيه دليل على انه لا يعاقب اطفال المشركين بذنوب ابائهم لانهم لا يغيروا ما
بانفسهم من نعمة فيغير الله ما بهم من النعمة الى العذاب اجابت الاشاعرة بان هذا راجع الى قوله ويستعجلونك بين الله سبحانه انه لا ينزل بهم عذاب الاستئصال
الا والمعلوم منهم الاصرار على الكفر حتى قالوا اذا كان المعلوم ان فيهم من يؤمن او في اعقابهم من يؤمن فانه لا يستأصلهم ورد بان هذا خلاف الظاهر وقد
صرح بذلك في سورة الانفال في قوله ذلك بان الله لم يك مغيرا الاية والحق ان ترتب النقمة على تغيير النعمة لا ينافي اسناد تغيير النعمة اليه فانه مبدأ المبادي
وانتهاء الوسائط ومسبب الاسباب التاويل لمر الالف لله لا اله الا هو الحي القيوم اللام له مقاليد السموات والارض الميم مالك يوم الدين الراء رب
العالمين من الازل الى الابد اقسم بهذه الامور ان الذي انزل على عبده محمد هو الحق وانه حبل الله الذي به يوصل المؤمن من هبوط عالم الطبيعة الى ذروة عالم الحقيقة لا
الله الذي رفع السموات المحسوسة بغير عمد فكما انه رفع السموات بقدرته فكذلك رفع الدرجات برحمته وكما انه رفع السموات المحسوسة لعلها بالقدرة
كذلك يرفع سموات القلوب بجذبات العناية ويسخر شمس الروح وقمر القلب والنفس لتدبير مصالح العالم الصغير وانما يظهر هذه الغرائب والعجائب لحصول
كمال الايقان بالرجوع الى الله والفناء فيه بل البقاء به ومن حسن تدبيره انه مد ارض البشرية وجعل فيها رواسي من الاوصاف الروحانية وانهارا من منابع
الشفاء ومن كل الثمرات وهي الملكات والاخلاق وجعل فيها زوجين اثنين ملكة روحانية حميدة واخرى نفسانية ذميمة فالاولى نورانية كالنهار والاخرى
ظلمانية كالليل يغلب هذه تارة وتلك اخرى وهذا معنى قوله يغشي الليل النهار وفي ارض الانسانية قطع متجاورات هي النفس والقلب والروح والسر والخفي
جسمانية وملكوتية وروحانية وجبروتية وعظموتية وجنات هي هذه الاعيان المستعدة لقبول الفيض عند بلوغها من اعناب هي ثمرة النفس من الصفات
التي هي اصل الاسكار كالغفلة والحمق والسهو واللهو وزروع هو ثمرة القلب فان القلب كالارض الطيبة التي منها غذاء الروح ونخيل هو الروح والاخلاق
الحميدة كالكرم والجود والشجاعة والقناعة والحياء والتواضع والشفقة صنوان هو السر الجبروتي الكاشف عن اسرار الجبروت بين الرب والعبد فانه
اذا تحقق السر للعبد كان المحكي مثالا لما عليه الوجود وغير صنوان هو الخفي الواقف على اسرار العظموت التي لا مثل لها ولا مثال ولا يحكى لعبد تعالى كما
قال فاوحى الى عبده ما اوحى وكما قال بين المحبين سر ليس يفشيه يسقى بماء واحد هو ماء القدرة والحكمة الله يعلم ما تحمل كل انثى اي ما في استعداد كل مستعد
من الفضائل والرذائل وفي كل ذرة من ذرات المكونات من الخواص والطبايع او ما في كل منها من الايات الدالة على موجدها سنريهم اياتنا في الافاق وفي
انفسهم وما تغيض الارحام وما تزداد اي ما يظهر من تلك الايات لاستعدادات في جانبي التفريط والافراط والمراد بها ما ينقص من ارحام الموجودات
او المعدومات لما اوجد شيئا نقص من رحم العدم واحد وزاد في رحم الوجود واحد وبالعكس في جانب الاعدام مستحق بليل العدم وظاهر بنهار الوجود
له اي لله معقبات من العلم والقدرة من بين يدي المعلوم ومن خلفه اي في حالتي عدمه ووجوده من ازله الى ابده يحفظونه من امر الله اي لاجل امر حتى
لا يخرج من قبضة تدبيره ان الله لا يغير ما بقوم من الوجود والعدم حتى يغيروا ما بانفسهم من استعدادهم الوجود والعدم بلسان استحقاق الوجود
والعدم كما يقتضيه حكمته وتدبيره هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة
من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين
يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في





ضلال ۝ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال ۝ قل من رب السموات والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ۝ انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال ۝ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ۝ افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى انما يتذكر اولوا الالباب ۝ الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ۝ والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ۝ والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار ۝ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب ۝ سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ۝ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار ۝ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا في الآخرة الا متاع ۝ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب ۝ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب ۝ الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب ۝



القراءة كباسط مثل بصطة وقد مر في البقرة ام هل يستوي بياء تحتانية حمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص والمفضل الآخرون بتاء التانيث يوقدون على الغيبة حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون على الخطاب اما للكفرة في قوله قل افاتخذتم واما للمكلفين على العموم كما في القراءة الاخرى والضمير يعود الى الناس المعلوم من سياق الكلام ۝ الوقوف لتفاوت الاختلاف الفاعل مع اتفاق اللفظ من حيث الذي لله لاحتمال الواو الحال والاستيناف الحال للآية وانقطاع النظم لعود الحكم بالغدو ط ضلال ۝ والاصال ۝ والارض ط قل الله ط ولا ضرا ط والبصير للعطف والتوريج لاحتمال ان يكون هذا الاستفهام بدلا عن الاول عليهم ط القهار رابيا ط مثله ط والباطل جفاء ج لاتفاق الجملتين مع كون اما للتفصيل في الارض ط الامثال ط الحسنى ط لافتدوا به ط الحساب ط جهنم ط المهاد نصف الجزء اعمى ط الالباب لا الميثاق لا للعطف سوء الحساب ط الدار لا لان قوله جنات عدن بدل من عقبى من كل باب لحق المحذوف اي قائلين والاولى عقبى الدار ط في الارض لا سوء الدار يقدر ط الدنيا ط متاع ط من ربه ط من اناب لا بذكر الله ط الا لان القلوب ط مآب ۝ التفسير لما خوف عباده بانزال ما لا مرد له اتبعه دلائل تشبه اللطف من بعض الوجوه والقهر من بعضها وهي بعث البرق والسحاب والرعد والصاعقة وقد مر في اول سورة البقرة تفسير هذه الالفاظ وقول الحكماء في اسبابها وحدوثها وانتصاب خوفا وطمعا اما على الحال من البرق كانه في نفسه خوف وطمع والتقدير ذا خوف وطمع او من المخاطبين اي خائفين وطامعين واما على انه مفعول له على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وطمع وانما وجب تقدير المضاف ليكون فعلا لفاعل الفعل المعلل كما هو شرط نصب المفعول له ومعنى الخوف من وقوع الصواعق والطمع في نزول الغيث وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر اما بحسب الزمان واما بحسب المكان نحو البلاد التي لا ينتفع اهلها بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي عن الرعد فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب فعلى هذا الصوت المسموع هو صوت ذلك الملك الموكل المسمى بالرعد وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله ينشئ السحاب فينطق احسن النطق ويضحك احسن الضحك فنطقه الرعد وضحكه البرق وهذا غير مستبعد من قدرة الله وخصوصا عند من لا يجعل البنية شرطا في الحيوة وقيل المضاف محذوف اي يسبح سامعوا الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له او متلبسين بسبحان الله والحمد لله وعن علي سبحان من سبحت له وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا اشتد الرعد اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وقيل معنى تسبيح الرعد ان هذا الصوت المخصوص بطوله ومهابته يدل على وجود اله قهار كقوله وان من شيء الا يسبح بحمده قال في الكشاف ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم اما قوله والملائكة من خيفته اي ويسبح الملائكة من هيبته واجلاله فقد ذكر جمع من المفسرين انه عنى بهؤلاء الملائكة اعوان الرعد فانه سبحانه جعل له اعوانا قال ابن عباس انهم خائفون من الله لا كخوف ابن آدم فان احدهم لا يعرف من على يمينه ومن على يساره ولا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء وقالت الحكماء انما تتم الآثار العلوية بقوى روحانية فلكية فللسحاب روح معين من الارواح الفلكية يدبره وكذا القول في الرياح وفي سائر الآثار فهذا هو المراد بالملائكة في الآية قوله ويرسل الصواعق قد عرفت انها نار تتولد في السحاب وينزل بقوة شديدة فربما غاصت في البحر واحرقت الحيتان ووجه الاستدلال بها على الصانع ان النار حارة يابسة وطبيعة السحاب يغلب عليها الرطوبة والبرودة للاجزاء المائية فيه وحصول الضد من الضد لا يكون بالطبع وانما يكون بتدبير القادر المختار وتقديره ولما بين دلائل كمال العلم في قوله والله يعلم ودلائل كمال القدرة في هذه الآية قال وهم يجادلون في الله لان انكار المدلول بعد وضوح الدليل جدال بالباطل وعناد محض ويحتمل ان يكون الواو للحال اي فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم ويؤكده ما روي عن ابن عباس في رواية ابي صالح وابن جريج وابن زيد ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخا لبيد بن ربيعة اقبلا يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل من اصحابه يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد

فقدم خبرا بهم فاقبل حتى قام عليه فقال يا محمد مالي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك
الي انما ذلك الى الله يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما ذا تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس
ذلك لي اليوم وكان اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر عليه من خلفه فاضربه بالسيف فجعل يخاصم رسول الله ويراجعه ويجادل في الله فقال
اخبرني عن ربك امن نحاس هو ام من حديد فدار اربد خلف النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اربد وما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صائف صاح فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد
دعوت ربك فقتل اربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال رسول الله يمنعك الله من ذلك وابنا قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت
امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وخرج وهو يقول واللات لئن اصحر الي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله اليه ملكا فلطمه
بجناحيه فاذراه في التراب وخرجت على ركبته غدة في الوقت عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول اغدة كغدة البعير وموت في بيت السلولية ثم مات
على ظهر فرسه وانزل الله الاية في هذه القصة قوله وهو شديد المحال معناه شديد المكر والكيد لاعدائه والمماحلة شدة المماكرة ومنه تمحل لكذا اذا
تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث اللهم اجعل لنا القرآن لنا شافعا مشفعا ولا تجعله علينا ماحلا
مصدقا ومنه سنة المحل لشدتها وصعوبة امرها واما عبارات المفسرين فقال مجاهد وقتادة شديد القوة ابو عبيدة شديد العقوبة الحسن شديد النقمة
وقيل شديد الحقد ومعناه راجع الى ارادة ايصال الشر الى مستحقه مع اخفاء تلك الارادة عنه ثم اثنى على نفسه بالحقية وشهد على الاصنام بالبطلان فقال له
دعوة الحق فاضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما يضاف الكلمة الى الحق والمراد انه سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ان اراده فهو حقيق
بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا فائدة في دعائه وعن الحسن الحق هو الله والمعنى له دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب ولهذا
اجاب النبي صلى الله عليه وسلم في الكافرين حين دعا عليهما وعن ابن عباس دعوة الحق قوله لا اله الا الله وقيل الدعوة العبادة فان عبادته هي الحق والصدق وقد سلف
تحقيق الحق في اول هذا الكتاب في تفسير البسملة والذين يدعون من دونه اي الالهة الذين يدعونهم او يعبدهم الكفار من دون الله لا يستجيبون لهم
بشيء الا استجابة كاستجابة الماء من بسط يديه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر والحاصل ان الكفار وذلك الطالب كليهما مشتركان في الخيبة
لاشتراكهما في دعاء الجماد وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لالهتهم بمن اراد ان يغترف الماء بيديه ليشربه فبسطهما ناشرا اصابعه فلا جرم لا يبلغ طلبته
ثم اكد خيبتهم بقوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ضياع وذهاب عن المنفعة لانهم ان دعوا الله لم يجبهم لحقارة امرهم عنده وان دعوا الالهة لم
يستطع اجابتهم ثم زاد في الثناء فقال ولله يسجد من في السموات والارض فان كان السجود بمعنى وضع الجبهة فذلك ظاهر في المؤمنين لانهم يسجدون
لله طوعا اي بسهولة ونشاط او كرها اي على تعب واضطرار ومجاهدة واما في حق الكفار فمشكل ووجهه ان حق المراد حق له ان يسجد لاجله جميع المكلفين من
الملائكة والثقلين فعبر عن الوجوب بالوقوع وان كان بمعنى الانقياد والخضوع والاعتراف بالالهية وترك الامتناع عن نفوذ مشيئته فيهم فلا اشكال نظيره
قوله وله اسلم من في السموات والارض وقد مر في آل عمران اما قوله وظلالهم فقد قال جمع من المفسرين كمجاهد والزجاج وابن الانباري لا يبعد ان
يخلق الله للظلال افهاما تسجد بها لله وتخضع له كما جعل للجبال افهاما حتى اشتغلت بتسبيحه فظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد
لغير الله كرها ويسجد لله طوعا وقال آخرون المراد من سجود الظلال تقلصها وامتدادها بحسب ارتفاع الشمس وانحطاطها فهي منقادة مستسلمة لما اتاح
الله لها في الاحوال وتخصيص الغدو والآصال بالذكر لغاية ظهورها وازديادها في الوقتين ومعنى الغدو والآصال قد مر في آخر الاعراف واعلم انه سبحانه
ذكر آية السجدة في النحل بعبارة اخرى فقال ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة والملائكة لانه تقدم ذكر ما خلق الله على العموم ولم يكن فيه
ذكر الملائكة ولا الانس بالتصريح فعمم ليشمل الانس وصرح بالملائكة وقال في الحج الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض بتكرير من لانه تقدم
ذكر المؤمنين وسائر الاديان فقدم ذكر من في السموات تعظيما لهم ولها وذكر من في الارض لانهم هم الذين تقدم ذكرهم واما في هذه السورة فقد تقدم العلويات
من الرعد والبرق ثم ذكر الملائكة وتسبيحهم ثم انجر الكلام الى ذكر الاصنام والكفار فبدأ في آية السجدة بذكر من في السموات لذلك وذكر الارض تبعا ولم يذكر
من فيها استخفافا بالكفرة واصنامهم فتبين ان ورود كل آية بما لاق بمقامها والله تعالى اعلم بمراده ثم اخبر عن التفخيم بسؤال التقرير ردا على عبدة الاصنام
فقال قل من رب السموات والارض قل الله وهذه حكاية لاعترافهم لانهم كانوا يعترفون بانه الاله الاعظم وهذا كما يقول المناظر لصاحبه اهذا قولك فاذا
قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره استثباتا فاستثبته ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت وذلك قوله قل افاتخذتم ويجوز ان يكون تلقينا
لما ليسوا منكرين له والهمزة في افاتخذتم للانكار والمعنى ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء جمادات عجزوا عن تحصيل المنافع
والمضار لانفسهم فضلا عن غيرهم وموضع الانكار انهم جعلوا ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من العلم والاقرار سبب الاشراك ثم جعلوا مع ذلك
اخس الاشياء مكان اشرف الذوات وهذا جهل لا مزيد عليه فلهذا شبههم بالاعمى وشبه جهل الامم بالظلمات وانكر ان يكون شيء منهما مساويا
لنقيضه فقال قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور وجمع الظلمات ووحد النور لان السبل المنحرفة غير محصورة والصراط
المستقيم واحد ثم اكد الانكار المذكور بقوله ام جعلوا والمراد بل جعلوا لله شركاء خالقين مثل خلقه فتشابه الخلق اي خلق الله وخلقهم عليهم اي
ليس لهذه الشركاء خلق مثل خلق الله حتى يشتبه الامر عليهم بل ليس لهم خلق اصلا بل كل ما سوى الله عاجز عن الخلق بدليل قوله قل الله خالق كل شيء وهو



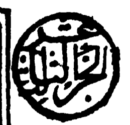
التوحيد القهار المتوحد بالربوبية الذي لا يغالب وما عداه مربوب مقهور قالت المعتزلة للعبد فعل وتأثير ولكنا لا نقول انه خالق كخالق الله
لان العبد يفعل لجلب منفعة او دفع مضرة والله تعالى منزه عن ذلك واجيب بان المخالفة من بعض الوجوه لا يقدح في المماثلة من وجه آخر فلو كان فعل
العبد كالتحريك مثلا وانما يقدر به لكان مثلا للتحريك الواقع بقدرة الله تعالى وهذا الاشكال وارد دائما على من يثبت للعبد كسبا ثم ضرب
مثلا آخر للحق وذويه والباطل ومنتحليه فقال انزل من السماء ماء فسالت اودية اي مياهها والوادي الفضاء المنخفض عن الجبال والتلال الذي يجري
فيه السيل وقيل الوادي اسم للماء من ودى اذا سال والمعنى سالت مياه قال الفارسي لا نعلم فاعلا جمع على افعلة الا هذا وكانه حمل على فعيل فجمع على افعلة
كجريب واجربة كما ان فعيلا حمل على فاعل فجمع على افعال مثل يتيم وايتام وشريف واشراف كاصحاب وانصار في صاحب وناصر وقال غيره نظيره ناد واندية
ومعنى التنكير ان المطر لا ياتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض الاودية دون بعض قال في الكشاف معنى بقدرها بمقدارها
الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار بدليل قوله واما ما ينفع الناس قال الواحدي معناه سالت مياه الاودية بقدر الاودية فان صغر الوادي قل الماء
وان اتسع كثر الماء والزبد هو الابيض المرتفع المنتفخ على وجه السيل ونحوه ومعنى رابيا قال الزجاج طافيا فوق الماء وقال غيره زائدا بسبب انتفاخه من
ربا يربو اذا زاد ثم قال سبحانه اظهارا للكبرياء كما هو دين الملوك ومما توقدون عليه من لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء
او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد مثله اراد به الاجساد المتطرقة او ابتغاء والايقاد على الشيء قسمان احدهما ان لا يكون ذلك الشيء في النار كما في قوله اوقد لي
يا هامان على الطين والثاني ان يكون في النار كانواع الفلز ولهذا قال ههنا بزيادة لفظة في النار قال في الكشاف فائدة قوله ابتغاء حلية او متاع
مثل فائدة قوله بقدرها لانه جمع بين الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس اي واما ما ينفعهم به من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بالفلز
وهو اتخاذ الحلي من الذهب والفضة واتخاذ سائر اثاث البيت وامتعته من الحديد والنحاس والرصاص والاسرب وما يتركب منها والمتاع كل ما يتمتع به
كذلك يضرب الله الحق والباطل اي يضرب الامثال للحق والباطل ومثله في اول الاية فاختصر الكلام بان حذف الامثال من الاول والحق والباطل
من الثاني تأكيد للمقصود ورعاية للاختصار ثم شرع في تتميم المثل فقال فاما الزبد فيذهب جفاء نصب على الحال وهو اسم لما ينفيه السيل يقال جفاء
الوادي بالهمزة جفاء اذا رمى بالقذر والزبد وكذلك القدر اذا رمت بزبدها عند الغليان واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض حاصل المثل ان
الوادي اذا جرى طفا عليه زبد وذلك الزبد يبطل ويبقى الماء النافع في العيون والابار والانهار وكذا الاجساد المتطرقة اذا اذيبت لاجل اتخاذ الحلي
او سائر الامتعة انفصل عنها خبث وزبد فيبطل ويتلاشى ويبقى ذلك الجوهر المنتفع به زمانا متطاولة وتطبيق المثل على الحق والباطل انه سبحانه انزل
من سماء الوحي ماء بيان القرآن فسالت اودية القلوب بقدرها فان كل قلب انما يحصل فيه من انوار علم القرآن ما يليق بذلك القلب على قدر استعداده ثم انه
يختلط بذلك البيان شكوك وشبهات ولكنها بالآخرة تضمحل ويبقى العلم واليقين فزبد السيل والفلز مثل للباطل في سرعة اضمحلاله وانسلاخه من
المنفعة والماء والفلز الصافي مثل للحق في البقاء والانتفاع به ثم ذكر احوال السعداء وتبعات الاشقياء فقال للذين استجابوا لربهم اي فيما دعاهم
من التوحيد والنبوة والتكاليف الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدأ خبره الجملة الشرطية بعده وقيل ان الكلام متصل بما
قبله اي يضرب الله الامثال لهذين الفريقين وقوله الحسنى صفة لمصدر استجابوا اي الاستجابة الحسنى وقوله لو ان لهم كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير
المستجيبين ومن ذلك قوله اولئك لهم سوء الحساب قال الزجاج لان كفرهم احبط اعمالهم وقال غيره سوء الحساب المناقشة فيه وعن النخعي هو ان يحاسب الرجل
بذنبه كله لا يغفر منه شيء وقال الحكماء هو ظهور آثار الملكات الرديئة والهيئات الذميمة على النفس ولم يكن قبل ذلك له شعور بها لاشتغاله بعالم الحس
ومأواهم جهنم لانهم اقبلوا على الدنيا واعرضوا عن المولى فاليوم اذا ماتوا فارقوا معشوقهم فاورثهم الحرمان والخسران والاحتراق بنار الفراق ثم انكر بعد هذه
البيانات ان يستوي بين الناقد البصير والجاهل الضرير فقال افمن يعلم انما اي ان الذي انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى القلب انما يتذكر اي لا
ينتفع بالامثال الا اولوا الالباب الذين يعبرون من القشر الى اللباب ثم وصفهم بقوله الذين يوفون بعهد الله ويجوز ان يكون نصبا على المدح
وان يكون مبتدأ خبره اولئك ما عهد الله فعن ابن عباس هو المذكور في قوله واذ اخذ ربك من بني آدم وقيل هو كل ما قام عليه دليل عقلي او سمعي من
الافعال والتروك ولا عهد آكد من الجنة بدليل ان من حلف على الشيء فانما يلزمه الوفاء به انما ثبت بالدليل جوازه ولا ينقضون الميثاق تاكيد للوفاء
بالعهد بعينه او نوعي يلزم الاول كقولك لما وجب وجوده لزم ان يمتنع عدمه وقيل الوفاء بعهد الله اشارة الى ما كلف الله العبد به ابتداء وعدم نقض الميثاق
اريد به ما التزمه العبد بالنذر وقيل الوفاء بالعهد عهد الربوبية والعبودية والميثاق اعم لشموله كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله و
من سائر المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد والوفاء بالعهد امر مستحسن في العقول والشرائع كلها قال صلى الله عليه وسلم من عاهد الله فغدر كانت فيه خصلة من النفاق
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل افراد لما بينهم وبين العباد بالذكر فقيل المراد صلة الرحم وقيل هو موازرة النبي صلى الله عليه وسلم ومعاونته ونصرته في الجهاد وقيل
رعاية جميع حقوق الناس بالشفقة عليهم والنصيحة لهم في كل حال وكل حين ومن ذلك عيادة المريض وشهود الجنائز ومراعاة الرفقاء والجيران والخدم
ومن يطيف به حتى الهرة والدجاجة ويخشون ربهم وان اتوا بكل ما قدروا عليه في باب التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله خوفا من وعيده كله و
يخافون خصوصا سوء الحساب ويلزم ذلك ان يحاسبوا انفسهم قبل ان يحاسبوا وقيل الخشية نوعان خشية الجلال كالعبد اذا حضر بين يدي السلطان
ومن ذلك خشية الملائكة يخافون ربهم من فوقهم والى هذا اشار بقوله ويخشون ربهم وخشية ان يقع في العبادة خلل او نقص يوجب فسادها

المتفرقة الذائبة

او نقصها

او نقصان ثوابهما والى الاشارة بقوله ويخافون سوء الحساب والذين صبروا عن المعاصي وعلى الطاعات وعلى المصائب ابتغاء وجه ربهم لا
لاجل ان يقال ما اورعه وما ازهده وما اصبره وغير ذلك من الاغراض الفاسدة وانما يصبر على التكاليف لانها احكام المعبود الحق ويصبر على الرزايا
لانها قسمة قسام متصرف في ملكه كيف يشاء او لانه مشغول بالمقدر والقاضي لا بالقدر والقضاء وقد يرضى العاشق بالضرب والايلام لالتذاذه بالنظر الى
وجه معشوقه فهكذا العارف يصبر على البلايا والمحن لاستغراقه في بحر العرفان وفيضان انوار المعروف عليه واقاموا الصلوة ولا يمنع دخول النوافل فيها كقوله
ما زال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يتناول النفل لانه في السر افضل والفرض لانه في الجهر افضل كما مر في اوائل
سورة البقرة ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون بالتوبة وهي الخصلة الحسنة المعصية قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها او
قيل لا يقابلون الشر بالشر وانما يقابلونه بالخير كما روي عن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن عباس يدفعون بالحسن
من الكلام ما يرد عليهم من سيئة غيرهم يروى ان شقيق بن ابراهيم البلخي دخل على عبد الله بن المبارك متنكرا فقال من اين انت قال من بلخ فقال وهل تعرف
شقيقا فقال نعم فقال كيف طريقة اصحابه فقال اذا منعوا صبروا واذا اعطوا شكروا فقال عبد الله هكذا طريقة كلابنا وانما الكاملون الذين اذا منعوا
شكروا واذا اعطوا اثروا وقيل مراد الاية انهم اذا راوا منكرا امروا بتغييره اولئك لهم عقبى الدار عاقبة الدنيا وهي الجنة التي ارادها الله تعالى ان يكون مرجع
اهلها والعقبى مصدر كالعاقبة ومثله البشرى والقربى ويجوز ان يكون مضافا الى الفاعل والمعنى اولئك لهم ان يعقب اعمالهم الدار التي هي الجنة
ومعنى جنات عدن تقدم في سورة براءة ومن صلح معطوف على فاعل يدخلونها ويجوز ان يكون مفعولا معه قال ابن عباس يريد من صدق كما صدقوا
وان لم يعمل مثل اعمالهم قال الزجاج بين ان الانساب لا ينفع اذا لم يحصل معها اعمال صالحة قال الواحدي والاول اصح لان الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره
بحضور اهله معه في الجنة فلو دخلوها باعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ويمكن ان يوجه قول الزجاج بان المقصود بشارة المؤمن بان اهل الصلاح
من اصوله وفصوله وازواجه يجتمعون في دار الثواب فقد يمكن ان يكونوا جميعا في الجنة ولا يجتمعون في موضع وللقائل ان يقول الدخول اعم من الاجتماع
ولا دلالة للعام على الخاص فصح اعتراض الواحدي والاباء جمع ابوي كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم وليس في الاية ما يدل على التمييز بين زوجة
وزوجة ولعل الاولى من مات عنها او ماتت عنه ويؤيده ما روي عن سودة انه لما هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطلاقها قالت دعني يا رسول الله احشر في زمرة نسائك
قال ابن عباس لهم خيمة من درة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ لها الف باب مصاريعها من ذهب يدخل عليهم الملائكة من كل باب يقولون لهم سلام عليكم بما
صبرتم على امر الله وقال ابو بكر الاصم من كل باب من ابواب البر كباب الصلوة وباب الزكوة وباب الصبر ويقولون نعم ما اعقبكم الله بعد الدار الاولى
وهذا يناسب قول حكماء الاسلام ان لكل مرتبة من مراتب الكمالات جوهرا قدسيا وروحا علويا يختص بتلك الصفة فبعد المفارقة يفيض على
النفس الكاملة من ملك الصبر كمال مخصوص ومن ملك الشكر كذلك وعلى هذا القياس وقد يستدل بالاية على ان الملك افضل من البشر والا فلم يكن دخولهم
على المؤمنين موجبا لتحيتهم واكرامهم ويمكن ان يجاب بان وجه التكريم هو مجيئهم باذن الله ومن عنده لا مجرد المجيء والباء في قوله بما صبرتم يتعلق
بالسلام والمعنى انما حصلت لكم هذه السلامة بواسطة صبركم او بدل صبركم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهداء على راس كل حول فيقول
السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقياء وقد مر تفسيره في اول البقرة على ان الضد قد يعلم من الضد بسهولة
وقد مر انفا وقوله سوء الدار كان العاقبة لا يطلق الا على العاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين لان عقبى الجهنم لا يستاهل لان يكون عاقبة
وقال في الكشاف المراد سوء عاقبة الدنيا ولا حاجة الى هذا الاضمار بناء على ما قلنا قال ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها ذكر اهل النظم انه لما
بين سوء حال الناقضين كان للقائل ان يقول لو كانوا اعداء الله لما فتح الله عليهم ابواب الرزق في الدنيا فاجاب بقوله الله يبسط الرزق ويقدر والمراد ان الدنيا دار
امتحان لا دار جزاء فقد يتفق ان يكون الجاهل الكافر رخي البال والعالم المؤمن ردي الحال ولا تعلق لهذا المعنى بالكفر والايمان وللحصر اي هو وحده يوسع
الرزق على من يشاء كاهل مكة ويقدر اي يضيق ومعناه انه يعطيه بقدر الضرورة وسد الرمق لا يفضل منه شيء وفرحوا يعني اهل مكة واضرابهم بما بسط
لهم من الدنيا فرح بطر واشر لا فرح يحدث بنعمة الله واظهار لفضله عليهم وما الحيوة الدنيا ونعيمها في جنب نعيم الاخرة الا متاع شيء نزر يتمتع به اياما
قلائل ثم يعقبه الحسرات لانها فانية طاوية ومثل هذا لا يوجب الفرح بل لا يجوزه ثم حكى نوعا اخر من قبائح الكفرة فقال ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه وقد مر مثله في هذه السورة وذكرنا انه ليس بتكرار محض الا ان قوله في جوابهم قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب اقبل على الحق
وحقيقته دخل في نوبة الخير فيه غموض واجيب بانه يجري مجرى التعجب كانه قيل ما اعظم عنادكم بعد ما انزل من الايات الباهرة ان الاضلال والهداية
من الله والمراد لا تشتغلوا بطلب الايات ولكن تضرعوا الى الله في طلب الهدايات فان الذي اضله الله لا ينفعه الايات والذي هداه يراه معجزة وقال الجبائي المعنى
ان الله يضل من يشاء عن طريق الصواب ويهدي اليه اقواما اخرين ولولا انكم تستحقون العقاب لهداكم الى الثواب بانزال ما اقترحتموه وقيل المراد انه تعالى
انزل ايات ظاهرة ولكن الاضلال والهداية من الله فلو شاء لهداكم فلا فائدة في تكثير المعجزات الذين امنوا بدل ممن اناب وتطمئن قلوبهم
عن ابن عباس يريد اذا سمعوا القران خشعت قلوبهم واطمانت والاطمئنان بايات الوعد لا ينافي الوجل من ايات الوعيد حيث قال اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم او المراد ان علمهم بكون القران معجزا يوجب حصول الطمانينة لهم بانه سبحانه واحد لا شريك له صادق في وعده ووعيده وبان
محمدا نبي حق الا بذكر الله تطمئن القلوب التخصيص فيه ان الانسان متوسط الرتبة بين عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجه الى عالم الجسد تشتت

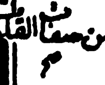
على الطاعات وعن المعاصي
ويتعلق بمحذوف اي
هذا الحصول بسبب صبركم
في مقابلة عقبى الدار
التركيب



الى التعرف فيه فيظهر له هنالك امور ضرورية في التعيش دونها اليس امور من خوط القتاد فهو نوع فكر ويضطرب احواله واما اذا توجه السالك الى الروح فلم يجد
الاضطراب ويتوجه المطلب بحصول الاستغراق في بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع في لجة البحر لا يبالي بالطين ويحق انا الغريق فما خوفي
من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلبت هباء صافيا باقيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع في القلب السليم كيف لا يقلبه
جوهرا صافيا نورانيا امنا من التغير والزوال الذين آمنوا مبتدأ خبره طوبى لهم وجوز في الكشاف ان يكون بدلا على حذف المضاف اي قلوب الذين
آمنوا وطوبى مصدر طاب يطيب كبشرى وواوه منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها واللام للبيان مثل سقيا لك والمعنى اصابهم على الدعاء او الخبر عن ابن عباس



من فرح وقرة عين الضحاك غبطة لهم قتادة حسنى لهم الاصم خير وكرامة الزجاج عيش طيب والكل متقارب والعبارة الجامعة ان اطيب الاشياء في كل الامور حاصل
لهم وقيل طوبى شجرة في الجنة حكى الاصم ان اصلها في دار النبي عليه السلام وفي دار كل مؤمن منها غصن وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى شجرة غرسها الله بيده تنبت الحلي
والحلل وان اغصانها لترى من وراء سور الجنة وعن بعضهم ان طوبى هي الجنة بالحبشية والمآب المرجع التأويل هو الذي يريكم برق انوار الجلال فيغلب
عليكم خوف الانقطاع واليأس ويريكم برق اضواء الجمال فيغلب عليكم طمع الوصل ورجاء الاستئناس وينشئ السحاب الثقال والافضال الثقال بمطر
القبول والاقبال ويسبح الرعد وهو الملك المخلوق من نور الهيبة والجلال فيقع الهيبة في قلوب الخلق كلهم حتى الملائكة فيسبحون من خيفته ويرسل صواعق
القهر فيصيب بها من يشاء من اهل الخذلان فيحرق حسن استعدادهم في قبول الايمان ومن نتائج ذلك انهم يجادلون في ذات الله وفي صفاته كالفلاسفة الذين
لا يتابعون الانبياء والشرائع وكبعض المتكلمين من اهل الاهواء والبدع له دعوة الحق اي دعوته حق لمن دعاه فيستجيبه كما قالتا السموات والارض اتينا
طائعين وايضا له دعاء الذين يدعون الخلق بالحق الى الحق والذين يدعون من دونه اي بغير الحق لا يستجيبون لهم بشيء اذ لا تأثير في الخلق نصحهم كمن يبسط
يده الى الماء ارادة الى الحق انه يريد شربه وما هو ببالغه فلا يستجابون على الحقيقة وان استجيبوا في الظاهر لانهم استجابوا لهم على المكر كما دعوا الى الحق
بالهوى يدل عليه قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض من الملائكة وارواح الانبياء والاولياء والعقلاء طوعا
ومن ارواح الكافرين والمنافقين والشياطين كرها وبالتذليل والتسخير تحت الاحكام والتقدير وظلالهم اي نفوسهم فان النفوس ظلال الارواح



وليس السجود من شأنها لانها امارة بالسوء الا ما رحم ربي فانها تسجد بتبعية الروح معنى آخر ولله يسجد من في سموات القلوب الارواح والعقول طوعا
ومن في ارض النفوس من صفات النفس القوى الحيوانية والسبعية والشيطانية كرها وظلالهم وهي آثارها ونتائجها آخر ولله يسجد الارواح في الحقيقة
وظلالهم وهي اجسامهم بالتبعية وهذا السجود بمعنى وضع الجبهة وخص الوقتان بالذكر لان آثار القدرة فيهما اكثر وان اريد الانقياد والتسخير
يحتمل ان يراد بالوقتين وقتا الانتباه والنوم ففي الاول يطلع شمس الروح من افق الجسد وفي الثاني يغرب فيه انزل من سماء القلوب ماء المحبة فسالت
اودية النفوس فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاخلاق الذميمة النفسانية والحيوانية او انزل من سماء الارواح ماء مشاهدة انوار الجمال فسالت اودية
القلوب فاحتمل السيل زبدا رابيا من الاوصاف البشرية او انزل من سماء الاسرار ماء كشوف الجمال فسالت اودية الارواح فاحتمل السيل زبدا رابيا
من انانية الروحانية او انزل من سماء الجبروت ماء تجلي صفات الالوهية فسالت اودية الاسرار بقدرها فاحتمل السيل زبدا الوجود المجازي ومما
يوقدون عليه من الصفات في نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة فلا تبقي ولا تذر وهي لتذكية بالفناء ابتغاء حلية وهي التحلية بالبقاء الحقيقي
او متاع وهو التمتع بربه زبد مثله مثل زبد البشرية وهو زبد المعرفة والتوحيد فاما الزبد في الاحوال كلها فيذهب جفاء بالفناء واما ما ينفع الناس
من البقاء بالله فيمكث في ارض الوجود المستعدة لقبول الفيض الالهي للذين استجابوا لربهم الحسنى وهي العناية الازلية التي هي الاستجابة من نتائجها
كقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى والذين لم يستجيبوا له حين دعاهم للوصول والوصال لو حصل لهم ما في ارض البشرية من انواع اللذات
والحظوظ واضعافها ليجعلوه فداء المحذاة القطيعة وانفقوا مما رزقناهم اي انفصلوا عما سواه ليتصلوا به سرا لا الانقطاع عما يشغل بواطنهم
وعلانية بالانفصال عما يشغل ظواهرهم ويدرؤن بالاعمال والاحوال الحسنة في صدق الطلب الاحوال السيئة من الوقائع والفترات والملائكة
يدخلون عليهم تبركا وتيمنا بهم شعارهم من كل باب دخلوها بالاستقلال على اقدام السير بالله الى الله سلام عليكم بما صبرتم عن غير الله وعلى
صدق الطلب الا بذكر الله تطمئن القلوب القلوب اربعة قلب قاس كقلوب الكفار والمنافقين فاطمئنانه بالدنيا وشهواتها كما رضوا بالحيوة الدنيا
واطمأنوا بها وقلب ناس وهو قلب المسلم المذنب كقوله فنسي ولم نجد له عزما فاطمئنانه بالتوبة فتاب عليه وهدى وقلب مشتاق وهو قلب المؤمن
فاطمئنانه بذكر الله كما في الآية وقلب واحد لله وهو قلب الانبياء وخواص الاولياء فاطمئنانه بالله وصفاته كقول الخليل عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي اي بتجلي
صفات الاحياء واذا صار القلب مطمئنا انعكس نور الاطمئنان من مرآة قلبه على نفسه فتصير مطمئنة ايضا فتستحق بجذبات العناية لخطاب ارجعي ثم
اشار الى ان الاطمئنان ثمرة غرس شجرة الايمان والعمل الصالح في ارض القلب فقال الذين آمنوا الآية فالاشارة بطوبى الى حقيقة شجرة لا اله الا الله
ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ولم يكن الا في قلب النبي صلى الله عليه وسلم وبتبعيته في قلوب المؤمنين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم طوبى شجرة اصلها في داري وفرعها على اهل الجنة
فانهم من اهل الجنة كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب   ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
بل لله الامر جميعا   افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او

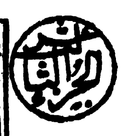
تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا
ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ع ١
أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ
وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ
الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا
وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ ع ٢
أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ
وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ
أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ
الْكَافِرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ

القراءة متابى وعقابى ومابى بالياء في الحالين يعقوب والسرندي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل بل زين ونحوه بالادغام علي وهشام وصدوا بضم
الصاد وكذلك في حم المؤمن عاصم وحمزة وعلي وخلف ويعقوب الباقون بفتحها ويثبت مخففا من الاثبات ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم الآخرون با
لتشديد من التثبيت الكافر على التوحيد ابو عمرو وابو جعفر ونافع وابن كثير والباقون الكفار على الجمع الوقوف بالرحمن ط الا هو ج لانقطاع النظم مع اتحاد
القائل متاب الموتى ط لان جواب لو محذوف اي لكان هذا القرآن جنسا ط في الموضعين وعد الله ط الميعاد ط اخذتهم قف للاستفهام مع الفاء عقاب ط بما كسبت ج
لحق الخبر المحذوف اي التقدير كمن لا ينفع ولا يضر ولان قوله وجعلوا يصلح استئنافا او حالا باضمار قد شركاء ط سموهم ط لحق الاستفهام من القول ط عن السبيل ط
هاد اشق ج لاتفاق الجملتين مع النفي في الثانية واق المتقون ط لان التقدير فيما يتلى عليك مثل الجنة والوصل وجه يذكر في التفسير الانهار ط وظلها ط اتقوا ق
قد قيل والوصل اجوز لان الجمع بين بيان الحالين ادل على الانتباه النار بعضه ط ولا اشرك به ط مآب عربيا ط العلم لا لان ما بعده جواب واق وذرية ط باذن الله ط
كتاب ويثبت ج والوصل اجوز لتمام مقصود الكلام الكتاب الحساب اطرافها ط لحكمه ط الحساب جميعا ط كل نفس ط الدار مرسلا ط وبينكم لا للعطف الكتاب التفسير عن ابن
عباس والحسن ارسلنا الانبياء قبلك في امة قد خلت من قبلها امم وقال آخرون معنى التشبيه كما ارسلنا الى امم واعطيناهم كتبا يتلى عليهم كذلك اعطيناك
هذا الكتاب انت تتلو عليهم فلم يكفرون وقال في الكشاف معناه مثل ذلك الارسال ارسلناك يعني ارسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسال
ثم فسر كيف ارسله فقال في امة قد خلت من قبلها امم كثيرة فهي آخر الامم وانت خاتم الانبياء ثم ذكر مقصود الارسال فقال لتتلوا اي لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذي
اوحينا اليك وهم يكفرون حال هؤلاء انهم يكفرون بالرحمن للمفسرين خلاف في تخصيص لفظ الرحمن بالمقام فقال جار الله كفرهم بالبليغ الرحمة الذي وسعت رحمته
كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا بنعمته في ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم وعن ابن عباس في رواية الضحاك نزلت في
كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم قل لهم ان الرحمن الذي انكرتم معرفته هو ربي لا اله الا هو واحد لفظا والمتعالي
عن الشركاء عليه توكلت في نصرتي عليكم واليه متاب رجوعي فيثيبني على مصابرتكم وقيل نزلت في صلح الحديبية حين ارادوا كتاب الصلح فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو والمشركون ما نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب اكتب باسمك اللهم وهكذا
كان اهل الجاهلية يكتبون فانزل الله الآية فعلى هاتين الروايتين كان الذم متوجها على كفرهم باطلاق هذا الاسم على غير الله تعالى لا على جحودهم او اشراكهم
روي ان اهل مكة قعدوا في فناء الكعبة فاتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهم الاسلام فقال له رؤساؤهم كابي جهل وعبد الله بن امية المخزومي سير لنا جبال
مكة حتى ينفسح المكان علينا واجعل لنا فيها انهارا نزرع فيها واحي لنا بعض اموتنا لنسألهم احق ما تقول ام باطل فقد كان عيسى يحيي الموتى او سخر لنا
الريح حتى نركبها ونسير في البلاد فقد كانت الريح مسخرة لسليمان ولست باهون على ربك منه فنزل قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال عن مقارها و
ازيلت عن مراكزها او قطعت به الارض اي وقع به التسيير في البلاد فوق المعتاد شبه طي الارض او شققت عن وجهها فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى
بعد احيائهم به لكان هذا القرآن قال الراوي لما سمع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذا الوحي قال والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سألتم ولو
شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ثم ان كفر اعذبكم عذابا لا اعذبه احدا من
العالمين فاخترت باب الرحمة وقال الزجاج معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى اي بسببه لما آمنوا به كقوله ولو اننا
نزلنا اليهم الملائكة الآية وقال في الكشاف هذه الآية لتعظيم شان القرآن ومعنى تقطيع الارض تصدعها كقوله لو انزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا ونقل في الكشاف عن الفراء ان الآية متعلقة بما قبلها والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ويبدلون هذا الكلام وهو قوله ولو
ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض ثم قال ردا عليهم بل لله الامر جميعا قال اهل السنة يعني ان شاء فعل وان شاء لم يفعل ولا اعتراض لاحد عليه
وقالت المعتزلة القدرة على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه وان يلجئهم الى الايمان لا ينافي التكليف

التفسير

ارسلناك كما

المراد



الاخبار قالوا ويعضده قوله أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله مشيئة الالجاء لهدى الناس جميعا او لو يشاء لهداهم الى الجنة والمراد نفي العموم لا عموم
النفي وذلك انه ما شاء هداية الاطفال والمجانين اجاب اهل السنة بان كل هذا خلاف الظاهر ومعنى افلم ييأس افلم يعلم وهذه لغة قوم من النخع وقال الزجاج
انه مجاز لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون نظيره استعمال الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمنهما اياهما ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة
افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل ان قراءتهم اصل والمشهورة تصحيف وقع من جهة ان الكاتب كتبه وهو مستوي السينات وهذا القول سخيف جدا والظن
باولئك الثقات الحفظة غير ذلك ولهذا قال في الكشاف هذه والله فرية ما فيها مرية وجوز ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا ومعناه افلم يقنط من ايمان هؤلاء الكفرة
الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين بقوله ولا يزال الذين كفروا يعني عامة الكفار تصيبهم بما صنعوا من كفرهم وسوء اعمالهم
قارعة داهية تقرعهم من السبي والقتل او تحل القارعة قريبا من دارهم فيتطاير اليهم شرارها حتى يأتي وعد الله وهو اسلامهم او موتهم او القيامة وقيل خاصة
في اهل مكة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال يبعث السرايا حول مكة فيغير عليهم ويختطف منهم وعلى هذا احتمل ان يكون قوله او تحل خطابا اي تحل انت يا محمد
قريبا من دارهم بجيشك كما في الحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان قد وعد الله الفتح عموما وخصوصا وكان كما وعد وكان معنى ان الله لا يخلف
الميعاد قد مر البحث عنه في اول سورة آل عمران ثم ازداد في الوعيد فقال ولقد استهزئ الاية والاملاء الامهال وقد مر هنا نوع الاستفهام في قوله
فكيف كان عقاب للتقرير والتهديد ثم اورد على المشركين حجة تجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجب من عقولهم فقال افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ومعنى القائم الحفيظ
والرقيب اي الله العالم بكل المعلومات القادر على كل الممكنات كمن ليس كذلك وجوز في الكشاف ان يقدر الخبر بحيث يمكن عطف وجعلوا عليه اي تقدير
افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء فيكون قوله لله من وضع الظاهر مقام الضمير وذكر السيد صاحب حل العقد انه يجوز ان يجعل الواو
الواو في قوله وجعلوا لله للحال ويضمر للمبتدأ خبر يكون المبتدأ معه جملة مقررة لانكار ما يقارنها من الحال والتقدير امن هو قائم على كل نفس موجود و
الحال انهم جعلوا له شركاء فاقيم الظاهر مقام المضمر كما قلنا تقريرا للالهية وتصريحا بها وانه هو الذي يستحق العبادة وحده وهذا كما تقول معطي الناس
ومغنيهم موجود ويحرم مثلي ثم زاد في المحاجة فقال قل سموهم اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبئوه باسمائهم وانما يقال ذلك في الشيء المستحقر
الذي لا يستحق ان يلتفت اليه فيقال سمه ان شئت يعني انه اخس من ان يسمى ويذكر ولكنك ان شئت ان تضع له اسما فافعل وقيل المراد سموهم بالالهة
على سبيل التهديد قال في الكشاف ام في قوله ام تنبئونه منقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان تعرف اقول وذلك لانه لا شيء
محض لو كان التهويل هو موجودا وهو ارضي لتعلق علم العالم بالذات المحيط بجميع المعلومات ونحوه قل اتنبئون الله بما لا يعلم وقد مر في اول يونس
ثم اكد هذا المعنى بقوله ام بظاهر من القول اي بل اتسمونهم شركاء بظاهر من الكلام من غير ان يكون له حقيقة كقوله ما تعبدون من دونه
الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج من اعاجيب الاساليب التي اختص بها القرآن الكريم المعجز فلله در شان التنزيل ثم بين طريقتهم فقال بل زين للذين
كفروا مكرهم قال الواحدي معنى بل ههنا كما يقال دع ذكر الدليل فانه لا فائدة فيه انه كذا وكذا والكلام في ان المزين هو الله تعالى او غيره قد مر في
اول سورة آل عمران وكذا البحث فيمن قرأ وصدوا بضم الصاد واما من قرأ بالفتح فيحتمل ان يكون لازما اي اعرضوا عنه ويحتمل ان يكون متعديا اي
صرفوا غيرهم والخلاف في قوله ومن يضلل الله تقدم في مواضع منها اول الاعراف ثم عاد الى الايعاد فقال لهم عذاب في الحياة الدنيا من القتل والقتال
واللعن والذم لا المصائب والامراض لانها قد تصيب المؤمنين ايضا ولانها مامور بالصبر عليها والعقاب لا يكون كذلك ولعذاب الآخرة اشق لانه
اشد وادوم وما لهم من الله اي من عذابه من واق من حافظ او ما لهم من جهة الله واق اي دافع ومانع من رحمته بل انما يمنع رحمته منهم باختياره وحكمه ثم عقب
الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة وتقديره عند سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر تجري كما تقول صفة زيد اسمر وقال الزجاج انه تمثيل
للغائب بالشاهد ومعناه مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار وقيل ان فائدة الخبر ترجع الى قوله اكلها دائم كانه قال مثل الجنة التي وعد المتقون
تجري من تحتها الانهار كما تعلمون من حال جناتكم الا ان هذه ان اكلها دائم كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة وظلها دائم ايضا والمراد انه لا حر هناك ولا برد ولا
شمس ولا قمر ولا ظلمة وقد مر هذا البحث في سورة النساء في قوله وندخلهم ظلا ظليلا وقيل في الاية دلالة على ان حركات الجنة لا تنتهي الى سكون دائم كما يقوله
ابو الهذيل واتباعه قال القاضي وفيها دليل على ان الجنة لم تخلق بعد والا انقطع اكلها لقوله تعالى كل من عليها فان كل شيء هالك الا وجهه قال
ولا ننكر ان تحصل الان في السموات جنات يتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم الا ان جنة الخلد خاصة انما تخلق بعد الاعادة
والجواب انا نخصص عموم كل شيء هالك بالدليل الدال على ان الجنة مخلوقة وهو قوله اعدت للمتقين ثم ذكر عقائد الفرق في شان القرآن المتلو فقال
والذين آتيناهم الكتاب قيل اراد بالكتاب القرآن يعني ان المسلمين يفرحون بما انزل اليك من الشرائع والعلوم ومن الاحزاب الجماعات من اليهود و
النصارى وغيرهم من ينكر بعضه لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام المطابقة لشرائعهم وعقائدهم وانما انكروا ما يختص بالاسلام من
نعت الرسول وغيره قاله الحسن وقتادة واعترض عليه بان اهل الاسلام فرحهم بنزول القرآن معلوم ولا فائدة في ذكره ويمكن ان يقال المراد زيادة الفرح
والاستبشار بما فيه من العلوم والفوائد مع انهم يتلقون نزول الوحي بالبشر والطلاقة لا بالتثاقل والجهالة وقيل الكتاب التوراة والانجيل والمراد من
اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام وكعب ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة فرحوا بالقرآن لانهم
آمنوا به وصدقوه والاحزاب بقية اهل الكتاب والمشركون قاله ابن عباس وقال مجاهد المراد اليهود والنصارى كلهم يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق

لما معهم ومن سائر الكفرة من ينكر بعضه واعترض بانهم كلهم لا يفرحون بكل ما انزل الى رسولنا وقوله بما انزل يفيد العموم واجيب بالمنع من ان ما يفيد العموم لصحة الاستثناء ولصحة ادخال كل عليه لا نكرة ولا دخال بعض ولا نقض كما بين في عقائد الفرق امر نبيه بان يصرح بطريقته فقال قل انما امرت ان اعبد الله اى ما امرت الا بعبادته وعدم الاشراك به وهذا يدخل فيه جميع وظائف العبودية ثم ذكر انه مع كماله مكمل فقال اليه ادعو خصه بالدعاء اليه دون غيره كائنا من كان ثم ختم بذكر المعاد فقال واليه مآب لا مرجع الا اليه ومن تأمل في هذه الالفاظ عرف انها مع قلتها مشتملة على حاصل علوم المبدأ والوسط والمعاد ثم ذكر بعض فضائل القرآن وارد على الاعراض عن اتباعه فقال وكذلك انزلناه الضمير يعود الى ما في قوله بما انزل اليك او الى القرآن في قوله ولو ان قرآنا ووجه التشبيه كما انزلنا الكتب على الانبياء بلسانهم كذلك انزلنا اليك هذا القرآن وقال في الكشاف معناه ومثل ذلك الانزال انزلناه مأمورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار الجزاء حكما عربيا نصب على الحال اى حكمة مترجمة بلسان العرب وقيل سمي حكما لانه حكم على جميع المكلفين بقبوله والعمل به او لانه اشتمل على اصول الاحكام والشرائع فجعل نفس الحكم مبالغة روى ان الكفار كانوا يدعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امور ليوافقهم فيها منها ان يصلى الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فاوعد على ذلك وعن ابن عباس الخطاب له والمراد امته وقد مر الوجوه في مثله في اوائل سورة البقرة قال الكلبي عيرت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت ما نرى لهذا الرجل همة الا النساء والنكاح ولو كان نبيا كما زعم لشغله امر النبوة عن النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا الآية وبيان ان الرسل كانوا من جنس البشر لا من جنس الملك وما كان لهم نقص من قبل الازواج والاولاد فقد كان لسليمان ثلثمائة امرأة منكوحة وسبعمائة سرية ولداود مائة وذرية يعقوب اكثر من ان تحصى وكانوا يقترحون الآيات فاجاب الله تعالى عنه بقوله وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله ولا بد لكل نبي من معجز واحد والزائد على ذلك بل اصل النبوة وتعيين المعجز الواحد مفوض الى مشيئته سبحانه ولا حكم لاحد عليه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوفهم بنزول العذاب وظهور نصرة الاسلام وذويه وكانوا يكذبونه ويستبطئون موعوده فاجيبوا بقوله لكل اجل كتاب اى لكل وقت حكم مكتوب وحادث معين لا يتأخر ذلك الحكم او الحادث عنه ولا يتقدم عليه وقيل هذا على القلب اى لكل مكتوب وقت معين والتحقيق انه لا حاجة الى ارتكاب القلب لان المعنى يقتضى التلازم وكانوا ينكرون النسخ والتراجع في التكاليف فنزل يمحو الله ما يشاء ويثبت اى يثبته فاستغنى بالتصريح عن الكناية والمحو ذهاب اثر الكتابة ونحوها وفي الآية قولان الاول انها عامة وانه سبحانه يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الاجل والسعادة والشقاوة والايمان والكفر وهو مذهب عمر وابن مسعود وقد رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذاهبون اليه كانوا يدعون ويتضرعون الى الله في ان يجعلهم سعداء ان كانوا اشقياء وهذا لا ينافي قوله جف القلم لان المحو والاثبات ايضا من جملة ما قضى به الثاني انها خاصة في بعض الاشياء فقيل اراد نسخ حكم واثبات آخر مكانه وقد مر البحث في النسخ في البقرة في قوله ما ننسخ من آية وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم مأمورون بكتبة كل قول وفعل ويثبت غيره واعترض الاصم عليه بانه ينافي قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها واجاب القاضي بان المراد صغائر الذنوب وكبائرها ورد بان هذا اصطلاح المتكلمين والمفهوم اللغوى اعم فيتناول المباحات ايضا وقيل يمحو بالتوبة ما يشاء من الكفر والمعاصي ويثبت بدلها الحسنة كقوله فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقيل يثبت في اول السنة احكام تلك السنة فاذا مضت السنة محيت واثبت كتاب آخر للمستقبل وقيل يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس او يمحو الدنيا ويثبت الآخرة اما قوله وعنده ام الكتاب اى اصله فقيل هو اللوح المحفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم كان الله ولا شيء ثم خلق اللوح المحفوظ واثبت فيه احوال جميع الخلق الى يوم القيامة فعلى هذا عند الله كتابان احدهما اللوح المحفوظ وانه لا يتغير وثانيهما الذي يكتبه الملائكة على الخلق وهو محل المحو والاثبات روى ابو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه في ثلث ساعات يبقين من الليل ينظر في الكتاب الذي لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وقيل هو علم الله تعالى المتعلق بجميع الموجودات والمعلومات وانه لا يتغير ولا يتبدل بتغير المعلومات وتبدل المتلوات وقد تحقق في مواضع ولما بين كيفية انطباق الحوادث على اوقاتها قال وإما نرينك بعض الذي نعدهم الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب او نتوفينك قبل ذلك فليس يجب عليك الا التبليغ وعلينا حسابهم ومجازاتهم لا عليك والبلاغ بمعنى التبليغ كالسلام والكلام ثم ذكر ان آثار حصول تلك المواعيد وامارات تمامها قد ظهرت وقربت لان تباشير الظفر قد طلعت ولاحت فقال اولم يروا انا نأتي الارض يعني ارض الكفر والكفرة بل نتقصها من اطرافها والارض ارض مكة كان المسلمون يأخذون من اهاليها ونواحيها بالغزوات والسرايا والجيوش الى ان صارت الارض اعم واشمل و فهو المعهود على اعلاء شأن المسلمين زاده الله علوا فالمراد بنقص شيء من ديار الكفر ويزيد في بلاد الاسلام ونقل عن ابن عباس ان المراد بنقص اطراف الارض موت اشرافها وكبرائها وعلمائها وصلحائها قال الواحدي اللائق بالمقام هو القول الاول وقد يوجه الثاني بانه اراد انهم اذا شاهدوا هذه التغيرات فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله عليهم الامر فيجعلهم اذلة مغلوبين بعد ان كانوا اعزة غالبين ثم اكد هذا المعنى بقوله والله يحكم ومحل لا معقب لحكمه نصب على الحال والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وذلك انه يعقبه بالرد والابطال فكانه قيل والله يحكم نافذ الحكم وهو سريع الحساب عن ابن عباس هو سريع الانتقام فيعاقبهم في الدنيا ثم سلى نبيه بقوله وقد مكر الذين من قبلهم برسلهم كنمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى فلله المكر جميعا قال الواحدي لان مكر جميع الماكرين بتخليقه وارادته ولانه لا يضر الا باذنه ولا يؤثر الا بتقديره وقالت المعتزلة انه جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره وقيل اراد فيستجوله مكر الماكرين قال الواحدي والقول الاول اظهر بدليل قوله يعلم ما تكسب كل نفس يريد ان اكتساب ما سواه معلوم له تعالى وما علمه تعالى وقوعه فهو معلوم وممتنع الوقوع فلا يقدر العبد على خلاف معلومه وناقضت المعتزلة بانه اثبت لكل نفس كسبا فدل على انه مقدور للعبد واجيب بان المقتضى



عندنا هو مجموع القدرة والداعي وهذا معنى قولهم الكسب حصول الفعل ثم ختم الاية بوعيد اجمالي فقال وسيعلم الكفار من قرأ على الجمع فظاهر ومن قرأ على
التوحيد فالمراد الجنس وعن ابن عباس ان المراد ابو جهل وعن عطاء اراد المستهزئين وهم خمسة والمقتسمين وهم ثمانية وعشرون ثم ذكر حاصل شبههم مع الجواب
القاطع فقال ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا والمراد من هذه الشهادة انه اظهر المعجزات على وفق دعواه ولا شهادة اعلى من هذه
لان القولية منا لا يفيد الا غلبة الظن وهذه تفيد القطع بحصول نبوته ثم عطف على اسم الله ومن عنده علم الكتاب اي الذي حصل عنده علم القرآن و
فهم معانيه واشتماله على دلائل الاعجاز من النظم الانيق والاسلوب العجيب الفائق لقوى البشر فان من علم هذا الكتاب على هذا الوجه شهد بانه معجز فان من
الذي ظهر هذا المعجز عليه نبي حق ورسول صدق وعن الحسن وسعيد بن جبير والزجاج ان الكتاب هو اللوح المحفوظ والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم
ما في اللوح المحفوظ الا هو يعني الله عز وجل شهيدا ويعضده قراءة من قرأ ومن عنده على من الجارة واعترض على هذا القول بان عطف الصفة على الموصوف بعيد
لا يقال شهد بهذا زيد والفقيه وانما يقال زيد الفقيه وقيل المراد شهادة اهل الكتاب من الذين امنوا برسول الله كعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وتميم
الداري لانهم يشهدون بنعته في كتبهم والاعتراض ان اثبات النبوة بقول الواحد والاثنين مع جواز الكذب على امثالهم لكونهم غير معصومين لا يجوز
وقال الزجاج الاشبه ان الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله وعن سعيد بن جبير ان السورة مكية وابن سلام واصحابه امنوا بالمدينة
بعد الهجرة والله اعلم بمراده التاويل وهم يكفرون بالرحمن يعني ان الصفة الرحمانية اقتضت ايجاد جميع الموجودات وافاضة جميع النعم كما ان صفة القهارية
كانت مقتضية للوحدة بان لا يكون معه شيء ولا نعمة اجل من بعثة الرسل ففيه صلاح حال الدارين لهم فاذا جحدوا الرسول فقد جحدوا الرحمن وهذا سبب
تخصيص هذا الاسم بالمقام كقوله ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ولذلك امر بان يقول في الجواب هو ربي الذي رباني لا اله الا هو لا
يستحق العبادة الا هو ولا افوض امري الا اليه واليه مرجعي كما كان منه مبدئي ولو ان قرآنا سيرت به جبال النفوس او قطعت به ارض البشرية او كلم به موتى القلوب ابتنية بلاء
عليهم بما صنعوا من كفرهم بالرحمن قارعة من الاحكام الازلية تقرعهم في انواع المعاملات التي تصدر عنهم موجبة الشقاوة او تحل قريبا من دارهم
فانهم بان تصدر تلك المعاملة ممن يصحبهم عن امر لا تنزل وسلم عن امرهم حتى يأتي وعد الله بعذاب الشقاوة الازلي ومن امارات الشقاوة الاستهزاء
بالانبياء والاولياء ثم اخذتهم اي امسكتهم لئلا يرجعوا عن مقام الشقاوة لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالبعد والحجاب عبودية النفس بالهوى ولعذاب
الآخرة بانواع الحسرات والشعور بالهيئات والملكات الموجبة للدركات اكلها دائم هي مشاهدات الجمال ومكاشفات الجلال وظلها اي انهم في ظل معاملاتهم
واحوالهم التابعة لشمس وجودهم على الدوام والذين اتيناهم الكتاب هم السر والروح والقلب الذين فهموا اسرار القرآن ومن الاحزاب النفس والهوى
والقوى من ينكر بعضه لثقل التكليف عليهم وللجهل بفوائده ولئن اتبعت اهواءهم الحاقهم بالشرك في الطلب من بعد ما جاءك من العلم وهو طلب الوحدة
بيان لا الانانية وجعلنا لهم ازواجا وذرية فيه ان الرسل جذبتهم العناية في البداية فترقوا من حضيض الحيوانية الى اوج الروحانية ثم الى معارج النبوة
والرسالة في النهاية فلم يبق فيهم من بقية البشرية ما يزعجهم الى الازواج بالطبيعة والركون الى الاولاد بخصائص الحيوانية بل رغبهم الله سبحانه في ذلك
على وفق الشريعة ليختصوا بالخلافة باظهار صفة الخالقية ومثله وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام يمحوا الله ما يشاء الا من السعادة من اعمال اهل الشقاء
ويثبت لهم من حسنات اهل السعادة وبالعكس لاهل الشقاوة وعنده ام الكتاب الذي قدر فيه ان لا خاتمة كل من الفريقين واما نرينك بالكشف
بعض مقاماتهم كما اخبر عن العشرة المبشرة بانهم في الجنة وعن غيرهم بانه في النار انا ناتي ارض البشرية ننقصها من اطرافها بالازدياد في الاوصاف الروحانية

سورة ابراهيم عم مكية غير ايتين نزلتا ببدر الم تر الى الذين بدلوا الايتين حروفها ثلثة الاف واربع مائة واربع وثلثون كلمها ثمانمائة وخمس وثلثون اياتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ۝ الله الذي له ما في
السموات وما في الأرض وويل للكافرين من عذاب شديد ۝ الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة و
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد ۝ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه
ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ۝ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك
من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ۝ وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء
من ربكم عظيم ۝ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ۝ وقال موسى إن
تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد ۝ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين
من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا
لفي شك مما تدعوننا إليه مريب ۝ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى
أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ۝ قالت لهم رسلهم
إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون

وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ۝ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ۝ القراآت الله الذي بالرفع على الابتداء في الحالين ابو جعفر ونافع وابن عامر والمفضل وقرأ يعقوب الخزاعي عن ابن فليح بالرفع اذا ابتدأ وبالخفض اذا وصل الباقون بالجر مطلقا ويهلك بالياء في الحالين يعقوب وافق رويس وسهل وعباس في الوصل والوقف آخر الحميد ط لمن قرأ الله بالرفع وما في الارض ط شديد لا بناء على ان الذين صفة الكافرين عوجا ط بناء على ما قلنا او على ان الذين منصوب او مرفوع على الذم اي اعني الذين او هم الذين وان جعل الذين مبتدأ خبره اولئك في ضلال فلا وقف على عوجا والاولى ان نقف على شديد لان الآية بعيد ليبين لهم ط لان قوله فيضل جملة مبتدأة خارج عن تعليل الارسال ويهدي من يشاء ط الحكيم بايام الله ط شكور ط لاشكرنكم ط عظيم لتعلق اذ جميعا لا لان ما بعده جزاء حميد ط وثمود ط لمن لم يعطف جملة مستأنفا ومن عطف فوقفه على من بعدهم ط الا الله ط مريب ط الارض ط فصلا بين الاستخبار والاخبار مسمى ط لتقدم همزة الاستفهام في تريدون مبين من عباده باذن الله ط المؤمنون سبلنا ط آذيتمونا ط المتوكلون في ملتنا ط من بعدهم ط وعيد عنيد لا لان ما بعده وصف صديد لا لذلك بميت ط غليظ التفسير كون السورة مكية او مدنية انما يفيد في الاحكام لتعرف المنسوخ من الناسخ وتفسير تلك المكية والمدنية سيان قوله الر كتاب اي السورة المسماة بالر كتاب انزلناه اليك لغرض كذا وان كان الر مذكورا على جهة التعديد فقوله كتاب خبر مبتدأ محذوف اي هذا القرآن او هذه السورة كتاب والظلمات استعارة لطرق الضلال ومظانه والنور مستعار للحق واللام في لتخرج للغرض عند المعتزلة وللغاية عند الحكيم وان شئت فقل للعاقبة واللام في الناس للجنس لتستغرق ظاهرا ففيه دليل على ان دعوته عامة ومعنى اخراج النبي صلى الله عليه وسلم اياهم من الظلمات الى النور انه سبحانه جعل انزال الكتاب عليه ودعوته اياهم سببا الى الحق وواسطة لهدايتهم لا مؤثرا ولكن باذن ربهم اي بتسهيله وتيسيره وكل ميسر لما خلق له والحاصل ان المراد من الاذن معنى يقتضي ترجح جانب الوجود على جانب العدم ومتى حصل الرجحان فقد حصل الوجوب عند المحققين ولك ان تعبر عن ذلك المعنى بداعية الايمان احتج بالآية من قال ان معرفة الله تعالى لا يمكن الا بالتعليم الذي عبر عنه بالاخراج من الظلمات الى النور واجيب بان معنى الاخراج التنبيه واما المعرفة فانما تحصل من الدليل وقوله الى صراط مستقيم بدل من قوله الى النور بتكرير العامل الجار وجوز في الكشاف ان يكون على جهة الاستئناف كأنه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وفي ذكر الوصفين تأكيد لحقية الصراط واستنارته لان العزيز هو القادر الغالب والحميد هو الكامل مختصا بحمد الحامدين من العلم والغنى وغير ذلك ولا ريب ان من هذه صفته كان سبيله الذي نهج لعباده مفضيا الى صلاح حالهم دينا ودنيا اذ لا حاجة الى ارتكاب عبث او قبيح قال بعض العلماء انما قدم ذكر العزيز لان الصحيح ان اول العلم بالله العلم بكونه قادرا غالبا وهو معنى العزيز ثم بعد ذلك العلم بكونه غنيا عن الحاجات والنقائص وهذا معنى الحميد ثم اثنى على نفسه بتحقيق الحقيقة صراطه وبيان انه المنزه عن العبث فقال الله الذي مبتدأ وخبر او المبتدأ محذوف تقديره هو الله ومن قرأ بالجر فعلى انه عطف بيان للوصفين بناء على ان لفظ الله جار مجرى اسم العلم وقد سبق هذا البحث مشبعا في تفسير البسملة من سورة الفاتحة ثم ختم الآية بوعيد من لا يعترف بربوبيته ولا يقر بوحدانيته وذلك قوله وويل للكافرين ودعا عليهم بالهلاك والثبور وكل ثبور قال في الكشاف وجه اتصال قوله من عذاب شديد بالويل انهم يولولون من العذاب يقولون يا ويلاه الذين يستحبون اي يؤثرون ويختارون لان المؤثر للشيء على غيره كأنه طلب من نفسه ان يكون ذلك الشيء عنده احب من الآخر وذلك ان الانسان قد يحب الشيء ولكنه يكره كونه محبا له اما اذا احب الشيء وطلب كونه محبا له واحب تلك المحبة فتلك نهاية المحبة وهذا شأن محبة اهل الدنيا للدنيا ولكنها ادون مراتب الضلال وقوله ويصدون عن سبيل الله اشارة الى الاضلال وقوله ويبغونها عوجا اراد به الاضلال بالقاء الشكوك والشبهات واجتماع هذه الخصال غاية الضلال فلهذا وصف ضلالهم بالبعد عن الحق لا تروع عنه في التطرف لا خير بينهما غاية الخلاف ويمكن ان يكون اسنادا مجازيا باعتبار ان صاحبه يبعد عن طريق الحق ثم لما من على المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم [illegible] الى افهامهم بالآية على ان اللغات اصطلاحية وضعها البشر واحد وجماعة وحصل التعريف للباقين بالاشارة والقرائن كالاطفال قالوا وان كانت توقيفية فالتوقيف انما يكون بالوحي والوحي موقوف على لغة سابقة لقوله وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه اي بلغتهم لزم الدور واجيب بان الآية لا تختص برسول له قوم ولا قوم لآدم فينتهي التوقيف اليه فيندفع الدور وتمسك طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية بهذه الآية في ان محمدا رسول الله ولكن الى العرب لانهم قومه وهم الذين عرفوا فصاحة القرآن واعجازه فيكون القرآن حجة عليهم لا على غيرهم والجواب سلمنا ان قومه هم العرب ولكن قوم النبي اخص من اهل دعوته فقد يكون اهل دعوته الناس كافة بل الثقلين كما في حق نبينا صلى الله عليه وسلم لان التحدي وقع بالفريقين في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن سوا انما يكون اولى الالسنة لسان قوم الرسول اولا اليهم ليبين لهم فيفقهوا عنه ويفهموه ثم ينوب التراجم في كل امة من امم دعوته مقام الاصل ويكفي التطويل ويؤمن اللبس والتخليط ويوجب للمفسر الثواب الجزيل في التعلم والتعليم والارشاد والاجتهاد وقالت المعتزلة ان معنى هذه الآيات وهي قوله لتخرج الناس ووسطها وهو قوله ليبين لهم فان فائدة التبيين انما تظهر اذا كان المكلف قادرا والا كان عبثا ولغوا وهو قوله الحكيم فان الحكمة تنافي خلق الكفر والقبائح يدل على صحة مذهب الاعتزال وقالت الاشاعرة قوله باذن ربهم وقوله فيضل الله من يشاء وقوله العزيز لاجماع ان يكون لغيره قدرة وتصرف يؤيد مذهبنا اقول نحن حققنا مسألة الجبر والقدر مرارا فلنذكر مما يخص هذا الموضع قول الفراء اذا ذكر فعل وبعده فعل آخر فان لم يكن النسق مشاكلا للاول فالرفع على الاستئناف هو

عالما والعلم بكونه

[illegible] الرسول صلى الله عليه وسلم

فان العزة

الوعيد كقوله لنبين لكم ونقر بالرفع نظيره في الآية قوله فيضل بالرفع على الاستئناف كانه قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليكون بيانه لهم
تلك الشرائع بلغة الفهم واعتنادهم ومع ذلك فان المضل والهادي هو الله والبيان لا يوجب حصول الهداية الا اذا جعله الله واسطة وسببا والمقصود
من بعثته ببيانه هو اخراج الناس من الظلمات الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وذكر لذلك مثالا وخص موسى بالذكر
لان امته اكثر الامم سوى امة محمد كما جاء في الحديث ولكثرة معجزاته القاهرة ومعنى ان اخرج اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول ويجوز ان يكون ان ناصبة والفعل بعدها
اخرج ومعنى التذكير بايام الله الانذار بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم ويقال ايام العرب لحروبها وملاحمها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه من تظليل الغمام و
انزال المن والسلوى وبلاؤه اهلاك القرون والايام التي كانوا تحت تسخير فرعون والمراد عظهم بالترغيب والترهيب ان في ذلك التذكير والتنبيه
دلائل لكل صبار على البلاء شكور على النعماء وذلك ان فائدة الآيات انما تعود عليهم حيث ينتفعون بها ولما امر الله موسى بالتذكير حكى عنه انه ذكرهم ولم
يقل ههنا يا قوم كما ذكر في المائدة اقتصارا على ما ذكره هناك وقوله عليكم ان كان صلة للنعمة بمعنى الانعام فقوله اذ انجاكم ظرف للانعام ايضا وان كان
مستقرا بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم جاز ان ينتصب اذ انجاكم بعليكم وفي الوجهين جاز ان يكون اذ بدلا من النعمة اي اذكروا وقت انجائكم وهو بدل
الاشتمال وباقي الآية قد مر في اول البقرة ومن جملة النعم قوله واذ تأذن اي واذكروا حين اذن ربكم ايذانا بليغا ينتفي عنده الشكوك وتزاح معه الشبهات
وقد تقدم في اواخر الاعراف ان فيه معنى القسم ولذلك جعلت اللام الموطئة في الشرط والنون المؤكدة في الجزاء وقد سلف منا في هذا الكتاب ان
الشكر بالحقيقة عبارة عن صرف العبد جميع اقسام ما انعم الله تعالى به عليه فيما اعطاه لاجله ولا شك ان المكلف اذا سلك هذا الطريق كان دائما في مطالعة
اقسام نعم الله وفي ملاحظة دقائق لطفه وصنعه وفي اعمال الجوارح في الاعمال الصالحة الكاسبة لانوار الملكات الحميدة وشغل النفس بمطالعة النعم يوجب مزيد
محبة المنعم وقد يترقى العبد من هذه الحالة الى ان يصير حبه للمنعم شاغلا له عن رؤية النعم ويصدر منه الاعمال الصالحة بطريق الاعتياد حتى يصير التطبع
طباعا والتكلف خلقا وهذا معنى امتراء الشكر مزيد الانعام وقد يفيض عليه بحكم وعد الله الذي هو الحق والصدق وبحال مواهبه لديه ونهوده
لانه مهما صار مطيعا منقادا لواجب الوجود سبحانه تجلى فيه نور الوجوب فلا غرو ان لا عجب ان ينقاد لذلك النور كثير من الممكنات وينفتح عليه باب التصرف
في الخلق بالحق للحق وان كان حال المكلف بضد ما قلنا ظهر عليه اضداد تلك الآثار لا محالة وذلك قوله ولئن كفرتم يعني كفران النعم ان عذابي لشديد
ثم ان منافع الشكر ومضار الكفران لا يعود الا الى صاحبه وعليه والله تعالى غني عن كل ذلك فقال ان تكفروا انتم الآية وذلك ان واجب الوجود في جميع صفاته
وان يكون كذلك الا اذا كان غنيا عن الحاجات متصفا بكل الكمالات اهلا للحمد وان لم يكن حامد قوله الم يأتكم يحتمل ان يكون خطابا من موسى لقومه والغرض
تخويفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون فيكون داخلا تحت التذكير بايام الله واحتمل ان يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه يذكرهم امر القرون
الاولى قال ابو مسلم والاكثرون على انه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول صلى الله عليه وسلم تحذيرا لهم عن مخالفته وقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله ان كان جملة من
مبتدأ وخبره للمجموع اعتراض وان كان قوله والذين من بعدهم معطوفا على قوم نوح فقوله لا يعلمهم الا الله وحده اعتراض ثم ان عدم العلم اما ان يكون
راجعا الى صفاتهم بان يكون احوالهم واخلاقهم ومدد اعمارهم غير معلومة واما ان يكون فيما بين القرون اقوام ما بلغنا اخبارهم كما روي عن ابن عباس
بين عدنان واسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن
العباد ونظير الآية قوله وقرونا بين ذلك كثيرا منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال القاضي وعلى هذا الوجه لا يمكن القطع بمقدار السنين
من لدن آدم عليه السلام الى هذا الوقت لانه لو امكن ذلك لما بعد تحصيل العلم بالانساب الموصولة ثم انه تعالى حكى عن هؤلاء الاقوام انهم لما جاءتهم رسلهم بالبينات اتوا بامور
احدها فردوا ايديهم في افواههم وفيه قولان احدهما ان المراد باليد والفم الجارحتان وعلى هذا فيه احتمالان الاول ان الكفار ردوا ايديهم في افواههم
فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ قاله ابن عباس وابن مسعود وهو الاظهر او وضعوا الايدي على الافواه ضحكا
واستهزاء كمن غلبه الضحك او وضعوا ايديهم على افواههم مشيرين بذلك الى الانبياء ان كفوا عن هذا الكلام واسكتوا عن ذكر هذا الحديث قاله الكلبي
او اشاروا بايديهم الى السنتهم والى ما تكلموا به من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به اي هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا لهم من التصديق وهذا قول
قوي لعطف قوله وقالوا على قوله فردوا الاحتمال الثاني ان يكون الضمائر راجعة الى الرسل والمراد ان الرسل لما ايسوا عنهم سكتوا ووضعوا
ايدي انفسهم على افواه انفسهم ارادوا انهم لا يعودون الى ذلك الكلام البتة او يكون الضميران الاخيران راجعين الى الرسل والمعنى ان الكفار اخذوا ايدي
الرسل ووضعوها على افواههم ليسكتوا ويقطعوا كلامهم او يكون الضمير الاخير فقط عائدا الى الرسل والمراد ان الكفار لما سمعوا وعظ الانبياء ونصائحهم
اشاروا بايديهم الى افواه الرسل تكذيبا لهم وردا عليهم او وضعوا ايديهم على افواه الانبياء منعا لهم من الكلام فهذه جملة الاحتمالات على القول الاول
القول الثاني ان ذكر اليد والفم توسع ومجاز ثم انهم مسلم ان المراد باليد ما نطقت به الرسل بافواههم من الحجج لان ذلك ابلغ الوحي من اجل النعم لانهم اذا كذبوا
الآيات ولم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل ونقل محمد بن جرير عن بعضهم انه يقال للرجل اذا امسك عن الجواب رد يده في فيه
فمعنى الآية انهم سكتوا عن الجواب ذريعة بانهم قد اجابوا بالتكذيب قالوا انا كفرنا بما ارسلتم به والمراد بما زعمتم ان الله ارسلكم به كانهم في اول الامر
حاولوا اسكات الانبياء وفي المرتبة الثانية صرحوا بالكفر ثم تنبهوا امرهم على الشك قلنا ارادوا انا كافرون برسالتكم وان نزلنا عن هذا المقام فلا اقل
من انا نشك في صحة نبوتكم ومع كمال الشك لا مطمع في الاعتراف بنبوتكم ثم انه سبحانه حكى جواب الرسل وذلك قولهم افي الله شك فاطر السموات والارض

ذ انه واجب الوجود في ... (margin)

عائذ الى ... بان يكونه (margin)

ادخل همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وان وجود الله لا يحتمل الشك قال الفاضل المدقق المنتسب الى عفو ربه
الكريم مؤلف الكتاب محمد الحسن المشتهر بنظام النيسابوري انظم الله احواله في الدارين انه كان من معتقده ان العلم بوجود الواجب في الخارج من جملة ال
البديهيات وكان يستبعد ذلك كثير من اقراني واصحابي لما راوا ان الاكثرين ما زالوا يبرهنون على ذلك في الكتب الكلامية والحكمية فكتبت قد كتبت
لاجلهم رسالة في الالهيات مشتملة على دلائل تجري مجرى المنبهات على ذلك لمعنى ان القضية الضرورية قد ينبه عليها وان لم يحتج في الاثبات الى البرهان
والان اريد ان اذكر بعض تلك المنبهات في هذا المقام لانها مقربة لقوله سبحانه أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فاقول وبالله التوفيق المفهوم بالنظر الى ذاته والى الخارج اما
ان يكون واجب الوجود فقط او واجب العدم فقط او ممكن الوجود والعدم فقط او واجب الوجود والعدم معا او واجب الوجود وممكن الوجود والعدم معا
او واجب العدم وممكن الوجود والعدم معا او واجب الوجود وواجب العدم وممكن الوجود والعدم جميعا فهذه اقسام سبعة لكن العقل الصريح لا يشك في
استحالة خمسة اقسام منها في الخارج الاول واجب العدم لذاته فقط الثاني واجب الوجود لذاته وواجب العدم في ذاته معا الثالث واجب الوجود
لذاته وممكن الوجود والعدم لذاته الرابع واجب العدم لذاته وممكن الوجود والعدم في ذاته ثم نقول ان العقل كما لا يشك في استحالة الوجود الخارجي لهذه
الاقسام الخمسة ينبغي ان لا يشك في وجود الواجب لذاته فقط في الخارج لانه لو لم يكن موجودا في الخارج كان معدوما في الخارج فان كان عدمه لذاته
كان من القسم الثاني من الممتنعات وان كان لغيره كان من القسم الثالث منها وكلاهما محال اذ المفروض خلاف ذلك فثبت كونه موجودا في الخارج
بالضرورة وهو المطلوب فهذه طريقة عذراء تيسرت لنا من غير احتياج الى الدور والتسلسل وورود عليهما المنوع المشهورة وجه ثان الموجود في الخارج
اما واجب او ممكن وهذه قضية اتفقوا على ضرورتها لانه ان كان مستغنيا عن المؤثر في وجوده الخارجي فواجب والا فممكن فنقول ان كانت القضية
حتى يكون المعنى ان الموجود في الخارج هذان النوعان فقد ثبت وجود الواجب في الخارج بالضرورة وهو المطلوب وان كانت القضية منفصلة
ولا محالة تكون مانعة الخلو فقط اما كونها مانعة الخلو فلاستحالة العقل رفعهما معا في الخارج ضرورة ثبوت موجود ما في الخارج بالضرورة واما انها ليست
بمانعة الجمع فلان الممكن موجود بالضرورة ولا منافاة بين وجود الواجب ووجود الممكن بالضرورة والا لم يستدل العقلاء من وجود الممكن على اثبات الواجب
بل يستدلون منه على نقيضه واذا كان الجمع بين الواجب والممكن ممكنا في الوجود والممكن موجود بالضرورة مع انه مفتقر في وجوده الى مؤثر موجد فلان يكون
الواجب موجودا يكون اولى بالضرورة لاستغنائه عن المؤثر وكون ذاته كافية في ايجاب الوجود له وهذه مقدمة جلية مكشوفة لمن تامل في مفهوم واجب
الوجود اذ لا معنى لوجوب الوجود الا انه موجود يوجد النسبة من تلقاء نفسه ومع قطع النظر عما سواه ولهذا قال المحققون ان الوجود يقع على الواجب وعلى
الممكن بالتشكيك بمعنى انه في الواجب اول واولى منه في الممكن وجه ثالث طبيعة الواجب وطبيعة الممكن من حيث ذاتيهما يشتركان في صحة وجودهما
الخارجي بالضرورة ويفترقان في ان الواجب ذاته كافية في ايجاب الوجود له والممكن لا يكفي فيه ذلك بل يحتاج في ايجاب وجوده الخارجي الى الغير
ولا ريب ان الاول اقرب الى طبيعة الوجوب من الثاني لان الموقوف على مقدمات اكثر اعسر وجودا والثاني واقع بالضرورة فالاول اولى بكونه ضروري
الوقوع وجه رابع نسبة كل محمول الى موضوعه لا يخلو في نفس الامر من ان يكون بالوجوب او بالامكان او بالامتناع فنسبة الوجود الخارجي الى الماهيات
الخارجية من حيث ذواتها لا يخلو من احد الامور الثلثة لكن نسبتها اليها بالامتناع ظاهرة الاستحالة فهي اما بالامكان او بالوجوب ولا شك ان
نسبة الوجود الى ذات الموجود اولى من نسبته الى غيره اذ الاصل عدم الغير فكلما دل البرهان على ان وجوده من غيره لتغيره او نقص يحكم عليه بانه ممكن
الوجود وما لم يدل البرهان فيه على ذلك بل يدل على وجوب وجوده بجميع صفاته الكمالية فهو واجب الوجود ومن شك في وجود ما وجوده من تلقاء
نفسه ويكون متصفا بجميع الكمالات بعد مشاهدة ما وجوده من غيره وهو عرضة للتغاير لزم ان كان هذا لا انه بحر الحكمة وجه خامس نفس الامكان
نقص لا نقص فوقه لاستتباعه العجز والافتقار وصحة العدم عليه الذي لا اضعف مثله والوجود المتصف به متحقق بالضرورة فالوجود الذي يجوزه العقل
الصريح متصفا بصفة الوجوب كيف لا يكون متحققا ومن اشتبه عليه مثل هذا الجلي فلا يلومن الا نفسه وجه سادس مقتضى ذات الشيء اقرب ايجابا له عند
العقل من مقتضى كل ما يغايره لكن الوجود الذي مقتضاه الامكان ثابت في الخارج مع ان ثبوته في الخارج مقتضى الغير فالوجود الذي مقتضاه الوجوب
ثابت بالطريق الاولى وجه سابع الوجود الممكن ثابت بالضرورة وليس ثبوت ذلك الموجود من تلقاء نفسه والا كان وجودا واجبا لانا لا نعني بالوجود
الواجب الا هذا فاما ان يكون من وجود واجب هو المطلوب او من وجود مثله وهو ما لم يكن ثابتا في نفسه لا يتصور منه افادة مثله فاذن حصل لنا وجود
ممكن موصوف بالثبوت في نفسه وموصوفا بكونه مفيد الوجود بمثله فاذا صح هذان الوصفان للوجود الممكن المفتقر فكيف لا يصحان للوجود الواجب
الغني بل نسبتهما الى الثاني اولى من نسبتهما الى الاول بحكم الفهم الصحيح وجه ثامن كون الشيء موجودا في نفسه اقرب واقبل عند العقل من كونه موجدا
لغيره اذ ليس كل ما له وجود في نفسه يكون موجدا لغيره وكل موجد لغيره موجود في نفسه واذا كان اتصاف الوجود الممكن مع ضعفه وابعاده عن القبول
والفعل فكيف لا يكون اتصاف الوجود الواجب مع قوته باقربهما من القبول والفعل وجه تاسع انجذاب النفوس السليمة وغير السليمة من الانبياء والاولياء
والحكماء وساير العقلاء من اخوان الصفا وخلان الوفا وارباب البدع والاهواء الى وجود واجب رجعوا الى انفسهم وطالعوا ملكوت السموات
والارض وتاملوا في الاحوال الواردة عليهم من كشف كرب او هجوم نعمة اجلى دليل على وجود رب جليل منزه عن سمات النقص والافول في حيز الامكان
مفيض للخيرات مدبر للكائنات ولهذا قال رب السموات والارضين عن الظلمة المعاندين وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ثم اخبر



انهم يعتذرون عن اصنامهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله انهم لم يجحدوه وعنادهم عن بحثهم وصدقهم انما كانوا مكابرين في الظاهر ابتداء من
من الله وشفعاء منهم فالحاصل ان المؤمن والمشرك والمقر والجاحد سيان في انه يشهد فطرته بوجود صانع للعالم واجب في ذاته وصفاته ولا ادل من ذلك
على انه ضروري الوجود وجه عاشر هو الاستدلال بالآفاق كل موجود سوى الواجب فله ظهور في الخارج لكنه اذا اعتبر في نفسه لم يكن له
ذلك من تلقاء نفسه فكان فقيرا في نفسه وذلك افول له في افق الامكان واذا كان ما مقتضى ذاته الافول طالعا فما مقتضى ذاته الطلوع اولى بان
يكون طالعا وجه حادي عشر هو الاستدلال بالانفس من تامل في ذاته وفرض نفسه في هواء طلق لا يحس فيه بمتضاد واغفل الحواس عن افعالها وجد شيئا هو
هو وبذلك يصح انيته وهو نفسه الناطقة التي نسبتها الى البدن نسبة الملك الى المدينة يتصرف فيها كيف يشاء ومهما انقطع علاقته عن البدن مات صاحبه
وانخرط في سلك الجمادات فكما ان البدن لضعفه وخسته مفتقر في قوامه وقيامه الى مدبر يدبره ويقيمه فجميع العالم الجسماني بل الممكنات باسرها لخستها وفقرها
يستند لا محالة الى ما هو اشرف منها وذلك ما وجوده من تلقاء نفسه هو الواجب الحق تعالى شانه ولولاه لتبدد نظام العالم ولم يكن من الوجود عين ولا اثر
وجه ثاني عشر هو انور الوجوه واظهرها وهو الاستدلال بالنور على النور لا شك ان نورا ونعني به ما هو ظاهر في نفسه مظهر لغيره فنقول ان كان
ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا احتاج الى ما يظهره ولا يمكن ان لا يكون ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا
لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه فهو المطلوب والا احتاج الى ما يظهره وما يظهره لا يمكن ان لا يكون
ظاهرا في نفسه لان ما لا يكون له ظهور في نفسه لا يفيد ظهورا لغيره فننقل الكلام الى ذلك الظاهر بان نقول ان كان ظهوره في نفسه بنفسه
فذاك والا احتاج الى ما يظهره ولا بد ان ينتهي في طرف الصعود الى ما يكون ظهوره في نفسه بنفسه والا لم ينته الامر في طرف النزول الى الظاهر
المفروض اولا فنهاية ما لا نهاية له محال من اي جانب فرض ولا ينتقض بعودة اليومية نقضا علينا بناء على انها مسبوقة بعودات لا تتناهى فان لا
تناهيها في جانب الازل محال عندنا وكانا قد كتبنا في بعض كتبنا بيان استحالة ذلك فان نقلت الكلام الى فيض الواجب قلت الفيض الواقع
في زمان الحادث مسبوق بافاضات غير متناهية لا محالة قلنا لو سلمنا ذلك لكنه لا يستحيل في الواجب لان وجوده واوصافه المعتبرة كلها مقتضيات
ذاته ومقتضى ذات الشيء يدوم بدوام الشيء ويستحيل انفكاكه عنه فلا نهاية لفيضانه تابعا للمسبوقية بغيره وكون وجوده من ذاته ولا يلزم من
كون مطلق الفيض ازليا ان يكون الفيض المخصوص ازليا واذا ثبت وجوب انتهاء الظاهر المفروض الى ما هو ظاهر في نفسه بنفسه ثبت المطلوب
وهو وجود نور الانوار تعالى شانه وبهر برهانه وهو بداية الممكنات في جانب الازل ونهايتها في جانب الابد فهو قديم ازلي ولان وجوده مقتضى ذاته
وما بالذات لا يزول فهو الباقي الدائم هذا ما سنح من المنبهات لهذا الضعيف اثبتها في هذا الكتاب الشريف ليبقى ان شاء الله على وجه الدهر وينظر
فيها من هو من اهلها في كل عصر والله المستعان قال بعض العقلاء من لطم على وجه صبي فلطمة تدل على وجود الصانع المختار وعلى حصول التكليف
وعلى ثبوت دار الجزاء وعلى ضرورة بعثة النبي اما الاول فلان الصبي يصيح ويقول من الذي ضربني وما ذاك الا شهادة فطرته على ان هذه اللطمة لما حدثت
بعد عدمها وجب ان يكون حدوثها لاجل فاعل مختار ادخلها في الوجود واذا كان حال هذا الحادث مع حقارته هكذا فما ظنك بجميع الحوادث الكائنة
في العالم العلوي والعالم السفلي واما دلالتها على وجوب التكليف فلان ذلك الصبي ينادي ويصيح ويقول له ضربني ذلك الضارب وفيه دلالة على
ان الافعال الانسانية داخلة تحت التكليف وان الانسان ما خلق حتى يفعل اي شيء اشتهى واما دلالتها على الجزاء فلانه يطلب الجزاء على تلك اللطمة ولا
يتركه ما امكنه واذا كان الحال في هذا العمل القليل كذلك فكيف يكون الحال في جميع الاعمال واما وجوب النبوة فلانهم يحتاجون الى انسان يبين لهم ان
العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي ولا فائدة في بعثة النبي الا تبيين الشرائع والاحكام ومما يدعو العاقل الى الاعتراف بالمبدأ والمعاد
انه لو اقر بهما ثم بان ان الامر على خلافه فلا ضرر فيه البتة اما اذا انكر الصانع والتكليف والجزاء وكانت هذه الامور في الخارج ثابتة حقه ففي انكارها
اعظم المضار فيلزم على العاقل ان يعترف بهذه الامور اخذا بالاحوط ثم ان الرسل بعد التنبيه على وجود الصانع ذكروا فائدة الدعوة وغايتها وذلك
ثنتان الاولى قوله يدعوكم اي الى الايمان ليغفر لكم من ذنوبكم استدل بالاية من جوز زيادة من في الاثبات وذلك لقوله تعالى في موضع اخر ان الله
يغفر الذنوب جميعا واجيب بانه لا يلزم من غفران جميع الذنوب لامة محمد صلى الله عليه وسلم غفران جميع الذنوب لغيرهم فالوجه ان يكون من للتبعيض تمييزا بين
الفريقين ويؤيد ما ذكرنا استقراء الايات فانها ما جاءت للكافرين الا مقرونة بمن كما في هذه الاية وفي سورة نوح والاحقاف وقال في خطاب المؤمنين في
سورة الصف يغفر لكم ذنوبكم بغير من وقيل اراد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم وقيل من للبدل اي ليكون المغفرة
بدلا من الذنوب ضعف بانه لم يوجد له في اللغة نظير وعن الاصم انه اراد انه يغفر لكم بعض الذنوب التي هي الكبائر فاما الصغائر فلا حاجة الى
غفرانها لانها في انفسها مغفورة وزيفه القاضي بان الصغيرة انما تكون مغفورة من الموحد من حيث يزيد ثوابه على عقابها فاما من لا ثواب له اصلا فلا
يكون شيء من ذنوبه صغيرا ولا كبيرا مغفورا وقيل المراد ان الكافر قد ينسى بعض ذنوبه في حال توبته وايمانه فلا يكون المغفور منها الا ما ذكره وتاب
منه وقال الامام فخر الدين الرازي في الاية دلالة على انه تعالى قد يغفر ذنب اهل الايمان من غير توبة لانه وعد بغفران بعض الذنوب مطلقا من غير
اشتراط التوبة وذلك البعض ليس هو الكفر لانعقاد الاجماع على انه تعالى لا يغفر الكفر الا بالتوبة عنه والدخول في الايمان فوجب ان يكون ذلك
البعض هو ما عدا الكفر من الذنوب لقائل ان يقول لا نسلم انه لم يشترط التوبة في الاية لان قوله يدعوكم اي الى الايمان معناه امنوا ليغفر لكم فكانه

في خطاب صح

لا نهاية صح

قيل ان الايمان شرط غفران بعض الذنب فلم لا يجوز ان يكون خلاف البعض هو الكفر الغاية الثانية قوله ويؤخركم الى اجل مسمى عن ابن عباس اى يمتعكم
في الدنيا باللذات والطيبات الى الموت الطبيعي ولا يعاجلكم بعذاب الاستيصال وقد مر تحقيق الاجل في اول الانعام ثم شرع في حكاية شبه الكفار وهي
ثلث الاولى قولهم ان انتم الا بشر مثلنا وذلك لاعتقادهم ان الاشخاص الانسانية متساوية في تمام الماهية فيمتنع ان يبلغ التفاوت بينهم الى هذا
الحد مع اشتراك الكل في ضروريات البشرية من الحاجة الى الاكل والشرب والوقاع وغير ذلك الثانية التمسك بطريقة التقليد وذلك قولهم
تريدون ان تصدونا عما كان يعبد اباؤنا الثالثة انكارهم دلالة المعجزة على الصدق وعلى تقدير التسليم زعموا انهم ما اتوا بحجة اصلا لاعتقادهم
ان معجزاتهم من جنس الامور المعتادة فاقترحوا فاتونا بسلطان مبين اى برهانا باهرا ومعجزة قاهرة ثم ان الانبيا سلموا انهم بشر مثلهم ولكنهم وصفوا انفسهم بمزية
من عند الله بطريق المنة والعطية وبهذا استدل من جعل النبوة محض العطا من الله اجاب المخالف بانهم لم يذكروا فضايلهم النفسانية والجسمانية
تواضعا منهم ولانه قد علم انه لا يخصهم بتلك الكرامة الا وهم اهل لها لخصائص فيهم واما الشبهة الثانية فانما لم يذكروا الجواب عنها لان صحة النبوة تهدم
قاعدة التقليد اما الشبهة الثالثة فجوابها وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله اى ما صح منا ان ناتي باية اقترحتموها من تلقاء انفسنا وانما ذلك امر يتعلق بمشية الله
والظاهر ان الانبيا لما اجابوا عن شبهاتهم بما اجابوا فالقوم اخذوا في السفاهة والتخويف فعند ذلك قالت الانبيا وعلى الله فليتوكل المؤمنون
الى قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون قال علماء المعاني الاول لاستحداث التوكل والثاني للسعي في ابقائه وادامته وقيل معنى الاول ان الذين
يطلبون المعجزات يجب عليهم ان يتوكلوا في حصولها على الله لا علينا فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها ومعنى الثاني ابداء التوكل على الله في
دفع شر الكفار وسفاهتهم وفي قوله وقد هدانا سبلنا اشارة الى ما سهل الله عليهم من طريقة التكميل والارشاد وتحمل اعباء الرسالة والصبر
على متاعبها فان تاثير نفوسهم في عالم الارواح كتاثير الشمس في عالم الاجسام بالاضاءة والانارة وقد عرفوا بالنفوس المشرقة بالانوار الالهية وبالوحي
الصريح انه تعالى يعصمهم من كيد الاعداء ومكر الحساد وفي قوله ولنصبرن على ما اذيتمونا دليل على ان الصبر مفتاح الفرج ومطلع الخيرات ومثمر السعادات
اما قول الكفار للرسل او لتعودن في ملتنا فقد مر البحث عليه في سورة الاعراف في قصة شعيب وقال صاحب الكشاف العود ههنا بمعنى الصيرورة وهي
حلفوا ان يخرجوهم البتة الا ان يصيروا كافرين مثلهم فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين اجرى الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه او اضمر
القول عن النبي صلعم من اذى جاره ورثه الله داره وذلك لذلك اخفوا الله به من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم حق لمن خاف مقامي يريد
موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيمة وهو موقف الحساب او المقام مصدر اى خاف قيامي عليه بالحفظ والمراقبة كقوله افمن هو قائم
على كل نفس او قيامي بالعدل والصواب مثل قائما بالقسط او المقام مقحم اى خافني مثل سلام الله على المجلس العالي وخاف وعيد قال الواحدي
هو اسم من الايعاد التهديد قال المحققون الخوف من الله مغاير للخوف من وعيد الله كما ان حب الله مغاير لحب ثواب الله وهذه فائدة عطف احد الخوفين
على الاخر قوله واستفتحوا الضمير اما للرسل والمعنى استنصروا الله على اعدائهم او استحكموا الله وسئلوا القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة
واما للكفرة بناء على ظنهم انهم على الحق والرسل على الباطل وعلى الاول يكون في الكلام اضمار التقدير فنصروا وفازوا بالمقصود وخاب كل جبار
عنيد معاند واصل العنود الميل عن العدل الى الناحية والجانب كان كلا من المتعاندين في جانب اخر وقيل الجبار هو المتكبر اشارة الى ان فيه
خلق الاستكبار والعنيد اشارة الى الاثر الصادر عن ذلك الخلق وهو كونه مجانبا للحق فراغا عنه واصل الكلام على الاول واستفتح الرسل وخاب
الكفرة بان بسبب خيبتهم عن السعادة الحقيقية تجبرهم وعنادهم من ورائه اى من بين يديه يعني الموت وراء كل احد وذلك ان قدام وخلف
كلاهما متوار عن الشخص كالذي لفظ وراء على كل واحد منهما وقال ابو عبيدة هو من الاضداد لان احدهما ينقلب الى الاخر وهذا وصف حاله
في الدنيا وفي الاخرة حين يبعث ويوقف قال جار الله قوله ويسقى معطوف على محذوف تقديره يلقى في جهنم ما يلقى ويسقى من ماء صديد بدل
من ماء بيانا له او صفة هذا والصديد ما يسيل من جلود اهل النار واشتقاقه من الصد لانه يصد الناظر عن رؤيته او تناوله وقيل يخلق الله
في جهنم ما يشبه الصديد في النتن والغلظ والقذارة يتجرعه يتكلف جرعه ولا يكاد يسيغه اى لا يقارب الاساغة فضلا عن الاساغة قيل ليس
المراد بالاساغة مجرد حصول المشروب في الجوف لان هذا المعنى حاصل لاهل النار بدليل قوله يصهر به ما في بطونهم وانما المراد بها ان المشروب في الحلق
بالاستطابة وقبول النفس لا بالكراهة والتاذي قلت يحتمل ان يراد بالاساغة مجرد الحصول ولا ينافيه قوله يصهر به لانه لا يدل على الحصول لقوله قبله يصب
من فوق رءوسهم الحميم ويأتيه الموت من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من اصل كل شعرة وقيل المراد ان موجبات الموت احاطت به من
جميع الجهات ومع ذلك فانه لا يموت فيها ولا يحيى ثم اخبر والعياذ بالله ان العذاب في كل وقت يفرض من الاوقات المستقبلة يكون اشد واقوى مما
قبله فقال ومن ورائه عذاب غليظ عن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد قال في الكشاف يحتمل ان يكون اهل مكة استفتحوا اى استمطروا
والفتح المطر في سني القحط التي سلطت عليهم بدعوة رسول الله صلعم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل
سقياه ماء اخر وهو صديد اهل النار وعلى هذا التفسير يكون قوله واستفتحوا كلاما مستانفا منقطعا عن حديث الرسل وامم التاويل
بسم الله اى باسم الذات وهو الاسم الاعظم ابدأت بخلق عالم الدنيا اظهار الصفات الرحمانية التي هي للمبالغة لاشتراك الحيوان والجماد والمؤمن
والكافر في الرحمة وبخلق عالم الاخرة اظهار الصفة الرحيمية لاختصاصها بالمؤمنين خاصة قوله الر اى بالاء ولطف القران انزلناه اليك لتخرج

وعلى النار
يستفتحوا النار به
فتح الاعمى وفتح
الاعمى والفاعل
الخبر بقصاص
الكفرة ع

التاويل

الناس بما لا له نوره من ظلمات عالم الطبيعة والكثرة الى نور عالم الروح والوحدة بإذن ربهم الذي يربيهم هو لا انت وفي قوله الى صراط اشارة الى انه
موطن الوصول الى من احتجب بحجب العزة واستتر باستار مظاهر القهر واللطف وفي الاختتام بقوله الله الذي له ما في السموات وما في الارض اشارة
الى ان من بقي في افعاله وهي المكونات لم يصل الى صفاته ومن يصل الى صفاته لم يصل الى ذاته ومن وصل الى ذاته والخروج عن انانيته الى هويته اتصف بصفاته وافعاله وويل
للكافرين من شدة الم الانقطاع عن الله ثم اخبر ان الكافر الحقيقي هو الذي تمتع بالايمان التقليدي فاقبل على الدنيا واعرض عن المولى فضل وافل
الا بلسان قومه اي يتكلم معهم بلسان عقولهم ولقد ارسلنا بواسطة جبرئيل الجذبة موسى القلب بآيات عصا الذكر واليد البيضاء من الصدق
والاخلاص ان اخرج قومك وهم الروح والسر والخفي من ظلمات الوجود المجازي الى نور الوجود الحقيقي وذكرهم بايام الله التي كان الله ولم يكن معه شيء وهو
يحييهم بلا هم ان في ذلك لآيات في نفي الوجود لكل صبار بالله مع الله عن غير الله شكور لنعمة الوجود الحقيقي ببذل الوجود المجازي ولئن
شكرتم بالطاعة لازيدنكم في تقربي اليكم لازيدنكم في محبتي لكم لازيدنكم في الخلة لازيدنكم في الوصول لازيدنكم في التجلي ولئن شكرتم
في التجلي لازيدنكم في الفناء عنكم ولئن شكرتم في الفناء لازيدنكم في البقاء ولئن شكرتم في البقاء لازيدنكم في الوحدة ولئن كفرتم نعمتي في
المعاملات كلها ان عذابي بقطيعتي لشديد وقال موسى القلب ان تكفروا انتم ايها الروح والسر والخفي بالاعراض عن الحق والاقبال على تبعية
النفس ومن في ارض البشرية من النفس والهوى والطبيعة يدعوكم من المكونات الى الملكوت ليغفر لكم بصفة الغفارية من ذنوبكم التي اصابتكم من
حجب عالم الخلق ويؤخركم في التخلق باخلاقه الى اجل مسمى هو وقت الفناء في الذات وعلى الله فليتوكل المتوكلون للتوكل مقامات فتوكل المبتدي
قطع النظر عن الاسباب في طلب المرام ثقة بالمسبب وتوكل المنتهي قطع تعلق ما سوى الله والاعتصام بالله ذلك لمن خاف مقامي هو مقام الوصول
الى الله وهذا مقام الاخص واما خوف الخواص فعن مقام الجنة وخوف العوام عن مقام النار وخاف وعيد القطيعة واستنصر القلب والروح من
امر الله على النفس والهوى ومن ورائه اي قدام النفس في متابعة الهوى جهنم الصفات الذميمة ويسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات
والاخلاق من الافعال الرذيلة يسقى من ماء صديد هو ما يتولد من الصفات يسقى منه صاحب النفس الامارة يتجرعه بالتكلف ولا يكاد يسيغه
لانه يبس من شربه ويأتيه اسباب الموت من كل مكان من كل فعل مذموم ومن ورائه عذاب غليظ هو عذاب القطيعة والبعد والله اعلم بالصواب

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ
الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
بِعَزِيزٍ ۝ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ۝ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ
إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي
وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا
سَلَامٌ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ
بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا
لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ ۝ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۝ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَوةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَا
هُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۝ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ
سَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۝ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ

القراءات الرياح على الجمع ابو جعفر ونافع الباقون على التوحيد خالق السموات والارض بلفظ اسم الفاعل حمزة وعلي وخلف الباقون بلفظ الفعل
سبلنا باسكان الباء حيث كان ابو عمرو ولي عليكم بفتح الياء حفص بمصرخي بكسر الياء حمزة الآخرون بالفتح اشركتموني بالياء في الحالين سهل ويعقوب
وابن شنبوذ عن قنبل وافق ابو عمرو ويزيد وقتيبة واسمعيل في الوصل البوار ممالة ابو عمرو وعلي ليضلوا بفتح الياء ابن كثير وابو عمرو وسهل ويعقوب
الباقون بضمها لعبادي الذين مرسلة الياء ابن عامر وحمزة وعلي ويعقوب والاعشى الباقون بالفتح من كل ما بالتنوين يزيد وعباس الباقون
بالاضافة الوقوف عاصف ط بناء على ان ما بعده مستأنف كأن سائلا هل يقدرون من اعمالهم هل يقدرون من اعمالهم على شيء ط البعيد
بالحق جديد لا لان ما بعده تتمة معنى الكلام بعزيز من شيء ط هديناكم ط محيص فاخلفتكم ط فاستجبتم لي ج لاختلاف الجملتين انفسكم ط لابتداء النفي بمصرخي
ط لان من قال ان الابتداء بقوله اني كفرت فنحو ابراء الكفر بالاشراك واجب كالايمان من قبل ط اليم باذن ربهم ط سلام في السماء لا

والحمد لله صح
ومن بقي في صفاته صح
ولئن شكرتم في ... صح
قطع تعلق الاسباب بالمسبب وتوكل صح

ابراهيم

التفسير

و يقال ما يتذكر من التسع الرابع من قرأنه و في الاخرى لتكرار اسم الله تعالى في الفعلين مع ان كلاهما مستقل بخلاف قوله و يفعل الله لانه في المعنى
بيان قوله و يضلل الله ما يشاء البوار لا جهنم لان ما بعده يصلح استينافا او حالا من فاعل احلوا او من مفعوله او من كليهما يصلونها القرار
عن سبيله الى النار و لا خلال ذرفا الكوا بلبرة الانهار دائبين و النهار تحصوها الوقوف مع العطف للتفصيل لنعم تنبيها على الشكر
سالظلوم لابتداء الشرط مع تمام الكلام لا تحصوها ط كفار التفسير لما ذكر في الآيات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية خسرانهم
و بقائهم خيبتهم فقال مثل الذين و ارتفاعه عند سيبويه على الابتداء و الخبر محذوف اي فيما يتلى او نقص عليكم مثلهم و قوله اعمالهم
كرماد جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم و قال الفراء المضاف محذوف اي مثل اعمال الذين كفروا و انما جاز حذفه
استغناء بذكره ثانيا و قيل المثل صفة فيها غرابة فاخبر عنه بالجملة المراد صفة الذين كفروا اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون و ماله
غير مخزون و يجوز ان يكون اعمالهم بدلا و الخبر كرماد وحده و المراد باعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام و عتق الرقاب و فداء
الاسارى و عقر الابل للاضياف و اغاثة الملهوفين و اعانة المظلومين شبهها في حبوطها لبنائها على غير اساس التوحيد و الايمان برماد طيرته
الريح في يوم عاصف قال الزجاج جعل العصف لليوم و هو لما فيه يعني الريح مجازا كقولك يوم ماطر قال الفراء و ان شئت قلت في يوم ذي
عصوف و في يوم عاصف الريح فحذف لذكره مرة و قيل المراد من اعمالهم عبادتهم للاصنام و وجه خسرانهم انهم اتعبوا ابدانهم فيها دهرا طويلا
ثم لم ينتفعوا ابدا بل تضرروا به و قوله مما كسبوا على شيء القياس عكسه كما في البقرة لان على من صلة القدرة فلان مما كسبوا صفة
لشيء و نكتة تقديمه في هذه السورة لان الكسب اعني العمل الذي ضرب له المثل هو المقصود بالذكر و لهذا اشار اليه بقوله ذلك هو الضلال
البعيد اي عن الحق و الثواب ثم كان لسائل ان يسئل كيف يليق بحكمته اضاعة افعال المكلفين فقال الم تر ان الله خلق السموات و الارض
بالحق مشتملة للفوائد و الحكم دالة على وجود الصانع القدير فحبوط الاعمال انما يلزم من كفر المكلفين و كونها غير مبنية على قاعدة الايمان و الاخلاص
لا من انه سبحانه يمكن ان يوجد في افعاله عبث و خلل و سهو ثم بين كمال قدرته و استغنائه عن الظلم و القبائح و عن عمل كل عامل فقال ان يشاء
يذهبكم و قد مر مثله في سورة النساء و ما ذلك على الله بعزيز بمتعذر لانه قادر بالذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فان قيل الغرض من
الاية اظهار القدرة و زجر المكلفين عن المعصية و ذلك تمام بقوله ان يشأ يذهبكم فما فائدة قوله و يات بخلق جديد و هل فيه دليل على ان الفناء
لا يوجد بدون الفيض قلنا على تقدير تسليمه لا ينحصر الفائدة فيه بل لعل الفائدة هي تاكيد التخويف فان الناس من تصور العدم المجرد ليس كالتالم
من تصور عدمه مع اقامة غيره مقامه على انا لا نسلم ان الاذهاب لا يلزم منه الاعدام فيكون شبيها بعزل شخص و نصب غيره مقامه و للحكيم ان يستدل بقوله
يذهبكم على ان مادة الجوهر لا تنعدم و انما تنعدم الصور و الاعراض و الجواب ان الاذهاب ههنا بمعنى الاعدام و لو سلم فلا يلزم من عدم وقوع الاعدام
ههنا امتناعه في جميع الصور و فيه انه الحقيق بان يخشى عقابه و يرجى ثوابه فلذلك اتبعه احوال الاخرة فقال و برزوا بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع
مثل و سيق و نادى و التركيب يدل على الظهور بعد الخفاء و منه امرأة برزة اذا كانت تظهر للناس و برز فلان على اقرانه اذا فاقهم و معنى بروزهم لله
و هو سبحانه لا يخفى عليه شيء انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش و يظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله
فاذا كان القيمة انكشفوا لله عند انفسهم و علموا ان الله لا يخفى عليه خافية او المضاف محذوف اي برزوا لحساب الله و حكمه قال ابو بكر الاصم قوله و برزوا
لله هو المراد من قوله و من ورائه عذاب غليظ و على قواعد الحكماء النفس اذا فارقت الجسد زال الغطاء و كشف الوطاء و ظهرت عليها آثار الملكات
الهيئات التي كان يمنعها عن الشعور بها اشتغالها بعالم الحس فذلك هو البروز لله فان كانوا من السعداء برزوا لموقف الجمال بصفاتهم القدسية
و هيئاتهم النورية فيا اجل تلك الاحوال و يا طوبى لاهل النوال و ان كانوا من الاشقياء برزوا لموقف الجلال باوصافهم الرديئة و هيئاتهم الظلمانية
فما اعظم تلك الفضيحة و ما اشنع تلك الحالة ثم كتب الضعفؤ بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو و مثله علمؤا بني اسرائيل
و الضعفاء العوام و الاراذل و الذين استكبروا ساداتهم و اشرافهم الذين استكبروا عن عبادة الله تعالى فضلوا و اضلوا قال الفراء اكثر اهل اللغة على
ان التبع جمع تابع كخدم و خادم و حرس و حارس و جوز الزجاج ان يكون التبع مصدرا اي ذوي اتباع اما في الكفر او في الامور الدنيوية فهل انتم
مغنون هل يمكنكم دفع عذاب الله عنا و من في من عذاب الله للتبيين و في من شيء للتبعيض و المعنى هل مغنون عنا بعض الشيء الذي هو عذاب
الله او كلاهما للتبعيض بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدينا الله لهديناكم عن ابن عباس لو ارشدنا الله
لارشدناكم قال الواحدي معناه انهم انما دعوهم الى الضلال لان الله اضلهم و لو هداهم لدعوهم الى الهدى و قال في الكشاف لعلهم قالوا
ذلك مع انهم كذبوا فيه كقولهم يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم و اعترض عليه بان هذا خلاف مذهبه لانهم لا يجوزون
صدور الكذب عن اهل القيمة كما مر في اوائل الانعام في قوله و الله ربنا ما كنا مشركين و يجوز ايضا ان يكون المراد لو كنا من اهل اللطف
فلطف بنا ربنا و اهتدينا لهديناكم الى الايمان و زيف بان كل ما في مقدور الله تعالى من الالطاف فقد فعله و قيل لو هدينا الله
طريق النجاة من العذاب لاغنينا عنكم و سلكنا بكم طريق النجاة و يؤكد هذا التفسير قوله سواء علينا اجزعنا ام صبرنا و اعرابه كقوله
سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لو ارادوا اقناطهم من العذاب بالكلية او ارادوا ان عتاب الضعفاء لهم و توبيخهم اياهم نوع

من الجزع ولا فائدة فيه ولا في الصبر وجوز في الكشاف ان يكون قوله سواء علينا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا نظيره قوله وصل كلام انسان بكلام انسان اخر قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والمحيص المنجى والمهرب مصدر كالمغيب والمحيض او مكان كالمبيت والمضيف ولما ذكر مناظرة شياطين الانس اتبعها مناظرة شيطان الجن ومعنى قضي الامر قطع وفرغ منه وذلك حين انقضاء المحاسبة والاكثرون على انه بعد الحساب ودخول الاشقياء النار والسعداء الجنة وعند اهل السنة هو بعد خروج الفساق من النار فليس بعد ذلك الا الدوام في الجنة او في النار يروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في النار فيقول ان الله وعدكم وعد الحق وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلق وقضى بينهم يقول الكافرون قد وجد المسلمون من يشفع لهم فمن يشفع لنا ما هو الا ابليس هو الذي اضلنا فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول ووعد الحق من اضافة الموصوف الى صفته مثل مسجد الجامع وتاويله وعدا يوم الحق وهو البعث والجزاء على الاعمال وفي الاية اضماران الاول وعدكم وعد الحق فوفى لكم بما وعدكم الثاني ووعدتكم خلاف ذلك فاخلفتكم الوعد ووجه الاضمار الاول دلالة الحال عليه لانهم كانوا يشاهدون وليس وراء العيان بيان ولان ذكر نقيضه وهو اخلاف الوعد من الشيطان يغني عنه ووجه الثاني ايضا مثل ذلك ثم ذكر طريق وسوسته اعتذارا منهم فقال وما كان لي عليكم من سلطان من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي الا ان دعوتكم قال النحويون هذا الاستثناء منقطع لان الدعاء ليس من جنس السلطان فالمراد لكن دعائي اياكم الى الضلال بوسوسته ويمكن ان يوجه الاستثناء بالاتصال لان قدرة الانسان على حمل الغير على عمل من الاعمال تارة يكون بالقسر وتارة بتقوية الداعية في قلبه بالقاء الوساوس اليه فهذا نوع من انواع التسلط فلا تلوموني ولوموا انفسكم لانكم ما سمعتم مني الا الدعاء والتزيين وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء انبيائه فكان من الواجب عليكم ان لا تغتروا بقولي ولا تلتفتوا الي قالت المعتزلة في الاية دلالة على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما يزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه وقول الشيطان وان لم يصلح للحجة الا ان عدم انكار الله تعالى عليه حجة هذا مع ان اول كلام اللعين مبني على الانصاف والصدق فكذا ينبغي ان يكون اخره قال المحققون الشيطان الاصلي هو النفس وذلك ان الانسان اذا لحق شيئا او ادركه ترتب عليه شعوره بكونه ملائما له او بكونه منافرا له ويتبع هذا الشعور الميل الجازم الى الفعل او الى الترك وكل هذه الاشياء من شأن النفس الانسانية ايضا جوهر علوي مجرد فلا يبعد وصول اثر احدهما الى الاخر وذهب بعض الحكماء الى ان كل روح من الارواح البشرية فانه ينتسب الى روح معين من الارواح السماوية وانها تتولى ارشاد الارواح الانسانية الى مصالحها بالالهامات الحسنة في حالتي النوم واليقظة هذا اذا كانت خيرة واما اذا كانت شريرة فانها توسوسها بالخواطر والاعمال القبيحة والفحشاء كانواعها كالامر من تلك الارواح بالطباع التام وذكر بعض العلماء احتمالا اخر وهو ان النفوس البشرية اذا فارقت ابدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الابدان وكملت فيها فاذا احدث نفس اخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة من بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلق فيصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلقة بهذا البدن وبعضدها على احوالها وافعالها فاذا كان هذا المعنى في ابواب الخير والشركان الهاما وان كان في باب الشر كان وسوسة ثم حكى الله سبحانه عن الشيطان انه قال ما انا بمصرخكم قال ابن عباس بمغيثكم ولا بمنقذكم قال ابن الاعرابي الصارخ المستغيث والمصرخ المغيث صرخ فلان اذا استغاث وقال واغوثاه واصرخته اي اغثته وعاب النحويون على حمزة انه قرأ وما انتم بمصرخي لان ياء الاضافة لا يكون الا مفتوحة حيث قبلها الف نحو عصاي فالياء اولى بها وحاصل ما عابوا عليه انه لم يوجد له نظير في استعمال العرب لكنك تعلم ان القرآن حجة على غيره قوله اني كفرت بما اشركتمون من قبل ان كانت ما مصدرية فالمعنى اني كفرت اي انا جاحد وما كان لي رضى باشراككم في الدين مع الله في الطاعة في قوله اي لم يتولوه ونصره في هذا العالم وان كانت موصولة على ما قاله الفراء من ان ما في معنى من كقوله سبحان ما سخركن لنا فالمراد اني كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالله الذي اشركتمونيه ووجه نظم الكلام على هذا التفسير ان ابليس كانه يقول لا تأثير لوسوستي في كفركم بدليل اني كفرت بالله قبل ان كفرتم وما كان كفري بسبب وسوسة اخرى والا لزم التسلسل فثبت بهذا ان سبب الوقوع في الكفر شيء اخر سوى الوسوسة وهذا التقرير يناسب اصول الاشاعرة اما قوله ان الظالمين لهم عذاب اليم فالاظهر انه كلام الله ويشمل ابليس ومن تابعه من الثقلين وليس ببعيد ان يكون من تتمة كلام ابليس قطعا الاطماع اولئك الكفار عن اعانته ثم شرع في احوال السعداء وقال وادخل على لفظ الماضي تحقيقا للوقوع وقوله باذن ربهم متعلق بادخل اي ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره وقرأ الحسن وادخل على لفظ المتكلم قال في الكشاف فعلى هذا يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم وقد تقدم معنى قوله تحيتهم فيها سلام في اول سورة يونس ثم لما بين احوال السعداء وكان قد ذكر احوال اضدادهم اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا قال في الكشاف كلمة طيبة نصب بمضمر اي جعل كلمة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا او ضرب بمعنى جعل اي جعل الله كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة وقال جار الله الوجه ان يجعل قوله كلمة عطف بيان وقوله كشجرة مفعولا ثانيا عن ابن عباس الكلمة الطيبة هي قول لا اله الا الله محمد رسول الله والشجرة الطيبة شجرة في الجنة وعن ابن عمر هي النخلة وقيل الكلمة الطيبة كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وقيل لا حاجة بنا الى تعيين تلك الشجرة والمراد ان الشجرة الموصوفة ينبغي لكل عاقل ان يسعى في تحصيلها

او لا الحق صح

كشجرة طيبة صح



وادخارها النفسه سواء كان لها وجود في الدنيا او لم يكن اما صفات الشجرة فالاولى كونها طيبة وتشمل طيب المنظر والشكل والرائحة وطيب
الفواكه المتولدة منها وطيب منافعها والثانية اصلها ثابت راسخ امن من الانقطاع ولا شك ان الشيء الطيب انما يكمل الفرح بحصوله اذا امن انقراضه وزواله
والثالثة وفرعها في السماء اي في جهة العلو وهكذا انما يكون لرسوخ اصله فان الاصل كلما كان اقوى وارسخ كان الفرع اعلى واشمخ ومن فوائد ارتفاع
الاغصان بعدها عن عفونات الارض ونقاؤها عن الاقذار وان قال في الكشاف فرعها اعلاها وراسها ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس
له الصفة الرابعة تؤتي اكلها كل حين اي تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها وعن ابن عباس الحين ستة اشهر لان من حملها الى صرامها ستة
اشهر وقال مجاهد وابن زيد سنة لان الشجرة من العام الى العام تحمل الثمرة ولا سيما النخلة اذا ذكروا عليها الثمر بقي من السنة وقال الزجاج الحين الوقت
طال ام قصر والمراد انه ينتفع بها في كل وقت يفرض ليلا ونهارا صيفا وشتاء باذن ربها بتيسير خالقها وتكوينه قال المحققون معرفة الله تعالى لا
في مجتمعه وطاعته هي الشجرة الطيبة ولا لذتها لا الى لان المدركات المحسوسة انما تصير مدركة لملاقاة شيء من المحسوس شيئا من الحواس اما نور معرفة الله و
اشراقها فانما يتصل ويسري في جميع جواهر النفس حتى انه يكاد يتحد بها ثم ان سائر اللذات منقطعة متناهية ولذة المعرفة لا يكاد ينتهي الى حد وان عروق هذه
الشجرة ثابتة راسخة في جوهر النفس الناطقة ولها شعب واغصان صاعدة في هواء العالم الروحاني يجمعها التعظيم لامر الله ومنشاؤها القوة النظرية وغايتها
الحكمة العلمية باقسامها واصولها وفروعها واغصان ثابتة في فضاء العالم الجسماني ومبدؤها القوة العملية وفائدتها الحكمة الخلقية التي يجمعها الشفقة على
خلق الله عموما وخصوصا واثر رسوخ شجرة المعرفة في القلب ان يكون نظره للاعتبار فاعتبروا يا اولي الابصار وسمعه الحكمة الذين يستمعون القول فيتبعون
احسنه ونطقه بالصدق والصواب قولوا قولا سديدا وكذا الكلام في سائر القوى والاعضاء وهذه المراتب لا تكاد تنحصر مراتب الاستعداد
واذا صار جوهر النفس كاملا بحسب هذه الفضائل فقد يكون مكملا للغير وذلك قوله تؤتي اكلها كل حين وفي قوله باذن ربها اشارة الى ان النظر في جميع
هذه المراتب يجب ان يكون على المفيض لا على الفيض وعلى المنعم لا على النعمة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون المبدأ والمعاد وانه تعالى جعل
الكمال على النقصان واثر العرفان للمعروف لا للعرفان فيكون جوهر نفسه كلمة طيبة كما قال في حق عيسى كلمة من الله واذا عرفت الكلمة الطيبة والشجرة
الطيبة سهل عليك معرفة ضدهما فالكلمة الخبيثة كلمة الشرك او كل كلمة قبيحة او كل نفس شريرة والشجرة الخبيثة الباطل او كل شجرة لا يطيب ثمرها كشجر الحنظل
والثوم ونحو ذلك ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها مالها من قرار اي من استقرار مصدر كالثبات والنبات عن
قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما اعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا ان يلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها القيامة
قلت وذلك ان الباطل لا قائل به ولا يوافقه فهم من هو بصدد الاعتبار فهو مضمحل زائل والحق نقيض ذلك بل الباطل لا يستقر صاحبه عليه
ولا يحصل له برد اليقين وكذا النفس الخبيثة لا يكون لها طمانينة ولا وقار بل تراها ابدا تسعى في الطرق المضلة والسبل المنحرفة كالذي استهوته
الشياطين في الارض حيران ولما شبه حال الفريقين بما شبه بين مآل حالهما فقال يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة
والبرهان وتمكن في قلب صاحبه بحيث لم يكن للتشكيك فيه مجال في الحيوة الدنيا فلا جرم اذا فتنوا في دينهم لم يزلوا كاصحاب الاخدود والذين نشروا
بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد ويثبتهم في الآخرة انهم اذا سئلوا في القبور لم يتلعثموا واذا وقفوا بين يدي الجبار لم يبهتوا عن ابن عباس
من دام على الشهادة في الحيوة الدنيا يثبته الله عليها في قبره ويلقنها اياها وقد ورد في حديث سؤال القبر عن البراء بن عازب مثل ذلك والسبب العقلي
يوجب رسوخ الملكة بحيث لا يزول بتبدل الاحوال وتقلب الاطوار وانما فسر الآخرة ههنا بالقبر لان الميت ينقطع بالموت عن احكام الدنيا
ويدخل في احكام الآخرة وقيل معنى الاية يثبت الله الذين آمنوا بالله وعلمه بالايمان يعني على ما آمنوا به في الدارين ويثبتهم الله فيهما بسبب القول الثابت
على القول الثابت وقيل معنى الاية يثبتهم الله على الثواب والكرامة بسبب القول والكرامة الثابت الذي كان يصدر عنهم حال ما كانوا في الحيوة الدنيا
وسيصدر عنهم حال ما يكونون في الآخرة ويرد عليه ان الآخرة ليست دار عمل وان كان قوله في الحيوة الدنيا متعلقا بقوله يثبت اي يثبتهم
على الثواب في الدارين بسبب القول ورد عليه ان الدنيا ليست دار ثواب ويمكن ان يناقش في هذا الايراد لقوله سبحانه من عمل صالحا من ذكر او انثى
وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة ويضل الله الظالمين الذين وضعوا الباطل موضع الحق والشرك بدل التوحيد في الدارين فلا جرم اذا
سئلوا في قبورهم قالوا لا ندري ويفعل الله ما يشاء من التثبيت والاضلال ولا اعتراض لاحد عليه او من منح الالطاف ومنعها كما يقتضيه الحكمة
ثم عجب نبيه من حال ظالمي مكة بقوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله اي شكر نعمته كفرا اي وضعوا مكان الشكر الكفر او بدلوا نفس النعمة كفرا اي سلبوا النعمة
فلم يبق معهم الا الكفر وذلك انه تعالى اسكنهم حرمه ووسع عليهم معايشهم واكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فلم يقوموا بشكر تلك النعم فضربهم بالقحط سبع سنين و
وقتلوا يوم بدر وبقي الكفر طوقا في اعناقهم واعناق من تابعهم وذلك قوله واحلوا قومهم دار البوار اي الهلاك وقوله جهنم عطف بيان و
بئس القرار اي المقر وهو مصدر سمي به قوله ليضلوا من قرأ بضم الياء فاللام للغرض او للعاقبة ومن قرأ بفتحها فاللام للعاقبة لان العاقل لا يريد
ضلال نفسه ولكنه قد يريد ضلال الغير لمصلحة دنيوية وانما حسن استعمال اللام لاجل العاقبة من حيث انها تشبه الغاية والغرض من قبل
حصولها في اخر المراتب والمشابهة احد الامور المصححة للمجاز قل تمتعوا امر وعيد وتهديد قال جار الله فيه ايذان بانهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر
مامورون به قد امرهم آمر مطاع هو امر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة فان مصيركم الى النار وانما سمي عيش الكفار



تمتعا الا ان امهالهم في الدنيا على اي وجه يفرض يكون اسهل مما اعد لهم في الدنيا الآخرة من العقاب ومن الذي نزل فيهم روي عن عمر انه قال هم من الافجرين من قريش بنو المغيرة وبنو امية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا اخذ بيد امر نبيه صلعم بحث المؤمنين على خلاف ذلك وهو الاقبال على ما ينفعهم في الآخرة فقال قل لعبادي الذين المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه التقدير قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا وجوز بعضهم ان يكون المذكور هو المقول بناء على انه امر غائب محذوف اللام وانما حسن الحذف لان الامر الذي هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلوة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز والخلال المخالة اراد انفقوا اموالكم في الدنيا حتى تجدوا ثواب ذلك الانفاق في هذا اليوم الذي لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مصادقة وانما ينتفع بالانفاق لوجه الله ونفي المخالة في هذه الآية وفي قوله في البقرة لا بيع فيه ولا خلة لا ينافي اثباتها في قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين لان المنفية هي التي سببها ميل الطبيعة ورغبة النفس والمثبتة هي التي يوجبها الاشتراك في الايمان والعمل الصالح ولما ختم احوال المعاد عاد الى المبدأ واخبر ان الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وقد مر في اول البقرة والمراد من السماء جهة العلو وقيل نفس السماء وزيف بان الانسان ربما كان واقفا على قلة جبل عال ويرى الغيم اسفل منه واذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم ماطرا عليه وسخر لكم الفلك كقوله في اواسط البقرة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وقدر ومعنى بامره بتيسيره وتسخيره لانه خلق موادها والهم صنعتها وجعل الماء بحيث يسهل على جريها ولان الملك العظيم قلما يوصف بانه فعل وانما يقال انه امر بكذا ومنهم من حمل الامر على الظاهر اي بقوله كن وسخر لكم الانهار وجه المنة فيها ان البحر قلما ينتفع به في العمارة والزراعة لعمقه وملوحته فيفجر الله الانهار والعيون والآبار الصالحة للانتفاع بها كما لا يخفى وسخر لكم الشمس والقمر اي صيرهما تحت تصرفه وتسخيره بحيث يعود انتفاع ذلك عليكم من التسخين والترطيب والاضاءة والانارة لانهما من آلات الله وقوله دائبين نصب على الحال والدؤب مرور الشيء في العمل على عادة مطردة اي يدأبان في سيرهما وانارتهما وسائر منافعهما وخواصهما وهكذا معنى التسخير في قوله وسخر لكم الليل والنهار اي يتعاقبان خلفة لمنافعكم من راحة الانسان ومعاشه ولما فصل طرفا من النعم اجمل الباقية منها بقوله وآتاكم من كل ما سألتموه اي بعض جميع ما سألتموه ومن قرأ بالتنوين فما نافية والجملة نصب على الحال اي آتاكم من جميع ذلك غير سائليه او موصولة بمعناه وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وطلبتموه بلسان الحال ثم بين ان نعم الله على عبيده غير متناهية فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تقدرون على تعدادها لكثرتها بل لعدم تناهيها قال الواحدي النعمة ههنا اسم اقيم مقام المصدر كالنفقة بمعنى الانفاق ولهذا لم يجمع ومن تأمل في تشريح الابدان ونظر في اعضاء الحيوان واجزائها من العروق الدقاق والاوردة والشرايين وفي كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة ووقف على منافعها عرف بعض دقائق نعم الله تعالى على عباده واذا جاوز الانفس الى الآفاق وسير فكره في احوال الاجسام السفلية والعلوية ووقف من بديع صنعها وعظم منفعتها على ما يقتضي منه العجب واذا عبر الملك الى الملكوت فاوديته الحيرة والدهشة وتلاشى عقله عند ادنى سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة لتضعها في الفم فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما الذي قبلها فكالخبز والطحن والزرع وغير ذلك من الآلات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى ينتهي الى الافلاك والعناصر واما الذي بعدها فكالقوى المعينة على الجذب والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء الحاملة لتلك القوى وكسائر الامور النافعة في ذلك لتبايع خارجة عن البدن او داخلة فيه فانها لا تكاد تنحصر واذا كانت نعم الله تعالى في تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف فيما جاوز ذلك هذا اذا كنت في عالم الاجسام فاذا تخطيت الى عالم الارواح وجالت طرف عقلك في مبادي القدس وحظائر الانس وصادفت بعض ما هنالك من الكرامات واللذات فلعلك تعرف حق النعمة اذ تغرق في لجة المنة او تغترف من نهر المحبة والنعم هنالك على وفق الاستعداد وادراك النعم بمقدار الفهم والرشاد فان كنت هناك الطاقة والا فلم الا نقصان ان الانسان اي هذا الجنس لظلوم بظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران لها وذلك انه مجبول على النسيان والملالة فلا بد ان يقع في اغفال شكر النعمة ان نسيها او في كفران النعمة اذا ملها وقيل ظلوم في الشدة بالشكاية والجزع كفار في النعمة بجمع ويمنع واعلم انه ختم الآية في هذه السورة بما ختم وختمها في النحل بقوله ان الله لغفور رحيم وكانه قال ان كنت ظلوما فانا غفور وان كنت كفارا فانا رحيم فلا اقابل تقصيرك الا بالتوفير ولا اجازي جفاك الا بالوفاء تلك صفتك في الاخذ وهذه صفتي في الاعطاء التأويل وبرزوا من القبور الفانية لله جميعا من القوي والضعيف فقال الضعفاء وهم المقلدون للذين استكبروا من المبتدعين اني كفرت بما اشركتمون من اللعين حين لا ينفع نفسا ايمانها وادخل فيه اشارة الى ان الانسان اذا خلي وطباعه لا يدخل الجنة لانه خلق ظلوما جهولا لا سفل الطبع واعانه الله بفضله وعنايته جنات القلوب تجري من تحتها انهار الحكمة خالدين فيها باذن ربهم اي بعنايته والا لم يبق فيها ساعة كما لم يبق آدم تحيتهم اهل القلوب لسلامة قلوبهم وتحيتهم على اهل النفوس لمرض قلوبهم ليسلموا من شر نفوسهم واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما الم تر اي الم تشاهد بنور النبوة كيف ضرب الله مثلا للاستعداد الانساني القابل للفيض الالهي دون سائر المخلوقات كلمة طيبة هي كلمة التوحيد كشجرة طيبة عن لوث الحدوث مثمرة اثمار شواهد انوار القدم اصلها ثابت في الحضرة



النصف

لاطهینة فانفاصفة فاته بدا ثمارها و فرعها فی سماء القلوب ثوتیه اکلها من انوار المشاهدات والمکاشفات کل حین یتقرب العبد الى ربه بتقرب الرب تعالى اليه ويضرب الله الامثال للناس لمن نسی العهد الاول لعلهم يتذكرون الحالة الاولى فيسعون فی ادراكها ومثل كلمة خبيثة هی كلمة الشرك اجتثت من فوق ارض البشرية ما لها من قرار لانها من الاعمال الفانيات لا من الباقيات الصالحات يثبت الله الذين آمنوا يقيمهم فی مقام الايمان بملازمة كلمة لا اله الا الله والسير فی حقايقها فی الحيوة الدنيا وفی الآخرة لان سير اصحابها بالاعمال ينقطع بالموت وسير ارباب الاحوال لا ينقطع ابدا الا واحلوا قومهم ارواحهم وقلوبهم ونفوسهم وابدانهم ابدانهم جهنم البعد ونفوسهم الدركات وقلوبهم العمى والصمم والجهل وارواحهم العلوية اسفل سافلين الطبيعة فبدلوا نعم الاخلاق الحميدة كفر الاوصاف الذميمة الله الذی خلق سموات القلوب وارض النفوس وانزل من سماء القلوب ماء الحكمة فاخرج به ثمرات الطاعات رزقا للارواح وسخر لكم فلك الشريعة لتجری فی بحر الطريقة بامر الحق لا بالهوى والطبع وكذلك ارباب الطلب من سفن انكسرت بنكباء الهوى وسخر لكم انهار العلوم الدينية وشمس الكشوف وقمر المشاهدات وليل البشرية ونهار الروحانية ومعنى التسخير فی الكل جعلها اسبابا لاستكمال النفس الانسانية وآتاكم من كل ما سألتموه من سائر الاسباب المعينة على ذلك فجميع العالم بالحقيقة تبع لوجود الانسان وسبب لكماليته وهو ثمرة شجرة المكونات فلذلك قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لان مخلوقاته غير محصورة وكلها مخلوق لاستكمالات الانسان الظلوم بافساد استعداده كفار لا يعرف قدر نعمة الله فی حقه

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَ

و چون گفت ابراهیم — ای پروردگار من بگردان — این شهر مکه را امن

ٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى

و دور دار مرا و پسران مرا از آنکه پرستیم بتان را — ای پروردگار من بدرستیکه ایشان گمراه کردند بسیاری را از مردمان — پس هرکه پیروی کرد مرا پس بدرستیکه او از من است و هرکه نافرمانی کرد مرا

فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا

پس بدرستیکه تو آمرزنده مهربانی — ای پروردگار من بدرستیکه من ساکن گردانیدم بعضی از فرزندان خود را بوادی غیر صاحب زراعت — نزدیک خانه تو — که حرام کرده شده ای پروردگار ما

لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ

تا بر پا دارند نماز را — پس بگردان دلهای برخی از مردمان را که بشتابد بسوی ایشان — و روزی ده ایشان را از میوه ها شاید که ایشان — شکر گزاری کنند

رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى

پروردگار ما بدرستیکه تو میدانی آنچه پنهان میداریم و آنچه آشکارا میکنیم و پوشیده نمیشود بر خدا هیچ چیز در زمین — و در آسمان ستایش مر خدا راست

وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى

بخشید بمن در بزرگی اسمعیل و اسحق — بدرستیکه پروردگار من هر آینه شنونده دعاست — ای پروردگار من گردان مرا برپا دارنده نماز — و از فرزندان من

رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۝ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا

ای پروردگار ما و قبول کن دعای مرا — پروردگار ما بیامرز مرا و والدین مرا و مؤمنان را — روزیکه قایم شود حساب — و مپندار البته خدا را بیخبر

عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۝ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ

از آنچه میکنند ستمکاران — جز این نیست که باز پس میدارد ایشان را برای روزیکه باز مانده در آن چشمها — شتابندگان بالا دارندگان سرهای خود را — باز نگردد بسوی ایشان چشمهای ایشان

وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۝ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ

و دلهای ایشان باشند خالی — و بیم کن مردمان را از روزیکه آید ایشان را عذاب — پس گویند آنانکه ستمکردند ای پروردگار ما باز پس دار ما را بسوی مدتی نزدیک

نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۝ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ

تا اجابت کنیم دعوت ترا و پیروی کنیم رسولانرا — آیا نبودید که سوگند خوردید از پیش که نیست مر شما را هیچ زوالی — و ساکن شدید در مسکنهای آنانکه

ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۝ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ

ستم کردند بخویشتن و ظاهر شد مر شما را — که چگونه کردیم بایشان — و زدیم برای شما داستانها را — و بدرستیکه حیله کردند مکر خود را — و نزد خداست

مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۝ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ

جزای مکر ایشان و اگر بود — مکر ایشان که زایل شد از آن کوهها — پس مپندار البته خدا را خلاف کننده وعده خویش برسولانش — بدرستیکه خدا غالب

ذُو ٱنتِقَامٍ ۝ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ

صاحب انتقامست — روزیکه بدل کرده شود زمین — بغیر این زمین و آسمانها — و ظاهر شوند از برای خدای یگانه غالب — و ببینی گناهکاران را آن روز

مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ

سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ

ع

القراءات ابراهام بالالف هشام والاخفش عن ابن ذكوان انى اسكنت بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ومن عصانى بالامالة قتيبة
وعلى بالياء فى الحالين ابن كثير ويعقوب وقرأ ابو عمرو ويزيد وورش وحمزة وسهل والبرجمى والحزاز عن هبيرة واحمد بن فرج عن ابى عمرو
عن اسمعيل بالياء فى الوصل والباقون والهاشمى عن ابن فليح بغير ياء فى الحالين نوحيهم بالنون عباس والمفضل فى رواية ابى زيد الاخرون
بالياء لتزول بفتح اللام الاولى ورفع الاخرى الباقون بكسر الاولى ونصب الاخرى القهار مثل البوار قطر بكسر القاف وسكون الطاء والراء
مكسورة منونة آن على انه اسم فاعل زيد عن يعقوب والوقف على قراءته ان بالهاء الوقوف الاصنام ط من الناس ج منى ج فصلا بين النقيضين مع اتحاد
الكلام رحيم المحرم لا لان قوله ليقيموا يتعلق بقوله اسكنت وكلمة ربنا تكرار يشكرون وما نعلن ط وما فى السماء لا واسحق ط الدعاء ومن ذريتى ز
قد قيل والوصل اولى للعطف وربنا تكرار دعاء الحساب ط الظالمون ط الابصار لا لان ما بعده حال طرفهم ج لاحتمال ان قوله وافئدتهم يكون
من صفات اهل المحشر وان يكون من صفة الكفار فى الدنيا هواء ط قريب لا لان قوله نجب جواب اخرنا الرسل ط زوال لا للعطف على اقسمتم الامثال
وعند الله مكرهم الجبال رسله ط انتقام ط فان انتقامه لا يختص بوقت وان تقيد بذكر يوم القهار فى الاصفاد ج للاية ولان الجملة بعد من
صفات المجرمين النار لا لتعلق لام كى بما كسبت ط الحساب الالباب التفسير قصة ابراهيم يحتمل ان يكون مثالا للكلمة الطيبة وان يكون
دعاء الى التوحيد وانكارا للعبادة الاصنام وان يكون تعديدا لبعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين ولا سيما الانبياء والمرسلين
رحمة فيما بين العالمين كما قال لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا وذلك بدعاء ابراهيم ومن نسله صلى وعلى نبينا صلى حكى الله سبحانه عنه
طلب امور منها قوله رب اجعل هذا البلد آمنا وقد مر فى البقرة الفرق بين هذه العبارة وبين ما هنالك ولا ريب ان فى مكة مزيد امن
ببركة دعائه حتى ان الناس مع شدة العداوة بينهم كانوا يتلاقون بمكة فلا يخاف بعضهم بعضا وكان الخائف اذا التجأ بمكة امن وللوحوش هناك
استيناس ليس فى غيرها وانما قدم طلب الامن على سائر المطالب لانه لولاه لم يفرغ الانسان لشئ آخر من مهمات الدين والدنيا ومن هنا جاز
التلفظ بكلمة الكفر عند الاكراه وسئل بعض الحكماء ان الامن افضل ام الصحة فقال الامن دليله ان شاة لو انكسر رجلها فانها تصح بعد زمان ثم انها
تقبل على الرعى والاكل ولو انها ربطت فى موضع وربط بالقرب منها ذئب فانها تمسك عن العلف ولا تتناول شيئا الى ان تموت فدل على ذلك
على ان الضرر الحاصل من الخوف اشد من الالم الحاصل للجسد ومنها قوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام قال جار الله اهل الحجاز يقولون
جنبنى شره بالتشديد واهل نجد جنبنى واجنبنى وفائدة الطلب والاجتناب حاصل التثبت والادامة ولا اقل من هضم النفس واظهار الفقر والحاجة
والتماس العصمة من الشرك الخفى اما قوله وبنى فقيل اراد بنيه من صلبه وانهم ما عبدوا اصنام ببركة دعائه وقيل اولاده واولاد اولاده ممن كانوا
موجودين حال دعوته وقال مجاهد وابن عيينة لم يعبد احد من ولد ابراهيم صنما وهو التمثال المصور وانما عبدت العرب الاوثان يعنى
الاحجار المخصوصة كانت لكل قوم زعموا ان البيت حجر فحيث ما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار و
لذلك استحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وضعف هذا الجواب بانه اذا عبد غير الله فالوثن والصنم سيان على انه سبحانه
وصف الهتهم بما ينبئ عن كونهم مصورين كقوله ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم الا يات الى قوله وتريهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون وقيل ان هذا الدعاء مختص بالمؤمنين من اولاده بدليل قوله فمن تبعنى فانه منى اى من اهل دينى وافقهم منبئا ان من لم يتبعه فى دينه فانه
ليس من اهله كقوله لابن نوح انه ليس من اهلك وقيل انه وان عمم الدعاء الا انه اجيب فى البعض كقوله ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين قالت الاشاعرة
لو لم يكن الايمان والكفر بخلق الله تعالى لم يكن لالتماس التبعيد عن الكفر معنى وحمله المعتزلة على منح الالطاف اما قوله رب انهن اضللن كثيرا فاتفقوا
على ان نسبة الاضلال اليهن مجاز لانهن جمادات فهو كقولهم فتنتهم الدنيا وغرتهم اى صارت سببا للفتنة والاغترار بها فمن تبعنى يعنى على الملة
الحنيفية فانه منى اى هو بعضى لفرط اختصاصه بى ومن عصانى فانك غفور رحيم قال السدى معناه ومن عصانى ثم تاب وقيل ان هذا الدعاء كان
قبل ان يعلم ان الله لا يغفر الشرك وقيل المراد انك قادر على ان تغفر له وترحم بان تنقله من الكفر الى الاسلام وقيل اراد ان يمهلهم حتى يتوبوا
وقيل ومن عصانى فيما دون الشرك فاستدل الاشاعرة باطلاقه من غير اشتراط التوبة على انه شفاعة فى اسقاط العقاب عن اهل الكبائر واذا ثبت
هذا فى حق ابراهيم صلى ثبت فى حق نبينا بالطريق الاولى ثم اراد ان يعطف الله بدعائه قلوب الناس كلهم او جلهم على اسمعيل ومن ولد منه بمكة وان
يرزقهم من الثمرات فمهد لذلك مقدمة فقال ربنا انى اسكنت من ذريتى اى بعضهم بواد غير ذى زرع اى لم يكن فيه شئ من زرع قط كقوله
قرآنا عربيا غير ذى عوج اى لا يوجد فيه اعوجاج اصلا ولم يوجد ذلك منه فى زمن من الازمان وقد سبق فى سورة البقرة قصة مجيئ ابراهيم صلى باسمعيل
وامه هاجر الى هنالك وفى قوله عند بيتك المحرم دليل على انه دعا هذه الدعوة بعد بناء البيت لا فى حين مجيئه بهما ومعنى كون البيت محرما
ان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لاجله ومنه وانه لم يزل ممتنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه ان يجتنب
وقيل سمى محرما لانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمى عتيقا لانه اعتق منه فلم يستول عليه او حرم على المكلفين ان يقربوه بالدماء والاقذار
ولانه امر الصائرين اليه ان يحرموا على انفسهم اشياء كانت تحل لهم من قبل ربنا ليقيموا الصلوة اى ما اسكنتهم بهذا الوادى القفر الا لاقامة
الصلوة عند البيت وعمارته بالذكر والطاعة فاجعل افئدة من الناس من للتبعيض اى افئدة من افئدة الناس قال مجاهد لو قال افئدة





الناس لزحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند وعن سعيد بن جبير لو قال افئدة الناس لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه اراد افئدة المسلمين وجوّز في الكشاف ان يكون من للابتداء كقولك القلب مني سقيم وعلى هذا فانما يحصل التبعيض من تنكير افئدة فكانه قيل افئدة ناس ومعنى تهوي تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا وقيل تنحط وتنحدر الاصمعي هوى يهوي هويا بفتح الهاء اذا سقط من علو الى سفل وفي هذا الدعاء فائدتان احدهما ميل الناس الى تلك البلدة للنسك والطاعة والاخرى نقل الاقوات اليهم للتجارة وفي ضمن ذلك يتسع معايشهم و يكثر ارزاقهم ومع ذلك فقد صرح بها فقال وارزقهم من الثمرات فلاجرم اجاب الله دعاءه فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء وقيل اراد ان يحصل حواليها القرى والمزارع والبساتين ثم ختم الاية بقوله لعلهم يشكرون ليعلم ان المقصود الاصلي من منافع الدنيا وسعة الرزق هو التفرغ لاداء العبادات واقامة وظائف الشرعية ثم اثنى على الله سبحانه تمهيدا لدعوة اخرى وتعريضا ببقية الحاجات فقال ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن على الاطلاق لان الغيب والشهادة بالاضافة الى العالم بالذات سيان وقيل ما نخفي من الوجد بسبب الفرقة بيني وبين اسمعيل وما نعلن من البكاء والدعاء او اراد ما جرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله اكلكم قال المفسرون وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء من كلام الله عز وجل تصديقا لابرهيم ويحتمل ان يكون من كلام ابرهيم ومن للاستغراق اي لا يخفى على الذي يستحق العبادة لذاته شيء ما في اي مكان ثم عرض الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اي مع كبر السن وفي حال الشيخوخة اسمعيل واسحق ذكر الكونه تعالى عالما بالضمائر والسرائر ثم حمد على هذه الموهبة لان المنة بالولد في حال وقوع الناس من الولادة اعظم لانها تنتهي الى حد الخوارق فكانه رمز الى انه طلب من الله سبحانه ان يهبهما بعد ما وبهذا ختم الاية بقوله ان ربي لسميع الدعاء وهو من اضافة الصفة الى مفعولها اي مجيب الدعاء او الى فاعلها بان يجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله تعالى ويحتمل ان يكون قوله ان ربي لسميع الدعاء رمزا الى ما كان قد دعا ربه وسأله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين روي ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقيل اسمعيل لاربع وستين واسحق لسبعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابرهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة ثم ختم الادعية بقوله رب اجعلني مقيم الصلوة اي مديما ومن ذريتي اي واجعل بعض ذريتي كذلك لانه علم باعلام الله تعالى انه يكون في ذريته كفار وذلك قوله سبحانه لا ينال عهدي الظالمين ربنا وتقبل دعاء عن ابن عباس اي عبادتي وحمله على تقبل الادعية السابقة والاية بعده ربنا اغفر لي طلب المغفرة لا يوجب سبق الذنب لان مثل هذا انما يصدر عن الانبياء والاولياء في مقام الخوف والدهشة على ان ترك الاولى لا يمتنع منهم وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله ولوالدي فاعترض عليه بانه كيف استغفر لابويه وهما كافران واجيب بانه قال ذلك بشرط الاسلام وزيف بان قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك مستثنى من الاشياء التي يؤتسى فيها بابرهيم و لو كان استغفاره مشروطا باسلام ابيه لكان استغفارا صحيحا فلم يحتج الى الاستثناء وقيل اراد بوالديه آدم وحواء والصحيح في الجواب انه استغفر في الجواز انه استغفر له بناء على الجواز العقلي والمنع التوقيفي بعد ذلك لانه تبين انه عدو لله يوم يقوم الحساب اي يثبت مستعار من قيام القائم على الرجل ومثله قولهم قامت الحرب على ساقها او اسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او المضاف محذوف مثل واسئل القرية ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم قد انجر الى ذكر الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا ان كان الخطاب لكل مكلف وللنبي والمراد امته فلا اشكال وان كان للنبي فمعناه التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله الا عالما بجميع المعلومات او المراد لا تحسبه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم قلت لانه لو لم ينتقم للمظلوم من الظالم لزم ان يكون غافلا عن الظلم او عاجزا عن الانتقام او راضيا بالظلم وكل ذلك مناف لوجوب الوجود المستلزم لجميع الكمالات انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار اي ابصارهم كقوله واشتعل الرأس شيبا شخوص البصر ان يبقى عينه مفتوحة لا تطرف وانما ذلك انما يكون عند غاية الحيرة وسقوط القوة مهطعين مسرعين قاله ابو عبيدة وهطع الطالب من حال من يهرب شاخصا من شدة الخوف ان يبقى واقفا فبين الله تعالى ان حالهم بخلاف هذا المعتاد لانهم مع شخوص ابصارهم يكونون مسرعين نحو ذلك البلاء وقال احمد بن يحيى المهطع الذي ينظر في ذل وخضوع وقيل هو الساكت مقنعي رؤسهم رافعيها وهذا ايضا بخلاف المعتاد لان الغالب ممن يشاهد البلاء انه يطرق رأسه لكيلا يراه لا يرتد اليهم طرفهم الطرف تحريك الاجفان على الوجه الذي خلق وجبل عليه وسمي العين بالطرف تسمية بفعلها اي لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم والمراد دوام الشخوص المذكور وقيل اي لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم وافئدتهم هواء والهواء الخلاء الذي لم يشغله الاجرام وصف قلوب الجبان بانه لا قوة فيه ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء والمعنى ان قلوب الكفار خالية يوم القيامة عن جميع الخواطر والافكار لعظم ما ينالهم وعن كل رجاء وامل لما تحققوه من العذاب والاظهر ان هذه الحالة لهم عند المحاسبة لتقدم قوله يوم يقوم الحساب وقيل هو عند ما يتميز السعداء من الاشقياء وقيل عند اجابة الداعي والقيام من القبور وعن ابن جريج الهواء ان افئدة الكفار في الدنيا صفر من الخير خاوية منه قال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب مفعول ثان لا مفعول فيه اليوم يوم القيامة واللام في العذاب للعهد السابق من شخوص الابصار وغيره او المعلوم وهو عذاب النار ومعنى اخرنا امهلنا الى امد وحد من الزمان قريب او يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او لنكونوا على امتثار القول اي فيقال لهم



ذلك واقسامهم اما بلسان الحال حيث بنوا اشد بناء واملوا بعيدا واما بلسان المقال اشرا وبطرا وجهلا وسفها وما لكم من زوال جواب القسم ولو قيل
ما لنا من زوال على حكاية لفظ المقسمين لجاز من حيث العربية والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء ولا ينتقلون الى
دار اخرى هي دار الجزاء كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت ثم زادهم توبيخا بقوله وسكنتم اي استقررتم في مساكن الذين ظلموا
انفسهم بالكفر والمعاصي وهم قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم بالاخبار والمشاهدة والبنيان والعيان كيف فعلنا بهم من اصناف العقوبات
وضربنا لكم الامثال قال جار الله اي صفات ما فعلوا وما فعل بهم وفي الغرائب كالامثال المضروبة لكل ظالم وقال غيره المراد ما ورد في القرآن
من دلائل القدرة على الاعادة والابداء او على العذاب المعجل والمؤجل ثم حكى مكر اولئك الظلمة فقال وقد مكروا مكرهم اي مكرهم العظيم
الذي استفرغوا فيه جهدهم وقيل الضمير عائد الى قوم محمد صلى الله عليه وسلم كما قال واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقيل المراد ما نقل ان نمرود حاول
الصعود الى السماء فاتخذ لنفسه تابوتا وربط قوائمه الاربع نسورا وكان قد جوعها ورفع من الجوانب الاربعة على التابوت عصيا اربعا وعلق
على كل واحدة منها قطعة من اللحم ثم انه جلس مع صاحب له في ذلك التابوت فلما ابصرت النسور تلك اللحوم تصاعدت في جو الهواء ثلاثة ايام
وغابت الارض عن عين نمرود ورأى السماء بحالها فعكس تلك العصا التي عليها اللحوم فهبطت النسور الى الارض وضعف هذه الرواية انه
لا يكاد يقدم عاقل على مثل هذا الخطر وعند الله مكرهم ان كان مضافا الى الفاعل فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فيجازيهم عليه باعظم
من ذلك وان كان مضافا الى المفعول فمعناه وعنده مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون اما قوله
وان كان مكرهم لتزول فمن قرأ بكسر اللام الاولى ونصب الثانية فوجهان احدهما ان يكون ان مخففة من الثقيلة فزوال الجبال مثل
لعظم مكرهم وشدته اي وان الشان كان مكرهم معدا لذلك وثانيهما ان يكون ان نافية واللام المكسورة لتأكيد النفي كقوله وما كان الله
ليضيع ايمانكم والمعنى محال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه الثابتة على حالها ابد الدهر ومن
قرأ بفتح اللام الاولى ورفع الثانية فان مخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة والمعنى كما مر ثم انه سبحانه اكد كونه مجازيا لاهل المكر على مكرهم بقوله
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله قال جار الله قدم المفعول الثاني وهو الوعد على المفعول الاول ليعلم انه غير مخلف الوعد على الاطلاق
ثم قال رسله تنبيها على انه اذا لم يكن من شأنه اخلاف الوعد فكيف يخلفه رسله الذين هم صفوته والمراد بالوعد قوله انا لننصر رسلنا كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ونحوهما من الآيات قوله والله عزيز ذو انتقام قد مر في اول آل عمران يوم تبدل الارض قال الزجاج انتصاب يوم على البدل
من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والاظهر انتصابه باذكر كما مر في الوقوف ومعنى قوله والسموات اي وتبدل السموات قال اهل اللغة التبديل التغيير
وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل
الى شكل وتفسير ابن عباس يناسب الوجه الثاني قال هي تلك الارض وانما تغير فتسير عليها جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا
امت وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تبدل
الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا وهذا القول يناسب مذهب الحكماء في ان الذوات
لا يتطرق اليها العدم وانما يعدم صفاتها واحوالها ثم جوزوا انعدام الصور مع انها جواهر عندهم وتفسير ابن مسعود يناسب الوجه الاول
قال يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء
كالصحائف وقيل لا يبعد ان يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة وبرزوا لله قد ذكرنا في اول السورة وتخصيص الواحد القهار بالموضع لتعظيم
الهول وانه لا مستغاث ولا مفزع لاحد الا له يتفرد بحكمه ويقهر ما سواه ومن نتائج قهره قوله وترى المجرمين يومئذ
مقرنين قرن بعضهم مع بعض لان الجنسية علة الضم او مع الشياطين الذين اضلوهم قالت الحكماء هي الملكات الذميمة والعقائد الفاسدة
التي اكتسبوها في تعلق الابدان وقوله في الاصفاد اي القيود اما ان يتعلق بمقرنين واما ان يكون وصفا مستقلا اي مقرنين مصفدين
وقيل الاصفاد الاغلال والمعنى قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالاغلال وحظ العقل فيه ان الملكات الحاصلة في جوهر النفس انما تحصل
بتكرير الافعال الصادرة من الجوارح والاعضاء سرابيلهم جمع سربال وهو القميص من قطران هو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ
به الابل الجربى فيحرق الجرب بحره وحدته وقد يبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون
منتن الريح فيطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل فيجمع عليهم اللذع والحرقة والاشتعال والسواد والنتن على ان
التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين والوجه العقلي فيه ان البدن بمنزلة القميص للنفس وكلما يحصل للنفس من الآلام و
الغموم فانما يحصل بسبب هذا البدن فلهذا البدن لذع وحرقة في جوهر النفس بنفوذ الشهوة والحرص والغضب وسائر اخلاط الملكات
الرديئة فيه ومن قرأ من قطر آن فالقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره قال ابن الانباري وتلك النار لا تبطل ذلك السربال
ولا تفنيه وكما لا تهلك النار اجسامهم والاغلال التي كانت عليهم وتغشى وجوههم النار خص الوجه بالذكر لانه اعز موضع في ظاهر البدن
واشرفه فعبر به عن الكل قوله ليجزي اللام متعلقة بتغشى او بمجموع ما ذكر وقيل يفعل بالمجرمين ما يفعل ليجزي الله كل نفس ما كسبت قال الواحدي اراد



التأويل

نفوس الكفار لات ما سبق لا يليق الا بهم ويحتمل ان يراد كل نفس بحرمها ومطيعها لانها في اذا غاب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم ثم اشار الى القرآن او الى ما في السورة او الى ما مر من قوله ولا تحسبن الله غافلا الى ههنا فقال هذا بلاغ كفاية للناس في التذكر والموعظة ولينذروا به بهذا البلاغ ثم رمز الى استكمال القوة النظرية بقوله وليعلموا انما هو اله واحد والى استكمال القوة العملية بقوله وليذكر اولوا الالباب لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى استكمال النفس بحسب العلوم والاعمال التأويلات النجمية في التأويل واذ قال ابراهيم الروح رب اجعل بلد القلب مأمنا من وسوسة الشيطان وهواجس النفس وآفات الهوى واجنبني وبني هم الفؤاد والسر والخفي ان نعبد الاصنام وهو كل ما سوى الله فصنم النفس الدنيا وصنم القلب العقبى وصنم الروح الدرجات العلى وصنم السر العرفان والقربات وصنم الخفي الركون الى المكاشفات والمشاهدات وانواع الكرامات ومن عصاني فانك غفور رحيم فيه نكتتان احدهما لم يقل ومن عصاك اشارة الى ان عصيان الله لا يستحق المغفرة والرحمة والثانية لم يقل فانا اغفره وارحم عليه لان عالم الطبيعة البشرية يقتضي المكافاة وانما المغفرة والرحمة من شأن الغني المطلق اسكنت من ذريتي هم صفات الروح والعقل والسر والخفي بواد غير ذي زرع وهو وادي النفس عند بيتك المحرم وهو كعبة القلب لان القلب حرام ان يكون بيتا لغير الله لانه لا يسعني ارضي ولا سمائي وانما يسعني قلب عبدي المؤمن وفيه انه توسل في اجابة الدعاء بتحمل ما ذريته وكأنه قال انه ضيعت هاجر واسمعيل فقد ضيعتها رضى في قوله ليقيموا الصلوة اشارة الى انه لولا تعلق الروح بالجسد وحلوله بارض القالب لم يمكن استكمال الروح بالاعمال البدنية وانه لولا عرض هذا الاستكمال لم يحصل له التعلق فاجعل افئدة الصفات الناسوتية تهوي الى الصفات الروحانية وارزقهم من ثمرات الصفات اللاهوتية لعلهم يشكرون بهذه النعمة التي لم ينلها الملائكة المقربون وفي هذا سر عظيم لا يمكن افشاؤه ربنا انك تعلم ما نخفي من الدعاء وما نعلن من ظاهر القصة وما يخفى على الله من شيء في الارض المعاملات الصورية ولا في السماء القلوب من القبول على الكبر اي بعد بقاء الروح بالقالب اسمعيل السر واسحق الخفي مقيم الصلوة دائم العروج فان الصلوة معراج المؤمن ربنا اغفر لي استر لي واستر بصفة مغفرتك لوالدي من الامام العلوية والآباء السفلية لئلا يحتجبوا عن رؤيتك يوم يقوم الحساب بكمالية كل نفس ونقصانها لا كون في حساب الكاملين ولا في حساب الناقصين ولا تحسبن اي لم يكن الله غافلا في الازل بل الكل بقضائه وقدره وانما يؤخرهم ليبلغوا الى ما قدر لهم من الاعمال فانها مودعة في الاعمار وبها يحصل كل من اهل الشقاوة والسعادة الى ما قدرهم ما لكم من زوال فيه من ابطال مذهب التناسخ زعموا ان نفوسهم لا تزال تتعلق بالابدان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بابدان مثل ابدانهم متمكنين في ظلمات الاخلاق الذميمة وعند الله مكرهم ان كان مكرهم يحيث تزول منه الجبال عن اماكنها ولكنه لا يحرك شعرة الا باذن الله يقضاء يوم تبدل الارض البشرية بارض القلوب فيتم ظلماتها بانوار القلوب وتبدل سموات الاسرار بسموات الارواح فان شموس الارواح اذا غلبت الكواكب الاسرار بحيث انوار كواكبها تستطوه اشعة شموسها بل تبدل ارض الوجود المجازي عند اشراق تجلي انوار هويته بحقايق انوار الوجود الحقيقي كما قال واشرقت الارض بنور ربها وبرزوا لله الواحد القهار فان شموس الارواح بصيرة مقهورة في تجلي نور الالوهية وترى المجرمين يوم التجلي مقرنين في الصفات الذميمة لا يستطيعون البروز لله سرابيلهم من قطران الصفات الظلمانية النفوس فانهم محجوبون بها عن الله وتغشى وجوههم نار الحسرات والقطيعة هذا بلاغ للناس الذين نسوا عالم الوحدة ولينذروا به قبل الفناء فان الانبياء بالموت لا ينفع وليعلموا انما هو اله واحد فيعبدوه ولا يتخذوا الهاً غيره من الدنيا والهوى والشيطان وليذكر اولوا الالباب عالم التوحيد ويخرجوا من شهود الحجر سورة الحجر مكية بالاجماع وحروفها الفان وسبعمائة وواحد وستون وكلماتها ستمائة واربع وخمسون واياتها تسع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل

اين ايتها آيات كتاب ... وقرائت روشن ... بسا كه آرزو كنند ... والذا شان ... دو ... بخورند ... بازرد

فسوف يعلمون وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون وقالوا

بس منقري ... وما هلاك نكرديم هيچ ديهي را ... مگر ... و... و... و... و گفتند

يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة

... فرستادها ... براد قران ... ديوانه ... اگر ... فرشتگان را

الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين

مگر براستی ... ونباشند ... وانجا كه ما فرو فرستاديم ذكر را ... و... پيش از تو ...

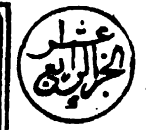
وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت

ونمی آيد ايشان را هيچ رسولی ... همچنين ... در دلهای گناهكاران ... ايمان نمی ... وبدرستیكه گذشت

سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن

سورة الحجر

نوزدهم



قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ

گروهی سحر کرده شدگان و بدرستیکه گردانیده ایم در آسمان برجها و آراسته ایم آنرا برای نگرندگان و نگاه داشتیم آنرا از هر شیطان رانده شده

إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ

مگر آنکه بدزدید گوش فرا داشتن پس از پی او در آمد شهابی روشن و زمین را گسترانیدیم آنرا و افکندیم در آن کوههای استوار و رویانیدیم در آن از هر چیز

مَّوْزُونٍ ﴿﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ

سنجیده و ساختیم برای شما در آن اسباب معیشت و کسی را که نیستید او را روزی دهندگان و نیست هیچ چیز مگر نزد ما است خزینهای آن و فرو نمیفرستیم آنرا مگر باندازه

مَّعْلُومٍ ﴿﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ

دانسته شده و فرستادیم بادها را بار کننده پس فرو فرستادیم از آسمان آب پس آشامانیدیم شما را آنرا و نیستید شما آنرا خزانه دارندگان و بدرستیکه ما هر آینه ما زنده میکنیم و میمیرانیم

ع

وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ

و ماییم وارثان و بتحقیق دانستیم پیش روندگان را از شما و بتحقیق دانستیم واپس ماندگان را و بدرستیکه پروردگار تو او حشر کند ایشانرا بدرستیکه او

حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿﴾ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ

درست کار داناست و بتحقیق آفریدیم آدمی را از گل خشک شده از لای بگردیده و پدر پریان آفریدیم او را پیش از این از آتش

السَّمُومِ ﴿﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ

سوزنده و هنگامیکه گفت پروردگار تو مر فرشتگان را بدرستیکه من آفریننده ام آدمی را از گل خشک شده از لای بدبوی پس چون راست کنم او را و در دمم

فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ

در وی از روح خود پس بیفتید او را سجده کنان پس سجده کردند فرشتگان همه ایشان یکجا مگر شیطان که ابا کرد که شود با سجده کنندگان

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ

گفت ای شیطان چیست ترا که نیستی با سجده کنندگان گفت نیستم که سجده کنم مر آدمی را که آفریدی او را از گل خشک شده از لای

مَّسْنُونٍ ﴿﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ

بگردیده شده گفت پس بیرون رو از آنجا که تو رانده شده و بدرستیکه بر تو است لعنت تا روز جزا گفت ای پروردگار من پس مهلت ده مرا تا

يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ

روزیکه برانگیخته شوند گفت پس بدرستیکه تو از مهلت دادگانی تا روز وقت دانسته شده گفت ای پروردگار من بسبب آنکه گمراه کردی مرا هر آینه آراسته

فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿﴾ إِنَّ عِبَادِي

در زمین و هر آینه گمراه گردانم ایشانرا همه مگر بندگان تو از ایشان که مخلص شده گفت این راهیست بر من راست بدرستیکه بندگان من

لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ

نیست ترا بر ایشان تسلطی مگر آنکه پیروی کند ترا از گمراهان و بدرستیکه دوزخ هر آینه وعده گاه ایشانست همه مر آنرا هفت در است مر هر

بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ ﴿﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ

دری را از ایشان حصه ایست قسمت کرده شده بدرستیکه پرهیزگاران در بهشتها و چشمه ها باشند در آیید در آن بسلامتی ایمن و بر کشیدیم آنچه در سینهای ایشان بود از کینه برادران بر

سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿﴾ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ

سریرها روبروی هم دارندگان نمیرسد ایشانرا در آنجا رنجی و نباشند ایشان از آنجا بیرون کردگان خبر ده بندگان مرا بآنکه من آمرزنده مهربانم و بدرستیکه عذاب من آنست عذاب دردناک

القراءة ربما بفتح الباء مخففة ابو جعفر ونافع وعاصم غير الشموني وربما بضم الباء مخففة الشموني الباقون بالفتح والتشديد ما ننزل بالنون الملائكة بالنصب حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد ما تنزل بضم التاء وفتح الزاي المشددة الملائكة بالرفع ابو بكر وحماد الباقون مثله ولكن بفتح التاء ما تنزل بالادغام البزي وابن فليح سكرت مخففة ابن كثير فتحنا بالتشديد يزيد الريح على التوحيد حمزة وخلف صراط علي بكسر اللام ورفع الياء على النعت يعقوب الآخرون على جار ومجرور وعيون بكسر العين حمزة وعلي وابن كثير وابن ذكوان والاعشى ويحيى وحماد الباقون بضمها نبئ عبادي مثل نبئنا عبادي اني بالفتح فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو والآخرون بالاسكان الوقوف الجزء الرابع عشر آيات مبين مسلمين يعلمون معلوم وما يستأخرون لمجنون لان التحضيض له صدر الكلام الصادقين منظرين لحافظون الاولين يعرجون مسحورون للناظرين رجيم مبين موزون برازقين خزائنه لاتفاق الجملتين مع الفصل بين معنيين الجمع في النقدير والتفريق في التنزيل فاسقيناكموه لاحتمال ما بعده الاستيناف والحال بخازنين الوارثون المستأخرين يحشرهم عليم مسنون لاتفاق الجملتين مع تقدم المفعول في الثانية السموم مسنون ساجدين اجمعون الا ابليس الساجدين مسنون رجيم الدين يبعثون من المنظرين المعلوم اجمعين المخلصين مستقيم

الغاوين اجمعين ابواب مقسوم وعيون ها لارادة القول بعد امنين متقابلين بمخرجين الرحيم الاليم* التفسير قال جار الله تلك اشارة الى ما تضمنته
السورة من الآي والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم وقال آخرون الكتاب والقرآن المبين هو الكتاب الذي وعد الله محمدا صلعم والمعنى
تلك الآيات آيات ذلك الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه قرآنا مفيدا للبيان اما قوله ربما يود فذكر السكاكي ان فيه سبع لغات اخر بعد المشهور
رب بالراء مضمومة والباء مخففة مفتوحة او مسكنة وربتا بالراء مفتوحة والباء كذلك اي مفتوحة مخففة او مشددة وانما دخلت على المضارع مع
انه مختص بالماضي لان المترقب في اخبار الله بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود وما هذه كافة لرب عن العمل فيتهيأ بذلك
للدخول على الفعل وقيل انها بمعنى شيء اي رب شيء يوده الذين كفروا ورب للتقليل فاورد عليه ان تمنيهم يكثر ويتواصل فما معنى التقليل واجيب
بانه على عادة العرب اذا ارادوا التكثير ذكروا لفظا وضع لاجل التقليل كما اذا ارادوا اليقين ذكروا لفظا وضع للشك والمقصود اظهار الترفع والاستغناء
عن التصريح بالتعريض فيقولون ربما ندمت على ما فعلت ولعلك تندم على فعلك وان كان العلم حاصلا بكثرة الندم ووجوده بغير شك اراد
انه لو كان الندم قليلا او مشكوكا فيه لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التغم القليل كما يتحرزون من الكثير ومن الغم
المظنون كما من المتيقن فمعنى الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة كان جديرا بالمسارعة اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة وقوله لو كانوا
مسلمين اخبار عن ودادتهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل لو كنا مسلمين جاز من حيث العربية كقولك حلف بالله لافعلن ومتى يكون
هذه الودادة قال الزجاج ان الكافر كلما رأى حالا من احوال العذاب ورأى حالا من احوال المسلم ود لو كان مسلما وعلى هذا فقد قيل في وجه التقليل
ان العذاب يشغلهم عن كثرة التمني فلذلك قلل وقال الضحاك هي عند الموت اذا شاهدوا امارات العذاب وقيل اذا اسودت وجوههم وروي
عن النبي صلعم اذا كان يوم القيمة اجتمع اهل النار ومعهم من شاء الله من اهل القبلة فقال الكفار لهم الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد
صرتم معنا في النار فيغضب الله لهم فيامر لكل من كان من اهل القبلة بالخروج فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقرأ رسول الله صلعم الآية
وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال ما يزال الله يرحم المؤمنين ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة بشفاعة الملائكة والانبياء حتى انه تعالى اخر
الامر يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فهناك يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم ظاهره امر لرسول الله صلعم بان يخليهم وشانهم فيه
فاحتجت الاشاعرة به على انه سبحانه وتعالى قد يصد عن الايمان ويفعل بالمكلف ما يكون له مفسدة في الدين وقالت المعتزلة ليس هذا اذنا
وتجويزا وانما هو تهديد ووعيد وقطع طمع النبي عن ارعوائهم وفيه انهم من اهل الخذلان ولا يجيء منهم الا ما هم فيه ولا زاجر لهم ولا واعظ الا
معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ وفي الآية تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين
ومعنى يلههم الامل يشغلهم الرجاء عن الايمان والطاعة وليتبين عن النبي بالكسر الهي لهيا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واذا غبت عنه والهاني غيره
عن انس ان النبي صلعم خط خطا وقال هذا اجله وخط اخر بعيدا منه فقال هذا الامل بينا هو كذلك اذ جاءه الاقرب فسوف يعلمون سوء صنيعهم
مزيد تاكيد للتهديد ثم ذكر ما هو نهاية في الزجر والتخويف فقال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب اي مكتوب معلوم وهو اجلها الذي
كتب في اللوح قال جار الله قوله ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والواو لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف وذكر السكاكي في المفتاح ان هذا
سهو لان الفصل بين الموصوف والصفة لا يجوز ولكن الجملة حال من قرية ومثل هذا جائز ولو كان ذو الحال نكرة محضة كقولك جاءني رجل
وعلى كتفه سيف لعدم التباس الحال بالوصف لمكان الفاصلة بالواو وكيف وقد تخللت الفاصلة في الآية بكلمة الا وذو الحال قريب من المعرفة
اذ التقدير وما اهلكنا قرية من القرى من قبل افادة من للاستغراق قال قوم المراد بهذا الهلاك عذاب الاستئصال الذي كان ينزله الله بالمكذبين
المعاندين من الامم السالفة وقال آخرون اراد الموت والاول اقرب لانه في الزجر ابلغ وكانه قيل ان هذا الامهال لا ينبغي ان يغتر به العاقل
فان لكل امة وقتا معينا في نزول العذاب لا يتاخر وقيل اراد مجموع الامرين قال صاحب النظم اذا كان السبق واقعا على شخص فمعناه جاز وخلف
كقولك سبق زيد عمرا اي جازه وخلفه وانه قصر عنه وما بلغه واذا كان واقعا على زمان فعلى العكس كقولك سبق فلان عام كذا معناه مضى قبل
ولم يبلغه فمعنى الآية انه لا يحصل اجل امة قبل وقته ولا بعده كما في كل حادثة وقد مر بحث الاجل في اول سورة الانعام وانث الامة اولا ثم ذكرها
اخرا في قوله وما يستاخرون حملا على اللفظ والمعنى وحذف متعلق يستاخرون وهو عنه للعلم به هذا بالغ في تهديد الكفار شرع في تهديد بعض شبههم
ومطاعنهم في النبي فالاولى انهم كانوا يحكمون عليه بالجنون لانهم كانوا يسمعون منه ما لا يوافق اذنهم ولا يطابق اهواءهم وانما نادوه بيا ايها الذي
نزل عليه الذكر مع انهم كانوا لا يقرون بنزول الوحي عليه تعكيسا للكلام استهزاء وتهكما او ارادوا يا ايها الذي نزل عليه الوحي في زعمه و
اعتقاده وعند اصحابه واتباعه الثانية لوما تاتينا بالملائكة لوما حرف تحضيض مركب من لو المفيدة للتمني ومن ما المزيدة فافاد المجموع الحث على
الفعل الداخل هو عليه والمعنى هلا تاتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك ويعضدوك على انذارك والمراد هلا تاتينا بملائكة العذاب
ان كنت صادقا في ان تكذيبك يقتضي التعذيب العاجل فاجاب الله سبحانه عن شبههم بقوله ما ننزل الملائكة الا بالحق اي ما ننزله الا
تنزيلا متلبسا بالحكمة والمصلحة والغاية الصحيحة ولا حكمة في ان ياتيكم عيانا فان امر التكليف يؤول الى الاضطرار والالجاء ولا فائدة تعود
عليكم لانه تعالى يعلم اصراركم على الكفر فيصير انزالهم عبثا ولا حكمة في انزالهم لانهم لو نزلوا ثم لم تؤمنوا وجب عذاب الاستئصال وذلك قوله وما



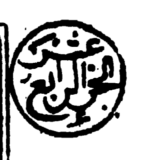
كانوا اذا منظرين فان التكليف يزول عند نزول الملائكة وقد علم الله من المصلحة ان لا يهلك هذه الامة ويمهلهم لما علم من ايمان بعضهم
او ايمان اولادهم وقالت الاشاعرة الا بالحق اي الا بالوحي والعذاب قال صاحب النظم لفظ اذن مركبة من اذ وان بمعنى حين ومن ان الدال على
مجيء فعل بعده فخففت الهمزة بحذفها بعد نقل حركتها وكانه قيل وما كانوا منظرين اذ كان ما طلبوا وقال غيره اذن جواب وجزاء تقديره ولو
نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم ثم انكر على الكفار استهزاءهم في قولهم يا ايها الذي نزل عليه الذكر فقال على سبيل التوكيد
انا نحن نزلنا الذكر ثم دل على كونه منزلا من عنده فقال وانا له لحافظون لانه لو كان من قول البشر او لم يكن اية لم يبق محفوظا من التغيير و
الاختلاف وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله يعصمك من الناس والقول الاول اوضح ووجه حفظ القران قيل هو جعله معجزا مباينا
لكلام البشر حتى لو زادوا فيه شيئا ظهر ذلك للعقلاء ولم يخف فلذلك بقي مصونا عن التحريف وقيل حفظ بالدرس والبحث ولم يهمل طائفة
يحفظونه ويدرسونه ويكتبونه في القراطيس باحتياط بليغ وجد كامل حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له لحن في حرف من كتاب الله لقال له بعض
الصبيان اخطأت ومن جملة اعجاز القران وصدقه انه سبحانه اخبر عن بقائه محفوظا عن التغيير والتحريف وكان كما اخبر بعد سبعمائة سنة فلم يبق
للموحد شك في اعجازه وههنا نكتة هي انه سبحانه تولى حفظ القران ولم يكله الى غيره فبقي محفوظا على مر الدهور بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول
حفظها وانما استحفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم ووقع التحريف ثم ذكر ان عادة هؤلاء الجهال مع جميع الانبياء كذلك والغرض تسلية
النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكلام اضمار التقدير ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الا انه حذف ذكر الرسل لدلالة الارسال عليه ومعنى في شيع الاولين في
في اممهم واتباعهم وقد مر معنى الشيعة في اخر الانعام قال جار الله معنى ارسلنا فيهم جعلناهم رسلا فيما بينهم قال الفراء اضافة الشيع الى الاولين
من اضافة الموصوف الى الصفة كقوله حق اليقين وبجانب الغربي قوله وما ياتيهم حكاية حال ماضية وانما كان الاستهزاء بالرسل عادة الجهلة
في كل قرن لان الفطام عن المألوف شديد وكون الانسان متبع الامر من هو مثله او اقل حالا منه في المال والجاه والقبول اشد على والسبب
الكلي فيه هو الخذلان وعدم التوفيق من الله سبحانه ووقوعهم مظاهر القهر في الازل قوله كذلك نسلكه السلك ادخال الشيء في الشيء كالخيط
في المخيط وقالت الاشاعرة الضمير في نسلكه يجب عوده الى اقرب المذكورات وهو الاستهزاء الدال عليه يستهزؤن واما الضمير في قوله لا يؤمنون
به فيعود الى الذكر لانه لو عاد الى الاستهزاء وعدم الايمان بالاستهزاء حق وصواب لم يتوجه اللوم على الكفار ولا يلزم من تعاقب الضمائر عودها
على شيء واحد وان كان الاحسن ذلك والحاصل ان مقتضى الدليل عود الضمير الى الاقرب الا اذا منع من مانع اعتباره وقال بعض الادباء منهم
قوله لا يؤمنون به تفسير للكناية في قوله نسلكه اي يجعل في قلوبهم ان لا يؤمنوا به فثبت دلالة الاية على ان الكفر والضلال والاستهزاء ونحوها من الافعال
كلها بخلق الله وايجاده وقالت المعتزلة الضميران يعودان الى الذكر لانه شبه هذا السلك بما فعل من قبله وليس الا تنزيل الذكر والمعنى مثل ذلك الفعل
نسلك الذكر في قلوب المجرمين ومحل لا يؤمنون به نصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه والحاصل انا نلقيه في قلوبهم مكذبا
مستهزا به غير مقبول نظيره اذا انزلت بلئيم حاجة فلم يجب لها فقلت كذلك انزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال انزلها بهم مردودة غير مقضية واعترض
بان النون انما يستعمله الواحد المتكلم اظهارا للعظمة والجلالة ومثل هذا التعظيم انما يحسن ذكره اذا فعل فعلا يظهر له اثر قوي كامل اما اذا فعل بحيث يكون
منازعه ومدافعه غالبا عليه فانه يستقبح ذكره على سبيل التعظيم والامر ههنا كذلك لانه تعالى سلك اسماع القران وتحفيظه وتعليمه في قلب الكافر لاجل
ان يؤمن به ثم انه لم يلتفت اليه ولم يؤمن به فصار فعل الله كالهدر الضائع وصار الشيطان كالغالب المدافع فكيف يحسن ذكر النون المشعر بالتعظيم
في هذا المقام اما قوله وقد خلت سنة الاولين فقيل اي طريقتهم التي بينها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهذا
يناسب تفسير المعتزلة وفيه وعيد لاهل مكة على تكذيبهم وقيل قد مضت سنة الله في الاولين بان يسلك الكفر والضلال في قلوبهم وهذا
قول الزجاج ويناسب تفسير الاشاعرة ثم حكى اصرارهم على الجهل والتكذيب بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا اي هؤلاء الكفار فيه يعرجون
يتصاعدون لقالوا انما سكرت ابصارنا هو من سكر الشراب او من سكر البثق يقال سكرت النهر اذا شددته وحبسته من الجري والتركيب يدل على قطع
الشيء من سننه الجاري عليه ومنه السكر في الشراب لانه ينقطع عما كان عليه من المضاء في حال الصحو فيعني لا نحيرت ابصارنا ووقع بها من فساد النظر ما
يقع بالرجل السكران او حبست عن فعلها بحيث لا ينفذ نورها ولا يدرك الاشياء على حقائقها وعن ابن عباس المراد لو ظل المشركون يصعدون
في تلك المعارج وينظرون الى ملكوت الله تعالى وقدرته وسلطانه والى عبادة الملائكة الذين هم من خشية ربهم مشفقون لشكوا في تلك الرؤية
وبقوا مصرين على كفرهم وجهلهم كما جحدوا سائر المعجزات من انشقاق القمر وما خص به النبي صلى الله عليه وسلم من القران المعجز الذي لا يستطيع الجن والانس
ان ياتوا بمثله قال في الكشاف ذكر الظلول يعني انه قال فظلوا ولم يقل فباتوا ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما سكرت
ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار وقيل الضمير في فظلوا للملائكة اي لو اريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا
لقالوا ان السحرة سحرونا وجعلونا بحيث نشاهد هذه الاباطيل التي لا حقيقة لها وههنا سؤال وهو انه كيف جاز من جمع عظيم ان يصيروا شاكين
فيما يشاهدونه بالعين السليمة في النهار الواضح واجيب بانهم قوم مخصوصون لم يبلغوا مبلغ التواتر وكانوا رؤساء قليلة العدد فجاز تواطؤهم على
المكابرة والعناد لا سيما اذا جمعهم غرض معتبر كدفع حجة او غلبة خصم ولما اجاب عن شبه منكري النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة مفرعا

على القول بالصانع أبعد ولا أدل على ذلك فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر عند اهل النجوم وذلك انهم قسموا نطاق الفلك الثامن عندهم باثني عشر قسما متساوية ثم الجزء الذي ينتهي كل قسم ويكون أوله مبتدئه من أول الحمل يصف دائرة عظيمة مارة بنقطتي الفلك فصار الفلك بها منقسما باثني عشر قطعة كل منها أشبه ضلعا من أضلاع البطيخ يسمى برجا ولا شك ان هذه البروج مختلفة الطبائع كل ثلثة منها على طبيعة عنصر من العناصر الأربعة فلذلك يسمى الحمل والأسد والقوس مثلثة نارية والثور والسنبلة والجدي مثلثة أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثلثة هوائية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مائية ثم ان كانت أجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون أو كانت متساوية في تمام الماهية مختلفة في التأثير كما يقول به الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة أو بتأثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية دالا على صانع حكيم ومدبر قدير الدليل الآخر قوله وزيناها أي الشمس والقمر والنجوم للناظرين بنظر الاعتبار والاستبصار قال المنجمون ان الكواكب الثابتة كلها على الفلك الثامن وهذا لا ينافي الآية على ما يمكن ان يسبق الى الوهم لانها متى كانت في سماء الدنيا أو في سموات أخر فوقها فلا بد ان يكون ظهورها في السماء الدنيا فتكون السماء الدنيا مزينة بها والآية لا تدل الا على هذا القدر ونظير هذه الآية قوله تعالى في حم السجدة وزينا السماء الدنيا بمصابيح ومثله في سورة الملك الدليل الثالث قوله وحفظناها أي البروج والسماء من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع نصب على الاستثناء المنقطع أي لكن من استرق وجاز ان يكون محفوظا أي الا ممن استرق وعن ابن عباس يريد الحفظة الخبر فأتبعه أي أدركه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطع وقد يسمى الكوكب شهابا لأجل لمعانه وبريقه قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويسمعون أخبار الغيوب عن الملائكة فيلقونها على الكهنة فلما ولد عيسى منعوا من ثلث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها وهذا هو المراد بحفظ السموات كما لو حفظ أحدنا منزله ممن يتجسس ويخشى منه الفساد والاستراق السعي في استماع الكلام مستخفيا قال الحكماء ان الأرض اذا تسخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنيته فيحدث منها أنواع من جملتها الشهب فلا ريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الا انها لم تكن مسلطة على الشياطين ولما بعث كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى عليه السلام ثم أسولة كيف يجوز ان يشاهد هؤلاء الجن واحدا كان او اكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحرقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضاء عمي البصر فاذا قيض الله لطائفة منهم الحرق لطغيانها قدر له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما معه يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والبوار آخر قد ورد في الأخبار ان ما بين كل سماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق السماء ناقض قوله سبحانه هل ترى من فطور وان لم يقدروا فكيف يمكنهم استماع أسرار الملائكة من ذلك البعد ولم يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الأرض وأجيب بأنا سلمنا ان بعد ما بين ذلك القدر الا ان نحن الفلك لعله قدر قليل وقد روى الزهري عن علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب قال بينا النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من أصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا قالوا كنا نقول يولد عظيم او يموت عظيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يرمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الأمر في السماء سبحت حملة العرش ثم سبح أهل السماء وسبح كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجن فيرمون فما جاؤا به فهو حق ولكنهم يزيدون آخر الشياطين مخلوقون من نار فكيف يحترق النار بالنار والجواب ان الأقوى قد يبطل الأضعف وان كان من جنسه آخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يبقى بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض منه إبطال الكهانة آخر ان الشهب قد يحدث بالقرب من الأرض والا لم يمكن رؤيتها فكيف تمنع الشياطين من الوصول الى الفلك حين الاستراق وأجيب بأن البعد عندنا غير مانع من السماع فلعله تعالى أجرى عادته بأنهم اذا وقفوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة آخر لو كان تمكنهم نقل أخبار الملائكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل أسرار المؤمنين وأجيب بأنه تعالى أقدرهم على شيء وأعجزهم عن شيء ولا يسئل عما يفعل وأقول لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات أكثر آخر اذا جوزتم في الجملة اطلاع الجن على بعض المغيبات فقد ارتفع الوثوق عن اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض الغيوب فلا يكون دليلا على صدقه لا يقال انه تعالى أخبر عن عجزهم عن ذلك بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم لانا نقول صدقه في هذا الكلام مبني على صحة نبوته فلو أثبتنا صحة نبوته به لزم الدور والجواب انا نعرف صحة نبوته بسائر المعجزات لا يدور ولكن لا ريب ان إخباره عن بعض الغيب مؤكد لنبوته وان لم يكن مثبتا لها الدليل الرابع قوله والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وقد مر تفسير مثله في أول سورة الرعد الدليل الخامس قوله وأنبتنا فيها أي في الأرض وفي الجبال الرواسي من كل شيء موزون بميزان الحكمة ومقدر بقدر الحاجة وذلك ان الوزن سبب معرفة المقدار فأطلق اسم السبب على المسبب وقيل المعادن من العناصر معلومة وكذا مقدار تأثير الشمس والكواكب فيها وقيل أي متناسب محكوم عليه عند العقول السليمة بالحسن واللطافة يقال كلام موزون أي متناسب وفلان موزون الحركات وقيل المراد ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس وغيرها من الموزونات كالفواكه والنبات وجعلنا لكم فيها أي في الأرض او في تلك الموزونات معايش ما يتوصل به الى المعيشة وقد مر في أول الأعراف ومن لستم له برازقين عطف على معايش أي جعلنا لكم من لستم له برازقين او عطف على محل لكم لا على المجرور فقط لانه لا يجوز في الأكثر الا بإعادة الجار والتقدير وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين رازقهم في الحقيقة هو الله تعالى وحده لا الآباء والسادات والمخاديم وبهذا جيء بحكم التغليب عمر دعا العقلاء

الانعام والدواب والوحش والطير كقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وقد يذكر غير من يعقل بصفة من يعقل بوجه ما من الشبه كقوله لها
النمل ادخلوا مساكنكم والدواب تشبه ذوي العقول من جهة التقاطها الحب لاولادها عند الحاجة يحكى انه قلت مياه الاودية في بعض السنين و
اشتد عطش الوحوش فرفعت رأسها الى السماء فانزل الله المطر ثم بين غاية قدرته ونهاية حكمته فقال وان من شيء الا عندنا خزائنه قال جمع من
المفسرين اراد بالشيء ههنا المطر لانه هو سبب ارزاق بني آدم وغيرهم من الطيور والوحوش وذلك انه لما ذكر معايشهم بين ان خزائن المطر الذي هو سبب
المعايش عنده اي في امره وحكمه وتدبيره قوله وما ننزله الا بقدر معلوم عن ابن عباس يريد قدر الكفاية وقال الحلبي ما من عام باكثر مطرا من عام آخر
ولكنه يمطر قوم ويحرم آخرون وربما كان في البحر واعلم ان لفظ الآية لا يدل على هذين القولين فلو ساعدهما نقل صحيح امكن ان يقبلهما العقل والا
كان شبه تحكم والظاهر عموم الحكم وان ذكر الخزائن تمثيل لاقتداره على كل مقدور والمعنى ان جميع الممكنات مقدورة ومملوكة له يخرجها من العدم الى
الوجود كيف يشاء وهي وان كانت غير متناهية بالقوة لان كلا منها يمكن ان يقع في اوقات غير محصورة على سبيل البدل وكذا الكلام في الاحياز
وسائر الاعراض والاوصاف فاختصاص ذلك الخارج الى الوجود بمقدار معين وحيز ووقت معينين الى غير ذلك من الصفات المعينة دون
اضدادها لا بد ان يكون بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وهو المراد من قوله وما ننزله الا بقدر معلوم وقد يتمسك بالآية بعض المعتزلة
في ان المعدوم شيء وقيل المراد ان تلك الذوات والماهيات كانت مستقرة عند الله بمعنى انها كانت ثابتة من حيث انها حقائق وماهيات ثم انه تعالى
انزل اي اخرج بعضها من العدم الى الوجود الدليل السادس قوله وارسلنا الرياح ومن قرأ الريح فاللام للجنس لواقح قال ابن عباس معناه ملاقح جمع ملقحة لانها
تلقح السحاب بمعنى انها تحمل الماء وتمجه في السحاب او لانها تلقح الشجر اي تقويه وتنميه الى ان يخرج ثمرها قاله الحسن وقتادة والضحاك وقد جاء في كلام
العرب فاعل بمعنى مفعل قال ومختبط مما تطيح الطوائح يريد المطاوح جمع مطيحة وقال ابن الانباري يقول العرب ابقل النبت فهو باقل اي مبقل
قال الزجاج معناه ذوات لقحة لانها تعصر السحاب وتدره كما تدر اللقحة يقال رامح اي ذو رمح ولابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر وقيل ان الريح في
نفسها لاقح اي حاملة للسحاب او للماء من قوله حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت والعرب تقول لضدها الريح العقيم فاسقيناكموه اي
جعلناه لكم سقيا قال ابو علي يقال سقيته الماء اذا اعطاه قدر ما يروى واسقيته اي جعلت له شربا والذي يؤكد هذا اختلاف القراء في قوله
وسقاهم ربهم شرابا طهورا ويقال سقيته لشفته واسقيته لماشيته وارضه وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا
عندنا خزائنه اي نحن الخازنون للماء لا انتم اراد عظم قدرته وعجز من سواه الدليل السابع قوله وانا لنحن نحيي ونميت والغرض الاستدلال
بانحصار الاحياء والاماتة فيه على انه واحد في ملكه وملكه قال اكثر المفسرين انه وصف النبات فيما قبل فهذا الاحياء مخصوص بالحيوان ومنهم من يحمله على القدر
المشترك بين احياء النبات وبين احياء الحيوان ونحن الوارثون مجاز عن بقائه بعد هلاك ما عداه كما مر في آل عمران في قوله ولله ميراث السموات
والارض قوله ولقد علمنا عن ابن عباس في رواية عطاء المستقدمين يريد اهل طاعة الله والمستأخرين يريد المتخلفين عن طاعته وروي
انه رغب الناس في الصف الاول في الجماعة فازدحم الناس عليه فانزل الله الآية والمعنى انا نجزيهم على قدر نياتهم وقال الضحاك ومقاتل يعني
في صف القتال وقال ابن عباس في رواية ابي الجوزاء كانت امرأة حسناء تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قوم يتقدمون الى الصف الاول لئلا يروها وقوم
آخرون يتخلفون ويتأخرون ليروها وكان قوم اذا ركعوا جافوا ايديهم لينظروا من تحت آباطهم فنزلت وقيل المستقدمون هم الاموات والمستأخرون
هم الاحياء وهذا القول شديد المناسبة لما قبل الآية ولما بعدها وقيل المستقدمون هم الامم السالفة والمستأخرون هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة المستقدمون
من خلق والمستأخرون من لم يخلق بعد والظاهر العموم وان علمه تعالى شامل لجميع الذوات والاحوال الماضية والمستقبلة ولا ينبغي ان يخص الآية بحالة
دون اخرى ثم نبه على ان الحشر والنشر امر واجب ولا يقدر على ذلك احد الا هو فقال وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم فالحكمة تقتضي امر العباد على
التكليف والجزاء والعلم قدر على توفية مقادير الجزاء الدليل الثامن الاستدلال بخلق الانسان خاصة وذلك انه لا بد من انتهاء الناس الى انسان اول
ضرورة امتناع القول بوجود حوادث لا اول لها وقد اجمع المفسرون على انه آدم عليه السلام وروي في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قد انقضى قبل آدم الذي
هو ابونا الف الف آدم او اكثر وكيف كان فلا بد من انسان هو اول الناس والاقرب انه تعالى خلق آدم من تراب ثم من طين ثم من حمإ مسنون
ثم من صلصال كالفخار وقد كان قادرا على خلقه من اي جنس كان بل كان قادرا على خلقه ابتداء وانما خلقه على هذا الترتيب لمحض المشيئة او لما كان
فيه من دلائل الملائكة والجن او لغير ذلك من المصالح ولا شك ان خلق الانسان من هذه الامور اعجب من خلق الشيء من شكله وجنسه والصلصال الطين
اليابس الذي يصلصل اي يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار وقيل هو مضعف صل اذا انتن والحمأ الاسود المتغير من الطين وكذلك
الحمأة بالتسكين والمسنون المصور من سنة الوجه اي صورته قال سيبويه وقال ابو عبيدة المسنون المصبوب المفرغ اي افرغ صورة انسان كما يفرغ الصور
من الجواهر المذابة وقال ابن السكيت سمعت ابا عمرو يقول معناه متغير منتن كانه من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذي يسيل بينهما سنين
ولا يكون الا منتنا قال في الكشاف قوله من حمإ صفة صلصال اي خلقه من صلصال كائن من حمإ قلت ولا يبعد ان يكون بدلا اي خلقه من حمإ
قال وحق مسنون بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كأنه افرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى
جوهر آخر قوله والجان قال الحسن ومقاتل وقتادة هو ابليس وهو رواية عطاء عن ابن عباس وفي رواية اخرى هو ابو الجن كآدم ابي الناس وهو قول الاكثرين والتركيب

يريد اهل الدين
ابن عباس

يدل على السبق والتوارث عن الاعين وقد مر فيما سلف ولا سيما في تفسير الاستعاذة في اول الكتاب خلقناه من قبل قال ابن عباس اي من قبل خلق آدم والسموم الريح الحارة النافذة في المسام يكون في النهار وقد يكون بالليل ومسامّ البدن الخروق الخفية التي يبرز منها العرق وبخار البدن الباطن ولا شك ان تلك الريح فيها نار ولها لفح على ما ورد في الخبر انها نفخ جهنم قال ابن مسعود هذه السموم جزء من سبعين جزءا من سموم النار التي خلق الله منها الجان ولا استبعاد في خلق الله الحيوان من النار فانا نشاهد السمندر قد يتولد فيها وعلى طريقة قاعدة الحكيم كل ممتزج من العناصر فانه يمكن ان يغلب عليها احدها ويكون مكانه مكان الجزء الغالب والحرارة مقوية للروح لا مضادة لها ثم انه لما استدل بحدوث الانسان الاول على كونه قادرا مختارا ذكر بعده واقعته والمراد بكونه بشرا انه يكون جسما كثيفا يباشر ويلاقي والملائكة والجن لا يباشرون للطافة اجسامهم والبشرة ظاهر الجلد من كل حيوان فاذا سويته عدلت خلقته واكملتها او سويت اجزاء بدنه بتعديل الاركان والاخلاط والمزاج التابع لذلك اعتدالا نوعيا او شخصيا ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح في تجاويف جسم آخر فمن زعم ان الروح جسم لطيف كالهواء سار في البدن فمعناه ظاهر ومن قال انه جوهر مجرد ولا حال في متحيز فمعنى النفخ عنده تهيئة البدن لاجل تعلق النفس الناطقة به قال جار الله ليس ثم نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه وتمام الكلام في الروح سوف يجيء ان شاء الله في قوله ويسألونك عن الروح ولا خلاف في ان الاضافة في قوله روحي للتشريف والتكريم مثل ناقة الله وبيت الله والفاء في قوله فقعوا له يدل على انه وقوعهم في السجود كان واجبا عليهم عقيب التسوية والنفخ من غير تراخ قال المبرد قوله كلهم ازال احتمال ان بعض الملائكة لم يسجدوا وقوله اجمعون ازال احتمال انهم سجدوا متفرقين وقال سيبويه والخليل اجمعون توكيد بعد توكيد ورجح الزجاج هذا القول لان اجمع معرفة فلا يقع حالا ولو صح ان يكون حالا كان منصوبا لافادة المعنى الذي ذكره المبرد ثم استثنى ابليس من الملائكة وقد سلف وجه الاستثناء في اول سورة البقرة ثم استأنف على تقدير سؤال سائل هل سجد فقال ابى ان يكون مع الساجدين يعني ابى استكبارا ثم قال سبحانه خطاب تقريع وتعنيف لا تعظيم وتشريف يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقال بعض المتكلمين خاطبه على لسان بعض رسله لان تكليم الله بلا واسطة منصب شريف فكيف يناله اللعين قال جار الله حرف الجر مع ان محذوف ومعناه اي غرض لك في الامتناع من السجود قال لم اكن لاسجد اللام لتأكيد النفي اي لا يصح مني وينافي حالي ان اسجد لبشر وحاصل شبهة اللعين انه روحاني لطيف وآدم جسماني كثيف واصله نوراني شريف واصل آدم ظلماني خسيس فعارض النص بالقياس فلا جرم اجيب بقوله فاخرج منها اي من الجنة او من السماء او من جملة الملائكة وضرب يوم الدين اي يوم الجزاء حدا للعنة جريا على عادة العرب في التأبيد كما مر في قوله ما دامت السموات والارض او اراد اللعن المجرد من غير تعذيب حتى اذا جاء ذلك اليوم عذب بما ينسى اللعن معه قاله صاحب الكشاف واقول هذا ان اريد باللعن مجرد الطرد عن الحضرة اما ان اريد به الابعاد عن كل خير فيتعين الوجه الاول الا عند من اثبت لابليس رجاء العفو وانما ذكر اللعنة ههنا بلام الجنس لانه ذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال اني خالق بشرا ولما خصص آدم بالاضافة الى نفسه في سورة ص حيث قال لما خلقت بيدي خصص اللعنة ايضا بالاضافة فقال وان عليك لعنتي فافهم قال رب فانظرني قد مر مثله في اول الاعراف ومعنى الوقت المعلوم ان ابليس لما عينه واشار اليه بعينه صار كالمعلوم والمراد منه الوقت القريب من البعث الذي يموت فيه الخلائق كلهم ليشمل الموت اللعين ايضا وقيل لم يجبه الى ذلك وانظره الى يوم لا يعلمه الا الله قال رب بما اغويتني قد مر مباحثه في الاعراف ومفعول لازينن محذوف اي لازينن لهم المعاصي في الارض اي في الدنيا التي هي دار الغرور واراد انه اذ قدر على الاحتيال لآدم وهو في السماء فهو على التزيين لاولاده وهم في الارض اقدر او اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض بان ازين الارض في اعينهم واحدثهم ان لا زينة هي في الارض وحدها كقوله صدر بيتها وان يعتذر بالمحل من ذي ضروعها الى الضيف يجرح في عراقيبها ثم استثنى اللعين عباد الله المخلصين لانه علم ان كيده لا يؤثر فيهم قال بعض الحذاق انما احترز ابليس بهذا الاستثناء عن الكذب فيعلم منه ان الكذب في غاية الشناعة والاخلاص فعل الشيء خالصا لله من غير شائبة الغير لا اقل من ان يكون حق الله فيه راجحا او مساويا ولما ذكر ابليس من الاستثناء ما ذكر قال الله سبحانه هذا يعني الاخلاص طريق مستقيم علي ان اراعيه او على مروره اي علي رضواني وكرامتي وقيل لما ذكر اللعين انه يغوي بني آدم الا من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الامور الى مشيئته تعالى فاشار اليه تعالى بقوله هذا اي تفويض الامور الى ارادتي ومشيئتي صراط علي اي علي رعايته وتأكيده ومن قرأ علي بالتنوين فهو من علو الشرف اي الاخلاص او طريق التفويض الى الله والايمان به ايضا انه طريق رفيع مستقيم لا عوج فيه قال جار الله هذا اشارة الى ما بعده وهو قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فان الكائنين المذكورين في هذه الآية هم الذين استثناهم ابليس وذلك انه لما ذكر الا عبادك بين به انه لا يقدر على اغواء المخلصين فصدقه الله في الاستثناء قائلا ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك اي ولكن من اتبعك من الغواة فلك التسلط عليهم وهذا يناسب اصول الاشاعرة وقال آخرون هذا تكذيب لابليس وذلك انه اوهم بما ذكر ان له سلطانا على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين فبين تعالى انه ليس له على احد منهم سلطان ولا قدرة اصلا لا الغواة لا بسبب الجبر والقسر بل من جهة الوسوسة والتزيين نظيره قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم وهذا يناسب اصول الاعتزال وان جهنم لموعدهم اجمعين قال ابن عباس يريد ابليس ومن تبعه من الغاوين لها سبعة ابواب اي سبع طبقات بعضها فوق بعض اعلاها للموحدين والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وعن ابن عباس في رواية ابن جريج ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة



النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين وقيل ان قرار جهنم مقسوم بسبعة اقسام
لكل قسم باب معين لكل باب جزء من اتباع ابليس مقسوم في قسمة الله سبحانه والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة بالغلظ والخفة فلا جرم صارت
مراتب العقاب ايضا متفاوتة بحسبها ثم عقب الوعيد بالوعد فقال ان المتقين في جنات وعيون عن جمهور المعتزلة انهم الذين اتقوا جميع المعاصي
والا لم يفد المدح وقال جمهور الصحابة والتابعين هم الذين اتقوا الشرك بالله واحتجوا عليه بانه اذا اتقى مرة واحدة صدق عليه انه اتقى وكذا
الكلام في الضارب والكاتب فليس من شرط صدق الوصف كونه اتيا بجميع اصنافه وافراده الا ان الامة اجمعوا على ان التقوى عن الشرك شرط في
حصول هذا الحكم والاية ايضا وردت عقيب قوله الا عبادك منهم المخلصين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فلزم اعتبار الايمان في هذا الحكم والظ
والظاهر انه لا يراد شرط اخر لان التخصيص خلاف الظاهر فكلما كان اقل كان اوفق لمقتضى الاصل فثبت ان المتقين ههنا هم جميع القائلين بكلمة
الاسلام وهي لا اله الا الله محمد رسول الله قولا واعتقادا سواء كان من اهل الطاعة او من اهل المعصية ثم ان الجنات اقلها اربع لقوله تعالى ولمن
خاف مقام ربه جنتان ثم قال ومن دونهما جنتان واما العيون فاما ان يراد بها الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير اسن الاية واما
ان يراد بها منابع غير ذلك ثم ان كل واحد من المتقين يحتمل ان يختص بعين وينتفع بها كل من في خدمته من الحور والولدان ويكون ذلك على قدر
حاجتهم وعلى حسب شهوتهم ويحتمل ان يجري من بعضهم الى بعض ويحتمل لانهم مطهرون من كل حقد وحسد فان قيل اذا كانوا في جنات فكيف يعقل
ان يقول لهم الله تعالى وبعض الملائكة ادخلوها فالجواب لعل المراد انهم لما ملكوا الجنات فكلما ارادوا ان ينتقلوا من جنة الى اخرى قيل لهم ذلك
ومعنى بسلام اي مع السلامة من افات التغير والانقطاع قوله ونزعنا ما في صدورهم من غل قد مر تفسيره في الاعراف اخوانا نصب على الحال
وكذلك على سرر متقابلين والمراد بالاخوة اخوة الدين والتعاطف والسرر جمع سرير قيل هو المجلس الرفيع المهيأ للسرور وقال الليث سرير العيش
مستقره الذي يطمئن عليه حال سروره وفرحه والتركيب يدور على العزة والنفاسة ومنه قولهم سر الوادي لافضل موضع منه ومنه السر الذي
يكتم عن ابن عباس يريد على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت وعن مجاهد يدور بهم الاسرة حيث ما داروا فيكونون في جميع احوالهم
متقابلين والتقابل التواجه نقيض التدابر وتقابل الاخوان يوجب اللذة والسرور ليكون كل منهم مقبلا على الاخر بالكلية وتقابل الاعداء يكون
بتقابل التضاد والتمانع فيكون موجبا للتباغض والتخالف واعلم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم خالصة عن الافات امنة من الزوال فقوله ان
المتقين اشارة الى المنفعة وقوله ادخلوها الى امنين اشارة الى انها مقرونة بالتعظيم وقوله ونزعنا الى قوله لا يمسهم فيها نصب اي تعب تلويح الى كونها سالمة
من المنقصات الا ان قوله ونزعنا ما في صدورهم اشارة الى نفي المضار الروحانية وقوله لا يمسهم اشارة الى نفي المضار الجسدانية وقوله وما هم
منها بمخرجين معناه نفي الخلود ثم لما ذكر الوعيد والوعد زاده تقريرا وتمكينا في النفوس فقال نبئ عبادي وفيه من التوكيدات ما لا يخفى منها
اشهاده ورسوله واعلامه ومنها تشريفهم باطلاق لفظ العباد عليهم ثم باضافتهم الى نفسه ومنها التوكيد بان وبالفصل وبصيغتي الغفور والرحيم
مع نوع تكرير وكل ذلك يدل على ان جانب الرحمة اغلب كما قال سبقت رحمتي غضبي التأويل ربما يود الذين كفروا اي النفوس الكافرة لو كانوا مسلمين
لاوامر الله ونواهيه وذلك انما يكون عند استيلاء سلطان الذكر على القلب والروح وتنور صفاتها بنور الذكر فيغلب النور على ظلمة النفس وصفاتها
ويتبدل اخلاقها من الامارية الى الاطمئنان فتتمنى حين ذاقت حلاوة الاسلام وطعم الايمان لو كانت من بدء الخلق مسلمة مؤمنة كالقلب والروح
ثم هذه النفس التي ذاقت حلاوة الاسلام ثم عادت بالشؤم الى طبعها واستحلت المشارب الدنية بقوله ذرهم يأكلوا وما اهلكنا من قرية من القرى
البدنية افسدنا استعدادها الا ولها كتاب مكتوب في علم الله من سوء اعماله واحواله ما تسبق من امة اجلها حتى يظهر منها ما هو سبب هلاكها ولا يتأخرون
لحظة بعد استيفاء اسباب هلاكها وقالوا يعني النفوس المتمردة مخاطبا للقلب الذاكر لو ما تأتينا بصفات الملائكة المنقادين وفيه اشارة الى ان
النفس الامارة لا تؤمن بما انزل الله الى القلوب من الانوار الالهية حتى يصير مطمئنة مستعدة لهذه الصفات ولو انه لم يقبل انوارها وكمال الاستعداد
القلوب ما كانوا اذا منظرين من الهلاك لضيق نطاق طاقتهم انا نحن نزلنا كلمة لا اله الا الله في قلوب المؤمنين كتب في قلوبهم الايمان و
المنافق يقول ذلك ولكن لم ينزل في قلبه ولم يحفظ ولو فتحنا عليهم اسلكناه الكفر في قلوبهم بابا من سماء القلب لا نكروا فتح الباب ولقد جعلنا
في سماء القلب بروجا الاطوار فكما ان البروج منازل السيارات فكذلك الاطوار منازل شموس المشاهدات واقمار المكاشفات وسيارات اللوامع
والطوالع وزيناها لاهل النظر الناظرين الى الله وحفظناها من وساوس الشيطان وهواجس النفس الامارة ولكن من استرق السمع من النفس الشيطان
فادركه شعلة من انوار تلك الشواهد فيضمحل الباطل ويتبين الحق والارض مددناها فيه ان ارض البشرية مثل نفس الحيوانات الى ان ارساها
الله بجبال العقل وصفات القلب وجعلنا لكم فيها معايش هي اسباب الوصول والوصال ومن لستم له برازقين وهو جوهر الجذبة وانه غذاء من مواهب
الحق وتجلي جماله فقط ولكل شي خزانة فلصورة الاجسام خزانة ولاسمها خزانة ولمعناها خزانة وكذا للونها ولطعمها ولخواصها من المنافع والمضار
وكذا لظلمانيتها ولنورانيتها ولملكوتها وما من شي الا وفيه لطف الله وقهره مخزون وقلوب العباد خزائن صفات الله تعالى باجمعها وارسلنا رياح
العناية لواقح لاشجار القلوب بانوار الكشوف وبامطار الشواهد كما قال بعضهم اذا هبت رياح الكرم على اسرار العارفين اعتقتهم من هواجس انفسهم
ورعونات طباعهم وظهر في القلوب نتائج ذلك وهو الاعتصام بالله والاعتماد عليه فانزلنا من سماء الهداية ماء الحكمة وما انتم له بخازنين في اصل



الخلقة فان المخلوق لا يوصف بالحكمة الا مجازا وان الحق نحيي قلوب ولباء منا بانوار جمالنا ونميت نفوسهم بسطوة جلالنا ونحن الوارثون بعد فنا وجودهم ليبقوا ببقائنا وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم بين الخطاب بقدسه والمسلوب الى اسفل سافلين الطبيعة خاطب بلبس النفس بقوله وان عليك اللعنة الى يوم الدين الى ان نطلع شمس شواهد نامي مشرق الروح ويصير ارض النفس مشرقة ويتبدل صفاتها الذميمة المظلمة بالاخلاق الروحانية الحميدة الى يوم يبعثون اى يبعث الارواح فى قيامة العشق وهو الوقت المعلوم الذى يتجلى الرب فيه لارواح العشاق فينعكس نور التجلى من الارواح الى النفوس فيجعلها مطمئنة بما اغويتنى اى اضللتنى من طريق الامارية لان بين لارواح فى ارض البشرية من الاعمال الصالحة التى يورث الاخلاق الحميدة وبها يترقى الارواح وترقيتها ولاغوينهم اجمعين عما كانوا عليه من الاعمال الروحانية الملكية التى لا يبقى الا لعبادك الذين خلصوا من حبس الوجود بجذبات الالطاف هذا صراط اى هو طريق اهل الاستقامة فى السير الى الله المنقطعين عن غير ان عبادى ليس لك عليهم سلطان حجة يتعلق بتلك الحجة بهم واغواهم فانهم بلاهم وان من خصوصيتها لعبوديته المضافة الى الحضرة الربية عما سواه لها سبعة ابواب من الحرص والشره والحقد والحسد والغضب والشهوة والكبر او الابواب السبعة اشارة الى الحواس الخمس الظاهرة والى الوهم والخيال فانهما اصل الحواس الباطنة لان الاول يدرك المعانى والثانى يدرك الصور والباقية اعنى المفكرة والحافظة والذاكرة من اعوانها واكثر ما يستعمل الانسان هذه المشاعر انما يستعملها فى الاحوال الدنيوية المفضية الى الهلاك فلا جرم صارت ابواب الجحيم فاذا استعملها فى تحصيل السعادات الباقية بحسب ما يرتضى العقل الغريزى صورن مع العقل ابوابا بل اسبابا للحصول الجنة ادخلوها بسلام والسلام من الله تحية امنين من قطع موانع الخروج والدخول بعد الوصول فان التبرى الى الله لا يمكن الا بالله وجد بالله ولهذا قال جبريل ليلة المعراج لو دنوت انملة لاحترقت ونزعنا فيه ان نزع الغل من الصدور لا يمكن الا بنزع الشهوات الارواح القدسية مطهرات عن علائق القوى الشهوانية والغضبية مبرات من حوادث الوهم والخيال ومعنى تقابلها ان النفوس المتصفات عن كدورات عالم الاجسام ونوازع الخيال والاوهام اذا وقع عليها انوار جلال الله وجلاله انعكس منها الى غيره مثل درجاتها كانعكاس المرايا الصافية المحاذية يتزايد كل منها فى نفسها بخفاء صفاتها وقوله نبئ عبادى اشارة الى ان سلوك السالكين وطير الطائرين يجب ان يكون على قدمى الرجاء والخوف وجناحى الانس والحق والله الموفق بالصواب

وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرٰهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلٰمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰمٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلٰى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنٰكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقٰنِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلٰى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغٰبِرِينَ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنٰكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنٰكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصٰدِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلَا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعٰلَمِينَ قَالَ هٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فٰعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيٰتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ كَانَ أَصْحٰبُ الْأَيْكَةِ لَظٰلِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ



وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ

وبتحقيق كه تكذيب كردند اصحاب حجر رسولان را و داديم ايشان را آيتهاى خود پس بودند از آنها اعراض كنندگان و بودند مى‌تراشيدند از كوهها

بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ

خانها ايمنان پس گرفت ايشان را فرياد در حالتى كه در آمده بامداد كنندگان پس كفايت نكرد از ايشان آنچه بودند كسب ميكردند و نيافريديم آسمانها

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ

و زمين و آنچه ميان آنهاست مگر بحق و بدرستيكه قيامت هر آينه آينده است پس درگذر درگذشتنى خوب بدرستيكه پروردگار تو اوست آفريدگار

الْعَلِيمُ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا

دانا و بتحقيق كه داديم ترا هفت آيه از سوره كه دوبار نازل شده و قرآن عظيم مكش نگاه دراز چشمهاى خود را بآنچه كامرانى داديم بآن اصنافى را

مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ

از ايشان و اندوه مخور برايشان و فرود آر بال رافت را از براى گرويدگان و بگو بدرستيكه منم بيم كننده آشكارا همچنانكه فرو فرستاديم برآنكه قرار يافته

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ

آنانكه گردانيدند قرآن را پاره پاره سحر و كذب پس به پروردگار تو قسم كه هر آينه خواهيم پرسيد ايشان را همه از آنچه بودند ميكردند پس آشكارا كن آنچه را مامور شده

وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ

و روى بگردان از مشركان بدرستيكه ما كفايت ميكنيم ترا از استهزا كنندگان را آنانكه ميگردانند با خدا خداى ديگر پس زود باشد كه بدانند

وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ

و بتحقيق ميدانيم كه تو تنگ ميشود سينه‌ات بآنچه ميگويند پس تسبيح گوى بستايش پروردگارت و باش از سجده كنندگان و بپرست پروردگارت را تا بيايد ترا مرگ

القراءة ادخلوها مدغماً ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف غير هشام انا نبشرك بكون الباء وضم الشين حمزة الآخرون بالتشديد تبشرون بالتشديد وكسر النون المخففة نافع مثله ولكن مشددة النون ابن كثير الباقون بفتح النون على انها علامة رفع يقنط بكسر النون ابو عمرو وسهل ويعقوب وعلي وخلف وكذلك بابه الآخرون بالفتح آل لوط مدغماً حيث كان شجاع لمنجوهم بالتخفيف يعقوب وحمزة وعلي وخلف الباقون بالتشديد قدرنا بالتخفيف حيث كان ابو بكر وحماد بناتي ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع اني انا بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو الوقوف ابرهيم لئلا يصير اذ دخلوا ظرفاً لنبئهم فانه محال سلاماً ط وجلون ه عليم ه تبشرون ه القانطين ه الضالون ه المرسلون ه مجرمين لا للاستثناء آل لوط ط اجمعين لا لان الجملة بعده مفعول والكسر لدخول اللام في الخبر الغابرين لا المرسلون لا لان ما بعده جواب لما منكرون ه يمترون ه لصادقون ه تؤمرون ه مصبحين ه يستبشرون ه فلا تفضحون لا للعطف ولا تخزون ه العالمين ه فاعلين ط لابتداء القسم يعمهون ه مشرقين لا لاتصال انقلابها بالصيحة من سجيل ط للمتوسمين ه مقيم ه للمؤمنين ط لتمام القصة لظالمين ه لا لاتصال الانتقام بظلمهم منهم لان الواو للابتداء فلو وصل لشبه الحال وهو محال مبين ط لتمام قصتهم المرسلين لا لان الواو بعده للحال اي وقد آتيناهم معرضين لا للعطف آمنين ه مصبحين ط للاتصال معنى يكسبون ه لتمام القصص الا بالحق ط الجميل ه العليم ه العظيم ه المؤمنين ه المبين ج لجواز تعلق الكاف بقوله فاخذتهم او بقوله فانتقمنا ولجواز تعلقها بمحذوف اي انزلنا عليهم العذاب كما انزلنا وتمام البحث سيجيء في التفسير المقتسمين لا عضين ه اجمعين لا يعملون ه المشركين ه المستهزئين لا آخر ج لابتداء التهديد مع الفاء يعلمون ه يقولون لا لاتصال الامر بالتسبيح تسلية الساجدين لا للعطف اليقين ه التفسير انه سبحانه عطف ونبئهم على ونبئ عبادي ليكون سماع هذه القصص مرغباً في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذراً من المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المؤمنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ما ذكر من انه غفور رحيم للمؤمنين وان عذابه عذاب اليم للكافرين وعند المعتزلة غفور للتائبين معذب لغيرهم وقد مر تفسير اكثر هذه القصة في سورة هود فنذكر الا ما هو مختص بالمقام قوله وجلون معناه خائفون خافهم لامتناعهم من الاكل او لدخولهم بغير اذن في غير وقت انا نبشرك استئناف في معنى تعليل النهي عن الوجل لتبشره بالولد الذكر وبكونه عليماً فقيل ارادوا بعلمه نبوته وقيل العلم مطلقاً وقوله على ان مسني في موضع الحال اي مع هذه الحالة استفهم منكراً للولادة في حالة الكبر لانها امر عجيب عادة لا لانه شك في قدرة الله تعالى ولذلك قال فبم تبشرون ما استفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قال فبأي اعجوبة تبشروني او انكم لا تبشروني بشيء في الحقيقة لان ذلك امر غير متصور في العادة واحسن ما قيل فيه ان لا يكون قوله بما صلة للتبشير بل يكون سؤالاً عن الوجه والطريقة يعني اذا كان الطريق المعتاد ممتنعاً فبأي طريق تبشروني بالولد فلذلك قالوا في جوابه بشرناك بالحق اي باليقين الذي لا لبس فيه او بشرناك بالولد بطريق هو حق وذلك قول الله ووعده وانه قادر على خلق ولد من غير ابوين فضلاً من شيخ فان وعجوز عاقر قال ابو حاتم حذف نافع ياء المتكلم مع النون واسقاط الحرفين لا يجوز واجيب بانه حذف الياء اكتفاء بالكسرة ونون الوقاية لم يورده كما اورد في قراءة التشديد وانما كسر نون الجمع لاجل الياء وكلتا اللغتين فصيحة وقيل عظم فرحه بتلك البشارة فدهش عن الجواب المنتظم فتكلم بالكلام المضطرب وقيل طلب مزيد الطمأنينة كقوله ولكن ليطمئن قلبي عن ابن عباس يريد بالحق ما

قضاة

فضيلة ان يخرج من صلب ابرهيم اسحق ومن صلب اسحق اكثر الانبياء وقوله فلا تكن من القانطين لا يدل على انه كان قانطا فقد ينهى عن الشيء
ابتداء كقوله ولا تطع الكافرين ولذلك اكد ابرهيم نفيه بقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق الصواب او الكافرون
شبهه انه لم يستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له في العادة التي اجراها الله وفي القنوط لغتان قنط يقنط مثل ضرب يضرب وقنط يقنط مثل علم يعلم
وزعم الفارسي ان الاولى اعلى اللغتين ثم سئل عما لاجله ارسلهم الله حيث قال فما خطبكم والخطب الشان العظيم فسئل انهم لما بشروه بالولد
الذكر العليم فما وجه السؤال عن مجيئهم واجاب الاصم بان المراد ما الامر الذي وجهتم فيه سوى البشرى فقال القاضي انه علم ان المقصود لو كان
التبشير فقط لكان الملك الواحد كافيا وقيل علم انه لو كان تمام الغرض البشارة لذكروها اول ما دخلوا فلما ان وجل ابرهيم منهم خيفة
قلت لعله استصغر امر التبشير اما لاجل التواضع واما لانه واقعة خاصة فسألهم عن الامر الذي هو اعظم من ذلك ثم لعظمها اثنا انهم قالوا انا
ارسلنا زعم صاحب الكشاف ان الارسال ههنا في معنى التعذيب والاهلاك كارسال الحجر او السهم الى المرمى واقول كانه لا حاجة الى هذا
التجوز لقوله في سورة الذاريات انا ارسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين فالتقدير انا ارسلنا اليهم لنهلكهم الا آل لوط
وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا لاختلاف الجنس فان القوم موصوفون بالاجرام دون آل لوط ويكون قوله انا لمنجوهم جاريا مجرى خبر لكن
كانه قيل لكن آل لوط منجون ويكون قوله الا امرأته استثناء اي ارسلنا اليهم لنهلكهم الا امرأته كقول المقر لفلان علي عشرة الا ثلاثة الا واحدا
وجوز في الكشاف ان يكون قوله الا آل لوط مستثنى من الضمير في مجرمين حتى يكون الاستثناء متصلا اي الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم
ولم يجوز الاستثناء من الاستثناء بناء على ان آل لوط مستثنى من مفعول ارسلنا او مجرمين والا امرأته من مفعول منجوهم وقد عرفت ما فيه على انه اذا
جعل الارسال بمعنى الاهلاك كما قرره هو ان الامر الى ما ذكرنا فلا ادري لم استبعده مع وفور فضله قال اهل اللغة قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف و
التشديد جعل الشيء على مقدار غيره ومنه قدر الله الاقوات اي جعلها على مقدار الكفاية وقدر الامور اي جعلها على مقدار ما يكفي في ابواب الخير
والشر وقيل في معنى قدرنا قال كتبنا الزجاج دبرنا وقيل قضينا والكل متقارب والمشدد في هذا المعنى اكثر استعمالا وانه جواب سؤال كانه
قيل ما بالها استثنيت من الناجين فقيل قدرنا انها لمن الغابرين اي الباقين في الهلاك وقد يجيء الماضي ايضا غابر وهو من الاضداد قال في الكشاف
علق فعل التقدير مع ان التعليق من خصائص افعال القلوب لانه في معنى العلم وانما اسندوا فعل الى انفسهم مع ان التقدير لله عز وجل لما لهم
لاختصاصهم به تعالى كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والفاعل المدبر والامر هو الملك وحده ثم ان الملائكة لما بشروا ابرهيم بالولد واخبروه
بانهم مرسلون الى قوم مجرمين ذهبوا بعد ذلك الى لوط وذلك قوله فلما جاء آل لوط المرسلون قال اي لوط انكم قوم منكرون تنكركم نفسي وتنفر منكم
وذلك انهم هجموا عليه فلم يعرفهم وخاف ان يطرقوه بشر فلذلك قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون اي ما جئناك بما توهمت بل جئناك بما فيه فرحك
وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذي كنت تخوفهم به وهم يشكون في وقوعه وآتيناك بالحق اليقين الثابت وقال الكلبي بالعذاب الذي لا شك
فيه وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك بقطع من الليل اي في آخره وقدم في سورة هود وزاد ههنا قوله واتبع ادبارهم لانه اذا ساقهم و
كان من ورائهم علم بنجاتهم ولا يخفى عليه حالهم ففي الاية زيادة بيان لكيفية الاسراء ولم يزد في البيان فقال ولا يلتفت منكم احد ولم يستثن
امرأته اكتفاء بما مر في السورة من قوله الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قال جار الله انما امره باتباع ادبارهم ونهاهم عن الالتفات ليكون
فارغ البال من حالهم فيخلص قلبه لشكر الله ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب ولئلا يشاهدوا عذاب قومهم فيرقوا لهم مع
انهم ليسوا من اهل الرقة عليهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة ولا يتحسروا على ما خلفوا وجوز ان يكون النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير
وترك التواني لان من يلتفت لا بد ان يقع له ادنى وقفة وامضوا حيث تؤمرون قال الجوهري مضى الشيء مضيا ذهب ومضى في الامر مضيا نفذ و
وقال في الكشاف عدي وامضوا الى حيث تعدية الظرف المبهم لان حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون قلت حاصل الكلام
يرجع الى قولنا اذهبوا الى المكان الذي تؤمرون بالذهاب اليه او بالنفاذ والمراد الذهاب الى هنالك عن ابن عباس الى الشام وقيل مصر وقال
المفضل حيث يقول لكم جبرئيل وكانت لهم علامة ما عمل اهلها عمل قوم لوط ثم اخبر عن حالهم بعد الانفصال وقضينا ضمن معنى اوحينا ولذلك عداه
بالى كانه قيل واوحينا اليه ذلك الامر مقضيا مبتوتا ثم فسر ذلك الامر بقوله ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين اي يستأصلون عن آخرهم
حال ظهور الصبح ودخولهم فيه وفي هذا الاجمال والتفسير تفخيم لشان الامر وتعظيم له ثم حكى ما ابدى قوم لوط من الفعال بعد نزول الملائكة فقال
وجاء اهل المدينة اي اهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل فقيل اجور من قاضي سدوم يستبشرون بظهور السرور بمجيء الملائكة لانهم كانوا
مردا حسان الوجوه فلما قال لوط لما قصدوا اضيافه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي لان الضيف يجب اكرامه فاذا اسيء اليه في دار
المضيف كان ذلك اهانة وفضيحة للمضيف يقال فضحه يفضحه فضحا وفضيحة اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله ولا تخزون مر في هود قالوا
في جواب لوط اولم ننهك عن العالمين اي السنا نهيناك عن ان تكلمنا في شان احد من الناس اذا قصدناه بالفاحشة وكانوا يتعرضون لكل
احد وكان لوط يمنعهم عن ذلك فاوعدوه بقولهم لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين وقيل نهوه عن ضيافة الناس وانزالهم قال
هؤلاء بناتي من الصلب او بنات امته كما مر في هود قال جار الله ان كنتم فاعلين شك في قبولهم لقوله كانه قال وما اظنكم تفعلون وقيل

وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم ثم قالت الملائكة للوط عليه السلام لعمرك مبتدأ محذوف الخبر لكثرة الاستعمال اي لعمرك قسمي
وهو مما اقسم به والعمر والعمر بالفتح والضم واحد الا انهم خصوا القسم بالمفتوح لايثار الاخف فان الحلف كثير الدور على السنتهم انهم لفي سكرتهم
غوايتهم التي اذهبت عقولهم حتى لم يميزوا بين خطائهم وصوابهم يعمهون يتحيرون فكيف يقبلون قولك والتي قامرهم به من ترك البنين الى البنات
وقيل انه سبحانه خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقسم بحياته صلى الله عليه وسلم كرامة له وما اقسم بحياة احد قط وذلك يدل على انه اكرم الخلق على الله فاخذتهم الصيحة
مشرقين داخلين في الشروق وهو بزوغ الشمس كان ابتداء العذاب من اول الصبح لقوله مصبحين اليس الصبح بقريب وغايته كانت عند طلوع الشمس
قال المفسرون هي صيحة جبرئيل قلت ويحتمل ان يكون صيحة قلب المداين وارسال الحجارة عليهم قال بعض المفسرين انما قال وامطرنا عليهم وفي
سورة هود وامطرنا عليها لان المراد ههنا من شذ من القرية منهم وقيل سبب تخصيص هذه السورة بجمع المذكر هو بناء القصة على قوله انا ارسلنا
الى قوم مجرمين ان في ذلك لآيات للمتوسمين المتفرسين وحقيقة التوسم التثبت في النظر حتى يعرف حقيقة سمة الشيء فعبر به عن التامل والتفكر
وانها يعني تلك القرى واثارها لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس المارة من الحجاز الى الشام يشاهدون اثار قهر الله وغضبه ههنا انه قال بعضهم
انما جمع الآيات في قوله ان في ذلك الآيات للمتوسمين لانه اشارة الى ما تقدم من ضيف ابرهيم وقصة لوط وقلب المدينة وامطار الحجارة عليها
وعلى من غاب منهم وقال في الثاني وانها اي القرية لبسبيل وهذه واحدة من تلك الآيات فلذلك قال ان في ذلك لآية للمؤمنين وقيل ما
جاء من القرآن من الآيات فلجمع الدلائل وما جاء من الآية فلوحدانية المدلول عليه فلما ذكر عقيبه المؤمنين وهم مقرون بوحدانيته وحد الآية
نظيره في العنكبوت خلق الله السموات والارض بالحق ان في ذلك لآية للمؤمنين ثم اجمل قصة قوم شعيب فقال وان كان اصحاب الايكة لظالمين
ان مخففة عن الثقيلة ولذلك دخلت اللام الفارقة في خبرها كانوا اصحاب غياض ومواضع ذات شجر فنسبوا اليها الايكة الشجر الملتف والضمير في
قوله وانهما يعود الى قرى قوم لوط والى الايكة وقيل بل الى الايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فدل بذكر احد الموضعين ههنا وهو
الايكة على الاخر لبامام مبين لبطريق واضح قال الفراء والزجاج سمي الطريق اماما لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر ياتم به حتى يصير
الى الموضع الذي يريده ثم ختم القصص بقصة ثمود فقال ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين وهو واد بين الشام والمدينة وجمع المرسلين لان
تكذيب نبي واحد وهو صالح كتكذيب جميع الانبياء او لان القوم كانوا براهمة منكرين لكل الرسل او اراد صالحا ومن معه من المؤمنين وآتيناهم اي
اعطينا رسولهم آياتنا اراد الناقة وكانت فيها آيات خروجها من الصخرة وعظم خلقها وكثرة لبنها الى غير ذلك كما حكينا في الاعراف فكانوا عنها اي
عن النظر فيها والاعتبار بها معرضين وفيه ان التقليد مذموم والاستدلال واجب وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من ان تنهدم ويتداعى
بنيانها او يقع سقفها عليهم او امنين من عذاب الله او من حوادث الدهر فما اغنى عنهم لم يدفع عنهم شيئا من عذاب الله ما كانوا يكسبون من
من بناء البيوت الوثيقة ومن جمع الاموال والعدد ولما فرغ من القصص قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اي ملتبسة بالفوائد
والغايات الصحيحة والحكم منها اشتغال المكلفين بالعبادة والطاعة حتى تركوها واعرضوا عنها وجب في الحكمة اهلاكهم وتطهير الارض عنهم وهذا النظم
يناسب اصول الاعتزال قال الجبائي فيه بطلان مذهب الجبرية الذين يزعمون ان اكثر ما خلق الله بين السموات والارض من الكفر والمعاصي
باطل واجيب بان افعال العباد من جملة ما بين السموات والارض فوجب ان يكون الله خالقها ويمكن ان يقال في وجه النظم ان هذا ابتداء شروع
في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتصبيره على اذيات قومه بعد اقتصاص احوال الامم السالفة ومعاملاتهم مع انبيائهم ويؤيد هذا النظم قوله وان الساعة لآتية
معناه كان الله سينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيئاتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا بالحق
والعدل فكيف يليق بحكمته وفضله اهمال امرك ولما صبره على اذى قومه ورغبه في الصفح فقال فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم
اعراضا جميلا بحلم واغضاء ان كان اللام للجنس فالمراد هذا النوع من الصفح لا الذي يشتمل على حقد واحتيال ومكر وان كان للعهد
فلعل المراد ما امر به في قوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقيل هذا منسوخ باية السيف والاظهر ان حسن المعاشرة والمخالقة
مامور به ما امكن فلا حاجة الى ارتكاب النسخ ان ربك هو الخلاق كثير الخلق العليم الكامل العلم يعلم ما يجري بين الخلائق من الاحوال والاخلاق
وان كثروا وكثرت فيجازيهم يوم القيمة على حسب ذلك وقيل اراد انه الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم فاليوم الصفح اصلح فاصفحوا الى ان
يكون السيف اصلح ثم حثه على الصفح والتجاوز بتذكير النعم الجسام والعطايا العظام التي خصه بها فقال ولقد آتيناك سبعا من المثاني اكثر المفسرين
على ان المراد بها فاتحة الكتاب وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابي هريرة والحسن وابي العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وذلك انها سبع آيات والمثاني جمع مثناة من التثنية او جمع مثنية وانها تثنى في كل صلوة وقال الزجاج تثنى بما يقرأ بعدها معها وانها
قسمت نصفين قسم ثناء وقسم دعاء وقد ورد الحديث في هذا المعنى قسمت الصلوة بيني وبين عبدي نصفين وقد مر في اول الكتاب وانها
كلماتها مثناة مثل الرحمن الرحيم اياك واياك الصراط صراط عليهم عليهم واشتمالها على ثناء الله تعالى وتحميده مقرر ومما يتفرع على هذا
القول ما نقل القاضي عن ابي بكر الاصم انه قال كان ابن مسعود لا يكتب في مصحفه فاتحة الكتاب فقيل كانه راى انه تعالى عطف عليه قوله والقرآن
العظيم والعطف يوجب المغايرة فوجب ان يكون السبع المثاني غير القرآن والجواب انه قد يكون بعطف الجزء على الكل كقوله وملائكته وجبريل

في نحو ع

او بالعكس

أيضا بالعكس كما في الآية والمقصود في الوصفين تمييز البعض من الكل تنبيها على مزية ذلك البعض وشرفه فإن قلت أليس لعطف الكل على البعض
نظير والاستدلال بالآية استدلال لصورة النزاع من غير دليل قلنا يكفي بقوله ولقد آتيناك سبعا دليلا على أنه من القرآن وعن ابن عمر وسعيد بن
جبير في رواية أن السبع المثاني هي السبع الطوال سميت بذلك لما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولا
لأنها تثني على الله سبحانه وتعالى بأفعاله العظمى وصفاته الحسنى وأنكر الربيع هذا القول لأن هذه السورة مكية وأكثر تلك السور مدنية وأجيب بأن المراد من الإيتاء
إنزالها إلى السماء الدنيا والمكية والمدنية في ذلك سيان وضعف بأن المراد إطلاق لفظ الإيتاء على ما لم يصل بعد إليهم خلاف الظاهر وقال قوم
السبع المثاني هي التي دون الطول والمئين وفوق المفصل واحتجوا عليه بما روى ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى أعطاني المئين مكان الإنجيل
وأعطاني المثاني مكان الزبور وفضلني ربي بالمفصل قال الواحدي والقول في تسمية هذه السورة مثاني كالقول في تسمية الطول مثاني وروي عن
ابن عباس وهو مذهب طاوس أن المثاني القرآن لقوله سبحانه كتابا متشابها مثاني وإنما سمي مثاني لتكرر فيه دلائل التوحيد والنبوة والتكاليف ومعنى
العطف على هذا القول الجمعية كقوله إلى الملك القرم وابن الهمام وكأنه قيل آتيناك ما هو الجامع لكونه سبعا مثاني ولكونه قرآنا عظيما قال الزجاج وتبعه
صاحب الكشاف ومن في المثاني للبيان أو للتبعيض إذا أردت بالسبع الفاتحة أو الطوال وللبيان إذا أردت الأسباع ولما عرف رسوله نعمه الدينية رغبه
فيها ونفره من اللذات العاجلة الزائلة لا تكن فيها وإن عظمت فإنها بالنسبة إلى نعمة القرآن ضئيلة حقيرة ومنه الحديث من لم يتغن بالقرآن أي لم يستغن
فليس منا وعظم صغيرا وقول أبي بكر من أوتي القرآن فرأى أن أحدا أوتي من الدنيا أفضل مما أوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا فمن حق قارئ القرآن
الواقف على معانيه أن لا يشغل سره بالالتفات إلى الدنيا وزهرتها قال الواحدي إنما يكون مادا عينيه إلى الشيء إذا أدام النظر نحوه وإدامة النظر إليه
تدل على استحسانه وتمنيه وقال في الكشاف معنى لا تمدن لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له إلى ما متعنا به أزواجا منهم أي أصنافا من الكفار قاله
ابن قتيبة وقال الجوهري الأزواج القرناء قال بعضهم لا تمدن عينيك أي لا تحسدن أحدا على ما أوتي من الدنيا وضعف بأن الحسد منهي عنه مطلقا
فكيف يحسن تخصيص الرسول به ويمكن أن يجاب بأن المراد منه نهي أمته كقوله ولا تكونن من المشركين أو المراد الغبطة فهي محظورة عليه صلى الله عليه وسلم لجلالة
منصبه وإن كانت جائزة لأمته ويروى أنه وافت من بلاد الشام سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو
كانت هذه الأموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وجل لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع
وإنما قال في هذه السورة لا تمدن بغير واو العطف لأنه لم يسبقه طلب بخلاف ما في سورة طه لما نهاه عن الالتفات إليهم أنفسهم وأن يحصل لهم في
قلبه قدر ووزن فقال ولا تحزن عليهم أي على أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام وينتعش بهم المؤمنون وكما أمره بالتكبر على الأغنياء و
الترفع عنهم إذا كانوا كفارا أمره بالتواضع للفقراء إذا كانوا مؤمنين فقال واخفض جناحك للمؤمنين الخفض نقيض الرفع وجناحا الإنسان يداه
وخفضهما كناية عن اللين والرفق وإنما قال في سورة الشعراء بزيادة لمن اتبعك لأنه قال قبله وأنذر عشيرتك الأقربين فلو لم يذكر هذه الزيادة
لكان الظاهر أن اللام للعهد خصوصا والأمر بخفض الجناح مختصا بالأقربين من عشيرته فزيد لمن اتبعك ليعلم أن هذا التشريف شامل لجميع متبعيه
من الأمة ولما بشر على الرفق بأهل الإيمان أمره بالإنذار لكل المكلفين فقال وقل إني أنا النذير المبين ويدخل تحت كونه مبلغا لجميع التكاليف
لأن كل ما كان واجبا ترتب على تركه عذاب وكل ما كان حراما ترتب على فعله عقاب ويدخل في كونه شارحا لجميع مراتب أهل التكليف من الجنة والنار
فالإنذار بالنار والإبعاد بالجنة هو الإخبار عن موجب الحرمان عنها وفي متعلق قوله ولقد آتيناك أي أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا على المقتسمين
وهم أهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين أي أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أجزاء وأعضاء أو
فعلة من عضهته إذا بهته فالمحذوف منها الهاء لا الواو وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش يقولون للساحرة عاضهة ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
العاضهة والمستعضهة فينقص أيضا الهاء أيضا وجمعت العضة بالمعاني جمع العقلاء لما لحقها من الحذف فجعلوا الجمع بالواو والنون عوضا
لما لحقها من الحذف كسنين ومعنى الآية أن اليهود اقتسموا القرآن إلى حق وباطل وجزؤوه فقالوا بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل
مخالف لهما ويجوز أن يراد بالقرآن ما يقرؤونه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم وبالإقرار بالبعض والتكذيب بالبعض كقوله أفتؤمنون
ببعض الكتاب وتكفرون ببعض وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه وعداوتهم ولهذا وسط بين المتعلق بقوله لا تمدن عينيك
لأنه ممد للتسلية لما فيه من النهي عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الإقبال بالكلية على المؤمنين الوجه الثاني أن
يتعلق بقوله النذير المبين وعلى هذا لا يكون بد من التزام إضمار أو زيادة أما الإضمار فأن يكون النذير أنا النذير عذابا كما أنزلنا
كقولك رأيت كالقمر في الحسن أي وجها كالقمر وأما الزيادة فأن يكون الكاف زائدة كقوله ليس كمثله شيء ويمكن أن تبقى الكاف بمعنى مثل ولا حاجة
إلى الالتزام والنذير أنذر قريشا مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم إما اليهود ويراد بالعذاب ما جرى على قريظة والنضير فيكون قد جعل
المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الإعجاز لأنه إخبار بما سيكون وقد كان وإما غيرهم من أهل مكة أو من قوم صالح قال ابن عباس هم الذين اقتسموا
طرق مكة ومداخلها أيام الموسم فقعدوا في كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان بالله ورسوله يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا
فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات وكانوا قريبا من أربعين منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن

وائل والاسود بن عبد المطلب وقال عكرمة اقتسموا القرآن استهزاء وكان يقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى وقال مقاتل
اقتسموه وقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم كذب وبعضهم اساطير الاولين وقال ابن زيد المقتسمون هم الذين تقاسموا بالله لنبيتن صالحا
كما يجيء فى سورة النمل فرهم وعلى هذا يكون قوله الذين جعلوا منصوبا بالنذير اى انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر
واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين ثم اقسم على سبيل الوعيد فقال فوربك لنسئلنهم الآية وقد مر تفسير مثله فى اوائل الاعراف وذلك قوله
فلنسئلن الذين ارسل اليهم والاظهر ان الضمير عائد الى جميع المكلفين المنذرين وان السؤال يكون عن جميع الاعمال وقد يخص الضمير
بالمقتسمين والسؤال بالاقتسام ثم شجع نبيه فقال فاصدع اى اجهر بما تؤمر واظهره وفرق بين الحق والباطل واصل الصدع الشق والفصل
ومنه سمى الصبح صديعا كما سمى فلقا وصدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا قال النحويون الجار محذوف والمعنى بالذى تؤمر به من الشرائع مثل امرتك
الخير ويجوز ان يكون ما مصدرية اى بامرك وشانك مصدر من المبنى للمفعول وقالوا ومازال النبى صلى الله عليه وسلم مستخفيا حتى نزلت هذه الآية ثم قال واعرض
عن المشركين اى لا تبال بهم ولا تلتفت الى لومهم اياك على اظهار الدعوة وهذا لا ينافى آية القتال حتى يلزم النسخ على ما ظن بل يؤكدها ثم اكد النهى
عن الاكتراث بهم وقوى قلبه فقال انا كفيناك المستهزئين ولا ريب انهم طبقة ذو شوكة قدروا على الاستهزاء بالرسول مع جلالة قدره والا لما انتهى
الامر الى هذا الحد لكن المفسرين ذكروا عددهم واسماءهم مع اختلاف بينهم والاشهر على ما رواه عروة بن الزبير انهم خمسة نفر من الاشراف الوليد بن المغيرة
والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة وعن ابن عباس ماتوا كلهم قبل يوم بدر وقال جبريل عليه السلام
لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واومى
الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى واشار الى
انف الحارث فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات ثم زاد
فى تسلية نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من المطاعن فيك وفى القرآن لان الجبلة البشرية والمزاج الانسانى يقتضى ذلك ثم
امر بكشف ما نابه بان يفزع الى الله بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة الى اتيان اليقين عن ابن عباس هو الموت سمى بذلك لانه امر متيقن ولا يجب ما دام المكلف
حيا وهذا كما قيل فى تحديد مدة طلب العلم انه من المهد الى اللحد وكيف يصير الاقبال على الطاعات سببا لزوال ضيق القلب قال المحققون لانه ينكشف له
اضواء عالم الربوبية فيهون فى نظره المصالح الدنيوية فلا يستوحش من فقدانها ولا يستأنس بوجدانها وقال اهل السنة اذا نزل الى العبد بعض المكاره
فعليه ان يفزع الى الله بالذكر والثناء والسجود وسائر انواع العبادة فكانه يقول وجب على عبادتك سواء اعطيتنى الخيرات او القيتنى فى المكاره وقالت المعتزلة
من اعتقد تنزه الله عن القبائح سهل عليه تحمل المشاق لانه يعلم انه تعالى عدل منزه عما لا فائدة فيه ولا غرض فيطيب قلبه التاويل فى بشارة ابراهيم
اشارة الى ان الطالب الصادق وان كان مسنا ضعيف القوى كما قيل الصوفى بعد الاربعين بارد فانه ينبغى ان لا يقنط من رحمة الله ويتقرب اليه بالاعمال
القلبية ليتقرب اليه ربه بانواع الالطاف وجذبات الاعطاف فيخرج من صلب وجوده ورحم قلبه غلاما عليما بالعلوم اللدنية وهو واعظ الله الذى
فى قلب مؤمن ان فى ذلك لآيات لاصحاب القلوب المتوسمين بشواهد احكام الغيب وما خلقنا سموات الارواح وارض الاشباح وما بينهما من
النفوس والقلوب والاسرار والخفيات الا بالحق اى الا لمظهر الحق ومظهره هو الانسان المخصوص بذلك من بين سائر المخلوقات وان الساعة
يعنى قيامة العشق لآتية لنفوس الطالبين الصادقين من اصحاب الرياضات لان انفسهم تموت بالرياضة ومن مات فقد قامت قيامته فاصفح ايها الطالب
الصادق عن النفس المرتاضة بان تداويها وتواسيها فان فى قيامة العشق يحصل من تزكية النفس فى لحظة واحدة ما لا يحصل بالمجاهدة فى سنين كثيرة
ومن هنا قيل جذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ان ربك هو الخلاق لصور المخلوقات ولمعانيها ولخفاياها الا انه هو العليم لمن خلقه
مستعد المظهرية لذاته وصفاته ومظهرية لهما وليس ذلك لمن فى السموات والارض وما بينهما الا الانسان الكامل وغيره مختص بمظهرية الصفات
دون الذات وان كان ملكا فلهذا قال ولقد آتيناك سبعا اى سبع صفات ذاتية لله تبارك وتعالى السمع والبصر والكلام والحياة والعلم
والارادة والقدرة من المثانى اى من خصوصية المظهرية والمظهرية للذات والصفات والقرآن العظيم ولهذا صار خلقه عظيما لانه كان خلقه
القرآن لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا من اهل الدنيا والآخرة واخفض جناحك للمؤمنين بهذا المقام ليصلوا بجناح همتك اليه
على المقتسمين الذين قسموا القرآن على انفسهم فصاروا مظاهر القهر الذين جعلوا القرآن عضين اى جزؤها فى الاستعمال فقوم قرأوه ليقال لهم
القراء ويأكلون به وقوم حفظوه ليقال لهم الحفاظ ويرجعون الى الرزق وقوم حصلوا تفسيره وتاويله لاظهار الفضل وطلب الشهرة وقوم استنبطوا
معانيه وفقهه على وفق الهوى مذاهبهم فكفروا اذا فسروا القرآن برأيهم انا كفيناك المستهزئين الذين يستعملون الشريعة بالطبيعة استهزاء بدين الله الذين
يجعلون مع الله الها آخر من الهوى والدنيا فسبح بحمد ربك لانك لست منهم وكن من الساجدين بسجدة الشكر واعبد ربك حتى يأتيك اليقين اى
الابد لان كل مقام يحصل فيه اليقين بالعبادة العرفان فانه يحصل فوقه مقام الوهم والشك فلم يكن يحصل برد اليقين فيه انتهى فمراتب اليقين لا تتناهى فاليقين يكون اشد الى الابد

سورة النحل مكية غير ثلث آيات واغلب حروفها سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة وكلماتها الف وثمانمائة واحد واربعون وآياتها مائة وثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

النحل

أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا

أنه لا إله إلا أنا فاتقون خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الإنسان من نطفة فإذا

هو خصيم مبين والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون

وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرءوف رحيم

والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر

ولو شاء لهداكم أجمعين هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت

لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر

لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم

في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما

طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون

وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهارا وسبلا لعلكم تهتدون أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا

تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون

والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون إلهكم

إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما

يعلنون إنه لا يحب المستكبرين القراء: تشركون وما بعده بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف والآخرون على الغيبة تنزل بالفتحات

الثلاث الملائكة بالرفع سهل وروح وزيد وأبو زيد مثله لكن بضم التاء، الغرقاني جبلة ينزل الله

الملائكة بالنصب ابن كثير وأبو عمرو ورويس والباقون بالتشديد من التنزيل بشق الأنفس بفتح الشين يزيد والباقون بكسرها ننبت

بالنون يحيى وحماد والآخرون بالياء الغيبة والشمس والقمر والنجوم مسخرات كلها مرفوعات ابن عامر وافق حفص والمفضل في النجوم مسخرات والباقون

بنصب الجميع على أن مسخرات حال تسرون وتعلنون بالتاء الخطاب المفضل عن عاصم والآخرون بتاء الخطاب يدعون على الغيبة سهل

ويعقوب وعاصم غير الأعشى والباقون على الخطاب الوقوف فلا تستعجلوه ط يشركون ه فاتقون ه بالحق ط يشركون ه مبين ه خلقها لاحتمال

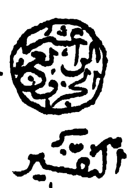
تمام الكلام واحتمال أن يكون لكم متعلقا به والوقف على لكم أجوز تأكلون ه للعطف تسرحون ه الأنفس ط رحيم ه لا لأن الخيل مفعول خلق وزينة

ما لا تعلمون ه جائر ط أجمعين ه تسيمون ه الثمرات ط يتفكرون ه والنهار لمن قرأ والشمس وما بعده بالرفع ومن نصب الشمس والقمر ورفع النجوم وقف على القمر

ومن نصب الكل وقف على بأمره ط يعقلون ه لا لأن ما بعده مفعول سخر ألوانه ط يذكرون ه تلبسونها ج لأن قوله وترى فعل مستأنف مع اتصال المعنى

تشكرون ه تهتدون ه لا لأن قوله وعلامات عطف على سبلا وعلامات ط يهتدون ه لا يخلق ط تذكرون ه لا تحصوها ط رحيم ه وما تعلنون ه

يخلقون ه لأن التقدير وهم أموات غير أحياء ه لاختلاف الجملتين وما يشعرون ه لا لأن ما بعده مفعول يبعثون ه واحد ج لأن ما بعده مبتدأ مع الفاء مستكبرون



وما يعلنون السكرين التفسير هذه السورة تسمى سورة النعم ايضا وحكى الاصم عن بعضهم ان كلها مدنية وقال الآخرون من اولها الى قوله كن فيكون
مدنية وما سواها مكي وعن قتادة بالعكس منه قال اهل النظر ان رسول الله صلعم كان يخوفهم بعذاب الدنيا تارة وهو القتل والاستيلاء عليهم كما حصل في
يوم بدر وتارة بعذاب القيامة ثم ان القوم لما لم يشاهدوا شيئا من ذلك قبلوا على تكذيبه وكانوا يستعجلون ما وعدوا به استهزاء وروي انه لما نزل
اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد اقتربت فامسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى
شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب
رسول الله صلعم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والحاصل ان قوله اتى امر الله جواب عن شبهتهم اجراء لما يجب وقوعه مجرى الواقع
كما يقال لمن طلب الاغاثة وقرب حصولها جاءك الغوث فلا تجزع او المراد ان امر الله بذلك وحكمه قد وقع واتى فاما المحكوم به فانما لم يقع لانه تعالى
حكم بوقوعه في وقت معين فقبل مجيء ذلك الوقت لا يخرج الى الوجود فلا تستعجلوه ولا تطلبوا حصوله قبل حضور ذلك الوقت ثم ان المشركين كانهم قالوا
هب يا محمد انا سلمنا صحة ما تقول من انه تعالى حكم بانزال العذاب علينا اما في الدنيا واما في الآخرة الا انا نعبد هذه الاصنام لانها شفعاؤنا
عند الله فكيف نستحق العذاب بسبب هذه العبادة فاجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون كما مر في اول سورة يونس والمراد تنزيه نفسه
عن الاضداد والانداد وان يكون لاحد من الارواح والاجساد ان يشفع عنده الا باذنه او يستعجل في حكم من احكامه او قضية قبل اوانها ثم كانهم
قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة باللطف وعلى الآخرين بالقهر ولكن كيف صرت واقفا على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين
حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله سبحانه شبهتهم بقوله ينزل الملائكة الآية والمراد انه لما كان له ان يخص بعض عبيده بانزال الوحي عليه و
يأمره بان يكلف سائر العباد بمعرفة الله وتوحيده وعبادته فظهر بهذا البيان ان هذه الآيات منتظمة على احسن الوجوه قال الواحدي روى عطاء عن ابن
عباس انه اراد بالملائكة ههنا جبرئيل وحده وتسمية الواحد بالجمع اذا كان رئيسا مطاعا جائز واذا كان على هذا التفسير فالمراد بالروح كلام الله تعالى
كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا قال المحققون الروح الاصلي هو القرآن الذي فيه بيان المبدأ والوسط والمعاد وبه يحصل اشراق العقل
بالعقل بكمال صفتها جوهر الروح وبالروح يكمل حال الجسد فهو الاصل والكل فرع عليه وبهذه المناسبة سمي جبرئيل روحا وعيسى روحا وعن ابي عبيدة
ان الروح ههنا جبرئيل والباء بمعنى مع اي ينزل الملائكة مع جبرئيل وعند ذلك في اكثر الاحوال كان ينزل ومعه افواج من الملائكة كما في يوم بدر
وحنين وكان ينزل على رسول الله صلعم ملك الجبال وملك البحار وخزان الجنة وغيرهم قال في الكشاف بالروح من امره اي بما تحيى القلوب الميتة
بالجهل من وحيه او بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وقال غيره من امره معناه ان ذلك التنزيل والنزول لا يكون الا بامر الله كقوله وما نتنزل
الا بامر ربك قال الزجاج ان انذروا بدل من الروح اي ينزلهم بان انذروا وان اما مفسرة لان تنزيل الوحي فيه معنى القول واما مخففة
من الثقيلة وضمير الشأن مقدر اي بان الشأن اقول لكم انذروا اي اعلموا الناس قوله لا اله الا انا وهو اشارة الى استكمال القوة النظرية وقوله
فاتقون وهو اشارة الى استكمال القوة العملية ومنه يعلم ان النفس متى كملت من هاتين الجهتين حصل لها فوز حقيقي وحبور ابدية وسعادة سرمدية
قال الامام فخر الدين الرازي انا لا نعلم كون ابليس غير صادق ولا معصوما من الكذب والتلبيس الا بالدلائل السمعية وصحة الدلائل السمعية موقوفة
على صدق محمد صلعم وصدقه موقوف على ان هذا القرآن معجز من قبل الله لا من قبل شيطان خبيث والعلم بذلك يتوقف على العلم بان جبرئيل صادق
مبرأ من التلبيس وافعال الشياطين وح يلزم الدور وهذا مقام صعب اقول قد ذكرنا مرارا ان الفرق بين المعجزة والسحر هو ان صاحب المعجزة يدعو
الى الخير وصاحب السحر يدعو الى الشر والفرق بين الملك والشيطان هو ان الملك يلهم بالخير والشيطان يوسوس بضده واذا كان الامر كذلك فكيف يشتبه
المعجزة بالسحر وجبرئيل بابليس حتى يلزم الدور ولما بين الله سبحانه ان روح الارواح وروح الاجسام هو ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل ان يعمل
به اشعر بدلائل التوحيد مبتدأ من الاشرف وهو السموات الى الادون وهو الانسان فقال خلق السموات والارض بالحق وقد مر تفسير



مثله مرارا وقوله تعالى عما يشركون تنزيه لذاته عن ان يشارك في الازلية والقدم والتدبير والتأثير والصنع والابداع فالفائدة المطلوبة من هذا
الكلام غير الفائدة المطلوبة من مثله في اول السورة كما ذكرنا فلا تكرار ثم ان اشرف الاجسام بعد الفلكيات بدن الانسان فلهذا عقب المذكور
بقوله خلق الانسان من نطفة قالت الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل له هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان
وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وح يصير جزء من العضو المغتذي يشبهه ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وهيجان
الشهوة يحصل ذوبان لجملة الاعضاء ويجتمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطبائع وان كانت بحسب
الحس متشابهة الاجزاء وكيف ما كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة
تأثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة
وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسائط يجب ان يكون اشكالها الطبيعية هي الكرة وانا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه
ينحل الى بسائط فاقل ما يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا ان حدوث هذه
الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وهو كيف كان والنطفة رطوبة سريعة الاستحالة

فالاجزاء الموجودة فيها لا يحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل
في الفوق فلا يكون حدوث اعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما او الاكثر بل حيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر
مختار ثم ان نزلنا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء
الى الصانع الحكيم الخبير اما قوله فاذا هو خصيم مبين فقد ذكروا فيه وجهين الاول فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان نطفة
لا حس بها ولا حراك وتقريره ان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من
البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجئ الى الام ويميز بين الغذاء الذي لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فانتقاله من تلك
الحالة الخسيسة الى ان يقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على النتائج والمقدمات انما
يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة الوجه الثاني ان المراد فاذا هو خصيم لربه منكر على
خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم فعلى الوجه الاول يجوز ان يكون الخصيم فعيلا بمعنى مفاعل كالاكيل والشريب وان يكون بمعنى مختصم
وعلى الوجه الثاني تعين كونه بمعنى مفاعل والترجيح من الوجهين للاول بناء على ان هذه الآيات مسوقة لتقرير الدلائل على وجود الصانع
الحكيم وقد ذكر الاجل وصف الانسان بالتمادي في الوقاحة والكفران وقد يرجح الثاني بما روي ان ابي بن خلف الجمحي جاء بعظم رميم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما قد رم فنزلت ثم اردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في
ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غير ضروراته من الاغراض الصحيحة كالتزيين والجمال فقال والانعام خلقها هي الازواج الثمانية
المذكورة في سورة الانعام وهي الضان والمعز والابل والبقر وان شئت قلت الابل والبقر والغنم قال في الكشاف واكثر ما يقع هذا اللفظ
على الابل قلت ويمكن ان يستدل على ذلك بقوله بعد ذلك وتحمل اثقالكم لان هذا الوصف لا يليق الا بالابل وانتصابها بمضمر يفسره
الظاهر ويجوز ان يكون معطوفا على الانسان اي خلق الانسان والانعام ثم قال خلقها لكم اي ما خلقها الا لكم ولمصالحكم يا جنس الانسان
قال صاحب النظم واحسن الوجهين ان يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبتدئ لكم فيها دفء ثم عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والدفء اسم ما يدفأ به كالملاء
اسم ما يملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر قال الجوهري الدفء نتاج الابل والبانها وما ينتفع به منها والدفاء ايضا
السخونة وقوله ومنافع قالوا المراد نسلها ودرها والمنافع بالحقيقة اعم من ذلك فقد ينتفع بها بالبيع والشراء بالنقود والاثواب وسائر الحاجات
اما قوله ومنها تاكلون فتقديم الظرف المؤذن بالاختصاص فلان الاكل منها هو الاصل الذي يعتمده الناس في ماكلهم عادة واما الاكل من غيرها
كالدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به الجاري مجرى التفكه ويحتمل ان يراد ان غالب اطعمتكم انما يحصل منها لانكم تحرثون بالبقر وتكتسبون
باكرية الابل وتشترون بنتاجها والبانها وجلودها جميع ما تشتهون من الاطعمة قوله حين تريحون الاراحة رد الابل الى مراحها حيث تاوي اليه
ليلا ويسرح القوم ابلهم سرحا اذا اخرجوها بالغداة الى المرعى وقدم الاراحة لان الجمال فيها اظهر حين تقبل ملاءى البطون حافلة الضروع ثم
تاوي الى الحظائر حاضرة لاهلها قوله بشق الانفس من قرا بفتح الشين فمعناه المشقة فيكون مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى
الشق الذي هو الصدع ومن قرا بالكسر فمعناه النصف كانه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد قال جار الله معنى المضي في قوله لم تكونوا راجع
الى الفرض والتقدير اي لو لم يخلق الابل لم تكونوا الا كذلك وانما لم يقل لم تكونوا حامليها الى ذلك البلد ليطابق قوله وتحمل اثقالكم لاجل
المبالغة كانه قيل قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا عن ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون
المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بالشق او المراد بالاثقال الاجسام عن ابن عباس انه فسر البلد بمكة الى اليمن والى الشام ومصر
قال الواحدي هذا قوله والمراد كل بلد لو تكلفتم بلوغه على غير ابل شق عليكم وخص ابن عباس هذه البلاد لانها اكثر متاجر اهل مكة ان ربكم
لرءوف رحيم اي لم يخلق هذه الحوامل الا لاجل تيسير هذه المصالح احتج منكرو الكرامات بالاية على امتناع طي الارض كما ينقل عن بعض الاولياء
والجواب ان الامتناع العادي لا ينافي الامكان الذاتي والخيل والبغال والحمير معطوفات على الانعام اي وخلق هذه للركوب والزينة
فانتصب على انه مفعول له معطوف على محل لتركبوها وانما لم يقل ولتتزينوا بها ليكون المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد لان
الركوب فعل المخاطبين واما الزينة فعل الزائن وهو الخالق فقصد التحقيق فيما ان الركوب احد الامور المعتبرة في المقصود بخلاف التزين
بالشيء فانه قلما يلتفت اليه ارباب الهمم العالية لانه يورث العجب والتيه كانه قال خلقتها لتركبوها فتدفعوا عن انفسكم بواسطتها ضرر
الاعياء والمشقة واما التزين بها فهو حاصل في نفس الامر ولكنه غير مقصود بالذات احتجت المعتزلة القائلون بان افعال الله معللة بالمصالح
بان قوله لتركبوها يقتضي ان هذه الحيوانات مخلوقة لهذه المصلحة والجواب ان استتباع الغاية والفائدة مسلم ولكن التعليل ممنوع واحتج
الحنفية بالاية على تحريم لحوم الخيل من وجوه احدها افراد هذه الانواع الثلاثة بالذكر فيجب اشتراك الكل في الحكم لكن البغال والحمير
محرمان فكذا الخيل وثانيها ان منفعة الاكل اعظم منه من الركوب والتزين فلو كان اكل لحم الخيل جائزا لكان هذا المعنى اولى بالذكر وثالثها
ان قوله فيما قبل ومنها تاكلون يقتضي الحصر فيجب ان لا يجوز اكل ما عدا الانعام الا بدليل منفصل والاصل عدمه ورابعها ان قوله



لتركبوها يقتضي ان تمام المقصود من خلق هذه الاشياء الثلاثة هو الركوب والزينة فلو كان حل اكلها مقصودا لزم ان يكون ما ذكر
تمام المقصود بعض المقصود هذا محال والجواب ان تحريم الخيل محل النزاع وتحريم الحمير بنص الكتاب ممنوع لما روي عن جماعة من الصحابة
انه صلى الله عليه وسلم نهى عام خيبر عن لحوم الحمر الاهلية فلو كان للاية دلالة على تحريم لحم الخيل لفهموه منها قبل ذلك العام لان الاية مكية عند الاكثرين
ولو فهموا منها التحريم قبل ذلك لم يبق لتخصيص التحريم بهذه السنة فائدة واذا لم يكن الحمير والخيل محرمين لم يكن لتحريم البغال المتولدة منهما
وجه وايضا كون معظم المنافع لا كل المنافع بالنسبة الى هذه الانواع ممنوع بل الركوب والزينة هما اعظم المنافع فيهما ولهذا اجملا تمام المقصود منها فكانما اعطي
الاكثر والمعظم حكم الكل واقتضاء الحصر في قوله ومنها تأكلون ممنوع بل لعل تقديم الظرف فيه لرعاية الفاصلة ثم ان انواع التراكيب العجائب المخلوقة في هذا
العالم لا حد لها ولا حصر فلهذا اشار الى ما بقي منها على سبيل الاجمال فقال ويخلق ما لا تعلمون الحصر وتفاصيله بل نوعه وجنسه فان مركبات
العالم السفلي وغرائب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها روي عطاء ومقاتل والضحاك عن ابن عباس انه قال ان عن يمين العرش نهرا من نور
مثل السموات السبع والارضين السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبرئيل كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا الى جماله ثم ينتفض فيخلق الله
تعالى من كل نقطة تقع من راسه كذا وكذا الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وفي الكعبة ايضا سبعون الفا ثم لا يعودون
اليه الى يوم القيمة وقيل المراد ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه فهم احد ولا وهمه ولما ذكر بعض دلائل التوحيد بين انه ذكرها ازاحة للعذر و
ازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال وعلى الله قصد السبيل ذكر صاحب الكشاف ان السبيل الجنس والقصد مصدر
بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كانه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه والجور الميل عن الاستقامة احتجت المعتزلة
بالاية على مسئلتين من اصولهم احدهما انه يجب على الله تعالى الارشاد والهداية لان كلمة على للوجوب والمضاف محذوف اي وعلى الله بيان قصد السبيل
فالمعنى ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه والثانية انه لا يضل احدا ولا يغويه ولا يقبل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او ومنها جائر كما قال في
الجبر فلما غير اسلوب الكلام قائلا ومنها جائر دل على انه اراد ان يبين ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز والجواب عن الاول بعد تسليم
افادة كلمة على الوجوب انه وجوب بحسب الفضل والكرم لا بمعنى استحقاق الذم على الترك وعن الثاني ان دلالة قوله ومنها جائر على ما ذكرتم ليست
دلالة المطابقة ولا التضمن ولا الالتزام لان قول القائل من السبيل سبيل منحرفة لا يفيد الا الاخبار بوجود الانحراف في بعض السبل فاما ان على
تلك السبيل من هو فلا دلالة للكلام عليه اصلا على ان قوله ولو شاء لهداكم اجمعين يناقض ما ادعيتم وتفسير المشيئة بمشيئة الالجاء والقسر والهداية
الى الجنة خلاف الظاهر كما مر مرارا ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجائب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرائب
احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء وقوله لكم متعلق بانزل او بالشراب خبرا له والشراب ما يشرب كالطعام لما يطعم والمراد
ان الماء النازل من السماء قسمان بعضه يبقى لاجل الشرب كما هو ويحتمل ان يكون الماء المختزن في الابار والعيون منه كقوله فاسكناه في الارض وبعضه
يحصل منه شجر يرعاه المواشي قال الزجاج كل ما ينبت من الارض فهو شجر لان التركيب يدل على الاختلاط ومنه تشاجر القوم اذا اختلط اصوات بعضهم
بالبعض ومعنى الاختلاط حاصل في العشب والكلاء وفيما له ساق وقال ابن قتيبة المراد بالشجر في الاية الكلاء وفي حديث عكرمة لا تاكلوا ثمن الشجر
فانه سحت واراد الكلاء وقيل الشجر كل ما له ساق كقوله والنجم والشجر يسجدان والعطف يقتضي التغاير فلما كان النجم ما لا ساق له وجب ان يكون الشجر
ما له ساق واجيب بان عطف الجنس على النوع جائز وبان قوله فيه تسيمون من سامت الماشية اذا رعت واسامها صاحبها
وهو من السومة العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض يقتضي ان يكون الشجر هو العشب لكن الرعي ورد بان الابل قد يقدر على رعي الاشجار
الكبار وحين ذكر مرعى الحيوان اتبعه ذكر غذاء الانسان فقال ينبت لكم به الزرع الذي هو الغذاء الاصلي والزيتون الذي هو فاكهة من وجه وغذاء
لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب اللتين هما اشرف الفواكه ثم اشار الى سائر الثمرات بقوله ومن كل الثمرات كما اجمل الحيوانات التي لم يذكرها
بقوله ويخلق ما لا تعلمون قال في الكشاف انما قيل ومن كل الثمرات بل زاد من التبعيضية لان كلها لا يكون الا في الجنة واعلم انه قدم الغذاء
الحيواني على الغذاء النباتي لان النعمة فيه اعظم لانه اسرع تشبها ببدن الانسان وفي ذكر الغذاء الحيوان وهو الزرع وغيره بناء على مكارم الاخلاق
وهو ان يكون اهتمام الانسان بحال من تحت يده اكمل من اهتمامه بحال نفسه وانما عكس الترتيب في قوله كلوا وارعوا انعامكم بناء على ما هو الواجب
في نفس الامر كقوله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول قوله وسخر لكم الليل والنهار معنى تسخيرهما للناس تصييرهما نافعين لهم بحسب مصالحهم على
سنن واحد يتعاقبان دائما كالعبد المطواع وكذا الكلام في تسخير الشمس والقمر والنجوم كما مر في الاعراف وفي سورة ابرهيم وهذا حسم لمادة
شبهة من زعم ان حركات الافلاك هي المقتضية لتعاقب الليل والنهار ومسيرات الكواكب هي المستند في الحوادث السفليات فانه
ان سلم لهم ذلك فلا بد لتلك الحركات والمسيرات من الانتهاء الى صانع قديم منزه عن التغير والامكان مبرء عن الحدوث والنقصان وهو الله
سبحانه ان في ذلك لايات لقوم يعقلون قال جار الله جمع الاية وذكر العقل لان الاثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وابين شهادة
للكبرياء والعظمة وقال غيره انما جمع الايات لتطابق قوله مسخرات ومثله في هذه السورة في موضع آخر الم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله
ان في ذلك لايات واقول انما جمع لان كلا من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم اية في نفسها لتباين الليل والنهار وتخالف مسيرات



الكواكب كما هو مقرر في علم الهيئة بخلاف قوله ينبت لكم فإن مطلق الإنبات أمر واحد وكذا قوله وما ذرأ لكم في الأرض أي خلق فيها من حيوان
وشجر وثمر وغير ذلك مختلفاً ألوانه فإن نوع هذه الأشياء على حالة اختلاف الألوان والأشكال مع تساوي الكل في الطبيعة الجسمية ونوع تأثير
الفلكيات فيها أمر واحد في وجود الصانع تعالى شأنه واستدعى إلا إمكان هذه الاعتبارات وإلا ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد وإنما
خص المقام الأول بالتفكر لإمكان إيراد الشبهة المذكورة وخص المقام الثاني بالعقل لذكره بعد إماطة الشبهة وإزاحة العلة فمن لم يعترف بعدها
بالوحدانية فلا عقل له وخص المقام الثالث بالتذكر لمزيد الدلالة فمن شك بعد ذلك فلا حس له ومن جملة الآيات التي في تخصيصها نعماً على
الإنسان تسخير البحر بالركوب عليه والانتفاع بما فيه أكلاً ولبساً والمراد باللحم الطري السمك قال ابن الأعرابي لحم طري غير مهموز ومصدره طراوة يقال شيء طري
أي غض بين الطراوة وقال قطرب طرؤ اللحم وطري طراوة والمراد في الآية السمك وما في معناه قال في الكشاف وصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع
إليه فيسارع إلى أكله خيفة الفساد عليه وقال المتكلمون إنه لما خرج من البحر المالح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم أنه إنما حدث لا بحسب
الطبع بل حدث بقدرة الله تعالى وحكمته بحيث أظهر الضد من الضد قال أكثر الفقهاء ومنهم أبو حنيفة والشافعي من حلف لا يأكل لحماً فأكل سمكاً
لم يحنث لأن اللحم لا يتناوله عرفاً ومبنى الأيمان على العرف والعادة ولهذا لو قال لغلامه اشتر لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالإنكار عليه ورد
عليهم الإمام فخر الدين الرازي بأنه إذا قال لغلامه اشتر لحماً فجاء بلحم العصفور كان حقيقاً بالإنكار مع أنكم تقولون إنه يحنث بأكل لحم العصفور فثبت
أن العرف مضطرب والرجوع إلى نص القرآن متعين فليس فوق بيان الله بيان وللقائل أن يقول لعل الإنكار في هذه الصورة بعد تسليمه إنما جاء من
قبل ندرة شراء العصفور أو شراء لحمه فإنما يشترى كله ولم يجئ من إطلاق اللحم على لحمه ومن منافع البحر استخراج الحلية منه قالوا أراد بالحلية اللؤلؤ
والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأنهن من جملتهم ولأن تزينهن لأجلهم وللقائل أن يقول لا مانع من تزين الرجال باللآلي ونحوها
شرعاً فلا حاجة إلى هذا التكلف استدل الإمام فخر الدين بالآية في إبطال قول الشافعية إنه لا زكاة في الحلي قال لأن اللام فيما روي عنه
أنه قال لا زكاة في الحلي ينصرف إلى المعهود السابق ولا معهود إلا ما في الآية من الحلية فصار معنى الحديث لا زكاة في اللآلي وهذا باطل بالاتفاق
وللقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون اللام للجنس فيشمل المصوغ من الذهب والفضة أيضاً فيكون الحديث مخصصاً بالآية إن ثبت صحته ومن
عجائب البحر ومنافعه قوله سبحانه وترى الفلك مواخر فيه قال أهل اللغة مخر السفينة شقها الماء بصدرها وعن الفراء أنه صوت جري الفلك
بالرياح وقال ابن عباس مواخر أي جواري وإنما حسن هذا التفسير لأنها لا تشق الماء إلا إذا كانت جارية وقوله ولتبتغوا من فضله أي لتتجروا فيه
فتطلبوا الربح من فضل الله وإذا وجدتم فضله وإحسانه فلعلكم تقدمون على شكره واعلم أن قوله مواخر فيه جاء على القياس لأن موضع الظرف
المتعلق بمواخر بعد مضي مفعولي ترى وأما في سورة الملائكة فقدم الظرف ليكون موافقاً لقوله ومن كل تأكلون ولتقدم الجار في قوله ومن كل
تأكلون حذف لفظة منه هنالك والواو في ولتبتغوا في هذه السورة للعطف على لام العلة في لتأكلوا وقوله وترى الفلك مواخر فيه اعتراض في
السورتين يجري مجرى المثل ولهذا وحد الخطاب في قوله وترى وقبله وبعده جمع أي لو حضرتها أيها المخاطب لرأيته بهذه الصفة ويمكن أن يقال
إنما قال في الملائكة فيه مواخر بتقديم الظرف لئلا يفصل بين لام العلة وبين متعلقها وهو مواخر وليكتنف المتعلق المتعلقين وإنما بنينا الكلام
على أن قوله فيه متعلق بمواخر لا بترى لقرب هذا وبعد ذلك والله أعلم قوله أن تميد بكم أي كراهة أن تميل الأرض بكم والباء للتعدية أو
للمصاحبة والميد الحركة والاضطراب يميناً وشمالاً يروى أنه تعالى خلق الأرض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت
وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت قال جمهور المفسرين إن السفينة إذا ألقيت على وجه الماء فإنها تميل من جانب إلى جانب وتضطرب
فإذا وضعت الأجرام الثقيلة في تلك السفينة استقرت على وجه الماء فهكذا الأرض تستقر على الماء بسبب ثقل الجبال واعترض عليه بأن السفينة
إنما تضطرب على الماء لتخلخلها وخفتها بسبب الهواء الداخل في تجاويف الخشب ومسامها أما الأرض فجسم كثيف ثقيل من شأنها الرسوب في الماء
على ما هو مشاهد من حال أجزائها المنفصلة عنها فإن كان طبيعة الكل كذلك فكيف يعقل طفوها حتى توجب الجبال إرساءها وثباتها وإن لم
تكن طبيعة الكل كذلك حتى يكون طافية وقد أرساها الله تعالى بالجبال فالرسو والرسوخ إنما يتصور على جسم واقف ليس إلا الماء فينتقل
الكلام إلى وقوف الماء في حيزه المعين فإن كان بحسب الطبيعة فهذا خلاف المقدر لأنا نفينا القول بالطبائع الموجبة لهذه الأحوال وإن لم
يكن بالطبع بل كان بتخليق الفاعل المختار وتسكينه بحيزه المخصوص فلم لا نقول مثله في تسكين الأرض هذا تلخيص ما قاله الإمام فخر الدين الرازي
ونسب المقام إلى الصعوبة والإشكال واستخرج لحله وجهاً مبنياً على قوانين الحكمة وهو أن الأرض جسم كري والكرة إذا كانت صحيحة الاستدارة فإنها تتحرك
بأدنى سبب فلما أحدث الله سبحانه على وجه الكرة هذه الخشونات الجارية مجرى الأوتاد منعها عن السلاسة والحركة قلت في هذا الحل خلل أما أولاً
فلكونه مبنياً على غير قواعد أهل التفسير وأما ثانياً فلما ثبت في الحكمة أن نسبة أعظم جبل في الأرض وهو ما ارتفاعه فرسخان وثلث فرسخ إلى جميع الأرض
كنسبة خمس سبع عرض شعيرة إلى كرة قطرها ذراع ولا ريب أن مثل هذا القدر من الشعيرة لا يخرج الكرة المذكورة عن صحة الاستدارة بحيث يمنعها عن سلاسة
الحركة فكذا ينبغي أن يكون حال الجبال بالنسبة إلى كرة الأرض والجواب الصحيح على قاعدة أهل الشرع أن يقال لا نسلم أن الأرض بكليتها لها طبيعة موجبة
لحالة من الأحوال وعلى تقدير التسليم فلا نسلم أن لها طبيعة الرسوب بل لعل طبيعتها الطفو فلهذا احتاجت إلى الرواسي ولعل قوله أو لطف الله الماء في



حتى ولو يوقف الارض من غير ارساء فلا يخفى سقوطه مع القول بالفاعل المختار فللوسائط والاسباب مدخل في الامور العادية وان لم نقل بتأثيرها هذا وان حركة الارض عند الزلازل لا تنافي حكمه تعالى بعدم اضطرابها لان اثبات الحركة لجزء الشيء لا ينافي نفيها عن كليته وسببها الزلزلة وهي حركة قطعة من الارض لاحتقان البخارات في داخلها وطلبها المنفذ باختلاج يحصل في جزء معين من بدن الحيوان قوله سبحانه وانهارا معطوف على رواسي اي وجعل فيها رواسي لان الالقاء ههنا بمعنى الجعل والخلق كقوله والقيت عليك محبة مني وكذا قوله وسبلا اي واظهر فيها وبينها لاجل ان تهتدوا بها في اسفاركم ولما ذكر انه اظهر في الارض سبلا معينة ذكر انه اظهر في تلك السبل علامات مخصوصة وهي كل ما يستدل به السابلة من جبل وسهل وغير ذلك يحكى ان جماعة يشمون التراب فيعرفون به الطرقات قال الاخفش تم الكلام عند قوله وعلامات وقوله وبالنجم هم يهتدون كلام منفصل عن الاول والمراد بالنجم الجنس كما في كثر الدراهم في ايدي الناس وعن السدي هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي قال بعض المفسرين اراد بقوله هم يهتدون اهل البحر لتقدم ذكر البحر ومنافعه وفيه اراد اعم من ذلك فاهل البر ايضا قد يحصل لهم الاهتداء بالنجوم في الطرق والمسالك وفي معرفة القبلة وانما جيء بالضمير الغائب لعوده الى السائرين الدال عليهم ذكر السبل وقال في الكشاف كانه اراد قريشا فقد كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا بتقديم النجم واقحام لفظهم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ثم لما عدد الايات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان يوبخ اهل الشرك والعناد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق اي كالاصنام التي لا تخلق شيئا الا انه اجراها مجرى اولي العلم فاطلق عليها لفظ من الذي هي لاولي العقل بناء على زعمهم انها الهة او للمشاكلة بينه وبين من يخلق او اراد ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم عنده او اراد كل ما عبد من دون الله مغلبا فيه اولوا العلم منهم واعلم ان اهل البيان يقولون ان المشبه به يجب ان يكون اقوى واتم في وجه الشبه من المشبه ليلحق الاضعف بالاقوى في وجه الشبه كقولك وجهه كالقمر ولا ريب ان الخالق اقوى من غير الخالق فكان حق النظم في الظاهر ان يقال افمن لا يخلق كمن يخلق والقرآن ورد على العكس ووجهه عند العلماء زيادة التوبيخ ليكون كانهم جعلوا غير الخالق اقوى حالا واعرف من الخالق وقال في الكشاف انهم جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبهوه بها حين جعلوا غيره مثله في التسمية والعبادة فانكر عليهم ذلك ولوضوح كون هذا الامر منكرا عند من له ادنى عقل بل حس قال افلا تذكرون وفيه مزيد توبيخ وتجهيل لانه لجلائه كالحاصل الذي يحصل عند العقل بادنى تذكر ومع ذلك هم عنه غافلون قال بعض الاشاعرة في الاية دلالة على ان العبد غير خالق لافعال نفسه لان الاية سيقت لبيان امتيازه بصفة الخالقية واجاب المعتزلة بان المراد افمن يخلق ما تقدم ذكره من السموات والارض والانسان والحيوان والنبات والبحار والجبال والنجوم او فمن يفعل معنى الاية ان كل من كان خالقا يكون افضل ممن لا يكون خالقا وهذا القدر لا يدل على ان كل من كان خالقا فانه يجب ان يكون الها نظيره قوله الهم ارجل يمشون بها اراد بان الانسان افضل من الصنم والافضل لا يليق به عبادة الاخس فكذا ههنا وقال الكعبي في تفسيره نحن لا نطلق لفظ الخالق على العبد ومن اطلق ذلك فقد اخطأ الا في مواضع ذكرها الله تعالى كقوله واذ تخلق من الطين فعلى هذا لا يتوجه عليهم السؤال الا ان اصحاب ابي هاشم يطلقون لفظ الخالق على العبد حتى ان ابا عبد الله البصري قال اطلاق لفظ الخالق على العبد حقيقة وعلى الله سبحانه مجاز لان الخلق عبارة عن التقدير وهو الظن والحسبان ثم لما فرغ من تعديد الايات التي هي بالنسبة الى المكلفين نعم قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد مر تفسيره في سورة ابرهيم قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لتنغص النعم على الانسان وتمنى ان يفتدي الدنيا لو كانت في ملكه حتى يزول عنه ذلك الخلل ثم انه سبحانه يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملائم له غالبا مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده ولكن هذا المثال حاضر في ذهنك فقس عليه سائر نعم الله تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر ادنى نعمه فضلا عن جميعها ولهذا ختم الاية بقوله ان الله لغفور رحيم يغفر التقصير الصادر منكم في اداء شكر النعم ويرحمكم حيث لا يقطعها عنكم بالتفريط ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها كانوا مع اشتغالهم بعبادة غير الله يسرون ضروبا من الكفر والمكائد في حق الرسول صلعم اوعدهم بقوله والله يعلم ما تسرون وما تعلنون وفيه انه تعريض وتوبيخ بسبب ان الاله يجب ان يكون عالما بالسر والعلانية والاصنام التي تعبدونها جمادات لا شعور لها اصلا فكيف يحسن عبادتها ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون اي الالهة الذين يدعوهم الكفار من دون الله لا يخلقون شيئا وقد ذكر هذا المعنى في قوله كمن لا يخلق وزاد ههنا قوله وهم يخلقون اي يخلقهم الله بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم ففي هذه الاية زيادة بيان لانه نفى عنهم صفة الكمال واثبت صفة النقصان وكذلك قوله اموات غير احياء يستلزم ذمهم مرتين لان من الاموات ما يعقبه حيوة كالنطفة والجسد الانساني الذي فارقه الروح واما الحجارة فاموات لا تقبل الحيوة اصلا وفيه ان الاله الحق يجب ان يكون حيا لا يعقبه موت وحال هذه الاصنام بالعكس وفيه ان هؤلاء الكفار في غاية الغباوة وقد تقرر المعنى الواحد مع الغبي الجاهل بعبارات مختلفة تنبيها على بلادته وما يشعرون الضمير فيه للالهة اما الضمير في ايان يبعثون فاما للالهة ايضا ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان الله تعالى يبعث الاصنام لها ارواح ومعها شياطينها فيؤمر بالكل الى النار واما للداعين اي لا تشعر الالهة متى يبعث عبدتهم فيكون فيه تهكم بالمشركين من حيث ان الهتهم لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه من لوازم التكليف واما للاحياء في بعث الاحياء فتهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حق العلم الا الحي القيوم سبحانه وجوز في الكشاف ان يراد بالذين يدعوهم الكفار

اي لا يعلم متى يبعث الالهة

الملائكة فان ناسا منهم كانوا يعبدونهم وصفاتهم اموات اى لا بد لهم من الموت غير احياء اى غير باقية حياتهم ولا علم لهم بوقت بعثهم ولما نفى
طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق فى نفس الامر فقال الهكم اله واحد ثم ذكر ما لاجله اصر الكفار على شركهم فقال والذين لا يؤمنون با
لآخرة قلوبهم منكرة للوحدانية او لكل كلام يخالف هواهم وهم مستكبرون عن قبول الحق وذلك ان المؤمن بالبعث والجزاء يؤثر فيه الترغيب
والترهيب فينقاد للحق اى ربح واما الجاحد للمعاد فلا يقبل الا ما هو وافق رأيه ويلائم طبعه فيبقى فى ظلمة الانكار لا جرم اى حقا ان الله يعلم ما يسرون
وما يعلنون فيجازيهم على ما اسروا من الاستكبار واعلنوا من العناد انه لا يحب المستكبرين عن التوحيد فيختص بالمشركين او كل مستكبر فيدخل هؤلاء
دخولا اوليا لان الكلام فيهم التأويلات ان الناس طبقات ثلث الغافلون والخطاب معهم بالعتاب لانهم كانوا مشتاقين الى الدنيا وزخارفها وهم اصحاب
النفوس والعاقلون والخطاب معهم بوعد الثواب لرغبتهم فى الطاعات والاعمال الصالحات وهم ارباب العقول والعاشقون والخطاب معهم بوصل
رب الارباب لاشتياقهم الى جمال ذى الجلال فخص فى الازل أتى امر الله استعجال ارواح كل طبقة منهم الخروج من العدم الى الوجود لنيل المقصود وطلب
المفقود فخاطبهم بقوله فلا تستعجلوه فانه سيصيب كل طبقة منكم ما كتب له فى القسمة الازلية والله سبحانه منزه عن ان يشاركه فى الحكم احد فلا
مبدل لكلماته ينزل الملائكة بالروح من امره اى بما يحيى القلوب من المواهب الربانية من امره الوارد على الجوارح بالتكاليف الشرعية وعلى النفوس بآداب الطريقة
وعلى القلوب بالاشارات وعلى الارواح بملازمة الحضرة للمكاشفات وعلى الاسرار بالمراقبات للمشاهدات وعلى الخفيات بتجلى الصفات لافناء
الذوات على من يشاء من عباده من الانبياء والاولياء ان انذروا اعلموا اوصاف وجودكم بيد لطافى انه لا اله الا انا فاتقون عن انانيتكم
بانانيتى خلق سموات الارواح وارض الاشباح وجعلها مظهر افاعيله فهو الفاعل لما يظهر على الارواح والاشباح تعالى عما يشركون الارواح
والاشباح فى احالة افاعيله الى غيره خلق الانسان من نطفة لا علم لها ولا فعل فاذا هو خصيم مبين يدعى الشركة معه فى الوجود والافاعيل و
الانعام اى الصفات الحيوانية خلقها لكم فيها دفء لانها المودعة فى جبلتكم ومنافع ومنها تأكلون باستفادة بدل ما يتحلل ولكم فيها جمال تحفظ فى
القلوب وازمنة الاستراحات وتحمل اثقالكم ارواحكم وهى اعباء الامانة الى بلد عالم الجبروت ان ربكم لرؤف رحيم اذا فنيتم انفسكم فى جبروته يبقيكم
ببقاء عظموته والخيل والبغال والحمير اى صفات خلقت فيكم لانها مراكب الروح عند السير الى عالم الجبروت وزينة عند رجوعه بالجذبة الى
مستقره الذى اهبط منه ويخلق فيكم ما لا تعلمون وهو قبول فيض الله بلا واسطة وعلى الله قصد السبيل بجذبة رجى ومنها جائر يعنى نفوسكم تحيد
عن الفناء وبذل الوجود هو الذى انزل من السماء سماء الكرم ماء الفيض منه شراب المحبة لقلوبكم ومنه شجر القوى البشرية ودواعيها فيه ترعون مواشى
نفوسكم ينبت لكم زرع الطاعات والزيتون الصدق ونخيل الاخلاق الحميدة واعناب الواردات الربانية ومن كل ثمرات المعقولات والمشاهدات
والمكاشفات وسخر لكم ليل البشرية ونهار الروحانية وشمس الروح وقمر القلب ونجوم الحواس والقوى وتسخيرها استعمالها على وفق الشريعة
وقانون الطريقة وما ذرأ لكم فى ارض جبلتكم من الاستعدادات يبلون فى كل عالم يلونه من عوالم الملكية والشيطانية والحيوانية وسخر لكم بحر
العلوم لتأكلوا منه الفوائد الغيبية السنية الطرية وتستخرجوا منه جواهر المعانى فيلبس بها ارواحكم النور والبهاء وترى فلك الشرائع
ومذاهب جوارى فى بحر العلوم لتبتغوا الاسرار المخفية عن الملائكة والقى فى ارض البشرية جبال الوقار والسكينة لئلا تميد بكم صفات البشرية
عن جادة الشريعة والطريقة وانهارا من ماء الحكمة وسبلا الى الهداية والعناية وعلامات من الشواهد والكشوف وبنجم الجذبة الالهية هم يهتدون
فيخرجون من ظلمات الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيقى أفمن يخلق الله فيه هذه الكمالات كمن لا يخلقها فيه من الملائكة وغيرهم وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها اى فيهما نعمة الاعطاف وهى ما يتعلق بوجود النعمة ظاهرة وباطنة ونعمة الالطاف وهى ما يتعلق بوجود المنعم من الذوات والصفات
والله يعلم ما تسرون من داء شكر نعمة القلوب وما تعلنون من اداء الشكر بالاجساد والذين يدعون من دون الله من الهوى والدنيا لا يخلقون
شيئا من المنافع وهم يخلقون بتعب الطلب فى تحصيلها ولهذا قال اموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثها دواعى البشرية والذين
لا يؤمنون بالآخرة بما فى عالم الغيب قلوبهم منكرة لاهل الحق لانهم لا يجاوزون عالم الحس يعلم ما يسرون من الانكار وما يعلنون من الاستكبار الله

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ
و چون گفته شود مر ايشانرا چه چيز فرو فرستاد پروردگار شما گويند افسانهاى پيشينيان تا بردارند بارهاى گناهان خود را تمام روز قيامت واز بارهاى گناه
الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ
آنانكه گمراه ميكنند ايشانرا بدون علم آگاه باشيد بد است آنچه بر ميدارند بتحقيق مكر كردند آنانكه بودند پيش از ايشان پس آمد فرمان خدا بناهاى ايشانرا از بيخ
فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ
پس فرود آمد بر ايشان سقف از بالاى ايشان وآمد ايشانرا عذاب از آنجا كه نميدانستند پس روز قيامت خوار ميكند ايشانرا وميگويد كجايند
شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ
انبازان من كه بوديد خلاف ميكرديد در ايشان گفتند آنانكه داده شده بودند علم بدرستيكه رسوايى امروز وبدى بر كافرانست
تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَادْخُلُوا



ابواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ۝ وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين ۝ جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين ۝ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ۝ هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون ۝ فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون ۝ ع وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ۝ ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ۝ ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين ۝ واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ۝ ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين ۝ انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ۝ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولاجر الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون ۝ الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ۝

القراءة شركائي مثل هداي زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي وقرئ الخزاز عن هبيرة شركائي الذين مر لهذا البناء الباقون بفتح الياء وكذلك في الكهف والقصص تشاقون بكسر النون نافع الآخرون بفتحها تتوفاهم وما بعده بالامالة حمزة وخلف لا يهدي بفتح الياء وكسر الدال عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بضم الياء وفتح الدال كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلي الباقون بالرفع الوقوف ربكم ط لان ما بعده جواب اذا الاولين لا لتعلق اللام يوم القيمة لا لان قوله ومن اوزار مفعول ليحملوا بغير علم ط ما يزرون ه لا يشعرون ه فيهم ط الكافرين لا بناء على ان ما بعده صفة انفسهم ط لطول الكلام من سوء ط يعملون ه خالدين فيها ط المتكبرين ه مضف الجزاء انزل ربكم ط خيرا حسنة ط خير ط المتقين لا لان ما بعده بدل المتقين ط طيبين لا لان ما بعده حال اخر سلام عليكم لا لان قوله ادخلوا مفعول يقولون يعملون ه امر ربك ط من قبلهم ط يظلمون ه يستهزءون ه من شيء ط الثاني من قبلهم ط للاستفهام مع الفاء المبين ه الطاغوت ط لانقطاع النظم مع اتصال المعنى الضلالة ط المكذبين ه ناصرين ه ايمانهم لا لان ما بعده جواب القسم يموت ط لا يعلمون ه لتعلق لام كي كاذبين ه فيكون ه حسنة ط اكبر ط لان جواب لو محذوف اي لو كانوا يعلمون لما اختاروا الدنيا على الآخرة ولو وصل لصار قوله ولاجر الآخرة مشتغلا بالشرط ان لو كانوا يعلمون وهو محال يعلمون ه بناء على ان الذين خبر او بدل من الذين هاجروا يتوكلون ه



التفسير لما بالغ في تقرير دلائل التوحيد اراد ان يذكر شبهات منكري النبوة مع اجوبتها فالشبهة الاولى انهم طعنوا في القرآن وعدوه من قبيل الاساطير قال النحويون ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء انزل ربكم او ما مبتدأ وذا موصولة والجملة صلتها والمجموع خبر المبتدأ وعلى التقدير فقوله اساطير الاولين بالرفع ليس بجواب للكفار والا لكان المعنى الذي انزله ربنا اساطير الاولين والكفار لا يقرون بالانزال فهو اذن كالمستأنف اي ليس ما تدعون انزاله منزلا بل هو اساطير الاولين قال في الكشاف معناه المنزل اساطير الاولين وذكر في دفع التناقض انه على



تحريضًا كقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وجوز كونه منصوبًا ولم يقرأ به واختلفوا في السائل فقيل هو كلام بعضهم لبعض وقيل هو
قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلعم إذا سألهم وفود الحاج عما نزل على رسول الله صلعم
قالوا أحاديث الأولين وأباطيلهم ليس فيه شيء من العلوم والفصاحة والحقائق والدقائق ثم إنه تعالى اقتصر في جواب شبههم على محض الوعيد
لأنه قد ثبت بالتحدي كما مر ذكره مرارا أن القرآن معجز تحدوا بالقرآن جملة ثم بعشر سور ثم بسورة فعجزوا عن المعارضة فكان طعنهم فيه بعد
ذلك مجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب إلا التهديد والوعيد واللام في قوله ليحملوا ليس لام الغرض لأنهم لم يصفوا القرآن بكونه أساطير
لغرض حمل الأوزار ولكن لما كانت عاقبتهم ذلك حسن التعليل به فكان لام العاقبة وقوله كاملة معناه أنه تعالى لا يخفف من عقابهم شيئا
وفيه دليل على أنه تعالى قد يسقط بعض العقاب عن المؤمنين لأن هذا المعنى لو كان حاصلا في حق الكل لم يكن لتخصيص هؤلاء الكفار بهذا التكميل
فائدة قال الواحدي لفظة من في قوله ومن أوزار الذين ليست للتبعيض فإنه لا يخفف عن الأتباع بعض أوزارهم لقوله صلعم أيما داع دعى إلى الضلالة
فاتبع كان عليه وزر من اتبعه لا ينقص من آثامهم شيء ولكنها للابتداء أي ليحملوا ما قد نشأ من أوزار الأتباع أو للبيان أي ليحملوا ما هو جنس
أوزارهم ومعنى بغير علم أن هؤلاء الرؤساء إنما يقدمون على هذا الإضلال جهلا منهم بما يستحقون من العذاب الشديد على ذلك الإضلال
وقال في الكشاف بغير علم حال من المفعول أي يضلون من لا يعلم أنهم ضلال وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم
لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل ثم أوعدهم بما هو النهاية في التهديد فقال ألا ساء ما يزرون وزرهم
ثم حكى حال أضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم ذهب أكثر المفسرين إلى أن المراد به نمرود بن كنعان بنى صرحا عظيما
ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان ورام الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا وانقلب
رأس الصرح في البحر فأحدث نمرود وتبلبلت يومئذ ألسن الناس من الفزع فتكلموا بثلاثة وسبعين لسانا ولذلك سميت بابل وكان
لسان الناس قبل ذلك بالسريانية وابتلاه الله ببعوضة دخلت دماغه والحكاية مشهورة والأصح أن الآية عامة في جميع المبطلين الذين يحاولون
إلحاق الضرر بالمحقين وعلى القول الأول معنى قوله فأتى الله أي أمره وحكمه بنيانهم من القواعد وهي أساطين البناء التي تعمده أو الأساس
فأسقط السقف عليهم بعد هدم القواعد وفائدة زيادة قوله من فوقهم التنصيص على أن الأبنية تهدمت وهم ماتوا تحتها وعلى الثاني
يكون الكلام محض التمثيل والمراد أنهم سووا منصوبات وحيلا ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم في تلك الحيل كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه
بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف فهلكوا ونحوه من حفر بئرا لأخيه فقد وقع فيه
وبعبارة أخرى من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا ثم بين أن عذابهم غير مقصور على عذاب الدنيا بل الله تعالى يخزيهم يوم القيامة بإدخالهم النار
إنك من تدخل النار فقد أخزيته ويقول مع ذلك لأجل الإهانة والتوبيخ أين شركائي الإضافة لأدنى الملابسة أو هي حكاية لإضافتهم استهزاء
وتوبيخا الذين كنتم تشاقون تخاصمون المؤمنين في شأنه ثم ذكر على سبيل الاستئناف قال الذين أوتوا العلم عن ابن عباس هم الملائكة
وقال الآخرون هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يعظونهم ولا يلتفتون إليهم فيقولون ذلك يوم القيامة شماتة بهم قالت المرجئة
قولهم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين يدل على أن ماهية الخزي والسوء مختصة بالكافرين فينتفي عن غيرهم أما قوله فألقوا السلم
فعن ابن عباس المراد أنهم أسلموا وأقروا بالعبودية عند الموت وقيل إنه في يوم القيامة وقولهم ما كنا نعمل من سوء أرادوا الشرك قالوه على وجه الكذب
والجحود ومن لم يجوز الكذب على أهل القيامة قال أرادوا في اعتقادهم وظنونهم فرد عليهم أولوا العلم أو الملائكة بقولهم بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون
في الدنيا فلا ينفعكم هذا الكذب وإنه يجازيكم على الكفر الذي علمه منكم قال في الكشاف وهذا أيضا من الشماتة وكذلك فادخلوا أبواب
جهنم وفي ذكر الأبواب إشارة إلى تفاوت منازلهم في دركات جهنم ثم قال فلبئس مثوى المتكبرين عن قبول التوحيد وسائر ما أتت به الأنبياء
والفاء للعطف على فاء التعقيب في فادخلوا واللام للتأكيد يجري مجرى القسم موافقة لقوله بعد ذلك ولنعم دار المتقين ولا نظير لها في كل القرآن
ثم أتبع أوصاف الأشقياء أحوال السعداء فقال وقيل للذين اتقوا الآية وإنما ذكر الجواب ههنا بالنصب ليكون الجواب مطابقا مكشوفا
بينا من غير تلعثم أي أنزل خيرا وقالوا خيرا لا شرا كما قاله الكفار أو قالوا قولا خيرا أو لم يضمروا لا وزعم أنه كلام مستأنف كأنه في جواب الكفار وليس
بمنزل روي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي صلعم فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف كما مر وكان الوافد
يقول كيف أرجع إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد صلعم وأراه فيلقى أصحاب رسول الله صلعم ويخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فهم الذين قالوا خيرا
وجوز في الكشاف أن يكون للذين أحسنوا وما بعده بدلا من خيرا كأنه تفسير الخير بهذا القول وجوز في الكشاف أن يكون كلاما مبتدأ على سبيل
الوعد فيكون قولهم الخير من جملة إحسانهم أما قوله في هذه الدنيا فإما أن يتعلق بما قبله فالمعنى الذين جاؤوا بالإحسان في هذه الدنيا لهم في الآخرة
حسنة هي الثواب العظيم والمضاعف إلى سبعمائة أو أكثر وإما أن يتعلق بما بعده والتقدير الذين أحسنوا لهم الحسنة في الدنيا باستحقاق المدح
والثناء أو بالظفر على أعداء الدين باللسان والسنان وفتح البلاد لهم ويفتح أبواب المكاشفات والمشاهدات والحاصل أن لهم في الدنيا
مكافأة على إحسانهم ولدار الآخرة خير منها ثم بين الخيرية بقوله ولنعم دار المتقين وإذا الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره ثم قال جنات عدن



أي هم ان فيكون المبتدأ محذوفا او الجنات مبتدأ وما بعدها خبر او جنات عدن هي المخصوص بالمدح فالجنات تدل على القصور والبساتين في العدن تدل على الدوام والاقامة وقوله تجري من تحتها الانهار على انه حصل هناك ابنية يرتفعون عليها والانهار تجري من تحتهم وقوله لهم فيها ما يشاؤن ابلغ من قوله في موضع اخر فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وفي تقديم الظرف دلالة على ان الانسان لا يجد كل ما يريده الا في الجنة وقوله الذين تتوفاهم الملائكة اكثر المفسرين على ان هذا التوفي هو قبض الارواح وقوله طيبين اي طاهرين عن دنس الكفر والمعاصي او دنس الكفر وحده ومنه كلمة جامعة تشمل انواع البراءة عن العلائق الجسمانية فلا يكون لصاحب هذه الحالة تألم بالموت ومن دليله قوله يقولون سلام عليكم يروى انه اذا اشرف العبد المؤمن جاءه ملك فيقول السلام عليك يا ولي الله الله يقرأ عليك السلام ويبشره بالجنة فذلك قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وعن الحسن ان المراد بهذا التوفي هو وفاة الحشر لانه لا يقال عند قبض الروح في الدنيا ادخلوا الجنة والاولون قالوا البشارة بالجنة بمنزلة الدخول فيها قوله سبحانه هل ينظرون قيل انه جواب شبهة اخرى لمنكري النبوة فانهم طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم ملكا من السماء يشهد على صدقه في ادعاء النبوة فقال تعالى هل ينظرون في تصديق نبوتك الا ان تأتيهم الملائكة شاهدين بذلك ويحتمل ان يقال انهم لما طعنوا في القرآن بانه اساطير الاولين اوعدهم الله بما اوعد ثم وصف القرآن بكونه حقا وصدقا وذكر جزاء المتقين ثم ذكر ان اولئك الكفار لا يرجعون عن كفرهم بسبب البيانات التي ذكرناها اذا جاءتهم الملائكة بالتهديد او لقبض الارواح او اتاهم امر ربك وهو العذاب المستأصل والفهم كذلك فعل الذين من قبلهم فاصابهم الهلاك المعجل وما ظلمهم الله بتدميرهم فانه انزل بهم ما استحقوه بكفرهم فاصابهم سيئات ما عملوا اي جزاء سيئات اعمالهم او هو من باب الطباق والمشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم اي نزل بهم على وجه الاحاطة عقاب استهزائهم الشبهة الثالثة لمنكري النبوة انهم تشبثوا بمسئلة الجبر فقالوا لو شاء الله ما عبدنا الآية وقد مر تفسير مثلها في اخر سورة الانعام وذكرنا اسرار المطالب هناك وكذا استدلال المعتزلة بها وجواب الاشاعرة عنها وزاد بعض الاشاعرة فقالوا ان المشركين ذكروا هذا الكلام على جهة الاستهزاء كما قال قوم شعيب انك لانت الحليم الرشيد ولو قالوا ذلك معتقدين كانوا مؤمنين وقال اخرون انه سبحانه اجاب عن شبهتهم وهي انه لما كان الكل من الله كان بعثة الانبياء عبثا بقوله كذلك فعل الذين من قبلهم يعني انهم اعترضوا على احكام الله وطلبوا لها العلة فعل من تقدمهم من الكفر فهل على الرسل الا البلاغ المبين اي ما عليهم الا التبليغ فاما تحصيل الايمان فليس اليهم ثم انه اكد هذا المعنى بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا الى قوله ومنهم من حقت عليه الضلالة وفيه دلالة على ان امر الله قد لا يوافق ارادته فانه امر الكل بالايمان ولا يريد الهداية الا للبعض اذ لو ارادها للكل لم يكفر احد ولم ينزل العذاب على قوم لكنه كفر ونزل لقوله في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم خصص الخطاب فقال لرسوله ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل لا يرشد احدا اضله قاله ابن عباس وقال الفراء لا يهدي معناه لا يهتدي ومن قرأ على البناء للمفعول فمعناه لا يقدر انت ولا احد على هداية من اضله الله فلن يكون مهديا منصورا ولا يخفى ان اول الآية ظاهره يوافق مذهب المعتزلة اما قوله كذلك فعل الذين من قبلهم الى الآيات فانهم قد صاروا فيها الى التأويل فقالوا معناه ان متقدميهم اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبح فعلهم اسندوه الى الله فهل على الرسل الا ان يبلغوا الحق وان الله بريء من الظلم وخلق القبائح والمنكرات وما من امة الا وقد بعث الله فيهم رسولا يامرهم بالخير الذي هو عبادة الله وينهاهم عن الشر الذي هو طاعة الطاغوت فمنهم من هدى الله لانه من اهل اللطف ومنهم من ثبت عليه الخذلان لانه عرف مصمما على الكفر والمراد منهم من حكم الله عليهم بالاهتداء ومنهم من صار محكوما عليه بالضلال لظهور ضلاله فمنهم من هداه الله الى الجنة ومنهم من اضله عنها فسيروا في الارض فانظروا ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في اني لا اقدر الشر ولا اشاءه ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت عليه الضلالة وانه لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث فهذا تفسير الفريقين لاشتمال الآيات مسئلة الجبر والقدر على الجهتين وعليك الاختيار بعقلك دون هواك الشبهة الرابعة قدحهم في الحشر والنشر ليلزم ابطال النبوة وذلك انهم اقسموا بالله جهد ايمانهم اي اغلاظ الايمان كما مر في المائدة كانهم ادعوا علما ضروريا بان الشيء اذا فني وصار عدما محضا فانه لا يعود بعينه بل العائد يكون شيئا اخر فاكدوا ادعاءهم بالقسم الغليظ فاجاب الله عن شبهتهم بقوله بلى وهو اثبات لما بعد النفي اي بلى يبعثهم وقوله وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله تعالى اي وعد البعث وعدا عليه حقا لا خلاف فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون انهم يبعثون وان وعد الله حق ثم ذكر لمية حقية البعث فقال ليبين اي يبعث كل من يموت من المؤمنين والكافرين ليبين لهم الحق الذي اختلفوا فيه بيانا عيانيا لا يشتبه فيه المطيع بالعاصي والمحق بالمبطل والمظلوم بالظالم والصادق بالكاذب وجوز بعضهم ان يكون قوله ليبين متعلقا بقوله ولقد بعثنا اي بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب في ادعاء الشريك له وفي قولهم بمجرد هواهم هذا حلال الله وهذا حرام ثم برهن على امكان البعث بقوله انما قولنا وهو مبتدأ خبره ان نقول وقد فسرنا مثل هذه الآية في سورة البقرة وذكرنا فيه مباحث عميقة لفظية ومعنوية فلا حاجة الى الاعادة والغرض انه سبحانه لا مانع له من الايجاد والاعدام ولا يتوقف اثاره قدرته الا على تعلق الارادة والمشيئة فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو اهون من الابداء قال في الكشاف قرئ فيكون بالنصب عطفا على نقول قلت لا مانع من كونه منصوبا باضمار ان لوقوعه في جواب الامر بعد الفاء وقد مر

قالبرة

النحل

في البقرة احتج بعض الاشاعرة بالآية على قدم القرآن قال انه لو كان حادثا لافتقر الى ان يقال له كن ثم الكلام في هذا اللفظ كالكلام في الاول و
تسلسل والجواب بعد تسليم ان هذا النص مثلا وان ثم قولا ان اذا لا يفيد التكرار فلا يلزم في كل ما يحدثه الله تعالى ان يقول له كن وكيف يتصور
ان يكون لفظة كن قديمة والكاف مقدم على النون بزمان محصور ولو سلم فلا يجوز من قدم لفظة كن قدم القرآن على ان قوله انما قولنا لشيء اذا
اردناه يقتضي كون القول واقعا بالارادة وما كان كذلك فهو محدث وانه علق القول بكلمة اذا ولا شك انها للاستقبال وكذا قوله ان نقول ثم
ان كلمة كن مقدمة على المكون بزمان واحد والمتقدم على المحدث بزمان يكون محدثا فالمخلص من هذه الدلائل ان الكلام المسموع لابد ان
يكون محدثا هذا الملخص ما قاله الامام فخر الدين الرازي ولعل لنا فيه نظرا ولما حكى الله سبحانه من الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء اتبعه
والحالة هذه ابتداء المسلمين واتراك الضرر والهوان بهم وحملهم ان يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب المهاجرين قائلا والذين هاجروا في الله
اي في حقه وسبيله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا مثوبة حسنة او مباءة حسنة هي المدينة آواهم اهلها ونصروهم قاله الحسن والشعبي وقتادة
وقيل لننزلنهم منزلة حسنة هي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم بل على العرب قاطبة بل على اهل المشرق والمغرب قال ابن عباس نزلت الآية في جماعة
منهم صهيب وبلال وعمار وخباب فجعل المشركون يعذبونهم ليردوهم عن الاسلام فقال صهيب انا رجل كبير ان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم
بماله وهاجر فلما رآه ابوبكر قال له ربح البيع يا صهيب قال له عمر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اما الضمير في قوله لو كانوا يعلمون فاما ان يرجع الى
الكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين خير الدارين لرغبوا في دينهم واما ان يعود الى المهاجرين اي لو علموا ان اجر الآخرة اكبر
لزادوا في اجتهادهم وصبرهم ثم مدحهم بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون والمراد صبرهم على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي
هو حرم الله وعلى المجاهدة في سبيل الله بالنفوس والاموال قال المحققون الصبر حبس النفس على خلاف ما تشتهيه من اللذات العاجلة وهو مبدأ
السلوك والتوكل هو الانقطاع بالكلية عما سوى الحق وهو آخر الطريق والله ولي التوفيق فان العارفين بالصبر ساروا وبالتوكل طاروا وثم الى الله حسبي الله
ونعم الوكيل **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ**
و نفرستادیم پیش از تو مگر مردانی که وحی میکردیم بایشان پس بپرسید از اهل ذکر اگر هستید که نمیدانید بحجتها و کتابها
وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ
و فرو فرستادیم بتو ذکر را تا بیان کنی برای مردم آنچه فرو فرستاده شد بایشان و باشد که ایشان اندیشه کنند آیا پس ایمن شدند آنانکه مکر کردند بدیها را که فرو برد خدا
بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ
بایشان زمین را یا بیاید ایشان را عذاب از جائیکه ندانند یا بگیرد ایشان را در گردیدنشان پس نیستند ایشان عاجز کنندگان یا بگیرد ایشان را بر ترسی
فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ
پس بتحقیق پروردگار شما مهربان مهربانست آیا ندیدند بسوی آنچه آفرید خدا از چیزی که میگردد سایه هاش از راست و چپها سجده کنندگان خدا را و ایشان خوارانند
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
و مر خدا را سجده میکند آنچه در آسمانها و در زمین است از جنبنده و ملائکه و ایشان سرکشی نمیکنند میترسند از پروردگار شان از بالاشان
وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ وَلَهُ مَا فِي
و میکنند آنچه مامور میشوند و گفت خدا که مگیرید دو اله دو تا جز این نیست که او الهی یکتاست پس از من بترسید و مر او راست آنچه
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ
در آسمانها و زمین است و مر او راست دین دایم آیا پس جز خدا میترسید و آنچه باشد شما را از نعمت پس از خداست پس چون رسد شما را ضرر پس بسوی او مینالید
ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
پس چون دفع کرد ضرر را از شما آنگاه پاره از شما به پروردگار شان شرک می آورند تا کفران ورزند بآنچه دادیم ایشان را پس برخوردار شوید پس زود باشد که بدانید
وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ
و میکنند مر آنچه نمیدانند بهره از آنچه روزی دادیم ایشان را بخدا که سوال کرده شوید از آنچه افترا میکردید و میکنند برای خدا دختران پاکی اوراست
وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ
و مر ایشان راست آنچه میخواهند و چون مژده داده شود یکی از ایشان بدختر گردد رویش سیاه و باشد او پر خشم پنهان میشود از قوم از بدی آنچه مژده داده شد بدان آیا نگاه دارد او را
عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
بر خواری یا پنهان کند او را در خاک آگاه باشید بد است آنچه حکم میکنند آنانرا که نمی گروند بآخرت صفت بد است و مر خدا راست صفت برتر و اوست غالب درست کردار
القراءة نوحي بالنون حفص غير الخراز الباقون بالياء مجهولا تروا بتاء الخطاب حمزة وعلي وخلف تتفيؤ بتاء التانيث ابو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون على
الغيبة الوقوف لا تعلمون ه لا لتعلق الباء والزبر ط يتفكرون ه لا يشعرون ه للعطف بمعجزين ه كذلك على تخوف ط للفصل بين الاستخبار والاخبار رحيم ه داخرون ه

ع

لا يستكبرون * ما يؤمرون * يسجد اشتمل الا انه لما تمام ايجاد القائل واحد * للعدول مع الفاء فارهبون * واصبا * تتقون * تجارون * لا لان ثم
لترتيب الاخبار مع شدة اتصال ليكفروا لتعلق لام كي اي ليتناهم طالما لم يعلموا ثم لدوالفاء للاستيناف يعلمون * رزقناهم * تفترون * سبحانه لا لان مابعده
من جملة مفعول يجعلون وسبحانه معترض للتنزيه * يشتهون * كظيم * لاحتمال ان مابعده وصف لكظيم او استيناف يبتدأ به لان التقدير متفكر في نفسه
المسئلة في التراب * يحكمون * السوء لتضاد الجملتين معنى مع العطف لفظا الاعلى * الحكيم * التفسير الشبهة الخامسة ان قريشا كانوا يقولون الله اعلى واجل
من ان يكون رسوله بشرا فاجاب سبحانه بقوله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا والمراد ان هذه عادة مستمرة من اول زمان الخلق والتكليف وزعم ابو
علي الجبائي انه لم يبعث الى الانبياء الا من هو بصورة الرجال من الملائكة قال القاضي ولعله اراد الملك الذي يرسل الى الانبياء بحضرة اممهم كما روي ان
جبرئيل عم كان ياتي في صورة دحية وفي صورة سراقة وانما قيد بحضرة الامم لان الملائكة قد يبعثون على صورتهم الاصلية عند ابلاغ الرسالة
من الله الى نبيه كما روي انه رأى جبرئيل على صورته التي هو عليها مرتين وعليه تلوا قوله ولقد رآه نزلة اخرى ثم انهم كانوا مقرين بان اليهود و
النصارى اصحاب العلوم والكتب فامرهم الله ان يرجعوا في هذه المسئلة اليهم ليبينوا لهم ضعف هذه الشبهة وسقوطها وذلك قوله فاسئلوا
اهل الذكر قال بعض الاصوليين فيه دليل على انه يجوز للمجتهد تقليد مجتهد اخر فيما يشتبه عليه واحتج نفاة القياس بالاية قالوا لو كان حجة
لما وجب على المكلف السؤال بل كان عليه ان يستنبط ذلك الحكم بواسطة القياس واجيب بانه قد ثبت العمل بالقياس باجماع الصحابة والاجماع اقوى
من ظاهر النص اما قوله بالبينات ففي متعلقه وجوه منها ان يتعلق بارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا وانكر الفراء ذلك قال ان صلة
ماقبل الا لا يتاخر الى ما بعد الا لان المستثنى عنه هو مجموع ماقبل الا مع صلته كما لو قيل ما ارسلنا بالبينات الا رجالا ولما لم يصر هذا
ولما لم يصر هذا المجموع مذكورا بتمامه امتنع ادخال الاستثناء عليه ومنها ان يتعلق برجالا صفة له اي رجالا متلبسين بالبينات ومنها ان
يتعلق بارسلنا مضمرا نظيره ما مررت الا باخيك ثم تقول بمن بزيد قاله الفراء ومنها ان يتعلق بيوحى اي يوحي اليهم بالبينات ومنها ان يتعلق بالذكر
بناء على انه بمعنى العلم ومنها ان يتعلق بلا تعلمون اي ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر فاسئلوا قال في الكشاف الشرط ههنا في معنى التبكيت والالزام كقول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي قلت اراد ان عدم علمهم مقرر كما ان عمل الاجير ثابت وسلم جار اقحام مثل قوله فاسئلوا بجواب الشرط على
هذا الوجه واما على الوجوه المتقدمة فجزم بانه اعتراض بناء على ان جواب الشرط هو مادل عليه قوله وما ارسلنا وعندي ان هذا الجزم ليس بحتم بل يجوز
على كل الوجوه ان يكون مثل فاسئلوا اعتراضا والله اعلم واهل الذكر اهل التورية كقوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر يعني التورية وقال الزجاج
سلوا كل من يذكر بعلم وتحقيق وقوله بالبينات والزبر لفظة جامعة لكل ما يتكامل به الرسالة لان مدارها على المعجزات الدالة على صدق من يدعي
الرسالة وهي البينات وعلى التكاليف التي يتعبد بها العباد وهي الزبر ثم قال وانزلنا اليك الذكر اي القرآن الذي هو موعظة وتنبيه وتذكير
لاهل الغفلة والنسيان او بين الغاية المترتبة على الانزال وهي تبيين الاحكام والشرايع بالنسبة الى الرسول وارادة التأمل والتفكر في المبدأ والمعاد
بالاضافة الى المكلفين وفي ظاهر هذا النص دلالة على ان القرآن كله مجمل ومن هنا ذهب بعضهم الى انه متى وقع التعارض بين القرآن والخبر وجب
تقديم الخبر لان القرآن مجمل والخبر مبين له واجيب بمنع الكلية فمن القرآن ما هو محكم وقوله لتبين محمول على المتشابهات المجملات قال بعض من نفى
القياس لو كان القياس حجة لما وجب على الرسول ان يبين للمكلفين ما انزل الله عليهم من الاحكام بل كان له ان يفوض بعضها الى راي القائس واجيب بانه
لما بين ان القياس من جملة الحجج فالقياس ايضا راجع الى بيان الرسول ثم لما ذكر شبهات المنكرين مع اجوبتها شرع في التهديد والوعيد والانذار و
التهديد فقال افأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات السيئات اراد اهل مكة ومن حول المدينة قال الكلبي عني بهذا المكر اشتغالهم بعبادة
غير الله والاقرب ان المراد سعيهم في ايذاء الرسول وايذاء اصحابه على سبيل الخفية ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب
او هلاك ككنة العذاب من السماء من حيث لا يشعرون كما فعل بقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين فاشتمل ذكر المفسرين في هذا التقلب
وجوها منها انه تعالى يأخذهم في اسفارهم ومتاجرهم فانه قادر على ان يهلكهم في السفر كما انه قادر على ان يهلكهم في الحضر وهم لا يفوتون الله بسبب
ضربهم في البلاد البعيدة ومنها انه يأخذهم بالليل والنهار في احوال اقبالهم وادبارهم وذهابهم ومجيئهم وحقيقته حال تصرفهم في الامور التي
يتصرف فيها امثالهم ومنها انه اراد في حال ما يتقلبون في قضاء اوطارهم بوجوه الحيل فيحول الله بينهم وبين مقاصدهم وحيلهم والتقلب بالمعنى
الاول ماخوذ من قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد وبالمعنى الثالث من قوله وقلبوا لك الامور او يأخذهم على تخوف على حالة تخوفهم
وتوقعهم للبلاء بان يكون قد اهلك قوما قبلهم فكان اثر الخوف باقيا فيهم ظاهرا عليهم فهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل التخوف
التنقص والمعنى انه يأخذهم بطريق التنقص شيئا بعد شيء في ديارهم واموالهم وانفسهم حتى ياتي الفناء على الكل عن عمر انه قال على المنبر ما تقولون
فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال فهل تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم قال شاعرنا زهير يصف ناقة تخوف الرحل
منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن قوله تامكا قردا اي سناما مرتفعا متراكما والسفن ما ينحت به الشيء ومنه السفينة لانها تسفن وجه
الماء كما مر في البحر فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ثم ختم الاية بقوله فان ربكم لرؤف
رحيم فذهب المفسرون الى ان معناه انه يمهل في اكثر الامر لانه رؤف رحيم فلا يعجل بالعذاب اقول يحتمل ان يكون قوله فان تعليلا لقوله افأمن





قوله ما غرك بربك الكريم وربما خوف الشاكرين بما خوف به غيرهم ذكر ما يدل على كمال قدرته ونفاذ تدبيره في احوال العالم العلوي والسفلي وسكانهما
فقال اولم يروا الى ما خلق الله قال جار الله ما موصولة بيانه من شيء وقال اهل المعاني قوله يتفيؤ ظلاله اخبار عن شيء وليس بوصف له وتفيئه
تفعل من الفيء واصله الرجوع ومنه فئة المولى وقال الازهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفيؤ لا يكون الا بالعشي وما انصرف
عنه الشمس والقمر والذي يكون بالغداة ظل وقال ثعلب اخبرت عن ابي عبيدة ان روبة قال كل ما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء و
ظل وما لم يكن عليه الشمس فهو ظل وقوله ظلاله اضاف الظلال الى المفرد ومعناه الاضافة الى ذوي الظلال ووجه حسنه كون المرجوع اليه
واحدا في اللفظ وان كان كثيرا في المعنى وهو قوله الى ما خلق الله نظيره لتستووا على ظهوره اضاف الظهور وهو جمع الى ضمير مفرد لانه يعود الى واحد
اريد به الكثرة وهو ما تركبون قال الجوهري تفيئت الظلال اي تقلبت وقوله عن اليمين والشمائل قال اهل التفسير ومنهم الفراء انه وحد
اليمين لانه اراد واحدا من ذوات الاظلال وجمع الشمائل لانه اراد كلها لان قوله ما خلق الله لفظه مفرد ومعناه جمع وقيل ان العرب اذا ذكرت صيغتي جمع عبرت
عن احدهما بلفظ الواحد كقوله وجعل الظلمات والنور ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وقيل المراد باليمين النقطة التي هي مشرق الشمس وانها واحدة والشمائل
عبارة عن الانحراف الواقع في تلك الاظلال بعد وقوعها على الارض وهي كثيرة وانما عبر عن المشرق باليمين لان اقوى جانبي الانسان يمينه ومنه تظهر الحركة
القوية وكذا جانب المشرق اقوى جوانب الفلك ومنه تظهر الحركة اليومية التي هي اسرع الحركات واقواها ويمكن ان يقال ان الانسان اذا توجه الى المشرق الذي
هو اقوى الجوانب لاعتبار شرفه كان الجنوب يمينه والشمال شماله ولا ريب ان وصول الشمس الى فلك نصف النهار يختلف بحسب البلاد وقد يتفق انتقالها
من الجنوب الى الشمال وبالعكس في بلد واحد واذا كان عرضه ناقصا عن الميل الكلي ومن المعلوم ان الشمس حين وصولها الى نصف النهار ان كانت في
جنوب سمت الراس وقع ظلها الى جانب الشمال وان كانت في شماله وقع ظلها الى الجنوب فيحتمل ان يراد بتفيؤ الاظلال تقلبها فيما بين الجهتين و
الله اعلم اما قوله سجدا لله فانه حال من الظلال ومعنى سجودها انقيادها لامر الله منتقلة من جانب الى جانب حسب ما قدرها الله سبحانه على قوانين مخصوصة و
مقادير معلومة ذكرنا بعضها في كتبنا النجومية وقد بنى المتأخرون على الاظلال مسائل كثيرة منها الشكل الموسوم بالظلي مع فروعه وقد ذكر بعضهم في
تفسير هذا السجود ان هذه الاظلال واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد وقوله وهم داخرون حال اخرى من الظلال وانما جمع بالواو والنون
لانهم اشبهوا العقلاء من حيث طاعتها لله سبحانه وقال جار الله اليمين والشمائل استعارة عن يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اي ترجع الظلال
من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام في انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع ولله
يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة قال الاخفش اي من الدواب واخبر بالواحد كما يقول ما اتاني من رجل مثله وما اتاني من الرجال و
قال ابن عباس يريد كل ما دب على الارض والوجه في تخصيص الدابة والملائكة بالذكر انه علم من بيان الظلال ان الجمادات باسرها منقادة لله فبين في هذه
الآيات الحيوانات باسرها ايضا كذلك ثم عطف عليها الملائكة اما لشرفها واما لانها ليست مما يدب ولكنها تطير بالجناحين وبين النوعين مغايرة
لقوله وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه وعلى قاعدة الحكماء وجه المغايرة انها ارواح مجردة ليست من شأنها الحركة والدبيب قال جار الله
من دابة يجوز ان يكون بيانا لما في السموات وما في الارض جميعا على ان في السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسي في الارض وان يكون بيانا
لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح وان يكون بيانا لما في الارض وحده ويراد بما في السموات الملائكة خصوصا من بين
الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما في السموات الملائكة ويقول فقال ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم انتهى كلامه ثم شرع سبحانه
في صفة الملائكة وذكر عصمتهم فقال لهم وهم لا يستكبرون يخافون على انه حال منهم او بيان لنفي استكبارهم لان الخوف اثر عدم الاستكبار
وقوله من فوقهم اما ان يتعلق بيخافون والمعنى يخافون ربهم ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم واما ان يكون حالا من الرب اي يخافونه غالبا
قاهرا وبحث الفوقية قد تقدم في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وزعم بعض الطاعنين في عصمة الملائكة انه تعالى وصفهم بالخوف
وحصول الخوف يشعر بتجويز الاقدام على الذنوب وهب انهم فعلوا كل ما امروا به فمن اين علم انهم تركوا كل ما نهوا عنه والجواب عن الاول انهم انما
يخافون من العذاب لقوله تعالى اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم فهذا الخوف يكون قبل الذنب وعن ابن عباس ان هذا الخوف خوف الاجلال
كقوله انما يخشى الله من عباده العلماء ولا ريب انه كلما كانت معرفة جلال الله اتم كانت الهيبة والحيرة اعظم وعن الثاني ان النهي عن الشيء امر بتركه في
الآية دلالة على ان ابليس لم يكن من الملائكة لانه ابى واستكبر وانهم لا يستكبرون وقد يستدل بها على ان الملك افضل من البشر بل من كل المخلوقات
والا لما خصهم بالذكر من بينها ولخلو بواطنهم وظواهرهم عن الاخلاق الذميمة وانغماس البشر في الدواعي الشهوية والغضبية ولهذا ورد في حقهم قتل
الانسان ما اكفره وقال ما علمنا الا من قد عصى او هم بمعصية غير يحيى بن زكريا وقال ايضا الشيخ في قومه كالنبي في امته فضل الشيخ على الشاب لتقادم
عهده وطول مدته ولا شك ان الملائكة خلقوا قبل البشر بسنين متطاولة ودهور متمادية وانهم سنوا الطاعة والعبودية ومن سن سنة حسنة
فله اجرها واجر من عمل بها وتمام البحث في هذه المسئلة مذكور في اول سورة البقرة وفي قوله ما يؤمرون دلالة على ان الملائكة مكلفون بالامر
والنهي والوعد والوعيد راجين خائفين ولما بين ان كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي
عن الشرك فقال وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فسئل ان التثنية والواحد حيث كانا يدلان على العدد الخاص فما



الفائدة في وصف الهين باثنين ووصف اله بواحد واجيب بوجوه منها قول صاحب النظم ان فيه تقديما وتأخيرا اي لا تتخذوا اثنين الهين
ومنها ان تكرير العبارة لاجل المبالغة في التنفير عن اتخاذ الشريك ومنها قول اهل المعاني ان فائدة الوصف البيان هي ان يعلم ان النهي
راجع الى التعدد لا الى الجنسية ولهذا لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد سبق الى الوهم انك تثبت الالهية لا الوحدانية وكيف لا يحتاج
المقام الى التوكيد والاثنينية منافية للالهية لاستلزام تعدد الواجب كون كل منهما مركبا من جزئين ما به الاشتراك في الوجوب الذاتي
وما به الامتياز ولكن التركيب يوجب الافتقار الى البسائط والافتقار ينافي الوجوب ودليل التمانع ايضا يعين على المطلوب كما لو اراد احدهما تحريك
جسم معين واراد الآخر تسكينه او قوي احدهما على مخالفة الآخر ولا يقوى او قدر احدهما على ان يستر ملكه عن الآخر ولا يقدر ثم نقل الكلام عن الغيبة
الى التكلم على طريقة الالتفات قائلا فاياي فارهبون وقد مر مثله في اول البقرة ثم اثر وحدته وانه يجب ان يخص بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر
ان الكل ملكه وملكه فقال وله ما في السموات وما في الارض فقالت الاشاعرة ليس المراد من كونها لله انها مفعولة لاجله والغرض طاعته لان فيها المباحات
والمحظورات التي يؤتى بها لغرض الشهوة واللذة لا لغرض الطاعة فالمراد ان كلها بتخليقه وتكوينه ومن جملة تلك الاشياء افعال العباد ثم قال وله الدين واصبا
فالدين الطاعة والواصب الدائم ومفازة واصبة بعيدة لا غاية لها وقيل للمريض وصب لكون ذلك المرض لازما له وانتصابه على الحال والعامل
فيه ما في الظرف من معنى الفعل قال ابن قتيبة ليس من احد يدان له ويطاع الا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة او الموت الا الحق سبحانه فان طاعته
واجبة ابدا ويحتمل ان يكون الدين بمعنى الملك اي وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمي تكليفا او وله الجزاء سرمدا لا يزول يعني الثواب
والعقاب قال بعض المتكلمين المحققين قوله وله ما في السموات والارض اشارة الى احتياج الكل اليه في حال حدوثه وقوله وله الدين اي
الانقياد واصبا اشارة الى ان جميع الممكنات مفتقرة الى فيضه وجوده في حال وجوده لان الصحيح ان الممكن حال بقائه لا يستغني عن المرجح ثم انكر ان
يكون الممكن مع شدة افتقاره اليه يخشى غيره فقال افغير الله تتقون ثم من عليهم بقوله وما بكم من نعمة فمن الله يعني الذي بكم وصلته ومن نعمة بيان
من الضمير في الجار او بيان لما وقوله فمن الله الخبر وقيل ما شرطية وفعل الشرط محذوف اي وما يكن وقال جار الله معناه اي شيء حل بكم او اتصل بكم
من نعمة فهو من الله قال الاشاعرة افضل النعم نعمة الايمان والآية تفيد العموم فهو من نعم الله والنعمة اما دينية وهي معرفة الحق لذاته ومعرفة الخير لاجل
العمل به واما دنيوية نفسانية او بدنية او خارجية كالسعادات المالية وغيرها وكل واحد من هذه جنس تحتها انواع لا حصر لها والكل من الله
فعلى العاقل ان لا يشكر الا اياه ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله قائلا ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون ما تتضرعون
الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون قال جار الله يجوز ان يكون الخطاب
للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد قلت
والظاهر الوجه الاول والمعنى ان فريقا منكم يبقى على مثل ما كان عليه عند الضر في ان لا يفزع الا الى الله وفريقا ينتقل عن حاله فيشرك بالله
ولعل هذه صفة لازمة لجوهر الانسان ولهذا قال ليكفروا كانهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة ويجوز ان يكون لام العاقبة اي تلك التضرعات
ما كانت الا لهذا الكفران والمراد بقوله بما آتيناهم كشف الضر وازالة المكروه او القرآن والشرائع او جميع النعم الظاهرة والباطنة التي انعم الله على
الانسان ثم قال على سبيل التهديد بطريقة الالتفات نظرا الى اول الكلام فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة كفركم ومثله في الروم كما يجيء واما
في العنكبوت فانه قال ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا بالعطف على القياس ثم حكى نوعا آخر من قبائح اعمال بني آدم فقال ويجعلون لما لا يعلمون
الضمير الاول للمشركين والثاني قيل لهم وقيل للاصنام التي لا توصف بالعلم والشعور ورجح الاول بان نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز
وبان جمع السلامة بالعقلاء اليق وقد يرجح الثاني بان الاول يفتقر الى الاضمار كما لو قيل ويجعلون لما لا يعلمون في طاعته نفعا ولا في الاعراض
عنه ضرا وقال مجاهد يعلمون ان الله خلقهم ويضرهم وينفعهم ثم يجعلون لما لا يعلمون انه يضرهم نصيبا او ويجعلون لما لا يعلمون الهيتها
او السبب في صيرورتها معبودة والمراد بجعل النصيب ما مر في الانعام في قوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا وقيل البحيرة والسائبة
والوصيلة والحامي عن الحسن وقيل هم المنجمون الذين يوزعون موجودات هذا العالم على الكواكب السبعة فيقولون لزحل كذا وكذا من المعادن
والنبات والحيوان وللمشتري كذا الى آخر الكواكب ثم اوعدهم الله بقوله تالله لتسألن عما كنتم تفترون على الله من ان له شريكا وان الاصنام اهل
للتقرب اليها مع انه لا شعور لها بشيء اصلا او المراد بالافتراء قولهم هذا حلال وهذا حرام من غير اذن شرعي وقولهم ان لغير الله تأثيرا في هذا
هذا العالم ومتى يكون هذا السؤال قيل عند القرب من الموت ومعاينة ملائكة العذاب وقيل في القبر والاقرب انه في الآخرة وهذا في هؤلاء
الاقوام خاصة كقوله فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون في الامم عامة قوله ويجعلون لله البنات نوع آخر من القبائح وكانت خزاعة
وكنانة تقول الملائكة بنات الله قال الامام فخر الدين الرازي اظن ان ذلك لان الملائكة يستترون عن العيون كالنساء ومنه اطلاق التأنيث
على الشمس لاستتارها عن ان يدرك بالابصار لضوئها الباهر ونورها القاهر سبحانه تنزيه لذاته عن نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم ومحل
ما في قوله ولهم ما يشتهون اما الرفع على الابتداء او النصب اي وجعلوا لهم ما يشتهون يعني البنين ولم يرتض الزجاج جواز النصب قال لان العرب
تقول جعل له كذا وهو يعني نفسه انما تقول جعل لنفسه كذا فلو كان منصوبا لقيل ولانفسهم ما يشتهون ثم ذكر غاية كراهتهم للاناث التي جعلوها

في قوله وما بكم ... (marginal note, partly illegible)

وجه ... الشمس (marginal note, partly illegible)

النحل

فيزيد الوجه

الله تعالى فقال وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ اي صار مُسْوَدًّا ويحتمل ان يكون استعمل ظل لان وضع الحمل يتفق بالليل غالبا فيظل نهاره
مسود الوجه وَهُوَ كَظِيمٌ مملوّ غمًّا وحزنا وغيظا على المرأة قال اهل المعاني جعل اسوداد الوجه وهو كظيم كناية عن الغم والكآبة لان الانسان اذا قوي
فرحه انبسط الروح من قلبه ووصل الى الاطراف ولا سيما الى الوجه لما بين القلب والدماغ من التعلق الشديد فاستنار الوجه واشرق واذا قوي
غمه انحصر الروح في داخل القلب ولم يبق منه اثر قوي على الوجه فلذلك يصفر ويسود يَتَوَارَى يستخفي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ من اجل سوء
المبشر به ولم يظهر اياما يحدث نفسه ويدبر فيها ماذا يصنع بها وذلك قوله أَيُمْسِكُهُ اي يمسكه عَلَى هُونٍ ذل وهوان والظاهر ان هذا صفة المولود اي
يمسكها على هوان منه لها وقال عطاء عن ابن عباس انه صفة للاب اي يمسكها مع الرضا بهوان نفسه أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ اي يئدها والدس اخفاء الشيء
في الشيء ولهذا ذكر الضمير في يمسكه ويدسه اعتبارا بما بشر به كانوا مختلفين في قتل البنات فمنهم من يحفر الحفيرة ويدفنها الى ان تموت ومنهم من يرميها من
شاهق جبل ومنهم من يغرقها ومنهم من يذبحها وكانوا يفعلون ذلك تارة للغيرة والحمية واخرى خوفا من الفقر والفاقة ولزوم النفقة روي ان
رجلا قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما اجد حلاوة الاسلام وقد كانت لي في الجاهلية ابنة وامرت امرأتي ان تزينها فاخرجتها فلما انتهيت الى
واد بعيد القعر القيتها فقالت يا ابت قتلتني فكلما ذكرت قولها لم ينفعني شيء فقال صلى الله عليه وسلم ما في الجاهلية فقد هدمه الاسلام وما في الاسلام يهدمه الاستغفار ولا ريب
ان الانثى التي هذا محلها عندهم كانت في غاية الكراهة والتنفير ومع ذلك اثبتوها لله تعالى عن الصاحبة والولد فلذلك قال أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ولهذا يقدمون على القتل والايذاء مَثَلُ السَّوْءِ وصفة السوء وهي الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن
خشية الاملاق والتزام الشح البالغ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وهو اضداد صفات المخلوقين من الغنى الكامل والجود الشامل وَهُوَ الْعَزِيزُ الذي لا يغالب فلا
ينتصر بان ينسب اليه ما لا يليق به الْحَكِيمُ في خلق الذكور والاناث وفي الوعيد على قتل البنات قال القاضي ان هؤلاء المشركين استحقوا الذم باضافة
البنات الى الله والذم اسهل من اضافة الفواحش والقبائح كلها اليه وهذا شأن المجبرة واجابت الاشاعرة بانه ليس كل ما قبح منا في العرف فانه يقبح من الله
الا ترى ان رجلا لو زين اماءه وعبيده وبالغ في تحسين صورهن وتقوية الشهوة فيهم وفيهن ثم جمع بين الكل وازال الحائل والمانع فان هذا بالاتفاق
حسن من الله تعالى وقبيح من كل الخلق فعلمنا ان التعويل على هذه الوجوه المبنية على العرف انما يحسن اذا كانت مسبوقة بالدلائل القطعية اليقينية
وقد ثبت بالبراهين القطعية امتناع الولد على الله تعالى فلا جرم حسنت تقويتها بهذه الوجوه الاقناعية اما افعال العباد فقد ثبت بالدلائل اليقينية ان
خالقها هو الله تعالى فكيف يمكن الحاق احد الصورتين بالاخرى والله اعلم التأويل أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ ارض البشرية ودركات السفلى أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ بالمكر
والاستدراج مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ اذ من بين ايديهم من قبل الاعمال الدنيوية او من قبل الاعمال الاخروية او يأخذهم في تقلبهم من اعمال الدنيا الى اعمال
الاخرة بالرياء او من اعمال الاخرة الى اعمال الدنيا بالهوى أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ تنقص من مقاماتهم ودرجاتهم بلا شعورهم فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ
بالعباد اذ اعطاهم حسن الاستعداد رحيم حين لا يأخذهم بعد فساد الاستعداد في الحال لعلهم يتوبون في المآل فيقبل توبتهم بالفضل والطول
ما خلق الله من شيء وهو عالم الاجسام فان عالم الارواح خلق من لا شيء يتفيؤ ظلاله فان الاجسام ظلال الارواح فتارة يميل بعمل السعادة الى اصحاب
اليمين واخرى يميل بعمل اهل الشقاوة الى اصحاب الشمال سُجَّدًا لِلَّهِ منقادين لامره وَهُمْ دَاخِرُونَ للخلقة الاجلية وانما وحد اليمين وجمع الشمال لكثرة اصحاب
الشمال ويسجد كل موجود بلسان حاله كما ان تسبيح كل منهم بلا لسان وقال الله لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ اراد بالاله الاخر الهوى لقوله صلى الله عليه وسلم ما عبد اله
ابغض على الله من الهوى وَيَجْعَلُونَ يعني اصحاب النفوس والاهواء لِمَا لَا يَعْلَمُونَ لمن لا علم لهم باحوالهم نَصِيبًا بالرياء مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ من الطاعات تَاللَّهِ
لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ والسؤال عن المعاملات انما هو بتبديل الصفات وتغير الاحوال من سمة السعادة الى سمة الشقاوة وبالعكس وَيَجْعَلُونَ
لِلَّهِ الْبَنَاتِ اظن ان البنات اشارة الى صفات فيها نوع نقص كالتجسيم والتشبيه والحلول والاتحاد ونسبته الى الظلم والجور والتعطيل
وعدم الاستقلال بالتأثير وغير ذلك مما لا يليق بغاية جلاله ونهاية كماله فلهذا قال سبحانه وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ يعني ان كل احد يحب ان يوصف
بغاية الكمال ويتغير وجهه اذا نبه على عيب فيه ولا يعلم ان مطلق الكمال لا يليق الا بالواجب لذاته ونقص الامكان نقصان يستلزم جميع النقصانات

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ

و اگر مؤاخذه کند خدا ... هیچ جنبنده و لیکن باز پس میدارد ایشانرا تا وقتی نام برده شده پس چون آید اجل ایشان باز پس نشوند

سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا جَرَمَ

ساعتی و پیش نیفتند ... و میگردانند ... و وصف میکند ... دروغ را که مر ایشانراست ...

أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ ۝ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ

... بخدا که بتحقیق فرستادیم ... پیش از تو پس آراسته کرد برای ایشان ... کردارهای ایشانرا پس او

وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً

... و نفرستادیم بر تو ... مگر برای آنکه بیان کنی ... اختلاف کردند در آن و هدایت و رحمت

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ

مر قومی را که ... و خدا فرو فرستاد از آسمان ... هر آینه در این نشانیست مر قومی را که میشنوند

وَاِنَّ لَكُمْ فِي الْاَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ
و بدرستیکه برای شما در چهارپایان عبرتی است می نوشانیم شما را از آنچه در شکمهای آنها است از میان سرگین و خون شیری خالص گوارا مر آشامندگان را

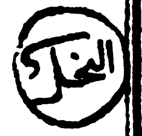
وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْاَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
و از میوه های درخت خرما و انگورها میگیرید از آن شکری و روزی خوب را بدرستیکه در آن هر آینه آیتی است مر گروهی را که در می یابند بعقل

وَاَوْحٰى رَبُّكَ اِلَى النَّحْلِ اَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
و وحی فرستاد پروردگار تو بزنبور عسل که بگیر از کوهها خانها و از درخت و از آنچه بنا میکنند پس بخور از همه میوها

فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ اَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ اِنَّ فِي ذٰلِكَ لَاٰيَةً
پس برو در راههای پروردگار خود رام شده بیرون می آید از شکمهای آن شربتی که مختلف است رنگهای آن در وی شفاست مر مردمان را بدرستیکه در آن هر آینه آیتی است

لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَاللّٰهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفّٰيكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ اِلٰى اَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا اِنَّ اللّٰهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ
مر جمعی را که فکر میکنند و خدا آفریده شما را پس میمیراند شما را و از شما کسی است که رد کرده میشود بسوی فروترین عمر تا نداند بعد از دانستن چیزی را بدرستیکه خدا دانای توانا است

القراءة لا جرم في المد مثل لا ريب فيه مفرطون بكسر الراء المشددة يزيد مفرطون بكسر الراء المخففة نافع وقتيبة الباقون بفتحها مخففة نسقيكم
بفتح النون نافع وابن عامر وسهل ويعقوب وابو بكر وحماد الآخرون بضمها الوقوف مستمع للظرف مع الفاء ولا يستقدمون ه الحسنى ط وقيل على لا تم
ابتداء بجرم وهو تكلف مفرطون ه اليم ه فيه لا للعطف على موضع لتبين تقديره الا تبيانا وهدى يؤمنون ه موتها ط يسمعون ه لعبرة ط لانه لو وصل
اشتبه ما بعده بالوصف للشاربين ه حسنا ط يعقلون ه يعرشون ه للعطف للانه للعدول للناس ط يتفكرون ه شيئا ط قدير ه التفسير لما حكى عن
القوم عظيم كفرهم وقبيح قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته حيث انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم الآية فزعم بعض
الطاعنين في عصمة الانبياء انه اضاف الظلم الى ضمير الناس والانبياء من جملة الناس فوجب ان يكونوا ظالمين عاصين ويؤكد هذا قوله ما ترك
عليها من دابة فانه لولا صدور من الانبياء ذنب لم يكن لافنائهم وجه وح لم يصدق انه لم يبق على الارض واحد والجواب لا نم عموم الناس في الآية
لقوله سبحانه في موضع آخر فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات ولا ريب ان المقتصدين والسابقين ليسوا ظالمين فاذن
المراد بالناس اما كل العصاة الذين استحقوا العقاب والذين تقدم ذكرهم من المشركين واما قوله من دابة فعن ابن عباس انه اراد من مشرك
يدب عليها نظيره قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولو سلم ان المراد بها كل من يدب عليها فلعل الهلاك انما حق الظلمة يكون
عذابا وفي غيرهم امتحانا فقد وقعت هذه الواقعة في زمان نوح ع وايضا من المعلوم انه لا احد الا وفي آبائه من يستحق العذاب فلو اهلكوا لبطل
نسلهم ولادى الى فناء الناس بل الدواب كلها لان الدواب مخلوقة لمنافع العباد ومصالحهم عن ابي هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر
الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن ادم وقيل لو يؤاخذهم لانقطع
وفي انقطاعهم انقطاع النسل وفي انقطاع النسل فناء الدواب قالت المعتزلة في الآية دلالة على ان الظلم والمعاصي ليست من افعال الله تعالى والا لم
يؤاخذهم بها فرضا ولم يضف الظلم اليهم ولم يذمهم على ذلك ح في قوله بظلمهم دليل على ان الظلم هو المؤثر في العقاب فاقتضى كونه علة وجواب
الاشاعرة معلوم وهو انه لا يسئل عما يفعل وايضا المعارضة بالعلم والدواعي ووجوب انتهاء الكل اليه قال بعض الاصوليين الاصل في المضار
الحرمة لان الضرر لا يجوز ان يكون مشروعا ابتداء بالاجماع ولقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله بكم اليسر ولقوله ص لا ضرر ولا ضرار
في الاسلام ملعون من ضر مسلما ولا ان يكون مشروعا على وجه يكون جزاء عن جرم سابق بهذه الآية لان كلمة لو وضعت لانتفاء الشيء لانتفاء غيره
فالآية تقتضي انه تعالى ما اخذ الناس بظلمهم وانه لم يترك على ظهرها دابة كما هو المشاهد واذا ثبت هذا الاصل فنقول اذا وقعت حادثة مشتملة على المضار
فان وجدنا نصا على كونها مشروعة قضينا به لتقدم الخاص على العام والا قضينا عليها بالحرمة بناء على هذا الاصل ولقائل ان يقول لم لا يجوز
ان يكون الضرر مشروعا على وجه يقع جزاء عن جرم سابق والآية لا تنافي ذلك لانها لا تدل الا على انه سبحانه لا يؤاخذ بكل ظلم اما على انه
لا يؤاخذ ببعض انواع الظلم فلا دليل قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ومنهم من قال بناء على القاعدة المذكورة
ان كل ما يريده الانسان وجب ان يكون مشروعا في حقه لان المنع منه ضرر والضرر غير مشروع وكل ما يكرهه الانسان لزم ان يكون محرما
لان وجوده ضرر وانه غير مشروع فالذي يتمسك به في اثبات الاحكام من القياس اما ان يكون على وفق هذه القاعدة او على خلافها والاول
باطل لان هذا الاصل يغني عنه وكذا الثاني لان النص راجح على القياس ولقائل ان يقول توارد الادلة على المدلول الواحد غير ممتنع اما قوله
ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى فعن ابن عباس في رواية عطاء انه يريد اجل القيامة لان معظم العذاب يوافيهم يومئذ وقيل اراد منتهى العمر لان المشركين
يؤاخذون بالذنوب اذا خرجوا من الدنيا وباقي الآية قد مر تفسيرها في اوائل سورة الاعراف واعلم انه سبحانه قال في هذه السورة ما ترك عليها
من دابة وفي سورة الملائكة ما ترك على ظهرها فالهاء كناية عن الارض ولم يتقدم ذكرها ههنا والعرب يجوز ذلك في كلمات مخصوصة بين يدي
كل متكلم وسامع منها الارض والسماء فلان افضل من عليها واكرم من تحتها ومنها الغداة انها اليوم باردة ومنها الاصابع يقولون والذي شقهن خمسا



من واحد يعني الاصابع من اليد وانما لم يذكر الظهر في هذه السورة لئلا يلتبس بظهر الارض وكثيرا ما يستعمل الظهر بمعنى الدابة بخلاف سورة الملائكة
فانه قد تقدم ذكر الارض في قوله اولم يسيروا في الارض وفي قوله في الارض فلم يمكن ان يلتبس ويمكن ان يقال ههنا ظلمهم انما يقع على ظهرها وحين
قال هنالك بما كسبوا فانه يظهر ظهرها احترازا عن الجمع بين الظائين لانها تثقل في الكلام وليست لاقوم الامم مع العرب فلم يجمع بينهما في شطرين وا
ثم عاد الى حكاية كلماتهم الحمقاء فقال ويجعلون لله ما يكرهون لانفسهم من البنات ولا يبعد ان يندرج فيه سائر ما يكرهون من الشركاء في
الرياسة ومن الاستخفاف والتهاون برسلهم ورسالاتهم وانهم يجعلون اراذل اموالهم لله واكرمها للاصنام عن بعضهم انه قال لرجل من ذوي اليسار
كيف يكون يوم القيمة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا
ما دفع الي فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له اما تستحيي من ذلك الموقف ثم قال وتصف السنتهم الكذب قال الفراء والزجاج ابدل منه
قوله ان لهم الحسنى عن مجاهد ان الحسنى البنون كانت قريش يقولون لله البنات ولنا البنون وقال غيره هي الجنة اي انهم مع جعلهم لله ما يكرهون
وحكموا لانفسهم بالجنة والثواب من الله وانهم يفوزون برضوان الله بسبب هذا القول زعما منهم انهم على الدين الحق والمذهب الحسن كيف
يحكمون بذلك وكانوا منكرين للقيمة الجواب انه كان فيهم من يقر بالبعث ولذلك كانوا يربطون البعير على قبر الميت ويتركونه الى ان يموت ضنا
منهم ان الميت اذا حشر فانه يحشر معه مركوبه ويعتقدون انهم كانوا منكرين فلعلهم قالوا ان كان محمد صادقا في دعوى الحشر والقيمة فانه يحصل
لنا الجنة والثواب بسبب هذا الدين الحق الذي نحن عليه نظيره ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ومن الناس من يجعل هذا القول لانه تعالى رد
عليهم بعد ذلك بقوله لا جرم ان لهم النار قال الزجاج لا رد لقولهم اي ليس الامر كما وصفوا جرم اي كسب ذلك القول ان لهم النار فان مع ما بعده
في محل النصب لوقوع الكسب عليه وقال قطرب ان في موضع رفع والمعنى حق بان لهم النار وانهم مفرطون من قرأ بكسر الراء المخففة فهو من
الافراط في المعاصي وفي الافتراء على الله وجوز ابو علي الفارسي ان يكون من افرط اي صار ذا فرط مثل اجرب اي صار ذا جرب ومن قرأ بفتحها مخففة
فهو من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته فالمعنى انهم متروكون في النار منسيون ومن قرأ بكسر الراء المشددة فهو من التفريط في الطاعات و
من قرأ بفتح المشددة فمن فرطته في طلب الماء اذا قدمته وجاء افرطته بمعناه ايضا فالمراد انهم يقدمون الى النار ويعجلون اليها ثم بين سبحانه ان مثل
صنيع قريش قد صدر عن سائر الامم فقال تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك اي رسلا فزين لهم الشيطان اعمالهم قالت المعتزلة لو كان
خالق الاعمال هو الله تعالى فاي معنى لتزيين الشيطان ومن اين وجه توجه عليه اللوم وان خالق ذلك العمل اجدر بان يكون وليا لهم من الداعي
اليه واجيب بان الوسائط معتبرة وانتهاء الكل اليه ضروري قال جار الله فهو وليهم اليوم حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان
اعمالهم فيها والمراد فهو وليهم اي قرينهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا او اليوم عبارة عن يوم الاخرة الذي يعذبون فيه
في النار فهو حكاية للحال الاتية والولي الناصر اي هو ناصرهم يوم القيمة فقط والمراد نفي الناصر عنهم على ابلغ الوجوه لان الشيطان لا يتصور
منه النصرة اصلا واذا كان الناصر منحصرا فيه لزم ان لا ينصره بالضرورة قال ويجوز ان يرجع الضمير في وليهم الى مشركي قريش وانه زين للكفار
قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي فهو ولي امثالهم اليوم ثم ذكر سبحانه انه ما اهلك من هلك الا بعد
اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه كالشرك والتوحيد والجبر والقدر والاقرار بالبعث والانكار
له وكتحريم الاشياء المحللة كالبحيرة والسائبة وتحليل الاشياء المحرمة كالميتة والدم وهدى ورحمة انتصبا على انهما مفعولا لهما ولا حاجة الى اللام
لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل بخلاف لتبين فانه فعل المخاطب لا فعل المنزل ولهذا دخل عليه اللام قال الكلبي وصف القرآن بكونه هدى ورحمة
لقوم يؤمنون لا ينافي كونه كذلك في حق الكل وخص المؤمنون بالذكر من حيث انهم قبلوه وانتفعوا به كما اخذ الكلام في وعيد الكفار عاد الى تقرير الا
لهية فقال والله انزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها وفي العنكبوت من بعد موتها لان هنالك سؤال تقرير والتقرير يحتاج الى التحقيق
فقيد الظرف بمن للاستيعاب وايضا حذف من في هذه السورة موافقة لقوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا وانما حذف من هنا بخلاف ما في
الحج لان اجمال الكلام في هذه السورة فقال والله خلقكم ثم يتوفاكم واطنب في الحج فقال خلقناكم من تراب ثم من نطفة فاقتضى الايجاز الحذف في هذه وفي الحج
الاثبات ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تامل وتدبر فان من لم يسمع تدبر انه كانه اصم ثم استدل بعجائب احوال الحيوانات فقال وان
لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه وفي سورة المؤمنين مما في بطونها فذكر النحويون ان الانعام من جملة الكلمات التي لفظها مفرد و
معناها جمع كالرهط والقوم والنعم فيجوز تذكيره حملا على اللفظ وتانيثه حملا على المعنى قال المبرد هذا شائع في القرآن قال تعالى فلما راى الشمس
بازغة قال هذا ربي بمعنى هذا الشيء الطالع وقال ان هذه تذكرة فمن شاء ذكره اي ذكر هذا الشيء وعد سيبويه الانعام في الاسماء المفردة
الواردة على افعال وجوز في الكشاف ان يكون تانيثه على انه تكسير نعم وقيل ان الانعام ههنا بمعنى النعم لان الالف واللام يلحق الاحاد بالجمع والجمع
بالاحاد فلهذا ذكره ولا شك ان هذا لا يقع جوابا عن التخصيص ولعل السر فيه ان الضمير في هذه السورة يعود الى البعض وهو الاناث لان اللبن لا يكون
للكل فالتقدير وان لكم في بعض الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه واما في المؤمنين فانه لما عطف عليها ما يعود على الكل ولا يقتصر على البعض وهو
قوله ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تاكلون وعليها وعلى الفلك تحملون لم يحتمل ان يكون المراد به البعض فانث ليكون نصا على ان المراد بها الكل وعن الكلبي عن ابي صالح عن ابن

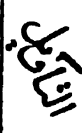


عباس انه قال اذا استقر العلف في الكرش صار اسفله فرثا واعلاه دما واوسطه لبنا خالصا فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الفرث كما
هو فذاك هو قوله تعالى من بين فرث ودم لبنا خالصا لا يشوبه الدم ولا الفرث وانكر الاطباء هذا القول لانه على خلاف الحس والتجربة اما الحس فلان
الانعام تذبح ذبحا متواليا وما رأى احد في كرشها دما ولا لبنا واما التجربة فلان الدم لو كان في اعلى المعدة والكرش كان يجب اذا قاء ان يقئ الدم وليس
كذلك بل الحق انه اذا تناول العلف حصل له في معدته او كرشه هضم اول فما كان منه صافيا انجذب الى الكبد وما كان كثيفا نزل الى الامعاء ثم
الذي يحصل في الكبد ينطبخ فيها ويصير دما وذلك هو الهضم الثاني ويكون مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية اما الصفراء فتذهب الى
المرارة والسوداء الى الطحال والماء الى الكلية ومنها الى المثانة واما ذلك الدم فانه يدخل في الاوردة وهي العروق النابتة من الكبد وهناك يحصل
الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم في تلك العروق الى الضرع والضرع لحم غددي رخو ابيض فيقلب الله الدم هناك الى صورة
اللبن وانما اختص هذا المعنى بالحيوان الانثى لان الحكمة الالهية اقتضت تدبير كل شيء على الوجه اللائق به والذكر من كل حيوان اسخن واخف
والانثى ابرد وارطب لان بدن الانثى يحتاج الى مزيد رطوبة ليصير مادة لتولد الولد ويتسع بدنها له ثم ان تلك الرطوبات التي كانت تصير
مادة لازدياد بدن الجنين حين كان في الرحم ينصب بعد انفصال الجنين الى الثدي ليصير مادة لغذاء الطفل واعلم انه تعالى خلق في اسفل المعدة
منفذا يخرج منه ثفل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء او شربة رقيقة انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا الى ان تكمل انهضامه في المعدة
وينجذب ما صفا منه الى الكبد ويبقى الثفل هناك ثم ينفتح ذلك المنفذ وينزل منه ذلك الثفل فهذا الانطباق والانفتاح بحسب الحاجة
وبقدر المنفعة فما الاتيان الا بتقدير الفاعل الحكيم وايضا انه اودع في الكبد قوة جاذبة للاجزاء اللطيفة التي في ذلك الماكول والمشروب
طالما كان طبخه ينقلب دما دون الاجزاء الكثيفة وفي المعدة بالعكس واودع في المرارة قوة جاذبة للزيادة المائية وتخصيص كل واحد من هذه
الاعضاء بفعله الخاص لا يمكن الا بتدبير العليم الخبير وكذا الكلام في انصباب مادة اللبن الى الثدي في وقت يحتاج الطفل الى الغذاء وتوزيعها
على جميع البدن في غير ذلك الوقت ثم انه تعالى احدث في حلمة الثدي ثقوبا صغيرة يخرج اللبن الخالص منها وقت المص والحلب فهي بمنزلة المصفاة للبن
يخرج اللطيف منها ويبقى الكثيف فبهذا الطريق يصير خالصا سائغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق حتى قيل انه لم يغص احد باللبن قط
من عجائب حال اللبن اجتماعه من اجسام مختلفة مع انها واحدة في الحس فمنها الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهي باردة رطبة ومنها الجبن
وهو بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى الهم الطفل الصغير مص الثدي عند انفصاله من الام وكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة
شاملة تامة وقدرة باهرة قال المحققون في تقليب العشب في هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سائغا دليل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان
في اطوار الى ان يصير مستعدا للبقاء الابدي واللقاء السرمدي قال جار الله من في مما في بطونه للتبعيض ومن في قوله من بين فرث لابتداء الغاية فهو
صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اي كائنا من بين كذا وكذا وانما قدم
لانه موضع العبرة فهو جدير بالتقديم قالت الشافعية ليس بمستنكر ان يسلك المني مسلك البول وهو طاهر كما يخرج اللبن من بين الفرث والدم
طاهرا اما قوله ومن ثمرات النخيل والاعناب اي ومن الاعناب فاما ان يتعلق بمحذوف اي ونسقيكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اي من عصيرها وحذف
لدلالة ما تقدم عليه فيكون قوله تتخذون منه بيانا وكشفا عن كنه حقيقة الاسقاء واما ان يتعلق بتتخذون فيكون قوله منه
تكريرا للظرف لاجل التاكيد نظيره قولك زيد في الدار فيها وانما ذكر الضمير في منه لانه يعود الى المذكور او الى المضاف المحذوف الذي هو العصير
كانه قيل ومن عصير ثمرات النخيل ومن عصير الاعناب تتخذون منه ويحتمل ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله وما منا الا
له مقام معلوم اي وما منا الا ملك فالتقدير ومن ثمرات النخيل ومن الاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم ياكلون بعضها و
يتخذون من بعضها السكر وهو الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا وعلى هذا التفسير ففي الاية قولان احدهما
ويروى عن الشعبي والنخعي انها منسوخة فان السورة مكية وتحريم الخمر نزل في المائدة وهي مدنية وثانيها انها جامعة بين العتاب والمنة وذكر المنفعة
لاهل الحرمة على ان في الاية تنبيها على الحرمة ايضا لانه ميز بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب في السكر ان لا يكون رزقا حسنا لا بحسب الشهوة بل
بحسب الشريعة هذا ما عليه الاكثرون وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو
حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر واحتج بان الاية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره في معرض الانعام والمنة ودل الحديث على ان الخمر حرام
لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيئا غير الخمر وكل ما ثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ ويحكى عن ابن الجبائي انه صنف كتابا
في تحليل النبيذ فلما اخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما يتقوى به قلبك فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته ايدي
الشيطان فقبح عندي المروات والاقدار وقيل السكر الطعم قاله ابو عبيدة وقيل السكر والرزق الحسن واحد كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق
حسن ومن عجائب احوال الحيوان حال النحل المناسب عملها والتشبيه للبن في موافقة اللذة في الخروج من البطن فلذلك قرنها بالذكر عقيب ذلك قوله
واوحى ربك بالالهام او بان نفث في روعها والهمها وعلمها على وجه هو اعلم به ولقد حق لغريب امرها وعجيب صنعها ان يطلق عليه لفظ الايحاء وذلك
انها تبني البيوت المسدسة من الاضلاع المتساوية التي لا يمكن العقلاء تركيب مثالها الا بالمساطر والفرجارات وقد علم من الهندسة ان



تلك البيوت لو كانت مشكلة بما سوى المسدسات فانه يبقى بالضرورة فيما بينها فرج خالية ضائعة فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الحكمة
الدقيقة من الاعاجيب ومن غرائب امرها ان لها رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويتبعون نصبه وامره ومنها انها اذا نفرت عن
وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا اعادتها الى وكرها ضربوا الطبول والملاهي وآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون
على ردها الى اوكارها وبالجملة فان غرائب هذا الحيوان اكثر من ان تحصى واشهر من ان تخفى والغرض ان امتياز هذا الحيوان بهذه الخواص
العجيبة الدالة على الذكاء والكياسة حالة تشبيهه بالوحي بمعنى الالهام قال الزجاج يجوز ان يقال سميت نحلا لان الله تعالى نحل الناس العسل بواسطتها
وهي مؤنثة في لغة اهل الحجاز ولذلك قال تعالى ان اتخذي وهي ان المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ومعنى من في قوله من الجبال بيوتا ومن
الشجر ومما يعرشون اي يبنون ويرفعون التبعيضية لانها لا تبني بيوتا في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولكنها تبني في مساكن توافقها وتليق
بها وكثيرا ما يتعهدها الناس ويصلح احوالها ثم كلي من كل الثمرات اي بعضا من كل ثمرة تشتهيها فاذا اكلتها فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك وفهمك في عمل العسل للاجمع ذللا وهو حال من السبل لان الله ذللها وسهلها عليها او من الضمير في فاسلكي اي وانت ذلك منقادة
لما امرت به غير ممتنعة او المراد فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا وهي اجوافك ومنافذ
ماكلك واراد انك اذا اكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكي راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد يحكى
انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد في طلب النجعة ويجوز ان يريد بقوله ثم كلي اقصدي اكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها
سبل ربك واعلم ان ظاهر قوله ان اتخذي ثم كلي فاسلكي امر ومن الناس من قال لا يبعد ان يكون لهذه الحيوانات عقول يتوجه بها عليها
من الله امر ونهي ومنهم من انكر ذلك وقال المراد انه سبحانه خلق فيها غرائز وطبائع توجب هذه الاحوال وتمام الكلام فيه سيجيء في سورة النمل اما حدوث
العسل من النحل فلا يصح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم على وجه يحدث في الهواء طل لطيف في الليالي ويقع على اوراق الاشجار فقد
يكون كثيرا يجتمع منها اجزاء محسوسة وهي الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا منفرقا على الاوراق والازهار وهو الذي الهم الله تعالى هذا النحل فيلتقط
تلك الذرات بافواهها وتاكلها وتغتذي بها فاذا شبعت التقطت مرة اخرى وذهبت بها ووضعتها في بيوتها ادخارا لنفسها فاذا اجتمع
في بيوتها شيء محسوس من تلك الاجزاء الطلية فذلك هو العسل ولا يبعد ان يحصل لتلك الاجزاء في افواهها نوع هضم وتغير ويصح لطخته فيها
فلذلك قال يخرج من بطونها اي من افواهها ومن الناس من زعم ان النحل تاكل من الازهار الطيبة والاوراق العطرة شيئا ثم انه تعالى تقلب
تلك الاجسام في داخل بدنها عسلا ثم انه يقي مرة اخرى فذلك هو العسل قال العقلاء والقول الاول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين
قريبة من العسل في الطعم والشكل ولا شك انه طل يحدث في الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا العسل وايضا النحل انما تتغذى
بالعسل ولهذا يترك منه بقية في بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله تعالى يخرج من بطونها شراب اي ما يشرب يعضد القول الثاني وقوله مختلف
الوانه اي منه ابيض واصفر واحمر واسود بحسب اختلاف الاماكن وامزجة النحل واختلاف الازهار والاعشاب التي ترعى فيها ثم وصفه بقوله فيه
شفاء للناس لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة ولهذا يقع في اكثر المعاجين وتنكير شفاء لتعظيم الشفاء الذي فيه او لان بعض
الشفاء فان كل شفاء ليس كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما
نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال قال اهل المعاني انه صلى الله عليه وسلم كان عالما
بانه سيظهر نفعه فلما لم يظهر حين قال كذب بطن اخيك حتى لم يظهر النفع في الحال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور
فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل واعلم انه سبحانه ختم الاية الاولى بقوله لقوم يسمعون لان انزال الماء من السماء واحياء الارض بسببه امر مشاهد
محسوس فمنكر ذلك فاقد الحس وانما خص بالذكر حس السمع لان لفظ القرآن المنبه على الاية منه مسموع وختم الاية الثانية بالعقل لانه يحتاج الى نوع تدبر
فالمعرض عنه فاقد العقل دون الحس وختم الثالثة بالتفكر لان امر النحل وقصتها العجيبة من انقيادها لاميرها واتخاذها البيوت على اشكال يعجز
عنها الحاذق منا ثم تتبعها الزهر والطل ثم خروج ذلك من بطونها لعابا او قيئا يقتضي فكرة بليغة ولما ذكر بعض عجائب احوال الحيوان اتبعه بخلق
الانسان فقال والله خلقكم ولم تكونوا شيئا ثم يتوفيكم عند انقضاء آجالكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى اخسه واحقره عن علي هو خمس
وسبعون سنة وعن قتادة تسعون سنة وقال السدي هو حالة الخرف ثم بين بقوله لكيلا يعلم بعد علم شيئا اي ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفل
في النسيان وعدم التذكر وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا او لا يستفيد زيادة علم على علمه وقيل ان الرد الى ارذل العمر ليس في المسلمين والمسلم
لا يزداد بسبب العمر الا كرامة على الله تعالى ونظير الاية قوله ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب
عمر الانسان في اربع اولها سن النشوء والنماء وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفي اليسير وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط
الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء واصحاب الطبيعي ان بدن الانسان مخلوق من المني ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة اذا
عملت في الجسم الرطب قللت رطوبته فلا يزال ما في هذين الجوهرين من قوة الحرارة يقلل ما في العضو من الرطوبة حتى يتصلب ويظهر العظم والغضروف
والعصب والوتر والرباطات وسائر الاعضاء ثم تكون البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من رحم الام وتكون رطوبته اكثر بعد

زائدة على حرارته فيكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو سن النمو وغايته الى ثلاثين سنة ثم تصير رطوبات البدن اقل ويكون وافية
بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا يكون زائدة على هذا القدر وهو سن الوقوف والشباب وغايته خمس سنين وبها يتم الاربعون ثم تقل
الرطوبات بحيث لا يكون وافية بحفظ الحرارة الغريزية ويظهر النقصان قليلا الى ستين في سن الكهولة ثم يظهر جدا الى تمام مائة وعشرين سنة
قال المتكلمون هذا التعليل ضعيف لان رطوبات البدن في حال كونه منيا ودما كانت كثيرة ولذلك كانت الحرارة الغريزية مغمورة ثم ان تلك الحرارة مع ذلك
كانت قوية على تحليل اكثر الرطوبات حتى نقلتها من حد الدموية والمنوية الى ان صارت عظاما وعصبا وغضروفا ورباطا فعند ما تولدت الاعضاء
وكمل البدن وقلت الرطوبات وجب ان تقوى الحرارة الغريزية قوة ازيد مما كانت قبل ذلك فوجب ان يكون تحليل الرطوبات بعد تولد البدن
وكماله اكثر من تحليلها قبل تولد البدن وليس الامر كذلك لانه قبل تولد البدن انتقل جسم الدم والمني الى ان صار عظاما وعصبا اما بعد تولد البدن
فلم يحصل مثل هذا الانتقال ولا عشر عشيره فعلمنا ان البدن انما يتولد بتدبير قادر حكيم لا لاجل ما قالوه ووجه آخر الحرارة الحاصلة في بدن
الانسان الكامل الغريزية اما ان يكون هي عين ما كان حاصلا في جوهر النطفة او صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزي الحاصل
في جوهر النطفة كان بمقدار جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه في هذا البدن تأثير اصلا واما الثاني ففيه تسليم ان الحرارة تتزايد
بحسب تزايد الجثة ولا ريب ان تزايدها يوجب تزايد القوة والصحة ساعة فساعة فيلزم ان لا ينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك ووجه
ثالث هب ان الرطوبة الغريزية صارت معادلة للحرارة الغريزية فلم قلتم ان الحرارة الغريزية يجب ان تصير اقل مما كانت حتى ينتقل الانسان من سن الشباب
الى سن النقصان قالوا السبب فيه انه اذا حصل هذا الاستواء فالحرارة الغريزية بعد ذلك تؤثر في تجفيف الرطوبة الغريزية فتقل الرطوبات الغريزية
حتى صارت بحيث لا تفي بحفظ الحرارة الغريزية واذا حصلت هذه الحال ضعفت الحرارة الغريزية ايضا لان الرطوبات الغريزية كالغذاء للحرارة
الغريزية فاذا قل الغذاء ضعف المغتذي فينتهي الامر الى ان لا يبقى من الرطوبة شيء لان الحرارة الغريزية توجب قلة الرطوبة الغريزية وقلتها
توجب ضعف الحرارة الغريزية فيلزم من ضعف احدهما ضعف الاخرى فتطفى الحرارة ايضا ويحصل الموت واورد عليهم ان الحرارة اذا اثرت في تجفيف
الرطوبة وقلتها فلم لا يجوز ان يورد القوة الغاذية بدلها فاجابوا بان القوة الغاذية لا تفي بايراد البدل قال الامام فخر الدين الرازي رادا عليهم ان
القوة الغاذية انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزية ضعيفة وذلك ممنوع وانما يكون الحرارة الغريزية ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزية
وانما يحصل هذه القلة اذا عجزت الغاذية عن ايراد البدل وهذا دور ومحال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبائع والقوى غير ممكن فيتعين
اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الآية بقوله ان الله عليم قدير يعلم مقادير المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما
الطبيعة فجاهلة عاجزة فلذلك لا شك ان نسبة هذه الامور الى محض الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق ولكن انكار القوى و
الطبائع ايضا بعيد عن الانصاف والحق انها وسائط وآلات لما فوقها من المبادي والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل وقد
ثبت عند الحكيم ان كل قوة جسمانية فانها متناهية الاثر فلا محالة تعجز القوة الغاذية آخر الامر عن ايراد بدل ما يتحلل فيحل الاجل بتقدير العليم القدير



التأويل ولو يؤاخذ الله النفوس الناسية بما ظلمت على القلوب والارواح ما ترك على ارض البشرية من صفة من صفات الحيوانية ولكن
يؤخر اهل السعادة الى اجلهم وفناء صفات النفس بصفاء القلب والروح في جنته ولقائه ويؤخر اهل الشقاء الى اوان العكس من ذلك في جهنم ويجعلون لله
ما يكرهون اي يعاملون الله باعمال ما يكرهون ان يعاملهم بها غيرهم وتسول لهم انفسهم ان تلك المعاملة حسنة والله انزل من سماء العزة
ماء بيان القرآن فاحيا به ارض قلوب الامم بعد موتها بالخذلان فهم على ابدانهم ان في ذلك لآية لقوم يسمعون كلام الله من الله وان لكم
في الانعام النفوس لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث الخاطر الشيطاني ودم الخاطر النفساني لبنا خالصا من الالهام الرباني سائغا
للشاربين جائزا لاهل هذا المشرب ومن ثمرات نخيل الطاعات واعناب المجاهدات تتخذون منه سكرا هو ما يحصل منها شرب النفس
فتسكر النفس فتارة تميل عن الحق والصراط المستقيم ميلان السكران وتارة تظهر رعوناتها بالافعال والاحوال رياء وسمعة وشهوة
والرزق الحسن ما يكون منه شرب القلب والروح فيزداد منه الشوق والمحبة والصدق والطلب شعر شربت الحب كاسا بعد كاس. فما نفد
الشراب وما رويت. واوحى ربك الى النحل اشارة الى حال السالك السائر ان اتخذي من الجبال بيوتا اراد الاعتزال عن الخلق والتبتل
الى الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحنث في غار حراء اسبوعا واسبوعين وشهرا ولابد ان يتنظف كما ان النحل يحترز عن التلوث وفيه ان نحل الارواح
اتخذت من جبال النفوس بيوتا ومن شجر القلوب ومما يعرشون من الاسرار ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك نظيره قوله كلوا من الطيبات
واعملوا صالحا فثمرات البدن الاعمال الصالحات وثمرات النفوس الرياضات ومخالفات الهوى وثمرات القلوب ترك الدنيا والتوجه الى
المولى وثمرات الاسرار شواهد الحق والتطلع على الغيوب والتقرب الى الله وهذه كلها اغذية نحل الارواح فانها بقوة هذه الاغذية تسلك
السبل الى ان تصل الى مقعد الصدق عند مليك مقتدر فيكون غذاؤها مكاشفات الحق ومشاهداته فتبيت عند ربها يطعمها ويسقيها يخرج من بطونها شراب
الحكم والمواعظ مختلف الالوان من المعاني والاسرار والدقائق والحقائق فيه شفاء للقلوب الناسية القاسية عن ذكر الله والله خلقكم اخرجكم من العدم الى الوجود
ثم يتوفيكم عن الوجود المجازي ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو مقام الفناء في الله لكيلا يعلم بعد علم شيئا بل يعلم بعلم ربه الاشياء كما هي والله اعلم بالصواب

وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ

و خدا افزونی داد شما را بر بعض در روزی پس نباشند آنانکه افزونی داده شدند برگردانند روزی شان بر آنچه مالک شد دستهاشان پس ایشان در آن برابرند

أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ

پس آیا بنعمت خدا انکار میکنند و خدا گردانید برای شما از جنس شما زنان و گردانید برای شما از جفتهای شما پسران و نوادگان و روزی داد شما را

مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا

از پاکیزها آیا بباطل میگروند و بنعمت خدا ایشان کفران مینمایند و می پرستند از غیر خدا آنچه مالک نمی باشد برای ایشان روزی

مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ضَرَبَ اللَّهُ

از آسمان و زمین چیزی را و نتوانند پس مزنید برای خدا مثلها را بدرستیکه خدا میداند و شما نمیدانید زد خدا

مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ

مثلی بنده مملوک که قادر نیست بر چیزی و کسیکه روزی دادیم از خود روزی خوبی پس او انفاق میکند از او پنهان و آشکارا آیا برابرند

الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ

ستایش مر خدا را بلکه بیشتر ایشان نمیدانند و زد خدا مثلی دو مرد که یکی از آن دو گنگ است که قادر نیست بر چیزی و او گرانست بر

مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَلِلَّهِ

صاحبش هر جا که متوجه میگرداندش نمی آورد خیری آیا یکسانست او و کسیکه میفرماید بعدالت و او هست بر راه راست و مر خدا راست

غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَاللَّهُ

نهانی آسمانها و زمین و نیست فرمان قیامت مگر چون نظر انداختن چشم یا آن نزدیکتر است بدرستیکه خدا بر هر چیزی توانا است و خدا

أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

بیرون آورد شما را از بطون مادرانتان که نمیدانستید چیزی را و گردانید برای شما گوش و دیدها و دلها تا شاید که شما شکر کنید

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ جَعَلَ

آیا ندیدند بسوی پرندگان رام شدگان در میان آسمان نگاه نمیدارد ایشان را مگر خدا بدرستیکه در اینها نشانهاست برای جمعی که ایمان می آورند و خدا گردانید

لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ

برای شما از خانهاتان آرامگاه و گردانید برای شما از پوستهای ستوران خانها که سبک می شمرید آنها را روز کوچ کردن و روز اقامت شما و از

أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ

پشمهای آنها و کرکهاشان و مویهاشان پوشش و فرش و مایه تجارت تا هنگامی و خدا گردانید برای شما از آنچه آفرید سایهها و

جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ

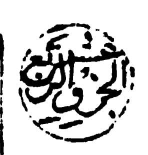
گردانید برای شما از کوهها خانهای پنهان و گردانید برای شما پیراهنها که نگاه میدارد شما را از گرما و پیراهنها که نگاه میدارد شما را از جنگ شما همچنین تمام میکند نعمت خود را

عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ

بر شما باشد که شما منقاد شوید پس اگر روگردانند پس نیست بر تو مگر رسانیدن آشکار میشناسند نعمت خدا را پس انکار میکنند و بیشتر ایشان کافرانند

القراءة يجحدون بتاء الخطاب ابو بكر وحماد الآخرون على الغيبة من بطون امهاتكم ونحوها بكسر الهمزة وفتح الميم علي امهاتكم بكسرهما حمزة الباقون بضم الهمزة وفتح الميم ألم تروا على الخطاب ابن عامر وحمزة وخلف وسهل ويعقوب ظعنكم بسكون العين عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر الباقون بفتحهما الوقوف في الرزق ج لاختلاف الجملتين مع الفاء سواء ط يجحدون ه من الطيبات ط يكفرون ه للعطف ولا يستطيعون ج لابتداء النهي مع فاء التعقيب الامثال ط لا يعلمون وجهرا ط هل يستوون ط الحمد لله ط لان بل للاعراض عن الاول لا يعلمون ه موليه لا لان الجملة بعد صفة احدهما بخير ط الوقف الى مستقيم لاتحاد الكلام والارض ط اقرب ط قدير ه شيئا للعطف والافئدة لا لتعلق لعلكم تشكرون ه السماء ط للفصل بين الاستخبار والاخبار الا الله ط يؤمنون ه اقامتكم لا لوقوع جعل على اثاثا الى حين ه بأسكم ط تسلمون ه المبين ه الكافرون ه التفسير لما بين خلق الانسان وتقلبه في اطوار مراتب العمر اراد ان يذكر طرفا من سائر احواله لعله يتذكر فقال والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ولا ريب ان ذلك امر مقسوم من قبل القسام والا لم يكن العاقل رخي البال والعاقل ردي الحال وليس هذا التفاوت مختصا بالمال وانما هو حاصل في الحسن والقبح والصحة والسقم وغير ذلك فكم رب ملك يقاد الجنائب بين يديه ولا يمكنه ركوب واحدة منها وربما احضرت الاطعمة الشهية والفواكه العطرة عنده ولا يقدر على تناول شيء منها وربما ترى انسانا كامل القوة صحيح المزاج شديد البطش ولا يجد ملء بطنه طعاما وللمفسرين في الآية قولان احدهما ان المراد تقرير كون السعادة والنحوسة والغنى والفقر بقسمة الله تعالى وانه جعل بعض الناس موالي وبعضهم مماليك وليس المالك رازقا للعبد وانما الرازق للعبد والمولى

ربع



هو الله فلا تحسبن الموالي المفضلون انهم يرزقون مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق وانما ذلك رزقي اطعم اجريته لهم على ايديهم وثانيهما ان المراد
الرد على من اثبت لله شريكا كالصنم وكعيسى فضرب له مثلا فقال انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت عليكم ولا تردون رزقكم عليهم حتى
تتساووا في المطعم والملبس فالفاء في قوله فهم فيه سواء للتعليل ولك ان تقول بمعنى حتى اي حتى يكون عبيدهم معهم سواء في الرزق فكيف رضيتم
ان تجعلوا عبيدي لي شركاء عن ابي ذر رضه انه سمع رسول الله صلعم يقول في العبيد انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده
بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت افبنعمة الله يجحدون وهي انه جعلهم موالي مفضلين لا عبيدا مفضولين يجحدون او جعل عدم التسوية
بينهم وبين عبيدهم من جملة جحود النعمة او جعل اعتقاد اهلية العبادة لغير الله كفرا بنعمة الله والجحود بمعنى الكفران فلذلك عداه بالباء قال ابو عبيدة
وابو حاتم قراءة الغيبة وهي الكبرى اولى لقرب المخبر عنه ولانه لو كان خطابا لكان ظاهره المسلمين وانهم لا يخاطبون بجحد نعمة الله البتة الحالة الاخرى من احوال
الانسان قوله عم طوله والله جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا ليكون الانس بها اتم ولا ريب ان تخليق الذكور والاناث مستند الى قدرة الله
وتكوينه والطبيعيون قد يذكرون له وجها قالوا ان المني اذا انصب الى الخصية اليمنى من الذكر ثم انصب منها الى الجانب الايمن من الرحم كان الولد
ذكرا تاما في الذكورة بناء على ان الذكر اسخن مزاجا وكذا الجانب الايمن وان انصب من الخصية اليسرى الى الجانب الايسر من الرحم كان الولد
تاما في الانوثية واذا انصب من اليمنى الى الايسر كان ذكرا في طبيعة الاناث وان كان بالعكس كان بالعكس قال الامام فخر الدين الرازي هذه
العلة ضعيفة فقد رأينا في النساء من كان مزاجه في غاية السخونة وفي الرجال من كان مزاجه في غاية البرودة وللقائل ان يقول الكلام في



المزاج الصنفي لا في المزاج الشخصي وهذا الامام لم يفرق بينهما فاعترض باحدهما على الاخر وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اصل الحفد
الاسراع في الخدمة والفاعل حافد والجمع حفدة فقيل المراد بها في الاية الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المراة من الزوج
الاول وقيل الخدم والاعوان وقيل البنون انفسهم لانهم الجامعون بين الامرين البنوة والخدمة وقيل الاولى دخول الكل فيه ثم ذكر انعامه عليهم
بالمطعومات الطيبة لان لذة المنكوح لا تتم الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او بعد الفراغ من تحصيل اسبابها ومن للتبعيض لان لذة كل
الطيبات لا يكون الا في الجنة ثم ختم الاية بقوله افبالباطل يؤمنون فقيل الباطل هو ما اعتقدوه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها ونعمة
الله ما عدد في الايات السابقة وقيل الباطل ما زين لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما احل لهم وانما قال ههنا وبنعمة الله
هم يكفرون وفي اخر العنكبوت وبنعمة الله يكفرون لان تلك الايات استمرت على الغيبة فلم يحتج الى زيادة ضمير الغائب واما الاية فقد سبق
مخاطبات كثيرة فلم يكن بد من ضمير الغائب المؤكد لئلا يلتبس بالخطاب ولما عدد بعض الايات الدالة على الاقرار بالتوحيد انكر صنيع اهل الشرك
عليهم قائلا ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا قال جار الله ان كان بمعنى المصدر نصبت شيئا اي لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت
المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا او يكون تاكيدا لا يملك شيئا من الملك ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا
بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا او صفة ان كان اسما لما يرزق اما الضمير في ولا يستطيعون فعائد الى ما بعد ان قيل لا يملك على
اللفظ وجمع بالواو والنون بناء على زعمهم ان الاصنام الهة والفائدة في نفي الاستطاعة عنهم ان من لا يملك شيئا قد يكون موصوفا باستطاعة
ان يملك بطريق من الطرق فبين تعالى انها لا تملك ولا تستطيع تحصيل الملك وجوز في الكشاف ان يكون الضمير للكفار اي لا يستطيع هؤلاء
مع انهم احياء متصرفون فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا تضربوا لله الامثال اي لا تخلقوا فان ضارب المثل مشبه حالا بحال وقصة بقصة
وقال الزجاج لا تجعلوا لله مثلا لانه واحد لا مثل له وكانوا يقولون ان اله العالم اجل من ان يعبده الواحد منا فكانوا يتوسلون الى الاصنام
والكواكب كما ان اصاغر الناس يخدمون اكابر حضرة الملك واولئك الاكابر يخدمون الملك فنهوا عن غير الحقيقة والاخلاص وعلل النهي بقوله
ان الله يعلم ما عليكم من العقاب وانتم لا تعلمون ما في عبادتها من العذاب وفيه ان القياس الذي توهموه ليس بصحيح والنص يجب تقديمه على
ذلك وقيل ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فقال ضرب الله مثلا ثم ابدل من المثل قوله عبدا مملوكا
لا حرا فان جميع الناس عبيد لله فلا يلزم من كونه عبدا كونه مملوكا وقوله لا يقدر على شيء ليخرج العبد الماذون والمكاتب فانهما يقدران على
التصرف احتج الفقهاء بالاية على ان العبد لا يملك شيئا وان ملكه السيد لان قوله لا يقدر حكم مذكور عقيب الوصف المناسب فدل على ان
العبدية اينما وجدت فهي علة للتذلل والمقهورية وعدم القدرة فثبت العموم وهو ان كل عبد فهو لا يقدر على التصرف وايضا قوله ومن
رزقناه منا رزقا حسنا يقتضي ان لا يحصل للقسم الاول هذا الوصف فلو ملك العبد شيئا لما صدق عليه ان الله قد اتاه الرزق الحسن فلم
يثبت الامتياز والاكثرون على ان عدم اقتدار العبد مخصوص بما يتعلق بالمال وعن ابن عباس انه لا يملك الطلاق ايضا قال جار الله الظاهر
ان من في قوله ومن رزقناه موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان يكون موصولة وجمع قوله هل يستوون لانه اراد الاحرار والمفسرين
في ضرب المثل اقوال فالاكثرون على انه اراد انا لو فرضنا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وفرضنا حرا كريما غنيا كثير الانفاق سرا وجهرا فصريح العقل
يشهد بانه لا يجوز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلقة والصورة فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله القادر على الرزق والافضال وبين
الاصنام التي لا تملك ولا تقدر البتة وقيل العبد المملوك هو الكافر المحروم عن طاعة الله وعبوديته والاخر هو المؤمن المشتغل بالتعظيم لامر الله

الشفقة على خلق الله والغرض انهما لا يستويان في الرتبة والشرف والقرب من رضوان الله وقيل العبد هو الصنم لقوله ان كل من في السموات والارض
الا آتي الرحمن عبدا والثاني عابد الصنم والمراد انهما لا يستويان في القدرة والتصرف لان الاول جماد وهذا انسان فكيف يجوز الحكم بان
الاول مساو لرب العالمين الحمد لله قال ابن عباس اراد الحمد لله على ما فعل باوليائه وانعم عليهم بالتوحيد وقيل معناه كل الحمد لله وليس شيء من الحمد
للاصنام لانه لا نعمة لها على احد بل اكثرهم لا يعلمون ان كل الحمد لي وقيل اراد قل الحمد لله والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم واما لمن رزقه الله رزقا حسنا
وميزه بالقدرة والاختيار والتصرف من العبد الذليل الضعيف وقيل لما ذكر مثلا مطابقا للغرض كاشفا عن المقصود قال الحمد لله اي على
قوة هذه الحجة وظهور هذه البينة بل اكثرهم لا يعلمون قوتها وظهورها ثم ضرب مثلا ثانيا لنفسه ولما يفيض على عباده من النعم الدينية والدنيوية
وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع بل يصل منها الى من يعبدها اعظم المضار اما تفسير الالفاظ فالابكم العي المفحم وقد بكم بكما وبكامة وقيل
هو الاقطع اللسان الذي لا يحسن الكلام وروى ثعلب عن ابن الاعرابي انه الذي لا يسمع ولا يبصر وقوله وهو كل على مولاه اصله من الغلظ الذي
هو نقيض الحدة يقال كل السكين اذا غلظت فلم يقدر على القطع وكل فلان عن الكلام اذا ثقل عليه ولم ينبعث فيه وفلان كل على مولاه اي ثقيل وعيال
على من يلي امره وبقوله اينما يوجهه حيثما يرسله لا يات بخير لم ينجح في مطلبه والتوجيه ان ترسل صاحبك في وجه معين من الطريق هل يستوي
هو اي الموصوف بهذه الصفات المذكورة ومن يأمر الناس بالعدل وهو في نفسه على صراط مستقيم على سيرة صالحة ودين قويم غير
منحرف الى طرفي الافراط والتفريط ولا شك ان الامر بالعدل يجب ان يكون عالما حتى يمكنه التمييز بين العدل والجور وقادرا حتى يتلقى منه الا
الاتيان بالخير والامر به وكلا الوصفين يناقض كونه ابكم لا يقدر قال مجاهد هذا مثل لله والخلق وما يدعى من دونه اما الابكم فمثل
الصنم لانه لا ينطق البتة ولا يقدر على شيء وهو كل على عابديه لانه لا ينفق عليهم وهم ينفقون عليه والى اي مهم يوجه الصنم لا يات
بخير واما الذي يأمر بالعدل فهو الله سبحانه وروى الواحدي باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت الاية المتقدمة في هشام بن عمرو
هو الذي ينفق ماله سرا وجهرا ومولاه ابو الجوار الذي كان ينهاه فنزلت وهذه الاية نزلت في اسيد بن ابي العيص وفي عثمان بن عفان ومولاه والاصح
ان المقصود من الاية الاولى كل عبد موصوف بالصفات المذكورة وكل حر موصوف بالخصال الحميدة ومن الاية الثانية كل رجل جاهل عاجز و
كل من هو بضد ذلك من كونه شاملا للعلم كامل القدرة وليس الا الله سبحانه فلذلك مدح نفسه بقوله ولله غيب السموات والارض اي
يختص به علم ما غاب عن العباد فيهما او اراد بغيبهما يوم القيامة لان علمه غائب عن غير الله ويؤيد هذا التفسير قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر
اللمح النظر بسرعة ولا بد فيه من زمان ينقلب فيه الحدقة نحو المرئي وكل زمان قابل للتجزئة فلذلك قال او هو اقرب وليس هذا من قبيل الشك
وانما هو كلام في غاية الصدق لان مدة ما بين الخطاب وقيام الساعة متناهية ومنها الى الابد غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي
وقيل معناه ان امر اقامة الساعة وهو ان يميت الاحياء ويحيي الاموات كلا يكون في اقرب وقت واقله ثم اكده بقوله ان الله على كل شيء قدير ثم زاد في
التاكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على غاية قدرته ونهاية رأفته فقال والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا قال
جار الله هو في موضع الحال اي غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة
وقوله وجعل لكم معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام
بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم والافئدة في فؤاد كالاغربة في غراب وهو من جموع القلة التي تستعمل في مقام الكثرة ايضا لعدم ورود غيرها واعلم ان جمهور
الحكماء زعموا ان الانسان في مبدأ فطرته خال عن المعارف والعلوم الا انه تعالى خلق السمع والبصر والفؤاد وساير القوى المدركة حتى ارتسم في خياله بسبب
كثرة ورود المحسوسات عليه حقايق تلك الماهيات وحضرت صورها في ذهنه ثم ان مجرد حضور تلك الحقايق ان كان كافيا في جزم الذهن بثبوت بعضها
لبعض وانتفاء بعضها عن بعض فتلك الاحكام علوم بديهية وان لم يكن كذلك بل كانت متوقفة على علوم سابقة عليها ولا محالة تنتهي الى
البديهيات قطعا للدور والتسلسل فهي علوم كسبية وظهر ان السبب الاول لحدوث هذه المعارف في النفوس الانسانية هو ان الله اعطى الحواس
والقوى الدراكة للصور الجزئية وعند من يرى ان النفس قبل البدن موجودة عالمة بعلوم جمة هي التي ينبغي ان يسمى بالبديهيات وانما لا يظهر اثارها
عليها عند اتصالها بالجنين الاول لضعف الالة واشتغالها بتدبيره فاذا قويت قليلا ظهرت اثارها شيئا فشيئا وقد برهنا على هذه المعاني في كتبنا الحكمية
فالمراد بقوله لا تعلمون شيئا انه لا يظهر اثر العلم عليكم ثم انه بتوسط الحواس الظاهرة والباطنة يكتسب العلوم المتوقفة على الآلة ومعنى لعلكم تشكرون
ارادة ان تصرفوا كل آلة فيما خلقت لاجله وليس الواو للترتيب حتى يلزم من عطف جعل على اخرج ان يكون جعل السمع والبصر متأخرا عن الاخراج من
البطن وقد مر في اول البقرة في تفسير قوله ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم انه لم وحد السمع وجمع غيره ثم ذكر دليلا اخر على كمال قدرته فقال الم يروا
الى الطير مسخرات مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وساير الاسباب المواتية لذلك كرقة قوام الهواء والهامها بسط الجناح وقبضه كفعل السابح
في الماء في جو السماء اي في الجو المتباعد من الارض في سمت العلو وهو مضاعف جو يجو ما يمسكهن الا الله بقدرته وباعطاء الالات التي
لاجلها يتسهل عليها الطيران ومن جملة احوال الانسان قوله والله جعل لكم من بيوتكم سكنا هو ما يسكن اليه من بيت او الف وجعل لكم من جلود الانعام
بيوتا هي القباب والابنية من الادم والانطاع تستخفونها اي تعدونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل يوم ظعنكم اي في وقت ارتحالكم و

والظعن بفتح العين وسكونها سير اهل البادية للنجعة ثم استعمل فى كل شخوص لسفر ويوم اقامتكم لا يثقل عليكم حفظها ونقلها من مكان الى مكان ويمكن ان يكون اليوم على حقيقته اى يوم ترجعون خف عليكم حملها وثقلها ويوم تنزلون وتقيمون فى مكان لا يثقل عليكم ضربها ومن اصوافها وهى للضأن واوبارها وهى للابل واشعارها وهى للمعز اثاثا وهو متاع البيت قال الفراء لا واحد له وقال ابو زيد الاثاث المال اجمع الابل والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة قال ابن عباس رضى الله عنهما اثاثا ثيابا وكسوة وقال الخليل اصله من اث النبات والشعر يئث اذا كثر فيل اثرثنا عطف قوله متاعا على اثاثا فوجب ان يتغايرا فما الفرق واجيب بان الاثاث ما يكتسى به المرء ويستعمل من الغطاء والوطاء والمتاع ما يفرش فى المنازل ويتزين به قلت لا يبعد ان يراد بالاثاث والمتاع ما هو الجامع بين الوصفين كونه اثاثا وكونه مما يتمتع به الى حين اى الى ان تقضوا اوطاركم منه او الى ان يبلى ويفنى او الى الموت او الى القيامة ثم ان المسافر قد لا يكون له خيام وابنية يستظل بها لفقره او لعارض آخر فيحتاج الى ان يستظل بشجر او جدار او غمام ونحوها فلذلك قال والله جعل لكم مما خلق ظلالا اى وقد يحتاج المسافر الى حصن يأوى اليه فى نزوله والى ما يدفع به عن نفسه آفات الحر والبرد وسائر المكاره وكذا المقيم فلذلك من بقوله وجعل لكم من الجبال اكنانا هى جمع كن وهو ما يستكن به ويتوقى بسببه الامطار كالبيوت المنحوتة فى الجبال وكالغيران والكهوف وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وهى القمصان والثياب من الصوف والقطن والكتان وغيرها وانما لم يذكر البرد لان وقايته من الحر اهم عندهم لغلبة الحرارة فى بلادهم على ان ذكر احد الضدين يغنى فى الاغلب عن ذكر الآخر لتلازمهما فى الخطور بالبال غالبا بشهادة الوجدان قال الزجاج كل ما لبسته فهو سربال فعلى هذا يشمل الرقيق والكثيف والساذج والمحشو من الثياب وسرابيل تقيكم بأسكم كالدروع والجواشن كذلك يتم نعمته اى مثل ما خلق هذه الاشياء لكم وانعم بها وانعم عليكم فاتم نعم الدين والدنيا لعلكم تسلمون قال ابن عباس لعلكم يا اهل مكة تخلصون لله الربوبية وتعلمون انه لا يقدر على هذه الانعامات سواه وعنه انه قرأ بفتح التاء واللام من السلامة اى تسلم قلوبكم من الشرك او تشكرون فتسلمون من العذاب وقيل تسلمون من الجرح بلبس الدروع فان تولوا فقد تمهد عذرك فانما عليك البلاغ المبين وليس اليك الهداية ثم ذمهم بانهم يعرفون نعمة الله التى عددناها حيث يعترفون بها وبانها من عند الله ثم ينكرونها بعبادتهم غير المنعم بها وبقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة الهتنا ومعنى ثم تبعيد رتبة الانكار عن العرفان وقيل انكارها قولهم ورثناها من آبائنا او وصل الينا بتوسط فلان او انهم لا يستعملونها فى طلب رضوان الله وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كانوا يعرفونها ثم ينكرون نبوته عنادا وانما قال واكثرهم الكافرون لانه استعمل الاكثر مقام الكل او اراد بالبالغين العقلاء منهم دون الاطفال والمجانين او اراد كفر الجحود ولم يكن كفر كلهم كذلك بل كان فيهم من كفر الجهل بصدق الرسول لانه لم يقم الحجة عليه بعد هذا ما قاله المفسرون قالت ويحتمل ان يراد بالكافرين المصرين الثابتين على كفرهم وقد علم الله ان فى مطلق الكفرة من يؤمن فلهذا استثناهم والله تعالى اعلم التأويل فضل الارواح على القلوب فى رزق المكاشفات والمشاهدات بعد الفناء والى البقاء وفضل القلوب على النفوس فى رزق الزهد والورع والتقوى والصدق واليقين والايمان والتوكل والتسليم والرضا وفضل النفوس على الابدان فى رزق التزكية والتحلية وفضل ابدان المؤمنين على ابدان الكافرين بحمل اعباء الشريعة فما الارواح برادى رزقهم على القلوب ولا القلوب على النفوس ولا النفوس على الابدان افبنعمة الله التى انعم بها على اوليائه يجحدون يا منكرى هذا الحديث والله جعل لكم من انفسكم ازواجا يعنى ازدواج الارواح والاشباح وجعل لكم من ازواجكم بنين وهم القلوب وحفدة وهى النفوس افبالباطل وهو الزخارف والوساوس يؤمنون وبنعمة الله التى انعم بها على ارباب القلوب يكفرون ويعبدون من دون الله كالدنيا والهوى ما لا يملك لهم رزقا من سموات القلوب وارض النفوس شيئا من الكمالات التى اودع الله فيهن ولا يستخرج منها الا بعبادة الله ولا يستطيعون استخراجها بعبادة غير الله فلا تضربوا لله الامثال بان تريدوا ان تصلوا الى المقاصد بغير طريق الله ضرب الله مثلا عبدا مملوكا للهوى وللدنيا ومن رزقنا ولاية كاملة يتصرف بها فى بواطن المستعدين وظواهرهم بل اكثرهم لا يعلمون اولياء الله لانهم تحت قباب الله لا يعرفهم غيره احدهما ابكم هو النفس الحيوانية التى لا يقدر على شىء من العلم والعقل والايمان وهو ثقل على مولاه الروح المسمى بالنفس الناطقة لا يأت بخير لانها امارة بالسوء ولله غيب سموات الارواح والارض النفوس لا يقف على خاصيتهما غيره ولو وكل كلا منهما الى الطبع لم يرجع الى ربها ورجوعها يكون بالامانة والاحياء وبمنها عن اوصافها وبحياتها بصفاته وهو المراد بامر الساعة لان الامانة بتجلى صفات الجلال والاحياء بتجلى صفات الجمال واذا تجلى الله بعبد ليس له زمان ولا مكان فلذلك قال او هو اقرب وح يكون فانيا عن وجوده باقيا ببقائه والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا من امور الدنيا والآخرة ولا مما كان شاهد ارواحكم تعلمه فى عالم الارواح ولا مما كانت تعلم ذراتكم من فهم خطاب الست بربكم وجواب بلى وجعل لاجسادكم السمع والابصار والافئدة كما للحيوانات ولا رواحكم كما للملائكة ولا سراركم سمعا يسمع به من الله وبصرا يبصر به الله وفؤادا يعرف به الله ويوجد به والله اخرجكم من العدم وهو الام الحقيقى لا تعلمون شيئا قبل ان يعلمكم الله سبحانه اسماء كل شىء تجلى لكم بربوبيته فبنور سمعه اعطاكم سمعا تسمعون به خطاب الست بربكم وبنور بصره اعطاكم بصرا تبصرون به جماله وبنور علمه اعطاكم فؤادا تعرفون به كماله وبنور كلامه اعطاكم لسانا تجيبونه بقولكم بلى لعلكم تشكرون فلا تسمعون بهذا السمع الا كلامه ولا تبصرون بهذا البصر الا جماله ولا تخبرون بهذا الفؤاد الا اذا ولا تتكلمون بهذا الكلام الا معه الم يروا الى الطير الارواح مسخرات فى جو سماء القلوب ما يمسكهن فى سفل الاجسام الا الله بحكمته فلذلك قال والله جعل

لا بل واشعارها ومعز

والتحلية

لکم من جلود الانعام التی هی جماد لشرک فیها اساس الحیوانات بیوتا تستخفونها یوم ظعنکم ویوم اقامتکم ... ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الی حین ... والله

جعل لکم مما خلق ظلالا ... وجعل لکم من الجبال اکنانا وجعل لکم سرابیل تقیکم الحر وسرابیل تقیکم بأسکم کذلک یتم نعمته علیکم لعلکم تسلمون فان تولوا فانما علیک البلاغ المبین یعرفون نعمت الله ثم ینکرونها واکثرهم الکافرون ... والله اعلم

ویوم نبعث من کل امة شهیدا ثم لا یؤذن للذین کفروا ولا هم یستعتبون

واذا رای الذین ظلموا العذاب فلا یخفف عنهم ولا هم ینظرون واذا رای الذین اشرکوا شرکاءهم قالوا

ربنا هؤلاء شرکاؤنا الذین کنا ندعوا من دونک فالقوا الیهم القول انکم لکاذبون والقوا الی الله

یومئذ السلم وضل عنهم ما کانوا یفترون الذین کفروا وصدوا عن سبیل الله زدناهم عذابا فوق العذاب

بما کانوا یفسدون ویوم نبعث فی کل امة شهیدا علیهم من انفسهم وجئنا بک شهیدا علی هؤلاء

ونزلنا علیک الکتاب تبیانا لکل شیء وهدی ورحمة وبشری للمسلمین ان الله یامر بالعدل

والاحسان وایتاء ذی القربی وینهی عن الفحشاء والمنکر والبغی یعظکم لعلکم تذکرون واوفوا بعهد الله

اذا عاهدتم ولا تنقضوا الایمان بعد توکیدها وقد جعلتم الله علیکم کفیلا ان الله یعلم ما تفعلون

ولا تکونوا کالتی نقضت غزلها من بعد قوة انکاثا تتخذون ایمانکم دخلا بینکم ان تکون امة هی اربی

من امة انما یبلوکم الله به ولیبینن لکم یوم القیامة ما کنتم فیه تختلفون ولو شاء الله لجعلکم امة واحدة

ولکن یضل من یشاء ویهدی من یشاء ولتسئلن عما کنتم تعملون ولا تتخذوا ایمانکم دخلا بینکم فتزل قدم بعد

ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبیل الله ولکم عذاب عظیم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قلیلا

انما عند الله هو خیر لکم ان کنتم تعلمون ما عندکم ینفد وما عند الله باق ولنجزین الذین صبروا

اجرهم باحسن ما کانوا یعملون من عمل صالحا من ذکر او انثی وهو مؤمن فلنحیینه حیوة طیبة ولنجزینهم اجرهم باحسن

ما کانوا یعملون فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشیطان الرجیم انه لیس له سلطان علی الذین امنوا

وعلی ربهم یتوکلون انما سلطانه علی الذین یتولونه والذین هم به مشرکون

... وعباس والنقاش عن ابن ذکوان ... لا یؤذن ... فلا یخفف عنهم ولا هم ینظرون ... من دونک ... الاختلاف ... مع العطف ... یفسدون ... المسلمین ... والبغی ...



الحال والاستيناف تذكرون كقيلا ما تفعلون. انكاثا ابتناء على ان النقض يتخذ دخلا من اقرباء من قرابة ما يختلفون فيه ويهلكن من يشاء ما يعملون عن سبيل الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم فقليلا ما يعملون فيا ق يعملون وطبينتي للعدول عن الوجدان الى الجمع مع انما ضمير من يعملون ازدحم يتوكلون يشركون. التفسير لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه اصناف وعيد يوم القيامة والتقدير واذكر يوم نبعث من كل امة شهيدا او يوم وقعوا فيما وقعوا فيه وشهيدها لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب ثم لا يؤذن للذين كفروا اي في الاعتذار اذ لا حجة لهم ولا عذر او في كثرة الكلام او في الرجوع الى دار الدنيا او الى التكليف ليظهر لهم كونهم آيسين من رحمة الله تعالى او المراد ان يسكت اهل الجمع كلهم حتى يشهد الشهود ولا هم يستعتبون لان العتاب انما يطلب لاجل العود الى الرضا فاذا كان على عزم السخط فلا فائدة في العتاب فلهذا قيل شعر اذا ذهب العتاب فليس ود: ويبقى الود ما بقي العتاب: وقال في الكشاف اي لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم ان المنع من الكلام اصعب من شهادة الانبياء عليهم واذا رأى الذين ظلموا وهم المشركون العذاب بعينه فقيل عليهم فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون ليتوبوا فان التوبة هنالك غير موجودة او غير مقبولة وفيه ان عذابهم خالص عن التفتر دائم كما يقول المتكلمون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم وهي الاصنام او الشياطين الذين دعوا الكفار الى الكفر وكانوا قرناءهم في الغي قال الحسن قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا اي نعبدهم من دونك قال ابو مسلم الاصبهاني مقصود المشركين احالة هذا الذنب على تلك الاصنام ظنا منهم ان ذلك ينجيهم من عذاب الله او ينقص منه وزيفه القاضي بان الكفار يعلمون في الآخرة علما ضروريا بان العذاب ينزل بهم ولا نصرة ولا شفاعة فما الفائدة في هذا القول والانصاف ان الغريق يتعلق بكل ما يلقاه فقد يقول ما لا فائدة فيه على ان العلم الضروري الذي ادعاه القاضي ممنوع وقيل ان المشركين يقولون هذا الكلام تعجبا من حضور تلك الاصنام مع انه لا ذنب لها واعترافا بانهم كانوا مخطئين في عبادتها فالقوا اليهم القول اي قال الاصنام او الشياطين للكفار انكم لكاذبون فان قيل ان المشركين اشاروا الى الاصنام ان هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك وقد كانوا صادقين في ذلك فكيف كذبتهم الاصنام فالجواب ان المراد من قولهم هؤلاء شركاؤنا هؤلاء شركاء الله في المعبودية فكذبتهم الاصنام في اثبات هذه الشركة وفي قولهم انها تستحق العبادة قال جار الله ان اراد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين في قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان اني كفرت بما اشركتمون من قبل والقوا الى الله يومئذ السلم عن الكلبي استسلم العابد والمعبود واقروا لله بالربوبية وبالبراءة من الشركاء والانداد وقال آخرون الضمير للذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله بعد الاباء في الدنيا وضل اي غاب عنهم ما كانوا يفترون من ان لله شركاء وان آلهتهم تشفع لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قيل معناه الصد عن المسجد الحرام والاصح العموم زدناهم عذابا لاجل الاضلال فوق العذاب الذي استحقوه للضلال وايضا عذاب الاستنان من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ومن المفسرين من فصل تلك الزيادة فعن ابن عباس هي خمسة انهار من نار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل حيات امثال البخت وعقارب اشباه البغال انيابها كالنخل الطوال تلسع احدهم اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار ثم علل زيادة عذابهم بكونهم مفسدين امور الناس بالغدر والاضلال فيعلم منه ان من دعا الى الدين القويم باليد واللسان فانه يزيد الله تعالى اجره على اجره ثم اعاد حكاية بعث الشهداء لما نيط بها من زيادة فائدة من احدهما كون الشهداء من انفسهم لان كل نبي فهو من جنس امته والاخرى ان الشهيد يكون فيما في الامة لا مفارقا اياهم وفسر الاصم الشهيد في هذه الآية بانه تعالى ينطق عشرة من اعضاء الانسان حتى يشهد عليه وهي الاذنان والعينان والرجلان واليدان والجلد واللسان ولهذا ذكر لفظة في ووصف الشهيد بكونه من انفسهم ثم شرف نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله وجئنا بك شهيدا على هؤلاء اي على امتك ولا ريب ان في تخصيصه بعد التعميم دلالة على فضله نظيره قوله في سورة النساء فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال الامام فخر الدين الرازي الامة عبارة عن القرن والجماعة فيعلم من الآية انه لا بد في كل عصر من اقوام يقوم الحجة بقولهم ويكونون شهداء على غيرهم وهم اهل الحل والعقد فيكون اجماعهم حجة ولقائل ان يقول الامة في الآية هي الجماعة الذين بعث النبي اليهم والى من سيوجد منهم الى آخر زمان دينه فيكون نبي تلك الامة وحده شهيدا عليهم ولا دلالة للآية الا على هذا القدر ومن اين حصل لك ان اجماع اهل الحل والعقد في كل عصر حجة ثم بين انه ازاح عليهم فيما كلفوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء اي بيانا بليغا والتاء للمبالغة ونظيره من المصادر التلقاء ولم يأت غيرهما وقد مر في الاعراف قال الفقهاء انما كان القرآن تبيانا لجميع الاحكام المستنبطة من السنة والاجماع والقياس والاجتهاد كلها يستند الى الكتاب حيث امر فيه باتباع رسول الله وطاعته وورد فيه ومن يتبع غير سبيل المؤمنين وجاء فاعتبروا وقال آخرون ان علم اصول الدين كلها في القرآن واما علم الفروع فالاصل براءة الذمة الا ما ورد به نص القرآن فاذن القرآن واف ببيان جميع الاحكام والقياس ضائع ولعل التبيان انما هو للعلماء خاصة والهدى لجميع الخلق في اول احوالهم والرحمة في وسطها وهو مدة العمر بعد الاسلام والبشرى في وقت الاجل كما قال سبحانه ان الذين قالوا ربنا الله الى قوله وابشروا والله اعلم بمراده ولما ذكر ان في القرآن تبيان كل شيء ذكر عقيبه آية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال ان الله يأمر الآية عن ابن عباس ان عثمان

سبيل الله ع

تا بيان لكل شيء

سبيل الله ع

بالصد او الاضلال

لان الاحكام ع



ابن مظعون الجمحي قال ما اسلمت اولا الا حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يتقرر الاسلام في قلبي فحضرته ذات يوم فبينا هو يحدثني اذ رايت بصره شخص
الى السماء ثم خفضه عن يمينه ثم عاد لمثل ذلك فسألته فقال بينا انا احدثك اذا جبرئيل عليه السلام نزل عن يميني فقال يا محمد ان الله يامر بالعدل الاية فقال
عثمان فمن ذلك استقر الايمان في قلبي واحببت محمدا صلى الله عليه وآله وعن ابن مسعود هي اجمع اية في القرآن وعن قتادة ليس من خلق حسن كان في الجاهلية يعمل ويستحسن
الا امر الله تعالى به في هذه الاية وليس من خلق سيئ الا وقد نهى الله تعالى عنه فيها قال المفسرون العدل هو اداء الفرائض وعن ابن عباس هو قول لا اله
الا الله والاحسان هو الاتيان بالمندوبات والمستحسنات شرعا وعرفا واقربها صلة الرحم بالمال فلذلك افردها بالذكر بقوله وايتاء ذي القربى والفحشاء
هي الامور المتزايدة في القبح فلذلك افردها بالذكر وهي الكبائر وقد يخص بالزنا او بالبخل والمنكر ما تنكره العقول ولا يعرف في شريعة ولا سنة
والبغي الاستطالة قال جار الله حين سقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين عليه السلام وعلى نبينا الصلوة والسلام اقيمت هذه الاية مقامها
واعلم ان العدل عبارة عن الامر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط وانه واجب الرعاية في جميع الاشياء ولنذكر له امثلة امثلة في الاعتقادات فالقول
بنفي الاله تعطيل محض واثبات اكثر من اله واحد تشريك وتجسيم والعدل هو قول لا اله الا الله كما نقل عن ابن عباس هذا ما اتفق عليه ارباب
المذاهب ثم ان الاشعري يقول القول بنفي الصفات عنه سبحانه تعطيل والقول باثبات المكان والاعضاء تشبيه والعدل اثبات صفات
الكمال من الحيوة والعلم والقدرة والارادة والكراهة والسمع والبصر والكلام ونفي غيرها او بوجه اخر نفي الصفات تعطيل واثبات الصفات
الحادثة تشبيه والعدل اثبات صفات ازلية قديمة غير متغيرة وايضا القول بان العبد لا قدرة له اصلا جبر محض والقول بانه مستقل
في التصرف قدر محض وتفويض والعدل امر بين الامرين وهو ان العبد يفعل الافعال ولكن بواسطة قدرة وداعية يخلقها الله تعالى فيه وايضا
القول بان الله لا يؤاخذ عبده بشيء من الذنوب مساهلة عظيمة والقول بانه يخلد في النار عبده العارف به بالمعصية الواحدة تشديد عظيم والعدل
انه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من الايمان والمعتزلة يقول العدل في هذه الاصول بنوع اخر وقد مر مرارا واما رعاية العدل
فيما يتعلق بافعال الجوارح فان قوما من نفاة التكليف يقولون لا يجب على العبد الاشتغال بشيء من الطاعات ولا الاحتراز عن شيء من المعاصي
وقال قوم من الهند وطائفة من المانوية يجب على الانسان ان يجتنب عن كل الطيبات ويبالغ في تعذيب نفسه وان يحترز عن كل ما يميل الطبع
اليه حتى التزوج والاولى بالمرء ان يختصي فهذان الطريقان مذمومان والوسط هو ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله لان التشديد غالب في دين موسى فليس في
شرعه على القاتل الا القصاص ويحرم مخالطة الحائض والتساهل في دين عيسى غالب فلا قصاص على القاتل الا القصاص ولا يحرم وطي الحائض
والعدل ما يحكم به شرعنا من جواز العفو واخذ الدية وحرمة وطي الحائض دون مخالطتها ولذلك قال وكذلك جعلناكم امة وسطا وقال
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ولما بالغ رسول الله صلى الله عليه وآله في العبادات قيل له طه ما انزلنا عليك القرآن
لتشقى ولما اخذ قوم في المساهلة نزل افحسبتم انما خلقناكم عبثا والمراد رعاية الوسط في كل الامور وقد ورد في شرعنا الختان فقال بعض
العقلاء والحكمة فيه ان راس ذلك العضو جسم شديد الحس فاذا قطعت تلك الجلدة بقي راسه عاريا فيصلب بكثرة ملاقاة الثياب وغيرها فيضعف
حسه ويقل شعوره فيقل لذة الوقاع فيقل الرغبة فيه فالاختصاء وقطع الالات كما ذهب اليها المانوية مذموم وابقاء تلك الجلدة مبالغة
في تقوية تلك اللذة مذموم والوسط العدل هو الختان بعد التعبد هو التنظيف وسهولة غسل الحشفة والا فلعل اللذة بعد الختان
اكثر لملاقاة الحاس المحسوس بلا حائل ومن الكلمات المشهورة قولهم بالعدل قامت السموات والارضون ومعناه ان مقادير العناصر لو لم يكن
معادلة متكافئة بحسب الكمية والكيفية لاستولى الغالب على المغلوب فينقلب الطبائع كلها الى طبيعة الجرم الغالب ولو كان بعد الشمس من
الارض اقل مما هو الان لاحترق كل ما في هذا العالم وان كان اكثر لاستولى البرد والجمود وكذا القول في مقادير حركات الكواكب ومراتب سرعتها
وابطائها فان كلا منها مقدرة على ما يليق بنظام العالم وفوائده وفيها مر فهذه اشارة مختصرة الى تحقيق العدل واما الاحسان فهو المبالغة في اداء
الطاعات بحسب الكمية وبحسب الكيفية ومن هنا قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فكان المبالغ المخلص في اداء الطاعات يوصل الفعل الحسن الى
نفسه بالحقيقة ويدخل في الاحسان انواع التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله واشرف انواع الاشفاق صلة الرحم بالمال فلاجرم افرد بالذكر
كما مر ثم انه تعالى اودع في النفس البشرية قوى اربعا الشهوية البهيمية والغضبية السبعية والوهمية الشيطانية والعقلية الملكية وهذه
الاخيرة لا يحتاج الى التهذيب لانها من نتائج الارواح القدسية واما الثلاث الاول فيحتاج الى التاديب والتهذيب بمقتضى الشريعة وقانون
العقل والطريقة والنهي عن الفحشاء عبارة عن المنع من تحصيل اللذات الشهوية الخارجة عن اذن الشريعة والنهي عن المنكر عبارة عن الافراط
الحاصل في اثار القوة الغضبية من ايذاء الناس وايصال الشر اليهم من غير استحقاق والنهي عن البغي اشارة الى المنع من افراط القوة الوهمية
كالاستعلاء على الناس والترفع وحب الرياسة والتقدم ممن ليس اهلا لذلك واخس هذه المراتب عند العقلاء القوة الشهوانية واوسطها
الغضبية واعلاها الوهمية فلهذا ابتدا سبحانه بالفحشاء ثم بالمنكر ثم بالبغي ولان اصول الاخلاق في التكاليف كلها مذكورة في الاية لاجرم ختمها
بقوله يعظكم لعلكم تذكرون لانها كافية في باب العظة والتذكر والارتقاء من حضيض عالم البشرية الى ذروة عالم الارواح المقدسة
قال الكعبي في الاية دلالة على انه تعالى لا يخلق الجور والفحشاء والا فكيف ينهاهم عما يخلقها فيهم وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا وعلم انه لا يلزم

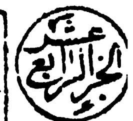
هذا ما قيل وعثمان
[illegible] وعثمان ١٢

عشر ١

من اراد فالله تذكر العبد والتذكر من فعل الله بالاتفاق لا من فعل العبد ان يطلب الله منه التذكر فان طلب ما ليس في وسعه محال فمعنى لعلكم تذكرون
ارادة ان تكونوا على حالة التذكر لا ارادة ان تحصلوا التذكر ثم خص من جملة المامورات الوفاء بالعهد فقال واوفوا بعهد الله خصصه جار الله
بالبيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقال الاصم المراد منه الجهاد وما فرض الله في الاموال من حق الشرائع وقيل
هو اليمين والاصح العموم وهو كل عقد يلتزمه الانسان باختياره بدليل قوله اذا عاهدتم وقول من قال العهد هو اليمين يلزم منه ان يكون
قوله سبحانه ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها اي بعد توثيقها باسم الله تكرارا اذ اكد ووكد لغتان فصيحتان قال الزجاج الاصل
الواو والهمزة بدل وفي الاية دلالة على الفرق بين الايمان المؤكدة وبين لغو اليمين كقولهم لا والله وبلى والله وايضا الاية من العمومات التي دخلها
التخصيص لما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات بالذي هو خير ثم ليكفر وقد مر بحث الايمان في البقرة وفي
المائدة في قوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم الاية وقد جعلتم الله عليكم كفيلا اي شاهدا او رقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به ان
الله يعلم ما تفعلون فيجازيكم بحسب ذلك خيرا او شرا وفيه ترغيب وترهيب ثم اكد وجوب الوفاء وتحريم النقض بقوله ولا تكونوا كالتي نقضت
غزلها من بعد قوة اي من بعد قوة الغزل بابرامها وفتلها قال الزجاج انتصب انكاثا على المصدر لان المعنى نقضت نكثت ونقض
بان انكاثا ليس مصدرا وانما هو جمع نكث بكسر النون وهو ما ينكث فتله وقال الواحدي هو مفعول ثان كما تقول كسره اقطاعا وفرقه اجزاء
اي جعله اقطاعا واجزاء فكذا ههنا اي جعلت غزلها انكاثا قلت ويحتمل ان يكون حالا مؤكدة قال ابن قتيبة هذه الاية متصلة بما قبلها
والتقدير واوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الايمان فانكم ان فعلتم ذلك كنتم مثل امراة غزلت غزلا واحكمته ثم جعلته انكاثا فعلى هذا المشبهة
امراة غير معينة ولا حاجة في التشبيه الى ان يكون المشبه به موجودا في الخارج وقيل المراد امراة معينة من قريش ريطة بنت سعد بن تيم وكانت
خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها
من الغداة الى الظهر ثم تامرهن فينقضن ما غزلن قال جار الله تتخذون حال ودخلا مفعول ثان لا تتخذ اي لا تنقضوا ايمانكم متخذيها
بينكم اي مفسدة ودخلا وقال الواحدي اي غشا وخيانة وقال الجوهري اي مكرا وخديعة وقال غيره الدخل ما ادخل في الشيء على فساد وقوله
ان تكون اي لان تكون امة يعني جماعة قريش هي اربى ازيد واوفر عددا واموالا من امة هي جماعة المؤمنين قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء
ثم يجدون من كان اعز منهم واشرف فينقضون حلف الاولين ويحالفون الذين هم اعز وامنع انما يبلوكم الله به اي بما امركم ونهاكم وقد
تقدم ذكر الامر والنهي وقال جار الله الضمير لقوله ان تكون لانه في معنى المصدر اي يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء مع قلة المؤمنين
وفقرهم ام تغترون بكثرة قريش وثروتهم ثم حذرهم من مخالفة ملة الاسلام وانذرهم بقوله وليبينن لكم يوم القيامة باظهار الدرجات والكرامات
للاولياء وتعيين الدركات والبليات للاشقياء ما كنتم فيه تختلفون حيث تدعون انكم على الحق والمؤمنون على الباطل فتنقضون عهودهم
ثم بين انه سبحانه قادر على ان يجمع المؤمنين والكافرين على الوفاء وسائر ابواب الايمان ولكنه بحكم الالهية يضل من يشاء ويهدي من يشاء و
المعتزلة حملوا المشيئة على مشيئة الالجاء بدليل قوله ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كانت اعمال العباد بخلق الله تعالى لكان سؤالهم عبثا اجابت
الاشاعرة بانه لا يسئل عما يفعل روى الواحدي ان عزيرا قال يا رب خلقت الخلق فتضل من تشاء وتهدي من تشاء فقال يا عزير اعرض
عن هذا فاعاده ثانيا فقال اعرض عن هذا او لامحون اسمك عن النبوة قال المفسرون لما نهاهم عن نقض مطلق الايمان اراد ان ينهاهم عن
نقض ايمان مخصوصة اقدموا عليها وهو نقض بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والدليل على هذا التخصيص قوله فتزل قدم بعد ثبوتها لان هذا الوعيد
لا يليق بنقض عهد قبله وانما يليق بنقض عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال جار الله وحدت القدم ونكرت لاستعظام ان تزل قدم واحد عن طريق الحق
بعد ان تثبت عليه فكيف باقدام كثيرة وهذا مثل يضرب لمن وقع في بلاء بعد عافية ولا ريب ان من نقض عهد الاسلام وزلت قدمه عن محجة الدين
القويم فقد سقط من الدرجات العالية الى الدركات الهاوية بانه قوله وتذوقوا السوء في الدنيا بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم
عن سبيل الله لان المرتد قد يقتدى به غيره ولكم عذاب عظيم في الاخرة ويحتمل ان يراد ان ذلك السوء الدنيوي وفوقه هو عذاب عظيم قال
جار الله كان قوم اسلموا بمكة ثم زين لهم الشيطان نقض البيعة لكونهم مستضعفين هناك فاوعدهم الله على ذلك ثم نهاهم عن الميل الى ما كان
يعدهم قريش من عرض الدنيا ان رجعوا عن الاسلام فقال ولا تشتروا الاية ثم ذكر دليلا قاطعا على ان ما عند الله خير فقال ما عندكم ينفد
وما عند الله من خزائن رحمته باق وفيه دليل على ان نعيم الجنة باق لاهلها لا ينقطع وقال جهم بن صفوان انه منقطع والاية حجة عليه ولنجزين الذين
صبروا على ما التزموه من شرائع الاسلام اجرهم باحسن ما كانوا يعملون اي بالواجبات والمندوبات لا بالمباحات فانه لا ثواب على فعلها
ولا عقاب ويجزيهم بجزاء اشرف واوفر من عملهم كقوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ثم عمم الوعد على اي عمل صالح كان فقال من عمل صالحا
ولا كلام في عمومه الا انه زاد قوله من ذكر او انثى تاكيدا وازالة لوهم التخصيص وللمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم ثم جعل الايمان شرطا
في كون العمل الصالح منتجا للثواب حيث قال وهو مؤمن فاستدل به على ان الايمان مغاير للعمل الصالح فان شرط الشيء غيره واختلف في الحيوة
الطيبة فقيل هي في الجنة عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة لان الانسان في الدنيا لا يخلو من مشقة واذية ومكروه لقوله تعالى يا ايها الانسان انك

كادح الى ربك كدحا فملاقيه من ان هذا الكدح وهو التعب في العمل باق الى ان يصل الى ربه واما بعد ذلك فحيوة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا
بلا مرض وملك بلا زوال وسعادة بلا انتقال وقال السكاكي ان هذه الحيوة في القبر والاكثرون على انها في الدنيا لقوله بعد ذلك ولنجزينهم اجرهم
باحسن ما كانوا يعملون وعلى هذا فما الحيوة الطيبة قيل هو الرزق الحلال وقيل عبادة الله مع الاكل الحلال وقيل القناعة او رزق يوم بيوم كان
النبي ص يقول اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا قال المحققون وهذا هو المختار لان المؤمن الذي صلح عمله ان كان موسرا فذاك وان كان معسرا فمعه
من القنوع والعفة والرضا بالقضاء ما يطيب عيشه واما الكافر والفاجر فان الحرص لا يدعه ان يتهنأ بعيشه ابدا ويعظم اسفه على ما يفوته لانه
عاشق الدنيا معانقة العاشق لمعشوقه بخلاف المؤمن المنشرح قلبه بنور المعرفة والجمال فانه قلما يفرح لحب الدنيا مالها وجاهها ويستوي عنده
وجودها وفقدها وخيرها وشرها ونفعها وضرها وبركة الصلوح والقنوع مما لا ينكرها عاقل اللهم اجعلنا من اهلها ثم ان ظاهر الآية يقتضي
ان العمل الصالح انما يفيد الاثر المخصوص بشرط الايمان وظاهر قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يدل على ان العمل الخير مطلقا يفيد اثرا مطلقا
فلا منافاة بينهما ثم ذكر الاستعاذة التي هي من جملة الاعمال الصالحة وبها تخلص الاعمال عن الوساوس فقال فاذا قرأت القرآن اي اردت قراءتها
اطلاقا لاسم المسبب على السبب وقد مر بحث الاستعاذة مستوفى في اول هذا الكتاب انه ليس له سلطان تسلط وولاية على الذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون وهذا معنى الاستعاذة فان معناها بالحقيقة راجع الى التبري عما سوى الله والتوجه بالكلية اليه والاعتماد في جميع الامور عليه
انما سلطانه على الذين يتولونه عن ابن عباس اي يطيعونه يقال توليته اي اطعته وتوليت عنه اي اعرضت عنه اما الضمير الواحد في قوله والذين
هم به مشركون فقيل راجع الى الرب وقيل الى الشيطان اي بسببه التأويل ويوم يبعث فيه اشارة الى ان ارواح الانبياء اشرف على اممهم في
حال حيوتهم وبعد وفاتهم وفيه ان الدنيا مزرعة الآخرة فلا يقبل في القيمة اعتذار واذا رأى الذين ظلموا اي وضعوا الكفر واعمال
الطبيعة موضع الايمان واعمال الشريعة فلا يخفف عن ارواحهم اثقال الاخلاق الذميمة ولا هم ينظرون لتبديل مذمومها بمحمودها واذا
رأى الذين اشركوا وهم عبدة الدنيا والهوى انكم لكاذبون في انا دعوناكم الى عبادتنا فانا كنا مشغولين بتسبيح الله سبحانه وطاعته و
صدوا عن سبيل الله منعوا الارواح والقلوب عن طلب الله زدناهم عذابا الحرمان عن الكمال فوق خسران النسيان بافساد الاستعداد
الفطري وجئنا بك شهيدا لان روحه شاهد على جميع الارواح والقلوب والنفوس لقوله اول ما خلق الله روحي تبيانا لكل شيء يحتاج اليه
السالك في اثناء سلوكه ان الله يأمر بالعدل وهو وضع الآلات واسباب تحصيل الكمال في مواضعها بحيث يؤدي الى مقام الوصال والكمال و
الاحسان وهو ان يحسن الى الخلق بما اعطاه الله كقوله واحسن كما احسن الله اليك وفي قوله وايتاء ذي القربى اشارة الى ان من جملة العدالة
رعاية حال الاقرب فيبتدئ بتكميل نفسه ثم بما هو اقرب اليه قربا معنويا او صوريا وينهى عن الفحشاء وهو صرف ما اتاه الله في غير مصرفه وا
المنكر وهو ضد المعروف وهو ان لا يحسن الغير والبغي وهو ان لا يراعي الترتيب المذكور في باب الارشاد والتكميل واوفوا بعهد الله يوم
الميثاق وقد جعلتم الله عليكم كفيلا بجزاء وفائكم ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها فيه اشارة الى حال المريد ان يكون اتقى اهل الدنيا في
الدنيا اعلى حال الامر انه من اهل الآخرة ولا تتخذوا ايمانكم عهودكم مع المشايخ شبكة تصطادون بها الدنيا وقبول الخلق فتزل اقدامكم
عن صراط الطلب من ذكر او انثى هما القلب والنفس والعمل الصالح من النفس استعمال الشريعة والطريقة ومن القلب التوجه الى الله بالكلية والحيوة
الطيبة للنفس ان تصير مطمئنة مستعدة لقبول فيض ارجعي الى ربك وللقلب ان يصير فانيا عن انانيته باقيا بشهود الحق وجماله روح يطيب عن
دنس الاثنينية ولوث الحدوث فاستعذ بالله الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله ظاهرا او بالحقيقة لا هو لامته لان شيطانه اسلم على يده فلم يحتج
الى الاستعاذة من شيطانه بل هو لخواص امته كقوله انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وفيه ان الشيطان ليس له تسلط على اولياء
الله الا بالوسوسة وفيها صلاح المؤمن فان ابن اخلاص قلبه لا يتخلص عن غش صفات نفسه الا بالوسوسة لان المؤمن يطلع على
بقايا صفات نفسه بما يكون الوسوسة من جنسه فيزيد في الرياضة وملازمة الذكر حتى ينمحي تلك البقايا والله تعالى اعلم بالصواب

وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ
و چون بدل کنیم آیتی را بجای آیتی و خدا داناتر است بآنچه فرو فرستد گویند جز این نیست که تو افترا کننده بلکه بیشتر ایشان نمیدانند بگو فرود آورد او را روح پاک
مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ
از پروردگار تو براستی تا ثابت گرداند آنانرا که گرویدند و راه نماینده و بشارت است از برای مسلمانان و هر آینه میدانیم بدرستیکه ایشان میگویند جز این نیست که می آموزد او را آدمی زبان
الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ
آنکه میل کنند بسوی او عجمی است و این زبانیست عربی روشن بدرستیکه آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا راه نمینماید ایشانرا خدا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ
و از برای ایشانست عذابی دردناک جز این نیست که می بندند دروغ را آنانکه نمیگروند بآیتهای خدا و آنگروه ایشانند دروغگویان کسیکه کافر شد بخدا از



بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم
بعد از ایمان آوردنش جز آنکه مجبور کرده شد و دلش آرمیده بود با ایمان ولیکن کسیکه باز شد بکفر از سینه پس برایشان است خشمی از خدا و مر ایشانراست

عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وان الله لا يهدي القوم الكافرين اولئك الذين
عذابی بزرگ آن بان سبب که ایشان اختیار کردند زندگانی دنیا را بر آخرت و بدرستیکه خدا هدایت نمیکند گروه کافرانرا آن گروه آنانند

طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون ثم ان ربك
که مهر نهاد خدا بر دلهای ایشان و گوشهای ایشان و چشمهای ایشان و آن گروه ایشانند بیخبران ناچار بدرستیکه ایشان در آخرت ایشانند زیانکاران پس بدرستیکه پروردگار تو

للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تاتي كل نفس تجادل
مر آنانکه هجرت کردند از بعد آنکه عذاب کرده شدند پس جهاد کردند و صبر نمودند بدرستیکه پروردگار تو از بعد آن هر آینه آمرزنده مهربان است روزیکه آید هر نفسی که مجادله کند

عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون وضرب الله مثلا قرية كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا
از خویش و تمام داده شود هر نفسی آنچه کرد و ایشان ستم کرده نشوند و زد خدا مثل قریه که بود ایمن آرمیده می آمد آنرا روزی فراوان

من كل مكان فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول
از هر جا پس کفران ورزید بنعمتهای خدا پس چشانید آنرا خدا پوشش گرسنگی و بیم بانچه میکردند و بتحقیق آمد ایشانرا رسولی

منهم فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان
از ایشان پس تکذیب کردند او را پس گرفت ایشانرا عذاب و ایشان ستمکاران پس بخورید از آنچه روزی داد شما را خدا حلال پاکیزه و شکر گزارید نعمت خدا را اگر

كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
هستید او را میپرستید جز این نیست حرام کرد بر شما مردار و خون و گوشت خوک و آنچه بانگ زده شد برای غیر خدا پس هر که مضطر کرده شد نه ستمکار

ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله
و نه متجاوز پس بدرستیکه خدا آمرزنده مهربانست و مگوئید برای وصف کردن زبانهاتان دروغ را که این حلالست و این حرام تا ببندید بر خدا

الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب اليم وعلى الذين
دروغ را بدرستیکه آنانکه میبندند بر خدا دروغ را رستگار نمیشوند بهره ایست اندک و مر ایشانراست عذابی دردناک و بر آنانکه

هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين
یهود شدند حرام کردیم آنچه خواندیم بر تو از پیش و ستم نکردیم بر ایشان و لیکن بودند بر خود ستم میکردند پس بدرستیکه پروردگار تو مر آنانکه

عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابرهيم كان امة
کردند بدی را بنادانی پس توبه کردند از بعد آن و نیکو کردند بدرستیکه پروردگار تو از بعد آن هر آینه آمرزنده مهربانست بدرستیکه ابراهیم بود امامی

قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتبيه وهديه الى صراط مستقيم واتيناه في الدنيا
مطیع از برای خدا میل کننده بحق و نبود از شرک آرندگان شکر کننده مر نعمتهای او را برگزید او را و هدایت کرد او را براه راست و دادیم او را در دنیا

حسنة وانه في الاخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين
خوبی و بدرستیکه او در آخرت هر آینه از شایستگان است پس وحی فرستادیم بسوی تو که پیروی کن کیش ابراهیم حق گرای و نبود از شرک آرندگان

انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل
جز این نیست که گردانیده شد شنبه بر آنانکه اختلاف کردند در آن و بدرستیکه پروردگار تو هر آینه حکم میکند میان ایشان روز قیامت در آنچه بودند در آن اختلاف میکردند بخوان براه

ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
پروردگارت بحکمت و پند خوب و مناظره کن با ایشان بانچه آن نیکوتر است بدرستیکه پروردگار تو او داناتر است بکسیکه گم شد از راه او و او داناتر است بهدایت یافتگان

وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وما صبرك الا بالله
و اگر عقوبت کنید پس عقوبت کنید بمانند آنچه عقوبت کرده شدید بآن و اگر صبر کنید هر آینه آن بهتر است مر صابران را و صبر کن و نیست صبر تو مگر بتوفیق خدا

ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون
و اندوه مخور بر ایشان و مباش در تنگی از آنچه مکر میکنند بدرستیکه خدا با آنانست که پرهیزگار شدند و آنانکه ایشان نیکوکارانند

القراءة: بما ينزل من الانزال ابن كثير وابو عمرو ويلحدون بفتح الياء والحاء حمزة وعلي وخلف فتنوا مبنيا للفاعل ابن عامر والخوف بالنصب عباس عن ابي هشام وما بعده والاخفش عن ابن ذكوان في ضيق بالكسر ابن كثير وكذلك في النمل لا نون بالفتح الوقوف مكان آية لا لان جواب اذا هو قالوا قوله والله اعلم بما ينزل جملة معترضة لا يعلمون ○ للمسلمين ○ بشرا مبين ○ بايات الله لا لان ما بعده خبر ان اليم ○ بايات الله ج لاختلاف الجملتين

مع العطف لكاذبون ٥ غضب من الله لانقطاع النظم مع اتصال المعنى عظيم على الآخرة للعطف وابصارهم ط لاختلاف الجملتين الغافلون ٥
الخاسرون ٥ وصبروا لا لان ان الثانية تكرار الاولى لطول الكلام بصلته وخبرهما واحد رحيم ٥ لا يظلمون ٥ يصنعون ٥ ظالمون ٥ طيبا ص لعطف
المتفقين تعبدون ٥ لغير الله به ج رحيم ٥ على الله الكذب ط لا يفلحون ٥ قليل ص لعطف المتفقين ولاسيما اذ اتفق رأسهم متاع اليم من قبل ج لابتداء النفي
مع النفي العطف يظلمون ٥ واصلحوا لا لمكان ان لرحيم ٥ حنيفا ط من المشركين ٥ لان شاكرا وصف آخر وبدل من حنيفا لانعمه ط مستقيم ٥ الصالحين ط لان ثم
لترتيب الاخبار حنيفا ط المشركين ٥ اختلفوا فيه ط يختلفون ٥ احسن ط بالمهتدين ٥ عوقبتم به ط للصابرين ٥ يمكرون ٥ محسنون ٥ التفسير هذا شروع
في حكاية شبهات منكري نبوة محمد صلعم قال ابن عباس كان اذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية الين منها قالت كفار قريش ان محمدا يسخر من اصحابه
يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا وانه لا يقول هذه الاشياء الا من عند نفسه فنزل واذا بدلنا ومعنى التبديل رفع الشيء مع وضع غيره مكانه
وتبديل الآية رفعها بآية اخرى غيرها وهو نسخها بآية سواها والله اعلم بما ينزل شيئا فشيئا على حسب المصالح مغلظا ثم مخففا او بالعكس بل اكثرهم
لا يعلمون فوائد النسخ والتبديل قال ابو مسلم اراد تبديل آية بتحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة وسائر العلماء اطبقوا على ان المراد
بهذا التبديل النسخ ونقل عن الشافعي ان القرآن لا ينسخ بالسنة لانه تعالى اخبر انه تبديل الآية مكان الآية وضعف بانه لا يلزم من وجود التبديل
بالآية نفي التبديل بغيرها كالسنة المتواترة اذ لا دلالة في الآية على الحصر وقد مر مباحث النسخ مفصلة مستوفاة في سورة البقرة قل نزله اي القرآن
روح القدس هو جبرئيل والاضافة للمبالغة مثل حاتم الجود والمراد الروح المقدس المطهر عن دنس المآثم من ربك صلة نزله اي ابتداء تنزيله
من عنده وقوله بالحق حال اي متلبسا بالحكمة والصواب ليثبت الذين آمنوا كقوله واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فيقولون كل من الناسخ
والمنسوخ من عند ربنا وكل منهما في وقته خير وصالح لان الذي نزله حكيم لا يفعل الا ما هو خير في اوانه وصواب بالنسبة الى المكلف
حين ما يكلف به وهدى وبشرى معطوفان على محل ليثبت اي تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم ثم
حكى شبهة اخرى عنهم كانوا يقولون ان محمدا يستفيد القصص والاخبار من انسان آخر ويتعلمها منه واختلف في ذلك البشر فقيل كان غلاما لحويطب
ابن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار
كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان رسول الله صلعم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه وقيل هو سلمان
الفارسي ثم اجاب عن شبهتهم فقال لسان الذي واللسان اللغة والمعنى لسان الرجل الذي يلحدون يميلون قولهم عن الاستقامة اليه
اعجمي غير بين وهذا القرآن لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة وقد مر في آخر الاعراف ان تركيب الالحاد يدل على الامالة ومنه الملحد لانه امال
مذهبه عن الاديان كلها قال ابو الفتح الموصلي تركيب ع ج م يدل على الابهام والخفاء ضد البيان والافصاح ومنه عجم الزبيب لاستتاره وخفائه
والعجماء البهيمة وصلوة الظهر والعصر عجماوان لان القراءة فيهما سر واعجمت الكتاب اي ازلت عجمته ثم ان العرب تسمي كل من لا يعرف لسانهم ولا
يتكلم بلغتهم اعجميا فالواو باد الاعجم لانه كان في لسانه عجمة مع انه كان عربيا وحاصل الجواب هب ان محمدا يتعلم المعاني من ذلك الرجل الا انه
لا يقدح في المقصود لان القرآن بفصاحته اللفظية ايضا معجز ولما ذكر جوابهم وبخهم وهددهم بقوله ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا
يهديهم الله يعني ان سبب عدم ايمانهم هو ان الله لا يهديهم كقوله ختم الله على قلوبهم وفسره الامام فخر الدين بان الله لا يهديهم الى طريق الجنة
بل يسوقهم الى النار وهذا التفسير يناسب اصول المعتزلة فلا ادري كيف مال اليه ثم لما بين انهم ليسوا مظان اللطف وفيه ان كان قد بني الا
في جوابهم على تسليم ما ادعى الخصم من انه يتعلم من ذلك البشر اراد ان يبين ان الذي قالوا غير صحيح ولا صادق في نفس الامر فقال انما يفتري الكذب
وفيه ايضا رد لقولهم انما انت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقابا على الافتراء واولئك اشارة الى قريش اي
الذين لا يؤمنون اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون اذ هم الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب
او هم الذين من شأنهم الكذب وذلك هجيراهم لا يحجبهم عنه مروءة ولا دين اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر ومما يدل
على كذبهم عقلا انهم اعلاه وكلام العبد ضرب من الهذيان ولا شهادة للمتهم وايضا ان امر التعليم لا يتم في مجلس واحد ولكنه يحتاج
الى زمن متماد ولو كان كذلك لاشتهر وانتشر وايضا ان العلوم الموجودة في القرآن كثيرة والمعلم يجب ان يكون اعلم من المتعلم
فلو كان مثل هذا العالم الذي يتعلم منه مثل النبي صلعم موجودا في ذلك العصر لم يخف حاله الناس اليه دون النبي قال بعض علماء المعاني
عطف الجملة الاسمية التي هي قوله واولئك هم الكاذبون على ما قبلها وهي فعلية دل على ان من اقدم على الكذب فانه دخل في الكفر تنبيها
على ان صفة الكفر فيهم ثابتة راسخة كما يقول كذبت وانت كاذب زيادة في الوصف بالكذب على سبيل الاستمرار والاعتياد ولا افتراء
اعظم من انكار الالهية والنبوة روي ان النبي صلعم قيل له هل يكذب المؤمن قال لا وقرأ هذه الآية ثم انه سبحانه من كمال عنايته اراد ان يفرق بين
الكفر اللساني وحده وبين اللساني المنضم اليه القلبي فقال من كفر بالله اختلف العلماء في اعرابه فالاكثرون على انه بدل مما مر الذين لا يؤمنون
بآيات الله وما بينهما اعتراض والمعنى انما يفتري الكذب من كفر واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر
صدرا اي طاب به نفسا واعتقده فعليهم غضب واما من المبتدأ الذي هو اولئك او من الخبر الذي هو الكاذبون وقيل منصوب على الذم

التفسير

مكان آية بعقل آية

لا يهديهم

على الخصم

والتعلم

اي اختص بغضب من كفر وجوز بعضهم ان يكون من شرطية والجواب محذوف لان جواب من شرح دال عليه كانه قيل من كفر بالله فعليه غضب الا
من اكره ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب وانما صح استثناء المكره من الكافر مع انه ليس بكافر لانه ظهر منه بعد الايمان ما مثله
يظهر من الكافر طوعا فلهذه المشاكلة صح الاستثناء. قال ابن عباس نزلت في عمار بن ياسر وذلك ان المشركين بمكة اخذوه واباه ياسرا و
امه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة وقيل لها انك اسلمت من اجل
الرجال وقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام قالوا واما عمار فانه اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها فاخبر رسول الله صلعم بان عمارا
كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلعم يبكي فجعل يمسح عينيه وقال صلعم ان عادوا لك فعد لهم
ما قلت فمن هنا حكم العلماء بان الاكراه يجوز التلفظ بكلمة الكفر وحد الاكراه ان يعذب بعذاب لا طاقة له به كالتخويف بالقتل والضرب الشديد
وسائر الايلامات القوية واجمعوا على ان قلبه عند ذلك يجب ان يكون متبرئا عن الكفر وان يقتصر على التعريض ما امكن مثل ان يقول ان
محمدا كذاب يعني عند الكفار او يعني به محمدا اخر او يذكره على نية الاستفهام بمعنى الانكار واذا العجلة من اكره من احضار هذه النية او لانه لما عظم
خوفه زال عن قلبه ذكر هذه النية كان ملوما وعفو الله متوقع ولو ضيق المكره عليه حتى صرح بالكفر من غير تورية وطلب منه ان يقول لا اريد
بقلبي سوى ما اذكره بلساني فههنا يتعين اما الكذب واما تعريض النفس للقتل بالعذاب فمن الناس من قال يباح له الكذب ومنهم من قال ليس له
ذلك واختاره القاضي لان الكذب انما يقبح لكونه كذبا فوجب ان يقبح على كل حال ولو خرج الكذب عن القبح لغاية بعض المصالح لم يمتنع ان
يفعل الله الكذب لمصلحة ما فلا يبقى وثوق بوعده ووعيده وللاكراه مراتب منها ان يجب الفعل المكره عليه كما لو اكره على شرب الخمر واكل
الميتة لما فيه من صون النفس مع عدم اضرار بالغير ولا اهانة لحق الله ومنها ان يصير الفعل مباحا لا واجبا كما لو اكره على التلفظ بكلمة الكفر
لما روي ان بلالا صبر على العذاب وكان يقول احد احد حتى ملوه وتركوه ولم يقل رسول الله صلعم بئس ما فعلت بل عظمه ولان في ترك التقية
والصبر على القتل والتعذيب اعزازا للاسلام ومنها انه لا يجب ولا يباح بل يحرم كما اذا اكره على قتل انسان او على قطع عضو من اعضائه فههنا
يبقى الفعل على الحرمة الاصلية وهل لو قتل فللعلماء فيه قولان احدهما لا يلزم القصاص وبه قال ابو حنيفة والشافعي في احد قوليه لانه قتله عن نفسه
فاشبه قتل الصائل ولانه كالالة للمكره ولذلك وجب القصاص على المكره وثانيهما وبه قال احمد والشافعي في اصح قوليه ان عليه القصاص لانه
قتله عدوانا لاستبقاء نفسه فصار كما لو قتل المضطر انسانا فاكله ومن الافعال ما لا يمكن الاكراه عليه لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع من انتشار
الالة فلو دخل الزنا في الوجود علم انه وقع بالاختيار لا بالاكراه والاصح ان الاكراه فيه متصور وان الحد يسقط وعن ابي حنيفة انه ان اكره السلطان
لم يجب الحد وان اكره بعض الرعية وجب قال بعض الاصوليين في قوله وقلبه مطمئن بالايمان دلالة على ان محل الايمان هو القلب فهو اما الاعتقاد
ان كان الايمان معرفة واما كلام النفس ان كان تصديقا وانتصاب صدرا على التمييز واصله ولكن من شرح بالكفر صدره فعدل الى النصب
للمبالغة ولبناء الكلام على الابهام ثم التفسير قوله ذلك بانهم اي ذلك الارتداد بسبب انهم رجحوا الدنيا على الاخرة ولاجل انه تعالى ما
هداهم الى الايمان ولم يعصمهم عن الكفر وقال جار الله ذلك الوعيد والغضب والعذاب بسبب استحقاقهم خذلان الله بكفرهم وهذا
البحث وكذا بحث الطبع والختم والخلاف في تفسيرها بين الاشاعرة والمعتزلة قد مر في اول سورة البقرة وفي غيرها فلا حاجة الى الاعادة اولئك
هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ غفلوا عن تدبر العواقب لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون وقال في اوائل سورة هود هم الاخسرون
لان اولئك صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم فضلوا واضلوا ولذلك ضوعف لهم العذاب فهم الاخسرون وهؤلاء صدوا بانفسهم
فهم الخاسرون ويمكن ان يقال ان ما قبل الفواصل في تلك السورة لم يعتمد على الف قبلها مثل يبصرون يفترون وفي هذه السورة اعتمدت
على الالف مثل الكافرين الكاذبون فجاء وجعل في كل سورة على ما يناسبها ولما ذكر حال من اكره اتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن قال جار
الله معنى ثم ان ربك تباعد حال هؤلاء من حال عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم فينصرهم ولا يخذلهم ويحتمل ان يكون
الجار متعلقا بالخبر على نية التاخير وتكرير ان لطول الكلام ومن قرأ من بعد ما فتنوا بفتح الفاء مبنيا للفاعل فوجهان فتن وافتتن بمعنى
والمراد ان اولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكانهم فتنوا انفسهم لان الرخصة في اظهار كلمة الكفر ما نزلت بعد او اراد
ان اكابر المشركين الذين اذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فان الله يقبل توبتهم ومعنى ثم على هذا التفسير ظاهر ومن قرأ بضم الفاء
مبنيا للمفعول فالمراد ان المستضعفين المعذبين الذين حملهم اقوياء المشركين على الردة والرجوع عن الايمان ان هاجروا وجاهدوا
وصبروا فان الله يغفر لهم تكلمهم بكلمة الكفر وقال الحسن هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة فعرضت لهم فتنة فارتدوا وشكوا في
الرسول ثم اسلموا وهاجروا فنزلت الاية فيهم يعني ثم بتعيد حالة الغفران والرحمة عن حالة الارتداد والشك في امر الرسول الا انه سبحانه بكرمه
يغفر لهم اذا تابوا وقيل نزلت في عبد الله بن ابي سرح ارتد فلما كان يوم الفتح امر النبي صلعم بقتله فاستجار له عثمان فاجاره رسول الله صلعم ثم انه
اسلم وحسن اسلامه وهذه الروايات انما تصح لو جعلنا الاية مدنية ومثله ما روي عن قتادة انه لما انزل الله ان اهل مكة لا يقبل منهم اسلام حتى
يهاجروا كتب بها اهل المدينة الى اصحابهم من اهل مكة فلما جاءهم ذلك خرجوا فلحقهم المشركون فردوهم فنزلت الم احسب الناس ان يتركوا

سورة النحل

ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فكتبوا بها اليهم فتبايعوا بينهم ان يخرجوا فان لحق بهم المشركون من اهل مكة قاتلوهم حتى ينجوا او يلحقوا بالله
فادركهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزلت هذه الآية والضمير في قوله من بعدها يرجع الى الافعال المذكورة من الهجرة
والجهاد والصبر والحاصل ان الآية اما نازلة فيمن عذب بمكة فارتد ومع ذلك هاجروا وجاهدوا واما نازلة فيمن اظهر الكفر تقية فبين تعالى ان حاله
اذا هاجر وجاهد وصبر كحال من لم يكن كذلك واما نازلة فيمن ارتد ثم تاب وقام بما يجب القيام به فوعد الله المغفرة والرحمة قال الزجاج يوم منصوب
بقوله رحيم او باضمار اذكر او ذكرهم وانذرهم ومعنى الاتيان ظاهر الا ان في قوله عن نفسها اشكالا من حيث اضافة النفس الى ضمير النفس واجيب بان المراد
بالنفس الاولى جملة بدن الحي وبالنفس الثانية الذات فكانه قيل يوم ياتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شان غيره ومعنى المجادلة عنها الاعتذار
عنها كقولهم هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك عن بعضهم تزفر جهنم زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا لركبتيه يقول يا رب
نفسي حتى ان ابراهيم الخليل عليه السلام يفعل ذلك ثم اوعد الكفار بآفات الدنيا ايضا فقال وضرب الله مثلا قرية يحتمل ان يكون مقدرة وان يكون
مقدرة وان يكون معينة موجودة اما مكة او غيرها وذهب كثير من المفسرين الى انها مكة وقال الاقرب انها غيرها لان مثل مكة يكون غير مكة
فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها قال العقلاء ثلاثة ليس لها نهاية الامن والصحة والكفاية فوصف الله تعالى تلك القرية بالامن ثم
بالاطمينان اشارة الى ان هواء ذلك البلد لاعتداله ملائم لامزجة اهله حتى اطمانوا واستقروا ولم يخرجوا الى الانتقال طلبا للصحة ثم قال يأتيها
رزقها رغدا من كل مكان وكانه على حصول الكفاية لهم باليسر فجرت قال في الكشاف الانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس
وابؤس قلت لعله عول على ذلك طلبا للضبط والا فلا حاجة الى هذا التكلف كذا الطلوع لاكثرون ان جمع فعلة يجيء على افعل قيل انما ذكر جمع القلة تنبيها
بالادنى على الاعلى يعني ان كفران النعم القليلة يوجب العذاب فكيف بكفران النعم الكثيرة العظيمة وهذا مثل لاهل مكة كانوا في الامن والطمانينة
والخصب ثم انعم الله عليهم بالنعمة العظيمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا بها وبالغوا في ايذائه فسلط الله عليهم البلاء عذبهم بالجوع سبع سنين حتى اكلوا
الجيف والعظام العلهز والقد وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث اليهم السرايا فيغيرون عليهم نقل ان ابن الراوندي قال لابن الاعرابي الاديب هل يذاق اللباس
فقال ابن الاعرابي لا باس ايها النسناس هب ان محمدا صلى الله عليه وسلم ما كان نبيا اما كان عربيا كانه طعن في الآية ان المناسب هو ان لو قيل فكساها الله لباس الجوع او
فاذاقها الله طعم الجوع فرد عليه ابن الاعرابي والذي اجاب به علماء البيان ان هذا من تجريد الاستعارة وذلك انه استعار اللباس لما غشي
الانسان من بعض الحوادث كالجوع والخوف لاشتماله عليه اشتمال اللباس على اللابس ثم ذكر الوصف ملائما للمستعار له وهو الجوع والخوف
جرى عندهم مجرى الحقيقة فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه غيره فكانت الاستعارة مجردة ولو قال فكساها كانت مرشحة وقد
سلف منا تقرير هذا الاصطلاح في المقدمة التاسعة من مقدمات الكتاب وترشيح الاستعارة وان كان مستحسنا من جهة المبالغة الا ان
للتجريد ترجيحا من حيث انه روعي جانب المستعار له فازداد الكلام وضوحا وقيل ان اصل الذوق بالفم ثم قد يستعار فيوضع موضع التعرف
والاختبار تقول اناظر فلانا فاذوق ما عنده قال شعر: ومن يذق الدنيا فاني طعمتها: وسيق الينا عذبها وعذابها: فمعنى ذوق لباس
الجوع والخوف على فلان تعرف ما ظهر عليه من الضمور وشحوب اللون وتغير الحال وكسوف البال فمعنى الآية عرفها الله اثر لباس الجوع و
قيل حمل اللباس على المماسة والتقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون قال ابن عباس يريد بفعلهم بالنبي صلى الله عليه وسلم من التكذيب
والهم بقتله والاخراج من مكة قال الفراء كل الصفات اجريت على القرية الا قوله يصنعون تنبيها على ان المراد في الحقيقة اهلها ولما ذكر المثل
والممثل قال ولقد جاءهم يعني اهل مكة رسول منهم من انفسهم يعرفونه باصله ونسبه فكذبوه فاخذهم العذاب وهم ظالمون متلبسون بالظلم قال ابن
عباس يعني بالعذاب الجوع الذي كان بمكة وقيل القتل يوم بدر وقيل ان قول ابن عباس اولى والمراد ان ذلك الجوع بسبب كفرهم فاتركوا الكفر
فكلوا مما رزقكم الله من الغنائم فكل الغنائم بسبب ترك الكفر فلذلك وصله بالفاء وقال الكلبي ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جهدوا
وقالوا عاديت الرجال فما بال الصبيان والنساء وكانت الميرة قد قطعت عنهم باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن في الحمل فحمل الطعام
اليهم فذلك قوله فكلوا ورجح قول ابن عباس بانه تعالى قال بعد ذلك انما حرم عليكم الميتة فالمراد انكم لما امنتم وتركتم الكفر فكلوا الحلال
الطيب وهو الغنيمة واتركوا الخبائث وهو الميتة والدم وانه سبحانه اعاد تحريم هذه الاشياء في البقرة وفي المائدة وفي الانعام وفي هذه السورة قطعا
للاعذار وازالة للشبهة ثم زيف طريقة الكفار في الزيادة على هذه المحرمات كالبحيرة والسائبة وفي النقصان كتحليلهم الميتة والدم فقال ولا
تقولوا لما تصف السنتكم الكذب قال الكسائي والزجاج ما مصدرية وانتصاب الكذب بلا تقولوا اي ولا تقولوا الكذب لاجل وصف السنتكم
قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب ويجوز ان ينتصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية ايضا اي لا تقولوا هذا حلال وهذا
حرام بوصف السنتكم الكذب ومعناه لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به السنتكم من غير حجة ودليل ويجوز ان تكون ما موصولة اي لا تقولوا
للذي تصف السنتكم الكذب فيه هذا حلال وهذا حرام فحذف لفظة فيه لكونه معلوما وقوله تصف السنتكم الكذب من فصيح الكلام وبليغه كان
ماهية الكذب مجهولة وكلامهم يكشف عن حقيقته نظيره قولهم وجهها يصف الجمال وعينه تصف السحر واللام في قوله لتفتروا لام العاقبة لا الغرض
المقصود ذكره ببيان انه كذب على الله فان قوله لما تصف السنتكم الكذب لم يكن فيه هذا البيان ثم اوعد المفترين بقوله ان الذين يفترون لا يه

نعمة

نبيا اما كان صح

الا ان الظاهر ان المراد على هذا الجوع والخوف صح



وقوله متاع قليل قال الزجاج اي متاعهم وعن ابن عباس يريد ان متاع كل الدنيا قليل والمعنى ان منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية
اولان نعيم الدنيا كلها بالنسبة الى ما يزول عنهم قليل ولهم عذاب اليم في العقاب لاثم الالم ثم خص محرمات اليهود بالذكر فقال وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا
عليك من قبل يعني في سورة الانعام عند قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ثم قال وما ظلمناهم كقوله هناك ذلك جزيناهم
ببغيهم ثم بين ان الافتراء على الله ومخالفة امره لا يمنعهم من التوبة وحصول المغفرة والرحمة وقوله بجهالة في موضع الحال اي عملوا السوء جاهلين
غير عارفين بالله وبعقابه او غير متاملين في العاقبة لغلبة الشهوة عليهم ان ربك من بعدها من بعد تلك التهمة والتوبة او الجهالة
ولما بالغ في ابطال مذاهب المشركين في الجواب عن شبههم ومطاعنهم وكان ابرهيم صلى الله عليه وسلم رئيس الموحدين وقدوة اكابر النبيين ذكره الله
تعالى في اخر هذه السورة فقال ان ابرهيم كان امة اي هو وحده امة من الامم لكماله في جمع صفات الخير وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد
وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا قيل انه امة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في زيد بن عمرو بن نفيل يبعثه الله امة وحده
وعن شهر بن حوشب لم يكن زمن الا وفيه اربعة عشر يدفع بهم الله عن اهل الارض الا زمن ابرهيم فانه وحده وقيل امة بمعنى ماموم اي يؤمه
الناس ليأخذوا منه افعال الخير او بمعنى مؤتم به كقوله اني جاعلك للناس اماما وقيل انه من باب اطلاق المسبب على السبب وفيه خصلة
لمنه الامتياز عن سواهم قانتا لله قائما بما امره الله وعن ابن عباس مطيعا لله حنيفا مائلا الى ملة الاسلام ميلا لا يزول عنه وقال ابن عباس
المراد انه اول من اختتن واقام مناسك الحج وضحى ولم يك من المشركين قط لا في الصغر ولا في الكبر شاكرا لانعمه وان كانت قليلة فضلا عن
النعم الكثيرة يروى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر فدعاهم الى
الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الان وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على انه عافاني وابتلاكم اجتباه اختصه واصطفاه للنبوة وهداه الى
صراط مستقيم اي ملة الاسلام واتيناه في الدنيا حسنة عن قتادة هي ان الله حببه الى اهل الاديان كلها وقيل الاموال والاولاد وقيل
قول المصلي منا كما صليت على ابرهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين في اعلى مقاماتهم من الجنة تحقيقا لدعائه والحقني بالصالحين قال في
الكشاف معنى ثم في قوله ثم اوحينا اليك تعظيم هذا النعت من بين سائر النعوت التي اثنى الله بها على ابرهيم ليعلم ان اجل ما اوتي خليل
الله اتباع نبينا ملته في الاصول من التوحيد والمعاد وتخيرها كاختيار يوم الجمعة للفراغ وترك العمل قال اهل النظم كان لسائل ان يسئل
لم اختار اليهود السبت مع ان ابرهيم كان اختار الجمعة فاجاب الله سبحانه بقوله انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فاختاره بعضهم
للفراغ واختار بعضهم الجمعة روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انه قال امرهم موسى بالجمعة وقال تفرغوا في كل سبعة ايام يوما واحدا فابوا ان
يقبلوا ذلك وقالوا لا نريد الا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فشدد عليهم ثم جاءهم عيسى بالجمعة ايضا فقالت النصارى لا
نريد ان يكون عيدهم بعد عيدنا فاتخذوا الاحد وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله كتب يوم الجمعة على من كان قبلنا فاختلفوا فيه وهدانا الله
له فالناس لنا تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وقال صاحب الكشاف السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت
وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة وضعف القول
الاول بان اليهود متفقون على تعيين يوم السبت للفراغ ويمكن ان يقال لعل فيهم من اختار الجمعة في قديم الدهر ثم وقع الاختلاف سؤال النصارى
يقولون ان يوم الاحد مبدأ الخلق والتكوين على ما اتفق عليه اهل الملل ان الله تعالى خلق العالم في ستة ايام اولها الاحد فجعله عيدا معقول و
اليهود قالت ان يوم السبت هو اليوم الذي فرغ الله فيه من الاعمال فنحن نوافق ربنا فاوجه جعل الجمعة عيدا والجواب بعد التعبد هو ان يوم الجمعة
يوم التمام والكمال وذلك يوجب الفرح والسرور فجعله عيدا اولى ثم اوعد اليهود بقوله وان ربك ليحكم الاية ولما امر محمدا باتباع ابرهيم صلى الله عليه وسلم بين
المتابعة فقال ادع الى سبيل ربك الاية وفيه ان طريقته صلى الله عليه وسلم في الدعوة كانت هكذا وتقريره ذلك ان الداعي الى مذهب ونحلة لا بد ان يكون
قوله مبنيا على حجة وهي اما ان يكون يقينية قطعية مبرأة من شائبة احتمال النقيض واما ان يكون مفيدة للظن القوي والاقناع والالزام يمكن
ملتفتا اليها في العلوم وقد يكون الجدال والخصام غالبا على المدعو فيحتاج الى الزامه وافحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة
عند الجمهور او من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور او من مقدمات مسلمة عند الخصم فقوله بالحكمة اشارة الى استعمال الحجج القطعية المفيدة
لليقين والمكالمة بهذا الطريق انما يكون مع الطالبين البالغين في الاستعداد الى درجة الكمال وقوله والموعظة الحسنة اشارة الى استعمال
الدلائل الاقناعية الموقعة للتصديق بمقدمات مقبولة واهل هذه المكالمة اقوام انحطت درجتهم عن درجة الكاملة الا انهم باقون على الفطرة
الاصلية طاهرون عن دنس الشغب وكدورات الجدال وهم عامة الخلق وليس للدعوة الا هذان الطريقان لكن الداعي قد يضطر مع الخصم
الالد الى استعمال الحجج الملزمة المفحمة كما قلنا فلهذا السبب عطف على الدعوة قوله وجادلهم بالتي اي بالطريقة التي هي احسن وكان طريق
الجدال لم يكن سلوكه مقصودا بالذات وانما اضطر الداعي اليه لاجل كون الخصم مشاغبا وانما استحسن هذا الطريق لكون الداعي محقا
وغرضه صحيحا فان كان مبطلا واراد تغليط السامع لم يكن جدلا احسن ويسمى دليله مغالطة هكذا ينبغي ان يتصور تفسير هذه الاية فان كلام المفسرين
الظاهرين فيه غير مضبوط وجوز في الكشاف ان يريد القرآن اي ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة وجادلهم باحسن طرق المجادلة



من الرفق واللين وفي ترك فظاظة ولا عنف ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة وبين ان الرشد والهداية ليس الى النبي وانما ذلك الى الله تعالى فقال
اي تتلب مواعلم الاية اي مواتها الرحال النفوس واهتدائها وكذا ودنها وصفاتها لان جعل الدعوة سببا لسعادتها او واسطة لشقاوتها
ثم ان الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المالوف والفطام عنه شديد وربما يجر المقاولة الى القتال فرخص امر الداعي وانباعهم
برعاية العدل والانصاف في حال القتال فقال وان عاقبتم اي ان رغبتم في استيفاء القصاص ان وقع قتل فاقتصوا بالمثل ولا تزيدوا عليه
عاقبوا بمثل ما عوقبتم به قيل سبب النزول ان قصة حمزة فان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ما تركوا احدا غير ممثول
الا حنظلة ابن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروي فرآه مبقور البطن فقال اما والذي احلف به ان اظفرني الله بهم لامثلن
سبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده قال ابن عباس في رواية عطاء وابي بن كعب ومن هذا ذهبوا الى ان خواتيم سورة النحل مدنية
ولا خلاف في تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور وقيل نزلت حين كان المسلمون قد امروا بالقتال مع من يقاتلهم ولا
يبدؤا بالقتال فهو كقوله وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم امر الله تعالى ان يعاقبوا بمثل ما يصيبهم من العقوبة ولا يزيدوا وقال مجاهد
والنخعي وابن سيرين انه نهي المظلوم عن استيفاء الزيادة من الظالم وفي قوله وان عاقبتم رمز الى ان الاولى له ان لا يفعل كقول الطبيب للمريض ان كنت
تاكل الفاكهة فكل التفاح ثم انتقل من التعريض الى بعض التصريح فقال ولئن صبرتم لهو خير اي صبركم خير لكم فوضع المظهر موضع المضمر ثناء
من الله عليهم او وصفا لهم بالصفة التي تحصل لهم او جنس الصبر خير للصابرين منهم ثم صرح كل التصريح فقال واصبر ثم ذكر ما يهون الصبر على النفس
فقال وما صبرك الا بالله اي بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبه وهذا السبب كلي مفيد للصبر واما السبب الجزئي القريب فذلك قوله ولا تحزن عليهم
ولا تك وذلك ان اقدام الانسان على الانتقام لا يكون الا عند هيجان الغضب انه لا يهيج الا عند فوات نفع واشار اليه بقوله ولا تحزن عليهم
قيل اي على قتلى احد وما على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين والثاني توقع مكروه في المستقبل واشار الى ذلك بقوله ولا تك في
ضيق من قرأ بكسر الضاد فظاهر وهو من الكلام المقلوب الذي يشجع عليه امن الالتباس لان الضيق وصف فهو يكون في الانسان
ولا يكون الانسان فيه وفيه لطيفة اخرى وهي ان الضيق اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط به من جميع الجوانب ومن قرأ بفتحها فاما على انه مصدر
ايضا او على انه مخفف ضيق فمعناه في امر ضيق وانما قيل ولا تكن بالنون كما في اخر النمل موافقة لما قبله وما يكن من المشركين ولان الحزن ههنا
اكثر بناء على انها وردت في قتل حمزة فبولغ بالحذف في النهي عن الحزن ثم ختم السورة بانه جامعه لجميع المامورات والمنهيات فقال ان الله مع الذين
اتقوا المعاصي كلها والذين هم محسنون في الطاعات بان يعبدوا الله مخلصين غير شوائب الرياء وقيل ان الله مع الذين اتقوا استيفاء الزيادة
والذين هم محسنون في ترك اصل الانتقام فان اردت ان اكون معك بالنصر والتائيد فكن من المتقين ومن المحسنين وفيه ان الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر يجب ان يكون بالرفق واللين مرتبة مرتبة وقيل الذين اتقوا اشارة الى التعظيم لامر الله والذين هم محسنون اشارة الى
الشفقة على خلق الله ومنه قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق واحتضر هرم بن حيان فقيل له اوص فقال انما
الوصية من المال ولا مال لي واوصيكم بخواتيم سورة النحل التاويل واذا بدلنا اية مكان اية فيه انه تعالى يعالج بدواء القران امراض القلوب في كل وقت بنوع اخر على
نعلمهم من الصالح ولذلك قال والله اعلم بما ينزل وبشرى للمسلمين الذين استسلموا للطبيب ومعالجته حتى صارت قلوبهم سليمة انما يعلمه بشر فيه اشارة
الى ان طب القلوب وعلاجها من شان البشر بنظر العقل لانه مبني على معرفة الامراض واسبابها وكيفيتها ومعرفة الادوية وخواصها وكيفية استعمالها
ومعرفة الامزجة واختلاف احوالها وان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء فيضيق عن معالجتها نطاق عقول البشر ولهذا قال ابراهيم
واذا مرضت فهو يشفين اللهم الا اذا علم بتعليم الله كقوله وعلمك ما لم تكن تعلم ومع هذا كان يقول نحن نحكم بالظاهر لمجد ونا اليه ايحمي مو الذي
لا يفهمون كلام الله واسراره وحقائقه والمرجى صدقه كما قال فانما يسرناه بلسانك انما يفتري الكذب لان الافتراء من شان النفس الامارة الكافرة التي لا
يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون اي هم الذين اسمهم واصلهم الكذب لان المؤمن قد يكذب في بعض الاحوال الا انه لا يصر على ذلك ولهذا
جميع المعاصي ولهذا لا يخرج من الايمان بالكلية ولكن ينقص الكذب ايمانه ويرجع بالتوبة الى اصله قال النبي ما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب
حتى يكتب عند الله كذابا من كفر بالله من بعد ايمانه اشارة الى المريد المرتد بعد ما يهيج نفحات الحق بمشام قلبه عند هبوبه واصطكاك المؤمن
سالم الباطن وانخرق سحب البشرية فلمع لمعة من صناء نيرات افاق سماء القلب واشرقت ارض النفس فامن بحقيقة الطلب لطالب واحتمال
التعب فاستوقد نار الشوق والمحبة فلما اضاءت ما حوله وبذل في الاجتهاد جده وجهده ذهب نكبات النكبات تصديقه بشرائط قلبه و
ذهب الله بنوره وانطفات نار الطلب فمال المشوم الى طبعه الا من اكره على مباشرة فعل وقول يخالف الطريقة من معاملات اهل الطبيعة وقلبه
فيها في الظاهر ويخالفهم بالباطن حتى يتخلص من شوم صحبتهم استحبوا اختاروا الحياة الدنيا وشهواتها على محبة الله ولن الله لا يهدي
القوم الكافرين بنعمته واولئك هم الغافلون عما اعد الله لعباده الصالحين هم الخاسرون لانه لا اعضاء المعبودية وورث خسران القلوب عن
مواهب الربوبية ثم ان ربك للذين هاجروا اوطانهم ومواهم من بعد ما فتنوا بمخالفة اهل الحق ثم جاهدوا النفوس بسيوف الرياضات
وصبروا على تزكيتها وتحليتها متمسكين بذيل ارادة الشيخ يوم تاتي ارباب النفوس تجادل عن نفسها على قدر نقائها ووجوبها من فعل المضادة



اوبدل بالمنافع فيها حتى ان كل نبي يقول نفسي نفسي الا محمد عليه السلام فانه بالكلية عن نفسه فانى بعفاء ربه فيقول امتي امتي لانه مستور بنور وجوده المفقود في الدنيا والمنافع في الاخرة بما فتح الله له ليلة المعراج اذ اكرمه بخطاب سلام عليك ايها النبي فغني عن وجوده بالسلام وبقي بوجوده بالرحمة فكان رحمة مهداة به كما قال الناس كافة ولكن رفع الدلالة من تلك الضيافة وجب لمتابعه فلهذا قال السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين يعني الذين صلحوا لهذا التحري بالوجود في طلب المقصود فهي قرية تخص الانسان كانت امنة اهله وهو الروح الانساني مطمئنة بذكر الله ياتيها رزقها من المواهب من كل مكان روحاني وجسماني فكفرت النفس الامارة فاذاقها الله لباس الجوع وهو انقطاع مواد التوفيق فاكلوا من جيفة الدنيا ومينة المستلذات والخوف وهو خوف الانقطاع عن الله ولقد جاءهم رسول الوارد الرباني فما تخلفوا بالخلافة وكلوا مما رزقكم الله من انوار الشريعة واسرار الطريقة فهذا حلال وهذا حرام على عادة اهل العبادة الا باحة وعلى الذين هادوا تابوا ورجعوا من موانع الوصول ما قصصنا عليك في بدو نبوتك حتى كنت تحزنا عن صحبة خديجة وتحنثت الى حرا اسبوعا واسبوعين وما ظلمناهم بتحريم ذلك عليهم بل انعمنا به عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالاعراض عنا بعد الاقبال علينا ثم يك من المشركين ممن له شرك مع الله في الوجود اتبع ملة ابرهيم في الظاهر حتى يتبعك هو في الباطن ولهذا ذهب الى ربه سيهدين اي ذاهب الى ربي واسرى بمحمد كما سبحان الذي اسرى بعبده فهو خليل وانت حبيب يتبع الخليل في الدنيا فيتبعك الخليل في الاخرة الناس محتاجون الى شفاعتي يوم القيمة حتى ابرهيم وان عاقبتم بنفس الامارة فعاقبوها بالغوائل عقابها بالفطام عن ما لوفاتها بمثل ما عوقبتم به من الانقطاع عن مواد التوفيق والمواهب ولئن صبرتم على معاقبتهم لهو خير لان عتاب الحبيب على قدر عقاب العدو ومن اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واصبر على معاقبة النفس ومخالفة الهوى وما صبرك الا بالله ولا يقدر احد ان يتصف بصفات الابرار ان يتجلى بتلك الصفة له ولا تحزن على النفس وجنودها عند المعاقبة فان فيها صلاح حالهم ومالهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فان مكرهم يندفع بمعونة الله عند الفرار اليه

سورة بني اسرائيل مكية الا قوله وان كادوا ليفتنونك وقوله وقل جاء الحق وهي ستة الاف واربعمائة وستون حرفا والف وخمسمائة وثلاثة وستون كلمة آياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ

مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا

مِنْ دُونِي وَكِيلًا ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ

لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي

بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ

وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا

وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ

عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

ع الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا

وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ

وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا

وَكُلَّ اِنْسَانٍ اَلْزَمْنٰهُ فِيْ عُنُقِهٖ وَنُخْرِجُ لَهٗ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ كِتٰبًا يَّلْقٰهُ مَنْشُوْرًا ۝ اِقْرَاْ كِتٰبَكَ كَفٰى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيْبًا ۝ مَنِ اهْتَدٰى فَاِنَّمَا يَهْتَدِيْ لِنَفْسِهٖ وَمَنْ ضَلَّ فَاِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِّزْرَ اُخْرٰى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِيْنَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُوْلًا ۝ وَاِذَآ اَرَدْنَآ اَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً اَمَرْنَا مُتْرَفِيْهَا فَفَسَقُوْا فِيْهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنٰهَا تَدْمِيْرًا ۝ وَكَمْ اَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُوْنِ مِنْ بَعْدِ نُوْحٍ وَكَفٰى بِرَبِّكَ بِذُنُوْبِ عِبَادِهٖ خَبِيْرًا بَصِيْرًا ۝ مَنْ كَانَ يُرِيْدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهٗ فِيْهَا مَا نَشَآءُ لِمَنْ نُّرِيْدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهٗ جَهَنَّمَ يَصْلٰىهَا مَذْمُوْمًا مَّدْحُوْرًا ۝ وَمَنْ اَرَادَ الْاٰخِرَةَ وَسَعٰى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَاُولٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُوْرًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هٰٓؤُلَآءِ وَهٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوْرًا ۝ اُنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلٰى بَعْضٍ وَلَلْاٰخِرَةُ اَكْبَرُ دَرَجٰتٍ وَّاَكْبَرُ تَفْضِيْلًا ۝

القراءة يتخذوا بياء الغيبة ابو عمرو وعباس مخيرا الباقون بتاء الخطاب سائر بالمد ابو عمرو ويزيد والاصبهاني عن ورش والاعشى وحمزة في الوقف ليسوء بياء الغيبة على التوحيد ابن عامر وحمزة وابو بكر وحماد ولنسوء بالنون علي الباقون ليسوؤا على الجمع ويبشر مخففا حمزة وعلي ويخرج بالياء مجهولا يزيد ويخرج لازما يعقوب الآخرون بالنون متعديا يلقاه مشددا ابن عامر ويزيد وروى النقاش عن ابن ذكوان بالامالة الباقون مخففة وقرا حمزة وعلي وخلف بالامالة اقرا كتابك بغير همز الاعشى ويزيد وحمزة في الوقف امرنا من باب المفاعلة يعقوب الوقوف الجزء الخامس عشر ايتنا ط البصير ه لمن قرا تتخذوا بتاء الخطاب لامكان ان يجعل ذرية منادى نوح ط شكورا ه كبيرا ه الدنيا مفعولا ه نفيرا ه فلها ط لان ما بعده عائد الى قوله فاذا جاء وعد اوليهما مع اعتراض العوارض تتبيرا ه يرحمكم ط للابتداء بالشرط مع العطف عدنا م لئلا يوهم العطف حصيرا ه كبيرا ه للعطف اليما ه بالخير ط عجولا ه والحساب ط تفصيلا ه عنقه ط منشورا ه كتابك ط حسيبا ه لتعذر الشرط لنفسه ج للشرط مع العطف عليها ط اخرى ط رسولا ه تدميرا ه نوح ط بصيرا ه جهنم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف مدحورا ه مشكورا ه عطاء ربك ط محظورا ه بعض ط تفضيلا ه التفسير لما عزم على نبيه في خواتيم النحل جوامع مكارم الاخلاق حكى طرفا مما اختصه به من المعجزات فقال سبحان الذي وهو اسم علم للتسبيح وقد مر اعرابه في قوله سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا والمراد تنزيه الله من كل ما لا يليق بجلاله واسرى وسرى لغتان يروى انه لما وصل النبي صلعم الى المراتب العلية في معراجه اوحى الله اليه يا محمد بم اشرفك فقال يا رب بنسبتي الى نفسك بالعبودية فانزل فيه سبحان الذي اسرى بعبده وقوله ليلا نصب على الظرف وفيه تاكيد الاسراء وفي تنكيره تقليل مدة الاسراء لان التنكير فيه معنى البعضية اخبر انه اسرى به في بعض الليل من المسجد الحرام عن النبي صلعم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبرئيل بالبراق وقيل المراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد والى هذا القول ذهب الاكثرون قالوا انه اسرى به من دار ام هاني بنت ابي طالب قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعثة الى المسجد الاقصى هو بيت المقدس بالاتفاق سمي بالاقصى لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ولم يكن حينئذ وراءه مسجد الذي باركنا حوله يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى ع ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة وقوله اسرى مع قوله باركنا سلوك لطريقة الالتفات لنريه من اياتنا بيان لحكمة الاسراء سؤال اري ابرهيم ملكوت السموات والارض واري محمد صلعم بعض اياته فيلزم ان يكون معراج ابرهيم افضل الجواب لعل بعض الايات المضافة الى الله تعالى اشرف واجل من ملكوت السموات والارض كلها ولهذا ختم الاية بقوله انه هو السميع لاقوال محمد البصير بافعاله المهذبة الخالصة فيكرمه على حسب ذلك واعلم ان الاكثرين من علماء الاسلام اتفقوا على انه اسرى بجسد رسول الله صلعم والاقلون على انه ما اسرى الا بروحه حكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كان ذلك رؤيا وانه ما فقد جسد رسول الله صلعم ولكنه عرج بروحه وحكى هذا القول عن عائشة ايضا وقد احتج بعض العقلاء على هذا القول بوجوه منها ان الحركة الجسمانية البالغة في السرعة الى هذا الحد غير معقولة ومنها ان صعوده الى السموات يوجب انخراق الفلك ومنها انه لو صح ذلك لكان من اعظم معجزاته فوجب ان يكون بمحضر من الجم الغفير حتى يستدلوا بذلك على صدقه وما الفائدة في اسرائه ليلا على حين غفلة من الناس ومنها ان الانسان عبارة عن الروح وحده باق من اول عمره الى اخره والاجزاء البدنية في التغير والانتقال والباقي مغاير للمتغير ولان الانسان يدرك ذاته حين ما يكون غافلا



مع جميع جوارحه واعضائه ومنها قوله سبحانه وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس فما تلك الرؤيا الا حديث المعراج وانما كانت
فتنة للناس لان كثيرا ممن امن به حين سمعها ارتد وكفر به ومنها ان حديث المعراج الجسماني اشتمل على اشياء بعيدة عن العقل كشق بطنه وتطهيره
بماء زمزم وركوب البراق وايجاب خمسين صلوة فان ذلك يقتضي نسخ الحكم قبل حضور وقته وانه يوجب البداء. اجاب الاكثرون عن الاول
بان حركة الرسول صلعم من مكة الى فوق الفلك الاعظم لم يكن الا نصف القطر الى نصف الدور ونسبة الواحد الى ثلثة امثال وسبع هي نصف
حركة الفلك في يوم بليلته واذا كان الاكثر واقعا فالاقل بالامكان اولى ولو كان القول بمعراج محمد صلعم في ليلة واحدة ممتنعا لكان القول بنزول
جبرئيل من العرش الى مكة في لحظة واحدة ممتنعا لان الملائكة ايضا اجسام عند جمهور المسلمين وكذا القول في حركات الجن والشياطين وقد
سخر الله تعالى لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقد قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وكان
عرش بلقيس في اقصى اليمن وسليمان في الشام وعلى قول من يقول ان الابصار بخروج الشعاع وعلى قول من يقول ان الابصار انما يتصل شعاع العين
من البصر الى الكواكب الثابتة في ان واحد فيثبت ان المعراج امر ممكن في نفسه اقصى ما في الباب الاستبعاد وخرق العادة ولكنه ليس مخصوصا
بهذه الصورة وانما ذلك امر حاصل في جميع المعجزات وعن الثاني ان الخرق في الافلاك عند حكماء الاسلام جائز وعن الثالث ان فائدة الاسراء
قد عاينت ليحيث شاهد العالم العلوي والعرش والكرسي وما فيهما وعليهما فحصل في قلبه زيادة قوة وطمانينة بها انقطعت تعلقاته عن الكونين
ولم يبق مشغول القلب بشيء من امور الدنيا والاخرة وعن الرابع ان العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وعن الخامس ان تلك الرؤيا هي
غير حكاية المعراج كما سيجيء في تفسيره ولو سلم انها هي المعراج فالرؤيا بمعنى الرؤية وعن السادس انه لا اعتراض على الله تعالى في شيء من افعاله
والله على كل شيء قدير واعلم انه ليس في الاية دلالة الا على العروج من بيت المقدس الى السموات والى ما فوق العرش الا انه ورد الحديث به
ومنهم من استدل على ذلك باول سورة النجم وبقوله لتركبن طبقا عن طبق وتفسيرهما مذكور في موضعه يروى انه كان صلعم نائما في بيت
ام هاني بعد صلوة العشاء فاسري به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هاني وقال مثل لي النبيون وصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد
فتشبثت ام هاني بثوبه فقال ما لك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول
الله صلعم بحديث الاسرى به من مكة الى بيت المقدس ومنه عرج الى السماء وراى ما فيها من العجائب ولقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة
المنتهى فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان امن به وسعى
رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال اني لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق
وكان فيهم من سافر الى الشام فاستنعتوه المسجد فجلي له صلعم بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا
اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو
الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت وقال اخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد صلعم ثم لم يؤمنوا و
قالوا ما هذا الا سحر مبين ولما حكى طرفا من اكرام موسى فقال واتينا موسى الكتاب اي التورية وجعلناه هدى لبني اسرائيل اخرجناهم بها
من ظلمات الجهل والكفر الى نور العلم والدين ان لا تتخذوا من قرا على الغيبة فان ناصبة ولام العاقبة محذوفة اي لئلا يتخذوا ومن قرا
على الخطاب فان مفسرة معناها اي لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا او زائدة والقول مضمر يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا
ربا تكلون اليه اموركم يا ذرية من حملنا مع نوح قال قتادة الناس كلهم ذرية نوح عم لانه كان معه في السفينة ثلثة بنين سام وحام ويافث والناس
كلهم من ذريته اولئك فقوله يا ذرية قائم مقام قوله يا ايها الناس وعلى القراءة الاولى انتصب ذرية على الاختصاص وعلى القرائتين احتمل
ان ينتصب على انه مفعول اول لتتخذوا اي لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين
مع نوح عيسى وعزير ثم علل النهي عن الاشراك بقوله انه كان عبدا شكورا اي انتم ذرية من امن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعلوه اباءكم
اسوتهم في الشكر لله وعدم اتخاذ الشريك له ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاص بني اسرائيل والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح
فهم متصلون به فلهذا استاهلوا الاختصاص وجوز في الكشاف ان يكون ثناء على نوح بطريق الاستطراد يروى من شكره انه اذا كان اذا
اكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظماني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني
ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضى حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني اذاه في عافية ولو
شاء حبسه كان اذا اراد الافطار عرض طعامه على من امن به فان وجده محتاجا اثره به ثم ذكر ان كثيرا من بني اسرائيل ما اهتدوا بهدى التورية
فقال وقضينا الى بني اسرائيل اوحينا اليهم وحيا مقضيا مقطوعا به في الكتاب الذي هو التورية وقوله لتفسدن جواب قسم محذوف
او اجرى القضاء المبتوت مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن في الارض ارض مصر مرتين ولتعلن لتعظمن ولتستولن على الناس علوا
كبيرا تسلطا عظيما وبغيا شديدا فاذا جاء وعد عقاب اولاهما اولى المرتين بعثنا ارسلنا وسلطنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد
اصحاب نجدة وشدة في القتال فجاسوا ترددوا للغارة خلال الديار اوساطها وفرجها يعني ديار بيت المقدس وكان وعد العقاب وعدا

وقطر الفلك سبعة

محله ذكر شيئا من اكرام صح



مفعولا لابد من وقوعه ثم رددنا لكم الكرة الدولة والغلبة عليهم على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وجعلناكم
اكثر نفيرا مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه احتجت الاشاعرة بقوله سبحانه وقضينا بعثنا وكان وعدا مفعولا على صحة القضاء
والقدر وان الفساد والنهب والقتل والاسر كلها بفعله واجابت المعتزلة بان المراد انه خلى بينهم وبين ما فعلوا ولم يمنعهم عن تخريب بيت المقدس
واحراق التورية وقتل حفاظها وضعف بان تفسير البعث بالتخلية وعدم المنع خلاف الظاهر على ان الدليل الكلي العقلي قد دل على وجوب انتهاء
الكل اليه ولما حكى عنهم انهم حين عصوا سلط عليهم اعداءهم مهد قاعدة كلية في الاحسان والاساءة فقال ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اسأتم فلها المراد فعليها او فاليها للتقابل مع ان حروف الاضافة بعضها تقوم مقام البعض قال اهل الاشارة انه اعاد الاحسان ولم يذكر الاساءة الا مرة
ففيه دليل على ان جانب الرحمة اغلب فاذا جاء وعد عقاب المرة الآخرة بعثناهم فحذف جواب اذا لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوءوا وجوهكم
ليجعلها الله او الوعد او البعث وليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها لان آثار الاعراض النفسانية الحاصلة في القلب انما تظهر على
الوجه وليتبروا ما علوا ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه ويجوز ان يكون ما بمعنى المدة اي مادام سلطانهم جاريا على بني اسرائيل وقوله
تتبيرا ذكر للمصدر ازالة للشك وتحقيقا للخبر يروى ان بني اسرائيل تعظموا وتكبروا واستحلوا المحارم وقتلوا الانبياء وسفكوا الدماء وذلك
اول الفسادين فسلط الله عليهم بختنصر وسنحاريب جنوده او جالوت عن ابن عباس فقتلوا علماءهم واحرقوا التورية وسبوا منهم سبعين
الفا وبقوا في الذل الى ان قيض الله ملكا آخر من اهل بابل وتزوج بامرأة من بني اسرائيل وطلبت من ذلك الملك ان يرد بني اسرائيل الى بيت المقدس
ففعل وبعد مدة قامت فيهم الانبياء ورجعوا الى احسن ما كانوا عليه ثم اقدموا على قتل زكريا ويحيى وقصدوا قتل عيسى بن مريم وهذا ثاني
الفسادين فانتقم من اليهود بسبب هؤلاء ملك من الروم يقال له قسطنطين الملك وقال صاحب الكشاف المرة الاولى قتل زكريا وحبس ارميا
والآخرة قتل يحيى بن زكريا وقصد قتل عيسى واعلم انه لا يتعلق كثير غرض بمعرفة اعيان هؤلاء الاقوام والمقصود الاصلي الذي دل عليه القرآن
هو انهم كلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم اعداءهم وفيه تحذير للعقلاء من مخالفة اوامر الله ونواهيه ثم قال عسى ربكم يا بني اسرائيل ان يرحمكم
بعد انتقامه منكم في المرة الثانية وان عدتم للثالثة عدنا لها قال اهل السير ثم انهم قد عادوا الى فعل ما لا ينبغي وهو تكذيب محمد و
كتمان ما ورد من نعته في التورية والانجيل فعاد الله عليهم بالتعذيب على ايدي العرب فجرى على بني النضير وقريظة وبني قينقاع ويهود
خيبر ما جرى من القتل والاجلاء ثم الباقون منهم مقهورون بالجزية لا حشمة لهم ولا عز فيهم وهم في عذاب الى يوم القيمة واما بعد ذلك
فهو قوله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي محبسا حاصرا او محصورا لا يتخلصون منه ابدا وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المنسوج
ثم لما شرح فعله في حق عباده المخلصين كمحمد وموسى وفي عبيده العاصين كاكثر بني اسرائيل وكان في ذلك تنبيه على ان طاعة الله توجب
كل خير وكرامة ومعصيته تقتضي كل شر وغرامة عظم شان القرآن المبين للاحكام الهادي للانام فقال ان هذا القرآن يهدي للتي اي للحالة
او الشريعة او الطريقة التي هي اقوم وفي حذف الموصوف فخامة يعرفها اهل البلاغة لعموم الاعتبار وذهاب الوهم كل مذهب قيل هذا
الشيء اقوم من ذلك انما يصح في شيئين يشتركان في معنى الاستقامة ثم يكون للاول فضل على الآخر وكيف يتصور في غير هذا الدين
شيء من الاستقامة حتى يستقيم التفضيل واجيب بان افعل هيهنا بمعنى الفاعل كقولنا الله اكبر اي هو الكبير وكقولهم الناقص والاشج اعدلا
بني مروان اي عادلا بني مروان ويمكن ان يقال لا شيء من الاديان الا وفيه نوع من الاستقامة كالاعتراف بالله الواجب بالذات والالتزام
لاصول الاخلاق ومكارم العادات وقوانين السياسات الا ان بعض الخلل ابطل الكل فالكل منهدم بانهدام الجزء ثم ان كون القرآن
هاديا الى الاعتقاد الاصوب والعمل الاصلح نتيجته واثره وذلك هو البشارة بالاجر الكبير لاهل الايمان والعمل الصالح وبالعذاب الاليم لغيرهم و
خبر بان لفظ البشارة بمعنى الانذار يستعمل للتهكم او البشارة مطلق الخبر المغير للبشرة فكانه قيل وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم
عذابا اليما ويجوز ان يبشر المؤمنين ببشارتين احدهما بثوابهم والاخرى بعذاب اعدائهم قال في الكشاف كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار
ولم يذكر الفسقة واجاب على اصول الاعتزال بان الناس كانوا اما من اهل التقوى واما من اهل الشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين
بعد ذلك قلت هذا الجواب عجيب فان هذا الصنف لو سلم انه لم يكن موجودا في ذلك العصر الا ان حكمه يجب ان يذكر في القرآن الذي
فيه اصول الاحكام على ان ذكر الفساق من الامة في القرآن المكي والمدني موجود قال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم واذا كان ذكرهم في القرآن حاصلا والله تعالى بصدد مدحه هيهنا او صفات
القرآن على جهة المدح فاي مقام ادعى الى ذكر هذا الوصف من هيهنا والجواب الحق انهم كانوا يكرهون الفسقة جعلوا تابعين لاهل الايمان
والله اعلم قيل هذه الآية واردة في شرح احوال اليهود وهم ما كانوا ينكرون الايمان بالآخرة والجواب المنع من الخصوص ولو سلم فانهم ما كانوا
كاملي الايمان فبعضهم انكروا المعاد الجسماني وبعضهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما واعلم انه سبحانه قال هيهنا اجرا كبيرا وفي اول الكهف
اجرا حسنا رعاية للفاصلة ولان الاجر الكبير والاجر الحسن كلاهما الجنة ولما بين ان القرآن كامل في الهداية ذكر ان الانسان قد يعدل
عن التمسك باحكامه فقال ويدع الانسان اي جنس الكافر وقد ذكر جمع من المفسرين انه النضر بن الحرث دعا اللهم ان كان هذا هو



الحق فاضرب عنقه فاجاب الله دعاءه وضرب رقبته صبرا وكان بعضهم يقول ائتنا بعذاب الله وآخرون يقولون متى هذا الوعد جهلا منهم و
اعتقادا ان محمدا صلعم كاذب وقيل المراد انه يدعو الله عند غضبه وضجره فيلعن نفسه وولده وماله ولو استجيب له في الشر كما يستجاب له في الخير لهلك يروى انه صلعم
دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له ما لك تئن فشكا الم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما
اصبح النبي صلعم دعا به فاعلم بشأنه فقال صلعم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبي صلعم اني سألت
الله ان يجعل لعنتي ودعائي على من لا يستحق من اهلي رحمة لاني بشر اغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها وكان الانسان عجولا يستعجل
بالعذاب مع انه آت لا محالة او يتسرع الى طلب كل ما يقع في قلبه ويخطر بباله معتقدا ان خيره فيه وان كان ذلك عند التأمل مضرا له وقيل
اراد بهذا الانسان آدم وذلك انه لما انتهى الروح الى سرته نظر الى جسده فاعجبه ما رأى فذهب لينهض فلم يقدر وليس هذا القول بما
مناسب للاول لان اصل الآدمي اذا كان كذلك كان كل فرد منه متصفا به لا محالة قال اهل النظم لما ذكر نعمة الدين وهو القرآن اردفها
بنعمة الدنيا فقال وجعلنا الليل والنهار آيتين وفيه ان القرآن لا يتم المقصود منه الا بنوعيه المحكم والمتشابه فكذا الزمان لا يكمل الانتفاع
به الا بجزئيه الليل والنهار فالمحكم كالنهار في وضوحه والمتشابه كالليل في خفائه وبوجه آخر لما ذكر دلائل النبوة والتوحيد اكدها بدليل
آخر من عجائب الزمان وبوجه آخر لما وصف الانسان بكونه عجولا اي منتقلا من حالة الى حالة ومن صفة الى صفة بين ان كل احوال هذا العالم
كذلك فينتقل الهواء من الانارة الى الظلام وبالعكس وينتقل القمر من النقصان الى الامتلاء وبالضد فمحونا آية الليل هي من اضافة الشيء الى
نفسه للبيان كقولك نفس الشيء او ذاته فمحونا الآية التي هي الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا مظلما لا يستبان فيه شيء كما لا يستبان
ما في اللوح الممحو وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة ذات ابصار وذلك باعتبار من فيها اي يبصر فيها الاشياء وتستبان او اريد بالابصار الاضاءة
لانها سببه وقيل المضاف محذوف والتقدير وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل التي هي القمر حيث لم نخلق له شعاعا كشعاع
الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر في ضوئها كل شيء لتبتغوا فضلا من ربكم لتتوصلوا ببياض النهار او
بشعاع الشمس المستلزم للنهار الى التصرف في وجوه معاشكم ولتعلموا باختلاف الجديدين او بزيادة ضوء القمر ونقصانه عدد السنين الشمسية
او القمرية المركبة من الشهور ولتعلموا جنس الحساب المبني على الساعات والايام والشهور والسنين والادوار وقيل المراد بمحو القمر الكلف الذي في
وجهه وسببه في الشرع ما روي ان الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فارسل الله تعالى جبرئيل فامر جناحه على وجه القمر فاذهب عنه الضوء
وسببه عند الفلاسفة انه ركز في وجه القمر اجسام قليلة الضوء كارتكاز الكواكب في اجرام الافلاك ولما كانت تلك الاجرام اقل ضوءا من جرم القمر
لا جرم شوهدت تلك الاجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الانسان ونحن قد ذكرنا له وجها آخر في المجسطي قال اهل التجارب ان اختلاف احوال القمر في مقادير
النور له اثر عظيم في احوال هذا العالم ومصالحه لا سيما في احوال البحار والبحرانيين على ما يذكره الاطباء الا ان الكلف ليس له مدخل في ابتغاء فضل
الله وفي معرفة الحساب بالتفصيل نعم لو قيل ان الكلف نقص من نور القمر حتى لم يشرق على الارض اظلام الليل بالكلية فبقي وقت السكون والراحة بحاله
ووقت التردد في طلب المعاش بحاله وصار تعاقب الليل والنهار سببا لمعرفة الايام وما يتركب منها كان متجها ثم قال وكل شيء مما يفتقرون اليه في دينكم
ودنياكم فصلناه تفصيلا بيناه بيانا غير ملتبس حتى انزاحت العلل وزالت الاعذار فلا يهلك من يهلك الا عن بينة ولذلك قال وكل انسان الزمناه
طائره اي عمله في عنقه وبوجه آخر لما شرح احوال الآيتين القمر والنهار والليل لابتغاء المعاش وللدين وللحساب ولمعرفة المواقيت وكان الغرض الاصلي من
الكل هو الاشتغال بخدمة المعبود وتصحيح الافعال واصلاح الاقوال ذكر ان الانسان مؤاخذ في عرصة القيمة باقواله وافعاله ووساوس احواله
ليظهر انه هل اتى بما هو المقصود من خلقه ام لا قال اكثر اهل اللغة ان العرب اذا ارادوا الاقدام على عمل من الاعمال اعتبروا احوال الطائر انه يطير
بنفسه او يحتاج الى ازعاجه واذا طار فهل يطير متيامنا او متياسرا او صاعدا في الجو الى غير ذلك من الاحوال التي كانوا يعتبرونها ويستدلون بكل
واحد منها على ما يسوءهم او علامة ما لهم من خير او شر فاطلاق الطائر على العمل تسمية للشيء باسم لازمه وقال ابو عبيدة الطائر عند العرب الحظ و
يقول له البخت فالطائر ما وقع للشخص في الازل مما هو نصيبه من العقل والعلم والعمر والرزق والسعادة والشقاوة كان طائرا يطير اليه من وكر الازل
وظلمات عالم الغيب طيرانا لا نهاية له ولا غاية الا ان انتهى الى ذلك الشخص في وقته المقدر من غير خلاص ولا مناص وفي هذا دليل على انه لا يظهر
في الابد الا ما حكم الله به في الازل والكفاية الابدية لا تتم الا بالعناية الازلية وانه سبحانه اكد هذا المعنى باضافة الالزام الى نفسه ثم بقوله في
عنقه تقول جعلت هذا الامر في عنقك اي قلدتك والزمتك الاحتفاظ فان كان خيرا زينه كان كالطوق وان كان شرا شينه كان كالغل ومن امثال
العرب تقلدها طوق الحمامة ونخرج من قرأ بالنون فظاهر وقوله يلقيه منشورا صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعول يلقاه ومن
قرأ بالياء مجهولا او لازما فالضمير للطائر وكتابا حال منه يلقاه لقيت الشيء ولقانيه غيري عن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة وطويت في قبرك
معك ثم اذا بعثت خلدت في عنقك اقرأ كتابك على اضمار القول قال قتادة يقرأ في ذلك اليوم من لم يكن قاريا وبنفسك فاعل كفى و
حسيبا تمييز بمعنى حاسب انه كثير من فعيل بالضم كضريب بمعنى ضارب ولكنه من فعل بالفتح غريب منه ما قال سيبويه ضريب القداح بمعنى ضاربها
وصريم بمعنى صارم وعلى متعلق بحسيب كقولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى الكافي ثم وضع موضع الشهيد فعدي بعلى لان



الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وذكر حسيبا بمعنى رجلا حسيبا لانه بمنزلة الشهيد والقاضي لان الشهادة يتولاها الرجال كالقضاء او الامارة
او النفس مؤول بالشخص او حسيب فعيل بمعنى فاعل على فعيل بمعنى مفعول كقتيل ويجوز ان يكون الحسيب بمعنى المحاسب قال الحسن عدل والله في حقك
من جعلك حسيب نفسك وقال السدي يقول الكافر يومئذ انك قضيت انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له
اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وروي انه يؤتى المؤمن يوم القيامة صحيفته وحسناته في ظهرها يغبطه الناس عليها وسيئاته في
جوف صحيفته وهو يقرأها حتى اذا ظن انها قد اوبقته قال الله تعالى له قد غفرتها لك فيما بيني وبينك فيعظم سروره ويصير من الذين
قال الله في حقهم وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة قال الحكيم التكرار يوجب تقرير الآثار فكل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا
فانه يحصل منه في جوهر روحه اثر مخصوص الا ان ذلك الاثر يخفى ما دام الروح متعلقا بالبدن مشتغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته
عن البدن قامت قيامته لان النفس كأنها كانت ساكنة مستقرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم العلوي فيزول
الغطاء وينكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى الكتابة والقراءة بحسب العقل وانه لا ينافي ما ورد في النقل
ثم بين ان ثواب العمل الصالح وعقاب ضده مختص بفاعله لا يتعدى منه الى غيره فقال من اهتدى الى قوله وزر اخرى قال الجبائي فيها دلالة
على ان الاطفال لا يعذبون بكفر آبائهم وان الوزر والاثم ليس من فعل الله والا لم يؤاخذ العبد به كما لا يؤاخذ بوزر غيره بل كان يجب ان لا يكون له
وزرا اصلا لان الصبي لا يوصف بالوزر لانه غير مختار وجواب الاشاعرة ان الوزر مختص بافعال المكلفين من الثقلين وقد طعنت عائشة
بذلك في صحة ما رواه ابن عمر ان الميت ليعذب ببكاء اهله واستدل به جماعة من الفقهاء في الامتناع من ضرب الدية على العاقلة ويمكن ان
يجاب بانه عام خص الا وقد خص اما قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فقد استدل به الاشاعرة في ان وجوب شكر المنعم لا
يثبت بالعقل بل بالسمع لان الوجوب لا يتقرر ماهيته الا بترتب العقاب على الترك ولا عقاب قبل الشرع بحكم هذه الآية اجاب الخصم
بانه لو لم يثبت الوجوب العقلي لم يثبت الوجوب الشرعي لان النبي اذا جاء وادعى المعجزة فهل يجب على المستمع قبول قوله والتأمل في معجزته او لا
والثاني باطل بالاتفاق وعلى الاول ان وجب بالعقل فهو المدعى وان وجب بالشرع فذلك الشارع ان كان ذلك النبي لزم
اثبات الشيء بنفسه وان كان غيره دار او تسلسل وبوجه آخر اذا اوجب النبي بعض الافعال وحرم بعضها فلا معنى لذلك الا ترتب العقاب
على الترك او الفعل ثم انه يجب على المكلف ان يحترز عن العقاب ولا يجب لا سبيل الى الثاني بالاتفاق وعلى الاول يلزم الوجوب العقلي
والا لزم الدور او التسلسل ثم ان مذهب اهل السنة جواز العفو عن عقاب الكبيرة فماهية الوجوب حاصلة مع عدم العقاب بل لا
زم مع جواز العفو فلم يبق الا ان ماهية الواجب انما تتقرر بسبب حصول الخوف من العقاب ولا يكون هذا الخوف الا بمحض العقل فثبت ان
الوجوب العقلي لا يمكن دفعه فاما ان يجري الآية على ظاهرها ويقال العقل هو رسول الله الى الخلق بل هو الرسول الذي لولاه لما تقررت رسالة
احد من الرسل ومجيء الانبياء كالتنبيه على التأمل كالايقاظ من رقدة الغفلة والجهل وان كانت لازمة لهم قبل بعثة الرسل الا انها بعد البعثة
الزم واما ان يخصص عموم الآية فيقال المراد وما كنا معذبين في الاعمال التي لا سبيل الى معرفة وجوبها الا بالشرع الا بعد مجيء الشرع ومما
ارتضاه الامام فخر الدين الرازي ان مجرد العقل سبب في انه يجب علينا فعل ما ينتفع به وترك ما يستضر به اما مجرد العقل لا يدل على انه يجب على
الله شيء وذلك انا مجبولون على طلب النفع والاحتراز عن الضرر والله تعالى منزه عن ذلك وللقائل ان يقول انه سبحانه منزه عن الانتفاع
والاستضرار الا انه حكيم جواد فلم لا يقبح من الحكيم الجواد ترك ما ينتفع به غيره وفعل ما يستضر به واذا قبح منه ذلك حسن منه ضده والحكيم
لا يترك الاحسن فصدور ذلك الاحسن منه البتة هو الذي يمكن ان نسميه وجوبا كما وصف به نفسه في قوله كان على ربك حتما مقضيا او
لكم من آية في القرآن دالة على ان الفعل قد يصدر منه صدورا لا يحتمل النقيض من ذلك قوله واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها
للمفسرين في معنى امرنا قولان الاول ان المراد به الامر الذي هو نقيض النهي وعلى هذا اختلفوا في المامور به فالاكثرون على انه الطاعة والخير
وقال في الكشاف معناه واذا دنا وقت هلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم بالفسق ففسقوا ولما كان من اصول الاعتزال
انه تعالى لا يأمر بالفحشاء ذكر ان الامر بالفسق ههنا مجاز ووجهه انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات
فكان ايتاء النعمة سببا لايثارهم الفسوق على الايتمار فكأنهم مأمورون بذلك لانه جعل تقدير امرناهم بالطاعة ففسقوا من قبيل التكلف
بعلم الغيب ويجوز ان تكون من قبيل امرته فعصى فانه يفهم منه ان المامور به طاعته ولكنه حكم بانه مثل امرته فقام وامرته فقرأ فانه لا يفهم
منه الا ان المامور به قيام او قراءة ولقائل ان يقول كما ان قوله امرته فعصى يدل على ان المامور به شيء غير المعصية لمنافاته للامر مناقضة
له فكذلك قوله امرته ففسق يدل على ان المامور به شيء غير الفسق لان الفسق عبارة عن الاتيان بضد المامور به فكونه فسقا
ينافي كونه مامورا به كما ان كونه معصية ينافي كونها مأمورا بها وهذا ظاهر فلا ادري لم اصر جار الله على قوله مع ضعفه ومخالفته اصله
القول الثاني ان معنى امرنا مترفيها اكثرنا فساقها قال الواحدي تقول العرب امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم وامرهم ايضا بالمد
واحتج ابو عبيدة على صحة هذه اللغة بقوله صلى الله عليه وسلم خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة فالسكة النخيل المصطفة والمهرة المأمورة النتاج

حمل بعضهم الحديث على الامر بكثرة النسل فكانت مأمورة اي قال الله لها كوني كثيرة النسل فكانت وروي ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيفشو اي سيكثر وسيكبر والمترف في اللغة المنعم الذي قد ابطرته النعمة وسعة العيش ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرهم الله فحق عليها القول استوجبت العذاب فدمرناها تدميرا اهلكناها على سبيل الاستئصال قالت الاشاعرة ظاهر الآية يدل على انه تعالى اراد اهلاكهم ابتداء ثم توسل الى اهلاكهم بهذا الطريق ويؤيده قوله فحق عليها القول اي بالكفر ثم التعذيب قال الكعبي ان سائر الآيات دلت على انه تعالى لا يبتدئ بالتعذيب كقوله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم وقوله ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فتلك الآيات محكمة وهذه من المتشابهات فيجب حمل هذه على تلك قال في التفسير الكبير احسن الناس كلاما في تاويل هذه الآية القفال فانه ذكر وجهين الاول اخبر الله انه لا يعذب احدا بما علمه منه ما لم يعمل به اي لا يجعل علمه حجة على من علم انه عاص بل يامره حتى يظهر عصيانه للناس فحينئذ يعاقبه ومعنى الآية واذا اردنا اهلاك قوم بسبب ظهور المعاصي منهم لم نعاجلهم بالعذاب في اول ظهور المعصية منهم بل امرنا مترفيها بالرجوع عن تلك المعاصي وخص المترفين بذلك لان نعم الله عليهم اكثر فكان الشكر عليهم اوجب فاذا لم يرجعوا واصروا صب عليهم البلاء صبا وزعم الجبائي ان المراد بالارادة الدنو والمشارفة كقولك اذا اراد المريض ان يموت ازداد مرضه شدة واذا اراد التاجر ان يفتقر اتاه الخسران من كل جهة ليس المعنى ان المريض يريد ان يموت والتاجر يريد ان يفتقر وانما يعني انه سيصير الى ذلك فمعنى الآية واذا قرب وقت اهلاك قرية وقد نقلنا مثله عن صاحب الكشاف ولا يخفى انه عدول عن الظاهر ثم ذكر ان هذه عادته الجارية مع القرون الخالية فقال وكم اهلكنا فكم مفعول اهلكنا ومن القرون بيان لكم وتمييز له اراد بهم عادا وثمود ونحوهما ثم خاطب رسوله بما هو ردع للناس كافة فقال وكفى بربك الآية قال الفراء انما يجوز ادخال الباء في المرفوع اذا كان يمدح به صاحبه او يذم كقولك كفاك به واكرم به رجلا وطاب بطعامك طعاما ولا يقال قام باخيك وانت تريد قام اخوك وفي الآية بشارة عظيمة لاهل الطاعة وانذار شديد لغيرهم لان العلم التام مع القدرة الكاملة والحكمة الشاملة يقتضي ايصال الجزاء الى كل احد بقدر استحقاقه ثم اكد المعنى المذكور من قوله وكل انسان الزمناه طائره ومن قوله من اهتدى فانما يهتدي لنفسه بقوله من كان يريد العاجلة اي المنفعة او الدار العاجلة عجلنا له فيها ثم قيد المعجل بقيدين احدهما قوله ما نشاء ولهذا ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وثانيهما قوله لمن نريد وهو بدل من له بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو للعموم ولهذا ترى كثيرا منهم يتمنون البعض اليسير من الدنيا ولا يؤتون فيجتمع عليهم فقر الدنيا وحرمان الآخرة بل عذابها لقوله ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله ومن اراد الآخرة بان يعقد بها همته ويتجافى عن دار الغرور وسعى لها سعيها اي حق السعي لاجلها وذلك ان يكون العمل الذي يتوسل به الى الفوز بثواب الآخرة من جملة القرب والطاعات وعلى قوانين الشرع والعقل لا البدعة والهوى وهو مؤمن لان شيئا من صور الاعمال الصالحة لا يوجب الثواب الا بعد تقديم الايمان فاولئك كان سعيهم مشكورا قال العلماء الشكر عبارة عن مجموع امور ثلاثة اعتقاد كونه محسنا في تلك الاعمال والثناء عليه بالقول والاتيان بافعال تدل على كونه معظما عند ذلك الشاكر والله سبحانه وتعالى يعامل المطيعين بهذه الامور الثلاثة لانه يعلم كونهم محسنين في تلك الاعمال وانه يثني عليهم بكلامه ويعاملهم المعاملات الدالة على كونهم معظمين عند الله وفي قوله من كان يريد العاجلة دون ان يقول من اراد العاجلة كما قال ومن اراد الآخرة اشارة الى ان مريد نفع الدنيا لا يكون مذموما الا اذا كان غالبا في ذلك ثابت القدم فيه الا ان مريد الآخرة يكون محمودا بادنى التفاته بعد وجود الشروط قالت الاشاعرة ان مجموع القدرة مع الداعي هو الموجب للفعل ونحن نشكر الله على الايمان لانه اعطى القدرة والداعية ولكنه حين حصل الايمان للعبد واستتبع الثمرات الباقية صار العبد ايضا مشكورا ولا منافاة بين الامرين وقالت المعتزلة نحن لا نشكر الله على الايمان لان المدح على عمل لم يعمله الممدوح قبيح قال تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ولكنا نشكره على ما اعطانا من القدرة والعقل وانزل الكتب واوضح الدلائل واعلم انه تعالى ذكر صنفين من الناس قاصد خيرات الدنيا وقاصد خيرات الآخرة وههنا ثلاثة اقسام اخر الاول ان يكون طلب الآخرة في عمله راجحا فقيل انه غير مقبول ايضا لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حكاية عن رب العزة انا اغنى الاغنياء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وقيل يعارض المثل بالمثل ويبقى القدر الزائد داعية خالصة لطلب الآخرة فيقع في حيز القبول الثاني ان يكون طلب الدنيا وطلب الآخرة متعادلين الثالث ان يكون طلب الدنيا راجحا واتفقوا على ان هذين القسمين ايضا لا يقبلان الا انهما على كل حال خير من الرياء المحض ثم بين كمال رافته وشمول رحمته فقال كلا اي كل واحد من الفريقين نمد اي نزيدهم من عطائنا على تلاحق من غير انقطاع بالمعصية وقوله هؤلاء بدل من كلا ومن عطاء ربك متعلق بنمد وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من المكلف بسبب عصيانه انظر يا محمد ويا من له اهلية النظر والاعتبار الى عطائنا المباح للفريقين في الدنيا كيف فضلنا بعضهم على بعض فاوصلناه الى مؤمن وقبضناه عن مؤمن آخر واوصلناه الى كافر وقبضناه عن كافر آخر ليكون بعضهم تحت تسخير بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لان نسبة التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة الى الدنيا وقيل المراد ان المؤمنين يدخلون الجنة والكافرين يدخلون النار فيظهر فضيلة المؤمنين على الكافرين وعن بعضهم ايها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل التاويل نزه نفسه بقوله سبحان عن الاتحاد الكلي ولكن اخبر عن مقام وصول حبيبه فقوله اسرى اشارة الى الجذبة الخفية عن الاغيار



وقوله بعبده اشارة الى مقام تصحح نسبة العبد بها لو هي آخر مقامات السالكين وقوله ليلا رمز الى ذلك الجذب كان يكون خفيا عن المجذوب ان كان ذاهلا عن انانيته وقوله من المسجد الحرام هو مقام يحرم فيه الالتفات الى ما سوى الله الى المسجد الاقصى هو مقام الفناء في الله الذي باركنا حوله بالبقاء بالله لنريه من آياتنا التي لم تسمع اذن ولا ابصر عين انه هو السميع البصير فلا يصل احد اليه الا اذا اسمع به وابصر به هذا ما خطر ببال الضعيف في تاويل هذه الاية فان كان صوابا فمن فضل الله وعطائه والا فمني ومن الشيطان فجاسوا خلال الديار الجسد بينه بالقتل وتلك التركيب وخلال الديار المعنوية حين استولت الصفات الذميمة على الخصال الحميدة لتخريب بيت مقدس القلب ثم رددنا لكم الكرة عليهم باستيلاء داود القلب وقتل جالوت النفس وامددناكم باموال الطاعات وبنين الايمان والايقان فاذا جاء وعد الآخرة حين ارتدتم التربية ليسوؤا وجوه قلوبكم بحجب سوء اعمالكم وان عدتم الى الجهل عدنا الى الفضل وان عدتم الى الندم عدنا الى الكرم وان عدتم الى العبودية عدنا الى الربوبية وان عدتم الى التقربات عدنا الى الجذبات وجعلنا ليل البشرية ونهار الروحانية فمحونا آية الليل وهي قمر القلب في نور العقل حين تطلع شمس شهود الحق وهي آية النهار فاذا طلع الصباح استغنى عن المصباح لتبتغوا فضلا من ربكم وهو تجلي ذاته وصفاته وقد اختص الانسان بمعنى بين المخلوقات ولتعلموا ايام الطلب وحساب الترقي من مقام الى مقام وكل شيء يحتاج اليه السالك بيناه بالاشارات من كان يريد العاجلة انقلب الانسان بين اصبعي قهر الرحمن ولطفه وبحسب ذلك يحول وجهه الى الدنيا حتى يؤول امره الى دركات البعد او يحوله الى الآخرة حتى يصل الى درجات الوصال والله المستعان على ما تصفون

لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا ۝ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

مگردان با خدا خدای دیگر پس بنشینی نکوهش کرده شده و تنها و درگذاشته شده و حکم کرد پروردگار تو که نپرستید مگر او

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا

و با والدین نیکوئی کردن اگر برسند نزد تو به پیری یکی از ایشان یا هر دو ایشان پس مگو ایشان را اف و زجر مکن ایشان را و بگوی ایشان را گفتن خوب

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ

و فرود آور برای ایشان بازوی تواضع را از مهربانی و بگو پروردگارا رحمت کن بر ایشان چنانکه پرورش دادند مرا خرد پروردگار شما داناتر است بآنچه در نفسهای شماست اگر باشید شایستگان

فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ۝ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ

پس هرآینه او هست رجوع کنندگان را آمرزنده و بده صاحب قرابت را حق او و محتاج را و راه گذر را و اسراف مکن اسراف کردنی هرآینه اسراف کنندگان

كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۝ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا

باشند برادران شیاطین و باشد شیطان مر پروردگار خود را ناسپاس و اگر اعراض کنی از ایشان بطلب رحمتی از پروردگار تو که امید داری آنرا

فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ۝ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا

پس بگو ایشان را گفتن نرم و مگردان دست خود را بسته بگردن خود و مگشای آنرا همه گشادن پس بنشینی ملامت کرده شده درمانده

إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ

هرآینه پروردگار تو فراخ میکند روزی را برای هر که خواهد و تنگ میکند هرآینه او هست به بندگان خود دانا بینا و مکشید فرزندان خود را از بیم تنگدستی

إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا

ما روزی میدهیم ایشان را و شما را هرآینه کشتن ایشان هست گناهی بزرگ و نزدیک مروید بزنا هرآینه او هست کار زشت و بد راهیست

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ

و مکشید نفسی را که حرام کرده خدا مگر بحق و هر که کشته شود مظلوم پس بتحقیق گردانیدیم برای ولی او تسلطی پس باید که اسراف نکند

فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۝ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا

در کشتن هرآینه او هست یاری داده شده و نزدیک مروید بمال یتیم مگر بطریقی که آن نیکوترست تا آنکه برسد بکمال قوت خود و وفا کنید

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۝ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَ

به پیمان هرآینه پیمان هست پرسیده شده و تمام کنید پیمانه را چون پیمانه کنید و وزن کنید بترازوی راست این بهترست و

أَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ

خوبتر بعاقبت و پیروی مکن آنچه نیست ترا بآن دانش هرآینه گوش و چشم و دل همه اینها باشد از آن

مَسْئُولًا ۝ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ

پرسیده شده و راه مرو در زمین بخرامیدن هرآینه تو هرگز نشکافی زمین را و هرگز نرسی بکوهها در درازی همه اینها باشد

سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ

فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ القراءة

در دوزخ ملامت کرده شده رانده شده . آیا بخصوص کرد شما را پروردگار شما به پسران و گرفت از فرشتگان دختران هر آینه شما هر آینه میگوئید سخن بزرگ یبلغان

مثنى حمزة وعلي وخلف اف بالجر والتنوين ابو جعفر ونافع وحفص لي بالفتح ابن كثير وابن عامر وسهل ويعقوب غير مجاهد خطأ والمفضل والباقون بالكسر تسقطها كل التسقط مثل يسقط خطأ بفتحتين من هبيرة يزيد وابن ذكوان غير ابن مجاهد خطاء بالفتح ثم السكون ابن مجاهد عن ابن ذكوان خطاء بالكسر والمد ابن كثير الباقون بالكسر ثم السكون فلا تسرف على الخطاب حمزة وعلي وخلف ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان بالقسطاس مكسور القاف حيث كان حمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد والمفضل وقرأ ابو نشيط والشموني غير النقار بالصاد سيئه على اضافة سيئ الى الضمير كل حمزة وعلي وخلف وعاصم وابن عامر وسهل الاخرون سيئة على التانيث الوقوف مخذولا ه احسانا ط كريما ه صغيرا ط في نفوسكم ط غفورا ه تبذيرا ه الشياطين ط كفورا ه ميسورا ه محسورا ه ويقدر ط بصيرا ه املاق ط واياكم ط كبيرا ه فاحشة ط سبيلا ه الا بالحق ط لان الشرط في امر قد يقع نادرا لخارجا عن النهي في القتل ط منصورا ه اشده بالعهد على تقدير فان مسئولا ه المستقيم ط تاويلا ه به علم ط مسئولا ه مرحا ج لاحتمال اضمار الفاء او اللام طولا ه مكروها ه الحكمة ط مدحورا ه اناثا ط عظيما ه التفسير لما اجمل اعمال البر في قوله وسعى لها سعيها وهو مؤمن اخذ في تفصيل تفصيل ذلك مبتدئا باشرفها الذي هو التوحيد فقال لا تجعل مع الله الها آخر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر ولكنه في الحقيقة عام للمكلفين ويحسن ان يقال ان الخطاب للانسان كانه قيل يا ايها الانسان لا تجعل او القول مضمر اي قل لكل مكلف لا تجعل ومما يؤيد ذلك قوله وقضى ربك فان ذلك الخطاب لا يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم لان ابويه ما بلغا الكبر عنده وانتصب قوله فتقعد على انه جواب للنهي والفاء في التحقيق عاطفة والتقدير لا يكن منك جعل فقعود وفيه وجوه منها ان المراد به المكث يقال ما يصنع فلان فيقال هو قاعد باسوء حال اي ماكث سواء كان قائما او جالسا ومنها ان من شان المذموم المخذول ان يقعد نادما متفكرا على ما فرط منه فالقعود على هذا حقيقة ومنها انه كناية عن عدم القدرة على تحصيل الخيرات فان السعي فيه انما يتاتى بالقيام والعجز عنه يلزمه ان يبقى قاعدا عن الطلب ومنها انه بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت ولا ريب ان المشرك جامع على نفسه الذم والخذلان لانه لشركه يضيف بعض النعم الحاصلة له من الله الى غيره فيستوجب الذم بالكفران ويستحق الخذلان من حيث انه لما فوض امره الى الشريك المعدوم او العاجز الناقص بقي بلا ناصر ومعين وايضا الكمال في الوحدة والنقصان في الكثرة فمثبت الشريك واقع في جانب النقصان فيورثه الذم والخذلان ولما ذكر ما هو الركن الاعظم في الايمان اتبعه سائر الشعائر والشرائع فقال وَقَضَىٰ رَبُّكَ اي امر امرا جزما وحكم حكما قطعا ان لا تعبدوا اي بان لا تعبدوا وان ناصبة ويجوز ان يكون مفسرة والفعل مجزوم نهي معناه اي لا تعبدوا وقد روى الضحاك وسعيد بن جبير وميمون بن مهران عن ابن عباس انه كان الاصل في هذه الاية ووصى ربك وبه قرأ علي وعبد الله فالتصقت الواو بالصاد فقرئ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ثم قال ولو كان على القضاء ما عصى الله احد قط لان خلاف قضاء الله ممتنع وضعف هذا القول بانه يوجب تجويز وقوع التحريف والتصحيف في القرآن امر بعبادة نفسه ثم اردفه بالامر ببر الوالدين وتقدير الكلام بان تحسنوا بالوالدين او واحسنوا بالوالدين احسانا ولا يجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان على ما ذهب اليه الواحدي لان المصدر لا يتقدم عليه صلته وقد مر في اوائل البقرة تفسير قوله وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وانه لم يجعل الاحسان اليهما تاليا لعبادة الله سبحانه لان واحدا من المتشبهين بالحكمة كان يضرب اباه ويقول هو الذي ادخلني في عالم الكون والفساد وعرضني للفقر والعمى والزمانة وقيل لابي العلاء المعري ماذا نكتب على قبرك قال اكتبوا عليه هذا جناه ابي علي وما جنيت على احد وقال في ترك التزويج والولد: وتركت فيهم نعمة العدم التي: سبقت وصدت عن نعيم العاجل: ولو انهم ولدوا لعانوا شدة: ترمي بهم في موبقات الآجل: وقيل للاسكندر استاذك اعظم منة عليك ام والدك فقال الاستاذ اعظم منة لانه تحمل انواع الشدائد والمحن عند تعليمي واوقفني في نور العلم فاما الوالد فانه طلب تحصيل لذة الوقاع لنفسه فاخرجني الى آفات عالم الكون والفساد ومن هنا قيل خير الاباء من علمك وقال العقلاء هب ان الوالدين في اول الامر لذة الوقاع الا انهما بايصال الخيرات الى الولد ودفع الآفات عنه من اول دخول الولد في الوجود الى وقت كبره بل الى اخر عمره لا ينكر ولا يكفر ولهذا نكر احسانا اي احسنوا اليهما احسانا عظيما كاملا جزاء على وفور احسانهما اليك على ان البادي بالبر لا يكافى لانه اسبق منه ثم فصل طرفا من الاحسان المامور به فقال إِمَّا يَبْلُغَنَّ هي ان الشرطية زيدت عليها ما الابهامية لتاكيد معنى الشرط ثم ادخلت النون المشددة لزيادة التقرير والتاكيد كانه قيل ان هذا الشرط مما سيقع البتة عادة فليكن هذا الجزاء مرتبا عليه والا فالتقرير والتاكيد ليس يليق بالشرط الذي هو مبني على التردد والتجويز وقال النحويون ان الشرط يشبه النهي من حيث الجزم وعدم الثبوت فلهذا صح دخول النون المؤكدة فيه ومن قرأ الفعل على التوحيد فقوله احدهما او كلاهما فاعل له لكن الاول بالاستقلال والثاني بتبعية العطف ومن قرأ على التثنية فاحدهما بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على البدل لا لاستلزام العطف المشاركة دون المباينة وكلا مفرد لفظا مثنى معنى والفرق ... وعند الكوفيين اصله كل المفيد للاحاطة فخفف بحذف احدى اللامين وزيد الف التثنية لتعرف ان المراد الاحاطة في المثنى لا في الجمع وضعف بانه لو كان كذلك لوجب ان يبقى في الخفض والنصب بحاله

ذكوان وابن صح

بدل اشتمال ولا يصح ان يكون توكيدا للضمير معطوفا على البدل صح

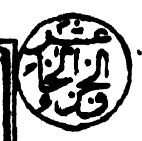
بكر



يكسر الياء كقوله طرفي النهار يا صاحبي السجن قال في الكشاف معنى عندك هو ان يكبرا ويعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته
وكنفه وهو اسم من اسماء الافعال وفيه اف لغات ضم الهمزة مع الحركات في الفاء الثلاث بالتنوين وبدونه واف بكسرتين بلا تنوين وافى ممالا كبشرى
واف مخففة منونة وقد تتبع المنونة تفه فيقال اف وتف وهي من اسماء الافعال وفي تفسيرها وجوه قال الفراء تقول العرب فلان يتأفف من ريح
وجدها اي يقول اف اف قال الاصمعي الاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار يقال ذلك عند استقذار الشيء ثم كثر حتى استعملوه في كل ما يتأذون
به وقيل معنى اف القلة من الافيف وهو الشيء القليل وتف اتباع له نحو شيطان ليطان وخبيث نبيث وروى ثعلب عن ابن الاعرابي الاف الضجر
وقال القتيبي اصله انه اذا سقط عليه تراب ونحوه نفخ فيه ليزيله فالصوت الحاصل عند تلك النفخة هو قول القائل اف ثم توسعوا فذكروه عند كل مكروه
يصل اليهم وقال الزجاج معناه النتن وبه فسر مجاهد الاية اي تستقذراك حين كنت تخرى وتبول وفي رواية اخرى عن مجاهد اذا وجدت منهما رائحة
تؤذيك فلا تقل لهما اف اي لا تقل ضجرت او انضجر قال بعض الاصوليين منع التأفيف يدل على المنع من سائر انواع الاذية دلالة لفظية ومعنى
الاية لا تتعرض لهما بنوع من انواع الايذاء والاكثرون على ان قولك لا تملك فلان نقيرا ولا قطميرا يدل في العرف على انه لا يملك شيئا اصلا
وقال الاكثرون منهم ان الشرع اذا نص على حكم صورة وسكت عن صورة اخرى فاذا اردنا الحاق المسكوت عنها بالمنصوص عليها فاما ان يكون
الحكم في محل السكوت اخفى من الحكم في محل المذكور وهو اكثر القياسات واما ان يتساويا كقوله صلى الله عليه وسلم من اعتق نصيبا من عبد قوم عليه الباقي فان
الحكم في الامة والعبد يتساويان واما ان يكون الحكم في محل السكوت اظهر وهو القياس الجلي ومثاله المنع من التأفيف فانه مغاير للمنع من الضرب عقلا
لان الملك الكبير اذا اخذ ملكا اخر عدوا له فقد يقول للجلاد اياك وان تستخف به او تشافهه بكلمة موحشة لكن اضرب رقبته فهذا معقول في الجملة
الا ان قرينة تعظيم الوالدين صيرته من باب الاستدلال بالادنى على الاعلى فدل على المنع من جميع انواع الايذاء ثم اكد هذا المعنى بقوله ولا تنهرهما
والنهر والنهي اخوان نهى نهره وانتهره اذا استقبله بكلام يزجره وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما جميلا مشتملا على حسن الادب ورعاية دقائق المروءة
والحياء والاحتشام وقال عمر بن الخطاب القول الكريم ان يقول له يا ابتاه يا اماه دون ان يسميهما باسمهما وقول ابرهيم لابيه آزر بالفتح على النداء تقديم
لحق الله على حق الابوين قالوا ولا بأس به في الغيبة كما قالت عائشة نحلني ابو بكر كذا وسئل سعيد بن المسيب عن القول الكريم فقال هو قول العبد
المذنب للسيد الفظ واخفض لهما جناح الذل ذكر القفال في معنى خفض الجناح وجهين الاول ان الطائر اذا اراد ضم فرخه اليه للتربية خفض له
جناحه فلهذا صار خفض الجناح كناية عن حسن التدبير فكأنه قال للولد اكفل والديك بان تضمهما الى نفسك كما فعلا ذلك في حال صغرك
والثاني ان الطائر اذا اراد الطيران والارتفاع نشر جناحه واذا اراد النزول خفض جناحه فصار خفض الجناح كناية عن فعل التواضع وترك الارتفاع
وفي اضافة الجناح الى الذل وجهان الاول انها كاضافة حاتم الى الجود في قولك حاتم الجود فالاصل فيه الجناح الذليل او الذلول والثاني سلوك
سبيل الاستعارة كأنه تخيل للذل جناحا ثم اثبت لذلك الجناح خفضا كقول لبيد اذ اصبحت بيد الشمال زمامها فاثبت للشمال يدا
ثم وضع زمام الريح في يد الشمال وقوله من الرحمة في معنى التعليل اي من اجل فرط الشفقة والعطف عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر
خلق الله اليهما بالامس ولا يكتف برحمتك التي لا دوام لها ولكن وقل رب ارحمهما كما ربياني ليس المراد رحمة مثل رحمتهما علي وانما الكاف لاقتران
الشيئين في الوجود اي كما وقعت تلك فلتقع هذه والتربية التنمية من ربا الشيء اذا انتفخ وزاد قال بعض المفسرين هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ما كان
للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وقيل مخصوصة لان التخصيص اولى من النسخ وقيل لا نسخ ولا تخصيص لان الوالدين اذا كانا
كافرين فله ان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد وان يطلب الرحمة لهما بعد حصول الايمان ثم ان ظاهر الامر للوجوب من غير تكرار فيكفي
في العمر مرة واحدة رب ارحمهما وسئل سفيان كم يدعو الانسان لوالديه في كل يوم مرة او في كل شهر ام في كل سنة فقال نرجو
ان يجزيه اذا دعا لهما في اواخر التشهدات كما ان الله تعالى قال يا ايها الذين امنوا صلوا عليه فكانوا يرون ان الصلوة عليه في التشهد وكما قال الله
تعالى واذكروا الله في ايام معدودات فهم يكررون في ادبار الصلوة قلت وللتشبث به يدعو لهما ايضا كلما ذكرهما او ذكر شيئا من انعامهما وسئل ايضا
عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به في الابوين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله
في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما وروي عن سعيد بن المسيب البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر
اني الي منهما ما وليا مني في الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وتريد موتهما و
شكا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اباه وانه يأخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوي وفقيرا وانا غني فكنت لا امنعه
شيئا من مالي واليوم انا ضعيف وهو قوي وانا فقير وهو غني ويبخل علي بماله فبكى صلى الله عليه وسلم
وقال ما من حجر ولا مدر يسمع ذلك الا بكى ثم قال للولد انت ومالك لابيك مرتين وشكا اليه اخر سوء خلق امه فقال لم تكن سيئة الخلق حين
حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها
واظمأت نهارها وقال لقد جازيتها قال ما فعلت قال حججت بها على عاتقي قال ما جازيتها ولو طلقة وقال العلماء [illegible] واذا
بعث المؤمن بالصالح فعل ولا يتناوله الحزن ويأخذ الا نادما منيبا ثم قال سبحانه ربكم اعلم بما في نفوسكم اي بما في ضمائركم من الاخلاص وعدمه

وغير منونة مع [illegible]

الا تستقذرهما كما انهما لم يستقذراك صح



في كل الطاعات إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر إلى الوالدين ثم فرط منكم ما أدى إلى حقهما فإنبتم إلى الله واستغفرتم منها فإنه
كان للأوابين غفورا اللام للعهد كما روي عن سعيد بن جبير هي في البادرة تكون من الرجل إلى أبيه لا يريد بذلك إلا الخير أو للجنس فيشمل كل من فرطت منه
جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره ثم وصى بغير الأبوين من الأقارب بعد التوصية بهما فقال وآت ذا
القربى حقه قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤتي أقاربه الحقوق التي وجبت لهم في الفيء والغنيمة وأوجب عليه إخراج حق المساكين وأبناء السبيل
أيضا من هذين المالين والأظهر أنه خطاب لكل إنسان كما في قوله وقضى ربك وأما الحق المأمور به للأقارب فهو إذا كانوا محارم كالأبوين
والولد وكانوا فقراء عاجزين عن الكسب كان الرجل موسرا أن ينفق عليهم بقدر الحاجة وعند الشافعي لا ينفق إلا على الولد والوالدين وإن كانوا
مياسير أو لم يكونوا محارم كأبناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة على السراء والضراء وفي عطف المسكين وابن السبيل على
ذي القربى دليل على أن المراد بالحق الحق المالي وقد تقدم وصف المسكين وابن السبيل في البقرة وفي التوبة ثم نهى عن التبذير وهو تفريق المال كما
يفرق البذر وهو الإسراف المذموم كانت الجاهلية تنحر إبلها وتتياسر عليها وتنفق أموالها في الفخر والسمعة كما ذكروا ذلك في أشعارها فنهوا عن ذلك
وأمروا بالإنفاق فيما يتقرب إلى الله قال ابن مسعود التبذير إنفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو أنفق مالا في باطل كان تبذيرا ثم بالغ في تقبيح
شأن التبذير فقال إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين أي أمثالهم في الشرارة وأصدقاءهم من حيث إنهم يطيعونهم في الأمر بالإسراف
أو هم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا لأنه يستعمل قواه البدنية في المعاصي والإفساد والإضلال وكذلك من
رزقه الله مالا أو جاها فصرفه إلى غير مرضاة الله كان كفورا لنعمة الله ثم علم أدبا حسنا في رد السائل إن اقتضى الأمر لذلك ضرورة فقال وإما
تعرضن عنهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء والقول الميسور الرد بالطريق الأحسن وقيل اللين السهل قال
في الكشاف يسر أبهم القول أي لينه وقيل القول المعروف كقوله قول معروف ومغفرة خير وذلك أن القول المتعارف لا يحوج إلى تكلف وقيل
ادع لهم بأن يسهل الله عليهم أسباب الرزق أي دعاء فيه يسر قال جار الله قوله ابتغاء رحمة إما أن يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه أي فقل لهم قولا
سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا ابتغاء رحمة من الله ترجوها بسبب رحمتك عليهم وإما أن يتعلق بالشرط أي وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من
ربك ترجو أن يفتح لك فردهم ردا جميلا فسمى الرزق رحمة ووضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فالفقد سبب الابتغاء فأطلق
المسبب على السبب وجوز أن يكون الإعراض كناية عن عدم الإعطاء فإن من أبى أن يعطي أعرض بوجهه ولما ذكر أدب المنع ونهى عن التبذير صرح
بأدب الإنفاق فقال ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك وهو تمثيل لغاية الإمساك بحيث يضيق على نفسه وأهله في سلوك سبيل الإنفاق
ولا تبسطها كل البسط أي لا تتوسع في الإنفاق بحيث لا يبقى في يدك شيء وحين نهى عن طرفي التفريط والإفراط المذمومين بقي الخلق الفاضل
المسمى بالجود وهو العدل والوسط ثم بين غاية استعمال الطرفين فقال فتقعد ملوما عند الناس بالبخل محسورا بالإسراف أي منقطعا عن المقاصد
بسبب الفقر بعير محسور منقطع عن السير ولا شك أن المال مطية الحوائج والآمال وكثيرا ما يلام الرجل على تضييع المال بالكلية وإبقاء الأهل والولد
في الضر والمحنة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ أتاه صبي فقال إن أمي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة إلى ساعة يظهر فعد إلينا فذهب إلى
أمه فقالت له قل إن أمي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة
فنزلت الآية وقيل أعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وعيينة بن حصين فجاء عباس بن مرداس وأنشأ يقول: أتجعل نهبي ونهب العبيد ؛ بين
عيينة والأقرع ؛ وما كان حصن ولا حابس ؛ يفوقان جدي في مجمع ؛ وما كنت دون امرئ منهما ؛ ومن تضع اليوم لا يرفع ؛ فقال صلى الله عليه وسلم يا أبا بكر
اقطع لسانه عني أعطه مائة من الإبل فنزلت ثم إنه تعالى سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن الذي يرهقه من الإضاقة ليس لهوان منه على الله ولا لبخل به عليه ولكنه
تابع لمشيئة الخالق الرزاق فقال إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيق إنه كان بعباده ومصالحهم خبيرا بصيرا فالتفاوت في الأرزاق
ليس لأجل البخل ولكن لرعاية الصلاح ويمكن أن يكون مراد الآية أن البسط الكلي والقبض بالكلية من شأن الرب الخبير البصير وليس للعبد إلا الاقتصاد
ويحتمل أن يراد أنه تعالى مع غاية قدرته وسعة جوده يراعي وسط الحالين فلا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه أقصى مكروهه فاستنوا بسنته
وتخلقوا بأخلاقه وفي الآية دلالة على أنه هو المتكفل بأرزاق العباد فلذلك قال بعده ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق وأيضا لما علم كيفية
البر بالوالدين أراد أن يعلم كيفية البر بالأولاد فبر الآباء مكافأة وبر الأبناء ابتداء اصطناع وفيه نظام العالم وبقاء النوع الإنساني لأن
قتل الأولاد إن كان لخوف الفقر فهو سوء الظن بالله وإن كان لأجل الغيرة على البنات فهو سعي في تخريب العالم والأول ضد التعظيم لأمر الله و
الثاني ضد الشفقة على خلق الله ومن رغب عن محبة الولد فكأنه رغب عن جزئه قال ؛ ولد المؤمن جزء من حياته أمين يودع الترب منه جزؤا ؛ وكانوا
يقتلون البنات لعجز البنات عن الكسب وقدرة البنين عليه بسبب إقدامهم على القتل والغارة وأيضا كانوا يخافون أن فقرها ينفر أكفاءها فيحتاجون
إلى إنكاحها من غير الأكفاء وفي ذلك عار شديد فبين الله سبحانه أن الموجب للرحمة والشفقة كونه ولدا ولهذا قال أولادكم وبين أن الخوف من
الفقر لا وجه له لأن الله هو الرزاق لكل وكثيرا ما يكون الابن أفقر من البنت بعد البلوغ وكلا الصنفين يشتركان في الإنفاق عليهما
قبل البلوغ ولما نهى عن قتل الأولاد المستند إلى إفناء النسل ذكر النهي عن الزنا المفضي إلى مثل ذلك أو إلى اختلاط النسب فقال ولا تقربوا

الزنى وهذا اكد من ان يقول لا تزنوا ثم علل النهي بقوله انه كان فاحشة اي خصلة متزايدة في القبح وساء سبيلا اي سبيله فاستدل القائلون
بالتحسين والتقبيح العقليين بهذا التعليل على ان الاشياء لا تحسن ولا تقبح بذواتها بل لوجوه عائدة اليها في انفسها وان تكاليف العباد واقعة
على وفق مصالحهم في المعاش والمعاد ومن مفاسد الزنى اختلاط الانساب وتضييع الاولاد واهمال تربيتهم فان الولد اذا لم يكن منسوبا الى شخص
معين لم يكن احد بالتزام تربيته اولى من الآخر وكذا المرأة التي ولدته اذا لم يوجد بسبب شرعي للتزاوج ضاربته بمزاولته بار وجل لم يحصل الالف والمحبة
ولا يتم السكون والازدواج وتثوب كل رجل على كل امرأة ارادها بحسب شهوته ومقتضى طبعه فيهيج بالفسق والحروب بعد التشبه بالبهائم وايضا
ليس المقصود من المرأة مجرد قضاء الشهوة ولكن المقصود الكلي هو ان يكون شريكة له في ترتيب المنزل واعداد مهماته والقيام بامور الاولاد والعبيد
ولن يتم هذه المقاصد الا اذا كانت مقصورة الهمة على رجل واحد منقطعة الطمع عن غيره وايضا الوطء يوجب الذل والعار ولهذا لا يرتكب
الا في الاماكن المستورة وفي الاوقات المعلومة فاقتصار المرأة على الواحد من الرجال سعي في تقليل ذلك العمل وكفى في قبح الزنى ان مرتكبه من الرجال
والنساء يستقذره كل عقل سليم ويحط بذلك عن درجة الاعتبار وقد زعم في التفسير الكبير انه تعالى وصف الزنى وفي آية اخرى بكونه مقتا لان
الزانية تصير ممقوتة مكروهة وهذا وهم لان ذلك قد ورد في اول سورة النساء في نكاح منكوحات الآباء ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وانما نبهناك عليه لئلا يغتر به غيره في السهو ولما فرغ من التكاليف الاحتياطية ذكر غيره فقال ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله وفي التصريح بالتحريم بعد النهي تأكيد للحظر ولا ريب ان الاصل في قتل الانسان هو التحريم لانه ضرر والاصل في المضار الحرمة
ولان الانسان خلق للاشتغال بالعبادة وانه لا يتم الا بالحيوة وكمال البنية ولكن الحل انما يثبت لاسباب عرضية فلهذا قال الا بالحق وهذا مجمل
فسر ذلك الحق بقوله ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي تسلطا على استيفاء القصاص فظاهره يدل على انه لا سبب لحل القتل الا اذا
قتل مظلوما وظاهر قوله لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنى بعد احصان وقتل نفس بغير حق يقتضي ضم شيئين آخرين اليه فرعا
على القول بتخصيص عموم القرآن بخبر الواحد ويحتمل ان يقال قوله ومن قتل مظلوما كلام مستأنف والحديث بتمامه تفسير لقوله الا بالحق فلا
يلزم التفريع المذكور ثم انه دلت آية اخرى على حصول سبب رابع وهو قوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله وآية اخرى على سبب خامس
وهو الكفر الاصلي اقتلوهم حيث ثقفتموهم هذا وقد ابدى الفقهاء اسبابا اخر منها ان تارك الصلوة يقتل عند الشافعي دون ابي حنيفة و
كذا اللائط ومنها الساحر اذا قال قتلت فلانا بسحري وجوز بعضهم قتل من يمنع الزكوة اي يأبى البهيمة وللذين منعوا القتل في هذه الصور ان قالوا
الاصل حرمة القتل كما بيناه فلا يعدل عنه الا بدليل لا معارض اقوى لا اقل من ان يساويه وهو النص المتواتر ثم انه سبحانه اثبت لولي الدم
سلطانا ولم يبين ان هذه السلطنة بماذا تحصل فيماذا فقيل انه لما قال فلا يسرف في القتل عرف ان تلك السلطنة انما تحصل في استيفاء القتل و
قيل معنى فلا يسرف في القتل انه لما حصلت له سلطنة استيفاء القصاص وسلطنة استيفاء الدية بقوله ... عليكم القصاص في القتلى الى
قوله فمن عفي له من اخيه شيء فالاولى به ان لا يقدم على استيفاء القتل وان يكتفي بالعفو او اخذ الدية فثبت ان هذه الآية لا يجوز التمسك بها في مسئلة
ان موجب العمد القصاص وعن الشافعي ان التنوين في قوله مظلوما للتنكير فيدل على ان المقتول ما لم يكن كاملا في وصف المظلومية لم يدخل
تحت هذا النص فيعلم منه ان المسلم لا يقتل بالذمي لان الذمي مشرك فان ذنبه غير مغفور كالمشرك ولان النصارى قائلون بالتثليث وقد قال تعالى
اقتلوا المشركين فثبت ان الذمي غير كامل في المظلومية فلا يندرج في الآية وايضا ليس فيها دلالة على ان الحر يقتل بالعبد لانها وان كانت
عامة الا ان قوله الحر بالحر والعبد بالعبد خاص والخاص مقدم على العام من قرأ فلا تسرف بالتاء الفوقانية فعلى خطاب الولي او قاتل المظلوم
ومن قرأ على الغيبة فالضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية وعن مجاهد ان الضمير في قوله انه كان منصورا
فاما للولي اي حسبه ان الله قد نصره بايجاب القصاص فلا يستزد عليه او نصره بمعونة السلطان والمؤمنين فلا يتبع ما وراء حقه واما للمظلوم فان الله
نصره في الدنيا بايجاب القصاص على قاتله وفي الآخرة باعطاء الثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على
المسرف ولما ذكر النهي عن اتلاف النفوس في المبادي وفيما وراءها اتبعه النهي عن اتلاف الاموال وكان اهمها بالحفظ والرعاية مال اليتيم فقال
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن بالطريقة التي هي احسن وهي تثميره وانماؤه وروى مجاهد عن ابن عباس اذا احتاج الولي اكل بالمعروف فاذا
ايسر قضاه وان لم يوسر فلا شيء عليه ويتصرف الولي في مال اليتيم على الوجه المذكور حتى يبلغ اليتيم اشده بان يكمل قواه العقلية والحسية كما
مر في آخر الانعام واوفوا بالعهد يتناول كل عقد جرى بين انسانين على وفق الشرع وقانونه في المعاملات والمناكحات وغيرها الا اذا
دل دليل خاص على ضده ان العهد كان مسئولا اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به او هو على حذف المضاف والمراد ان صاحب
العهد مسئول او هو تخييل كانه يقال للعهد لم نكثت تبكيتا للناكث كقوله واذا الموؤدة سئلت ثم امر بايفاء الكيل فيما يكال والوزن فيما
يوزن والقسطاس بضم القاف وكسرها هو القبان المسمى بالقرسطون وقيل كل ميزان صغيرا وكبيرا والاصح انه لغة العرب من القسط النصيب العدل
وقيل رومي معرب ذلك الايفاء والوزن المعتدل خير من التطفيف واحسن تأويلا عاقبة من آل اذا رجع اما في الدنيا فلانه اذا اشتهر بالاحتراز
عن الخيانة مالت القلوب اليه وعول الناس عليه فيفتح عليه ابواب المعاملات واما في الآخرة فظاهر قال الحكيم ان نقصان الكيل والوزن قليل

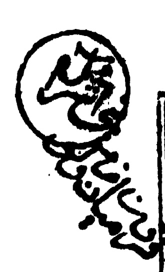
لان الذمي

لقاتل الاول / اما الضمير



والوعيد عليه شديد والعار فيه عظيم فيجب على العاقل ان يحترز عنه ثم امر باصلاح اللسان والقلب فقال ﴿ولا تقف﴾ اي لا تتبع من قولك قفوت
فلانا اي اتبعت اثره ومنه قافية الشعر لانها تقفو كل بيت القبيلة المشهورة بالقافة لانهم يتبعون آثار اقدام الناس ويستدلون بها على
احوالهم في النسب والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم او يعمل بما لا علم له به وهذه قضية كلية ولكن المفسرين حملوها على صور مخصوصة
فقيل نهى المشركين عن تقليد اسلافهم في الالهيات والنبوات والتحليل والتحريم والمعاد كقوله ﴿ان تتبعون الا الظن وما تهوى الانفس﴾ ﴿هل
عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن﴾ وعن محمد بن الحنفية المراد شهادة الزور ومثله عن ابن عباس لا تشهد الا بما رأته عيناك
وسمعته اذناك ووعاه قلبك وقيل المراد النهي عن القذف ورمي المحصنين والمحصنات بالاكاذيب كانت عادة العرب جارية بذلك يذكرونها
في الهجاء ويبالغون فيه وقال قتادة معناه لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم وقيل القفو هو البهت وهو في معنى الغيبة لانه قول
يقال في قفاه وعنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج اي يتوب وردغة الخبال بفتح الدال وسكونها
هي عصارة اهل النار من القيح والصديد احتج نفاة القياس بالاية زعما منهم ان الحكم في دين الله بالقياس حكم بغير المعلوم واجيب بان العلم قد يراد به
الظن قال تعالى ﴿فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار﴾ ولا ريب انه انما يمكن العلم بايمانهن بناء على اقرارهن وانه لا يفيد الا الظن
سلمنا لكن الظن وقع في الطريق لان الشرع قد اقام الظن الغالب مقام العلم وامر بالعمل به وزيف بانه لا دليل قاطع على وجوب العمل بالظن الغالب
لان ذلك الدليل ليس عقليا بالاتفاق ولا نقليا لانه انما كان قطعيا لو كان منقولا نقلا متواترا وكانت دلالته على ثبوت هذا المطلوب دلالة
قطعية غير محتملة للنقيض ولو حصل مثل هذا الدليل لوصل الى الكل ولم يبق خلاف ونوقض بان الدليل الذي عولتم عليه وهو هذه الاية
تمسك بعام مخصوص للاتفاق على ان العمل بالشهادة عمل بالظن وهو جائز وكذا الاجتهاد في القبلة وفي قيم المتلفات واروش الجنايات وكذا
الحكم بكون الشخص المعين كالذابح مؤمنا ليحل ذبيحته او وارثا ليحصل التوارث والميت ليدفن في مقابر المسلمين بالحقيقة اكثر الاعمال المعتبرة
في الدنيا من الاسفار وطلب الارباح والمعاملات الى الآجال المعينة والاعتماد على صداقة الاصدقاء وعداوة الاعداء كلها مظنونة وقال صلعم
نحن نحكم بالظاهر والتمسك بالعام المخصوص لا يفيد الا الظن فلو دلت هذه الاية على ان التمسك بالظن غير جائز لزم ان لا يجوز التمسك بهذه
الاية وكل ما يفضي ثبوته الى نفيه يسقط الاستدلال به واجيب بانا نعلم بالتواتر الظاهر من دين محمد صلعم ان التمسك بآيات القرآن جائز ورد
بان كون العام المخصص حجة غير معلوم بالتواتر ثم علل النهي بقوله ﴿ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك﴾ اشارة الى الاعضاء الثلاثة وان لم
يكن ذوات العقول كقوله والعيش بعد اولئك الايام ﴿كان عنه مسؤولا﴾ قال في الكشاف عنه في موضع الرفع بالفاعلية مثل ﴿غير المغضوب
عليهم﴾ وفيه نظر لان المسند اليه الفعل او شبهه لا يتقدم عليه والصواب ان يقال انه فاعل مسؤولا المحذوف والثاني مفسر له وكيف يسأل
عن هذه الجوارح قيل يسأل صاحبها عما استعملها فيه لانها آلات والمستعمل لها هو الروح الانساني فان استعملها في الخيرات استحق الثواب والا فالعقاب
وقيل انه تعالى ينطق الاعضاء ثم يسألها عن افعالها ﴿ولا تمش في الارض مرحا﴾ نصب على الحال مع انه مصدر اي ذا مرح وهو شدة الفرح وفي وضع المصدر
موضع الصفة نوع من التاكيد مثل تالله زيد ركضا وهو نهي عن مشية اهل الخيلاء والكبر ﴿انك لن تخرق الارض﴾ لن تثقبها بشدة وطأتك ﴿ولن
تبلغ الجبال طولا﴾ مصدر في موضع الحال من الفاعل او المفعول او تمييز او مفعول له او مصدر من معنى تبلغ بين ضعف الآدمي بانه في حال انخفاضه
لا يقدر على خرق الارض وحال ارتفاعه لا يقدر على الوصول الى رؤس الجبال فلا يليق به ان يتكبر ويتجبر كانه قيل له انك خلق ضعيف محصور بين حجارة
من فوقك وتراب من تحتك فلا تفعل فعل المقتدر القوي وقيل انه مثل ومعناه كما انك لن تخرق الارض في مشيتك ولن تبلغ الجبال طولا
فكذلك لا تبلغ ما اردت بكبرك وعجبك وفيه ياس للانسان من بلوغ ارادته ﴿كل ذلك كان سيئه﴾ من قرأ بالاضافة فظاهر لان المذكورة من
قوله ﴿لا تجعل مع الله الها آخر﴾ بعضها حسن وهو المامورات وبعضها سيء وهو المنهيات فالمعنى ان ما كان من تلك الاشياء سيئا فانه مكروه عند
الله ويمكن ان يراد بسيء تلك الخصال طرف الافراط او التفريط ومن قرأ سيئة على التانيث فقوله كل ذلك اشارة الى المنهيات خاصة وقيل ان
الكلام قد تم عند قوله ﴿واحسن تاويلا﴾ وقوله كل ذلك اشارة الى ما نهى عنه في قوله ﴿ولا تقف﴾ ﴿ولا تمش﴾ وانما قال سيئة على التانيث مع قوله مكروها
على الذنب كبيرا لانه جعل السيئة في معنى الذنب والاثم قالت المعتزلة الكراهة نقيض الارادة ففي الاية دلالة على ان المنهيات لا تكون مرادة لله
تعالى لانها مكروهة عنده واذا لم تكن مرادة له لم تكن مخلوقة له لان الخلق بدون الارادة محال اجاب الاشاعرة بان المراد من كراهتها كونها
منهيا عنها وزيف بانه عدول عن الظاهر مع لزوم التكرار لان كونها سيئة يدل على كونها منهية واجيب بانه لا باس بالتكرار لاجل التاكيد ذلك
الذي ذكر من قوله لا تجعل الى هذه الغاية وهي تنيف الى خمسة وعشرين تكليفا ﴿مما اوحى اليك ربك من الحكمة﴾ سمي حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه
للفساد بوجه روي عن ابن عباس انها كانت في الواح موسى عم وباصطلاح الحكماء ان الحكمة عبارة عن معرفة الحق لذاته والخير لاجل العمل به لا ريب
ان الامر بالتوحيد راس الحكمة النظرية وسائر التكاليف مشتملة على اصول مكارم الاخلاق وهي الحكمة العملية ولقد جعل الله سبحانه فاتحة هذه
التكاليف النهي عن الشرك وكذا خاتمتها لان التوحيد راس كل حكمة وملاكها ومن فقده لم ينفعه شيء من العلوم وان بذ الاقران والاكفاء وجاز الآفاق
السماء وقد راعى في هذا التكرار دقيقة فرتب على الاول كونه مذموما مخذولا وذلك اشارة الى حال المشرك في الدنيا ورتب على الثاني انه

الفصد والحجامة
وسائر المعالجات
وكذا ع



بلغوا في جهنم ملوما مدحورا وانهما حالتان في الآخرة وفي القصور هنالك ولا افهام ههنا اشارة الى ان للانسان في الدنيا صورة اختيار بخلاف الآخرة
والله اعلم بمراده وقد يفرق بين الذم واللوم فيقال الذم هو ان يقال ان الفعل الذي اقدم عليه قبيح منكر واللوم هو ان يقال له لم فعلت مثل هذا الفعل
وما الذي حملك عليه وما استفدت من هذا العمل الا الحاق الضرر بنفسك ويفرق بين المخذول والمدحور بان المخذول عبارة عن الضعيف
يتخاذل اعضاؤه اي ضعفت والمدحور المطرود والطرد عبارة عن الاستخفاف والاهانة ثم انكر على المشركين القائلين بان الملائكة بنات
الله فقال أفأصفاكم اي اخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بالبنين الذين هم افضل الاولاد واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون
قولا عظيما باضافة الاولاد الى من لا يصح له الولد لقدمه وتنزهه عن صفات الاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون
وهذا خلاف معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون بالاجود والاصفى والسادة بالادون والاردى ثم تجعلكم الملائكة الذين هم اعلى
خلق الله على الاطلاق او بالتقييد على المذهبين اخس الصنفين وهو الاناث التأويل خاطب نبيه ليقطع تعلقه عن الكونين من
الثقلين فقال لا تجعل مع الله الها آخر من الدنيا والآخرة ثم شرف امته بتبعيته فقال وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وانما قال
ربك لانه اصل في التربية والامر تبع له فمن حكم في الازل انه لا يعبد غير الله لم يعبد غير الله وبالوالدين طلب الروح ووالدة البدن و
الاحسان بهما ان يبلغهما في العبودية ليعبدا الله كانهما يريانه اما يبلغن عندك يخاطب القلب بوصيته بان يواسي والد الروح عند كبره وهو
بلوغه اعلى مراتب القرب وعجزه عند سطوات تجلي صفات الالوهية وبه يلد هو والدة البدن فلا يستعملها عند العجز ولا تنهرهما عند الاستراحة
وافق بهما عند استعمالهما في العبودية ولا تشكر عليهما فانك تحت التربية منهما لان القلب طفل تولد بازدواج الروح والبدن وقد وجد التربية منهما صورة ومعنى
الى ان صار قابلا للتجلي والخلافة ربكم اعلم بما في نفوسكم من الاستعداد ان تكونوا صالحين مستعدين للخلافة فانه كان للاوابين الراجعين من
انانيتهم الى هويته يعني من كان مقيدا بنفسه غفورا ساترا بانوار جماله اخبر اداب الخلافة فقال وآت ذا القربى وهو النفس حقه فان لنفسك عليك حقا
من تشرف ونعمه

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هٰذَا الْقُرْاٰنِ لِيَذَّكَّرُوْا وَمَا يَزِيْدُهُمْ اِلَّا نُفُوْرًا ۝ قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهٗٓ اٰلِهَةٌ كَمَا يَقُوْلُوْنَ اِذًا

و بتحقیق مکرر بیان کردیم درین قرآن تا پند گیرند و نمی فزاید ایشان را مگر نفرت بگو اگر بود با او الهان چنانکه میگویند آنگاه

لَّابْتَغَوْا اِلٰى ذِى الْعَرْشِ سَبِيْلًا ۝ سُبْحٰنَهٗ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْلُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا ۝ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ

فِيْهِنَّ ۚ وَاِنْ مِّنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَلٰكِنْ لَّا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ ۚ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ۝ وَاِذَا قَرَاْتَ الْقُرْاٰنَ جَعَلْنَا

بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ بِالْاٰخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُوْرًا ۝ وَّجَعَلْنَا عَلٰى قُلُوْبِهِمْ اَكِنَّةً اَنْ يَّفْقَهُوْهُ وَفِيْٓ اٰذَانِهِمْ

وَقْرًا ۚ وَاِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْاٰنِ وَحْدَهٗ وَلَّوْا عَلٰٓى اَدْبَارِهِمْ نُفُوْرًا ۝ نَحْنُ اَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُوْنَ بِهٖٓ اِذْ يَسْتَمِعُوْنَ

اِلَيْكَ وَاِذْ هُمْ نَجْوٰٓى اِذْ يَقُوْلُ الظّٰلِمُوْنَ اِنْ تَتَّبِعُوْنَ اِلَّا رَجُلًا مَّسْحُوْرًا ۝ اُنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوْا لَكَ الْاَمْثَالَ

فَضَلُّوْا فَلَا يَسْتَطِيْعُوْنَ سَبِيْلًا ۝ وَقَالُوْٓا ءَاِذَا كُنَّا عِظَامًا وَّرُفَاتًا ءَاِنَّا لَمَبْعُوْثُوْنَ خَلْقًا جَدِيْدًا ۝ قُلْ كُوْنُوْا

حِجَارَةً اَوْ حَدِيْدًا ۝ اَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِيْ صُدُوْرِكُمْ ۚ فَسَيَقُوْلُوْنَ مَنْ يُّعِيْدُنَا ۚ قُلِ الَّذِيْ فَطَرَكُمْ اَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ

فَسَيُنْغِضُوْنَ اِلَيْكَ رُءُوْسَهُمْ وَيَقُوْلُوْنَ مَتٰى هُوَ ۚ قُلْ عَسٰٓى اَنْ يَّكُوْنَ قَرِيْبًا ۝ يَوْمَ يَدْعُوْكُمْ فَتَسْتَجِيْبُوْنَ بِحَمْدِهٖ

وَتَظُنُّوْنَ اِنْ لَّبِثْتُمْ اِلَّا قَلِيْلًا ۝ وَقُلْ لِّعِبَادِيْ يَقُوْلُوا الَّتِيْ هِيَ اَحْسَنُ ۚ اِنَّ الشَّيْطٰنَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ اِنَّ الشَّيْطٰنَ

كَانَ لِلْاِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِيْنًا ۝ رَبُّكُمْ اَعْلَمُ بِكُمْ ۚ اِنْ يَّشَاْ يَرْحَمْكُمْ اَوْ اِنْ يَّشَاْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ وَمَآ اَرْسَلْنٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيْلًا ۝

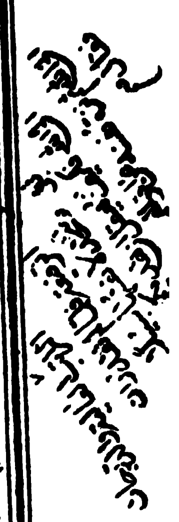
وَرَبُّكَ اَعْلَمُ بِمَنْ فِى السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ ۚ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيّٖنَ عَلٰى بَعْضٍ وَّاٰتَيْنَا دَاوٗدَ زَبُوْرًا ۝ قُلِ ادْعُوا

التأويل

ربع ١٥



الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا ۝ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى
ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا ۝ وإن من قرية إلا نحن
مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا ۝ وما منعنا أن نرسل
بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ۝
وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة
الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا ۝ القراءات ليذكروا من الذكر وكذلك في الفرقان حمزة وعلي
وخلف الآخرون بتشديد الذال والكاف من التذكر كما يقولون
في الغيبة ابن كثير وحفص عما تقولون على الخطاب حمزة وعلي وخلف تسبح بتاء التأنيث أبو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي وخلف وعباس
غير أبي بكر وحماد والمفضل والخراز عن هبيرة الآخرون على التذكير إذا متنا [illegible] كما مر في الرعد وكذلك في أخرى هذه السورة وفي سورة
قد أفلح وفي سورة السجدة الوقوف ليذكروا ط نفورا ه سبيلا ه كبيرا ه فيهن ط بحمده ط تسبيحهم ط غفورا ه مستورا ه للعطف وقرا ط نفورا ه مسحورا ه سبيلا ه جديدا ه
صدوركم ج للفاء مع أن والسين للاستيناف يعيدنا ط أول مرة ج لما قلنا ط هو ط قريبا ه قليلا ه أحسن ط بينهم ط مبينا ه عليكم ط وكيلا ه والأرض ط زبورا ه
تحويلا ه عذابه ط محذورا ه شديدا ط مسطورا ه الأولون ط لأن الواو للاستيناف فظلموا بها ط تخويفا ه بالناس ط في القرآن ط الكل لما مر ونخوفهم ه
لصحة عطف المستقبل على المستقبل كبيرا ه التفسير لما بين أنواع الحكم ومكارم الأخلاق ذكر غاية مطلوبية الإنسان وجهوليته فقال ولقد
صرفنا أي بينا أحسن بيان لأن من حاول بيان شيء فإنه يصرف كلامه من نوع إلى نوع ومن مثال إلى مثال حتى ينتهي به إلى ما هو مراده من
الإيضاح ومفعول التصريف متروك أي أوقعنا التصريف في هذا القرآن أو محذوف للعلم به والمراد صرفنا فيه ضروبا من كل مثل أو ولقد صرفنا
القرآن إبطال إضافتهم البنات إلى الله لأنه مما كرر ذكره والمقصود ولقد صرفنا القول في هذا المعنى وقيل لفظة في زائدة كقوله وأصلح لي
في ذريتي قال الجبائي قوله ليذكروا يدل على أنه أراد منهم فهمها والإيمان بها والمراد بالذكر ههنا فيمن قرأ مخففا هو التذكر والتأمل
لا الذكر الذي هو نقيض النسيان وقالت الأشاعرة قوله وما يزيدهم إلا نفورا دلت على عكس ذلك لأن الحكيم إذا أراد تحصيل أمر من الأمور وعلم
أن الفعل الفلاني يصير سببا لعسره وتعذره والنفرة [illegible] غير بعيد منه الأمر بذلك الفعل ولما أخبر أن هذا التصريف يزيدهم نفورا علمنا أنه
ما أراد الإيمان منهم عن سفيان الثوري أنه كان إذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا ثم دل على التوحيد الذي أمر به في
قوله ولا تجعل مع الله إلها آخر فقال قل لو كان معه آلهة كما يقولون أي كما يقول المشركون من إثبات آلهة من دونه وكما تقولون أيها المشركون
وفي قوله لا تجعل إذا دلالة على أن ما بعدها وهو لا ابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو قاله في الكشاف قلت ولعل إذا ههنا
لمزيد ما دل عليه لابتغوا أي لطلبوا وأرادوا إلى ذي العرش سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم ببعض ومثله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا
ويسمى في عرف المتكلمين بدليل التمانع وسيجيء بحثه في سورة الأنبياء إن شاء الله العزيز وقيل معنى الآية لو كانت هذه الأصنام كما تقولون من أنها
تقربكم إلى الله زلفى لطلبت لأنفسها [illegible] سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وضع التعالي وهو العلو موضع المصدر وهو التعالي كقوله أنبتكم
من الأرض نباتا ثم وصف العلو بالكبر مبالغة في التنزيه وبينها علاقات بين الواجب لذاته والممكن لذاته وبين الغني المطلق والفقير المطلق مباينة لا يعقل زيادة
عليها ثم بين غاية ملكه ونهاية عظمته بقوله تسبح له الآية قالت المعتزلة تسبيح الحي المكلف يكون تارة باللسان بأن يقول سبحان الله وأخرى بدلالة أحواله
على وجود الصانع الحكيم وتسبيح غيره لا يكون إلا من القبيل الثاني وقد تقرر في أصول الفقه أن اللفظ المشترك لا يحمل على معنييه معا فإن الواحد
فتعين حمل التسبيح ههنا على المعنى الثاني ليشمل الكل هذا ما عليه المحققون وأورد عليه أنه لو كان المراد بالتسبيح ما ذكرتم لم يقل ولكن لا تفقهون
تسبيحهم لأن التسبيح بهذا الوجه مفهوم معلوم وأجيب بأن دلالة كل شيء على وجود الصانع معلومة على الإجمال دون التفصيل لأنا إذا أخذنا
تفاحة واحدة فلا شك أنها مركبة من أجزاء لا تتجزى لكن عدد تلك الأجزاء وصفة كل منها من الطبع والطعم واللون والحيز والجهة ونحوها لا يعلمها
إلا الله وليس الخطاب للمشركين وأنهم وإن كانوا مقرين بالخالق إلا أنهم لما أثبتوا له شريكا وأنكروا قدرته على البعث والإعادة ولم ينظروا في المعجزات الدالة
على نبوة محمد ﷺ فكأنهم لم يفقهوا التسبيح إذ لم يتوسلوا به إلى نتيجة النظر الصحيح ولهذا ختم الآية بقوله إنه كان حليما غفورا حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم
وسوء نظركم وزعم بعض أهل الظاهر أن ما سوى الحي المكلف يسبح الله باللسان أيضا كل بلغته جمادا لا يمنع من كونه مسبحا فكيف صار ذبح الحيوان مأذونا له



عن التسبيح



عن التسبيح وكذا الكسر الغصن ويمكن ان يجاب بان تسبيح كل شئ لعله مختص بتركيبه الذي هو مخلوق عليه فاذا ابطل ذلك التركيب فلا جرم لك التغلم بين مسجا
مكانه وهي ذلك الفعل واعترض عليه ايضا بانه لو اجاز في الجمادات ان تكون عالمة بذات الله سبحانه تصفه بصفاته مسبحة له مع انها ليست حية لانسد علينا
باب العلم بكونه تعالى حيا الا انا استدللنا بكونه عالما قادرا على كونه حيا ويمكن ان يجاب بانا استدللنا على حيوته تعالى بالاذن الشرعي ولو سلم ان العلم يستلزم
الحيوة عقلا فنقول لعل لكل موجود حيوة تليق به ولما فرغ من الالهيات شرع في النبوات فقال واذا قرأت القرآن قيل نزلت في قوم كانوا يؤذون رسول
الله صلعم اذا قرأ القرآن عليهم روي انه كان كلما قرأ القرآن قام عن يمينه وعن يساره اخوان من ولد قصي يصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار
وعن اسماء كان رسول الله صلعم جالسا ومعه ابو بكر اذ اقبلت امرأة ابي لهب ومعها فهر تريد الرسول صلعم وهي تقول مذمما ابينا ودينه قلينا وامره عصينا
فقال ابو بكر يا رسول الله صلعم ان معها حجرا اخشى عليك فتلا رسول الله صلعم وهي تقول هذه الآيات فجاءت فما رأت رسول الله صلعم وقالت ان قريشا
قد علمت اني ابنة سيدها وان صاحبك هجاني فقال ابو بكر لا ورب هذه الكعبة ما هجاك وعن ابن عباس ان ابا سفيان والنضر بن الحرث وابا
جهل وغيرهم كانوا يجالسون رسول الله صلعم ويستمعون حديثه فقال النضر يوما ما ادري ما يقول محمد صلعم غير اني ارى شفتيه تتحرك بشئ وقال ابو سفيان اني ارى
بعض ما يقوله حقا وقال ابو جهل هو مجنون وقال ابو لهب كاهن وقال حويطب بن عبد العزى هو شاعر ومن ثم كان رسول الله صلعم اذا اراد تلاوة القرآن
تلا قبلها ثلاث آيات وهي في سورة الكهف وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وفي النحل اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وفي
حم الجاثية افرأيت من اتخذ الهه هواه وكان الله تعالى يحجبه ببركات هذه الآيات عن عيون المشركين وذلك قوله جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا اي ذا ستر وقد يجئ مفعول بمعنى ذا كذا او فاعل على ذلك كثير كقولهم رجل مرطوب اي ذو رطوبة ومكان
مهول اي ذو هول وسيل مفعم ذو افعام وجوز الاخفش مجئ فاعل بلفظ المفعول مثل مشؤم وميمون وقيل ان الحجاب يخلقه الله في عيونهم بحيث يمنعهم
ذلك الحجاب عن رؤية النبي صلعم وذلك الحجاب شئ لا يراه احد فهو مستور وعلى هذا يصح قول الاشاعرة انه يجوز ان يكون الحاسة سليمة والمرئي
حاضرا والرؤية غير حاصلة لاجل انه تعالى يخلق في العيون شيئا يمنعهم عن الرؤية ويحتمل ان يراد حجابا من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستر ان
يبصر فكيف يبصر المحتجب به والقول الثاني في الآية ان المراد بالحجاب الطبع والختم فاستدلت الاشاعرة به وبقوله وجعلنا على قلوبهم الآية على صحة
ما ذهبوا اليه في خلق الكفر والايمان كما مر في سورة الانعام في قوله ومنهم من يستمع اليك وجعلنا واجاب الجبائي بان المراد انهم يطلبون موضعه
بالليل ليقتلوه ويستدلون عليه باستماع قراءته فآمنه الله من شرهم بان جعل في قلوبهم ما شغلهم عن فهم القرآن وفي آذانهم ما منعهم من سماع صوته
قال الكعبي اراد به الخذلان والتخلية لانه لا تستبد اذا لم يرا به حال عبده فصارت اخلاق العبد يقول انا القينك في هذه الحالة فبسبب خلفك وخذلانك
وقال جار الله هذه حكاية لما كانوا يقولونه من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ومن قبائح اهل الشرك انهم كانوا يحبون
ان يذكر الهتهم كلما ذكر الله فاذا سمعوا ذكر الله دون ذكر الهتهم نفروا وانفضوا عن المجلس فلذلك قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده
وهو مصدر سد مسد الحال والتقدير يجد وحده مثل وارسلها العراك ولوا على ادبارهم نفورا مصدر من غير لفظ التولية او جمع نافر كقاعد
وقعود فاوعدهم الله على ذلك بقوله نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقرآن قال جار الله به في موضع الحال كما يقول يستمعون بالهزء اي
هازئين بالهزء او هازئين اذ يستمعون نصب بما دل عليه اعلم اي اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون واذ هم نجوى اي وبما يتناجون به اذ هم ذوو
نجوى اذ يقول الظالمون اذ بدل من اذ هم ان تتبعون اي على تقديرهم الاتباع لانهم لم يتبعوا رسول الله الا رجلا مسحورا سحر فاختلط عقله
وزال عن حد الاعتدال وقيل المسحور الذي فسد من قولهم طعام مسحور اذا افسد عمله وارض مسحورة اصابها من المطر اكثر مما ينبغي فافسدها
وقال مجاهد مسحورا مخدوعا لان السحر حيلة وخديعة زعموا ان محمدا يتعلم من بعض الناس وان اولئك الناس كانوا يخدعونه بهذه الحكايات او زعموا
ان الشيطان يخدعه فيتمثل له بصورة الملك وقال ابو عبيدة يريد بشرا ذا سحر وهو الرية قال ابن قتيبة لا ادري ما حمله على هذا التفسير المستكره
مع ان السلف فسروه بالوجوه الواضحة انظر كيف ضربوا لك الامثال اي شبهوك كل منهم بشئ لخوفهم فقالوا انه كاهن وشاعر وساحر ومعلم ومجنون فضلوا
في جميع ذلك عن طريق الحق فلا يستطيعون سبيلا الى الهدى والى ابطال امرك بل هم متحيرون في التيه الذي لا منار به وحين فرغ من شبهات القوم في
النبوات حكى شبهتهم في امر المعاد وايضا لما ذكروا ان القوم وصفوه بانه مسحور فاسد العقل ذكر ما كان في زعمهم دالا على اختلال العقل وهو دعوى
الانسان انه يصير حيا بعد ان كان عظاما ورفاتا والرفات الاجزاء المفتتة من كل شئ يكسر وهو اسم كالرضاض والفتات ودق منه وفت عظام
الجزء ورفتنا اذا كسرها وتقرير الشبهة ان الانسان اذا مات جفت اعضاؤه وتناثرت وتفرقت في جوانب العالم واختلطت باشالها
من العناصر فكيف يعقل بعد ذلك اجتماعها باعيانها ثم عود الحيوة الى ذلك المجموع فاجاب الله تعالى عن شبهتهم بان اعادة بدن الميت الى حالة
الحيوة امر ممكن ولو فرضتم ان بدنه قد صار ابعد شئ من الحيوة ومن رطوبة الحي وغضاضته ومن جنس ما ركب منه البشر كالحجارة او الحديد فهو كقول
القائل اتطمع في وانا فلان فيقول كن ابن الخليفة او من شئت فسأطلب منك حقي اما قوله او خلقا مما يكبر في صدوركم فالمراد فرضوا اشياء اخر ابعد
عن قبول الحيوة من الحجر والحديد بحيث يستبعد عقولكم كونه قابلا لوصف الحيوة وعلى هذا لا حاجة الى تعيين ذلك الشئ وقال مجاهد اراد
السموات والارض وعن ابن عباس انه الموت اي لو صارت ابدانكم نفس الموت فان الله يعيد الحيوة اليها وهذا انما يحسن على سبيل المبالغة كما

الحاوي ۲ ر

بالرجوع

يقال هو روح مجسم او وجود محض والا فالموت عرض والانقلاب بالجسم عرضا محال ولو تقدر بالتسليم فالموت كيف يقبل الحيوة لان الضد يمتنع
ان يقبل الضد وفي قوله قل الذي فطركم اول مرة بيان كاف وبرهان شاف لانه لما سلم ان خالق الحيوة هو الله فتلك الاجسام في الجملة قابلة للحيوة
والعقل والله العالم عالم بجميع الجزئيات والكليات فلا يشتبه عليه اجزاء بدن كل من الاموات واذا قدر على جعلها متصفة بالحيوة اول الامر فلان
يقدر على اعادتها الى الحيوة في ثاني الحال اولى الزمهم اولا امكان البعث ثم مكن وان فرضتم بدن المبتدى شيئا اردتم فكأنهم سلموا امكانه ولكن تجاهلوا
وتغافلوا عن تعيين المعيد فقالوا من يعيدنا فاجاب بان الفاطر الاول ثم زادوا في الاعتراض فسئلوا عن تعيين الوقت بقولهم متى هو فذلك قوله فسينغضون
اليك رؤسهم اي فسيحركونها تعجبا واستهزاء قال ابو الهيثم يقال للرجل اذا اخبر بشيء فحرك راسه الى فوق والى اسفل انكارا له انغض راسه قال
المفسرون عسى من الله واجب فعلم منه قرب وقت البعث ولكن وقف على التعيين مما استاثر الله بعلمه لا يقال كيف يكون قريبا وقد انقرض اكثر من
سبعمائة سنة ولم يظهر لانا نقول كل ما هو آت قريب واذا كان ما مضى اكثر مما بقي فان الباقي قليل قوله يوم يدعوكم منصوب باذكروا والمراد يوم يدعوكم
كان ما كان او هو بدل من قريبا والمعنى عسى ان يكون البعث يوم يدعوكم بالنداء الذي يسمعكم وهو النفخة الاخيرة وروي ان اسرافيل ينادي ايتها
الاجسام البالية والعظام النخرة والاجزاء المتفرقة عودي كما كنت والاستجابة موافقة الداعي فيما دعى اليه وهي مثل الاجابة بزيادة تأكيد لما في
السين من طلب الموافقة قال في الكشاف الدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتبعثون مطاوعين منقادين وقوله بحمده حال منهم اي
حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تأمره بامر يشق عليه ستأتي به وانت حامد شاكر اي ستنتهي الى حالة تحمد الله وتشكره على ان
اكتفوا منك بذلك العمل وهذا يذكر في معرض التهديد وقال سعيد بن جبير يخرجون من قبورهم وينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك
اللهم وبحمدك وقال قتادة بحمده اي بمعرفته وطاعته لان التسبيح والتحميد معرفة وطاعة ومن هنا قال بعضهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد وقال
آخرون الخطاب مختص بالمؤمنين لانهم الذين يليق بهم الحمد لله على احسانه اليهم وتظنون ان لبثتم الا قليلا عن قتادة تحاقرت الدنيا في انفسهم
حين عاينوا الآخرة ومثله قول الحسن معناه تقرب وقت البعث فكانك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال ابن عباس يريد ما بين النفختين
الاولى والثانية فانه يزول عنهم العذاب في ذلك الوقت وقيل اراد استقصار لبثهم في عرصة القيامة حين عاينوا هول النار ثم امر المؤمنين بالرفق
والتدرج عند ايراد الحجة على المخالفين فقال وقل لعبادي اي المؤمنين لان لفظ العباد مختص بهم في اكثر القرآن فبشر عباد الذين يستمعون
القول عينا يشرب بها عباد الله فادخلي في عبادي يقولوا الكلمة والحجة التي هي احسن والتي هي ان لا تكون مخلوطة بالسب واللعن والغلظة ثم نبه
على وجه المنفعة بهذا الطريق فقال ان الشيطان ينزغ بينهم اي بين الفريقين جميعا فيزداد الغضب ويتكامل النفرة ويمتنع حصول المقصود ثم قال
ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم ايها المؤمنون بالانجاء من كفار مكة ومن ايذائهم او ان يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم وما ارسلناك يا محمد عليهم
وكيلا اي حافظا موكولا اليك امرهم انما انت بشير ونذير والهداية الى الله وقال جار الله الكلمة التي هي احسن مفسرة بقوله ربكم اعلم بكم الى
آخره اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يزيد غيظهم وقوله ان الشيطان ينزغ
بينهم اعتراض وقيل المراد بالعباد الكفار اي قل لعبادي الذين اقروا بكونهم عبادا لي يقولوا الكلمة التي هي احسن هي كلمة التوحيد والبراءة من الشركاء
والاضداد لان ذلك احسن ما يبتدأ به من الاشراك ووصفه بالقدرة على الحشر احسن من وصفه بالعجز عنها والحامل على مثل هذه العقائد هو
الشيطان المغوي ثم قال لهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بتوفيق الهداية او ان يشأ يعذبكم بالاماتة على الكفر الا ان تلك المشيئة غائبة عنكم
فلا تقصروا في الجد والطلب ثم قال لرسوله وما ارسلناك عليهم وكيلا حتى تقسرهم على الاسلام فما عليك الا البلاغ على سبيل الرفق والمداراة
وهذا قبل نزول آية السيف وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت وحين قال ربكم اعلم بكم عمم الحكم فقال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني ان علمه غير مقصور عليكم ولا على احوالكم بل علمه متعلق
بجميع الموجودات وبما يليق بكل منها وبذلك حصل التمايز والتفاضل كما قال ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وفيه رد على اهل مكة في انكارهم
ان يكون يتيم ابي طالب مفضلا على الخلائق يتقدم على صناديد قريش واكابرهم وانما ختم الآية بقوله وآتينا داود زبورا ليعلم ان التفضيل ليس
بالمال والملك وانما هو بالعلم والدين فان داود كان ملكا عظيما ولم يذكره الله سبحانه بالاعتزاز الا بايتاء الكتاب وفيه ايضا اشارة الى ان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء
وامته خير الامم بدليل قوله ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي محمد وامته ومعنى التنكير في زبورا
انه كامل في كونه كتابا والزبور والزبور كالعباس وعباس والحسن وحسن والمراد بعض الزبر او الزبور كما سمي بعض القرآن قرآنا وقيل ان كفار قريش
ما كانوا اهل نظر وجدال بل كانوا يرجعون الى اليهود في استخراج الشبهات وكانت اليهود يقولون انه لا نبي بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فنقض الله
كلامهم بانزال الزبور على داود بعد موسى ثم رد على طائفة من المشركين كانوا يعبدون تماثيل على انها صور الملائكة او على طائفة من اهل الكتاب
كانوا يقولون بالهية عيسى ومريم وعزير فقال قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وقيل اراد بالذين يعبدون نفرا من الجن عبدهم ناس من العرب ثم
اسلم الجن ولم يشعروا وانما خصصت الآية بهؤلاء الطوائف لان قوله بعد ذلك يبتغون الى ربهم الوسيلة لا يليق بالجمادات قال ابن عباس
كل موضع في كتاب الله ورد فيه لفظ الزعم فهو بمعنى الكذب ثم قرر ان المعبود الحق هو الذي يقدر على ازالة الضر وتحويله من حال الى حال ومن كان

الى مكان وهذا الذي زعمتم انها المنة لا يقدرون على شيء من ذلك توجب القطع بانها ليست بالمنة سوى ان ما الدليل على ان الملائكة
لا يقدرون على كشف الضر فان قلتم لانا نرى ان اولئك الكفار كانوا يتضرعون اليها ولا يحصل الاجابة قلنا ان المسلمين ايضا يتضرعون الى الله
ولا يجابون وهم يعتقدون الاجابة في بعض الاوقات فالكفار ايضا يحصل مطلوبهم احيانا فيقولون انه من الملائكة جوابه ان الملائكة معترفون بان الاله
الاعظم خالق العالم فكمال قدرته معلوم متفق عليه وكمال قدرة الملائكة غير معلوم ولا متفق عليه بل المتفق عليه ان قدرتهم بالنسبة الى قدرة الله قليلة
حقيرة واذا كان كذلك وجب ان يكون الاشتغال بعبادة الاله الاعظم اولى والجدر اخذا بالمعلوم المتيقن دون المظنون الموهوم على ان اهل السنة قاطعون
بانه لا تاثير لشيء في الوجود الا الله تعالى يقول مؤلف هذا التفسير اضعف عباد الله تعالى واحوجهم الحسن بن محمد المشتهر بنظام النيسابوري نظر الله
احواله في اولاه واخراه رأيت في بعض الكتب مرويا عن امير المؤمنين علي عليه السلام من وقع في علة او طلب كفاية مهم فليسجد في خلوة وليقل في سجدته الهي انت الذي
قلت قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا فيا من يملك كشف الضر عنا وتحويله اكشف ما بي فانه اذا قال ذلك
كشف الله عنه ضره وكفى مهمه وقد جرب فوجد كذلك ثم انه تعالى اكد عدم اقتدار معبوديهم ببيان غاية افتقارهم الى الله تعالى في جذب المنافع
ودفع المضار فقال اولئك وهو مبتدأ والذين يدعون صفته ويبتغون خبره يعني ان اولئك المعبودين يطلبون الى ربهم الوسيلة اي القربة
في الحوائج وايهم بدل من واو يبتغون وهو موصول وصدر صلته محذوف اي يبتغي من هو اقرب الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب والدليل على
هذا الافتقار اقرار جميع الكفار بامكانهم الذاتي وجوز في الكشاف ان يضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب
الى الله وذلك بازدياد الخير في الطاعة والصلاح ويرجون ويخافون كغيرهم من العباد وقيل اولئك الذين يدعون هم الانبياء الذين ذكرهم
الله في قوله ولقد فضلنا بعض النبيين اي الذين عظمت منزلتهم وهم الانبياء الداعون للامم الى الله لا يعبدون الا الله ولا يبتغون الوسيلة
الا اليه فانهم احق بالعبادة واحتج هذا القائل على صحة قوله بان الله تعالى قال يخافون عذابه والملائكة لا يعصون الله فكيف يخافون واجيب بانهم
يخافون عذابه لو اقدموا على الذنب لقوله ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا بان يحذره كل
احد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم فان لم يحذره بعض الجهلة فانه لا يخرج عن كونه واجب الحذر ثم بين مآل حال الدنيا واهلها فقال
وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة بالموت والاستئصال او معذبوها بالقتل وانواع العذاب كالسبي والاغتنام وقيل الهلاك للصالحة
والتعذيب للطالحة كان ذلك في الكتاب وهو اللوح المحفوظ مسطورا فلا يوجد له تبديل قط ثم ذكر نوعا آخر من سننه فقال وما منعنا استعار
المنع للترك من اجل لزوم خلاف الحكمة والمشهور عن سعيد بن جبير ان كفار قريش اقترحوا منه آيات باهرة كاحياء الموتى ونحوه وعن ابن عباس انهم
سألوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا وان يزيل عنهم الجبال حتى يزرعوا تلك الاراضي فطلب النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى ذلك فقال ان شئت فعلت لكنهم ان
كفروا بعد ذلك اهلكتهم فقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا اريد ذلك وانزل الله الآية والمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب
بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك واستوجبوا عذاب الاستئصال
على ما اجرى الله تعالى به عادته والحاصل ان المانع من ارسال الآيات التي اقترحوها هو ان الاقتراح مع التكذيب موجب للهلاك الكلي وقد
عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة ويحتمل ان يراد انهم مقلدون لآبائهم فلا يؤمنون فيكون ارسال الآيات عبثا ثم استشهد على
ما ذكر بقصة صالح وناقته لان آثار هلاكهم في بلاد العرب قريبة يبصرها صادرهم وواردهم وهذا معنى قوله مبصرة اي المراد بحال كون الناقة آية بينة
يبصر المتامل بها رشده فظلموا انفسهم بقتلها او فكفروا بها يعني انهم جحدوا كونها من الله قاله ابن قتيبة وما نرسل بالآيات المقترحة الا تخويفا
من نزول العذاب العاجل يعني ان من انكرها عليه وقع او المراد وما نرسل بآيات القرآن وغيرها من المعجزات الا انذارا بعذاب الآخرة على المعنى المدلول
وحين امتنع من ارسال الآيات المقترحة على رسوله المصاف له كره وقوى قلبه بوعد النصر والغلبة فقال واذ قلنا لك ان ربك اي واذكر اذ
اوحينا اليك ان ربك احاط بالناس اي انهم في قبضته وقدرته فلا يقدرون على خلاف ارادته فهو ينصرك ويقويك حتى تبلغ الرسالة ويحول بينهم
وبينه ان يقتلوه كما قال والله يعصمك من الناس وقيل المراد بالناس هم اهل مكة واحاطته بهم معنى الاستئصال وانما جاء ذلك لان خبر الله تعالى لما كان
واجب الوقوع عبر عنه بلفظ الماضي وعد نبيه بانه سيهلك قريشا وفسر بدرا قوله وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس ففيه اقوال الاول
انه تعالى اراه في المنام مصارع كفار قريش حتى قال والله لكاني انظر الى مصارع القوم وهو يومئ الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا
مصرع فلان فلما سمع قريش ذلك جعلوا رؤياه سخرية وكانوا يستعجلون بما وعد الثاني انه رأى رؤياه التي رأى ان يدخل مكة وبين ذلك اصحابه واخبر
فلما منع من البيت الحرام عام الحديبية كان ذلك فتنة لبعض القوم وقال عمر لابي بكر قد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا ندخل البيت ونطوف به فقال ابو
بكر انه لم يخبر انا نفعل ذلك في هذه السنة فسنفعل ذلك في سنة اخرى فلما جاء العام القابل دخلها وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق الثالث قول سعيد بن المسيب وهو رواية عن ابن عباس ورواية عطاء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بني امية يتردون على منبره فساءه ذلك الرابع وهو
قول اكثر المفسرين ان المراد بهذه الرؤيا هي حديث الاسراء ثم اختلفوا فالاكثرون على ان الرؤيا بمعنى الرؤية يقال رأيت بعيني رؤية ورؤيا او
سيما ما روي على قول المكذبين حين قالوا العلماء في رؤيا وخيال حمل الحديث الاولون على ان الاسراء كان في المنام ومنهم ... في

كان مع

السورة قوله والشجرة فيه تقديم وتاخير للتقديم وما جعلنا الرؤيا التي اريناك والشجرة الملعونة في القران الا فتنة للناس قال الاكثرون انها شجرة الزقوم لعنت في القران حيث لعن طاعموها قال عز من قائل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم او وصفت باللعن لانه الابعاد وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة او العرب يقول لكل طعام مكروه صار ملعونا والفتنة فيها ان اباجهل وغيره قالوا زعم صاحبكم ان نار جهنم تحرق الحجر ثم يقول ينبت فيها الشجرة فانزل الله تعالى هذه الاية ونظيره قوله انا جعلناها فتنة للظالمين ومن شاهد حال السمندل والنعامة كيف يتعجب من قدرة الله على انبات الشجر من جنس لا تعمل فيه النار وعن ابن عباس الشجرة الملعونة بنو امية وعنه هي الكشوث التي تلتوي بالشجر يجعل في الشراب يجعل في الشراب وقيل هي الشيطان وقيل اليهود سوال اي تعلق لحديث الرؤيا والشجرة الى ما قبله من الكلام جوابه كانه قيل انهم لما طلبوا هذه المعجزات ثم انك لم تظهرها صار عدم ظهورها شبهة في انك لست بصادق في دعوى النبوة الا ان وقوع هذه الشبهة لا ينبغي ان يكون سببا لوقوع الشبهة العظيمة ثم انها اما وجبت ضعفك في امرك لا تورثك في اجتماع المخفين عليك ثم ذكر سببا اخر في انه تعالى لا يظهر المقترحات عليهم فقال ونخوفهم بمخاوف الدنيا والاخرة فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا متماديا التاويل لا ابتغوا الى ذي العرش سبيلا يشتمل معنيين لانهم ان كانوا اكبر منه او امثالا له طلبوا طريقا الى ازعاج صاحب العرش ونزع الملك منه قهرا وان كانوا دون منه طلبوا اليه الوسيلة بالخدمة والعبودية على ان الناقص لا يصلح للالهية وهذا قريب من التفسير وان من شيء الا يسبح بحمده لكل ذرة من ذرات الموجودات ملكوت لقوله فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء والملكوت باطن الكون وهو الاخرة والاخرة حيوان لا جماد لقوله وان الدار الاخرة لهي الحيوان فلكل ذرة لسان ملكوتي ناطق بالتسبيح والحمد تنزيها لصانعه وحمدا له على ما اولاه من نعمه وبهذا اللسان ينطق الحصى في كف النبي وبه ينطق الارض يوم القيمة يومئذ تحدث اخبارها وبه ينطق الجوارح انطقنا الله الذي انطق كل شيء وبه نطق السموات والارض قالتا اتينا طائعين انه كان حليما في الازل اذا اخرج من العدم من يكفر به ويجحده غفورا لمن تاب عن كفره واذا قرات القران فيه اشارة الى ان من قرا القران بتمامه وصل الى على معارج القدس واقصى مدارج الانس كما جاء في الحديث يقال لصاحب القران اقرا وارق قال ابو سليمان الخطابي جاء في الاثر ان عدد اي القران على قدر درج الجنة فمن استوفى جميع اي القران استولى على اقصى درجات الجنة قال المحققون استيفاء جميع اي القران هو ان يتخلق باخلاقه واوصافه بل بالخلاق الله وصفات الله وهذا يكون بعد العبور عن الحجب الظلمانية والنورانية فيكون بينه وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا لم يقل ساترا لان الحجاب يستر الواصل فيكون الواصل مستورا بالحجاب عن المنقطع ولوا على ادبارهم لانهم من سوء مزاجهم لا يكادون يستلذون الغذاء الصالح فالحلاوة في مذاقهم مرارة اذ يقول الظالمون من ظلمهم لانهم وضعوا المسحور مكان المبعوث وخلقا مما يكبر في صدوركم اي لو كان قلوبكم التي في صدوركم اشد من الحجارة والحديد فالله قادر على احيائه وتليينه في قيمة العشق يقول الذي هي احسن تشريف من عبده بتشريف الاضافة يظهر منه القول الاحسن وهو الدعاء الى الله بلا اله الا الله مخلصا والفعل الاحسن وهو ان يكون متادبا باداب الشريعة والطريقة والخلق الاحسن وهو ان يكون محسنا اليهم بلا طمع الاحسان والشكر منهم ويتجاوز عن سيئاتهم ويعاشرهم بالنصيحة يامرهم بالمعروف بلا عنف وينهاهم عن المنكر بلا فضيحة ان الشيطان ينزغ بينهم اذا لم يعاشروا بالنصيحة واتينا داود زبورا فيه ان فضل النبي صلعم على داود كفضل القران على الزبور وان من قرية من قرى قالب الانسان الا نحن مهلكوها بموت قلبه او قبل موت قالبه فمن مات فقد قامت قيامته او معذبوها بانواع الرياضات والمجاهدات نفي السبيل الى الله ذوبان الصفات وفي السير بالله ذوبان الذات احاط بالناس علما مقتضى كل نفس من الخير والشر وما جعلنا الرؤيا التي اريناك انه كان الوحي يصل الى النبي صلعم في مبدا امره بطريق المنام وكان في ذلك اختبار للناس فمن وقته يظهر الموافق من المنافق والعقد من المرتد وهكذا كان شجرة وجود ابليس ابتلاء للناس ولم يكن المحيط باحوال الناس حاجة الى الابتلاء ولكنه يعامل معاملة المختبر والله اعلم بالصواب

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ

عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ

جَزَاءً مَّوْفُورًا وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي

الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا

مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا أَفَأَمِنتُمْ



أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ

که فرو برد بشما طرف بیابان یا فرستد بر شما سنگ ریزه پس نیابید برای خود نگهبانی یا ایمن شده اید که باز گرداند شما را

فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا وَلَقَدْ

دران مرتبه دیگر پس فرستد بر شما ره شکننده از باد پس غرق گرداند شما را بکفر که کرده بودید پس نیابید برای خود بر ما بان از پی آینده و بتحقیق

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ

گرامی گردانیدیم فرزندان آدم را و برداشتیم ایشان را در بیابان و دریا و روزی دادیم ایشان را از پاکیزه ها و برتری دادیم ایشان را بر بسیاری

مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ

از آنکه آفریدیم برتری دادنی روزی که بخوانیم هر گروهی را با پیشوای ایشان پس هر که داده شد نامه خود را بدست راست پس آنها بخوانند

كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا القراءة اخوتى

نامه خود را و ستم کرده نشوند مقدار رشته و کسیکه باشد درین دنیا کور پس او در آخرت کور و گمراه تر است در راه

بالياء في الحالين ابن كثير غير الهاشمي عن ابن فليح وسهل ويعقوب وافق ابو جعفر ونافع ابو عمرو في الوصل الباقون بالحذف ورجلك بكسر الجيم حفص ابو زيد عن المفضل الآخرون بسكونها ان نخسف او نرسل ان نعيدكم فنرسل فنغرقكم كلها بالنون ابن كثير وابو عمرو والباقون على الغيبة الا يعقوب ويزيد فانهما قرأ فتغرقكم بالتاء الفوقانية على ان الضمير للريح من ابي باح على الجمع ويزيد هذه اعمى بالامالة اعمى بالتفخيم ابو عمرو ونصير والبرجمي وروي عن حمزة وعلي غير نصير وحلف ويحيى وحماد جميعا بالامالة الباقون جميعا بالتفخيم الوقوف ابليس ط طينا ة لا تحاد فاعل فعل قبله وفعل بعده بالعوف عطف على تحقق القسم المحذوف مع اتحاد الكلام قليلا ه موفورا ه وعدهم للعدول غرورا ه سلطان ط وكيلا ه فضله ط رحيما ه الا اياه ج اعرضتم ط كفورا ه وكيلا لا للعطف تبيعا ه تفضيلا ه بامامهم ج فتيلا ه سبيلا ه التفسير قال اهل النظم انه لما ذكر ان الرسول صلى الله عليه وسلم كان من قومه في بلية عظيمة ومحنة شديدة اراد ان يبين ان جميع الانبياء كانوا كذلك حتى آدم عليه السلام وايضا ان القوم كان منشاء نزاعهم واقتراحاتهم الفاسدة الامرين الكبر والحسد فبين الله سبحانه ان هذه عادة قديمة سنها ابليس لعنة الله عليه وايضا لما وصف القوم بزيادة الطغيان عقيب التخويف اراد ان يذكر السبب لحصول هذا الطغيان وهو قول ابليس لاحتنكن ذريته وهذه القصة ذكرها الله تعالى في سبع سور البقرة والاعراف والحجر وهذه السورة والكهف وطه وص ونحن قد استقصينا القول فيه فلا حاجة الى الاعادة فلنقتصر على تفسير الالفاظ قال جار الله طينا حال اما من الموصول والعامل فيه اسجد ومعناه أأسجد له وهو طين في الاصل واما من الراجع الى الموصول من الصلة تقديره أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا ومعنى الاستفهام انكار ان الاشرف على زعمه يخدم الادون ولذلك قال ارأيتك اي اخبرني عن هذا الذي كرمته اي فضلته علي لم كرمته وانا خير منه فاختصر الكلام لكونه معلوما ويمكن ان يقال هذا مبتدأ والاستفهام فيه مقدر ومعناه اخبرني اهذا الذي كرمته علي والاشارة هنا بقصد الاستحقار وقيل ان هذا مفعول ارأيت لان الكاف لمجرد الخطاب كانه قال على وجه التعجب والانكار ابصرت او علمت هذا بمعنى لو ابصرته او علمته لكان يجب ان لا تكرمه علي ثم ابتدأ فقال لئن اخرتني واللام موطئة للقسم المحذوف وجوابه لاحتنكن ذريته لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه احتنك الشاتين اي اكلهما وقال ابو مسلم هو افتعال من الحنك يقال منه حنك الدابة يحنكها اذا جعل في حنكها الاسفل حبلا يقودها به كانه يملكهم كما يملك الفارس فرسه بلجامه وانما ظن ابليس ذلك لانه سمع قول الملائكة في حقهم اتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم انه خلق شهواني لا عن غير ذلك من قواه السبعية والوهمية والبهيمية او قاس ذريته آدم عليه حين عمل وسوسته فيه وضعفه جار الله بان الظاهر انه قال ذلك قبل اكل آدم من الشجرة قال الله تعالى اذهب ليس المراد منه نقيض المجيء وانما المراد امض لشانك الذي اخترته خذلانا وتخلية واتبعه ما لا تم ريثه الامهال قوله فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اراد جزاؤهم وجزاؤك فغلب المخاطب على الغائب لانه الاصل في المعاصي ومن تبعه له وجوز في الكشاف ان يكون للتابعين على طريقة الالتفات وانتصب جزاء موفورا على المصدر والعامل فيه معنى تجازون المضمر والمدلول عليه بقوله فان جهنم جزاؤكم او على الحال الموطئة والموفور الموفر قولهم فر لصاحبك عرضه فره وقيل هو بمعنى الوافر ثم اكد الامهال والخذلان بقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك اي افزه الخوف استفزه ازعجه واستخفه وصوته دعاؤه الى معصية الله وقيل الغناء واللهو واللعب واجلب عليهم بخيلك ورجلك قال الفراء وابو عبيدة اجلب من الجلبة والصياح اي صح عليهم وقال الزجاج اي اجمع عليهم كل ما تقدر عليه من مكائدك فالاجلاب الجمع والباء في بخيلك زائدة وقال ابن السكيت الاجلاب الاعانة والخيل يقع على الفرسان قال صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي وعلى الافراس جميعا والرجل بسكون الجيم جمع راجل كتاجر وتجر وصاحب وصحب وبكسر الجيم صفة معناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا مثل ندس وندس وحذر وحذر وعن ابن عباس كل راكب وراجل في معصية الله فهو من خيل ابليس وجنوده وقيل يحتمل ان يكون لابليس جند من الشياطين بعضها راكب وبعضها راجل والاقرب ان هذا كلام ورد تمثيلا لتقدره على الرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك قال في الكشاف مثلت حاله في تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم

التفسير

فصوّت بهم صوتاً يستفزهم من اماكنهم ويقلقهم عن مراكزهم وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بجند من خياله ورجاله حتى تستأصلهم اما المشاركة في الاموال
فهي كل تصرف في المال لا على وجه الشرع سواء كان اخذاً من غير عوض او وضعاً في غير حق كالربا والزنا والغصب والسرقة وقيل هي تبتيك آذان الانعام
وجعلها بحيرة وسائبة والمشاركة في الاولاد دعوى الولد بغير سبب وتحصيله بالدعاء الى الزنا او تسميتهم بعبد اللات وعبد العزى او تربيتهم
لا كما ينبغي حتى ينشأوا غير راشدين ولا مؤدبين ولا متدينين بدين الحق وعدهم بتزيين المعاصي في اعينهم وترجيتهم فيها وتثقيل الطاعات
والعبادات عليهم وتنفيرهم عنها وهذه قضية كلية وربما يخصص المفسرون فعن بعضهم ان المراد وعدهم بانه لا جنة ولا نار وقيل بالكرامة
على الله بالانساب والاحساب وقيل بشفاعة الاصنام والاماني الباطلة وايثار العاجل على الآجل ثم نفى ان يكون لوعد الشيطان حاصل
حقيقة فقال وما يعدهم الشيطان الا غرورا لانه انما يدعو الى اللذات البهيمية او السبعية او الخيالية واكثرها دفع الآلام وكلها لا اصل
لها ولا دوام ومن اراد الاستقصاء في هذا الباب فعليه بمطالعة باب ذم الغرور من كتاب احياء علوم الدين للشيخ الامام محمد الغزالي رحمه الله و
لما قال للشيطان ما قال على سبيل الوعيد والتهديد افعل ما تقدر عليه ربط جأش سائر المكلفين بقوله إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
قال الجبائي المراد كل عباده لانه استثنى متبعيه في غير هذا الموضع فقال الا من تبعك وقال اهل السنة المراد عباد الله المخلصين ثم زاد في تقوية
جانب المكلف فختم الآية بقوله وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا فهو يدفع كيد الشيطان وبعضهم من اغوائه ثم عدد على بني آدم بعض ما انعم عليهم ليكون
تذكير النعم ويجذب بافضال رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ اي يسير لاجلكم الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ والازجاء سوق الشيء حالا بعد حال لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ الربح
بالتجارة إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا فلذلك هداكم لمصالح المعاش لتؤديه الى منافع المعاد وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ اي خوف الغرق فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ
ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه في حوادثكم الا اياه وحده فانكم تعقدون برحمته رجاءكم او المراد ضل من تدعون من الالهة عن اغاثتكم
ولكن الله هو الذي ترجونه وحده فكان الاستثناء منقطعا فلما نجاكم من ذلك الضر واخرجكم الى البر اعرضتم عن الاخلاص وَكَانَ الْإِنْسَانُ
كَفُورًا لنعم الله لا تراه عند الشدة يتمسك برحمة الله وفي الرخاء يعرض عنه ثم انكر عليهم سوء معاملتهم قائلا أَفَأَمِنْتُمْ فهذه اي انجوتم فامنتم
فحملكم ذلك على الاعراض ان يخسف اصله دخول الشيء في الشيء ومنه عين خاسفة للتي غارت حدقتها في الراس وخسف القمر دخل تحت الحجاب و
هو دائرة الظل عند الحكماء بكم حال وانما قال جانب البر لانه ذكر البحر في الآية الاولى وهو جانب والبر جانب خسف جانب البر بهم قلبه وهم عليه
فالخسف تغييب تحت الماء ضبوا انكم بنجوتم من هول البحر فقد امنتم من هول البر فانه قادر على تسليط آفات البر عليكم اما من جانب التحت بالخسف
واما من جانب الفوق بامطار الحجارة وذلك قوله أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا وهي الريح التي تحصب اي ترمي بالحصباء وقال الزجاج الحاصب التراب
الذي فيه حصباء فالحاصب ذو الحصباء كاللابن والتامر ولا يخفى ان هذين العذابين اشد من غرق البحر ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا يصرف
ذلك عنكم أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى بان يقوي دواعيكم ويوفر حوائجكم الى ركوب البحر فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا هي الريح التي لها قصيف اي
صوت شديد او القاصف الكاسر قوله مِنَ الرِّيحِ بيان له فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ بسبب كفركم ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا مطالبا يتبعنا
لانكار ما نزل بكم او لنصرفه عنكم فهو كقوله وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ثم اجمل ذكر النعمة بقوله وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وقد ذكر المفسرون في تكريمهم وجوها
منها الخط فيه يقدر الانسان على ابداع العلوم التي استنبطها هو او غيره الدفاتر فتبقى على وجه الدهر مصونة عن الاندراس محفوظة عن
الانطماس اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ومنها الصورة الحسنة وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ومنها القامة المعتدلة لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ
فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ومنها ان كل شيء ياكل بفيه الا ابن آدم يحكى عن الرشيد انه حضر لديه طعام فاحضرت الملاعق وعنده ابو يوسف فقال
له جاء في تفسير جدك ابن عباس ان هذا التكريم هو انه جعل لهم اصابع ياكلون بها فرد الملاعق واكل باصابعه ومنها القامة المعتدلة لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم ما قال الضحاك انه النطق والتمييز فان الانسان يمكنه تعريف غيره كل ما عرفه بخلاف سائر الحيوانات و
يدخل الاخرس في هذا الوصف لانه يعرف بالاشارة او الكتابة ويخرج الببغاء ونحوه لانه لا يقدر على تعريف جميع الاحوال على الكمال ومنها
تسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم فالارض لهم كالام الحاضنة منها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي لهم فراش ومهاد والماء ينتفعون به في الشرب
والزراعة والعمارة وملح البحر ينتفع به في التجارة واستخراج الحلي منه والهواء مادة الحياة ولولا هبوب الرياح لاستولى النتن على المعمورة والنار ينتفع
بها في الطبخ والانضاج ودفع البرد وغير ذلك وانتفاعهم بالمركبات المعدنية والنباتية والحيوانية ظاهر وبالجملة هذا العالم باسره كقرية معمورة
او خوان معد والانسان فيه كالرئيس المخدوم والملك المطاع فاي تكريم يكون ازيد من هذا ولا شك ان الانسان لكونه مستجمعا للقوة
العقلية القدسية والقوتين الشهوية البهيمية والغضبية السبعية ولقوة الحس والحركة الارادية وللقوى النباتية هي الاغتذاء والنمو والتوليد
يكون اشرف مما ليس يجمع الجميع سوى المجردات المحضة وقال بعضهم ان هذا التكريم هو انه تعالى خلق آدم بيده وابدع غيره بواسطة لما يروى عن زيد بن
اسلم ان الملائكة قالت ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا ياكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي
لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ثم خص بعض انواع التكريم بالذكر فقال وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قال ابن عباس في البر على
على السفن وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من كل غذاء بنبات او حيوان الطف والذ واعلم ان التكريم لا يدل على التفضيل لان تكريم بنيه لا ينافي

تكريم غيره بانه بدل من ذلك وذلك لان ختم التكريم بقوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا فقد بعض ذلك لتلزم الكثير ههنا بمعنى الجميع فشنع عليه جار الله بانه شجي في الحلق وقذى في العين لبشاعة قول القائل وفضلناهم على جميع ممن خلقنا والانصاف ان كون الكثير مفيد المعنى الجميع لا يوجب هذا التشنيع لانه لا يلزم من افادة اللفظ معنى لفظ آخر بمعنى انه يرجع الحاصل في ذلك بدلا لزوم او بحكم العرف ان يوضع ذلك اللفظ موضعه وينطق به على ان التفسير لا يقوم مقام المفسر البتة لان هذا معزو دون ذلك فكيف يتوقف بحاله وايضا فالحاصل هو قولنا على جميع ممن خلقنا فان الدعوى هو ان كثيرا من الشيء اقيم مقام كل ذلك الشيء لا كل من ذلك الشيء حتى يلزم البشاعة من قبل الجمع بين لفظي الكل ومن التبعيضية هذا وان الخوض في المسألة هو لجواز الكلام على ان ظاهره لا يدل على انه حصل في مخلوقات الله شيء لا يكون الانسان يفضل عليه لانه سبحانه ذكر هذا الكلام في معرض المدح ولو كان الانسان مفضلا على الكل لم يفحم ان الله تعالى الاقتصار على ذكر البعض وكل من اثبت هذا القسم قال انه هو الملائكة بل بعض الملك افضل من اكثر الانسان وان كان يوجد في خواص الانسان من هو افضل من عوام الملائكة بل من خواصهم والى هذا ذهب ابن عباس واختاره الزجاج على ما رواه الواحدي في البسيط واما ان الملائكة افضل من كل البشر على ما زعم جار الله وامثاله فانه تحكم محض ولما ذكر انواع كرامات الانسان في الدنيا شرح احوال درجاته في الآخرة فقال يوم ندعو وهو منصوب باضمار اذكر وبقوله فضلناهم على عادة الله في الاخبار ونفضلهم في هذا اليوم بما نعطيهم من الكرامة والثواب وعلى هذا يكون التكريم في الدنيا والتفضيل في الآخرة ولا وقف على تفضيلا والامام في اللغة كل ما يؤتم به من نبي ومقدم في الدين او كتاب او دين والباء في قوله بامامهم للالصاق كما تقول ادعوك باسمك عن ابي هريرة مرفوعا انه ينادي يوم القيامة يا امة ابراهيم يا امة عيسى يا امة موسى يا امة محمد فيقوم اهل الحق الذين اتبعوا الانبياء فيأخذون كتبهم بايمانهم ثم ينادي على اتباع فرعون وفلان وفلان من رؤساء الضلال واكابر الكفر ويجوز ان يتعلق الباء بمحذوف وهو الحال والتقدير ندعو كل اناس متلبسين بامامهم اي يدعون وامامهم فيهم نحو ركب بجنوده وروى الضحاك وابن زيد انه ينادي في القيامة يا اهل القرآن يا اهل التورية يا اهل الانجيل وقال الحسن يدعون بكتابهم الذي فيه اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وهو قول الربيع وابي العالية ايضا قال صاحب الكشاف ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم والحكمة في ذلك رعاية حق عيسى واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنى ثم قال وليت شعري ايهما ابدع اصحة لفظه ام بهاء حكمته وقال في التفسير الكبير كل خلق يظهر من الانسان حسن كالعفة والشجاعة والعلم او قبيح كاضدادها فالداعي الى تلك الافعال خلق باطن كالامام له كالمتبع والمنشأ ويوم القيامة انما يظهر الثواب والعقاب بناء على الافعال الناشئة من تلك الاخلاق فمن اوتي وهو في معنى الجمع ولذلك حمل على معناه فاولئك يقرؤن وخص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم لان قراءة اصحاب الشمال كلا قراءة لما يعرض لهم وفيه من الحياء والخجل والتتعتع ومن كان في هذه الدنيا اعمى لا خلاف ان المراد بهذا العمى عمى القلب واما قوله فهو في الآخرة اعمى فيحتمل ان يراد به عمى البصر كقوله ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وفيه زيادة العقوبة ويحتمل ان يراد عمى القلب قال ابن عباس المراد ومن كان اعمى في هذه النعم التي عددها من قوله ربكم الذي يزجي الى قوله تفضيلا فهو في الآخرة التي لم يرها اعمى بالطريق الاولى لان الضلال عن معرفة احوال الآخرة اقرب وقوعا فعلى هذا يكون الاعمى في الموضعين في الدنيا ومثله ما روى ابو روق عن الضحاك من كان في الدنيا اعمى عما يرى من قدرته في خلق السماء والارض والبحار والجبال والناس والدواب فهو عن امر الآخرة وتحصيل العلم بها اعمى قال المفسرون لا يبعد ان يكون اعمى على هذا التفسير افعل التفضيل ويدل له قراءة ابي عمرو بامالة الاول وتفخيم الثاني لان الاول اسم والعين في الطرف فكانت عرضة للامالة ومظنة لها بخلاف الثاني فان تمامه من فكانت الفه في حكم وسط الكلمة هذا قول صاحب الكشاف تابعا لابي علي الفارسي اقول الوجه فيه نظر لان الامالة ليست مختصة باخر الكلمة مثل شيبان والكافرين ونحوهما ولهذا قرئ فيهما بامالتهما مع قيام هذا الاحتمال في الثاني ولعل من لم يمل الثاني راعى المشاكلة بينه وبين اضل والله اعلم وقال الحسن في الآخرة اي في امر الآخرة وذلك انه في الدنيا يقبل توبته وفي الآخرة لا يقبل وقيل المراد بالعمى في الآخرة انه لا يهتدي الى طريق الجنة والى طيباتها والابتهاج بها ولا يمكن ان يراد بها الجهل بالله لان اهل الآخرة يعرفون الله بالضرورة التأويل من استطعت منهم بصوتك اي بكلمة المبتدعة ومعنى لان اهل الطبيعة ان عبادي ليس لك عليهم سلطان لانهم مخصوصون بالعبودية تخلصوا عن رق الكونين وتعلق العالمين وكفى بربك وكيلا في تربيتهم وتحصيل صالح احوالهم ربكم الذي يزجي لكم فلك الشريعة في بحر الحقيقة لتبتغوا من فضله جذبة العناية فلما نجيكم الى بر الوصول اعرضتم بعجب العجب ورؤية الاعمال حاصبا من سطوة القهر قاصفا من ريح الابتلاء بسلطان البدع والاهواء فيغرقكم في بحر الشبهات ولقد كرمنا بني آدم بالكرامات الابدية العامة للمؤمنين والكافرين وهي تخمير طينته بيده وتصويره في الرحم بنفسه وبالكرامات الروحانية الخاصة من النبوة والولاية والهداية والجذبة كما قال وحملناهم في البر والبحر اي عبرنا بهم من بر البشرية وبحر الروحانية الى ساحل الربانية ورزقناهم من الطيبات المواهب ونوال الكشوف وفضلناهم على كثير اي على الملائكة لانهم الخلق الكثير من مخلوقات الله وبيان تفضيله حمل اعباء النبوة وقبول فيض نور الله بلا واسطة وهو المراد بالامانة في قوله انا عرضنا الامانة يوم ندعو كل اناس بامامهم من الدنيا والآخرة وغيرهما فيقال يا اهل الدنيا ويا اهل الآخرة ويا اهل الله فمن اوتي كتابه بيمينه فيه اشارة الى ان اهل الله لا يؤتون كتابهم كما لا يحاسبون



حسابهم واهل الشمال يؤتون الكتاب ولكنهم لا يقدرون على القراءة لانهم عمي والقراءة تحتاج الى الابصار بالابصار والبصائر والله اعلم

وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَن

و بدرستیکه نزدیک بودند که ضلالت کنند ترا از انچه وحی کردیم بتو تا افترا کنی بر ما غیر آنرا و انگاه هر اینه بگیرندی ترا دوست خود و اگر نه انکه

ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ

ثابت کردانیدیم ترا هر آینه نزدیک بودی که میل کنی بایشان چیزی اندک انگاه هر آینه بچشانیدیمی ترا دو چندان عذاب زنده گی و دو چندان عذاب مرگ پس نیابی برای خود

عَلَيْنَا نَصِيرًا وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا سُنَّةَ

بر ما یاری کننده و اینکه نزدیک بود که برکنده گردانند ترا از زمین تا بیرون کنند ترا از آن و انگاه درنگ نکنندی پس از تو مگر اندکی چون دستور آنکه

مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ

بتحقیق فرستادیم پیش از تو از رسولان ما و نیابی مر دستور ما را تغییری برپای دار نماز را نزد زوال آفتاب تا تاریکی

اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

شب و خواندن صبح را بدرستیکه خواندن صبح باشد حاضر شده و از شب پس بیدار شو بآن نافله مر ترا شاید که برانگیزد ترا پروردگار تو

مَقَامًا مَّحْمُودًا وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا

بجایگاه پسندیده و بگو پروردگار من داخل گردان مرا داخل گردانیدن راستی و بیرون آور مرا بیرون آوردن راستی و بگردان از برای من از نزد خود سلطه

نَّصِيرًا وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ

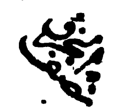
یاری کننده و بگو آمد حق و ناچیز شد باطل بدرستیکه باطل باشد ناچیز و فرو میفرستیم از قرآن آنچه شفا

وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا

و رحمت است مر گروندگان و نمی فزاید ستمکاران را جز زیان و چون انعام بر انسان روی بگرداند و دور شود بجانب طرفش و چون

مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا وَيَسْأَلُونَكَ

مس کند او را شر و سختی باشد نا امید بگو هر کس میکند بر مانند خویش پس پروردگار شما داناتر است بانکه او درست ترست از جهة راه و می پرسند ترا



عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا

از روح بگو روح از امر پروردگار منست و داده نشده اید از علم مگر اندکی و اگر بخواهیم هر اینه ببریم آنچه وحی کردیم

إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا قُل لَّئِنِ

بتو پس نیابی برای خود بر ما کارگذاری مگر رحمتی از پروردگارت بدرستیکه فضل او باشد بر تو بزرگ بگو هر اینه اگر

اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا

جمع شوند آدمیان و پریان بر انکه بیاورند مانند این قرآن را نیاورند مانندش را و اگرچه باشند بعضی ایشان مر بعضی را هم پشت

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

و بتحقیق مکرر کردانیدیم برای مردمان در این قرآن از هر داستانی پس سرباز زدند اکثر مردمان مگر ناسپاسی را

القراءة خلفك ابن كثير و ابو جعفر ونافع وابو عمرو وابو بكر وحماد الاخرون خلافك بكسر الخاء . وبالالف وننزل من مخففا ابو عمرو ويعقوب الباقون بالتشديد

ونأى بجانبه مثل ناء يزيد وابن ذكوان ونأى بفتح النون وامالة الهمزة مثل رمى حمزة غير خلف والعجلي وحماد ويحيى وعباس وابو شعيب ونصير

مثله ولكن بكسر النون على غير نصير وخلف والعجلي وخلف لنفسه الباقون بفتحتين كرمى الوقوف خليلا ه قليلا ه لتعلق اذا نصيرا ه قليلا ه

تحويلا ه وقرآن الفجر ط مشهودا ه نافلة لك قد الوصل اولى لان عسى وعد على التهجد محمودا ه نصيرا ه وزهق الباطل ط زهوقا ه للمؤمنين لا لان ما بعد

من صلة ما خسارا ه بجانبه لعطف جملتى الظرف يؤسا ه شاكلته ط سبيلا ه عن الروح ط قليلا ه وكيلا لا من ربك ط كبيرا ه ظهيرا ه نصف الجزء

مثل ز لعطف المتفقين لفظا المختلفين معنى كفورا ه التفسير لما عدد في الايات المتقدمة اقسام نعمه على بني آدم وشرح احوال السعداء اردفه

بما يجري مجرى تحذير السعداء من الاغترار بوساوس الاشقياء عن ابن عباس في رواية عطاء ان وفد ثقيف قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك

حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا

وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك

فقل ان الله امرني بذلك وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت

رسول الله ثم قال للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يا معشر

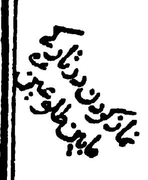
ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلمك انما نكلم محمدا فقال عمر اما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عن الكلام كراهية لما تذكرونه فانزل الله الاية



وهذه القصة وقعت بعد الهجرة بالمدينة قال المفسرون انها ليست بمكية وروي ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة فنزلت وقال الحسن ان الكفار
اخذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فقالوا يا محمد كف عن ذم آلهتنا وشتمها ولو كان ذلك حقا كان فلان وفلان بهذا الامر احق منك فوقع في قلب
رسول الله ان يكف عن شتم آلهتهم وعن سعيد بن جبير انه صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر فتمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى تستلم آلهتنا فوقع في نفسه ان يفعل
ذلك كراهية فنزلت قال القفال من المعلوم ان المشركين كانوا يسعون في ابطال رسول الله صلى الله عليه وسلم باقصى ما يقدرون عليه فتارة كانوا يقولون
لو عبدت آلهتنا عبدنا الهك فنزلت قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون وقوله ودوا لو تدهن فيدهنون وعرضوا عليه الاموال
الكثيرة والنسوان الجميلة ليترك ادعاء النبوة فنزل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا ودعوه الى طرد المؤمنين فنزل ولا تطرد الذين يدعون
ربهم وكل ذلك دليل على انهم قصدوا ان يفتنوه عن دينه وان يزيلوه عن منهجه فلو لم يكن شيء من الروايات المذكورة موجودة لكان للآية
محمل صحيح والمعنى وان الشان قاربوا ان يخدعوك فاتنين واصل الفتنة الاختبار ومنه فتن الصائغ الذهب ثم استعمل في كل من ازال الشيء عن حده
وجهته وذلك الذي في اعطائهم ما سالوه او مخالفة لحكم القرآن وافتراء على الله من تبديل الوعد بالوعيد وغير ذلك واذا لاتخذوك اي
ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك لولا تثبيتنا وعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم
لقاربت ان تميل الى مرادهم شيئا قليلا قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم قال قتادة لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا
تكلني الى نفسي طرفة عين ثم توعده في ذلك اشد التوعد فقال اذا لاذقناك اي لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركون لاذقناك ضعف الحيوة
وضعف الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الآخرة والضعف عبارة عن ضم الشيء الى مثله وقال صاحب الكشاف المراد بعذاب الممات وهو عذاب
القبر وعذاب الحيوة وهو عذاب حيوة الآخرة اي عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله تعالى فزده عذابا ضعفا في النار بمعنى مضاعفا
فكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحيوة الدنيا وعذابا ضعفا في الممات فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت الصفة كاضافة
الموصوف فقيل ضعف الحيوة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك اليم الحيوة واليم الممات وقال في التفسير الكبير حاصل الكلام انك لو مكنت خواطر
الشيطان من قلبك وعقدت على الركون اليهم همك لاستحققت تضعيف العذاب عليك في الدنيا والآخرة ولصار عذابك مثلي عذاب المشرك
في الدنيا ومثلي عذابه في الآخرة والسبب في تضعيف هذا العذاب ان اقسام نعم الله تعالى في حق الانبياء اكثر فكان ذنوبهم وكذا عقوبتها اعظم نظيره
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ثم ان اثبات الضعف لا يدل على نفي الزائد عليه لان دليل الخطاب لا عبرة
به فقد يرتقي الضعف الى ما لا حد له كما جاء في الحديث من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة ثم لا تجد لك علينا نصيرا
يعني لو اذقناك ذلك لم تجد احدا يخلصك من عذابنا واعلم ان القرب من الفتنة لا يدل على الوقوع فيها والتهديد على المعصية لا يدل
على الاقدام عليها فلا يلزم من الآية طعن في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها انه لا عصمة من المعاصي الا بتوفيق الله وتثبيته على الحق وقالت المعتزلة المراد
بهذا التثبيت الالطاف الصارفة عن ذلك وهي ما اخطر الله بباله من ذكر وعده ووعيده وكونه نبيا من عنده واجيب بانه لو لم يوجد المقتضي
للاقدام على ذلك الفعل المحذور لم يكن الى ايجاد المانع حاجة وليس ذلك المقتضي الا القدرة مع الداعي ولا ذلك المانع الا داعيا آخر
معارضا للداعي الاول فقد وجدهما الله تعالى عقيب ذلك ثم ذكر طرفا آخر من مكائدهم فقال وان كادوا ليستفزونك ان مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة كما في الآية الاولى ومعنى ليستفزونك ليزعجونك كما مر في قوله واستفزز والارض ارض مكة كما قال قتادة ومجاهد ويرد
عليه ان كاد للمقاربة لا للحصول لكن الاخراج قد حصل لقوله وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك ويمكن ان يقال انهم هموا باخراجه و
لكن الله منعهم من ذلك حتى هاجر بامر ربه فاطلق الاخراج على ارادة الاخراج مجازا ويؤيده قوله واذا لا يلبثون وهو معطوف على
يستفزونك اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمانا قليلا لو اخرجوك لاستوصلوا لكنهم لم يقع الاستيصال فدل ذلك على عدم وقوع الاخراج
ومن جوز وقوع الاخراج قال المراد بعدم اللبث انهم اهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل واما الارض المختصة بالمدينة على ما روي عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسده اليهود وكرهوا قربه منهم فقالوا يا ابا القاسم ان الانبياء بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت
مهاجر ابرهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك
منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة او بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على اميال من المدينة او بذي الحليفة
حتى يجتمع اليه الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت الآية فرجع وعلى هذا القول يكون هذه الآية ايضا مدنية والخلاف
في معنى الخلف كما مر في قوله بمقعدهم خلاف رسول الله وقرئ واذا لا يلبثوا بحذف النون على اعمال اذن فيكون الجملة براسها معطوفة على جملة
قوله وان كادوا ليستفزونك ثم بين ان عادته تعالى جارية بان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فانه يهلكهم فقال سنة من قد ارسلنا
وهو منصوب على المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة ولا تجد لسنتنا تحويلا لان الاسباب الكلية في الازل انقضت بتوزيع كل
من اجزاء الزمان على حادث معين بسبب معين فتبديل حدث الحوادث وتحويلها الى وقت آخر يقتضي تغير الاسباب عن اوضاعها وهو
محال عقلا وعادة قال اهل النظم لما قرر الالهيات والمعاد والجزاء اردفها بذكر اشرف الطاعات وهي الصلوة وايضا لما قال وان كادوا



يستغرقه ثلث العمر بالاشتغال بعبادته تفويضا للامور الى الله وتعويلا على فضله في دفع شر اعدائه ونظيره قوله في سورة طه فاصبر على ما يقولون
وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ذهب كثير من المفسرين كابي قتيبة وسعيد بن جبير منقولا عن ابن عباس ان دلوك
الشمس هو غروبها وعلى هذا لا تشمل الاية صلوتي الظهر والعصر واكثر الصحابة والتابعين على ان دلوك الشمس زوالها عن كبد السماء ويؤيده
ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني جبرئيل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر قالوا واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينيه اذا نظر اليها وهي في كبد
السماء وعلى هذا التفسير تشمل الاية جميع الصلوات الخمس وحمل كلام الله على ما هو اكثر فائدة اولى واللام بمعنى الوقت او للتعليل اي لادامة الصلوة في هذا
الوقت الى غسق الليل اي ظلمته قال الكسائي غسق الليل غسوقا اي اظلم والاسم الغسق بفتح السين وفي التركيب يدور على السيلان ومنه يقال
غسقت العين اذا هملت كان الظلام انصب على الدنيا وتراكم وهذا عند سقوط الشفق الابيض فاستدل به بعض الشافعية على ان اول
وقت العشاء الاخرة يدخل بغروب الشفق لان الامر المحدود الى غاية يكون مشروعا قبل حصول تلك الغاية وهذا الاستدلال مبني على ان
الغاية لا يدخل في ذي الغاية وعلى ان الاية يجب ان تشمل جميع الصلوات وللخصم المنع في المقامين ثم ان المفسرين اجمعوا على ان المراد بقران الفجر
هو صلوة الصبح لتسمية الشيء ببعض اجزائه ومثله تسمية الصلوة ركوعا وسجودا وقنوتا قال جار الله انه حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست
بركن قلت اجزاء الصلوة اعم من اركانها ولهذا قسمت الفقهاء الصلوة الى اركان وابعاض وهيئات فلا يتم هذا الاعتراض وفي الاية مسائل
الاولى استدل بعض الشيعة بها على جواز الجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء مطلقا واجيب بان الاية مخصوصة بفعل الرسول او بقوله
صلوا كما رأيتموني اصلي ويستثنى منه عذر السفر والمطر لعدم الدليل المخصص في تلك الصورة فلزم ابقاؤها على الجواز الاصلي الثانية استدل



بعض الشافعية بها على ان التغليس في صلوة الصبح افضل من التنوير لوجوه منها انه اضاف القران الى الفجر والتقدير اقم قران الفجر وظاهر الامر
للوجوب ولا اقل من الندب حتى لا يكثر مخالفة الدليل والفجر انفجار ظلمة الليل فيلزم ان يكون اقامة الفجر في اول الوقت افضل ومنها انه خص
الفجر باضافة القراءة اليه فدل على ذلك ان طول القراءة في هذه الصلوة مطلوب ولن يتم هذا المطلوب الا اذا شرع في ادائه في اول الوقت
منها انه وصف قران الفجر بكونه مشهودا فقيل اي يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة وقال اكثر
المفسرين معناه ان ملائكة الليل وملائكة النهار يجتمعون في صلوة الصبح تنزل هؤلاء فهو في اخر ديوان الليل واول ديوان النهار وقيل انهم
يجتمعون خلف الامام تنزل ملائكة النهار عليهم وهم في صلوة الغداة قبل ان يعرج ملائكة الليل فاذا فرغ الامام من صلوته عرجت ملائكة الليل
ومكثت ملائكة النهار ثم ان ملائكة الليل اذا صعدت قالت يا رب انا تركنا عبادك يصلون لك ويقول ملائكة النهار ربنا اتينا عبادك
وهم يصلون فيقول الله لملائكته اشهدوا فاني قد غفرت لهم والغرض ان المكلف اذا شرع في صلوة الصبح في اخر الظلمة الذي هو اول الفجر كانت
ملائكة الليل حاضرين بعد ثم اذا امتدت هذه الصلوة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها زالت الظلمة بالكلية او بالاكثر وحضرت ملائكة النهار
وهذا المعنى لا يحصل اذا ابتدئت في وقت التنوير قال اهل التحقيق اذا شرع في صلوة الصبح في اول وقتها شاهد في اثنائها انقلاب العالم من الظلمة
التي هي نظيرة الموت الى الضياء الذي هو نظير الحيوة فان نقي عقله من هذه الحالة الى عجيب صنع الخالق المدبر للانفس والافاق فيزداد بصيرة
وايقانا ومعرفة وايمانا وينفتح عليه ابواب المكاشفة والمشاهدة واذا كان هذا المعنى في الجماعة الكثيرة صارت نفوسهم كالمرايا المشرقة المتقابلة
المتعاكسة اضواؤها الواقعة على كل منها فيزداد كل منهم نورية وبهاء فيحتمل ان يكون قوله مشهودا اشارة الى هذه الاحوال المشاهدة ولا ريب
انه اذا شرع في الصلوة اول انتباهه من النوم قبل ان يرد على لوح عقله وفكره النقوش الفاسدة من الامور الدنيوية الدنية كان اولى
فان الانبياء ما بعثوا الا لازالة مثل هذه الامراض عن النفوس ثم حث على قيام الليل فقال ومن الليل فتهجد به قال ابو عبيدة وابن
الاعرابي هذا من الاضداد لانه يقال هجد الرجل اذا نام وهجد ايضا اذا صلى من الليل وتوسط الازهري فقال الهجود في الاصل هو النوم بالليل
لكن التفعل فيه لاجل التجنب ومنه تأثم وتحرج اذا القى الاثم والحرج عن نفسه فكان المتهجد يدفع الهجود عن نفسه وبوجه اخر لما كان غرض المصلي
بالليل ان يطيب رقاده وهجوده بعد الموت سمي بذلك اعتبارا متهجدا وربما يقال سمي تهجدا لان الاصل فيه ان يرقد ثم يصلي فهو صلوة بعد
رقاد كما كانت صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولداود كما جاء في الحديث افضل القيام قيام داود كان ينام ثلثه ويقوم سدسه قال جار الله معنى ومن الليل وعليك
بعض الليل فتهجد به وقال في التفسير الكبير تقديره واقم الصلوة في بعض الليل فتهجد به اي بالقران ومعنى نافلة زائدة كما مر في اول الانفال
ثم من ذهب الى ان صلوة الليل كانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم زعم ان معناها كونها فريضة له زائدة على الصلوات الخمس او المراد ان فريضتها نسخت عنك
فصارت تطوعا زائدة على الفرائض ويرد عليه ان الامر ظاهر الوجوب فيكون بين قوله فتهجد وبين قوله نافلة تعارض وكذا الاعتراض
على قول من يقول ان صلوة الليل لم تكن واجبة عليه ويمكن ان يجاب عنه بان قوله نافلة قرينة صارفة للوجوب الى الندب وعن مجاهد
انه ليس ان كل طاعة يأتي بها النبي سوى المكتوبة فان تاثيرها لا يكون في كفارة الذنوب لانه غفر له ذنبه ما تقدم منه وما تأخر وانما يكون
مؤثرة في زيادة الدرجات وكثرة الثواب ولا كذلك حال الامة فكانه قيل للنبي ان هذه الطاعات زوائد ونوافل في حقك لا في حق غيرك
لان غيرك يحتاج اليها في تكفير السيئات ومن تقييد التهجد بقوله نافلة لك يعلم ان قوله اقم الصلوة عام له ولكل امته وان كان ظاهره خطابا

معه ثم وعد على اقامة الفرائض والنوافل بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وعسى من الكريم اطماع واجب قال في الكشاف انتصب مقاما محمودا
على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيمة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى يقيمك او هو حال اي يبعثك ذا مقام محمود وقيل انه مطلق
في كل ما يجلب الحمد من انواع الكرامات والاولى ان يخص ذلك بالشفاعة لان الحمد انما يكون بازاء انعام ولا انعام للنبي على امته اتم من
الشفاعة ولا انعام اجل منها لان السعي في تخليص الغير من العقاب اتم من السعي في ايصال الثواب اليه ويؤيده رواية ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام
الذي اشفع فيه لامتي واما ما روي عن حذيفة ان المقام المحمود هو ان يجمع الناس في صعيد واحد ولا يتكلم نفس فاول مدعو محمد فيقول لبيك وسعديك
والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت
فليس يقوى لان هذا القول من محمد لا يوجب حمدا له من امته الا ان يكون من مقدمات الشفاعة فيرجع الى الاول وقيل اراد مقاما يحمد عاقبته
وروى الواحدي عن ابن مسعود ان ذلك حين يقعد محمد صلى الله عليه وسلم على العرش وضعف بلزوم التحيز له تعالى قوله مدخل صدق ومخرج صدق في
مصدران بمعنى الادخال والاخراج والاضافة الى الصدق لاجل المبالغة نحو حاتم الجود اي ادخالا يستاهل ان يقال ادخالا لا ارى فيه ما يكره
قال الحسن وقتادة نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ان اليهود قالوا له اذهب الى الشام فانه مسكن الانبياء وعزم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الذهاب اليه فكانه قيل له المعبود واحد في كل البلاد وما النصر الا من عند الله فداوم على الصلوة وارجع الى مقرك ومسكنك
وقيل رب ادخلني المدينة مدخل صدق واخرجني منها الى مكة مخرج صدق اي افتحها لي فعلى هذا ينبغي ان يكون الكلام عودا الى الواقعة المذكورة
وان كادوا ليستفزونك والاولى ان يقال انه عام في كل ما يدخل فيه ويلابسه من امر ومكان وقيل اراد ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها
امنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلف من غير تفريط
وقيل المراد رب ادخلني الصلوة واخرجني منها مع الصدق والاخلاص والقيام بلوازم الخضوع او ادخلني في بحار دلائل التوحيد واخرجني من الاشتغال
بالدليل الى ضياء معرفة المدلول وقال صاحب الكشاف ادخلني القبر ادخالا مرضيا واخرجني منه عند البعث ملقى بالكرامة يدل على هذا التفسير
ذكره على اثر ذكر البعث واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة ظاهرة تنصرني بها على جميع من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام وقويته ثم
بشره باستجابة دعائه بقوله وقل جاء الحق اي الاسلام وزهق الباطل اضمحل الشرك من زهقت نفسه اذا خرجت ان الباطل كان زهوقا غير
ثابت في كل وقت وان اتفقت له دولة وصولة كانت كما لا غير روي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول البيت ثلثمائة وستون
صنما لقبائل العرب صنم لكل قوم بحيالهم فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى القاها جميعا وبقي صنم
خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا علي ارم به فحمله رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون ويقولون ما رأينا
رجلا اسحر من محمد فلا جرم كذبهم الله وصدق نبيه بقوله وننزل من القرآن من للبيان كقوله من الاوثان او للتبعيض اي ننزل ما هو شفاء
هو هذا القرآن او بعض هذا الجنس وقيل زائدة ولما كانت ازالة المرض مقدمة على السعي في تكميل موجبات الصحة ذكر كون القرآن شفاء من
الامراض الروحانية كالعقائد الفاسدة والاخلاق الذميمة ومن الامراض الجسمانية ايضا لما فيه من التيمن والبركة وحصول الشفاء للمرض
كما قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله ثم انه رحمة للمؤمنين لما فيه من كيفية اقتناص العلوم الجليلة والاخلاق الفاضلة التي بها يصل
الانسان الى جوار الملائكة المقربين بل الى جناب رب العالمين ولما كان قبول القابل شرطا في ظهور الاثر من الفاعل فلا جرم لا يزيد
القرآن الظالمين الذين وضعوا التكذيب مقام التصديق والشك موضع الايقان والاطمئنان الا خسارا لان انكار المنكر كلما ازداد
زاد كفرا فلا يزال سماع القرآن يزيد المشركين غيظا وحنقا ويدعوهم ذلك الى زيادة ارتكاب الاعمال القبيحة وهلم جرا الى ان يدفع الله مكرهم
ثم ذكر نوع شيمة خصلة الانسان التي جبل عليها فقال واذا انعمنا على الانسان اي على هذا الجنس بالصحة والغنى وعن ابن عباس انه
الوليد بن المغيرة وفي التخصيص نظر الا ان يكون سبب النزول اعرض ونأى بجانبه النأي البعد والنأي بالجانب يراد للتعظيم او للمباعدة وهو تأكيد
للاعراض لان الاعراض عن الشيء هو ان يوليه عرض وجهه اي ناحيته والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه ويوليه ظهره او اراد الاستكبار لان
هذا الفعل من شان المستكبرين ومن قرأ وناء فاما من النوء بمعنى النهوض متثاقلا واما مقلوب كقولهم راء في رأى واذا مسه الشر
من مرض او فقر كان يؤسا شديد اليأس من روح الله والحاصل انه ان فاز بالمطلوب الدنيوي وظفر بالمقصود الدنيوي نسي المنعم الحقيقي وان فاته
شيء من ذلك استولى عليه الاسف حتى كاد يتلف او يهلك نفسه وكلتا الخصلتين مذمومة ولا مقتضي لهما الا العجز والطيش وكل يعمل كما قال
كل يعمل على شاكلته اي كل واحد من الخلائق انما يتيسر له ان يعمل على سبيل طريقته التي تشاكل حالته التي جبل عليها من قولهم طريق ذو شواكل وهي
الطرق التي تتشعب منه فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا لا يخفى عليه شيء وذلك انه تعالى خلق كل نفس وبمقتضى جوهرها المشرق او المظلم سواء
قلنا ان النفوس مختلفة بالماهيات او هي متساوية الماهية واختلاف احوالها لاختلاف امزجة ابدانها كما ان الشمس تعقد الملح وتلين الدهن
وتبيض ثوب القصار وتسود وجهه ولما انجر الكلام الى ذكر الانسان وما جبل هو عليه لزم البحث عن ماهية الروح فلذلك قال ويسئلونك
عن الروح وفي ذكر المفسرين في سبب نزوله ان اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا عن ثلث عن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب

كل



الامور قال اهل التفسير لما بين انه ما اتاهم من العلم الا القليل لانه لا ينافي ان يا خذ منهم ذلك القليل لقدرته عليه فقال ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك قلت في تيسير علم القرآن الى التفسير خروج من الادب فالاولى في وجه النظم ان يقال انه لما كشف لهم الغطاء عن مسئلة الروح
بين ان ذلك من العلوم الالهية لانها بمنزلة الحق من العلوم الانسانية القليلة وكان فيه بيان كمال علمه تعالى ونقصان علم الانسان اراد ان يبين
غاية قدرته ونهاية ضعف الانسان ايضا فبين انه قادر على ذهاب القرآن ومحوه عن الصدور والمصاحف وسيكون ذلك في اخر الزمان كما جاء
في الروايات لا تجد لنبي الذي هو اكمل انواع الانسان من يتوكل على الله باسترداده فضلا عن غيره الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا ان يرحمك
ربك فيرده عليك كان رحمته يتوكل عليه بالرد او منقطع معناه ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به ان فضله بابقاء القرآن اليك ثم ابقاه
عليك وبعد ابقائه ان اتحفك بالنص ما كان عليك كبيرا وفيه امتنان بنعمة القرآن وبقائه محفوظا في الصدور ومسطورا في الدفاتر من اجل النعم واشرفها
فعلى كل ذي علم ان لا يغفل عن شكرها والقيام بموجبها جعلنا الله ممن يراعي حق القرآن ويعمل بمقتضاه واحتج الكعبي بالآية على ان القرآن مخلوق
لان ما يمكن ازالته والذهاب به يستحيل ان يكون قديما واجيب بان المراد العلم به عن القلوب والذهاب بالنقوش الدالة عليه في المصحف لا يوجب
حدوث الكلام النفسي الذي هو محل النزاع ثم دل على ان الذي اوحي اليه ليس من جنس كلام المخلوقين فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن
والآية وقد مر وجه اعجاز القرآن في اوائل سورة البقرة فان قيل هب انه ظهر عجز الانسان عن معارضته فكيف عرف عجز الجن عن معارضته ولم لا يجوز
ان يقال ان الجن اعانوه على هذا التأليف سعيا في اضلال الخلق واخبار محمد بانه ليس من كلام الجن يوجب الدور وليس لاحد ان يقول ان الجن ليسوا فصحاء
فكيف يعقل ان يكون القرآن كلامهم لانا نقول التحدي مع الجن انما يحسن لو كانوا فصحاء فالجواب ان عجز البشر عن معارضته يكفي في اثبات كونه
معجزا ثم ان الصادق الذي ثبت صدقه بظهور المعجز على وفق دعواه اخبر ان الجن ايضا عاجزون عن الاتيان بمثل القرآن فسقط السؤال بالكلية
على انه سبحانه قد اجاب عنه في اخر سورة الشعراء بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين وسوف يجيء تفسيره ان شاء الله تعالى قالت المعتزلة التحدي
بالقديم محال واجيب بمثل ما مر ان محل النزاع هو الكلام النفسي لا الالفاظ التي يقع التحدي بها وبفصاحتها ثم بين انهم مع ظهور عجزهم بقوله مصرون
على كفرهم فقال ولقد صرفنا رددنا وكررنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وذلك كدلائل التوحيد
والنبوة والمعاد كالقصص الالهية وغيرها من المواعظ والنصائح فابى اكثر الناس غير معنى النفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا جحودا قال اهل البرهان
انما يذكر الناس في اوائل السور حين قال ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا ليتقدم ذكرهم في هذه السورة وذكرهم في الكهف اذ لم يجر ذكرهم وذكر
الناس ههنا وان جرى ذكرهم تبعا للناس لان ذكر الجن ايضا قد جرى وقدم للناس على قوله في هذا القرآن كما قدم في قوله قل لئن اجتمعت الانس
والجن واما في الكهف وغيرها وقد دعاها الله تعالى في الآية في القرآن فكانت العناية بالقرآن اكثر فكان تقديمه اجدر التاويلات وان كادوا ليفتنونك
اي من عمى قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالقول الثابت وهو قول لا اله الا الله الى ان يبلغ حقيقة لا اله الا الله شيئا قليلا او انما وصفه بالقلة
لان بشريته مغلوبة روحانيته غالبة ضعف الحيوة وضعف الممات اي ضعف نفسك وانقلت عذاب حيوتها واستيلائها على الروح ونميت قلبك
واذقنا عذاب مماته وضعف وحدته وبعده عن الحق سنة من قد ارسلنا اي جرت عادة الله تعالى بان يجعل لكل نبي عدوا يؤذيه ويمكر به ثم بين طريق
خلاص الانبياء والاولياء عن ورطة الابتلاء فقال اقم الصلوة اي ادمها بالقلب الحاضر نهارا وليلا ان قرآن الفجر كان مشهودا لشواهد الحق بل الحق مشهود
له ثم ادخلني مدخل صدق في بعض السير في الله بالله واخرجني من حولي وانانيتي واجعل لي من لدنك لا من لدن غيرك وفيه ان لكل ذي مقام فانه لا يصل
الى مقامه الا بسعي لائق للوصول الى ذلك المقام كقوله وسعى لها سعيها روي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يعرض حاجته فقال صلى الله عليه وسلم ما تريد فقال مرافقتك
في الجنة فقال صلى الله عليه وسلم او غير ذلك فقال الرجل بل مرافقتك في الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاعني على نفسك بكثرة السجود جاء الحق من الواردات والشواهد
وتجلى صفات الجمال والجلال وزهق الباطل وهو كل ما خلا الله من الموجودات ومن الخواطر كقوله الا كل شيء ما خلا الله باطل وننزل من القرآن
ما هو شفاء لان كلام الحبيب طبيب القلوب ان الاحاديث من سلى تسليني قل الروح من امر ربي قال العارفون لله تعالى عالمان عالم الامر
الذي خلق لا من شيء وعالم الخلق الذي خلق من شيء ويعبر عنهما بالآخرة والدنيا والملكوت والملك والغيب والشهادة والمعنى والصورة والباطن
والظاهر والارواح والاجسام وما روي انه صلى الله عليه وسلم قال اول ما خلق الله جوهرة وفي رواية درة فنظر اليها فذابت واول ما خلق الله اللوح واول ما خلق الله
روحي وفي رواية نوري واول ما خلق الله العقل واول ما خلق الله القلم وما قيل عن بعض السلف ان اول ما خلق الله على الاطلاق ملك كروبي فالكل
مختلفة والمسمى واحد وهو روح النبي صلى الله عليه وسلم فباعتبار انه كان درة صدف الموجودات سمي درة وجوهرة وباعتبار نورانيته سمي نورا وباعتبار وفور
عقله سمي عقلا اذ قال له اقبل الى الدنيا رحمة للعالمين فاقبل ثم قال له ادبر اي ارجع الى ربك فادبر عن الدنيا ورجع الى المعراج ثم قال له
وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك اعرف وبك اخذ يعني طاعة من اخذ منك الدين والشريعة وبك اعطي اي بشفاعتك اعطي
الدرجات العالية وبك عاقب الكافرين وبك اثيب المؤمنين وباعتبار جريان الامور على وفق مقامه وبعده والافلاك سمي قلما وباعتبار غلبة
الصفات الملكية عليه سمي ملكا كروبيا ولان كل الارواح خلقت من روحه كان ام الارواح ووجه انه مثل له امي وقد ورد في الحديث
ادم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولما كان الروح خليفة الله تعالى اتصف بالاولية دون الابدية ولما كان الجسد خليفة الروح فنا الروح

فعلك النبي سأله لان اليهود عن قصة اصحاب الكهف



والمراد بالجن

قوامه وفيها ما لم يكن لجسد الذي يبلى ولا ابدنها الا بتبعية الروح ثم اخبر عن عزة القرآن وغيره الرحمن بقوله ولئن شئنا لنذهبن الآية وفيه اشارة الى بقدر على الاتيان والتعلم به الا الله تعالى لكنه اكد هذا المعنى بقوله قل لئن اجتمعت الانس والجن كل ما هو مستور عن العيون فيتناول الملائكة ايضا وفيه اشارة لا مثال لصفاته حتى الكلام كما انه لا مثال لذاته والله تعالى اعلم بالصواب

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ۝ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۝ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ۝ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۝ قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝ قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ۝

ع

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۖ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝ وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ۝ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ۝ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝

من الفجر يعقوب وعاصم وحمزة وعلي وخلف سوى المفضل وابن الغالب الآخرون من التفجير تكثير الفعل وان كان الفاعل والمفعول مفرداً حتى تنزل
بالتخفيف ابو عمرو ويعقوب الآخرون بالتشديد كسفاً بفتح السين ابو جعفر ونافع وعاصم وابن ذكوان الباقون بالاسكان قال سبحان بلفظ
الماضي ابن كثير وابن عامر الباقون قل على الامر المهتدي باثبات الياء في الحالين سهل ونافع وابو عمرو في الوصل الباقون بحذف الياء ربي
اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو خبت زدناهم بادغام التاء في الزاي ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف وهشام وسهل لقد علمت بضم التاء على التكلم
علي الآخرون بفتحها للاتباع او ادعوا بكسر الواو عاصم وحمزة ورويس يقفان على اياً ثم يبتدئان ما تدعوا ويتم هذا الوقف وقفاً لبيان انه
على كلمة واحدة الوقوف ينبوعاً ه تفجيراً لا قبيلاً لا في السماء ط لابتداء النفي بعد طول الكلام وقيل الاصح الوصل لان قوله ولن نؤمن لرقيك من كلام
نقرؤه ط رسولاً ه رسولاً ه وبينكم ط بصيراً ه المهتدي ج لعطف جملتي الشرط مع التضاد من دونه ط لان الواو لا يحتمل الاستئناف رجاء جهنم ط سعيراً ه جديداً ه
لا ريب فيه ط لتناهي الاستفهام الى الاخبار كفوراً ه الانفاق ط قتوراً ه مسحوراً ه بصائر ج للابتداء بان مع اتحاد القائل مثبوراً ه جميعاً لا للعطف لفيفاً لا
لانقطاع النظم والمعنى نزل ط لابتداء النفي ومن بها ه احترازاً من ايهام العطف تنزيلاً ه او لا تؤمنوا ط سجداً لا لمفعولاً ه خشوعاً ه الرحمن ط للفصل
الشرط الحسنى ج لانقطاع نظم الشرط الى النهي مع اتحاد المراد سبيلاً ه تكبيراً ه التفسير ليس من شرط كون النبي صادقاً تواتر المعجزات وتتالي الآيات لان
فتح هذا الباب يوجب نقض المقصود وهو ان لا يثبت نبوته ابداً ولكن المعجز الواحد يكفي في صدق النبي واقتراح الزيادة من جملة العناد فلا جرم لما
بين الله سبحانه اعجاز القرآن حكى مقترحات المعاندين بياناً لتصميمهم على الكفر قال ابن عباس ان رؤساء مكة ارسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
جلوس عند الكعبة فاتاهم فقالوا يا محمد ان ارض مكة ضيقة فسير جبالها لتتسع وفجر لنا فيها ينبوعاً نزرع فيها فقال لا اقدر عليه فقال قائل
منهم او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيراً فقال لا اقدر عليه فقيل له او يكون لك بيت من زخرف اي من ذهب
فيغنيك عنا فقال لا اقدر عليه فقيل له فاذا كنت لا تستطيع الخير فاستطع الشر فاسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً فقال عبد الله بن امية المخزومي
وامه عمة رسول الله لا والذي يحلف به لا اومن بك حتى تتخذ سلماً فتصعد عليه ونحن ننظر فتأتي باربعة من الملائكة فيشهدون لك بالرسالة ثم
بعد ذلك لا ادري اومن بك ام لا فانزل الله هذه الآيات ولنشرع في تفسير اللغات فقوله ينبوعاً اي عيناً غزيرة من شأنها النبوع من غير انقطاع
والياء زائدة كيعبوب من عب الماء وقوله او تكون لك جنة معناه هب انك لا تفجر الانهار لاجلنا ففجرها من اجلك وقوله كما زعمت اشارة الى قوله
سبحانه ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفاً من السماء او اشارة الى ما مر في السورة من قوله أفأمنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل
عليكم حاصباً اي اجعل السماء قطعاً متفرقة كالحاصب واسقطها علينا وقال عكرمة كما زعمت يا محمد انك نبي فاسقط السماء علينا وقيل كما زعمت
ان ربك ان شاء فعل قال في الكشاف الكسف بسكون كسدرة وسدر وسدر وقال ابو علي الكسف بالسكون الشيء اذا قطعته والشيء
المقطوع كالطحن للمطحون واشتقاقه على ما قال ابو زيد من كسفت الثوب كسفاً اذا قطعته وقال الزجاج من كسفت الشيء اذا غطيته كانه قيل
او تسقطها طبقاً علينا وهو نصب على الحال في القراءتين ومعنى قبيلاً كفيلاً بما تدعي من صحة النبوة والمراد او تأتي بالله قبيلاً وبالملائكة قبيلاً
فاختصر او المراد المقابل كالعشير بمعنى المعاشر وفيه دليل على غاية جهلهم حيث لم يعلموا انه تعالى لا يجوز عليه المقابلة والمعاينة نظيره قولهم لولا انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا وقال ابن عباس اي فوجاً بعد فوج وقال الليث كل جند من الجن والانس قبيل وقد مر في تفسير قوله انه يراكم هو وقبيله
قوله بيت من زخرف قال مجاهد كنا لا ندري ما الزخرف حتى رأيناه في قراءة عبد الله او يكون لك بيت من ذهب قال الزجاج هو الزينة
ولا شيء في تحسين البيت وتزيينه كالذهب او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقى في السلم وفي الدرجة والمصدر رقي واصله فعول
كقعود ومعنى لن نؤمن لرقيك لن نؤمن بك لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتاباً من السماء فيه تصديقك قال الرسول متعجباً من اقتراحاتهم او
تنزيهاً لله من تحكماتهم او من قولهم او تأتي بالله سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً فان طلبتم هذه الاشياء ان اتي بها من تلقاء
نفسي فالبشر لا يقدر على امثال ذلك فكيف قدرنا عليها وان اردتم ان اطلب من الله اظهارها على يدي فالرسول اذا اتى بمعجز واحد وجب الاكتفاء
به ولا ضرورة الى طلب الزيادة وانا عبد مأمور ليس لي ان اتحكم على الله بما ليس بضروري في الدعوة ثم حكى عنهم شبهة اخرى فقال وما منع الناس
ان يؤمنوا اي الايمان بالقرآن وبنبوة محمد اذ جاءهم الهدى وهو الوحي المعجز الهادي الى طريق النجاة الا ان قالوا منكرين ابعث الله بشراً رسولاً
ثم اجاب عن شبهتهم بقوله قل لو كان في الارض ملائكة يمشون على الاقدام كما يمشي الانس مطمئنين ساكنين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً
لان الرسول لا بد ان يكون من جنس المرسل اليهم فكانه اعتبر لتنزيل الرسول من جنس الملائكة امرين احدهما كون سكان الارض ملائكة والثاني
كونهم ماشين على الاقدام غير قادرين على الطيران باجنحتهم الى السماء اذ لو كانوا قادرين على ذلك لطاروا او سمعوا من اهلها ما يجب معرفته
وسماعه فلا يكون في بعثة الملك اليهم فائدة وجوز في الكشاف ان يكون قوله بشراً وملكاً منصوبين على الحال من رسولاً بل زعم انه المعنى له
اجوب ولعل ذلك لان الانكار توجه الى كون الرسول متصفاً بحالة البشرية لا الملكية واذا كان احد الصنفين المتقابلين حالاً لزم ان يكون
الآخر كذلك ثم ختم الكلام بما يجري مجرى التهديد فقال قل كفى بالله الآية وذلك ان اظهار المعجزة على وفق دعوى النبي شهادة من الله تعالى له على
الصدق فاذا لم تسمع هذه الشهادة وهو عليم ببواطن الامور وخفيات الضمائر فكيف بظواهرها علم ان هذا مجرد الحسد والعناد من



والعناد فجزيهم على حسب ذلك ثم بين انه الاقرار والانكار مستندان الى مشيئته وتقديره فقال ومن يهد الله الآية وقد مر تحقيق المتكلمين من الاشاعرة والمعتزلة

في مثله في آخر الاعراف وغيره وقوله فهو المهتد حمل على اللفظ وقوله فلن تجد لهم حمل على المعنى والخطاب في لن تجد اما للنبي او لكل من يستحق الخطاب والاولياء

والانصار والحشر على الوجوه اما بمعنى السحب عليها كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بمعنى المشي عليها كما روى انه سئل عن ذلك فقال ان الذي امشاهم

على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم وقيل لابن عباس قد اخبر الله تعالى عنهم بانهم يرون وينطقون ويسمعون حيث قال ورأى المجرمون النار ودعوا

هنالك ثبورا سمعوا لها تغيظا وزفيرا فكيف الجمع بين ذلك وبين قوله عميا وبكما وصما فاجاب بانهم لا يرون ما يسرهم ولا ينطقون بحجة تقبل منهم ولا يسمعون

ما يلذ مسامعهم وفي رواية عطاء انهم عمي عن النظر الى ما جعله الله لاوليائه بكم عن مخاطبة الله ومخاطبة الملائكة المقربين صم عن ثناء الله على اوليائه وقال مقاتل هذه

الاحوال بعد قوله تعالى لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون او بعد ان يحاسبوا فيذهب بهم الى النار وانما جعلوا هكذا في الحواس جزاء على ما كانوا عليه في الدنيا من التعامي و

التصام عن الحق ومن عدم النطق به كلما خبت اي سكن لهبها خبت النار تخبو خبوا واخباها غيرها اي اخمدها زدناهم سعيرا قال ابن قتيبة اي تسعرا وهو التلهب

ولا ريب ان خبو النار تخفيف لاهلها فكيف يجمع بينه وبين قوله لا يخفف عنهم العذاب واجيب بانه يحصل لهم في الحال الاولى خوف حصول الحالة الثانية فيستمر

العذاب او يقال لما عظم العذاب صار التفاوت الحاصل في الوقتين مشعورا به ويحتمل ان يقال المراد بعدم التخفيف انه لا يتخلل زمان محسوس ومعتد به بين الخبو

والتسعر وقال في الكشاف لانهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على اجزائهم تاكلها وتفنيها ثم يعيدها وفيه زيادة في تحسرهم

وفي الانتقام منهم ثم نبه تعالى على هذا التفسير بقوله ذلك جزاؤهم الآية ثم ابدى للجاحد حجة تستبصر المذعن للحق اذا تامل فقال اولم يروا الآية وذلك ان من قدر على

خلق السموات والارض كان على الاعادة من مواد ذوي منها اقدر وعلى هذا فالمراد من خلق مثلهم اعادتهم بعد الافناء كما يقول المتكلمون من ان الاعادة مثل الابتداء

ومن قال المراد انه قادر على افنائهم وايجاد غيرهم بصفاتهم ليوحدوه ويتركوا الاعتراض عليه كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد اي يبعثهم وحينئذ يبين ان

البعث امر ممكن في نفسه كثر انه لو وقع وقتا معلوما عنده فقال وجعل لهم اي لبعثهم اجلا لا ريب فيه قال جار الله قوله وجعل معطوف على قوله اولم

يروا والمعنى قد علموا ابدا بدليل العقل انه قادر على خلق امثالهم وجعل لهم واقول يحتمل ان يكون الواو للاستئناف ووجه النظم كانهم لما طلبوا اجراء

الانهار والعيون في اراضيهم ليتسع معايشهم بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن رحمة الله وهي ارزاقه وسائر نعمه على خلقه التي لا نهاية لها لبقوا

على بخلهم وشحهم فضلا ان يملكوا خزاين بصدد الفناء والنفاد قال النحويون كلمة لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء لانها حين

يكون على معناها الاصلي تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره والاسم يدل على الذوات والفعل هو الذي يدل على الآثار والاحوال لا الذوات ولانهم

لما فيها بمعنى الشرطية وهي مختصة بالفعل فلا بد من تقدير فعل بعدها فاصل الكلام لو تملكون مرتين فاضمر تملك الثاني اضمارا على شريطة التفسير

فصار الضمير المتصل منفصلا لسقوط ما كان يتصل هو به فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره قال علماء البيان فائدة هذا التصرف الدال على

الاختصاص انهم هم المختصون بالشح المبالغ وذلك لان الفعل الاول لما سقط لاجل المفسر برز الكلام في صورة المبتدأ والخبر من جهة انه لا يقصد

الفعل بل الفاعل كما في قول حاتم لو ذات سوار لطمتني لا يقصد اللطم بل اللاطم اي لو حر لطمني وقوله خشية الانفاق اي خوف الفقر من انفق ماله

اذا ذهب وفيه مسكنة متروك المفعول معناه لبخلتم وكان الانسان قتورا اي بخيلا شحيحا والفقر والاقتار والتقتير التضييق في الانفاق وهذا الحكم مبالغ فيها

قد يوجد في الانسان من هو كريم جواد لان اللام للجنس اي هذا الجنس من شأنه الشح اذا كان باقيا على طبيعته لانه خلق محتاجا الى ضروريات المسكن والملبس

والمطعوم ولا بد له في تحصيل هذه الاشياء من المال فهو يدفع حاجته وتتم الامور المتوقفة على التعاون فلا جرم يحب المال ويمسكه لايام الضرورة والفاقة

ومن الناس من يحب المال محبة ذاتية لا عرضية فاذن الاصل في الانسان هو البخل والجود منه انما هو امر تكلفي او عرضي طلبا للثناء او الثواب وقيل المراد

بهذا الانسان المعهود السابق ممن قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا بين الله تعالى انهم لو ملكوا خزائن الارض لبخلوا فيها ثم قال ولقد آتينا موسى تسع آيات كانه

اراد انا آتينا معجزات قصا وتهديد الامور التي اقترحوها بل اقوى منها اعظم فلما لم يعلم الاستجابة الى ما طلبوه من البخل ولكن لعدم المصلحة او لعدم

استتباع الغاية لعلمنا بما صار اليه الختم على قلوبكم عن ابن عباس ان الآيات التسع هي العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر

والطور الذي نتقه على بني اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سأل محمد بن كعب عنهن

فذكر من جملتهن حل عقدة اللسان والطمس على اموالهم فقال له عمر لا يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين

وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحى الله الى موسى ان قل لبني

اسرائيل لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربوا ولا تمشوا ببرئ الى ذي سلطان

ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا في السبت فقام اليهوديان فقبلا يديه ورجليه وقالوا انك نبي ولولا

انا نخاف القتل لاتبعناك قال الامام فخر الدين الرازي هو اجود ما قيل في الآيات التسع واقول عد الاحكام من الآيات البينات فيه بعد اللهم الا ان يقال النهي

عن مساوي الاخلاق والعادات من جملة علامات النبوة قال بعض العلماء اجابهم النبي صلى الله عليه وسلم بتسع وزاد واحدة تخصهم وروي بوجه ولم يذكر في هذا الحديث

ولا تقذفوا محصنة وشك شعبة فيه انه قال ولا تقذفوا محصنة او قال ولا تولوا الفرار وقيل انه كان لموسى آيات اخر كانزال المن والسلوى عليهم وعلى قوم

وكالآيات التي عدها بعضهم من التسع وتركها بعضهم الا ان تخصيص العدد بالذكر لا يقدح في الزيادة عليه هكذا قال الاصوليون ولكن الذوق يأبى

او تملكون مع



ان لا يكون للتخصيص فائدة والذي يدور في خلدي ان سبب التخصيص هو ان مرجع جميع معجزاته الى تسع انواع كالسنين ونقص الثمرات مثلا فانهما نوع
واحد وهو القحط وقد يعسر ابداء ما به الاشتراك ولكن لا بد عندك من اعتقاد الانحصار في التسع لاجل خبر الصادق واما قوله فسئل بني اسرائيل فالخطاب فيه
للنبي والسؤال سؤال استشهاد لمزيد الطمانينة والايقان لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت والمسؤلون مؤمنو بني اسرائيل كعبد الله بن سلام
واصحابه وقوله اذ جاءهم يتعلق بآتينا او ينتصب باضمار اذكر او هو للتعليل والمراد فسألهم لمجرد ذلك لانه جاءهم اي جاء اباءهم ويحتمل ان يكون الخطاب لموسى بتقدير
القول اي فقلنا له حين جاءهم سل بني اسرائيل اي سلهم من فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم عن ان يعاضدوك
ويكونوا معك في الامور والمسحور الذي سحر فخولط عقله وقيل هو بمعنى الساحر كالمشؤم والميمون قاله الفراء وعن محمد بن جرير الطبري ان معناه اعطي علم السحر فمن قرأ
علمت بضم التاء فظاهر لان موسى كان متيقنا بصحة الامر وان هذه الآيات منزلها رب السموات والارض فاراد اني لا اشك في امري بسبب تشكيك مكذب مثلك ومن قرأ
بفتحها فالمراد تبيين ان كفر فرعون كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله للآيات هؤلاء كقوله والعيش بعد اولئك الايام
ووصفها بصائر بينات مكشوفات وانتصابها على الحال كانه اشار بقوله ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض فاراد اني لا اشك في امري بسبب تشكيك مكذب
الى انها افعال خارقة للعادة وبقوله بصائر الى ان فاعلها انما فعلها لغرض تصديق المدعي فهم حد المعجز بمجموع القيدين ثم قارع موسى ظن فرعون بظنه فقال اني
لاظنك يا فرعون مثبورا قال الفراء اي ملعونا محبوسا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا اي ما منعك وصرفك وقال مجاهد وقتادة اي هالكا من الثبور الهلاك
ولا ريب ان ظن موسى اصح من ظنه لان انكاره ما علم صحته يستعقب لا محالة الويل والثبور او حسرة وندامة ولهذا قال فاراد اي فرعون ان يستفزهم من الارض
اي يستخف موسى وقومه من بسيط الارض او من ارض مصر بالقتل والاستيصال او بالنفي والاخراج والحاصل انه فرعون عوض بنقيض المقصود فاغرق
هو وقومه واسكن بنو اسرائيل مكانه تحقيقا لقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ثم اخبر عن المعاد قائلا فاذا جاء وعد الآخرة وهو قيام الساعة جئنا بكم لفيفا يعني
المكلفين كلهم لفيفا جماعات من قبائل شتى وذوي اديان ومذاهب مختلفة وذلك لاجل الحكم والجزاء والفصل والقضاء ولما بين اعجاز القرآن واجاب عن شبهات
القوم اراد ان يعظم شان القرآن ويذكر جلالة قدره فقال وبالحق انزلناه التقديم للتخصيص اي ما اردنا بانزاله الا تقرير الحق في مركزه وتمكين الصواب في نصابه
قال جار الله اي ما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا
بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين وقال المحققون الحق هو الثابت كما ان الباطل هو الزاهق ولا
ريب ان هذا الكتاب الكريم يشتمل على دلائل التوحيد وصفات الجلال والاكرام وعلى تعظيم الملائكة واقرار النبوات واثبات المعاد وعلى اصول الاديان
والملل التي لا يتطرق اليها النسخ والتبديل وكل هذه الامور يدل على المعنى المذكور لانها مما يبقى ببقاء الدهور وقال ابو علي الفارسي الباء في الموضعين بمعنى
مع كما في قولك خرج بسلاحه اي انزل القرآن مع الحق ونزل هو مع الحق ويحتمل ان يكون الباء الثانية كما في قولك نزلت بزيد فيكون الحق عبارة عن محمد لان
القرآن نزل به اي عليه وما ارسلناك الا مبشرا بالجنة ونذيرا من النار فليس اليك وراء هذين شيء من اكراه على الدين والاتيان بشيء مما اقترحوه ثم
ان القوم كان من تعنتهم طعنوا في القرآن من جهة انه لم ينزل دفعة واحدة فاجاب عن شبهتهم بقوله وقرآنا هو منصوب بفعل يفسره فرقناه اي جعلنا نزوله
مفرقا منجما وعن ابن عباس انه قرأه مشددا وقال انه لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على
فصل متقارب قال ابو عبيدة التخفيف احب الي لان تفسيره بيناه ومن قرأ بالتشديد لم يكن له معنى الا انه نزل متفرقا فالفرق يتضمن التبيين ويؤكده ما رواه
ثعلب عن ابن الاعرابي انه قال فرقت افرق بين الكلام وفرقت بين الاجسام وقول ابن عباس عنى الفصل بين اول نزوله وبين آخره فمن قرأ بالتشديد فاولى
لعل المراد الفصول المتقاربة التي فيما بين المدة بدليل قوله لتقرأه على الناس على مكث بضم الميم اي على مهل وتؤدة ولقوله ونزلناه تنزيلا اي على حسب
المصالح والحوادث ثم خاطب نبيه بان يقول للمقترحين آمنوا به او لا تؤمنوا اي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرأوا الكتب من
قبل نزول القرآن قال مجاهد هم ناس من اهل الكتاب حين سمعوا ما انزل على محمد خروا سجدا منهم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام
وفي قوله يخرون للاذقان سجدا دون ان يقول يسجدون مبالغة من وجهين احدهما انه قيد الخرور وهو السقوط بالذقن قال الزجاج لان الذقن مجمع
اللحيين وكما يبتدئ الانسان بالخرور للسجود فاول ما يحاذي به الارض من وجهه الذقن قلت هذا يصحح المعنى ولا يظهر منه لتغيير العبارة فائدة وقال
غيره المراد تعفير اللحية في التراب فان ذلك غاية الخضوع وان الانسان اذا استولى عليه خوف الله فربما سقط على الارض مغشيا عليه وثانيهما انه
لم يقل يخرون على الاذقان كما هو الظاهر وانما قال للاذقان لان اللام للاختصاص فكانهم خصوا اذقانهم بالخرور او خصوا الخرور بها فانهم ثم حكى
انهم في سجودهم انهم يراعون شرائط التنزيه والتعظيم قائلين سبحان ربنا ان كان وعد ربنا بانزال القرآن وبعثة محمد في كتبنا لمفعولا ان هي
وان المخففة من الثقيلة ولهذا دخلت اللام في خبر كان ثم ذكر انهم كما خروا للاذقان في حال كونهم ساجدين فقد خروا لها في حال كونهم باكين ويجوز
ان يكون التكرير لاجل الدلالة على تكرير الفعل منهم بدليل قوله ويزيدهم اي القرآن خشوعا لين قلب ورطوبة عين ثم اراد ان يعلمهم كيفية الخشوع والدعاء
فقال قل ادعوا عن ابن عباس سمعه ابو جهل يقول يا الله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك
لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت قال جار الله الدعاء بمعنى التسمية لا النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا
ثم يترك احدهما استغناء عنه فتقول دعوت زيدا والتخيير والمعنى على السببين سموا بهذا الاسم او بهذا او على السبب الثاني اذكروا اما هذا واما هذا ايا ما تدعوا

يعني اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم فالتنوين عوض عن المضاف اليه وما صلة زيدت لتأكيد الابهام والضمير في فله لا يرجع الى احد الاسمين ولكن الى مسماهما
وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو اي فلك الاسم حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن الاسماء استقلالها بنعوت
الجلال والاكرام وقد مر في اخر الاعراف ثم ذكر كيفية اخرى للدعاء فقال ولا تجهر بصلاتك اي بقراءة صلاتك على حذف المضاف للعلم بان الجهر
والمخافتة من نعوت الصوت لا الصلوة افعالها فهو من اطلاق الكل وارادة الجزء منه تقول خفت صوته خفوتا اذا انقطع كلامه وضعف وسكن وخفت
الزرع اذا ذبل وخافت الرجل بقراءته اذا لم يبين قراءته برفع الصوت روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان رسول الله صلعم كان يرفع صوته بالقراءة فاذا
سمعه المشركون سبوه وسبوا من جاء به فاوحى الله اليه ولا تجهر بصلاتك فيسمعه المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم ولا تخافت بها فلا يسمع
اصحابك وابتغ بين ذلك الذي ذكر من الجهر والمخافتة سبيلا وسطا وروي ان النبي صلعم طاف بالليل على دور الصحابة فكان ابو بكر يخفي صوته في صلوته
ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر يرفع صوته ويقول ازجر الشيطان واوقظ الوسنان فامر النبي صلعم ابا بكر ان يرفع صوته قليلا وامر عمر
ان يخفض قليلا فنزلت الاية على حسب ذلك وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلوة الليل و
تخافت بصلوة النهار وعن عائشة وابي هريرة ومجاهد ان الصلوة ههنا الدعاء وقد يروى هذا مرفوعا قال الحسن لا يرائي بعلانيتها ولا يسيء سريرتها
وايضا في الجهر اسماع غيره الذنوب وهو الموجب للتعيير والتوبيخ وعلى هذا ذهب قوم الى ان الاية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية قال
جار الله ابتغاء السبيل مثل لابتغاء الوجه الوسط في القراءة ولما امر ان لا يذكر ولا ينادي الا باسمائه الحسنى نبه على كيفية التحميد بقوله وقل
الحمد لله الاية قال في الكشاف كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد واجاب بان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو
الذي يستحق جنس الحمد واقول الولد والشريك والذل بكلمة التحميد اجاب بان من هذا وصفه يتولد من جزء من اجزاء الوالد فالوالد مركب وكل مركب محدث
والمحدث محتاج والمحتاج لا يقدر على كمال الانعام فلا يستحق كمال الحمد وايضا الولد مبخلة والبخيل لا يستحق الحمد والشركة في الملك انما يتصور لمن لا يستقل
بالمالكية فيفتقر الى من يتم بمشاركته امور لمكنته ومصالح مملكته وكل من كان كذلك كان عاجزا بالنظر الى ذاته فلا يتم فيضانه فلا يستحق الحمد على الاطلاق
وهكذا حكم من كان له ولي من الذل اي يتخذ حبيبا من اجل ذل به واستفادة لا من عزة وقوة وافاضة او الولي بمعنى الناصر اي ناصر من اجل مذلة به لمدافعتها
بموالاته وايضا قد يمنعه الشريك من اصابة الخير اليه او ايصاله والذي يكون له ولي من الذل يكون محتاجا اليه فينعم عليه دون من استغنى عنه اما اذا كان
منزها عن الولد وعن الشريك وعن ان يكون له ولي ينصره ويلي امره كان مستوجبا لاعظم انواع الحمد ومستحقا لاجل اقسام الشكر قال الامام فخر الدين
الرازي التكبير انواع منها تكبير الله في ذاته وهو ان يعتقد انه واجب الوجود لذاته غني عن كل ما سواه ومنها تكبيره في صفاته بان يعتقد ان كلها من
صفات الجلال والاكرام وفي غاية العظمة ونهاية الكمال وانها منزهة عن سمات التغير والزوال والحدوث والانتقال ومنها تكبيره في افعاله وعنده
يعود مسئلة الجبر والقدر قال سمعت ان الاستاذ ابا اسحق الاسفرايني كان جالسا في دار الصاحب بن عباد فدخل القاضي عبد الرحمن بن احمد الهمداني
فلما راه قال سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال الاستاذ سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشاء ومنها تكبير الله في احكامه وهو ان يعتقد ان احكامه
كلها جارية على سنن الصواب وقانون العدالة ووفق الاستقامة ومنها تكبيره عن هذا التكبير وتعظيمه عن هذا التعظيم وكان النبي صلعم اذا افصح
الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الاية والله اعلم التاويل وقالوا لن نؤمن لك كانوا ارباب الحس فلم يبصروا شواهد الحق ودلائل النبوة ولم
يطلبوا منه ما كان هو عليه من تزكية النفوس وتصفية القلوب وتجلية الارواح وتفجير ينابيع الحكمة من ارض القلوب لا نبات نخيل المشاهدات و
اعناب المكاشفات في جنات المواصلات ابعث الله بشرا رسولا تعجبوا من كون البشر رسولا حين ظنوا ان الملك اعلى حالا من البشر وغفلوا عن ان الانسان
الكامل حيث جعلوا مسجود الملائكة المقربين واودع فيه سر الخلافة ماواهم جهنم الحرص والشهوات كلما سكنت نار شهوة باستيفاء حظها زدناهم
سعيرا باشتغال طلب شهوة اخرى تسع آيات بينات قال الشيخ المحقق نجم الحق والدين المعروف بداية ارادة الايات التي تدل على نبوته فيما يتعلق بنفسه
خاصة كالقائه في اليم واخراجه منه وتربيته في حجر العد … م عليه ونحو ذلك وبالحق انزلناه لان الارواح المتعلقة بالعالم السفلي
احتاجت بالعلوم الى عالم العلو الى حبل متين هو القرآن كقوله … وبحبل الله جميعا وبالحق نزل ليتميز بين اهل السعادة والشقاوة بالاتباع
وعدمه ان الذين اوتوا العلم من قبل نزوله في الازل اذا يتلى عليهم في الازل عند خطاب الست بربكم يخرون للاذقان سجدا للاجابة يقولون بلى ويخرون للاذقان
في عالم الصورة يبكون فالتواضع والسجود من شان الارواح والبكاء والخشوع من شان الاجساد ثم بين ان الارواح انما ارسلت الى الابدان للعبودية وذكر الله
فقال قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى اي كل اسم من اسمائه حسن فادعوه حسنا وهو الدعاء بالاخلاص ولا تجهر بصلاتك رياء
وسمعة ولا تخافت بها بان تخفيها بالكلية فيحرموا المتابعة والاسوة الحسنة وابتغ بين ذلك سبيلا باظهار الفرائض واخفاء النوافل والله اعلم

سورة الكهف مكية الا قوله واصبر نفسك الاية حروفها ستة الاف وثلثمائة وستون حرفا كلماتها الف وخمسمائة وسبعة وسبعون آياتها مائة واحدى عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشنده مهربان



الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين

يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم

به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا فلعلك باخع نفسك

على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم

أيهم أحسن عملا وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أم حسبت أن أصحاب الكهف و

الرقيم كانوا من آياتنا عجبا إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة

وهيئ لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين

أحصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى و

ربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا

إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن

افترى على الله كذبا وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم

من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين و

إذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد

ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين

وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا و

لملئت منهم رعبا وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما

أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر

أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا إنهم إن يظهروا

عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبدا وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن

وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا



رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۝ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ
كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي
أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَلَا
تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي
لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ۝ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۝ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ
غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۝
بنهان آسمانها و زمین است بینا است و شنوا نیست ایشان را جز او هیچ دوستی و انباز نه نهاد در حکم او هیچ

القراءة من لدنه باشمام الدال الشيء بالضم وكسر النون ووصل الهاء بالياء يحيى الاخرون بضم الدال وسكون النون وضم الهاء ويهيئ مخففا حمزة وعلى الباقون بالتشديد يهيئ لنا ويهيئ لكم بتليين الهمز فيهما الاوفر والاعشى وفي الوقف واكابدال الهمزة الفا ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء ابو جعفر ونافع وابن عامر والاعشى والبرجمي الاخرون على العكس تزاور خفيفا بحذف تاء التفاعل عاصم وحمزة وعلى وخلف تزور بتشديد الراء ابن عامر مثل تحمر ويعقوب الباقون تزاور بتشديد الزاي لادغام التاء فهو المهتدى كما مر في سبحان ولملئت مشددة للمبالغة ابو جعفر ونافع وابن كثير وقرأ ابو عمرو ويزيد والاعشى والاصبهاني عن ورش وحمزة في الوقف غير مهموز بورقكم بسكون الراء ابو عمرو وحمزة وحماد وابو بكر والخزاز عن هبيرة وعباس بكسر الراء وادغام القاف في الكاف الاخرون بكسر الراء مظهرا ربي اعلم بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ان يهديني وان ترني وان يؤتيني وان تعلمني بالياءات في الحالين سهل ويعقوب وابن كثير غير ابن فليح وزمعة وروى ابن شنبوذ عن قنبل كلها بالياء في الحالين وعن البزي وابن فليح كلها بغير ياء في الحالين وافق ابو جعفر ونافع وابو عمرو بالياء في الوصل ثلثمائة سنين بالاضافة حمزة وعلى وخلف الباقون بالتنوين ولا تشرك بالتاء على النهي ابن عامر وروح وزيد الاخرون ولا يشرك بياء الغيبة ورفع الكاف ✻ الوقوف عوجا ط لان قيما اليس بصفة له ولكنه انتصب بمحذوف دل عليه المتلو وهو انزل اي انزله قيما وللوصل وجه وهو ان يكون حالا عن الكتاب والعبد وما بينهما اعتراض حسنا لا ابدا لا ولدا لا لان ما بعده يحتمل الصفة او ابتداء واخبار والوقف اوضح ليكون ادعاء الولد معظما كما هو الظاهر لآبائهم ط من افواههم ط كذبا ه اسفا ه عملا ه جرزا ط لتمام القصة وما بعده استفهام تقرير وتعجب عجبا ه رشدا ه عددا لا للعطف امدا ه بالحق ط هدى ج لتبوا لوصل اولى للعطف شططا ه الهة ط لابتداء التحضيض بين ط كذبا ه مرفقا ه فجوة منه ط آيات الله ط فهو المهتد ج مرشدا ه رقود فر والاولى الوصل على ان ما بعده حال اي رقود وانحن نقلبهم الشمال ج والوصل احسن على ان المعنى نقلبهم باسط بالوصيد رعبا ه بينهم ط كم لبثتم ط بعض يوم ط احدا ه ابدا ه لاريب فيها ج لان اذ يصلح ان يكون ظرفا للاعثار عليهم وان يكون منصوبا باضمار واذكر بنيانا ط بهم ط مسجدا ه رابعهم كلبهم ج فصلا بين المقالتين مع اتفاق الجملتين بالغيب لوقوع العارض كلبهم ط قليل ه ظاهرا احدا ه يشاء الله لا لاتفاق الجملتين مع عارض الظرف والاستثناء رشدا ه تسعا ه لبثوا ج لاحتمال ان ما بعده مفعول قل واخبار مستأنف والارض ط لابتداء التعجب واسمع ط من ولي ط لمن قرأ ولا تشرك على النهي ومن قرأ على الغيبة اخبارا جوز الوقف لاختلاف الجملتين احدا ه ✻ التفسير لقن الحمد والتكبير المذكورين في اخر السورة المتقدمة بالحمد على اجزل نعمائه على العباد وهي نعمة انزال الكتاب على محمد ﷺ قال بعض العلماء نزه نفسه في اول سورة سبحان عما لا ينبغي وهو اشارة الى كونه كاملا في ذاته وحمد نفسه في اول هذه السورة وهو اشارة الى كونه مكملا لغيره وفيه تنبيه على ان مقام التسبيح مبدأ ومقام التحميد نهاية موافقا لما ورد في الذكر سبحان الله والحمد لله وفيه ان الاسراء اول درجات كماله لان فيه تكميل الارواح البشرية ونقلها من حضيض البهيمية الى اوج الملكية ولا شك ان المنافع المتعدية افضل من القاصرة كما ورد في الخبر من تعلم وعلم وعمل فذاك يدعى عظيما في السموات وانزال الكتاب على النبي نعمة عليه وعلينا اما انه نعمة عليه فلانه اطلع بواسطته على اسرار التوحيد ونعوت الجلال والاكرام واحوال الملائكة والانبياء وسائر النفوس المقدسة وعلى كيفية القضاء والقدر وتعلق احوال العالم السفلي بالعالم العلوي والشهادة بالغيب وارتباط احدهما بالآخر واما انه نعمة علينا فلانا نستفيد منه مثل ذلك ونعرف منه الاحكام الشرعية المفضية الى صلاح المعاش والمعاد وفي انتصاب قيما وجوه فاختار صاحب الكشاف ان يكون منصوبا بمضمر ويجعله وانزله قيما وابى ان يكون حالا لان العطف يدل على تمام الكلام وجعلها بدلا على نقص وقال الجامع لاصفهاني هما حالان متواليان الا ان الاولى جملة والثانية مفرد وقيل حال من الضمير في قوله ولم يجعل له فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة هي التاكيد فرب مستقيم في الظاهر لا يخلو عن ادنى عوج في الحقيقة هذا تفسير ابن عباس ويحتمل ان يراد انه قيم



سائر الكتب مصدقا لما شاهد بعضها وانه قيم بمصالح العباد وما لابد لهم من الشرع والاحكام وعلى هذا يكون قوله ولم يجعل له عوجا اشارة الى انه
كامل فى ذاته مبرا عن الاختلاف والتناقض مشتمل على كل ما هو فى نفس الامر حق وصدق وقوله قيما اشارة الى انه مكمل لغيره مصلح بحسن بيانه وارشاده
لاحوال معاشه ومعاده فيكون الاية نظير قوله فى اول البقرة لا ريب فيه هدى للمتقين ثم اراد ان يفصل ما اجمله فى قوله قيما فقال لينذر باسا شديدا من
لدنه وحذف المنذر للعلم به لعمومه ولتطهير اللسان عن ذكره اى لينذر الذين كفروا عذابا بالهاما دائما من عنده والاجر الحسن الجنة بدليل قوله ماكثين
فيه وهو حال من الضمير فى لهم ثم كرر الانذار وذكر المنذر لخصوصه وحذف المنذر به وهو الباس الشديد لتقدم ذكره وقد بدأ كونه كلمة ثم تعطف
عليها بعض جزئياتها بتنبيها على كونه اعظم جزئيات الكلى فنوع ظهه لانذار المخصوص على الانذار المطلق دليل على ان افحش انواع الكفر والمعصية اثبات
الولد لله تعالى على ما زعم بعض كفار قريش من ان الملئكة بنات الله وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ثم قال ما لهم به اى بالولد او باتخاذ
الله اياه من علم ولا لآبائهم وانتفاء العلم بالشئ اما بالجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه فى نفسه محال فلا يتعلق به العلم لذلك وهو المراد فى الاية اى
قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد لآبائهم الذين هم مثلهم فى الجهالة قال جار الله الضمير فى قوله كبرت يعود الى قولهم اتخذ الله ولدا
وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها قلت ويجوز ان يعود الى مضمر ذهنى يفسره الظاهر كقولهم ربه رجلا ونعم امرأة عندى قال الواحدى انتصب كلمة على
التمييز وذلك انك لو قلت كبرت المقالة او الكلمة جاز ان يتوهم انها كبرت كذبا او جهلا او افتراء فلما قلت كلمة فقد ميزتها من محتملاتها وقرئ بالرفع على
الفاعلية كما يقال عظم قولك قال اهل البيان النصب اقوى وابلغ لافادته التعجب بجهتين من جهة الصيغة ومن جهة التمييز كانه قيل ما اكبرها كلمة وفى وصف
الكلمة بقوله تخرج من افواههم مبالغة اخرى من جهتين الاولى ان كثيرا من وساوس الشيطان وهواجس القلوب لا يتمالك العقلاء ان يتفوهوا بها حياء وخجلا
فبين الله تعالى ان هذا المنكر لم يستحيوا من اظهاره والنطق به فما اشنع فعلهم وما اعظم فحشهم الثانى ان هذا الذى يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه
فى غاية البطلان وكانه شئ يجرى على لسانهم بطريق التقليد احتج النظام على مذهبه ان الكلام جسم بان الخروج عبارة عن الحركة والحركة من خواص الاجسام
والجواب ان الخارج من الفم هو الهواء لان الحروف والاصوات كيفيات قائمة بالهواء فاسند الى الحال ما هو من شان المحل مجازا ثم زاد فى تقبيح صورتهم
مقولهم ان يقولون الا كذبا وفيه ابطال قول من زعم ان الكذب هو الخبر الذى لا يطابق الخبر عنه مع علم قائله بانه غير مطابق وذلك لان القيد الاخير غير
موجود هنا مع انه تعالى سماه كذبا ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك باخع قال الليث بخع الرجل نفسه اذا قتلها غيظا وقال الاخفش والفراء اصل
البخع الجهد يروى ان عائشة ذكرت عمر فقالت بخع الارض اى جهدها حتى اخذ ما فيها من اموال الملوك وقال الكسائى بخعت الارض بالزراعة اذا
جعلتها ضعيفة بسبب متابعة الحراثة وبخع الرجل نفسه اذا انهكها واسفا منصوب على المصدر اى تاسف اسفا وجعلنا الفعل لدلالة الكلام عليه
وقال الزجاج هو مصدر فى موضع الحال ومفعول له اى لفرط الحزن شبهه اياهم حين لم يؤمنوا بالقرآن واعرضوا عن نبيهم برجل فارقه احبته فهو
يتساقط حسرات عليهم والحاصل انه قيل له لا تعظم حزنك عليهم بسبب كفرهم فانه ليس عليك الا البلاغ فاما تحصيل الايمان فيهم فليس اليك قال القاضى
الحديث على القرآن فدل ذلك على انه غير قديم واجيب بانه لا نزاع فى حدوث الحروف والاصوات وانما النزاع فى الكلام النفسى قوله انا جعلنا
ما على الارض زينة لها قال اهل النظم كانه تعالى يقول انى خلقت الارض وزينتها ابتلاء للخلق بالتكاليف ثم انهم يتمردون ويكفرون ومع ذلك فلا اقطع
عنهم مواد هذه النعم فانت ايضا يا محمد لا تترك الاشتغال بدعوتهم بعد ان لا تاسف عليهم وما على الارض المواليد الثلاثة المعادن والنبات والحيوان
واشرفها الانسان وقال القاضى الاولى ان لا يدخل المكلف فيه لان ما على الارض ليست زينة لها بالحقيقة وانما هو زينة لاهلها لغرض الابتلاء
فالذى له الزينة يكون خارجا عن الزينة ومعنى انه يجازى بالصورة والمراد انه تعالى يعاملهم معاملة لو صدرت تلك المعاملة عن غيره لكان من قبيل
الابتلاء والامتحان وقد مر هذا البحث بتمامه فى سورة البقرة فى تفسير قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه واللام فى لنبلوهم للغرض عند المعتزلة او العاقبة
او استتباع الغاية عند غيرهم حذرا من لزوم الاشكال قال الزجاج ايهم رفع بالابتداء لان لفظه لفظ الاستفهام والمعنى لنمتحن هذا احسن عملا ام ذلك
ثم زهد فى الميل الى زينة الارض بقوله وانا لجاعلون ما عليها من هذه الزينة صعيدا جرزا اى مثل ارض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة
فى ازالة بهجته وابادة حسنه قال ابو عبيدة الصعيد المستوى من الارض التى لا نبات فيها من قولهم امرأة جرز اذا كانت اكولا وسيف جراز اذا كان مستاصلا
وجرز الجراد والشاة والابل الارض اذا اكلت ما عليها ثم ان القوم تعجبوا من قصة اصحاب الكهف وسألوا عنها الرسول على سبيل الامتحان فقال سبحانه
ام حسبت يعنى بل اظننت يا انسان انهم كانوا عجبا من آياتنا فقط فلا تحسبن ذلك فان آياتنا كلها عجب فان من كان قادرا على تخليق السموات والارض
ثم تزيين الارض بانواع المعادن والنبات والحيوان ثم جعلها بعد ذلك صعيدا خاليا عن الكل كيف يستبعد من قدرته وحفظه ورحمته بالنسبة
الى طائفة مخصوصة وقال جار الله يعنى ان ذلك التزيين وغيره اعظم من قصة اصحاب الكهف يعنى انه ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها ثم ازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال ام حسبت ان اصحاب الكهف كانوا عجبا ... الاعظم قدرته ثم اضرب عن ذلك موبخا للانسان
والحاصل انك لا تعجب من هذا الادنى فكيف تعجب من الاعلى والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم كلبهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد انه لوح من حجارة او رصاص
رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف فعلى هذا يكون اللفظ عربيا فعيلا بمعنى مفعول ومثله ما روى انه الناس رقموا حديثهم نقرا فى الجبل وعن السدى
انه القرية التى خرجوا منها وقيل هو الوادى او الجبل الذى فيه الكهف والعجب مصدر وصف به او المراد ذات عجب وقوله اذ اوى الفتية الى الكهف صاروا اليه وجعلوه
ماواهم منصوب باضمار اذكر ولا يحسن انتصابه بعجبا لان المعنى لا يساعد ان يتعلق بعجبا والتنوين فى رحمة اما للتعظيم او للتنويع وتقديم من لدنك للاختصاص اى رحمة



مخصوصة بانها من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهيئ لنا اى اصلح لنا من قولك هيأت الامر فتهيأ من امرنا الذى نحن عليه من
مفارقة الكفار رشدا اى لرشاد رشدا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين ويكون من للابتداء ويجوز ان يكون للتجريد كما في قولك رأيت منك اسدا
اى اجعل امرنا رشدا كله فضربنا على آذانهم قال المفسرون اى انمناهم والاصل فيه ان المفعول محذوف وهو الحجاب كما يقال بنى على امرأته اى بنى عليها القبة
وسنين ظرف لضربنا وعددا اى ذوات عدد وهو مصدر وصف به والمراد بهذا الوصف اما القلة لان الكثير قليل عند الله وان يوما عند ربك كالف سنة
مما تعدون واما الكثرة قال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج الى العد واذا كثر احتاج الى ان يعد ثم بعثناهم ايقظناهم لنعلم ليظهر معلومنا وعلم
العلم معلق لما فى اى من معنى الاستفهام فان قوله اى الحزبين على الابتداء وخبره احصى وهو فعل ماض وما فى لما لبثوا مصدرية اى احصى امدا للبثهم فيكون
امدا مفعولا به وقيل امدا ظرف لمصدر لبثوا ومعنى احصى ضبط امدا اى غاية وقيل اللام زائدة وما بمعنى الذى وامدا تمييز والتقدير احصى لما لبثوا امدا والاسد القاهر زعم
بعضهم ان احصى افعل التفضيل كما فى قولهم اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق ولم يستصوبه فى الكشاف لان الشاذ لا يقاس عليه واختلفوا
فى تعيين الحزبين فعن عطاء عن ابن عباس ان اصحاب الكهف حزب والملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك حزب وقال مجاهد الحزبان من اصحاب الكهف
وذلك انهم لما انتبهوا اختلفوا فقال بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم وقال آخرون ربكم اعلم بما لبثتم وذلك حين حسبوا ان لبثهم قد تطاول وقال الفراء
ان طائفتين من المسلمين فى زمان اصحاب الكهف اختلفوا فى مدة لبثهم نحن نقص عليك نبأهم بالحق اى على وجه الصدق انهم فتية آمنوا بربهم اى وضع
الظاهر موضع المضمر وزدناهم هدى اى بالتوفيق والتثبيت وربطنا على قلوبهم قويناها بالهام الصبر على فراق الخلان والاوطان والفرار بالدين
الى بعض الغيران اذ قاموا بين يدى الملك الجبار دقيانوس وقيل من النوم ولعل مجاهدا انهم اجتمعوا وراء المدينة من غير ميعاد فقال رجل منهم هو اكبر القوم انى لاجد فى نفسى
شيئا ما اظن احدا يجده احد ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن كذلك فى انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض وقال اكثر
المفسرين انه كان لهم ملك جبار يقال له دقيانوس وكان يدعو الناس الى عبادة الطواغيت فثبت الله هؤلاء الفتية وعصمهم حتى قاموا بين يديه
فقالوا ربنا رب السموات والارض وعن عطاء ومقاتل انهم قالوا ذلك عند قيامهم من النوم والشطط الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط
اذا بعد والمراد قولا ذا شطط اى بعيد عن الحق هؤلاء مبتدأ وقومنا عطف بيان او بدل واتخذوا خبره وهو اخبار فى معنى انكار وفى اسم الاشارة
تحقير لهم لولا يأتون عليهم هلا يأتون على حقيقة الهيتهم او على حقيتهم عبادتهم بسلطان بين بحجة ظاهرة اسند انعدام الدليل على عدم الشركاء
الاضداد فاستدل بعض العلماء بذلك على ان هذه طريقة صحيحة ويمكن ان يجاب بانه انما ذكر ذلك على سبيل التبكيت فمن المعلوم ان الاتيان
بسلطان على عبادة الاوثان محال وفيه دليل على فساد التقليد ويؤكده قوله فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه خاطب بعضهم
بعضا حين صمم عزمهم على الفرار بالدين وقوله وما يعبدون عطف على الضمير المنصوب يعنى واذ اعتزلتموهم ومعبوديهم وقوله الا الله استثناء منقطع
على الظاهر ويجوز ان يكون متصلا بناء على ان المشركين يقرون بالخالق الاكبر وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفتية انهم لم يعبدوا
غير الله فأووا الى الكهف جواب اذ ومعناه اذهبوا اليه واجعلوه مأواكم ينشر لكم ربكم من رحمته يبسطها لكم مرفقا على القراءتين مشتق من الارتفاق
الانتفاع وقيل فتح الميم اقيس وكسرها اكثر وقيل المرفق بالكسر ما ارتفقت به والمرفق بالفتح الامر الرافق وكان الكسائى ينكر فى مرفق الانسان الا كسر الميم
قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لان اخبرهم نبى فى عصرهم منهم او من غيرهم وترى الشمس ايها الانسان اذا طلعت تزاور واصله من الزور
بفتح الميم قالوا ذلك ثقة بفضل الله وتوكلا عليه واما لانه اخبرهم نبى فى عصرهم الواو وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والمراد ان الشمس تعدل عن
سمتهم الى الجهتين فلا يقع عليهم والفجوة المتسع من المكان ومنه الحديث فاذا وجد فجوة نص وللمفسرين فى الاية قولان احدهما انهم فى ظل نهارهم كله
لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع انهم فى مكان واسع منفتح والى هذا الوجه يشار بقوله ذلك من آيات الله وثانيهما ان باب ذلك الكهف كان
مفتوحا الى جانب الشمال فاذا طلعت الشمس كانت على يمين الكهف واذا غربت كانت على يساره فلذلك كانت الشمس لا تصل اليهم ثم انهم كانوا مع ذلك
فى متسع من الغار ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم واعترض بان عدم وصول الشمس اليهم لا يكون آية من آيات الله على هذا التقدير واجيب بان المشار اليه
حفظهم فى ذلك الغار مدة طويلة والمقصود من بيان وضع الغار تعيين مكانهم ثم بين الله سبحانه لطفه بهم بعدما بين انهم عند العصيان فى ملك المدة
كما لطف بهم فى اول الامر بالهداية فكان فيه ثناء عليهم وتذكير لغيرهم ان الهداية وضدها كليهما بمشية الله وعنايته الازلية وبالعكس وفيه الذى
سبق القلم وقال الجبائى فيه تنبيه على ان من سلك طريقة الراشدين المهتدين فهو الذى اجاب لفلاح ومن تعرض للخذلان فلن تجد من يليه ويرشده
ثم حكى طرفا آخر من غرائب احوالهم فقال وتحسبهم ايقاظا هو جمع يقظ بكسر القاف كانكاد فى جمع نكد وهم رقود جمع راقد كقعود فى قاعد واستبعد
فى التفسير الكبير وقيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك ايقاظا وقال الزجاج لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة
واحدة فى يوم عاشوراء وعن مجاهد يمكثون رقودا على ايمانهم سبع سنين ثم يقلبون على شمائلهم فيمكثون رقودا سبع سنين وفائدة تقلبهم
ظاهرة وهى ان لا تأكل لحومهم الارض قال ابن عباس وتعجب منه الامام فخر الدين قال ان الله تعالى قادر على حفظهم من غير تقليب اقول لا ريب فى قدرة
الله تعالى ولكن الوسائط معتبرة فى اغلب الاحوال وكلبهم باسط حكاية الحال الماضية ولهذا عمل فى المفعول به والوصيد الفناء وقيل العتبة او الباب
قال السدى الكهف لا يكون له عتبة ولا باب وانما اراد ان الكلب منه موضع العتبة من البيت عن ابن عباس هرب الى الملك فمر براع معه كلب فتبعهم



على دينهم ومعه كلبه وقال كعب مروا بكلب فنبح عليهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك ثلث مرات فقال لهم الكلب ما تريدون مني انا احب احباء الله فناموا
حتى احرسكم وقال عبيد بن عمير وكان ذلك طلب صيدهم والاطلاع على الشيء الاشراف عليه قال الزجاج قوله فرارا منصوب على المصدر لانه بمعنى التولية
وسبب الرعب هيبة البسهم الله اياها وقيل طول اظفارهم وشعورهم وعظم اجرامهم ووحشة مكانهم منه يحكى ان معوية غزا الروم فقال لو
كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس ليس لك ذلك قد منع الله منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال معوية
لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث ناسا فقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاخرجتهم وكذلك اشارة الى المذكور وقيل اي وكما
انمناهم تلك النومة وفعلنا بهم ما فعلنا من الكرامات كذلك بعثناهم وفيه تذكير لقدرته على الانامة والبعث جميعا ثم ذكر غاية بعثهم فقال ليتساءلوا
اي ليقع التساؤل بينهم والاختلاف والتنازع في مدة اللبث غرض صحيح لما فيه من انكشاف الحال وظهور آثار القدرة قال قائل منهم كم لبثتم قال ابن
عباس هو رئيسهم مكسلمينا رد علم ذلك الى الله لانه حين راى التغير في شعورهم واظفارهم وبشرتهم والقاني فابعثوا للتسبب كانه قيل واذ قد حصل
الياس من تعيين مدة اللبث فخذوا في شيء آخر مما يهمكم والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة وفي تزودهم الورق عند فرارهم دليل على ان امساك بعض
ما يحتاج اليه الانسان في سفره وحضره لا ينافي التوكل على الله والمدينة طرسوس قال في الكشاف ايها معناه اي اهلها ازكى طعاما واقول يحتمل ان يعود
الضمير الى الاطعمة ذهنا كقولك زيد طيب ابا على ان الاب هو زيد ويجوز ان يراد اي اطعمة المدينة ازكى طعاما على الوجه المذكور وعن ابن عباس يريد
ما حل من الذبائح لان عامة اهل بلدهم كانوا مجوسا وفيهم قوم يخفون دينهم وقال مجاهد احل واطيب من المغصوب لان ملكهم كان ظالما وقيل انها الطيب
والذي وقيل الرخص وليتلطف ليتكلف اللطف فيما يباشره من المبايعة حتى لا يغبن والاظهر انهم طلبوا اللطف في امر التخفي حتى لا يعرف ويؤيده
قوله ولا يشعرن بكم احدا اي لا يفعلن ما يؤدي الى الشعور ويتسبب لها انهم ان يظهروا ويطلعوا على مكانكم او عليكم يرجموكم يقتلوكم اخبث القتلة وهي
الرجم وكانت عادتهم او يعيدوكم في ملتهم بالاكراه العنيف قال في الكشاف العود في معنى الصيرورة اكثر شيء في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا
يريدون ابتداء الفعل قلت يحتمل ان يكون العود ههنا على معناه الاصلي لاحتمال ان يكون اصحاب الكهف على ملة اهل المدينة قبل ان هداهم الله
وفي اذن معنى الشرط كانه قال ان رجعتم الى دينهم فلن تفلحوا ابدا قال المحققون لا خوف على الكفار بدينه اعظم من هذين فني الاول هلاك الدنيا وفي الثاني
هلاك الآخرة وانما نفى الفلاح على التابيد مع ان كفر المكره لا يضره لانهم خافوا ان يجرهم ظاهر الموافقة الى الكفر القلبي وكما انمناهم وبعثناهم اعثرنا
عليهم سمي الاعلام اعثارا والعلم عثورا لان من كان غافلا عن شيء فعثر به نظر اليه وعرفه وكان الاعثار سببا لحصول العلم واليقين وفي سبب الاعثار
قولان احدهما انه طالت شعورهم واظفارهم طولا مخالفا للعادة وتغيرت بشرتهم فعرفوا بذلك وهو الاكثرون قالوا ان ذلك الرجل لما ذهب بالورق
الى السوق وكانت دراهم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقال له من اين وجدت هذه الدراهم قال بعت بها امس شيئا
من التمر فعرف الملك انه ما وجد كنزا وان الله بعثه بعد موته فقص عليه القصة ثم ذكر سبحانه غاية الاعثار فقال ليعلموا ان وعد الله حق يروى ان ملك
ذلك العصر ممن كان ينكر البعث الا انه كان مع كفره منصفا فجعل الله امر الفتية دليلا للملك وقيل بل اختلفت الامة في ذلك الزمان فقال بعضهم
الجسد والروح يبعثان جميعا وقال آخرون الروح تبعث واما الجسد فتاكله الارض ثم ان ذلك الملك كان يتضرع ان يظهر له آية يستدل بها على
ما هو الحق في المسئلة فاطلعه الله تعالى على امر اصحاب الكهف حتى تقرر عنده صحة بعث الاجساد لان انتباههم بعد ذلك النوم الطويل يشبه من يموت
ثم يبعث فالمراد بالتنازع هو اختلافهم في حقيقة البعث والضمائر في قوله اذ يتنازعون بينهم امرهم تعود الى تلك الامة وقيل اراد اذ يتنازع الناس
بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق اليهم فقالوا ابنوا على
باب كهفهم بنيانا يروى انه انطلق الملك واهل المدينة معه وابصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك
به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفى الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين للذهب
فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا فيكون فيه دليل على ان اولئك الاقوام كانوا عارفين بالله تعالى ومعترفين بالعبادة والصلوة وقيل ان الكفار قالوا انهم
كانوا على ديننا فنتخذ عليهم بنيانا والمسلمين قالوا بل كانوا على ديننا فنتخذ عليهم مسجدا وقيل انهم تنازعوا في عددهم واسمائهم فقال الله ربهم اعلم
بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم فلما لم يهتدوا الى حقيقته قالوا ذلك او هو من كلام الله عز وجل رد
لقول الخائضين في حديثهم من اولئك المتنازعين ومن الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله من اهل الكتاب قال الذين غلبوا
على امرهم المسلمون وملكهم المسلم لانهم بنوا عليهم مسجدا يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم حفظا لتربتهم وبالوا
ظلمنا بها سيقولون يعني الخائضين في قصتهم من المؤمنين ومن اهل الكتاب المعاصرين وكان كما اخبر فكان معجزا يروى ان السيد والعاقب واصحابهما
من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وآله فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا هم ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا هم
خمسة سادسهم كلبهم فبين الله قولهما انه قال رجما بالغيب يرمون رميا بالخبر الخفي يقال فلان يرجم بالكلام رميا اي يتكلم من غير تدبر وكثيرا
ما يعبر بالرجم عن الظن فكان قولهم ظنا وقال المسلمون هم سبعة وثامنهم كلبهم قال العلماء وهذا القول حق عرفه المسلمون باخبار رسول الله صلى الله عليه وآله عن لسان
جبرئيل عليه السلام والذي يدل عليه امور منها ما روي عن علي عليه السلام انهم سبعة نفر اسمائهم تمليخا ومكسلمينا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره



مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم واسمه كفشططيوش واسم مدينتهم افسوس واسم كلبهم قطمير وعن ابن عباس ان اسماء اصحاب الكهف تصلح للطلب والهرب واطفاء الحريق تكتب في خرقة ويرمى بها في وسط النار ولبكاء الطفل تكتب وتوضع تحت رأسه في المهد وللحرث تكتب على القرطاس ويرفع على خشب منصوب في وسط الزرع وللضربان وللحمى المثلثة والصداع والغنى والجاه والدخول على السلاطين تشد على الفخذ اليمنى وللعسر الولادة تشد على فخذها الايسر ولحفظ المال والركوب في البحر والنجاة من القتل ومنها قول صاحب الكشاف ان الواو في قوله وثامنهم هي التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة في قولك جاءني رجل ومعه آخر كما يدخل على الجملة الواقعة حالا من المعرفة في قولك مررت بزيد ومعه سيف وفائدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على ان اتصافه بها امر ثابت مستقر لان الواو ومقتضاها الجمعية وكانهم وصفوا بكونهم سبعة وثامنهم كلبهم بخلاف القولين الاولين فانهم وصفوا بهما وصفوا مرة واحدة وللقائل ان يقول ان العاطف لا يتوسط بين الوصف والموصوف لشدة الاتصال بينهما ومقتضى الواو هو الحالة المتوسطة بين كمال الاتصال وكمال الانقطاع بل الواو اما للعطف عطف الجملة على الجملة واما للحال وجاز لانهم لم يسوغوا ذي الحال نكرة لامكان التباس الحال بالصفة في نحو قولك رايت رجلا راكبا وههنا الالتباس مرتفع لمكان الواو ومنها قول بعضهم ان الضمير في قوله ويقولون سبعة لله تعالى والجمع للتعظيم ومنها قول ابن عباس حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات ومنها انه خص القولين الاولين بان اتبعه قوله رجما بالغيب وتخصيص الشيء بالوصف يدل على ان الحال في الباقي بخلافه فوجب ان يكون المخصوص بالظن الباطل هو القولين الاولين وان يكون القول الثالث مخالفا لهما في كونه رجما بالظن ومنها انه تعالى لما حكى الاقوال الثلاثة ولا بد وان يكون الحق على انه سبحانه منعه عن المناظرة معهم وعن الاستفتاء منهم في هذا الباب وهذا المنع انما يصح اذا علم حكم هذه الواقعة وايضا الله تعالى قال ما يعلمهم الا قليل ويبعد ان لا يحصل العلم بذلك للنبي ويحصل لغير النبي كعلي وكابن عباس حين قال انا من اولئك القليل وقد عرفت قولهما في هذا الباب واذا حصل فالظاهر انه حصل بهذا الوحي لانه لا اصل فيما سواه لعدد وقيل الضمير في سيقولون لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم وقوله سبحانه في الموضعين الاخيرين ويقولون بغير السين لا يبعد انه للاستقبال ايضا الا ان ذلك يحتمل ان يكون لاجل الصيغة التي تصلح له وان يكون لتقدير السين بحكم العطف كما تقول قد اكرم وانعم اي قد انعم اما فائدة تخصيص الواو في قوله وثامنهم فقد عرفت انفا وقد يقال ان لعدد السبعة عند العرب نذرا ولا عن الالسنة في مظان المبالغة من ذلك قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة لان هذا العدد سبعة عقود فاذا وصلوا الى الثامنة ذكروا لفظا يدل على الاستئناف كقوله في ابواب الجنة وفتحت ابوابها وكقوله ثيبات وابكارا وزيف القفال هذا الوجه بقوله تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر وذلك انه لم يذكر الواو في النعت الثامن والانصاف ان هذا الترتيب ليس في موضع لان دخول الواو وهو الذي يفتقر الى التوجيه اما على فعلى الاصل وبين التوجيه الايجاب بون بعيد والقائل بصدد الاول دون الاخير ثم نهى نبيه صلى الله عليه وسلم عن الجدال مع اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف ثم قال الا مراء ظاهرا فقال الجار الله اي جدالا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحى الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل ولا تعنيف وقال في التفسير الكبير المراد ان لا يكذبهم في تعيين ذلك العدد بل يقول هذا التعيين لا دليل عليه فوجب التوقف ثم نهاه عن الاستفتاء منهم في شانهم لان المفتي يجب ان يكون اعلم من المستفتي وههنا الامر بالعكس ولا سيما في باب واقعة اصحاب الكهف كما بينا ولنذكر ههنا مسئلة جواز الكرامات وما يتوقف هي عليه فنقول الولي مشتق من الولي وهو القرب فعيل بمعنى فاعل لعله يتولى طاعاته من غير تخلل معصية وقيل بمعنى مفعول كقتيل وذلك ان الحق سبحانه تولى حفظه وحراسته وقرب منه بالفضل والاحسان فاذا ظهر فعل خارق للعادة على انسان فان كان مقرونا بدعوى الالهية كما نقل ان فرعون يظهر على يده الخوارق وكما ينقل ان الدجال سيكون منه ذلك فهذا القسم جوزه الاشاعرة لان شكله وخلقته يدل على كذبه فلا يفضي الى التلبيس وان كان مقرونا بدعوى النبوة فان كان صادقا فواجب ان لا يحصل له المعارض وان كان كاذبا وجب ان لا يمكن من ذلك لان الكاذب يستحيل ان يظهر منه الفعل الخارق والبراهمة وجمهور المعتزلة خالفهم ابو الحسين البصري وصاحبه محمود الخوارزمي فجوزا ظهور خوارق العادات على من كان مردودا عند الله وسموها بالاستدراج وقد يفرق بين النبي الصادق والساحر الخبيث بالدعاء الى الخير والى الشر وان كان مقرونا بدعوى الولاية فصاحبه هو الولي ومن المحققين من لم يجوز للولي دعوى الولاية لانه مامور بالاظهار ثم ان المعتزلة انكروا كرامات الاولياء واثبتها اهل السنة مستدلين بالقران والاخبار والاثار والمعقول اما القران فكقصة مريم ونبأ اصحاب الكهف قال القاضي لا بد ان يكون في ذلك الزمان نبي ينسب اليه تلك الكرامات واجيب في التفسير الكبير بان قيامهم على النوم ام غير خارق للعادة حتى يجعل ذلك معجزة لاحد اما قيامهم من النوم بعد ثلثمائة سنة فهذا ايضا لا يمكن جعله معجزة لان الناس لا يصدقونهم في هذه الواقعة لانهم لا يعرفون كونهم صادقين في هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة الدعوى الا اذا عرفوا طول هذه المدة وعرفوا ان هؤلاء الذين جاؤا في هذا الوقت هم الذين ناموا قبل ذلك بثلثمائة وتسع سنين وكل هذه الشرائط لم توجد فامتنع جعل هذه الواقعة معجزة لاحد من الانبياء فلم يبق الا ان يجعل كرامة لهم وللقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون نفس بعثهم معجزة النبي ذلك الزمان واما ان ذلك البعث بعد نوم طويل فيعرف بما ظهر من حكاية الدرهم وغيره واما الاخبار فمنها ما اخرج في الصحاح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي اخر اما عيسى فقد عرفتموه واما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام وكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه امه فقالت يا جريج فقال يا رب الصلوة خير ام رؤيتها ثم

صلى فدعت ثانياً مثل ذلك ثلث مرات وكان يصلي ويدعها فاشتد ذلك على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه المومسات وكانت في بني اسرائيل زانية فقالت لهم
انا افتن جريجاً حتى يزني فاتته فلم تقدر عليه شيئاً وكان هناك راع يأوي بالليل الى اصل صومعته فاردت الراعي على نفسها فاتاها فولدت غلاماً فقالت
ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته قال محمد ابو هريرة كأني انظر الى النبي ص حين قال يا غلام من ابوك فقال فلان الراعي فندم القوم
على ما كان منهم واعتذروا اليه وقالوا نبني صومعتك من ذهب وفضة فابى عليهم وبناها كما كانت واما الصبي الآخر فان امرأة كانت معها صبي لها ترضعه
اذ مر بها شاب جميل ذو شارة فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله ثم مر بها امرأة ذكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت
اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه في ذلك فقال ان الراكب جبار من الجبابرة وان هذه قيل لها سرقت ولم تسرق
وزنت ولم تزن وهي تقول حسبي الله ومنها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله ص قال انطلق ثلثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت
صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح اعمالكم فقال رجل منهم كان لي ابوان شيخان كبيران فكنت
لا اغبق قبلهما فنأى بي في طلب شجر يوماً فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فجئتهما به فوجدتهما نائمين فكرهت ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما فقمت
والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت هذا ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة
فانفرجت انفراجاً لا يستطيعون الخروج منه ثم قال الآخر اللهم انه كانت لي ابنة عم وكانت احب الناس الي فاردتها عن نفسها فامتنعت حتى المت بها سنة
من السنين فجاءتني فاعطيتها مالاً لاعطيها على ان تخلي بيني وبين نفسها فلما قدرت عليها قالت لا اذن لك ان تفك الخاتم الا بحقه فتحرجت من ذلك
العمل وتركتها وتركت المال معها اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم لا يستطيعون الخروج منها
قال رسول الله ص ثم قال الثالث اللهم اني استأجرت اجراء فاعطيتهم اجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذي له وذهب فثمرت اجرته حتى كثرت منه الاموال
فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله اد الي اجرتي فقلت له كل ما ترى من الابل والغنم والرقيق من اجرتك فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت اني لا استهزئ
بك فاخذ ذلك كله اللهم ان كنت فعلته ابتغاء وجهك فافرج فانفرجت الصخرة من الغار فخرجوا يمشون وهذا حديث صحيح متفق عليه ومنها قوله ص كم
من اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره ولم يفرق بين شيء وشيء ومنها ما رواه سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي ص قال بينا رجل
يسوق بقرة قد حمل عليها اذ التفتت البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال الناس سبحان الله فقال النبي ص آمنت بهذا وابو بكر
وعمر ومنها ما رواه ابو هريرة عن النبي ص بينا رجل سمع رعداً او صوتاً في السحاب ان اسق حديقة فلان قال فغدوت الى تلك الحديقة فاذا رجل
قائم فيها فقلت له ما اسمك قال فلان بن فلان فقلت فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها قال ولم تسأل عن ذلك قلت لاني سمعت صوتاً
في السحاب ان اسق حديقة فلان قال اما اذا قلت فاني اجعلها اثلاثاً فاجعل لنفسي ولاهلي ثلثاً واجعل للمساكين وابناء السبيل ثلثاً واما
الآثار فمن كرامات ابي بكر الصديق انه لما حملت جنازته الى باب قبر النبي ص ونودي السلام عليك يا رسول الله هذا ابو بكر بالباب فاذا الباب قد
فتح فاذا بهاتف يهتف من القبر ادخلوا الحبيب الى الحبيب ومن كرامات عمر ما روي انه بعث جيشاً وامر عليهم رجلاً يدعى سارية بن حصين فبينا عمر يوم الجمعة
يخطب جعل يصيح في خطبته يا سارية الجبل الجبل قال علي بن ابي طالب عليه السلام وكتب تاريخ هذه الكلمة فقدم رسول ذلك الجيش فقال يا امير المؤمنين غزونا
يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا فاذا بانسان يصيح يا سارية الجبل فاستندنا ظهورنا الى الجبل فهزم الله الكفار وظفرنا بالغنائم العظيمة قال بعض
العلماء كان ذلك بالحقيقة معجزة للنبي ص لانه قال لابي بكر وعمر انتما مني بمنزلة السمع والبصر لاجرم قدر على رؤية الجيش من بعد ومنها ما روي ان نيل مصر
كان في الجاهلية يقف في كل سنة مرة واحدة وكان لا يجري حتى يلقى فيه جارية حسناء فلما جاء الاسلام كتب عمرو بن العاص بهذه الحالة الى عمر فكتب عمر على خزفة من عمر
امير المؤمنين الى نيل مصر اما بعد فان كنت تجري بامرك فلا حاجة لنا فيك وان كنت تجري بامر الله فاجر على بركة الله وامر ان يلقى الخزف في النيل فجرى ولم يقف
بعد ذلك ووقعت الزلزلة بالمدينة فضرب عمر الدرة على الارض فقال اسكني باذن الله تعالى فالقوه في النار فانطفت في الحال ويروى ان رسول ملك
الروم جاء الى عمر وطلب داره وذهب ان داره مثل قصور الملوك فقالوا ليس له ذلك انما هو في الصحراء يضرب اللبن فلما ذهب الى الصحراء راى عمر واضعاً درته
تحت راسه وهو نائم على التراب فتعجب الرسول من ذلك وقال ان اهل الشرق والغرب يخافون منه وهو على هذه الصفة فسل سيفه ليقتله فاخرج
الله اسدين من الارض فقصداه فخاف فالقى السيف فانتبه عمر واسلم الرجل قال اهل السير لم يتفق لاحد من اول عهد آدم الى الآن ما تيسر له فانه مع غاية البعد
عن التكلفات كيف قدر على تلك السياسات ولا شك ان هذا من اعظم الكرامات واما عثمان فعن انس قال لقيت في طريق فوقعت عيني على امرأة ثم دخلت
على عثمان فقال ما لي اراكم تدخلون علي وآثار الزنا ظاهرة عليكم فقلت اوحي نزل بعد رسول الله ص فقال لا ولكن فراسة صادقة وقيل لما طعن بالسيف
فاول قطرة سقطت من دمه سقطت على المصحف على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ويروى ان جهجاه الغفاري انتزع العصا من يده وكسرها على
ركبته فوقعت الاكلة في ركبته واما علي صلوات الله عليه فيروى ان واحداً من محبيه سرق وكان عبداً اسود فاتي به الى علي ع فقال له اسرقت قال بلى
فقطع يده فانصرف من عند علي ع فلقيه سلمان الفارسي وابن الكوا فقال ابن الكوا من قطع يدك قال امير المؤمنين ويعسوب المسلمين وختن الرسول
وزوج البتول فقال قطع يدك وتمدحه قال ولم لا امدحه وقد قطع بحق وخلصني من النار فسمع سلمان ذلك فاخبر به علياً ع فدعا الاسود ووضع يده على ساعده
وغطاه بمنديل ودعا بدعوات فسمعنا صوتاً من السماء ارفع الرداء عن اليد فرفعنا الرداء فاذا اليد كما كانت باذن الله تعالى واما سائر الصحابة فعن محمد بن



لمتدد انه قال ركبت البحر فانكسرت السفينة التي كنت فيها فركبت لوحا من الواحها فطرحني اللوح في اجمة فيها اسد فخرج الى الاسد فقلت يا ابا الحارث
انا مولى رسول الله صلعم فتقدم ودلني على الطريق ثم همهم فظننت انه يودعني ورجع وروى ثابت عن انس ان اسيد بن حضير ورجل اخر من الانصار خرجا من
عند رسول الله صلعم حين ذهب من الليل قطع وكان ليل مظلمة وفي يد كل واحد منهما عصا فاضاءت عصا احدهما حتى مشيا في ضوئها فلما افترقا اضاءت
لكل واحد منهما عصاه حتى مشى في ضوئها وبلغ منزله ومثل خالد بن الوليد انه عسكر من حيث الحيرة وركب فرسه ليلا فطاف في العسكر فرأى رجلا
على فرسه ومعه زق من خمر فقال ما هذا فقال خل فقال خالد اللهم اجعله خلا فذهب الرجل الى اصحابه وقال اتيتكم بخمر ما شربت العرب مثلها
فلما فتحوا اذا هو خل فقالوا والله ما جئتنا الا بخل فقال هذه والله دعوة خالد ومن الوقائع المشهورة ان خالد بن الوليد اكل كفا من السم
على اسم الله وما ضره وعن ابن عمر انه كان في بعض اسفاره فلقي جماعة على طريق خائفين من السبع فطرد السبع عن طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم
ما يخافه ولو انه لم يخف غير الله لما سلط عليه شيء وروى ان النبي صلعم بعث العلاء بن الحضرمي في غزاة فحال بينهم وبين المطلوب قطعة من البحر فدعا باسم
الله الاعظم فمشوا على الماء وفي كتب الصوفية من هذا الباب روايات كثيرة ولا سيما في كتاب تذكرة الاولياء ومن ارادها فليطالعها واما المعقول
فهو ان الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب لقوله يحبهم ويحبونه فاذا بلغ العبد في طاعته مع عجزه الى حيث يفعل كلما امره الله فاي بعد في ان يفعل
الرب مع غاية قدرته وسعة جوده مرة واحدة ما يريده العبد وايضا لو امتنع اظهار الكرامة فذلك اما لاجل ان الله تعم ليس اهلا له فذلك قدح
في قدرته واما لان المؤمن ليس اهلا له وهو بعيد لان معرفة الله والتوفيق على طاعته اشرف العطايا واجزلها واذا لم يبخل الفياض بالاشرف
فلان لا يبخل بالادون اولى ومن هنا قالت الحكماء ان النفس اذا قويت بحسب قوتيها العلمية والعملية تصرفت في اجسام العالم السفلي كما تتصرف
في جسده قلت وذلك ان النفس نور ولا يزال يتزايد نوريته واشراقه بالمواظبة على العلم والعمل وفيضان الانوار الالهية عليه حتى ينبسط و
يقوى على التأثير والتصرف فيه والوصول الى مثل هذا المقام هو المعنى بقول علي بن ابي طالب صلوات الله عليه والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية
ولكن بقوة ربانية حجة المنكرين للكرامات ان ظهور الخوارق دليل على النبوة فلو حصل لغير النبي لبطلت هذه الدلالة ولوجب الفرق بين المعجزة والكرامة
بان المعجز مقرون بدعوى النبوة والكرامة مقرونة بدعوى الولاية وايضا النبي يدعي المعجزة ويقطع بها والولي اذا ادعى الكرامة لا يقطع بها وايضا انه
يجب نفي المعارضة عن المعجزة ولا يجب نفيها عن الكرامة جميع هذا عند من يجوز للولي دعوى الولاية واما من لا يجوز ذلك من حيث ان النبي مأمور بالاظهار
لضرورة الدعوة والولي ليس كذلك ولكن اظهاره يوجب طلب الاشتهار والغرض المنهي عنه فانه يفرق بينهما بان المعجز مسبوق بدعوى النبوة والكرامة غير
مسبوقة بشيء من الدعاوى قالوا ثم حكاية عن الله سبحانه لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت عليهم لكن المتقرب الى الله باداء الفرائض
لا يحصل له شيء من الكرامات فالمتقرب اليه باداء النوافل اولى بان لا يحصل له ذلك واجيب بان الكلام في المتقرب اليه باداء الفرائض والنوافل
جميعا قالوا ثم وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والقول بطي الارض للاولياء طعن في الاية وطعن في محمد صلعم حين لم يصل
الى مكة الا في ايام واجيب بان الاية وردت على ما هو المعهود المتعارف وكرامات الاولياء احوال نادرة فيصير كالمستثنى من ذلك العموم وان محمدا
لم يكن قاصرا عن بعض الاولياء ولكنه لم يتفق له ذلك او لعله اتفق له السفر قالوا اذا ادعى الولي على انسان درهما فان طالبه بالبينة كان تاركا لقوله ع
البينة على المدعي وان طالبه كان عبثا لان ظهور الكرامة عليه دليل قاطع على انه لا يكذب ومع الدليل القاطع لا يجوز العمل بالظن والجواب مثل ما مر
من ان النادر لا يحكم به قالوا لو جاز ظهور الكرامة على بعض الاولياء لجاز على كلهم ولو كثرت الكرامات لانقلبت خرق العادة وفقا لها واجيب بان المطيعين
منهم قليل لقوله ثم وقليل من عبادي الشكور والولي منهم اعز من الكبريت الاحمر واتفاق الكرامة للولي ايضا على سبيل الندرة فكيف يصير ما ظهر عليه
معتادا فالفرق بين الكرامات والاستدراج هو ان يعطيه الله كل ما يريده في الدنيا ليزداد غيه وضلاله وقد يسمى مكرا او كيدا او ضلالا او املاء والفرق
ان صاحب الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة وصاحب الاستدراج يسكن الى ما اوتي ويشتغل به وانما كان لا يستأنس بالكرامات لان
الطبع بالفرح اعتقد انه مستحق لذلك وان له حقا على الخالق فيعظم شأنه في عينه ويغتر بها الا انه المكرم ولا ريب ان الاعجاب مهلك ولهذا وقع ابليس
فيما وقع والعبد الصالح هو الذي يزداد تذللا وتواضعا بين يدي مولاه بازدياد آثار الكرامة لا يستأنس بها ولكنه يخاف سوء الخاتمة والولايقلبه
قرأ المقرئ في مجلس الاستاذ ابي علي الدقاق اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه فقال علامة رفع العمل ان لا يبقى منه في نظرك شيء فان بقي فهو غير
مرفوع واختلف في ان الولي هل يعرف كونه وليا قال الاستاذ ابو بكر بن فورك لا يجوز لان ذلك يوجب الامن لان اولياء الله لا خوف عليهم ولا
هم يحزنون والامن ينافي لاعتقاد قهاريته تم ويقتضي زوال العبودية الموجب لسخط الله وكيف يأمن الولي وقد وصف الله عباده المخلصين
بقوله يدعوننا رغبا ورهبا وايضا ان طاعة العباد ومعاصيهم لا تؤثر في محبة الحق وعداوته لانهما محدثتان متناهيتان وصفاته قديمة غير متناهية و
المحدث المتناهي لا يغلب القديم غير المتناهي فقد يكون العبد في عين المعصية ونصيبه في الازل هو المحبة وقد يكون في عين الطاعة ونصيبه
المبغضة وهذا لا يحصل الجزم به بكيفية الخاتمة وقيل من هنا قال سبحانه من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ولم يقل من عمل حسنة ومن كانت محبته
لا لعلة امتنع ان يصير عدوا لعلة المعصية وبالعكس لمحبة الحق وعداوته من الاسرار التي لا يطلع عليها الا الله ومن اطلعه عليها الله وقال
الاستاذ ابو علي الدقاق وتلميذه ابو القاسم القشيري ان للولاية ركنين احدهما انقياد الشريعة في الظاهر والثاني كونه في الباطن مستغرقا في نور

وفى نحو ذلك السفر

الحقيقة فاذا حصل هذان الامران وعرف الانسان ذلك عرف انه لا محالة انه يكون ولياً وعلامته ان يكون في حيطة غير الله واستثنينا سرية بذكر الله قلنا لا ريب ان مداخل الاغلاط فيهذا الباب كثيرة ودون الوصول الى عالم الربوبية حجب وآستار من نيران وانوار فالجزم بالولاية خطر والقضاء بالمعرفة عسر والله تعالى اعلم. قال المفسرون ان اليهود حين قالت لقريش سلوا محمداً عن مسائل ثلث عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فسألوه فقال اجيبكم عنها غداً ولم يستثن فاحتبس الوحي عنه خمس عشرة ليلة وقيل اربعين يوماً ثم نزل قوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً اي لاجل شيء تعزم عليه اني فاعل ذلك غداً اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد بعينه وقوله الا ان يشاء الله ان تقول بان يأذن لك في ذلك الاخبار كان معنى صحيحاً ولكنه لا يكون موافقاً لسبب النزول فالمعنى الموافق هو ان يكون قوله هذا في موضع الحال اي لا تقولنه الا متلبساً بان يشاء الله يعني قائلاً ان شاء الله وهذا نهي تأديب لنبيه صلى الله عليه وسلم لان الانسان اذا قال سأفعل الفعل الفلاني غداً لم يبعد ان يموت قبل مجيء الغد او يعوقه عن ذلك عائق فلو لم يقل ان شاء الله صار كاذباً في هذا الوعد والكذب منهي وجوز في الكشاف ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تأبيد كانه قيل ولا تقولنه ابداً قال اهل السنة في تعليق الاستثناء بل في وجوبه دلالة على ان ارادة الله تعالى غالبة وارادة العبد مغلوبة ويؤكده انه اذا قال المديون القادر على اداء الدين غداً ثم قال ان شاء الله فاذا جاء الغد ولم يقض لم يحنث بالاتفاق وما ذاك الا لان الله ما شاء ذلك الفعل مع انه امره باداء الدين وانما لم يقع الطلاق في قول الرجل لامرأته انت طالق ان شاء الله لان مشيئته تعالى غير معلومة فيلزم الدور لتوقف العلم بالمشيئة على العلم بوقوع الطلاق وبالعكس واستدل القائلون بان المعدوم شيء بقوله ولا تقولن لشيء وذلك ان الشيء الذي سيفعله غداً معلوم مع انه سماه شيئاً في الحال واجيب بانه مجاز كقوله اعصر خمراً واذكر ربك اي مشيئة ربك اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها وللعلماء في مدة النسيان الى التذكر خلاف فعن ابن عباس ولو بعد سنة وعن طاوس هو على ثنياه ما دام في مجلسه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء لا اثر له في الاحكام ما لم يكن موصولاً قالوا ان الآيات الكثيرة دلت على وجوب الوفاء بالعهد والعقد فاذا اتى بالعهد وجب عليه الوفاء بمقتضاها لفنا هذا الدليل فيما اذا كان منفصلاً لم يمكن هذا التوجيه فوجب الرجوع الى اصل الدليل وقيل اراد واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء وفيه حث على الاهتمام بها وقيل اذكره اذا اعتراك النسيان في بعض الامور ليذكرك المنسي او اذكره اذا تركت بعض ما امرك به وليس لهذين القولين شديد ارتباط بما قبله وكذا قول من حمله على اداء الصلوة المنسية عند ذكرها واختلفوا في المشار اليه بقوله لاقرب من هذا فالظاهر عند صاحب الكشاف ان المراد اذا نسيت شيئاً فاذكر ربك وذكر ربك عند نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهديني لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه رشداً وادنى خيراً ومنفعة وقيل ان ترك قوله ان شاء الله ليس بحسن وذكره احسن فقوله هذا اشارة الى الترك واقرب منه ذكر هذه الكلمة وقيل انه اشارة الى نبأ اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشداً من نبأهم وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالمغيبات ما هو اعظم وادل. عن قتادة انه قوله سبحانه ولبثوا في كهفهم حكاية لاهل الكتاب وقل الله اعلم بما لبثوا رد عليهم ويؤيده قراءة عبد الله وقالوا لبثوا والجمهور على انه بيان لما اجمل في قوله فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً والمراد من قوله قل الله اعلم ان الامر كما ذكروا هو الحق الذي اخبر الله به ولا يلتفتوا الى ما سواه من اختلاف اهل الاديان نظيره قوله قل ربي اعلم بعدتهم بعد قوله سبعة وثامنهم كلبهم قال النحويون سنين عطف بيان لثلثمائة لان مميزها مفرد ولكنها مجرور ومفرد وقيل فيه تقديم وتأخير اي لبثوا سنين ثلثمائة ومن قرأ بالاضافة فعلى وضع الجمع موضع الواحد في التمييز كما في قوله وقطعناهم اثنتي عشرة اسباطاً اما قوله وازدادوا تسعاً اي تسع سنين لدلالة ما قبله عليه دون ان يقول ولبثوا ثلثمائة سنة وتسع بالسنين القمرية وهذا شيء تقريبي وقيل انهم لما استكملوا ثلثمائة سنة قرب امرهم من الانتباه ثم اتفق ما اوجب بقاءهم في النوم بعد ذلك تسع سنين ثم اكد قوله الله اعلم بما لبثوا بقوله له غيب السموات والارض اي ليس لغيره ما خفي فيهما من احوالهما واحوال سكانهما وهو مختص بذلك ثم زاد في المبالغة فجاء بما دل على التعجب من ادراكه للمبصرات والمسموعات والضمير في قوله ما لهم لاهل السموات والارض وفيه بيان لكمال قدرته وان الكل تحت قهره وتسخيره وانه لا يتولى امورهم غيره ولا يشرك في حكمه وقضائه قيل اصحاب الكهف احداً منهم ومن قرأ ولا تشرك على النهي فهو معطوف على ولا تقولن والمراد انه لا يسأل احداً عما اخبر الله به من نبأ اصحاب الكهف واقتصر على بيانه وقيل الضمير في ما لهم لاصحاب الكهف اي انه هو الذي حفظهم في ذلك النوم الطويل وتولى امرهم وقيل ليس للمختلفين في مدة لبثهم من دون الله من يتولى امورهم فكيف يعلمون هذه الواقعة من دون اعلامه وقيل فيه نوع تهديد لانهم لما ذكروا فيهذا الباب قولاً على خلاف قول الله فقد استوجبوا العقاب فبين الله تعالى انه ليس لهم من دونه ولي يمنع العقاب عنهم واعلم ان الناس اختلفوا في زمان لبث اصحاب الكهف في مكانهم فقيل كانوا قبل موسى وانه ذكرهم في التوراة فلهذا سألت اليهود عنهم وقيل دخلوا الكهف قبل المسيح واخبر هو بخبرهم ثم لبثوا في الوقت الذي بين عيسى ومحمد عليهما السلام وحكى القفال عن محمد بن اسحق انهم دخلوا الكهف بعد عيسى وقيل انهم لم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة وذكر ابو علي بن سينا في باب الزمان من كتاب الشفاء ان ارسطاطاليس الحكيم زعم انه عرض لقوم من المتألهين حالة شبيهة بحالة اصحاب الكهف ثم قال ابو علي ويدل التاريخ على انهم كانوا قبل اصحاب الكهف واما المكان فحكى القفال عن محمد بن موسى الخوارزمي المنجم ان الواثق انفذه الى ملك الروم ليعرف احوال اصحاب الكهف فوجه معه من اوصله الى ذلك الموضع قال وان الرجل الموكل بذلك المقام فزعني من الدخول عليهم فدخلت فرأيت الشعور على صدورهم فعرفت انه تمويه واحتيال وان الناس كانوا قد عالجوا تلك الجثث بالادوية المجففة الحافظة لابدان الموتى



عن البلى كالصبر وغيره قلت حين لم يبق الا الخوارزمى وعبا من الاطلاع عليهم حصل القطع بانهم ليسوا اصحاب الكهف والرقيم ولو صح ما حكيناه عن معوية
حين غزا الروم حصل ظن غالب بانهم منهم والله تعالى اعلم **التأويل** الحمد لله الذى انزل على عبده الكتاب والعبد الحقيقى من يكون حرا
عن الكونين وهو محمد صلى الله عليه وسلم اذ يقول امتى امتى يوم يقول كل نبى نفسى نفسى ولانه هو الذى صح نسبة العبودية كما ينبغى اطلق عليه اسم العبد مطلقا
وقيد لسائر الانبياء كما قال عبده زكريا واذكر عبدنا داود ولانه كان خلقه القرآن قيل ولم يجعل له اى لقلبه عوجا لا يستقيم قبول القرآن ومن
استقامة قلبه انه ليلة المعراج ربيه فاوحى الى عبده ما اوحى بلا واسطة جبريل ونال قلبه الاستقامة بامر التكوين بقوله فاستقم كما امرت اجرا
حسنا هو التمتع من حسن الله وجماله فلعلك باخع نفسك كان من عادته عليه الصلاة والسلام ان يبالغ فى المأمور به حتى ينهى عنه بالغ فى الدعوة
والشفقة على امته حتى قيل له لا تبخع نفسك وبالغ فى الانفاق الى ان اعطى قميصه فقعد عريانا فنهى عنه بقوله ولا تبسطها كل البسط انا جعلنا
ما على الارض زينة لها اى زينا الدنيا وشهواتها للخلق ملائما لطبائعهم وجعلناها محل ابتلاء المحب والسائل لنبلوهم ايهم احسن عملا فى تركها وتجافيا
موثر نفسه طلبا لله ومرضاته ثم اخبر عن سعادة السادة الذين اعرضوا عن الدنيا واقبلوا على المولى بقوله ام حسبت ومعناه لا تعجب من حالهم فان
فى امتك من هو اعجب الامنهم فيهم اصحاب الخلوات الذين كهفهم بيت الخلوة ورقيمهم قلوبهم المرقومة برقم المحبة فانهم اووا الى الكهف خوفا من [illegible]
وفرارا منه فهؤلاء اووا الى الخلوة شوقا الى لقائه وفرارا الى الله وانهم طلبوا النجاة من شره والخروج من الغار بالسلامة بقوله ربنا آتنا الآية فهؤلاء
طلبوا الخلاص من شر نفوسهم والخروج من ظلمات الغار الجسمانى للوصول الى نور الوجود الحقيقى فضربنا على آذان باطنهم وحواسهم الاخروية فى مدة
الخلوة لمحو النقوش الفاسدة عن الواح نفوسهم وانتقاشها بالعلوم الدينية والانوار الالهية ليفنيهم الله عنهم ويبقيهم به وهو سر قوله ثم بعثناهم
اى احييناهم بنا لنعلم اى الحزبين اصحاب الخلوة ام اصحاب السلوة احصى اى اكثر فائدة وانتم عائدة لامد لبثتهم فى الدنيا التى هى مزرعة الآخرة وزدناهم
هدى فانهم كانوا يهدون الايمان الغيبى فلما تممنا ثم بعثناهم حتى صار الايمان ايقانا والغيب عيانا والامداد ونزلهم من الدنيا والهوى وترى الشمس
اذا طلعت قال الشيخ المحقق نجم الدين المعروف بداية هذا اخبار عن اصناف الطائفة باصنافهم وفيه اشارة الى ان نور ولايتهم يغلب نور الشمس ويرده
عن الكهف كما يغلب نور المؤمن نار جهنم لقوله عليه السلام ان المؤمن اذا ورد النار يستغيث النار وتقول جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبى وهم فى فجوة منه فى
متسع وفراغ من تلك النور يدفع عنهم كل ضرر ويراعيهم عن بلى اجسادهم وثيابهم قلت يحتمل انه اراد ان شمس الروح او المعرفة والولاية اذا طلعت من
افق الهداية واشرقت فى سماء الواردات وهو حالة السكر وغلبات الوجد لا يتصرف فى حال خلوتهم الى امر يتعلق بالعقبى وهو جانب اليمين واذا
غربت اى سكنت تلك الغلبات وظهرت حالة الصحو لا يلتفت همم ارواحهم الى امر يتعلق بالدنيا وهو جانب الشمال بل ينحرف عن الجهتين الى المولى
وهم فى حال دفاع وفراغ مما يشغلهم عن الله وتحسبهم ايقاظا منصرفين فى امور الدنيا وهم رقود عنها لانهم يتصرفون فيها لاجل الحق لا لحظ النفس
او تحسبهم ايقاظا مشغولين بامور الآخرة لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وهم رقود منصرفون فى امور الدنيا لان الناس بهم يرزقون وبهم يمطرون
وفى قوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اشارة الى انهم فى التسليم لمقلب القلوب فى الاحوال كلها كالميت بين يدى الغسال وقيل فى الآية
دلالة على ان المريد الذى يربيه الله بلا واسطة المشايخ تكامل امره فى ثلثمائة وتسع سنين والذى يربيه بواسطتهم تم امره فى اربعينات معدودة
ولهذا يكون ثمرة البساتين الدهرية ثمرة الجبال فى قوله وكلبهم باسط اشارة ان كلب نفوسهم نائمة معطلة عن الاعمال [illegible] القلوب لا روا
معنى ان هذا النوع من التربية من قبيل القدرة الالهية التى اخصهم بها ويمكن ان يراد ان نفوسهم صارت بحيث تطيعهم فى جميع الاحوال [illegible]
عما يضرهم ولملئت منهم رعبا بما شاهدت عليهم من آثار الانوار التى زادتهم ولهذا بسبب الهيبة والعظمة التى البسناهم لبثنا يوما او بعض يوم لان ايام
الوصال قصيرة فلما داروا انهم فى دهشة الوصال ونحوة الاحوال قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لانه كان حاضرا معكم وانتم غيب عنكم فابعثوا احدكم [illegible]
انهم ما احتاجوا مدة ثلثمائة وتسع سنين بما نالوا من غذاء الروح كقوله عليه السلام ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى فلما رجعوا من عند الله الحق الى عبدية
انفسهم احتاجوا الى الغذاء الجسمانى ازكى طعاما لما رجعوا الى العالم الجسمانى تعللوا من جمال الله بمشاهدة كل جميل وتوسلوا الى تلك الملاطفات
بلطافة الاغذية الجسمانية وذكاتها ولا يشعرن بكم احدا فيه ان ارباب المعرفة والمحبة يجب ان يحترزوا عن شعور اهل الغفلة والسلوة ليعلموا ان وعد الله حق باحياء
القلوب الميتة حين قدره الامر فيها [illegible] وابدى او اسر واخفى سيقولون ان القوى والاركان الاصلية للانسان ثلثة الحيوانية والطبيعية والنفسانية
التى منشأها القلب والكبد والدماغ رابعهم كلبهم هو النفس الناطقة ويقولون خمسة هو الحواس الظاهرة سادسهم النفس ويقولون سبعة
هو الحواس الظاهرة مع الوهم المدرك للمعانى والخيال المدرك للصور وثامنهم كلبهم هو النفس المدرك للكليات قل ربى اعلم بعدتهم لان القوى
الباطنة والظاهرة وافاعيلها وغاياتها لا يعلمها الا الله سبحانه ومن اطلعه الله عليه وذلك قوله ما يعلمهم الا قليل والله اعلم بالصواب

وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ
وبخوان آنچه وحی کرده شد بسوی تو از قرآن — نیست تغییر دهنده سخنان او را — ونیابی از غیر او پناهگاهی — وشکیبا کن نفس خود را با آنکه
يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
میخوانند پروردگار خود را بامداد وشبانگاه میخواهند خوشنودی او را ودرمگذار چشمهای تو از ایشان — میخواهی آرایش زندگانی دنیا



وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ

فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا

يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ

يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا

عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۝ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا

جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا

وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ

مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا

وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ۝ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ

يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۝ لَٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ

بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ

مَالًا وَوَلَدًا ۝ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ

صَعِيدًا زَلَقًا ۝ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ

كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَمْ

تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ۝ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَ

خَيْرٌ عُقْبًا ۝ وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ

فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ۝ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ۝ القراءة وفجرنا بالتخفيف سهل ويعقوب

دنیا و خصلتهای شایسته بهتر است نزد پروردگارت بپاداش بهتر و امید

غير روح وكان له ثمر وكذا بثمره بفتح الثاء والميم يزيد وعاصم وسهل ويعقوب وابو عامر بضم الثاء واسكان الميم الباقون بضم الثاء والميم جميعا منها على التوحيد ابو عمرو وسهل ويعقوب وعاصم وحمزة وعلي



وخلف الآخرون على التثنية لكن بالتشديد من غير الف في الحالين قنبل وابن عامر وابن فليح ويعقوب بالالف في الوصل بغير الالف واتفقوا
على الالف في الوقف بوجب احد مفتوحة اليا ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وان يزن بفتح اليا السا... بضم العين وكذا في المال
الرحمن الباقون بفتحها ولم يكن له بيا الغيبة الولاية بكسر الواو حمزة وعلى وخلف الآخرون بناء التأنيث وفتح الواو لله الحق بالرفع ابو عمرو وعلى الا
بالجر عقبا بسكون القاف عاصم وحمزة وخلف الباقون بضمها الريح على التوحيد حمزة وعلى وخلف الوقوف من كتاب ربك لا اختلاف الجملتين معناه
عنهم لان ما بعده يصلح حالا او استئنافا محذوف الا الفه لا لنزال العذاب فرطا فليكفر لان الامر للتهديد بدليل انا اعتدنا ولو فصل ما
مطلقا نارا لان ما بعده صفة سرادقها الوجوه المتشابه مرتفقا عملا لاحتمال كون اولئك مع ما بعده خبران الذين وقوله انا لا نضيع جملة
معترضة الا ان اولئك التواب حسن مرتفقا رزعا التحقيق الا للعطف حرفا ثمرة للعدول مع الفاء نفرا لنفسه لاتحاد العامل بل عطفا ابدا قائمة لا لان
ما بعده مثل من قول الكافر في البعث منقلبا رجلا لتمام الاستفهام احدا ما شاء الله لا لتمام المقول لا الا بالله لابتداء الشرط الحذف وجواب مع
اتحاد القائل والمقول ولدا لاحتمال كون ما بعده جوابا للشرط زلقا طلبا احدا منتصرا وقيل يوقف على هنالك والاوجه ان يبتدئ بهنالك
اي عند ذلك يظهر لكل سلطان الله ونفاذ امره الحق على القراءتين عقبا الرياح مقتدرا زينة الحياة الدنيا فصلا بين الجمل الفانية والمؤبد
الباقي مع اتفاق الجملتين املا التفسير لما اجاب عن سؤالهم بما اجاب امر نبيه ان يواظب على تلاوة الكتاب الموحى اليه وعلى الصبر مع الفقراء الذين امنوا
بما انزل عليه واحتمل ان يكون قل امرا من التلاوة بمن التلاوة اي اتبع ما اوحي اليك والزم العمل بمقتضاه وقوله من كتاب ربك بيان للذي اوحى اليه ثم بين
اللزوم فقال لا مبدل لكلماته اي لا يقدر احد على تغييرها وانما يقدر على ذلك هو وحده فليس لك ولا لغيرك الا المواظبة على العلم والعمل به يؤكده قوله
ولن تجد من دونه ملتحدا اي ملجأ تعدل اليه ان هممت بذلك فرضا واصل اللحد الميل كما مر في قوله يلحدون في اسمائه ثم سولت في سورة الانعام
طرد فقراء المؤمنين بقوله ولا تطرد الذين الاية ولعله وفي هذه السورة بحبس النفس معهم ويمر اقترحوا لهم بقوله ولا تعد عيناك قال الزجاج انما قيل ولا
تعدهم عيناك لان عدا اذا جاوزه لانه ضمن عدا معنى نبا وفيه مبالغة من جهة تحصيل المعنيين جميعا كانه قيل ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين الى غيرهم ثم
نهاه عن الالتفات الى الاغنياء الكفرة الذين التمسوا منه طرد الفقراء حتى يؤمنوا به فقال ولا تطع من اغفلنا قلبه قال اهل السنة معنى الاغفال ايجاد
الغفلة وخلقها فيهم او من اغفلها اذا تركها بغير سمة اي لم نسمه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا في قلوبهم الايمان ويؤيد هذا المعنى ان الغفلة عن
الذكر لو كانت بايجاد العبد والقصد الى ايجاد الغفلة عن الشيء لا يتصور الا مع الشعور به ذلك لزم اجتماع الضدين وقالت المعتزلة معنى اغفلناه وجدناه
غافلا او الخذلان والتخلية بينه وبين الاسباب المؤدية الى الغفلة يؤيده قوله واتبع هواه بالواو دون الفاء اذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة
في القلب لقيل فاتبع بالفاء ويمكن ان يجاب بانه لا يلزم من كون الشيء في نفس الامر نتيجة لشيء ان يعتبر كونه نتيجة له والفاء من لوازم الثاني دون الاول على
ان الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير كلية فقد يكون الانسان غافلا عن ذكر الله ومع ذلك لا يتبع هواه بل يبقى متوقفا
متحيرا وكان امره فرطا اي متجاوزا عن حد الاعتدال من قولهم فرس فرط اذا كان متقدما للخيل ويلزم منه ان يكون نابذا للحق وراء ظهره واثنى ثناء
وحدث حال الاغنياء المتجبرين بخلاف الفقراء المؤمنين لان هؤلاء الفقراء يدعون ربهم بالغدوة والعشي ابتغاء وجه الله وطلبا لمرضاته فاقبلوا على
الحق وشغلوا عن الخلق والاغنياء قد اعرضوا عن المولى واقبلوا على الدنيا فوقعوا في ظلمة الهوى يعمهون في تيه الجهل والعمى وانما لم يطرد الفقراء لاجل ايمان الاغنياء لان
من ترك الايمان مرارا من مجالسة الفقراء كلا ايمان فوجب ان لا يلتفت اليه ثم بين ان الحق ما هو ومن اين هو فقال وقل الحق من ربكم اي الدين الحق
ووجد من عند الله ويحتمل ان يراد بالحق الصبر مع الفقراء وقال في الكشاف الحق خبر مبتدأ محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم يبق الا اختيار
الايمان او الكفر وفيه دليل على ان الايمان والكفر والطاعة والمعصية كلها مفوضة الى مشيئة العبد واختياره وحملت الاشاعرة على الامر للتهديد وقالوا ان
الفعل الاختياري يمتنع حصوله بدون القصد اليه ثم ذلك القصد لا بد ان يقع بالاختيار والقصد فنقل الكلام اليه ولا يتسلسل فلا بد ان ينتهي الى
قصد واختيار يخلقه الله فيه فالانسان مضطر في صورة مختار في صورة هيئة الجبر ولا لزم على انه سبحانه لا ينتفع بايمان المؤمنين ولا يتضرر بكفر الكافرين
ثم بين وعيد الظالمين الذين وضعوا الكفر موضع الايمان وتحقير المؤمنين لاجل فقرهم مكان تعظيمهم لاجل ايمانهم فقال انا اعتدنا اي اعددنا وهيأنا
للظالمين نارا احاط بهم سرادقها وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط فاثبت للنار شيئا شبيها بذلك يحيط بهم من جميع الجهات والمراد انه لا مخلص لهم منها
ولا فرج وقيل هو حائط من نار يطيف بهم وقيل هو دخان يحيط بالكفار قبل دخولهم النار وهو المراد بقوله انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله تعالى
بماء وارد على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف والمهل كل ما اذيب من المعدنيات كالذهب والفضة والنحاس قاله ابو عبيدة والاخفش وقيل في حديث
مرفوع انه دردي الزيت وقيل الصديد والقيح وضرب من القطران وهذه الاستغاثة اما لطلب الشراب كقوله نسقى من عين آنية واما لدفع الحر
لاجل التبريد كقوله حكاية عنهم ان افيضوا علينا من الماء وروي انهم اذا استغاثوا من حر جهنم صب عليهم القطران الذي يعم كل ابدانهم كالقميص وقد
يفسر به قوله سرابيلهم من قطران عن النبي صلى الله عليه وسلم هو يعني المهل كعكر الزيت اذا قرب اليه سقطت فروة وجهه وهذا معنى قوله يشوي الوجوه بئس الشراب
ذلك لان المقصود من الشراب ازالة الاحتراق وهذا يحرقها ويشويها وساءت اي النار مرتفقا متكأ لاهلها وضمنه المرفق لانه يتكى عليه فالعياذ بالله
هذه المشاكلة لقوله في اهل الجنة وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار الا ان يراد معنى يرتفق اي ينتصب مرفقه ويرغم به خده كما تفعله المغتمين

الاغنياء لان
الايمان منهم

فقالوا

وقال قائلون ان الشياطين رفقاء اهل النار من الانس والمعنى ساءت النار مجتمعا الاولئك الرفقاء ثم شرع في وعد المؤمنين فقال ان الذين امنوا الاية
فان جعلت انا لا نضيع اعتراضا فظاهر وان جعلته خبرا واولئك خبرا اخر اوكلاهما مستانفا فالاجر المبهم هو في معنى العموم فيمن احسن يقوم مقام الرابط الضمير
والتقدير من احسن عملا منهم ونفسير جنات عدن قد مر في سورتي التوبة والرعد ولاهل الجنة لباسان لباس التحلي ولباس الستر ولم يسم فاعل يحلون
للتعظيم وهو اسجل وعلا او الملائكة باذنه ومن في من اساور للابتداء وفي من ذهب للتبيين وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن واساور
اهل الجنة بعضها ذهب لهذه الاية وبعضها فضة لقوله وحلوا اساور من فضة وبعضها لؤلؤ كقوله في الحج ولؤلؤا وجمع في لباس الستر بين السندس
وهو ما رق من الديباج وبين الاستبرق وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين والاستبرق عند بعضهم معرب استبرك وقيل انما لم يسم فاعل يحلون اشارة
الى ان الحلى بفضل الله بها عليهم كرما وجودا ونسب اللبس اليهم تنبيها على انهم استوجبوه بعملهم ثم وصفهم بهيئة المتنعمين والملوك من الاتكاء على السرر
والارائك جمع اريكة ثم ان الكفار كانوا يفتخرون بخدمهم وحشمهم واموالهم واصناف تمتعاتهم على الفقراء المؤمنين فضرب الله مثلا للطائفتين
تنبيها على ان متاع الدنيا لا يوجب الافتخار لاحتمال ان يصير الغني فقيرا والفقير غنيا انما الفخر بالاعمال الصالحات والمراد مثل حال الكافرين
والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين من بني اسرائيل احدهما كافر اسمه فطروس والاخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية الاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن اللهم ان اخي اشترى ارضا
بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج
اخوه امراة بالف فقال اللهم اني جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين بالف فتصدق
به ثم اصابته حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر في حشمه فتعرض له وطرده ووبخه على التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة
زوج ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر هو الاسود بن عبد الاشد اما قوله وحففناهما بنخل فقال صاحب الكشاف انه يتعدى الى المفعول الثاني بالباء ومعناه جعلنا
النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها مؤزرة بالاشجار ولا سيما المثمرة منها وخاصة النخيل اذا امكن وجعلنا بينهما زرعا
فهما جامعتان للاقوات والفواكه ووصفهما بانهما تاتي في كل وقت بمنفعة اخرى متواصلة متشابكة وكل منهما متعوتة بوفاء الثمار وتمام الاكل وانث حملا على
لفظ كلتا لان لفظه مفرد ولو قيل اتتا على المعنى لجاز والظلم اصله النقصان وهو المراد ههنا وفجرنا من قرا بالتخفيف فظاهر لانه نهر واحد ومن قرا
بالتشديد فللمبالغة لان النهر ممتد في وسطهما فهو كالانهار وكان له ثمر قال الكسائي الثمرة اسم الواحد والثمر جمع وجمعه ثمار ثم ثمر ككتاب وكتب بالحركة
او بالسكون وذكر اهل اللغة ان الثمر بالضم انواع الاموال من الذهب والفضة وغيرهما والثمر بالفتح حمل الشجرة وقال قطرب كان ابو عمرو بن العلاء
يقول الثمر المال والولد اي كان يملك مع الجنتين اشياء من النقود وغيرها وكان متمكنا من عمارة الارض وسائر التمتعات كيف شاء والمحاورة مراجعة
الكلام من حار اذا رجع والنفر الانصار والحشم الذين يقومون بالذب عنه وقيل الاولاد الذكور لانهم ينفرون معه دون الاناث ثم ان الكافر كان قد اخذ
بيد المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويفاخره بما ملك من المال دونه وذلك قوله سبحانه ودخل جنته قال جار الله معنى افراد الجنة بعد
التثنية انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما قلت لا يبعد ان يكون قد
دخل مع اخيه جنة واحدة منهما او جعل مجموع الجنتين في حكم جنة واحدة منهما او جعل مجموع يؤيده توحيد الضمير على اكثر القراآت في قوله لاجدن خيرا
منها وانما وصفه بقوله وهو ظالم لنفسه لانه لما اغتر بتلك النعم ولم يجعلها وسيلة الى الايمان بالله والاعتراف بالبعث وسائر معتقدات ان الله
كان واضعا للنعم في غير موضعها على ان نعم الجنة بخصوصها مما يجب ان يستدل بها على احوال النشور كقوله عز من قائل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها
الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى عكس الكافر القضية من زعم دوام جنته التي هي بصدد الزوال فقال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه الجنة
ابدا وذلك لطول امله واستيلاء الحرص عليه واغتراره بالمهلة حتى انكر المحسوس وادعى غلبة الظن بامتناع الحشر مع قيام الدلائل العقلية والحسية
على امكانه ووجود الدلائل الشرعية على وجوبه فقال وما اظن الساعة قائمة ثم اقسم على انه ان رد الى ربه فرضا وتقديرا وكما يزعم صاحبه ان له ربا وانه سيرد
اليه وجد خيرا من جنته في الدنيا كانه قاس الغائب على الشاهد وادعى ان النعم الدنيوية لن يكون استدراجا اصلا وانما يكون استحقاقا وكرامة
ومنقلبا نصب على التمييز اي مرجع تلك وعاقبتها لكونها باقية بزعمكم خير من هذه لكونها فانية حسا او في اعتقادكم قال بعض العلماء الرد
يتضمن كراهة المردود اليه فلهذا قال ولئن رددت اي عن جنتي هذه التي اظن ان لا تبيد هذه ابدا الى ربي ولما لم يتضمن مثل هذا المعنى في حم
قال هناك ولئن رجعت الى ربي قوله اكفرت ذلك زعم الجمهور ان اخاه انما حكم بكفره لانه انكر البعث واقول يحتمل ان يكون كافرا بالله بل مشركا
لقوله بعد ذلك يا ليتني لم اشرك بربي احدا ولقول اخيه معرضا به لكنا هو الله ربي ولبس في قوله ولئن رددت الى ربي دلالة على انه كان عارفا بربه لاحتمال
ان يكون قد قال ذلك بزعم صاحبه كما اشرنا اليه وقوله خلقك من تراب اي خلق اصلك وهو اشارة الى المادة البعيدة وقوله من نطفة اشارة
الى المادة القريبة ومعنى سواك رجلا عدلك وكملك حال كونك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال المكلفين ويجوز ان يكون رجلا تمييزا و
لعل السر في تخصيص الله سبحانه فيهذا المقام بهذا الوصف هو ان يكون دليلا على وجود الصانع اولا ان الامتنان لاجل هذا المطلوب
بخلق الانسان اقرب للامتنان لا الى وفيه ايضا اشارة الى امكان البعث لان الذي قدر على الاعادة وفيه انه خلقه فقيرا لا غنيا فعلم انه خلقه



للعبودية والاقرار للعجز والانكار ثم استدرك بقوله اكفرت كانه قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد واصل لكنا لكن انا حذفت
الهمزة بعد القاء حركتها على ما قبلها ثم استثقل اجتماع النونين فسكنت الاولى وادغمت في الثانية وضمير الغائب للشان والجملة بعده خبر
للشان والمجموع خبر انا والراجع ياء الضمير وتقدير الكلام لكن انا الشان الله ربي قال اهل العربية اثبات الف انا في الوصل ضعيف لكن قراءة
ابن عامر قوية بناء على ان الالف كالعوض عن حذف الهمزة ولولا للتحضيض وفعله قلت واذ دخلت ظرف وقع في البين توسعا وقوله ما شاء الله
خبر مبتدأ محذوف وجملة شرطية محذوفة الجزاء تقدير الكلام الامر ما شاء الله واى شئ شاء الله كان استدل اهل السنة بالاية في انه لا يدخل
في الوجود شئ الا بامر الله ومشيئته واجاب الكعبي بان المراد ما شاء الله مما تولى فعله لا ما هو من فعل العباد والجواب ان هذا مما يخرج الكلام
عن الفائدة فانه كقول القائل السماء فوقنا واجاب القفال بانه اراد ما شاء الله من عمارة هذا البستان ويؤيده قوله لا قوة الا بالله اي ما قويت
على عمارته وتدبير امره فهو بمعونة الله وزيف بانه تخصيص للظاهر من غير دليل على ان عمارة ذلك البستان لعلها حصلت بالظلم والعدوان فالحق
انه لا قوة لاحد على امر من الامور الا باعانة الله وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من يشاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية
حتى يخرج ثم لما علمه الايمان وتفويض الامر الى مشيئة الله اجابه عن افتخاره بالمال والنفر فقال ان ترن انا اقل (انا فصل واقل مفعول ثان) وما لا وولدا
نصب على التمييز فعسى ربي ان يؤتين في الدنيا او في الآخرة جنة خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر كالغفران بمعنى الحساب اى مقدارا قدره
في حسابه الله وهو الحكم بتخريبها وعن الزجاج عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداك وقيل هو جمع حسبانة وهو السهم القصير يعني الصواعق فتصبح
صعيدا زلقا ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها او زلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر كقولهم فلان زور وصوم ثم اخبر سبحانه عن تحقيق ما قدره
المؤمن فقال واحيط بثمره وهو عبارة عن اهلاكه وافنائه بالكلية من احاطة العدو بالشخص كقوله الا ان يحاط بكم فاصبح يقلب كفيه اي يندم على
ما انفق فيها لان النادم يفعل كذلك غالبا كما قد يعض انامله وهي خاوية على عروشها اي سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم
وقد مر في البقرة في قصة عزير ويقول يا ليتني لم اشرك تذكر موعظة اخيه وفيه دلالة ظاهرة على ما قلنا من انه كان غير عارف بالله بل كان عابد صنم
ومن ذهب الى انه جعل كافرا لانكاره البعث فسره بان الكافر لما اغتر بكثرة الاموال والاولاد فكانه اثبت لله شريكا في اعطاء العز والغنى او انه لما
عجز الله عن البعث فقد جعله مساويا للخلق في هذا الباب وهو نوع من الاشراك وليس هذا الكلام منه ندما على الشرك ورغبة في التوحيد المحض و
لكنه رغبة في الايمان رغبة في جنته وطمعا في دوام ذلك عليه فلهذا لم يصر ندمه مقبولا ووصفه بعد ذلك بقوله ولم يكن له فئة طائفة ينصرونه من
دون الله لانه وحده قادر على نصرة العباد وما كان منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقام الله ولما علم من قصة الرجلين ان النصرة والعاقبة المحمودة
كانت للمؤمن على الكافر علم ان الامر هكذا يكون في حق كل مؤمن وكافر فقيل هنالك اي في مثل ذلك الوقت والمقام الولاية لله الحق او الولاية لله
الحق والولاية بالفتح النصرة والتولي وبالكسر السلطان والملك والمراد في مثل تلك الحالة الشديدة يتولى الله ويلتجئ اليه كل مضطر يعني
قول الكافر يا ليتني انما صدر عنه الجاء واضطرارا وجزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها وقيل هنالك اشارة الى الآخرة كقوله لمن
الملك اليوم لله وعقبا بضم القاف وسكونها بمعنى العاقبة لان من عمل لوجه الله لم يخب قط ثم ضرب مثلا آخر للجبابرة من قريش فقال واضرب لهم الآية
وقد مر مثله في اوائل يونس انما مثل الحيوة الدنيا كماء ومعنى فاختلط به النبات بسببه وقيل معناه روى النبات ورف لاختلاط الماء به وذلك لان
الاختلاط يكون من الجانبين والهشيم ما هشم وحطم والذرو النظر والانتهاب يقال ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذروا وذريا وكان
الله على كل شئ مقتدرا فمن تكوينه اولا وتنميته وسطا وازهاقه آخرا ولا ريب ان احوال الدنيا ايضا كذلك تظهر اولا في غاية الحسن والنضارة ثم
تتزايد الى ان تتكامل ثم تنتهي الى الزوال والفناء ومثل هذا ليس للعاقل ان يبتهج به وحين مهد القاعدة الكلية خصصها بصورة جزئية
فقال المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات هي اعمال الخير التي تبقى ثمرتها خير عند ربك ثوابا اي تعلق ثواب وخير املا
لان الجواد المطلق افضل مسئول واكرم مأمول وقيل هي الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ففي التسبيح تنزيه له
عن كل ما لا ينبغي وفي الحمد اقرار له بكونه مبدأ لافادة كل ما ينبغي وفي التهليل اعتراف بانه لا شئ في الامكان متصفا بالوصفين الا هو وفي
التكبير اذعان لغاية عظمته وانه اجل من ان يعظم وقيل الطيب من القول والاصح كل عمل اريد به وجه الله وحده قال قتادة التأويل
واتل على نفسك ما اوحي اليك من كتاب كتبه ربك في الازل لا مبدل لكلماته الى الابد مع الذين يدعون ربهم وهم القلب والسر والروح والخفي في غداة
الازل الى عشي الابد فانهم مجبولون على طاعة الله كما ان النفس جبلت على طاعة الهوى وطلب الدنيا ولا تعد عيناك عنهم فانك ان لم تراقب
احوالهم يغرق فيهم النفس الامارة ولا تطع من اغفلنا يعني النفس نارا هي نار القهر والغضب احاط بهم سرادقها يعني سرادق العزة بماء كالمهل
كل ما هو لاهل اللطف سبب لسهولة العيش وفراغ البال فانه سبحانه جعل لاهل القهر سببا لصعوبة الامر وشدة التعلق حتى شوت الوجوه اي
حرقت مواد التفاتهم الى عالم الارواح وفسدت استعداداتهم فبقوا في اسفل سافلين الطبيعة يحلون فيها من اساور والحلية بالاساور اشارة الى
ظهور آثار الملكات عليهم وقول من ذهب الى انها ملكات مستحسنة معتدلة راسخة ويلبسون ثيابا فيه ان انوار العبادات تلوح عليهم وتشمل
بهم وقوله خضرا اشارة الى انها انوار غير ظاهرة ومن سندس اشارة الى ما لطف من الرياضات واستبرق الى ما شق منها متكئين فيها على

التعد جمع

ينصرونه ع



الاوائل لانهم فرغوا لها وكلفوا وقضوا ما عليهم من المجاهدات وبقي ما لهم من المشاهدات مثلا رجلين هما النفس الكافر والقلب المؤمن جعلنا لاحدهما وهو النفس جنتين هما الهوى والدنيا من اعناب الشهوات وحففناهما بنخل حب الرياسة وجعلنا بينهما زرعا من التمتعات البهيمية وفجرنا خلالهما نهرا من القوى البشرية والحواس وكان له ثمر من انواع الشهوات وهو يحاوره يجاذب النفس القلب انا اكثر منك مالا اي ميلا واعز من اوصاف المذمومات وهو ظالم لنفسه في الاستمتاع بجنة الدنيا على وفق الهوى لاجدن خيرا منها لانه غير بالله وكرمه قال له صاحبه القلب اكفرت بالذي خلقك هلا قلت ما شاء الله اي تصرف في جنة الدنيا كما شاء الله على ما انعم فيها من نعم وحسن لا منعة اخرى لكنا انزلناه هو الروح العلوي الذي نزل الى ارض الجسد فاختلط الروح بالاخلاق الذميمة فاصبح هشيما لانه اثر منه تذروه الاخلاق الروحانية وتذروه رياح الاهوية المختلفة فيكون لها خلاف روح اذ ركبنا العناية الازلية فبعث اليه مطعمان من اهل الكمال قريبه بما العلم والعمل يبصر شجرة طيبة والباقيات الصالحات اي ما في منتك وتبقى بك والله اعلم بالصواب

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ۝ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ۝ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۝ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ۝ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝

القراءة نسير الجبال على بناء الفعل للمفعول ورفع الجبال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو والآخرون على بناء الفعل للفاعل ونصب الجبال ما اشهدناهم يزيد الاخرون ما اشهدتهم

وما كنت على الخطاب وروى ابن وردان عن يزيد بالنون على التكلم ويوم نقول بالنون حمزة والباقون على الغيبة لمهلكهم بفتح الميم وكسر اللام
حفص لمهلكهم بفتحهما يحيى عن حماد والمفضل والباقون بضم الميم وفتح اللام الوقوف بارزة لا لان الغدير وقد حشرناهم قبل ذلك احدا لا لانه
مع العطف صفا لا للعدول الى الخطاب اى يقال لهم لقد جئتمونا اول مرة لا لان بل قد يبتدأ به مع ان الكلام متحد موعدا ه احسنها الاستيناف الواو
لعد تمام الاستفهام مع احتمال الحال باضمار قد حاضرا ط احدا ه الا ابليس ط امر ربه ط عدو ط بدلا ه انفسهم ص عضدا ه موبقا ه مصرفا ه مثل ط جدلا
قبلا ه وسند ربه لاحتمال ما بعده الحال والاستيناف هزوا ه يداه ط وقراءة ابدا ه الرحمة ط العذاب ط موئلا ه موعدا ه التفسير لما بين خساسة
الدنيا وشرف الاخرة اردفه باحوال يوم القيمة واهواله وفيه رد على اغنياء المشركين الذين افتخروا بكثرة الاموال والاولاد على فقراء المسلمين
والتقدير واذكر يوم كذا عطفا على واضرب ويجوز ان ينتصب بالقول المضمر قبل لقد جئتمونا وفاعل التسيير هو الله تعالى الا انه سمى على احدى
القراءتين ولم يسم فى الاخرى فتسييرها اما الى العدم لقوله ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا
واما على موضع لا يعلمه الا الله وترى الارض بارزة لانه لا يبقى على وجهها شئ يسترها من العمارات ولا من الجبال والاشجار واما لانها برزت
ما فى بطنها من الاموات لقوله والقت ما فيها وتخلت فيكون الاسناد مجازيا اى بارزا ما فى جوفها وحشرناهم الضمير للخلائق المعلوم حكما فلم نغادر
منهم احدا من الاولين والاخرين يقال غادره واغدره اذا تركه والترك غيره لا يقع ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل لان اللائق بحال
السيل ان يذهب بالماء كله ولا يخفى ان اللائق بحال رب العزة ان لا يترك احدا من خلقه غير محشور والا كان قدحا فى علمه وحكمته وقد مر قالت المشبهة
فى قوله وعرضوا على ربك دليل على انه سبحانه فى مكان يمكن ان يعرض عليه اهل القيمة وكذا فى قوله لقد جئتمونا واجيب بانه تعالى شبه وقوفهم فى الموضع الذى
يسئلهم فيه عن اعمالهم بالعرض عليه والمجئ الى حكمه كما يعرض الجند على السلطان وانتصب صفا على الحال اى مصطفين ظاهرين ترى جماعتهم كما يرى كل
واحد لا يحجب احد احدا والصف اما واحد واما جمع كقوله يخرجكم طفلا اى اطفالا وقيل صفا اى قياما وبه فسر قوله فاذكروا اسم الله عليها صواف وقال القفال
يشبه ان يكون الصف راجعا الى الظهور والبروز ومنه الصفصف للصحراء وهذا قريب من الاول وقد مر فى الانعام ان وجه التشبيه فى قوله خلقناكم انهم
يبعثون عراة لا شئ معهم او المراد بعثناكم كما انشأناكم وزعمهم ان لن يجعل الله لهم موعدا اى وقتا لانجاز ما وعدوا على السنة الانبياء اما ان يكون حقيقة
واما لان افعالهم تشبه فعل من يزعم ذلك ووضع الكتاب اى جنسه وهو صحف الاعمال والوضع اما حسى وهو ان يوضع كتاب كل انسان فى يده اما فى اليمين
او فى الشمال واما عقلى ومعناه النشر والاعتبار فترى المجرمين مشفقين خائفين مما فى الكتاب لان الخائف خائف خوف العقاب وخوف الافتضاح ومعنى
النداء فى يا ويلتنا قد مر فى المائدة فى قوله يا ويلتى اعجزت وقوله صغيرة ولا كبيرة صفتان للهنية او المعصية او الفعلة وهى عبارة عن الاحاطة وضبط
كل ما صدر عنهم لان الاشياء اما صغار واما كبار فاذا احصى الصنفين فقد حصر الكل وعن الفضيل ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر قلت وذلك ان
تلك الصغائر هى التى جرأتهم على الكبائر وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وجوز فى الكشاف ان
يريد ما كان عندهم صغائر وكبائر وتمام البحث فى المسئلة اسلفناه فى اوائل سورة النساء فى تفسير قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر ووجدوا ما
عملوا حاضرا فى الصحف مثبتا فيها او وجدوا اجزاء ما عملوا ظاهرا على صفحات احوالهم ولا يظلم ربك احدا استدل الجبائى به على بطلان مذهب الاشاعرة
فى ان الاطفال يجوز ان تعذب بذنوب ابائهم فان ذلك ظلم والجواب ان الظلم انما يتصور فى حق من يتصرف فى غير ملكه قالوا ولو ثبت ان له بحكم المالكية
ان يفعل ما يشاء من غير اعتراض عليه لم يكن لهذا الاخبار فائدة واجيب بان تلك القضية بعد الدلائل العقلية علمت من مثل هذه الاية عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحاسب الناس فى القيمة على ثلثة يوسف وايوب وسليمان يدعو المملوك فيقول له ما شغلك عنى فيقول جعلتنى عبدا لادمى فلم يدعنى فيدعوا
يوسف فيقول كان هذا عبدا مثلك فلم يمنعه ذلك ان عبدنى فيؤمر به الى النار ثم يدعو بالمبتلى فاذا قال اشغلتنى بالبلاء دعا بايوب فيقول قد ابتليت
هذا باشد من بلائك فلم يمنعه ذلك من عبادتى ويؤمر به الى النار ثم يؤتى بالملك فى الدنيا مع ما اتاه الله من الغنى والسعة فيقول كما ذا عملت فيما
اتيتك فيقول شغلنى الملك عن ذلك فيدعى سليمان فيقول هذا عبدى سليمان اتيته اكثر مما اتيتك فلم يشغله ذلك عن عبادتى اذهب فلا عذر
لك فيؤمر به الى النار ثم انه سبحانه عاد الى الرد على ارباب الخيلاء من قريش فذكر قصة ادم واستكبار ابليس عليه قال جار الله قوله كان من الجن كلام
مستأنف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كأن قائلا قال ما له لم يسجد فقيل كان من الجن ففسق والفاء للتسبيب لكونه من الجن
فى فسقه ولو كان ملكا لم يفسق لثبوت عصمة الملئكة وقال اخرون اشتقاق الجن من الاستتار عن العيون فيشمل الملئكة والنوع المسمى بالجن ثم من
لم يوجب عصمة الملك فظاهر ومن اوجب قال كان بمعنى صار اى مسخ عن حقيقة الملئكة الى حقيقة الجن وقد سلف هذا البحث بتمامه فى اول سورة البقرة
ومعنى فسق عن امر ربه خرج عن طاعته وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه انه لما امر فعصى كان سبب فسقه هو ذلك الامر الشاق لما حصل ذلك الفسق
فلهذا حسن ان يقال الفسق عن امر ربه وقال قطرب هو على حذف المضاف اى فسق عن ترك امره ثم عجب من حال من اطاع ابليس فى الكفر والمعاصى وخالف
امر الله فقال افتتخذونه كانه قيل اعقيب ما وجد منه من الاباء والفسق تتخذونه وذريته اولياء من دونى وتستبدلونهم بى وقصة ادم وابليس سمعها
قريش من اهل الكتاب وعرفوا صحتها فلذلك صح الاحتجاج بها عليهم وان لم يعتقدوا كون محمد نبيا بئس للظالمين بدلا اى بئس البدل من الله ابليس
لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته قال الجبائى فى الاية دلالة على انه لا يريد الكفر ولا يخلقه فى العبد والا لم يصح هذا الذم والتوبيخ ومر

بالعلم والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق ان الداعي لكفار قريش الى ترك دين محمد صلى الله عليه وسلم هو النخوة والعجب والترفع والتكبر وهذا شأن ابليس
ومن تابعه فكل من كان غرضه من العلم او العمل الفخر على الاقران والترفع على ابناء الزمان فانه مقتدى بابليس وذريته وهذا مقام صعب
نسأل الله الخلاص منه ثم نبه على فساد عقيدة اهل الشرك وبطلان طريقتهم بقوله ما اشهدتهم فالاكثرون على ان الضمير للشركاء والمراد انهم لو كانوا
شركاء لي في خلق السموات والارض وفي خلق انفسهم يعني لو كان بعضهم شاهدين خلق بعض مشاركين لي فيه كقوله ولا تقتلوا انفسكم لامكن ان
يكونوا شركاء لي في العبادة لكن الملزوم المساوي منتف فاللازم مثله يؤيد هذا التفسير قوله وما كنت متخذ المضلين اي متخذهم عضدا اعوانا
فوضع المضلين موضع الضمير نعيا عليهم بالاضلال وقيل الضمير للمشركين الذين التمسوا طرد فقراء المؤمنين والمراد انهم ما كانوا شركاء لي في
تدبير العالم بدليل اني ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما اعتضدت بهم في تدبير الدنيا والاخرة بل هم قوم كسائر الخلق فلم
ان من اقترح عليك اقتراحات عظيمة فانك تقول له لست سلطان البلد ولا مدبر المملكة حتى نقبل منك كل اقتراحاتك وقيل اراد ان هؤلاء
الظالمين جاهلون بما جرى به القلم في الازل من احوال السعادة وضدها لانهم لم يكونوا شاهدين خلق العالم فكيف يمكنهم ان يحكموا بحسن حالهم
عند الله وبشرفهم ورفعتهم عند الخلق وباضداد هذه الاحوال للفقراء ومن قرأ وما كنت بفتح التاء فالخطاب للرسول والمعنى وما صح لك الاعتضاد
بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم ثم عاد الى تهويلهم باحوال يوم القيمة واضاف الشركاء الى نفسه على معتقدهم توبيخا لهم ونحوي الكلام باحد احوالهم واحوال
الهتهم يوم القيمة اذ يقول الله لهم نادوا اي ادعوا من زعمتم انهم شركائي فاهلتموهم للعبادة قال المفسرون اراد الجن فدعوهم لم يذكر في هذه الاية انهم
كيف دعوا تلك الشركاء ولعل المراد بها في الاية الثانية هلاكا كقولهم لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل والمراد جعلنا تواصلهم
في الدنيا هلاكا يوم القيمة وفي الكشاف الموبق المهلك وهو مصدر كالمورد اي جعلنا بينهم واديا من اودية جهنم مشتركا هو مكان الهلاك والعذاب
الشديد يهلكون فيه جميعا وجوز ان يريد بالشركاء الملائكة وعزيرا وعيسى عليهم السلام وبالموبق البرزخ اي جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك فيه الساير
الفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان قوله فظنوا اي علموا وايقنوا والاقرب ان الكفار يرون النار من مكان بعيد فيغلب على ظنونهم انهم
مخالطوها وواقعون فيها في تلك الساعة من غير تأخير ولا مهلة لشدة ما يسمعون من تغيظها نظيره اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
ولم يجدوا عنها مصرفا اي معدلا الى غيرها لان الملئكة يسوقونهم اليها اخر الامر ولما ذكر ان الكفرة افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة اموالهم ومنصرفاتهم
واجاب عن شبههم واقوالهم الفاسدة وضرب الامثال النافعة وحكى اهوال الاخرة قال ولقد صرفنا وقد مر تفسيره في السورة المتقدمة وحين لم يترك
الكفار جدالهم وكانوا ابدا يتعللون بالاعذار الواهية ختم الاية بقوله وكان الانسان اكثر شيء جدلا يعني ان الاشياء التي يتأتى منها الجدال فصلها
واحدا بعد واحد فان الانسان اكثرها خصومة وقوله اكثر شيء كقوله اول مرة وقد مر في الانعام وكثرة جدل الانسان لسعة مضطربه فيما بين اوج الملكية
الى حضيض البهيمية فليس له في جانبي التصاعد والتسافل مقام معلوم قال اهل البرهان قوله ثم في سورة بني اسرائيل وما منع الناس ان يؤمنوا
اذ جاءهم الهدى وقال في هذه السورة بزيادة ويستغفروا ربهم لان المعنى هناك ما منعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الا قولهم ابعث الله بشرا رسولا هلا بعث
ملكا وجهلوا ان التجانس يورث التوانس ومعنا في هذا الموضع ما منعهم الايمان والاستغفار والاتيان بسنة المرسلين وانتظار ذلك وعن الزجاج
الا طلب سنتهم وهو قولهم ان كان هذا هو الحق وزاد في هذه السورة ويستغفروا ربهم لان قوم نوح امروا بالاستغفار استغفروا ربكم انه كان غفارا
وكذا قوم هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه وقوم صالح واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب وقوم شعيب واستغفروا ربكم
ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود فلما خوفهم سنة الاولين اجرى المخاطبين مجراهم والحاصل انهم لا يقدمون على الايمان والاستغفار الا عند نزول
عذاب الاستيصال او عند تواصل اصناف البلاء عيانا ومن قرأ قبلا بضمتين اراد انواعا جمع قبيل قالت المعتزلة في الاية دلالة على انه لا مانع من الايمان
اصلا وقالت الاشاعرة العلم بانه لا يؤمن والداعي الذي يخلقه الله في الكافر يمنعانه فالمراد فقدان الموانع المحسوسة ثم بين انه انما ارسل الرسل مبشرين
بالثواب على الطاعة ومنذرين بالعقاب على المعصية لكي يؤمنوا طوعا وبين انه مع هذه الاحوال يجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به اي
ليبطلوا به الحق من ادحاض القدم وهو ازلاقها واتخذوا اياتي وما انذروا اي الذي انذروه من العقاب او انذارهم هزوا موضع استهزاء فالجدال
الله جدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملئكة وما اشبه ذلك قال اهل العرفان قوله ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه اي بالقران بدليل
قوله ان يفقهوه بتذكير الضمير فاعرض عنها ونسي ما قدمت يداه من الكفر والمعاصي فلم يتفكر في عاقبتها ولم يتدبر في خرابها متمسك القدرية وانما
قال في السجدة ثم اعرض عنها لان ما في هذه السورة في الكفار الاحياء الذين بين انهم منوعين بعد اي ذكروا فاعرضوا عقيب ذلك وما في السجدة في الكفار
الاموات بدليل قوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم اي ذكروا مرة بعد اخرى وزمانا بعد زمان ثم اعرضوا عنها بالموت فلم يؤمنوا وانقطع رجاء ايمانهم
وقوله انا جعلنا وقد مر تفسيره في الانعام الى قوله فلن يهتدوا اذا ابدا متمسك الجبرية وقلما تجد في القران دليلا لاحد الفريقين الا ومعه دليل للفريق
الاخر فهذا ابتلاء من الله وليعلم ان لعبد ذلك اظهار مغفرته ورحمته على عباده كما قال وربك الغفور ذو الرحمة قال المفسرون الضمير في قوله لو يؤاخذهم
لاهل مكة الذين افرطوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والموعد يوم بدر واقول لا يبعد ان يكون الضمير للناس في قوله ولقد صرفنا للناس والموعد القيمة والموئل
الملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه قال الامام فخر الدين الرازي انما ذكر لفظ المبالغة في المغفرة دون الرحمة لان المغفرة ترك الاضرار والرحمة ايصال



النفع وقدرة الله تعالى يتعلق بالاول لان نهاية الامضار لانهاية لها ممكن ولا يتعلق بالثاني لان فعل ما لا نهاية له محال اولى هذا فرق دقيق لو سا عده
النقل على ان قوله ذو الرحمة ايضا لا يخلو عن مبالغة وكثيرا ما ورد في القرآن انه غفور رحيم بلفظ المبالغة في الجانبين وفي تعلق القدرة بترك
غير المتناهي ايضا نظر لان مقدورات الله متناهية لا فرق في ذلك بين المبقى والمتروك ثم اشار الى قرى الاولين اعتبار الغيرهم فقال وتلك القرى
باسم الاشارة مبتداء وفيه تعظيم لشانهم او تبعيد لزمانهم ومكانهم والقرى صفته وما بعده خبره لا يخفى حذف المضاف اي وتلك اصحاب القرى
اهلكناهم ويجوز ان يكون تلك القرى منصوبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير وجعلنا لزمان هلاكهم او لاهلاكهم او وقت هلاكهم موعدا
وعدا او وقت وعدا لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمراد انا عجلنا هلاكهم ومع ذلك لم ندع ان نضرب لهم وقتا يمكنهم التوبة قبل ذلك
التاويل ويوم نسير الجبال وهي الابدان الجامدة عن السلوك ونرى ارض النفوس بارزة خالية عن موانع الطريق وحشرنا جميع القوى البشرية
وعرضوا على ربك صفا لكل قوة ولكل جوهر نسبة يليق بها فالروح في صف الارواح والقلب في صف القلوب وكذا النفس وقواها ولقد جئتمونا كما
خلقناكم اول مرة على هيئة الفطرة وقيل الانبياء في صف والاولياء في صف والمؤمنون في صف والكافرون والمنافقون في الصف الاخير لا يغادر
صغيرة هي كل تصرف في شيء بالشهوة النفسانية وان كان من المباحات ولا كبيرة هي التصرف في الدنيا على حبها فحب الدنيا راس كل خطيئة ما اشهدتهم
لاني لا اشهد الا اوليائي كما قلت سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم ورأى المجرمون النار واو في الدنيا اسباب النار من الشهوات والآثام فوقعوا
فيها ولم يجدوا واما بصرفهم عنها من الديانة والايمان الحقيقي فاذا راوا النار في الآخرة ايقنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا كما تعيشون
تموتون وكما تموتون تبعثون وكان الانسان اكثر شيء جدلا فتارة يجادل في التوحيد واخرى في النبوة ومرة في الاصول ومرة في الفروع ولهذا كثرت
المذاهب والاديان والملل والنحل وتسال الصواب من علمه وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم اسباب الهداية ويستغفروا ربهم انكانوا من نبيه
الا ان تاتيهم سنة الاولين من الانبياء والاولياء والمؤمنين وهي جذبات العناية لاهل الهداية كقوله في حضرة النبي عم والله لولا الله ما اهتدينا
او ياتيهم العذاب قبلا كقوله انا نبي السيف امرت

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ

ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله — وچون گفت موسی — مرجوان را همیشه بروم — تا آنکه برسم — بر ... دو دریا — یا بروم

حُقُبًا ۝ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ

روزگار دراز — پس چون رسیدند — آمدن — فراموش کردند ماهی را — پس گرفت راه او را در دریا — پس چون گذشتند گفت

لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي

مرجوان را — بیار ... ما را — ما رسیده ایم از سفر ما — این رنج — گفت آیا دیدی چون جا گرفتیم سوی سنگها پس من

نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝ قَالَ

فراموش کردیم ماهی را — و فراموش نکرد مرا مگر دیو — اینکه یاد کنی او را — و گرفت راه او — در دریای عجب — گفت

ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا

اینست که بودیم میجستیم — پس باز گشتند بر نشان — پس یافتند بنده — از بندگان ما — دادیم او را بخششی از نزد ما

وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ۝ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝ قَالَ إِنَّكَ

و آموختیم او را از نزد خود دانشی — گفت مر او را موسی — آیا پیروی کردم تو را بر آنکه بیاموزی از آنچه آموختی راه راست — گفت بدرستیکه تو

لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا

هرگز نتوانی — صبر کردن با من را — و چگونه صبر کنی بر آنچه گرد نگرفتی بدان دانش — گفت زود باشد مرا اگر خواهد خدا — صبر کننده و نه

أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝ فَانْطَلَقَا

فرمان بردم تو را کاری — گفت پس اگر پیروی کنی مرا — پس مپرس مرا — از چیزی تا آنکه سخن گویم مر تو را — از آن یادی — پس رفتند

حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

تا چون بر نشستند — در کشتی — سوراخ کرد — گفت سوراخ کردی او را تا غرق کنی اهلش — بتحقیق کردی چیزی منکر را — گفت آیا نگفتم

إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝ فَانْطَلَقَا

که تو نتوانی — با من صبر — گفت مگیر مرا بآنچه فراموش کردم — و در مرسان مرا از کار من دشواری — پس رفتند

حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ

چون رسیدند کودکی — پس کشت او را گفت آیا کشتی — تن پاکیزه را — بغیر تن — بتحقیق کردی کاری زشت — گفت آیا نگفتم

لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي

مر تو را که تو — نتوانی — با من صبر کردن — گفت اگر بپرسم تو را — از چیزی بعد از این — پس رفاقت مکن مرا — بتحقیق رسیدی از نزد من



عُذْرًا ۝ فَانْطَلَقَا حَتّٰى اِذَا اَتَيَا اَهْلَ قَرْيَةِ اسْتَطْعَمَا اَهْلَهَا فَاَبَوْا اَنْ يُّضَيِّفُوْهُمَا فَوَجَدَا فِيْهَا جِدَارًا

بهانه ۔ پس رفتند تا چون آمدند بمردم دهی طعام خواستند از مردم آن پس سرباز زدند که مهمان کنند ایشانرا پس یافتند در آن دیواری

يُّرِيْدُ اَنْ يَّنْقَضَّ فَاَقَامَهٗ ؕ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ اَجْرًا ۝ قَالَ هٰذَا فِرَاقُ بَيْنِيْ وَبَيْنِكَ ۚ

میخواست که بیفتد پس راست کرد آنرا گفت اگر میخواستی هر آینه میگرفتی بر آن مزدی ۔ گفت این جدائیست میان من و میان تو

سَاُنَبِّئُكَ بِتَاْوِيْلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ اَمَّا السَّفِيْنَةُ فَكَانَتْ لِمَسٰكِيْنَ يَعْمَلُوْنَ فِي الْبَحْرِ

زود خبر دهم ترا به بیان آنچه نتوانستی بر آن صبر ۔ اما کشتی پس بود از بیچارگان که کار میکردند در دریا

فَاَرَدْتُّ اَنْ اَعِيْبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُمْ مَّلِكٌ يَّاْخُذُ كُلَّ سَفِيْنَةٍ غَصْبًا ۝ وَاَمَّا الْغُلٰمُ فَكَانَ اَبَوٰهُ مُؤْمِنَيْنِ

پس خواستم که معیوب کنم آنرا و بود از پیش ایشان پادشاهی که میگرفت هر کشتی را بستم ۔ و اما کودک پس بودند پدر و مادر او مؤمن

فَخَشِيْنَآ اَنْ يُّرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَّكُفْرًا ۝ فَاَرَدْنَآ اَنْ يُّبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكٰوةً وَّاَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَ

پس ترسیدیم که برساند ایشانرا بسرکشی و کفر ۔ پس خواستیم که بدل کند ایشانرا پروردگار ایشان بهتر از آن در پاکی و نزدیکتر در بخشودن و

اَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلٰمَيْنِ يَتِيْمَيْنِ فِي الْمَدِيْنَةِ وَكَانَ تَحْتَهٗ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ اَبُوْهُمَا صَالِحًا ۚ فَاَرَادَ

اما دیوار پس بود دو کودک یتیم را در شهر و بود در زیر او گنجی برای ایشان و بود پدر ایشان صالح پس خواست

رَبُّكَ اَنْ يَّبْلُغَآ اَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا ۖ رَحْمَةً مِّنْ رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهٗ عَنْ اَمْرِيْ ؕ ذٰلِكَ تَاْوِيْلُ

پروردگار تو که برسند بقوت خود و بیرون کنند گنج خود را بخشش از پروردگار تو و نکردم آنرا از فرمان خود اینست تعبیر

مَا لَمْ تَسْطِعْ عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ القراءة انبا ۔ بضم الهاء حفص والمفضل وقرا علي بالامالة مع كسرها بغي بالياء في الحالين

آنچه نتوانستی برو شکیبا ۔ ابتاعا الخط المصحف رشدا بفتحتين ابو عمرو ويعقوب بضمتين ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان

الباقون رشدا بضم الراء وسكون الشين معي بفتح الياء حفص سجدني ان بفتح الياء ابو جعفر ونافع فلا تسالني بنون التاكيد الثقيلة واثبات

الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر بحذف الياء ابن مجاهد عن ابن ذكوان والاحسن اثباتها لانه شاذ عن اهل الشام الاخرون بنون الوقاية وحذف

الياء ليغرق اهلها بياء الغيبة وفتحها مع فتح الراء ورفع لاهل حمزة وعلي وخلف الباقون بتاء الخطاب مضمومة وكسر الراء من الاغراق وبنصب اهل زاكية

على فاعلة ابو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب الاخرون زكية على فعيلة نكرا بضمتين حيث كان ابو جعفر ونافع غير اسمعيل وابن ذكوان وسهل ويعقوب وابو

بكر وحماد فلا تصحبني من الصحبة روح وزيد الاخرون من المصاحبة من لدني خفيفا ابو جعفر ونافع وابو بكر وحماد والمفضل يضيفوهما من الاضافة المفضل

لتخذت من التخذ ما عدا ابو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بسكون الخاء وقرا ابن كثير بالاظهار لاتخذت من الاتخاذ وقرا حفص والمفضل والاعشى والبرجمي مظهرا

يبدلهما من التبديل وكذا في سورة التحريم ونون والقلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو الاخرون مع الابدال رحما بضمتين ابن عامر ويزيد وعباس وسهل ويعقوب

الباقون بسكون الحاء الوقوف حقبا ۔ سربا ۔ غداءنا ۔ لانقطاع النظم مع صدق اتصال المعنى نصبا ۔ الحوت ۔ لتمام الاستفهام التعجب مع اتحاد الكلام وكون الواو

حالا ان ذكره ۔ ج ۔ لان ما بعده لا يحتمل الاستيناف والحال في البحر ۔ قيل عليه تم كلام يوشع ثم ابتدا موسى عجبا اي اعجب لذلك عجبا والوصل اجوز اي يتخذ عجبا

او اتخاذا عجبا نبغ ۔ ز ۔ قد قيل لتمام قول احدهما وابتداء فعلهما والوصل اوجه للعطف اللفظي وسرعة الرجوع على الفور قصصا ۔ لا ۔ لاتصال النظم و

اتحاد الحال علما ۔ رشدا ۔ صبرا ۔ خبرا ۔ امرا ۔ ذكرا ۔ فانطلقا ۔ لان حتى اذا للابتداء خرقها ۔ ط اهلها ۔ لانقطاع النظم واتحاد القائل امرا ۔ صبرا ۔ عسرا ۔ فانطلقا

لمامر فقتله ۔ لا ۔ لان قال جواب اذا نفس ۔ ط ۔ للفصل بين الاستخبار والاخبار نكرا ۔ نصف السبع ونصف القرآن والجزء السادس عشر والربع الثالث صبرا ۔ فلا

تصاحبني ۔ لاختلاف الجملتين عذرا ۔ فانطلقا ۔ فوقا فاقامه ۔ ط اجرا ۔ وبينك ۔ صبرا ۔ غصبا ۔ وكفرا ۔ للعطف مع الاية رحما ۔ صالحا لما قلنا من ربك عن امري ۔ ط

صبرا ۔ لانقطاع القصة التفسير هذه قصة اوردها الله تعالى ليعين على المقاصد السابقة مع كونها مستقلة في الافادة اما نفعها في قصة اصحاب الكهف

فهو ان اليهود ان اخبركم محمد عنها فهو نبي والا فلا فذكر الله ثم قصة موسى والخضر تنبيها على ان النبي لا يلزم ان يكون عالما بجميع القصص والاخبار واما نفعها

في الرد على كفار قريش حين افتخروا على فقراء المسلمين بكثرة الاموال والانصار فهو ان موسى مع كثرة علمه وعلو منصبه واستجماع موجبات الشرف التام

في حقه ذهب الى الخضر وتواضع له لاجل طلب العلم فدل ذلك على ان التواضع خير من التكبر واكثر العلماء على ان موسى المذكور في الاية هو موسى بن عمران صاحب

التورية والمعجزات وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امراة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى بن عمران وانما هو صاحب موسى بن منشا بن يعقوب

وهو قد كان نبيا قبل موسى بن عمران فقال ابن عباس كذب عدو الله واحتج الاكثرون على صحة قولهم بان موسى حيث اطلق في القرآن اريد به موسى بن عمران

فلو كان المراد ههنا شخصا اخر لوجب تعريفه بحيث يتميز عن المشهور وحجة الاقلين والبه ذهب جمهور اليهود ان موسى بن عمران بعد ان خصه الله تعالى

بالمعجزات القاهرة والتي لم تتفق لمن قبله مثلها يبعد ان يؤمر بالتعلم والاستفادة واجيب بان العالم الكامل في اكثر العلوم قد يجهل بعض المسائل

فيحتاج الى تعلمها الى من يختص بعلمها اما فتى موسى فالاكثر على انه يوشع بن نون ويروى هذا القول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن ابي بن

كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو اخو يوشع وكان مصاحبا لموسى في السفر وعن الحسن انه اراد عبده ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا

يقول عبدي وامتي قال اهل السير ان موسى لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم
خطيبا فذكر نعمة الله فقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحى
الله اليه بل اعلم منك عبد لي بمجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون وقبل موسى وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام
موسى ويروى ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضى قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع
الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدل على الهدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك
من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال فاين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في مكتل فحيث
فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره
فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال واني بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال يا موسى انا على علم علمنيه الله
لا تعلمه انت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك
من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر قلت وهذا صحيح لان علم الانسان متناه وعلم الله غير متناه ولا نسبة للمتناهي الى غير المتناهي
اصلا ولنرجع الى التفسير قال الزجاج وتبعه جار الله لا ابرح بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولان قوله حتى ابلغ غاية مضروبة
فلا بد لها من ذي غاية فالمعنى لا ازال اسير حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر حذف المضاف وهو المسير واقيم المضاف اليه وهو ياء المتكلم مقامه فانقلب
الفعل من لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وجوز ايضا ان يكون لا ابرح بمعنى لا ازول من برح المكان والمعنى لا ابرح ما انا عليه اي لا اترك المسير والطلب
حتى ابلغ مجمع البحرين يعني ملتقى بحري فارس والروم وقد شرحنا وضع البحار في سورة البقرة في تفسير قوله والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
وقيل اراد طنجة وقيل افريقية ومن غرائب التفسير ان البحرين موسى والخضر لانهما بحرا العلم وهذا مع غرابته مستبشع جدا لان احد البحرين اذا كان موسى
فكيف يصح ان يقول حتى ابلغ مجمع البحرين يؤول حاصل المعنى الى قولنا حتى ابلغ مكانا يجتمع فيه بحران من العلم احدهما انا او امضي حقبا اسير زمانا
طويلا قال جار الله الحقب بالضم ثمانون سنة ويروى اكثر من ذلك وقيل انه لما اعلم موسى حال هذا العالم وما اعلمه موضعه بعينه فقال موسى لا ازال
امضي حتى يجتمع البحران فيصيرا بحرا واحدا او امضي دهرا طويلا حتى اجد هذا العالم وهذا اخبار من موسى بانه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد
الى ان يلقاه وفيه تنبيه على شرف العلم وان طالب العلم يحق له ان يسافر ويحمل المتاعب في الطلب من غير ملال وكلال فلما بلغا مجمع بينهما قال جمهور
المفسرين الضمير للبحرين اي بحقيقة ما قال موسى بلغ المكان الذي وعد فيه لقاء الخضر ولا بد للبينين من فائدة ولعل المراد حيث يكاد يلتقي وسط
ما امتد من البحرين طولا والاضافة بمعنى في اي مجمعا في وسط البحرين فيكون كالتفصيل لمجمع البحرين والبيان والايضاح بكلام علام الغيوب تعالى
اولى منه بكلام موسى او البين بمعنى الافتراق اي البحران المفترقان يجتمعان هناك ويحتمل على هذا ان يعود الضمير الى موسى والخضر اي وصلا الى الموضع الذي
وعد اجتماع شملهما هناك او البين بمعنى الوصل لانه من الاضداد فيحتمل عن بما التاكيد كقولهم جد جده وهذه الوجوه مما لم اجدها في التفاسير
فان تكن صوابا فمن الله والا فمني ومن الشيطان نسيا حوتهما لانه تعالى جعل انقلاب الحوت حيا علامة على مسكن الخضر قيل ان الفتى كان يغسل السمكة
لانها كانت مملوحة فطفرت وسارت وقيل ان يوشع توضا في ذلك المكان فانتضح الماء على الحوت المالح فعاش ووثب الى الماء وقيل انفجرت هناك
عين من الجنة ووصلت قطرات من تلك العين الى السمكة فحييت وطفرت الى البحر ونسبة الحوت الذهول عن الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة
على الوصول الى المطلوب والسبب في هذا الذهول مع ان هذه الحالة كانت امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها هو ان يوشع كان قد
تعود مشاهدة المعجزات القاهرة فلم يبق لحيوة السمكة ولقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه وقع عنده وقيل ان موسى
لما استعظم علم نفسه ازال الله عن قلب صاحبه هذا العلم الذي يشبه الضروري تنبيها لموسى على ان العلم لا يحصل الا بتعليم الله وحفظه على
قلوب عباده وانتصاب قوله سربا على انه مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله سبيلا سربا وهو بيت في الارض وذلك ان الله تعالى امسك اجزاء الماء عن
الجري وجعله كالكوة حتى سرى الحوت فيه معجزة لموسى والخضر وقيل السرب هو الذهاب النفوذ بسرعة في البحر سربا الا انه ابهم قوله واتخذ سبيله
مقام سرب فلما جاوزا اي موسى وفتاه الموعد المعين وهو الصخرة قال موسى لفتيه آتنا غداءنا وهو ما يؤكل بالغداة لقد لقينا من سفرنا هذا
نصبا تعبا ووجعا قال المفسرون قوله من سفرنا هذا اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك قال الفتى متعجبا ارايت ومفعوله
محذوف لدلالة قوله فاني نسيت الحوت عليه كانه قال ارايت ما دهاني ووقع لي اذ اوينا الى الصخرة قيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت فاني نسيت
الحوت عليه ثم ذكر ما يجري مجرى السبب في وقوع ذلك النسيان فقال وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره بدل الاشتمال من الهاء في انسانيه
اي وما انساني ذكره قال الكعبي لو كان النسيان بخلق الله وارادته لكان اسناد ذلك الى الله تعالى اولى من اسناده الى الشيطان لانه ليس في وسعه
سعي ولا اثر وقال القاضي المراد بانساء الشيطان ان يشغل قلب الانسان بوسواسه التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الذكر لان ذلك
لا يصلح ان يكون الا من قبل الله تعالى قال اهل البرهان لما كان اتخاذ الحوت سبيله في البحر مما يتعجب منه الذي يطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب عقب
النسيان ذكرا وقرن بالفاء ولما جعل بينهما ثانيا بجملة معترضة هي قوله وما انسانيه ذا العطف للتعقيب وبقي العطف المجرد فقال واتخذ سبيله



بالواو وانتصابه عجبا كما مر في سربا قال ثم كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا قال موسى ذلك يعني اتخاذ الحوت السبيل في البحر ما كنا نبغي اي الذي كنا نطلبه لانه امارة الظفر بالمطلوب فارتدا على آثارهما فرجعا على طريقهما المسلوك قصصا مصدر لانه بمعنى الارتداد على الاثر اي يتبعان آثارهما اتباعا او هو مصدر في موضع الحال اي رجعا على الطريق الذي جاءا منه مقتصين فوجدا عبدا من عبادنا الاكثرون على ان ذلك العبد كان نبيا لانه تعالى وصفه بقوله آتيناه رحمة من عندنا والرحمة هي الوحي والنبوة بدليل قوله اهم يقسمون رحمة ربك وقوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ومنع ان كل رحمة نبوة قالوا وصفه بقوله وعلمناه من لدنا علما والعلم المختص به تعالى هو الوحي والاخبار بالغيوب وايضا قال في آخر القصة وما فعلته عن امري اي عرفته وفعلته بامر الله وذلك يستلزم للوحي وروي ان موسى لما وصل اليه قال السلام عليك فقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال من عرفك هذا قال الذي بعثك الي والصوفية سموا العلوم الحاصلة بطريق المكاشفات العلوم اللدنية والتحقيق فيه انه اذا صفت القوى الحسية والخيالية بواسطة الرياضة قويت القوة العقلية واشرقت الانوار الالهية على جوهر العقل ويفيض عليه من عالم الارواح انوار يستعد بسببها لملاحظة اسرار الملكوت ومطالعة عالم اللاهوت والاكثرون ايضا على ان ذلك العبد هو الخضر سمي به لانه كان لا يقف موقفا الا اخضر ذلك الموقف قال الجبائي روي ان الخضر انما بعث بعد موسى من بني اسرائيل فان صحت الرواية لم يكن ذلك العبد هو الخضر لانه بعث بعده وبتقدير كونه معاصرا له فانه اظهر الترفع على موسى حين قال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا وان موسى اظهر التواضع له حين قال ولا اعصي لك امرا مع انه كان مبعوثا الى كافة بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل والامة لا يكون اعلى حالا من النبي وان لم يكن الرواية صحيحة لان لا يكون الخضر من بني اسرائيل لم يجز ان يكون الخضر افضل من موسى لانه تعالى قال لبني اسرائيل واني فضلتكم على العالمين واجيب بانه يجوز ان يكون غير النبي فوق النبي في علوم لا يتوقف نبوته عليها قال العلماء ان موسى راعى مع الخضر في قوله هل اتبعك انواعا من الادب منها انه جعل نفسه تبعا له مطلقا وفيه ان المتعلم يجب عليه الحذو حذوه وتسليم النفس والاتيان بمثل افعاله لاجل الاستاذ وفيه انه على جهة التبعية لا الاستقلال فان المتابعة هي الاتيان بمثل فعل الغير لاجل كونه فعلا لذلك الغير ولهذا لسنا متبعين لليهود في قولنا لا اله الا الله لانا لا نقول كلمة التوحيد لاجل انهم قالوا بل لقيام الدليل على قولها ولكنا متبعون في الصلوات الخمس للنبي لانا نأتي بها لاجل انه اتى بها ومنها انه استأذن في اثبات هذه التبعية ومنها انه قال ان تعلمن مما علمت وفيه اقرار على استاذه بالعلم وفيه انه لم يطلب منه الا بعض علمه ولم يطلب منه ان يجعله مساويا له في العلم كما يطلب الفقير من الغني ان يدفع اليه جزءا من اجزاء ماله لا كله وفيه اعتراف بان ذلك العلم علمه الله تعالى والا سمى فاعله وفيه اشعار بان انعامه عليه في هذا التعليم شبيه بانعام الله عليه فيه ومن هنا قيل انا عبد من علمني حرفا ومنها ان الخضر عرف انه نبي صاحب المعجزات المشهورة ثم انه مع علو المناصب العلية والمراتب السنية لم يطلب منه المال والجاه وانما طلب التعليم فقال على ان تعلمني فدل ذلك على انه لا كمال فوق كمال العلم وانه لا يحسن صرف الهمة الا الى تحصيله وفيه ان كل من كانت احاطته بالعلوم اكثر كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر فكان حرصه على ازديادها اوفر ومنها انه قال رشدا وهو يصلح ان يكون مفعولا لتعلمني و لعلمت اي علما ذا رشد ارشد به في ديني وفيه تعظيم لما سيعلمه فان الارشاد هو الامر الذي لو لم يحصل حصل الضلال ثم انه تعالى حكى عن الخضر انه قال بظواهر الامور شرعا فلما لك ان تصبر عليها وخبرا تمييز اي لم يحط به خبرك او هو مصدر لكونه في معنى الاحاطة استدلت الاشاعرة بالآية على ان الاستطاعة لا تحصل قبل الفعل والا لكانت الاستطاعة على الصبر حاصلة قبل الصبر فيكون قول الخضر بنفي الاستطاعة كذبا وكذا قوله وكيف تصبر لانه استفهام في معنى الانكار اي لا تصبر البتة اجاب الجبائي بان المراد بنفي الاستطاعة انه يثقل عليه الصبر لا انه لا يستطيعه يقال في العرف ان فلانا لا يستطيع ان يرى فلانا وان يجالسه اذا كان يثقل عليه ذلك ولهذا قال له موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي اي ستجدني غير عاص لك امرا ويجوز ان يكون قوله ولا اعصي جملة مستانفة معطوفة على مثلها اي ستجدني ولا اعصي قال اهل السنة في قوله ان شاء الله بطريق الشكر والصبر مامور به دليل على انه تعالى لا يريد من العبد الا ما اوجبه عليه قالت المعتزلة انما ذكره بطريق الادب واجيب بان هذا الادب ان صح معناه فقد ثبت المطلوب وان فسد فاي ادب في ذكر الكلام الباطل قالت الاصوليون في قوله ولا اعصي لك امرا دليل على ان ظاهر الامر للوجوب لان تارك الامر عاص لهذه الآية والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم قال المحققون في قول الخضر تغليظ وتجهيل وفي قول موسى تحمل وتواضع فدل ذلك على ان المعلم ان راى التغليظ على المتعلم فيما يعده نفعا وارشادا الى الخير فالواجب عليه ذكره وعلى المتعلم ان يتلقاه بالبشر والطلاقة ثم قال فان اتبعتني فلا تسألني شرط على موسى في اتباعه ان لا يسأل عما خفي عليه وجه صحته حتى يكون الخضر هو المبتدئ بتعليمه اياه واخباره عن وجه الحكمة فيه فانطلقا على ساحل البحر يطلبان السفينة وقالوا نرى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بلا اجرة فلما حصلوا في اللجة اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا اي شيئا عظيما يقال امر الامر اذا عظم ويقال في الشيء العجيب الذي لا يعرف له شبيه امر امر احتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى اعترض على الخضر بعد توكيد العهود والمواثيق وذلك ذنب اجيب بانه لم يفعل ذلك اعتراضا وتوبيخا ولكنه احب ان يقف على حكمة ذلك الامر الخارج عن العادة او انه خالف الشرط بناء على النسيان ولهذا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي وما موصولة او موصوفة او مصدرية اي بالذي نسيته وجوز في الكشاف ان لا يكون ناسيا في الحقيقة ولكنه اوهم بقوله لا تؤاخذني بما نسيت انه



قد نسى ليبسط عذره في الاعتراض على المعلم وهو من معاريض الكلام التي يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض وجوز ايضا ان يكون النسيان
بمعنى الترك اى بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقني ولا تغشني من امري عسرا واراد بامره امر المتابعة اى يسر على متابعتك بالاغضاء وترك
المناقشة وانما قال في هذه القصة خرقها بغير فاء لانه جعله جزاء للشرط وفي قصة الغلام يتناول الشاب البالغ كما يتناول الصغير ومنه
قولهم راى الشيخ خير من شهد الغلام واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق وليس في القران انه كيف لقياه وهل كان يلعب مع جمع من الغلمان
او كان منفردا وهل كان مسلما او كان كافرا وهل كان بالغا او كان صغيرا واسم الغلام بالصغير اليق الا انه يعبر به عن البالغ البتة لان
الصبي لا يقتل قصاصا وعن ابن عباس ان نجدة الحروري الخارجي كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلعم عن قتل الولدان فكتب اليه
ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل قال الكسائي الزاكية والزكية لغتان ومعناهما الطاهرة طاهرة عنده وقيل النكر
اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل النكر اشد لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل
الى تداركه وايضا الامر العجيب والعجب يستعمل في الخير والشر والنكر ما ينكره العقول فهو شر وظاهر الاية يدل على ان موسى استبعد ان يقتل النفس
الا بالنفس وليس كذلك لانه قد يحل القتل بسائر الاسباب ولعله اعتبر السبب الاغلب الاقوى واختلفوا في كيفية قتله فقيل فتل عنقه وقيل ضرب
برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين ثم انه سبحانه حكى عن الخضر انه زاد على ان ذكره ما عاهد عليه فقال الم اقل لك وانما زاد
ههنا لك لان الانكار اكثر وموجب العتاب اقوى وقيل اكد التقرير الثاني بقوله لك كما تقول لمن توبخه لك اقول واياك اعني وقيل بين في الثاني
المقول له لما لم يبين في الاول فعند هذا قال موسى ان سألتك عن شيء بعدها بعد هذه الكرة او المسألة فلا تصاحبني نهاه عن مصاحبته مع حرصه
على التعلم لظهور عذره كما قال قد بلغت من لدني عذرا وهذا كلام نادم شديد الندامة جره المقال واضطره الحال الى الاعتراف وسلوك
سبيل الانصاف عن رسول الله صلعم رحم الله اخي موسى استحيى فقال ذلك فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية هي انطاكية وقيل الايلة وهي ابعد ارض
الله من السماء استطعما اهلها وكان حق الايجاز ان يقال استطعماهم فوضع الظاهر موضع المضمر للتاكيد كقوله ليت الغراب غداة ينعب بيننا
كان الغراب مقطع الاوداج وايضا لعله كره اجتماع الضميرين المتصلين في مثل هذا اللفظ لما فيه من الكلفة والبشاعة والاستطالة فابوا ان يضيفوهما
يقال اضافه وضيفه اذا انزله وجعله ضيفه والتركيب يدل على الميل من ضاف السهم عن الغرض والضيف يميل الى المضيف عن النبي صلعم كانوا اهل قرية
لئاما قيل الاستطعام ليس من عادة الكرام فكيف اقدما عليه وايضا الضيافة من المندوبات وترك المندوب غير منكر فكيف جاز لموسى ان يغضب عليهم
حتى ترك عهد صاحبه وقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا واجيب بان الرجل اذا جاع بحيث ضعف عن الطاعة او اشرف على الهلاك لزمه الاستطعام ووجب
اجابته فلقائل ان يقول لو كان قد بلغ الجوع الى حد الهلاك لم يقو على اصلاح الجدار وللمجيب ان يقول ان اقام الجدار معجزة فقد روي انه مسحه بيده فقام
واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وروي انه كان ارتفاع الجدار مائة ذراع قال اهل الاعتبار شر القرى التي لا يضاف الضيف
فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه ويحكى ان اهل تلك القرية لما سمعوا نزول هذه الاية استحيوا وجاؤا الى رسول الله صلعم بحمل من الذهب فقالوا يا رسول الله
نشتري بهذا الذهب ان تجعل الباء تاء اي فاتوا ان يضيفوهما فامتنع رسول الله صلعم عن ذلك يريد ان ينقض معناه يسرع سقوطه من انقض
الطائر اذا هوى في طيرانه تقضض تقضضه فانقض ويحتمل ان يكون افعل من النقض كاحمر من الحمرة فالنون يكون اصلية واحدى الضادين مكررة زائدة
عكس الاول واستعيرت الارادة للمداناة والمشارفة تشبيها للجماد بالاحياء نظيره ولما سكت عن موسى الغضب قال لنا انهما ما نعين ولما اقام
الخضر الجدار وراى موسى الحرمان ومسيس الحاجة قال الصاحب لو شئت لاتخذت عليه اجرا لطلبت على عملك جعلا حتى نستدفع به الضرورة واتخذ
افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ على الاصح قال الخضر مشيرا الى الفراق المتصور في قوله فلا تصاحبني ومشيرا الى السؤال والاعتراض هذا
فراق بيني اضافه بمعنى في اي فراق في بيني وبينك او سببه فراق بيني وبينك وحكى القفال انه البين ههنا بمعنى الوصل ثم شرع في تقرير الحكم التي تضمنتها
افعاله وتلك الحكم تشترك في اصل واحد هو انه اذا تعارض الضرران وجب تحمل الادنى لدفع الاعلى فقال اما السفينة فكانت لمساكين قيل كانت
لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر وقد تقدم استدلال الشافعي بهذه الاية على ان الفقير اسوء حالا من المسكين وكان وراءهم
ملك وهو مسمى بجلندي والوراء ههنا بمعنى الامام وقد مر في قوله ومن ورائه عذاب غليظ وقيل اراد خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه وما
كان عندهم خبره ياخذ كل سفينة اي غير معيبة غصبا ولا يخفى ان الضرر الحاصل من الخرق اهون من فوات السفينة بالكلية والخرق وان كان تصرفا
في ملك الغير الا انه اذا تضمن نفعا زائدا لم يكن به باس ولعل مثل هذا التصرف كان جائزا في تلك الشريعة او لعله كان من خصوصيات النبي قال
جار الله قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها وكان حقه ان يتأخر عن السبب لكنه قدم للعناية اي يتعجب من هذا وهو مراعى وانما
مأمور به وايضا خوف الغصب ليس هو السبب وحده ولكن مع كونها للمساكين فتوسط ارادة العيب بين المسكنة والغصب كتوسط الظرف بين
المبتدأ والخبر في قولك زيد لظني مقيم في انه يتعلق بالطرفين واما الغلام فقد قيل انه كان بالغا قاطع الطريق يقدم على الافعال المنكرة وكان
ابواه مضطرين الى التعصب له والذب عنه فكانا يتبعانه في الفسوق لذلك ولاحتمل ان يؤدي ذلك الى الكفر والارتداد كما قال فخشينا ان يرهقهما طغيانا
وكفرا اي يرهقهما اي يغشيهما ويرهقهما اياه وقيل انه كان صبيا الا انه تعالى علم من حاله انه لو صار بالغا صدرت عنه هذه المفاسد فاعلم الخضر بالوحى



بقتله لئلا يرتد الابوان بسببه ومثل هذا لا يجوز الا اذا تأكد الظن بالوحي وقيل ان فخشينا ان يغشي الوالدين طغيانا عليهما وكفرا بعقوقه
او خشينا ان يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر وجوزوا ان يكون قوله فخشينا من كلام الله تعالى اي كرهنا
كراهة من خاف سوء عاقبة امر فغيره والزكوة الطهارة والنقاء من الذنوب كانه بازاء قول موسى نفسا زاكية والرحم الرحمة والعطف بمعنى
الاشفاق على الابوين يروى انهما ولدت لهما جارية فتزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم ويروى انها ولدت سبعين نبيا وقيل
ابدلهما ابنا مؤمنا وقيل اسم الغلام المقتول الحيسور وفي نسخة الحسين واما الجدار فكان لغلامين قيل اسمهما اصرم وصريم وقوله في المدينة بعد
قوله اتيا اهل قرية فيه دلالة على ان القرية لا ينافي المدينة ومعنى الاجتماع والاقامة مراعى فيهما اما الكنز فقيل هو المال لقوله ويستخرجا ولانه
المفهوم منه عند الاطلاق هو المال وقيل صحف فيها علم لقوله وكان ابوهما صالحا ودفن المال لا يليق باهل الصلاح وعورض بقول قتادة احل الكنز
لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم واحلت لنا وجمع بعضهم بين الامرين فقال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن و
عجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن
اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وفي قوله وكان ابوهما صالحا دلالة على ان صلاح الاباء يفيد العناية باحوال الابناء عن جعفر بن محمد كان بين
الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة اباء وذكر من صلاح ابيهما ان الناس كانوا يضعون الودايع عنده فيردها اليهم سالمة قالت العلماء الاشبه ان
اليتيمين كانا جاهلين بحال الكنز ووصيهما كان عالما به لانه غائب وقد اشرف الجدار على السقوط رحمة من ربك مصدر منصوب بارادة لانه في معنى
رحمهما او مفعول له وما فعلته عن امري اجتهادي ورايي وانما فعلته بامر الله سؤال لم قال في الاول فاردت ان اعيبها وفي الثاني فاردنا وفي الثالث
فاراد ربك الجواب لان الاول افساد في الظاهر فاسنده الى نفسه وفي الثالث انعام محض فاسنده الى الله سبحانه وفي الثاني افساد من حيث القتل
وانعام من حيث التبديل فجمع بين الامرين ويمكن ان يقال ان القتل كان منه ولكن ازهاق الروح كان من الله ويحتمل ان يقال الوحدة في الاول على
الاصل والجمع في الثاني تنبيه على انه من العلماء المؤيدين بالعلوم اللدنية والاسناد الى الله بالاخرة اشارة الى انه لا ارادة الا ارادة الله وما
تشاؤن الا ان يشاء الله ذلك الذي ذكر من الامور تاويل الوقايع تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اي مرجع المقصود من تلك الافاعيل التي قررناها واصل
تسطع تستطيع كما في قوله سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا الا ان التاء حذف لاجل التخفيف وهذا شاذ من جهة القياس ولكنه ليس بشاذ في
الاستعمال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب الاعاجيب التأويل واذ قال موسى لفتيه فيه ان المسافر لا بد له في الطريق من الرفيق
وفيه ان من شرطهما ان يكون احدهما اميرا والاخر مامورا وان يعلم الرفيق عزيمته ومقصده حتى يكون على بصيرة من صحبته وان الاتيان من متاعب السفر
حتى يظفر بمقصوده وان يكون نيته طلب الشيخ يقتدي به فان طلب الشيخ في الحقيقة هو طلب الحق ومجمع البحرين هو مجمع ولاية الشيخ وولاية المريد وعنده
عين الحيوة الحقيقية فاذا وقعت قطرة منها على حوت قلب المريد يحيى واتخذ سبيله في بحر الولاية سربا فلما جاوزا فيه اشارة الى ان المريد في اثناء
السلوك لو تطرقت اليه الملالة اصابت قلبه الكلالة وسولت له نفسه التجاوز عن صحبة الشيخ ظانا ان مقصوده يحصل من غير واسطة الشيخ فهيهات فانه
ظن فاسد ومتاع كاسد الا ان ادركته العناية الازلية ورد اليه صدق الارادة فيقول لرفيق التوفيق آتنا غداءنا وهو همة الشيخ وبركة صحبته
لقد لقينا من سفرنا هذا الذي جاوزنا صحبة الشيخ نصبا وفيه فقال ارايت اذ اوينا الى الصخرة صخرة النفس وتسويلها فاني نسيت حوت القلب بل ما كنا
نبغي من حوت القلب الميت المملح بملح حب الدنيا وزينتها ان يتخذ سبيله في بحر الولاية بشيخ كامل فوجدا عبدا من عبادنا اي حرا من رق غيرنا وفي قوله و
علمناه من لدنا علما اشارة الى انه تعالى اطلعه على بواطن الاشياء وحقائقها وهذا النوع من العلم لا يمكن تعلمه وانما يحصل بتصفية النفس و
تجريد القلب عن العلائق الجسمانية وقد ذهب موسى ليتعلم العلم فكان من الواجب على الخضر ان يظهر له علما يمكن تعلمه فبين علم الخضر وبين مقصد
موسى كان تباين وتناف فلهذا قال الخضر انك لن تستطيع معي صبرا وفي اظهار المسائل الثلثة اشارة الى ما قلنا من ان العلم الظاهر يباين
علم اللدني وليس من التعليم والتعلم في شيء واذا تامل العاقل السالك في قول موسى هل اتبعك الخ وفي قول الخضر فان اتبعتني فلا تسئلني الخ
وجد اصول الشرايط التي شرطها الصوفية للمريد وللشيخ موجودة فيهما وفي تفصيلها طول وقد اشرنا في التفسير الى طرف منها ومن اراد الكل
فعليه بمطالعة كتاب آداب المريدين للشيخ المحقق ابي النجيب السهروردي قدس الله سره ثم انه تعالى جعله راكبا في السفينة الشريعة خرقها بهدم الناموس
في الظاهر مع صلاح الحال في الباطن وفيما بينه وبين علام الغيوب وفي مثل هذا قد يفعله كثير من المحققين طردا للعوام وحذرا من التباهي والعجب
اخرقتها لتغرق اهلها في اودية الضلال اذا اقتدوا بك حتى اذا لقيا غلاما هو النفس الامارة فقتله بسكين الرياضة وسيف المجاهدة حتى اذا اتيا
اهل قرية هي الجسد وهم القوى الانسانية من الحواس وغيرها استطعما اهلها بطلب ما عندها التي تختص بها فابوا ان يضيفوهما بلطائفها وخواصها
كما ينبغي لكلالها وضعفها فوجدا فيها جدارا هو التعلق الحائل بين النفس الناطقة وبين عالم المجردات يريد ان ينقض بقطع العلاقة فاقامه بتقوية
البدن والرفق بالقوى والحواس كما قيل نفسك مطيتك فارفق بها لو شئت لاتخذت عليه اجرا اي لو شئت لصبرت على شدة الرياضة الى ان فاض الى
الانوار ونيل الكشوف اما السفينة فكانت لمساكين هم العوام الذين يعملون في بحر الدنيا وليس لهم في عالم الربوبية سير وسلوك حتى يصلوا
الى ملوك تحت اطار فاردت ان اعيبها في الظاهر لئلا يتسلطهم بالاخلاص في البواطن وكان وراءهم ملك هو الشيطان ياخذ كل سفينة عبادة غصبا الا ان كل

هي سفينة صح

عبادة

عبادة تخلو عن الانكسار والذل والخشوع فانها للشيطان لا للرحمن واما الغلام فكان ابواه وهما العقل والروح مؤمنين فاردنا ان يبدلهما
ربهما خيرا منه زكوة هو النفس المطمئنة والملهمة وكان تحته كنز لهما هو حصول الكمالات النظرية والعلمية وكان ابوهما وهو العقل الفعال
صالحا كاملا بالفعل فلهذا اوجز فاراد ربك ان يبلغا اشدهما بتربية الشيخ وارشاده على سبيل الرفق والمداراة ويستخرجا ما كان كامنا فيهما

ويسئلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل
شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها
قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه
ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له
من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من
دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد
من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في
الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير فاعينوني
بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما اتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى
اذا جعله نارا قال اتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال
هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ
يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين
كانت اعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا
عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم
ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا اياتي
ورسلي هزوا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها
لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات



رَبِّيْ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهٖ مَدَدًا ۝ قُلْ اِنَّمَآ اَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوْحٰٓى اِلَيَّ اَنَّمَآ اِلٰـهُكُمْ اِلٰهٌ وَّاحِدٌ فَمَنْ كَانَ

پروردگار من و اگر آوردیم مانند آن افزونی بگو جز این نیست من آدمی ام مثل شما وحی کرده میشود بسوی من جز این نیست که خدای شما خدای یکتاست پس هر که باشد

يَرْجُوْا لِقَآءَ رَبِّهٖ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَّلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهٖٓ اَحَدًا ۝ القراءة فاتبع ثم اتبع مقطوعة

امیدوار به دیدار خدای خود پس بکند کردار شایسته و انباز نگیرد به پرستیدن پروردگار خود کسی را ابن عامر وعاصم وحمزة وعلي وخلف

الباقون بالتشديد موصولة حامية بالالف من غير همز ابن عامر ويزيد وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص الباقون حمئة بالهمز من غير الف جزاء

الحسنى بالنصب منونا يعقوب وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الاخرون بضمها يفقهون بضم الياء وكسر القاف حمزة وعلي وخلف الباقون

بفتحها ياجوج وماجوج حيث كان مهموزا عاصم غير الشموني فهل نجعل وبابه بادغام اللام في النون علي وهشام خراجا بالالف حمزة وعلي وخلف وعاصم

غير ابي بكر وحماد وجبلة الباقون بضمها مكني ابن كثير الباقون بادغام النون في النون ردما آتوني يحيى وحماد والابتداء بكسر الالف الصدفين بضم

الصاد والدال ابن كثير وابن عامر وابو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل غير ابي بكر وحماد بضم الصاد واسكان الدال الاخرون بفتح الصاد والدال قال

آتوني والابتداء بكسر الالف يحيى وحماد وحمزة فما اسطاعوا بالادغام حمزة غير حماد وقرا ابو نشيط والشموني فما اصطاعوا بالصاد وهو الصحيح من نقل

ابن مهران دكاء بالمد حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل والخزاز عن هبيرة الحسب الذين بسكون السين ورفع الباء زيد ويعقوب والاعشى في اختياره

دوني اولياء بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابو عمرو ان ينفد بياء الغيبة حمزة وعلي وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الوقوف القرنين ذكرا

سببا لا سببا قوما حسنا نكرا الحسنى لاختلاف الجملتين يسرا لا لان ثم لترتيب الاخبار سببا ستراه كذلك اى كما قبيل الذين كانوا عند مغرب

الشمس وقيل بتبيد بكذلك اى لك كذا والامر كذلك وقيل اى احطنا بما لديه من العدد والعدة كذلك اى كما علمنا بقوم سبوتكم خبرا ثم اتبع سببا قولا لا

سدا مردما الحديد انفخوا نارا لا لان قال جواب اذا قطرا لا لان ما بعده ابتداء اخبار نقبا من ربي لعطف الجملتين المختلفتين دكا لان تلك حقا

لانقطاع القصة جمعا للعطف عرضا سمعا اولياء نزلا اعمالا للفصل بين الاستخبار والاخبار لان التقدير هم الذين ويجوز ان يكون

نصبا على الذم او جرا على البدل صنعا وزنا هزوا نزلا حولا مددا واحد لابتداء الشرط مع فاء التعقيب احدا التفسير اجاب عن

سؤال من سؤالات اليهود شرع في السؤال الثالث والجواب عنه واصح الاقوال ان ذا القرنين هو الاسكندر بن فيلقوس الرومي الذي ملك الدنيا

باسرها اذ لو كان غيره لانتشر خبره ولم يخف مكانه عادة يحكى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوائف ثم قصد ملوك المغرب وقهرهم وامعن حتى

انتهى الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسم نفسه ثم دخل الشام وقصد بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم

عطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له العراقيون والقبط والبربر ثم توجه نحو دارا بن دارا وهزمه مرات الى ان قتله فاستولى على ممالك الفرس

ثم قصد الهند والصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى المدن الكثيرة ورجع الى العراق ومرض بشهر زور ومات بها قال الامام فخر الدين

الرازي لما ثبت بالقران ان ذا القرنين كان رجلا ملك الارض بالكلية او ما يقرب منها وثبت من علم التاريخ ان من هذا شانه ما كان الا الاسكندر وجب

القطع بان ذا القرنين هو الاسكندر قال وفيه اشكال لانه كان تلميذ الارسطاطاليس الحكيم وكان على مذهبه فتعظيم الله اياه يوجب الحكم بان مذهب

ارسطو حق وصدق وذلك مما لا سبيل اليه قلت ليس كل ما ذهب اليه الفلاسفة باطلا فلعله اخذ منهم ما صفا وترك ما كدر والسبب في تسميته بذي

القرنين انه بلغ قرني الشمس اى مطلعها ومغربها وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان صغيران وقيل

انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب انه سمي بذلك لانه ملك الروم وفارس ويروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا راسه من نحاس وقيل كان

على راسه ما يشبه القرنين وقيل لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا كانه ينطح اقرانه وقيل راى في المنام كانه صعد الفلك وتعلق بطرفي الشمس

اى بقرنيها وزعم الفرس ان دارا الاكبر تزوج بابنة فيلقوس فلما قرب منها وجد رائحة منكرة فردها الى ابيها وكانت قد حملت منه بالاسكندر فولدت

الاسكندر وبقي عند فيلقوس فاظهر انه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الاكبر وقال ابو الريحان انه من ملوك حمير والدليل عليه ان الاذواء كانوا

من اليمن كذي يزن وغيره ويروى انه ملك الدنيا باسرها اربعة ذو القرنين وسليمان وهما مؤمنان ونمرود وبخت نصر وهما كافران واختلفوا فيه

فقيل كان عبدا صالحا ملكه الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه

وعن علي سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور واحب الله واحبه وسأله ابن الكواء وكان من اصحابه ما ذو القرنين املك ام نبي فقال

ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله اي في جهاده فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي

ذو القرنين وفيكم مثله يعني نفسه قالوا وكان ذو القرنين يدعو الناس الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله وقيل كان نبيا لقوله انا مكنا له في الارض

والتمكين المعتد به هو النبوة ولقوله وآتيناه من كل شيء سببا وظاهره العموم فيكون قد نال اسباب النبوة ولقوله قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب

وتكليم الله بلا واسطة لا يصلح الا للنبي وقيل كان ملكا من الملئكة عن عمر انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا

باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملئكة قوله سأتلوا عليكم اى سافعل هذا ان وفقني الله تعالى وانزل فيه وحيا والخطاب في عليكم للسائلين وهم

اليهود او قريش كابي جهل واضرابه وآتيناه من كل شيء سببا طريقا موصلا اليه والسبب في اللغة هو الحبل والمراد ههنا كل ما يتوصل الى المقصود من علم او قدرة



اوالى ذلك انه اراد بلوغ المغرب فاتبع سببا واصله اليه وكذا اراد المشرق فاتبع سببا موصلا اليه واراد بلوغ السد فاتبع سببا ادى اليه ثم
انه سبحانه شرع فى نعت مسيره الى المغرب فقال فاتبع سببا اى سلك طريقا افضى به الى سفر المغرب ومن قرأ بقطع الهمزة فمعناه اتبع نفسه سببا
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حامية اى حارة ومن قرأ بحذف الالف مهموزا فمعناه ذات حمأة اى طين اسود ولا تنافى بين
القراءتين فمن الجائز ان يكون العين جامعة للوصفين عن ابى ذر قال كنت رديف رسول الله على جمل فرأى الشمس حين غابت فقال اتدرى
يا اباذر اين تغرب هذه قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تغرب فى عين حامية قال حكماء الاسلام قد ثبت بالدلائل اليقينية ان الارض كرية وانها
فى وسط العالم وان السماء محيطة بها من جميع الجوانب وان الشمس فى فلكها تدور بدوران الفلك وايضا قد وضح ان جرم الشمس اكبر من جرم الارض
مائة ونيف وستين مرة تقريبا فكيف يعقل دخولها فى عين من عيون الارض فتأويل الاية ان الشمس تشاهد هناك اعنى فى طرف العمارة كانها تغيب
وراء البحر الغربى فى الماء كما ان راكب البحر يرى الشمس تغيب فى الماء لانه لا يرى الساحل ولهذا قال وجدها تغرب ولم يخبر انها تغرب فى عين ولا شك
ان البحار الغربية قوية السخونة فهى حامية وايضا حمئة لكثرة ما فى البحار من الطين الاسود اما قوله ووجد عندها قوما فالضمير اما للشمس واما للعين
وذلك ان الانسان لما تخيل ان الشمس تغرب هناك كان سكان ذلك الموضع كانهم سكنوا بالقرب من الشمس قال ابن جريج هناك مدينة لها اثنا عشر
الف باب لولا اصوات اهلها سمع الناس وجوب الشمس حين تجب كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يتخذ فيهم حسنا وهو تركهم
احياء فاختار الدعوة والاجتهاد فقال اما من ظلم بالاصرار على الشرك فسوف نعذبه بالقتل فى الدنيا ثم يرد الى ربه فى الآخرة فيعذبه عذابا نكرا منكرا فظيعا
روى صاحب الكشاف عن قتادة انه كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه وفيه نظر لان العذاب النكر بعد ان يرد الى
ربه لا يمكن ان يكون من فعل ذى القرنين ومن قرأ جزاء بالنصب اراد فله الفعلة الحسنى جزاء ومن قرأ بالرفع اراد فله الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة
او فله ان يجازى المثوبة الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا اى مما نامر به الناس من الزكوة والخراج وغيرهما ذلك يسرا اى قولا ذا يسر ليس بالصعب الشاق ثم حكى سفره
الى اقصى المشرق فقال ثم اتبع سببا اى طريقا موصلا يليق بسفر المشرق حتى اذا بلغ مطلع الشمس مكان طلوعها وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها
سترا عن كعب ان الستر هو الابنية وذلك ان ارضهم لا تمسكها فليس هناك شجر ولا جبل ولا ابنية يمنع شعاع الشمس ويدفع حرها عنهم فاذا طلعت الشمس
تخلوا فى اسراب لهم واذا غربت اشتغلوا بتحصيل المعاش فحالهم بالضد من احوال سائر الخلق وعن مجاهد ان الستر الثياب انهم عراة كالزنج وهكذا
كل من سكن فى البلاد القريبة من خط الاستواء كما حكى صاحب الكشاف عن بعضهم انه قال خرجت حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقيل بينك
وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى وحين قرب طلوع الشمس سمعت كهيئة الصلصلة فغشى على ثم افقت فلما طلعت الشمس
اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وللمفسرين
فى متعلق قوله كذلك وجوه احدها كان امر ذى القرنين اتبع هذه الاسباب حتى بلغ ما بلغ وقد علمنا حين ملكناه ما عنده من الصلاحية لذلك الملك
والاستقلال به الثانى لم نجعل لهم سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الابنية او الثياب الثالث بلغ مطلع الشمس مثل الذى بلغ من مغربها الرابع
تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم فقضى فى هؤلاء كما قضى فى اولئك من تعذيب الظالمين والاحسان الى المؤمنين وقد سبق بعض
هذه الوجوه فى الوقوف ثم حكى سفره الى ناحية القطب الشمالى بعد تهيئة اسبابه فقال ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين قيل السد اذا كان من خلق الله
فهو بضم السين حتى يكون بمعنى مفعول اى هو مما فعله الله وخلقه واذا كان من عمل العباد فهو بالفتح حتى يكون حدثا قاله ابو عبيدة وابن الانبارى
وانتصب بين على انه مفعول به كما ارتفع بالفاعلية فى قوله لقد تقطع بينكم قال الامام فخر الدين الرازى الاظهر ان موضع السدين فى ناحية الشمال
فقيل جبلان بين ارمينية واذربيجان وقيل فى منقطع ارض الترك وحكى محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه ان صاحب اذربيجان ايام فتحها وجه انسانا من ناحية
الخزر فشاهده ووصفه انه بنيان رفيع وراء خندق وثيق منيع وقيل ان الواثق رأى فى المنام كانه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم اليه ليعاينوه فخرجوا
من باب الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه ووصفوا انه بناء من لبن من حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ثم ان ذلك الانسان لما حاول
الرجوع اخرجهم الدليل الى البقاع المحاذية لسمرقند قال ابو الريحان البيرونى ومقتضى هذا الخبر ان هذا الموضع فى الربع الغربى الشمالى من المعمورة والله
اعلم بحقيقة الحال ولما بلغ الاسكندر ما بين الجبلين وجد من دونهما اى من ورائهما مجاوزا عنهما قوما لا يكادون يفقهون بانفسهم او يفقهون
بغيرهم قولهم لانهم لا يعرفون غير لغة انفسهم سؤال كيف فهم منهم ذو القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون فى الارض الخ واجيب بان كاد نفيه اثبات
لعله فهم ما فى ضميرهم بالقرائن والاشارات او بوحى والهام وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل مشتقان من اجيج الظليم فى مشيته اذا هرول
وتاجج النار اذا التهبت ومن عج الريح او موج البحر سموا بذلك لشدتهم وسرعة حركتهم وهما من ولد يافث وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم
ومن الناس من وصفهم بصغر الجثة وقصر القامة حتى الشبر ومنهم من وصفهم بطول القامة وكبر الجثة واثبت لهم مخالب واضراسا كاضراس السباع اما
افسادهم فى الارض فقيل كانوا يقتلون الناس وقيل ياكلون لحومهم وقيل يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا اخضر الا اكلوه ولا يابسا الا احتملوه
فهل نجعل لك خرجا وخراجا اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال وقيل الخرج ما يخرجه كل احد من ماله والخراج ما يجبيه السلطان من البلد كل
سنة وقال قطرب الخرج الجزية والخراج فى الارض قال ذو القرنين ما مكنى فيه ربى اى جعلنى فيه مكينا من المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج



قول سليمان فما آتاني الله خير مما آتيكم فأعينوني بقوة بالآلات ورجال الصناع وقيل بمال أصرفه في هذا المهم ولا آخذه لنفسي أجعل ردما أكبر من السد من
ثوب مردم رقاع فوق رقاع وزبر الحديد قطعه قال الخليل الزبرة من الحديد القطعة الضخمة من قرأ آتوني بالمد فظاهر ومن قرأ ائتوني من الإتيان
فعلى حذف باء التعدية والنصب بنزع الخافض ثم ههنا إضمار أي فأتوه بها فوضع بعضها فوق بعض حتى إذا ساوى بين الصدفين بضمتين وهما على القراءة
جانبا الجبلين لأنهما يتصادفان أي يتقابلان أفرغ عليه قطرا الحذف الأول أصب عليه النحاس المذاب وقطرا منصوب بأفرغ والتقدير آتوني قطرا
أفرغ عليه قطرا فحذف الأول لدلالة الثاني عليه وهذا مما يستدل به البصريون في أن المختار عند تنازع الفعلين هو إعمال الثاني إذ لو أعمل الأول
لقال أفرغه عليه يحكى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء وجعل الأساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد
ما بين الجبلين إلى أعلاهما ثم وضع المنافخ حتى إذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا
صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رجلا أخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد
والله رأيته قال العلماء هذا معجز من ذي القرنين لأن تلك الزبر الكثيرة إذا صارت كالنار لم يقتدر الآدمي على القرب منه وكأنه تعالى صرف تأثير تلك
الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين فما اسطاعوا أن يظهروه أي يعلوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا لصلابته وثخانته ولما
تكرر لفظ الاستطاعة مرارا حذف عنها التاء تخفيفا في الموضعين ثم أعاد ذكرها بالأخرة تنبيها على الأصل ورجوعا إلى البداية ثم قال ذو القرنين
هذا السد أو هذا الإقدار والتمكين نعمة من الله عز وجل ورحمة على عباده فإذا جاء أي قارب مجيء القيامة جعله دكا مدكوكا مبسوطا مستويا بالأرض وكلما
انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومن قرأ دكاء بالمد فعلى الوصف أي جعله أرضا مستوية وكان وعد ربي حقا وهذا آخر حكاية ذي القرنين ثم شرع
سبحانه في بقية الأخبار فقال وتركنا بعضهم يومئذ أي يوم يخرجون مما وراء السد يموجون في البلاد يروى أنهم يأتون البحر فيشربون ماءه
ويأكلون دوابه ولا يقدرون أن يأتوا مكة ولا المدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم فيدخل آذانهم فيموتون
وقيل أراد أن قوم السد لما منعوا من الخروج ماج بعضهم في بعض خلفه وقيل الضمير للخلق واليوم يوم القيمة أي جعلنا الخلق يضطربون ويختلط
إنسهم وجنهم حيارى ونفخ في الصور من آيات القيمة ويجيء وصفه ومعنى عرض جهنم إبرازها وكشفها للذين عموا عنها في الدنيا وفي ذلك نوع من العقاب
للكفار لما يتداخلهم من الغم والفزع عن ذكري أي عن آياتي التي ينظر إليها فأذكر بالتعظيم فأطلق المسبب على السبب وعن القرآن وتأمل معانيه وصفهم
بالعمى عن الدلائل والآثار فأراد أن يصفهم بالصمم عن استماع الحق فقال وكانوا لا يستطيعون سمعا وهو أبلغ من أن لو قال وكانوا صما لأن الأصم قد يستطيع
السمع إذا صيح به وهؤلاء زال عنهم الاستطاعة بالكلية احتجت الأشاعرة بالآية على أن الاستطاعة مع الفعل لأنهم لما لم يسمعوا لم يستطيعوا وأجيب بأن
المراد من نفي الاستطاعة النفرة والاستثقال ثم أغذ في التوبيخ والوعيد فقال أفحسب الذين كفروا والمراد أفظنوا أنهم ينتفعون بما عبدوه مع
إعراضهم عن تدبر آيات الله وتمردهم عن قبول أمره وأمر رسوله وفيه إضمار تقديره أفحسبوا اتخاذ عبادي أولياء نافعا والعباد إما عيسى والملئكة وإما
الشياطين الذين يطيعونهم وإما الأصنام أقوال ومن قرأ بسكون السين فمعناه أفكافيهم وحسبهم أن يتخذوهم أولياء على الابتداء والخبر أو على أنه مثل أقائم
الزيدان ثم بين أن ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا قال الزجاج النزل المأوى والمنزل وقيل إنه الذي يعد للضيف فيكون تهكما بهم نحو فبشرهم
بعذاب أليم الذين ضل سعيهم أي ضاع وبطل فعن علي رضي الله عنه أنهم الرهبان كقوله عاملة ناصبة وروي عنه أن منهم أهل حروراء وعن مجاهد أهل الكتاب
والتحقيق أنه يندرج فيه كل من يأتي بعمل خير لا يبتني على إيمان وإخلاص عن أبي سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيمة هي عندهم في العظم كجبال تهامة
فإذا وزنوها لم تزن شيئا وذلك قوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا قال القاضي من غلبت معاصيه طاعاته صار ما في فعله من الطاعة كأن لم يكن فلا
يدخل في الوزن شيء من طاعاته وهذا مبني على الإحباط والتكفير وفي قوله فحبطت أعمالهم إشارة إلى ذلك أو المراد فنزدري بهم ولا يكون لهم عندنا
وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ذلك الذي ذكرناه من أنواع الوعيد جزاؤهم وقوله
جهنم عطف بيان للجزاء والسبب فيه أنهم ضموا إلى الكفر بالله اتخاذ آيات الله واتخاذ رسله هزؤا وتكذيبا ويجوز أن يكون كل من الأمرين سببا مستقلا في
التعذيب ثم أردف الوعيد بالوعد على عادته عن قتادة الفردوس أوسط الجنة وأفضلها وعن كعب ليس في الجنان أعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون
بالمعروف والناهون عن المنكر وعن مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية وعن النبي صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس أعلاها
درجة ومنها الأنهار الأربعة فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإن فوقها عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة قال أهل السنة جعل جنات الفردوس
نزلا فالإكرام التام يكون وراء ذلك وليس إلا الرؤية ونظيره أنه جعل جهنم بأسرها نزلا فما وراء فما هو إلا العذاب الحقيقي وهو عذاب الحجاب كلا إنهم
عن ربهم يومئذ لمحجوبون والحول التحول وفيه أنه لا مزيد على نعيم الفردوس حتى تنازعهم أنفسهم إلى تلك الزيادة ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود أي لا يتحول
فيطلب كقوله ولا ترى الضيف بها يجري ولما ذكر أنواع الدلائل والبينات وشرح أقاصيص سئل عنها نبه على كمال حال القرآن والمداد اسم لما يمد به الشيء
كالحبر للدواة والسليط للسراج والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وفرض أن جنس البحر مدادا لها لنفد البحر قبل نفاد الكلمات ولو جئنا بمثله
البحر مددا لنفد أيضا وهو تمييز من مثله كقولك على التمرة مثلها زبدا والمدد والمداد واحد وروي أن حيي بن أخطب قال في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فنزلت هذه الآية يعني أن ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله قالت الأشاعرة إن كلمات الله

واحد



واحد واعترض عليه بهذه الآية فانها صريحة في اثبات كلمات كثيرة لله تعالى واجيب بان المراد من الكلمات متعلقات علم الله تعالى وزعم الجبائي ان قوله قبل ان تنفد كلمات ربي يدل على ان كلمات الله قد تنفد بالجملة وما ثبت عدمه امتنع قدمه واجيب بان المراد الالفاظ الدالة على تعلقات تلك الصفة الازلية قلت الانصاف ان نفاد شيء قبل نفاد شيء آخر لا يدل على نفاد الشيء الآخر ولا على عدم نفاده فلا يستفاد من الآية الا كثرة كلمات الله بحيث لا يضبطها عقول البشر اما انها متناهية او غير متناهية فلا دليل في الآية على احد النقيضين ولكن الحق في نفس الامر ان كلمات الله لا تتناهى لانها تابعة لمعلوماته وهي غير متناهية بالبرهان ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يسلك سبيل التواضع وهو ان حاله مقصور على البشرية لا يتخطاها الى الملكية الا انه امتاز بنعت الايحاء اليه وكفى به دونا ومباينة ثم بين ان الموحى هو انما الهكم اله واحد وفي تخصيص هذا الوحي بالذكر فائدة هي ان يستدل به على صدقه فان من علامات صدق مدعي النبوة ان يدعو الى التوحيد ثم ان يدعو الى العمل الصالح المقترن بالاخلاص وذلك قوله فمن كان يرجو اي يأمل لقاءه او يخاف سوء لقائه واللقاء بمعنى الرؤية عند الاشاعرة وبمعنى لقاء الثواب والعقاب عند المعتزلة فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قال المفسرون النهي عن الاشراك بالعبادة هو ان لا يرائي بعمله ولا يبتغي الا وجه ربه يروى ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال له لك اجران اجر السر واجر العلانية قال العلماء الرواية الاولى محمولة على ما اذا قصد بعمله الرياء والسمعة والرواية الثانية محمولة على ما اذا قصد ان يقتدى به قال في الكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له في مضجعه نور يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يستيقظ التأويل لما بين ان للانسان كالا مكونا وكنزا مدفونا يمكن له تحصيله بالتربية اراد ان يبين ان الانسان الكامل انما هو يستحق الخلافة في الارض واوتي اسباب كل شيء في عالم الوسائط والاسباب فبذلك يصير كاملا في نفسه مكملا لغيره فاتبع سببا من اسباب الوصول الى عالم السفلي وهو مغرب شمس الروح الانساني فوجدها تغرب في عين حمئة هي عالم القوى والطبائع الاجساد ووجد عندها قوما هم القوى البدنية والنفوس الارضية قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذبهم بالقتل بسكين الرياضة وسيف المجاهدة واما ان تتخذ فيهم حسنا هو الرفق والمداراة قال اما من ظلم بوضع خاصيته واستعمالها في غير موضعها فسوف نعذبه بقهره على خلاف ما هو مراده ومقتضى طبعه ثم يرد الى ربه وهو الشيخ الكامل الذي يربيه فيعذبه عذابا نكرا هو المنع عن مشتهياته او يرد الى الله تعالى فيعذبه بعذاب البعد والقطيعة واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى هو مقام الوصول والوصال وسنقول له من امرنا يسرا هو التخفيف والاستراحة بعد العنا والمجاهدة ثم اتبع اسباب الوصول الى عالم الارواح وهو مطلع شمس النفس الناطقة الانسانية فوجدها تطلع على قوم مجردين عن العلائق الجسمانية والعوائق الساترة حتى اذا بلغ بين السدين وهو عالم التعيش والتمدن والجولان في جو اسباب قوام البدن وقيامه على وجه الجسمانية الى صلاح المعاد ونظامه وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وهم العوام الذين قصارى امرهم الجهل البسيط ان يأجوج ومأجوج القوى والطبائع مفسدون في الارض البشرية باستعمال خواصها في غير ما خلقت هي لاجلها فهل نجعل لك خرجا هو ترك الوجود وبذل الموجود فاعينوني بقوة همة صارفة وعزيمة صادقة آتوني زبر الحديد ملكات راسخة وهيئات ثابتة او قلوبا من كالحديد في المضاء وكالجبال الراسيات في البقاء حتى اذا ساوى عرض ما بين طرفي العمر كما قيل من المهد الى اللحد قال انفخوا بالمداومة على الاذكار والاوراد حتى اذا جعله نارا بنائرة حرارة الطاعة والذكر في حديد القلب قال آتوني افرغ عليه قطرا هو جوهر المحبة وكيمياء الاخلاص التنافذة في سويداء القلوب بحيث لا ينفذ فيه كيد الشيطان ولا يعلوه ما سوى الرحمن الله حسبي

سورة مريم مكية حروفها ثلثة آلاف وثمانمائة حرفان كلماتها تسعمائة واثنتان وستون آياتها ثمان وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم

بنام خداوند بخشندهٔ مهربان

كهيعص ۝ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ اِذْ نَادٰى رَبَّهُ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ اِنِّىْ وَهَنَ

الْعَظْمُ مِنِّىْ وَاشْتَعَلَ الرَّاْسُ شَيْبًا وَّلَمْ اَكُنْۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝ وَاِنِّىْ خِفْتُ الْمَوَالِىَ مِنْ وَّرَآءِىْ

وَكَانَتِ امْرَاَتِىْ عَاقِرًا فَهَبْ لِىْ مِنْ لَّدُنْكَ وَلِيًّا ۝ يَّرِثُنِىْ وَيَرِثُ مِنْ اٰلِ يَعْقُوْبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝

يٰزَكَرِيَّآ اِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلٰمِ اسْمُهٗ يَحْيٰى لَمْ نَجْعَلْ لَّهٗ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ اَنّٰى يَكُوْنُ لِىْ غُلٰمٌ

وَّكَانَتِ امْرَاَتِىْ عَاقِرًا وَّقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ۝ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَّقَدْ



خلقتك من قبل ولم تك شيئا قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلث ليال
که آفریدم ترا از پیش و نبودی چیزی گفت پروردگارا بگردان برای من نشانی گفت نشان تو آنکه سخن نگوئی مردمان را سه شبان

سويا فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا يا يحيى خذ الكتاب
بی آن پس بیرون آمد بر گروه خود از عبادتگاه پس دعا کرد بسوی ایشان آنکه تسبیح کنید بامداد و شبانگاه ای یحیی بگیر کتاب را

بقوة وآتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا وبرا بوالديه ولم
بتوانائی و دادیم او را سخن درست کودکی و بخشایش از نزد ما و پاکی و باشد پرهیزکار و نیکو به پدر و مادر و نه

يكن جبارا عصيا وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا القراءة كهيعص
بناشد گردنکشی نافرمان و درود بر او روزی که زاده شد و روزی که میمیرد و روزی که برانگیخته شود زنده بامالة الهاء فقط ابو عمرو

كهيعص بامالة الياء فقط حمزة وخلف وقتيبة وابن ذكوان وقرأ علي غير قتيبة ويحيى وحماد بامالتهما وقرأ ابو جعفر ونافع والخزاعي عن البزي و ابن فليح بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب بتفخيمهما صاد ذكر مدغما ابو عمرو وحمزة وخلف وابن عامر وسهل من ورائي بفتح الياء مهموزا ابن كثير غير زمعة والخزاعي عن البزي وقرأ زمعة عن ابن كثير والخزاعي عن البزي من وراي مثل عصاي يرثني ويرث بالجزم فيهما ابو عمرو وعلي الباقون برفعهما نبشرك ثلثا وكذلك في آخر السورة حمزة عتيا وجثيا وصليا وبكيا بكسر الاوائل حمزة وعلي وافق حفص الا في بكيا الخزاز عن هبيرة عتيا الاولى بالكسر والثانية بالضم وقد خلقناك حمزة وعلي الآخرون خلقتك على التوحيد لي آية بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو وعلي الباقون بسكونها ليهب لك وابن شنبوذ عن اهل مكة الوقوف كهيعص كوفي زكريا ه لجواز تعلق اذ بذكر رحمة ربك لاحتمال الانتصاب باذكر مقدرا خفيا شقيا ولي يعقوب قف والوجه الوصل لعطف الجملتين المتفقتين يحيى لان ما بعده صفة غلام والاستيناف ليس بقوي سميا عتيا كذلك شيئا على لتعذر الامر كك شيئا آية ط سويا ه وعشيا ه بقوة ط صبيا لا للعطف اي آتينا الحكم وحنانا منا عليه وزكوة ط تقيا لا عصيا ه حيا ه التفسير حروف المعجم في الوقف ثنائية وثلاثية وقد جرت عادة العرب بامالة الثنائيات وبتفخيم الثلاثيات وفي الراي عند الامران لانه قد يلحق باخره ياء وقد لا يلحق فيصير ثنائيا ولا ريب ان التفخيم اصل والامالة فرع عليه فمن قرأ بامالة الهاء والياء معا فعلى العادة ومن قرأ بتفخيمهما جميعا فعلى الاصل ومن قرأ بامالة احدهما فلرعاية الجانبين وقد روى صاحب الكشاف عن الحسن انه قرأ بضمهما فقيل لانه تصور ان عين الكلمة فيهما واو فنبه بالضم على اصلها والبحث عن هذه الفواتح قد سلف في اول البقرة ومما يختص بهذا الموضع ما روي عن ابن عباس ان قوله كهيعص ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف كاف لامور عباده والهاء هاد والعين عالم او عزيز والصاد صادق وعنه ايضا انه حمل الكاف على الكريم او الكبير والياء على الكريم مرة وعلى الحكيم اخرى وعن الربيع بن انس ان الياء من مجير وهذا التفسير لا يخلو عن تحكم الا ان يستند الى الوحي او الالهام وارتفع ذكر رحمة على الخبر اي هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وانتصب عبده على انه مفعول الذكر وزكريا عطف بيان وقرئ برفعهما على اضافة المصدر الى المفعول وعن الكلبي انه قرأ ذكر بلفظ الماضي مشددا تارة ورحمة وعبده منصوبان على المفعولية ومخففا اخرى وعبده مرفوع على الفاعلية وقرئ ذكر على الامر وهي قراءة ابن معمر وقيل يحتمل على هذا ان يكون الرحمة عبارة عن زكريا لان كل نبي رحمة لامته ويجوز ان يكون رحمة لنبينا ولامته لان طريقه في الاخلاص والابتهال يصلح لان يقتدى به وكان ذكره رحمة لنا ولنبينا وفي خفاء ندائه وجوه منها ان الاخفاء ابعد عن الرياء وادخل في الخشية وهذا فسره الحسن بانه نداء لا رياء فيه ومنها انه اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة ومنها انه اسره من مواليه الذين خافهم ومنها انه خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات ولعله اتى باقصى ما يقدر عليه من الصوت ومع ذلك كان خفيا لنهاية كبره ثم شرع في حكاية ندائه انه قال رب اني وهن العظم مني الى قوله واجعله رب رضيا قال علماء المعاني في الآية لطائف وذلك ان اصل الكلام يا رب قد شخت فان الشيخوخة مشتملة على ضعف البدن وشيب الرأس ثم ترك الاجمال الى التفصيل لتوخي زيادة التقرير فصار ضعف بدني وشاب رأسي ثم في القرينة الاولى عدل عن التصريح الى الكناية التي هي ابلغ منه فصار وهنت عظامي فان وهن عظام البدن لازم لضعفه ثم بنيت الكناية على المبتدأ لتقوي الحكم فحصل انا وهنت عظام بدني ثم سلك طريق الاجمال و التفصيل لمزيد البيان فصار اني وهنت العظام من بدني فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص لانك اذا قلت اني وهنت العظام افاد ان عظاما واهنة عندك فاذا قلت من بدني فقد فصلت ثم ترك توسيط البدن لطلب مزيد اختصاص العظام افاد ان عظاما به تحصل اني وهنت العظام مني واذا حصل الوهن في هذا الجنس الذي هو اصلب الاعضاء وبه قوام البدن وقد يكون جنة لسائر الاعضاء الرئيسة كالقحف للدماغ والقص للقلب فغير الاعضاء الاخر اولى واما القرينة الاخرى فتركت الحقيقة فيها الى الاستعارة التي هي ابلغ فحصل اشتعل شيب رأسي وبيان الاستعارة فيه انه شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وشبه انتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل مأخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة بالكناية بان حذف المشبه به واداة التشبيه فصار اشتعل شيب رأسي ويمكن تقرير الاستعارة بوجه آخر وهو ان يكون استعمل اشتعل بدل انتشر ويكون الاستعارة تبعية نص عليه وقرينتها ذكر الشيب ثم تركت هذه المرتبة الى ابلغ منها وهي اشتعل رأسي شيبا وكونها ابلغ من جهات منها اسناد الاشتعال الى الرأس لافادة شمول الاشتعال الرأس كما لو قلت اشتعل بيتي نارا مكان اشتعل النار في بيتي ومنها الاجمال والتفصيل





الوافعان فى طريق التمييز ومنها تنكيره شيبا للتعظيم كما هو حق التمييز ثم عدل الى مرتبة اخرى هى اشتعل الراس منى شيبا لتوخى مزيد التقرير لانه
ثم البيان على نحو وهن العظم منى ثم ترك لفظ منى لسبق ذكره فى القرينة الاولى ففى ذلك حالة ثانية هى احالة المعنى على العقل دون اللفظ وكم بين
الحالتين مع ان بناء الكلام على الاختصار حيث قيل رب بحذف حرف النداء وياء المتكلم بناء على الاختصار فى آخره وانما اطنب فى هذا المقام لان
هذه الآية كالعلم فيما بين علماء المعانى ثم انه توسل الى الله عز وجل بما سلف له معه من الاستجابة قائلا ولم اكن بدعائك رب شقيا كما حكى
ان محتاجا قال لكريم انا الذى احسنت الى وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل الينا وقضى حاجته تقول العرب سعد فلان بحاجته اذا ظفر بها وشقى
بها اذا خاب ولم ينلها ومعنى بدعائك اى بدعائى اياك واعلم ان زكريا قدم على السؤال امورا ثلثة الاول كونه ضعيفا والثانى انه تعالى لم يرد دعاءه و
الثالث كون المطلوب بالدعاء سببا للمنفعة فى الدين وذلك قوله وانى خفت الموالى قال ابن عباس والحسن اى الورثة وعن مجاهد العصبة وعن ابى
صالح الكلالة وعن الاصم بنو العم وهم الذين يلونه فى النسب وعن ابى مسلم المولى يراد به الناصر وابن العم والمالك والصاحب وهو ههنا من تقدم ذكره
كالولد والمختار ان المراد من الموالى الذين يخلفون بعده اما فى السياسة او فى المال الذى كان له او فى القيام بامر الدين وكان من عادتهم ان كل
من كان الى صاحب الشرع اقرب كان متعينا للحبورة وقوله من ورائى اى بعد موتى لا يتعلق بخفت لان الخوف بعد الموت محال ولكن بمحذوف اى الموالى
الذين يخلفون من بعدى او بمعنى الولاية فى الموالى اى خفت ولايتهم وسوء خلافتهم من بعدى فان زكريا انضم له مع النبوة الملك فخاف بعده على احدهما او كليهما
وسبب الخوف القرائن والامارات التى ظهرت له من صنائع احوالهم واخلاقهم وانما قال خفت بلفظ الماضى لانه قصد به الاخبار عن تقادم الخوف ثم استغنى
بدلالة الحال كمسئلة الوارث واظهار الحاجة عن الاخبار بوجود الخوف فى الحال وقرئ خفت الموالى بتشديد الفاء وعلى هذا فمعنى ورائى خلفى وبعدى
اى قلوا وعجزوا عن امر الدين والاقامة بوظائفه والظرف متعلق بالموالى ومعناه قدامى والظرف متعلق بخفت اى درجوا ولم يبق من به تقوية ومعونة
بالمسئلة فاتل فهب لى واكده بقوله من لدنك اى وليا صادرا من عندك مضافا الى اختراعك لانى وامرأتى لا نصلح للولادة من فرائه يرثنى ويرث بالجزم
فيهما جواب للدعاء ومن قرأ برفعهما فالاكثرون ومنهم جار الله قالوا انه صفة وقال صاحب المفتاح الاولى حمله على الاستيناف كانه قيل لم تطلب الولد فقال
يحيى يرثنى اى لانه يرثنى لئلا يلزم منه انه لم يوهب من وصف لهلاك يحيى قبل زكريا واعترض بان حمله على الاستيناف يوجب الاخبار عما لم يقع وكذب النبى
امتنع من كونه غير مستجاب الدعوة واجيب بان عدم ترتب الغرض من طلب الولد لا يوجب الكذب واقول الاعتراض باق لان المعنى يؤول الى قولنا هب لى
وليا موصوفا بالوراثة او بان الغرض منه الوراثة او هب لى وليا اخبر عنه بانه يرثنى وعلى التقادير يلزم عدم الاستجابة او الكذب والحق فى الجواب
هو ما سلف لنا فى قصة زكريا من سورة آل عمران ان النبى لا يطلب فى الدعاء الا الاصلح حتى لو كان الاصلح غيره لطلبه بصرف الله تعالى عنه كان المصروف اليه
هو بالحقيقة مطلوبه ويمكن ان يقال معنى الوراثة قد تحقق من يحيى فى نوع من ذلك الكتاب والشرع معمولا بعد زكريا ايضا وقد روى صاحب الكشاف
ههنا قراءة شاذة لا فائدة كثيرة فى تعدادها الى قوله عن على وجماعة وارث من آل يعقوب اى يرثنى به وارث ويسمى التجريد فى علم البيان
فقيل هو ان يجرد الكلام عن ذكر الاول حتى يقول جاءنى فلان فجاءنى رجل لا يريد به الا الاول ولذلك لا يذكر اسمه فى الجملة الثانية ويجرد الكلام عنه
واقول يشبه ان يكون معنى التجريد هو انك تجرده عن جميع الاوصاف المنافية للرجولية وكذا فى الآية كانه جرده عن منافيات الوراثة بالمرة واختلف
المفسرون فى انه طلب الذرية او طلب من يقوم مقامه ولدا كان او غيره والاول اظهر لقوله فى آل عمران رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ولقوله فى سورة
الانبياء رب لا تذرنى فردا حجة المخالف انه لما بشر بالولد استعظم وقال انى يكون لى غلام ولو كان دعاؤه لاجل الولد ما استعظم ذلك والجواب مر فى آل
عمران واختلفوا ايضا فى الوراثة فعن ابن عباس والحسن والضحاك هى وراثة المال وعنهم ايضا ان المراد يرثنى المال ويرث من آل يعقوب النبوة
او بالعكس وفى رواية ابى صالح ان المراد فى الموضعين النبوة فلفظ الارث مستعمل فى المال واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وفى العلم واورثنا
بنى اسرائيل الكتاب العلماء ورثة الانبياء وحجة الاولين ما روى انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله زكريا وما عليه من يرثه فان ظاهره يدل على انه يريد وراثة المال و
كذا قوله نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة وايضا العلم والنبوة كيف يحصل بالميراث ولو كان المراد وراثة النبوة لم يحتج الى قوله واجعله
رضيا لان النبى لا يكون الا مرضيا واجيب بانه اذا كان المعلوم من حال الابن انه يصير نبيا بعده فيقوم بامر الدين جاز ان يقال ورثه والمراد بكونه
رضيا انه لا يوجد منه معصية ولا هم بها كما جاء فى حق يحيى فى قدم الحديث هناك ولا يلزم من هذا ان يكون يحيى مفضلا على غيره من الانبياء كلهم فلعل
لبعضهم فضائل اخر يختص بها احتج الاشاعرة بالمسئلة لانه فى مسئلة خلق الاعمال واجابت المعتزلة بانه يفعل به ضروب الالطاف فيختار ما يصير مرضيا
عنده وزيفنا بان ارتكاب المجاز على خلاف الاصل وبان فعل الالطاف واجب على الله فطلبه له بالدعاء والتضرع عبث واعلم ان اكثر المفسرين على
ان يعقوب المذكور فى الآية هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم لان زوجة زكريا كانت من آل سليمان بن داود من ولد يهودا بن يعقوب واما زكريا فقد كان
من ولد هرون اخى موسى وهرون وموسى من ولد لاوى بن يعقوب بن اسحق وكانت النبوة فى سبط يعقوب وهو اسرائيل وزعم بعض المفسرين ان
المراد هو يعقوب بن ماثان وهذا قول الكلبى ومقاتل وعن مقاتل ان بنى ماثان كانوا رؤس بنى اسرائيل وملوكهم قوله يا زكريا الاكثرون على انه نداء
من الله تعالى لقرينة التى تطلب من قوله رب انى وهن العظم منى الى قوله رب انى يكون لى غلام ومنهم من قال هو نداء الملك لقوله فى آل عمران فنادته
الملائكة وجوز بعضهم الامرين واختلفوا فى عدم التسمى فقيل ان زادا انه لم يسم احد بيحيى قبله وقيل المراد انه لا نظير له كقوله هل تعلم له سميا وذلك انه جبل



وحصورا وله بعض ولد بهم بمعصية فكانه جواب لقوله واجعله رب رضيا وايضا سمي يحيى وقيل نحوله في الوجود وولد بين شيخ فان وعجوز عاقر وقيل التطهير
له فهذه الخواص قال بعض العلماء القول الاول اظهر لما في الثاني من البعد والعدول عن الظاهر ولا يصار اليه الا لضرورة كما في قوله فاعبده واصطبر
لعبادته هل تعلم له سميا الا انا نعلم ان مجرد كونه لم يسم به لا يقتضي عبادته فنقول المسمى هنا يراد به المثل والنظير ويمكن ان يؤول التفرد
بالاسم فيه ضرب من التعظيم فلا ضرورة في الاية ايضا قال جار الله انما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين يسمى كل منهما باسم المثل والشبيه والشكل
والنظير فكل واحد منهما سمي لصاحبه قلت فيه يقرب هذا من اطلاق اللازم وارادة الملزوم ولم سمي يحيى تكلفوا له وجوها فعن ابن عباس لانه تعالى
احيى به عقر امه وعن قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان والطاعة ومن كان ميتا فاحييناه اذا دعاكم لما يحييكم ولهذا كان اول من امن بعيسى وقيل لانه
استشهد والشهداء احياء وقيل لان الدين احيي به لان زكريا سأله لاجل الدين فوفي له وقد بلغت من الكبر قال جار الله اي من اجل الكبر والطعن في السن
العالية فمن للتعليل ويجوز ان يكون للابتداء اي بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وهو اليبس والقساوة في المفاصل والعظام يوعتيا
العود وعتيا اذا عتو طول الزمان الى حالة اليبس سؤال انه قال في ال عمران وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر فلم عكس الترتيب في هذه السورة واجيب
بان الواو لا يفيد الترتيب قلت ان ذلك ورد على الاصل وهو تقديم نقص نفسه وههنا راعى الفاصلة قال الامر كذلك تصديقا له ثم ابتدأ قائلا
قال ربك فمحل كذلك رفع ويحتمل ان يكون نصبا بقوله وذلك اشارة الى مبهم يفسره قوله هو اي خلق الغلام علي هين ويحتمل ان يكون اشارة الى
قول زكريا انى يكون لي غلام اي كيف تعطيني الغلام ابان تجعلني وزوجتي شابين او بان تتركنا على الشيخوخة فاجيب بقوله كذلك اي نهب الولد لك
مع بقائك وبقاء زوجتك على حالتكما ولفظ الهين مجاز عن كمال القدرة وهو قبيل من كان هان الشيء يهون اذا لم يصعب ولم يمتنع عن المراد وقد خلقتك من قبل ولم
تك شيئا لان المعدوم ليس بشيء او شيئا يعتد به كالنطفة او كالجواهر التي لم تنتقل بعد وفيه نفي استبعاد زكريا لان خلق الذات ثم تغييرها في اطوار
الصفات اليس بهون من تبديل الصفات وهو احداث القوة المولدة في زكريا وصاحبته بعد ان لم يكن قال رب اجعل لي اية وقد مر تفسيره في اول ال عمران الا انه
قوله سويا فقيل انه صفة لليالي اي تامة كاملة والاكثرون على انه صفة زكريا اي انت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا عي فخرج على قومه من
المحراب قيل كان له موضع ينفرد فيه للصلوة والعبادة ثم ينتقل الى قومه وقيل كان موضعا يصلي فيه هو وغيره الا انهم كانوا لا يدخلونه للصلوة الا
باذنه فاوحى اليهم عن مجاهد اشار بدليل قوله في ال عمران الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض ان سبحوا اي صلوا او على الظاهر
وهو قول سبحان الله عن ابي العالية ان البكرة صلوة الفجر والعشي صلوة العصر فلعلهم كانوا يصلون معه هاتين الصلوتين في محرابه وكان يخرج اليهم
ويأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج اليهم كعادته ففهمهم المقصود بالاشارة او الكتابة وههنا اضمار والمراد فبلغ يحيى المبلغ الذي يجوز ان
يخاطب فقلنا له يا يحيى خذ الكتاب اي التورية لانها المعهود ويحتمل ان يكون كتابا مختصا به وان كنا لا نعرفه الان كقول عيسى اني عبد الله
اتاني الكتاب والمراد بالاخذ اما الاخذ من حيث الحس واما الاخذ من حيث المعنى وهو القيام بمواجبه كما ينبغي وذلك بتحصيل ملكة يقتضي سهولة
الاقدام على المأمور به والاحجام عن المنهي عنه ثم اكده بقوله بقوة اي بجد وعزيمة واتيناه الحكم اي الحكمة عن ابن عباس هو فهم التورية والفقه في الدين
ولذلك لما دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي قال ما للعب خلقت وعن معمر العقل وقيل النبوة وكل هذه الاوصاف على الاقوال من الخوارق كما
في حق عيسى فلا استبعاد الا من جهة العادة والحنان اصله توقان النفس ثم استعمل في الرحمة وهو المراد ههنا وما قيل انه يحتمل ان يراد رحمنا
منا على زكريا او على امة يحيى لا يساعده وجه الواو وقيل اراد اتيناه الحكم والحنان على عبادنا كقوله في نبينا فبما رحمة من الله لنت لهم واراد بقوله
وزكوة انه مع الاشفاق عليهم كان لا يخل باقامة ما يجب عليهم لان الرأفة وفي الدين ربما يورث ترك الواجب ولهذا قال ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله
ولا يخفى انه لا يساعد هذا القول وجه لفظة منا وعن عطاء ان معنى حنانا تعظيما من لدنا وعن ابن عباس وقتادة والضحاك وابن جريج ان معنى زكوة
عملا صالحا زكيا وقيل زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود وقيل بركة كقول عيسى جعلني مباركا وقيل صدقة اي يتعطف على الناس ويتصدق
عليهم ثم اخبر مجملا عن جملة احواله بقوله وكان تقيا بحيث لم يعص الله ولا هم بمعصية قط وبرا بوالديه لان تعظيم الوالدين تلو تعظيم الله ولم يكن
جبارا عصيا وذلك ان الزاهد في الدنيا قلما يخلو عن طلب رفعة والعبادة في احترام فذكر انه مع غاية زهده كان موصوفا بالتواضع للخلق
وبحقوق العبودية للحق قال سفيان الجبار الذي يقتل عند الغضب لقوله اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان تريد الا ان تكون جبارا في
الارض ثم انه سبحانه سلم عليه في ثلاثة مواطن هي اوحش المواطن واحوجها الى طلب السلامة فيها ويحتمل ان يكون هذا السلام من الملائكة عليه الا
انه لما كان باذن الله كان كسلام الله قيل انما قال حيا مع ان المبعوث هو المعاد الى حال الحيوة تنبيها على كونه من الشهداء ويوم احيا الا انه يحيى في قصة عيسى
ويوم ابعث حيا وذلك انه ورد في الاخبار ان عيسى يموت بعد النزول والظاهر انه اراد ويوم يجعل حيا فوضع الاخص موضع الاعم تاكيدا قيل السلام
عليه يوم ولد لا بد ان يكون تفضلا من الله تعالى لانه لم يتقدم منه عمل يجزى عليه واما الاخران فيجوز ان يكونا لاجل الثواب قلت اكثر اموره خارق للعادة
فيحتمل ان يوجد منه في بطن امه عمل يستحق الثواب كما يحكى ان مرة قالت لمريم وهما حاملان اني ارى ما في بطني يسجد لما في بطنك التأويل ان زكريا الروح
نادى ربه نداء خفيا من سر السر قال رب اني وهن مني عظم الروحانية واشتعل شيب صفات البشرية واني خفت صفات النفس ان تغلب وكانت امرأتي
يعني الجثة التي هي زوج الروح عاقرا لا تلد الا بموهبة من الله فهب لي من لدنك سأل لها فاعطاه الله نبيا وهو في الحقيقة القلب الذي هو معدن

اعتقل

لتشكله





العلم اللدني فانه ولد الروح والنفس عدا عدوه يرثني ويرث من آل يعقوب اى يتصف بصفة الروح وجميع الصفات الروحانيات واجعله رب رضيا بان توطنه من تجلي صفات ربوبيتك لما يرضى به بطينه ولسوف يعطيك ربك فترضى اسمه يحيى لان الله احيا بنوره لم نجعل له من قبل سميا لا من الحيوانات ولا من الملكية لانه هو الذي يقبل فيض الالوهية بلا واسطة وهو سر حمل الامانة كما قال ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن وقد بلغت من الكبر عتيا بسبب طول زمان تعلق القلب بالقالب عتيا يبسا وجفافا من غلبات صفات النفس آيتك الا تكلم الناس لا تخاطب الا الله ولا تلتفت الى ما سواه ثلث ليال هي ثلث مراتب الجمادات والحيوانات والروحانيات سويا متمكنا في هذا الحال من غير تلون فخرج زكريا الروح من محراب هواه وطبعه على قوم صفات نفسه و قلبه واما نيته فاشار اليهم ان كونوا متوجهين الى الله معرضين عما سواه آناء الليل واطراف النهار وقبل بكرة الازل وعشي الابد يا يحيى القلب خذ كتاب الفيض الالهي المكتوب لك في الازل بقوة ربانية لا بقوة جسدانية لانه خلق ضعيفا وآتيناه الحكم صبيا اذ اخلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وزكوة وتطهيرا من الالتفات الى غيرنا وبرا بوالديه الروح والقالب اما بالروح فلان القلب محل قبول الفيض الالهي لان الفيض يفيض بالروح اولا لكن لا يمسكه لغاية لطافته كما ان الهواء الصافي لا يقبل الضوء وينفذ فيه واما القلب ففيه صفاء وكثافة فبالصفاء يقبل الفيض وبالكثافة يمسكه وهذا احد اسرار حمل الامانة واما بالقالب فهو انه يعمل على وفق الشريعة والطريقة ولم يكن جبارا عصيا كالنفس الامارة بالسوء وسلام عليه يوم ولد في اصل خلقه ويوم يموت من استعمال المعاصي بالتوبة ويوم يبعث بالتربية والترقي الى مقام السلام الله حسبي وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ

مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا

زَكِيًّا قَالَتْ أَنّٰى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا قَالَ كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ

هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا

فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا

أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي

وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ

إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ

سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي

عَبْدُ اللّٰهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلٰوةِ وَالزَّكٰوةِ

مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ

وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لِلّٰهِ أَنْ يَتَّخِذَ

مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضٰى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللّٰهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ

هٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ



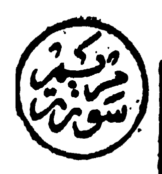
أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين وأنذرهم يوم الحسرة

بشنوا ايشان را وببينيد روزيكه بيايند بما ليكن ستمكاران امروز در گمراهى اند آشكارا وبترسان ايشان را از روز ندامت

إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا يرجعون القرا

كه ساخته شود كار ايشان در غفلت اند وايشان ايمان نمى آرند بدرستيكه ما ارث بريم زمين را وهر كه بر او است وبسوى ما باز گردند

انى اعوذ بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو ويهب لك على الغيبة ابو عمرو ويعقوب وورش والحلوانى عن قالون وحمزة فى الوقف
الآخرون لاهب على التكلم نسيا بفتح النون حمزة وحفص الباقون بكسرها من تحتها بكسر الميم على انه حرف جر وبجر التاء الثانية ابو جعفر ونافع
وسهل وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير ابي بكر وحماد الباقون بفتحهما على ان من موصولة والظرف صلتها تساقط بحذف تاء التفاعل حمزة والخزاز عن
هبيرة تساقط من المفاعلة حفص غير الخزاز يساقط بياء الغيبة على ان الضمير للجذع وبادغام التاء فى السين سهل ويعقوب ونصير وحماد الباقون مثله
ولكن بتاء التانيث على ان الضمير للنخلة مالى مفتوحة الياء على وقرأ حمزة مرسلة الياء ساكنة فى الوصل مما لى لو تقف واوصانى بامالة على قول الحق
بالنصب ابن عامر وعاصم ويعقوب وان الله بكسر الهمزة عاصم وحمزة وعلى وخلف ابن عامر وروح والمعدل عن زيد الوقوف مريم لئلا يبصر اذ ظرفا لاذكر
شرقيا لا للعطف زكيا ه بغيا ه كذلك لما مر هين لجواز كون الواو مقحمة او معلقة بمحذوف كما يجيء منا لاختلاف الجملتين مقضيا ه قصيا ه النخلة لان
الماضى من غير عاطف والاولى ان يكون ناسيتنا فامنتنا منسيا ه سريا ه جنيا ه عينا ج للشرط مع الفاء احدا لا لان ما بعده جواب الشرط انسيا ه للعطف
مع الآية تحمله ط فريا ه بغيا ج التز صبيا ه عبد الله ط لان الجملة لا تقع صفة للمعرفة ويمكن ان تجعل معنى التحقيق ان عاملا فيكون حالا فلا يوقف
اينما كنت ص لطول الكلام حيا ج لذلك والوصل اولى لان قوله وبرا معطوف على قوله مباركا بوالدتى لتبدل الكلام من الاثبات الى النفى شقيا ه حيا
عيسى بن مريم على القراءتين لاحتمال انه ابا قول قول الحق وان يجعل حالا واما فى قراءة الرفع فاما ان يكون بدلا من عيسى او يكون التقدير هو قول
الحق يمترون ه من ولد لا انبغا الا للتنزيه سبحانه ط فيكون ط لمن قرأ وان بالكسر فاعبدوه ط مستقيم ه من بينهم ج لان ما بعده مبتدأ مع الفاء عظيم ه وابصر لا لان
ما بعده ظرف للتعجب مبين ه وسمعت عن مشايخى رحمهم الله ان الوقف على قوله قضى الامر لازم لا اقل من المطلوب لان ما بعد جملة مستانفة ولو وصل لاوهم
ان يكون حالا من القضاء وليس كذلك لا يؤمنون ه يرجعون ه التفسير هذا شروع فى ابتداء خلق عيسى ولا ريب ان خلق الولد بين شيخين فانيين اقرب
الى مناهج العادات من تخليق الولد من غير اب فلهذا اخرت قصة عيسى عن قصة يحيى وهذا من باب الترقى من الادنى الى الاعلى وقوله اذ بدل الاشتمال من
مريم لان الاحيان مشتملة على ما فيها وفى هذا الابدال تفخيم لشان الوقت لوقوع قصتها العجيبة فيه والانتباذ افتعال من النبذ الطرح كانها
القت نفسها الى جانب معتزلة عن الناس فى مكان يلى شرقى بيت المقدس او شرقى دارها قال ابن عباس من ههنا اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت
من دونهم حجابا لاجل هذا الاحتجاب من غرض صحيح فى المفسرين من قال انها لما رأت الحيض تباعدت عن مكانها المعتاد لكن تنتظر الطهر فتغتسل وتعود فلما
طهرت جاءها جبرئيل وقيل طلبت الخلوة لاجل العبادة وقيل فى مشرفة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشئ يسترها وقيل كانت فى منزل زوج
اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق عليها بابها فتمنت ان تجد خلوة فى الجبل لتفلى رأسها فانفجر السقف لها فخرجت فجلست فى
المشرفة وراء الجبل فاتاها الملك وذلك قوله فارسلنا اليها روحنا يعنى جبرئيل لان الدين يحيى به وبوحيه والاضافة للتشريف والتسمية مجاز كانه
لم يجئ انه روحى فتمثل لها حال كونه بشرا سويا تام الخلق او حسن الصورة وانما مثل لها فى صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه وتدرع الروحانى
لجبرئيل مثلا تارة بالهيكل العظيم واخرى بالصغير عند مستبعد والذين اعتقدوا ان جبرئيل جسم جوزوا ان يكون له اجزاء اصلية قليلة واجزاء فاضلة
فتلك الاجزاء الاصلية يكون متمكنا من التشبه بصورة الانسان ولندرة امثال هذه الامور لا يلزم منها قدح فى العلوم العادية المستندة الى الاحساس
فلا يلزم الشك فى ان زيدا الذى نشاهده الان هو الذى شاهدناه بالامس قوله ان كنت تقيا اى ان كان يرجى منك ان تتقى الله وتحفل بالاستعاذة به
فانى عائذة به منك وقيل انه كان فى ذلك العصر انسان فاجر اسمه تقى كان يتبع النساء فظنت ان ذلك التمثيل هو ذلك الشخص فاستعاذت بالله وقيل
ان نافية اى ما كنت تقيا حين استحللت النظر الى وخلوت بى وحين علم جبرئيل خوفها قال انما انا رسول ربك ارسلنى لاهب لك او ليهب لك غلاما زكيا
طاهرا من الذنوب ينمو على النزاهة والعفة وكيف زال خوفها بمجرد التمثيل احتمل ان يكون قد ظهر لها معجز من جهة زكريا او ارهاصا لعيسى او الهاما من الله
سبحانه وهل يقدر الملائكة على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والنطق حتى صح قول جبرئيل لاهب لك قال اجمعت الامة على انه لا قدرة للاجسام على
ايجاد الجواهر واعدامها والا فلا استبعاد فى تاثير بعض الاجسام فى بعضها لخاصية خصها الله بها ووجه صحة هذه القراءة ان جبرئيل صار سببا فى النفخ
فى الدرع قالت استغرابا من جهة العادة لا تشككا فى قدرة الله انى يكون لى غلام لم تقل ههنا رب لانها تخاطب جبرئيل واما اكتفاء بما سلف فى آل
عمران ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا هى الفاجرة التى تبغى الرجال عن المبرد اصله بغوى على فعول فقلبت الواو ياء ثم ادغمت فى الياء وكسرت الغين للمناسبة
عن ابن جنى انه فعيل والا لقيل بغو كنهو عن المنكر وخصصت بعدما عممت لزيادة الاعتبار بهذا الحرى بتنزيهها عن الفحشاء ولما جرى فى اول القصة
من تمثل جبرئيل لها بصورة البشر حتى ظنت انه يريدها بسوء فاستعاذت بالرحمن بخلاف هذه القصة فى آل عمران فانها بنيت على الامن والبشارة بقوله
واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك فلم تحتج الى هذه الزيادة وقال جار الله المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل ان تمسوهن او لمستم



الزنا وانما يؤثر في الزنا بجريها وخبث بها ونحو ذلك ولا يليق به الكنايات والآداب فعلنا ولو سلم هذا من حيث اللغة الا انه لابد لزيادة قوله ولم اك بغيا
في هذا المقام من فائدة وقد عرفت ما سنح لنا والله اعلم قال كذلك قال ربك هو علي هين تفسيره كما مر في قصة زكريا ولنجعله اي ولنجعل الغلام او خلقه
آية للناس يستدل بها على كمال اقتدارنا على ابداع الغرائب فعلنا ذلك ويجوز ان يكون معطوفا على تعليل مضمر يتعلق بما يدل عليه هين
اي نخلقه لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وقد مر مثل هذا في قوله ولقد مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه ورحمة منا على عبادنا لان كل نبي رحمة لامته فيه
يهتدون الى صلاح الدارين وكان امرا مقضيا مقدرا في اللوح او امرا حقيقا بان يقضى به لكونه آية ورحمة وهذا مبني على ان رعاية الاصلح واجبة على الله
وههنا اضمار قال ابن عباس فاطمانت الى قوله فدنى منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل في ذيلها فوصلت الى الفرج وقيل
في فمها وقيل ان النافخ هو الله كقوله فنفخت فيه من روحي وعلى هذا يقع تقديم ذكر جبرئيل كالضائع ولا سيما في قراءة من قرأ لاهب لك قيل حملته وهي
بنت ثلث عشرة سنة وقيل بنت عشرين وقد حاضت حيضتين قبل ان تحمل وكم مدة حملها عن ابن عباس في رواية تسعة اشهر كما في سائر النساء لانها لو كانت مخالفة
لهن في هذه العادة لناسب ان يذكرها الله تعالى في اثناء مدائحها وقيل ثمانية اشهر ولم يعش مولود لثمانية الا عيسى قال اهل التنجيم انما لا يعيش لانه لا يعود
الى تربية القمر وهو منحوس معين بسرعة حركته وغلبة التبريد والترطيب عليه وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ستة اشهر وقيل حملته في ساعة
وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس يومها وعن ابن عباس في رواية اخرى كان حملته ونبذته لقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله الى قوله كن فيكون
ولفظ الفاء للتعقيب في قوله فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض وعلى هذا فالمكان القصي هو اقصى الدار او وراء الجبل بعيدا من اهلها ومعنى
انتبذت به اعتزلت متلبسة به وهو في بطنها وقصيا مبالغة قاص وروى الثعلبي عن وهب قال ان مريم لما حملت فاول من عرف هو يوسف النجار ابن عمها وكانت
سميته وكانا يخدمان المسجد لا يعلم اهل زمانهما اكثر عبادة وصلاحا منهما فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء ولا احب ان اكتمه عنك فقالت قل
قولا جميلا فقال اخبريني يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت الم تعلم ان الله تعالى ابتدأ الزرع يوم خلقه من غير بذر او تقول ان الله لا يقدر على الانبات حتى
يستعين بالماء الم تعلم ان الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فقال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله قادر على ما يشاء وزال التهمة عن قلبه
وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لضيق قلبها واستيلاء الضعف من الحمل فحين دنا نفاسها اوحى الله اليها ان اخرجي من ارض قومك كيلا يقتلوا ولدك
فاحتملها يوسف الى ارض مصر على حمار له فلما بلغت تلك البلاد ادركها النفاس فالجاها الى اصل نخلة فاجاءها الله اجاء منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجاءنيه زيد كما تقول بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم يقل اتيت
المكان وآتانيه فلان قلت حاصله تخصيص ما للتعدية بعد تعميم والمخاض بفتح الميم وجع الولادة قال الجوهري مخضت الناقة بالكسر مخاضا مثل
سمع سماعا قيل طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة روي انه كان جذع النخلة يابسة في الصحراء ليس لها راس ولا ثمرة ولا خضرة وكان
الوقت شتاء والتعريف فيه اما كتعريف النجم والصعق لكون ذلك الجذع مشهورا هناك واما للجنس اي جذع هذه الشجرة خاصة ارشدها اليها ليطعم
منها الرطب الذي هو خرسة النفساء اي طعامها الموافق لها ولان النخلة اقل الاشياء صبرا على البرد ولا تثمر الا باللقاح فكان ذلك الرطب من ذلك
الجذع في الشتاء من دون لقاح وابار دليلا على حصول الولد من غير ذكر قال في الكشاف النسي اسم لما من حقه ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها ونظيره
الذبح لما من شأنه ان يذبح وعن يونس العرب اذا ارتحلوا قالوا انظروا انساءكم يعنون العصا والقدح والشظاظ ونحوها تمنت لو كانت شيئا لا يعبأ به من حقه
ان ينسى في العادة ومعنى منسيا انه قد نسي واطرح فوجد فيه النسيان الذي هو حقه وانما تمنت ذلك لما لحقها من فرط الحياء والخجل او لانهم لو اتهموها
وهي عارفة ببراءة ساحتها فشق ذلك عليها او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها ومن قرأ نسيا بالفتح فقد قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر
ويجوز ان يكون تسمية بالمصدر كالحمل وقرئ نسأ بالهمز وهو الحليب المخلوط بالماء ينساه اهله لقلته ونزارته فناديها من تحتها الذي هو تحتها
او انسان تحتها يعني جبرئيل بناء على انه كان يقبل الولد كالقابلة او اراد اسفل من مكانها لان مريم كانت فوق الى الشجرة منه او كان جبرئيل تحت الاكمة
وهي فوقها فصاح بها لا تحزني وعن الحسن وسعيد بن جبير ان المراد به عيسى لان ذكر عيسى اقرب ولان موضع اللوث لا يليق بالملك ولان الصلة يجب
ان تكون معلومة للسامع والذي علم كونه حاصلا تحتها هو الولد ويجري القولان فيمن قرأ بكسر الميم وعن عكرمة وقتادة ان الضمير في تحتها للنخلة قوله
سريا جمهور المفسرين على ان السري هو الجدول وروي ذلك عن النبي ص سمي به لان الماء يسري فيه وقيل هو من السرو ومعناه سخاء في مروءة يقال
فلان من سروات قومه اي من اشرافهم وجمع السري سراة وجمع سراة سروات وعن الحسن كان والله عبدا سريا حجة هذا القائل ان النهر لا يكون تحتها بل الى
جنبها ولا يمكن ان يقال المراد ان النهر تحت امرها يجري بامرها ويقف بامرها كما في قوله وهذه الانهار تجري من تحتي لانه خلاف الظاهر واجيب بان المكان
المستوي اذا كان فيه مبدأ معين فكل من كان اقرب منه كان فوق وكل من كان ابعد منه كان تحت واراد ان النهر تحت الاكمة وهي فوقها وايضا حمل السري
على النهر موافق لقوله واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ولقوله فكلي واشربي روي ان جبرئيل ضرب برجله فظهر ماء عذب وقيل كان هناك ماء جار و
الاول اقرب لان قوله قد جعل ربك مشعر بالاحداث في ذلك الوقت قال القفال الجذع من النخلة هو الاسفل ما دون الراس الذي عليه الثمرة وقال
قطرب كل خشبة في اصل شجرة فهي جذع والباء في قوله بجذع النخلة كالزائدة لان العرب تقول هزه وهز به والمعنى حركي جذع النخلة او افعلي الهز تساقط عليك رطبا
تمييز او مفعول تساقط على حسب القراءات اللازمة والمتعدية وعن الاخفش المراد جواز انتصابه بهزي اي هزي اليك رطبا جنيا بجذع النخلة اي على جذعها

والجني المأخوذ طريا والظاهر انه ما اثمر الا الرطب فقد صار نخلا وقيل انه كان على حاله وانه اثمر مع الرطب غيره قالوا اذا عسر ولادة المرأة لم يكن لها خير من الرطب
والتمر للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذا التحنيك والمراد انه جمع لها في السري والرطب احدهما الاكل والشرب وقدم الاكل مع ان ذكر السري مقدم
لان احتياج النفساء الى اكل الرطب اشد من احتياجها الى شرب الماء لكثرة ما سال من الدماء والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين لزكريا او
ارهاصا لعيسى او كرامة لمريم واشار الى هذه بقوله وقري عينا لان قرة العين تلزم قوة القلب والتسلي من الهموم والاحزان وقيل ان الم
النفس اشد من الم البدن فلم قدم دفع الم البدن على دفع الم القلب اجيب بان الخوف لنفسي كان قليلا لتقدم بشارة جبرئيل فكانا لتذكرا فيما
فاما ترين اصله ترايين مثل تسمعين خففت الهمزة وسقطت نون الاعراب للجزم ثم يا الضمير لالتقاء الساكنين وذلك بعد لحوق نون التاكيد وقد مر في قوله
اما يبلغن عندك الكبر ان التاكيد في هذه الصورة بقصد ان الشرط مما سيقع غالبا فان نريهم لا بد انه يرى احدا من البشر عادة عن انس بن مالك
الصوم هنا الصمت وعن ابن عباس مثله وقال ابو عبيدة كل ممسك من طعام او كلام او سير فهو صائم وقيل اراد الصيام الا انهم كانوا لا يتكلمون
في صيامهم قال القفال العل مثل هذا النذر يجوز في شرعنا لان الاحتراز عن كلام البشر بتجريد الفكر لذكر الله ثم وهو قربة لعله لا يجوز لما فيه
من التضييق والتشديد ولا حرج في الاسلام وفي الكشاف نهى رسول الله صلعم عن صوم الصمت روي انه دخل ابو بكر الصديق على امرأة وقد نذرت
انها لا تتكلم فقال ابو بكر ان الاسلام هدم هذا فتكلمي وفي امرها بهذا النذر وجهان احدهما ان كلام عيسى اقوى في ازالة التهمة وفيه ان تفويض الامر الى
الافضل اولى والثاني ان السكوت عن جدال السفهاء اصون للعرض ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وكيف اخبرتهم بالنذر وقيل بالاشارة ولا
لزم النقض وقيل خص هذا الكلام بالقرينة العقلية وقوله انسيا اراد انما لعبرة في نفي التكلام او اراد اني اكلم الملئكة دون الانس وهذا اشبه بقوله
فاما ترين من البشر فانت به اي بعيسى قومها تحمله حال عن وهب قال انساها كربة الميلاد وما سمعت من الناس ما كان من بشارة الملئكة فلما كلمها جاءت
مصداق ذلك فحملته فاقبلت به الى قومها وعن ابن عباس انه ذهب بها يوسف النجار انتهى بهم الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى طهرت من نفاسها ثم جاءت
تحمله فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها بكوا وقالوا لقد جئت شيئا فريا بديعا من فري
الجلد وليس في هذا ما يوجب تعبيرا او ذما لان امرها كان خارجا عن المعتاد ويحتمل انه اراد انه امر منكر خارج عن طريق العفة والصلاح فيكون توبيخا
ويؤكده قولهم يا اخت هرون الاية واختلفوا في هرون فقيل كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وهذا الظهر لان حمل اللفظ على الحقيقة اولى من
غيره وقيل ويروى عن النبي صلعم انهم عنوا هرون النبي اخا موسى عليهما السلم وكانت من اعقابه في طبقة الاخوة وبينهما الف سنة واكثر وعن السدي
كانت من اولاده والمراد انها واحدة منهم كما يقال يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل اراد رجلا صالحا في زمانها اي كنت عندنا مثله في الصلاح
يحكى انه تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه وقيل كان رجلا طالحا معلنا بالفسق فشبهوها به بالتشبيه نسبته وروي انهم همّوا
برجمها فاشارت اليه اي ان عيسى هو الذي يجيبكم وبم عرفت ذلك اما بان كلمها في الطريق او بالالهام او بالوحي الى زكريا او بقول جبرئيل على
ان امرها بالسكوت بعد ما سبق من البشارة اشارة الى ذلك قيل كان المستنطق لعيسى زكريا وعن السدي لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها
بنا اشد علينا من زناها ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد قال النحاة كان لايقاع مضمون الجملة في زمان ماض مبهم يصلح القريب والبعيد وههنا
للزمان القريب خاصة والدال عليه الحال او هو حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل عيسى ان يكلم الناس صبيا في المهد حتى نكلم هذا ويحتمل ان يقال كان زائدة
نظرا الى اصل المعنى وان كان يفيد ارتباطا مع رعاية الفاصلة او تامة وصبيا حال مؤكدة يروى انه يرضع فلما سمع مقالتهم ترك الرضاع واقبل
عليهم بوجهه واتكاء على يساره واشار بسبابته قائلا اني عبد الله فكان فيه اولا رد قول النصارى آتاني الكتاب هو الانجيل او التوراة اي فهمنيها
وقيل اكمل الله عقله واستنباه طفلا بل في بطن امه وقيل وانه سبق في قضائه او جعل الآتي لا محالة كانه قد وجد والاول اظهر وصغر الجسم لا يفيد
في كمال العقل وخرق العادة فيه اكثر قالوا ان كمال عقله في ذلك الوقت خارق للعادة فيكون المعجز متقدما على التحدي وهو غير جائز ولو كان نبيا
في ذلك الوقت وجب ان يشتغل ببيان الشرايع والاحكام ولو وقع ذلك لاشتهر ونقل والجواب ان بعض معجزات النبي لا بد ان يكون مقرونا بالتحدي
اما الكل فممنوع وبعبارة اخرى لا بد ان يكون مقرونا بفعل خارق للعادة فانه لا يلزم اقترانه بالتحدي وكذا الكلام في بيان الشرايع فان بعض اوقات
النبي لا بد ان يفترق به دون كل اوقاته وحالاته على انه اشار الى بعض التكاليف بقوله واوصاني بالصلوة والزكوة كما يجيء وعن بعضهم انه كان نبيا
لقوله وجعلني نبيا ولكنه ما كان رسولا لانه ما جاء بالشريعة في ذلك الوقت ومعنى كونه نبيا انه رفيع القدر على الدعوة وضعف بان النبي في عرف
الشرع اخص من ذلك ومعنى كونه مباركا اينما كنت نفاعا حيثما كنت روي ذلك عن رسول الله صلعم وقيل معلما للخير وضلال كثير من اهل الكتاب
باختلافهم فيه لا يقدح في منصبه كما قيل على تحنث الفواني من معادنها وما علي اذا لم يفهم البقر وهذه منة الله في انبيائه ورسله كلهم وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا ويروى ان مريم سلمت عيسى الى المكتب فقالت للمعلم ادفعه اليك على ان لا تضربه فقال له اكتب فقال له اي شيء اكتب فقال
اكتب ابجد فقال لا اكتب شيئا لا ادري ثم قال ان لم تعلم ما هو فانا اعلمك الالف من آلاء الله والباء من بهاء الله والجيم من جمال الله والدال من اداء الحق الى الله
وقيل البركة اصلها من برك البعير والمعنى جعلني ثابتا في دين الله مستقرا فيه روي انه مر بامرأة وهو يحيي الموتى ويبرئ الاكمه والابرص فقالت طوبى لبطن
حملتك وثدي ارضعتك فقال عيسى مجيبا لها طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع ما فيه ولم يك جبارا شقيا واوصاني بالصلوة والزكوة اي بادائهما اما



فی وقتہا المعینۃ وہو وقت البلوغ واما فی الحال بناء علی انہ کان مع صغرہ کامل العقل تام الترکیب بحیث یقوی علی اداء التکالیف وبویدہ قولہ
مادمت حیا وقیل الزکوۃ ہہنا صدقۃ الفطر وقیل تطہیر البدن من دنس الآثام وقیل اوصانی بان امرکم بہما وفی قولہ وبرا بوالدتی دلالۃ واشارۃ الی
برائۃ امہ من الزنا واذ لم یکن الرسول المعصوم مامورا ابالبر بہا قال بعض العلماء لا تجد العاق الا جبارا شقیا وتلا قولہ وبرا بوالدتی ولم یجعلنی
جبارا شقیا ولا تجد سیئ الملکۃ الا مختالا فخورا وقرأ وما ملکت ایمانکم ان اللہ لا یحب من کان مختالا فخورا وانما نفی عن عیسی الشقاوۃ ولم ینف
عنہ المعصیۃ کما نفی عن یحیی لما جاء فی الخبر ما احد من بنی آدم الا اذنب او ہم بذنب الا یحیی بن زکریا ومن ہہنا قال اہل السنۃ ان الانبیاء معصومون
عن الکبائر دون الصغائر وقولہ والسلام علی قال العلماء انما عرف السلام ہہنا بعد تنکیرہ فی قصۃ یحیی لان النکرۃ اذا تکررت تعرفت علی ان تعریف
الجنس وتنکیرہ سیان وقیل ان الاول من اللہ والقلیل عندہ کثیر. فلیل منک یکفینی ولکن. قلیلک لا یقال لہ قلیل وانی لارضی منک یا ہند بالذی
لو ابصرہ الواشی لقرت بلابلہ بلا وبان لا استطیع وبالمنی وبالوعد حتی یسام الوعد املہ والثانی من عیسی والکثیر منہ لا یبلغ معشار سلام اللہ
عن بعضہم ان عیسی قال لیحیی انت خیر منی سلام اللہ علیک وسلمت علی نفسی واجاب الحسن بان تسلیمہ علی نفسہ ہو تسلیم اللہ علیہ وقال جار اللہ
فیہذا التعریف تعریض باللعنۃ علی متہمی مریم واعدائہا من الیہود لانہ اذا زعم ان جنس السلام خاصۃ فقد عرض بان ضدہ علیہم ونظیرہ فی قصۃ موسی
والسلام علی من اتبع الہدی یعنی ان العذاب علی من کذب وتولی یروی انہ کلمہم بہذہ الکلمات ثم لم یتکلم حتی بلغ مبلغا یتکلم فیہ الصبیان وعن الیہود والنصاری
انہم انکروا تکلم عیسی فی المہد قائلین ان ہذہ الواقعۃ مما یتوفر الدواعی علی نقلہا فلو وجدت لاشتہرت وتواترت مع شدۃ غلو النصاری فیہ وفی
مناقبہ وایضا ان الیہود مع شدۃ عداوتہم لہ لو سمعوا کلامہ فی المہد بالغوا فی قتلہ ودفعہ فی طفولیتہ واجاب المسلمون من حیث العقل بانہ لولا کلامہ
الذی دلہم علی برائۃ امہا من الذی قذفوہ بہ لاقاموا علیہا الحد ولم یترکوہا ولعل حاضری کلامہ قلیلون فلذلک لم یبلغ مبلغ التواتر ولعل الیہود لم یحضروا
ہناک فلذلک لم یشتغلوا وقتئذ بدفعہ واللہ اعلم ذلک الموصوف بالصفات المذکورۃ من قولہ انی عبد اللہ الی آخرہ ہو عیسی بن مریم وفی کونہ ابنا لہذہ
المرأۃ نفی کونہ ابنا للہ علی ما زعمت الضالۃ والزم واکد ہذا المعنی بقولہ قول الحق فان کان الحق ہو اسم اللہ فہو کقولہ کلمۃ اللہ وانتصابہ علی المدح وان کان بمعنی قول
الثابت والصدق فانتصابہ علی انہ مصدر مؤکد لمضمون الجملۃ المتقدمۃ کقولک ہو عبد اللہ الحق وقول الحق من اضافۃ الموصوف الی الصفۃ مثل حق الیقین
وقد قرئ ایضا ارتفاعہ علی انہ خبر بعد خبر او بدل او خبر مبتدأ محذوف ومعنی یمترون تشکون من المریۃ الشک او المراد یتمارون من المراء اللجاج وذلک ان
الیہود قالوا ساحر کذاب والنصاری قالت ابن اللہ وثالث ثلثۃ ثم صرح ببطلان معتقدہم فقال ما کان للہ ما صح لہ وما استقام ان یتخذ من ولد کما لا
یستقیم ان لا یکون لہ شریک وقد مر مثل ہذہ الآیۃ فی سورۃ البقرۃ والذی نزیدہ ہہنا ان بعضہم قال معنی الآیۃ ما کان للہ ان یقول لاحد انہ ولدی لان
ہذا الخبر کذب والکذب لا یلیق بحکمتہ وزعم الجبائی بناء علی ہذا التفسیر انہ لیس للہ ان یفعل کل شیء لان قولہ ما کان للہ ان یتخذ من ولد کقولنا ما کان
للہ ان یظلم فلا یلیق شیء منہا بحکمتہ وکمال الہیتہ واجیب بان الکذب علی اللہ محال والظلم تصرف فی ملک الغیر فلا یتصور فی حقہ فان اردتم ہذا المعنی
فلا نزاع وان اردتم شیئا آخر فما الدلیل علی استحالتہ احتج بعض الاشاعرۃ بالآیۃ علی قدم کلام اللہ لان قولہ کن ان کان قدیما فہو المطلوب وان کان محدثا
احتاج فی حدوثہ الی قول آخر وتسلسل واستدلت المعتزلۃ بہا علی حدوث کلامہ قالوا ان قولہ اذا قضی للاستقبال وذلک القول متأخر عن القضاء
المحدث والمتأخر عن المحدث محدث وایضا الفاء فیکون للتعقیب والقول متقدم علیہ بلا فصل والمتقدم علی المحدث بزمان قلیل محدث وکلا
الاستدلالین ضعیف لانہ لا نزاع فی حدوث الحروف وانما النزاع فی کلام النفس وایضا قولہ کن عبارۃ عن نفاذ قدرتہ ومشیتہ والافلیس ثم قول لان
الخطاب مع المعدوم عبث ومع الموجود تحصیل للحاصل ومن الناس من زعم ان المراد من قولہ فیکون صفۃ التکوین فانہا زائدۃ علی صفۃ القدرۃ
لانہ قادر علی عوالم اخر سوی ہذا وغیر مکون لہا ولعل ہذا الزاعم سمی تعلق القدرۃ بالمقدور تکوینا ومن قرأ وان اللہ بالفتح فمعناہ ولان اللہ ربی
وربکم فاعبدوہ وفیہ ان الربوبیۃ ہی سبب العبادۃ فمن لم یصح عبادتہ ربوبیتہ لم یستحق ان یعبد ولا رب بالحقیقۃ الا اللہ لانہ خالق جمیع الوسائط و
الاسباب المنتہیۃ الیہ فلا یستحق العبادۃ الا ہو وہہنا نکتۃ ہی انہ تعالی لا یصح ان یقول ان اللہ ربی وربکم فاعبدوہ فالتقدیر قل یا محمد بعد اظہار البراہین
الباہرۃ علی ان عیسی عبد اللہ ان اللہ ربی وربکم وقال ابو مسلم الاصفہانی انہ من تتمۃ کلام عیسی وما بینہما اعتراض وعن وہب بن منبہ عہد الیہم حین
اخبرہم عن حالہ وصفتہ ان کلنا عبد اللہ ثم فاختلف الاحزاب من بینہم ای من بین اہل الکتاب قال الکلبی ہم الیہود والنصاری وقیل النصاری
اختلفوا ثم اتفقوا علی ان یرجعوا الی علماء زمانہم وہم یعقوب ونسطور وملکا فقیل للاول ما تقول فی عیسی فقال ہو اللہ ہبط الی الارض فخلق و
احیی ثم صعد الی السماء فتبعہ علی ذلک خلق کثیر وہم الیعقوبیۃ وسئل الثانی فقال ہو ابن اللہ فتابعہم غیرہم وہم النسطوریۃ وسئل الثالث فقال
کذبوا وانما کان عبدا مخلوقا نبیا فتبعہ وہم الملکانیۃ وقیل کانوا اربعۃ والرابع اسمہ اسرائیل فقال ہو الہ وامہ الہ واللہ ثالثہم
والروح واحد واعلم ان بحث الحلول والاتحاد فیہ طول وقد یجر الکلام فیہ الی مقامات یصعب الترقی الیہا فلذلک ضل فیہ من ضل وزل عنہ من زل واللہ سبحانہ
اعلی من جمیع ذلک واجل فویل للذین کفروا من مشہد یوم عظیم ای من شہودہم ہذا الجزاء والحساب فی ذلک الیوم او من زمان شہودہم او من مکان شہودہم
فیہ وہو الموقف ویحتمل ان یکون المشہد من الشہادۃ ای من یشہد علیہم الملئکۃ والانبیاء وجوارحہم فیہ بالکفر والقبائح او من مکان الشہادۃ او وقتہا
وقیل ہو ما قالوہ وشہدوا بہ فی عیسی وامہ یوم ولادتہ ومعنی من التعلیل ای الویل لہم من اجل المشہد وبسببہ اسمع بہم وابصر صیغتا للتعجب والمراد انہا ایتن

الحاسرين منهم جدير ان يتعجب منهما فى ذلك اليوم بعد ما كانوا صما وعميا فى الدنيا وذلك لكشف الغطاء ولحاق العيان بالخبر والتعجب استعظام الشئ
بسبب عظم ثم جوز استعمال لفظ التعجب عند مجرد الاستعظام من غير خفاء السبب او من غير سبب قال سفيان قرأت عند شريح بل عجبت ويسخرون
فقال ان الله لا يعجب من شئ انما يعجب من لا يعلم فذكرت ذلك لابراهيم النخعى فقال ان شريحا شاعر يعجبه علمه وعبد الله اعلم بذلك منه والمعنى انه صدر
من الله فعل لو صدر مثله عن الخلق لدل على حصول التعجب فى قلوبهم وقيل معنى الامر التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم وقيل كذا اسمعهم
وابصرهم ليعتبروا ويسمعوا فيهم والوجه هو الاول ويؤيده قوله لكن الظالمون اى لكنهم فوضع المظهر موضع المضمر اليوم وهو يوم التكليف فى ضلال مبين حيث
اغفلوا النظر والاستماع وتركوا الجد والاجتهاد فى تحصيل الزاد للمعاد وهو يوم الحسرة يتحسر اهل النار فيه وقيل اهل الجنة ايضا اذا راى الادنى مقام الاعلى
والاول اصح لان هذه الخواطر لا توجد فى الجنة لانها دار السرور واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب بالحسرة ومعنى قضى الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى
الجنة والنار وعن النبى عليه السلام انه سئل عنه فقال يؤتى بالموت فيذبح كما يذبح الكبش والفريقان ينظران فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم
قال ارباب المعقول ان الموت عرض فلا يمكن ان يصير حيوانا فالمراد انه لا موت بعد ذلك عن الحسن وهم فى غفلة متعلق بقوله فى ضلال مبين وقوله وانذرهم اعتراض
ويحتمل ان يتعلق بانذرهم اى وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين ويحتمل ان يكون اذ ظرفا للانذار اى انذرهم حين قضى الامر ببيان الدلايل وشرح
امر الثواب والعقاب ثم اخبر عنهم بانهم فى غفلة وهم لا يؤمنون ثم قرر بقوله انا نحن نرث امور الدنيا كلها بزوالها وان الخلق كلهم يرجعون الى حيث لا يملك
الحكم الا الله وفيه من التخويف والانذار ما فيه التأويل واذكر فى الكتاب اى كتاب القلب مريم القلب اذ انتبذت من اهلها انفردت من اهل الدنيا متوجها الى
جانب شرق النور الالهى فاتخذت من دونهم حجابا للخلوة والعزلة وارسلنا اليها روحنا وهو نور الالهام الربانى والخاطر الرحمانى كقوله وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل روح التوحيد بحروف لا اله الا الله لانتفاع الخلق به قالت انى اعوذ بالرحمن منك ظنا منها انه يشغلها عن الله
قال انما انا رسول المولى والربانى لاهب لك غلاما زكيا طاهرا عن لوث الظلمة الانسية وهو النفس المطمئنة القدسية ولم يمسسنى بشر خاطر من عالم البشرية
ولم اك بغيا الطالب غير ما خلقت لاجله وهو التوجه الى عالم الروح المجرد فحملته بالقوة القريبة من الفعل فانتبذت به مكانا قصيا الافتقار الى العبودية على
منازل الشريعة والطريقة فاجاءها المخاض الطلب والتعب الى جذع النخلة وهى كلمة لا اله الا الله التى كان اصلها ثابتا فى ارض نفسها قالت يا ليتنى مت قبل
هذا قال بعض اهل التحقيق هذه كلمة يذكرها الصالحون عند اشتداد الامر عليهم قال على رضى الله عنه يوم الجمل يا ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة وعن بلال
ليت بلالا لم تلده امه وقيل مريم قالت ذلك لعلمها بان الله تعالى يدخل النار خلقا كثيرا بسبب تهمتها وبسبب الغلو والتقصير فى حق ابنها فلذا مريم القلب
قالت يا ليتنى مت عن اللذات الجسمانية قبل هذا الوقت الذى قرنت باللذات الحقيقية وكنت نسيا منسيا فان الخمول راحة والشهرة آفة فناداها لسان
الحال من تحت تصرفها من الات القوى الاخرى ان لا تحزنى قد جعل ربك تحتك اى تحت تصرفك سريا هو الغلام الموعود او جدول الكشوف والعلوم الدينية وهزى اليك
بجذع النخلة بالمداومة على الذكر تساقط عليك رطبا جنيا من المشاهدات والمكاشفات فكلى واشربى من خوان الافضال وبحر النوال من بات عند
ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى وقرى عينا بانوار الجمال فى حجرة الوصال فاما ترين من السوانح البشرية احدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما كقبل الدنيا و
لذاتها صوما عن الالتفات لغير الله فاتت به قومها من عادة الجهال انكار احوال اهل الكمال يا اخت هرون النفس المطمئنة او الامارة بناء على ان هرون كان
صالحا او طالحا ما كان ابوك وهو الروح المفارق امرأ سوء وما كانت امك وهى القالب بغيا تستانس الى غير عالم الطبيعة التى خلقت لاجلها فاشارت اليه فيه
ان هذا القوم هم اهل الاشارات فى المهد مهد السر وذلك المتولد من نفخ الروح فى مريم القالب ابن الله ولا محالة ولا نفس خلف الاحزاب فقوم عبدوا
الله لاجله وقوم عبدوه طمعا فى جنته وقوم عبدوا الهوى وذلك قوله فويل للذين كفروا اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا الانهم بالله يسمعون وبه يبصرون

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۞ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا
وياد كن در كتاب ابراهيم را بدرستيكه او هست راستگوى پيغمبرى چون گفت مر پدر خويش را اى پدر چرا مى‌پرستى چيزى را كه نمى‌شنود و نمى‌بيند و
يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ۞ يَا أَبَتِ
دفع نميكند از تو چيزى را اى پدر بدرستيكه آمد مرا از علم آنچه نيامد بتو پس پيروى كن مرا راه نمايم راه راست اى پدر
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ۞ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
بندگى مكن شيطان را بدرستيكه شيطان باشد مر خدا را نافرمان اى پدر بدرستيكه من ميترسم اينكه برسد ترا عذاب از خدا پس باشى
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ۞ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ
مر شيطان را دوست گفت آيا روگردانى تو از خدايان من اى ابراهيم اگر باز نه ايستى هر آينه سنگسار كنم ترا و دورى كن مرا زمانى گفت درود
عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى
بر تو زود آمرزش خواهم مر ترا خداى من بدرستيكه او باشد بمن مهربان و كناره گيرم از شما و آنچه ميخوانيد از غير خدا و ميخوانم پروردگار خود را شايد
أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ۞ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
كه نباشم بدعاى پروردگار خود نا اميد پس چون كناره كرد از ايشان و آنچه مى‌پرستيدند از غير خدا و بخشيديم مر او را اسحق و يعقوب



وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ
وهريك را گردانيديم پيغمبر وبخشيديم مراينها را از رحمت خود وگردانيديم مرايشان را زبان راست بلند وياد كن در كتاب موسى را بدرستيكه او

كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا
باشد پاك وباشد فرستاده پيغمبر وندا كرديم او را از جانب كوه طور دست راست ونزديك ساختيم او را راز گوينده وبخشيديم او را از رحمت خود

أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۝ وَكَانَ
برادرش هرون را پيغمبر وياد كن در كتاب اسمعيل را بدرستيكه او باشد راستگوى وعده وباشد فرستاده پيغمبر وبود

يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۝ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
كه امر ميكرد اهل خود را بنماز وزكوة وبود نزد پروردگار خود پسنديده وياد كن در كتاب ادريس را بدرستيكه او باشد راستگو

نَبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا
پيغمبر وبلند كرديم او را مكان بلند آنگروه آنانكه انعام كرد خدا برايشان از پيغمبران از نسل آدم واز آنكه برداشتيم

مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا
با نوح واز فرزند ابرهيم واسرائيل واز آنكه راه نموديم ما وبرگزيديم ما چون خوانده شد برايشان آيتهاى خدا برو افتاده

سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا
سجده كنندگان وگريان پس ترسيد از بعد ايشان فرزندى كه ضايع كردند نماز را وپيروى كردند آرزوها را پس زود باشند برسند بجزاى بد

إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي
مگر آنكه توبه كرد وگرويد وكرد كار شايسته پس آنگروه درآيند بهشت را وستم كرده نشوند چيزى را بهشتهاى با اقامت

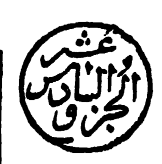
وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۝ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ
كه وعده كرده خدا بندگان را به پنهان بدرستيكه او باشد وعده او پاينده نميشنوند در آن بيهوده مگر سلامتى ومرايشان راست

رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ
روزى ايشان در آن بامداد وشبانگاه اين بهشت است كه ميراث دهيم از بندگان خود آنرا كه باشد پرهيزكار وفرود نياييم مگر بامر

رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
پروردگار تو مر او راست آنچه پيش ماست وآنچه در پس ماست وآنچه ميان اينست ونباشد پروردگار تو فراموشكار پروردگار آسمانها وزمين

وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝ القراءة ربي انه بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو
وآنچه ميان آنهاست پس بپرستيد او را وصبر كن مر بندگى او را آيا ميدانى مر او را همنامى

مخلصا بفتح اللام حمزة وعلي وخلف وعاصم غير المفضل الباقون بكسرها ابرهام وما بعده هشام والاخفش عن ابن ذكوان اذا تتلى بالياء التحتانية وكذلك في سورة الحج قتيبة نورث بالتشديد رويس الوقوف ابرهيم ط نبيا ه شيئا ه سويا ه لا تعبد الشيطان ط عصيا ه وليا ه يا ابرهيم ج وقد يوصل ويوقف على آلهتي مليا ه سلام عليك ج للابتداء بسين الاستقبال مع اتحاد القائل واحد لك ربي ط حفيا ه وادعو ربي ز لانقطاع النظم والوصل اولى لان عسى لطمع الاجابة فيوصل بالدعاء شقيا ه من دون الله لا لان ما بعده جواب لما ويعقوب ط نبيا ه عليا ه موسى ز للابتداء بان مع ان المراد بالذكر اخلاص موسى نبيا ه نجيا ه نبيا ه اسمعيل لتمام نبيا ه للآية مع العطف والزكوة ص مرضيا ه ادريس ز نبيا ه عليا ه مع نوح على تقدير ومن ذرية ابرهيم فما بعده قوم اذا تتلى عليهم وكذا وجه من وقف على ذرية آدم او على اسرائيل والاصح ان الكل عطف على ذرية آدم والوقف على قوله واجتبينا ط لئلا يحتاج الى الحذف وليرجع ثناء السجود والبكاء الى الكل وبكيا ه غيا ه شيئا لا بناء على ان جنات بدل من الجنة بالغيب ط ماتيا ه سلاما ط وعشيا ه تقيا ه بامر ربك ج لاختلاف الجملتين ذلك ج لان قوله وما كان معطوف على نتنزل مع وقوع العارض نسيا ه لان ما بعده بدل او خبر مبتدأ محذوف لعبادته ط سميا ه التفسير لما بين ان الذين اثبتوا معبودا سوى الله منهم من اثبت معبودا حيا عاقلا كالنصارى ومنهم من عبد معبودا جمادا كعبدة الاوثان وكلا الفريقين ضال الا ان الفريق الثاني اضل وحين بين ضلال الفريق الاول شرع في بيان ضلال الفريق الثاني تدرجا من الاسهل الى الاصعب وانما ابتدأ بقصة ابرهيم عم لانه كان ابا العرب وكانوا مقرين بعلو شانه وكمال دينه فكانه قال لهم ان كنتم مقلدين فقلدوه في ترك عبادة الاوثان وعبادتها وان كنتم مستدلين فانظروا في الدلائل التي ذكرها على ابيه والمراد بذكر الرسول اياه في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس كقوله واتل عليهم نبأ ابرهيم والا فهو سبحانه هو الذي يذكره في تنزيله وقوله اذ قال بدل من ابرهيم وما بينهما اعتراض ولمكان هذا الاعتراض صار الوقف على ابرهيم مطلقا وجوز في الكشاف ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصائص الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والصديق من ابنية المبالغة فهو اما مبالغ في الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق واما مبالغ في التصديق وذلك لكثرة تصديقه بغيب الحق وهذا ايضا بالحقيقة يعود الى الاول لان مصدق الحق لا يعتبر تصديقه الا اذا كان صادقا فيه والحاصل انه كان صادقا جدا في اقواله مصدقا لجميع من تقدم من الانبياء والكتب وكان نبيا في نفسه رفيع القدر عند الله سبحانه



الناس بحيث جعلوا واسطة بينه وبين عبادة وقيل انكار بمعنى صار والاصح انه بمعنى الثبوت والاستمرار اي انه لم يزل موصوفا بالصدق والنبوة في
الاوقات الممكن له ذلك فيها والتاء في يا ابت عوض من ياء الاضافة وقد مر في اول سورة يوسف وورد على ابيه الدلائل والنصائح وصدر كلا منها بيا ابت
المتضمن للرفق واللين تمالة لقلب ابيه وامتثالا لامر ربه على ما رواه ابو هريرة ان رسول الله صلعم قال اوحى الله الى ابرهيم انك خليلي حسن خلقك ولو
مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه ان اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه من جواري فقوله لم تعبد ما لا يسمع ولا
يبصر معنى المفعول لا منوي فان الغرض نفي الفعلين على الاطلاق دون التقييد وما موصولة او موصوفة اي الذي لا يسمع او معبودا لا يسمع وشيئا
مفعول به من قوله اغن عني وجهك اي ادفعه ويجوز ان يكون بمعنى المصدر اي شيئا من الاغناء وعلى هذا يجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين اي
يسمع شيئا من السماع الى اخره وحاصل الدليل ان العبادة غاية الخضوع فلا يستحقها الا اشرف الموجودات لا اخسها وهو الجماد غاية عدم غنى ذلك
هي الحيوانات لا تتميز الاشياء بخصوص نفعها او ضرها كالكواكب وغيرها فيقول لهم اليس الكواكب وسائر الممكنات ينتهي في الاحتياج الى الواجب لوجوده فاذا جعل شيئا
من هذه الاشياء معبودا فقد شورك الممكن والواجب في نهاية التعظيم وهذا مما ينبو عنه الطبع السليم ورفع الوسائط من البين ادخل في الاخلاص واقرب الى
الخلاص وقوله يا ابت اني قد جاءني تنبيه ونصيحة وفيه ان هذا العلم تجدد له حصوله فيكون اقرب الى التصديق وفي قوله من العلم ما لم يأتك فائدة هي انه لم
يسم اباه بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم ليست معك فلا تستنكف وهب اني في مفازة وعندي معرفة بالدلالة
دونك فاتبعني اهدك صراطا سويا مستويا مؤديا الى المقصود وهو سلامة المعاش والمعاد استدل ارباب التعليم بالاية فانه لا بد من الاتباع واجيب
بانه لا يلزم من اتباع النبي اتباع غيره والانصاف ان هذا الطريق اسهل ثم اكد المعنى المذكور بنصيحة اخرى زاجرة عما هو عليه قائلا يا ابت لا تعبد
الشيطان اي لا تطعه فان عبادة الاصنام هي طاعة الشيطان ثم اسقط حصة نفسه اذ لم يقل ان الشيطان عدو لي ولبني ادم بل قدم حق ربه فقال ان الشيطان
كان للرحمن عصيا حين ترك امره بالسجود عنادا واستكبارا لا نسيانا وخطأ نبههم بهذه النصيحة على وجود الرحمن ثم على وجود الشيطان وان الرحمن مصدر
كل خير والشيطان مظهر كل شر بدلالة الموضوع اللغوي وهذا القدر كاف من التنبيه لمن تامل وانصف ثم بين الباعث على هذه النصيحة فقال يا ابت
اني اخاف وفيه مع التخويف من سوء العاقبة انواع من الادب ذكر الخوف والمس ونكر العذاب قال الفراء معنى اخاف اعلم والاكثرون على انه محمول على ظاهره
لان ابرهيم ع لم يكن جازما بموت ابيه على الكفر والا لم يشتغل بنصحه والخوف على الغير ظن وصول الضرر الى ذلك الغير مع انه لم يقطع من ذلك كما يقول انا خائف
على ولدي وذكروا في الولي وجوها منها انه اذا استوجب عذاب الله كان مع الشيطان في النار والمعية سبب الولاية او مسببها غالبا واطلاق
احدهما على الاخر مجاز وليس هناك ولاية حقيقية لقوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو واني كفرت بما اشركتمون من قبل ومنها ان حمل العذاب على
الخذلان ومنها ان الولي بمعنى التالي والتابع فالجبار الله جعل ولاية الشيطان ودخوله في جملة اتباعه واوليائه اكبر من نفس العذاب لان ولاية
الشيطان في مقابلة رضى الرحمن وقال عز من قائل ورضوان من الله اكبر ولذا كان رضوان الله اكبر من نعيم الجنة فولاية الشيطان اعظم من عذاب النار
ثم ان الشيخ قابل ملاطفات ابرهيم بالفظاظة والغلظة قائلا اراغب انت عن الهتي يا ابرهيم فقدم الخبر على المبتدأ اشعارا بانه عنده اعنى وفي هذا
الاستفهام ضرب من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وفي قوله يا ابرهيم دون ان يقول يا بني في مقابلة يا ابت اهانة به وكيف لا وقد صرح بالاهانة قائلا
لئن لم تنته لارجمنك باللسان اي لاشتمنك او باليد اي لاقتلنك واصل الرجم الرمي بالرجام ثم ههنا اضمار اي فاحذرني واهجرني مليا اي زمانا طويلا من الملاوة
او ارادوا مليا بالذهاب والهجران مطيقا له قويا عليه قبل ان اثخنك بالضرب فلما راى ابرهيم اصرار ابيه على التمرد والجهالة قال سلام عليك يعني سلام توديع ومتاركة
كقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وفيه ان هذا دأب المنصوح اذا ظهر منه اثار اللجاج من سنن المرسلين ويحتمل ان يكون قد دعا له بالسلامة استمالة
له ورفقا به بدليل قوله سأستغفر لك ربي انه كان بي حفيا بليغا في البر والالطاف وقد مر في اخر الاعراف احتج بالاية بعض من طعن في عصمة الانبياء قال
انه استغفر لابيه الكافر وهو منهي عنه لقوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولقوله في الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم
الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فلو لم يكن هذا الاستغفار معصية لم يمنع من التاسي والجواب لعل ابرهيم ع في شرعه لم يجد ما يدل على القطع
بتعذيب الكافر او لعل هذا الفعل منه من باب ترك الاولى ولعل الاستغفار بمعنى لا مسبطا كقوله قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى
سأسأل ربي ان لا يخزيك بكفرك ما دمت حيا والجواب الحقيقي ما مر في اخر سورة التوبة في قوله عز من قائل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها
اياه والمنع من التاسي لا يدل على المعصية فلعل الاستغفار مع ذلك الشرط كان من خصائصه كما ان كثيرا من الامور كانت مباحة للرسول صلعم وهي محرمة علينا
ثم صرح بما تضمنه السلام من التوديع والهجران فقال واعتزلكم اي اهاجر الى الشام واعتزل ما تدعون اي ما تعبدون من دون الله وقد يعبر بالدعاء عن العبادة
والدعاء كما يجيء في سورة الشعراء وفي قوله عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا تعريض بشقاوتهم بدعاء الهتهم وعبادتها مع التواضع وهضم النفس المستفاد
من لفظة عسى قال العلماء ما خسر الله على احد فان ابرهيم لما ترك اباه الكافر وقومه فرارا بدينه عوضه الله اولادا مؤمنين انبياء وذلك قوله ووهبنا له اسحق
ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ووهبنا لهم شيئا من رحمتنا عن الحسن هي النبوة وعن الكلبي المال والولد والاظهر انها عامة في ذلك كل خير ديني ودنيوي
لسان الصدق الثناء الحسن عبر باللسان عما يوجد به كما عبر باليد عما يطلق بها وهو العطية وقد مر تحقيق الاضافة في اول يونس في قوله قدم صدق ثم ابرهيم
من ابيه ابتغاء مرضات الله فسماه الله ابا المؤمنين ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين ففداه الله بذبح عظيم واسلم نفسه لرب العالمين فجعل النار عليه بردا

وسلم وما اشفق على هذه الامة فقال وابعث فيهم رسولا فاشركه الله في الصلوة على النبي ﷺ في الصلوات الخمس وفي جزاء سارة كما قال ثمة وابرهيم الذي وفى
يجعل موطئ قدميه مباركا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وعادى كل الخلق في الله حين قال فانهم عدو لي الا رب العالمين فلا جرم اتخذه الله خليلا ثم نوه
بفضل ابرهيم بقصة موسى لانه تلوه في الشرف والمخلص بكسر اللام الذي اخلص العبادة عن الشرك والريا واخلص وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله وكان
رسولا نبيا الرسول الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب وكان المناسب ذكر الاعم قبل الاخص الا ان رعاية
الفاصلة اقتضت عكس ذلك كقوله في طه برب هرون وموسى الايمن من اليمين اي من ناحية اليمنى من موسى او هو من اليمن صفة للطور او للجانب و
قربناه حال لكونه نجيا اي مناجيا شبه تكليمه اياه من غير واسطة ملك بتقريب بعض الملوك واحدا من ندمائه للمناجاة والمسارة وعن ابي العالية قربه
حتى سمع صريف القلم الذي كتبت به التورية والاول اظهر ومنه قولهم للعبادة تقرب وللملئكة انهم مقربون ووهبنا له من رحمتنا فيكون اخاه
بدلا وهرون عطف بيان كقولك رايت رجلا اخاك زيدا ونبيا حال من هرون قال ابن عباس كان هرون اكبر من موسى فينصرف الهبة الى معاضدته و
موازرته وذلك بدعاء موسى في قوله واجعل لي وزيرا من اهلي وخص اسمعيل ابن ابرهيم بصدق الوعد وان كان الانبياء كلهم صادقين فيما بينهم وبين الله
والناس لانه المشهور المتواصف من خصاله ومن ذلك انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به وعن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة
عن رسول الله ﷺ انه واعد رجلا ونسي ذلك الرجل فانتظره من الضحى الى قريب من غروب الشمس وسئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى اي وقت ينتظره
فقال ان واعده في وقت الصلوة فانتظره الى وقت صلوة اخرى وكان يبدأ باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لغيرهم ولان الابتداء
بالاحسان الديني والدنيوي بمن هو اقرب اولى قوا انفسكم واهليكم نارا ابدأ بمن تعول ويحتمل ان اهله امته كلهم اقربهم واباعدهم من جهة انه يلزمه
في جميعهم ما يلزم المرء في اهله خاصة من قضاء حقوق النصيحة والشفقة ورعاية مصالحهم الدينية والدنيوية وعلى القولين يندرج في الصلوة الصلوة
المفروضة والمندوبة كصلوة التهجد وغيرها واما الزكوة فالاقرب انها الصدقة المفروضة وعن ابن عباس انها طاعة الله والاخلاص لان فاعلها يتزكى
بها عند الله واما ادريس فالاصح انه اسم عجمي بدليل منع الصرف كما مر في ادم ويعقوب وغيرهما وقيل افعيل من الدرس لكثرة دراسته كتاب الله ولعل
معناه بالاعجمية قريب من الدراسة فظنه القائل مشتقا منها وفي رفعه اقوال منها ان المكان العلي شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل عليه ثلثون
صحيفة وهو اول من خط بالقلم ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود واسمه اخنوخ من اجداد نوح لانه نوح بن
ملك بن متوشلخ بن اخنوخ واهل التنجيم بعضهم يسمونه هرمس ولهم نوادر في استخراج طوالع المواليد ينسبونها اليه وقيل ان الله تعالى رفعه الى السماء والى
الجنة وهو حي لم يمت وقال اخرون رفع الى السماء وقبض روحه عن ابن عباس انه سأل كعبا عن قوله ورفعناه مكانا عليا فقال جاءه خليل من الملئكة فسأله
ان يكلم ملك الموت حتى يؤخر في قبض روحه فحمله ذلك الملك بين جناحيه فصعد به فلما كان في السماء الرابعة اذا بملك الموت يقول بعثت لاقبض روح ادريس
في السماء الرابعة وانا اقول كيف ذلك وهو في الارض فالتفت ادريس فرأى ملك الموت فقبض روحه هناك وعن ابن عباس انه رفع الى السماء السادسة
وعن الحسن المراد انه رفع الى الجنة ولا شيء اعلى منها اولئك المذكورون من لدن زكريا الى ادريس هم الذين انعم الله عليهم من النبيين من للبيان لان جميع
الانبياء منعم عليهم من ذرية ادم من للتبعيض وكذا في قوله وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابرهيم واسرائيل والمراد بمن هو من ذرية ادم ادريس لقربه منه وبذرية
من حملنا مع نوح ابرهيم لانه من ولد سام بن نوح وبذرية ابرهيم اسمعيل وبذرية اسرائيل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ابن مريم لان مريم من ذريته وممن
هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية وفي هذا الترتيب تنبيه على ان هؤلاء الانبياء اجتمع لهم مع كمال الاحساب شرف الانساب ان جميع ذلك
بهداية الله وبمزيد اجتبائه واصطفائه ثم ان جعلنا الذين خبرا لاولئك كان اذا تتلى كلاما مستانفا وان جعلته صفة له كان خبرا وقد عرفت في الوقوف
سائر الوجوه ومن قرأ يتلى بالتذكير لان تانيث الايات غير حقيقي والفاصل حاصل والبكي جمع باك كسجود في ساجد لبكوي اجتمعت الواو والياء وادغمت وكسر ما
قبلها للمناسبة ومن زعم انه مصدر فقد سها لانه قرينة سجدا عن رسول الله ﷺ اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا قال ابو مسلم ان المراد بالايات التي فيها ذكر
العذاب وقال غيره المطلق الايات والحديث المذكور يدل على العموم لان كل اية اذا فكر فيها المتفكر صح ان يسجد عنده ويبكي قلت لعل المراد بايات الله ما خصهم
به من الكتب المنزلة لان القرآن لم يكن منزلا واختلفوا في السجود فقيل هو الخشوع والخضوع وقيل الصلوة وقيل سجدة التلاوة على حسب ما تعبدنا
به ويحتمل انهم عند الخوف كانوا يتعبدون بالسجود قال الزجاج الانسان في حال خروره لا يكون ساجدا فالمراد خروا متهيئين للسجود وعن رسول الله ﷺ اقرؤا
القرآن بحزن فانه نزل بحزن وعن ابن عباس اذا قرأتم سجدة قال سبحان الله لا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه وقالت العلماء يدعو
في سجدة التلاوة بما يليق بايتها فان قرأ اية تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك
وان قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرأ ما في هذه السورة قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين
لك الباكين عند تلاوة اياتك ولما مدح هؤلاء الانبياء ترغيبا للغير في سيرتهم ووصف اضدادهم تنفيرا للناس عن طريقتهم فقال فخلف من بعدهم خلف وهو
عقب السوء كما مر في اخر الاعراف اضاعوا الصلوة في مقابلة خروا سجدا واتبعوا الشهوات بازاء البكاء عن ابن عباس هم اليهود تركوا الصلوة المفروضة
وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الاخت من الاب وعن ابرهيم النخعي ومجاهد اضاعوها بالتاخير وعن علي رضي في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد وركب المنظور
ولبس المشهور وعن قتادة هو في هذه الامة فسوف يلقون غيا قال جار الله كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد وقال الزجاج هو على حذف المضاف اي جزاء غي

كقوله يلق اثاما اى مجازاة اثام وقيل غيا عن طريق الجنة وقيل هو واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها اجيج لبعضهم بقوله الا من تاب وامن على ان تارك
الصلوة كافر والا لم يحتج الى تجديد الايمان والجواب انه اذا كان المذكورون هم الكفرة او اليهود كما يرويه عن ابن عباس سقط الاستدلال واحتج الاشاعرة
فى ان العمل ليس من الايمان لان العطف دليل التغاير واجاب الكعبى بانه عطف الايمان على التوبة مع انها من الايمان ومنع من ان التوبة من الايمان ولكنها
شرطه لانها العزم على الترك والايمان اقرار باللسان وانما حذف الموصوف ههنا وقال فى الفرقان وعمل عملا صالحا لانه اوجز فى ذكر المعاصى فاوجز فى التوبة
والطال هناك فاطال هنا وهذا الاستثناء بحسب الغالب فقد يتوب عن كفره وامن ولم يدخل بعد وقت الصلوة او كانت المرأة حائضا ثم مات فهو من اهل النجاة
مع انه لم يعمل صالحا ومعنى لا يظلمون شيئا لا ينقصون شيئا من جزاء اعمالهم بل يضاعف تنبيها على ان تقدم الكفر لا يضرهم بعد ان يتوبوا ويحتمل ان ينتصب شيئا
على المصدر اى شيئا من الظلم ومعنى جنات عدن قد مر فى سورة التوبة فى قوله ومساكن طيبة فى جنات عدن وصفها الله تعالى بالاقامة والدوام خلافا لعيشة
الدنيا ولما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن ابدل منها ويحتمل انتصابها على الاختصاص وكذا انتصاب التى قال جار الله عدن علم لمعنى العدن وهو الاقامة
او هو علم الارض الجنة لكونها مكان اقامة ولولا ذلك لما ساغ الابدال لان النكرة لا تبدل من المعرفة الا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتى ومعنى بالغيب
مع الغيبة اى وعدها وهى غائبة عنهم غير حاضرة او هم غائبون عنها لا يشاهدونها او الباء للسببية اى وعدها عباده بسبب تصديقهم بالغيب والايمان به خلاف
حال المنافقين وقوله انه كان وعده مأتيا بالاول انسب وهو مفعول بمعنى فاعل او على اصله لان ما اتاك فقد اتيته وجوز فى الكشاف ان يكون من قولك اتى
اليك احسانا اى كان وعده مفعولا منجزا قوله الا سلاما استثناء متصل على التأويل لان اللغو فضول الكلام وما لا طائل تحته كما تقدم فى يمين اللغو فى
البقرة وفى المائدة اى ان كان تسليم بعضهم على بعض او تسليم الملائكة عليهم لغوا فلا يسمعون لغوا الا ذلك كقولهم عتابك السيف او استثناء منقطع
اى لا يسمعون فيها الا قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة ويجوز ان يكون متصلا بتأويل اخر وهو ان معنى السلام الدعاء بالسلامة واهل دار السلام عن
الدعاء بالسلامة اغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه من فائدة الاكرام وفى الاية تنبيه ظاهر على وجوب انتفاء اللغو وحث على الابتعاد عنه
عند الدار التى لا تكليف فيها ثم انه سبحانه من عادته ترغيب كل قوم بما احبوه فى الدنيا فلذلك ذكر اساور من الذهب ولبس الحرير التى كانت للعجم والارائك التى هى
الحجال المضروبة على الاسرة وكانت من عادة اشراف اليمن ولا شئ كان احب الى العرب من الغداء والعشاء لانها العادة الوسطى المحمودة للمتنعمين منهم فوعدهم بذلك
فقال ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا هذا قول الحسن ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير اى يأكلون على مقدار الغداة الى العشى وقيل اراد دوام الرزق
كما تقول انا عند فلان صباحا ومساء تريد الدوام ولا تقصد الوقتين المعلومين وقوله تلك الجنة التى نورث كقوله فى الاعراف ونودوا ان تلكم الجنة
اورثتموها وهى استعارة اى نبقى عليه الجنة كما يبقى على الوارث مال الموروث منه قال القاضى فى الاية دلالة على ان الجنة يختص بدخولها من كان متقيا غير
مرتكب للكبائر واجيب بمنع الاختصاص وبانه يصدق على صاحب الكبيرة انه اتقى الكفر سئل ههنا ان قوله تعالى تلك الجنة التى نورث كلام الله وقوله تعالى وما
نتنزل الا بامر ربك خطاب لجماعة لواحد وانه لا يليق الا بالملائكة الذين ينزلون على الرسول كما روى ان قريشا بعثت خمسة رهط الى يهود المدينة يسألونهم
عن صفة محمد وهل يجدونه فى كتابهم فسألوا النصارى فزعموا انهم لا يعرفونه وقالت اليهود نجده فى كتابنا وهذا زمانه وقد سألنا رحمن اليمامة عن خصال
ثلث فلم يعرف فسألوه عنهن فان اخبركم بخصلتين منها فاتبعوه فاسألوه عن فتية اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فلم يدر كيف يجيب فوعدهم
الجواب ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحى عليه اربعين يوما وقيل خمسة عشر يوما فشق عليه ذلك مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فنزل
جبرئيل فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ابطأت عنى حتى ساء ظنى واشتقت اليك قال كنت اشوق ولكنى عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا احتبست احتبست فانزل الله
الاية وانزل قوله ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا ومعنى التنزل على ما يليق بهذا الموضع هو النزول على مهل اى نزولنا فى الاحايين وقتا غب وقت
ليس الا بامر الله عز وجل ثم اكد جبرئيل ما ذكره بقوله له ما بين ايدينا وما خلفنا من الجهات والاماكن او من الازمنة الماضية والمستقبلة وما بينهما من
المكان والزمان الذى نحن فيه فلا نتمالك ان ننتقل من جهة الى جهة او من زمان الى زمان الا بامر ربك ومشيئته وقيل له ما سلف من امر الدنيا وما
يستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك وهو ما بين النفختين اربعون سنة وقيل ما مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التى نحن فيها او ما قبل وجودنا
او بعد فنائنا وقيل الارض التى بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التى وراءنا وما بين السماء والارض وعلى الاقوال فالمراد انه المحيط بكل شئ لا يخفى عليه
خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل الا بامره وقال ابو مسلم فى وجه النظم انه قوله وما نتنزل من قول اهل الجنة لبعضهم اى ما ننزل
الجنة الا بامر ربك اما قوله وما كان ربك نسيا فعلى القول الاول معناه انه ما كان امتناع النزول الا لعدم الاذن ولم يكن لترك الله اياك لقوله ما ودعك
ربك وما قلى وعلى قول غير ابى مسلم هو تأكيد لما تقدم من علمه تعالى بجميع الاشياء وانه لا يجوز عليه ان يسهو عن شئ ما البتة وعلى قول ابى مسلم المراد انه ليس ناسيا
لاعمال العاملين فيثيب كلا منهم بحسب عمله فيكون تتمة حكاية قول اهل الجنة او ابتداء كلام من الله تعالى خطابا لرسوله ويتصل به قوله رب السموات و
الارض اى بل هو رب السموات والارض وما بينهما فاعبده الفاء للسببية لان كونه رب العالمين سبب موجب لان يعبد واصطبر لعبادته لم يقل على عبادته لانه جعل العبادة
بمنزلة القرن فى قولك للمحارب اصطبر لقرنك اى اصبر لاصطبار لاجل مقاومته ثم اكد وجوب عبادته بقوله هل تعلم له سميا اى ليس له مثل ونظير حتى لا
يخلص العبادة له وان عديم النظير لا بد ان يصبر على مواجبات تكاليفه خصوصا اذا كانت فائدتها راجعة الى المكلف وقيل اراد انه لا شريك له فى
اسمه وبيانه من وجهين احدهما انهم وان كانوا يطلقون لفظ الاله على الوثن الا انهم لم يطلقوا لفظ الله على شئ سواه وعن ابن عباس اراد لا يسمى بالرحمن غيره



قلت وهذا صحيح ولعله هو السر في انه لم يكرر لفظ الرحمن في سورة مكرره في هذه السورة وثانيهما اصل تعلم سمى باسمه على الحق دون الباطل لان الشيمة على الباطل كما لا استمته التأويل ولي ذكر في الكتاب الازلي ابرهيم القلب انه كان صديقا للصديقين بتلثة مراتب صادق وصدوق وصديق في اقواله وصادق في افعاله واحواله وصديق صدق في قيامه مع الله في الله بالله وهو الفاني عن نفسه الباقي بربه اذ قال لابيه الروح الذي يعبد صنم الدنيا بتبعية النفس قد جاءني من العلم اللدني ما لم يأتك لان القلب محل الفيض الالهي اقبل من الروح كالمرءاة فانها تقبل النور لصفائها وتعكس النور عنها لكثافتها وصفالتها ووهبنا له اسحق السر ويعقوب الخفي وناديناه من جانب الطور الايمن اسمعنا موسى القلب من جانب طور الروح لا من جانب وادي النفس الذي هو على اليسرة وكان يأمر اهله اي الجسم والنفس والقلب والروح بالصلوة لتوجه كل منهم توجها يليق بحاله وبالزكوة اي تزكية كل واحد منهم من الاخلاق الذميمة ورفعناه مكانا عليا في مقعد صدق عند مليك مقتدر خروا بقلوبهم على عتبة العبودية سجدا بالتسليم للاحكام الازلية وبكيا بكاء السمع بدوام الوجد على نار الشوق والجنة عباده بالغيب بغيبتهم عن الوجود قبل التكوين كقوله ان الله اشترى من المؤمنين اموالهم وانفسهم بان لهم الجنة ولهم رزقهم رؤية الله على ما جاء في الحديث اكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوا وعشيا وما نتنزل الا بامر ربك المقدور في علم الله تنادى اهل العزة من سرادقات العزة ان يا اهل الطبيعة ابقوا من المتمنيات فانا ما ننزل من عالم الغيب الا بامر ربنا وما كان ربك نسيا يحتاج الى تذكيره منهم بل هو رب سموات الارواح وارض الاجساد وما بينهما من النفوس والقلوب والاسرار لم فاعبده باركان الشريعة واصطبر لعبادته وبآداب الطريقة بنفسك وبالاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى بقلبك وبالفناء في الله والبقاء به بروحك بسرك هل تعلم له نظيرا في المحبوبية لك والله اعلم بالصواب

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى

الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ۝ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا

ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا

قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ

فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ۝ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ

خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ

أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۝ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝ أَلَمْ

تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ۝ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ۝ يَوْمَ نَحْشُرُ

الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝ لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ

عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ

مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا

إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ۝ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝

القراءات اولا مثل انكم في الانعام يذكر من الذكر ابن عامر ونافع وعاصم
وسهل وروح والمعدل عن يزيد الاخرون بالتشديد بخبر مقاما بضم الميم الباقون
بفتحها رئيا بالتشديد ابو جعفر ونافع عن ورش وابن ذكوان والاعشى وحمزة في الوقف وعن حمزة ايضا بالهمز في الوقف ليدل على اصل اللغة ابن كثير
الاخرون بهمز بعدها ياء وولدا وما بعده بضم الواو وسكون اللام حمزة وعلي الاخرون بفتحهما يكاد على التذكير نافع وعلي ينفطرن من الانفطار ابو
وسهل ويعقوب وحمزة وخلف وابن عامر والمفضل وابو بكر وحماد والخزاز عن هبيرة الباقون يتفطرن من التفطر الوقوف حياة شيئا جثيا ءلا
وللعطف عتيا ءلا للصليا ء واردها ءلانقطاع النظم مع اتصال المعنى مقضيا ء تقريبا بالنجاة من الورود مع ان ثم لترتيب الاخبار جثيا ء امنوا لا
لان ما بعدها مفعول قال نديا ء ورئيا ء مدا ء لان حتى لانتهاء مد الضلالة او لابتداء الرؤية وجواب اذا محذوف وهو امنوا الساعة ط لابتداء
التهديد جندا ء هدى ط مردا ء وولدا ط لابتداء الاستفهام للتوبيخ عهدا ط للردع كلا ط مدا لا للعطف فردا ء نصف الجزء عزا ء كلا ط ضدا ء ازا لا للتعجيل
عليهم ط عدا ء وفدا ء وردا ء لئلا يشتبه الجملة بالوصف لهم عهدا ء حذرا من ايهام العطف لدا ط ادا لا لان ما بعده صفته هدا لا لان هذا التقدير لان
دعوا ولدا ط عبدا ط فردا ء ودا ء لدا ء من قرن ط ركزا ء التفسير لما امر نبيه وامته بالثبات ان يعبدوا الله ويصطبروا لعبادته كان لمنكر ان يعترض
بان هذه العبادات لا منفعة فيها في الدنيا لانها مشقة ولا في الاخرة لاستبعاد حشر الاجساد الى حالها فلا جرم حكى قول المنكر ليجيب عن ذلك فقال
ويقول الانسان وهو للجنس لان هذا الاستبعاد كوني الطباع قبل النظر في الدليل ولان هذا القول اذا صدر عن بعض الافراد صح اسناده
الى جنسه كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم وقيل المراد بالانسان ههنا شخص معين هو ابو جهل وابي بن خلف وقيل
بعض الجنس وهم الكفرة وانتصاب اذا بفعل مضمر يدل عليه اخراج المذكور لا بنفسه لان ما بعد لام الابتداء لا يعمل فيما قبله لا تقول اليوم لزيد قائم وانما
الجمع بين حرف الاستقبال وبين لام الابتداء المفيدة للحال لان اللام ههنا خلصت لاجل التاكيد كما خلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل
عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا وكانهم قالوا مستنكرين احقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الفناء بالموت والمراد بالخروج اما الخروج
من الارض والخروج من حال الفناء او التدوير من قولهم خرج فلان عالما اذا كان نادرا في العلم فكانه قال على سبيل الهزء ساخرج حيا نادرا
وانما قدم الظرف واولى حرف الانكار من قبل ان ما بعد الموت وهو وقت كون الحيوة منكرة ومنه جاء الانكار كقولك اتسيء الى محسن احسن [illegible]
عليك نعمة فلانا ساءت اليه لان الانسان لا يصلح عنه هذا الانكار الا اذا لم يتذكر او لم يذكر النشاة الاولى قال سبحانه منبها على ذلك اولا
يذكر وههنا اضمار تقديره ايقول ذلك ولا يذكر وزعم جار الله ان الواو عطفت لا يذكر على يقول في قوله ويقول الانسان ووسطت همزة
الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف قال العقلاء لو اجتمعت الخلائق على ايراد حجة في البعث اوجز من هذه لم يقدروا عليها لان خلق الذات مع الصفات
اصعب من تغيير الذات في اطوار الصفات وهذا معلوم لكل صانع يتكرر عنه عمل لان الاول لم يستقر بعد في خزانة خياله والثاني قد ارتسم واستقر وثبت
له مثال او اخذا واذا كان حال من يتفاوت في قدرته الصعب والسهل كذلك فما الظن بمن لا يتوقف مقدوره الا على مجرد تعلق الارادة الازلية به
وفي قوله ولم يك شيئا بحث قد مر في اول السورة مثله وحين نبه على النكتة الضرورية اكدها بالاقسام قائلا فوربك لنحشرنهم الفاء للاستيناف وهو
يفيد الاعراض عن قصته والشروع في اخرى عقيبها والواو للقسم وشرف المقسم به دليل كمال العناية بالمقسم عليه واضافة القسم الى المخاطب وهو رسول الله
باجماع المفسرين تفخيم لشانه ورفع من مقداره والواو في الشياطين اما للعطف واما بمعنى مع بناء على ان كل كافر مقرون مع شيطانه في سلسلة واذا حشر
جميع الناس حشروا احدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين بل الكفرة وان كان الضمير عائدا الى منكري البعث فقط فلا اشكال
وكذا في قوله لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثاة على الركب غير مشاة على اقدامهم لما يدهشهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على الارجل او على
العادة المعهودة في مواقف طالبات الملوك ومقاولاتهم ثم لننزعن لنميزن من كل شيعة طائفة شاعت اي تبعت غاويا من الغواة وقد سبق تفسيره
في الانعام ايهم اشد قرئ بالنصب وهو ظاهر واما المعربون على الضم فذهب سيبويه الى انها مبنية كيلا يلزم خلاف القياس من وجهين احدهما اعراب
اي مع ان من حق الموصول ان يبنى والاخر حذف المبتدأ مع ان الاصل فيه ان يكون مذكورا والتقدير ايهم هو اشد وذهب الخليل الى انها معربة ولكنها
لم تنصب على ان يكون مفعول لننزعن بل رفعت بتقدير الحكاية اي من كل شيعة مقول فيهم ايهم اشد فيكون من كل شيعة مفعول لننزعن كقولك اكلت من كل
طعام اي بعضا من كل ويجوز ان يعلق لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد قال سيبويه لو جاز ان اضرب ايهم افضل على الحكاية لجاز ان اضرب الفاسق الخبيث اي الذي يقال



له الفاسق الخبيث وهذا باب قلما يصار اليه في سعة الكلام ومذهب يونس في مثله ان الفعل الذي قبل اي معلق عن العمل ويجيز التعليق في غير افعال
القلوب ثم ان علقت قوله على الرحمن باشد كقولهم هو اشد على خصمه فظاهر وان علقته بالمصدر فقد لك لا سبيل اليه عند النحويين لان
المصدر لا يعمل فيما قبله فالوجه ان يكون انه بيان للمحذوف فكانه سئل اي عتو على من فقيل على الرحمن وكذا الكلام في اولى بها صليا فتعلق
والمجرور بافعل من غير تاويل او بصليا على التاويل صلى فلان النار يصلي صليا اذا احترق لتخيراولا انه يميز من كل فرقة اعتاهم ثم مواصل ثم
يبين بقوله ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا انه يطرحهم اي اهل الضلال البعيد في النار على الترتيب يقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم ولا ريب ان الضال
المضل يكون اولى بالتقدم من الضال وكذا الكافر المعاند بالنسبة الى المقلد وان كانوا جميعا مشتركين في شدة العتو ويجوز ان يراد بالذين هم اولى المنتزعين
كانه قال ثم لنحن اعلم بتصلية هؤلاء وانهم اولى بالصلي لكون دركاتهم اسفل وان منكم الخطاب للناس من غير التفات او للانسان المذكور
فيكون التفاتا وعلى التقديرين فان اريد الجنس كله لم يكن في قوله ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اشكال ولكنه يشكل بان
المؤمنين كيف يردون النار واجيب بما روى عن جابر بن عبد الله انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض
اليس وعد ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا
دخلها فيكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتى ان للنار ضجيجا من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن
عباس يردونها كانها اهالة ومنهم من لم يفسر الورود ههنا بالدخول لان ابن عباس قال قد يرد الشيء الشيء ولم يدخله كقوله تعالى ولما ورد ماء
مدين ومعلوم ان موسى لم يدخل الماء ولكنه اقترب منه ويقال وردت القافلة البلد اذا قربت منه فالمراد بالورود جثوهم حولها وعن ابن مسعود و
الحسن وقتادة هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن مجاهد هو مس الحمى جسده في الدنيا قال الحمى من فيح جهنم وفي رواية الحمى
حظ كل مؤمن من النار وان اريد بالناس او بالانسان الكفرة فلا اشكال في ورودهم النار ولكنه لا يطابقه قوله ثم ننجي الذين اتقوا ووجه بانه اراد
ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لانهم يردونها ثم يتخلصون اسولة كيف يندفع عنهم ضرر النار عند من فسر الورود بالدخول
زعم بعضهم ان البقعة المسماة بجهنم لا يمتنع ان يكون في خلالها مواضع خالية عن النار اشباه الطرق الى دركات جهنم والمؤمنون يردون تلك
المواضع والاصح انه سبحانه يزيل عنها طبيعة الاحراق بالنسبة الى المؤمنين وهو على كل شيء قدير ولهذا لا يضر النار الملائكة الموكلين بالعذاب
ما الفائدة في ايراد المؤمنين النار اذا لم يعذبوا بها فيه وجوه منها ان يزدادوا سرورا اذا راوا الخلاص منها ومنها افتضاح الكافرين اذا اطلع
المؤمنون عليهم ومنها ان يزيد التذاذهم بالجنة فبضدها تتبين الاشياء هل يثبت في الاخبار كيفية دخول النار ثم خروج المتقين منها
قد ثبت ان المحاسبة يكون في الارض او في موضعها لقوله يوم تبدل الارض غير الارض وجهنم قريبة من الارض والجنة في السماء فالاجتماع يكون
في موضع الحساب ثم يدخلون من ذلك الموضع الى جهنم ثم يرفع الله اهل الجنة ويبقى اهل النار فيها قلت هذا على راي الفلاسفة الاسلاميين
ظاهر فالمحاسبة يكون في الارض ومرور الكل على كرة النار ثم يرتفع اهل الكمال الى السماء ويبقى الكفرة في النار ويؤيده قوله كان اي الورود
على ربك حتما اي محتوما مصدر بمعنى المفعول مقضيا قضى به وعزم ان لا يكون غيره وذلك ان العبور من جميع الجوانب على كرة النار واجمعت المعتزلة
بذلك على ان العقاب واجب على الله عقلا وقال الاشاعرة شبه بالواجب من قبل استحالة تطرق الخلف اليه وقد بنوا ان المتقي عند المعتزلة من
يجتنب المعاصي كلها وعند غيرهم هو الذي اجتنب الشرك فقط وقد يهدم بالاية قاعدة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين واجب بان تنجية المتقين
اعم من ان يكون الى الجنة او الى غيرها ومن ان تنجيتهم الى الجنة الا ان الذي له طاعة ومعصية معا غير داخل في المتقين ولا في الظالمين فيبقى حكمه
مسكوتا عنه ومن المعتزلة من تمسك بالوعيد بقوله ونذر الظالمين ومنع من ان الصيغة للعموم ولو سلم فمخصص بايات الوعد لما رد على منكري
البعث وقرر كيفية الحشر قال واذا تتلى عليهم اياتنا الاية والمراد انهم عارضوا حجج الله بكلام اعوج فقالوا لو كنتم على الحق وكنا على الباطل لكان حالكم
في الدنيا الطيب من حالنا ولم يكن بالعكس لان الحكيم لا يليق به ان يهين اولياءه ويعز اعداءه يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون
ويتزينون ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله عز وجل منهم قال العلماء معنى تبينات مرتلات الالفاظ ملخصات المعاني مبينات
المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدى بها فلم يقدر على معارضتها
او حجج او براهين وعلى التقادير يكون حالا مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا يكون الا بهذه الاوصاف ومعنى للذين امنوا انهم يخاطبونهم بذلك
او يفوهون به لاجلهم وفي شانهم والمقام بالضم موضع الاقامة اي المنزل وبالفتح موضع القيام والندي المجلس ومجمع القوم حيث ينادون وقوله اي
الفريقين يعني المؤمنين بالايات والجاحدين لها من الكلام المنصف على زعمهم والمقصود نحن او فرحا على ما يظهر منا في احوال قيامنا وقعودنا
وحسن الحال في الدنيا دليل ظاهر على الفضل والوفة وضده امارة على النقص والضعة فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا اي كثيرا من المرات اهلكنا
قبلهم اهل عصر من بيان المهلك ويجوز ان يكون من زائدة للتاكيد وكم استفهامية للتعجب او التكثير او خبرية عند من يجوز زيادتها في الموجب وهم احسن في
محل النصب صفة لكم او الجر صفة قرن والاثاث متاع البيت وقد مر في النحل في قوله اثاثا ومتاعا الى حين قال الجوهري من همز ريئا جعله من
رايت وهو ما رأته العين من حال حسنة وكسوة فظاهر ومن لم يهمز فاما ان يكون على تخفيف الهمزة اي قلب الهمزة ياء وادغم ويكون من الرؤية او انهم جلوكم

ومنها ان المؤمنون يفرحون ... الكفار ... يحزنون



ريا اي منظرا وهيئة فعل من الرؤية التي هو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول وقرئ بهمزة وبلا همزة على القلب كقولهم راء في راى وقرئ بالزاي المنقوطة واشتقاقه
من الزي بالفتح وهو الجمع لان الزي محاسن مجموعة وفي الاية حذف التقدير احسن من هؤلاء والحاصل انه تعالى اهلك من كان اكثر وجاها منهم و
ذلك دليل على فساد احدى مقدمتيهم وهي ان كل من وجد الدنيا كان حبيب الله او على فساد المقدمة الاخرى وهي ان كل من كان حبيبا لله فانه لا يوصل
اليه غما ثم بين ان مآل الضال الى الخزي والنكال وان طالت مدته وكثرت عدته وقوله فليمدد له الرحمن خبر مخرج على لفظ الامر ايذانا بوجوب الامهال و
انه مفعول لا محالة لتنقطع معاذير الضال ويقال له يوم القيمة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او ليزدادوا اثما كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهو في معنى الدعاء
بان يمهله الله عز وجل وينفس في مدة حيوته والغاية احد الامرين المذكورين انه انقطاع العذر او ازدياد الاثم اما قوله حتى اذا راوا الى اخره فقد
قال في الكشاف انه يحتمل ان يكون متصلا بقوله اي الفريقين الى اخره وما بينهما اعتراض قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما
يوعدون والمعنى لا يزالون يتفوهون بهذا القول مولعين به الى ان يشاهدوا الموعود راي عين اما العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم با
لقتل والاسر وتغير احوالهم من العز الى الذل ومن الغنى الى الفقر واما يوم القيمة ويحتمل ان يتصل بما يليها والمراد انهم لا ينفكون عن ضلالهم وسو
مقالتهم الى ان يعاينوا عذاب الدنيا او الساعة ومقدماتها وقوله فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا في مقابلة قولهم خير مقاما واحسن
نديا لان مقامهم هو مكانهم والندي المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم والجند الاعوان ولا ريب ان مكان القتل والاسر شر مكان في الدنيا ومكان عذاب
النار شر مكان في الاخرة ولا شك ايضا انه لو كان لهم في الموقفين ناصر قوي لما لحقهم من الخزي والنكال ما لحقهم وحين بين حال اهل الضلال اراد ان يبين حال
اهل الكمال فقال ويزيد الله الذين اهتدوا هدى وذلك ان بعض الاهتداء يجر الى البعض الاخر كالايمان يجر الى الاخلاص فيه كما ان بعض الغواية
يجر الى بعضها ومنهم من فسر الزيادة بالعبادات المرتبة على الايمان والواو في ويزيد للاستيناف وقد تكلف جار الله فقال انه للعطف على معنى
فليمدد اي يزيد في ضلال الضال بخذلانه ويزيد المهتدين هداية بتوفيقه وقد مر في سورة الكهف ان الباقيات الصالحات فسرها الاكثرون
بجميع الاعمال الصالحات المؤدية الى السعادات الباقيات وفسرها بعضهم بما هي اعظم ثوابا منها كالصلوات الخمس وغيرها وقوله خير يقتضي ان يكون
مشاركا له في اصل الخيرية ويكون هذا خيرا منه فان قد ثبت لذلك شيئا فيه خيرية كبعض الاعمال الدنيوية المباحة او كسائر الاعمال الصالحة عند من يعتبر
الباقيات بمعنى الاخص فظاهر انها خير ثوابا وخير مردا اي مرجعا وعاقبة او منفعة من قولهم هل لهذا الامر مرد وان قدرنا ان لتلك شيئا لا ثواب فيه ولا
خيرية كما زعموا او اراد ان المراد هي خير ثوابا من مفاخرات الكفار فيكون اطلاق الثواب على عقاب الكفار من قبيل التهكم ومن باب قولهم تحية بينهم
ضرب وجيع ويكون وجه التفضيل في الخير ما قيل في قولهم الصيف احر من الشتاء اي ابلغ في حره من الشتاء في برده ثم اردف مقالتهم الحمقاء باخرى مثلها
قائلا على سبيل التعجب افرايت كانه قال اخبر ايضا بقصة هذا الكافر واذكر حديثه عقيب حديث اولئك وانما استعملوا ارايت بمعنى اخبر لان رؤية
الشيء من اسباب صحة الخبر عنه عن الحسن نزلت في الوليد بن المغيرة والمشهور انها في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لي عليه دين فاقتضيته
وقيل صاغ له حليا فاقتضيا الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا فانا اقضيك ثم فاني اوتى مالا وولدا ومن قرا
ولدا بفتحتين فظاهر ومن قرا بالضم فالسكون فاما جمع ولد كاسد في اسد او بمعنى الولد كالعرب في العرب فانكر الله سبحانه عليه بقوله اطلع الغيب من
قولهم اطلع الجبل اي ارتقى الى اعلاه ولاختيار هذه الكلمة شان كانه قال اوقد بلغ من عظمة شانه ان ارتقى الى عالم الغيب الذي تفرد به علام الغيوب
ام اتخذ عند الرحمن عهدا عن الكلبي هل عهد الله اليه ان يؤتيه ذلك وعن قتادة هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو بذلك ما يقول وقيل العهد كلمة الشهادة
كلا ردع وتنبيه على الخطا فيما تصوره لنفسه وتمناه وفي قوله سنكتب بسين التسويف مع ان الحفظة يكتبون ما قاله في الحال دليل على ان السين جرد ههنا
لمعنى الوعيد او اراد سنظهر له انا كتبنا بالتعذيب والانتقام يؤيده قوله ونمد له من العذاب مدا اي نطول له من العذاب ما يستاهله امثاله من المستهزئين او نزيد
من العذاب ونضاعف له من المدد مدة واصله بمعنى ثم اكد المد بالمصدر وهو مؤذن بفرط الغضب اعاذنا الله منه ثم عكس استهزاءه بقوله ونرثه
ما يقول اي نمنع عنه منتهى ما زعم انه ينال في الاخرة من المال والولد لانه تالى على الله في قوله لاوتين ومن يتال على الله يكذبه لان ذلك غاية
الجراة ونهاية الاشعبية ما اشتهاه اما ثمرة منه في العاقبة ويأتينا فردا بلا مال ولا ولد وكلام صاحب الكشاف في الوجهين مختبط فليتامل
فيه وكذا في قوله فردا على الاول حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء في اتيانه فردا حين ياتي ثم يتفاوتون بعد ذلك وذلك ان
الخلود لا يتحقق الا بعد الدخول اما انفراده فمتحقق في حالة الاتيان وتفاوت الحال بعد ذلك واشتراك الكل في الاتيان منفردا لا مدخل له في
المقصود فلا ادري ما حمله على هذا التكلف قال ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله وياتينا منفردا
عنه غير قائل له او اراد ان هذا القول لا ننساه ولا نلغيه بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به وياتينا على فقره ومسكنته فردا
من المال والولد لم نعطه سؤله ومتمناه فيجتمع عليه خطيئات تبعته وقوله ووبال سؤله وحين فرغ من الرد على منكري البعث شرع في الرد على عبدة
الاصنام فبين انهم اتخذوها آلهة ليكونوا لهم عزا وذلك ان يتعززوا بآلهتهم وينتفعوا بشفاعتهم ثم انكر عليهم وردعهم بقوله كلا ثم اخبر عن حالهم بقوله
سيكفرون فان كان الضمير للمعبودين فهم اما الملئكة كقوله قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اما الاصنام فلا يبعد ان
ينطق الله الجماد بذلك كقوله فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون وان كان الضمير للعابدين فهو كقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

مستهزئا صح

او المراد منه انا اعطيناه صح



في مقابلة قوله عزا

اما الضمير في يكونون فللمعبودين وقوله عليهم ضدا للعابدين كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا ويحتمل ان يراد بالضد العون لانه يضاد العدو ووحد لاتفاق
كلمتهم وفرط تضامهم وتوافقهم كقوله وهم يد على من سواهم ومعنى كون الالهة اضدادا اي اعوانا عليهم انهم وقود النار وان المشركين عذبوا بسبب عبادتها ويحتمل
ان يكون الضمير في يكونون للمشركين اي يكون المشركون كفرة بالهتهم واعداء لهم بعد ان كانوا يعبدونها وحيث بين مذاهب الفرق الضالة اراد ان يبين منشأها
فقال الم تر انا ارسلنا الاية والاز الهز والتهييج قالت الاشاعرة في الاية دلالة على انه تعالى مريد لجميع الكائنات الا ان قول القائل ارسلت فلانا على فلان انه سلطه عليه
ثم وارسل الكلب عليه وقوله تؤزهم اي تغريهم على المعاصي بحثهم عليها بالوسواس والتسويلات وقالت المعتزلة اراد بهذا الارسال التخلية بينهم وبينهم كما اذا لم يمنع الرجل كلبه
من دخول بيت جاره وصاحب الكشاف جعل ارسال الانبياء في مقابل ارسال الشياطين ثم خلى بين المكلفين وبين الانبياء والشياطين لانه خص اولياءه بمزيد الالطاف حتى قبلوا قول الانبياء ومنع عنهم
تلك الالطاف وهو المسمى بالخذلان فقبلوا قول الشياطين ولما كان هذا الارسال سببا لهلاك الكفار عقبه بقوله [illegible] لا يخفى ان استناد الكل الى الله تعالى نزاع الفريقين لفظي
قريب فلا تعجل عليهم يقال عجلت عليه بكذا اذا استعجلت منه اي لا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انت والمسلمون من شرورهم فليس بينك وبين ما تطلب من هلاكهم الا ايام معدودة
وانفاس معدودة قال ابن عباس نزلت في المستهزئين وهم خمسة رهط وعنه ومعناه انه كان اذا قرأها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك
وعن ابن السماك انه كان عند المأمون فقرأها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وعن بعضهم ان الحبيب الاحباب [illegible] لا يمنع كونه ولا حرص كيف
وكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليها اللفظ والنفس ثم لما قرر امر الحشر واجاب عن شبه منكريه اراد ان يشرح حال المكلفين وقتئذ فقال يوم نحشر منصوب بمضمر متقدم
او متأخر اي اذكر يوم كذا وكذا يفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز ان ينتصب بلا يملكون خص المتقون بالجمع الى محل كرامة الرحمن والوفد جمع وافد يقال وفد
على الامير وفادة اي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد وصح عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب سروجها
ياقوت وخص المجرمون بالسوق الى جهنم وردا اي واردا وهم الذين يردون الماء وفيه من الاهانة ما فيه كانهم نعم عطاش تساق الى الماء وقال [illegible] حقيقة
الورد المسير الى الماء فسمي به الواردون قال بعض العلماء في الاية دلالة على ان اهوال يوم القيامة تختص بالمجرمين لان المتقين من الابتداء يحشرون على هذا
النوع من الكرامة فكيف ينالهم بعد ذلك شدة قلت يحتمل ان يكون الحشر الى الرحمن غير الحشر الى الموقف فيراد بالحشر الى الرحمن الى دار كرامته وسوقهم الى الجنة
زمرا وهذا بعد امتياز الفريقين فالامن الكلي فيما بعد هذه الحالة لا ينافي الخوف والدهشة فيما قبلها كما ورد في حديث الشفاعة وغيره وقوله الى الرحمن دون ان يقول الينا
من وضع الظاهر موضع المضمر وفيه من البشارة ما فيه ولا يلزم منه التجسيم لما تاويل الذي ذكرناه والضمير في لا يملكون للمكلفين المذكورين بقسميهم وفاعله
من اتخذ على البدل لانه في معنى الجمع ويجوز ان يكون الواو علامة للجمع كالتي في اكلوني البراغيث فيكون من اتخذ فاعلا والاستثناء مفرغا ويجوز ان ينتصب من
اتخذ على الاستثناء او على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ واختلف المفسرون في الشفاعة فقيل لا يملكون ان يشفعوا لغيرهم وقيل لا يملك
غيرهم ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وبكلمة الشهادة وحملوا الاول يناسب اصول المعتزلة والثاني يناسب اصول الاشاعرة وعن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة اني اعهد اليك في هذه الحياة باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك فلا تكلني الى نفسي فانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر وتباعدني من الخير
واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى
مناد اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة ويجوز ان يكون من عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المأمور بالشفاعة المأذون له فيها
كقوله وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان يأذن الله وحين رد على عبدة الاوثان عاد الى الرد على من اثبت له ولدا من اليهود و
النصارى والعرب منهم من خص الاية بالرد على العرب القائلين بان الملائكة بنات الله لان الرد على النصارى تقدم في اول السورة وفي قوله لقد جئتم التفات من
الغيبة الى المخاطبة تسجيلا عليهم بالجراءة والتعرض لسخط الله الاد الامر العجيب او المنكر والتركيب يدل على الشدة والثقل ومنه ادت الناقة وتأودت اذا رجعت الحنين في
جوفها وتفطر بالتخفيف اذا شقه مرة [illegible] وانفطر وبالتشديد للتكثير ومطاوعته تفطر وهذا التركيب كثير وانتصب هدا على المصدر لان الخر في معناه واما
لانه تأكيد هدا او على الحال اي مهدودة او على العلة اي لانها تنهد محل ان دعوا اما جر بدلا من الهاء في منه واما نصب منصوب بنزع الخافض اي هدا لان دعوا
الخر وبالهدم المدمد بالدعاء واما مرفوع بانه فاعل هدا اي هدها الدعاء وخير الوجوه اوسطها كما مر في الوقوف والدعاء اما بمعنى التسمية فيكون المفعول
الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعي له ولد واما بمعنى التسمية فيكون المفعول الاول متروكا طلبا للعموم والاحاطة بكل ما ادعي له ولد واما بمعنى النسبة
اي نسبوا الى الرحمن ولدا وما ينبغي لا يصح ولا يستقيم وهو في الاصل مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى مطلوبا لانه محال اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها
واما التبني فلان القديم لا جنس له حتى يميل طبعه اليه ميل الوالد الى الولد فمن اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن المختص بمن هو مولى اصول
النعم وفروعها الحسنة كما قيل لينكشف عن بصائرهم غشاوة فانت وجميع ما عندك عطاؤه وهذا من فوائد تكرير هذا الاسم في هذا المقام سئل كيف تؤثر هذه الكلمة في الجمادات
حتى تتفطر وتنشق وتخر اجيب بانه سبحانه كانه يقول كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي او هو تصوير
لاثر هذه الكلمة في الدين [illegible] هذا الاعتقاد موجب لان لا يكون هذه الاجرام على ما نرى من النظام كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال ابو مسلم ان
هذه الاجرام لو كانت ممن يعقل لكادت تفعل ذلك ثم بين ان العابد والمعبود في السموات او في الارضين كلهم تحت قهره وتسخيره في الدنيا وفي الاخرة وانه
محيط بجمل احوالهم وتفاصيلها فقال ان كل [illegible] الا اتي الرحمن عبدا [illegible] وهو ملتقى [illegible]

بما لا مزيد عليه في باب الكرامة قائلا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا قال سيحدث لهم في القلوب مودة من غير تعرض لاسباب التودد كقرابة او
اصطناع وذلك كما يقذف في قلوب اعدائهم الرعب والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله المودة بين الناس عند ظهور
الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور المؤمنين
مودة فانزل الله تعالى هذه الاية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يا جبرئيل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه
جبرئيل ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله عز وجل الا اقبل
الله بقلوب العباد اليه وعن كعب قال لمكتوب في التورية لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها من الله تعالى ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق
ذلك في القران سيجعل لهم الرحمن ودا هذا قول جمهور المفسرين وعن ابي مسلم ان المراد انه يهب لهم في الجنة ما يحبون واستعمال المصدر بمعنى المفعول كثير وانما صار الى هذا القول
لان المسلم التقي يبغضه الكفار وقد يبغضه المسلمون اكثرهم وقد يحصل هذه المحبة للكفار والفساق فيكونون مرزوقين بميل الناس الى اختلاطهم وصحبتهم فكيف
يمكن جعله انعاما في حق المؤمنين وايضا ان محبتهم في قلوبهم من فعلهم لا من فعل الله فحمل الكلام على اعطاء المنافع بل اولى اجيب بان المراد محبة الملائكة و
الانبياء والصالحين ومثل هذه لا يحصل للكافر والفاسق وبانه محمول على فعل الالطاف وخلق داعية اكرامهم في قلوبهم ثم عظم شان ما في هذه السورة
من التوحيد والنبوة وبيان الحشر والرد على الفرق الضالة قائلا فانما يسرناه كانه قيل بلغ هذا المنزل او بشر به وانذر فانما انزلناه بلسانك اي بلغتك
سهلناه وفصلناه لتبشر به وتنذر واللد جمع الالد الشديد الخصومة بالباطل كقوله في البقرة وهو الد الخصام يريد اهل مكة ثم ختم السورة بما هو غاية
في الانذار ونهاية في التخويف لانبائه عن انقضاء القرون الخالية اما بالفناء او بالافناء بحيث لم يبق منهم شخص يحس ولا صوت يسمع فيعلم منه ان حال
الباقين ايضا الى ذلك فيجتهدوا في تحصيل الزاد للمعاد ولا يصرفوا هممهم الى ما هو بصدد الزوال والنفاد والركز الصوت الخفي ومنه الركاز لتغيب طرفه في الارض
المال المدفون التاويل يقول النفس الانسانية لجهلها بالحقائق اذا ما تعرض الصفات البشرية لخرج خبايا الصفات الروحانية لنحشرنهم والشياطين فلكل شخص قرين
من الشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم القهر والطبيعة وان منكم من الانبياء والاولياء والمؤمنين والكافرين الا هو وارد هاوية الهوى بقدم الطبيعة حتما
لان حكمته الازلية اقتضت خلق هذا النوع المركب من العلوي والسفلي ثم ننجي الذين اتقوا الهوى بقدم الشريعة على طريق الطريقة الموصل الى الحقيقة اياتنا الحقائق
والاسرار قال الذين كفروا وستروا الحق للذين امنوا تحقيقا وايقانا وكم اهلكنا بحب الدنيا والاغراق في بحر الشهوات والاحراق بنار المناصب للمرضيات اما العذاب
وهو الموت على الانكار والغفلة واما الساعة وهي الامانة عن الصفات البشرية عند تجلي صفات الشوق والمحبة فسيعلمون حزب الله من حزب الشيطان ويزيد الله بالترقي
من الايمان الى الايقان ومن الايقان الى العيان ان دعوا للرحمن ولدا من فوائد ذكر اسم الرحمن ههنا ان الرحمانية امهلتهم حتى قالوا ما قالوا والا فالالوهية مقتضية لاهلاكهم
في الحال كلهم اتيه يوم القيمة فردا عن مشيته وارادته بخلافهم في الدنيا فانهم يظنون ان لهم ارادة واختيارا فانما يسرناه فيه انه لولا تيسير الله ذلك لما تيسر على
قلب النبي صلى الله عليه وسلم والا فكيف يسع ظروف الحروف المحدثة المتناهية حقائق كلام الازلية الغير المتناهية وكم اهلكنا في تيه الضلالة او تسمع لهم ركزا بالثناء الحسن عليهم والله اعلم

مثل

سورة طه مكية حروفها خمسة الاف ومائتان واثنان واربعون كلمها الف وثلثمائة واحدى واربعون اياتها مائة وخمس وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم

طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى الرحمن على العرش استوى له
ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى
وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى فلما أتاها نودي
يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلوة
لذكري إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى وما تلك بيمينك يا موسى قال
هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها
سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى اذهب إلى فرعون إنه طغى قال رب
اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا إنك كنت بنا بصيرا قال قد أوتيت سؤلك يا موسى القراءات طه بامالة الطاء والهاء حمزة وعلي وخلف ويحيى وحماد وعباس وقرأ ابو عمرو
ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح اقرب في الكشاف ان ابا عمرو فخم الطاء لاستعلائها وامال الهاء والاخرون بتفخيمهما الا هله امكثوا بضم الهاء وكذلك في القصص حمزة انت
اني انا الله بفتح ياء المتكلم فيهما ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو لعلي آتيكم بفتح ياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر غير ابن مجاهد على النار هدى بالامالة
ليحيى وحماد ويعقوب وحمزة في رواية ابن سعدان وابي عمر والنجاري عن ورش وابي عمرو وعن ابراهيم حماد اني انا ربك بفتح الهمزة وياء المتكلم ابن كثير وابو عمرو ويزيد بكسر الهمزة
وفتح الياء نافع الباقون بكسر الهمزة وسكون الياء طوى منونا حيث كان عاصم وحمزة وعلي وخلف وابن عامر وانا اخترناك على الجمع حمزة والمفضل لذكري انى بفتح الياء
ابو جعفر ونافع وابو عمرو ولي فيها بالفتح حفص والمفضل والاعشى والبرجمي والاصبهاني عن ورش اخي اشدد بفتح الياء موصولا ابن كثير وابو عمرو
غير الخزاعي عن ابن فليح ابو عمرو اشدد بفتح الهمزة واشركه بضمها على التكلم ابن عامر الباقون بضم الاول وفتح الثاني على الامر

والاصبهاني

والامالة فيهما عن ورش وحمزة في الوقف على الحروف بالمد او وقف طه كوفي من قال معناه يا رجل او يا طالب الحق ايها الهادي لم يقف لتشقى لا للاستثناء بمعنى بناء على ان تنزيلا بدل تذكرة العلى لان الرحمن مبتدا استوى الثرى ولا تخفى الاسماء الحسنى حديث موسى لعلى اهدى نارا فطرب للايمان هدى يا موسى فعليك للابتداء بانه مع اتحاد المقول طوى لا الوقف لما يوحى فاعبدنى لذكرى تسعى فرطنا يا موسى عصا لا للامكان ان يجعل اتوكأ مستأنفا او حالا والوقف اضطرارا او اشبه بناء على ان هي بمعنى هذه اخرى يا موسى تسعى ولا تخف الاولى اية اخرى لتعلق اللام الكبرى للاية والابتداء بالامر على ان المقول متصل طغى صدرى امرى لسانى قولى اهلى اخى ازرى ... الكلام اخرى لا وقف لمن قرأ اشدد بفتح الهمزة جوابا للدعاء ومن فتح الياء فله الوصل ومن قرأ اشدد بقطع الهمزة فله الجواز للاستئناف والدعاء بلا عاطف ... لا يتعلق كثيرا بصيرا يا موسى التفسير ... تم قولا احدها انه من حروف التهجي وقد سلف في اول البقرة ... امثالها ... ومنها قول الثعلبي طا شجرة طوبى والهاء الهاوية وكانه اقسم بالجنة والنار ومنها ما روي عن جعفر الصادق ان الطاء طهارة اهل البيت والهاء هدايتهم وقيل المراد يا طاهرا من الذنوب يا هاديا الى علام الغيوب ومنها قول سعيد بن جبير هو افتتاح باسمه الطيب الطاهر الهادي وقيل الطاء تسعة في الحساب والهاء خمسة ومعناه يا ايها البدر القول الثاني انها كلمة مفيدة ومعناها يا رجل مروي عن ابن عباس والحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة ثم قال سعيد بن جبير بلسان النبطية وقال قتادة بلسان السريانية واليونانية وقال عكرمة بلسان الحبشة وقال الكلبي بلسان عك بن عدنان اخو معد هو اليوم في اليمن المحسنين طه واصلها طا امرا بالوطء فقلبت الهمزة هاء وذلك لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر ان يطأ الارض بقدميه معا وبالجملة روي انه صلى بالليل حتى اسمعكك قدماه اي تورمتا فقال له جبرائيل ابق على نفسك فان لها عليك حقا ونزلت طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى اي لتتعب نفسك وتكلف بعثت بالحنيفية السهلة وعند الاكثرين معنى لتشقى لتتعب بفرط تأسفك عليهم وتحسرك على ان يؤمنوا والشقاء يجيء بمعنى التعب ومنه المثل اشقى من رائض مهر وقيل كان ابو جهل والنضر بن الحارث قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فرد الله عليهم بان القرآن هو السبب في نيل كل سعادة فان جعلت طه تعديدا لاسماء الحروف فقولها ما انزلنا ابتداء الكلام وان جعلتها اسما للسورة فمبتدا وما بعده خبر وقام الظاهر وهو القرآن مقام الضمير الرابط وان جعلتها قسما فما بعده جوابا وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه مع اللام لانه ليس بفعل لفاعل الفعل المعلل والثاني جاز قطع اللام عنه لوجود الشرط ولا يجوز ان يكون تذكرة بدلا من محل لتشقى لاختلاف الجنسين فان التذكرة لا يمكن ان يحمل على الشقاء ولكنها نصب على الاستثناء المنقطع الذي بمعنى الا بمعنى لكن وفي قوله لتشقى والا تذكرة وجه آخر وهو ما انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب التبليغ الا ليكون تذكرة اي ما انزلنا هذا التعب الشاق الا وهذا الغرض كما في قولهم ما شافهناك بهذا الكلام لتتأذى الا لينتبه بعض ... فانتصب تذكرة على انه حال او مفعول له واذا كانت حالا جاز ان يكون تنزيلا بدلا منه واذا كانت مفعولا لاجله لم يجز ان يكون تنزيلا بدلا منها لان الشيء لا يعلل بنفسه فالانزال لا يعلل بالتنزيل فالظاهر حينئذ ان ينتصب تنزيلا بمضمر يعني نزل تنزيلا او بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة او على المدح والاختصاص او يجيء مفعولا ليخشى اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله عز وجل اي لمن يتوجه امره الى الخشية لانه هو المنتفع به ومعنى كون القرآن تذكرة انه صلى الله عليه وسلم كان يعظهم به وبيانه ومن خلق متعلق بتنزيلا فيكون لظرف لغوا او بكائنا صفة له فيكون مستقرا وفائدة الانتقال الى الغيبة من لفظ المتكلم حين لم يقل تنزيلا منا امور منها الافتنان في الكلام على عادتهم ومنها تفخيم المنزل لنسبته الى لفظ الغيبة ومنها بالاسناد او لا الى ضمير المتكلم المطاع في انزلنا ثم الى المختص بصفات العظمة والتمجيد وقيل انزلنا حكاية كلام جبرائيل والملائكة النازلين معه وصف الله بالعلى تابعة الاعلى وجمع السموات ... دلالة على عظم قدرة من يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها وحصل منه تعظيم شأن القرآن بالضرورة وفي هذا المرسل يكون حال الرسالة وقول الحكماء على الرجا ... واتلام وارتفع الرحمن على المدح اي هو الرحمن او هو مبتدأ مشارا بلامه الى من خلق والبحث في الاستواء على العرش من جانبي المشبهة والموحدة قد مر مشبعا في الانعام في قوله وهو القاهر فوق عباده وفي الاعراف في قوله ان ربكم الله الذي خلق السموات فلا حاجة الى الاعادة ثم اكد كمال ملكه وملكوته بقوله له ما في السموات الاية عن محمد بن كعب ان ما تحت الثرى هو ما تحت سبع الارضين وعن السدي هو الصخرة التي تحت الارض السابعة وقيل الثور والحوت والفقهاء ان الثرى هو التراب الندي وهو ما جاوز البحر من جرم الارض فالذي تحته هو ما بقي من جرم الارض الى المركز فيحصل ان يكون هنا الاشياء لا يعلمها الا الله سبحانه من المعادن وغيرها ولا ريب ان الكل مسخر له وبين كمال علمه بقوله وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى فالسر ما اسررته الى غيرك واخفى منه ذلك ما اخطرته ببالك او السر هذا واخفى منه ما استتر وقيل اخفى فعل ماض اي يعلم اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو وقيل هذا المخفي مجرور بالعطف ... لا اشياء ... مصرف ... ولا يخطر ... من الاشياء ولا يطلع على وجوهه احد الا اللفظ يحتمل ... هذا ... فلهذا قال صاحب الكشاف ... وكيف طابق الجزاء الشرط اجيب بان معناه ان تجهر بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر ربك في نفسك واما ان يكون تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع الله وانما هو لغرض آخر كان يكسر من فورته الانه ذكر التكليف من اتباع ظاهر كان شابا بالمنة وترغيبه في الطاعة فاقر ... وعلم آدم الاسماء كلها وفي غيره من المواضع المناسبة فليفتش لان ... لما ذكر ان الموصوف بالقدرة والعلم على الوجه المذكور لا شريك له وهو الذي يستحق العبادة بين عجزه ... التوحيد تبع الاقرار ... واكيد لذلك ... الاستغراق في بحر العرفان ... الاحد الصمد الاول ... والثاني ... مكتوب في جبهته لا اله الا الله حتى ... المؤمن ... كلمة الشهادة فيكفيه ... من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان والاقرار ... ولما التمام ... الصمد ... والثناء ... والتهليل ... لا اله الا الله ...



منتسبة إلى بلاد أو قبيلة فإنه يبالغ في مدحها حتى يلزم مدحه بالعرض فيجب على المكلف أن يذكره بالأسماء الحسنى حتى يثبت بذلك شرفه ويحسن ذكره الهنا وحسن التسمية
دليل حسن التسمية يدل على أنه لا يفعل القبيح ولا يزال منوطا بها على الإحسان كما قيل بإحسن الوجه توقع الخنا لا تخلطن الزين بالشين فبإحسن أسمائك والصفات الأثر
اخشانك بحرمة من ذكروا أن صيادا اصطاد سمكة وكانت له بنت فأخذتها وألقتها في البحر وقالت إنها ما وقعت في الشبكة إلا لغفلتها الهنا تلك الهرة وحرمة كل ذي
وضع قد اصطادتنا الملاهي أخرجنا من بحر رحمتك لغفلتنا فردنا إلى مقرنا وأنت أرحم الراحمين وعن محمد بن كعب القرظي أن موسى قال أي خلقك أكرم عليك قال الذي لا
يزال لسانه رطبا من ذكري قال أي خلقك أعلم قال الذي يلتمس علما إلى علمه قال فأي خلقك أعدل قال الذي يقضي على نفسه كما يقضي على الناس قال فأي خلقك أعظم جرما قال الذي
يتهمني وهو الذي يسألني ثم لا يرضى بما قضيته له الهنا إنا لا نتهمك فإنا نعلم أنك كلما أحسنت فهو فضل وكلما لا تفعله بنا من الإحسان فهو عدل فلا تؤاخذنا بسوء أعمالنا
وعن الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد سيعلم الجمع من أهل الكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم يقال أين الذين لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله ثم ينادي أين الحامدون على كل حال ثم يكون التبعة والحساب على من بقي الهنا فنحن حمدناك وأثنينا عليك بقدر قدرتنا وطاقتنا فاعف عنا بفضلك
وحسن امتنانك ومن عظم شأن القرآن وبين حال الرسولية فيما كلف من أعباء الرسالة قفاه بقصة موسى تثبيتا له وتقوية وتسلية قال الكلبي عنى وهل أتاك
لم يكن أتاك إلى الآن وقد أتاك الآن فتنبه له وهذا يقول المرء لصاحبه هل بلغك خبر كذا فيتطلع السامع لما يخبر به وعن مقاتل والضحاك عن ابن عباس أن المراد منه قد أتاك فقرره
في قلبك وقد أتاك في ذلك الزمان المتقدم وإذ ظرف للحديث لأنه حدث أو المراد اذكر وقت كذا ومظروفه محذوف أي حين رأى نارا كان كيت وكيت قال أهل السير استأذن
موسى شعيبا في الخروج إلى أمه وخرج بأهله وولد له في الطريق ابن في ليلة شاتية مثلجة وكانت ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء
عنده وقدح فصلد زنده فرأى نارا من بعيد على يسار الطريق من جانب الطور قال السدي ظن أنها من نيران الرعاة وقال الآخرون إنه رآها في شجرة واختلفوا أيضا
في أن الذي رآه كان نارا أم لا فالأول والصحيح أنه كان نارا ليكون صادقا في خبره إذ الكذب لا يجوز على الأنبياء ويمكن أن يقال إطلاق اللفظ على ما يشبه منها ليس بكذب
قيل النار أربعة أقسام نار تأكل ولا تشرب وهي نار الدنيا ونار تشرب ولا تأكل وهي نار الشجر جعل لكم من الشجر الأخضر نارا ونار تأكل وتشرب هي نار المعدة ونار
لا تأكل ولا تشرب وهي نار موسى وبعبارة أخرى نور بلا حرقة وهي نار موسى وحرقة بلا نور وهي نار جهنم وحرقة ونور وهي نار الدنيا ولا حرقة ولا نور وهي نار الأشجار
فقال لأهله امكثوا المخاطب هم المرأة والخادم والولد ويجوز أن يخاطب المرأة وحدها ولكن أخرج الخطاب على ظاهر لفظ الأهل فإنه اسم جمع وأيضا فقد يخاطب
الواحد بلفظ الجماعة تفخيما أي أقيموا في مكانكم فقد آنست نارا أي أبصرت إبصارا لا شبهة فيه وأيضا إبصارا يؤنس به والتركيب يدل على الظهور ومن ذلك إنسان
العين لأنه يظهر الأشياء ومنه الإنس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم ومنه الأنس ضد الوحشة لظهور المطلوب في المأنوس به قال جار الله لما وجد منه الإيناس وكان
مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة أن ليوطن أنفسهم ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين بنى الأمر فيهما على الرجاء دون الجزم قائلا لعلي آتيكم قال المحققون فيه
دلالة على أن إبراهيم لم يكذب البتة لأن موسى قبل نبوته احترز عن الكذب المظنون فلم يقل إني آتيكم لئلا يعد إلا ما يستيقن الوفاء به فإبراهيم هو أبو الأنبياء أولى بالاحتراز من الكذب
الصريح والقبس النار المقتبسة في رأس عود أو فتيلة ونحوهما وهدى على حذف المضاف أي ذوي هدى أو إذا وجد الهدى فقد وجد الهادي والأظهر أن الهدى ما يهتدى به في
الطريق وعن مجاهد وقتادة قوما يهدونني الطريق هداة في أبواب الدين وذلك أن همم الأبرار معقودة في جميع أحوالهم بالأمور الدينية لا يشغلهم عنها شاغل ومعنى الاستعلاء على
النار وهو مفعول ثان لأجد أو حال من هدى أن أهل النار يستعلون المكان القريب منها أو المصطلون بها تكنفوها قياما وقعودا فهم مشرفون عليها المكان
مستوين فلما أتاها أي النار قال ابن عباس رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها كأنها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما فخاف وبهت
فألقيت عليه السكينة ثم نودي كانت الشجرة عوسجة وقال وهب ظن موسى أنها أوقدت فأخذ من دقاق الحطب ليقتبس من لهبها فمالت إليه كأنها تريده فتأخر عنها
وهابها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها ثم لم يكن أسرع من خمودها فكأنها لم تكن ثم رمى موسى نظره إلى فرعها فإذا خضرته ساطعة في السماء وإذا نور بين السماء والأرض
له شعاع تكل عنه الأبصار فلما رأى موسى ذلك وضع يده على عينيه فنودي يا موسى من قرأ أني بالفتح فتقديره نودي بأني ومن قرأ بالكسر فلأن النداء في معنى القول أو لأن النداء نوع
يا موسى وتكرير الضمير في إني أنا ربك لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة وإماطة الشبهة روي أنه لما نودي يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل إني أنا ربك فوسوس إليه إبليس لعلك
تسمع كلام شيطان فقال أنا عرفت أنه كلام الله بأني أسمعه من جميع الجهات الست وأسمعه بجميع أعضائي حتى كأن كل جارحة مني صارت أذنا وقيل لعله سمع النداء من جماد كالحصى
والشجرة فيكون معجزا وأيضا أنه رأى النار في الشجرة الخضراء بحيث إن الخضرة ما كانت تطفئ تلك النار ولا النار تضر بالخضرة وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله وجوز الأشاعرة أن
يكون قد خلق الله تعالى علما ضروريا وأبت ذلك المعتزلة منعوا منه قالوا إن حصول العلم الضروري بأن ذلك المتكلم هو الله يستلزم العلم الضروري بوجود الصانع لاستحالة
أن يكون الصفة معلوما بالضرورة والذات معلوما بالاستدلال وحصول العلم الضروري بوجود الصانع ينافي التكليف بالاتفاق ولم يخرج موسى عن التكليف قال القاضي كانت
النبوة تقدمت لموسى فلا كلام في حصول هذه الخوارق وإلا وجب أن تكون المعجزات لغيره من الأنبياء في زمانه كشعيب مثلا قال وهذا أولى لأن قوله وأنا اخترتك فاستمع
لما يوحى يدل على أنه أول وحي يوحى إليه وعند أهل السنة الإرهاص جائز فلم يجعلوا حال تلك الخوارق معجزة وعندهم أن الله تعالى أسمعه الكلام الذي ليس بحرف ولا
صوت والمعتزلة أنكروا وجود ذلك الكلام وقالوا إنه تعالى خلق ذلك النداء في جسم من الأجسام كالشجرة وهو جار على مذهب أهل السنة أو الذين أثبتوا الكلام القديم إلا أنهم
زعموا أن الذي سمعه موسى صوت خلقه الله في الشجرة لأنه قد رتب النداء على أنه أتى النار والمرتب على الحادث محدث ومثله استدلال المعتزلة بقوله فاخلع نعليك على
أن كلامه ليس بقديم لأن الأمر والمأمور معدوم سفه فلا بد أن يكون هذا الأمر عند وجود موسى فيكون محدثا وأجابت الأشاعرة بأن كلامه الأزلي ليس بأمر ولا نهي ولكنه
في الأزل يسمى بالخطاب صار التقضي مأمورا من غير تغير في ذاته كالقدرة الأزلية يتعلق بالمقدور الحادث وأما الحكمة في الأمر بخلع النعلين فقال المفسرون إنهما

وحسن التسمية



الاولى لا يكره الا اذا كان عليه نجاسة وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم في نعليه ثم خلعهما في الصلوة فخلع الناس نعالهم فلما سلم قال ما لكم خلعتم نعالكم قالوا خلعت فخلعنا فقال
ان جبرئيل اخبرني ان فيهما قذرا ويروى ان موسى خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي قال الجوهري طوى بكسر الطاء وضمها اسم موضع بالشام فمن صرفه جعله
اسم واد ومكان ومن لم يصرف جعله اسم بقعة وقال بعضهم طوى بالضم مثل طوى وهو الشيء المثنى اي طوى مرتين اي قدس مرتين قال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس
مرتين ويحتمل انه نودي مرتين وقيل طوى مصدر كهدى ومعناه الطي وعن ابن عباس انه مر بذلك الوادي ليلا فطواه فكان المعنى بالواد المقدس الذي طويته
طيا اي قطعته حتى ارتفعت الى اعلاه وانا اخترتك اصطفيتك قيل فيه دلالة على ان النبوة لا تحصل بالاستحقاق وانما هي ابتداء عطية من الله ونحو هذه
الاخبار غاية اللطف والرحمة ولكن في قوله فاستمع نهاية الجلال ففي الاول رجاء وفي الثاني خوف فكانه قال لقد جاءك امر عظيم فتأهب واجعل كل
همتك مصروفة اليه لما يوحى اي للذي يوحى او للوحي متعلق باستمع او باخترتك ثم قال انني انا الله لا اله الا انا ورتب عليه فاعبدني ليعلم ان عبادته
انما لزمت لالهيته ومن هنا قال العلماء ان الله معناه المستحق للعبادة قال الاصوليون تأخير البيان عن وقت الحاجة غير جائز ولكن عن وقت الخطاب جائز
لانه امره بالعبادة ولم يذكر كيفيتها وايضا قال واقم الصلوة ولم يبين هيآتها اجاب القاضي عن هذا الاخير بانه لا يمتنع ان موسى عليه السلام قد عرف الصلوة
التي تعبد الله بها شعيبا وغيره من الانبياء فكان الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب متوجها الى ذلك وزيف بان حمل الخطاب على التأسيس
اولى قال القاضي قد بين له ولكن لم يحك الله تعالى سوى هذا القدر وزيف بان البيان اكثر فائدة من المجمل فلو كان مذكورا لكان اولى بالحكاية ولقائل
ان يقول سلمنا ان المبين اكثر فائدة للمخاطب ولكن لا نسلم ان حكاية المبين اولى فلعل حكاية المجمل تكفي لغرض من بعض هيئات ذلك التكليف مفصلا
وان كان مفصلا ومبينا وفي قوله لذكري وجوه لان اللام اما بمعنى الوقت او هو للتعليل والذكر اما باللسان او هو ضد النسيان وياء المتكلم اما فاعل في الاصل
او مفعول وهل يحتمل الكلام تقدير مضاف ام لا ولمثل هذه الاعتبارات تعددت الوجوه فمنها ان اللام للتعليل والياء منصوب اي لتذكرني فان ذكري
ان اعبد ويصلي لي او اراد لتذكرني في الصلوة لاشتمالها على الاذكار عن مجاهد والفرق ان اطلاق الذكر على العبادة والصلوة في الاول حقيقة شرعية
وفي الثاني مجاز او نقول في الاول نفس الصلوة مطلوبة بالذات وفي الثاني تكون مطلوبة بعرض الذكر او اراد لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري
ومنها ان المضاف مع ذلك محذوف اي لاخلاص ذكري وطلب وجهي ومنها ان الياء فاعل اي لاني ذكرتها في الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء
واجعل لك لسان صدق ومنها ان اللام للوقت كقولك جئتك لوقت كذا اي لاوقات ذكري وهي مواقيت الصلوة ومنها ان يحمل الذكر على ضد النسيان
اي لتكون لي ذاكرا غير ناس فعل المخلصين في كونهم رطبي اللسان في جميع الاحيان بذكر مولى الانعام ومولى الاحسان رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله او اراد لذكر الصلوة بعد نسيانها وكان نحو العبادة ان يقال للذكر كقوله عليه السلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها ومنها ان المضاف محذوف
اي لذكر صلوتي او ذكر الصلوة هو ذكر الله فالياء في الاصل منصوب او الذكر والنسيان من الله عز وجل في الحقيقة فالياء فاعل قال الشافعي من فاتته صلوة
يستحب ان يقضيها على ترتيب الاداء ولو ترك الترتيب جاز ولو دخل عليه وقت فريضة وتذكر فائتة فان كان في الوقت سعة يستحب ان يبدأ بالفائتة وان
بدأ بصلوة الوقت جاز واذا ضاق الوقت فانه يجب الابتداء بصلوة الوقت وان تذكر الفائتة بعد ما شرع في صلوة الوقت اتمها ثم قضى الفائتة ويستحب ان يعيد صلوة
الوقت بعدها وقال ابو حنيفة يجب الترتيب في قضاء الفوائت ما لم يزد على صلوة يوم وليلة حتى لو تذكر في خلال صلوة الوقت بطلت الا ان يكون ضيقا فلا
يبطل حجة الشافعي ما روي في خبر قتادة انهم ناموا عن صلوة الفجر ثم انتبهوا بعد طلوع الشمس فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يقودوا رواحلهم ثم صلاها ولو كان
وقت الانتباه متعينا للصلوة لما فعل كذلك فعلم انه وقت لتقرر الوجوب عليه ثم الوقت موسع بعد ذلك حجة ابي حنيفة قوله تعالى اقم الصلوة لذكري
وقوله عليه السلام فليصلها اذا ذكرها وفي حديث جابر ان عمر جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق يسب كفار قريش ويقول يا رسول الله ما صليت صلوة العصر حتى
كادت تغيب الشمس فقال النبي صلى الله عليه وسلم وانا والله ما صليتها بعد قال فنزل الى بطحان وصلى العصر بعد ما غابت الشمس ثم صلى المغرب بعدها والقياس
فهما صلوتان مفروضتان جمعهما وقت واحد في اليوم والليلة فاشبهتا صلوتي عرفة ومزدلفة فلما لم يجز اسقاط الترتيب فيهما وجب ان يكون كذلك حكم الفوائت
فيما دون اليوم والليلة اما اذا دخل في حد الكثرة فيسقط هذا الترتيب ثم انه لما امر موسى بالعبادة فامره بالصلوة التي هي افضلها خاصة علل ذلك
بان الساعة آتية ومعنى اكاد نفيه اثبات واثباته نفي فقوله اكاد اخفيها يكون معناه لا اخفيها وهو باطل لقوله ان الله عنده علم الساعة ولان قوله لتجزى كل نفس
انما يليق بالاخفاء لا بالاظهار اذ لو كان المكلف عارفا وقت القيمة وكذا وقت الموت لاشتغل بالمعاصي الى قريب من ذلك الوقت ثم تاب فيكون اغراء على المعصية
والجواب لا نسلم ان كاد اثباته نفي وانما هو للمقاربة فقط والباقي موكول الى القرينة ولئن سلم فالمراد بعدم الاخفاء اخباره بانها آتية وان كان وقتها غير معين
كانه قال اكاد اقول هي آتية لفرط ارادتي الاخفاء ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعيين وقتها من اللطف لما اخبرت به وبالغ بعض المفسرين في هذا المعنى فقال
اراد اكاد اخفيها من نفسي لو صح اخفاؤها من نفسي لاخفيتها عني واكدوا ذلك بانهم وجدوه في مصحف ابي كذلك قال قطرب هذا على عادة العرب في المبالغة
اذا بالغوا في كتمان الشيء قالوا كتمته من نفسي وقيل كاد من الله واجب والمراد انا اخفيها من الخلق كقوله عسى ان يكون قريبا اي هو قريب قال ابو مسلم
ان كاد بمعنى اريد كقوله كذلك كدنا ليوسف ومن امثالهم لا افعل ذلك ولا اكاد اي لا اريد ان افعل وقيل اكاد صلة والمعنى ان الساعة آتية اخفيها وقال ابو الفتح
الموصلي المراد اكاد اظهرها ومعناه قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة ومثله [illegible] اخفيها [illegible]
وقوله لتجزى متعلق باخفيها كما قلنا او بآتية ولولا القيمة لم يتميز المطيع من العاصي والمحسن من المسيء وفي ذلك خلاف تضييع العدل والحكمة واحتج المعتزلة به

قبنوم

الهيبة م

بقوله

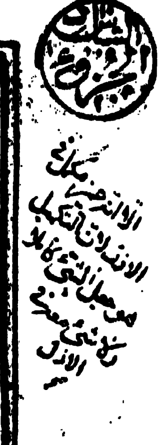


ظاهر لا ينوال عنا شيء اي بسببها فلو لم يكن اعمال العباد سببا لم يصح هذا الاسناد ولو لم يكن الثواب مستحقا على العمل لم يكن الجزاء بسببه وعن الجبائي ان
لعبثا الوسط لا انبا في انتهاء الكل الى الله واسناد الجزاء الى عنايته الازلية التي لا علة لها ومعنى الفاء في فلا يصدنك انه لو اضح عندك اني اخبرتك باتيان
الساعة فلا تلتفت الى قول المخالف الذي يصدك عن التصديق باتيان الساعة لان قوله ناش عن الهوى واتباعه وجوز ابو مسلم ان يكون الضمير في عنها للصلوة واحتج
قد ذكر شيئين ثم ترى بضمير ها الى السامع اهتماما على انه يكلا منهما الى ما هو يسوء بان هذا انما يصار اليه عند الضرورة ولا ضرورة هنا واما الخطاب
فالظاهر انه لموسى لان الكلام معه وجوز بعضهم ان يكون لنبينا صلى الله عليه وسلم والمقصود الامر والنهي عن الصد في الظاهر لمن لا يؤمن بالساعة وهو بالحقيقة نهي لموسى
عن التكذيب في الوجه فيه ان صد الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب او صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته
فذكر المسبب ليدل على السبب كانه قيل كن في الدين صلبا حتى لا يطمع في اغوائك الكافر الذي دعا الى هذا النهي البالغ في معناه وهو ان في المبطلين
الجاحدين كثرة منزلة قدم فعلى المرء ان يكون مع المحقين وان قلوا لا مع غيرهم وان كثروا وفيه حث بليغ على العمل بالدليل وزجر قوي عن التقليد وانذار
بان الردى والهلاك مع اتباع الهوى ومن ههنا استدل الاصوليون على شرف علمهم ووجوب تعليمه كيلا يتمكن الخصم من تشكيكه وزعم القاضي ان في نسبة الصد
الى الكافر والبعث دليل على ان القبائح انما تصدر عن العباد وعورض بالعلم والداعي كما مر مرارا قال اهل التحقيق قوله اولا لموسى اخلع نعليك اشارة الى
التخلية وتطهير لوح الضمير عن الاغيار وما بعده اشارات الى التحلية وتحصيل ما ينبغي تحصيله واصول ذلك ترجع الى علم المبدأ وهو قوله انني انا الله والى
علم الوسط وهو قوله فاعبدني وانه مشتمل على الاعمال الجسمانية وقوله لذكري وهو مشتمل على الاعمال الروحانية والى علم المعاد وذلك قوله ان الساعة
آتية وايضا انه افتتح الخطاب بقوله انا اخترتك وختم الكلام بقوله فلا يصدنك الى آخره وهو تنبيه على ان رحمته سبقت غضبه وان يكون العبد لا بد
ان يكون سلوكه على قدمي الرجاء والخوف قوله وما تلك مبتدأ وخبر وبيمينك حال منتصب بمعنى الاشارة او الاستفهام وجوز الكوفيون ان يكون تلك
اسما موصولا صلته بيمينك اي ما التي بيمينك قيل لم يقل بيدك لانه يحتمل ان يكون في يساره خاتم او شيء آخر وكان يلتبس عليه الجواب سؤاله ما الفائدة في
في هذا السؤال اجيب بان الصانع الماهر اذا اراد ان يظهر من الشيء الحقير كقطعة من حديد شيئا شريفا كاللبوس المدرع عرضه على الحاضرين ويقول ما هذا
فيقال انه قطعة حديد ثم بعد اظهار صنعته يلزمهم بقولهم ويقول فخذوا هذا من ذاك فكانه سبحانه قال لموسى هل تعرف حقيقة ما في يمينك وانه خشبة يابسة
حتى اذا قلبها ثعبانا عظيما كان قد نبهه على كمال قدرته الباهرة قال اهل المطالعة انه سبحانه لما اطلعه على تلك الانوار المتصاعدة من الشجرة الى السماء واسمعه
دبيب الملائكة ثم اسمعه كلام نفسه ثم مازجه باللطف والقهر فلما تكاد يتحير موسى ودهش وكاد لا يعرف اليمين من الشمال فقيل له وما تلك بيمينك يا موسى ليعرف
موسى ان يمينه هي التي فيها العصا وايضا انه لما تكلم معه بكلام الالهية وتحير موسى من الدهش تكلم معه بكلام البشر ازالة لتلك الدهشة والحيرة لا لان
عنده ما يقع منه الغلط كما ان السائل لا يجوز عليه الغلط نظيره حال المؤمن في القبر يغلبه الوجل والخجل والحياء فيسأل عما لا يشك فيه في الدنيا وهو التوحيد
دفعا للايحاش وجلبا للاستيناس ومنها انه لما عرف موسى كمال الالهية اراد ان يعرفه نقصان البشرية فسأله عما في يده يعني العصا فذكر ما ذكر فعرفه الله تعالى ان فيها منافع لا
ما ذكر تنبيها على ان عقول البشر قاصرة عن معرفات الامور لولا التوفيق والارشاد آخر خاطب موسى بلا واسطة وخاطب محمدا عليه السلام بواسطة جبرئيل فلزم ان يكون
موسى افضل وجوابه المنع بدليل فاوحى الى عبده ما اوحى بيان ان الافضلية ان كلامه مع موسى لم يكن سرا وكلامه مع محمد سر لم يبينا هل له سر وايضا حصل
في الدنيا شرف التكليم للكليم والمصطفى بما جرى بينهما وفي الآخرة شرف التكليم بالتسليم سلام قولا من رب رحيم وايضا ان موسى كان عند استغراقه في بحر المحبة متعلقا
ومنا منها ومحمد لم يلتفت الى الكونين حين عرضها عليه ما زاغ البصر وما طغى بل كان فانيا عن الاغيار باقيا بالواحد لهذا روي لا احصي ثناء عليك انت كما
اثنيت على نفسك وههنا نكت منها انه سبحانه لما اشار الى العصا واليد بقوله وما تلك بيمينك يا موسى حصل في كل منهما برهان باهر ومعجز قاهر فصار احدهما وهو
الجماد حيوانا والآخر وهو الكثيف نورانيا لطيفا ثم انه تعالى ينظر في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة الى قلب العبد فاي عجب ان ينقلب قلبه الجامد المظلم حيا مستنيرا
ومنها ان العصا صارت بيمين موسى حيا فكيف لا يصير قلب المؤمن الذي هو بين اصبعين من اصابع الرحمن حيا ومنها ان العصا باشارة واحدة صارت بحيث تبلعت
سحر السحرة كلهم فقلب المؤمن اولى ان يصير بحيث ينظر الرب فيه كل يوم مرات بحيث يبتلع سحر النفس الامارة بالسوء ثم ان جواب موسى تم بقوله هي عصاي الا انه زاد على الجواب
لانه كان يحب المكالمة وكان المقام مقام انبساط وقربا فاغتنم الفرصة وجعل ذلك كالوسيلة الى درك الغرض وقيل هو جواب سؤال آخر كانه سئل ما تصنع
فاخذ في ذكر منافعها وقيل خاف ان ينكر عليه استصحاب العصا كالنعلين ومعنى اتوكأ عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على راس القطيع وعند الطفرة التي
يدونكالوسيلة الى ذلك واهش بها اي اخبط الورق بها على رؤس غنمي لتأكله والتركيب يدل على الرخاوة واللين ومنه رجل هش المكسر سهل الشأن فيما يطلب
من الحوائج وهو بديع وهش الخبز يهش بالكسر اذا كان ينكسر لينا وتر قال المحققون ان موسى كان يتوكأ على العصا ومحمد صلى الله عليه وسلم كان يتكل على فضل الله ورحمته قائلا
مع امته حسبنا الله ونعم الوكيل فورد في حقه حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين اي حسبك وحسب من اتبعك وايضا انه بدأ بمصالح نفسه في قوله اتوكأ عليها ثم
بمصالح رعيته بقوله واهش بها على غنمي ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتغل في الدنيا الا باصلاح امر امته وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فلا جرم يقول
موسى يوم القيامة نفسي نفسي ومحمد يقول امتي امتي قوله ولي فيها مآرب هي جمع مأربة بضم الراء الحاجة وعن بفتح الراء وحكى ابن الاعرابي وقطرب بكسرها ايضا ومثله
الارب بفتحتين والاربة بكسر الهمزة وسكون الراء وانما قال اخرى لان المآرب في معنى جماعة ونظيره الاسماء الحسنى ومن آياتنا الكبرى قالوا اجمل موسى لعلمه بان الرحمن تلك
المآرب فيطول الكلام وقيل انقطع بالهيبة كلامه فاجمل وقيل ان العصا كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار



القاها على ما تقتوعلو بها او ولتر من العوسج الكانتر والجارب غيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزند بن على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا
قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه وقيل انه كان يهش بها شعبها موسى ثم كانا احسن انه قد تمالا ساء العزلم العصا المنافع عظيمة فقال ما هذه العصا الا كغيرها لكنه
لما سالته عنها وكلمتني بسببها عرفت انه فهما مارب اخرى وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان شمعتين
بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب
وكان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت تقيه الهوام قلت هذه الخوارق ان كانت بعد نبوة موسى فلا كلام
وان كانت قبلها ففي صحة الرواية بعد لا ان كان لا انه تقدم بها عند تعدد المنافع وعلى تقدير صحتها فلعلها ارهاص او من معجزات شعيب وقد قيل انه كان
قد اعطاها اياه وقال اهل النكت ان موسى لما قال ولي فيها مارب اخرى لا يعظم بطلها قال القها يا موسى يوجه اخر كان تنزع جملة شيء وهو النعل وفي يده شيء وهو العصا
والرجل لا يطرب البداية الطلب فامره بتركهما تنبيها على ان السالك ما دام في مقام الطلب والطرب كان مشتغلا بنفسه طالبا لحظه فلا يحصل له كمال الاستغراق
في بحر العرفان ومن ان موسى مع جلالة منصبه وعلو شانه لم يمكن له الوصول الى حضرة الجلال حتى خلع النعل والقى العصا فانت مع الف وقر من المعاصي
كيف يمكنك الوصول الى جنابه تعالى الكليني لا استطاعة قبل الفعل لان القدرة على القاء العصا اما ان توجد والعصا في يده فذاك قولنا او توجد وهي خارجة عن يده وذلك تكليف
بانه يلقي من يده ما ليس في يده ويمكن ان يجاب بان القدرة مع القاء العصا فوقها لحية تسعى وفي موضع فاذا هي ثعبان وفي اخر كانها جان عبارات عن معبر واحد
لان الحية اسم جنس يقع على الذكر والانثى والصغير والعظيم واما الثعبان وهو العظيم من الحيات والجان وهو الدقيق منها فبينهما تناف في الظاهر الا في التحقيق لانها حين انقلابها
كانت تكون حية صفراء دقيقة كالجان ثم تتورم وتتزايد جسمها حتى يصير ثعبانا او الحالة انها كانت في شخص ثعبان وسرعة حركة الجان ولهذا وصفها بالسعي
وهو المشي بسرعة وخفة حركة والعجب ان موسى لما القى العصا فصارت حية فصار الله تعالى في ذلك جعلها متكئا له بان كانت اعظم معجزاته واما قبلها حيث في ذلك الوقت يكون
معجزا لموسى يعرف بها نبوة نفسه فان النداء والنور والكلام لم يكن في ظهور الدلالة كهذه ولان توالي المعجزات كتتابع الخلع والكرامات والحكمة لانه عرضها عليه
ليشاهد ويوطن نفسه عليها لا يحتاج اليها عند محاجة فرعون لو لحقته الغفوة العجيبة عن المنافي في صور المثالب فكيف اذا وجد بها الطعن ووقع وقد مر في الاعراف ان الحية
كان لها عرف كعرف الفرس وكان بين لحييها اربعون ذراعا فلما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال حتى نهل من الاوابل
واخذ بصره ولو انه بلغ مقام فنيوا الى الله لم يغير عن شيء ولعله لما حصل له مقام الكمالية بقي في قلبه عجب فازاله الله تعالى انه بعد في نفسه الامكاني ولم يفارق
عالم البشرية وما النصر والتثبيت الا من الله وحده فقد روي انه قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها قال الشيخ
ابو القاسم الانصاري ذلك الخوف من اقوى الدلائل على صدقه في النبوة لان الساحر يعلم ان الذي اتى به تمويه فلا يخافه البتة وعن بعضهم انه خافها لانه
ما القاها منها قلت يحتمل ان يكون خوف موسى ومجرها من فوات المنافع المعدودة ولهذا علل عدم خوفه بقوله سنعيدها سيرتها الاولى قال الجار الله السيرة
من السير كالركبة من الركوب يقال السار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب والطريقة ومنه سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي في
طريقتها الاولى اي قال لما كانت عصا او يكون اعاد منقولا بالهمزة من عاده بمعنى عاد اليه فيتعدى الى مفعولين او يكون المراد بالاعادة الانشاء
ثانيا وينتصب سيرتها بفعل مضمر في موضع الحال اي سنعيدها تسير سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا عليها ولك فيها المارب التي عرفتها ثم قوى امره بمعجزة ثانية
فقال واضمم يدك الى جناحك يقال لكل ناحيتين جناحان ومنه جناحا العسكر وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه
يجنحهما عند الطيران اي يميلهما فقيل المراد بالاية تحت العضد بدليل قوله تخرج وعن ابن عباس معناه الى صدرك وضعف بانه لا يطابقه قوله تخرج قلت لانك
انما الصدر مستور بالقميص فظهر عند ذلك معنى الخروج وبعضهم قال في موضع اخر وادخل يدك في جيبك والسوال ذاته والقرح في كل شيء يكنى به عن البرص كما كني
عن العورة بالسوءة والبرص ابغض شيء عند العرب بحيث تمجه اسماعهم فكان جديرا بان يكنى عنه ومعنى بيضاء انها تبرق كشعاع الشمس قال في الكشاف من غير
من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من غير سوء قلت لعل المراد ان من التعليل اي ليس سبب البياض هو السوء وانما السبب غيره وحقيقته يرجع الى الابتداء وبيضاء
وايضا حالان معا او متداخلتان ويحتمل ان ينتصب اية بمضمر يدل عليه الكلام نحو خذ ودونك وقوله لنريك من اياتنا فعلنا ما فعلنا ولا يبعد عندي ان يتعلق
بالامر المذكور بمعنى القها واضمم لنريك قال الحسن اليد اعظم في الاعجاز من العصا لانه تعالى وصفها بالكبرى وضعف بانه ليس في اليد الا تغير اللون واما في العصا
فتغير اللون والزيادة في الحجم وخلق الحياة والقدرة على الامور الخارقة فالمراد لنريك بها بعض اياتنا الكبرى وجوز في الكشاف ان يكون المراد
لنريك بهما الكبرى من اياتنا ويرد عليه لزوم ان يكون الايات الكبرى منحصرة فيهما وليس كذلك فان معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اكبر من الكل وكفى بالقران شاهدا على
ذلك ثم صرح بالمقصود من المعجزات فقال اذهب الى فرعون وخصه بالذكر لان قومه تبع له ثم بين العلة في ذلك فقال انه طغى وعن وهب ان الله تعالى قال لموسى اسمع
كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي فانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني تستكمل بها القوة في امري بعثتك الى خلق ضعيف
من خلقي بطر نعمتي وامن مكري وغرته الدنيا حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرفني وعزتي لولا الحجة والعذر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة
شديدة جبار ولكن هان علي وسقط من عيني فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وحذره نقمتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا وان ناصيته بيدي لا تطرف
ولا تتنفس الا بعلمي في كلام طويل قال فسكت موسى سبعة ايام لا يتكلم ثم جاءه ملك فقال له اجب ربك فيما امرك فعند ذلك قال رب اشرح لي صدري قال
في المعالم واكثر ولا يغفو لم يعتا ان شرح لي ويسر لي فعلم انه تشرح وهو مبرئ ثم بين ففرض الابهام بذكر الصدر والامر فكان ذلك من جهة الاجمال ثم التفصيل كان

علىٰ ما اراد الله سبحانه ان يعرفه انه ما ربه



صدر موسى ضيق كما جاء في موضع آخر ويضيق صدري فسأل الله ان يبدل الضيق بالسعة حتى يفهم ما انزل عليه من الوحي وقيل اراد به تحمل على تحمل المبرغة
وعلى تحمل اعباء الرسالة واعلم ان الكلام في الدعاء وشرائطه وفوائده وسائر ما يتعلق به قد سبق منا في البقرة في تفسير قوله سبحانه واذا سألك عبادي عني فاني
قريب لنذكر ههنا نكتا شريفة الاولى انه تعالى كامل في الازل ولا يتكمل وذلك كما يقال انه سبحانه لا يعلم عدد مفصل الحركات اهل الجنة لان كل ما له مفصل فهو
متناه وحركات اهل الجنة غير متناهية فامتنع ذلك لا لقصور في العلم بل لكونه في نفسه ممتنع الحصول ولما كان الغرض من التكوين تكميل الناقصين وكان
الوجود اولى فقد من صفات الكمال الجليلة سبحانه على هذه المائدة بعض المعدومات لانه لو جلس لكل عليها لدخل في الوجود ما لا نهاية له ولا تتناهى العلة
الذاتية لامتناع تحقق الموجود وكما ان رحمته اقتضت وضع مائدة الوجود لبعض المعدومات دون بعض حتى صار ذلك البعض حيا مدركا للمنافي والملائم واللذة
والالم والخير والشر فقال الاحياء عند ذلك يا رب لا رب بان شرفتنا بخلعة الوجود وخلعة الحيوة ولكن ازدادت حاجتنا لانا حال العدم وحال الجمادية ما كنا نحتاج
الى الملائم والموافق وما كنا نخاف المنافي والموذي والان احتجنا الى طلب الملائم ودفع المنافي فان لم يكن لنا قدرة على الهرب والطلب كنا كالزمن المقعد في
الطريق عرضة للآفات وهدفا لسهام البليات فاقتضت الرحمة الكاملة تخصيص بعض الاحياء بالقدرة كما اقتضت تخصيص بعض المعدومات بالوجود وتخصيص
بعض الموجودات بالحيوة فقال القادرون عند ذلك الهنا الجواد الكريم ان الحيوة والقدرة بلا عقل لا يكون الا للبهائم المسخرة في حمل الاثقال فافض علينا
من العقل الذي هو اشرف مخلوقاتك فاعطى بعضهم العقل فصار فاد والهمهم نور البصيرة وجوهر الهداية فتنا له مسلك كما ان خاتم النبيين صلعم كان افضل
المخلوقات فنظر العقل في نفسه فرأى نفسه كالحقة المملوة من الجواهر بل كسماء مزينة بالزواهر وهي العلوم الضرورية والبديهية المركوزة في بداية العقول وصرايح
الاذهان يهتدي بها السائرون في ظلمات بر الشكوك وبحر الشبهات فاستدل العقل بتلك الارقام على راقم وبتلك النقوش على نقاش فغلبته وحشة الا
الانانية وكاد يغرق في بحر الفكر ويضيق عليه نطاق التأمل والتدبر ويقع في تجاذب ايدي الاعداء الداخلة والخارجة وشياطين الجن والانس فعند ذلك قال
رب اشرح لي صدري ويسر لي امري فانها جميع الحوادث ان تيسير الامور الكلية والجزئية من عندك هو الذي يعطي القابل قابليته والفاعل فاعليته الثانية انه تعالى
خاطبه اولا بالتوحيد انني انا الله لا اله الا انا وثانيا بالعبادة فاعبدني وثالثا بمعرفة المعاد ان الساعة آتية ورابعا بتعليم فن الحكمة في جملة افعاله وما تلك
بيمينك وخامسا بعرض المعجزات الباهرة عليه لنريك من آياتنا الكبرى وسادسا بارساله الى اعظم الناس كفرا وكانت هذه التكاليف الشاقة سببا
لضيق النطق واحلال العقدة الصبر فلا جرم تضرع الى الله سبحانه قائلا رب اشرح لي صدري ويسر لي امري وههنا دقيقة هي ان شرح الصدر مقدمة
لسطوع الانوار الالهية في القلب والاستماع مقدمة الفهم ولما اعطى موسى المقدمة فاستمع لما يوحى على ذلك المنوال فقال رب اشرح لي صدري ولما
آل الامر الى محمد وكان خاتم النبيين ومقصودا من الكائنات خاطبه بقوله الم نشرح لك صدرك واوتي النتيجة فقيل له وقل رب زدني علما ووصف
بقوله سراجا منيرا فشرح الصدر هو ان يصير الصدر قابلا للنور والسراج المنير هو المعطي للنور فالتفاوت بين موسى ومحمد عليهما السلام هو التفاوت بين
الاخذ والمعطي ولهذا قال موسى اللهم اجعلني من امة محمد الثالثة انه تعالى ذكر عشرة اشياء ووصفها بالنور احدها وصف ذاته بالنور الله نور السموات والارض
وثانيها الرسول قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وثالثها الكتاب واتبعوا النور الذي انزل معه ورابعها الايمان يريدون ان يطفئوا نور الله وخامسها
عدل الله واشرقت الارض بنور ربها وسادسها ضياء القمر وجعل القمر فيهن نورا وسابعها النهار وجعل الظلمات والنور وثامنها البينات انا انزلنا التورية فيها هدى
ونور وتاسعها الانبياء نور على نور وعاشرها المعرفة مثل نوره كمشكوة فيها مصباح فكان موسى قال اولا رب اشرح لي صدري بمعرفة انوار جلال
كبريائك وثانيا رب اشرح صدري بالتخلق باخلاق رسلك وانبيائك وثالثا رب اشرح لي صدري باتباع وحيك وامتثال امرك ونهيك ورابعا
رب اشرح لي صدري بنور الايمان والايقان بالهيتك وخامسا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على اسرار عدلك في قضائك وحكمك وسادسا رب
اشرح لي صدري بالانتقال من نور شمسك وقمرك الى انوار جلالك وعزتك كما فعله ابراهيم صلوات الرحمن عليه وسابعا رب اشرح لي صدري
من مطالعة نهارك وليلك الى مطالعة نهار فضلك وليل عدلك وثامنا رب اشرح لي صدري بالاطلاع على مجامع آياتك ومعاقد بيناتك
في ارضك وسمائك وتاسعا رب اشرح لي صدري في ان اكون خلف صدق انبيائك وعاشرا رب اشرح لي صدري بان يجعل سراج الايمان كالمشكوة التي
فيها المصباح الرابعة شرح الصدر عبارة عن ايقاد النور في القلب حتى يصير القلب كالسراج ومستوقد السراج محتاج الى سبعة اشياء زند وحجر
وحراق وكبريت ومسرجة وفتيلة ودهن فالزند زند المجاهدة والذين جاهدوا فينا والحجر حجر التضرع ادعوا ربكم تضرعا وخفية والحراق منع الهوى
ونهى النفس عن الهوى والكبريت الانابة وانيبوا الى ربكم والمسرجة الصبر واستعينوا بالصبر والصلوة والفتيلة الشكر لئن شكرتم لازيدنكم والدهن
الرضا واصبر لحكم ربك ثم اذا اصلحت هذه الادوات فلا تعول عليها بل ينبغي ان تطلب المقصود من حضرة ربك بالتضرع والدعاء قائلا رب اشرح لي
صدري فهنالك تسمع قد اوتيت سؤلك يا موسى الخامسة هذا النور الروحاني المسمى بشرح الصدر افضل من الشمس الجسمانية لوجوه احدها الشمس يحجبها
الغيم وشمس المعرفة لا يحجبها السموات السبع اليه يصعد الكلم الطيب وثانيها الشمس تغيب ليلا وشمس المعرفة لا تغيب ليلا ان ناشئة الليل هي اشد وطأ
واقوم قيلا والمستغفرين بالاسحار سبحان الذي اسرى بعبده ليلا الليل للعاشقين ستر يا ليت اوقاته تدوم وعند الصباح يحمد القوم السرى
وثالثها الشمس تفنى اذا الشمس كورت والمعرفة لا تفنى اصلها ثابت وفرعها في السماء سلام قولا من رب رحيم ورابعها الشمس اذا قارنها القمر
انكسفت وشمس التوحيد وهي اشهد ان لا اله الا الله اذا لم يقترن بقمر النبوة وهي اشهد ان محمدا رسول الله صلعم لم يصل نورها الى عالم الجوارح وخامسها

الشمس

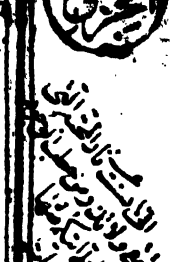


الشمس تسود الوجه والمعرفة تبيض الوجوه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وسادسها الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الاحراق جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وسابعها الشمس يصعد والمعرفة تصعد اليه يصعد الكلم الطيب وثامنها الشمس منفعتها في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدارين فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وبوجه آخر الشمس زينة لاهل الارض والمعرفة زينة لاهل السماء وتاسعها الشمس فوقانية الصورة تحتانية المعنى والمعارف الالهية تحتانية الصورة فوقانية المعنى وفيه ان الجنة مع الترفع والشرف مع التواضع وعاشرها الشمس تعرف احوال الخلائق والمعرفة يصل القلب الى الخالق والشمس يقع على الولي والعدو والمعرفة لا تحصل الا للولي فلما كان شرح الصدر الذي هو اول مراتب الروحانيات اشرف من اعلى مراتب الجسمانيات بدأ موسى بطلبه فقال رب اشرح لي صدري الثاني الشمس سراج وقدها الله تعالى للفناء كل من عليها فان والمعرفة سراج اشعله للبقاء يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت والذي خلقه للفناء اذا قرب منه الشيطان احترق يجد له شهابا رصدا والذي خلقه للبقاء كيف يقرب منه الشيطان رب اشرح لي صدري وايضا الشمس في السماء ثم انها مع بعدها تزيل الظلمة عن بيتك فشمس المعرفة مع قربها لانها في قلبك اولى ان تزيل ظلمة المعصية والكفر عن قلبك وايضا الانسان اذا استوقد سراجا فانه لا يزال يتعهده والله تعالى هو الموقد لسراج المعرفة ولكن الله حبب اليكم الايمان افلا يتعهده وهو معنى قوله رب اشرح لي صدري وايضا اذا كان في البيت سراج فان اللص لا يقرب منه والله سبحانه قد اوقد سراج المعرفة في قلبك فكيف يقرب الشيطان منه رب اشرح لي صدري وايضا المجوس اذا اوقدوا نارا لا يجوزون اطفاءها فالملك القدوس اذا اوقد سراج المعرفة في قلبك كيف يرضى باطفائها رب اشرح لي صدري الثالث انه سبحانه اعطى قلب المؤمن تسع كرامات احدها الحياة اومن كان ميتا فاحييناه وفيه ... انه لما خلق ارض القلب فاحياها بنور الايمان لا يكون لغيره فيها نصيب وثانيها الشفاء ويشف صدور قوم مؤمنين وفيه انه اذا وضع الشفاء في العسل بقيت تلك الخاصية فيه ابدا فاذا وضع الشفاء في الصدر فكيف لا يبقى ابدا وثالثها الطهارة اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وفيه ان الصائغ اذا امتحن الذهب مرة فبعد ذلك لا يدخله في النار فالله تعالى لما امتحن قلب المؤمن كيف يدخله النار بعد ورابعها الهداية ومن يؤمن بالله يهد قلبه وفيه ان الرسول عليه السلام هدى نفسك فانه هدى روحك والمولى هدى قلبك الاول قد يحصل وقد لا يحصل انك لا تهدي من احببت وكذا الثاني يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا واما هداية القلب فلا تزول البتة لان الهادي لا يزول ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وخامسها الكتابة اولئك كتب في قلوبهم الايمان وفيه ان القرطاس اذا كتب فيه القرآن لم يجز احراقه فقلب المؤمن الذي فيه القرآن وجميع احكام ذات الله وصفاته كيف يليق بالكريم احراقه وايضا ان بشرا الحافي اكرم قرطاسا فيه اسم الله تعالى فنال سعادة الدارين فاكرام قلب فيه معرفة الله اولى بذلك وايضا ان القرطاس اذا كتب فيه اسم الله الاعظم عظم قدره حتى لا يجوز للجنب والحائض مسه فالقلب الذي فيه ذكر الموجود اكيف يجوز للشيطان الخبيث ان يمسه وسادسها هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين وفيه ان ابا بكر لما نزلت عليه السكينة في الغار قيل له لا تحزن ان الله معنا فالمؤمن اذا نزلت السكينة في قلبه لا بد ان يقول له عند قبض الروح لا تخف ولا تحزن كما قال تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وسابعها المحبة والزينة كما قال ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وفيه ان الدهقان اذا القى في الارض حبة فهو لا يفسدها ولا يحرقها فهو سبحانه حين القى حبة المحبة في ارض القلب كيف يحرقه وثامنها والف بين قلوبكم وفيه ان محمدا حين الف بين قلوب اصحابه ما تركهم غيبة ولا حضورا سلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فاكرم الاكرمين وارحم الراحمين كيف يتركهم سلام قولا من رب رحيم وتاسعها الطمأنينة الا بذكر الله تطمئن القلوب وفيه ان الحاجات غير متناهية وما سوى الله فهو متناه والمتناهي لا يقابل غير المتناهي فالكافي للمهمات لا يكون الا من له كمالات غير متناهيات فلا يزيل قلق الحوائج واضطرابها الا ما اتى الله سبحانه وبازاء هذه الكرامات وردت في حق الكفار اضدادها فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم في قلوبهم مرض قلوبهم قاسية انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه ختم الله على قلوبهم ام على قلوب اقفالها كلا بل ران على قلوبهم طبع الله على قلوبهم فلاجل تلك الكرامات والمرب امله قال موسى رب اشرح لي صدري ويسر لي امري الثاني في حقيقة شرح الصدر وذلك انه لا يبقى للقلب التفات الى الدنيا لا رغبة بان يكون متعلق القلب الاهل والولد وتحصيل مصالحهم ودفع المضار عنهم ولا رهبة بان يكون خائفا من الاعداء والمنازعين فان القوة البشرية لضعفها كينبوع صغير فاذا وزعت على جداول كثيرة ضعف الكل وضاعت واذا انصب الكل في موضع واحد ظهر اثرها وقويت فائدتها فسأل موسى ربه ان يوقفه على معايب الدنيا وقبح صفاتها ليكون متوجها بالكلية الى عالم القدس ومنازل الروحانيات وهذا معنى قوله رب اشرح لي صدري او نقول انه كلف بضبط الوحي في قوله فاستمع لما يوحى وبالمواظبة على خدمة الخالق في قوله فاعبدني فكانه صار مكلفا بتدبير العالمين والالتفات الى احدهما يمنع من الاشتغال بالآخر فسأل موسى ربه قوة وافية بالطرفين فقال رب اشرح لي صدري او نقول معناه النور وهو القلب والاشتغال بما سوى الله من الزوجة والولد والصديق والعدو بل الجهل والنار وهو الحجاب المانع من وصول نور شمس القلب اليه فضلا الصدر فاذا قوى الله بصيرة العبد حتى طالع عجز الخلق وقلة فائدتهم عرف الامور صغرها في عينه كالذباب والبق والبعوض فلا يدعوه رغبة الى شيء مما يتعلق بالدنيا ولا رهبة من شيء من ذلك فيصير الكل عنده كالعدم فعند ذلك يزول الحجاب وينفسح القلب الى الصدر للنور رب اشرح لي صدري الثالث لنضرب مثلا لذلك فنقول البدن بالكلية كالمملكة والصدر كالقلعة والقوى كالصفة والقلب كالسرير والروح كالملك والعقل كالوزير والشهوة كالعامل الكبير الذي يجلب النعم الى البلدة والغضب كالاسفهسلار الذي يشتغل بالضرب والتأديب والحواس كالجواسيس وسائر القوى كالمحترفين والعملة والصناع ثم ان الشيطان كملك مطاع وانه يخاصم هذه البلدة والقلعة والهوى والحرص وسائر الاخلاق الذميمة جنوده فاذا اخرج الروح وزيره وهو العقل اخرج الشيطان في مقابلته الهوى فجعل العقل يدعو الى الخالق

تعالى والمنوى الى الشيطان ثم ان الروح اخرج الفطنة اعانة للعقل فاخرج الخصم فى مقابلة الشهوة فالفطنة توقفك على معايب الدنيا والشهوة تزين
لذات الدنيا ثم ان الروح امد الفطنة بالفكرة لتوقفك على الحاضر والغائب المعايب على ما قال تفكر ساعة خير من عبادة ستة فاخرج الشيطان
فى مقابلة الفكرة والغفلة ثم اخرج الروح الحلم والثبات فان العجلة تزين الحسن قبيحا والقبيح حسنا فاخرج الشيطان بالة العجلة والسرعة
فلهذا قال عم ما دخل الرفق فى شئ الا زانه وما دخل الخرق فى شئ الا شانه وخلق السموات والارض فى ستة ايام ليعلم منه الرفق والثبات
فهذه هى الحصون التى تقع بين الخصمين وقلبك وصدرك هو المعركة ثم ان هذا الصدر الذى هو القلعة خندقا وهو الزهد فى الدنيا ولها سور وهو
الرغبة فى الاخرة وفى كل منها هو للصفة فان كان الخندق عظيما والسور قويا عجز عسكر الشيطان وجنوده من الكبر والهوى والعجب والبخل وسوء
الظن بالله من النميمة والغيبة وساير الخصال الذميمة وتحصن الملك فى القصر ويضيق الامر عليهم ثم اذا جاء مدد التوفيق واخرج هذا العسكر
من القلعة يفتح وانشرح رب اشرح لى صدرى التكملة فى الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب الصدر مقر الاسلام والقلب مقر الايمان حسب
الحكم الايمان ولكن حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم اولئك كتب فى قلوبهم الايمان والفؤاد مقر المشاهدة ما كذب الفؤاد ما راى واللب مقام التوحيد انما يتذكر اولوا
الالباب الذين خرجوا من قشر الوجود المجازى وبقوا بلب الوجود الحقيقى ثم ان القلب كاللوح المحفوظ فى العالم الصغير فاذا ركب العقل سفينة
التوفيق والقاها فى بحار امواج المعقولات من علم الروحانيات هبت من مهاب العظمة والكبرياء رياح السعادة تارة وريح الابتلاء اخرى فى
بمنظر الراكب الناس انوار الهدايات وطلب انفتاح ابواب السعادات فيقول رب اشرح لى صدرى وانما سأل موسى شرح الصدر دون القلب لان
انشراح الصدر يستلزم انشراح القلب دون العكس وايضا شرح الصدر كالمقدمة لشرح القلب والحر تكفيه الاشارة فاذا علم انه طالب للمقدمة فلا يليق
ان يمنعه النتيجة وايضا انه راعى الادب فى الطلب فاقتصر على طلب الادنى فلا جرم اعطى المقصود فقال قد اوتيت سؤلك يا موسى وحين اجرى الطلب
الى النهاية بقوله رب ارنى انظر اليك اجيب بقوله لن ترانى واعلم ان جميع المهيات الممكنة كالبلور الصافى الموضوع فى مقابلة شمس القدس ونور العظمة و
مشرق الجلال فاذا وقع للقلب التفات اليها حصلت له نسبة اليها باسرها فينعكس شعاع كبرياء الالهية من كل واحد منها الى القلب فيحترق
القلب ويعلوا ان المحرق كلما كان اكثر كان الاحتراق اتم فلهذا قال موسى رب اشرح لى صدرى حتى اقوى على ادراك درجات الممكنات واصل الى مقام الاحتراق
بانوار الجلال كما قال نبينا عم ارنا الاشياء كما هى وههنا دقيقة وهى ان موسى لما زاد لفظة لى فى قوله رب اشرح لى دون ان يقول رب اشرح صدرى علم انه
اراد ان يعود منفعة الشرح اليه فلا جرم يقول يوم القيمة نفسى نفسى وان نبينا عم لم يسأل مترفى مقام القرب اذ قيل له السلام عليك ايها النبى فقال السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فلا جرم يقول يوم القيمة امتى امتى وشتان ما بين من يتضرع الى الله ويقول رب اشرح لى صدرى وبين من
يخاطب فيقال الم نشرح لك صدرك ولا يخفى ان المراد بالشرح التيسير عند اهل السنة هو خلقها وعند المعتزلة تحريك الدواعى والبواعث بفعل الالطاف
المسهلة فانه يحتمل ان يكون هناك من الالطاف ما لا يحسن فعلها الا بعد هذا السؤال ما قوله سبحانه واحلل عقدة من لسانى فاعلم ان النطق فضيلة عظيمة
ومومهبة جسيمة ولهذا قال خلق الانسان علمه البيان بعين توسيط العاطف كانه انما يكون خالقا للانسان اذا علمه البيان وفى لسان الشاعر وهو زهير
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق الا صورة اللحم والدم وعن على كرم الله وجهه ما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة او بهيمة مهملة وقالت العقلاء المرء
باصغريه المرء مخبوء تحت لسانه وفى مناظرة آدم والملائكة لم يظهر الفضيلة الا بالنطق ومن التعريفات المشهورة ان الانسان هو الحيوان الناطق و
هذا النطق وان كان فى التحقيق هو ادراك المعانى الكلية لكن النطق اللسانى لا ريب انه اظهر خواص الآدمى وقد ينطبع ما يتمثل والمعبر عما فى
ضميره فقول موسى رب اشرح لى صدرى اشارة الى طلب النور الواقع فى القلب وقوله ويسر لى امرى اشارة الى تسهيل ذلك التحصيل وقوله واحلل طلب لما هو الكمال
التكميل لان اللسان آلة الافاضة والافادة وبه يتيسر ذلك الخطب الجسيم والمنصب العظيم وحسبك بانه شرفا وفخرا سكوت الحاضرين وانصات
القائل ومن الناس من مدح الصمت بوجوه منها قوله عم الصمت حكم وقليل فاعله وقولهم مقتل الرجل بين فكيه وفى نوابغ الكلم يا بنى قم فاك
لا تقرع قفاك ومنها ان الكلام خمسة اقسام فالذى ضرره خالص او غالب وما نفعه وضرره سيان واجب الترك احترازا من السفه والعبث والذى نفعه خالص
او غالب عسر المراعاة فالاولى تركه ومنها انه ما من موجود او معدوم معلوم او موهوم الا واللسان يتناوله بالاثبات او النفى بحق او باطل بخلاف
ساير الاعضاء فالعين لا تصل الا الى الالوان والسطوح والاذن لا تصل الا الى الاصوات وكذا باقى الجوارح اما اللسان فانه رحب الميدان
واسع المضطرب خفيف المؤنة سهل التناول لا يحتاج الى الات وادوات للمعصية به فكان الاولى ترك الكلام وامساك اللسان والانصاف
ان الصمت فى نفسه ليس بفضيلة لانه امر عدمى والنطق فى نفسه فضيلة وانما يصير رذيلة لاسباب عرضية مما عددها ذلك القائل فيرجع الحق الى ما
قاله النبى عم رحم الله امرأ قال خيرا فغنم او سكت فسلم قالوا ترك الكلام له اربعة اسماء الصمت وهو اعمها حتى انه يستعمل فيما ليس يقوى على النطق
كقولهم مال ناطق او صامت والسكوت وهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والانصات هو السكوت مع استماع قال تعالى فاستمعوا له وانصتوا
والاصاخة وهو ما يصعب ادراكه كالسر والصوت من المكان البعيد اما العقدة فقيل انها كانت فى اصل خلقته وعن ابن عباس انه فى حال الصبا اخذ
بلحية فرعون فنتفها فهم فرعون بقتله وقال هذا هو الذى يزول ملكى على يديه فقالت اسية انه صبى لا يعقل وان شئت فامتحنه بالتمر والجمر وقيل بالتفاح
والجمر فاحضرا بين يديه فاخذ ... اليد الى الياقوت فحول جبريل يده الى الجمر فاخذها ووضعها فى فيه فظهر به عقدة وتحبس عند بعض الحروف



حتى هي منه الرواية فانا انما الحرقة والشرب منه اطفاء لنائرة غضب فرعون والا فالله سبحانه قادر على دفع الاحراق عن طبع النار كما في حق
ابراهيم صلوات الرحمن عليه وكان في حق موسى بين الصفا التنور وهو صغير فلا يجيب احرقتا بيدا وانه فهو يجيبه في علاجها فلم يزل لونها دعا قال
اي رب قد دعوني قال الى الذكاء لم تكن رت فيه عنها وعن بعض العلماء انه لم يترك لئلا ينعقد بينه وبين فرعون حرمة المواكلة من تبعه اخذ
وقيل لم يترك تسكيلا لان الشيء ظهر ثم بالبلية انما الحرقة اللسان لانه خاطبه بقوله يا ابت وما الحكمة في عقد اللسان لاظهر كماله لا يقع في اداء الرسالة
خلل فلهذا قال يفقهوا قولي وقيل لان العقدة في اللسان قد يقتضي الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات اليه وقيل اظهارا للمعجزة فكما
حبل لسان زكريا عن الكلام كان معجزا له فكذا اطلاق لسان موسى كان معجزا في حقه وهل زالت تلك العقدة بالكلية فعن الحسن نعم لقوله قد
اوتيت سؤلك يا موسى والاصح انه بقي بعضها لقوله فهو افصح مني لسانا وحكاية عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين اي يقارب ان لا يبين وكان في
لسان الحسين على [illegible] دلالة على انه طلب حل بعضها بحيث يفهم عنه فهما جيدا ولو طلب الفصاحة الكاملة قال اهل التحقيق وذلك لان حل العقدة
بالكلية نصيب محمد صلى الله عليه وسلم كان افصح العرب والعجم وقد قال تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فلما كان ذلك حقا لليتيم ابي طالب الاجرم ما دام في ولاية
من مطالب موسى قوله واجعل لي وزيرا من اهلي هارون قال اهل الاشتقاق الوزير من الوزر بالكسر والسكون لانه يحمل عن الملك اوزاره ومؤنه
او من الوزر بفتحتين وهو الملجأ لان الملك يعتصم برأيه ويلجأ اليه امره او من الموازرة المعاونة فيكون من الازر القوة ومنه قولهم اشدد
به ازري اي ظهري لانه محل القوة قال الجوهري آزرت فلانا اي عاونته والعامة تقول وازرته وعلى هذا فيكون القياس ازيرا الهمزة على ما حكي
عن الاصمعي ووجه القلب حمل فعيل على مفاعل لاتحاد معنيهما في نحو عشير وجليس وصديق ونحوها او حمله على اخواته من نحو الموازرة وقيل لا يراد
بالوزير يحسن بابواب الملوك العقلاء وقد استحسنه نبيا فقال اذا اراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان نوى خيرا اعانه
وان اراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغني اجود السيوف عن الصيقل ولا اكرم الدواب عن السوط ولا اعلم الملوك عن الوزير وكفى بمرتبة الوزارة
منقبة وفخرا وشرفا وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم المؤيد بالمعجزات الباهرة ابتهل الى الله سبحانه في مقام القرب والكرامة ليطلب منه ضبط ما عنى له من الوزير
ان يؤدي الى الله حقها ولا يغتر بالدنيا وما فيها ويزوع فارض الوزارة ما لم يمكن عليه وقت حضا قيل ان موسى خاف على نفسه العجز عن القيام بذلك
الامر العظيم والخطب الجسيم طلب المعين والاظهر انه رأى ان التعاون على الدين والتظاهر عليه مع خلوص النية وصفاء الطوية ابعد من التهمة واعون
على الغرض ولهذا حكى عن عيسى انه قال من انصاري الى الله وخوطب نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين وذكر انه
قال ان لي في السماء وزيرين وفي الارض وزيرين فالذان في السماء جبرئيل وميكائيل واللذان في الارض ابو بكر وعمر ثم ان موسى طلب ان يكون
ذلك الوزير من اهله اي من اقاربه ليكون الثقة به اكثر وليكون الشرف في بيته اوفر وانه كان واثقا باخيه هرون فالمدان يخص به هذا المنصب
الشريف قضاء لحقوق الاخاء من منع المستوجبين فقد ظلم وكان افصح منه لسانا واكبر سنا وابين جانبا قال جار الله وزيرا وهرون مفعولا جعل قدم
ثانيهما عناية بامر الوزارة او لي وزيرا مفعولان وهرون عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون او عطف بيان آخر وقيل يجوز نصبه
قراءة اشدد على الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد خبره ويوقف على هرون وشد الازر به عبارة عن تقويته به وان يجعله ناصرا له فيما
عسى يرد عليه من الشدائد والخطوب بل يجعله شريكا له في امر النبوة وطريق الرسالة لانه صرح بذلك في قوله واشركه في امري ثم ذكر غاية الادعية
فان المقصد الاسنى هو الاستغراق في بحر التوحيد او غاية الاشتراك فان التعاون مهيج الرغبات ومسهل سلوك سبل الخيرات فقال كي نسبحك كثيرا
ونذكرك كثيرا وقدم التسبيح وهو التنزيه لان النفي مقدم على الاثبات فبالاول يزول العقائد الفاسدة وبالثاني يرتسم النقوش الحسنة المفيدة
ثم ختم الادعية بقوله انك كنت بنا بصيرا ومن فوائده منها انه فوض استجابة الدعوات الى علمه بالحوالهما وانهما بصدد اهلية الاجابة ام لا ومنه من حسن
الادب فالا يخفى ومنها انه عرض فقره واحتياجه الى علمه وانه مفتقر الى التعاون والتعاضد ولهذا سأل ما سأل ومنها انه اعلم باحوال الحنيه
هل يصلح للوزارة ام لا وان وزارته هل تصير سببا لكثرة التسبيح والذكر وحين راعى من دقائق الادب في انواع حسن الطلب ما يجب رعايته فلا
جرم اجابه الله بتمام مطالبه فيج ما يبقى ما لا تعد او يتيت سؤلك والسؤال بمعنى المسؤول كالخبز بمعنى المخبوز والاكل بمعنى الماكول وفي اعادة قوله يا موسى
بعد رعاية الفاصلة الاجل كان التمييز والتعيين والله اعلم بمصالح عبيده التاويل يا من طاب بطهارة بساط النبوة ما انزلنا عليك القرآن لا
لتسعد بتخلقك بخلقه ونسعد بسببك الاولون والآخرون من اهل السموات واهل الارضين تنزيلا من خلق ارض بشريتك وسموات روحانيتك
التي هي اعلى الموجودات المكنات كما قال اول ما خلق الله روحي استوى بصفة الرحمانية على عرش قلبك ليكون مستوى لا يسعني غير ذلك
مقرب ولا نبي مرسل له ما في سموات الروحانية من الصفات الحميدة وما في الارض البشرية من الصفات الذميمة وما بينهما اي بين سماء الروح
وارض النفس وهو القلب فانه من الايمان والايقان والاخلاق الحميدة وما تحت الثرى اي ما هو مركون في جبلة الانسانية وان تجهر بالقول الذي
هو من صفاتك بالقول فانه يعلم السر وهو ما يظهر من سيرتك اخفى فما هو اخفى الله من خفيك والسر في اصطلاح الصوفية لطيفة بين القلب
والروح وهو معدن الاسرار الروحانية والخفي لطيفة بين الروح والحضرة الالهية وهو مهبط انوار الربوبية واسرارها وجملتها المعقولات وقد يحصل
الكمال للانسان عند نشأته الاولى وان كان لا قرار للاخفى للطيفة بين الروح والحضرة الالهية ويكون عند نشأته الاخرى وكذا لا يحصل الا



المؤمن موحداً محيطاً بالانوار الربانية وجعلها المشاهدات والمكاشفات وحقائق العلوم اللدنية ولهذا قال عقيبه الله لا اله الا هو لان مظهر الالوهية
وصفاته العليا واسمائه الحسنى هو الخفي الذي لا شئ اقرب الى الحضرة منه الا هو وهو سر علم آدم الاسماء كلها وهو حقيقة قوله ان الله خلق آدم فتجلى
فيه وهل اتاك حديث موسى القلب اذ رأى نارا هو نور في الحقيقة مانوس به من جانب طور الروح فقال لاهله وهم النفس وصفاتها امكثوا
في ظلمة الطبيعة الحيوانية الى انوار الشريعة او اجد على النار هدى يا اهل الطريقة الى الحقيقة فلما اتاها نودي من شجرة القدس بخطاب الانس
فاخلع نعليك اي اترك الالتفات الى الزوجة والولد فان النعل في الرؤيا تعبيرهما او اترك الالتفات الى الكونين انك في اصل الحجب القدس
او هما المقدمتان في نحو قولنا العالم محدث وكل محدث فله محدث وموجد فتلك اذا غرقت في لجة العرفان بقيت المقدمات على ساحل الوسائل
وانا اخترتك يا موسى القلب من سائر خلق وجودك من البدن والنفس والسر والروح فاستمع بسمع الطاعة والقبول لما يوحى انني انا تجليت بانانية الوهيتي
لانانية وجودك المجازي لا يبقى الا انا فاعبدني بافناء وجودك وادم المناجاة معي لنيل ذكري اياك بالتجلي ان قيامة العشق آتية اكاد اخفيها
لعظم شأنها الا ان متقاضي الكرم اقتضى اظهارها لاخص عبيدي لتجزى كل نفس بما تسعى فالعبودية من السر والقلب والنفس والقالب فلما
كان سعي الروح بحب الوطن للرجوع الى مكانه الاصلي ونفخت فيه من روحي فجزاؤه من تجلي صفات الجلال بافناء الناسوتية وكان سعي السر بالتخلو
عن الاكوان لقبول فيض المكون فجزاؤه بافاضة الفيض الالهي عليه وسعي القلب بقطع تعلقات الكونين لتصفيته وقابليته لتجلي صفات الجمال
والجلال فجزاؤه بدوام التجلي وان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه من الشراب الطهور الذي يزيل لوث الحدوث عن لوح القلوب بكشف
حقائق القلوب وسعي النفس بتبديل الاخلاق وانتفاء الاوصاف الحيوانية فجزاؤه باشراق نور ربها لازالة ظلمة صفاتها واطمئنانها
الى ذكر ربها لتصير قابلة لجذبة ارجعي الى ربك وسعي القالب باستعمال اركان الشريعة وآداب الطريقة فجزاؤه نيل الدرجات ونيل
الكرامات في الدارين فلا يصدنك عن هذه السعادات النفس الامارة بالسوء التي لا تؤمن بها ويحتمل ان يقال اكاد اخفي الساعة وهول
الجنة والنار لئلا يكون عبادتي مشوبة بطمع الجنة وخوف النار قالوا اخطأ موسى في قوله هي عصاي وكان عليه ان يقول انت اعلم بحالها
مني وفي قوله اتوكؤا عليها وكان عليه ان يتكئ على لطف الله وكرمه فلهذا قيل له القها يا موسى وفي قوله واهش بها على غنمي ان نسي العصا
لا تكون واسطة الرزق فانما الرزاق هو الله خذها ولا تخف فان الضار والنافع هو الله وحده فلا يمكن خوفك الا منه ولا رجاؤك
الا به واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء نقية عن دون السؤال وغبار الطمع وباقي الحقائق مذكور في التفسير وفي قوله
قدر يا موسى بلفظ الماضي اشارة الى انه ذلك بالتقدير الازلي لا بالتدبير العقلي والله اعلم بالصواب **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً**
أُخْرَىٰ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ
دیگر هنگامیکه وحی فرستادیم بمادرت آنچه وحی فرستاده میشود که در افگن اورا در تابوت پس بیندازش در دریا پس باید که بیندازد دریا بکنار تا بگیرد اورا دشمنی
لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ
که مرا است ودشمنی که او راست وانداختیم بر تو مهری را از خود تا تربیت کرده شوی بر نگهداری من هنگامیکه میرفت خواهرت پس میگفت آیا دلالت کنم شما را بر کسیکه پایندانی کند اورا
فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ
پس باز گردانیدیم ترا بمادرت تا بیاساید چشمش واندوهناک نباشد وکشتی تنی را پس رهانیدیم ترا از غم وآزمودیم ترا آزمودنی پس ماندی سالها در اهل
مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي اذْهَبَا إِلَىٰ
مدین پس آمدی بر اندازه ای موسی وگزین کردم ترا برای خودم برو تو وبرادرت بآیتهای من وسستی مکنید در ذکر من بروید بسوی
فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ
فرعون بدرستیکه او زیاده روی کرد وبگویید مر او را گفتنی نرم شاید که او پند گیرد یا بترسد گفتند پروردگارا بدرستیکه ما میترسیم که پیشدستی کند بر ما یا آنکه زیاده روی کند
قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ
گفت مترسید بدرستیکه من با شمایم میشنوم ومیبینم پس آیید اورا پس گوئید بدرستیکه ما دو فرستاده پروردگار توایم پس بفرست با ما بنی اسرائیل را وعذاب مکن ایشان را بحقیقت
جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ قَالَ
آوردیم ترا با نشانی از پروردگارت وسلام بر آنکه پیروی کند هدایت را بدرستیکه ما وحی فرستاده شد بما که عذاب بر کسیکه تکذیب کرد وروی گردانید گفت
فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ
پس کیست پروردگار شما ای موسی گفت پروردگار ما آنکسیکه داد هر چیزی را خلقتش را پس هدایت کرد گفت پس چیست حال قرنهای نخستین گفت علم آن نزد
رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
پروردگار من است در کتابی خطا نمیکند پروردگار من وفراموش نمیکند آنکه گردانید برای شما زمین را بستری وبیرون آورد برای شما در آن راهها وفرو فرستاد از آسمان
مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا

لآيات



نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ

باز میبریم شما را و از آن بیرون میآوریم شما را باری دیگر و بتحقیق نمودیم او را آیتهای خود همه را پس تکذیب کرد و اباء نمود گفت آمدهٔ ما تا بیرون کنی ما را از زمین خود بسحر خود

يَا مُوسَىٰ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى قَالَ مَوْعِدُكُمْ

ای موسی پس آوریم ترا بسحری مانند آن پس بگردان میان ما و میان خود وعده که خلاف نکنیم آن را نه ما و نه تو بجای هموار گفت وعدهٔ شما

يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا

روز آرایش است و آنکه جمع شوند مردمان چاشتگاه پس بازگشت فرعون و فراهم آورد کید خود را پس آمد گفت مر ایشان را موسی وای بر شما مبندید بر خدا دروغ را

فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ

پس براندازد شما را بعذابی و بتحقیق که نومید شد آنکه افترا بست پس کشاکش کردند در کار ایشان میان خود و نهان داشتند راز گفتن را گفتند بتحقیق که این دو هر آینه ساحرند میخواهند

أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ

که بیرون کنند شما را از زمین خود بسحر خود و ببرند این شما را که خوبتر است پس جمع کنید کید خود را پس بیائید صف کشیده و بتحقیق که کامیاب شد امروز آنکه

اسْتَعْلَىٰ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ

غالب آمد گفتند ای موسی یا اینکه بیندازی و یا آنکه باشیم اول کسی که انداخت گفت بلکه بیندازید پس ناگاه رسنهای ایشان و عصاهای ایشان وانموده شد مر موسی را

سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَىٰ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا

از سحر ایشان که آنها میشتابند پس یافت در خود بیمی موسی گفتیم مترس بدرستیکه تو توئی برتر و بینداز آنچه در دست راست تست فرو برد آنچه

صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ قَالَ

ساخته اند بدرستیکه آنچه ساختند کید ساحر است و رستگار نمیشود ساحر هر جا آید پس افگنده شدند ساحران سجده کنان گفتند گرویدیم به پروردگار هرون و موسی گفت

آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي

آیا ایمان آوردید مر او را پیش از آنکه دستوری دهم مر شما را هر آینه او بزرگ شماست که آموخت شما را سحر پس هر آینه ببرم دستهای شما و پاهای شما از خلاف یکدیگر و هر آینه بردار کشم شما را در

جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ

تنهای درخت و هر آینه خواهید دانست که کدام از ما سختتر است از راه عذاب و پاینده تر گفتند هرگز اختیار نکنیم ترا بر آنچه آمده ما را از بینات روشن و بآنکه آفرید ما را پس حکم کن

مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ

آنچه تو حکم کننده جز این نیست حکم میرانی در این زندگانی دنیا بدرستیکه ما گرویدیم به پروردگار ما تا بیامرزد برای ما گناهان ما را و آنچه را که بجبر واداشتی ما را بر آن از سحر

وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ

و خدا بهتر است و پاینده تر بدرستیکه آنکه آید پروردگار خود را گناهکار پس مر او راست دوزخ نمیرد در آن و نه زنده گردد و آنکه آید او را با ایمان و کرده باشد شایسته کار

الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ

کارهای شایسته پس مر او راست مرتبهای بلندتر بهشتهای جای اقامت و آنکه میرود از زیر آنها نهرها جاودانیان در آن و آن پاداش کسی است

مَنْ تَزَكَّىٰ

القراءة ولتصنع بسكون اللام والعين على الأمر يزيد الآخرون بكسر اللام ونصب العين لنفسي اذهب في ذكرى اذهبا بفتح الياء المتكلم ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وخلف بفتح اللام على انه فعل يصل الباقون بالسكون مهدا وكذلك في الزخرف عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الآخرون مهادا سوى بكسر السين ابو جعفر ونافع وابن كثير وابو عمرو وعلي الآخرون بالضم لا نخلفه بالجزم جوابا للأمر يزيد يوم الزينة على الظرف هبيرة وقد خاب بحيث كان بالامالة حمزة فيسحتكم من الاسحات حمزة وعلي وخلف ورويس وحفص الباقون بفتح الياء والحاء ان مخففة ابن كثير وحفص والمفضل الباقون مشددة هذين ابو عمرو وهذان بالتشديد ابن كثير الباقون بالتخفيف فاجمعوا بهمزة الوصل وفتح الميم امر من الجمع ابو عمرو والآخرون على لفظ الأمر من الاجماع وقد افلح بنقل الحركة الى الدال حيث كان ورش وعباس وحمزة في الوقف تخيل بالتاء الفوقانية ابن ذكوان وروح والمعدل عن زيد الباقون وابن مجاهد عن ابن ذكوان بالتحتانية تلقف بالتشديد والرفع على الاستئناف ابن ذكوان تلقف بالتخفيف والجزم حفص والمفضل وقرا البزي وابن فليح مشددة التاء كيد سحر على المصدر حمزة وعلي وخلف الباقون كيد ساحر على الوصف قال آمنتم بالمد ابو عمرو وسهل ويعقوب وابن عامر وابو جعفر ونافع وابن كثير غير ابن مجاهد وابي عون عن قنبل قال امنتم على الخبر بغير مد حفص وابن مجاهد وابو عون عن قنبل الباقون أأمنتم بزيادة همزة الاستفهام ومن يأته مختلس الهاء يزيد وقالون ويعقوب غير زيد وابو عمرو من طريق الهاشمي عن ابن اليزيدي ومن يأته بسكون الهاء مخلاد [illegible] والبرجمي عن ابي شعيب ويحيى وحماد الباقون بالاشباع الوقوف اخرى لا لان التقدير المرة ابو حي لا لان ما بعد تفسيرا لوحي [illegible] مني ج لان الواو وقد تكون مقحمة وتعلق اللام بالتحبب وقد يكون عاطفة على محذوف اي لتحب ولتصنع ومن جزم اللام وقف على عيني لا محالة



عجيبة ثم لئلا يوهم ان اذ ظرف لتصنع من يكفله ط لانقطاع النظم وانتهاء الاستفهام على ان فاء التعقيب مع اتحاد المفسر يجيز الوصل ولا طرف
لابتداء منة اخرى فقوله يا موسى لنفسي لانشاء الكلام مع حق الفاء مضمرة ذكره لشك ما قلنا والضمير واوطى لا تبرح الغافلين يصحى وروى ولا تقدم
لان قد للتوكيد الابتداء وقد انقطع النظم على ان اتحاد المقول يجيز الوصل من ثبت لذلك فان الواو للابتداء فكان احتمال ما بعده الصفة
الاستيناف ولا تبنى بناء على ان الذي صفة الرب والاحسن تقديره هو الذي واعنى الذي ما علا الالتفات شتى اعمالكم النهي جرى وفي يا موسى
منى طـ نبدا بلا اختلاف الجملتين امر ونهي النحوي المثل صفتا اشبطى الغي لقوله لان النقد بعدها لقوا ما القوا فاذا حبالهم مع فاء التعقيب وذا الفاء
المتلفيات للوقف تلقف موسى لا على ما صنعوا كيد ساحر اتى موسى لكم السحر للقسم المحذوف ولانقطاع النظم مع فاء التعقيب وتمام مقصود الكلام
الفصل لا بتداء معنى القسم ولفظ استفهام بعقبه اتفاق الجملة واتحاد الكلام وابقى فاض الحيوة الدنيا من السحر ولا جمهم ولا يحيى يحيى لعلى الا
لان ما بعده بدل فيهما تزكى **التفسير** من عليه منا انعم ومن عليه منة اى امتن عليه كان الله سبحانه قال لموسى انى راعيت صلاحك قبل سؤالك
فكيف لا اعطيك مرادك بعد السؤال وكنت ربيتك من غير سابقة حق فلو منعتك الحال مطلوبك لكان ذلك رد البعد القبول ووجدانا بعد
الاحسان وذلك ينافي الكرم الذي قالوا المنة هذه الصيغة وهي نوع من الاذى فقوله ولقد منا عليك يكون من الاذى الذي لا من المنة قلت
يحتمل ان لا يكون المنة من المنعم المطلق اذية وانما يكون تنبيها على النعم وايقاظا من سنة الغفلة حتى يتلقى المكلف النعمة بالشكر والطاعة وانما قال
مرة اخرى لان الجملة قصة واحدة وان كانت مشتملة على منن كثيرة والوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في عصرها كشعيب مثلا او على لسان
ملك لا على طريق النبوة كالوحي الى مريم في قوله واذ قالت الملائكة يا مريم او اراها في المنام انه وضع ولدها في التابوت وقذف في البحر ثم رده الله
اليها او الهمها بذلك ولعل الانبياء المتقدمين كابراهيم واسحق ويعقوب اخبروا بذلك وانتهى خبره اليها ومعنى ما يوحى ما يجب ان يوحى لما فيه من
المصلحة الدينية ولانه امر عظيم ولانه لا يعلم الا بطريق الوحي وان هي المفسرة لان الايحاء في معنى القول والقذف يستعمل بمعنى الوضع اى ضعيه
في التابوت وقد مر معناه في البقرة في قصة طالوت قال جار الله الضمير ان الباقيان في قوله فاقذفيه فليلقه راجعان الى موسى
ايضا لئلا يؤدى الى تنافر النظم فان المقذوف والملقى اذا كان موسى وهو في جوف التابوت لزم ان يكون التابوت ايضا مقذوفا وملقى ويؤيده
ان الضمير في قوله عدو له لموسى بالضرورة لان عداوة التابوت غير معقولة ولو كان الضمير الاول والضمير الاخير لموسى فالانسب باعجاز القرآن ان
يكون الضمير المتوسط ايضا لان المعنى صحيح واللفظ مناسب فلا حاجة الى العدول عنه اعتمادا على القرينة واليم هو البحر والمراد ههنا نيل مصر والساحل
شاطئ البحر واصل السحل القشر ولهذا قال ابن دريد هو مقلوب لان الماء سحله فهو مسحول قال اهل الاشارة من نصوحية انشراح الصدر بنور
الوحي ان يقذف في قلبه قذف الولد الذي هو اعز الاشياء في تابوت التوكل وبحر التسليم حتى يلقيه اليم بساحل ارادة الله ومشيئته يروى
انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو
جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا صبي اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر
اللفظ يدل على ان التابوت لفظ من الساحل فلعل اليم القاه بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون فاداه النهر الى البركة اما كون فرعون
عدو الله من جهة كفره وعتوه فظاهر واما كونه عدو الموسى وهو صغير فباعتبار المآل ولانه لو ظهر له حاله لقتله فيحتمل من برحسبه في حجر
عدوه قالوا كان بحضرة فرعون اربعمائة غلام وجارية فحين اشار باخذ التابوت وعد من سبق الى ذلك الاعتاق تسابقوا جميعا ولم
ياخذه الا واحد منهم فاعتق الكل ولتكثير فيه ان عدوا لله لم يجوز من كرمه حرمان البعض لتعذر الكل على الاخذ فاكرم الاكرمين كيف لا يقبل عزائم
المؤمنين على الطاعة والخير فالمرجو منه اعتاق الكل من النار بدلا ورفع لبعضهم تقصير في العمل قوله مني اما ان يتعلق بالقيت ويكون صفة للمحبة
اى محبة حاصلة مني وعلى الوجهين فالمحبة اما محبة الله ومن احبه الله احبته القلوب واما محبة الناس التي زرعها الله في قلوبهم فقد يروى
انه كانت على وجهه مسحة جمال وفي عينيه ملاحة لا يكاد يصبر عنه من رآه قال القاضي هذا الوجه اقرب لانه في الصغر لا يوصف بمحبة الله التي
يرجع معناها الى ايصال الثواب ورد بان محبة الله عبارة عن ارادة الخير والنفع وهو اعم من ان يكون جزاء على العمل او لا يكون ولهذا يثبت المحبة بغير
ولتصنع على عيني اى لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الشئ بالعين اذا اعتني بحفظه ولما كان العالم بالشئ حارسا له عن الآفات
كان الناظر اليه بعينه طلق لفظ العين على العلم لاشتباههما من هذا الوجه وايضا العين سبب الحراسة فاطلق السبب واريد المسبب يقال عيني الله
عليك اذا دعى له بالحفظ والحياطة فالجار والمجرور في موضع الحال من الضمير المستتر في الفعل المجهول في لتصنع وجوز في الكشاف ان يكون اذ تمشي ظرفا
لتصنع وليس بذلك لان الصنع انما هو ظرف لالقيت وبدل من اذ اوحينا على ان الوقتين من زمان واحد واسع يقول الرجل لقيت فلانا سنة كذا
ثم تقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيته هو في اولها وانت في آخرها روي انه لما فشت الخبران آل فرعون اخذوا غلاما في اليم وانه لا يرتضع من ثدي
امرأة كما قال سبحانه وحرمنا عليه المراضع جاءت اخته مريم متعرفة خبره وابيعها امهم متنكرة فقالت هل ادلكم على من يكفله فجاءت بالام فقبل ثديها
وذلك قوله فرجعناك الى امك وقال في القصص فرددناه الى امه بصدقها في قوله انا رادوه اليك كي تقر عينها بالمقاتلة ولا تحزن بسبب
وصول لبن غيرها الى معدتك وقتلت نفسا بن اثنتي عشرة سنة نفسا هو القبطي الذي يجيء ذكره في القصص فنجيناك من الغم وهو الغصص



فرعون منك وقيل الغم القتل بلغة قريش وأراد بالغم خوف عقاب الله من ذلك قوله فاغفر لي فغفر له وفتناك فتونا مصدر على فعول في المتعدي
كالشكور والكفور أو جمع كالظنون أي جمع فتنة على ترك الاعتداد بتاء التأنيث كحجوز وبدور في حجزة وبدرة والفتنة المحنة والابتلاء
بخير أو شر قال نعم ونبلوكم بالشر والخير فتنة ومنها معنى التخليص من قولهم فتنت الذهب إذا أردت تخليصه عن سعيد بن جبير أنه سأل ابن عباس عن الفتون
فقال أي خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وألقته أمه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا وآجر نفسه عشر سنين
وضل الطريق وتفرقت غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير قال العلماء لا يجوز إطلاق اسم الفتان على الله
تعالى وإن جاء وفتناك لأنه صفة ذم في العرف ويجيء قصة لبثه في أهل مدين وأنه على ثمان مراحل من مصر في سورة القصص ثم العزيز قوله
على قدر أي في وقت سبق في قضائي وقدري أن أكلمك وأستنبئك فيه أو على مقدار من الزمان يوحى فيه إلى الأنبياء وهو رأس أربعين سنة أو على
موعد قد عرفته بإخبار شعيب أو غيره والصنع بالضم مصدر صنع إليه معروفا أو بيديه فعل والاصطناع افتعال منه واستعماله للخير أكثر واصطنع
فلان فلانا إذا اتخذه صنيعة واصطنعت فلانا لنفسي إذا اصطنعته وخرجته ومعناه أحسنت إليه حتى إنه يضاف إلي قوله لنفسي أي لا تصرف
جوامع همتك في أوامري حتى لا تشتغل بغير ما أمرتك به من تبليغ الرسالة وإقامة الحجة وقال جار الله مثل حاله بحال من يراه بعض الملوك أهلا
للتقريب والتكريم لخصائص فيه فيصطنعه بالكرامة ويستخلصه لنفسه فلا يبصر إلا بعينه ولا يسمع إلا بأذنه ولا يأمن على مكنون سره سواه وقال
جمهور من المعتزلة إنه سبحانه إذا كلف عباده وجب عليه أن يلطف بهم ومن جملة الألطاف ما لا يعلم إلا سمعا فلو لم يصطنعه للرسالة لبقي في عهدة الواجب
فهذا أمر فعله الله لأجل نفسه حتى يخرج عن عهدة ما يجب عليه ولما عدد عليه المنن السابقة بإزاء الأدعية المذكورة رتب على ذكر ذلك مراده منهما
أما الأمر فقوله اذهب أنت وأخوك وفيه بيان ما لأجله اصطنعه وهو الإبلاغ وأداء الرسالة بآياتي أي مع آياتي لأنهما لو ذهبا دونها لم يلزم الإيمان
وهذا من أقوى الدلائل على فساد التقليد والمراد بالآيات قيل العصا واليد لأنه لم يجر إلا ذكرهما فأطلق الجمع على الاثنين أو لأن كلا منهما مشتمل
على آيات أخر لأنه يستدل بكل منهما على وجود الصانع وعلى كونه عالما بالكل وعلى نبوة موسى وعلى جواز الحشر لقلب الجماد حيوانا والظلمة منيرا
ومثله قوله فيه آيات بينات مقام إبراهيم وقيل هما مع حل العقدة وقيل أراد اذهبا إني أمدكما بآياتي وأظهرها على أيديكما متى وقع الاحتياج إليها
وأما النهي فقوله ولا تنيا بكسر التاء مثل تعد وقرئ تنيا بكسر حرف المضارعة للإتباع والونى بفتحتين الضعف والفتور والكلال
والإعياء والمعنى لا تنسياني بل اتخذا ذكري وسيلة في تحصيل المقاصد واعتقدا أن أمرا من الأمور لا يتمشى لأحد إلا بذكري فإن المداومة على ذكر الله
توجب عدم الخوف من غيره وأن يستحقر في نظره ما سواه لقوة نفسه واستئناسا بأطمنه وقيل أراد بالذكر تبليغ الرسالة فإن الذكر يقع على كل العبادات
فضلا عن أعظمها فائدة وأتمها عائدة وقيل أراد ذكري في هداية فرعون وقومه بأني لا أرضى لهم الكفر وأنا أثيب على الإيمان وأرضيته وبالجملة
كل ما يتعلق بالترهيب والترغيب ما الفائدة في تكرير قوله اذهبا إلى فرعون والجواب بعد التسليم أنه تأكيد أن يشتغلا بأداء الرسالة معا لا
ينفرد به موسى ولأن الأول أمر لهما إلى كل بني إسرائيل والقبط والثاني مخصوص بفرعون الطاغي ثم إنه خوطب كلاهما وموسى حاضر فقط لأنه
أصل وهو كقوله وإذ قتلتم نفسا والقاتل واحد منهم ويحتمل أن هرون قد حضر وقيل إن الله عز وجل أوحى إلى هرون وهو بمصر أن يتلقى موسى
وقيل ألهم بذلك وقيل سمع بمجيئه فتلقاه سؤال لم أمر بتليين القول للعدو المعاند جوابه لأن عادة الجبابرة إذا أغلظ لهم في الكلام أن يزدادوا عتوا
وعلوا وقيل لما له من حق تربية موسى شبه حق الأبوة وكيف ذلك القول اللين الأصح أنه نحو قوله تعالى هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك
فتخشى لأن ظاهره الاستفهام والمشورة وعرض ما فيه صلاح الدارين وقيل وعده شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وأن يبقى له لذة
المطعم والمشرب والمنكح إلى حين موته وحكي عن يزيد بن نيسان قال بلغني أن فرعون عمر أربعمائة وستين سنة فقال له موسى إن المعنى فلك مثل
ما عمرت فإذا مت فلك الجنة وقيل أراد كنياه وهو من ذوي الكنى الثلاث أبو العباس وأبو الوليد وأبو مرة ويحتمل أن يكون أمر بالقول اللين
لأنه كان في موسى حدة وخشونة بحيث إذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا فعالج حدته باللين ليكون حليما في أداء الرسالة أو يجيء فيقبل إنكاره
وإصراره قالت المعتزلة حديد أو سالما إليه مع العلم بأنه لا يؤمن قطع المعذرة وإلزام الحجة وقالت الأشاعرة العقول قاصرة عن معرفة سر القدر
ولا سبيل إلا التسليم وترك الاعتراض والسكوت بالطلب اللسان قالوا وإنه لا يمكن أن ينفع سعينا إلى من علم قطعا أنه يموت على نفسه ثم نقول الترجي عائد
مرفع التكليف إليه لأن الاحتساب يروى عن كعب أنه قال والذي يحلف به كعب إنه مكتوب في التوراة فقولا له قولا لينا وسأقسي قلبه فلا يؤمن قالا ربنا
منه دليل على أنه لم يزل كان خائفا وقد قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري فكيف قالا إننا نخاف فإن حصول الخوف ينافي شرح
الصدر وضبط الأوامر والنواهي وحفظ الشرائع والأحكام بحيث لا يتطرق إليها خلل وتحريف فهذا شيء لازم فقد يزول الخوف قلت لعلهما خافا
أن لا يتمكنا من أداء الرسالة بدليل قوله أن يفرط علينا أي يسبق بمسألتنا وبادرنا بالعقوبة أو أن يطغى أي يجاوز الحد بأن يقول فيك ما
لا ينبغي أو يتجاوز بعدها لأنه عند النبي معاقبتنا أن لم يعاجلنا فلا نتمكن من إقامة وظائف الأداء وأيضا الدليل النقلي يتقوى إذا انضاف إلى الدليل العقلي
زاده إيقانا وطمأنينة ولهذا قال لا تخافا إنني معكما أي بالنصرة والتأييد أسمع وأرى ما يجري بينكما من قول وفعل فأفعل بكما ما يوجب عنايتي وحراسته
فلا يبعد في حقكما إلى أن تؤديا كرامتي وتقطعت عنكما إذا فارقتما مقام الكمال المذكور هذا لو فرض حزنكما ويجوز أن يكون الفعلان منزلين منزلة المفعول

تقدم



المفعول كأنه قيل إننا سامع مبصر إذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وكملت النصرة قال بعض الأصوليين في الآية دلالة على أن الأمر لا يقتضي
الفور وإلا كان تعللهما بالخوف معصية وإنها غير جائزة على الرسل في الأصح قال بعض المتكلمين فيها دليل على أن السمع والبصر صفتان زائدتان
على العلم وإلا لزم التكرار فإن معنيهما هو العلم وأقول لا يبعد أن يقول الخاص بعد العام ولكن لا يناسبه ثم كرر الأمر قائلا فأتياه فقولا فإن قيل إنهما أمرا
بأن يقولا القول اللين فكيف غلظا أولا بقولهما إنا رسولا ربك ففيه إيجاب انقياده لهما وإكراه على طاعتهما وهذا إنما يعظم على الجبابرة وثانيا
بقوله فأرسل معنا بني إسرائيل وفيه إدخال النقص في ملكه لأنه كان يستخدمهم في الأعمال الشاقة وثالثا بقوله ولا تعذبهم وفيه منع له عما
يريده بهم وأجيب بأن هذا القدر من التغليظ ضروري في أداء الرسالة قيل الأحسن أن يقولا إنا رسولا ربك قد جئناك بآية من ربك فأرسل
معنا بني إسرائيل ليكون ذكر المعجز مقرونا بادعاء الرسالة والجواب أن قوله فأرسل من تتمة الدعوى وإنما وسط قوله بآية ومعناه إثبات بالبينات
لقولهما هب أنت وأخوك إنا بآيتي لا إفراد الجنس كأنه قيل قد جئناك ببيان من عند الله وبرهان قال في الكشاف قلت وفيه أيضا نوع من الأدب
كما لو قلت أنا رجل قد حصلت شيئا من العلم ولعل عندك علوم جمة على أن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي الزائد عليه وأيضا الأصل في معجز
موسى كان هي العصا ولهذا وقعت في معرض المعارضة كما أن الأصل في معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم كان هو القرآن ووقع لذلك التحدي والسلام أي جنس
السلامة أو سلام خزنة الجنة على من اتبع الهدى يحتمل أن يكون هذا أيضا تمام ما أمرا بقوله لفرعون ويحتمل أن يكون الرسالة قد تمت عند قوله
بآية من ربك ويكون هذا وعدا بالسلامة من عقوبات الدارين لمن آمن وصدق قالت الأشاعرة في قوله إن العذاب أي جنسه أو كله على
من كذب وتولى دليل على أنه لا يعاقب أحدا من المؤمنين ترك العمل به في بعض الأوقات فوجب أن يبقى على أصله في نفي الدوام على أن العقاب
المتناهي لا نسبة له إلى النعيم المقيم الذي لا نهاية له فكأنه لم يعاقب أصلا وأيضا العارف بالله قد اتبع الهدى فوجب أن يكون من أهل السلامة قال فمن
ربكما يا موسى خاطب الاثنين ووجه النداء إلى موسى لأنه الأصل في ادعاء الرسالة وهرون وزيره ويجوز أنه خص موسى عليه السلام بالنداء لما عرف
من فصاحة هرون والرتة التي كانت في لسان موسى فأراد أن يعجز عن الجواب قال أهل الأدب إن فرعون كان شديد البطش جبارا ومع ذلك لم يبدأ
بالسفاهة والشغب بل شرع في المناظرة وطلب الحجة فدل على أن الشغب من غير حجة شيء ما كان يرتضيه فرعون مع كمال جهله وكفره فكيف يليق ذلك
بمن يدعي الإسلام والعلم وفي اشتغال موسى بإقامة الدلالة على المطلوب دليل على فساد التقليد وفساد قول القائل بأن معرفة الله تستفاد من قول
الرسول وفيه جواز حكاية كلام المبطل مقرونا بالجواب لئلا يبقى الشك وبأن المحق يجب عليه استماع شبهة المبطل حتى يمكنه الاشتغال بحلها
واعلم أن العلماء اختلفوا في كفر فرعون فقيل كان عارفا بالله إلا أنه كان معاندا بدليل قوله لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات و
الأرض وقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا وقوله في سورة القصص وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون وليس هذا إلا إنكار المعاد دون إنكار
المبدأ وقوله في الشعراء وما رب العالمين إلى قوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون يعني أنا أطلب منه الماهية وهو يشرح الوجود فدل على أنه
اعترف بأصل الوجود وأيضا أن ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام لأن موسى لما هرب إلى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين
فكيف يعتقد مثل هذا الشخص أنه إله العالم بل كل عاقل مكلف يعلم بالضرورة أنه وجد بعد العدم فلا يكون واجب الوجود وأيضا أنه سأل هاهنا
بمن طالبا للكيفية وفي الشعراء بما طالبا للماهية فكان موسى لما أقام الدلالة على الوجود ترك المناظرة والمنازعة معه في هذا المقام لظهوره وشرع
في مقام أصعب وهو أن العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر ولهذا إنه قال في الجواب ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه وصلة الذي لا بد أن تكون جملة معلومة
الانتساب ومن الناس من قال إنه كان جاهلا بالله بعد اتفاقهم على أن العاقل لا يجوز أن يعتقد في نفسه أنه خالق السموات والأرض وما فيهما فمنهم
من قال إنه كان دهريا نافيا للمؤثر أصلا ومنهم من قال إنه فلسفي قائل بالعلة الموجبة أو هو من عبدة الكواكب أو من الحلولية والمجسمة وأما ادعاؤه الإلهية
والربوبية فمعناه أنه يجب عليهم طاعته والانقياد لحكمه قال بعض العلماء إنما قال فمن ربكما ولم يقل فمن إلهكما معرضا بأنه رب موسى كما قال ألم نربك فينا
وليدا قلت يحتمل أن يكون تخصيص موسى بالنداء تنبيها على هذا المعنى ولم يعلم الكافر أن تربيته إياه دعاها موسى ثمة في قوله إنا رسولا ربك
غير هذه في الحقيقة ولا مشاركة بينهما إلا في اللفظ وهذا كما عارض نمرود إبراهيم صلوات الله عليه حين قال في قوله أنا أحيي وأميت ولم يعلم أن إحياءه وإماتته
ليس من الإحياء والإماتة في شيء ثم شرع موسى في الدلالة على إثبات الصانع بأحوال المخلوقات وفيه دلالة على أن موسى كان أصلا في النبوة
وأن هرون راعى الأدب فلم يشتغل بالجواب قبله لأن الأصل في النبوة هو موسى ولأن فرعون خصص موسى بالنداء من قرأ خلقه بسكون اللام
فالمعنى الخليقة والضمير المجرور لله وقدم المفعول الثاني ليتصل قوله ثم هدى والخليقة أي أعطى الخلائق ما به قوامهم من المطعوم والمشروب و
الملبوس والمنكوح ثم هداهم إلى كيفية الانتفاع بها فيستخرجون الحديد من الجبال واللآلي من البحار ويركبون الأغذية والأدوية والأسلحة والآلات
ونظير هذا الكلام قوله الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى وقوله حكاية عن إبراهيم الذي خلقني فهو يهدين وأما أن يكون الخلق بمعنى الصورة
والشكل أي أعطى كل شيء صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به فأعطى العين الهيئة التي تطابق الإبصار والأذن ما يوافق الاستماع والأنف
للشم واليد للبطش والرجل للمشي بل أعطى الرجل للآدمي شكلا يوافق سعيه وأعطى الحيوانات الأخر شكلا يطابق منفعتها بل أعطى نوع [illegible]
رجلا يوافق حاجتها وكذلك الخف والحافر وذوات المخالب وقيل أي أعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة فجعل الحصان والحجر زوجين كذا

البعير والناقة



البعير والناقة والرجل والمرأة ومن قرأ خلقه بفتح اللام صفة للمضاف او المضاف اليه والمفعول الثاني متروك اي كل شيء خلقه الله لم يخله من عطائه
وانعامه واعلم ان عجائب حكمة الله تعالى في مخلوقاته بحر لا ساحل له ولقد دون العلماء طرفا منها في كتب التشريح وخواص الاحجار والنبات والحيوان ولنذكر
ههنا واحدا منها هو ان الطبيعي يقول الثقيل هابط والخفيف صاعد فالماء لذلك فوق الارض والهواء فوق الماء والنار فوق الكل ثم انه سبحانه
جعل العظم والشعر اصلب الاعضاء على طبيعة الارض ثم جعل مكانهما فوق البدن وجعل مخزن الدماغ الذي هو بمنزلة الماء وجعل مخزن النفس الذي هو
الهواء وجعل مخزن الحرارة الغريزية في القلب كالنار ليكون دليلا على وجود الفاعل المختار خلاف ما يقوله الدهري والطبيعي وسائر الكفار و
ايضا اختصاص كل جسم بقوة وتركيب من اين اما ان يكون واجبا او جائزا والاول محال والا لم يقع فيها تغير والثاني يستدعي مرجحا فان كان ذلك
المرجح واجب الوجود لذاته فهو المطلوب وان كان جائز الوجود افتقر في اتصافه بالوجود الى موجد ولا بد من الانتهاء الى موجد يجب وجوده لذاته ثم
يستغني عن بيانات النقص وشوائب الافتقار وليس الا الله الواحد القهار قال اهل النظم ان موسى لما قرر عليه امر المبدأ قال فرعون ان كان ذلك موجود
الواجب في هذه الحدة من الظهور فما بال القرون الاولى لم يؤمنوا وجحدوا فعارض الحجة بالتقليد والبال الحال ولانه لما هدده بالعذاب في قوله
ان العذاب على من كذب وتولى قال فما بالهم كذبوا وما عذبوا فاجاب بان هذا مما استأثر الله بعلمه وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما يخبرني علام
الغيوب ولانه سأله عن احوال القرون الخالية وعن شقاء من شقي منهم وسعادة من سعد ليصرف موسى عن المقصود ويشغله بالحكايات خوفا من ان يميل
قلوب ملائه الى حجته الباهرة وادلته الظاهرة فلم يلتفت موسى الى حديثه بل قال علمها عند ربي ولا يتعلق غرضي باحوالهم ويجوز ان يكون الكلام
قد تضمن تعريضا او صريحا الى احاطة الله سبحانه بكل شيء فقال فرعون فما بال سوالف القرون في تمادي كثرتهم وتباعد اطرافهم كيف احاط بهم
وباجزائهم وجواهرهم فاجاب بان كل كائن محيط به علمه ولا يجوز عليه الخطاء والنسيان كما يجوز عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل وقوله
علمها عند ربي مع قوله في كتاب لا يتنافيان فان المراد انه تعالى عالم بجميع الغيب مطلع على الكليات والجزئيات من احوال الموجودات والمعدومات ومع
ذلك فان جميع الاحوال ثابتة في اللوح المحفوظ ثم كان لقائل ان يقول لعلها اثبتت في اللوح لاحتمال الخطاء والنسيان فتدارك ذلك بقوله لا
يضل ربي ولا ينسى قال مجاهد هما واحد المراد انه لا يذهب عنه شيء ولا يخفى عليه والاكثرون على الفرق فقال القفال الاول اشارة الى كونه عالما
بالكل والثاني اشارة الى بقاء ذلك العلم اي لا يضل عن معرفة الاشياء وما علم من ذلك لا ينساه ولا يتغير علمه يقال ضللت الشيء اذا اخطأته في مكانه
فلم تهتد له وقال مقاتل لا يخطئ ذلك الكتاب ربي ولا ينسى ما فيه وقال الحسن لا يخطئ وقت البعث ولا ينساه وقال ابو عمرو ولا يغيب عن شيء ولا يعزب عنه شيء
وقال جرير لا يخطئ في التدبير فيعتقد غير الصواب صوابا واذا عرفه لا ينساه والوجوه متقاربة والتحقيق ما قاله القفال وعن ابن عباس لا يترك
من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده حتى يجازيه ولما ذكر الدليل العام المتناول لجميع المخلوقات السماويات والارضيات من الانسان وسائر
الحيوانات وانواع النبات والجمادات ذكر الدلائل الخاصة فقال الذي جعل لكم الارض مهدا اي كالمهد وهو ما يمهد للصبي قال ابو عبيدة الذي
اختاره مهادا لانه اسم لما يمهد والمهد مصدر وقال غيره المهد اسم والمهاد جمع وقال المفضل هما مصدران وسلك اي حصل لكم فيها سبلا ووسطها
بين الجبال والاودية والبراري يقال سلكت الشيء في الشيء سلكا بالفتح اي ادخلته فيه فاخرجنا به اي بواسطة انزال الماء ومن المتكلمين
من انكر تاثير الوسائط راسا ازواجا اي اصنافا فسميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها ببعض وشتى صفة للازواج جمع شتيت
كمريض ومرضى او صفة للنبات لانه مصدر سمي به النبات كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها مختلفة النفع والطبع والطعم واللون
والرائحة والشكل ثم ههنا اضمار والتقدير وقلنا او قائلين كلوا وارعوا انعامكم وذلك ان بعضها يصلح للناس وبعضها يصلح للبهائم واما غير
الاكل فينتفعون بها في سائر وجوه الانتفاع كقوله ولا تأكلوا اموالكم ومن نعم الله تعالى ان ارزاق العباد تحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل
عن حاجتهم ولا يقدرون على اكله قال الجوهري النهية بالضم واحدة النهى وهي العقول لانها تنهى عن القبيح وجوز ابو علي الفارسي ان يكون مصدرا
كالهدى وخص ارباب العقول بذلك لانهم هم المنتفعون بالنظر فيها والاستدلال بها على وجود صانعها منها خلقناكم لان ادم مخلوق من الارض
او لان بني ادم خلقوا من النطفة ودم الطمث المتولدين من الاغذية المنتهية الى العناصر الغالبة عليها الارضية او لما روي ان الملك الموكل يأخذ
من تربة المكان الذي يدفن فيه الادمي فيذره على النطفة وفيها نعيدكم لان الجسد يصير ترابا فيختلط بالارض الا من رفعه الله تعالى الى السماء وهو
ايضا يحتمل ان يعاد اليها فيدفن ومنها نخرجكم تارة اخرى بالحشر والبعث وبان نخرجكم ترابا وطينا ثم نحييكم بعد الاخراج او المراد الاحياء
في القبر وههنا بحث وهو ان يكون قوله الذي جعل لكم الارض الى ههنا من تتمة كلام موسى او هو ابتداء كلام من الله تعالى وعلى الاول يمكن
ان يوجه قوله فاخرجنا بان المراد فاخرجنا نحن معاشر عباده بذلك الماء بالحراثة والزرع ازواجا من نبات شتى الا ان قوله كلوا وارعوا الى
قوله ومنها نخرجكم لا يليق به وان قيل ان كلام موسى تم عند قوله وانزل من السماء ماء لم يصلح قوله فاخرجنا ابتداء كلام من الله لمكان فاء التعقيب
فالصواب انه تم كلام موسى عند قوله ولا ينسى ثم انه تعالى ابتدأ فقال الذي هو الذي جعل الى اخره وعلى هذا يكون قوله فاخرجنا من قبيل
الالتفات افتنانا في الكلام وايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وتخصيصا بان مثل هذا لا يدخل تحت قدرة احد سواه والحاصل انه
تعالى عدد عليهم ما علق بالارض من المنافع حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها عند الاقامة وسوى لهم فيها مسالك يتقلبون بها في اسفارهم وانبت فيها

انعام



اصناف النبات متاعاً لهم ولانعامهم ثم ان الارض لهم كالام التي منها انشاؤا وهي التي تجمعهم وتضمهم اذا ماتوا ثم يخرجون من الاجداث كما يخرج
الاجنة من الارحام ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض اي تيمموا واسجدوا عليها من غير حائل وتيمموا بها فانها بكم برة اي انها لكم كالام
ومنها خلقناكم وفيها نعيدكم وهي تعيد الموتى كفاتا لكم قوله عز وعلا ولقد اريناه اياتنا اي عرفناه صحتها ثم ان كان التعريف فيلزم حصول المعرفة
فيكون كفره كفر جحود وعناد كقوله وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم الآية سؤال الجمع المضاف يفيد العموم ولا سيما اذا اكد
بالكل لكنه تعالى ما اراه جميع الايات لان من جملتها ما اظهرها على ايدي الانبياء الاقدمين ولم يتفق لموسى مثلها الجواب هذا التعريف في الاضافة
حذو التعريف للعهد او قيل الايات كلها هي التي ذكرت في قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات ولو سلم العموم فالمراد انه اراه الايات
الدالة على التوحيد في قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه وعلى النبوة باظهار المعجزات القاهرة وعلى المعاد لان تسليم القدرة على الانشاء يستلزم
تسليم القدرة على الاعادة بالطريق الاولى ولو اراد انه اراه اياته المختصة به وعدد عليه سائر ايات الانبيا واخبار النبي الصادق جار مجرى العيان
او اراءة بعض الايات كاراءة الكل كما ان تكذيب بعض الايات يستلزم تكذيب الكل كما قال فكذب اي الايات كلها وابى قبول الحق قال القاضي
الاباء الامتناع وانه لا يوصف به الا من تمكن من الفعل والترك والا لم يتوجه الذم وجواب الاشاعرة انه لا يسئل عما يفعل ثم ان فرعون خاف
ان يميل قلوب ملائه الى قول موسى فذكر ما يوجب نفار القوم عنه مع القدح في نبوته لادعاء امكان معارضته فقال اجئتنا لتخرجنا فان
الاخراج عن الديار قرينة القتل بدليل قوله ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ثم طالب المعارضة موعدا فان جعلته زمان الوعد بدليل
قوله موعدكم يوم الزينة بالرفع كان الضمير في لا نخلفه عائدا الى الوعد العامل من الموعد والى زمان الوعد مجازا وانتصب مكانا على انه ظرف للوعد
المقدر وان جعلته مكان الوعد ليكون قوله مكانا بدلا منه توجه عود الضمير في لا نخلفه مثل ما قلنا ويكون قوله موعدكم يوم الزينة مطابقا
له معنى لا لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة في مكان مشتهر عندهم وكانه قيل موعدكم مكان الاجتماع في يوم الزينة وان جعلته مصدرا
لئلا يقع وصفه بقوله لا نخلفه من حيز الارتكاب ضمار او يحذو انتصب مكانا على انه ظرف له ثم من قرأ يوم الزينة بالنصب فظاهر اي وعدكم او انجاز وعدكم
في يوم الزينة او وقت وعدكم في يوم الزينة وفي يوم يحشر الناس هو ضحى اي ضحى ذلك اليوم ومن قرأ بالرفع فبتقدير مضاف محذوف اي وعدكم وعد
يوم الزينة ومعنى سوى بالكسر والضم عدلا او وسطا بين الفريقين وهو معنى قول مجاهد فوصف المكان بالاستواء باعتبار المسافة وقال ابن زيد
اي مستويا لا يحجب شيئا بارتفاعه وانخفاضه فيسهل على كل الحاضرين ما يجري بين الفريقين وقال الكلبي مكانا سوى هذا المكان الذي نحن فيه الان قال
القاضي الاظهر ان قوله موعدكم يوم الزينة من قول فرعون لانه الطالب للاجتماع وقال الامام فخر الدين الرازي الاقرب انه من كلام موسى
ليكون الكلام مبنيا على السؤال والجواب لان تعيين يوم الزينة يقتضي اطلاع الكل على ما سيقع وهذا انما يليق بالمحق الواثق
بالغلبة لا بالمبطل المزور وعلى ان موعدكم خطاب للجمع وليس هناك الا موسى وهرون فاما ان يرتكب ان اقل الجمع اثنان وهو مذهب مرجوح
واما ان يقال الجمع للتعظيم ولم يكن فرعون ليعظمهما ويوم الزينة يوم عيد لهم يتزينون فيه وعن مقاتل يوم النيروز وعن سعيد بن جبير يوم
سوق لهم وعن ابن عباس هو يوم عاشوراء وانما قال ان يحشر من غير تسمية الفاعل لانهم يجتمعون ذلك اليوم بانفسهم من غير حاشر لهم ويحتمل ان يحشر
مرفوع او مجرور عطفا على اليوم او الزينة فعين اليوم ثم الساعة وهي ضحى ذلك اليوم وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وزهوق الباطل على رؤس
الاشهاد ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وليشيع امرها العجيب في الاقطار والاصقاع والاطراف والاكناف ففي ذلك تقوية دين الحق
وتكثير اتباعه وتقليل شوكة المخالف وتوهين عزائمهم فتولى فرعون انصرف الى مقام تهيئة اسباب المعارضة فان صاحب التمويه يحتاج في تدبير
السحر الى طول الزمان ولهذا طلب الموعد وقال مقاتل اعرض وثبت على الاعراض عن الحق فجمع كيده اي اسباب الكيد وادوات الحيلة والتمويه من
السحرة وغيرهم ثم اتى الموعد عن ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد منهم حبل وعصى وقيل اربعمائة وقيل اكثر من ذلك فضرب
لفرعون قبة طولها سبعون ذراعا فجلس فيها ينظر اليهم فبين الله تعالى ان موسى قدم قبل كل شيء الوعيد والتحذير على عادة الصالحين من اهل النصح
والاشفاق ولا سيما الانبياء المبعوثين رحمة للانام ويلكم نصب على المصدر الذي لا فعل له وعلى النداء لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته ومعجزاته
سحرا فيسحتكم فيهلككم السحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومعنى الاستيصال ثم حذرهم امرا اخر هو غالب الدارين والتنوين للتعظيم والاخر
الخيبة والحرمان عن المقصودات الموجبة لانقطاع المنافع فتنازعوا امرهم بينهم كقوله في الكهف اذ يتنازعون بينهم امرهم اي وقع التنازع بينهم واسروا النجوى
الضمير لفرعون وقومه وقيل للسحرة ويؤيده ما روي عن ابن عباس ان نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء
فله امر وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والاكثرون على الاول فذلك انهم تفاوضوا وتشاوروا وتحين استقر رايهم على
واحد وهو انهم قالوا ان هذان لساحران الى اخر الاية لا اشكال في قراءة ابي عمرو وكذا في قراءة ابن كثير وحفص لانه كقولك ان زيد لمنطلق واللام
فارقة بين المخففة والنافية واما من قرأ ان بالتشديد وهذان بالالف فالمعتمد عليه ان لم يعمل في المثنى واجيب بانه على لغة بلحرث بن كعب وخثعم
وبعض بني عذرة ونسبها الزجاج الى كنانة روى بن جني عن ابي عمرو يجعلون التثنية كعصى وسعدى بالالف فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب
ان بمعنى نعم وعرض ان ما هذا صحيح كقوله ام الحليس لعجوز شهربه ولا يجوز مثله الا في ضرورة الشعر وانما يصح لام الابتداء في المبتدا

يقال مد

والجواب ان القرآن حجة على غيره وذكر الزجاج في جوابه ان التقدير نعما ساحران فاللام داخلة على صلة الجملة الصغرى قال وقد عرضت هذا القول
على محمد بن يزيد وعلى اسمعيل بن اسحق فارتضاه كل منهم وذكروا انه اجود ما سمعناه في هذا الباب وضعفه ابن جني بان المبتدأ انما يجوز حذفه لو كان
امرا معلوما جليا والا كان تكليفا بعلم الغيب للمخاطب واذا كان معروفا فقد استغنى بمعرفته عن تأكيده باللام وايضا ان حذفه من باب الاختصار و
التأكيد من باب الاطناب والجمع بينهما محال مع ان ذكر المؤكد وحذف التأكيد احسن في العقول من العكس بقي منع الجمع حيث [illegible]
في قولك زيد ضربت نفسه تأكيد للمستكن فدل ذلك على ان تأكيد المنوي غير جائز وايضا لو كان ما ذهب اليه الزجاج جائزا لم يجز لام بعد المبتدأ
وحده ولو سلم فذكر اللام يدل على المبتدأ وذكر المبتدأ لا يدل على التأكيد فكان حذف المبتدأ اولى وعن الثاني بان الكلام قد يكون مؤخرا
من وجه آخر فلا منافاة وانما المنافاة اذا كانت الجهتان واحدة وعن الثالث بانهم امتنعوا من حمل النفس على التأكيد في المثال المذكور لانهم ارادوا اسناد
الفعل الى المظهر وبعد من اسناده الى المضمر لا لان تأكيد المنوي ممتنع على انا بينا ان المؤكد ليس بمحذوف في الآية فان احد جزئي الكلام مذكور
وعن الرابع بان نقول المنقول عن هذا الوجه لا يقتضي كونه باطلا فكم ترك الاول للآخر ثم نرجع الى التفسير قال الفراء الطريقة اسم لوجوه الناس
واشرافهم الذين هم قدوة لغيرهم يقال هم طريقة قومهم وهو طريقة قومه فمعنى ان موسى يغلب الحاضرين فيصرفهم عنكم بانه ساحر والطباع نفورة من السحر
وبانه يقصد اخراجكم من دياركم وهذا ايضا مما يبغض تقاصد اليهم فانه يريد ان يذهب باشراف قومكم واكابركم قالوا وهم بنو اسرائيل لقول موسى ان ارسل
معنا بني اسرائيل وجعلها الزجاج من باب حذف المضاف اي باهل طريقتكم المثلى وسموا اهل الطريقة المثلى والسنة الفضلى لان كل حزب بما لديهم
فرحون والمثلى تأنيث الامثل اي الاشبه بالحق ومنهم من فسر الطريقة ههنا بالجاه والمنصب والرياسة ... الادعى ... بمن قرأ فاجمعوا من الجمع
فظاهر ومن قرأ من الاجماع فمعنى اجعلوا كيدكم مجمعا عليه حتى لا تختلفوا نظيره ما مر في سورة يونس فاجمعوا امركم وشركاءكم ... [illegible]
ان السحر لا اصل له وقال الزجاج معناه ليكن عزمكم كلكم كالكيد مجمعا عليه ثم امرهم بان يأتوا صفا اي مصطفين مجتمعين ليكون انظم والقصد به
واوقع في النفوس وعن ابي عبيدة انه فسر الصف بالمصلى اي مصلى من المصليات وهو علم للمصلى بعينه لان الناس يصطفون فيه لعيدهم وصلواتهم
وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب وهو اعتراض واعلم ان قصة السحر واكثرها اشبه ما مر في الاعراف وقد فسرناها هنالك فنحن الان على ان نكتفي
ان نقتصر ونذكر ما هو المختص بهذه السورة اما ان تلقي اي اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا فاذا حبالهم هي اذا المفاجاة وعاملها
الوقت اي فاجأ موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم قال وهب سحروا اعين موسى حتى تخيل ذلك وقيل انه انه شاهد شيئا لولا علمه
بانه لا حقيقة لذلك الشيء لظن فيها انها تسعى فيكون تمثيلا فاوجس اضمر في نفسه خيفة هو مفعول وموسى فاعل واخر للفاصلة وذلك
الخوف اما من جبلة البشرية حين ذهل عن الدليل وهو قول الحسن واما لانه خاف ان يخالج الناس شك فلا يتبعوه قاله مقاتل وخاف ايضا من
نزول الوحي عليه في ذلك الوقت وخاف ان يتفرق بعض القوم قبل ان يشاهد واغلبته او خافوا ان تمادى الامر عليه وتكرره فازال الله تعالى خوفه
مجملا بقوله انك انت الاعلى وفيه من انواع التأكيد ما لا يخفى نحو الاستيناف والتصديق بان والتوسيط بالفصل وكون الخبر معرفا بلفظ العلو
ومعناه الغلبة وصورة التفضيل لا فضلهم ومفصلا بقوله والق ما في يمينك تلقف لما علم من الاعراف ولما في هذه السورة وما
تلك بيمينك وقال جار الله هو تصغير لشان العصا وتهوين لامر السحرة اي الق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله يبتلع ما
صنعوا اي زوروا وافتعلوا على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها او هو تعظيم لشانها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة كان في يمينك شيئا
اعظم شانا من كلها انما صنعوا ان الذي افتعلوه كيد ساحر فيمن قرأ على الوصف فيعلمات المقصود هو الجنس كما قال ولا يفلح الساحر اي هذا
الجنس ولو جمع لاوهم ان المراد هو العدد وانما نكر ولا لان المراد تنكير الكيد كانه قال هذا الذي تواه فيهم واحد من اقسام السحر من اعمال السحرة
وجميع اقسام السحر والسحرة لا فلاح فيها بمن نظائره انى لاكره ان ارى احدكم سبهللا لا في امر دنيا ولا في امر آخرة ومعنى سبهلل التخشي و
في جميع ومعنى حيث اين ما كان واين سلك فالقي السحرة سجدا قال جار الله سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم
القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين الالقائين وقد انهم لم يرفعوا رؤسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب اهلها وعن
عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة واستبعد القاضي لانه كالالجاء الى الايمان وانه ينافي التكليف قلت لو كان
الايمان مقدما على هذا الكشف فلا منافاة ولا الجاء ثم ان فرعون لعبده الجهل وانكر عليهم ايمانهم والقى شبهة فانبنا انه كبيرهم اي معلمهم
اعلامهم في تحقيق في الصناعة او معلمهم واستاذهم من قول اهل مكة للمعلم انه كبيري اي استاذي في العلم او عزمهم وانهم يقطع الايدي والارجل
خلاف قال في الكشاف من لابتداء الغاية لان القطع مبتدأ وناشئ من مخالفة العضو لا من وفاقه اياه قلت لا ارى ان يقال لخلاف همهنا
بمعنى الجهة المخالفة حتى يصح معنى الابتداء اي لا تقطعن ايديكم وارجلكم مبتدئا من الجهتين المخالفتين يمينا وشمالا فيكون الجار والمجرور في
موضع الحال اي لا قطعنها مختلفات الجهات وقيل في جذوع النخل اي عليها والاصوات يقال هي على اصلها شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن المظروف
في الظرف ايتنا اشد عذابا نفسه وموسى وفيه صلف باقتداره وقهره وان القدرة التي عذب الناس بها تختص بموسى مع الهزء لان موسى لم يكن على
التعذيب في شيء قال في الكشاف قلت يحتمل ان يريد بقوله ايتنا الله تعالى وبنفسه فقد ذكر رب هرون وموسى وقد سبق هذا ايضا في قوله لعذاب



على من كذب وتولى وعن قوله فليعلمنّ ايّنا معذب بقوله قول السحرة في جوابه والله خير وابقى لن نؤثرك لن نختارك على ما جاءنا من البينات المعجزات
الظاهرات على ايدي والذي فطرنا الواو للقسم وعلى هذا يجوز ان يكون على ما جاءنا بمعنى في ما جاءنا اي لن نميل اليك الى الزينة وعلى الوجه الاول
نحوي الكلام لن نؤثرك طاعة خالقنا والقصد الى معجزات نبيه لاجل هواك فاقض ما انت قاض بما شئت من العذاب انما تقضي هذه الحيوة الدنيا
اي في مدة الحيوة العاجلة وقرئ تقضى مبنيا للمفعول هذه الحيوة بالرفع اجراء للظرف مجرى المفعول به اتساعا مثل صيم يوم الجمعة والحاصل
ان قضاءك وحكمك مختص بمدة حيوتنا الفانية والايمان وثوابه باق لا يزول فالعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني للفوز بالسعادة الباقية
والخلاص من العقاب الابدي وذلك قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا قال الحسن سبحان الله قوم كفار ثبت في قلوبهم الايمان طرفة عين
فلم يتعاظم عندهم ان قالوا في ذات الله ثم فاقض ما انت قاض والله ان احدهم اليوم ليصحب القرآن ستين عاما ثم انه ليبيع دينه بثمن حقير ومما كان من
خطايانا مثلا ما اظهروه من السحر قالوا وما اكرهتنا عليه من السحر وفي هذا الاكراه وجوه عن ابن عباس ان الفراعنة كانوا يكرهون
فتيانهم على تعلم السحر ليوم الحاجة فكانوا من ذلك القبيل وقيل انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه يحرسه عصاه فقالوا ما
هذا بسحر الساحر لان الساحر اذا نام بطل فابوا ان يعارضوه وعن الحسن انهم حشروا من المداين مكرهين وزعم عمر بن عبيد ان دعوة السلطان اكراه
وليس بقوي فلا اكراه الا مع الخوف وقد حكم بالاكراه ولا اكراه والايات ابتداء اخبار من الله او هي من تتمة كلامهم فيه قولان و
لعل الاول اولى لما في السياق من الثبات وتبرئي حيث لا حكم الا هو فيسقط استدلال المعتزلة حال كون الانسان مجرما فان له جهنم لا يموت فيها فيموت
مريحا ولا يحيى حيوة ممتعة قالت المعتزلة صاحب الكبيرة مجرم وكل مجرم فان له جهنم بالاية لعموم من الشرطية بدليل صحة الاستثناء فيحصل القطع
بوعيد اصحاب الكبائر واجابت الاشاعرة بان المجرم كثيرا ما يجيء في القرآن بمعنى الكافر كقوله يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر الى قوله وكنا
نكذب بيوم الدين ولا ريب ان التكذيب بالبعث والجزاء كفر وكقوله ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الى اخر السورة فلم قلتم
ان المجرم ههنا ليس بمعنى الكافر فيبطل المقدمة الاولى سلمنا لكن المقدمة الثانية كلها ممنوعة على الاطلاق وانما هي كلية بشرط عدم العفو
وح لا يحصل القطع بالوعيد على الاطلاق سلمنا المقدمتين والنتيجة لكن معارض بعموم الوعد في قوله ومن يأته مؤمنا فان قيل صاحب الكبيرة لم
يأته مؤمنا قلنا لا نسلم لانه يصدق عليه المؤمن لان الايمان صدق عليه في الزمان الماضي كما تصدق على من قد ضرب امس انه ضارب بين الحال والزمان الماضي
منا فانه كلية ولهذا صح جاءني زيد قد قام بل صح قوله قد عمل الصالحات وانه حال كانه قيل ومن يأته قد امن قد عمل ولئن قيل ان عقاب
المعصية يحبط ثواب الطاعة قلنا ممنوع بل العكس اولى لان الدفع اسهل من الرفع ولقائل ان يقول المعتزلة لا يتابع في بعض الصور لاجل الحسنة الا لاجل
التشكيل وقوله نكالا من شخص حتى من لم يتب بعد من الشرك سلمنا ان قوله ومن يأته مؤمنا لا يعم صاحب الكبيرة الا ان قوله فاولئك لهم
الدرجات العلى من الجنة لمن اتى بالايمان والاعمال الصالحات اي الواجبات لان الزائد عليها غير محصور فلا يراد ثم الدرجات لا بد ان تكون
لغيرهم وما هم الا العصاة من اهل الايمان ثم عظم شان المذكور بقوله وذلك جزاء من تزكى اي قال لا اله الا الله قال ابن عباس وفيه دليل على ان
قوله ومن يأته مؤمنا يشمل صاحب الكبيرة **وَلَقَدْ اَوْحَيْنَا اِلٰى مُوسٰى اَنْ اَسْرِ بِعِبَادِيْ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيْقًا فِي الْبَحْرِ**
قال الاخرون تزكى تطهر من دنس الذنوب — وهر آینه وحی کردیم بموسی که شب ببر بندگان مرا پس بزن برای ایشان راهی در دریا

يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشٰى فَاَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُوْدِهٖ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَاَضَلَّ فِرْعَوْنُ
خشک بیم نکرده از دریافتن و نترسی پس از پی رفت ایشان فرعون با لشکر او پس دریافت ایشانرا از دریا آنچه دریافت ایشانرا و گمراه کرد فرعون

قَوْمَهٗ وَمَا هَدٰى يٰبَنِيْۤ اِسْرَآءِيْلَ قَدْ اَنْجَيْنٰكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوٰعَدْنٰكُمْ جَانِبَ الطُّوْرِ الْاَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا
قوم را و راه ننمود ای بنی اسرائیل هر آینه رهانیدیم شما را از دشمنان و وعده دادیم شما را جانب طور ایمن و فرو فرستادیم

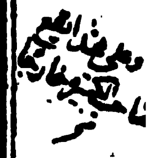
عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوٰى كُلُوْا مِنْ طَيِّبٰتِ مَا رَزَقْنٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيْهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِيْ وَمَنْ يَّحْلِلْ عَلَيْهِ
بر شما من و سلوی را بخورید از پاکیزها آنچه روزی دادیم شما را و تعدی مکنید در آن پس فرود آید بر شما غضب من و هر که فرود آید بر او

غَضَبِيْ فَقَدْ هَوٰى وَاِنِّيْ لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَاٰمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدٰى وَمَاۤ اَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يٰمُوْسٰى
غضب من پس بتحقیق هلاک شد و بدرستیکه من آمرزنده ام مر آنرا که توبه کرد و گرود و کرد کار شایسته پس راه یافت و چه چیز شتاب ورد ترا از قوم خود ای موسی

قَالَ هُمْ اُولَآءِ عَلٰۤى اَثَرِيْ وَعَجِلْتُ اِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضٰى قَالَ فَاِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْۢ بَعْدِكَ وَاَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ
گفت ایشان اند اینان بر اثر من و شتافتم بسوی تو ای خدای من تا خوشنود شوی گفت که مبتلا نمودیم قوم ترا از بعد تو و گمراه کرد ایشانرا سامری

فَرَجَعَ مُوْسٰۤى اِلٰى قَوْمِهٖ غَضْبَانَ اَسِفًا قَالَ يٰقَوْمِ اَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا اَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ اَمْ اَرَدْتُّمْ
پس باز گشت موسی بسوی قوم خود خشمناک اندوهگین گفت ای گروه آیا نه وعده داد شما را خدای شما وعده نیکو آیا پس دراز شد بر شما از زمان یا خواستید

اَنْ يَّحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ فَاَخْلَفْتُمْ مَّوْعِدِيْ قَالُوْا مَاۤ اَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلٰكِنَّا حُمِّلْنَاۤ اَوْزَارًا مِّنْ زِيْنَةِ





القوم فقذفناها فكذلك القى السامري فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا الهكم واله موسى
فنسي افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم انما
فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى
قال يا هرون ما منعك اذ رايتهم ضلوا الا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا
براسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي قال فما خطبك يا سامري
قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال
فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذي
ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله الا هو وسع كل
شيء علما كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد اتيناك من لدنا ذكرا من اعرض عنه
فانه يحمل يوم القيمة حملا يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم ان لبثتم
الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال
فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي
لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن
ورضي له قولا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب
من حمل ظلما ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما وكذلك انزلناه قرانا
عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقران
من قبل ان يقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما

القراءة

انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم على التوحيد حمزة وعلي و
خلف وواعدناكم من الوعد ابو عمرو وسهل ويعقوب فيحل ومن يحلل بالضم فيهما علي الاخرون بالكسر بملكنا بفتح الميم ابو جعفر ونافع وعاصم
غير المفضل بضمها حمزة وعلي وخلف بكسرها الباقون وآلمفضل حملنا بفتح الحاء والميم مخففة ابو عمرو وسهل ويعقوب وحمزة وعلي و
خلف سوى حفص الاخرون بضم الحاء وكسر الميم مشددة مني بالياء الثاكنة فتحا ابن كثير وسهل ويعقوب ووافق ابو عمرو ونافع عنه
اسمعيل في الوصل وقرا يزيد واسمعيل بفتح الياء الباقون بفتحها يا ابن ام بكسر الميم ابن عامر وحمزة وعلي وخلف وعاصم غير حفص لم تبصروا
بتاء الخطاب علي وحمزة وخلف الباقون على الغيبة فنبذتها مدغما ابو عمرو وحمزة وعلي وخلف ويزيد وهشام وسهل لن تخلفه بكسر اللام ابن كثير

وابو عمرو ويعقوب الاخرون بفتحهما الحرف فقط بفتح النون وضم الراء بعد الالف لاخرون من الحرق فلا تخف بالجزم على النهي ابن كثير ان تقضي النون
مبنيا للفاعل وخبره بالنصب يعقوب انبا قوتنا بالنبأ معمومة وبفتح الفا وجيه بالرفع **الوقوف** سيا: لان قوله لا تخاف بضم للطريق
للطريق مع حذف الضمير الحال العائد اي لا تخاف فيه ويصلح مستانفا ومن قرا لا تخف فوقفه اجوز لعدم العاطف ووقوع الحال مع تعقب
النهي الامر الا ان يكون جوابا للامر فلا يوقف ولا تخشى ٥ ما غشيهم ط لان التقدير وقد اضل من قبل على الحال الماضية دون العطف
لانه عند ما غشيهم لم يتفرغ للاضلال وما هدى ٥ والسلوى ٥ غضبي ج هوى ٥ اهتدى ٥ يا موسى لترضى ٥ السامري ٥ اسفا ج لانصراف
الماضي على الماضي بلا فاء موعدي ٥ السامري ٥ فنسي ط قولا لا للعطف ولا نفعا ط فتنتم به للابتداء بان مع اتصال العطف امري
موسى ٥ الا تتبعن ط امري ٥ براسي ج للابتداء بان مع اتصال المعنى واتحاد القائل قولي ٥ يا سامري ٥ بصري ٥ لا مساس ص لن تخلفه ج لاختلاف
الجملتين عاكفا ط للقسم المحذوف الا هو ط علما ٥ سبق ج للاستئناف والحال ذكرا ج لان الشرطية تصلح صفة للذكر وتصلح مستانفا وزرا ٥
لا لان قوله خالدين حال من الضمير في حمل وهو عائد الى من وصح الجمع معنى فيه حملا ٥ لا لان يوم ينفخ بدل من يوم القيامة زرقا ج لان ما بعده يصلح
للصفة وللاستئناف عشرا ٥ يوما ٥ نسفا ٥ صفصفا ٥ امتا ٥ لا عوج له ج لاختلاف الجملتين همسا ٥ قولا ٥ علما ٥ القيوم ط ظلما ٥ هضما ٥ ذكرا ٥ الحق ج
لعطف الجملتين المتفقتين مع اعتراض الظرف وما اضيف اليه علما ٥ **التفسير** هذا شروع في قصة انجاء بني اسرائيل واهلاك عدوهم
وقد تقدم في البقرة وفي الاعراف وفي يونس ومعنى فاضرب لهم طريقا اجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن عمله
او المراد بين لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا حتى يتعلق فعل الضرب الى الطريق ثم بين ان جميع الامن حاصل في ذلك الطريق واليبس
مصدر وصف به ومثله اليبيس ونحوهما العدم والعدم ويوصف به المؤنث ايضا فيقال ناقتنا يبس اذا جف لبنها والدرك والدرك
اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في لا تخشى اذا قرئ لا تخف الوجه هو الاستئناف اي وانت لا تخشى وجوز
في الكشاف ان يكون الالف للاطلاق من اجل الفاصلة كقوله وتظنون بالله الظنونا وان يكون كقول الشاعر كان لم ترى قبلي اسيرا
يمانيا اولم ترا لان ما قبله وتضحك مني شيخة عبشمية قلت لعل هذا انما يجوز في الضرورة ولا ضرورة في الاية فاتبعهم فرعون الحق بهم
جنوده او تبعهم ومعه جنوده كما تقول في يونس فغشيهم اي علاهم وغمرهم من اليم ما غشيهم وهذا من جملة ما هو علم في باب لا يحاط به الا لله
على انه غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقد سلفت منه في السور المذكورة ما حكي في الاخبار وروي في الاثار ونسبة الاضلال الى فرعون لا تنافي
انتهاء الكل الى ارادة الله ومشيئته وقوله وما هدى تاكيد للاضلال وفيه تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد ثم عدد ما انعم به على
بني اسرائيل ويجوز ان يكون خطابا لليهود المعاصرين لان النعمة على الاباء نعمة في حق الابناء ومثله قوله وواعدناكم جانب الطور الايمن
اي الواقع على يمين من ينطلق من مصر الى الشام لان منفعة المواعدة عادت اليهم وان كانت المواعدة لنبيهم فكتب التوراة في الالواح فقام شرعهم
واستقام امر معاشهم ومعادهم كلوا من طيبات امر القول وطغيانهم في الرزق ويشغلهم اللهو والتنعم عن القيام بشكرها وبعد واحدود الله
فيها بالاسراف والتقتير او الغصب ومن قرا فيحل بالكسر فهو بمعنى الوجوب من قولهم حل الدين يحل اذا وجب اداؤه ومن قرا بالضم فمعنى النزول والغضب
نزول لشابه من العقوبات والنازلات ومعنى هوى هلك واصله السقوط من مكان عال كالجبل وقيل هوى اي وقع في الهاوية سؤال كيف
اثبت المغفرة في حق من استجمع التوبة والايمان والعمل الصالح والمغفرة انما يتصور في حق من ذنب اثم وما معنى قوله ثم اهتدى بعد الامور
المذكورة والاهتداء انما يكون قبلها لا اقل من ان يكون معها الجواب راد واني لغفار لمن تاب من الكفر وامن وعمل صالحا وفيه دليل لمن
ذهب الى وجوب تقديم التوبة من الكفر على الايمان والحاصل ان الغفران يعود الى الذنوب السابقة على هذه الامور ويجوز ان يراد انه
اذا تاب من الكفر واقبل على الايمان والعمل الصالح فان الله يغفر الصغائر التي تصدر عنه في خلال ذلك كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم واما الاهتداء فالمراد به الاستقامة والثبات على الامور المذكورة كقوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
ومعنى ثم الدلالة على تباين المرتبتين فان المداومة على الخدمة اصعب من الشروع فيها كما قيل لكل الى شاو العلى حركات ولكن عزيز في الرجال
ثبات ونظير هذا العطف قوله واهلكناها فجاءها باسنا وقد مر البحث فيه ويروى ان موسى قد مضى مع النقباء السبعين الى الطور على الموعد
المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده وظنه ان ذلك اقرب الى رضا الله فانكر الله تعالى تقدمه فقال وما اعجلك
عن قومك اي شيء عجل بك عنهم فالمراد بالقوم النقباء لا جميع قومه على ان قومه بعضهم يؤكده قوله هم اولاء على اثري ولم يكن جميع قومه على اثره قال
جار الله فقد تضمن ما خوطب به رب العزة شيئين احدهما انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب التقدم فكان اهم الامرين الى موسى
بسط العذر من انكار العجلة في نفسها فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير لا يعتد به وبينهم الا مسافة قريبة يتقدم بمثلها الوفد راسهم ومقدمهم
ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب لترضى اي طلبت دوام رضاك عني او مزيد رضاك بناء على اجتهادي ان التعجيل
الى مقام المكالمة والحرص على ذلك يوجب مزيد الثواب والكرامة وقيل لما انكر عليه الاستعجال دهش خوفا من العتاب فتحير في الجواب قال فانا
قد فتنا قومك يعني جميع قومه الذين خلفهم مع هرون وكانوا ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل الا اثنا عشر الفا يروى انهم اقاموا بعد



مفارقة عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع اياما مها وقالوا قد اكملنا العدة ثم كان امر العجل بعد ذلك فسئل انه تعالى كيف قال لموسى عند مقدمه
اما فقد فتنا قومك واجيب بانه على عادة الله تعالى في اخباره عن الامور المترقبة بلفظ الماضي تحقيقا للوقوع او اراد بدء الفتنة لان السامري افترص
غيبة موسى فعزم على اضلال قوم عقيب انطلاقه ولقائل ان يمنع كون هذه الاخبار عند مقدم موسى بل العلم عند الله وعد بدليل فاء التعقيب
في قوله فرجع موسى قال جار الله انه رجع بعد ما استوفى الاربعين ذي القعدة وعشر ذي الحجة واوتي التورية وسامري منسوب الى قبيلة من بني
اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا
وكان من قوم يعبدون البقر قالت المعتزلة الفتنة بمعنى الاضلال لا يجوزان ينسب الى الله تعالى لانه يناقض قوله واضلهم السامري وانما الفتنة
بمعنى الامتحان والتشديد بالتكليف ومنه فتنت الذهب بالنار ونبيان ذلك ان السامري لما اخرج لهم العجل صاروا مكلفين بان يستدلوا بحدوث جملة
الاجسام على ان العجل لا يصلح للالهية وقالت الاشاعرة الشبهة في كون الشمس والقمر الها اعظم من العجل الذي له خوار وهو جسد من الذهب فيجب
ان لا يكون حدوث ذلك العجل تشديدا في التكليف فلا يكون فتنة من هذا الوجه فيجب حمله على خلق الضلال فيهم واجابوا عن اسناد الضلال
الى السامري بان جميع المسببات العادية يضاف الى اسبابها في الظاهر وان كان الموجد لها في الحقيقة هو الله تعالى قال بعضهم الاسف اشد الغضب وفرق
بين الاغتياظ والغضب لان الغيظ تغير يلحق المغتاظ فلا يصح الا على الاجسام والغضب قد يراد به الاضرار بالمغضوب عليه فلهذا صح اطلاقه على
الله تعالى ثم عاتب موسى قومه باموره منها قوله الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لانهم كانوا معترفين بالرب الاكبر لكنهم عبدوا العجل على التاويل الذي
ذكره عبدة الاصنام او على تاويل الحلول والوعد الحسن هو انزال التورية التي فيها هدى ونور وقيل هو الثواب على الطاعات وشبه باروى
عن مجاهد انه العهد المذكور من قوله ولا تطغوا فيه الى قوله ثم اهتدى وقيل وعدهم اهلاك فرعون وتوريثهم ارضهم وديارهم ومنها
ومنها قوله افطال عليكم العهد يريد مدة مفارقته لهم وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم عليه من الايمان فاخلفوا في موعده بعبادتهم
العجل وقيل الذي عهدهم بنعمة شهدتم من الانجاء وغيره والاكثرون على الاول لما تقدم انه وعدهم ثلثين كما امرهم ثم وواعدنا موسى ثلثين ليلة
فجاء بعد الاربعين لقوله تعالى واتممناها بعشر لما روي انهم حسبوا العشرين اربعين ومنها قوله ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم قالوا هذا
لا يمكن اجراؤه على الظاهر لان عاقلا لا يريد هلاك نفسه ولكن المعصية وهو خلاف الوعد لما كانت توجب ذلك صح هذا الكلام لان مريد السبب
مريد للمسبب بالعرض احتج العلماء بالاية وبما هو من قوله فيحل عليكم غضبي ان الغضب من صفات الافعال لا من صفات الذات لان صفة ذات الله
تعالى لا ينزل في شيء من الاجسام وموعد موسى هو ما ذكرنا من انهم وعدوه الاقامة على دينه الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدوه اللحاق
به والمجيء على اثره قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا بالحركات الثلث اي بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا وراينا لما اخلفنا ولكن غلبنا
من جهة السامري وكيده والظاهر ان القائلين هم عبدة العجل وقيل انهم الذين لم يعبدوا العجل وقد يضيف الرجل فعل قرينه الى نفسه مكانهم
قالوا الشبهة قويت على عبدة العجل فلم يقدروا على منعهم ولم يقدروا ايضا على مفارقتهم خوفا من التفرقة وزيادة الفتنة ثم ان القوم فسروا ذلك
العذر المجمل فقالوا ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم اي اثقالا من حلي القبط كما مر في الاعراف وقيل الاوزار الاثام والمراد انها في الحقيقة اثقال
مخصوصة معنونة سموا بذلك لان الغنائم لم تحل لهم او لانهم كانوا مستامنين في دار الحرب وليس للمستامن ان ياخذ مال الحربي
وقيل ان تلك الحلي كان القبط يتزينون بها في مجامع الكفر ومجالس المعاصي فلذلك وصفت بانها اوزار كما يقال في الات الملاهي فقذفناها
في الحفرة كان هرون امرهم بجمع الحلي انتظارا لعود موسى او في موضع امرهم السامري بذلك بعد ان اوقد النار وكذلك القى السامري مثل فعلنا
اراهم انه يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حافر فرس جبرئيل كما يجيء في قوله فقبضت قبضة من اثر الرسول
فنبذتها فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار قد تقدم في الاعراف فقالوا اي السامري ومن تبعه هذا الهكم واله موسى فنسي موسى ان يطلبه ههنا وذهب
يطلبه عند الطور او فنسي السامري وترك ما كان عليه من الايمان الظاهر ونسي الاستدلال على ان العجل لا يجوز ان يكون الها بقوله افلا يرون
الا يرجع ان مخففة من الثقيلة ولهذا لم يعمل وقرئ بالنصب على انها الناصبة قال العلماء ظهور الخوارق على يد مدعي الالهية جائز لانه لا يحصل
الالتباس ههنا كذلك فوجب ان لا يمتنع خلق الحيوة في صورة العجل يروى عكرمة عن ابن عباس ان هرون مر بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما تصنع
فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال اللهم اعطه ما سالك فلما مضى هرون قال السامري اللهم اني اسئلك ان يخور فخار وعلى هذا لا يلزم ان
يكون معجزا للنبي لا للسامري ثم انه سبحانه اخبر ان هرون لم يال نصحا واشفاقا في شان نفسه وفي شان القوم قبل ان يقول لهم السامري ما قال اما
شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر واتم امتثل بنفسه زهد وفي شان القوم قبل ان يقول لهم السامري
ما قال اما شفقته على نفسه فهي انه ادخلها في زمرة الامرين بالمعروف الناهين عن المنكر اراجيح حين قال لهم يا قوم انما فتنتم به قال جار الله كانهم اول
ما وقعت عليه ابصارهم حين طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادره هرون فزجرهم عن الباطل اولا بان هذا من جملة
الفتن ثم دعاهم الى الحق بقوله وان ربكم الرحمن ومن فوائد تخصيص هذا الاسم بالمقام انهم ان تابوا عما عزموا عليه فان الله يرحمهم ويقبل توبتهم
ثم بين ان الوسيلة الى معرفة كيفية عبادة الله هو اتباع النبي وطاعته فقال فاتبعوني واطيعوا امري وهذا ترتيب في غاية الحسن واعلم ان الشفقة

الى الزمان الذى هم

النعف



الشفقة على خلق الله اصل عظيم في الدين نفاعة ... روى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد اذا اشتكى
عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس اذ نظر الى شاب على باب المسجد فقال من اراد ان ينظر الى رجل
من اهل النار فلينظر اليه فسمع الشاب ذلك فولى وقال الهي وسيدي هذا رسولك يشهد علي باني من اهل النار وانا اعلم انه صادق فاذا كان
الامر كذلك فاسألك ان تجعلني فداء امته وتشغل بي النار حتى تبر يمينه ولا تدخل النار احدا فهبط جبرئيل وقال يا محمد بشر الشاب باني قد انقذته
من النار بتصديقه اياك وفدائه امتك بنفسه وشفقته على الخلق قال اهل السنة فيه دلالة ان الشيعة تمسكوا بقوله انت مني بمنزلة هرون
من موسى ثم ان هرون ما منعه التقية من ذلك الجمع بل صعد المنبر وصرح بالحق ودعا الناس الى متابعته فلو كانت امة محمد على الخطا
لكان يجب على علي كرم الله وجهه ان يفعل ما فعل هرون من غير تقية وخوف قالت الشيعة ان هرون صرح بالحق وخاف فسكت ولهذا
عاتبه موسى بما عاتبه عند رجوعه ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فكانا على امتنع او لامن السيف فلما آل الامر الى ما آل عاتبهم
ما سألوا وانما قلت هذا على سبيل البحث لا لاجل التعصب ثم ان القوم قابلوا حسن موعظة هرون بالتقليد والجحود قائلين لن نبرح عليه عاكفين
حتى يرجع الينا موسى ولا يخفى ما في هذا الكلام من انواع التوكيد من جهة النفي بلن ومن لفظ البراح والعكوف ومن صيغة اسم الفاعل
ومن تقديم الخبر ثم حكى ما جرى بين موسى وهرون بعد الرجوع وقوله ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن كقوله ما منعك ان لا تسجد
في ان لا مزيدة ام لا وقد مر في الاعراف وفي هذا الاتباع قولان فعن ابن عباس ما منعك من اتباعي واللحوق بي وترك المقام
بين اظهرهم وقال مقاتل اراد الاتباع في وصيته كانه قال له هلا قاتلت من كفر بمن امن ومالك لا تباشر الامر كما كنت اباشره انا لو كنت فيهم
قوله افعصيت امري دلالة على ان تارك المأمور به عاص والعاصي يستحق العقاب لقوله ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فيعلم منه
ان الامر للوجوب واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء بان موسى ان امر هرون بالاتباع ... على التقديرين فهرون ... لم يأمره فالعتاب
لكن اشد ذلك منه لهرون من غير جرم يكون ذنبا وان امره ولم يتبعه كان هرون عاصيا وايضا قوله افعصيت استفهام بمعنى الانكار فيكون
موسى كاذبا في نسبة العصيان الى هرون واما ان يكون هرون عاصيا وايضا اخذه بلحية هرون وبرأسه ان كان بعد البحث والتفتيش
عن كون هرون عاصيا فلا ... واجيب بان كل ذلك مواجهة اجتهادية جائزة الخطا وهي من باب ترك الاولى وقد مر في اوائل البقرة في قصة آدم ما يتعلق
بهذه المسألة قوله ولم ترقب قولي اي وصيتي لك بحفظ الدهماء واجتماع جمع الشمل بوجود مثله حسبت ان نقول فرقت قال الامام ابو القسم
الانصاري هذه الآية تنفع من اهل الاشارة فان السحرة لما رأوا الآية واحدة فامنوا وتحملوا في الدين ما تحملوا واما قوم موسى فقد رأوا ذلك
مع زيادة تسع الآيات التسع ومع ذلك عبدوا العجل وعكفوا على عبادته وعرفنا ان الغرض لا يحصل الا بهداية الله تعالى ولما فرغ موسى عن عتاب
هرون اقبل على السامري ويمكن ان يكون بعيدا ثم حضر او ذهب اليه موسى ليخاطبه قال فما خطبك الخطب مصدر خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل
لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له والغرض منه الانكار عليه وتعظيم صنيعه قال اي السامري بصرت بما لم يبصروا به قال ابن عباس
ورواه ابو عبيدة علمت بما لم يعلموا به من البصارة بمعنى العلم وقال الآخرون رأيت ما لم يروه فالباء للتعدية ويرجح العلماء قراءة الغيبة على الخطاب
احترازا من نسبة عدم البصارة الى النبي ... القبضة بالفتح مصدر بمعنى المفعول وهو المقبوض بجميع الكف عامة المفسرين على ان المراد بالرسول
جبرئيل وان اثره التراب الذي اخذه من موضع حافر دابته واسمها حيزوم فرس الحياة ومتى رآه الاكثرون على انه رآه يوم فلق البحر كان جبرئيل على الرمكة
وفرعون على حصان وكان لا يدخل البحر فتقدم جبرئيل فتبعه فرس فرعون وعن علي ان جبرئيل لما نزل ليذهب بموسى الى الطور ابصره السامري
من بين الناس وكان راكبا حيزوم ... فقال ان لهذا شأنا فقبض من تربة موطئه ... فقبضت من اثر الرسول يوم
حلول الميعاد ثم من المفسرين من جوز ان السامري كيف عرف انه جبرئيل ومنهم من قال ... انه رآه في صغره وحفظه
من القتل حين امر فرعون بذبح اولاد بني اسرائيل فكانت المرأة تلد وتطرحه حيث لا يشعر به آل فرعون فيأخذ الملائكة الولدان
فيربونهم حتى يترعرعوا ويختلطوا بالناس فكان السامري اخذه جبرئيل وجعل كف نفسه في فيه وارتضع منه العسل واللبن فلم يزل يختلف اليه حتى
عرفه وقال ابو مسلم اطلاق الرسول على جبرئيل في هذا المقام من غير تقدم ذكر ... تكليف بعلم الغيب ثم تخصيص السامري من بين الناس برؤية جبرئيل
ومعرفته خاصة ثم ان ... لا يخلو عن تعسف ولو جاز اطلاع بعض الكفرة على تراب هذا شأنه فلقائل ان يقول لعل موسى اطلع على
شيء آخر لاجله قدر على الخوارق فالاولى ان يراد بالرسول موسى فقد يواجه الحاضر بلفظ الغائب كما يقال ما قول الامير في كذا ويكون اطلاق
الرسول منه على موسى نوعا من التهكم لانه كان منكرا لرسالته ويريد باثره سنته ورسمه من قولهم فلان يقفو اثر فلان اي عرفت ان الذي
عليه ليس بحق وقد كنت قبضت شيئا من سنتك فطرحتها قوله وكذلك سولت لي نفسي اشارة الى ما اوحى اليه
ابليس ان تلك التمويهات تنفذ على العباد ... وعلى قول ابي مسلم يشير الى ان اتباع اثرك كان من تسويلات النفس الامارة فلذا
تركته ثم بين موسى ان لهم عقوبة في الدنيا وعقوبة في الآخرة يروى انه اراد ان يقتله فمنعه الله من ذلك وقال لا تقتله فانه سخي وفي قوله لا
مساس وجوه الاول انه حرم عليه مماسة الناس لانه اذا اتفق ان ماس احدا من الناس حم الماس والممسوس فلذلك اذا رأى احدا صاح لا مساس



ان نوقد بانت فيهم ذلك الى الان والثاني ان المراد منع الناس من مخالطته قال مقاتل ان موسى لم يجد من تحلب بني اسرائيل وقال الحسن جعل انت عملك
طريقك الى البراري اعرض لو تحكم عليه وان الرجل اذا اصابه محموما فلا يقول مس ولا مساس وانما يقال ان ذلك عجيب بان هذا كلي لحكاية
اجعلك يا سامري بحيث اذا اعتبرته حال لم تقل الا لا مساس لتنالك قول ابي مسلم ان المراد انقطاع نسله وان يخبرهم انه لا يمكن له مماسة
المرأة اي مجامعتها واما الذي في الآخرة فذلك قوله وان لك موعدا لن تخلفه قال جار الله من قرأ بكسر اللام فهو من اخلفت الموعد اذا وجدته
خلفا ثم بين ما لحال الهه فقال وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي ظللت فحذف احدى اللامين تخفيفا لنحرقنه من الاحراق وقيل
على انه صار لحما ودما لان الذهب لا يمكن احراقه بالنار بل يفيد خلاف ما قال السدي امر موسى بذبح العجل فذبح فسال منه الدم ثم احرق ثم نسف رماده ذلك الشيء
التغذي ومن جعله من حرق اي برده بالمبرد فيفيد كونه على انه لم ينقلب حيوانا الا اذا لم يعد فظاما ومن جعله من لحرق فانه يحتمل الوجهين
والمراد بعد ان ذبحه كما مر وانما لم يجمع السامري وامثاله كيف يحرقه والله اعلم ثم ختم الكلام ببيان الدين الحق فقال انما الهكم اي المستحق للعبادة والتعظيم
الله لا اله الا هو وسع كل شيء علما ونصبه على التمييز فقال اي يعلم من يعبده [illegible] وحين فرغ من قصة موسى في ثلثمائة وثلاثين فقال كذلك
اي نحو ما اقتصصنا عليك من قصة موسى وفرعون والسامري نقص عليك من انباء ما قد سبق من اخبار الرسل مع اممهم تكثيرا لمعجزاتك ثم عظم شان القرآن
بقوله وقد آتيناك من لدنا ذكرا اي ما يذكر فيه كل ما يحتاج اليه المكلف في دينه ودنياه والوزر العقوبة الثقيلة التي تنقض ظهر صاحبها
او المراد جزاء الوزر وهو الاثم خالدين فيه اي في ذلك الوزر او في جزائه وساء لهم فيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف للقرينة اي ساء
حملا وزرهم واللام في لهم للبيان كما في هيت لك ويجوز ان يكون ساء بمعنى قبح ويكون فيه ضمير الوزر وانتصب حملا على التمييز وهو حال من حملا ولا ازكى
ما انكره صاحب الكشاف لله الا ان يتبع وقوع الحال عن التمييز وفيه نظر فالملابسة الحمل بالفتح ما كان في بطن او على راس شجرة والكسر ما كان
على ظهر او راس والصور قرن ينفخ فيه اسرافيل وما ياتي قوله فاذا نقر في الناقور ولما كان تعريف امور الآخرة بالمثال لما شوهد في الدنيا لان
الناس انهم في البوقات عند الاسفار وفي العساكر جعل تشبيها للنفخ في الصور [illegible] الحرب ولاعادة الاموات وقيل الصور جمع صورة
ان الصور جمع صورة ومن قرأ من ينفخ [illegible] صورة وصور كسدرة وسدر والنفخ نفخ الروح فيها ولكنه يرد عليه ان النفخ تكرر لقوله تعالى
ثم نفخ فيه اخرى والاحياء لا تكرر بعد الموت الا ما ثبت من سؤال القبر وليس هو مرادا من النفخة الاولى بالاتفاق ونحشر المجرمين عن ابن
عباس هم الذين اتخذوا مع الله الها آخر وقالت المعتزلة هم الكفار والعصاة يومئذ زرقا وجوها قال الضحاك ومقاتل ان الزرقة ابغض شيء
من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وانهم زرق العيون ولهذا قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين وقال الكلبي
زرقا اي عميا قال الزجاج يخرجون بصراء في اول مرة ثم [illegible] بقوله لنحشر مثله الابصار لقوله اقرأ كتابك [illegible] حدقة من
نور بصره تزرق وقيل زرقا اي عطاشا لقوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا فكانهم من شدة العطش تتغير سواد عيونهم حكاه ثعلب عن ابن
الاعرابي يتخافتون بينهم يتسارون بينهم لغاية خوفهم او لانه امتلأت صدورهم رعبا وهولا يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لانها ايام سرورهم و
نعمتهم واما لانها قد انقضت والذاهب قليل وان طال ولاسيما بالنسبة الى الابد السرمد كان قائلهم يقول قد لبثنا في الدنيا ما لبثنا الى
لبثنا في الآخرة كعشر ايام وقال اعقلهم بل كاليوم الواحد وانما قال عشرا لان المراد عشر ليال وقال مقاتل بل عشر ساعات اي بعض يوم وعلى
هذا فافضلهم قد غلب عليهم استقصارهم وقيل المراد لبثهم في القبور قال اهل النظم كان سائلا سأل كيف يقع التخافت بين المجرمين والجبال
حاملة ما تعملون فلذلك قال ويسألونك عن الجبال وقال الضحاك ان مشركي مكة قالوا على سبيل الاستهزاء يا محمد كيف يكون حال الجبال
يوم القيامة فنزلت ويحتمل ان يكون هذا جواب شبهة يتمسك بها منكروا البعث منهم جالينوس زعم ان الافلاك لا تفنى لانها لو فنيت لابتدأت
بالنقصان حتى ينتهي الى البطلان وكذا الجبال وغيرها من الاجرام الكلية فامر الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يبين لهم هذه المسألة الا انه
من غير امهال فلهذا ادخل فاء التعقيب في الجواب ينسفها ربي نسفا قال الخليل النسف التطيين والاذهاب كانه يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها
وحاصل الجواب ان كل بطلان لا يلزم ان يكون ذبوليا بل قد يكون دفعيا [illegible] فيذرها [illegible] الضمير للارض وان لم يجر لها ذكر
للعلم بها كقوله ما ترك على ظهرها والقاع المستوي من الارض وقيل المكان المطمئن وقيل مستنقع الماء والصفصف الارض الملساء المستوية
قيل التي لا نبات فيها والامت النتوء اليسير وقيل الثلاثة الصفصف والعوج والامت [illegible]
[illegible] وان كان هذا النوع من العوج الاعتبار [illegible] بالعوج الحسي [illegible] الآية على ان الارض [illegible] يكون
كرة حقيقية اذ لو كانت مضلعة وقعت بين الاضلاع فصول مشتركة يحوج الامتداد القائم عليها هناك ثم انه تعالى وصف تلك اليوم بانه [illegible]
فيه يتبعون الداعي قيل هو النفخ في الصور وقوله لا عوج له اي لا يعدل عن احد بل يحشر الكل [illegible] اسرافيل وهو ملك آخر يقوم على
صخرة بيت المقدس ينادي ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى فصل القضاء والجزاء فلا يعوج له مدعو بل يتبعون
صوته من غير انحراف وخشعت الاصوات للرحمن خفضت من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت الخفي ومنه الهمس
والاسد [illegible] الا بالعلم سواه وحقيق لمن كان الله محاسبه ان يخشع طرفه ويضعف صوته ويختلط قوله [illegible] وعن ابن عباس والحسن وعكرمة



وابن زيد الهمس وطي الاقدام الى المحشر قوله الا من اذن له الرحمن يصلح ان يكون منتصبا على المفعولية وان يكون مرفوعا على البدلية بتقدير
حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له اي لاجله قولا قال الامام فخر الدين الرازي الاحتمال الاول اولى
لعدم التزام الاضمار ولان درجة الشافع درجة عظيمة فلا تصلح ولا تحصل الا لمن اذن فيها وكان عند الله مرضيا فلو حملنا الاية على ذلك
كان من ايضاح الواضحات بخلاف ما لو حملت على المشفوع واقول الاحتمال لان منفقا ربان منه الا زمان لان المشفوع لا يقبل الشفاعة في حقه
الا اذا اذن الرحمن لاجله فيعود الى الثاني قالت المعتزلة الفاسق غير مرضي عند الله تعالى فوجب ان لا ينتفع بشفاعة الرسول عليه السلام واجيب بانه قد رضي
لاجله قولا واحدا وهو كلمة الشهادة قالوا هب ان الفاسق قد رضي الله قولا لاجله لم قلتم ان الاذن حاصل للشافع في حقه والجواب انا ايم
نمنع من الاذن غير حاصل في حقه على انه قال في موضع اخر ولا يشفعون الا لمن ارتضى فلم يعتبر الا احد القيدين ثم اخبر عن نهاية علمه بقوله يعلم
ما بين ايديهم الضمير للذين يتبعون الداعي اي يعلم ما يتقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما وقال الكلبي ومقاتل
الضمير للشافعين من الملائكة والانبياء كما مر في اية الكرسي وفيه تقريع لمن يعبد الملائكة ليشفعوا له اي يعلم ما كان قبل خلقهم وما كان
منهم بعد خلقهم من امر الاخرة والثواب والعقاب وانهم لا يعلمون شيئا من ذلك فكيف يصلحون للمعبودية ثم ذكر غاية قدرته وعنت
الوجوه اي ذلت رقاب المكلفات منقادين لامره كالاسارى عند العنوة عنوا انا سيرا وقيل المراد وجوه العصاة في القيامة كقوله سيئت
وجوه الذين كفروا ولعل تخصيص الوجوه بالذكر لان اثر الذل والانكسار فيها ابين واظهر قال جار الله وقد خاب وما بعده اعتراض اي كل
من ظلم فهو خائب خاسر ولاهل السنة ان يخصوا الظلم ههنا بالشرك او يعارضوا هذا العموم بعمومات الوعد ومن قرأ فلا يخاف بالرفع
فعلى الاستيناف اي فهو لا يخاف كقوله فينتقم الله منه ومن قرأ فلا يخف فمعناه فليأمن لان النهي عن الخوف امر بالامن ومن فسر
الظلم بانه الاخذ فوق حقه والهضم النقص من حقه كصفة المطففين فيقدر مضافا محذوفا اي فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه
لم يظلم ولم يهضم ومن فسر الظلم بانه العقاب لا على جريمة والهضم بانه النقص من الثواب فلا يحتاج الى تقدير المضاف قال ابو مسلم الظلم
ان ينقص من الثواب والهضم ان لا يوفى حقه من التعظيم لان الثواب مع كونه من اللذات لا يكون ثوابا الا اذا قارنه التعظيم قال
جار الله وكذلك عطف على قوله كذلك نقص اي ومثل ذلك الانزال وعلى نهجه كما انزلنا عليك هؤلاء الايات المتضمنة للوعيد انزلنا
القران كله عربيا لان العرب افضل وغيرهم تبع لان النبي عربي وصرفنا فيه من الوعيد كررناه وفصلناه ويدخل في ضمنه الفرائض
والمحارم لان الوعيد يتعلق بترك احدهما وفعل الاخر لعلهم يتقون او يحدث لهم ذكرا حمل جار الله الاول على ارادة ترك المعاصي
والثاني على فعل الخير والطاعة لان الذكر قد يطلق على الطاعة والعبادة فلا شك ان القران منفر عن السيئات مبعث على الطاعات
من حيث ان فهم معانيه يؤدي الى ذلك وانما قدم الاول على الثاني لان التخلية مقدمة على التحلية ويحتمل ان يكون التقوى عبارة عن
فعل الخيرات وترك المنكرات جميعا والذكر يكون محمولا على ضد النسيان اي يحدثوا شيئا من التذكر والاتعاظ او احدث لهم ذكرا اذا تاملوا
معانيه وكلمة او على الاول للتخيير او الاباحة وعلى الثاني يجوز ان يكون للتنويع وقيل اراد انزلنا القران ليتقوا فان لم يحصل ذلك
فلا اقل من ان يوجب القران لهم ذكرا اي شرفا ومنصبا كقوله وانه لذكر لك ولقومك وعلى التقديرين يكون في انزال القران نفع ثم عظم
شان القران من وجه اخر وهو عظم شان منزله فقال فتعالى الله الملك الحق اي ارتفع صفاته عن صفات المخلوقين انزل القران ليحذروا
عما لا ينبغي وانه منزه عن الانتفاع والتضرر بطاعاتهم ومعاصيهم ومعنى الحق قد مر في البسملة قال جار الله فيه استعظام له ولما يصرف
عليه عباده من اوامره ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه وغير ذلك كما يجري عليه امر ملكوته قال ابو مسلم ان من قوله
ويسئلونك عن الجبال الى ههنا كلام تام وقوله ولا تعجل خطاب مستانف وقال الحسن انه صلى الله عليه وآله كان يخاف ان يفوته
شيء فيقرأ مع الملك فانه تعالى حين شرح كيفية نفع القران للمكلفين وبين انه سبحانه متعال عن الانتفاع والتضرر بالطاعات والمعاصي وانه موصوف
بالملك الدائم والعز الباقي وكل من كان كذلك وجب ان يصون رسوله عن السهو والنسيان في امر الوحي وما يتعلق بصلاح العباد في المعاش والمعاد
قال ولا تعجل بالقران لانه حصل لك الامان من السهو والنسيان من قبل ان يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يتم قراءة جبريل ونحوه قوله
ولا تحرك به لسانك لتعجل به قاله مقاتل والسدي وابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد وقتادة اراد ولا تعجل بالقران فتقرأه على اصحابك
من قبل ان يوحى اليك بيان معانيه اي لا تبلغ ما كان مجملا حتى ياتيك البيان وقال الضحاك ان اهل مكة واسقف نجران قالوا يا محمد اخبرنا
عن كذا وكذا وقد ضربنا لك اجلا ثلاثة ايام فابطأ الوحي عليه وفشت المقالة ان اليهود قد غلبوا فنزلت هذه الاية اي لا تعجل بنزول
القران من قبل ان يقضى اليك وحيه من اللوح المحفوظ الى اسرافيل ومنه الى جبريل ومنه اليك عن الحسن ان امرأة اتت النبي فقالت
زوجي لطم وجهي فقال بينكما القصاص فنزلت الاية فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القصاص وانما ذكرنا هذه الاقوال لان قوله ولا تعجل بالقران يحتمل
التعجيل بقراءته في نفسه او في ادائه الى غيره او في اعتقاد ظاهره او في تعريف الغير ما يقتضيه ظاهره وقوله من قبل ان يقضى اليك وحيه
احتمل ان يراد من قبل ان يقضى اليك بتمامه او من قبل ان يقضى اليك بيانه فقد يجوز ان يحصل عقيبه استثناء او شرط او غيرهما

من المختصات



من الخصوصيات ويؤكده هذه المعاني قوله وقل رب زدني علما لان معرفة الآيات علم زائد على معرفة الاجمال والتحقيق ان هذا كان اجتهادا وكان الاولى تركه فلذلك نهي عنه قال جار الله هذا الامر متضمن للتواضع لله والشكر له عند ما علم من ترتيب التعلم اي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم ومن فضائل العلم ان النبي صلعم ما امر بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وفيه اشارة الى ان اسرار القرآن غير متناهية اللهم ان هذا العبد الضعيف معترف بقصوره ونقصانه فيما سالك ثم سالك بنبيك ان ترزقني ببعثته علما ينفعني في الدارين التأويل ولقد اوحينا الى موسى القلب ان اسر بعباد هم صفات القلب من الاخلاق الحميدة سرا بهم من مصر البشرية الى بحر الروحانية فاضرب لهم بعصا الذكر طريقا يبسا من ماء الهوى وطين الصفات الحيوانية وباقي التأويل كما مر في يونس ونزلنا عليكم من صفاتنا وسلوى اخلاقنا فاتصفوا بطيبات اخلاقنا ولا تطغوا فيه بافشاء اسرار الربوبية الى غير اهلها كمن قال انا الحق وسبحاني فان الحالات لا تصلح للمقالات واني لغفار لمن رجع عن الطغيان وامن بالربوبية وعمل صالحا في مقام العبودية ثم اهتدى فتحقق ان حضرة الربوبية منزهة عن دنس الوهم والخيال والحلول ومقام الوصال مباين للقيل والقال وعجلت اليك فيه ان الشوق اذا غلب انقطع العلائق وان مطلوب السائل لا ينبغي ان يكون الا رضاء الله قد فتنا قومك من بعدك فيه ان فتنة الامة والمريد مقرونة بالنبي والشيخ بملكنا اي باذننا ومشيئتنا ولكن بارادة الله ومشيئته فكذلك القى السامري من غير اختيار منه ولكن باضطرار من القدر يا ابن ام قيل خاطبه بذلك ليذكره قول الملائكة يا ابن النساء الحيض ما للتراب ورب الارباب فقبضت قبضة من اثر الرسول فنبذتها فيه ان الكرامة كرامة لاهل الكرامة ولاهل الغرامة استدراج وفتنة فيصرفونها في الباطل والطبيعة لا في الحق والحقيقة قوله لا مساس فيه معارضة بنقيض مقصوده من ارادة الجمعية والغلبة واتباع الناس اياه فعذب بالتفرد والتوحش والنفار من الخلق ذرقا ان الوجه اشرف اعضاء الانسان والعين اشرف اعضاء الوجه وزرقة العين دلالة على خروجها عن الاعتدال واذا كان اشرف الاعضاء خارجا عن الاعتدال فما ظنك بغيرها وكذا الاخلاق التابعة للامزجة وعنت الوجوه اي كل جهة بها تستند الممكن الى الواجب يتبعون الداعي لان كل ناس يدعى بامامهم فيتبعونه للتبرؤ واهل الله لا يتبعون الا الى الله كقوله والله يدعوا الى دار السلام وعلى الله المستعان طه

وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا

إِبْلِيسَ أَبَىٰ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ إِنَّ لَكَ أَلَّا

تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ

عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ

الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي

فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ

أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ

الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ

بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ وَلَا

التأويل

قالم



تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى
وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقالوا لولا
يأتينا باية من ربه اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا
لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون
من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدى

القراءات

وانك بالكسر ابو بكر وحماد والخزاز ونافع والباقون بالفتح عطفا على انك لا تجوع ولا يلزم منه دخول ان المكسورة على المفتوحة للفصل بالخبر ولانه يجوز في المعطوف ما لا يجوز في المعطوف عليه اعمى بالامالة حمزة وعلي وخلف حشرتني بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن كثير ترضى مبنيا للمفعول علي وابو بكر وحماد والمفضل زهرة بفتح الهاء قتيبة وسهل ويعقوب الآخرون بسكونها وقرأ حمزة وعلي وخلف هذه السورة وكل سورة اياتها على الياء بالامالة المفرطة وان شاء بين الفتح والكسر

الوقوف

عزما ه الا ابليس ط ابى ه فتشقى ه ولا تعرى ه لا تضحى ه لا يبلى ه الجنة ز لنوع عدول عن ذكر حال الاثنين الى بيان حال من هو المقصود فغوى ه صلى وهدى ه عدو ج لابتداء الشرط مع الفاء ولا يشقى ه يوم القيمة اعمى ه بصيرا ه فنسيتها ج لعطف المختلفتين تنسى ه بآيات ربه ط وابقى ه مساكنهم ط النهى ه مسمى ه لعطف الجملتين مع اختلاف النظم ترضى ه لنفتنهم فيه ط وابقى ه عليها ط رزقا ط نرزقك ط للتقوى ه من ربه ط الاولى ه ونخزى ه فتربصوا ج لسين التهديد مع الفاء اهتدى ه

التفسير

في تعلق قصة آدم بما قبلها وجوه منها انه لما قال كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ثم عظم شان القرآن وبالغ فيه ذكر هذه القصة انجازا للوعد ومنها انه قال وصرفنا فيه من الوعيد فاردفه هذه القصة ليعلم ان طاعة بني آدم للشيطان امر قديم وخلة موروثة وذلك انه عهد الى آدم من قبل هؤلاء الذين صرفنا لاجلهم الوعيد فنسي وترك العهد ومنها ان قوله ولا تعجل بالقرآن دليل على انه صلى الله عليه وسلم زاد على قدر الواجب في رعاية امر الدين وكان مفرطا في اداء الرسالة وحفظ ما امر به فناسب ان يعطف عليه قصة آدم لانه كان موسوما بالتفريط والافراط والتفريط كلاهما من باب ترك الاولى واذا كان اول الانبياء وخاتمهم موصوفين بما فيه نوع تقصير فما ظنك بغيرهما ومن هنا يعرف افضلية الخاتم فانه سعى في طلب الكمال الى ان خرج عن حد الاعتدال وآدم توسط في حيز النقصان فلاجرم وسم بالظلم والعصيان ومنها ان محمدا صلى الله عليه وآله امر بان يقول رب زدني علما ثم ذكر عقيبه قصة آدم تنبيها على ان بني آدم مكرمون مغفورون في جميع احوالهم الى التضرع والالتجاء الى الله حتى يفتح عليهم ابواب الخير في العلم والعمل ومعنى عهدنا الى آدم امرناه ووصيناه من قبل اي من قبل محمد او القرآن وفي النسيان قولان احدهما انه نقيض الذكر عن الحسن والله ما عصى قط الا بنسيان والثاني ان معناه الترك وعلى هذا يحتمل ان يقال اقدم على الاكل من غير تاويل وان يقال اقدم عليه بتاويل كما مر في البقرة قال اهل الاشارة عهد اليه ان لا يتعلق بغيره فانقاد للشيطان وهو النسيان والعزم ايضا فيه قولان احدهما عزما على الذنب لانه اخطأ ولم يتعمد وثانيهما عزما في العود الى الذنب ثانيا وثالثها رايا وصبرا اي لم يكن من اهل العزم والثبات لانه كان من حقه ان يتصلب في المامور به تصلبا يوئس الشيطان من التسويل قال جار الله قوله ولم نجد له يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون بمعنى نقيض العدم كانه قال وعدمنا له عزما قوله واذ قلنا للملائكة سلف في البقرة مستقصى قوله ان هذا عدو لك ذكروا في سبب عداوته اياه انه كان شيخا جاهلا لانه اثبت فضله بفضيلة اصله والشيخ الجاهل ابدا يكون عدوا للشاب العالم وايضا الماء والتراب مضادان للنار فلا يخرجنكما فلا يكون سببا لاخراجكما لان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه فتشقى فتتعب في طلب القوت وتحصيل ما يتعيش به الانسان واسند الشقاء اليه وحده مع اشتراكهما في الخروج لان الرجل اصل في باب الانفاق والكسب والمرأة تابعة له ثم بين ذلك الشقاء بقوله ان لك ان لا تجوع فيها الى آخره والظمأ العطش ويقول ضحيت للشمس بالكسر ضحى وضحيا مثله اذا برزت لها والمراد به لكن مع ان الجنة ليس فيها شمس حتى يتصور فيها الضحى ففي كون هذه الامور في الجنة تبشير لهما في غيرها ولا ينافي ان اصول المتاعب في الدنيا هي الشبع والري والكسوة والكن واما المنكوح فشيء ثانوي لان مؤن النكاح يختص بالدنيا وايضا يرجع الى المذكورات وروي انه كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف الاصابع فوسوس اليه الشيطان انهى اليه وسوسته كما مر في الاعراف بيان الوسوسة انه قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد اضافها الى الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحيوة لان من باشر اثره حيي وملك لا يبلى اي لا ينقطع ولا يزول قال القاضي ليس في النظم انه قبل ذلك منه لانه لا بد ان يحصل بين حال التكليف وحال المجازاة فصل بالموت والنبي متيقن



ان لا يمنع فيلم هذا القدر واجيب بالمنع ولو سلم فلم يكفي الفعل المنهي وهو خفيف ولو سلم انه لا يكفي فلم لا يجوز ان يحمل النهي على ذلك كما يحمل على
جواز الرؤية على نحو حكمه حين قال رب ارني انظر اليك ومما يتمسك به ان آدم قبل وسوسته قوله تعالى فاكلا بالفاء والفاء مشعرة بالعلية كقول القائل زنا
ماعز فرجم وما في الاية فدخل في تفسير مثلها في الاعراف لا في قوله وعصى آدم ربه فغوى قال بعض الناس ان آدم ذنبه كبيرة والامام يوصف بالعصيان
والغواية فان العاصي والغاوي اسمان مذمومان عرفا وشرعا وقد ترتب الوعيد عليهما واجيب بان المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون
مندوبا وزيف بالمنع من ان الندب نحو مامور به ثم من ان مخالفة غير مقيد الا ان الانبياء كانهم معصومون الا انهم لا يكونون في ترك المندوب
قالوا يقال امرت فلانا بكذا فعصاني وامرته بشرب الدواء فعصاني واجيب بالمنع من ان هذا من مستعمل العرب لغة وعرفا ولو سلم فلعله
انما يقال ذلك اذا عرفت المشيئة لا بد لا ان يفعل ذلك فح يكون معنى الايجاب حاصلا وان لم يكن وجوب شرعي لان ذلك لا يجا
لم يصل عن الشارع ومنهم من زعم انه ذنب صغير وهم عامة المعتزلة ورد بان القاضي منهم من يستحق العقاب وهذا لا يليق بالصغيرة
ولجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا لا انها تتصل بالتكاليف ولهذا قال سبحانه فغوى اى خاب من نعيم الجنة لانه
هو ان يتوصل بشئ الى شئ يصل الى المقصود الى ضده وانه سعى في طلب الخلود فنال ضد المقصود وغر نفسه فغوى اى تبشم من كثرة الاكل
وزيفه جار الله ورد قول ابي مسلم بان مصالح الدنيا تكون مباحة فلا يوصف تاركها بالعصيان قلت في هذا نظر والاحوط في هذا الباب
ان يعتقد كون هذه الواقعة قبل النبوة ويدل عليه قوله ثم اجتباه ربه اى اختاره للرسالة ويحتمل الحفظ اسباب العصمة عليه لاجتبا هو الحج
كما مر في اخر الاعراف برئ من غرائب ابنا ادم لو وزن احلام بني ادم بحلم ادم لرجح حلمه وقد قال فنسي ولم نجد له عزما قال العلماء فيه دليل على انه
لا راد لقضائه وما تقدر كان لا محالة ولذلك جاء اذا جاء القضاء عمي البصر والدليل قد يكون في غاية الظهور ومع ذلك يخفى على العقل لما
كما خفي على ادم عداوة ابليس انه بعرض لسخط الله في شانه حين امتنع من سجوده فكيف قبل منه وسوسته لولا كتاب من الله سبق قال المحققون
الاولى ان لا يطلق لفظ العاصي والغاوي على ادم وان ورد في القرآن وعصى ادم ربه فغوى لانه لم يصدر عنه الزلة الامرة واحدة وصيغة اسم
الفاعل ينبئ عن التكرار ولذلك لان المسلم اذا تاب عن الشرب والزنا وحسنت توبته لا يقال له شارب وزان ولان السيد يجوز ان يشتم عبده
بما شاء وليس لغيره ذلك قال اهبطا فيه تفسير مثله في البقرة خاطبهما بالتثنية لانهما اصلا البشر ثم عمم الخطاب لهما ولذريتهما في قوله فاما
ياتينكم اما قوله بعضكم لبعض عدو فقد قال القاضي يكفي في توجيه هذا الكلام حصول ان يكون ابليس والشياطين اعداء للناس والناس
اعداء لهم فاذا انضاف الى ذلك عداوة بعض الفريقين لبعض لم يمتنع دخوله في الكلام عن ابن عباس ضمن الله لمن اتبع القرآن ان لا يضل في الدنيا ولا
يشقى في الاخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى وللتسبب تفسيرات العقاب في الاخرة انه قد ضل عن الدين فيه رد التكليف وابتغى كتاب
الله يستلزم هذا الضلال عن الدين المستتبع للنجاة من العقاب في الاخرة واما الشقاء الذي قد يلحق المؤمن في الدنيا فلا اعتداد به لقصوره ثم
على انه توضنا بالقضاء يهون عليه مصائب الدنيا او انقضائها ثم ذكر وعيد من اعرض عن ذكره فظاهر الكلام يدل على ان الذكر ههنا هو الهدى المذكور
لان قوله ومن اعرض عن ذكري في مقابلة قوله فمن اتبع هداي وقد مر في اول البقرة ان المراد به الشريعة والبيان وقال كثير من المفسرين ان الذكر هو
القرآن وسائر كتب الله وفيه نوع تخصيص والضنك الضيق مصدر يوصف به ولهذا استوى فيه المذكر والمؤنث يقال منزل ضنك ومعيشة ضنك
كانه قيل ذات ضنك قالت الحكماء عيش الدنيا ضنك ضيق لا نقصانها وقصر مدتها وكثرة شوائبها وانما العيش الواسع عيش الاخرة وهذه الضيق
المتوعد بها اما في الدنيا او في القبر او في الاخرة مثال الاول ما قرر ثم الاول غالب المسلم الواضح يعيش بما رزق من التسليم والتوكل والقناعة
يعيش به عيشا راضيا والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص والشح فلا ينفك عن الانقباض والطموح الى ما ليس له من الفراغ والدفاع الكلي
هم للاعم الدنيا عن ابن عباس المعيشة الضنك هي ان يضيق عليه ابواب الخير فلا يهتدي لشئ منها ومن الكفرة من ضربت عليهم الذلة والمسكنة
وسئل الشبلي عن قوله ص اذا رايتم اهل البلاء فاسألوا الله العافية فقال اهل البلاء هم اهل الغفلة عن الله فعقوبتهم ان يردهم الله الى انفسهم
واى معيشة اضيق واشد من ان يرد الانسان الى نفسه قلت التحقيق ان فصول الكليات من العقوبات فطلب العافية منها الاذى فيها المد
الدرجات ولكن الانسان خلق ضعيفا ان ما يؤول امر المبتلى الى الجزع والفزع فيحرم الثواب فيطلب العافية من هذا القسم ابتغاء عن ما للمعذور اما الثاني
فعن ابن مسعود وابي سعيد الخدري وروى مرفوعا عن ابي هريرة عن النبي ص انه عذاب القبر للكافر وعن ابن عباس ان الاية نزلت في الاسود بن عبد الله المخزومي
والمراد ضغطة القبر تختلف فيها اضلاعه واما الثالث فعن الحسن وقتادة والكلبي انه ضنك في الاخرة في جهنم وان طعامهم فيها الضريع والزقوم
والحميم والغسلين فلا يموتون فيها ولا يحيون اما قوله ونحشره يوم القيمة اعمى كقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا فعن قتادة العمى ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال الجبائي اراد انه لا يهتدي يوم القيمة الى طريق ينال منه خيرا كالاعمى وعن مجاهد
والضحاك ومقاتل اعمى عن الحجة وهي رواية عكرمة عن ابن عباس قال القاضي هذا القول ضعيف لانه لا بد في القيمة ان يعلم الله ثم
بطلان ما كانوا عليه حتم علم اليقين من التأمل ومن هذه حالة لا يوصف بذلك الا مجازا باعتبار ما كان لكن قوله وقد كنت بصيرا ينافيه قال
الامام فخر الدين الرازي ومما يؤكد هذا الامر انه تعالى علل ذلك العمى بانه الكافر تسمى الايات بل في الدنيا فلو كان العمى حاصلا في الاخرة بعين

فذلك النسيان لم يكن للمكلف بسبب ذلك منه كما في الدنيا فالحاصل في التحقيق في الجواب عن الاعتراض هو ان النفوس الجاهلة في الدنيا اذا فارقت
ابدانها تبقى على جهالتها في الآخرة فيصير تلك الجهالة سببا لاعظم الآلام الروحانية واقول على الطريق يحتمل ان يكون مجازا باعتبار الغاية فقد
يبقى النفوس باعتبار عدم غايته وثمرته فلا يبقى في كونها اعمى في الآخرة لهذه الاشياء اعلام الله تعالى اياه للحجة ولا كونه بصيرا في الدنيا كونه عمى في الآخرة
بالاضافة المذكورة لان المعرض عن الدليل بشيء ان يكون كافرا معاندا ويكون الغرض من الاعلام التوبيخ بتصويبه قوله نعم في جوابه كذلك اى
مثل ذلك فعلت انت ثم فسره لك بقوله اتتك آياتنا اي دلائلنا واضحة فنسيتها وتنسيتها اى تركتها وتركت العمل بها والعناد بوجهها وكذلك
اليوم تنسى تترك بلا فائدة النظر والاعتبار وعلى الامام انه لا يلزم من كون المكلف غير متصف بتعيينه الدلائل التى في الدنيا كونه غير متصف بها
في الآخرة واما قوله في الجواب المحقق بناء على قاعدة الحكيم ان جهل النفس يصير سببا لتعذيبها فان كان منعا لقول المعتزلة انه تعالى يعلم المكلف
بطلان ما كان عليه في الدنيا فذلك لا يفتقر الى الفعل وان كان تسليما لقولهم فهو يحتمل الاعتراض هذا وقد ورد في بعض الآثار اشد
الناس عمى يوم القيامة هم الذين حفظوا القرآن ثم نسوه وليعلم قوله اتتك آياتنا فنسيتها اللهم اجعلني ممن يواظب على تلاوة كتابك حتى لا انسى
يوم القيامة وكذلك نجزي من اسرف قيل عصى ربه ولا ظهر انه اراد شرك وكفر بدليل قوله ومن لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة وهو الحشر
على العمى اشد وابقى من ضنك المعيشة في العاجل واراد وتركنا اياه في العمى اشد وابقى من تركه لآياتنا ثم وبخ المعرضين عن الدلائل بعدم
الاعتبار باحوال القرون الخالية فقال افلم يهد لهم بالفاء وفي السجدة بالواو لان الكلام ههنا كالمتصل بقوله ومن اعرض عن ذكري وهنالك
كالمنفصل عن الاعراض لانه قال ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها وبعد ذلك لوفد قصة موسى فناسب ههنا بالواو واما حذف من
ههنا واثباته هنالك فلما مر من ان من يفيد الاستيعاب وهنالك قد زاد بعد القرون بذكر قصة بني اسرائيل وما فيهم من الملوك والانبياء
قال في الكشاف فاعل لم يهد الجملة بعده وانكر البصريون مثل هذا لان الجملة لا تقع فاعلا فلهذا قال يريد لم يهد لهم هذا المعنى ومضمون هذا الكلام
قال القفال جعل كثرة ما اهلك من القرون مبينا لهم وقال الزجاج اراد لم نبين لهم ما يهتدون به لو تدبروا وتأملوا وقيل فيه ضمير الله والرسول
والجملة بعده تفسيره يريد ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون آثار هلاكهم والنهى العقول وقد مر في السورة
قال بعض اهل اللغة ان النهية هي التي تنهى على العقل فلا يقال الا لمن عقل بنهيه عن القبائح فقوله اولي النهى كقوله اولي العزم والحزم ومن هذا
فسره بعضهم باهل الورع والتقوى ثم بين الوجه الذي لاجله لا ينزل العذاب معجلا على من كذب من هذه الامة فقال ولولا كلمة هي العدة
بتأخير جزائهم الى الآخرة كتبها في اللوح المحفوظ واخبر بها ملائكته ورسله لان فيهم او في نسلهم من يؤمن او لمصلحة اخرى خفية قال اهل السنة
انه يحكم ما لكية ان يفعل ما يشاء من غير علة واللزام مصدر لازم وصف به وقيل فعال بمعنى مفعل فهو بمعنى ملزم كأنه آلة اللزوم اى لكان
الاخذ العاجل لزاما واجل مسمى وهو عذاب الآخرة وقيل يوم بدر معطوف على كلمة وجوز في الكشاف ان يكون معطوفا على الضمير في كان وقال
انما جوز ذلك للفصل اي لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل
حين بين انه لا يهلكهم بعذاب الاستيصال امره بالصبر على ما يقولون من التكذيب وسائر الاذيات زعم الكلبي ومقاتل انها منسوخة بآية القتال
وليس بذلك لان كلا منهما معمول بها في موضعها وسبح بحمد ربك اى متلبسا بحمده على ان وفقك للتسبيح واعانك عليه والاكثرون انها بمعنى
الصلوة ليكون كقوله واستعينوا بالصبر والصلوة ولانه يبين اوقاتها فقبل طلوع الشمس هو صلوة الفجر وقبل غروبها صلوة الظهر والعصر لانهما واقعتان
في النصف الاخير من النهار ومن آناء الليل فسبح المغرب والعتمة وقوله واطراف النهار اي تطوع فيه بجميع الصلوة او من الالتباس ولان اقل الجمع اثنان
او اراد طرفي كل نهار وتكرارا لصلوتي الفجر والعصر او المغرب على ما ظن العشاء بشأنها كقوله والصلوة الوسطى وانما جمع اى وهو الساعة وقدمه
في العبارة وتمام آناء الليل وادخل الفاء فسبح المؤذنة بتلازم ما قبلها وما بعدها فانبئها على زيادة الاهتمام بشأن صلوة الليل لان
الليل وقت السكون والراحة والهدو والاصوات فالصلوة فيه اشق على النفس وادخل في الاخلاص واقرب من المحافظة على الخشوع والاخبات
وبعضهم اخرج من الآية صلوة الظهر لانه خصص قبل الغروب بصلوة العصر ومنهم من ادخل فيها النوافل لان الصلوة في الاوقات المذكورة تشملها
والامر قد يكون للندب لا اقل من التغليب وقال ابو مسلم الاقرب حمل التسبيح على التنزيه والاجلال كأنه لما امره بالصبر على اذية القوم بعثه على الاشتغال
بالتنزيه في هذه المواطن في كل الاوقات وقوله لعلك ترضى كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا ولسوف يعطيك ربك فترضى لان الاطماع من الكريم
واجب لوقوع الله ايجابا ووفاء عنه ولما حث رسوله على الامور الدينية نهاه عن الميل الى زخارف الدنيا وزينتها فقال ولا تمدن عينيك اى نظر عينيك
ومد النظر تطويله استحسانا للمنظور اليه وفيه ان النظر الغير الممدود معفو عنه كما نظر فغض وقال ابو مسلم المنهى عنه في الآية ليس هو النظر الطويل وانما هو الاسف
اي لا تأسف على ما فاتك مما نالوا من حظ الدنيا قالوا نزل ضيف بالنبي صلى الله عليه وسلم فبعثني الى يهودي يستقرضه فقال لا اقرضه الا برهن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت والازواج الاصناف وقيل اي اشكالا واشباها من الكفار لانهم
اشكال في الذهاب عن الصواب وقد مر في اخر الحجر وقد شكا العلماء المتقون في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وملابسهم ومراكبهم لانهم انما اتخذوها
لعيون النظارة فالناظر اليها محصل لغرضهم فيكون اغراء لهم على اتخاذها فان قيل ما انتصب زهرة قال على الذم او على تضمين متعنا معنى خولنا واعطينا

وله لزاما

النظر



او على امثاله من ازواج الكفار والتقدير ذوي زهرة وهي الزينة والبهجة ومن قرأ بفتح الهاء فهي جمع زاهر كانهم لصفاء الوانهم وظهور
اثار النعمة عليهم زاهرون لهذه الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون الصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب قوله لنفتنهم اي لنبلوهم كقوله
انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم وقيل لنعذبهم كقوله فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم وقال الكلبي ومقاتل لنشدد
عليهم في التكليف لان الاجتناب عن الملاهي مع القدرة يكون اشق على النفس ورزق ربك هو ثواب الآخرة وما رزقت من الاسلام والنبوة خير
وابقى وقيل اراد به الحلال الطيب لانه يجب ان ينسب الى الرب خير من اموالهم التي غلب عليها الغضب والشرهة وسائر وجوه الخباثة وابقى بركة ونماء وحسن
عاقبة ولما اهلك في سورة مريم مكان يأمر اهله بالصلوة اي اقبل انت مع اهلك على عبادة الله من السلف من كان اذا اصاب اهله خصاصة قال
قوموا فصلوا بهذا امر الله رسوله ثم يتلو هذه الآية وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا تمدن عينيك الآية ثم ينادي الصلوة
الصلوة رحمكم الله وكان رسول الله صلعم بعد نزول هذه الآية يذهب الى فاطمة وعلى كل صباح ويقول الصلوة وكان يفعل ذلك شهرا وقوله واصطبر عليها
اي وانت كما امرتهم بها فحافظ عليها فان الوعظ بلسان الفعل اتم منه بلسان القول لا نسئلك رزقا كما يريد الملوك خراجا من رعيتهم والسادة خرجا
من عبيدهم بل نحن نرزقك كقوله وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين والحاصل انا انما امرناك بالصلوة فذلك لاجل انتفاع
بثوابها لا لانا ننتفع بها وقيل لا نسئلك ان ترزق نفسك ولا اهلك بل نحن نرزقك واياهم فلا تهتم بامر الرزق والمعيشة وفرغ بالك لامر الآخرة
وفي معناه قولهم من كان في عمل الله كان الله في عمله قال اهل الاشارة ورزق ربك رمز الى قوله ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني قال عبد الله بن
سلام كان النبي صلعم اذا نزل باهله ضيق او شدة امرهم بالصلوة والعاقبة اي الجميلة للتقوى ثم عاد الى قوله فاصبر على ما يقولون فحكى نوعا من
شبهاتهم وهي قولهم لولا يأتينا باية من ربه كانهم لم يعتدوا بالقرآن الذي اعجز شقاشقهم فرد الله عليهم بقوله اولم تأتهم بينة ما في الصحف
الاولى لان القرآن برهان سائر الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو شاهد لها بالصحة وانها من عند الله وقيل اراد بالبينة ما فيها من
بشارة محمد صلعم وعن ابن جرير انه ما فيها من قصص الامم المكذبة وبيان اهلاكهم بعد اقتراح الآيات وانما اتاهم هذا البيان في القرآن فلهذا
وصف القرآن بكونه بينة لما في الصحف الاولى ثم بين الحكمة في نزول الآية القرآن ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل البرهان الذي
الدال عليه البينة لقالوا اي في القيمة لان الهالك لا قول له في الدنيا وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلعم قال يحتج على الله تعالى يوم القيمة
ثلثة الهالك في الفترة يقول لم يأتني رسول ولو اتاني لكنت اطوع خلقك ثم تلا قوله لولا ارسلت الينا رسولا والمغلوب على عقله يقول لم تجعل لي
عقلا انتفع به ويقول الصبي كنت صغيرا لا اعقل فترفع لهم نار ويقال ادخلوها فيدخلها من كان في علم الله انه سعيد ويتلكأ من كان في علمه
انه شقي فيقول الله تعالى عصيتم اليوم فكيف رسلي لو اتاكم وطعن المعتزلة في هذا الخبر قالوا لا يحسن ان يعاقب على ما لم يفعل
وقال الجبائي الآية دالة على وجوب فعل اللطف والمراد انه يجب ان يفعل بالمكلفين ما يؤمنون عنده والا كان
لهم ان يقولوا هلا فعلت ذلك بنا لنؤمن وقال الكعبي فيها اوضح دليل على انه تعالى يقبل الاحتجاج من
عباده وليس معنى قوله لا يسئل عما يفعل ان الجور منه يكون عدلا بل تأويله انه لا يقع منه
الا العدل واذا ثبت انه تعالى يقبل الحجة فلو لم يكونوا قادرين على ما امروا به كان
لهم فيه اعظم حجة واستدل اهل السنة بها على ان الوجوب لا يتحقق
الا بالشرع والا كان العقاب حاصلا قبل بعثة ثم ختم السورة
بوعيد اجمالي فقال قل كل اي كل منا ومنكم
متربص عاقبة امره فهذا الانتظار اما قبل
الموت بسبب الامر بالجهاد وظهور
الدولة والغلبة
او بعد الموت
فان كل واحد من الخصمين ينتظر حصول الجزاء مناسبا لكسبه ويتوقع ظهور اثر الثواب او العقاب وتميز الحق والباطل ويؤيده قوله فستعلمون الى اخره هذا من
كلام
المصنف رحمه الله تعالى

قد تم المجلد الثاني المشتمل على خمس من الثلث التاسع من التفسير المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان بعون الله الملك المتعال على يد ... صلى الله على
محمد وآله ... المصنف في ... مولانا الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام النيسابوري ... الهند ...
المدعو ... سنة ثلاثين ...

٢١٦ ...